

تَمَّة
يَتِمُّ الدَّهْرُ
فِي مُحَاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ

تَأَلَّفَ
أَبِي مَنْصُورَ عَبْدِ الْمَلِكِ الشَّعَالِي النِّسَابُورِيَّ
الْمُتَوَفَّى ٤٢٩ هَجْرِيَّةً

شَرَحَ وَتَحَقَّقَ
الدُّكْتُورُ مُفِيدُ مُحَمَّدٍ قَمِيحَةَ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
الطبعة الأولى
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

يطلب من دار الكتب العلمية - ص ب ١١/٩٤٢٤ - بيروت - لبنان

هاتف ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤

تَمَتَّة
يَتِمُّمَةُ الدَّهْرِ
فِي مُحَاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، نبينا محمد وعلى آل بيته الطاهرين وبعد ، فإن أبا منصور الثعالبي واحد من أئمة اللغة والأدب الذين تفخر بهم الأمة العربية والإسلامية ، نظراً لما خلفه الرجل من آثار جلية وكتب قيمة تدل على سعة اطلاعه وعمق معرفته ، ورفيع قدره وعظيم جهده .

ولد أبو منصور في نيسابور وإليها نفي ، وكان في أول حياته فراءً يخطط جلود الثعالب فنسب إلى صناعته ، ومن ثم اشتغل بالأدب واللغة والتاريخ فنبغ واشتهر وصنّف عشرات الكتب الجليلة الممتعة ، ولعل كتابه « يتيمة الدهر » أكثر كتبه شهرة وتداولاً نظراً لأنه يقدم فيه ترجمة وافية لكثير من الشعراء المعاصرين له أو السابقين لزمانه بقليل ، وهذه الترجمة تختلف عما عرفناه في كتب الطبقات ، لأنه يجمع فيها كل جماعة من الشعراء حسب بلدهم أو إقليمهم أو البلاط الذي سلكهم في عدادهم ومثال ذلك ما فعله بشعراء الشام وشعراء مصر من حيث الأقاليم ، وبشعراء دولة بني حمدان وبلاط سيف الدولة في حلب وبني بويه في بغداد وأصبهان . .

ولم يقتصر الثعالبي في اليتيمة على الترجمة المحضة والاستشهاد بالنصوص الشعرية ، بل نراه يورد آراء نقدية قيمة وتعليقات أدبية ممتعة تنم عن ذوق أدبي رفيع كما يعتمد في كثير من الأحيان إلى المقارنة والموازنة بين من يترجم له ، وبين غيره من الشعراء في الفن الشعري الذي برع فيه ، ويكشف بلباقة وكياسة عن مدى تأثر الشاعر بغيره من السابقين والمعاصرين ويتعقب بحس

أدبي وذوق مرهف صورته ومعانيه ، فيشهد له بما قدّم من توليدات مبتكرة
وجديدة ، ويرشد الى ما كان فيه تابعاً ومقلداً . .

إذاً فاليتيمة كما نرى كتاباً هاماً لا غنى عنه لكل من يتعانى الأدب ويسلك
دروبه ، والذي في حوزة أهل الأدب منه أجزاء أربعة تداولوها ، وتعارفوا على
أنها تمثل مجمل ذلك السفر النفيس ، ولم يقع في خلدهم أن لليتيمة تنمة تكمل
سلسلة الحلقات الأربع منه وتمثل النهاية الطبيعية لذلك الكتاب القيم ، ولذا
فإننا هنا نفخر بأن نقدم لهم الجزء الخامس من اليتيمة الذي سبق أن نشر في
طهران واستحصلنا عليه بدورنا فقمنا بعمل شروح وضبط لما تضمنته من
معلومات قيّمة ، ونحن الآن نضعه بين يدي القارئ العربي الكريم بحلّة
جديدة وبصورة إفرادية على أمل أن نلحق به إن شاء الله في القريب العاجل
الأجزاء الأربعة السابقة عليه مع دراسة وافية تتضمن الضبط والشروح وسائر
ما يحتاج إليه الكتاب من تفاصيل ومعلومات تيسر الولوج إليه وتعود على
القارئ العزيز بالخير والفائدة ، فيتم بذلك الكتاب ويتمّ معه الانتفاع به
والاقتناء له .

والله من وراء القصد

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد حمدا لله الذي وفّقنا لغرس الدرّ والياقوت في أرض الكتاب واستثمار الغرر والنكت^(١) من أنوار الصحف والاستظهار على كرب الدّهر بتنسم الأدب والصلوة على سيدنا محمد غرة العالم وسيد بني آدم فأنّي لما رأيت كتابي المعنون بيتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر يسحر العقول ويملك القلوب ويعجب الملوك كما يعجب الرّعية ويحسن أثره على الشعراء كما يطيب ثمره للكتاب ويسير في الأفاق مسير الأمثال ويسري في البلاد مسرى الخيال ولقيت أعيان الفضل وأفراد الدّهر أطلب له من طير الماء للماء وأحرص عليه من المرضى على الشفاء ووقع اليّ على الأيام ما ينخرط في سلكه ويصلح للالحاق به ولا يسوغ تأخيره عن أخواته، لاسيما وقد خلا منه مكان قوم من السادة والكبرا لامترك لثمار خواطرهم ووسائل قلاندهم عنّ لي حذو كتاب لطيف على تمثيله وترتيبه وايداعه ما شدّ عنه من طرزه وجنسه اجراؤه مجرى الفرخ له والعلاوة عليه فعملت من ذلك مالم اخمر الرأي^(٢) فيه ولم اوفيه حقه من التهذيب لاستعجالي وايثاري اتّحاف الشيخ ابي الحسن محمدبن عيسى الكرجي أيّده الله تعالى به وهو على جناح السفر ناهض النية سائر العزيمة فارتفع كعجالة الرّاكب فانضمّ الى ما صحبه من أخاثر الدفاتر وقد أنشأته الآن نشأة اخرى وسبكته ثانية بعد اولى وكرّرت فيه أبناء قوم سبق ذكرهم في البيتمة ولم

(١) النكت : الكلام اللطيف الذي يؤثر في النفس انشراحاً .

(٢) أخمر الرأي : منحه المزيد من الدرس والبحث .

يحضرني في وقت تأليف اليتيمة الا القطر من سيح وابلهم^(١) واللمعة اليسيرة من
أبكار أفكارهم^(٢) كأبي المطاع ذي القرنين بن ناصر الدولة أبي محمد الحمداني
وأبي العباس خسروفيروز بن ركن الدولة وأبي علي مسكويه ، وأبي بكر القاضي
الأسكي^(٣) وأبي القاسم بن العلاء الاصبهاني وأبي سعد بن خلف الهمداني وأبي
البركات العلوي وأبي محمد منصور بن محمد الهروي وغيرهم ، فأردت الآن أن
أسدّ الثلم واجبر الكسر واتمم النقص وأورد ذكر كلّ منهم في مكانه على الرّسم في
مثله ، وقد قرّرت عنوان الكتاب تيمّة - اليتيمة ولم اخله من ملح النوادر^(٤)
وفصوص الفصول وبنيته على الانتخاب والاختصار والاقتصار على اللبّوب^(٥)
وعيون العيون وسلوك طريق منصور الفقيه في قوله :

قالوا خذ العين من كلّ^(٦) فقلت لهم في الفضل عين ولكن ناظر العين
حرفين من ألف طومار مسودة وربّما لم تجد في الألف حرفين
والعذر في تأخير المقدّم وتقديم المؤخّر وكتابة ما لا يتمّ المعنى دونه وما يشرف
بالانتساب الى قائله لا بكثرة طائله ما سبق ذكره ملخصاً صدر كتاب اليتيمة ومن هاهنا
سياق أبواب الكتاب :

(١) سيح وابلهم : مطهرهم الغزير .

(٢) أبكار أفكارهم : طلائعها ، جديدها الرائع في كل فن

(٣) الأسكي : وفي الأصل : اللاسكي ، وفي اليتيمة ج ٣ ص ٢٢٨ : الأسى ، والصحيح كما أظنه هو الأسكي

المنسوب الى أسك قرية من قرى دوماوند .

(٤) ملح النوادر : الطرائف اللطيفة .

(٥) الاقتصار على اللبّوب : الاكتفاء بالجوهر منه والوقوف على الجيد الرائع .

(٦) كلّ : تعب .

تتمة القسم الأول

في

محاسن اهل الشام والجزيرة

١ - الأمير ابو المطاع

قد قدّمت العذر في تكرير ذكره وكتبت ما لم يقع في اليتيمة من شعره فمن ذلك ما انشدني ابو محمد خلف بن محمد بن يعقوب الشرمقاني بها ، قال انشدني ابو المطاع لنفسه :

افدي الذي زرتَه بالسيف مشتملاً ولحظ عينيه أمضى من مضاربه
فما خلعتُ نجادي في العناق له حتى لبست نجاداً من ذوائبه
وكان أسعدنا في نيل بغيته من كان في الحب أشقانا بصاحبه

وانشدني الشرمقاني عن الجوهرى عن أبي المطاع لنفسه :

لما التقينا معاً والليل يسترنا من جنحه ظلّم في طيها نعم
بتنا أعفّ مبيتٍ باته بشرٌ ولا مراقب الآ الظرف والكرم
فلا مشى من وشى عند العدو بنا ولا سعى بالذي يسعى بنا قدم

وانشدني ايضاً بهذه الاسناد :

تقول	لماً	رأنتي	نضوا ^(١)	كمثل الخلال ^(٢)
هذا	اللقاء	منامٌ	وأنت	طيف الخيال
فقلت	كلاً	ولكن	أساء	بينك حالي

(١) نضوا : خالعا ثوبه .

(٢) الخلال : عودٌ يزال به الطعام من بين الأسنان يريد أنه نحيل الجسم .

فليس يُعرف مني حقيقتي من محالي

وانشدني ايضاً بهذه الاسناد :

ترى الثياب من الكتان يلمحها نورٌ من البدرِ أحياناً فيليها
فكيف تنكرُ ان تبلى معاجرها والبدرُ في كلِّ وقتٍ طالعٌ فيها

وأراه أخذ هذا المعنى من أبي الحسن بن طباطبا العلوي في قوله من نتفة :
لا تَعْجَبُوا مِنْ بَلَى غَلَالَتِهِ إِذْ زَرَّ كُتْنُهَا عَلَى الْقَمَرِ
وأخذه أيضاً الرضي بن الموسوي النقيب فقال من قصيدة :

كَيْفَ لَا تَبْلَى غَلَالَتُهُ وَهُوَ بَدْرٌ وَهِيَ كُتْنُ

وللقمر خاصية في قرض الكتان ولذلك قال من ذكر عيوب القمر : يهدم العمر
ويحلّ الدين ويوجب اجرة المنزل ويسخن الماء ويفسد اللحم ويشحب الألوان
ويقرض الكتان^(١) ويضلّ الساري^(٢) لأنه يخفي الكواكب ويعين السارق ويفضح
العاشق الطارق .

ولأبي محمد طاهر بن الحسين المخزومي البصري في نظم نبذ من معائب
البدر وتحذير بعض الرؤساء سوء اثر هجائه من قصيدة :

لو أراد الأديبُ أن يهجوَ البدرَ رَمَاهُ بِالْخُطَّةِ الشُّعَاءِ
قالَ يا بَدْرُ أَنْتَ تَغْدُرُ بِالسَّاءِ رِي وَتُغْرِي بِزَوْرَةٍ^(٣) الْحَسَنَاءِ
كَلَفٌ^(٤) فِي شُحُوبِ وَجْهِكَ يَحْكِي نُكْتاً فَوْقَ وَجْنَةٍ بَرَّصَاءِ
ويريك السرار^(٥) في آخر الشهرِ رَ شَبِيهِ الْقَلَامَةِ^(٦) الْحَجْنَاءِ^(٧)

(١) يقرض الكتان : يقطعه .

(٢) يضلّ الساري : يفقد طريقه ليلاً .

(٣) بزورة : أي زيادة .

(٤) كلف : لون بين السواد والحمرة وكدره تعلو الوجه .

(٥) السرار : آخر ليلة من الشهر .

(٦) القلامه : ما سقط من الطفر عند القطع .

(٧) الحجناء : المائلة .

وإذا البدرُ نيلَ بالهجوِ فليخُشْ أولوا العقلِ السُّنَّ الشعراءِ

وانشدني ابو يعلى محمد بن الحسن الصوفي قال انشدني ابو المطاع لنفسه :

لو كنت ساعةً بيننا ما بيننا وشهدتَ حين نكرُّ التَّوْدِيْعَا
ايقنتَ أنَّ من الدَّموعِ مُحَدَّثًا وعلمتَ أنَّ من الحديثِ دموعًا

وله في هذا المعنى بعينه :

غيرُ مستنكرٍ وغيرُ بديعٍ أنَّ يبينَ الذي تجنُّ^(١) ضلوعي
لي دموعٌ كأنها من حديثٍ وحديثٌ كأنه من دموعي

وكنت احسب ان شعره مقطعات دون القصايد حتى طلع علينا الشيخ ابو بكر علي بن الحسن فأعارني من ديوان شعره ما نقله بالشام من خطه وفيه الطوال والقصار ولم يكن رفع^(٢) الى خراسان من ذلك غير ما كتبه ، فمن احاسنه ولطائفه قوله :

ومفارق نفسي الفداء لنفسيه ودَّعتُ صبري عنه في توديعه
ورأيتُ منه مثلَ لؤلؤِ عقده من ثغره وحديثه ودموعه

وقوله في معناه :

رأيتُ عند الفراقِ لِمَا جمُّ^(٣) لحيني وشؤمِ جدِّي^(٤)
اربعةً مالها شبيهة فيمنُ به صبوتي ووجدي^(٥)
مِنْ دُرٍّ لفظٍ ودُرٍّ ثغري ودُرٍّ دمعٍ ودُرٍّ عقدٍ

وقوله :

(١) تجنُّ : تستر وتخفي .

(٢) وفي الأصل : وقع .

(٣) جمُّ : كثر .

(٤) جدِّي : حظي .

(٥) وجدي : حيي وشوقي .

اليومَ يومَ السُّرورِ والطَّرَبِ
أَمَا تَرَى الجَوَّ فِي سَحَابِهِ
يَخْتَالُ فِي حُلَّةٍ مُمَسَكَةٍ

ولابي المطاع من قصيدة :

ولمَّا اجتمعْنَا للتفرُّقِ سلَّمْتُ
فحلَّيْتُ من نظمِ الصَّبَابَةِ^(١)
فيا ليتَ رُوحِنَا جَرَّتْ فِي دُمُوعِنَا
فقدَ يستلذُّ الصَّبُّ فِرْقَةَ نَفْسِهِ

وله ايضاً :

أَيْهَا الشَّادِنُ^(٢) الَّذِي صَاغَهُ اللَّدُّ
ظَلَّ بَيْنَ اللَّحَاطِ لِحَظَكَ يَحْكِي

وله في يوم مضى في دير دمشق :

مَا انْسَ لَا انْسَ يَوْمَ الدَّيْرِ مَجْلِسَنَا
وَأَفَيْتُهُ غَلَسًا^(٣) فِي فَتْيَةِ زَهْرٍ
وَالْفَجْرُ يَتْلُو الدُّجَى^(٤) فِي اثْرِ زَهْرَتِهِ

قال كانت الزهرة تطلع في ذلك الوقت قبيل طلوع الفجر :

فأَقْضَ بِهِ مَا تَحِبُّ مِنْ أَرْبٍ^(١)
وَبَرَّقَ الْمُسْتَطِيرُ فِي السُّحُبِ
قَدْ طَرَزَتْهَا البروقُ بِالذَّهَبِ

سَلَامَ فِرَاقٍ لَا سَلَامَ تَلَاقٍ
جِيذَهَا^(٢) فَرِيدَ دُمُوعٍ فِي عَقُودِ عِنَاقٍ
تَسِيلُ بِاجْفَانٍ لَنَا وَمَاقٍ
إِذَا جَدَّ بِالْأَحْبَابِ وَشَكَ فِرَاقٍ

هُ بَدِيعاً مِنْ كُلِّ حُسْنٍ وَطِيبٍ
سَقَمَ^(٥) قَلْبِي عَلَيْكَ بَيْنَ الْقُلُوبِ

وَنَحْنُ فِي نِعَمٍ تَوْفِي عَلَى النِّعَمِ
مَا شَتُّتُ مِنْ أَدَبٍ فِيهِمْ وَمِنْ كَرَمٍ
كَطَاعِنٍ بِسِنَانٍ^(٦) إِثْرَ مُنْهَزِمٍ

(١) أرب : غاية هدف .

(٢) الصبابة : حرارة الشوق ورقته .

(٣) جيدها : عنقها .

(٤) الشادن : ولد الغزال جمعه شوادن .

(٥) السقم : المرض .

(٦) الغلس : الظلمة وآخر الليل جمعه أغلاس .

(٧) الدجى : الظلمة .

(٨) السنان : نصل الرمح .

مَحْدُوَّةٌ بَيْنَنَا بِالزَّمْرِ وَالنَّغْمِ
جَنَحُ مِنَ اللَّيْلِ فِي جَيْشٍ مِنَ الظُّلَمِ
مَنْ تَسْتَقِلُّ بِهِ سَاقٌ عَلَى قَدَمٍ

فَلَمْ نَزَلْ بِمَطْيِ الرَّاحِ ^(١) نَعْمَلُهَا
حَتَّى انْتَشَيْنَا وَنُورُ الشَّمْسِ يَطْرُدُهَا
وَلَيْسَ فِينَا لِفَعْلِ الْخَنْدَرِيسِ ^(٢) بِنَا

وله من قصيدة :

وَحَبَّةٌ لِقَبِي لِلْهُمُومِ مَفِيزُ ^(٣)
لَهُ بِأَعَالِي الرُّقْمَتَيْنِ وَمِيزُ ^(٤)
يَقْلِبُهَا جَفْنٌ عَلَيْهِ غَضِيزُ ^(٥)
أَوِ الصَّخْرِ عَادَ الصَّخْرُ وَهُوَ رَضِيزُ ^(٦)
لَكَانَتْ سَمَاءٌ وَالسَّمَاءُ حَضِيزُ
نَوَافِلُهَا ^(٧) عِنْدَ الْكِرَامِ فَرُوضُ

جَنَاحِي إِنْ رَمَتْ النُّهُوضُ مَهِيزُ
وَقَدْ هَاجَ لِي حَزْنًا تَأَلَّقَ بَارِقُ
كَمَا سَارَقَتْ بِاللَّحْظِ مَقْلَةً أَرْمَدُ ^(٨)
فَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْحَدِيدِ إِذَا بِهِ
وَلِي هِمَّةٌ لَوْ سَاعَدَتْهَا سَعَادَةٌ
وَتَحَكَّمُ فِي مَالِي حَقُوقُ مَرُوءَةٍ

٢ - أبو الحسين أحمد بن محمد المَعَرِّي

معرة النعمان من بلاد الشام ، وكان يلقب بالقنوع لانه قال يا مافي كلام له قد
نفعت والله من الدنيا بكسرة وكسوة ^(١) ووصف بعض العمال فقال : ما هو الا ماء كدر
وعود دعر ^(٢) وقفل عسر ^(٣) ، وانشدني ابو يعلى محمد بن الحسن البصري

(١) الراح : الخمرة المصحوبة باللهم والمجون .

(٢) الخندريس : الخمرة .

(٣) مفيض : فيض من الهموم والأحزان .

(٤) وميض : برق ولىع .

(٥) مقلة أرمد : عين أصابها الوجع .

(٦) غضيض : الطرف المسترخي الأجفان .

(٧) رضيض : ما تكسر منه .

(٨) نوافلها : مفردا النافلة وهي الغنيمة والنوافل أيضاً : الصلوات التي لم تفرض على المؤمنين شرعاً .

(٩) بكسرة وكسوة : بلبقة وكساء .

(١٠) عود دعر : عود يساعد على المعصية .

(١١) عسر : شاق وعسير .

قال انشدني القنوع لنفسه ملحاً وغرراً ونكتاً وطرفاً وكان قد استكثر منه وروى جل شعره عنه ، فمن ذلك قوله :

رُبُّهُمْ قَطَعْتُهُ فِي دُجَى اللَّيْلِ	لِ بِهَجْرِ الْكَرَى ^(١) وَوَصَلَ الشَّرَابِ
وَالثَّرِيًّا قَدْ غَرَبَتْ تَطْلُبُ الْبَد	رَ بِسِيرِ الْمُرْوَعِ الْمُرْتَابِ ^(٢)
كَزَلِيخَا ^(٣) وَقَدْ بَدَتْ كَفُّهَا تَط	لَبُ إِذْيَالَ يَوْسَفَ بِالْبَابِ

وقوله في الغزل :

وَمُجَرَّدٌ أَبَدًا عَلَى	قَلْبِي حُسَامِي مُقْلَتِيهِ
جَسْمِي عَلَى حَالَيْنِ مِنْ	حَذِرٍ مَقِيمٍ فِي يَدِيهِ
فَإِذَا أَمِنْتُ الْخَوْفَ مِنْ	هُ بَقِيْتُ فِي خَوْفٍ عَلَيْهِ

وقوله في رئيس جالس على رأس بركة مع ندمائه :

قُلْ لِلرَّئِيسِ أَبِي الرِّضَاءِ مُحَمَّدٍ	قَوْلَ أَمْرِ يُولِيهِ حُسْنَ وِلَاءِ
مِنْ حَوْلِ بَرَكَتِكَ الْبَهِيَّةِ سَادَةُ الْ	قُرَاءِ وَالْعِلْمَاءِ وَالشُّعْرَاءِ
لَوْ أَنْصَفُوكَ وَهُمْ قِيَامٌ أَشْبَهَتْ	أَشْخَاصَهُمْ أَمْثَالَهَا فِي الْمَاءِ

أي لقاموا على رؤسهم كما يتراءون في الماء ، وقوله في قوم بنوا مسجداً في محلته :

يَا مَنْ بَنَى مَسْجِدًا ضِرَارًا	وَالْبُخْلُ مِنْهُ يَلِيهِ لَوْمٌ
لَوْ كَانَ إِسْلَامُكُمْ قَدِيمًا	كَانَ لَكُمْ مَسْجِدٌ قَدِيمٌ

وقوله في بعض العدول :

يَا بَنَ عَلِي قَالُوا وَلَوْ صَدَقُوا	لَكُنْتُ تَجْرِي مَجْرَاهُ فِي الْخَلْقِ
--	--

(١) الكرى : النعاس .

(٢) المرْوَع المرتاب : الخائف المذعور .

(٣) كزليخا : كزوجة فرعون .

دينك ذا لو كُشِفَ باطنُهُ أرقّ من طيلسانيك^(١) الخلق

٣ - ابو الخير الْمُفْضِلُ بن سعيد بن عمرو

هو من معرة النعمان ايضاً ويلقب بالعزيزي لاختصاصه بعزير الدولة ابي
شجاع فاتك ومن شعره فيه قوله من قصيدة وقد خلع عليه واعطاه سيفاً ومنطقة
ذهب :

يا ذا الصنائعِ بعدهُنَّ صنائعٌ	واخا الأياديِ بعدهُنَّ أيادي
لم تَرُضْ لي حتى ارتديتَ بصارم ^(٢)	وعقدتَ مربطَ عاتقي بَنَجَادِ ^(٣)
وادرتَ في خصري سبيكةَ عَسْجَلِ ^(٤)	اوهتَ عِدَايَ وأمسكتَ من آدي ^(٥)
فلأرضينك من بلاغةٍ منطقي	ولأعجبك من مضاءٍ فؤادي
ولاخديمك فاعلاً أو قائلاً	بالضربِ بين يديك والأنشادِ
وإذا شككتَ فلا تشكَّ بانني	في الدهرِ ثالثَ عتتر وزيادِ

ومما يستحسن له قوله في جارية سوداء ويروى لغيره :

ومسكيةُ النشرِ ^(٦) مسكيةُ الـ	غدائرِ ^(٧) مسكيةُ المنظرِ
تثنى وقامتُها للفضيـ	بِ وتَنْظُرُ واللَّحْظُ للجَوْدَرِ
وتحسبُها في خلالِ الحديدِ	ثِ تشرُّ عقداً من الجَوْهرِ

وقوله في الهجاء :

(١) طيلسان : كساء يلبسه خواص العلماء .

(٢) صارم : سيف قاطع .

(٣) نجاد : حمالة السيف .

(٤) عسجلو : ذهب .

(٥) آدي : قوتي

(٦) مسكية النشر : طيبة الرائحة كالمسك .

(٧) الغدائر : الشعر المصفور من شعر المرأة .

ابو الرضا القاري له منظرٌ يعربُ عن بُنيةٍ تأنيثٍ
 مخنثُ الطبعِ وليست له خفةٌ ارواحِ المخانيثِ
 وله ويروى لغيره :

ايرى على جسمي اميرٌ وقد دان له بالسَّمعِ والطاعةِ
 تكسبُ اعضاي جميعاً له في الشهرِ ما ينفقُ في ساعةٍ .

٤ - ابو العلاء المعري

قد جمعت بين اهل معرفة النعمان التي اخرجت هؤلاء الفضلاء وهي غير مشهورة بخراسان ، وكان حدثني ابو الحسن الدكفي المصيصي الشاعر وهو من لقيته قديماً وحديثاً في مدة ثلاثين سنة قال لقيت بمعرفة النعمان عجباً من العجب رأيت اعمى شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والنرد ويدخل في كل فن من الجد والهزل يكنى أبا العلاء وسمعته يقول انا احمد الله على العمى كما يحمدده غيري على البصر ، فقد صنع لي واحسن بي اذ كفاني^(١) رؤية الثقلاء البغضاء قال وحضرته يوماً وهو يملي في جواب كتاب ورد عليه من بعض الرؤساء :

وافى الكتابُ فواجبَ الشُّكْرِ فَضَمَّمْتُهُ وَلَثَمْتُهُ^(٢) عَشْرًا
 وَفَضَضْتُهُ . وَقَرَأْتُهُ فَإِذَا أَحْلَى كِتَابٍ فِي الْوَرَى^(٣) يُقْرَأُ
 فَمَحَاهُ دَمْعِي مِنْ تَحْدَرِهِ^(٤) شَوْقًا إِلَيْكَ فَلَمْ يَدَعْ سَطْرًا .

فحفظتها واستعملتها كثيراً في مكاتبات الاخوان .

(١) كفاني : منعني من رؤية الثقلاء من الناس .

(٢) لثمته : قبلته .

(٣) الورى : الخلق - البشر .

(٤) تحدره : هطله .

٥ - ابو القاسم المحسن بن عمرو بن المعلی

انشدني ابو يعلى له في متحل :

لو قيل للشعر الذي يدعي الحق بمن قالك يا شعر
لم يبق في ديوان اشعاره قصيدة لا لا ولا سطر

واظرف والطف منه قول القاضي ابي الحسن بن عبد العزيز في ابي بكر

الخوارزمي :

لو نفضت اشعاره نفضة لانتشرت تطلب اصحابها

قال وانشدني لنفسه واحسن واجاد جداً :

لست ادري ولا المنجم يدري ما يريد القضاء بالانسان
غير أنني اقول قول محق وارى الغيب فيه مثل العيان^(١)
إن من كان محسناً قابلته بجميل^(٢) عواقب الاحسان .

وانشدني المصيصي مرة له واخرى لغيره هذين البيتين وهما مما يدخل على

الأذن بلا اذن :

ليالي اللذات سقياً لك^(٣) ما كنت إلا فرحاً كلك
عودي كما كنت لنا مرة فحن إن عدت عيـدك لك

وله أيضاً :

ايا . بارداً جداً ويا من يشبه القردا
لقد اشبهت من بردك مخضراً ومسوداً
لأن البرد من بردك أضحى يجد البردا .

(١) العيان : المشاهدة .

(٢) بجميل : بخير وإحسان .

(٣) سقياً لك : دعاء لها بالخير الكثير .

٦ - ابو الحسين المستهام الحلبي

غلام ابي الطيب المتنبى والبيغاء انشدني ابو يعلى له في بعض الامراء
اخترت منها :

دلالة اللفظ على المعنى ذو منظرٍ دلَّ على مخبرٍ
ويجعلُ الجودَ ^(١) لها ركنًا ^(٢) ما زالَ ييني كعبةً للعلا
واستلموا راحتَهُ اليمنى حتى أتى الناسُ فطافوا به
ومنها :

ولم يُصنغِ قائلُها لَحْنًا تطربهُ الاشعارُ في مدحِهِ
ينشدهُ انشدَ ام غنًا فليس يدري ان اتى شاعرٌ
وهذا معنى حسن قد تصرف فيه العقلاء فمنهم ابو تمام حيث يقول ولعله اول
من فتح هذا الباب :

على اذنيه من نغمِ السَّماعِ ونغمةُ مُعتَفٍ تأتيهِ احلى
ثم البحترى حيث يقول :
غنائه مالِكُ طيِّءٍ او معبدٍ نشوانَ يطربُ للمديحِ كأنما
ثم ابن الرومي حيث يقول :
غنائه اسحقُ والوتارُ في الصخبِ ^(٣) كأنه وهو مسئولٌ وممتدحٌ
ثم القاضي ابن عبد العزيز حيث يقول في الصاحب :

(١) الجود : الكرم .
(٢) ركنًا : اساسا ومعتمدا .
(٣) الصخب : الضوضاء .

نشوان يلقى المعتفى متهللاً
يهتز من مدح به عطفاه^(١)
واذا اصاخ^(٢) الى المديح رأيتُه
وكأن مالك طيء غناه.

وقول المستهام احسن والطف من اقوال هؤلاء كلهم وله في الخمر انشدنيه ابو
يعلى :

وقهوة ذات حَب^(٣) كالنار ترمي باللَّهَب
تحسب من طول الحقب^(٤) مخلوقة قبل العنب

٧ - ابو محمد الماهر الحلبي

شاعر بحقه وصدقه محسن ملء ثوبه يقول من قصيدة :

ترى منهم يوم الوغى^(٥) كل ناشر
من النقع فوق الدار عين مطاردا
ينالون ما امسى بعيداً مناله
كانهم اعطوا الرماح سواعدا

ومن اخرى يشب فيها بسلام اثرت فيه الحمى ويحسن في التخلص الى
المدح ويظرف جداً :

واسيل^(٦) الخلد^(٦) شاحبه
كحلت عيناه بالفتن
تركت حماء وجنته
في اصرار اللون تشبهني
واري خديهما وردهما
ما جني ذنباً فكيف جني
نهبا حتى كأنهما
ما حوت كفا ابي الحسن

ومنها :

(١) عطفاه : جنباه .

(٢) اصاخ : سمع .

(٣) حب : فقايع شديدة الحرارة والقهوة : الحمرة .

(٤) الحقب : الأزمان .

(٥) الوغى : الحرب .

(٦) أسيل الخلد : أملسه .

ذو جفونٍ تشتري ابدًا غبراتِ النقعِ بالوسن^(١)
 ويدٌ تندى ندىً وردىً تجمعُ الضدّين في قرَن^(٢)
 ومن اخرى :

مجدي وقد يثبتُ في نفسه فضيلة المجدي على المجدي
 لو كان منْ احببته بعضَ ما في يده زار بلا وعدٍ
 وله من اخرى :

اذا امتطى قلمٌ يوماً انامله سدّ المفقرَ واستولى على الفقر^(٣)
 وله في الغزل :

جسّ الطيبُ يدي جهلاً فقلتُ له عنّي اليك فهذا يومٌ بُحراني
 فقال ماذا الذي تشكوهُ قلتُ له اشكو اليك هوىً من بعضِ جيرانِي
 فظلّ يعجبُ من قولي وقالَ لهم إنسانُ ظرفٍ فداووه بانسانِ

ومن منشور كلامه : خلص من سبل النقد خلوص الذهب من اللهب ،
 واللّجين^(٤) من يد القين ، والمدام^(٥) من نسج الفدام^(٦) ، وقوله : اين السمك من
 السماك والغرقد^(٧) من الفرقد^(٨) والسراب^(٩) من الشراب .

(١) الوسن : النعاس ، والنقع : الغبار .

(٢) تندى : تنضح بالندى اي الكرم ، وبالردى أي الموت كناية عن الشجاعة .
 وقرن : من القرين وهو الصاحب اي تقرن الكرم والشجاعة معاً .

(٣) المفقر : وجوه الفقر .

(٤) اللجين : الفضة .

(٥) المدام : الخمر .

(٦) الفدام : القدم العتيق عن الكلام وابريقُ مقدّم : عليه مصفاة .

(٧) الغرقد : شجر .

(٨) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالي يمتدى به .

(٩) السراب : ما يترأى للناس في الصحراء وغيرها كالماء ، وهو خداع .

٨ - ابو الفتح المَوَازيني الحَلبي

لم اسمع في هجاء قَوَال املح من قوله :

ومغنٍ عن غيره غير مغنٍ جاء في لحنه القبيح بلحن
كاد في كفه القضيْبُ من الغي ظ^(١) ينادي يا اقل الناس دَعْنِي
وانشدني المصيصي له وهو متنازع بينه وبين نفر من اهل الشام
والجزيرة لجودته وانشدني ابو يعلى البصري لبعضهم وقد نسيت اسمه :
لا يظنُّ الحسودُ ذاكَ وإنْ د بَّ ديبَ التوريدِ في وجَّتِيهِ
إنما خدُّه غلالة^(٢) ورد نفضتُ صبغها على مقلَّتِيهِ
وقوله من قصيدة :

الجَّ العجاج^(٣) الى المقنَّع حاسراً وازورها خوفَ الوشاةِ^(٤) مقنَّعاً
وقد كنت قلت في صباي بيتين في تشبيه كسوف البدر بالتحاء الغلام وضمنها
ابو سعد بن ابي الفرج كتابه في التشبيهات وهما :
انظر الى البدرِ في اسرِ الكسوفِ بدا مستسلماً لقضاءِ الله والقدرِ
كأنه وجهُ معشوقٍ ادلَّ على عشاقهِ فابتلاه الدهرُ بالشعرِ

٩ - ابو احمد محمد بن حمَّاد البَصري

انشدني ابو القاسم يحيى بن علاء البخاري الفقيه قال انشدني ابن حماد
البصري لنفسه بها :

-
- (١) الغيظ : الغضب الشديد .
(٢) غلالة : لباس شفاف يلبس تحت الثوب .
(٣) الجَّ العجاج : اكثروا الصياح واختلطت أصواتهم .
(٤) الوشاة : النامون .

ان كان لا بد من اهل ومن وطن
يا ليتني منكر من كنت اعرفه
فحيث آمن من اهوى ويأمنني
فلمست اخشى اذى من ليس يعرفني
واشتكي زمي هذا فأظلمه
وانما اتشكى اهل ذا الزمن
وقد سمعت افانين الحديث فهل
سمعت قط بحر غير ممّتحن

وحدثني هذا ابو الفضل قال قلت يوماً بالبصرة لابن حماد في كلام جرى بيني وبينه انت بحر وانا نهر فقال لا جرم انت عذب وانا ملح وقرظته^(١) يوماً آخر واثبتت^(٢) عليه فقال ما احسن هذا المدح لولا ان العارية^(٣) مؤداه .

١٠ - أبو الحسن محمد بن عبد الواحد القصّار

هو بصري المولد والمنشأ الا انه استوطن بغداد ولما رأى سخف الزمان واهله وميلهم من الكلام الى هزله اخذ في طريق السخف ونزع ثياب الجد وتلقب بصريع الدلاء وتشبه بابن الحجاج وهيئات ، ولما انشد فخر الملك قصيدته التي منها :

يا ذا الجِلالِ ويا	ذا النِّعمِ المتَّسِّقِ ^(٤)
يا نعمة الله على	جميع من قد خلقه
لو فاخر الدهر الورى ^(٥)	علوت منه عنقه
قد والذي يبقيك لي	انقطعت بي النفقة
وبعت من دفاتري	ما كان جدّي ورقة

(١) قرظته : مدحته شعراً .

(٢) أثبتت عليه : مدحته بجميل الشائيل .

(٣) العارية : العطاء .

(٤) النعم المتسقة : النعم المتلاحقة كناية عن كرمه .

(٥) الورى : البشر كافة .

وهي هزلية طويلة اعطاه ما اغناه فهبت ريحه ونفقت سوقه ودرت الصلات له
وتداول اهل بغداد قصيدته التي عارض بها ابي العنبر في تأخير المنفعة وذكر
التميمي انه قالها واكثر شعره في داره ببغداد وانه كان يسميها باديته واول القصيدة :

قلقل احشاي تباريح الجوى^(١) وبان صبري حين حالفت الأسي
ومنها وهي مطمعة مويسة :

يا سادة بانوا^(٢) وقلبي عندهم مذ غبتم قد غاب عن عيني الكرى^(٣)
وسوف أسلي عنكم صبايتي^(٤) بحمقة يعجب منها من وعى
في طرف نظميتها مقصورة اذ كنت قصاراً صريعاً للدلا
من صفع الناس ولم يمكنهم ان يصفعوه بدلاً قد اعتدى
من مضغ الاحجار ادمت فكته فالضرس لم تخلق لتلين الحصى
من نام لم يبصر بعيني رأسه ومن تظأطاً راعماً قد انحنى
من راح^(٥) الخيل كسرن ساقه ومن حدى^(٦) في نومه فقد هذى^(٧)
من صام اسبوعاً تماماً ليله مع النهار لم يوافقته الخوى^(٨)
من قطع النخل وظل راجياً ثمارها فذاك مقطوع الرجاء
ومن طلى بالجبر صحن وجهه حكى بما سود ليلاً قد دجا^(٩)

(١) تباريح الجوى : آلام الحب والحزن .

(٢) بانوا : فارقوا .

(٣) الكرى : النعاس .

(٤) صبايتي : حبي وشوقي .

(٥) راح : طعن كل منها الآخر .

(٦) حدى : أقام بالمكان ولزمه . ويعني هنا من تكلم في نومه .

(٧) هذى : تكلم بغير معقول لمرض أولسواه .

(٨) الخوى : الجوع . وفراغ الجوف من الطعام .

(٩) دجا : أظلم .

وهي طويلة تربى على المائة وقد اعجز الشعراء ان يزيدوا فيها بيتاً من حسنها .

١١ - ابو عبد الله الحسين بن احمد المفلّس

قد ذكرته في كتاب البيتمة^(١) واوردت يسيراً من شعره وهو ما ذكر ابو الحسن محمد بن الحسين الفارسي النحوي من ان له شعراً كثيراً في اللّغز والاحاجي^(٢) قد ظفرت الآن به وكتبت ما استحسنته واخترتة وكان عمله لبهاء الدولة فاستخرجه كلّهُ ، فمن ذلك قوله في نخلة على شاطئ نهر من دجلة :

وغيداء تهتزّ طوعَ النسيم اذا جدّ معتلّه او مزح
اذا الماء مثل لي ظلّها توهمتها مخوضاً^(٣) في قدح
وقوله في السفرة :

ورافعة اليك بلا جفون عيوناً لا تطيق لها انطباقاً
تبسم في المنازل عن وجوه رماها الحسن تأتلق اثلاقاً^(٤)
مزخرفة كأنّ الرّوض فيها اذا استجلبت لحظاً وانتشاقاً
جصصناها^(٥) بزمار ظريف ففاقت كلّ مجتصر وفاقا
اذا وضعت يكون لها نطاقاً وإن رفعت يكون لها خناقاً
فلم نر مثلهما بدرأ منيراً ولم نر مثلاً ايدينا محاقاً^(٦)

(١) البيتمة ص ٣٣٨ ج ١ .

(٢) الاحاجي : الألغاز .

(٣) توهمتها مخوضاً : ظننتها اللبن الذي قد مخض وأخذ زبده .

(٤) اثلاقاً : لمعاناً وبريقاً .

(٥) جصصناها : أقمنا حولها زئاراً من الجص أو طليت به .

(٦) محاقاً : ما يرى في القمر من نقص بعد اكتماله .

وقوله في البيضة :

وصفراء في بيضاء رَقَّتْ غلالة^(١)
جمادُ ولكنْ بعدَ عشرين ليلة

وقوله في باقي البقل :

وغضة رطبة يضمنها
إذا اشتروها تنصّرت فإذا

وقوله في الزنبور :

واعجمي لابس لابس العرب
مبرقع ببرقع من الذهب
وخنجر يسله^(٢) عند الغضب

وقوله في المقرض :

وذي جسمين لا يفر
إذا ما بخصوا عينه

وقوله في السيف :

ومستعرض صاحباً لا يزا
فطوراً يطول من وجهه

وقوله في الميزاب :

ومخطف قد ابرزوه باديا

لها وجفا ما فوقها من ثيابها
ترى نفسها معمورة من خرابها

نخاسها حين تجتلي ملحا
ادخلت البيت اسلمت مرحا

لا يستفيق من غناء إن ركب
يضحي ويُمسي بحقاب محتقب
كأنه شعله نارٍ تلتهب

ق ما بينهما ناظر
ه امسي فمه فاغر^(٣)

ل يحمي من الذل اطواقه
وطوراً يعرض اشداه .

تلقاه في الصيف فقيراً عاريا

(١) غلالة : لباس شفاف يلبس تحت الثياب .

(٢) يسله : يسحبه .

(٣) فاغر : فاتح فمه .

وفي الشتاء باللّجين^(١) حالياً اذا يداه التقطت لآلها
صاغت لنا منه حساماً ماضياً .

وقوله في الكتب :

ومستودع سرّاً تضمن صوته فاصبح منه في الضمير مكتماً^(٢)
اذا ما طوى كشحاً^(٣) على سرّ صاحب تمنطق حزمأ فوقه وتختماً

وقوله في صورته التي يراها في المرأة :

وزاثر لست في عشقي ولا شغفي بوجهه حين القاه بمحجوج
يظلّ يلحظني عجباً والحظه وبيننا سدّ يأجوج ومأجوج

وقوله في الحمام :

ومنزل اقوام اذا ما التقوا به تشابه فيه وغده ورئيسه
يخالط فيه المرء غير خليطه^(٤) ويضحى عدو المرء وهو جليسه
ينفس كربى ان تزيد كروبه^(٥) ويونس قلبي ان يقل انيسه
اذا ما اعرت الجو طرفاً تكاثرت عليك به اقماره وشموسه

١٢ - ابو المكارم المطهر بن محمد البصري

احد من طوف في الافاق ولا راحلة له الا الرجل^(٦) ولا حرفة الا شحذ

(١) اللجين : الفضة .

(٢) مكتماً : مضمراً مستوراً .

(٣) طوى كشحاً : أخفى أمراً ، وأعرض عنه .

(٤) خليطه : عشيرة .

(٥) كروبه : أحزانه .

(٦) الرجل : القوة على المشي .

المدية^(١) في الجدية ، وهو شاعر سريع الخاطر كثير النوادر في الجدّ والهزل وهو القائل :

رأيتُ الشعرَ للساداتِ عزّاً ومنقبةً وصيتاً وارتفاعاً
وللشعراءِ هوناً وانخفاضاً ومجلبةً للذلِّ واتضاعاً

وذكر بعض الرؤساء فقال : حضرته عوذة من الفقر وطلعته أمان من الزمان ، وشكى بعضهم فقال : توقعت ايجاباً فلم ار الا حجاباً واعجاباً ، وذكر آخر فقال : ما هو الا ثقل الدين على وجع العين ، وحدّثني الدهقان ابو علي القومسي قال حضر عندي بالدامغان وقدم الينا المشمش فقال في الوقت مرتجلاً :

ومشمشٌ سوءٌ قد اكلنا غديّةً^(٢) بمجلسٍ حرٍّ وهو خيرُ صديقٍ
اذا ما منحناه العيون حسبته رؤسَ ايورٍ ضمخت بخلقٍ

فتنغصت باليوم والمشمش وفرضت على نفسي ترك تناوله ، وقال لي في كلام له : لم افدك بنفسي لأنها قيمة لك وزنة بك ولكنها طاقة المجتهد .

١٣ - ابو القاسم علي بن محمد البهذلي الايلي

ذكر صديقاً له فقال : ان اتيتك حجب^(٣) وان قعدت عنه عتب وان عاتبته غضب ، ولمؤلف الكتاب في هذا المعنى :

ان غبتُ عنكَ شكوتني واذا وصلتُ^(٤) هجرتني
وتظللُ لي مستبطاً واذا حضرتُ حجبتني

(١) المدية : الشفرة والسكين .

(٢) غدية : أكل الغداء .

(٣) حجب : امتنع وأعرض عن مقابلتك .

(٤) اذا وصلت : أي أقمت صلاتٍ وعلاقٍ .

ووجدت في تعليقاتي بعد فراغي من كتاب اليتيمة للبهدلي وقد نسيت اسم
من انشدنيه :

للناس بيتٌ يديمون^(١) الطواف به ولي بمكة دون الناس بيتان
فواحدٌ لجلالِ الله اعظمه وآخرٌ فيه لي شغلٌ بانسان .
وانشدني ابو يعلى البصري له :

مَنْ أنا عند الله حتى اذا اذنبْتُ لا يغفرُ لي ذنبي
العفو يرجي من بني آدم فكيف لا يُرجى من الربِّ

وله وقد سأله صديق له غير مرة عن نيسابور :

تغري بنيسابور تسئلُ دائماً عن حالها وهوائها ورجالها
نعم المدينة لو وقيت^(٢) جفائها من اهلها وسلمت من احوالها

١٤ - ابو القاسم السعدي ابن عم ابن نباتة

هو القائل في الخمر :

جاءتك كالنار في زجاجتها حمراء ما تستقرُ من نزق^(٣)
حتى اذا ما المزاجُ خالطها رأيتها مثلَ صفرة الشفق^(٤)
كالبرق تصفرُ من معانقة الـ زوج اذا ضمها من الفرق .

وهو القائل ويروي غيره :

أعاذلتني على اتعاب نفسي ورعبي في السرى روض السهاد^(٥)

(١) يديمون : يطيلون الطواف والاقامة فيه .

(٢) وقيت : من الوقاية والجفاء : البعد .

(٣) النزق : الطيش ، أي أنَّ الخمر هنا لا تهدأ بعد طيش وامتلاء ونزق الاناء : أي امتلاء .

(٤) الشفق : الحمرة في المشرق عن المغيب .

(٥) السرى : السير ليلاً ، والسهاد : الأرق .

إذا شام الفتى^(١) برق المعالي فاهونُ فائتِ طيبُ الرقادِ^(٢)

١٥ - ابو محمد طاهر بن الحسين بن يحيى المخزومي البصري :

هو بصري المولد والمنشأ رازي الوطن حسن التصرف في الشعر موف على اكثر شعراء العصر يعدل من اهل العراق بابن نباتة وابن بابك ومن اهل الجبل بالرستمي والخازن وله مصنفات منها كتاب فتق الكمائم في تفسير شعر المتنبي ، وبقي الى طلوع الراية العالية بالري ثم انتقل الى جوار ربه وقد كتبت غرراً^(٣) . من شعره الذي هو روح الشعر وذوب السحر فمنها قوله وما احسنه وابدعه واصدقه :

نفسُك لا تعطيك كلُّ الرضا فكيف ترجو ذاك من صاحب
اجل مصحوب حياة صفتُ فهل خلت من هرم عائب .

وقوله في معني لم يسبق اليه :

العيبُ في الخاملِ المغمورِ مغمورٌ^(٤) وعيبُ ذي الشرفِ المذكورِ مذكورُ
كفوفة الظفر تخفي من مهانتها ومثلها في سواد العين مشهورُ .
وقوله في الغزل وما املحه وافصحه :

عرضتُ قلبي للحتوفِ^(٥) بعارض كالوردِ ندأهُ الصباحُ بطلِّهِ^(٦)
متوشحاً زغبَ العذار كأنمالقى عليه الصدغُ^(٧) سمرةً ظلِّهِ

وقوله وقد قدّم عليه بعض المتأخرين عن رتبته :

(١) شام : ترقب : انتظر .

(٢) الرقاد : النوم .

(٣) كتبت غرراً : أي قصائد غراء هي بنات أفكاره وطلائع أشعاره .

(٤) المغمور : المجهول الذي لم يذع صيته .

(٥) للحتوف : للموت ، والعارض : صفحة الحد .

(٦) الطلّ : الندى .

(٧) الصدغ : ما بين العين والأذن من جانب الوجه . والعذار : الحد .

فانا العصبُ في يمينِ الأشل

جل قدري وخس قدر زماني

وقوله في وصف الدنيا :

خضابُها دمٌ من تُصبي فتتألُّ

إذا تبرَّجت^(١) الدنيا فعاهرةٌ

ولانَ ملمسُها والسمُّ قتالُ

كأنها حيَّةٌ راقَتْ منقُشةٌ

اخذه من قول امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه : الدنيا كالحية

لين مسها قاتل سمها يحذرها العاقل ويهوي اليها الجاهل ، وانشدني ابو غانم

القصري للمخزومي في وصف الفرصاد وهو احسن وابدع ما قيل فيه :

كاعجازِ نملٍ يجتمعنَ على زادٍ

هلمَّ فساعدُ في تحيةِ فرصادٍ

وزادني غيره :

يميلُ بعطفِهِ عليَّ بنُ حمادٍ

وموزٍ كانعاضٍ^(٢) الايورِ اذا مشى

ومن احسن بدايعه قوله :

جاءتكَ عفواً ولم تسمِ تعباً

لا تحرم الخفضَ ربُّ فائدو

سيلُ الحيا غيرَ جاشمٍ طلباً^(٣)

اما رأيتَ الغديرَ يملؤه

وقوله لابي العلاء بن حنبل ايداه الله :

كالظلِّ يقصرُ مرَّةً ويطولُ

قالوا ودادُ ابي العلاءِ يحولُ^(٤)

وصلٍ وهجرٍ منه حيث يميلُ

فسأستشفُّ لقاءهُ فاميلُ في

واذا تجعدُ فالعزاءُ جميلُ

فاذا دعاني بشِره^(٥) قاربتهُ

(١) تبرجت : تزينت .

(٢) انعاض : انعطاف وانشاء

(٣) غير جاشم طلباً : لا يتردد في تلبية أمر ما .

(٤) يحول : يزول ، يتغير .

(٥) بشره : فرحه وسروره .

وقوله :

ودّع أخاك اذا جفاك فقبله
ودّع العتاب اذا استربت بصاحب
ودّعت مألوف الصبا بسلام
ليست تنال مودة بخصام

معنى البيت الأول ينظر الى قول ابن الرومي :

سلوت^(١) الرضاع والشباب كليهما
ككيف تراني سالياً ما سواهما

والبيت الثاني منقول من قول اشجع السلمي :

اقلل عتاب من استربت^(٢) بوّده
ما ان تنال مودة بقتال

وللمخزومي في معنى بديع لطيف :

اتجاوز^(٣) الحظّ السنّي بقوة
رعت العقاب قوية جيف الفلا
هيهات انت بباطل مشغوف
ورعى الذباب النور وهو ضعيف

وقال يدعو صديقاً له الى متزّه :

غلس^(٤) نباكر في الجزيرة روضة
فكأنهن مع الصباح مجامر^(٥)
ولنا هناك عتيقة^(٦) قد طلّست
تعدي يد الساقى الشعاع كأنما
عبقّت باذيال الصبا حوذائها^(٧)
سحرت بندي والضباب دخائها
بشفوف نسج العنكبوت دنائها^(٨)
عقدت له مما يدير بنانها^(٩)

(١) سلوت : نسيت .

(٢) استربت : شعرت بريية وشك .

(٣) اتجاوز : أطارد ، ومشغوف : عاشق .

(٤) غلس : ظلمة آخر الليل .

(٥) حوذانها : مواضع من الجزيرة .

(٦) مجامر : ما يوضع فيه الجمر مع البخور ، كناية عن بريق لونها واحمراره .

(٧) عتيقة : خمر قديمة العهد .

(٨) دنانها : أوعية الخمر ، مفردها دن .

(٩) بنانها : أصابعها ، او الرياض التي تكسوها الزهور .

ما صفو عيش المرء الأفرصة والغبن إن فات الفتى امكانها

وقال في التصوف :

ليس التصوف ان يلايك الفتى وعليه من نسج النحوس مرقع
بطرائق سود وبيض لفقت وكأنه فيها غراب ابقع^(١)
ان التصوف ملبس متعارف يخشى الفتى فيه الآله ويخشع

وكان يهذ شعر بلديه البحرى هذا وكان في بصره سوء فرمدت مرة عينه فقال له والى
منيج^(٢) يا ابا الغوث قد اشرفت على العمى فما الذي تعمل اذا عميت قال اقرأ على
قبرك ايها الأمير فاستظرف قوة جوابه وتعجب من ظرفه ، قال ومن شعره قوله في غلام
له التحى^(٣) :

في سبيل الله خد كان في الملمس خزا
خانهُ الدهر فأضحى يوسع اللائم وخزا

وقوله :

اوجهُ المرد^(٤) وضية وثناياهم شهية
ولهم دلٌ وغنجٌ وشفاعاتٌ قوية
واذا الشعرُ بدا في صفحة الخلدِ النقية
فرقّ الالف عن الالفِ كتفريقِ المنية^(٥)

(١) غراب ابقع : غراب أسود وأبيض .

(٢) منيج : إمارة من أعمال حلب .

(٣) التحى : نبتت له لحية .

(٤) المرد : الغلمان الذين بدالهم شعر في لحاهم .

(٥) المنية : الموت .

وقوله :

ايها الطيبي^(١) الذي اعد
وهو من اعظم همي
ابتلاك الله مني
ساعة حتى ترى كيد
رض عني وجفاني^(٢)
حين اخلو بالاماني
بالذي منك ابتلاني
ف الهوى ثم كفاني .

١٦ - القاضي ابو عبد الله محمد بن علي

المعروف بابن حشيشة المقدسي ويقال له الهاشمي ، أنشدني أبو يعلى البصري
قال أنشدني ابن حشيشة لنفسه في الغزل :

رشأ^(٣) غرير لا يؤلف بيـ
لا صرحن^(٤) بحبه جهـ
تصريح^(٥) منخلع العدا
وله أيضاً :

يا من بصحة هجره^(٦)
انت الجميل وكل ما
وجفائه قلبي عليل^(٧)
تأتي به حسن جميل
وانشدني ابو الحسن القزويني له :

طول اللحى زين القضاة وفخرهم
وتميز عن غانمة^(٨) سفهاء

(١) الطيبي : الغزال .

(٢) جفاني : ابتعد عني ، وأعرض : أي صد .

(٣) رشأ : ولد الغزال .

(٤) هجره . فراقه .

(٥) عليل : مريض .

(٦) غانمة : الكثير المختلط من الناس .

لو كان في قصرٍ بها فخرٌ لها لم يرو فيها سنّة الإعفاء^(١)
١٧ - أبو سؤيد الصوفي

دعا لرئيس فقال جعل الله ما ألبسك من ثوب الجمال وقلّدتك من طوق الكمال
موصولاً بالحجاب من النار .
وانشد لنفسه :

إذا رُضيتُ بقوتٍ ولبس ثوبٍ مرّق
ولم يكن لي صديقٌ فراقه اتوقع
وبأن عني شبابي^(٢) فما عسى الدهرُ يصنع
وله أيضاً ويروى لغيره :

ليس للراحة قيمة ساعة منها غنيمة
والذي اختار عليها تعب النفس بهيمة

١٨ - أبو القاسم الحسين بن علي الوزير المغربي

انشدني الشيخ أبو الحسن مسافر بن الحسن أيده الله تعالى قال انشدني أبو
الحسن محمد بن الحسين العثماني قال انشدني ابن المغربي الوزير لنفسه في بلوغ الغاية
من السلوة ، ولم اسمع في معناه ابلغ منه :

حبيبٌ ملكتُ الصبرَ بعد فراقه على انني علقتُهُ والفتُهُ
محي حسنٌ يأسى شخصهُ من تفكّري فلو انني لاقيتُهُ ما عرفته
قال وأنشدني أيضاً لنفسه :

انني ابشك^(٣) من حديد شي والحديثُ له شجون

(١) الإعفاء : إطالة الشعر وتركه حتى يطول ويكثر .

(٢) بان شبابي : مضى وولي .

(٣) أبشك : أرسله اليك - أعطيك .

فأرقت موضعَ مرقدي^(١) ليلاً فنافرني السكونُ
 قلُّ لي فأولُّ ليلةٍ في القبرِ كيف ترى أكونُ
 وانشدني ابو طالب محمود بن الحسن الطبري قال انشدني ابن المغربي
 الوزير في ايام انتقاله الى بغداد :

عجبتُ هندُ من تسرعِ شبيبي
 عوّضتني يدُ الثلاثين من مسـ
 كان لي في انتظار شبيبي حسابُ
 وله ايضا :

اذا ما الامورُ اضطربنَ اعلى
 كذاك اذا الماءُ حرّكتُهُ
 سفيهُ تضام^(٢) العلى باعتلائه
 طغا عكرُ راسبُ في انائه
 وله ايضا :

كن حاقداً ما دمتَ لستَ بقادرٍ
 واعذرُ اخاك اذا اساءَ فربّما
 فاذا قدرتَ فخلُ حقدك واغفرُ
 لجت اساءته اذا لم تعذرُ
 وكان يجري في طريق ابن المعتز نظماً ونثراً ويجاذبه طرفيهما ، فمن لطيف
 كلامه ما كتب الى بعض الرؤساء : ثقتي بكرمك تمنع من اقتضائك وعلمي باشغالك
 يبعث على اذكارك ، وهذه قصيرة من طويلة ، وكان يقول : لا تعتذر الى من لا
 يحب ان يجدلك عذرا ولا تستعن الا بمن يحب ان تظفر بحاجتك ، ومرّ بمكتب
 والمعلم يضرب صبيّاً ضرباً مبرحاً^(٣) فالتفت الى من معه وقال : ان الله تعالى اعان
 على عرامة الصبيان^(٤) برقاعة المعلمين^(٥) ، ومن كلامه : العمر علق نفيس لا ينفقه
 العاقل الا فيما هو انفس منه .

(١) مرقدي : موضع اقامتي ونومي .

(٢) الكافور : نبت طيب زهره يستعمل في الطب .

(٣) صروف الدهور : مصائبها وأهوالها .

(٤) تضام : أذلّ وظلم ، من الضيم . وتضامٌ : أي اجتمع بعضه الى بعض .

(٥) مبرحاً : مؤلماً .

(٦) عرامة الصبيان : شراستهم .

(٧) رقاعة المعلمين : حقهم .

١٩ - ابو سعيد العفيري

حدثني ابو عبد الله بن هرمزدان الفارسي رحمة الله تعالى قال حدثني فلان يعني شيخاً من الفرس سماه لي ونسيت اسمه مع ملكة النسيان رقى ، قال كان بيت المقدس شاعر ماهر ساحر يعرف بابي سعيد العفيري يقرع باب الالحاد^(١) وله اخ يلقب رمادة من اعبد الناس وازهدهم ومن الابدال الذين يسدّ الله بهم مكان من خلا مكانه من أبدال اللّكّام وكان ينتظر موت احد الاربعين الذين هم اوتاد الأرض ليقوم مقامه وينوب منابه في العبادة فبلغه عن اخيه ابي سعيد انه قال :

هي الدنيا وليس لها تناء ونومُ القبر ليس له انتباه
وليس يخربُ الدنيا الحكيمُ الـ قديمُ القادرُ الاحدُ الالهُ

الى شعر كثير في معناهما فما زال به حتى اسمعهما اياه وما يجري مجراهما فغضب لله سبحانه وامتعض وتنمر^(٢) ولم يذق البارد حتى بات عنده ليلة وترصد نومه وغطيطه فخنقه بيده وخرج هائماً على وجهه حتى المّ بمتعبده .

٢٠ - ابو نصر الحمصي

انشدني الشيخ ابو بكر لابي نصر كاتب ابن قحطان صاحب اليمن في محمد ابن حوسب ولم اسمع في معناه اظرف منه :

قيلَ لي ما افدتَ ممَّنْ اليه صرتَ تخذو قلائصَ الآمالِ^(٣)
قلتُ جئنَاهُ في شهورٍ شرافٍ وهو فيها بنسكهِ^(٤) ذو اشتغالٍ
والفتى لا يجوّدُ الاعلى السـ كبرِ فامهلثه الى شوالِ

(١) الالحاد : الكفر والجحود .

(٢) تنمر : اشتد غضبه .

(٣) قلائص الآمال : الآمال الشابة والاولى .

(٤) بنسكه : يزهده وتعبده .

وله فيه ايضاً :

قد لعمرى عرفتُ ذنبى اليه اذ جفاني من غير جرمٍ لديه^(١)
ذاك أني ناديتُه يا كريماً اخذ الجودُ نسخةً من يديه
فجفاني ولم المهُ لأنّي في الذي قلته كذبتُ عليه

وسرقت له دربهما فقيلاً لا تهتمّ فانها في ميزانك فقال من الميزان سرقت ،
ومدح العزيز فقال : وجهه صباح البشرى ومفتاح النعمي وطليلة الخير وعنوان
الرّحمة وعذر الزمان المذنب ، وذمّ رجلاً فقال له : لحيه التيس ونكهة الليث
وصوت العير^(٢) وخلق البغل ولؤم الذئب وبخل الكلب وقبح القرد وحرص الخنزير
وزهو الغراب وتنن الظربان^(٣) ، ووصف فرساً فقال : كانه اذا علا دعاء واذا هبط
قضاء ، ومن كلامه : ليس ييسير تقويم الكسير^(٤) .

٢١ - ابو الضياء الحمصيّ

حدثني ابو عبد الله الحامدي قال انشدني ابو محمد الخازن قال : من الفوائد
التي سرقتها من سفينة صاحب التي كان لا يمكن منها احداً قول ابي الضياء في
بعض الرؤساء :

وما خلقت كفاك الا لاربع وما في عباد الله مثلك ثاني
لتجريد هندي واسداء نائل^(٥) وتقبيل افواو وأخذ عنان

قال وكتب على ظهر دفتر له يشتمل على فوائده :

(١) الجرم : الذنب والخطأ .

(٢) العير : الابل .

(٣) الظربان : حيوان أصغر من الهر تنن الرائحة .

(٤) الكسير : الطائر الكسير الجناح .

(٥) اسداء نائل : تقديم العطاء .

هذا كتابُ فوائدِ مجموعةٍ جُمِعَتْ بِكَدِّ جوارِحِ الأبدانِ
وبدائِمِ الادِّلاجِ^(١) في ظلمِ الدجى^(٢) والسيرِ بينِ مناكِبِ البلدانِ
وله ويروى لغيره :

قد يبعُدُ الشَّيءُ عن شيءٍ يشابهه ان السماءَ نظيرُ الماءِ في اللَّونِ
وانشدني له بعضُ الغرباءِ ثم وجدته للرَّضي الموسوي من قصيدة :
وإنْ لم تكنْ عندي كسمعي وناظري فلا نظرتُ عيني ولا سمعتُ اذني
وانك احلى في جفوني من الكرى^(٣) واعذبُ طعماً في فؤادي من الأمنِ
قيل ودخل الى صديق له في مجلسٍ انسه وهو يشرب النبيذ صرفاً بغير مزاج
ويسقي ندماءه كذلك المغني يغني ويقول :
يديرونني عن سالمٍ واديرهم وجلدةُ (ما) بين العينِ والأنفِ سالمُ
فقال ابو الضياء لو اسقط المطرب الما من الشعر وجعله في قدحي صلح الشعر
والنبيذ معاً .

٢٢ - ابو منصور الصُّوري أَخُو أَبِي عُمارة

الذي ذكرتُ له في كتابِ اليتيمة ابلغ ما قيل في وصفِ الثقيلِ^(٤) ،
حدثني ابو طالب محمد بن علي بن عبد الله المعروف بالبغداذي وهو من واسط قال
كان هذا الصوري في عنفوان امره معلماً مرجوا يتكلم من جنس صناعته كما كتب
الى صديق له في الشوق كهيعص^(٥) اني اليك جدّ صاد والصافات ان شوقي اليك

(١) الادِّلاج : السير في الليل .

(٢) الدجى : الظلمة .

(٣) الكرى : النعاس .

(٤) اليتيمة ج ١ ص ٢٢٠ .

(٥) كهيعص : من مطالع السور القرآنية راجع سورة مريم .

فوق الصفات والحواميم^(١) اني من الحنين في عذاب اليم ، ثم ارتفع عن التعليم الى التأديب والشعر فكان يقول مثل قوله :

نثرت لآلي دمعها وجداً^(٢) على ديباج خلد^(٣) في الدياجي^(٤) اشرقا
ما هذه العبرات يابنة فارس لسنا باول عاشقين تفرقا
وقوله من قصيدة لم يعلق بحفظي الا البيت الأول منها :

تأخر برد الماء عن كبد حرى وهذا لهيب النار في مقلة عبرى
قال وانشدني لنفسه :

مَنْ كَفَّ عَنْكَ شَرُّهُ فَافْعَلْ بِهِ مَا سَرُّهُ

٢٣ - محمد بن أيمن الرهاوي

كان يعارض ابا العتاهية ويجري في طريقه ويقول مثل قوله :

قنعت بالقوت من زماني فصنت نفسي^(٥) عن الهوان^(٦)
مَنْ كُنْتُ عَنْ مَالِهِ غَنِيًّا رَأَيْتُهُ كَالَّذِي يِرَانِي
ومثل قوله وارانني سمعته لغيره :

إننا ننافس في دنيا مفارقة ونحن قد نكتفي منها بأدناها
حذرْتُكَ الْكِبْرَ لَا يَعلُقُكَ مِيسِمُهُ^(٧) فانه ملبس نازعته اللاها

(١) الحواميم : الحومة : المرة من حام ، ومن القتال أشد موضع فيه ، والحوم الخمر المعتقة .

(٢) وجداً : حباً وشوقاً .

(٣) ديباج خلد : حسن بشرته ، والديباج أصلاً من الحرير .

(٤) الدياجي : الظلمات .

(٥) صنت نفسي : حفظتها عما يعيها .

(٦) الهوان : الذل .

(٧) ميسمه : الحسن والجمال والحب

وقوله :

إن المكارم كلها لو حصلتُ رجعت جملتها الى شيئين
تعظيمُ امرِ الله جلَّ جلالُهُ والسعيُّ في اصلاح ذات البين^(١)

٢٤ - ابنُ وكيع التَّيْسِيّ

انشدني الشيخ ابو الحسن مسافر بن الحسن ايداه الله تعالى قال انشدني ابو الحسن محمد بن الحسين العثماني قال انشدنا القاضي ابن البساط البغدادي لابن وكيع التيسبي وهو احسن ما قيل في مدح السفر :

تغربُ على اسم الله والتمس الغنا^(٢) وسافرُ ففي الاسفارِ خمسُ فوائدٍ
تفرجُ نفسٍ والتماسُ معيشةٍ وعلمٌ وآدابٌ ورفعَةٌ ماجد^(٣)
فان قيلَ في الاسفارِ ذلٌّ وغربةٌ وتشتيتٌ شملٍ وارتيابٌ شدائدٍ
فللموتِ خيرٌ للفتى من مقامه بدارِ هوانٍ بين ضلٍّ وحاسدٍ

وانشدني الشيخ ابو بكر ايداه الله قال انشدني ابو يعلى سعيد بن احمد الشروطي بالرملة لابن وكيع :

يحسنُ النحوُ في الخطابةِ والشعرِ وفي لفظِ سورةٍ وكتابٍ
فاذا ما تجاوزَ النحوُ هذي فهو شيءٌ من المسماعِ ناب^(٤)

وله ايضاً :

إن شئتَ ان تصبحَ بين الوري^(٥) ما بين شامٍ ومغتابٍ

(١) ذات البين : النسب والقرابة .

(٢) التمس الغنا : اطلبه .

(٣) رفعة ماجد : اقامة عزيز منعم .

(٤) ناب : أمرني بخير مألوف .

(٥) الوري : البشر .

فكن عبوساً حين تلقاهم وخاطبِ الناسَ بأعرابٍ

٢٥ - أبو جَعْفَرُ الْجَعْفَرِيُّ الْعَطَّارُ الْحَرَّانِيُّ

وصف غلاماً وشبهه بما هو من جنس صناعته فقال : صدغه مسك وخطه عنبر
وثغره كافور وعرفه عود ، ومن شعره قوله :

انا ممَّنْ اذا النوائبُ^(١) نابتْ شاورتني الرِّجالُ في النائباتِ
واذا ما نظرتُ في امرِ نفسي خانني الرأيُ واستكنتُ قناتي

وهكذا كان ابراهيم بن المهدي وذكر العلة في ذلك فقال : لأنني ادبر امر نفسي
بالهوى وامر غيري بالرأي وشتان ما بينهما ، وجمعه وقوماً من المتكلمين مجلس انس
فأخذوا في الجدل فقال : مجلس النيذ للجدل^(٢) لا للجدل ، وجرى ذكر مسيلمة
الكذاب فقال : لا نبي صادق ولا متنبىء حاذق^(٣) ، ووصف انساناً طروباً فقال :
اطرب من زنجي^(٤) عاشق سكران على عود بنان وناي زنام^(٥) وطبل سلمان ، ودعا
لصديق له فقال : صان الله كرمك عن لؤم الزمان وادام اتعاب الفلك لراحتك .

٢٦ - ابو العباس احمد بن جَعْفَرُ البَدِيعِيّ

ذكره لي الشيخ ابو بكر وسمى بلدته مع اسمه فلم يعلق بحفظي وقال انه الآن
حي يرزق وانشدني من شعره قوله من قصيدة :

بدرت^(٥) زلةُ الحكيمِ وقبلي زلُّ داودُ سيدُ الزهادِ

(١) النوائب : المصائب .

(٢) للجدل : للهو والفرح .

(٣) حاذق : ماهر .

(٤) زنام : داهية .

(٥) بدرت : أسرع .

تُفَهَّبُ لي خَطِيئَتِي واعتمادِي
كلَّ يومٍ تَجِينُ^(١) بالاولادِ

ثم نادى الامانَ يا ربُّ قد تب
واللَّيالي كما علمت حبالِي
وقوله :

قلبي الى قلبه الذي يجدُ
قلبٍ سواه وما درى الجسدُ

الصقَّ صدري بصدري فشكى
فاعجب لقلبٍ شكى هواه الى
وقوله :

فدع النومَ واجلسِ
ونسيمَ الصباءِ كسي
بندقاً طاح^(٢) عن قسي
ءِ وطيبَ التنفّسِ
حِ بكاسِ وغلّسِ
طعّت فيه وعرسِ
من العمرِ يبخسِ^(٣)

ارق الليلَ مونسي
ما ترى الجوَّ بالصفاءِ
ونجوماً تخالها
فاغتنمَ رقّةَ الهوا
وأجبْ داعي الصبو
واشربن واطربن ما است
مَنْ يضيعُ ساعةً تسرَّ

وقوله ايضاً :

تباشُرُ الارضِ ذاتِ المحلِ^(٤) بالمطرِ
اذا لقيتك أني اسعدُ البشرِ

يا مَنْ تباشرتِ الدنْيا بطلعتِهِ
إنّي غدوتُ بأمالي على ثقةٍ

وقوله في ذم خدمة السلطان ويروى لغيره :

ولكنه عما قليل اهانها

ومَنْ خدَمَ السلطانَ اكرمَ نفسهُ

(١) تجين : من الجنين الذي لم يولد بعد .

(٢) طاح : تاه في الأرض انطلق .

(٣) يبخس : ينتقص حقه ، لم يعطه كاملاً .

(٤) المحل : انقطاع المطر ويبس الأرض .

وَمَنْ عَبْدَ النيرانِ لم يتنفع بها ولم يلقَ الاحرَّها ودخانها

٢٧ - محمد بن حمَّاد الكاتب

كتب الى صديق له : يا اخي العظلة سكون والموت سكون والحياة حركة والعمل حركة فان استطعت ان تخرج من سكون الموت الى حركة الحياة فافعل : وكتب في ذمّ رئيس : هو والله عيث في دينه^(١) ، قدر في دنياه ، رث في مروته ، سمج في هيئته^(٢) ، منقطع الى نفسه ، راض عن عقله ، بخيل بما وسع الله عليه من رزقه ، كتوم لما اتاه الله من فضله ، لجوج لا ينصف الا صاغراً^(٣) ، ولا يعذل الا راغماً^(٤) ، ولا يرفع نفسه عن منزلة إلا ذل بعد تعززه فيها ، ومن ملح شعره قوله في نديم كان يخطيء القينة^(٥) في غنائها ويأخذها بالنحو والاعراب فينغص بذلك على أهل المجلس :

يا قاطع الصوت على	قوم كرام	نجب ^(٦)
يأخذه اللحن على الـ	قينة عند	الطرب
تريد ان تفهمها	حد كلام	العرب
احلف بالله وما	انزله في	الكتب
للكلب خير اديباً	من بعض اهل	الأدب

ومما ينسب اليه ويروى لغيره قوله :

يا حبذا ليلة نعمت بها اشرب فضل الحبيب في القدح

(١) عيث في دينه : مفسد فيه .

(٢) سمج في هيئته : قبيح في مظهره وشكله .

(٣) صاغراً : راضياً بالذل والاهانة والجوج : أي ملحاح .

(٤) يعذل راغماً : يعفو إلا مذلاً .

(٥) القينة : المغنية .

(٦) نجب : سادة .

سألته قبله فجاد^(١) بها فلم اصدق بها من الفرح
وقوله :

عجبتُ لقلبك كيف انقلبُ ومن فرط حبك اتى ذهب
فأعجب من ذا وذا انني اراك بعين الرضا في الغضب

٢٨ - ابو سهيل الحراني

كان ينادم قرده له فقبل له في ذلك فقال :

ملت الى قرده انادمها فانكرت ذاك زمرة الحسدة
فقلت يا بله لا عقول لكم من عدم الناس عاشر القرده

وقوله :

الف الحوادث مهجتي فالفتها بعد التنافر والكريم الوف
ليس البلاء^(٢) علي صنفاً واحداً لكن علي اليوم منه صنوف

٢٩ - ابو علي الحسين بن بشر الرملي

حدثني القزويني وغيره قالا كان الحسين في حياة ابيه بشر يهوى فتى من اهل
الرملة في نهاية الملاحه والصباحه لا يرى الدنيا به وابوه يعذله^(٣) وينهاه عن الاشتغال
بأمثاله فيبينه ذات يوم قاعد مع ابيه على باب داره اذ اجتاز به الفتى الموموق^(٤)
وكانه ينظر بمقلة يوسف ولم يكن بشر رآه فأخذته عيناه فقال للحسين يا بني ان كان

(١) جاد : تكرم وأعطى .

(٢) البلاء : المصيبة .

(٣) يعذله : يلومه .

(٤) الموموق : المحبوب والمعشوق .

لا بدّ من الحبّ فهلا احببت مثل هذا فاطرق الحسين ولبس قناع الخجل ثمّ قال في حكاية الحال :

ابصره عاذلي^(١) عليه ولم يكن قبلها رآه
فقال لي لو هويت هذا ما لامك الناس في هواه
فظلّ من حيث ليس يدري يأمرُ بالحبّ منْ نهاهُ

ثم رأيت هذه الابيات في ديوان ابي الفرج بن هندو ولست ادري ايهما المتحل
ولنا من الحديث طيبه وانشدت للحسين بن بشر في عزيز مصر :

يا واهب الدنيا ويا غافراً ذنوب اهل الارض لو اجرموا
قد نال احسانك باديهم وحضرهم والترك والديلم^(٢)
وها انا قد صرتُ فرداً فلا تحنو على ضعفي ولا ترحمُ

٣٠ - ابو ذُفَاقَة المصريّ

هو القائل لبعض الرؤساء :

وما السّحابُ اذا ما انجاب^(٣) عن بلدٍ ولم يلمّ به يوماً بمذموم
إن جدتْ فالجود^(٤) شيءٌ قد عرفت به وإن تحافيت^(٥) لم تنسب الى اللوم
وله ايضاً :

ازورك ايها الشيخُ المعلى لا طمع ولكن للمحبة
اليك علاك قادتني والا فطيري ليس تلقط كل حبة

(١) عاذلي : لائمي .

(٢) الديلم : جماعة من العجم كانوا في الاصل صنفاً من الاكراد .

(٣) انجاب : انكشف .

(٤) الجود : السخاء .

(٥) تحافيت : إن لم تكرم : أي بخلت .

وله ايضاً :

يقول الناسُ قد شبتَ ولا والله ما شبتُ
ولا اتركُ تقبيلَ خدودِ المرد^(١) ما عشتُ

٣١ - جَعْفَرُ بْنُ هَانِي الْأَنْدَلُسِيِّ

هو القائل في رجل يلقب الطمشيش :

اما ترى لحيَةَ الطمشيش حين بدت حمراءَ قانيةً دَلَّتْ على حمقِهِ
كانما سرق الملعونُ جِيرَتَهُ ديكاً فعَلَقَه الشرطيُّ في عُنُقِهِ

ومما ينسب اليه في الحكم قوله ويروى لغيره :

اذا افنيتَ بعضَ اليومِ فاحزَنَ فقد افنيتَ من محياكَ بعضاً
وما من ساعةٍ الا وتنعى اليك نصيبَ عمرٍ قد تقضى

٣٢ - أَبُو مُحَمَّدَ عَبْدَ الْمُحْسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ طَالِبِ الصُّورِيِّ

انتخبت من ديوان شعره الذي أعارنيه الشيخ أبو بكر قوله من قصيدة :
يا حارانَ الركبِ قد حاروا فاذهبْ نجسْ لَمَنِ النارُ
تخبو وتبدو ان خبتْ وقفوا وإنْ اضاءتْ لهم ساروا
كأنه اقتبسه من قول الله عز وجل : كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا،
ومنها :

ما نظرةٌ إلا لها سكرةٌ كأنما طرفك خمار^(٢)
ومنها في وصف الرياح :

(١) المرد : الملساء الناعمة .

(٢) خمار : ما يخالط الانسان من السكر بسبب الخمرة .

ما شاجروا إلا أظلتهم
ومنهما: من قضب المران^(١) أشجاراً

واظهروا نوراً لها ازرقاً
عجبت كيف استعبدتك العلى
فكيف ساجلت الغمام^(٢) الذي
وقوله في أبي الجيش حامد بن ملهم
وقالوا التقى الوردان ورد من الندى
فقلت لهم وفوا أبا الجيش حقاً
ولا تظلموه ما البحيرة كالبحر

وقوله فيه من أخرى وقد خلع عليه:
ما زال ينحلني أبو الجيش الندى
حتى غدوت أنا المسمى حامداً
وقوله من أخرى:

ومتى ذمت الدهر^(٤) بعد لقائه
ومنها:

من معشر يتخيرون كلامهم
وكانما أقلامهم من حذقها^(٥)
وقوله من أخرى:

يا ثالث القمرين النيرين أرى
أمام حالي سواداً ما له هادٍ

(١) شاجروا : من الشجار أي النزاع والمران : شجر تتخذ منه الرماح .

(٢) الغمام : السحاب .

(٣) الماء القراح : العذب الخالص .

(٤) ذمت الدهر : هجوته - لعتته .

(٥) حذقها : مهارتها .

(٦) القنا : الرماح .

عاد وقد جئت استعدي على العادي

رِ واعلى ذكراً وقدرأ ونورا
تَ تسمى كما يسمى منيرا

إلا منيرُ الدّولةِ الغراء^(١)
ظمانٌ وهو على شفير الماءِ

به غفلةٌ عن لوعتي ولهيتي
يشاركني في مهجتي بنصيبِ
فإنَّ حبيبي منْ أحبُّ حبيبي

٣٣ - أبو الحسن عليّ بن محمد التهامي

يقول من قصيدة :

وقبل طلوع الشمس تأتي بشائره
يسبح من صدق المقالة شاعره

يسابقه نحو الطلى^(٤) ويبادره

كما انشقّ الحباب^(٦) على المدام^(٧)

أنت الأمير بأرضي والزمانُ بها
ومن أخرى في منير الدولة ابن حمدان :
كنت من قبل أن تلقبت كالبـد
ثم اشكلتما عليّ بأن صر
ومن أخرى فيه :

الحالُ مظلمةٌ وليس ينيرُها
والناسُ كالمتعجبين لهائمٍ
وقوله في ترك الغيرة :

تعلّقتـه سكران من خمرة الصبا
وشاركني في حبه كلُّ ماجدٍ
فلا تلزموني غيرةً ما عرفتها

يخبرنا عن جوده بشر وجهه
ويصدق فيه المدح حتى كأنما

ومنها :

يكاد لإدمان القراع^(٢) حسامه^(٣)

ومن أخرى :

جرت عبراتهم^(٥) على عبير

(٢) القراع : الحرب ومنازلة الأبطال .

(٤) الطل : جمع اطلاق ولد الطلي

(٦) الحباب : الفقايع التي تظهر على وجه الكأس من الخمر

(١) الدولة الغراء : الدولة العظيمة والمجيدة .

(٣) حسامه : سيفه .

(٥) عبراتهم : دموعهن .

(٧) المدام : الخمر .

برود ريقهنّ وكيف يحمي
سقام جفونهنّ شفاء قلبي

ومنها :

فتى جبلت يدها على العطايا
فيسراه لنيل أو عنان
لقد احبى المكارم بعد موت
سواء عنده قول المنادى

ومن أخرى :

هل الوجد إلا أن تلوح خيامها
وقفت بها ابكي وترزم^(٣) اينقى

ومنها :

ولو بكت الورق^(٤) الحمايم شجوها

ومنها :

ولم انسها يوم التقى در دمعها
إذا كان حظي حيث حطت خيامها
وهل ناعمي ان تجمع الدار بيننا

ومجرأه على برد توام
وهل يجنى الشفاء من السقام^(١)

كما جبل اللسان على الكلام
ويمناه لرمح أو حسام
وشاد بناءها بعد انهدام
هلم الى الطعان^(٢) أو الطعام

فيقضى باهداء السلام ذمامها
وتصهل افراسي وتدعو حمامها

بعيني محا اطواقهنّ انسجامها

ودر الثنايا فذها وتوامها^(٥)
فسيان عندي نأيها^(٦) ومقامها
بكل مكان وهي صعب مرامها^(٧)

(١) السقام : المرض .

(٢) الطعان : المبارزة - القتال .

(٣) ترزم : تثبت في الأرض ، وأينقى جمع ناقة .

(٤) الورق : الحمايم ، وشجوها : حزنها .

(٥) توامها : المولود مع غيره في بطن واحد .

(٦) نأيها : بعدها .

(٧) مرامها : اي الوصول اليها - بلوغها .

ومنها :

كأنني في البيداء^(١) بيتٌ قصيدةٌ
إلى ان لثمنا^(٢) كفَّ حسانَ إنَّها

ومنها :

همُّ الأسدُ إلا أنَّها تبذلُ القرى^(٣)
همُّ يمزجون الدرَّ للطفل بالعلی
وإنَّ فطموا أطفالهم بعد برهة
جلادٌ على حرِّ الجلاذِ إذا التقت
غلائلُها^(٤) أذراعُها وسماعُها

ومنها :

ألاً انَّ طياً للمكارم كعبةٌ

ومنها :

وليس بمشغولِ اليدين عن الندى
لقد أمسكتُ قحطانُ منك أبا الندى
فإنَّ كابدتُ جدباً فأنت ربيعُها

تناشدُ غيطانها^(٥) واکامها^(٦)
امانٌ من الفقرِ المضرِ التثامُها

لطارقها والأسدُ يحمي طعامها
فينشوا عليها لحمها وعظامها
فعن درُّها لا عن علاها فطامُها
كلامُ الأعادي بالدماءِ وكلامها
صليلُ^(٧) المرامي والدماءِ مدامُها

وحسان منها ركنُها ومقامُها

إذا شغل الكفَّ اليمينَ حسامُها
بعروة مجدلٍ لا يخافُ انفصامُها^(٨)
وإنَّ باشرتُ حرباً فأنت حسامُها

(١) البيداء : الصحراء .

(٢) غيطانها : سهولها .

(٣) أكامها : تلالها ومضباتها .

(٤) لثمنا : قَبَلنا .

(٥) القرى : الضيافة .

(٦) غلائلها : مسامير الدروع ، أو ما يلبس تحتها .

(٧) صليل : أصوات السيوف .

(٨) انفصامها : انفصالها .

قليلٌ لك الأرضون ملكاً وأهلها
ألا إنَّ أوصافَ الأميرِ جواهرٌ

ومن أخرى في نهاية الحسن :

تهيمُ بيدرٍ والتَّنْقُلُ والنَّوى^(١)
له من سنا البدرِ المورِدِ غيرةٌ

ومنها :

ينال من الأعداء خوفُ أبي الندى
وما مات طائيٌّ وحسان خالدٌ
احاط بك التوفيقُ من كل وجهٍ
فإنك مغناطيسُ كلِّ فضيلةٍ

ومن أخرى :

حبيبٌ جلا من ثغره^(٢) يوم ودَّعا
وأبدى لنا من دَلِّهِ وحديثه

ومنها :

لقد خلقتُ عيناك للسَّحر معدناً
إذا ما مدَحناه ببعضِ صفاته
ولو أنَّ انساناً بعظمِ محلِّه

عبيداً فهل مستكثرٌ لك شامها
وإنَّ مديحي سلَكُها ونظامها

على البدر محتومٌ فهل أنت صابرٌ
ومن حُلِّلِ اللَّيْلِ البهيمِ غدائرُ^(٣)

وهيئته ما لا تنال العساكرُ
ولا غاب منهم غائبٌ وهو حاضرٌ
وجاءتك من كل البلاد البشائرُ^(٤)
فلا فضلَ إلا وهو نحوك صائرٌ

عقوداً وألفاظاً وثغراً وأدمعاً
ومنطقه ملقى ومرأى ومسمعاً

كما خلق الطيمومُ^(٥) للوجود منبعاً
وأفعاله لم تبق للمدح موضعاً
ترفعَ عن قدرِ الثَّناءِ^(٦) ترفعاً

(١) النوى : البعد .

(٢) غدائر : صفائر الشعر .

(٣) البشائر : الأنباء السارة .

(٤) ثغره : فمه .

(٥) الطيموم : اسم علم .

(٦) الثناء : المديح .

ومنها :

ويطربُ للعافين^(١) حتى كأنما
ولم أرَ كالطِّيمومِ إلا أبا الندى
إذا انبريا ابصرتَ شمسَيْنِ في الوغى^(٢)
لكلِّ بهاءٍ منكما غيرَ أنِّي
لو أنكما بعد التوازرِ^(٣) رمتما
فلا زلتما كالنَّيرينِ محلةً

ومن أخرى :

بكِت فحنت ناقتي فأجابها
خططنا بأطرافِ المخاصرِ أرضها
ولاحت ثنايا الاقحوانِ ولو رأَتْ
أرى الحبَّ ناراً في القلوبِ وإنما
توقُّ عيونَ الغانياتِ^(٤) فإنَّها

ومن أخرى :

غدوا بهلالٍ من هلالِ بنِ عامرٍ
تردَّدَ فيه الحسنُ من عن يمينه

برؤيتهم يسقى الرحيقَ المشعشعا
كريمين من أصلِ كريمٍ تفرَّعا
فإنَّ شهراً سيفيهما صرَّنَ أربعا
رأيتكما أبهى إذا كتتما معا
تضعضع رضوي أو شروري تضعضعا^(٥)
ونوراً ومثلَ الفرقدين^(٥) تجمعا

صهيلُ جوادي حين لاحت ديارها
فاهدت الينا مسكَ دارين دارها
عوارضَ مَنْ أهوى لطلالِ استتارها
تصعدُ انفاسُ المحبِّ شرارها
شفارُ^(٦) واشفارُ الجفونِ شفارها

مرامِ هلالِ الأفقِ دونِ مرامِ
ويسرتهِ وخلفهِ وأمامه

(١) العافين : الضيوف .

(٢) الوغى : الحرب .

(٣) التوازر : التفرُّق .

(٤) تضعضعا : اهترا وشعرا بالاضطراب .

(٥) الفرقدين : النجمين .

(٦) الغانيات : الحسنات .

(٧) الشَّفار : حدَّ السيف .

ومنها :

وموتُ الفتى في العزِّ مثلُ حيوته^(١) وعيشته في الذلِّ مثلُ حِمَامِهِ^(٢)
ومَنْ فاتته نيلُ العلى بعلومِهِ وأقلامِهِ فليغيها بحسامِهِ^(٣)

ومن أخرى :

يقضي بحكم الجور في أموالِهِ وقضى بحكم الله في الأيتامِ
تتيقنُ الأموالُ حينَ تحلُّ في كفيهِ أنْ ليست بدار مقامِ

٣٤ - أبو شُرْحَبِيل الكندي

قد أكثر الشعراء في الحث على اضطراب في الاغتراب لالتماس الرزق وقضاء
الوطر^(٤) من السفر ومن أشف ما قالوا فيه واشفاه قول هذا الاعرابي - الشامي :

سرُّ في بلادِ الله والتمس الغنا ودعِ الجلوسَ مع العيالِ مخيما
لا خيرَ في حرٍّ يجالسُ حرَّةً ويبيعُ قرطِئها إذا ما أعدما

٣٥ - الحسنُ الدَّقَّاقُ من أهل دمشق

يقول في صديق له أجحف في مسئلته وهو ضيفه :

ودعوتني وأكلتُ عندك لقمةً وشربتُ شربَ مَنْ استتمَّ خروفا^(٥)
وسألتني في أثر ذلك حاجةً ذهبت بمالي تالداً^(٦) وطريفاً^(٧)
فجعلتُ أفكر فيك باقي ليلتي ما كنتُ تفعل لو أكلتَ رغيفا

(١) - حيوته : أي حياته .

(٢) - الحِمام : الموت .

(٣) - فليغيها بحسامه : أي فليطلبها بسيفه .

(٤) - قضاء الوطر : قضاء الحاجة .

(٥) - استتم : استكمل .

(٦) - التالذ : القديم من المال والمواشي ونحوه .

(٧) - الطريف : المكتسب المستحدث من المال وغيره .

ويقول في تغير صديق له اكل الحسن عنده طباهجة :

ما جئتُ ذنباً إليه أعلمهُ ولا تطرُفتُ للفتى نسباً^(١)
بلى أكلنا له طباهجة^(٢) كانت الى قطعِ ودنا سببا

وكان هذا الحسن أحد ظرفاء الأدباء انشدني له المصيصي في استهداء الشراب :

عندي	أناسُ	ظرافُ	بهم	تجلى	الدهورُ
واليوم	يومُ	مطيرُ	تلذُّ	فيه	الخمورُ
فرمةُ		بيسيرُ	حتى	يتمُّ	السرورُ
ولا	تشبه	بماءِ	فالماءُ	عندي	كثيرُ

سرقه من قول البحري :

فأنفذُ ما استطعتَ بعيرٍ مزجِ فإن الماءَ ليس يضيقُ عندي
وأنا استظرفُ قول غيره فيمن اهدى اليه شرباً ممزوجاً :

ليس هذا من عادة الأحرارِ بيعَ ماءِ الأنهارِ بالأشعارِ
إنما قلتُ سقني ماء كرم لم أقلُ سقني من الأنهارِ
قد ردّدناه فاسقه مَنْ يربِ يد الماءَ لا مَنْ يريدُ صرفَ العقارِ
ولئنُ كنتُ قانعاً منك بالما ء فعندي في الدّار نهرٌ جارِ

٣٦ - أبو محمد البوصر آبادي

وجدت ذكره في رسائل أبي إسحق الصابي وعرفت في لحن كلامه أنه شاعرٌ
فاضلٌ ظريف الجملة والتفصيل ثم قرأت شعره في سفينة لأبي عبد الله الحامدي ذكر
فيها أنه استملاه من أبي محمد الخازن وأنه سرق من سفينة صاحب بخطه فمن
ذلك قوله وهو وأخواته في نهاية الظرف والملاحة :

(١) نسباً : قرابة .

(٢) طباهجة : نوع من الطعام .

أيا دهرٌ ويحك ماذا جميلُ فؤادي عليلٌ^(١) وإلّفي^(٢) بخيلُ
 كأتّي أرى وجهه في المراقِ يلوحُ ومالي إليه سبيلُ
 وقوله في معتمٍ بعمامةٍ سوداء :

وكتابٍ من قومنا شاعرٌ ليس بذاك الكاتبِ الماهرِ
 عمامةٌ سوداءُ في رأسه كلعنةُ الله على الكافرِ
 وقوله في الهجاء بالآفة الكبرى :

قد قال لي زيزكُ^(٣) لي سيدٌ مستدخلٌ في بعضه بعضي
 يأمرني بالنحو في نيكةٍ بالرفع والنصب وبالخفض
 ولست أدري أبوصر آباد من قرى الشام أم من قرى العراق وقد ادخلتها على
 ما خيلت إليّ في القرى الشامية وأياً ما كانت فقد حصلت النكتة وهذه حال خرمًا باذ
 المنسوب العلويّ الخرمًا باذي إليها وقد مرّت بي أبياتٌ له يقطر ماء الظرف منها
 كقوله :

أشارتُ إليّ بعنابةٍ مخضبةٍ من دم الأفئدة
 أنتَ على العهدِ يا سيدي فقلت إلى الحشرِ^(٤) يا سيدهُ

وقوله وما لحسنه غاية في معناه :

قالوا هجاك محمدٌ فأجبتهم إنّ الهجاء من الصديق ثناءً^(٥)
 ولربّما جعل الحبيبُ سبابةً^(٦) سببَ اللقاءِ لكى يتاحَ لقاءُ
 ولئن هجوتُ كما هجيتُ فإننا رجلان في سوء الصنيع سواءُ

(١) عليل : مريض .

(٢) إلّفي : عشيري - رفيقي .

(٣) زيزك : حشرة ، وأتت هنا في سياق الهجاء .

(٤) الحشر : جمع القوم .

(٥) ثناء : مديح .

(٦) سبابة : شتمه .

لكنني أثنى عليه جاهدًا فإذا رأيته صدّه استحياء^(١)
لم يلقيني إلا بشخص ذائب عرقاً ووجه ليس فيه ماء

٣٧ - أبو الفتح بن دُرْدَان اليهودي الوزير

أنشدني أبو الحسن البرمكي أيده الله له :

ماذا أظلك قل لي لا اعدم الله ظلك
عش لي وبعدي فإني أَرْضَى وإن لم أعش لك
فالدَّهْرُ يخلف مثلي وليس يخلف مثلك

وأنشدني أبو الحسن القزويني له :

سهرت والشوق يطويني وينشرني الى غزالٍ بديع الحسن مغنوج
حتى رأيتُ نجومَ الصبحِ لائحةً كأنها زيبقٌ في كفٍ مفلوج
وأنشدني له أيضاً :

دعوني وقومي والسمو الى العلى فإن لهم شأنًا إذا ما سموا ولي
ولا تستحلُّوا بالوفاء فإنه تراثٌ لنا دون الورى^(٢) عن سموءلي^(٣)
يعني ابن عادياء اليهودي الذي يضرب المثل به في الوفاء .

٣٨ - أبو الأعين الأنطاكي

من ولد المعتصم شاعر انطاكية يقول في الغزل :

لا وحلّو الهوى ومنّ التجني وبخطّ العذار في ورد خده
لأذنين وجنتيه بلحظي مثل ماقد أذاب قلبي بصدّه^(٤)

(١) استحياء : خجل .

(٢) الورى : الناس ، والخلق .

(٣) سموءلي : يقصد سموأل بن عادياء اليهودي

(٤) صدّه : امتناعه .

ويقول :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ أَيُّهَا الْقَمَرُ الَّذِي
لَمَّا اخْتَطَطَ عَصِيْتُ فِيكَ عَوَازِلِي^(١)
يَجْلُو الدَّجَى بِمَحَاسِنِ الْأَنْوَارِ
وَخَلَعْتُ فِي حُبِّ الْعِذَارِ عِذَارِي

ويقول من نتفه :

وَرَأَيْتُ لِلْحَمْوِيِّ بِيَدِهِ دِيَوَانًا مَجْلَدًا
وَسَمِعْتُ بَعْضَهُمْ يَقُولُ
لِالشَّيْخِ أَحْمَقُ قُلْتُ أَشْهَدُ
نَ يَدِيهِ دِيَوَانًا مَجْلَدًا

٣٩ - ابن بَا مَنصُور الدِّيَلَمِيّ

هو ديلمى الأصل^(٢) عراقي المنشأ شامي الوطن بارع الشعر بديعه يقول :

نَادَيْتُ وَجَّتَهُ وَقَدْ رُقِمْتُ^(٣) بِالْمَسْكِ رَقَمَ الثَّوْبَ بِالْقَزِّ^(٤)
يَا أَرْفَعَ الْبِزِّ اخْتَصَصْتُ عَلَى
رَغَمِ الْعِذُولِ بَارِعَ الطَّرِزِ

ويقول :

يَا مَنْ فَقَدْتُ سُرُورِي بَعْدَ بَعْدهِم
لَوْ كَانَ يَعْرِفُ إِنْسَانٌ بَلَا أَجَلٍ
قَدْ صَارَ بَعْدَكُمْ طُولُ الْأَسَى^(٥) سَكَنًا
يَمُوتُ مِنْ شِدَّةِ الْأَشْوَاقِ مَتٌ أَنَا

ويقول :

فِي ابْتِدَاءِ الشَّبَابِ عَاجَلَنِي الشَّيْءُ
بُ فَهَذَا مِنْ أَوَّلِ الدَّنِّ دَرْدِي^(٦)

(١) العواذل : اللائمون .

(٢) ديلمى الأصل : أي يعود أصله الى الديلم وهم صنف من الاكراد .

(٣) رقمت : وشّحت - نضحت .

(٤) القز : الحرير .

(٥) الأسى : الحزن .

(٦) دردي : ما يبقى راسباً في أسفل الاناء من الكور .

ويقول :

سقاني شمولَ الرَّاحِ^(١) ساقِ كأنما
بليلة فطرٍ قام فيها طوايفُ
ولاح هلالُ الفطرِ نضواً^(٢) كأنه
ويقول :

بالهند تطبعُ أسيافُ الحديدِ وفي بغدادَ تطبعُ أسيافُ من الحدقِ

٤٠ - جريح المقل

قد نسيت اسمه ولم أنس شعره الذي انشدنيهِ أبو نصر بن المرزبان رحمه الله تعالى :

الرَّجُلُ المَهْذُبُ ابنُ نفسه
كم بين مَنْ تَكْرَمه لغيره
اغناه فضلُ نفسه عن نفسه^(٣)
وبين مَنْ تَكْرَمُهُ لنفسه
وقوله أيضاً :

ربّما يرجو الفتى نفعَ فتى
ربٌّ مَنْ ترجو به دفعَ الأذى
خوفُهُ أولى^(٤) به من أمله
سوف يأتيك الأذى من قبله
وله ويروى لغيره :

وربُّ كريمٍ تعتريه كزازة^(٥)
كما قد رأيت الشوكَ في أكثر الثمرِ

(١) الرَّاح : الخمر .

(٢) سلافها : الخمر .

(٣) نضواً : ضعيفاً ، يعني بدء ولادته .

(٤) نفسه : أصله .

(٥) أولى به : أجدر وأحق .

(٦) كزازة : شحٌ وفاقه .

وربَّ جِوَاهِرٍ مَمْسُوكٍ عِنْدَ جُودِهِ كَمَا يُمْسِكُ اللَّهُ السَّحَابَ عَنِ الْمَطَرِ

٤١ - أَبُو الْقَاسِمِ الْحَمَوِيُّ مِنْ حِمَاةِ

وَهِيَ بَلَدَةٌ مِنَ الْعَوَاصِمِ يَقُولُ :

لَا تَقْلُ بَيْتَ هَجَاءٍ لَا وَلَا بَيْتَ مَدِيحٍ
سَبَقَ النَّاسَ إِلَى كُلِّ مَلِيحٍ وَقَبِيحٍ

وَيَقُولُ وَيُرْوَى لِلخَالِدِيِّ الْأَصْغَرِ :

لَمَّا فَرَعْتَ إِلَى الْخَضَابِ^(١) اسْتَهْزَأْتُ سَعْدِي وَقَالَتْ وَالْمَحَبُّ لَمَّا بِهِ
مَا كَانَ يَنْفَعُهُ لَدَيَّ شَبَابُهُ فَعَلَامَ يَتَعَبُ نَفْسُهُ بِخَضَابِهِ

وَيَقُولُ فِي مَعْنَى مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ ذَكَرَهُ :

يَا مَنْ حَدِيثِي حَيْثُ كُنْتُ فَكَلَّهُ عَنْهُ يَكُونُ
حَتَّى يُقَالَ فَكَمْ إِذَا مَاذَا هُوَ هَذَا جَنُونُ

٤٢ - الطَّاهِرُ الْجَزَرِيُّ

عَالِي السِّنِّ ادْرَكَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ وَفِيهِ يَقُولُ :

وَحَاجَةٌ قِيلَ لِي نَبَأٌ لَهَا عَمْرًا وَنَمْ فَقُلْتُ عَلَيَّ قَدْ تَنَبَّأَ لِي
حَسْبِي عَلِيَّانُ إِنْ نَابَ الزَّمَانُ وَإِنْ جَاءَ الْمَعَادُ بِمَا فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
فَلِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مُتَجَعِّجٌ وَلِي عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ

وَلَهُ فِي فَتَى تَأْدَبَ بِأَدَبِهِ :

هَذَا عَلَيٌّ بِالْمَشَاكِلَةِ الَّتِي مَا بَيْنَنَا لِي مَالِكٌ مُسْتَأْثَرٌ^(٢)

(١) الخَضَابُ : مَنْ خَضَبَ أَيْ لَوَّنَ شَعْرَهُ وَصَبَغَهُ .

(٢) مُسْتَأْثَرٌ : مُحْتَكِرٌ ، مُخْتَصَبٌ بِهِ .

قالوا صديقك قلت بل ولدي وقد
وقوله في قوس قزح :

أَلَسْتُ تَرَى الْجَوَّ مُسْتَعْبِراً يُضَاحِكُهُ بَرْقُهُ الْخَلْبُ^(١)
وقد لاح من قزح قوسه بعيداً وتحسبه يقرب
كطافي عقيق وفيرزوج^(٢) وبينهما آخر مذهب

٤٣ - أبو الغنائم بن حمدان الموصلي

يقول في أبي مضر ويروى لأحد الخالدين في المهلبى الوزير وهو غاية في
وصف قصب القلم من قصيده :

له قلم كقضاء الإله فبالسعد طوراً وبالنحس ماض
وما فارق الأسد في حالته يبساً وذا ورقات غضاض^(٣)
ففي كف ليث العلى في الندى^(٤) وفي وجه ليث الشرى^(٥) في الغياض^(٦)

وله في الربيع وهو أحسن ما قيل فيه وذكر أبو عبدالله محمد بن علي بن حفص
العمري النوقاني أن السرى السرفاء أورده في كتابه ، كتاب المحب
والمحبوب والمشموم والمشروب ، لأبي القاسم الزاهي وهو ممن ذكرته في كتاب
اليتيمة:

هذا الربيع وهذه أنواره طابت ليليه وطاب نهاره
فضية أنهاره ذهبية أزهاره درية أنواره

(١) الخلب : الساحر .

(٢) عقيق وفيرزوج : من الأحجار الكريمة .

(٣) غضاض : نضرة .

(٤) الندى : الكرم والعطاء .

(٥) ليث الشرى : أسد الغاب .

(٦) الغياض : الأشجار الكثيفة .

متبلِّجٌ غدوائته^(١) متبرِّجٌ^(٢) ضحوائه متأرجحٌ^(٣) أسحاره
والماء فضيَّ القميص مفروزٌ بينفسجٍ واللازورد شعاره
والسرو ممتدُّ القوام كأنه قدُ الغلام تشقه أنهاره
وترنمت عجم الطيور كأنها شربُ القيّان^(٤) ترنمت أوتاره
فاشرب على ورد الخدود بجنبه وردَ الربيع تحقه أنواره
من كفّ احور^(٥) كالقضب منعّم قد سدّ خوط^(٦) قوامه زنّاره

٤٤ - أبو الحرث بن التّمّار الواسطي

ظريف بلاده يقول لسيدوك بلديه :

قد أتيناك مراراً ومراراً ومراراً فإذا أنت كمثلِ البدرِ لا يبدو نهاراً
وكان متزيداً لأبيه فلما توفي وورثه ماله قال فديت من احبائي موته وأراه نقله
من قول علي بن الجهم :

لمّا أتاني خبرُ الزيّاتِ وانه قد صار في الأمواتِ
ايقنت ان موته حياتي

ومن ملح شعر أبي الحرث قوله :

يا اعدل الناس الا في معاملتي وأصدق الناس الا في عدايتك لي
وقوله :

وهل يذخر^(٧) الضرغام^(٨) قوتاً ليومِهِ إذا ادّخر النملُ الطعامَ لعامِهِ

(١) متبلج غدوائته : مشرقة نهاراته .

(٢) متبرّج : متزيّن .

(٣) متأرجح : ينشر الأرج والعطر .

(٤) القيّان : مفردها القينة أي المرأة التي تغني وتسقي الخمر .

(٥) احور : من كان بياض عينه شديداً . وسوادها كذلك .

(٦) خوط : الرجل الجسيم الحسن الخلق .

(٧) يذخر : يوفّر ويذخر .

(٨) الضرغام : الأسد .

وقوله :

جئتُ زائراً فقال لي البوُّ أبُ صبراً فإنه يتغدي
قلت سمعاً فقد سمعت قديماً خبزه لازم ولا يتعدى

٤٥ - ابن الزمكدم الموصلي

أنشدني الشيخ أبو بكر له فيمن دعاه وسقاه الحامض :

كنت	في	دعوة	عليّ	بها	كان	قد	دعي
طال	من	خلّ	خمرها	طول	يومي	تجرعي	
وإذا	ربها	يكا		بدّ	طول	التصنع	
بين	اضلاعه	السـ		هامّ	كما	بين	اضلعي
قلت	لما	رأيتـه		كارعاً ^(١)	مثل	مكرعي	
اقتلوني		ومالكاً		واقتلوا	مالكاً	معي	

وانشدني له :

يا غلامي على المجاز ولو خا
عاطني^(٢) من يديك ضرة خديـ
واقصر في مزاجها لي على ما
لفّ قلبي في ذا الدعاء لساني
ك وحلّ اللجين^(٣) بالعقيان^(٤)
شربته من ماء تلك البنان^(٥)

٤٦ - أبو محمد الحسن بن محمد الرقي

طراً على خراسان وتصرفت به أسفار وأحوال افضت الى أن تقبله الشيخ ابو

(١) كارعاً : شارباً .

(٢) عاطني : ناولني .

(٣) اللجين : الفضّة .

(٤) العقيان : الذهب الخالص .

(٥) البنان : الأصابع .

بكر علي بن الحسن القهستاني أيده الله واحسن به وافضل عليه كعادته عند امثاله
وأوطنه الجوزجان فمن قوله فيه :

لو قيل لي هل للنهى^(١) مالك يعرف أم هل للعلى صاحب
لقلت والصادق في قوله ممدح اذ هجى الكاذب
عميدها الشيخ أبو بكرها علي بن الحسن الكاتب
وله من قصيدة :

الجود يشهد والآنأ^(٢) معاً والعصر انك واحد العصر
وله في الغزل :

أتضحك يا فديتك من كتابي فتظهر مثل ما اظهرت درأ
وفي عيني كما في فيك منه أرى هذا وذا نظماً ونثراً
فغرك لو يذوب كان دمعاً ودمعي لو يجمد كان ثغراً^(٣)

أوجز وأحلى منه قول أبي الفضل بن أبي جعفر الميكالي :

يا شادناً^(٤) جمع الله المنى فيه وانبت الدر من عيني ومن فيه

وللرقي من قصيدة :

وكم ليلة طال التعانق بيننا كلانا به بتنا غريم غرام
ومنطقتي كفاه والليل ادهمي وقامته رمحي وفوه لثامي

(١) النهى : العقل .

(٢) الانام : الخليفة - الناس .

(٣) ثغرا : فما .

(٤) شادناً : غزلاً .

وله من أخرى :

لقد جلّ خطبي^(١) في التي دقّ خصرها واسهر جفني جفنها وهو نائم
إذا كنّ اصداغ الخدود عقارباً فإنّ ذوابات الرّؤس الأراقم^(٢)

هذا البيت معيبٌ عندي إذ جمع فيه بين العقارب والحيات في الغزل والطبع
ينفر منها ولو كان في الهجاء لكان جيداً كما قال ابن الرّومي في هجاء قينة :

فقرطها بعقرب شهر زور إذا غنّت وطوقها بأفعى
وذكر عقرب الصدغ مألوف ولا سيما إذا كانت فيه صنعة كما قال ابن المعتز :

وكأنّ عقرب صدغه^(٣) احترقت لما دنت من نار وجنته
وكما قال السري :

في خده وردّ حما ه من القطاف بعقرب

وكما قال صاحب :

لئن هو لم يكفف عقارب صدغه فقولوا له يسمع بترياق ريقه
فإذا اقترن به ذكر الحية في بيت واحد لم يهش له السمع^(٤) ولم يقبله القلب
وللرقي من قصيدة :

كن رسولي وبلغ الأهل عني ما على المرسلين إلاّ البلاغ
ما دهنتي عقارب بنصيب من دهنتي بواسط اصداغ

(١) خطبي : بلائي ومصابي .

(٢) الأراقم : الأفاعي .

(٣) صدغه : الصدغ ما بين العين والأذن من جانب الوجه .

(٤) لم يهش له السمع : لم يأنس ولم يصغ .

وله في غلام هندي ذي ذؤابتين :

ظبيٌ تفلّ الظبي اجفانه وله من سمرة اللون ما تُثنى به السمرُ
ذؤابته نجادا سيف^(١) ناظره وجفنه جفنه والشقرة الشقر^(٢)
صفيرته^(٣) على قلبي تظافرتا فمن رأى شاعراً أودى به^(٤) الشعر

٤٧ - أبو الدرداء الموصلي

يجري في طريق السري ويتشبه به وهو القائل ويروي للسري :

تصرم^(٥) شهر الصوم شهر الزلازل وشال به شوال شهر الفضائل
ولاح هلال الفطر حنواً كأنه سنان^(٦) لواه الطعن^(٧) في رأس عامل
ودارت علينا الكأس بين أهلة تضيء واغصان رطاب موائل
فرحنا وفي أجسامنا سحر بابل يدب وفي إيماننا خمر بابل

وقال وقد حضر مع قوم مجلس الانس فتذكروا في المذاهب والآراء وتناظروا
في التنجيم :

دعوا المراء^(٨) والجدل فهو عثار وزل
وصافحوا الكاس على حسن احاديث الغزل
ما النصب والرفض وما يوم الهرير^(٩) والجمل

(١) النجاد : ما يحمل به السيف .

(٢) الشقر : القطع .

(٣) صفيرته : ذؤابته ، خصلتان من الشعر في مقدمة الرأس .

(٤) أودى به : ألحق به الهلاك .

(٥) تصرم : تقطع وانقضى .

(٦) سنان : رمح .

(٧) لواه الطعن : أحناء وقوسه .

(٨) المراء : الكذاب ، العثار : السقوط .

(٩) يوم الهرير : من أيام صفين بين الامام علي ومعاوية وكذلك الجمل أي معركة الجمل المعروفة .

لما لم يستقم له في البيت ذكر صفين جعل مكانه يوم الهرير وانما هي ليلة
الهرير من ايام صفين .

وشتم	قوم	قسّمت	بينهم	الدنيا	دول
وما	النجوم	لا جرى	مريخها	ولا	زحل
وسقطت	جوزاؤها	وريع ^(١)	بالذبح	الحمل	
لا نجم	الا	ناجم	الرّاح	بدا	ثم
افل ^(٢)					
يطلع	من	كفر	خضيه	الكفر	ثم
والرفض	ان	ترفض	ما	جاء	به
والنصب	ان	تنصب	للذات	اشراك	الحيل
مالي	وللشرب	لهم	بغير	ما	اهوى
يغمد	ما	بينهم	سيف	الجدال	ويُسلّ
اذا	بدا	يوم	خفي	ف	الروح
				ردوه	جبل

٤٨ - محمد بن عبيد الله البلدي

قد ذكرت أباه عبيد الله في اليتيمة وأوردت نبذاً^(٣) من ملح شعره وهذا ابنه
اشعر منه وانشدني ابو طالب الشهرزوري قال انشدني ابن البلدي لنفسه وكان حلف
ان لا يشرب حولا^(٤) فبرّت يمينه غرة شوال :

برّت ^(٥)	على	هجر	الكؤوس	يميني
قم	هاثها	حمراء	في	مبيضة
شهر	الصيام	فما	امتطين	يميني
كالجلنارة ^(٦)	في	جني	نسرين	

(١) وريع : من الروع وهو الخوف الشديد .

(٢) الراح : الكف-وأفل غاب .

(٣) نبذاً : متفرقات ، لمحات .

(٤) حولا : علما .

(٥) برّت : وفّت وأتمّت ما أقسمت عليه .

(٦) الجلنارة : زهر الرمان .

أو ما رأيتَ هلالَ فطركَ قد بدا
احسن منه قول كشاجم :

كشعيرة من فضة قد ركبَتْ في خنجر
قسماً بحبك لا مزجت كؤوسها الا بريقك او بماء جفوني

وله أيضاً وقد حضر مع اخوانه بيت صديق له فاشتدَّ جوعهم فيه :

وبيتٍ خلا من كل خير فناؤه
كأننا مع الجدران في جنباته
فضاق علينا وهو رطب الأماكن
دمي في انقطاع الرزق لافي المحاسن

تتمة القسم الثاني

في

محاسن اشعار اهل العراق

بل احاسنها وما يتصل بها من ملح اخبارهم

٤٩ - الشَّريف المَرْتَضَى أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ

الموسوي النَّقِيب اَيُّدِه الله تعالى

هو اخو الرضوي ابي الحسن الذي تضمن كتاب اليتيمة شعره وقد انتهت
الرياسة اليوم ببغداد الى المرتضى في المجد والشرف والعلم والأدب والفضل والكرم
وله شعرٌ في نهاية الحسن فمنه ما انشدني أبو الحسن محمد بن الحسن البرمكي
الفقيه ايده الله تعالى قال انشدني المرتضى لنفسه ببغداد وهو مما يغني به لرقته
وحلاوته :

يا خليلي من ذؤابة بكر	في التصابي ^(١) رياضة الاخلاق
غنياني بذكرهم تطرباني	واسقياني دمعي بكأس دهاق
وخذا النوم عن جفوني فاني	قد خلعت الكرى على العشاق

وله من قصيدة وهو مما يسكر بلا شراب ويطرب بلا سماع :

أحب ثرى نجد ونجد بعيدة	الا حبذا نجد وإن لم تفد قربا
يقولون نجد لست من شعب اهلها	وقد صدقوا لكنني منهم حبا

(١) التصابي : الميل الى الفتوة والجهل .

كأنني وقد فارقت نجداً شقاوةً فتى ضلّ عنه قلبه ينشد القلباً

وله من أخرى في الشيب وذمه :

يقولون لا تجزع من الشيب ضلة
وما سرّني حلمٌ يفيء على الردى
إذا كان ما يعطيني الحزم سالباً
وقد جرّبت نفسي الغداة وقاره
واني مذ اضحى عذارى قراره

ومن أخرى في ذم الشباب :

ومعيري شيب العذار وما درى
واقول اذ غيرت منه لونه

ومن أخرى وهو مما يغني به :

الا يانسيم الرّيح من ارض بابل
وقل لحبيب فيك بعض نسيم
واني لأهوى ان أكون بارضكم

وله من قصيدة مرثية :

تجري دموع عيونٍ ودّ صاحبها
كأننا اليوم من هم تقسّمنا
نشئ الأكف حياءً عن ملاطمنا

واسهمه أيّاي دونهم تصمي
كفاني ما قبل المشيب من الحلم
حياتي فقلّ لي كيف ينفعني حزمي
فما شدّ من وهني^(١) ولا سدّ من ثلمي
أعاد بلا سقم واجفى بلا جرم

انّ الشيات^(٢) مطيةً للفاسق^(٣)
هيهات أبذل مؤمناً بمنافق

تحمل الى أهل الخيام سلامي
أما أن ان تسطيع رجّع كلامي
على انني منها استفدت سقامي

لو اتّهنّ على خدّ المصاب دم
نهب بأيدي ولاة السوء مقتسم
وفي الحشا زفرات الحزن تلتطم

(١) الومن : الضعف .

(٢) الشيات : الشباب .

(٣) الفاسق : الفاجر الماجن .

ونكتم الناسَ وجداً في جوانحنَا

ومنها :

اين الذين على خدّ الثرى وطثوا
لم تبقَ منهم على ضنّ النفوس بهم
ولا يغترّك في الموتى وجودهم
وقد مضى ما اقتضاه الرّزء^(٢) من جزعٍ

وله من اخرى :

كأنّي لما صك سمعي نعيه
طواه الرّدى طيّ الرّداء وعطلت
ولما بلوت الاصدقاء وودّهم

ومن اخرى :

كم ذا تطيشُ سهامُ الموت مخطئةً
ولو فطنتُ وقد أردى الزمان أخي
سودّ وبيضُ من الايام لونهما
هيهاتِ حُكْمُ فينا أزلّمُ جذعُ

ومن اخرى :

شدّ غروض^(٦) المطيِّ مغترّباً

وكيف نكتم شيئاً ليس ينكتمُ

وحكموا في لذيذ العيش فاحتكموا
الا رسومُ قبورٍ حشوها رمم^(١)
فانّ ذاك وجودُ كلّه عدمُ
فاين ما يقتضيه العلمُ والكرمُ

صككت بمسنون الغرارين قاضب
مغاني الحجي عنه وغرّ المناقب
خلصت اليه من خلال التجارب

عنّي وتصمي^(٣) اخلائي وأخداني^(٤)
علمتُ انّ الذّي اصماه أصماني
لا يستحيل وقد بدّلنّ الواني
يفنى الورى بين جذعان وقرحان^(٥)

فلم يفز طالبٌ وما طلبا

(١) الرّم : البالي من كلّ شيء .

(٢) الرزء : المصيبة .

(٣) تصمي : تقتل وتصيب .

(٤) اخداني : أترابي ، مفردا خدن .

(٥) جذعان وقرحان : الجذعان ، الأحداث من الثياب والقرحان : الذين مستهم القروح .

(٦) شدّ غروض المطي : أي تهيأ طالباً أهدافه وغايته عليها . والمطي : ما يمتطيه الانسان للوصول .

لأدر في الناس درّ مقتصد
يأخذ من رزقه الذي قربا
وما مقام الكريم في بلد
ينفق فيه الحياء والأدبا
لا تعطني بالزمان معرفة
كم ضاق بي مرةً وكم رحبا
أي خطوب لم تولني عظة
وأي دهر لم افنه عجا
ساعات دهر تمرّ مسرعة
عنا وتبقى الهموم والتعبا

٥٠ - الأشرف ابن فخر الملك

قدم من بغداد أصبهان علي ابن كاكوية ظاناً به الجميل فخاب ظنه وادركته
حرفة الأدب فبينما هو ذات يوم يشرب على شاطئ زرّ نروذ اذ هزّت الرّاح عطفه ودبّت
اريحية النشوة فيه فدعا بالدواة والقرطاس وكتب الى اخيه الأعز ابن فخر الملك وهو
ببغداد في نعمة وحسن حال :

ان الذي قسم الوراثة بيننا
لكن اراك وردت ماءً صافياً
أوكيس يجمعني ونفسك دوحة
إن كنت انت أخي فقل لي يا أخي
هلاً قسمنا بيننا الفرح الذي
جعل الحلاوة والمرارة فينا
ووردت من جور الحوادث طينا
طابت لنا دنيا وطابت دينا
لم بت جذلانا وبت حزيننا
كنا اقتسمنا في حياة ابينا
فلما قرأ الأعز كتابه اذرى دموع الرقة لأخيه وسفتج^(١) بالفي دينار وكتب اليه
بيت لييد :

فانزع بما قسم المليك فانما
قسم المعاش بيننا علامها
ولم أجد للأشرف بعدما كتبته إلا قوله :

مرّ بي الموكب لكنني لم أرفيه قمر الموكب

(١) سفتج : السفتجة هي أن تعطي رجلاً مالا فيعطيك وثيقة تسترد بها مالك من شريك له أو عميل في بلد آخر ، انت مسافر اليه .

قلْ لأَمير الجيش يا سيدي ما لأَمير الحسن لم يركب

٥١ - ابنُ المطرِّز

وهو اليوم بقية الشعراء ببغداد ويكنى أبا القاسم وأسمه عبد الرحمن بن محمد
أنشدني أبو الفضل عبد الواحد بن محمد البغدادي التميمي قال أنشدني ابن المطرِّز
لنفسه من قصيدة :

يسايلُ عن بدر الدجى الشرق والغربا	سرى مغرماً بالعيش يفتجع الرُّكبا
فلا وردت ماءً ولا رعت العسبا	إذا لم تبلّغني إليكم ركائبى
غزالٌ يرى ماءَ القلوب له شربا	على عذبات الجزع من ماءٍ تغلب
لعينك بدرٌ يملأ العين والقلبا	إذا ملأ البدرُ العيونَ فإنّه

وأنشدني أبو يعلى البصري له من أخرى :

ظبيُّ إذا أنست عيني به نفرا	يا صاحبي باعلام المدينة لي
إذا تأملته أفنيتَه نظرا	لولا احتشامي منه حين يلحظني
طرفي خلعت عليه السَّمع والبصرا	إذا تبسّم واستجلى محاسنه
وإنْ مشى قلت غصنٌ يحمل القمرا	فإنْ رنا قلت عن عين الغزال رنا ^(١)

وله في رئيس :

وغدَتُ عليك كوؤُسُه	يوم عدَّتْكَ ^(٢) نحوُسُه
اذ غازلتك شموُسُه	وتغايَرتُ اقماره
مذ كان قطُّ جليسه	يا سيِّداً ما مله
الأ وأنت رئيسه	ما من رئيسٍ سيده

(١) رنا : نظر .

(٢) عدتكَ : تحببتك .

وله أيضاً :

سلامٌ على بغداد من كلِّ بلدٍ
لعمرك ما تركي لها عن قلبي لها
ولكنها ضاقت عليَّ برحبها
فكانت كحلٍّ كنت أهوى دنوه

وَحَقٌّ لَهَا مِنْي سَلامٌ مُضاعِفٌ
وَإِنِّي بِحَسْنِي جَانِبِهَا لَعَارِفٌ
وَلَمْ تَكُنِ الْارْزَاقُ فِيهَا تَساعِفٌ
وَأَخلاقه تَنأى بِهِ وَتَخالفُ

وله في الخمر ويروي لابن نحرير :

يا ساقِيَّ اسقِني من دَمِ العنبِ
حمرَاءَ صافيةً صرفاً مشعشةً
تجلى على الشرب في صُدَيْنِ ما اجتمعا
بكرٌ إذا افتضَّها الساقِي بكت خجلاً

فَقَد طَرَبْتَ اليها غَايَةَ الطَرَبِ
كَالنَّارِ طَوْرًا وَطَوْرًا ذَائِبِ الذَّهَبِ
إِلَّا لَهَا فَهِيَ مِنْ ماءٍ وَمِنْ لَهَبٍ
وَكَلَّلْتَ رَأْسَهَا دَرًّا مِنَ الْحَبِ

وله في استهداء رقعة الشطرنج :

أبا طاهر أنت لي جنةٌ
ونحن العيونُ وانت الجفونُ
وعندي خيولٌ قد استنهضتُ
وقد حضرت قصبات الرِّهانِ

أَجَلٌ وَأَعْظَمُ مِنْ شَأْنِهَا
وَحَسَنُ الْعَيُونِ بِاجْفَانِهَا
مَعْقَلَةٌ رَهْنِ أَرْسَانِهَا
فَمَنْ عَلَيَّ بِمِيدَانِهَا

وله :

ظالمٌ ما منه منتصر
حلٌّ من قلبي بمنزلةٍ
بات يسقيني المدام ولي
ويحييني بسالفةٍ

أَبْدًا يَجْنِي وَاعْتَذِرُ
لَمْ يَنْلُهَا قَبْلَهُ بَشْرُ
وَلَهُ مِنْ طَرَفِهِ سَكْرُ
حَارٍ فِي أَرْجَائِهَا الشَّعْرُ

يَا حَبِيبًا كُلَّهُ حَسَنُ
وَجْهِهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ
لِمَحَبِّ كُلِّهِ نَظْرُ
حَيْثُ مَا قَابَلْتَهُ قَمْرُ

وسعت ما بيننا الغيرُ
والهوى ماضٍ ومنتظرُ

إن تفرّقنا على قدرٍ
فلعلّ الدهر يجمعنا
وله في المجنون :

حسنها يترك الصّحة سكارى
عبدٌ عندها الملوك أسارى
فقلوبُ الزّناة فيها حيارى
يا خواجه أتشتهي قلت آرى

فقحةٌ مثل عجنة الحواري
لفتاقٍ لسانها اعجمي
ورمتها من العيون ومالت
ابرزتها من الثياب وقالت
وقال :

عن الثريّا وبدر التّم^(١) لم يغبِ
من اللّجين بطبطاب^(٢) من الذهبِ

كأئما انجمُ الجوزاء فاصلةٌ
ممنطق ساقٍ في ميدانه كرة
وله :

تحلّى بوجهٍ مسفرٍ متبلّج^(٣)
بطلعته وشى الربيع المدبّجِ
تؤمله في كل حال وترتجي
وعيد ونورِز ألف عام ومهرج

تهن بيوم بالسعادة مبهج
يميل باعطاف النسيم ممثلاً
أتاك بشيرٌ بالسّعود وكلّ ما
فعش وأبق وأسلم في سرورٍ وغبطةٍ
وله من قصيدة :

يميل مع الأيام حيث تميلُ
فوافٍ وأمّا قلبه فملولُ
ودام ولكن الزمان عليلُ

عجبتُ لمن يصفى الوداد لغادرٍ
ودودٍ إذا حيّاك أمّا لسانه
فلو صحتِ الايام صحّ وفاؤنا

(١) بدر التّم : البدر الكامل .

(٢) طبطابة : خشبة عريضة .

(٣) متبلّج : ظاهر مكشوف .

وله من اخرى :

بينى وبين يد الزمان إذا نبا^(١) صنع الإله وناصر السلطان
يلقاك بالوجه الطليق لعلمه إن الكتاب بظاهر العنوان
فلواننى استنجدت رائق بشره وتركت نائل^(٢) كفّه لكفاني
ومنها في وصف النوق :

شرب الهجير^(٣) دماءها ولحومها فاتين كالأرسان في الارسان
يكرعن في لمع الشراب وقلما ضمن الشراب الرّي للعطشان

٥٢ - أبو الحسن عليّ بن الرّيان الجرهمي

ذكر أبو الفضل التميمي إنه يغني بشعر نفسه ويصوغ له الالحان فمن ذلك :

يا هاجري في اوسع العذر قد رقدت عيني على الهجر
علمني غدرك اسلو الهوى ايّ هوى يبقّى على الغدر
وكنت من صبري جزوعاً فمذ خنت تجاسرت على الصبر

وقوله :

يا ويح قلبي من تقلبه ابدأ يحنّ إلى معذبه
قالوا كتمت هواك من جلد لو انّ لي رمقاً لبحت به

وقوله :

بات بليلي فيك من يعذل جفن همول وحشا مشعل

(١) نبا : تجافى وقسا .

(٢) نائل : عطاء .

(٣) الهجير : الحرّ الشديد .

ومقلّة ما اكتحلّت بالakra
يا قوم ما احلى واشهى الهوى
مذغاب ذاك الرشا^(١) الاكل
للمرء إلا انه يقتل
وله شعر كثير من هذا النمط .

٥٣ - أبو بكر العنبري

ذكر التميمي انه من مشيخة الصوفية ببغداد ومن ظرفاء شعرائها ومن شعره
الذي يغنى به قوله :

يا مَنْ الى وجهه حجّتي ومعتري
أنت الصلاة التي أرجو النجاة بها
إنني وإن بعدت عني دياركم
فإن تكلمت لم الفظ بغيركم
ان حجّ قوم الى تربّ واحجار
وأنت صومي الذي يزكو وأفطاري
فانتم في سواد القلب سُمّاري
وإن سكت فانتم عقد اضماري

ومن سائر شعره :

كم تغدّينا بصومٍ وتعشّينا بنومٍ
وتأذّينا بقومٍ فانتقلنا نحو قومٍ

ومن منشور كلامه : نعم السلاح الدّعاء ونعم المطية الوفاء ونعم الشقيع البكاء
وكان يقول : التصوّف اجتناب المحارم واجتناء المكارم ، وينشد :

ليس التصوّف بالقوط مَنْ قال ذاك فقد غلط
ان التصوّف يا فتى صفو الفؤاد من السقط

وله :

وليس الذي يجري من العين ماؤها ولكنه روح يذوب ويقطر

(١) الرشا : ولد الغزال .

٥٤ - أبو الحسن النعمي

أنشدني أبو القاسم عبد الصمد بن علي الطبري قال أنشدني مكي بن
البغدادي قال أنشدني النعمي وكان شيخاً قد نالت الأيام من جسمه وحاله :

اخلتِ النَّائِبَاتِ كَأَسِي مِنَ الرَّأ	ح كما قد خلا من المال كيـسي
وغازنا الشتاء من بلد الرو	م على غفلة بلا ناقوس
فتحامى الألى لباسهم من	صوف مصر ومن خزوز السوس
ومضى حكمه من الأسر والقهر	ر على كل مدبر منحوس
ماله جنة سوى النار بالليـ	ل ولا بالنهار غير الشموس
فهو في السرّ مسلم وعلى الظا	هر مستمسك بدين مجوس

قال وكان يجلس في الجامع الشرقي ببغداد أيام البرد فسمعتة يوماً وهو جالس
فيه والسماء متغيمة يقول : قد سرقت إحدى الجنتين يعني احتجاب الشمس ، قال
وسمعتة في اجتماع قوم لا خلاق لهم ولا خير فيهم : كسيرٌ وعويرٌ ومفتاح الدّير وآخر
ليس فيه خير ، قال وسمعتة يقول في قوم شرار نزلوا شرّ منزل وتجعله مثلاً : ركب
زنبور^(١) عقرباً إلى جحر حية فقبل أبصر من الحامل والمحمول وفي أيّ خان نزلوا ،
قال وأنشدني لنفسه :

إذا اظمأئك اكفُ اللثام	كفئك القناعة شعباً ورياً
فكن رجلاً رجله في الثرى ^(٢)	وهامة همته في الثرى
فإنّ أراقه ماء الحيا	ة دون أراقه ماء المحيا

٥٥ - أبو الحسن الهاشمي المأموني

أنشدني أبو الحسن البرمكي قال أنشدني أبو الحسن هذا المذكور لنفسه :

(١) الزنبور : حشرة تشبه الذباب .

(٢) الثرى : التراب ، أديم الأرض .

إذا لم تنصفونا يا كرام وفي أيديكم اليوم الزمام
فكيف بكم إذا قلنا صرفتم وزال البوش وانقطع الزحام
وكنتم معشراً ملكوا فخسوا فنام الحظ عنهم حين ناموا
وكانوا يخدمون وهم قعود فصاروا يصفعون وهم قيام

٥٦ - أبو الفضل محمد بن عبد الواحد التميمي البغدادي

أيده الله تعالى ، طلع على نيسابور منذ سنين وهو في ريعان شبابه فملأ
العيون جمالاً والقلوب كملاً وأفادنا كثيراً ثم امتطى أمله الى الحضرة الكبرى بغزنة
حرسها الله تعالى فعاشر السادة بها ووصل الى السلطان الماضي أبي القاسم رضي
الله تعالى عنه وخدمه في مجلس الانس ثم انقلب عنها وقد اسفرت سفرته عن صفقة
الرابح وغنيمة الفائز وله شعر الأديب الظريف الذي شرب ماء دجلة وتغذى بنسيم
العراق فمما أنشدني لنفسه قوله :

هام قلبي بحسن ذاك العذار حين لاح اخضرارُهُ في احمرارِ
عزَّ ربَّ اذا أراد تعالى انبت المرزجوش^(١) في الجلنار^(٢)
وقوله :

جدُّ وإنْ شئتَ لا تجدُ إن تخلصت لم أعدُ
إنما منك غرتي كَلِمٌ طعمها الشهد^(٣)
لست في النَّاسِ واحداً قتلته اللَّحَى الجدُّ

وقوله في خطِّ اللَّحْيَةِ :

بدا خطَّ مَنْ أهواه كالبدْرِ طالعاً وعارضه^(٤) قد لاح فيه وزغبا

(١) المرزجوش المردقوش .

(٢) الجلنار : زهر الرومان .

(٣) الشهد : العسل .

(٤) العارض : منبت الشعر في الوجه من الرجل .

فكان كمثل دبّ في العاج قاصداً
ليجتزّ في رفقٍ من الصّدغِ عقرباً
وقوله :

إنّ زارني لم أنم من طيب زورته
ففي الوصال جفوني غير راقدة
إني لأخشى حريقاً إنّ علا نفسي
وقوله :

نظرت تشوّقاً يوماً إليه
وجرد من لوحظه حساماً
فأثر ناظري في وجنتيه
وقوله في رمد المحبوب :

قلت إذا قيل لي حبيبك يشكو
رمداً سلّط الشهاد عليه
وقوله :

الشّعْرُ كالبحر في تلاطمه
فمنه كالمسك في لطائمه
ما بين ملفوظه وسائغه
ومنه كالمسك في مدايغه

وللموازيني في فصد بعض رؤسائه :

على اليمن باكرت الفصاد مشمراً
مددت أباسعد إلى صدر مبضع
وما خلت إنّ الجود تجري له دم
أظنّ له من لطفه بلباقه
يمين جوادٍ للعطاء مشمرة
يداً تصدر الآمال عنه مشرة
فما كان أجرى ذا الطيب وأجسره
بصيرة بقراطٍ وأقدام عنتره

وله في مريثة القاضي الهاشمي بحلب :

ناعي أبي جعفر القاضي دعوت إلى الـ
تنعى العظيمين من مجده ومن شرفه
ردى فلم يدر ناعٍ انت أم داعٍ
بعد الرحيين من خلقٍ ومن باعٍ

مهلاً فلم تبق عيناً غير باكية ولا تركت فؤاداً غير مرتاع
قد كان ملاً عيون بعده امتلأت حزناً ونزهة ابصارٍ وأسماعٍ
وله :

كم حارٍ هو أولى بنهيقٍ وشهيقٍ
يكتسي في الشتوة الخبز وفي الصيف الدبيقي
وعلى هذين البيتين فقد تذكّرت بيتين على وزنهما وقافيتهما واشتمالهما ذكر
الدبيقي ولا أدري لمن هما وهما :

ضاع في الشوك دقيقي حين أملت صديقي
بفعالٍ كالبخاريّ وقولٍ كالديبيقي

٥٧ - أبو الغنّائم بن أبي المكارم الرّمليّ

هو ابن الذي يقول فيه ابن لنكك :

إنّ الرّمليّ بعيدٌ خاطره يشعر ما دامت له دفاتره
فالشّعراء كلّهم خواطره
ويقول فيه أيضاً :

خلف الرّملي فيما اقد تصرّ عني وحكاهُ
بدّعي يوم اصطلحنا انني قبلت فاهُ
لم أقبلُ فاه لكنّ قبلتُ كفيّ قفاهُ

فأما أبو الغنّائم فإنه يقول لصديق له ولي عملاً :

جعلت فداك لا تجف الأخلا فيأوا عن ذراك وهم اذلاً
وكانوا يطرحون لنا مصلى فمنذ وليت قد رفع المصلّى
ويقول في شهر رمضان :

شهر الصيام مباركٍ لكنه في شهر آبٍ

خفتُ العذابَ فصمتُهُ فوقعت في نفس العذابِ

ويقول في الهجاء بيتاً نادراً كالمعجز في فنه وهو :

خوان^(١) لا يلمَ به ضيوفٌ وعرضٌ مثل منديل الخوانِ

٥٨ - أبو الحسن عليّ المعروف بابن كويرات الرمليّ

حدثني المصيصي قال كان ابن كويرات من أظرف الناس وأملحهم نوادر
حضرت معه دعوةً برأس العين فقدّم إلينا جمل مهزول ومددنا أيدينا إليه وهو قابضٌ
يده فقلنا له في ذلك فقال يا سادتي هذا كان عاشقاً وأنا عاشقٌ والعاشق لا يأكل
العاشق ، وأنشدني له أبو يعلى في طيب من أهل مصر يدعى أبا الربيع وهو من
أحسن ما قيل في مدح طيب :

أبو الربيع ربيعٌ	لكلّ جسمٍ وروحٍ
إذا رأى الداءَ داوا	هُ بالدواءِ الصريحِ ^(٢)
كأنّه في البرايا ^(٣)	خليفةٌ للمسيحِ

وله من قصيدة :

رشاً سمعت لخدّه وعذاره في هذه الدّنيا حديثاً سائراً
فاذا رأيت عليه طرفاً^(٤) واقعاً فاعلم بأنّ هناك قلباً طائراً

٥٩ - عَبْدُ الْمُنْعَمِ بْنِ عَبْدِ الْمُحْسَنِ الصّوْرِي

من ملحه وطرّفه قوله في غلامٍ ينظر في المرأة :

جلا المرأة صيقلها لوجهٍ تولّى الله خلقته لحيني^(٥)

(١) خوان : ما يوضع عليه الطعام .

(٢) الصريح : الخالص . الصافي .

(٣) البرايا : الخلق . الناس .

(٤) طرفاً : نظراً .

(٥) لحيني : هلاكي وموتي .

فلو أبصرتهُ يرنو إليها عرفتَ الفرق بين الصيقلين^(١)

وقوله لنبهان الجعفري وهو في غاية الملاحه :

زففت الى نبهان من عفو خاطري عروساً غدا بطنُ الكتابِ لها خِدرًا^(٢)
فقبلها عشراً وأظهر حبها فلما طلبت المهر طلقها عشراً

وأنشدني المصيصي وأبو يعلى له :

أرى الليالي اذا عاتبتها جعلتُ تمنّ ان جعلتني من ذوي الأدب
وليس عند الليالي انّ اقبح ما فعلن بي ان جعلن الشعر مكتسبي

ومما يستحسن ويستظرف له قوله :

لي مولى احسانه يتجدّد كلّ يومٍ لديّ والمجد يشهدُ
احسن الفعل بي وأحسنتُ قولاً واشتبهنّا فقيل جاد وجودُ

وقوله وهو من امثاله السائرة :

أرى الله يعطيني ودهري يأخذ وفي كل يوم سيف قتلي يشحذُ
وكيف سلوى عن شبابي وفقده طريق الى سمّتِ المنية^(٣) ينفذُ

٦٠ - أبو الفرج بن أبي حصين القاضي الحلبي

من أظرف الناس وأحلامهم أدباً وأبوه الذي كاتبه أبو فراس وساجله ومدحه السريّ وأخذ جائزته ونطق كتاب اليتيمة^(٤) بنبذ من شعره في عرض شعر أبي فراس ولم أسمع لأبي الفرج املح من قوله فيمن أبي ان يضيفه :

(١) الصيقلين : الصيقل من يضع السيوف ويصقلها .

(٢) خدرا : كل ما ستر من بيت ونحوه .

(٣) سمّت المنية : طريق الموت .

(٤) اليتيمة ج ١ ، ص ٣٤ .

وأخ مسّه نزولي بقرح^(١) مثل ما مسّني من الجوع قرح
 بت ضيفاً له كما حكم الدهر ر وفي حكمه على الحرّ قبح
 فابتداني يقول وهو من السكر ة بالهم طافح ليس يصح
 لم تغرّبت قلت قال رسول الـ لله والقول منه نصح ونجح
 سافروا تغنموا فقال وقد قا ل عليه السلام صوموا تصحّوا

ولم أسمع في عموم الخيانة ووراثه الناس أباهم آدم إياها غير قوله :

كيف نرجو الوفاء من نسل من لم يف لله في جنان بحبة
 وعزیز في العالمين امين خان عهداً أبوه في الخلد ربه

وله في عتاب الدهر على قصده الكرام :

يا دهر مالك طول عهدك ترتعي روض المعالي بارضاً وحميماً^(٢)
 يا دهر مالك والكرام ذوي العلى ماذا يضرّك لو تركت كريماً

٦١ - أبو الفرج عبد الصمد بن علي الصوري

قال من قصيدة :

وإذا ما احتوت أنامله الرق ش^(٣) كما تحتوي القنا^(٤) الفرسان
 فعلت في الخطوب ما تفعل السم ر^(٥) إذا جد بالكماة الطعان
 وقال من أخرى :

حتّام أرجو أناساً ما مدحتهم الأ جنيت ذنباً ليس تُغتفر

(١) قرح : جرح وعلة .

(٢) بارضاً وحميماً : البارض أول ما يظهر من نبات الأرض ، وحميماً : المطر الذي يأتي بعد اشتداد الحرّ .

(٣) الرقش : الأفلام ، والرقشاء من الحيات : المنقطة بسواد وبياض .

(٤) القنا : الرمح .

(٥) السم : الرماح .

لئن بحثتُ عن المعروف عندهم ان الثرى في طلاب الماء يقتفرو^(١)
وقال لصديق له يعمر داره :

دع عمل الطين للسلّاطين لا تك من اخوة الشياطين
فما بقاء الدريهمات إذا انفقن حيناً في الماء والطين
وقال :

ومن يغشُ قوماً والشبيبة برده فيليه فيما بينهم عدّ منهم
وكانت له امرأة قبيحة سليطة فقالت له في يوم مطر وثلج أي شيء يطيب في
مثل هذا اليوم فقال التطليقات الثلاث .

٦٢ - أبو الفهم عبدُ السّلام النّصبي

هو الذي يقول :

قبّلتَه اشتفي بقبّلتَه فزادني ذلك اللّمي^(٢) ألما
وسائل لي عن مبتدي سقمي مُسقم عينية مسقمي بهما

ويقول ما يشدوا به القوّالون كما ذكر المصيصي وأنا أشكّ فيه وقد كتبتَه
لحلاوته وظرفه :

لما تأملّته يفتر^(٣) عن بردٍ ولاح لي في قميصٍ غيرٍ مزرورٍ
أرسلتُ دمعِي على الخدّين منسكباً وصحتُ واحرباً^(٤) من هتكٍ مستورٍ

(١) يقتفر : يتبعه ويقتفي آثاره .

(٢) اللّمي : سُمرة في باطن الشفة .

(٣) يفتر : يكشف ويتسم فتبين أسنانه .

(٤) واحرباً : وا أسفاه واحزنه .

٦٣ - أبو السمط الرسعني وأخوه أبو مالك

حدثني أبو الحسن عليّ بن فارس القزويني قال كان أبو السمط وأخوه من أهل رأس عين وهما من أظرف الناس وأمجّهم وأملحهم فأما أبو السمط فإنه ذكر رجلاً يأكل وحده فقال يأكل وهو في أربعة فاستفسر فقال هو وظلّه والملكبان وهذا كما قال أبو الحرث جمين وقد سئل عن مائدة محمد بن يحيى فقيل من يحضرها فقال أكرم الخلق والأمهم يعني الملائكة والذّباب ، وسأل عن غلام استشرطه فقيل هو فاسد فقال : في فساد صلاحه ، ومن نوادر شعره قوله :

والذي أرسل إبراهيم بالحقّ وعيسى ان اسحق بن عمرو يشتهي آية موسى
وله في المجنون :

ويحك يا ايرى اما تستحي تفضحني ما بين جلاسي
تخرج من جيبي بلا حشمة وتطرح المنديل عن راسي
وأما أبو مالك فإنه يقول :

جعلنا النرد ورداً كل يوم واعملنا معتقة المدام
لنجعل نقلنا ممّا أفاءت فننتقل الحرام على الحرام
وهو القائل :

ملكتم مجامع الطيّب الرّيب^(١) أرى ما شئت من حسن وطيب
وفيه ما أصون كتابي عنه .

٦٤ - أبو الثريا الشمشاطي

حكى المصيصي كان أبو الثريا صديقي وكان يستكثر من الجوّاري ولا يصبر

(١) الرّيب : الشاة التي تربي في البيت للبهنا .

على واحدة منهم حتى يبيعها ويستبدل بها فرأيت منهم جارية رومية تسمى ظريفة
فقدّمت يوماً اليه المائدة وقد نسيت الملح فقال لها أين الملح فأشارت الى وجهها
وقالت هنا قال فعزمت على امساكها وقلت لها أتُحسنين الحشو قالت ذاك اليك ،
قال ومما علق بحفظي من شعره ما أنشدني في أبي الأعين انطاكي :

لي صديقٌ منجّمٌ وطيبٌ شاعرٌ شعره غذاءُ الرّوح
فهو طوراً كمثل جامع سفيا ن وطوراً يحكى سفينة نوح
حدثني الحامديّ ان من الأبيات التي علقها الصاحب في سفينته قول أبي
الثرّيا من مقطعة في مختطّ :

كأنه البدرُ في لَلاءِ غرته^(١) قد زار جبريلَ في عيدهِ فغلّفهُ

٦٥ - أبو الفتح المُحسن بن علي البديع

من أهل حمص يقول في الغزل :

بالذيّ الهم تعذيب	جي	ثناياك	العذابا
ما الذي قالته عينا	ك	لقلبي	فأجابا

ويقول في عزل صارم الدولة :

مَنْ كان يستعلى بتقليد ما	يسوسه بالرّأي أو بالبدية ^(٢)
فصارم الدولة ما حطّه	عزلٌ ولا يرفعه ما يليه
فلا تطب أنفُسُ حسّاده	فإنّما أغمده متتضيه

(١) غرته : بياضه .

(٢) بالبدية : بديها أي ارتجالا .

٦٦ - أبو الفرج بن حيدر الحمصي

قال من قصيدة :

ما كنتُ مفتخرًا بما قدّمت من مدحي لغيرك إذ مديحُك ارتجى
فالبیتُ لم يفخر مجاوره إذا ما طوّف الأفاق ما لم يحجّج
ومن أخرى :

له بين العوالي^(١) والمعالي وبين شبا^(٢) المهتدة الذكور
مقامات شرفن فما يبالي أمات على جواد أم سرير
وقد أخطأ في ذكر موت الممدوح ومن حقه صيانتة عنه .

٦٧ - أبو الوفا الدميّاطي

يقول في المصريين من أصحاب عزيز :

إذا ما قطعتم ليلكم بمنام وافنيتم أيامكم بمدام
فمن ذا الذي يرجوكم لملمة ومن ذا الذي يأتيكم لسلام
رضيتم من الدنيا بأهون بلغه بشرب مدام^(٣) أو بنيك غلام
ويقول في عزيز مصر :

يا مالك الوقت والزمان ومن علا في عظيم شان
ضدان ما استجمعا لخلق وجهك والفقر في مكان
ويقول نثرًا في امرؤ^(٤) التحي : قد صدئت مرآته وكسف بدره وتشوك

(١) العوالي : الرواح .

(٢) شبا : حدّ السيف والذكور من السيوف : الذي شفرته من الحديد الجيد ومنته حديد غير صلب .

(٣) مدام : خمر .

(٤) امرؤ : الفتى الذي ظهرت لحيته متأخرة .

زعفرانه وتسبّج^(١) زمرده .

٦٨ - أبو معشر الكاتبُ من أهل البحرَيْن

قال له العلوي الوسي : يا أبا معشر إنك كالمسك ان امسك عبق وان بيع
نفق ، فقال : وأنت يا أيها السيد كالقطر ان وقع على البحر اخرج الدرّ أو على البرّ
اخرج البرّ ، وقال بعض السوّال واسونا يرحمكم الله فقال : ان واسيناكم
ساويناكم ، ومن بارع شعره قوله من قصيدة :

وليلة خضتها على عجلٍ وصباحها بالظلام معتصمٌ
كانما الدّجن^(٢) في تراحمه خيلٌ لها من بروقها لجمٌ

وقوله :

أتاني زائراً فحكى هلالاً واتبعه صدوداً مستظلاً
فقلت الا تعود فقال لا لاً دوام الوصل يورثك الملاّ

٦٩ - أبو الرّماح الفصيصي

يقول في البرق :

إذا ما لاح احمر مستظيلاً حسبْتُ اللَّيْلَ زنجياً جريحاً

ويقول في الفستق ما هو من أحسن ما قيل فيه :

مثل الزبرجد في حريرٍ احمرٍ في حقّ^(٣) عاجٍ في غشاءٍ أديم

ونظيره قول أبي اسحق الصابي ولست أدري من السارق والمسروق منه :

(١) تسبّج : أي تحوّل الى خرز أسود

(٢) الدجن : الظلمة الدامسة .

(٣) حق : وعاء يوضع فيه الطيب وسواه .

والنقل من فستق حديثٍ رطب تبدى به الجفافُ
لي فيه تشبيهُ فيلسوفٍ ألفاظه عذبةٌ خفافُ
زمرّدٌ صانه حريرُ في حقّ عاجٍ له غلافُ

والإمام السابق الى وصفه الصنوبري في قوله :

وحظي من نقل اذا ما نعته نعت لعمرى منه احسن منعوتِ
من الفستق الشاميّ كلّ مصونةٍ تصان عن الأحداث في جوف تابوتِ
زمرّدَةٌ ملفوفةٌ في حريرةٍ مضمّنةٍ درأً مغشًى بياقوتِ

وأشدني له بعض الغرباء وقد نسيت اسمه ويروى لابن سكرة :

ورد البشير مع الصباح بآئه لي زائرٌ فاستعبرت اجفاني
يا عين قد صار البكا لك عادةً تبكين في فرحي وفي أحزاني
ومن أمثاله الجيدة قوله :

قد يبعد الشيء عن شيءٍ يشابهه إنّ السّماء نظيرُ الماء في اللّونِ

٧٠ - أبو الغوث بن نحرير المنيحي

ذكر المصيصي أنّه أظرف الناس وأملحهم شعراً وأحضرهم جواباً وقال في صديق جفاه :

هجر المعلّى واستمرّ جفاؤه نفسي وان نقض العهد فداؤه
خلّ اذا الإغياب^(١) جدّد غيره أضحى تجدّده لدى لقاءه
وقال :

كأن حنّاءها براحتها دماء من قتلّت بهجرتها

(١) الإغياب : القوم الذين يزورونه يوماً ويتركون آخر .

شباب من شاب في محبتها
من زخرف الرّيش حسن زيتها
فاودعتها واوات طرتها^(٢)

وسودته فحلّها لبست
نقشاً كاعطاف تدرج^(١) اخذت
كأنها قد توسدت يدها

وقال في الشقايق والنجس :

لكلّ خدّ مخجلٍ طرفٌ أرق
بالمسك بين شارعين مع ورق

فتح الشقايق في منابت نرجس
كخرايط الديباج حمراً ختمت

وقال في الغزل المؤنث :

بضميرها الخافي ونحن سكوت
حرنى وفي يسراها ما روت^(٤)

نظرتُ اليّ بمقلتين فنمتا^(٣)
وكان في يمناهما هاروت يسـ

وقال :

لمشركة في الودّ رثّ جبالها
لما كان مغبوطاً^(٥) بها من ينالها

اليك فمثلي لا يوحد في الهوى
فلو نال عين الشمس كلّ محاولٍ

وقال :

فابك شباباً قد مضى وانقضى
وليته سوغ ما عوضاً
يحيل بالاكراه سخطي رضا

إن كنت تبكي لحبيبٍ مضى
عوضني الدهر مشيبي به
سخطه والموت في أثره

(١) أعطاف تدرج : جنبات تتأيل .

(٢) طرتها : جبهتها ، أو ما تصفقه المرأة من شعر عليها .

(٣) نمتا : أشارتا بهمس وخفاء .

(٤) هاروت وماروت : ملكان في بابل .

(٥) مغبوطاً : أي مسروراً .

وقال في الغزل المؤنث :

ينبي بعذري لآحياً للآحى^(١)
مسكيةً النفحات والارواح

طلعت بوجه عاذلٍ لعواذلي
درية البشرات إلا أنها

وقال :

عما سواها من سائر الوطر
لا حظّ فيها لنا سوى النظر

مبدولة للعيون قد حظرت
كأنها صورة مصورة

وقال يشكر :

كما وفر الغيث روض البطاح
كخافية الرّيش تحت الجناح

يوفر حالي ابو حازم
خفيت على الدهر في ظله

سرقه من قول ابي نواس :

فعيني ترى دهري وليس يراني

تسترت من دهري بظل جناحه

وقال :

حبي اذا ما قلت حبك فاتني
حجبت بهن محاسناً بمحاسن

بحثت لتعرف فتنتي فاستخبرت
حجبت حياءً وجهها بأنامل

وقال :

ضناً عليّ بطيفك المعتاد
لتفكرّي نصب لعين سهاد
متصور لك في ضمير فؤاد

إن كنت تفجع مقلتي برقادي
فامنح سهادي^(٢) ان شخصك مائل
اغياك بخلقك باللقاء على امرىء

(١) الآحى : اللائم .

(٢) سهادي : ارقى .

وقال في الحمى :

وحمى حمتني النوم حتى كأنما	شقوقُ جفوني في الصفاة صدوع ^(١)
تهبّ شتاءً ثم تعقب صايفاً	أما لسنيك المنكرات ربيعُ
أدثر عنها بالحشايا تعللاً	وليس لها عمّا تريد رجوعُ
إذا كان نبض السّهم من باطن الحشا	فكيف تجنّ المرء منه دروعُ

وقال :

أأرى عيوب العالمين ولا أرى	عبي خصوصاً وهو مني أقربُ
كالطّرف يستجلي الوجوه ووجهه	أدنى إليه وهو عنه مغيبُ

وللاميرابي الفضل الميكالي ايده الله تعالى في مثل هذا التشبيه وغير هذا المعنى :

كم والدٍ يحرم اولاده	وخيره يحظى به الأبعد
كالعين لا تبصر ما حولها	ولحظها يدرك ما يبعد

وله من قصيدة في مجد الدولة وقد خرج في حرب :

وقد بدأت اصوغ الفتح عن ثقة	بغاية لك تجلو الدهر في حُلل
انال ما نلت من جدواك مبتدلاً	حتى اذا قلت فيك القول لم يُقل
لكل مصغٍ لشعري حين انشده	في محفل طرب العذري للغزل

وقال :

صل السعي فيما تبتغيه مثابراً	لعلّ الذي استبعدت منه قريبُ
وعاوده ان اكدى ^(٢) بك السعي مرة	فبين السّهام المخطيات مصيبُ

(١) صدوع : شقوق .

(٢) اكدى : تعثر ولم يظفر بحاجته .

وقال :

يا واحد الكافين والملك الذي
درت رسوم معاشر لم يدركوا
وبيت بائتهم يغطّ موسداً
اتنقّد القول الرصين واجتني
إن كنت تعطيهم على الشعر اللّهي^(١)
إن كنت تبغي مدحهم أو شكرهم

وقال يستهدي شراباً :

دعوت ابا الفضل الوري ونسيتني
فلا تطو انباء الذين دعوتهم
ولي قدح في كل دور ادرته

وقال من قصيدة :

وربّ ليل غداف^(٢) خلت أنجمه
معمراً طلع الجوزاء راکعة

ومنها :

ابارق صدع الظلماء^(٣) مضطرباً

وقال في النرجس :

قد ضحك النرجس في الأقطار

دانت لعز علاه املاك الوري
شاوى ولا شقو العجاج الاكدرا
وابيت ليلي كالسليم مسهراً
غرر المعالي منجداً أو مغوراً^(١)
فالشعر يقضي أن تخص الاشعرا
فعليك من إن قال قولاً سترأ

ولي الف عين بالصديق موكله
فقد نقلت مشروحة ومفصلة
فمر لي بها تيك التفاريق مجمله

فيه بواقى خمير لمعت فحما
كانها قوست في طوله هرما

ام الوزير الخطير ارتاح مبتسما

تجمع بين الزهر والنوار

(١) مغوراً : المقاتل الكثير الغارات .

(٢) اللّهي : أفضل العطايا وأوسعها .

(٣) ليل غداف : ليل خصب مليء بالسعة والنعيم .

(٤) صدع الظلماء : أي كشفها وأثارها .

لم ير شخصٌ قبلُ في الاعصار أَلْفَ ضِدِّي برِدٍ و نارٍ
كأنَّه اذ شيمَ بالابصار يخدم يوم مهرجانٍ طاري^(١)
بدرهمٍ ضمَّ الى دينارٍ

وقال :

لا غرو للزَّمن البخيل اذا سخا قد يرسل الحجر العيون النضْخا^(٢)
كأنه من قول الله عزَّ وجل : وانَّ من الحجارة لما يتفجر منه الانهار ، وقال :

قد فات امسٍ ولم اثنقُ بغدٍ فما اعتدَّ وقتي غير يومي الحاضر
والعيشُ وقتي وهو مني آخذُ فالرأيُ اخذي منه حظَّ مسافرٍ

وقال من قصيدة :

لا يغرنك تجملي فلقد اسبلته سترأً على سغب^(٣)
هو كالخضاب على المشيب متى ما تبلَّه^(٤) تكشفهُ عن كذب

وقال وقد قبض على الوزير يوم الاربعاء :

يومٌ تهاوت شمسُهُ من عالٍ مُسختٌ به الأيامُ فهي ليالٍ
واذا اختبرت الاربعاء لامرهم فدبار^(٥) في الادبار اصدقُ فالِ
يا واحد الكافين بل يا كعبة الـ عافين بل يا غايةَ الآمالِ
ما كنت الا العضب^(٦) فللَّ^(٧) حدَّه بشبابة^(٨) مدرى الكاعب المكسالِ

(١) طاري : مفاجيء .

(٢) النضْخا : الغزيرة الفوارة .

(٣) سغب : جوع .

(٤) تبله : تختبره .

(٥) دبار : الهلاك والخرابة .

(٦) العضب : السيف القاطع .

(٧) فللَّ حدَّه : ترك به ندوباً .

(٨) شبابة : حدّ .

شمسُ الضحى مني سلامِ القال^(١)

فعلى قوافي الشعر حتى تنجلي

وقال :

وفترة لحظها نشوى القوام
وعن قلبي همومي بالمدام
كعطف الاعوجية في الحزام

وغضبي في الرضى بالتيه وسني
نفت عن مقلتي نومي بوصل
فبت وعطفها في ضيق ضم

وله :

غازلته به ذيول النسيم
حسدتها السماء ذات النجوم

عطر الماء نشر نور وزهر
وتحلّت بهارها^(٢) الارض حتى

ومن قصيدة :

راعبٌ حتى التقيا بالنجاد
الحاظ سعدي وثنايا سعاد
ومتقى السطوة حتى التناد
في حالة سمع الفتى والفؤاد

اسف^(٣) غيمٌ وعلا سيله ال
فقد اعار الروض وسمين^(٤) من
تمله وابق^(٥) مزجي الندى
واستجل^(٦) سحرأ وارداً لفظه

ومن اخرى :

أجوب به الدنيا على قدم الخضر

وعزم حمى عني المقام كأنني

(١) القال : المهاجر .

(٢) بهارها : خيرها العميم ، أو لبست حسننها وأخذت زينتها .

(٣) اسف : أكثر .

(٤) وسمين : الوسمي ، المطر .

(٥) وابق : مهلك .

(٦) استجل : من تجلّ أي ظهر وطلع .

ومن اخرى :

نزفَ لمغناك التَّهاني بالفطر
وعاميره ما امتدَّت به فسحة العمر
ورأيك مجبولٌ على طولك الغمر^(١)
غدا بدرها كالشمس والنجم كالبدر
لكم اشياءٌ حتى انقضى فيكم عمري
يثبت في ابوابكم قدم الشكر
فان قريضَ الحمدِ من اكرم الذَّخر

كفى الفطر في الاعياد فخراً بأننا
فعاوذه ما حلَّ الزمان معاوداً
أفارق ردي دون قوتِ أرومه
ولو انَّ للافلاك مالك في العلى
تعلمت قول الشعر طفلاً وصغته
فلا غرو ان اسعفتومني بطايل
اذا كان خير الذخر ابقاه في الورى

ومن اخرى :

حمى ذراريه^(٢) بفجر مغير
خط عمودٍ من صباحٍ منير
عن افقها رأى الوزير الخطير
فوق السهى^(٤) تربُّ مقرر السرير

وربَّ ليلٍ خضته رامياً
والشرق قد مزق ظلماءه
كسدة الملك جلا ليلها^(٣)
سما به الملك الى ان غدا

ومنها :

للشمس يعلو قدرها عن نظير
كالبحر يدعوك اليه الخير
فيه ولا الرعدُ خطيبٌ جهير

موحد السعى اتى مشبهاً
دلَّ على انعامه صيته
في هيئة لا البرق وافي الخطى

ومنها :

نشارة المترب نزر^(٥) يسير

وغايتي ما يقنع الحظ من

(١) الغمر : الثوب الواسع .

(٢) ذراريه : الذِّرا : كل ما استتر به .

(٣) جلا ليلها : أزاح وأثار الظلماء .

(٤) فرق السهى : أي مفرق الشعر فيها وهو رأسها والسهى كوكب في السماء والمقصود ان السهى أصبحت مقررًا لسريه .

(٥) النزر : الشيء القليل .

وَمَنْ يَكُنْ هُمُكَ فِي صَدْرِهِ

وَمِنْ أُخْرَى :

غدا جيشه فضلاً عليه كما غدا
فما يرزق الاحرار الا لعادة
عزيز السجايَا تعتريه لاجاة^(١)
لئن جهل الاعداء ما قد منوا به^(٢)

ومنها :

وشى بالربيع الطلق ورق هواتف
تميد بها في جانبيها كأنها
يقبل بعض النور^(٣) افواه بعضه
وتصطفق الاوراق من نفس الصبا
سأشكرك النعمى التي تركت يدي
فسوف يبين العتق^(٤) عندي بشكرها

وقال :

بك استعبت أيامي قديماً
بسابقة اختصاص صار فيها
شريت بسالف الانعام رقي
فأما ان تعين على مقام

فالخلق والدهر لديه حقير

له السيف فضلاً جفنه والحمائل
تحكم انعام عليها ونائل
اذا لامه في الجود والبأس عاذل
فان فراش النار بالنار جاهل

تداني الثرى اغصانهن الموائل
طلبي رجعتها بالنعاس الرواحل
اذا اعتنقت فيه الغصون الشوايل
كما رفرف الاطيار والليل قافل
يمن بها صوب الحيا^(٥) وهو آمل
كما بان عتق الطرف والطرف صاهل

كما فزع الغريم الى الكفيل
سبيل عشيرك الأدنى سبيلي
ولم تك بالملول المستقيل
وأما ان تعين على رحيل

(١) لاجاة : إلحاح ، أو عناد في الخصومة وتماز بها .

(٢) منوا به : أصيبوا .

(٣) النور : الزهر .

(٤) صوب الحيا : المطر .

(٥) العتق : الشرف والنجاة وخلوص الأصل .

وقال :

وأعاف بعض مذلة الاقلال
والى المنية خوف شيب قذال^(١)

ارضى بكل الذل في طلب الغنا
كمن استراح الى العمى حذر العشى

ومن قصيدة :

مستعديات منك بث مواهب
حصباء من قطرات وبل^(٢) صائب
درر القطار لها حلى ترائب
لف العناق مطافاً بذوائب
في الماء رقم حوافر في لاحب
نجوى المنى وعدت بوصل حباب
لقلائد ومباسم لكواعب

زارتك ايام الربيع فاصبحت
بغمائم نشرت على الحصباء كال
لبس الغصون النور وشياً واغتدا
لفت منورها بمورقها الصبا
فتملأها والملك ما رقت صبا
واستجلها تحف النفوس كأنها
كأزهر بحمائل ووسائط

وقال يهجو ابا الفضل زيد بن محمد بن علي بن القاسم :

اربابها عن لمع برق جهام^(٣)
عن كأس مشمول واير غلام
بفياشل^(٤) زقية الاورام
رفعوا ذبول القمص من قدام

أبا النقيص ففي الفضيل مزية
من همّة لك ليس فيها فضلة
تبدي اللواط بهم فلم تختارهم
وزعمت تعفجهم^(٥) فلم خرجوا وقد

في فخر الملك وزير الوزراء ابي غالب محمد بن علي :

ما جاد بالوفر الا وهو معتذر
ولا عفا قط الا وهو مقتدر

(١) قذال : العيب .

(٢) وبل : المطر .

(٣) في لاحب : في طريق واضح .

(٤) جهام : اسوداد - تجهّم .

(٥) فياشل : ذكر الرجل ، قضيه .

(٦) تعفجهم : العفج الضرب بالعصا وهنا : يلوط بهم .

وكلّما طرقوه زاد نائله كالنار يؤخذ منها وهي تستعر
وله :

قد قلت لما ضعفتْ حيلتي واشتدّ شوقي وجفاني الخليل
اصبحتُ مكروباً^(١) بدار الهوى فحسبي الله ونعم الوكيل

٧١ - ابو منصور عبد العزيز بن طلحة بن لؤلؤ

صاحب بريد الخليفة القادر بالله ، من مشهور قوله السائر :

سألته قبله فبادر بالتّ قبيل مستبشراً الى قدمي
فقلت مولاي إنّ اردت بها سرور قلبي جعلتها لفي
فقال كلا للبعد منزلة لزومها من حراسة النعم

وله من قصيدة في القادر عند جلوسه للحجيج :

عش سليماً اخرى الليالي البواقي لك من سطوة الحوادث واق
يا . بديع الفعال بين ملوك ذكرهم نافد وذكرك باق
نظر الله للعباد فولا ك واعطاك قسمة الأرزاق
أيها القادر الذي فوق قرن الشّدّ مس في بعدها وفي الاشراق
انت للمجد هضبة رُتب النا س اليها في المكرمات مراق^(٢)
طال ما فتّ طالبيك وغبر ت قديماً في اوجه السباق
وعمرت البيت الحرام واهدي ت اليه طرائف الآفاق
يسلك الرّاكب المكلّ اليه وهو فردّ من امنه في رفاق
انما وارثُ الخلافة من سا س الرعايا باللين والاشفاق

(١) مكروباً : حزناً .

(٢) مراق : درجات ، أي ان الناس تحاول أن ترقى لتصل اليها .

هذه بردة النبي التي كا والقضيب الذي يحن الى كفّ في يفاع السرير اروع ما تعد اشبه الناس بالنبي ابي القا يردد القلب والفرائض خوفاً فلو انا نستطيع بين السماطيه وله في فخر الملك ابي غالب :

اطال الله عمرك للمعالي ولا زالت سيوفك كل يوم
فانك اكمل الثقلين طراً وكفك للعطيات الرغاب
تحكم في الجماجم والرقاب واکرم من مشى فوق التراب

ومن كلامه : انّ النعمة لا تستدام بمثل الانعام ، والقدرة لا تستبقي بمثل العفو . ودعا لصديق له فقال : صان الله عن سماع المكاره سمعك وعن البكاء على الاحباب دمعك .

٧٢ - ابن أبي مرّة المكيّ

يقول في ابي الفتوح والي مكة :

يا سيداً فديته بروحي خوكك الله ابا الفتوح
ملك سليمان وعمر نوح

(١) كل متاق : كل اشتياق وتطلع .

(٢) استراق : نظر مستخفياً ، واليفاع : الترعزع والغلام قارب البلوغ .

(٣) الفسطاط : بيت من الشعر .

(٤) السماطين : بين جانبي الطريق او ما يسطليوضع عليه الطعام .

ويقول عند مقامه ببغداد:

أصوم شهراً ثم اخرجُ غادياً نحو المصلّى اقطعُ الأميالا
فيجرُّذا ثوبي واجذب ثوب ذا وازاحم السَّقَّاطَ والأنذالا
شربي صبوحةً واستماعي قينةً اولى بانُ القى به شوالا

ويقول في أبي خلف التكريتي :

رأيت ابا خلف راكباً وقدّامه تحمل الغاشية^(١)
فلم ادر أيهما لحيةً ولم ادر أيهما الغاشية

٧٣ - ابو حمزة الذهلي

من اهل الطائف المقيمين بالعراق شاعر مليح الشعر ظريفه ، انشدني
القزويني له من الغزل :

ومستبيحٍ لقتلي ما ان يمرَّ ويحلي
سنوه عشرٌ وخمسٌ كالبدْرِ عند التجلي
مصححي حين يدنو وفي التناهي معلي^(٢)
ما شوش الصّدغ الا لكي يشوشَ عقلي

وله :

اظهر الكبرياء تيهاً وزهواً فتلقّيته بذلّ الخضوع
وحباني ربيع خديّه بالور د فامطرته سحاب دموعي

وانشدني ابوطالب الطبري له في حمى رئيس ثم وجدته في شعر الرّستمي من

(١) الغاشية : الغطاء والمصيبة وسورة من القرآن الكريم .

(٢) معليّ : ممرضي .

قصيدة ولم اسمع في معناه احسن وابدع منه :

وزائرة اتت من غير وعدٍ لتأخذ منك حظاً من نوالٍ
هي الحمى التي تضحي وتُسمي على ليث الشرى في كلِّ حالٍ
رأت سطوات بأسك في الأعادي فظنتك الهزبر^(١) من الرجالِ
فلما فاح عرفك من بعيدٍ تولّت بانكسارٍ وانخِذالِ

٧٤ - أبو شبّل الشعيري

من باب الشعر يتطيب ويتماجن ويشعر وسأله بعض من يعاديه عن دواءٍ لعينه العليلة فقال خذ ورق الحجارة وغبار الماء وعصارة الشمس ودهن الجليد واجعلها شيفاً^(٢) واكتحل به ، وانشدت له شعراً لم يعلق بحفظي منه الا أوّل بيت :

إذا ما متّ فلتمطر فؤوسٌ ولا برحت عراقكم النحوس

وذكر علةً رئيس كان يعالجه فقال : هي بيضة الديك وواحدة الدهر وساقه الجيش وخاتمة السقم . العصفري يقول في السلامي :

رأيت في الجامع حوافة^(٣) في وسطها شيخٌ له شأنٌ
عليه طرطورٌ ودراعة لها ذبولٌ وجربانٌ
فقلت من هذا العظيم الذي كأنه في التيه سلطانٌ
أجاءه جبريل عن ربّه أم عنده وحيٌ وتبيانٌ
فقلّ هذا شاعرٌ مفلق^(٤) له اماديحٌ وديوانٌ

(١) الهزبر : الأسد الضخم .

(٢) شيفاً : زينة

(٣) حوافة : جماعة من الناس في شكل حلقة .

(٤) مفلق : بارع مشهور .

فقلت امرؤ القيس فقالوا صه^(١) فقلت هذا الشيخ حسانُ
قالوا ولا حسان هذا اذا قلت فذو الرمة غيلانُ
قالوا السلامي فقلت اطبقي ذا محلبان الضرع لبانُ
الشعر لا يسوى ولا أهله هذا فلم ذا الشيخ غضبانُ
وإنما الشاعر مستنزه تلهو به النفس وبستانُ
أما مجيدٌ فهو مسترفدٌ أو باردُ الشعر فصفعانُ

٧٥ - أبو مسلم الجهنّي

يقول :

امهد لنفسك يا أبا الفياض واعلم بأنك عن قليلٍ ماضٍ
ويحوز مالكٌ وارثٌ للمال أو موصىٌ إليه أو وكيل القاضي
إنّ الكبير إذا تناهت سنّه أعيت رياضته على الرواض^(٢)

ويقول :

وإذا بليتٌ بجاهلٍ متحكّمٍ يجد المحال من الأمور صواباً
أوليئّه مني السكوت وربما كان السكوت عن الجواب جواباً

وله :

أتيتُ أخاً لي في حاجةٍ وكنتُ عليه خفيفَ المؤنّ
فانكر معرفةً لم تزلْ وأبدى منكرةً لم تكنْ
وقال وجاهدني وده أبو منّ وممنّ ومنّ وابن منّ

(١) صه : أي اسكت .

(٢) رياضته : أي ترويضه حتى يذعن وينقاد .

٧٦ - أبو الفضل الفضلي الكسريّ

قال يهجو :

عيناه عنوان شوم والشوم في العنوان
في صلب آدم سمي مبشر الأحران

وقال يحكي عن ماجنة ظريفة دواء الخمار :

يا لعيّارة تقصّر للعا شق بالظرف والنوادر يومه
سئلت عن دوا الخمار فقالت كومة ثم نومة ثم عومه
وأنشدني له من لا أثق به :

كلّ أمرٍ وإنّ تضايق جدّاً فله بعد ما تضايق فسحة
فارجُ كشف البلاء عنك وشيكاً إنّ كشف البلاء في قدرٍ لمحة

٧٧ - أبو قيس التيمي

من أهل النهروان ويقال من أهل الحيرة احد الظرفاء المجان ولشعره حلاوة
وطلاوة كقولهِ :

نزلت على أبي سعد فحى وهياً عنده فرش المقيّل
وقال عليّ بالطّباخ حتى يزيد من البوازد والبقول
فغدّاني بريحه الأماني وعشّاني بميعاد جميل

وقوله :

سوءة سوءة لوجه كتاب كلّ ألفاظه لديّ زيوف
وكانّ الحروف منه سياط وكانّ السطور منه سيوف

وقوله :

عدّ عمن شئت واندّم تربع الأمن وتسلم

ما يساوي من اخلا ثك انسان بدرهم

٧٨ - أبو الخطّاب مُحَمَّد بن عليّ الجبليّ

هو حيّ يرزق وشعره عذبٌ متناسبٌ ومدح الشيخ أبا بكر القهستاني
أيده الله فاطنب واللّهي تفتح اللّها وأعطاه ديوان شعره بخطه فشاركني في فوائده
كعاداته في غيره فاخترت منها قوله في قصيدة :

رويدك قد أصبحت جارا لأحمد
لأفضل من يُغشى^(١) على بعد داره
وحسب امرئ ان يستجير بجاره
وأكرم من يُغشى^(٢) إلى ضوء ناره
ومنها :

ليهنك عيد بالسّاعات طالع
ومن أخرى :

توالت سعودي حين واليت مجده
صفا خلقه للمكرمات من القذى^(٣)
يدلّ على علياه حسن ثنائه
ومن أخرى :

معلّل لي بوعد غير منجزه
ومستحلّ بسيف اللّحظ سفك دمي
ومطمع في وصال غير باذله
وأحب بذلك من سيفٍ وحامله
ومن ربعية :

ورياضٍ مختالّةٍ من ثراها في بروءٍ من زهرها وعقود

(١) يغشى : يطلب ويعصد .

(٢) يغشى : أي يستضي بنوره والأعشى : من ساء بصره بالليل والنهار .

(٣) القذى : ما يجري من وسخ في مدمع العين .

وكأنّ الغصون فيها عوان^(١)
وكأنّ الأطيّار فيها قيان
وكأنّ المياه في خلل الرّو
وكأنّ النّوار تغمز بالأع
تتبارى زهواً بحسن القدود
تتغنّى في كلّ عودٍ بعود
ض سيفٌ تُسلّ تحت بنود
ين منه على ابنة العنقود

وله من قصيدة يهنيء بعض الرؤساء بالسلامة من نهب الغاغة داره :

تدلّ على تفضلك الرّعايا
ولولا شبهة دخلت عليهم
إذا سوّغت مالك كلّ عافٍ
فلا يطمع ترّفقك الأعادي
ولا تستقصرنّ فربّ حلمٍ
وما ترضى مساعيك انتصافاً
إذا وقع القصاص على التّساوي
كادلّال العبيد على الموالي
لما عرضوا لديك لنهب مالٍ
توهّم سايغاً في كلّ حالٍ
فإنّ اللّيث يلبّد للصيّال^(٢)
عن الأعداء أبلغ من نكال^(٣)
من السّفهاء إلّا باحتمالٍ
فما فضل العلاء على السّفال

ومن أخرى في التهنية بالمصاهرة :

موهبةٌ لم تزل لسؤدها
وعقد مهرٍ جمال مفخّره
فيا لها وصلةً اليك بها
الى علاها الفخار منتسبٌ
مجدّ حوى كفوه وما اقترن السد
لما امرت عقود لحمتها
تسمو الأماني وتطمح الهممُ
أولى به أن يهنأ الكرمُ
ظلّت وفود السعود تزدهمُ
وعن سناها الزّمان مبتسمُ
عدان إلّا تلاقت النعمُ
ظلّت عرى الحادثات تنفصمُ^(٤)

(١) عوان : طويلة مياسة والعوانة النخلة .

(٢) الصيّال : الوثوب والحركة .

(٣) نكال : من التنكيل أي الإغارة والقتل .

(٤) عرى الحادثات تنفصم : أي ما يجمع بين أطراف الأحداث يتلاشى ويزول .

إِنْ كَانَ وَقفاً عَلَيْكَ مَفْخَرُهَا فَسَعِدْهَا فِي الْأَنَامِ مَقْتَسِمُ

٧٩ - أَبُو يَعْلَى مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ

من شيوخ الصوفية وظُرَّاف الشعراء وفضلاء الغرباء وخلفاء الخضر والأقذاء
في عين الأرض قد نَقِب في البلاد ولقي أفاضلها واستكثر من فوائدهم وحفظ الغرر
من ظرائفهم ولطائفهم وطراً على نيسابور في سنة احدى وعشرين وأربع مائة فأفادنا
مما لم نجد عند غيره وعرف الأمير أبو الفضل أيده الله تعالى حق فضله فأكرم مثواه
وأحسن قرأه كعادته عند أمثاله واستكثر عند كتابه وأصحابه من تعليق فوائده
والاقتباس من نوره وحين اراده الأمير على الإقامة بحضرته وازمع^(١) ارتباطه في
جملته لم يصبر عما ألفه من الاضطراب في الاغتراب وتعوّده من عيش الحجرة وخبز
السفرة وتزوّد من برّه وكتبه وانقلب مسروراً إلى أهله فمن ملح ما انشديني لنفسه قوله
من قصيدة في المدح هي غرة شعره :

طربوا الى نغم القيان فبذّهم	طربُ الى نغم الوغى مرتاحُ
تمحو دجى الاعدام راحة كفه	كرماً كما يمحو الهموم الراحُ
يا ناصرَ الملك الذي آراؤه	في كلّ خطبٍ مظلمٍ مصباحُ
قبّلت ثغراً من مديحك نشره ^(٢)	كالمسك فاح وطعمه التفاحُ

ومن أخرى :

يا أبا القاسم الذي قسم الرّح	من من راحتيه رزق الأنام
أنا في الشعر مثل مولا في الجو	د حليفاً مكارمٍ ونظام
واذا ما وصلتني فأمير الج	ود اعطى المنى أمير الكلام

(١) أزمع : قرّر .

(٢) نشره : عبّقه وفيحه .

وقوله من أخرى :

إذا المجدُ وافاني^(١) فليس بضائري
عفوتُ عن الليل الطويل بذي الغضا
وقوله في دواة ابنوس :

ومغموسة في مثل لون لعبها
على مثل قيد الشبر لكنّ بأسه
قرنت به همّاً بعيداً وهمّة
وقوله في عجوزٍ أكل :
لي عجوزٌ كأنّها الـ
ناطقٌ عن جميع أعـ
غير أضراسها ففـ
اعظمُ غير أنّها

بدر في ليلة المطرُ
ضائها شاهدُ الكيرِ
ها لذي اللب معتبرُ
أعظمُ تطحن الحجرُ

٨٠ - أبو الحسن عليّ بن غسان البصري

حدثني أبو الحسين محمد بن الحسين الفسويّ النحويّ قال ورد ابن غسان
البصري الشاعر الطبيب على أبي مضر عامل الأهواز في جملة الشعراء الذين امتدحوه
ومرض أبو مضر في أثناء ذلك فعالجه ابن غسان حتى برأ من مرضه فكتب للشعراء
ولابن غسان خطوطاً بصلاتٍ تأخّر ترويجها فقال فيه وملح وظرف :

هب الشعراء تعطيهم رقاعاً مزورةً كلاماً عن كلام

(١) وافاني : طلبني ونلت منه .

(٢) عذاري : أي الشعر الذي يحاذي الأذن من جهة اللحية وفي البيت جناس تام .

(٣) السمهري : الرمح الصلب العود .

فَلِمُ صَلَةُ الطَّيِّبِ تَكُونُ زَوْرًا وَقَدْ أَهْدَى الشِّفَاءَ مِنَ السَّقَامِ

قال وكتب الى طلحة بن عبد الأعلى يحاجيه :

زَعَمُوا طَلْحَةَ اضْحَى فِطْنًا فَسَلَوْهُ الْآنَ إِنْ كَانَ فِطْنًا

أَيُّ شَيْءٍ هُوَ مَهْزُولٌ إِذَا أَشْبَعُوهُ فَإِذَا جَاعَ سَمْنٌ

فكتب إليه يا سيدي أبا الحسن هو ما خرجنا منه .

تتمة القسم الثالث

في

محاسن أهل الري وهمدان واصبهان

وسائر بلاد الجبل وما يجاورها

من جرجان وطبرستان

٨١ - الأمير أبو العباس خسره فيروز بن ركن الدولة

قد سبق ذكره في كتاب اليتيمة^(١) وتكرّرها هنا للعذر الذي أشرت إليه وكان
أوحد أبناء الملوك فضلاً وأدباً فأدرسته حرفة الأدب واصابته عين الكمال ولما خافه
أخوه فخر الدولة على الملك بعده أمر باغتياله نظراً لولده ولم يعلم أنّ المكر السيئ
لا يحقّق إلا بأهله وإن الملك لا يلبث أن ينتقل بعده الى من قدره الله له وقد كتبت
لمعاً من شعر أبي العباس يلوح عليها رواء الملك كقوله من قصيدة :

إنّي أنا الأسد الهزبر لدى الوغى خيسي القنا^(٢) ومخالبي أسيافي
والدهر عبدي والسّماحة خادمي والأرض داري والورى أضيافي

وله في الشيب وذكر جارية له تسمى الثريّا :

ولمّا أن تنفس صبح شيبى طوى عنّي رداء الحسن طيّاً
تولّت مُنيّتي عنّي فراراً ترى وصلي لدى الفتيات غيّاً^(٣)

(١) اليتيمة ج ٢ ص ٨٧ .

(٢) خيسي القنا : رماحه من الشجر الكثيف الملتف . موضع الاسد ايضاً .

(٣) غيّاً : ضلّالاً وباطلاً .

فقلتُ هجرت يا سولي فقلت

وقوله أيضاً في الشيب :

ولمّا رأتُ لمعَ المشيبِ بعارضي
بكت ثم قالت للعذارى تجلّداً

وقوله فيه ويروى لغيره :

وقالوا أفقُ عن رقدة اللّهُو والصّبّا
فقلت أخلائي دعوني ولذّتي

وقد سرقه من ابن طباطبا حيث يقول :

وقالوا لي استيقظ فصبحك لا يحُ

ولأبي العباس :

أنا ابنُ ركنِ الدّولةِ المجتبي
عدوّهُ اهلك من ماله

وله :

لئن ملك الدنيا على الجور قبلنا
وإن سقاة الشرب لا عن كرامةٍ

وله أيضاً :

سأصبرُ حتى يجمع الله بيننا

وهل تبقى مع الصُّبح الثريّا

وقد جرّدت من جانبيّه قواضيه^(١)
وما خير ليلٍ لا تلوح كواكبهُ

فقد لاح صبحُ في دُجّاك^(٢) عجيبُ
فإنّ الكرى عند الصُّباح يطيبُ

فقلت لهم طيب الكرى^(٣) ساعة الفجر

لا تهمس الأقدار من خوفه
وعزمه انفذ من سيفه

ملوكُ فما للعالمين لنا مثْلُ
إذا دارت الصُّهباء^(٤) تشرب من قَبْلُ

ولم أرَ حوتاً فارق الماء يصبرُ

(١) قواضيه : مفردُها : القاضب، وهو السيف الشديد القطع .

(٢) دُجّاك : ظلمتك - ليلك .

(٣) الكرى : النعاس .

(٤) الصهباء : الخمر .

وله من قصيدة :

تراهم تحت جناح النّقع^(١) أسداً تههم في معاركها غضابا
تقول له العداة إذا تراءت ألا يا ليتنا كنّا ترابا

وحدثني أبو غانم معروف بن محمد القصري قال اشتط بعض المنجمين على أبي العباس في مشاهرته وقد أراد ارتباطه واستخلاصه لنفسه فلما أشرف ولج واحتج وأصر على أنه لا يقنع في الشهر بأقل من مائة دينار نكت أبو العباس بأن قال إذا كان الظن يخطيء ويصيب والنجم يخطيء ويصيب فاستعمال الظن أولى فهو أخف مؤنة من المنجم قال ولما بلغه أن فخر الدولة يتهمه باضممار السؤلة قال ليته يعلم أن شجر الآس يرضى من الفاس رأساً براس .

٨٢ - القاضي أبو بكر عبد الله بن محمد بن جعفر الأسكي^(٢)

قد تضمن كتاب اليتيمة^(٣) نبذاً يسيراً من شعره وهذا مكان ما وقع إلي من بعد كقوله وهو غاية في الظرف وانشدني أبو الفتح محمد بن احمد الدبائوني أيده الله تعالى قال انشدني القاضي أبو بكر الأسكي لنفسه :

دمعٌ تكمن في الجفون فرعته حذر الوشاة فلاذ بالأشفار
فكأن أسياف الغواة تكده وكأنه عثمان يوم الدار
فتعجبت من مواردتي إياه بقولي منذ عشرين سنة :

أنّي بليت بسيد كالدّهر إذ ينحى بسطوته على الأحرار
فرط الفظاظة^(٤) والصلابة دأبه وأنا لديه بذلة وصغار

(١) النقع : الغبار الشديد .

(٢) وفي الاصل : اللاسكي وفي اليتيمة ج ٣ ص ٢٨٨ : الاسي ، انظر ما كتبنا عنه في هامش ص ٢ .

(٣) اليتيمة ج ٣ ص ٢٨٨

(٤) فرط الفظاظة : إكثارها

فكأنه عمر بن خطاب اذا وكأنتي عثمان يوم الدار

ولم أشك في أنه لم يسمع بقولي كما لم اسمع بقوله وحسبت قولي امثل
وأرجح لجمعي بين عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما وما أشبه الحال في هذه
الموارد الا بمواردتي أبا الفرج بن هند و بقولي في صباي من نطفة :

إنسانة فتانة بدر الدجى منها خجل
إذا زنت عيني بها فبالدموع تغسيل

ثم وقعت الي قصيدة له وفيها :

يقولون لي ما بال عينك مذ رأته محاسن هذا الظبي أدمعها هطل
فقلت زنت عيني بطلعة وجهه فكان لها من صوب ادمعها غسل
وكنت قلت في صباي أبياتاً منها :

كم حيلة للوصل اعملتها وكم خداع قد تمحلته
اسرّ حسوا^(١) في ارتغاء^(٢) إذا ناجيت من اهوى فقبلته

فأنشدني الأستاذ أبو العلا ابن حنبل أنشدني الله بعد مدة طويلة لنفسه في هذا
المعنى بعينه :

جذبت كفي الغدائر منه فشمنا منها نسيم العرار^(٣)
الثم الصّدغ والسّوالف منه احتجاجاً بأننا في سرار^(٤)

فتعجبت من اشتراك الخواطر والتوارد في البدايع . عاد شعر القاضي
أبو بكر الأسكي أنشدني أبو الفتح الدبائندي له في زوال الدولة وانقراض اهلها :

(١) حسوا : تريباً ، والحسوة هي الجرعة .

(٢) ارتغاء : اخذ ما عليه من الرغبة .

(٣) العرار : نبت طيب الرائحة .

(٤) سرار : خفاء .

وكن بصروفِ دهرِكَ مستهينا
وكانت مألُفاً للعزِّ حيناً
وقفنا عندها متعجبيناً

تخيل شدةَ الأيامِ لينا
ألمَ ترَ دورهم تبكي عليهم
وقفنا معجبين بها الى أن

وله في فتي مليح صلّى الى جنبه :

وقد توجّهت الى القبله
فإنّ هذي قبله القبله

صلّى بجنبني قمرٌ طالعُ
فقال شيطان التّصابي انحرفُ

وله في الغزل أيضاً :

والدمع ينظم^(٢) والصبر ميثوثُ
بيني وبين الهوى أحاديثُ

لما لحاني^(١) العذّال قلت لهم
مروا دعوني كذا على أسفي

وله في الصاحب :

واصلُ منك الى المعترّله
لفراق الجيرة المرتحله

كلّ برّ ونوالٍ وصله
يا بن عبادٍ ستلقى ندماً

٨٣ - أبو علي مسكويه الخازن

في الذروة العليا من الفضل والأدب والبلاغة والشعر وكان في ريعان شبابه
متصلاً بابن العميد مختصاً به وفيه يقول هذين البيتين ووقعاً في اليتيمة بلا ثالث^(٣) :

فضيلة الشمس ليست في منازلها

لا يعجبُكَ حسن القصر تنزله

ما زاد ذلك شيئاً في فضائلها

لو زيدت الشمسُ في أبراجها مائة

ثمّ تنقلت به أحوال جلييلة في خدمة بني بويه والاختصاص بيهاء الدولة وعظم شأنه

(١) لحاني : لأمني .

(٢) ينظم : ينهمر ، يندرف .

(٣) اليتيمة ج ٣ ، ص ٧ .

وارتفع مقداره وترفع عن خدمة الصاحب ولم ير نفسه دونه ولم يخلُ من نوائب الدهر
حتى قال ما هو متنازع بينه وبين نفر من الفضلاء :

من عذيري من حادثات الزمان وجفاء الاخوان والخلائ
شاب رأسي وقُلَّ مالي وصدَّتْ عني البيض والتحي غلماني
وله من قصيدة في عميد الملك تفنن فيها وهناه باتقان الأضحى والمهرجان
في يوم وشكا سوء أثر الهرم وبلوغه أرذل العمر :

قُلْ للعميد عميد الملك والأدب اسعد بعيدك عيد العُجم والعرب
هذا يشير بشرب ابن الغمام ضحىً وذا يشير عشياً بابنة العنب
ومنها :

خلايقٌ خيّرت في كلِّ صالحة فلو دعاها لغير الخير لم تجب
هي التي غمستني في مودته بالجسم والروح أفديهن لا بأبي
اعدنْ شرخَ شبابٍ لست أذكره بعداً وردت عليّ العمر من كتب
فطاب لي هرمي والموت يلحظني لحظاً المريب ولولا هنّ لم يطب
فإنّ تمرّس بي خصمٌ تعصّب لي وإنّ أساء إليّ الدهرُ أحسن بي
ومنها :

أدركتُ بالقلم الخطي من قصبٍ ما ليس يدرك بالخطي والقضب^(١)
ونلت بالجِدِّ والجَدِّ اللّذين هما امنيتا كلِّ نفسٍ كلِّ مطلب
فلو أدرت رحي^(٢) الدنّيا مفوّضةً إليك أقطارها دارت بلا قطب
ومنها :

وقد بلغت الى أقصى مدى عمري وكلّ غربي^(٣) واستأنست بالنوب

(١) بالخطي والقضب : بالرماح والسيوف .

(٢) رحي : الطاحون .

(٣) كلّ غربي : ضعف شبابي ونشاطي .

ومنها :

إذا تملأت من غيظي^(١) على زمني

ومنها :

ما الدهرُ إلا كيومٍ واحدٍ غدهُ
فإنْ تَمَيَّتْ عيشَ الدهرِ أجمعه
فانظرْ الى سير القوم الذين مضوا
تجدُ تفاوتهم في الفضل مختلفاً
هذا كتاجٍ على رأسٍ تعظمه
والناس في العين أشباهُ وبينهم
في العود ما يقرن المسك الذكيَّ به
لا تطلبوا المال من حولٍ ومن حيلٍ
يأتي الفتى رزقه المقسوم عن سببٍ
واستخصموا الفلك الدوّار يلقكم
أراه يسكن عني وهويركض بي
كالنار تأكل ما تحيى به لهماً
أصبحت أجرد والأحداث تجردني
وصرت ديناً على الدنيا لآخرتي
قاسيت أحوال هذا الدهر مرتكباً
ومنْ تعودَ عضَّ السيف هامتهُ

وجدتني نافخاً في جذوة اللهبِ

كأمس يومك والماضي كمرتقبٍ
وإنْ تعالين ما ولّى من الحقبِ
والحظ كتائبهم من باطن الكتبِ
وإنْ تقاربت الأحوالُ في النسبِ
وذاك كالشعرِ الجافي على الذنبِ
ما بين عامر بيت الله والخربِ
طيباً وفيه لقى ملقى مع الحطبِ
فربّما جاء مطلوبٌ بلا طلبِ
بادٍ يراه وقد يأتي بلا سببٍ
بحجتي رغبٍ إن شاء أو رهبٍ
ركض الفوارس بالتقريب والخبِ^(٢)
وليس تفرق بين النبع والغربِ
دأب الجراد اذا استولى على العشبِ
رسل المنايا تقاضاها وتمطل^(٣) بي
أهوالها وصريعاً غير مرتكبِ
هانت على إيتيه عضّة القبِ^(٤)

(١) غيظي : غضي .

(٢) الخب: نوع من الجري ، وحباب الماء والرمل : معظمه أو طرائقه أو فقايقه .

(٣) تمطل : توجّل وتسوّف .

(٤) القب : ما بين الوركين أو الإليتين من اللحم .

وهي طويلة وكأنه جمع إحسانه فيها ، وكتب الى أبي العلاء بن حنبل قصيدة منها :

ولقد نفضت بهذه الدّ	نيا يدي وحسنت داء
ماذا يغرنّي الزّما	ن وقد قضيت به قضاء
أو بعد ما استوفيت عم	ري وأطلعت على فناء
أصطاد بالدنيا وين	صب لي بها شرك الرّجاء
هيات قد أفضيت من	صبح الحياة الى المساء
وبلغت من سفري الى	اقصاه مذموم العناء

وله من قصيدة في أبي العباس الضبي كأنها قول ابن الرومي :

ما كان أغنى أبا العباس عن شرو	الى لحوم سباع كن في الأجم
يسترجع القوت أمضاه سواه لنا	لوماً ويذله للشاء والنعم
صبرت حولاً على مكروه نقمته	فليصبر الآن لي حولاً على النقم
سيعلم الوغد إن لم توت فطنته	من كثرة الهم أو من قلة الفهم
اني لألقاه مما استعد له	بكلّ عجاء ^(١) لكن ليس من سلم
إذا خبطت بها عرض امرء لججت ^(٢)	في سمعه يده شوقاً الى الصمم

ومنها :

إذا اضطجعت أتانى الشعر يقده لي	من ناره وأتانى الليل بالفحم
وصائغ الشعر لا يرضى سبيكته	حتى يفرغها في قالب الحكم
يُصب في مسمعيه ما أذيب له	كالقطر أفرغه الباني على الرّدم
إذا تورم غيضاً ضاق مضطره	حتى يوسعها الاطراق للنّدم
إني وإن كنت لا أرضى الخنى ^(٣) لفي	ولا أخط لقول فاحش همي

(١) عجاء : العقدة في الخشبة او في الجسد .

(٢) لججت : علفت ، وبزمت .

(٣) الخنى : الكلام الفاحش البذيء .

حرّ السكوت الى الترويح بالنّسم
فهنّ ينظمنّ لي من كلّ منظم
ذهني فانفضها منه على قلبي
شعاء^(١) توقد نار الهجر في علم
وهيجتني فالق جهلي غير محتشم

ليستريح اليّ القول احوجه
إنّ القوافي كفتني نظم أنفسها
تدنو شواردها حتى يغصّ لها
خذّها اليك أبا العباس جامعةً
لقتيني بوقار العلم محتشماً

ومنها في هجاء الصاحب بعد موته بزمان :

ما كان اسرعه في كلّ مغتلم
تغيير كلّ جبين واضح بدم
خلاف ما علّم الرّحمن بالقلم
على الدّنيّات وقافاً لدى التّهم
لم يرض من فخذ الأحداث باللم^(٢)
لحمأ تمضّغه الأفواه عن بشم^(٣)

لا كان اير ابن عبّاد وعلمته
دمى جبين أبي العباس فهو يرى
أحفاه بالقلم الحافي وعلمه
قد كان أهوج رثّ العقل مقتحماً
ومنّ يدر مثل عيني طيشه لمأ
لأهدينّ لأفواه الرّواة له

وختم القصيدة بقوله للضبي :

مازلت مذ كنت سلاحاً على كمر الدّ

مازلت مذ كنت سلاحاً على كمر الدّ

٨٤ - الأستاذ أبو سعد منصور بن الحسين الأبي

هو الذي يقول فيه الصاحب :

أنت لأنواع الخنى أب
وخلقك المعسول من أب

قل لأبي سعد فتى الأبي
الناس من كانوا أخلاقهم

(١) شعاء : قبيحة فاضحة .

(٢) اللّم : السير من الذنب ، وفخذ الأحداث اي انه يعبره بارتكاب الآثام مع الفتيان .

(٣) عن بشم : عن نخمة وسأم .

(٤) النازي : الميال الى الفساد ، ونزا : وثب .

وتقلّد الوزارة بالري وكان يلقب بالوزير الكبير ذي المعالي زين الكفاة وهو الآن في ولاية فضله وسروره وهناك من شرف النفس وكرم الطبع وعلوّ الهمة وعظم الحشمة ما الأخبار به سائرة والدلائل عليه ظاهرة ثم هو من أجمع أهل زمانه لمحاسن الآداب وأغوصهم على خبايا العلوم وله من المصنفات كتاب التاريخ الذي لم يسبق الى تصنيف مثله وكتاب نثر الدرّ وله بلاغة بالغة وشعر بارع كقوله على طريقة أهل الحجاز :

على التلعات البيض من أبرق اللّوا	تألّؤ برقٍ مثل ما ابتسمت سعدا
واتلّع ^(١) ان ناش ^(٢) الأراكة لم يدع	لها فنناً سبطاً ^(٣) ولا ورقاً جعدا
إذا وردت ماء العذيب ركائبي	فقد اعشبت مرعى وقد اعذبت وردا
يرفّ عليها الاقحوان غديّة	وقد علّه طلّ كدمعي أو أندى
هنا لك قومٌ كلّما زرت حيّهم	لقيت ابا سعد به الطائر السّعدا
عقائله يفرشن بالورد طرقة	لتوطئه ان جئتّه الفرس الورد ^(٤)

وكتب الى أبي سعد الزّنجاني وقد اصطحبا في استقبال وكانت مع غلام أبي سعد سفرة فردّها بعكمها الى المنزل وتركهم جياعاً ويقال إنّ هذه الأبيات فيما تشتمل عليه سفرة الزّنجاني احسن وأظرف من أبيات كشاجم فيما تضمنته جونتته :

بش المصاحب في السّفر	منّ ليس يسمح بالسّفر
يا سفرة رجعت على	أعقابها تمشي الخمر
الوى بها ريب الزّما	ن ومنّ يطيق يدا القدر
كم كان فيك من الثّوا	هض والدجاج وما حضر
من لحم جدي ان نظر	ت اليه امتعت البصر
فاذا كشطت الجلد عنه	كشفت عن بيض الحبر

(١) أتلع : الطويل العنق .

(٢) ناش : تناول - أخذ - طلب .

(٣) فننا سبطاً : غصناً مسترسلاً عزيزاً .

(٤) الورد : مكان ورود الماء .

ما بين ارغفه السَّيِّد نذ كمثل دارات القمر
وقدير سكبا^(١)ج من ال ملحاء أو زور البقر
قد زعفروه وقطَّعوا فيه مع البصل الجزر
كسائك العقيان قد قرنت الى اكر النقر^(٢)
يا حبَّذا تلك القطا ع وحبذا تلك القدر
ومطاول اللَّفات في ها مسبطراً^(٣) ذا عجر
مثل الايور بلا فيا شر والزَّباب بلا كمر

قد داعبه بهذا البيت لأنه كان ينسب الى الابنة :

والبيض مسلوقاً على شكل اليتيمة في الدرر
فمشدَّخ فيه كند رين يغاديه المطر
ومنصف كالنَّرجس ال ريان في وقت السَّحر
ومدحرج من قشر جو ز الهند تحكيه الأكر
فيه من الملح المطي ب والأبازير الآخر
والجبين ن والليمون وشيراز أغر
ضحك العيال لعودها ومشيت أبكي في الأثر

وله في غلام هندي :

يا عائبي بالهند إنَّ فناهم اضحى بليَّة
احرقت نفسي في هوا ه لأنَّ ذاك لهم سجيَّة
كالصَّعدة^(٤) السَّماء غا در صعدي مثل الحنيَّة

(١) سكبا^(١)ج : مرق يتخذ من اللحم والخل .

(٢) أكر النقر : القطع المذابة من الذهب والفضة .

(٣) مسبطراً : مضطجعاً وعجر : عقد وهموم .

(٤) الصَّعدة : القناة المستوية التي لا تحتاج الى تقويم .

صنوا الألوة واللا	لى والقنا والمشرقة
زين المجالس والموا	كب والتدامى والسرية
في الحرب ليثٌ خادر ^(١)	والسلم مخدرة حية
ملء المفاضة بكرة ^(٢)	ملء الحشية بالعشية
ما ان أخاف عليه نمًا	مأ سوى وضح الثنية ^(٣)

وكتب الى الأستاذ أبي العلاء هذه القصيدة الكتابية من فيروز كوه يصف البرد الشديد
ويذكر اصدقاءه بالرّي ويجدّ مرة ويهزل اخرى ويفصح عن كلّ ظرف مليح ومزح
لطيف وتدلّ على اقتدار وتوسّع وتجري القصيدة مجرى الكتاب :

يا كاتبى القِ الدّوا	ة وقط حافية الالباء
ارھف يراعتك التي	تزري مضاء بالقضاء
وأجمع خواطرك التي اك	تسبت ذكاء من ذكاء
وانقع عليك دواتك الـ	حرى بنقس ^(٤) أو بماء
وتناول الدرّج الملطّ	ف وانتخبه ذا صفاء
واكتب لسيدنا صفيّ	الحضرتين أبى العلاء
من عبده الأبى مع	طيه القياد بلا اباء
انعم صباحاً أيها الاسـ	تاذ وانعم بالمساء
وتملّ عزاً دائماً	مرخى له طول الرّخاء
وابلغ نهايات المنى	وتعدّ ارجاء الرّجاء
إتني كتبت وقد لوت	عضد السرور يد الشاء

(١) ليث خادر : اسد مقيم في عربته او خدره .

(٢) المفاضة : الواسعة يقال درع مفاضة أي واسعة .

(٣) الثنية : الأسنان التي في مقدمة الفم .

(٤) بنقس : الشراب حمض وفسد .

وأسالت العبرات من
 والبين يخطر بيننا
 متبخراً أي أني
 فكتبت من فيروزكو
 من مورد الملك الأشم
 لثلاث عشرة جزناً من
 عن نعمة وسعادة
 وسلامة لو لم يكدا
 والحمد لله الذي
 وعلى النبي وآله الص
 مالي كتبت وما اجد
 أنفت من ردّ الجوا
 إني انتميت الى ولائ
 ظهر اعتزازي باعتزاي
 عيني دمائي بل دمائي^(١)
 وتجراً اهداب الرداء
 أفضي وأظلم في القضاء
 ه مقرر عزّي وارتقائي
 ومصدر النعم الرّواء
 شعبان يوم الاربعاء
 ومزيد عزّ واعتلاء
 رها تراخي الالتقاء
 أولى الجزيل من العطاء
 لسوات نامية الزكاء
 ت تنكباً سنن السواء
 ب وما أنفت من ابتدائي
 لك فارع لي حقّ الولاء
 وبدا نمائي بانتمائي

ومنها في وصف البرد :

في موضع خفّت^(٢) به الـ
 فالريقُ يجمد في اللها
 نطاً^(٣) الزجاج من الزجاج
 والجو يلمع في نوا
 وكأتما صقلت به
 جمدت له الصهباء حت
 أصوات برداً في النداء
 والصوت يجمد في الهواء
 ج إذا مشينا في فضاء
 حيه ضريب كالهباء
 بيض السيوف أو المراء
 سى قد أتنك بلا إناء

(١) دمائي : بقية روحي

(٢) خفّت : استرخت وخفّت .

(٣) نطاً : غشى وندوس .

فإذا أردت خرطت فصّ
لو عاين العذرى مث
أو حله الهاء عن حر

ومنها :

ك من رحيقٍ أو طلاءٍ
وى قد رضيت به بوائي^(١)
الهوى برد الهواء

فالآن قل لي كيف أن
من كلّ مشبوح^(٢) الذّرا
سام تنوس ذؤابتا
واعدّد فتى زنجان في
فهو السّليم على انتفا
عين الصديق بلا امترا
وعصابة اخرى احا
ومعاذ ربّي ان يز
أو أن يقال لخازن الس
بلّغ جميعهم السّلا
لا تبّلغني ان كتب
واليك الف تحية
من جتّي يوم التّلاقي
شمس النّدى اذا بدا

ت وكيف اخوان الصّفاء
ع مشيع غمر^(٣) الرّداء
ه^(٤) على شطاط^(٥) كاللّواء
هم فهو عين الأصدقاء
دي والصّحيح على انتفائي
و والشّفيق بلا مرأ
شيهم من الدّاء العياء
ن فقيه قوم بالبعاء
لطان لصّ ذو ارتشاء
م وقل لقاؤكم شفائي
ت سلام أولاد الزّناء
من حاجتي لا بل كيائي^(٦)
جتّي يوم اللّقاء
أسد الوغا رشأ الخباء

(١) بوائي : مقامي مقرّي .

(٢) مشبوح الذراع : مقيد .

(٣) غمر الرّداء : كثير الأقدار .

(٤) تنوس ذؤبتاه : تكاد تنطفئ لقلّة الزيت .

(٥) شطاط : حسن القوام - الطول .

(٦) كيائي : لوعتي واحترافي .

جدي وهزلي منه ما وأراك تشمت إن عرف
رفقاً فقد زاد العذا والشاطر العيار بلد
لا يفتنن لذاك من قمر كأن جبينه
أفديه بالعمر العزيز أبلغه مالكتي ونيد
أبلغه أنك نائب قبله عني لو يرو
رد من مرافقه العدا واحلل قراطقه برف
واذا هممت بغيره وسقيت كافوراً وسا
وجزيت عن ولهي ووقد أدعو عليك وما أرا
ولدعوة المظلوم مض بين الغناء الى الغناء
ت دنوه للالتحاء ر برغمكم ضعفي بلائي
غفه سلامي في خفاء تدري فيغري بالجفاء
فلق العمود من الضياء إن ارتضاني للفداء
ك بالرسول من الشقاء عني على جهة الإخاء
ي غلتي^(١) ويسك^(٢) دائي ب مشارب العذب الرواء
ق واسر اعطاف القباء لقيت لاذعة الخصاص
ئر ما يطفئي من دواء مدة لوعتي شرّ الجزاء
ك تخاف عادية الدعاء طرب فسيح في السماء

وله قصيدة في هجاء اهل الري قالها على لسان أبي القاسم ابن حريش كهذه
التي قد مرّت في الطول والجودة والتناسب وأولها :

تُباً لرجرجة من الكتاب ما علّموا الآداب في الكتاب^(٣)

(١) غلتي : شدة عطشي .

(٢) يسك : يسد ويشفي .

(٣) الكتاب : المدرسة ، وهنا جناس تام بين الكتبة ومكان أخذ العلم .

ما بين مابون^(١) يوارى سوءاً لأخيه مقتدياً بفعل غراب
ومنها :

أنا ان شعرت أنيك أم كشاجم . وإذا كتبت أشقُ سرم الصابي^(٢)
وهي أطول من أن يتسع هذا الكتاب للجمع بينها وبين التي تقدّمتها وانشد أبو الفتح
الدّباوندي له :

إذا الليلُ أسبل أذياه وضّمّ أبا حسن والحسنُ
فإنّي بريء من المصطفى لئن كنت أعلم من ناك من

٨٥ - الأستاذ أبو العلاء مُحمّد بن عليّ بن الحسين صفيّ الحضرتيّن

أصله من همدان ومنشأؤه الرّي وأبوه أبو القاسم من يُضرب به المثل في
الكتابة والبلاغة وكلامه في غاية البراعة يصعب على التعاطي ويسهل على الفطنة وقد
علق بحفظي فصل من رسالة له في علو السن وتناهي العمر فكتبته وهو : ما الظنّ
بمن خلق عمره وانطوى عيشه وبلغ ساحل الحياة ووقف على ثنية الوداع وأشرف
على دار المقام ولم تبق منه إلّا أنفاس معدودة وحركات محصورة ومدة فانية وعدّة
متناهية . وسمعت أبا العلاء يقول سمعت أبي يقول لما حبسني صاحب وطال لبثي
في حبسه وكاد اليأس يستولي عليّ أتاني آتٍ في منامي وقال لي الخير باقٍ والاحسان
واق والمرء ما قدّم لاق ، فلم يدر الأسبوع حتى فرج الله عني ويسرّ خلاصي . قال
مؤلف الكتاب وأبو العلاء اليوم من أفراد الدّهر في النظم والنثر وطال ما تقلّد ديوان
الرسائل وتصرف في الأعمال الجلائل وحين طلعت الرّاية المحمودية بالرّي اجلّ

(١) مابون : سيء معاب .

(٢) كشاجم والصابي : الأول شاعر والثاني أحد الكتاب . والسرم : المؤخرة .

وبجَلِّ وشرفٍ وصرفٍ وانهض في صحبتها الى الحضرة بغزنة حرسها الله رغبة في
اصطناعه وتكثرأً بمكانه ولما القت الدولة المسعودية شعاع سعادتها على مقرّ الملك
ومركز العزّ زيد في اكرام أبي العلاء والانعام عليه وأوجب الرأي ان يردّ الى الرّي على
ديوان الرّسائل بها فخلع عليه وسرّح احسن سراح ولقيته بنيسابور فاقتبست من نوره
واغترفت من بحره وهو الآن بالرّي في أجلّ حال وأنعم بال وقد كتبت ها هنا غرراً من
شعره الكتابيّ البعيد المرام المستمرّ النظام ، فمنها قوله لأبي منصور الآبي من
قصيدة :

وبي الى الدّهخذا شوقُ يورقني وإنّ تغيرَ عمّا كنت أعهدهُ
فيه سجايا من المعشوقِ أعرفها تجنى على عاشقيه ثم يجردُ هو
وفي آخرها :

خذها إليك بلا لفظٍ تكدرهُ على الرّواة ولا معنىّ تجعلهُ
كالماء تسكبه والمسك تفتقه والوشيّ تنشرهُ والتّبَرُ^(١) تنقده
وأنشدني له أبو الفتح الدّباوندي في الغزل :

أتاني ممسياً من غيرٍ وعدٍ كذاك البدر موعده الأصيلُ
كحيل الطّرف ذو خطّ خفيٍّ كأنّ عذاره^(٢) أيضاً كحيلُ
وله في الاعتذار من الاخلال بالخدمة لعارض رمد من قصيدة :

قد صدّني رمدٌ ألمٌ بناظري عن قصد خدمة بابهِ ولقائه
او يستطيع الرّمدُ ان يستقبلوا لمعان نور الشّمس في لآلئه
ونه في الهجاء :

يا بن بدرٍ ان أغفلتكَ الليالي فللّوم ودقّةٍ وهوانٍ

(١) التبر : الذهب الخالص .

(٢) عذاره : جانبه - خده .

إِنَّمَا اسْتَغْنَيْتُكَ مَسْأً^(١) فَحَتَّى
وَلَهُ فِي أَمْرٍ عَلَوِي وَلَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ :

وَأَزْهَرَ مِنْ بَنِي الزَّهْرَاءِ يَرْنُو
نَهَانِي الدِّينَ وَالْإِسْلَامُ عَنْهُ
إِذَا أُرْسِلْتُ أَلْحَاطِي إِلَيْهِ
وَلَهُ فِي الْحِكْمَةِ :

قَدْ فَلَيْتَ الْبِلَادَ غَوْرًا وَنَجْدًا
فَرَأَيْتَ الْمَعْرُوفَ خَيْرَ سِلَاحٍ
وَقَلْبَتُ الْأُمُورَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ
وَرَأَيْتَ الْإِحْسَانَ خَيْرَ مَجْنٍ^(٢)
وَلَهُ فِي رَئِيسٍ مَعزُولٍ قَعْدَ فَوْقَهُ فِي مَجْلِسِ الْوَزِيرِ :

تَقَعْدُ فَوْقِي لَأَيِّ مَعْنَى
إِنْ غَلَطَ الدَّهْرُ فَيْكَ يَوْمًا
كُنْتُ لَنَا مَسْجِدًا وَلَكِنْ
كَمْ فَارَسَ أَفْضَتُ اللَّيَالِي
فَلَا تُفَاخِرْ بِمَا تَقْضِي
لِلْفَضْلِ لِلْهِمَّةِ النَّفِيسَةِ
فَلَيْسَ فِي الشَّرْطِ أَنْ تَقِيسَ
قَدْ صَرْتَ مِنْ بَعْدِهِ كَنِيسَةَ
بِهِ إِلَى أَنْ غَدَا فَرِيسَةَ
كَانَ الْخِرَاءُ مَرَّةً هَرِيسَةَ

وَلَهُ وَقَدْ دَخَلَ إِلَى رَئِيسٍ فَلَمْ يَقُمْ لَهُ :

دَخَلْتُ عَلَى الشَّيْخِ مُسْتَأْنَسًا
وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ مِثْلَ الْجَرَادِ
فَهَشَّ وَلَكِنْ لِمَرْدَانِهِ^(٣)
وَأُرْسِلَ فِي كَمِّهِ مَخْطَةً

بِهِ وَهُوَ فِي دَسْتِهِ الْأَرْفَعِ
فَمِنْ سَاجِدِينَ وَمِنْ رُكْعِ
وَقَامَ وَلَكِنْ عَلَى أَرْبَعِ
بَدَتْ لِي عَلَى صُورَةِ الضَّفَدِ

(١) مَسْأً : جُنُونًا .

(٢) الْمَجْنُ : التَّرْسُ وَالْوَقَايَةُ .

(٣) مَرْدَانُهُ : غُلْبَانُهُ الْأَحْدَاثُ .

فهو عني ما تأملته
وأعرض إعراض مستنكر
فأقبلت أضطراً من خيفة
وقمت فجددت فرض الوضوء
ورام الخضوع الذي رامه
وكيف أقبل كف امرئ
فيقبضها عند بذل الله
وأني وإن كنت ممن يهون
ليعجبني نتف شيب السبال
خراها ولو انه ابن الفرات

وزعزع روحي من أضلعي
تصدّر مثلي ومستبدع
وافسو على السيد الأروع
وكنت قعدت وطهري معي
أبي من أبيه^(١) فلم أخضع
إذا صنع الخير لم يصنع
ويسطها في الجدا الرضع
عليه تكبر مستوضع
وصفع قمحودة^(٢) الأصلع
وحرها ولو أنه الأصمعي

وله من قصيدة مداعبة الى ابي سعد الزنجاني في نهاية الفصاحة والملاحاة :

يا ابا سعد الموالي المعادي
والذي لا يكاد يفسق الا
والذي قد أقام ما بين فخذي
فهو شر على الأعادي شمر
والذي تعمش الندامى من الصف
والذي يرسل الرياح على الكت
فيصيب العناق^(٣) الشيب من قو
لا يحاشي من عارض العارض الشد

والمصافي لخله والمصاد^(٤)
بالرتوت^(٥) الأجلة القواد
عموداً يُزري بذات العماد
وبلاء بال على الأجناد
ع ويسقي الأضياف من غير زاد
باب حتى كأنهم قوم عاد
م كبار وسادة أمجاد
يخ ولا يستحي من الأنداد

(١) يعني آدم وإبليس .

(٢) قمحودة : عظم بارز فوق القفا في مؤخر الرأس .

(٣) المصاد : أي المصادق .

(٤) الرتوت : أصحاب الشرف العالي .

(٥) العناق : شعر بين الشفة والذقن .

بل يعم اللّحى فليس يبالي
والذي قد يرى التطفّل ديناً
لا تراه في داره قطّ يوماً
فهو وقفٌ على الطريق متى يس
ومنها :

أنت فرعوننا وذو وتل فر
أنت نارٌ في مرتقى نفس الحا
قد كذبنا فالضدّ أنت ابا سع
انت ماءٌ لكنّه في سواد الـ
واذا ما أردتَ ان يسكنَ الخطّ
ويعود العتاب عندي عثي
فاستزني او زُرني اليوم او كُنْ
وله من قصيدة عيدية :

تبَلَّج الأفقُ الغربيُّ وابتسما
ولاح ذو هيفٍ حلّو شمائله
مرّت ثلاثون يوماً كلّها حقّب
ألقي المعازف والقيان سداً
وله من قصيدة تهنية بمولود :

افتّر ربّك عن هلاكٍ باد

ببياضٍ وشمطةٍ وسواد
فهو دين الأباء والأجداد
في النواريز^(١) لا ولا الأعياد
جمع وطيء الدّاعي وصوت المنادي

د وفرعونُ كان ذا اوتاد
سد ماءً جارٍ لأهل الوداد
لـ فخذُ ما يقالُ في الأضداد
عين نارٌ لكنّها في الفؤاد
بُ وتنجو من حيّة بالواد
وتعاد السيوف في الأغمار
للتلاقي غداً على ميعاد

وأظهر الفلك السرّ الذي كتما
منحَفُ نجم اللّذات اذ نجما^(٢)
ألقي بهنّ الصّدَى^(٣) والبارد الشبما^(٤)
والكاس مهجورة والرّطل مهتضما

فأضاء مطلعُه وفاح الناد

(١) النواريز : أعياد فارسية والنيروز هو اول يوم من ايام السنة الشمسية عند الفرس .

(٢) نجم : ظهر وطلع .

(٣) الصدى : العطش الشديد .

(٤) الشبم : البارد .

وسرور احبابٍ وغيظ أعادي
أفضالٍ والاسعافِ والاسعادِ
بعدت على قربٍ من الميلادِ
بمكانه ناراً على الحسادِ
طرفٍ وطوقٍ سخبه^(١) بنجادِ
قدّمتْ وطارفُ مجده بتلادِ

وأفأك تربَ علىّ وخَدْنُ مكارمِ
متقيلاً^(٢) لك مذهباً في الفضلِ والـ
قد أفصحتْ أخلاقه عن همّةِ
فبقيت منصوراً به مستعداً
حتى تبدّل مهده بمسومٍ
فيشيد لاحقُ فضله بسوابقِ

وله في المداعبة باقتضاء رسم :

وُقيت بي اين الشواريزُ
وينقط الآخر شونيزُ
يكون بالثالث تعزيزُ

يا مَنْ له في الجود تبريزُ
صنّفان ذا يعجمه بقله
والسّمْن لم يشرط ولكن لكي

من قوله تعالى فعززنا بثالث :

يهمي وعند النقد ابريزُ^(٤)
وهو الى الكدنة^(٥) دهليزُ

فأنت عند المحل مزن^(٣) لنا
ومطلب المأكول مستظرفُ

وله من نتفة الى وزيرين اخوين داعب فيها بذكر رجل يعرف بالسويسى ووصفه
بالبحر :

بكما وعندكما تسرُ
في وجهه من فيه دبرُ
بفمٍ به التسبيح كفرُ

تفديكما نفسي التي
هذا السويسى الذي
يقرا السّلام عليكما

(١) متقيلاً : ملتزماً .

(٢) سخبه : عنقه أي موضع الفلاة .

(٣) المزن : السحاب ذو الماء .

(٤) أبريز : الذهب الخالص .

(٥) الكدنة : كثرة الشحم واللحم .

وله من قصيدة ذكر فيها همدان :

يا أيها الملك الذي وصل العلى	بالجود والانعام والاحسان
قد خفت في سفر اطل علي في	كانون في رمضان من همدان
بلد اليه أتمني بمناسبي	لكنه قدر من البلدان
صيانته في القبح مثل شيوخه	وشيوخه في العقل كالصبيان

٨٦ - الاستاذ ابو القاسم عبد الواحد بن محمد بن علي بن الحرّيش
الاصبهاني رحمه الله تعالى

بقية الشعراء المفلقين وافراد الدهر المبرزين وأقمار الأرض الجامعين بين
بلاغة النثر وبراعة النظم وهو اصبهاني المولد رازي الموطن غزنوي النعمة
نيسابوري التربة ولم يزل بالرّي في ظل الكفاية يطير ويقع ويفيد ويخفق الى ان
طلعت الدولة المحمودية فانضاف اليها وصرف الى خدمتها وارتبط في جملتها وتوفّر
حظه من نعمتها ورسم له الانتقال في صحبة الراية العالية الى خراسان ومنها الى
الحضرة بغزنة حرسها الله ففعل ولم يزل مقيماً بها عزيزاً مكرماً ولجلائل الأعمال
مرشحاً الى ان طلعت الراية السعودية به ادام الله رفعتها فزيد في اجلاله الى ان كرّ
الركاب العالي الى نيسابور وهو مشرف بخدمته مرتبط في جملته موفّر الحظ من نعمه
ومواهبه فجمعتني بها وإياه مناسبة الأدب وفتقنا نوافج المذاكرة وتجاوزنا اهداب
المحاضرة والمناشدة ولذّ لنا العيش وطاب الوقت بالمعاشرة فأنشدني يوماً لنفسه
قصيدة منها هذا البيت :

وليل خداري الجناح مخدر الصّاح
بجراح حرون النجم طاولته فكرا
فاستعدته إياه فأعاد فقلت له او علمت أنّه مرصّع وفيه تجنيس وتسجيع واستعارة
وطباق فاستفسرني فقلت : اما التجنيس فقولك خداري الجناح ومخدر ، واما
التسجيع فقولك خداري الجناح مخدر الصباح ، واما الاستعارة فقولك حرون

النجم ، وأما الطباقي فجمعك بين الليل والصباح ، فقال والله قد نهتني على ما غفلت عنه ، وقام اليّ فقبل رأسي وقال لي كلّ حسنٍ ، ووصفني بكلّ جميل وقبل رأسي مرةً أخرى وذلك أنّي انشدته مرثيتي للملك الماضي رضي الله عنه وأرضاه :

عجباً منّ تماسكِ الأفلاكِ ومساغِ الزلالِ في الأحناكِ
وثباتِ الجبالِ بعد زوالِ الطّو^(١) د ذي الطّو^(٢) مالِكِ الأملاكِ
فلسانُ الزّمانِ شاكٍ وطرفِ الدّ هر باكٍ والرّزءِ في الملكِ ناكٍ^(٣)

وأنشدته قولي مرةً في السلطان الأعظم ادام الله ملكه :

نشرتْ عليكِ سعودها الأفلاكُ وعنت لغرةً وجهك الأملاكُ
زوّجتْ بالدنيا لائِكَ كفوها فاسعدُ بها وليهناك الأملاكُ
فالأرضُ داركُ والورى لك اعدُ والبدرُ نعلكُ والسّمّاك^(٤) شراكُ

فأراد ان يفعل فعلته الأولى والثانية حتى ناشدته الله وحياة السلطان فاعفاني وجرت بيننا فوائد وقلائد يطول الكتاب بذكرها ولم تطل إيماننا حتى أصابته عين الكمال فلحق باللطيف الخبير في جمادي الأولى سنة اربع وعشرين واربع مائة .

فمن عزز شعره وعقد سحره قوله وكنت سمعته قديماً :

سألت زماني وهو بالجهل عالمٌ وللسخف مهترٌ وبالنقص مختصٌ
فقلت له هل من طريقٍ الى الغنا فقال طريقان : الوقاحةُ والنقصُ

وقوله :

يا أيّها الرّجل الذي جرّبتهُ فرأيت شخصَ النّقص كيف يكونُ

(١) الطود : الجبل .

(٢) ذي الطول : ذي الحول والقوة .

(٣) ناكٍ : من نكل : أي هو متكل ، ومصيب .

(٤) السّمّاك : أي كل ما ارتفع والساكان هما نجهان نيران .

والله ما يختار مثلك عاقل

ومن الغرر التي انشدنيها لنفسه قوله :

يكلّفني اغضاء عيني على القذى
وأعظم ما بي أنني غير واجد

وقوله :

يا طالب الصّدق من ذات الوشاح لعا^(١)

هيهات ان تجد الحسناء ناطقة

وقوله :

المسك من عرفه والراح من فمه
تعجبت بابل من سحر مقلته

وقوله من قصيدة :

نظرنا فمن قلب تضرّم وقده
انادي غزلاً مصرع الاسد دابه
فللشمس مرآه وللجو لطفه

وقوله وقد استشعر خوفاً :

يضيق صدري فيسليني اعتقال يدي
اذا تبينت من الطافه أثراً

لكن علامات الزوال فنون

زمان غبي جائر الحكم جائزه
نظيراً اباريه وقرناً ابارزه

من عشرة الظن أو من خيبة الطلب

بالصدق ما وجدت باباً الى الكذب

والورد من خده والرميل في ازره
والرؤم من وجهه والزنج من شعره

انيناً ومن جفن تسلسل ودقه^(٢)
به وهلاً مصنع الوشي افقه
وللمسك رياه وللراح خلقه

حبلاً من الله مشدداً مرآته
على طليعة أمري هان سائره

(١) لعا : دعاء ولعنة على العاثر القليل الحظ .

(٢) ودقه : مطره كناية عن دمعه .

وقوله في ابي العباس الضبي من قصيدة طويلة كلّها غرر :

بنفسي واهلي شعب وادّ تحلّه
وعظفة صدغٍ يهتدي فوق خدّه
وطيب عناقِي منه بدرًا اضمّه
وقفنا معاً واللّوم يصفق رعدّه
ترقُّ على ديباجتيه دموعه
وينأى رقيبٌ عن مقام وداعنا
يقلقلني عتْبُ الحبيب وعذرّه
وكيف أقي قلبي مواقع رميه
يولّي وبالأحداق تفرّش أرضه
فلو طاف في دارين^(٤) ما طاب مسكه
ومنها :

فيا مَنْ يكدُّ النَّفسَ في طلب العلى
أخذه من قول ابي الطيب المتنبّي :
وإذا كانتِ النَّفوسُ كباراً
ومنها :

فان ما ثلوه^(٥) صورةً وتخيلاً

فاغمارنا بالماءِ والآلُ شكْلُهُ

(١) وبله : أمطاره .

(٢) طله : نداه .

(٣) ينثال : ينهمر ويشند .

(٤) دارين : مكان ينسب اليه أطيب المسك .

(٥) مائلوه : أشبهوه .

ومنها :

ولكنه يُرجى إذا ابيضَّ فعلُهُ

وليس الفتى يُرجى إذا ابيضَّ رأسُهُ

ومنها :

وينأى على طبع المساجل سهلهُ
كريبهاً ولا نفس البليد تملهُ
وإن شئتُم عذبي^(١) تفرق طلهُ
يكاد على رأسي وعنقي يسلهُ
على كنت منقوصاً يسليه جهلهُ

إليك زفتُ الشعرَ يقرب فهمه
يرقّ فلا أذنُ الفصيح تمجُّه
إذا شئتُم جزلي^(١) تلاطم موجه
وللهم سيفٌ في فؤادي مغمّدٌ
ويا ليتني إذ لم أنلُ بفضيلتي

ومنها :

ولكنني في جودكم استقلُّه

وغير قليلٍ ما بلغت بعزكم

وقوله :

وليتك إذ ضيّعت لم تكُ ناقدًا

فيا ليتني إذ ضعت لم أكنُ مخلصاً

وقوله من قصيدة :

ولكن عزيزٌ في الرجال ثباتُ
ولا عند خطبٍ يدلهم اناتُ
به فخطاهُ كلُّها عثراتُ

لكلِّ إلى شأو العلى^(٣) حركاتُ
وما بي عن شأو من المجد نبوةُ
ولكن إذا ما الطُرفُ ضاق مجاله

ومنها :

من الخير ما تزكو به البركاتُ

تصرم شهر الصَّوم عنك مزوداً

(١) جزلي : أي كلامي القوي الجزل .

(٢) عذبي : أي كلامي الرقيق اللين .

(٣) إلى شأو العلى : إلى طلب ذراه .

ومنها :

ولاح هلال الفطر نضوا كأنه
فقل لرواة المعبدية مرحباً
على جرمه من صومنا وطأت
وقل لسقاة البابلية هاتوا

وقوله من مهرجانية :

لك اليوم من عند كسرى مقام
بسطت يديك فقلنا الفرات
يقرّ برأيك ركن العلى
فجودك أدنى مراد يراد
إذا دهمت الناس سود الخطوب
ففي حبّ مثلك يزكو الولاء
فإن صلت^(١) ذلتْ لديك الكُماة^(٢)
تهنا بمورد ذا المهرجان
وعشّ والسَّعادات تترى^(٣) اليك
فلولا بقاؤك ملئته
إذا كنتَ تمنع من أن أسير
أرى نعماً لك عندي قد من
يقلن اصطنعت فلم لم ترب^(٤) الند

على مضحك الدهر منه ابتسام
جری وثبت فقلنا شمام
ويحيا بفضل نذاك الأنام
وعزك أبعد شأو يرام
تبَلَّجَتْ فانجاب عنها الظلام
وفي وصف فضلك يحلو الكلام
وإن جدت قصّر عنك الكرام
سعوداً حواليك منها زحام
إذا مرّ عام بها كرّ عام
لقلنا على الأكرمين السَّلام
ولم تكفِ امري فكيف المقام
ولمتك إن كنت ممّن يلام
لدى وابتدأت فأين التَّمام

(١) صلت : غلبت - سطوت .

(٢) الكُماة : الفوارس ، المقاتلون .

(٣) تترى : تتعاقب .

(٤) تربّ الندى : تسوسه وتغلكه وتعهده .

وقوله من اخرى :

سيوفٌ وللحربِ العوان^(١) سيولُ
وان لم تجبني من جنابك سولُ

غَدَتْ للعلى منه سيوب^(٢) وللطلّى
كفاني من الأيام ائكَ سالمُ

وقوله من سلطانية وهي آخر شعره :

وإن كنت مسعوداً كما أنت فازددِ
عن الدّم في حدّ الحُسام المهندِ
مرنقةً في مقلّة النّرجس النّدي
الى لطم حدّ الوردّة المتورّدِ

لقد أقبل النّيروز جدلان فاسعد
وزف كؤوس الرّاح خمراً تسلياً
فهذي الصّبا غناجةً دون نومة
تقبّل ثغر الاقحوان وتنتهي

ومنها :

كما يترجّى الدّين آل محمّدِ
ظهير امير المؤمنين إسع واسعدِ
على الأرض الأّ في وثاقٍ مقيدِ
فإنّ ينتصبّ للأمر اثنان يفسدِ
على شر أرضٍ من بلادك مفردِ

غدا الملك يرجو آل محمود الرّضى
أناصير دين الله حافظ خلقه
خذ السّيفَ واملك لا تدع متغلباً
فليس صلاح الأمر إلّا بواحدِ
وأعظم غبن^(٣) أن يُرى الملك مغضياً^(٤)

٨٧ - ابو القاسم غانم بن محمد بن ابي العلاء الاصبهاني

تضمن كتاب اليتيمة قليلاً من شعره وقد كرّرت ذكره في التّمة لما سبق من
العدر فيه وكتبت غرراً من شعره مفقوة على اثر شعر بلديّة ابن حريش ، واخبرني

(١) سيوب : العطاء .

(٢) العوان : الشديدة المتكررة .

(٣) الغبن : الانتقاص والاجحاف .

(٤) مغضياً : مغمضاً طرفه ، اي غير معيّر له الانتباه الكامل .

الشيخ ابو الفتح مسعود بن محمد بن الليث ايده الله انه حي يرزق وانشدني ابو بكر
المرجى له :

إشرب ابا قاسم على الوادي وانبذ الى الانس جبل مقتاد
لا تخل من قهوة ومن رشاء^(١) وزامر مطرب وعواد
وثق بكافي الكفاة وارح ندى يديه من رائح ومن غاد
والله ما في الأنام محتشم سوى ابي القاسم بن عبّاد
وانشدني له في غلام بيده باشق :

واهيف كالقمر المجتلى يهيم به العاشق المبتلى
بدا وعلى يده باشق إذا طلبا قنصاً حصلا
فذاك يصيد قلوب الرجال وهذا يصيد طيور الفلا

وقد سرقه من ابي الفتح كشاجم حيث قال :

مرّ بنا في كفه باشق فيه وفي الباشق شيء عجيب
هذا يصيد الطير من حلق^(٢) وذا بعينه يصيد القلوب

قال وكان يساير الصاحب يوماً فرسم له وصف فرس كان تحته فقال مرتجلاً :

طرف تحاول شأوه^(٣) ريح الصبا سفهاً فتعجز أن تشق غباره
بارى بشمس قميصه شمس الضحى صبغاً ورض حجارة بحجارة

ومن مراثيه في الصاحب قوله :

مضى نجل عبّاد المرتجى فمات جميع بني آدم

(١) رشاء : أي امرأة جميلة .

(٢) حلق : أي معلق في الفضاء .

(٣) شأوه : سبقه .

أوازي بقبرك اهل الزمان فيرجح قبرك بالعالم

وله من قصيدة :

هي نفسٌ فرقتها زفراتي ودماءٌ أرقتها عبراتي
لشبابٍ عذب المِشارع^(١) ماضٍ ومشيبٍ جذب المراتع آتٍ
زمنٌ أذرتِ الجفون عليه من شؤوني ما كان ذوبَ حياتي
تتلاقى من ذكره في ضلوعي ودموعي مصايفُ ومشاتي
جاد تلك العهود كلُّ اجشٍّ الـ ودقٍّ^(٢) ثرُّ الاخلاف^(٣) جونِ السرات^(٤)
بل ندى الصَّاحبِ الجليل ابي القا سم نجل الأمير كافي الكفاة
تبارى كلتا يديه عطايا ومنايا حتماً لعافٍ وعاتٍ
ضامناً سيبه لغنم مفادٍ موذنأ سيفه بروحٍ مفاتٍ
وارتياحٌ يريك في كل عطفٍ ألف ألفٍ كطلحة الطَّلحاتِ^(٥)
ويدٌ لا تزال تحت شكورٍ لاثمٍ ظهرها وفوق دواةٍ

أراد ان يقول مثل قول ابي الفياض الطبري فلم يشق غباره :

يدٌ تراها ابدأ تحت يدٍ وتحتَ فمٍ
ما خلقتُ بنائها إلاَّ لسيفٍ وقلمٍ

٨٨ - ابو الفضل يوسف بن محمد بن احمد الجلودي الرازي

بحر العلم وروضة الأدب ولطيمة الشعر وظرف الظرف ، وقد حدثني ابو

(١) المِشارع : الموارد والمناهل .

(٢) اجشَّ الودق : غزير المطر .

(٣) ثرُّ الاخلاف : كثير الخلف والعطاء .

(٤) جون السرات : أبيض السخاء والكرم والمروة .

(٥) كطلحة الطَّلحات : رجلٌ مشهور بالكرم والمروة .

الحسن عبد الرحمن بن أبي عبيد الشيرازي أيده الله تعالى بفضله وبراعته وامامته اذ اقتبس في اليسير من مدة اقامته عليه بالرّي كثيراً من نور فوائده وانشدني غرراً ودرراً نظمها من عقود قلائده كعادته في اقتناء جواهر المحاسن واصطياد شوارد اللطائف على حداثة سنه وغضاضة عوده^(١) وللدهر مواعد فيه ستنجزها مساعيه ، فمما انشدني لهذا الشيخ ابي الفضل أيده الله قوله في سقوط السن عند الشيخوخة :

ن والدهر ما زال مُدٌّ كان يُخني	ثناياي أخنى عليه الزّما
د والدهر يغرب في كلّ فنّ	وينقص سنّاً وسنّاً يزيـ
زيادة سنّ ونقصان سنّ	أراني الزّمان نقيضين لي

وقوله من قصيدة صاحبة :

بأنوائه او صاغها من طباعه	رياضُ كأنّ الصّاحب القرم جادها
كما صدع الصّبح الدّجى بشعاعه	يجلّي غيابات الخطوب برأيه

ومنها :

وبرقُ كماضيه وخرقُ كباعه	سحابٌ كيمناه وليلٌ كباسه
--------------------------	--------------------------

وقوله في معارضة قول الشاعر :

وما لفقد الحبيب من خلف	لكلّ شيءٍ عدمته خلفٌ
صبّ بتعذيب مهجتي كلف	منعمٍ معجبٍ بليت به
فديته من مدللٍ صلف	لا يرعوي عن صدوده صلفاً ^(٢)
فأنّ الحافظه تقول قف	إذا أردت السلو منصرفاً
فذلّتي من هواه من شرفي	لا تعجبوا من تذلّلي أبداً

(١) وغضاضة عوده : رقة عوده ولينها .
(٢) صلفاً : تكبراً .

وقوله في نقل مثل بالفارسية الى العربية :

يا عجباً من جدّي الهابط وما مضى في زمن فارط
ظننتُ أنّي راكبٌ مرةً عيراً^(١) فأصبحت على حائط
ومما انشدني غيره قوله من قصيدة الى الأستاذ ابي العلاء بن حنبل ايده الله تعالى :

ما ماء منزكم الغمام^(٢) مجلجلٌ تزجيه أنفاس الرياح لبسطه
أشقى لحامي غلّة من رقعة من عند سيدنا تكون بخطه

وقوله من اخرى فيه وقد كان لزم منزله لحالٍ اوجبت ذلك :

صفيّ الحضرتين ابا العلاء يدال المرء في ضمن البلاء
وليث الغاب يلبد لامتيحٍ وغربُ السيفِ يغمد لانتضاء^(٣)
لساموك الخفاء وكيف تخفى وأنت الشمسُ في رآد الضحائِ
أبى الاصباح أن يخفى سناه ضبابٌ أو يغشى في غطاءٍ
ومن يثني الجدالة عن ركونٍ ويحتزل الغزالة عن ضياءٍ
وحدّ الزاعية^(٤) عن نفاذٍ وغرب المشرفة^(٥) عن مضاءٍ
ومن سلب السّماك علوسمكٍ ومن حجر الذكاء على ذكاءٍ
وانّ السيل مستنٌ طريقاً اذا امتلأت به شعب الاضاءِ
وكيف تسومُ دنياك استواءً وهذا الدهر اعصل^(٦) ذو التواءِ
فلا ترعَ العذول السّمع واعتض ثناءُ المعتفين عن الشراءِ
وعش ما مال بالورقاء^(٧) غصنٌ وما كرّ الصباح على المساءِ

(١) عيراً : ناقة .

(٢) منزكم الغمام : السحاب المطر .

(٣) لانتضاء : لاجراجه من غمده . وغرب السيف : حده .

(٤) الزاعية : يقصد بها الرماح .

(٥) المشرفة : يعني بها السيوف المشرفة .

(٦) اعصل : المعوج في صلابه .

(٧) الورقاء : الحماية الهادئة .

وقوله في فتى حلق صدغه :

أبا نعيم أيا فرد الجمال ومن
لا تجزعن لصدغ قد فُجعت به
إن كان صدغك معزولاً فلا أسف
له من الحسن معناه وجملته
فإن عارضك الأحوى خليفته
هذا عذارك قد جاءت ولايته

وقوله في أبي الفتح الضراب لما استوزر :

ايا للناس من رجل سمين
تلقب بالأمين بلا احتشام
نسياه فثار من الكمين
ولم نسمع بخوان أمين

وقوله زعم :

ما ان نظرت الى محاسن وجهه
الآ وددت بأن تقد نواظري
وفتور مقلته وحسن قوامه
بيد الهوى شسعاً لنعل غلامه

وقوله وأنا أشك فيه :

لا يصحبن ملوكنا الآ امرؤ
فله لديهم زلفة ومنالة
ما ذاك الآ أنهم اشكالهم
لص مغن مفلس قواد
ولمن تحرج واستعف كساد
والقرد يعرف قدره القراد

وله من قصيدة :

جمعت نفاذاً في العلوم وفي الوغى
ومثلك في الهيجاء والعلم فارس

٨٩ - ابو علي محمد بن حمد بن فورجة البدوجردي

لم أسمع ذكره وشعره الآ من الفقيه ابي الحسن بن ابي عبيد ايضاً اذ ذكر أنه
من اهل اصبهان المقيمين بالري المتقدمين بالفضل المبرزين في النظم والنثر
وعرض علي جزءاً بخطه من شعره كالروض الممطور والوشي المنشور ، وأنشدني

قال أنشدني لنفسه من قصيدة :

ألم تطرب لهذا اليوم صاح
كأنّ الأيك يوسعنا نثاراً
تميد كأنّها علّت براح^(١)
كأنّ غصونها شربُ نشاوي

وأنشدني له في فستق مملّح :

فلو ترى ثقلني وما أبدعت
قلت حماماتٌ على منهلٍ

وله فيه مملّح :

اعجب اليّ بفستق أعدده
مثل الزبرجد في حريرٍ اخضر

وله في الغزل :

أيها القتالي بعينيهِ رفقاً
أكثر اللائمون فيك عتابي
ان بي غيرَةً عليك من اسمي

وله :

أكرم أسيرك أن يكون مُباداً
واخبر مودّته بقلبك أنّه

الى نغمٍ وأوتارٍ فصاح
من الورق المكسّر والصحاح
وما شربت سوى الماء القراح
يصفّق كلّها راحاً براح

فيه بماء الملح كفّ الصنع
شحت مناقير تسبغ الجرع

عوناً على العاديّة الخرطوم
في حقّ عاجٍ في غشاء أديم

انما يستحقّ ذا من قلاك^(٢)
أنا واللائمون فيك فداكا
أنّه دائباً يقبلُ فاكا

وهب الفتى عبداً لديك مفاداً
حجر الصيّارف شدّةً وسواداً

(١) علّت براح : أي شربت واسقيت والراح : الخمرة

(٢) القل : الهجر .

وله في ترجمة بيت بالفارسية للمعروفي :

يظنون ما تذري جفوني أدمعاً
تعيد بياضاً حمرة الدّم لوعتي
بل الدّم منها يستحيل فيقطرُ
كما ابيضّ ماءُ الورد والورد أحمرُ
وله :

أما ترون الى الأصداغ كيف جرى
كأثما مدّ زنجي أنامله
لها نسيمٌ فوافت خدّه قدرا
يريد قبضاً على جمرٍ فما قدرا
وله :

نومي وعيشي والقرار وصحتي
بالله ربّك هل سمعت بشادن^(١)
مما فقدت فليت شعري ما الرّدا
ضحّى بأنفس عاشقيه معيدا
وله من نتفة :

ماذا عليك غزال آل العارض
من أن أكون فداء ذاك العارض^(٢)

٩٠ - أبو الحسن محمد بن أحمد بن رامين

حدثني أبو الفتح الدّباوندي أيّده الله تعالى قال جمعني وآياه بعض مجالس
الأنس وفيه نفرٌ من الفضلاء فسألوه أن يجيز قول مجنون بني عامر :

أقول لطبي مرّ بي وهو راتع
أأنت أخو ليلى فقال يُقال
فارتجل على النفس :

فقلت يقال المستقيل من الهوى
إذا مسّه ضرٌّ فقال يقال

(١) شادن : ولد الغزال .

(٢) العارض : صفحة الخدّ .

فتعجب القوم من حدة ذهنه واسراعه في تجنيس القافية . وله ارجوزة أجاب بها أبا سعد الأبي من ارجوزته الصادرة اليه من ويمة :

وافتنى القصيدة الكريمة من كل ما يشينها^(١) سليمة
وهي لعمري درة يتيمة قد أسفرت عنها ظلال ويمة
وله :

سرت فؤاداً وأقرت عينا وفجرت من السرور عينا^(٢)
وأصبحت للأخوات عينا^(٣) حتى لقد خفنا عليها عينا^(٤)

٩١ - ابو محمد النظام الخزرجي

حدثني ابو الفتح الدبائندي قال أمر له الأستاذ ابو العلاء بجائزة فأطلق نصفها فكتب اليه :

سألتك أيها الاستاذ حاجة ولا شططاً طلبت ولا لجاجة^(٥)
فقممت ببعضها وتركت بعضاً ومن حق المقصر أن يواجه
جزاك الله عني نصف خير فأتك قد نهضت بنصف حاجة

٩٢ - ابو سعد علي بن محمد بن خلف الهمداني

قد تقدم ذكره في اليتيمة^(٦) وتكرر في التتمة ملح وغرر من بدائعه وقعت الى باخرة وليس لها منزل فمنها ما أنشدني ابو اليقظان عمار بن الحسين أيده الله تعالى

(١) يشينها : يعيبها .

(٢) عينا : منهلاً .

(٣) عينا : مساعدة .

(٤) عينا : جاسوسة .

(٥) لجاجة : الحاجة .

(٦) اليتيمة ج ٣ ص ٢٢٤ .

قال أنشدني ابو سعد لنفسه في غلام يشتكي ضرسه ولم أسمع في معناه أحسن وأبدع منه :

عجياً لضرسك كيف تشكو علةً
هلاً كمثل سقام ناظرك الذي
او عقربي صدغيك اذ لدغا الوري
ومنها قوله :

ولما شربناها^(١) ودبّ ديبها
مخافة أن تلقي عليك شعاعها
الى موضع الأسرار قلت لها قفي
فينظر جلاسي الى ودك الخفي
وله من قصيدة في فخر الدولة يذكر فيها بدر بن حسوية :

هو سيف دولتك الذي أغنيته
فغدا بطول يدك لو كلفته
واذا هتفت به لرأس متوج
فالرخ بدرٌ والعداة بيادق^(٢)
ومنها :

وتملكت رقّ السعود بوجه
فالزهرة الزهراء بعض امائه
سعدان ذاك لجده ولجده
فاذا تجلّى للعيون جلاله
وقفا بمنطقتي رضاه وقلدا
واستكتبا عنه عطارد كلّ ما
بسعود طالعه الذي جلاه
والمشتري مملوكه وشراه
أبداً وتلك للهوه ولهاه
يوم السلام انجاب حجب دجاه
كيوان والمريخ سيف سطاه
ينهى ويأمر رأيه ونهاه

(١) وفي الأصل : شربنا .

(٢) بيادق : أحد حجارة الشطرنج ومفردتها بيدق .

وله من قصيدة فريدة عجيبة في بهاء الدولة وذكر ما شجر بينه وبين الأخوة :

عن صبوة وصبابة وتصابي
منه تكون منية الأحباب
أن يظن العذال فيك لما بي
أن يشعر الغيران بالتسكاب
أهواز معتكف على الاطراب
من عود عودة أو رباب رباب^(١)
قسمين بين عذوبة وعذاب
نشرته كفي من سطور كتابي
حتى شققت من السُرور ثيابي
قلق له اطفأ ولا يدرى بي
بالورد والرمان والعناب
وبنانها لشفاء ذي الأوصاب^(٢)
خطبت اليّ الشمس في الخطاب
لا تأثمي يا هذه في بابي
أفنيك فيك نضارتي وشبابي
بالمجد وهو من الهوى أولى بي
بعزيم أروع للدجى ركاب
نغمي ورقراق السراب شرابي
وضربت فوق الفرقدن قبابي

كتبت اليّ من العراق كتابي
وسلامة الآ من الشوق الذي
وخفوق قلب ليس ينكر خيفة
ودموع عين يرتعدن مخافة
هذا حديثي بالعراق وانت بالـ
وعلى استماعات المغاني دائماً
والحمد لله الذي قسم الهوى
فأجبتها والدمع يمحو كل ما
وصل الكتاب فما فضضت ختامه
ثم اطلعت على الكتاب فكدت من
وحلفت من ثمرات غصن قوامها
النبات بخذها وبصدرها
ما اعتضت^(٣) منها خلّة ابداً ولو
الله فيّ فأنني ثقة الهوى
أأروم غيرك خلّة من بعد ما
كلا ولكنني سلوت عن الهوى
فركبت هادية الدجى متلثماً
وجعلت ريحاني القتادة^(٤) والصدى
حتى أنخت على السّمك رواحلي

(١) هناك جناس تام بين الآلة الموسيقية والضاربة عليها .

(٢) الأوصاب : الأسقام والآلام .

(٣) ما اعتضت : أي ما استبدلت عنها .

(٤) القتاد : الشوك .

في ظلّ مولانا بهاء الدولة الـ
ملك الملوك برغم كلّ منافسٍ
الفضل يكسبه الفتى بنفاسةٍ
وكذا بنو يعقوب يوسف خيرهم
وبغوا له كيداً فكان له الى
وتشابه الأمرين يؤذن ايها الـ
وبأن قومك سوف يسجد كلّهم
مستغفرين ذنوبهم بضراعةٍ
وتقول لا تثريب^(١) عند سجودهم
فاغفر لهم جهلاتهم وألن لهم
وابذل لهم كتب الأمان ليسرعوا
فان استمرّ على الضلال يريدهم
فأذن لألسنة الطّبي^(٢) فيهم بأن
انّ السفية اذا أبى اصلاحه
وادخل الى شيراز أيمن مدخلٍ
ثم ارم بي بعض البلاد وخلني
واهز منبرها بدعوتك التي
لي نجدة الفتاك في الهيجا وان
ولو اختبرت مواقف لوجدتني
ووجدت في درعي وفي درّاعتي

ملك الأجل السيّد الوهاب
أغراه فضل سنه بالاعجاب
ونجابه لا شية وشباب
وان استووا في ذروة الانساب
درك الذرى من أوكد الأسباب
ملك الأجل بجدك الغلاب
لك سجدة الأتباع للأرباب
ومعفرين وجوههم لتراب
كرماً تمنّ به مكان عقاب
كف الرعاية منك والايجاب
متزاحمين على ورود الباب
لشقائه وسفاهة الألباب
يخطبن فوق منابر الأرقاب
بالحلم لم يكن الحسام بأبي^(٣)
دخلت به اسد الثرى^(٤) في الغاب
انقض فوق عقابها كعقاب
يصل الخطيب بها الى المحراب
خالفتهم في نسبة الكتاب
في الخدمتين معاً من الانجاب
او في فتى بكتيبة وكتاب

(١) لا تثريب : لا ملامة .

(٢) الطّبي : حد السيف والرمح والسكين وغيره .

(٣) باي : يمتنع .

(٤) اسد الثرى : اسد الغاب .

لا ابن العميد ولا ابن عبّاد ولا
 انا فوقهم بعلوّ جدك كلهم
 واذا كتبت كتاب فتحك فارساً
 وقد ابتدأت اعدّ آلات الوغى
 وسوابق من نسل عوج ضمّر^(٢)
 عبد الحميد يُعدّ من اضرابي
 بشهادة الأدباء والآداب
 أرضاك حسنُ بلاغتي وخطابي
 من مرهفات أسنة^(١) وحراب^(٣)
 صمّ الفصوص لواحق الأقارب

وأنشدني ابو جعفر محمد بن ابي علي الطبري قال انشدني ابو الفرج حمد بن ابي
 سعد بن خلف الهمداني لنفسه :

لئن كنتَ في نظم القريض مبرّزاً وليست جدودي يعربُ وايدُ
 فقد تسجع الورقاءُ وهي حمامةٌ وقد تنطق الأوتارُ وهي جمادُ

٩٣ - ابو غانم معروف بن محمد القصري

كان من رؤوس الرؤساء وكرام البلغاء والغالين في محبة الأدب واقتناء الكتب
 وجمعتي وآياه في اجتيازه بنيسابور صحبة يسيرة المدة كثيرة الفائدة وقد كان سمع بي
 ولم يرني فاستنسخ كتباً لي وأنشدني أبياتاً لنفسه علق بحفظي منها قوله :

اذا لبس التفاح خلعة طلّه وقابل فيها البدر اصبح محمراً
 فما بال خدّي في سقيط دموعه اذا هو لاقى وجهك البدر مصفراً
 وقوله في الشيب :

انّ للشيب حساماً حاسماً طيب الرقادِ
 سلّ في فودي^(٣) ما اغد مد منه في فؤادي

(١) أسنة وحراب : يعني بها الرماح والسيوف .

(٢) ضمّر : هزال يقصد بها الخيل الضامرة التي تكون سريعة في الحرب .

(٣) فودي : الشعر الذي على جانبي الرأس .

وقوله في الفرس :

حكى فرسي الليل في لونه
فكان له غرة في التمام
ولازمه البدر عند اضطراب
ونعلاً لحافره في السرار^(١)

وقوله في الهلال :

أقبل الليل والظلا
فرأيت الهلال في
م عن الافق منجلي
ه كتعفيف منجل

وقوله :

إذا ما تبينت ضعف العدو
وسالمة إن عصفت ريحه
فثاوره تجرببه عند الثبات
كما سالم الريح نجم النبات

وقوله في الغزل :

أرى شفتيك من مسك وخمر
فإن يمرر كلامك ليس بدعاً
وطعمهما إذا ما ذيق مر
فإن ممره مسك وخمر

وقوله في الأمير أبي احمد محمد وبكائه على أبيه :

لا غرو ان تأسى على ملك مضي
ولئن بكيت وأنت طود للنهي^(٢)
أذرت مدامعها عليه عيون
فلقد تسيل من الجبال عيون

٩٤ - ابو القاسم ابراهيم بن عبد الله الكاتب الطائي

من افراد الكتاب وفضلاء الزمان نقل من الرّي الى الحضرة بغزنة حرسها الله تعالى واستخدم في ديوان الرسائل بها ثم ضم الى الشيخ العميد ابي الطيب طاهر بن

(١) السرار : المحاق حيث يختفي البدر .

(٢) النهي : العقل .

عبد الله ليكتب في ديوانه بالرّيّ فهو أعلم بشمس أرضه وهو القائل له بهراة من
قصيدة :

البرد يا فرد العلى آت
والعبد لم يأخذ له امة
والحال قد رقت فلا مرفق
وأنت لي عون على كل ما
يجرّ ذيل الظالم العاتي
يأخذها المشتو والشاتي
يجبرها أو راتب آتي
تجمع في السرعة أشتاتي

وله من قصيدة :

واشرب معتقة كأنّ وميضها
يسقيكها رشاً^(١) أغنّ جفونه
ناراً على قلل الجبال^(٢) تسعر
قبل الكؤوس المسكر أنك تسكر

٩٥ - ابو الحسن عليّ بن محمد بن احمد الكاتب

يقول من قصيدة اولها :

صبا قلبي وحنّ الى سعاد
أمرودّ لنا ماضي زمان
ليالي رصعت تيجان عيشي
تهبّ صبا صباي عليّ رهواً^(٣)
ودون لقائها خرط القتاد^(٤)
ومنّ لي بالزمان المستعاد
بدرّ اللّهو في سلك المراد
وتلفح شرّتي^(٥) وجه الرّشاد

ومنها :

سأمتلك المعالي بالعوالي^(٦) وأشحذ غرب عزمي واجتهادي

(١) قلل الجبال : قطع منها ، او قمم .

(٢) رشاً : ولد الغزال ويقصد بها المعنبة ، والأغنّ : ذو الصوت الرخيم .

(٣) القتاد : أي ان طالبه لا يناله الا بمشقة . كخرط القتاد . وخرط القتاد هو انزاع شوكة باليد .

(٤) رهواً : ساكناً .

(٥) الشرّة : الحدة ، وشره الشباب : نشاطه .

(٦) العوالي : الرماح .

فقد ملّ اعتزامي من مقامي
وكم من ليلة طحياء^(٢) عادت
وهل خاب امرؤ أسرى ورجى
ثمال عشيرة وغنى عفاق
له شيم لو اكتست الليالي
وعاف جمامه^(١) الموزي جوادي
على السارين واضحة الهوادي
أبا منصور الواري الزناد
وحامل مغرم وهلال ناد
محاسنها لما دجت الداء آدي^(٣)

٩٦ - ابو النّجم مُسافر بن محمد القزويني

يقول :

لا يغرنكم علو لثيم .
وارتفاع القرين فيه فضوح
فعلو لا يستحق سفال
وعلو المصلوب فيه كمال

ويقول :

أيدك الله لا تهني
لو حجراً كنت او حديداً
حقق رجائي وحسن ظني
أذا بني الهجر والتجني

ويقول :

تصافحت الأكف وكان أشهى
تسر اذا التقت كف وكف
الينا لو تصافحت الخدود
كيف اذا التقى جيد وجيد

٩٧ - ابو الفتح محمد بن احمد الدبائندي

ريحانة الرؤساء وشمامة الوزراء يستوطن الري ويرجع الى فضل كثير وأدب

(١) جمامه : راحته .

(٢) طحياء : شديدة الظلام .

(٣) الداء آدي : الليالي المظلمة .

غزير وحفظ عجيب وبلاغة بالغة ولسان كأثما عنه ابراهيم بن سياه الأصبهاني بقوله
في ابي مسلم بن بحر :

لسان محمد أمضى غراراً^(١) وأذرب من شبا^(٢) السيف الحسام
إذا ارتجل الخطاب بدا خليجٌ بفيه يمدّه بحر الكلام
كلامٌ بل مدامٌ بل نظامٌ من الياقوت بل قطر الغمام

وورد نيسابور في صحبة الرؤية العالية أدام الله علوها فنشر بها طرز فضله وملاها من
فوائده وأعرب عن محاسنه ودرت عليه المشاهدة السلطانية والمبار السنية ،
ثم جذبه الشيخ العميد ابو الطيب طاهر بن عبد الله الى الري وردّه في صحبته الى
مستوطنه ، فمما أنشدني لنفسه قوله في الغزل :

كلّفتُ مَنْ أهوى تجشّم قبله ظرفاً فأولّى غاية الايجاب
ولثمتُ عارضه فكان كخلقه عطراً يذيع سرائر الأحباب

وله في رئيسٍ ممتحن :

بأيّ يدٍ أصول على الليالي وقد خانت أناملها الذراعُ
بودّي لو تبيت على جفوني ولكن عزّ ما لا يستطيعُ

وله في الاستزارة :

أيا ملك الدنيا كسوت عراضها^(٣) مكارم في وجه الزمان تنقشُ
وظلت كأنّي في الأنام خطيطة سقت جارتها ديمة وهي تعطشُ

وله في قولٍ يكنى ابا الخطاب يهجوّه :

(١) غرارا : الغرار ، حدّ السيف والسهم والرمح .

(٢) أذرب من شبا السيف : أي اشدّ مضاء من حدّ السيف القاطع .

(٣) عراضها : ساحاتها ، وفسحاتها .

أبا الخطّاب يا قمر الزّمان
 وآباط يفوح لها صينان^(١)
 وداخل ثوبه جربٌ عتيقٌ
 فذا يُعمي وذا يعدي فأثى
 وفيه ابنةٌ قدّمتْ وشاعتْ
 وما دارُ أَلَمٍ بها فأبقى
 فأشأَمُ حين يضحى من قدارٍ
 وأثقل من قضاء السوء وجهاً
 وإنْ أبصرته يوماً يغني
 وإن أخذ القضيبي يروم صوتاً
 إذا غنى ووقع مستطيلاً
 دُوار الرّأس حشرجة التّراقي^(٢)
 فأبعدهُ فانك سوف تلقى

به برصٌ يشاهدُ بالعيانِ
 وايزار العمى شمّ الضّنانِ
 توارثه على قدم الزّمانِ
 تنادم من يكون بذا المكانِ
 مع الشّوم المزتر في قرانِ
 سوى الأطلال فيها والمغاني
 وأطفل حين يسمي من بنانِ
 وأوسخ من قدور الباقلاني
 فإنّ الفقرَ في تلك الأغاني
 بكى منه قضيب الخيزرانِ
 علاه قبل أصوات الأغاني
 سعالُ الحلقِ تَفْقِيعُ البنانِ
 نديماً ليس فيه ذي المعاني

٩٨ - الأستاذ ابو الفرج عليّ بن الحسين بن هندو

هو من ضربه في الآداب والعلوم بالسهم الفائزة وملكه رقّ البراعة في
 البلاعة ، فرد الدّهر في الشعر وأوحد أهل الفضل في صيد المعاني الشوارد ونظم
 القلائد والفرائد مع تهذيب الألفاظ البليغة وتقريب الأغراض البعيدة وتذكير الذين
 يسمعون ويروون أفسحُرْ هذا أم أنتم لا تبصرون . وكنت ضمنت كتاب اليتيمة نبذاً
 يسيراً من شعره^(٣) لم أظفر بغيره وهذا مكان ما وقع اليّ بعد ذلك من وسائط عقوده

(١) آباط : جمع إبط ، والصنان : الرائحة المنتنة .

(٢) حشرجة التراقي : الحشرجة : الصوت الذي يظهر فيه الاختناق ، والتراقي من الترقوة وهي : العظمة التي بين

النحر والعاتق في أعلى الصدر .

(٣) اليتيمة : ج ٣ ص ٢١٢ .

وفوارد أبياته بل معجزاته فمنها قوله في الغزل وما يجري مجراه :

تعانقنا لتوديع عشاء وقد شرقت^(١) بأدمعها الحداقُ
فما زال العناق يضيق حتى توهّما عناقُ أمْ خناقُ

وقوله :

وحسبك ما أخّرت كتبي عنكم لقالة واشٍ ام ملام محرّشٍ
ولكنّ دمعِي انْ كتبت مشوشٌ كتابي وما نفع الكتاب المشوشِ
وقوله :

أصبح من ودّي على حرفٍ منْ لم أخْنه قطُّ في حرفٍ
أسقمني طرفك من سقمه وصحتي في سقم الطرفِ^(٢)
منك صلاحِي، وفسادي معاً والنّفح مذكي النّار والمطفي
صوّرت من لطفٍ فلمْ لا أرى منك سوى الجفوة والعنفِ
وقوله :

عارضَ وردُ الغصون وجنته فاتفقا في الجمال واختلفا
يزداد بالقطف وردُ وجنته وينقص الورد كلما قطفا
وقوله :

أيا بدرأ بلا كلفٍ^(٣) به دون الورى كلفي
بما في الطّرف من كحلٍ وما في الخصر من هيفٍ^(٤)
أبْنُ لي درّ ثغرك ما بهاء الدرّ في الصدفِ

(١) شرقت : غصت .

(٢) الطرف : العين .

(٣) الكلف : ما يظهر في الوجه من بقع سمراء صغيرة .

(٤) الهيف : الرقة والنعومة والضعف .

وقوله :

تطوّقت من منّ الحمام المطوّق
وفرخاً بدا من بيضه المتفلّق
خليلي وخليّ صحبتي كلّ مشفق
بكيت لأشواقِي ولم يتشوّق

فلقد جَلّت لدينا نعمة
وأرت خديك عيني أنجمة

ولم يلق بيناني بعدكم قدحُ
شوقُ له في ميادين الهوى مرحُ
والنار تكمن^(١) حيناً ثمّ تنقذُ

من طرفه رضىتُ بقبلته ديه^(٢)
فأشدّ ما أدعو به أن افديه

قد كفتني عيني جميع اكتيابي
فأرى فيه صورة الأحباب

وخادعِ النَّفسَ إنّ النفسَ تنخدعُ

ألا ليت شعري كيف أشكر بعض ما
فدتُ مهجتي أيكاً عليه سقوطه
لساعد نوحى نوحه حين ملّني
كلانا سواءً في البكا غير أنّي
وقوله :

ليت أنّ اللّيل دامت ظلمه
مثّلتُ صدغيك لي ظلمته

وقوله :

لم يستجب لحياتي بعدكم فرحُ
شوقي اليكم أعاد الله عهدكم
يخفى مراراً ويبيده تلفته
وقوله :

ظبيّ إذا قتل النفوس بصارم^(٣)
وإذا دعوت عليه عند تعثّي
وقوله :

ليس بي من أذى الفراق اكتياب^(٤)
كلما شئت أسبلتُ دمّ قلبي
وقوله :

قالوا اشتغل عنهم يوماً بغيرهم

(١) تكمن : تهدأ

(٢) الصارم : السيف القاطع .

(٣) الديه : الغرم الذي يدفع لذوي القتيل .

(٤) اكتياب : أي اكتشابي وحزني .

قد صيغ قلبي على مقدار حبهم
وقوله :

فما لبّ سواهم فيه متسع

خلعت عذارى في شادن
غدا وجهه كعبة للجمال
وقوله :

عيون الأنام به تعقد
ولي قلبه الحجر الأسود

قولا لهذا القمر البادي
زود فؤاداً راحلاً قبله
وقوله :

مالك اصلاحي وافسادي
لا بدّ للرّاحل من زاد

احلك حتى صرت اغسل ناظري
ولو قدرت نفسي لضني بسرّكم
وقوله :

من النوم خوفاً أن يراك خيالها
إذا حجت سرّ الهوى عن فؤادها

يطلب الغائص في بحره الدّ
فإن يكن عبدك ذا فاقة
وقوله :

ؤلؤ والعاشق في حجره
أغناه دمع العين عن درّه

وجريح وجهه قل
أنا أفدي من محيا
ومنها قوله في الخطّ والعدار :

بي بحبه جريح
ه على الجرح مليح

أيها الكاتب الذي خير الخاء
فجلا المسك في صحيفة عاج
ليت جسمي النحيف من بعض
فلعليّ يوماً أمسّ بناناً

تق بخطين بين مسك ونقس^(١)
وجلا النقس في صحيفة طرس^(٢)
أقلامك أضحي وليت نفسك نفسي
منك يا سيدي فيذهب مسي^(٣)

(١) النقس : ما يعيب ويقال رجل نقس اي يعيب الناس ويلقبهم .

(٢) الطرس : الكتاب .

(٣) مسي : ما يبي من جنون .

وقوله :

أبقي على ورعي ولا نسكي
غمست أكارعهن في مسك

أرخي لعارضه العذار فما
فكأن غملاً قد دبين به

وقوله :

ومحا العذار سنا الحبيب وما محا
وافى بسلسل حسنه أن يبرحا

قالوا صحا قلب المحب وما صحا
ما ضرة شعر العذار وإثماً

وقوله في ذم العذار :

وكف عينا بدمعها غرقه
الآحاح من جماله ورقه

كفى فؤادي عذاره حرقه
ما خط حرف من العذار به

وقوله :

إن نمت عني فليس لي وسن^(١)
حتى تبدى فزادت المحن
تتبه في وصف كنهها الفتن
قد كان غصناً فأورق الغصن

يا من حيّاه كاسمه حسن
قد كنت قبل العذار في محن
يا شعرات جميعها فتن
ما عيروا من عذاره سفهاً

وقوله لبعض الرؤساء وقد انصبت الخمر على كفه في مجلس الشراب :

تلثم منه كمّ خدمة
قد فعلت ما خصّصت كمّة

انصبّت الخمر على كفه
لو لم ترد خدمته بالتّي

وكتب على عود :

من العود باتقان
وهذا طيب آذان

رأيت العود مشتقاً
فهذا طيب آناف

وكتب على طنبور :

أغاريد تجنيها ندامى وجلاس

ودوحة انس أصبحت ثمراتها

(١) الوسن : النعاس .

تَغْنَى عَلَيْهَا الطَيْرُ وَهِيَ رَطِيْبَةٌ
وَقَالَ فِي ذَمِّ الْخَمْرِ .

قَدْ كَفَانِي مِنَ الْمَدَامِ شَمِيمٌ
هِيَ جَهْدُ الْعُقُولِ سَمِّي رَاحاً
إِنْ تَكُنْ جَنَّةُ النِّعَمِ فَفِيهَا
وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي الْمَجَا :

لَنَا مَلِكٌ مَا فِيهِ لِلْمَلِكِ آلَةٌ
أَقِيمْ لِاصْلَاحِ الْوَرَى وَهُوَ فَاسِدٌ
وَقَوْلُهُ :

قُلْ لَابْنِ عِبْدَانَ الدَّنَى الدَّنُونُ^(١)
أَلْخَطُّكَ الْمَلْعُونُ أَمْ لِكَلَامِكَ الـ
وَقَوْلُهُ لِمَجْدِ الدَّوْلَةِ وَكَانَ اتَّخَذَ لَهُ ابْنُ فَضْلَانَ دَعْوَةً عَظِيمَةً :

وَمَنْ مَبْلَغُ عَنَى الْأَمِيرِ بْنِ بُوَيْهِ
أَسْرَكَ مِنْ فَضْلَانَ اصْلَاحَ دَعْوَةٍ
كَمْمَهْوَرَةٍ مِنْ حَقَّقَهَا بَعْضُ حَلِيهَا
وَقَوْلُهُ :

لَمْ يَأْسِرِ الْكَلْبُ مِنْ مَلِكٍ وَسُلْطَانٍ
لَا عَارَ بَاسْتِكَ إِنْ أَزْرِي بِهَا قَلْعُ^(٢)

فَلَمَّا عَسَتْ^(١) غَنَى عَلَى عَوْدِهَا النَّاسُ

صَالِحَتْنِي النَّهْيُ وَثَابَ الْعَزِيمُ
مِثْلُ مَا قِيلَ لِلْدِّيغِ^(٢) السَّلِيمُ
مَنْ أَذَى الْجَهْلِ وَالْخَمَارِ جَحِيمُ

سَوَى أَنَّهُ يَوْمَ السَّلَامِ مَتَوِّجُ
وَكَيْفَ اسْتَوَاءَ الظِّلِّ وَالْعُودِ أَعْوَجُ

وَزَرَّتْ مِنْ دُونِي وَقَدْرَكَ دُونِي^(٣)
مَلْحُونُ^(٤) أَمْ لِعَجَانِكَ الْمَطْعُونُ
وَقَوْلُهُ لِمَجْدِ الدَّوْلَةِ وَكَانَ اتَّخَذَ لَهُ ابْنُ فَضْلَانَ دَعْوَةً عَظِيمَةً :

وَمَنْ عَجَبُ الدُّنْيَا أَمِيرٌ وَلَا أَمْرُ
بِأَمْوَالِكَ اللَّاتِي تَخَوَّنَهَا الْغَدْرُ
تَسَرَّ بِأَنْ نِيَكْتُ وَمَنْ كَيْسُهَا الْمَهْرُ

وَقَدْ عَلَوْتَ إِلَى دَسْتٍ وَدِيْوَانٍ
مَنْ يَابَسَ السَّلْحُ^(٥) فَاسْتَاكَتْ بِجَرْدَانٍ

(١) عَسَتْ : قَسَتْ .

(٢) لِلْدِّيغِ : الَّذِي لَدَغْتَهُ الْأَفْعَى .

(٣) الدَّنَى الدَّنُونُ : السَّفِيلُ الْمُنْهَضُ .

(٤) دُونِي : أَقْلُ .

(٥) الْمَلْحُونُ : أَصَابَهُ اللَّحْنُ أَيْ فَسَادُ اللَّغَةِ .

(٦) قَلْعُ : مَا هُوَ وَسَخٌ مِنَ الثِّيَابِ .

(٧) السَّلْحُ : الْفَضَلَاتُ الْخَارِجَةُ مِنَ الْبَطْنِ .

وقوله :

عجبت لقولنج هذا الوزير
وفي كل يوم له حقنة
ر أني ومن أين قد جاءه
تنظف بالزب أمعاءه

وقوله في أقرع :

أكفنا زحمة الذباب بابعا
هبك أوتيت تاج ملك فائي
لك رأس للتاج فيه مكان
هاك قد حازت السلاف دنان^(١)

وقوله في الصلاح :

كيف أرجو السماح أو أبتغيه
يولد التوأمين فيه وكل
في زمان عم البغاء بنيه
منهما ممسك بأير أخيه

فنون مختلفة الترتيب من بدايع شعره

قال في معنى نظم سبق اليه نشرا :

ليت العناق وشرب الراح قد عقدا
فلم يعانق مليحاً غير ذي كرم
شيثان نغص أهل الفضل طيئهما
وقال في مدح الجرب وملح وظرف :

يهيج مسرتي جرب بكفي
تجنبني اللثام لذاك حتى
إذا ما عد في الكرب العظام
كفيت به مصافحة اللثام

(١) القذال : ما بين الاذنين من مؤخر الرأس .

(٢) السلاف دنان : الخمر الموضوعة في اوعيتها .

(٣) يحب : يسير .

وقال يهجو :

ما كان ذاك الطعام من كيسه
فقد شهدنا دخان تعبسه

لو مات لم يأكل الطعام اذا
إن لم نشاهد دخان مطبخه
وقال في احمد القطان القوال الرازي :

له الطير في جو السماء تصيخُ
وعود وناي في التراب يسيخُ
فشبَّ سروري والهموم تشيخُ

إذا أحمد القطان غنى توقفتُ
وكاد حياءُ كل لحنٍ ونغمةٍ
لقرطَ سمعي من جلاجل صوته
وقال في مراجعته الشعر بعد تركه إياه :

وأكبر عن مدح وأزهد في غزل
خواطر شعر كان طالعه أفل
يفاعُ يزلّ السيل عنه على عجل
لديه وشعر الأخطلين من الخطل^(١)

وكننت تركت الشعر آنف من خنى
فما زال بي حبيك حتى تطلعت
تزلّ القوافي عن لساني كأنه
فأصبح شعر الأعشيين من العشى
وقال في الخطُ :

أنّ ليس مثل جماله بمصور
قلم الاله بنقس^(٢) مسكٍ أذفر^(٣)

الآن قد صحّت لديّ شهادة
خطُ يكتبه حوالي خده

وقال في الأذريون :

ذهباً اشعل مسكاً في كوانين زبرجد

ربّ روضٍ خلت آذريونه لما توقّد
وقال في وصف الباذنجان مذموماً :

(١) الخطل : الحمق والكلام الفاسد .

(٢) نقس مسك : دواة .

(٣) أذفر : عابقة رائحته .

ذنجانة في المطعم
جم^(١) قد ملين من الدم

يا ذا الذي يعتدّ با
أنهك عن صور المحا

وقال فيه أيضاً :

أنهك عن صور المحاجم ألست لون الدمامل

يا ذا الذي يلقي بباذنجانة خير المآكل

وقال في طين الأكل :

فقد صحّ فيه حديث النبي
فأكله آكل للأب

دع الطين معتقداً مذهبي
من الطين ربّي برا آدمأ

وقال في الرزق :

فسيان التحرك والسكون
ويرزق في غشاوته الجنين

جرى قلم القضاء بما يكون
جنون منك أن تسعى لرزق

وقال في عزّ الكمال :

فاعلم بأن هناك نقصاً خافياً
لكماله ممّن براه ثانيا

وإذا رأيت الفضل فاز به الفتى
فالله أكمل قدرة من أن ترى

وقال في الشكوى :

ضياح حرف الرّاء في اللّثغة
يعجبني أن أبلغ البلغة

ضعت بأرض الرّي في أهلها
صرت بها بعد بلوغ الغنا

وقال في الحثّ على الحركة والسعي :

فشانكما أتّي ذهبت لثاني
لما كان يوماً يدأب القمران

خليلي ليس الرأي ما تريان
خليلي لولا أن في السّعي نفعة

وقال في مثله :

صحّ بخيل العلى الى الغايات ما غناء الأسود في الغابات
لا يردّ الردى لزوم بيوت لا ولا يقتضيه جوب فلاة
مولد الدرّ حمأة^(١) فإذا سا فر حلى التيجان واللبات^(٢)
أفّ للدهر ما ينّي^(٣) يتعس الفا ضل في بدئه وفي العقبات
يسكن المسك سرّة الظبي بدأ ثمّ يصلّيه^(٤) وقدة الجمرات

وقال في ذمّ البخيل :

يُسّرّ بخزن المال قوم ولم أكن لدى الخزن إلاّ مثل تصحيفه حزنا

وقال في النهي عن اتخاذ العيال والأمر بالوحدة :

ما للمُعيل^(٥) وللمعالي إنّما يسعى اليهنّ الوحيد الفارذ
فالشمس تجتاب السماء وحيدة وأبو بنات النعش فيها راكذ

وقال في الصبر :

تصبر إذا الهمّ أسرى اليك فلا الهم يبقّى ولا صاحبه

وله رسالة هزلية مترجمة بالوساطة بين الزّناة واللاطه لا يتسع الكتاب الا لهذا الفصل منها : قالوا قد علمت أنّ أصحابنا بلغ من جلالة قدرهم وفخامة أمرهم ان لم يقتصروا على الجسمانيين حتى سمت بهم همهم الى الرّوحانيين فأرادوا الملائكة بالصومة لولا أنّ الله خصهم بالعصمة ثمّ بلغ من تناهي هذا الفعل في الطيب وأخذه

(١) الحمأة : الطين الأسود والفاقد الرائحة .

(٢) اللبات : يعني بها الرؤوس .

(٣) مايني : ما يفتأ وما يتوانى وما يتوقف .

(٤) يصلّيه : يوقده ويشعله .

(٥) المعيل : كثير العائلة .

بمجامع القلوب انّ لو طأ استتر لهم بكرائمه عنه فلم يقلعوا وأبدلهم عقائله منهم فلم
يقنعوا فما ظنك بهمة تسمو الى ملائكة السماء ولذّة تؤثر على مصاهرة الانبياء ولا
سبيل الى أن ينكر فضل الذكور على الاناث وقد فضلهم الله في الميراث وشتان ما
بين الغلام الذي يصحبك في سفرك كما يصحبك في حضرك فإذا ركبت زان موكبك
واذا مشيت صكّ منكبك وإذا احتفلت خدمك وإذا خلوت نادمك ثمّ هو فوق الجواد
أسدٌ لا بد وتحت اللّحاف رشاً فارد وبين المرأة التي تشيب أنفاسها العناق^(١)
وتكاليفها المفارق وتعدم المرافق وتنقص الجسم وتنقص العمر وتكثر النسل وتقلّ
الوفر بلى ما شئت من فادحٍ ثقل الصداق وهمّ الامساك والطلاق ونفقة الاعراس
والاخراس وشفقة الوحم والنفاس .

٩٩ - الشيخ أبو المحاسن سعد بن محمد بن منصور

رئيس جرجان أيده الله تعالى

أجمع أهل زماننا أجمع على أنّه أجمع الرؤسا لما يكنى به وأجمعهم بين
العلوم والآداب وشرفي الانتساب والاكتساب وأنّه عالم في ثوب عالم وبحر في
شخص حبر وماله نظير وغصن شبابه نضير وكانت النائية رحب بي الى جرجان في
سنة ثلاث وأربعمائة فأنزلني أبوه الرئيس أبو سعد محمد بن منصور رضي الله تعالى
عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه منزله وأخدمني خدمة وأوسعني فضله وكرمه وكانت
حالي عنده ومعه حال من قال :

نزلت على آل المهلب شاتياً غريباً من الأوطان في زمنٍ محلٍ
فما زال بي اكرامهم واقتفاؤهم وأطافهم حتى حسبتهم أهلي

وأبو المحاسن إذ ذاك صبيٌّ لم يبلغ الحلم وقد آتاه الله في اقبال العمر جوامع
الفضل وسوّعه في ريعان الصبا محامد العلى فكنا نجتمع في جماعةٍ من الفضلاء

(١) العناق : شعرات صغار بين الشفة السفلى والذقن ومفردها العنقة .

والادباء والشعراء كل يومٍ وليلةٍ على المدارس والمذاكرة والمناشدة فيبذلنا أبو المحاسن بحسن محاضراته ومباهته ويعجبنا من بلاغته وبراعته على حدوث ميلاده وقرب اسناده وكتب لي جزءاً من شعره بخطه هو حتى الآن عندي وأتممت كتاب اليتيمة بحضرته فافتض عذرتة وتحفظ أكثره ولم يفرق بيننا إلا أن جاءني داعي الأمير أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه تغمده الله بغفرانه ومهد له أعلى جنانه فهضت من جرجان الى الجرجانية وضرب الدهر ضربانه ودارت الأدوار ومرت الأعوام وتنقلت الأحوال وكتبت للرئيس أبي سعد سعادة المحتضر وأفضى به الأمر الى الأجل المنتظر وقام الشيخ أبو المحاسن أيده الله تعالى مقامه في الرياسة وأرعى عليه في السياسة والسفارة والقبول التام عند الخاص والعام وبلغ من البلاغة والتقدم نحو سيبويه وفي الفقه والشعر مبلغاً تشنى به الخناصر وتشنى عليه الشبابات وطلع في سنة أربع وعشرين على نيسابور رسولاً الى حضرة السلطان الأعظم أدام الله تعالى ملكه ومؤدياً وديعة الكيا الأجل أبي كالجار أدام الله عزه فملأ العيون جمالاً والقلوب كمالاً وأوسع أهلها فضلاً وفضلاً وأقر عيني منه بقاء شخص المجد وتجديد العهد القديم بأوحد الدهر ولم يتفق لي تعليق شعره الجديد لعارض من المرضى ألم بي حتى فاتني ما مددت عيني اليه من عقود درة وعقد سحره مع انقلابه الى مركز عزه وعلى كل نجح رقيب من الآفات وأنا أقصرها هنا على كتبة نبذ من بنات خاطره القديمة الى أن الحق بها وسائط من قلائده الحديثة ، وهذه نسخة فصل من نشره بدأت به ولم أقرأ أبرع وأبدع منه في فنه : كنت خاطبت الشيخ بخطاب دللت فيه على غلوي في دين وده وضربي سكة الاخلاص باسمه وتلاوتي سور معاليه التي تكدر طولها لسان راويها وإيماني بشريعة مكارمه التي بعث والحمد لله نبياً فيها فدعا اليها دعوة استجابت لها الكرماء وحجت كعبة فضله الآمال الانضاء وخلد ذكره في صحف المكرمات تخليداً واعتقد الخلود من سودده علماً لا تقليداً وقضى حكام المجد بأنه الذي تلقى رايات المجد باليمين وتوختى نظم شاردها بعرق الجبين . وهذه نسخة رسالة له الى بعض خواص الشيخ شمس الكفاة رحمه الله :

أقرأ على الوشل^(١) السّلام وقل له كلّ المشارب مذ هجرت ذميمٌ
سقياً لظلك بالعشي وبالضحى ولبرد مائك والمياه حميم^(٢)

ما أحسبني منذ فارقت الشيخ أدام الله عزّه خلوت ساعة من تمثل شخصه والتفت
بأخادع الذّكر نحو كريم عهده واستسقاء صوب الرّبيع المربع لأنيس ربه والثناء
على الدهر الذي وصل حبلي بحبله وألف شملي بمجموع شمله :

وان لم يكن إلّا معرّج ساعة قليلاً فإنّي نافعٌ لي قليلها
وليت شعري هل يجول ذكرى في ميدان فكره أم طواه طي الرّداء فليس تهترّ لنشره
وأقبل على بثّ الأوطار الفساح بين مناجاة الأوتار الفصاح ومناغة الوجوه الصّباح
وارتشاف ثنایا الكؤوس اذا تجلّتها أيدي السقاة جلوة العروس وصلة عرى الصّبح
بعرى الغبوق والجري في ميدان اللّهُو جري السابق لا المسبوق واستغفر الله مما
طاش به سنّ القلم وأعوذ به أن يسخط لهذه الكلم واليه أرغب في امتاعي بخلّته الّتي
هي من جلائل النعم ولا يسرني بها وحقّ المجد حمر النعم وهذه المخاطبة واصلة
في صحبة فلان وهو من أقارب فلان تجاوز الله عن الماضي وأدام الله عزّ الباقي ولا
خفا بهذا النسب الّذي نظم من الكرم عقوداً وكان عليه من شمس الضحى نوراً ومن
فلق الصّباح عموداً وما أشك في استغنائه عن هذا الذّكر فقد عرف أحوالهم أيّام
اجتيازه بالرّي وكان هذا الشيخ نائباً عن أميرها ومنوطاً به جميع امورها حتى انحى
عليه صرف الدّهر واضطرّه الى مفارقة المستقر وقصد حضرة تمنع به جانبه فلا يرام
ويدرّع ثوب العزّ فلا يضام وهذه صفة حضرة الصاحب الأجل فإنّها الحضرة تخدمها
الأيام كما تخدمها السيوف والأقلام وأرجو ان يحظى بهذا القصد ويسعد بساحة
المجد فالبحر يعمّ بفيضه الخلق والرّبيع يمنح من شام برقه الودق . وهذه غررٌ من
شعره في صباه نقلتها من خطه فمنها قوله من قصيدة في مدح أبيه رحمه الله :

(١) الوشل : الدامع العين .

(٢) حميم : حار .

وَمَرَى^(١) دموع المستهام
 عاطيته كأس المدام
 ووجهه بدرُ التَّمام
 عبل^(٢) الشوى غنج القوام
 انَّ اللَّحَاط من السَّهام
 أجفانه بعض السقام
 خلع الفتور على عظامي
 قلبي فأضحى وهو دام
 في وجنتيه من الضَّرام
 عذب الجنى صافي الجمام^(٣)
 فصل أذيال العرام^(٤)
 ب العود غصَّ الغصن نام
 كندى محمَّد الهمام
 م نداه سحَّ القطر هام^(٥)
 غضت من الهمم العظام
 فيه عقد طلى^(٦) وهام
 عن ناجذ^(٧) الموت الزؤام

قَدَحَ التَّوى زندَ الغرام
 وبنفسي الظبيُّ الَّذي
 ففروعه^(١) ليلُ التَّمام
 طاوى الحشا عذبُ اللَّمى^(٢)
 لم أدرِ قبل لحاظه
 لاحظته فحملتُ من
 وفديت محجره وان
 أعدى تضرَّج خده
 فكانَ في قلبي الَّذي
 سقياً لعيشٍ باللَّوى^(٣)
 أيام أسحب في التَّصابي
 والعيش عذب الورد رط
 والانس تهمني مزنه
 ذاك الَّذي أضحى وغى
 لله همته التي
 كم موقفٍ نشر العوالي
 وتبسمت فيه الظبي

-
- (١) مَرَى : اسال .
 (٢) فروعه : اي شعره .
 (٣) اللَّمى : السمرة في الشفة .
 (٤) عبل : ضخم .
 (٥) اللَّوى : اسم مكان .
 (٦) الجمام : الراحة .
 (٧) العرام : الافتخار والإعجاب بالنفس
 (٨) سحَّ القطر هام : أي نزول المطر وانهاره .
 (٩) طلى : الدم المطلول .
 (١٠) ناجذ : من النواجذ وهي عروق في العنق .

وأهْلَةُ الأسياف تهتك
 مزقته بحسام رأي
 فالمال عندك في انتشا
 ما كان غيمك بالجهام^(١)
 فاسعد بنيروز ينب
 نثر الرّذاذ على الثرى
 وتفتح الأنوار اذ رش
 وتعصبت بعصائب ال
 وجلى الرّبيع ضحىً عرو
 وكأتما سرق الصبا رياً
 يا مَنْ تدفق جوده
 لا زلت في ظلّ المعالي
 واسحب ذبول العزّ سجي^(٢)

ستر ظلماء القتام
 شيم من غمد اعتزام
 ر والمعالي في انتظام
 ولا حسامك بالكهام^(٣)
 ه جفن أنوار نيام
 درأً يشذّ عن النظام
 ف الثرى ريق الغمام
 أنوار هامات الأكام
 س الورد من كلل الكمام
 شماتلك الكرام
 كتدفق الغيم الرّكام
 بالغاً أقصى المرام^(٤)
 ذيل أنعمك الجسام

وقوله من أخرى :

قفوا لنمري درّ الدّمع في الدّور
 فإنّ عفا الرّبع أو أقوى بينهم
 ومنها :

فلوترى القلم المذروب في يده
 عجبت من صارم ماضي الفرند^(٥) غدا

(١) بالجهام : بالظلم المسودّ .

(٢) الكهام : الذي فلّ ولم يستطع القطع .

(٣) المرام : الهدف والغاية .

(٤) سجي : أبسط وامدد .

(٥) الفرند : السيف .

ومنها :

أسعد فقد جاءك النيروز وانتبهت
تبكي السماء مساء فعل ذي شجن
والليل يبدي نجوماً مثل ما انتشرت
والبرق يصبغ خد الغيم حين سرى
والرّوض يجلوه قرن الشمس ضاحية
تشققت فيه أجفان الشقيق ضحى
ولاح فيه الأفاحي كالدرّاهم إذ
والنرجس الرطب أضحى في حدائقه
كأنه إذ جلاه طلّه سحراً
والجو يسرق أنفاس النسيم إذا
كأن رياء الرياض الزاهرات حكّت
فاسلم فأنك ليث في الوغى وحيّاً^(٣)

من بعد ما رقدت عين الأزهير
ويضحك الدهر صباحاً فعل مسرور
لآلىء فوق صرح من قوارير
صبغ الحياء حدود النفر النور
في مطرف بيد الأنواء منشور
كأنها إذ بدت أجفان مخمور
ألاح حوذانه مثل الدنانير
يرنو الينا بعين الخرد^(١) الحور
صهباء ممزوجة في كاس بلور
جری على صفحات الورد والخيري^(٢)
ريا خلائقك الغر المشاهير
عند المحول وبدر في الدياجير

وإذا كان شعره هكذا في عنفوان الصبا فما الظنّ به عند قضاء باكورة الشباب
وبلوغ حدّ الاكتهال سقى الله ربه وعهده وأبعد عنا بعده .

١٠٠ - ابو المظفر بن القاضي ابي بشر الفضل بن محمد الجرجاني أيده الله ورحم أباه

جامع بين شرف النفس والوالد وطريف المجد والتالد وبين الأدب والفقه
والنحو والشعر ترامت به الحوادث الى نيسابور ، فأنشدني لنفسه :

(١) الخرد : الحريدة اي الفتاة العذراء .

(٢) الخيري : زهر المنثور الأصفر .

(٣) حياً : مطر .

كأنّ العين مني يوم بانوا^(١) سماء فيض أدمعها نجوم
إذا ما همّ جفنٌ باستراق لغمضٍ صدّه عنه وجوم
وأنشدني أيضاً لنفسه :

كرام الناس بين ظلام عسرٍ وعند لثامهم ضوء يسار
كأيمان إليها عقد عشرٍ ومجموع المائين الى اليسار
وأنشدني أيضاً لنفسه :

أنّي اليك لمشتاقٌ وبّي ظمأً الى لقائك والرحمن يشهد لي
ولو قدرت لكتب الخطّ تقرؤه لكنّ عجزني عنه ليس من قبلي
وأنشدني أيضاً لنفسه :

قومٌ إذا غسلوا ثياب جمالهم لبسوا البيوت الى ثياب الغاسل

١٠١ - صاعد بن محمد الجرجاني

أنشدني ابو الفتح الدّباوندي له في المخزومي الذي مرّ ذكره :

وجدت مخزوميكم هذا يا شعراء الناس أستاذاً
قد صار بالرّيّ لكم شاعراً وكان بالبصرة نبأذا^(٢)
وجدتُ بنداراً^(٣) على ظهره يلقمه أقرعُ نفاذاً
لما رأيت الشيخَ مستخدلاً قلت له من عجبٍ ماذا
فقال لي لا تعجبنّ يا فتى فأنما الناسُ على هذا

(١) بانوا : رحلوا وفارقوا .

(٢) نبأذا : يبيع النبيذ أو يصنعه أو ناقضاً للعهد .

(٣) بنداراً : حملاً من كتب وغيره ، وربما هنا يشبهه بأنّه كحامل الأسفار .

وكتب الى العباس الضبي :

ولو أنني حسب اشتياقي ومنيتي منحتك شيئاً لم يكن غير مقلتي
ولكنني أهدي على قدر طاقتي وأحمل ديواناً بخط ابن مقلة
وله :

مغضبة المرء بلا مملكة منخلة للجسم او مهلكة

١٠٢ - ابو بكر عبد القاهر بن محمد بن الحسن

كتب الى أبي الفرج بن حسنيّل جواباً عن شعره :

أجاب ودّي وطبع الشعر لم تجب اذ كان ما قلته في غاية العجب
يُشتمُّ منه نسيمُ المسكِ قارئه ويجتلي كوكب العلياء والحسب
أبدى الأنام من الأشعار رغوتها وأنت أخرجت منها زبدة الحقب

١٠٣ - ابو الحسن عالي بن جبلة الغساني

يقول في أبي الفتح أخي الوزير ابي غالب محمد بن علي بن خلف من
قصيدة :

وسرنا نتبع الركب ونقفو^(١) أثر السرح^(٢)
الى أن أسفر الصبحُ لنا عن أحسن اللَّمع
وأبدت طلعة الشمس لنا وجه أبي الفتح

١٠٤ - ابو علي الحسن بن محمد الدامغاني

من دهاقين^(٣) قومس وافراد ادبائها وشعرائها ومن افضل فضلائها يرجع الى

(١) نقفو : نتبع . تشير على خطاه .

(٢) السرح : الماشية وغيرها . .

(٣) دهاقين : من رؤساء الاقليم مفردها دهقان .

كفاية ومروّة صالحة ، ويقول :

إذا عشق الفتى يوماً عروباً
فلي في كلّ غانية مرادُ
وما فكت فؤاداً بعدُ سعدي
وليس الغدرُ من شيمي ولكنْ
ومنْ لم يسبه حدق الغواني

ويقول :

العقل والحرف مقرونان في قرنٍ
الفضل علمٌ ولا قعبان من لبنٍ

ويقول :

قالوا مدحت اناساً لاخلاق لهم
فقلت لا تعذروني إنني رجلٌ

ويقول :

أيا حلية الدّنيا ويا زينة الوري
تسيء واني شاكرٌ لك حامدٌ

ويقول من قصيدة اولّها :

صحّا عن هواه واستراح عواذله

ومنها في مدح شمس الكفاة :

وما الفقر من أكناف قومس قاده
ولولاك ما صرّت لديك نعاله

ولم يتعدّها منه الودادُ
ولي في كلّ زاوية فؤادُ
رأته رهن مقلتها سعادُ
بهيج كراحتي الشّيء المعادُ
فما هو في الوري إلاّ جمادُ

والجهلُ والحظّ منظومان في رسنٍ
حلو المذاق ولا بردان من عدنٍ

مدحاً يناسب أنواع الأزهيرِ
أقلّد الدرّ أعناق الخنازيرِ

ومن أنا بالفضل الذي فيه أفخر
ومن قائل لليت انك أبخر

محبّ شفاه الغانيات مناهله

اليك ولكن فضلٌ عزّ يحاوله
ولولاك ما أطّت^(١) اليك محامله

(١) أطّت : أنت تعباً وحنيناً ، والمحامل : النوق وغيرها .

ولا غادر الخشف^(١) الكحيل جفونه
بلا اثم^(٢) جادت بذاك مكاحله
ومنها :

ولم يبق في هذا الزمان الذي أرى
فعارض وزير الشرق شعري بغيره
من الشعر الا منطق قل طائله
ين لك نهاق الحمير وصاهله
ويقول في مريثة السلطان الماضي ابي القسم محمود انار الله برهانه :

مضى الافعوان الصل^(٣) والأسد الورد
فقل لحوا في الخيل لا تشتكي الوجى
وتاج ملوك الأرض والفراس النجد
وقل لملوك الأرض قد نامت القطا
وما ترهبوا منه بياتاً على العدى
ولم أدر أن الشمس يسترها ثرى
فما خلتها من بعده طلقاً تعدو
ووحش الفلا والليل أليل مسود
بمرد على جرد يضمهم جند
ولا الفلك الأعلى يغيبه لحد^(٤)
ويقول في الشيب :

أنور الاقحوان أسأت جداً
فصار الرأس حزاً فرط ليس
بلا عمد الى زهر الخزام^(٥)
وعاد المخ داراً في السلام
ويقول أيضاً :

يا بياضاً في مقلتي سواد
يا خزامي العذار بدكت بعدي
لم اعظم قدر الشباب الى ان
ودعنتي عما وهذا لعمرى
هل لعهد الصبا الي معاد
اقحواناً يند منك الفؤاد
أنكرتني من المشيب معاد
لقب للمحب لا يستجاد

(١) الخشف : ولد الغزالة .

(٢) الأثم : الكحل .

(٣) الإفعوان الصل : الافعى القاتلة .

(٤) لحد : قبر .

(٥) الخزام : شجر طيب الرائحة .

يا زمانَ الشَّبَابِ زُرْنِي فَإِنِّي

ويقول :

سقى الله أجداثَ ماضي الملوك
وبعداً لأملأنا انهم

ويقول :

اين خطّ ابن مقلّة عن جمال الخ
ذاك صنع الاله فرداً من الخلد

ويقول :

ألا يا لقوم للخلال الخسائس
قفوا فانظروا اذ ضمّت الشّمل ندوةً
تروا من شيوخ السّوء فيها عصابةً
صعاليك أموال اليتامى ذئابها
وهم شهداء الزّور من قلّة التقى
يعدّون ما دون البتيكات^(١) وضّحا
بها حلّلوا عين الحرام وحرّموا الـ
كما غصبوا الأملاك معشوقة الوري
فيا وحشتي منهم اذا اكتحلت بهم
مضى الرؤساء الأوّلون وأصبحت

مذ تقضيت لم يزُرْنِي الرّقادُ^(٢)

رعاة الرّعايا غياث الامم
ذئاب عواسل حتفُ الغنم

طّ في صحن خدّه المعشوق
ق وهاذاك صنعة المخلوق

ورفعة أرجاسٍ برغم المعاطسِ
لحادثةٍ منْ في صدور المجالسِ
أبالس أضحوّ في خلال الطّيلسِ
قراضبة البيداء حتفُ الفوارسِ
لحوز منالات اليهم خسايسِ
رشى لهم من ترّهات البسابسِ^(٣)
حلّال اتّساعاً في فنون المقاييسِ
وما سجلّوا ايضاً بها في الحبايسِ
جفوني وانسى بالوحوش الكوانسِ
عراص المعالي كالطّلّول الدّوارسِ^(٤)

(١) الرقاد : النوم ، وتقضيت : اي مضيت وانقطعت .

(٢) البتيكات : أجزاء من آخر الليل .

(٣) البسابس : الابطال .

(٤) الطّلّول الدّوارس : الآثار الزائلة .

ويقول :

خوانٌ رُبْعُهُ أَبْدأُ خِلاءُ من الخيراتِ باديةٌ قِواءُ
إذا ما جاءه الأضيافُ غنى وما يغني من الغرث^(١) الغناءُ
عفا من آلِ فاطمة الجِواءُ فيمنُ فالقِوادِمُ فالحِساءُ
وانَّ مِفازةً^(٢) لا ماءَ فيها ومائدةً بلا خبزٍ سواءُ
أيا معن السَّخاءِ بلا عطاءٍ وحاتم طائي والتَّاءِ راءُ

وله وقد عيَّرَ بترك التعرض لعمل السلطان :

ذروني أكن حلس^(٣) البيِّتِ مكرماً قنوعاً بقوت لا يدرّ له ضرعُ
ففقر الفتى خلف السَّلامة كالغنا ولا خيرَ في نفعٍ على عقبه صفعُ

وله يرثي الوزير أبا القاسم أحمد بن الحسن الميمندي وقد كان يكرمه عند اتصاله به :

يا	غرةً	لائحة	فوق	جبين	الزَّمن
يا	درةً	قد	أدرجتُ	في	حبرات
يا	أسداً	أعداؤه	ال	مهجة	دون
يا	عالماً	مجتمعاً	في	أحمدَ	بن الحسن
جزيت	عني	حسناً	بكلِّ	صنعٍ	حسن
وانعم	بوسميَّ	الندا	يحيثُ ^(٤)	ترب	الجنن
ما	ناحتِ	الورقاء	في	فُويقٍ	القنن ^(٥)

(١) الغرث : الجوع.

(٢) المفازة : الأرض تكثر فيها الهلكة .

(٣) حلس البيت : أي ملازمه .

(٤) يحيث : من حاث - يحث أو يحرك .

(٥) القنن : الجبل الصغير أو اعلاه .

وله في الشيب :

هجرت الهوى وشنت المدامه
فلا في اميمة لي مطمع
ولا قلت اذ بكر العاذلات
وعهدي بها حين رأسي الغداف^(١)
وما عذر ذي نهية في الصبا
وله :

خضبت أناملها بحمرة خدّها
إن كان من ماء الحياة حقيقة
وله في الشريحي القاضي بقومس :

خليلي ما بال الثلوج كأنها
أينتف عشون^(٢) الشريحي في الهوا
قناع على وجه البسيطة مغدف
لعمركم أم صوف لحيه يندف

١٠٥ - ابو الفرج احمد بن محمد بن يحيى بن حسنيّل الهمداني

يرفعه نفسه وأصله وفضله ويخفضه دهره وقد لفظته الغربة الى بلاد خراسان
فأدركته حرفة الأدب وهو شاعر حسن البديهة كثير الغرر فمنها قوله :

ما ان رأيت وان سمعت بحمرق
حتى اکتحلّت بخدّه وبخطّه
من وردق ودخانها من عنبر
وغدوت بينهما حريق المجرم

(١) الغداف : شعر اسود كالغراب .

(٢) عشون : جمعها عشانين شعرات صفار عند موضع الذبح او اللحية .

وقوله من قصيدة :

ها انني من اسود طعمها كرمًا
وانني واقتياتي خبثُ طعمتكم
لو كان يعلم دري انّ مثلكم
مقاطر القلم الصمصام^(١) تشهد لي
وسوف يطلع دستي شمس مكرمتي
فأملأ الأرض عدلاً والزمان حجىً
لله شكري وللسلطان خالصتي

وقوله من اخرى :

اذا قلت شعراً فالنجوم رواته
وما أنا ممّن يركب الشعر قدره

وقوله في غلام جلس في اخريات الناس وتنقّب بكمّه :

جلستُ في اخريات الناس يا قمري
فصرتُ من فرج الأشخاص تلمع لي
لم تقتنعُ بقناعي زحمةً ونوىً

وحش المعالي فلا ترتاح للجيفِ
كالطُرف ساف الثرى من غزّة العلفِ
يكون أعناق نظمي غاص في الصدفِ
انّ الوزارة سهمي والعلی هدفي
وترتدي بي الثرياً عمّة الشرف^(٢)
والسُحب نواً^(٣) ودرعي جوهر الظلف^(٤)
وللعفاة الجنى المعسول في كنف

ومن ذا رأى الشعرى روت لامرئ شعراً
ولكنّ قدرى يركب الشعر والشعرى

بخلاً عليّ بأن أروى من النظر
كحاجب الشمس ناغى طرّة الشجر
حتى تنقبت بالأكمام عن بصري

(١) الصمصام : السيف القاطع الذي لا يرتد .

(٢) عمّة الشرف : أي عمامته .

(٣) نواً : مطر .

(٤) الظلف : الترفع عن الدنيا .

الجزء الثاني

من كتاب

تمة اليتيمة

[متمم القسم الرابع من اليتيمة]

تأليف

أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري

تحقيق الدكتور

مفيد محمد قميحة

تتمة القسم الرابع

في محاسن أهل خراسان

وما يتصل بها من سائر البلدان

قد اعتمدت بهذا القسم الأخير من كتاب تتمة اليتيمة أن أبدأ بأهل نيسابور ونواحيها ثم أمتدّ الى سائر بلدان خراسان ثم أذكر أركان الدولة وأعيان الحضرة العالية حرسها الله تعالى وأنسها والمتصرفين على أعمالها والمتصلين بخدمتها من المقيمين بها وغيرها وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه انيب .

١٠٦ - السيد ابو البركات علي بن الحسين العلوي

قد تتوّج كتاب اليتيمة بذكره ، وصُباة من شعره ولا غنيّة بهذا الكتاب عن غررٍ له من نكت دهره وما أقول في بقيّة الشرف وبحر الأدب وربيع الكرم وغرّة نيسابور وشيخ العلوية وحسنة الحسينية وأمام الشيعة بها ومن له صدرٌ تضيق عنه الدهناء^(١) وتفزع اليه الدهماء^(٢) .

وكلامٍ كدمع صبّ غريبٍ رَقَ حتّى الهواء يكتف عنده^(٣)
رَقَ لفظاً ودقّ معنى فأضحى كلّ سحرٍ من البلاغة عبدة

فصل في عيادة : ما عرفت لعلّتي هذه سبباً ألاّ انّي رأيت نفس الكرم مشتكية

(١) الدهناء : الصحراء الواسعة .

(٢) الدهماء : جماعة الناس .

(٣) الصبّ : العاشق .

فشاركتها في شكواها ووجدت عين الكمال قذية فاحتملت عنها قذاها وقلت يا عجباً
كيف يشتكي من لم يزل يشكي ولا يُشكي ولم يمرض من صحّت به آمالنا المرضى .

فصل : كرم الشيخ يطمعني وتقصيري يوئسني وفضله يقدمني وتقريظي
يؤخرني ولئن كان استصغار الصغيرة كبيرة فالأصرار على الكبيرة أكبر وإن كان سكوت
المعذر وجهاً فالاعتذار منه أخرى وأجدر .

فصل : بعض الوقت مقت وبعض الحين حين والطالب عجول والمطلوب
منه ملول وكلّ اناء يرشح بما فيه وكلّ جانٍ يده الى فيه .

لفظه : يا أسفي على وفاة الوفاء . ولو كتبت أحاسن شعره لاستغرقت
الكتاب كلّه ولكنّي أكتب لمعاً منها تفني بشرط الاختصار والاقتصار كقوله من
قصيدة :

كم شادنٍ قد كان بدرأً فاكتسى خطّين فوق مداره لم يكتبنا
دارت مكان القرط عقرب صدغه يا مَنْ رأى بدرأً تقرّط عقربا
وقوله :

هنيئاً لكم يا أهل غزنة قسمةٌ خُصصتم بها في النَّاس من هذه الدُّنيا
دراهمنا تُجبي اليكم وثلجكم يُردّ إلينا هذه قسمة ضيّزى
وقوله من قصيدة سخرية :

أفنانيّ الدّهر ولم أفنه وجُدّ في كيدي الجديدان
حتّى رماني الدّهر عن قوسه وشقّ قلبي فهو نصفان
فنصفه نهبٌ سجستان ونصفه نهبٌ خراسان

وقوله :

تقضّى الشباب فما أرحُ وبان الحبيب فما أفرحُ

فقل لي فديتك ما أمدحُ
على الياس منك ولن تفلحوا

وهذا زمانٌ كما قد ترى
كتبت على اسمك يا سيدي

وقوله :

فيوسعني برّاً وأوسعهُ شُكراً
فقد فرّق الأيام ما بيننا دهرًا

أسربُ القطا هل من معيرٍ جناحهُ
لعلّي ألقى من أحبّ لقاءه

وقوله في يوم باردٍ نالِحٍ :

بزمهريرِ البردِ موصوف
قطنٌ على الصّحراء مندوف

يومٌ عبوسٌ كالحٌ وجهه
كانَ فيه ثلجُه ساقطاً

وقوله في الأشجار والقمراء :

فنفس الصَّبِّ مدهوشةُ
وغربٌ وهي مغشوشةُ
بماءِ الطلِّ مرشوشةُ
بِ(١) بالأفياءِ منقوشةُ
بجلدِ النمرِ مفروشةُ

ألا صرفٌ (١) لنا خمرًا
فصرفُها وقربُها
على أنواعِ ريحانٍ
ترى الشّجّراء في القمرِ
كانَ الأرضَ من حسنٍ

وقوله من أرجوزة :

كزيبقٍ قد اضطربُ
كنصفِ طستٍ من ذهبُ

والنّجمُ في مطلعهِ
والبدْرُ في نقصانه

وقوله في البدر :

من قرعِ الغيمِ في غشاء

أما ترى البدرَ في السّماء

(١) صرفٌ : صبّ لنا الخمر وقدمها .

(٢) القمراء :: الليلة القمراء المنيرة .

مغرَّق في غدير ماء
تمشي الهوينا من الحياء

دُور قدّاً كترس تبر
أو وجه حسناء في نقاب

وقوله في الدمل :

ارُقني ليلي من وخزته
أقعدني يومي عن حضرته

أشكو الى الشيخ أذى دمل
أشد من لدغته أنه

وقوله في الالأخشة :

كالصَّبَح بين الغسق^(١)
واضحة كالورق
وجرمها المرقق
أو قطعاً من شرق
أكل امرئ ذي حنق
نال المنا من عبق

لاخشة في الطبق
منضودة اوراقها
حسبتها من لطفها
غرقى تبيض رقة
أكلت لما قدمت
وخلتني الفضل وقد

وقوله في البرد المجحف بالثمار :

وانّ معاش الناس منه على خطر
فلست أبالي بالجوائح^(٢) والضرر

يقولون انّ البرد يجحف بالثمر
فقلت لهم ما دام ربّي رازقاً

١٠٧ - الأمير ابو ابراهيم نصر بن احمد الميكالي أدام الله عزّه

فرد خراسان وبدرها وصدرها وفخرها ومن لم ير مثله في الجمع بين شرف
الأصل وكمال المجد وكرم الطّبع وبين الآداب العربيّة والفارسيّة والآداب الملوكيّة

(١) الالأخشة : نبتة كثيرة الورق تستعمل في الطعام .

(٢) الجوائح : ما يجتاح الانسان من المصائب والمصائب .

وله شعر بارع قلّ ما يظهره ولكن درره تلتقط من مجلسه وغرره تختلس من فمه
كقوله :

اتق الله لا الاعداء واعلم يقينا
وحظّك لا يعدوك إنّ كنت قاعداً
بأنّ الذي لم يقضه لن يصيبك
ولا أنت تعدو حين تعدو نصيبك
وقوله :

ما قبيح كالبخل قبحاً ولا كال
ثمّ بخل مع التواضع خير
جود كلّ الخصال حسناً يفوت
من سخاء يشوبه جبروت
ولعمري إنّ المرند ذا البخ
ل لثيم مذمم ممقوت
وقوله :

لعمرك منّ ولاك وجه اعتذاره
كمغتذّر من أكله ذات بطنه
من الفعل يأتي وهو في الحال فاعله
الى آكله وهو في الحال آكله
وقوله في مراثية ابي العباس بن طاهر بن زينب :

نَعَوّالي ابا العباس شمس المفاخر
فقلت لهم والقلب منّي خافق
وبدر المعالي كلّها والمآثر
أناشدكم لا تجعلوه ابن طاهر

وقوله وله قصّة :

عجباً للزمان حين بلاني
حسدوني على نزولي خُصّاً^(١)
بأناسٍ لهم عقولٌ سخيّة
بعد سكنائي في قصورٍ منيفه^(٢)
حسد الكلب والغراب اذا ما
رأيا الباز واقعاً فوق جيفه

(١) خُصّاً : بيت من شجر او قصب او حانوت الخمار

(٢) قصور منيفة : قصور مرتفعة عالية .

وقوله في تراجع الشرب :

شربتُ الرَّاحَ شُرْبَ الهيمِ دهرًا
ويكفيني غميرٌ^(١) دونِ صحنِ
فصرت الآن أشرب بالتكلفُ
وما ضرَّ التخلُّفُ في التخلُّفُ

وقوله لبعض أصحابه :

حسبتك لبَّ الجودِ بذلاً وهمّةً
وكنْتَ كما قدَّرتُ لبَّ سماحةٍ
فأدخلت فيما كنت أحسبه وهناً
ولكن كلبَ الجوزِ إذ فارق الدُّهناً
وقوله في قينة تسمّى دَهْزَارَه :

تبدى النورُ والقمرى أضحى
فطاب الوقتُ والدنيا ولكن
يجابو في ترنمه هزازه
أمرَ العيش فرقة دَهْزَارَه

وقوله :

إذا محنة ضاقتُ بدرعك فاصطبرُ
فرأسك غصن الصبرِ والصبرُ دوحَةٌ
وثقُ بتقصيها إذا ساعد العمرُ
وما دام غصن الدَّوحِ ينتظر الثمرُ

١٠٨ - الشيخ الامام الموفق ابو محمد هبة الله بن محمد بن الحسين أدام الله تعالى عزّه

لسان الشريعة وحصن الامة وشمس الملة ، ومحله في السؤدد والزعامه
وامامة الخاصة والعامة أجلّ وأرفع من أن يذكر بالشعر الذي هو أدنى فضائله وأصغر
خصائصه ولكني ازين كتابي باسمه وأتوجه بذكره وأنشد له ابياتاً نطق بها لسان
مجده ، فمنها قوله في صباه كالعادة للادباء السادة :

(١) الغمير : الماء الكثير .

سمحتُ بروحي في هواها لأتني أرى الموت في حبِّ الحسان يسيرا
أسير وقلبي في هواها مقيدٌ فأعجب بانسانٍ يسير أسيرا
وقوله :

ولمّا بدا ليَ منها النَّفورُ غدوت أصيح النَّفِيرَ النَّفيرا^(١)
وقوله في ذمِّ حمّام :

وحمّامٍ له طبعٌ عجيبٌ يميل الى البرودة واليبوسة
فنجم البرد منه في سعودٍ ونجم الحرّ منه في نحوسة
وكتب الى بعض أصحابه الحكّام :

يا أيّها الحاكمُ الحاكي شمائله حيا الرّبيع وبدراً لي محيّا
أظنّ نارَ اشتياقي نحوه اشتعلتْ حتّى أعارتهُ حمّاه حميّا^(٢)

١٠٩ - ابو سعد الكنجروذي

يذكر نيسابور في خمس طبقات من أهلها وهم الفقهاء والادباء والشعراء
والدهاقين والعراة ، ويُعدّ في كلّ منها متقدّم القدم ممتدّ الغرّة والتحجيل ولا يتّسع
كتابي هذا من تفصيل هذه الجملة إلاّ لنبذ من شعره يعرب عن سعة فضله كقوله في
الغزل :

إذا اتثنى ورنّا سلّت محاجرهُ قواضباً وبدا مياّس قضبانِ
ردفٌ كحقفٍ وقدّ من تمايله^(٣) خوط^(٤) وخصرٌ حكاةٌ خيطِ كتّانِ

(١) النفير : الرحيل والتأهب .

(٢) الحميّا : من الشيء حدثه ، والحميا : الخمرة أو تأثيرها في شاربيها .

(٣) الحقف : الكتيب من الرمل ، والردف المؤخّرة والمعجز .

(٤) الخوط : الغصن الناعم .

وقوله :

للصَّدغ والجفن لدى الغمزه
في ألفاتِ صورةِ الهمزة

يكسر ظهر الصَّبِّ تكسيه
كأثما التَّجعيدُ من شعره

وقوله :

خالٍ وشعرٍ فاحمٍ خطٌّ
لاح عليه العجمُ والنَّقْطُ

بين مخطِّ العارضِ امتدَّ من
كأته خطَّ الكتابِ الذي

وقوله :

فهو بما يجمع بستانُ
شاربه الأخضر ريحانُ

في وجهك الزَّاهِرِ لي نزهةُ
لي نرجسُ منه ووردُ ومن

وقوله في الخلاف الأحمر :

بين الرِّياض إذا تلقاه ممطورا
زمرداً ونداه الدرّ منشورا

انظر الى أحمر الصَّفصاف تحسبه
حُمُر اليواقيت والأوراق بارزة

وقوله في الثلج :

دكناً^(١) وأصبح يأتي ثلجه دفعا
يرمين بيض لغام^(٢) تنهمي قطعاً

ألا ترى اليوم قد أصبحت سحائبه
كانَ ورق جمالٍ عُدْنَ هائجةُ

وفيه ايضاً :

هـ على العاج معاج^(٣)
هـ زجاجُ وزجاجُ

جمد الثلج فلي من
وعلى الأرض لنا من

(١) الدكنة : لونٌ يميل إلى السواد .

(٢) لغام : زبد او لعاب .

(٣) المعاج : المكان الذي يقام به .

١١٠ - ابو القاسم عبد الصّمد بن علي الطّبري رحمه الله

ولد بنيسابور ونشأ بها وتادّب فيها مستظلاً بظلّ الكفاية وتخرّج فخرج منقطع القرين في اصول الأدب وفروعه والجمع بين ثماره ورياحينه واطرافه نثره الذي هو سحر البيان الى نظمه الذي هو قطع الجنان وخدع الزّمان على الحداثة من سنّه والغضاضة من عوده وهو الآن بالحضرة حرسها الله تعالى في أعيان كتّاب الرّسائل وهذه فصول من نسخة كتاب له يعرب عن تقدّم قدمه في الكتابة واتّساع باعه في البلاغة كتبه الى الأديب ابي عليّ الحسين المروروذي وكان خرج الى جرجان بعد معاشرته أيّاه بنيسابور : خرج الأستاذ أدام الله عزّه والقلب بجناح الشّوق نحوه طائر الآ وهو معه سائر مثل صاع العزيز في أرحل القوم ولا يعلمون ما في الرّحال استنشق نسيم سلامته من كلّ وادٍ واهدي اليه سلامي مع كلّ رائحٍ أو غادٍ وها أنا مقصد بسهم فراقه موثق في قيد اشتياقه فالسلام على العيش حتّى أراه ولا مرحباً بالحياة أو أحيّاً بمحيّاه وسقى الله أيّامنا في ظلّه واستسعادنا بقربه وانتهازنا فرص اللّذة به اذ العيش غصٌّ والزّمان غلامٌ ولقاؤه بردٌ على أكبادنا وسلام اذكره الله متزّهنا بآخِرهِ والسّماء زرقاء اللّباس والشّمال نديّة الأنفاس والرّوض مخضلٌ^(١) الازار والغيم منحلّ الأزارار وكأنّ السّماء تجلوعروسا وكأنّنا من قطرها في نثار والرّبي ارجة الارجاء شاكراً صنيع الأنداء ذهبٌ حيثما ذهبنا ودرٌ حيثُ درنا وفضّة بالفضاء والجبال قد تركت نواصيهما الثّلوج شيباً والصّحارى قد لبست من نسج الرّبيع برداً قشيباً ولا ربع الآ وللأنس فيه مربع ولا جزع الآ وفيه للعاشق مجزع والكؤوس تدور بيننا بالرحيق والأباريق تنهل مثل ذوب العقيق وتفتّر عن فار المسك وخذ الشّقيق والجيوب تستغيث من أكفّ العشاق وسقيط الطّل يعبث بالأغصان عبث الدكّ بالغصون الرّشاق والدنّ يجرح بالمبزال^(٢) فتل الصايغ طوق الخلخال :

(١) مخضل : مغطى بالندى .

(٢) المبزال : ما يثقب به الشيء .

إذا فُضَّ عنه الختم فاح بنفسجاً ... وأشرق مصباحاً ونور عصفراً^(١)
ولا نقل إلا من رياض أدبه ومحاسن فضله وخصايص خلقه ومكارم طبعه
إلى كلام طويل ، فهذا نموذج من نثره وهذه غرر من نظمه كقوله :

ومعذّرٍ نقش الجمالُ بمسكه خدأ له بدم القلوب مضرّجا
لَمَّا تيقّن أنّ سيف جفونه من نرجسٍ جعل النّجاد^(٢) بنفسجا

وله من قصيدة :

وربّ بيضاء ربّاً الجلد فاء لها ريعان من ترفٍ غصٍ وريعان
طرقتها والسّرى^(٣) والعزم قد شهرا وهناً غرارين من جفني وأجفاني

وقوله من قصيدة :

بانوا بهيفاء يعزو سيف مقلتها قلب المتيّم في جيشٍ من الفتن
شمسٌ على غُصنٍ هام الفؤاد بها يا ويح قلبي من شمسٍ على غصن
وطال ما غاب عن جفني لزورتها وجفن سيفي غرار النّصل والوسن

وقوله من قصيدة في التّوحيد والانس بالوحدة والكتب والاستغناء به عن

معاشرة النّاس :

ولقد الفتّ قناء بيتي لابساً حلل الغنا الف القطا الافحوصا
لم اترع طمعاً ولم امددُ يداً نحو النّوال ولا زجرت قلوفا^(٤)
أجتأب أن خصرت أنامل راحتي من نسج دنى جبّة وقيصا
وإذا أردت منادماً لم تلقني إلا على عزّ العلوم حريصا

(١) العصفر : نبات يصبغ به .

(٢) النجاد : حمالة السيف .

(٣) السّرى : المسرّيل .

(٤) القلوص : الناقة .

فترى الكتاب مجالساً لي مودعاً
لا مفشياً سرّي ولا متممراً
سمعي فصولاً تنتقي وفصولاً
جهم اللقاء ولا عليّ خروصاً
وقوله من نتفة :

كم جاهلٍ أحصى عليّ بزعمه
فأجبتّه ويد النوائب سدّت
لو كان إيقاعُ الزّمان مساعدي
الذّنب للأيام حين تركّنتي
شيماً يظنّ بها عليّ مناقصاً
عن قوسها نحو الفؤاد مشاقصاً^(١)
لوجدتني في سكر عيشي راقصاً
ظلماً على جيدي لها متواقصاً^(٢)
وقوله من نتفة :

شبابٌ هزّ عطفك لم تُرقه
فأنت اذاً وقد ولىّ حيثاً
خليع الرّأس في طربٍ ولهو
لأخسر صفقةً من شيخ مهو

١١١ - أبو حفص عمرو بن المطوّعي الحاكم

قد نطق كتاب اليتيمة بذكره والافصح عن حاله ومحله وتضمّن باكورة شعره
وهذا مكان ملح بديعة وافراد معاني انيقة من غرر سحره التي سنحت له بعد فراغي
من تأليف ذلك الكتاب ولا غنية بهذا الكتاب عن التّزّين بها وهذه ألفاظ له على
مقدّماتها كقوله : من كثر تبره كبر كبره ، وقوله : حفظ الأيمان من وثائق الايمان ،
وقوله : الهوى كثير الهوى والخمر ملاذ الملاذ ، وقوله : بينهما من الصّرف ما بين
الولاية والصّرف ، وقوله : ليس للشّاتي كجلد الشّاة ، ومن بدايع شعره قوله في
الغزل :

يا خادماً يملك منّي خادماً قد صيرّ الدّنيا عليّ خاتماً

(١) مشاقصاً : سهم فيه نصل عريض .

(٢) متواقص : الأوقص وهو القصير العنق والجيد : العنق .

أخادماً أصبحت أم أخادماً

كم دم صبٍ قد صبيت ظالماً

وقوله :

لمن قد غدا في الحسن واحد عصره
وبدرٌ ولكن المحاق لخصره

خليلي أني واحد العصر في الهوى
قضيبت ولكن مبسم الثور ثغره

وقوله :

دماً حذارِ التَّناءِ
بعد الدِّماءِ بماءِ
لسلوةِ او عزاءِ
لطولِ عمرِ بكائي

قالت عهدئذك تبكي
فما لعينيك جادت
فقلت ما ذاك عندي
لكن دموعي شابت

وقوله :

من نور عيني على خدي نوعين
بقيت أبكيهم دمعاً بلا عين

بانوا فأمطرت الأجفان بعدهم
حتى اذا نفضت عيني مدامعها

وقوله :

فقد أتاك سحابٌ باكرٌ شاكِي
كأنه حين يبدو شاكرٌ شاكِي

أضحك كؤوسك بالصُّهباءِ مبتكراً
يبكي ويضحك فيه البرق مبتسماً

وقوله في نور الخلاف المسكي :

وعليك بالكاسِ الدِّهاقِ
كأنه نورُ الوفاقِ

قم هاتِ دهقانيَّةَ
أو ما ترى نور الخلافِ

وقوله فيه ايضاً :

لما بدا للعين نور وفاقِ

أو ما ترى نور الخلاف كأنه

كأَكْفَ سنّورٍ ولكن نشره
يسعى بفار المسك في الأفاق
وقوله في الرّيباس والبقلاء :

يا حسن ريباسٍ أتاك مزاجاً
كأناملٍ قد عُشيتُ بزبرجدٍ
وقوله في الاسفانخيّة :

قد قلت للطّباخ لَمّا جاء في
مرضي بلونٍ ليس فيه طباخُ
هلاً طبختُ لنا سواه فأنّه
أسف أناخ فقيل اسفاناخُ

وقوله في السّلطان الأعظم أدام الله تعالى ملكه :

أرى حضرة السّلطان يُفضي عُقّاتها
الى روض مجلٍ بالسّمّاح مجود
وكم لجباه الرّاغيين لديه من
مجال سجودٍ في مجالس جود
وقوله في التّلفيق بين ستّة من الطّير :

يا ربّ ليلٍ لو تجسّـ
بتنا به وشرابنا
يسعى بذاك مهفهفٌ
ولنا مغنٍ لحنه
حتّى سمعت تجاوب الـ
ورأيت باز الصّبح منـ
م لم يكن غير الغداف^(١)
صرف^(٢) كعين الديك صاف
بمحاسن الطّاووس واف
للغندليب بلا خلاف
عصفور في قُصْب الخلاف
شور القوادم والخوافي^(٣)

(١) الغداف : شعر اسود كالغراب .

(٢) الصرف : الغير ممزوج ، الحمرة الصافية .

(٣) القوادم والخوافي : القوادم : أول ريش الجناح في الطائر والخوافي ما بعدهم .

وقوله في مؤلف هذا الكتاب :

كلام أبي منصور فيه عذوبة
فنروي متى نروي بدايع نظمه
ينوب عن الماء الزلال لمن يظما
ونظما اذا لم نرو يوماً له نظما

وقوله :

من كان في الحشر له شافع
غير النبي المرسل المصطفى
فليس لي في الحشر من شافع
ثم اعتقادي مذهب الشافعي

١١٢ - ابو منصور يحيى بن يحيى الكاتب

فاضل ملء ثوبه كاتب بحقه وصدقه شديد الاختصاص بالأمير ابي الفضل
الميكالي أدام الله تعالى عزّه مقتبس من نوره يقول :

حدث أخاك اذا عدمت مطية
واصحب ذوي الآداب أنك لن ترى
ان الحديث مطية للرجل
زلقاً^(١) لرجلك مثل صحبة جاهل

١١٣ - ابنه ابو الوفاء محمد بن يحيى

قد حاز في عنفوان شبابه واقتبال زمانه محاسن الأدب وبرع في النثر والنظم
وأخذ بأطراف الفضل ، فمن بارع شعره قوله في الأمير ابي الفضل أدام الله عزّه من
قصيدة :

سعادة خدمة الأرباب أولى
عنيت به بني ميكال من لا
بمثلي من سعاد او رباب
يُداني جودهم جود السحاب
هم رخصوا^(٢) خمول الدهر عني
وأعطوني وقد صُفرت وطابي^(٣)

(١) زلقاً : زللاً وتعثراً .

(٢) رخصوا : غسلوا وأزالوا .

(٣) صفرت وطابي : أي أشرف على الهلاك . والوطاب : وعاء اللبن .

دخَلْتُ على العلى من كلِّ باب
بزنتُ في المعالي غير كاب
عليه قطُّ داعية انقضاب
كما استغنى الشاب عن الخضاب
يديه ثمار عيشٍ مستطاب
يعاوده الى يوم الحساب

ودلّوني على العليا حتّى
ومن يمدح عبيد الله يقدح
ويستمسك بجبلٍ ليس يخشى
سأستغني به عمّن سواه
أدام الله دولته وأجنى
وعوده سعادة كلِّ عيد

وكتب اليه ابو عبد الله الحسين بن عليّ البغوي الكاتب :

فجانبه ابو يحيى طويلا
كما قد مازج الماء الشمولا^(١)

رأيت الفضل يحيى يابن يحيى
مودّته ممازجة لقلبي

فأجابه ابو الوفاء :

كلام تنيلنا برّاً جزيلا
ليمهرها أخو الكرم الغفولا
وقد سلّى الجوى^(٢) وشفى الغليلا

إما عبد الآله بقيت جزل الـ
فما ابن المنزن زوج بنت كرم
بأشهى من كلامك في فؤادي

وقال أيضاً :

وأيام الحمى غيثُ الربيع
ولم أعرف جمادى من ربيع

سقى عهد الصّبّا مطرُ الدّموع
سنين طويتها شهراً فشهرأ

وقال :

بأن يردّ جوابي
سللت سيف العتاب

قل للأمير ومن لي
سللت جسمي لمّا

(١) الشمول : الراح والخمر .

(٢) الجوى : حرقه العشق .

وقال :

وطول مقام المرء في مثلها خطرٌ
لقينا بها الحيطان تسجد للمطر

بقيت بمرور الرّوذ في عدّة المطر
إذا ما اذان الرّعدُ آذاننا وعت

وقال من اخرى اميريّة :

لو أنّ صرفَ اللَّيالي لم يصبْ دُرّة
مرفرف الظّلّ تجني راحتي ثمره
ولا يطيرني العذال والزّجره
خوادر الاسد^(١) أبى أو أرى قمره
واليمن في حرّ وشى اليمنة الحبره^(٢)
أزارنيها اشتياقي وهي منتظرة
كسنة البدر بالظلماء معتجرة
رأيت خلخالها يستخدم الشعرة
أعاره شطر ابهام القطا قصرة
كالورد قد ضمّ في أكمامه زهرة
إلاّ رأيت دموع العين مبتدرة^(٤)
عن الشّباب فخذ عن عالم خبره
هذا الأمير فذاك العيشة النّضرة

لله درّ الصّبا ما كان أطيبه
أيام غصن شبّابي ناضر خضل
لا ازجر الطّير مهما زرت غانية
إذا مررت بخدرٍ دون هودجه
أرى السّعادة في سعدي وطلعتها
يا ربّ يومٍ بحر الشّمس متقلد
فاستقبلتني في كحلي معجها^(٣)
إذا خطت خطوةً نحوي لتكرمني
وربّ ليلٍ يكاد الصّبح يسبقه
قد ضمنا تحت أذيال السّرور معاً
سقياً له من زمانٍ لست أذكره
هيهات ما للفتى في دهره عوض
الآ لقاء عبيد الله سيّدنا

وهي طويلة .

(١) الخوادر : جمع خدر وهي العرين للأسد والخباء للمرأة .

(٢) الحبرة : الناعمة الجديدة من الملابس .

(٣) معجّرها : ثوب تشده المرأة على رأسها .

(٤) مبتدرة : منهمة بالدموع .

١١٤ - اخوه ابو سلمة أيده الله تعالى

خلف أبيه وشبيه أخيه وكاتب الأمير أبي الفضل ادام الله تعالى عزّه
والمتمخّل بخلقه والجاري في طرقه والمستملي صحف فضله ومن لا يتميّز خطّه من
خطّه وهو أشبه به من الغراب بالغراب والتّمرة بالتّمرة وله شعرٌ كخطّه مثل قوله في
الغزل :

ظلمُ الحبيبة من يشبّه قدّها بالغصن عند تبخّثر وعناق
فالعصنُ يسمجُ حين يسقطُ نوره وجمالها في كلّ وقتٍ باق
وكتب اليه ابو يعلى البصري يستهديه حبراً فأجابه الى ما طلب وعمّا كتب
بأبيات منها :

وبعد فقط أنفدت حبراً كأنّه يحاكي ظلام اللّيل او منّة الوغد
إذا ما جرى في الطّرس^(١) خِلّت سواده على الرّق نور الحقّ مع ظلمة الجحد
وحقّ الهوى لو كان أسود ناظري وجبة قلبي كنت أهلاً لها عندي

١١٥ - ابو الفضل اسمعيل بن محمّد بن الحسن الكرابيسي الحاكم أيده الله تعالى

من أشعر الفقهاء وأفقه الشّعراء ومن العلم حشو ثيابه والعقل والفضل من
أوصافه يقول ويُحسن :

تمنيت أن تحيى حياة هنيئةً وأن لا ترى كرّ الزّمان بلا بلا^(٢)
رويدك هذي الدّار سجنٌ وقلّ ما يمرّ على المسجون يوم بلا بلا^(٣)

(١) الطّرس : الكتاب - الصحيفة .

(٢) بلا بلا : انشغالاً وقلقاً .

(٣) بلا : من البلاء .

١١٦ - ابو مسعود أحمد بن عثمان الخشنامي أيده الله

من حسنات نيسابور وفضلائها وشعرائها وكلامه كثير الرّونق ظريف الجملة
والتّفصيل كقوله :

وجاهلٍ لَجَّ في مشاتمي ولم يكن مبقياً على جاهي
سكتَ عنه ولم أبال به والحلمُ ممّا يزين أشباهي
وبين فكيّ صارمٌ ذكرٌ أغمدهُ عنه خشية الله

وقوله :

يا والياً عزّ الولاية عرّه فسطا لذاك على الأنام وتاها
اقصِرْ فذلّ العزل يتبع عزّه عطر الولاية لا يفي بفساها

وقوله :

يا سيّداً أثر المعالي فليس عنها له انحيازُ
حقيقةُ المجد في يديه وفي يدَيّ غيره مجازُ
فهو لذنوب الزّمان عذرٌ وهو لثوبِ العلى طرازُ

وقوله :

أقول لمن يعدّ الشّيبَ نوراً ويزعم أنّه يكسو وقارا
أحبُّ من الوقار اليّ شعْرُ يحاكي لونه سبجاً^(١) وقارا^(٢)

وقوله :

أقول وقد عوتبتُ حين شربتها وحيداً ومن انس التّديم عديما
عدمت نديماً سالماً لي غيبه فصيرت كاسي مونساً ونديما

(١) سبجاً : مريراً اسود والسبجة ثوب له كم قصير تلبسه المرأة .

(٢) وقاراً : القار هو القطران أو الزيت .

وقوله في الغزل :

وجه أبي الفتح اذا ما بدا يغني عن البدر اذا ما طلع
لولا دفاع الله عن خصره اذا ثناه راعماً لا تقطع

وقوله في الحكمة :

أترجو في زمانك صفو عيشٍ وقد عري الزمان من الصفاء
وتأمل من بني الدنيا وفاء وما شيء أعز من الوفاء

وقوله في فتى يشتكي ضره وهو يعارض أبا سعد بن خلف :

شكت أقاحيك فاشتكت لها يا قبله الحُسن فتنة البلد
وجهك شمس الضحى اذا طلعت تضر بالاقحوان والبرد

١١٧ - ابو الحسن محمد بن الشيخ ابي علي الحسين بن محمد بن
طلحة ايدهما الله تعالى

كريم الطرفين شريف الجانبين عريق في الأدب والفضل والكرم وسنه الآن
دون العشرين وشعره فوق شعر المفلّقين المبدعين وقد مرت بي قصيدة له في أبيه لو
قالها البحتري أو أبو فراس الحمداني لما زادا ، واولها :

أعاب صرف الدهر والدهر عاتبُ وأطلب منه ردّ ما هو ذاهبُ
وأرجو من الأيام بالوصل عودةً وتلك أمانِيُ النفوس الكواذبُ
شكّاتي من دهري فمن ذا ألومه وعثبي على عيني فمن ذا أعاتبُ
كفى حزناً أتّي أرى البحرَ جانباً وبني ظمأً عن منهل الرّي جانبُ
وهونٌ وجدي اثني لست واحداً من الناس حراً لم تصبهُ النوائبُ
وأتّي على ما بي ليجذب همتي الى ساكني نجلٍ من الشوق جاذبُ
رعى الله داراً بالحمى هي دارنا وقوماً هم أحبّنا والحبايبُ

قد اختلفت للشعر فيه المناسب

ومنها :

ورياه للمسك الذكي مسالب

محياه للورد الجني ملابس

ومنها :

سقتك دموعي لا سقتك السحاب
مخيسة قب البطون شواذب
وأسلمني الآ دموع سواكب
فما طمعي أن يشعب الصدع شاعب

فيا دار بل يا دارة البدر في الدجى
أما والذي تنضى الى حج بيته
لقد خانني الآ اشتياق مبرح
قضى ربنا أن يصدع الشعب صادع

ومنها :

الى الأمد الأقصى من المجد ضارب
الى وأسيف قواض قواضب^(١)

سأضرب في أقصى البلاد وانتي
وللدهر أنياب ضواح ضواحك

ومنها :

ولا ركب الآ آله المتراكب
تألق فوق الاكم والاكم لاعب

ودوية لا ماء الآ سراها
كان مطايانا مخاريق لاعب

ومنها :

وجبنا الفيافي^(٢) وهي قفر سباسب^(٣)
وساع وساع خطوه متعاقب

قطعنا الى الشيخ الرئيس مجاهلاً
وسار بنا رحل وكور ونمرق

(١) قواضب : اسيف حادة قاطعة .

(٢) الفيافي : الصحارى .

(٣) سباسب : صحارى مقفرة .

ليفرح محزونٌ ويقبل مدبرٌ^(١)
وتدركُ حاجاتٌ وتحوى رغائبٌ

ومنها :

بعيد مناط الهم أقرب همه
وكم أقرأ الأعداء كتباً حروفها
وأمطر فاخضرت بقاع نجوده
وللمجد أعلام سوام^(٥) سوابق^(٥)
فدع ذكر أقصاه النجوم الثواقب^(٢)
ظبى^(٣) ورماح والسطور مقانب^(٣)
ولا حسنها ناض^(٤) ولا الماء ناضب^(٤)
اليه وأقدام رواس^(٤) رواسب^(٤)
وختم القصيدة بقوله :

فلا زلت يا شمس المكارم طالعاً
ولا زلت مخضر الجناب فاتماً
بافق المعالي والشموس غوارب^(٦)
بجودك يخضر السنون الأشاهب^(٦)

١١٨ - ابو يوسف يعقوب بن احمد بن محمد آيده الله

قد امتزج الأدب بطبعه ونطق الزمان بلسان فضله ولئن أحوجه الزمان الى
التأديب على كراهيته آياه وتبرمه به لارتفاع محلّه عنه ان له اسوة في المؤدبين الذين
بلغوا معالي الامور وبعد صيتهم بعد الخمول كالحجاج بن يوسف وعبد الحميد بن
يحيى وابي عبيد الله الأشعري كاتب المهدي وابي زيد البلخي وابي سعيد الشيبني
وابي الفتح البستي وغيرهم ، وما أليق قول البحثري بحاله :

(١) مدبر : ذاهب - راحل .

(٢) مآرب : رغائب . اهداف .

(٣) مقانب : ظفر الأسد او وعاء يجعل فيه الصائد ما يصيده .

(٤) ناض : أي زائل ، ونضا الثوب : خلمه .

(٥) سوام : شاخه .

(٦) الأشاهب : المجذبة .

مواعد للأيام فيه ورغبتي الى الله في انجاز تلك المواعد
وكذلك قول ابن الرومي :

أما ترى المسك بينا هو على حجر
اذ بلغت صروف الدهر غايته
يذله كل ذل فهو عطار
فحل منزله من رأس جبار

وله نثر حسن وشعر بارع كقوله في مؤلف هذا الكتاب :

لئن كنت يا مولاي أغليت قيمتي
وقصرت في شكرك فالعذر واضح
وأغليت مقداري وأورثتني مجدا
وهل يشكر المولى اذا أكرم العبد
وكتب على ظهر كتاب سحر البلاغة له :

سحرت الناس في تأليف سحرك
وكم لك من معالي في معان
فجاء قلادة في جيد دهرك
وقيت نوائب الدنيا^(١) جميعاً
شواهد عندنا بعلو قدرك
فأنت اليوم جاحظ أهل عصرك

وقال في الحجاب :

يا مَنْ غدا سابقاً في كل مكرمة
إن كنت محتجباً عنا فلا عجب
ودون رتبته الغايات والرتب
وقال يهجو :

وقالوا لي ابو حسن كريم
وما لجلاله أهجوه لكن
فقلت الميم هاء في العبارة
رأيت الكلب يرمى بالحجارة

وقال :

لا بارك الرحمن في عمري
ان سرتني قرب ابي عمرو

(١) نوائب الدنيا : ويلاتها .

اذ ليس يجري الماء في النهر

وهو صعيدٌ قد تيمّمته

وقال :

وكتباً حسّاناً للخليل بن أحمد^(١)
وتوحيدَ جهنم بعد فقه محمد
وغنّيته لحن الغريض ومعبّد
مدوّرةً بيضاً تطنّ على اليد

عرضتُ على الخبّاز نحو المبرد
ورؤيا ابن سيرين وخطّ مهلهل
وأشدته شعر الكميّ وجرول^(٢)
فما نفعتني دون أن قلت هاكها

وقال في مرأى :

وفي ثوبه المسيح أو هو أغدر
وذلك حبّ تحت الفخّ فاحذروا

يُرى النَّاسُ أني كالْمسيحِ بنِ مريمٍ
أغرّكم منه تقلّص ثوبه

وقال :

وجلال قدرٍ أو علوّ مكانٍ
ركب الغبارُ عمائم الفرسانِ

لم تقعدوا فوقِي لفرط نباهةٍ
والنّار يعلوها الدّخانُ وطالما

وقال :

بوساً لها من حرفه
مقرونةً بالحرفه

إني بُليت بحرفةٍ
هي حرفةٌ لكنّها

وقال :

وليس هناك آلات السيّادة
ولم يقدرُ فمال إلى القيادة

نغوض^(٣) للسيّادة يشتهيها
كعنينٍ أراد نكاح بكرٍ

(١) الخليل بن أحمد : صاحب علم العروض بالفراهيدي والمبرد : نحوي معروف صاحب كتاب « الكامل » .

(٢) جرول : الشاعر الخطيئة .

(٣) نغوض : نهوض لها .

وقال :

مَنْ كَانَ يَعشِقُ مِنْكُمْ شَادِنَا غَنْجَا البدر يشبهه والشَّمس تحكيه
فَلَسْتُ أَعشِقُ إِلَّا كُلَّ ذِي أدبٍ الوشي من يده والدر من فيه

١١٩ - أبو محمد الحسن بن المؤمل الحرّبيّ

من أولاد أحمد بن حرب الذي يضرب به المثل في الزهد والنسك ويزار قبره بنيسابور منذ مائتي سنة وترفع الحاجات الى الله عزّ ذكره وهو أعمر المشاهد بها وقد لبس أبو محمد برد شبابه على فضل مكتهل وظرف مقتبل وشعر مقبول وأدب معسول فهو كما وصف الصّاحب بعض فضلاء النّدماء فقال : ان أردت فهو سُبحة ناسك أو أحبيت فهو تفاحة فاتك أو اقترحت فهو مدرعة راهب أو آثرت فهو تحية شارب، ومن ملح شعره قوله :

أيا مَنْ فضله عمّ البرايا ونال المجتسدون به المباغي^(١)
ترفّق بالرّسول فدثك نفسي فليس على الرّسول سوى البلاغ

وقوله في التّيزوز :

يا شمسَ أهلِ المشرقِ اسعدْ فقد حلّت برأس الحملِ الشّمسُ
واشرب على طلعة نيرؤزها كاس مدامٍ يدم الانسُ

وقوله من قصيدة :

ثار الغبار غداة ثارت عيسهم^(٢) فشممت من ذاك الغبار عبيرا
تالله لو شاهدت وقت وداعهم لرأيت دمعاً في الخدود غزيرا

(١) المباغي : المقاصد .

(٢) العيس : الأيل .

ولقيت منهم مَنْ يشقّ صدره^(١) ولقيت منّا مَنْ يشقّ صدورا

وقوله :

قالوا التحي فبدا الظلام بوجهه فتسلّ عنه فإنّه لا يُرتجى
فأجبتهم كيف التّسلي بعدما زادت محاسن وجه لَمّا دجى
فالنجم يحسن في الظلام وقلّ ما يبدو بهاء البدر إلّا في الدّجى
وقوله لمؤلف الكتاب :

قد أشرقت أرجاء نيسابور وطلعت طلائع السّرور
بعود مولانا أبي منصور لا زال في عزّ وفي حبور
ودولة تبقى على الدّهور

١٢٠ - أبو الفضل احمد بن محمد العروضي المعروف بالصقّار

امام في الأدب خنق التّسعين في خدمة الكتب وأنفق عمره على مطالعة العلوم
وتدريس متأدّبي نيسابور وإحراز الفضائل والمحاسن وهو القائل في صباه :

أو في على الديوان بدر الدّجى فسَلْ نجوم السّعدِ ما حظّه
أخطّه أملح أم خدّه ولحظه أفتن أم لفظه

وأشدني لنفسه في جمع أسماء الكواكب السّبعة في بيتٍ واحدٍ :

يا من يقدر أنّ الدهر ينصره بكوكب عاجزٍ بالله فانتصر
لا تشركنّ ربّ العرش تجهله كواكباً كلّها تجري على قدر
عطارد زهرة والشمس مع زحلّ كالمشتري الفرد والمريخ كالقمر

(١) الصّدّار : ثوبٌ بلا كَمَين يغطي الصدر فوق القميص الخارجيّ .

وأنشدني رحمه الله لنفسه :

لعزّة الفضّة المبرّة^(١) أودعها الله قلب صخرة
حتى إذا النار أخرجتها بألف كدّ وألف كرة
أودعها الله كفّ وغد^(٢) أقسى من الصخر ألف مرة

١٢١ - أبو بكر أحمد بن علي الصبّغي

من أهل البيوتات بنيسابور وكان يجمع أدباً وظرفاً ويناسب شعره روحه خفةً
ويخرج في العشرة من القشرة فاحتضر في عنفوان شبابه وتقطّعتْ به أسباب آدابه
ورثاه الفاضل الظريف صديقه أبو منصور عليّ بن أحمد الحلاب الكاتب أيّده الله
تعالى بقوله :

ولمّا نعى النّاعي أبا بكرٍ الذي رمى الدهر عين الفضل حين أصابه
تقطّع قلبي حسرةً وتلهّفاً ولم أبكهِ لكن بكيتُ شبابه
غزته المنايا من قريبٍ وحددتُ لأترابه^(٣) طفر الحمام ونابه
ويوشك أن ينحو بنا نحوه الرّدى ويُسكننا ربع البلى وجنابه
سقى الله صوب الغاديات^(٤) ضريحه وأكرم في دار البقاء مآبه
خليليّ صبراً للرّزايا^(٥) فكلُّ مَنْ ومن ملح أبي بكر قوله :

باكر أبا بكر بكاسٍ واشربْ على وردٍ وآسٍ

(١) المبرّة : من البرّ أي العطاء .

(٢) وغد - حقير - دنيء - صغير العقل .

(٣) أترابه : رفقاؤه من سن واحدة .

(٤) الغاديات : السحب ، والصوب : المطر .

(٥) الرزايا : المصائب .

واخلع عذارك جامحاً ما بين ابريق وطاس
فالعيش عيشٌ ذوي الصبا والدين دين أبي نواس

وقوله :

رحم الله مَنْ رأى نظم شعري فدعا لي بما أشرتُ اليه
قال يا ربّ نجّني من هواه أو فرّد الذي يحبّ عليه

وقوله في انسان رازي كان يدّعي أنّه من اللاسكية وينتحل شعر ابن بابك :

أمّ الذي يزعم أنّي لاسكي حجامّة تزوّجت بحائكا
وكلّ ما ينشد من أشعاره في شعر عبد الصّمد بن بابكا

١٢٢ - أبو منصور بن أبي علي الكاتب أيّده الله تعالى

من آدب الكتاب بنيسابور وأعرفهم بالرّسوم وله خطّ حسن وشعر كتابي كقوله
في ترجمة شعر فارسي حيث قال :

ليس كلّ الذي انتضى من دواة قلماً بالغ العلى بالأداة
إنّ حمل العصا لغير بديع قلبها حيّة من المعجزات
فارسيته :

نه هرکو قلم برکرفت ازدوا [ة] شفا کرد داند جهانرا زادا
عصا برکرفتن نه معجز بود همي ازدها کرد بايد عصا
وكتب الى صديق له استعار منه كتاباً في شعر :

وقفتُ على أبياتك الغرّ إنّها بدائع ما قدّمت لي من نثاركا
وإنّي وأجزاي وما ملكت يدي فداء رسول جاء من باب داركا
امامك ما تختار منها وغيرها فبادرْ إلى ما تشتهي باختياركا

ودمت لأهل الودّ دوح مكارم
وقال في تهنئة بعض العمّال بولاية الديوان :

ليهنك يا بدرَ المجالس والصّدر
تهنّا بك الأعمال إذ أنت فخرها
وَزُيْنَتْ بك الأيام إذ أنت حليها
فلا زلت في ربع العلى متربّعاً
طلوعك في الديوان للتهّي والأمر
وقدرك عمّا نلتَهُ أرفع القدر
والعصر أنت الفخر للعصر والمصر
تساعدك الأيام في أهنأ العمر

١٢٣ - عبد الرحمن الدوغي الفقيه أيّده الله تعالى

يقول في المدح :

جنابك مثل روضات الجنان
حللتَ من المكارم في ذراها
وأنت لفرط فضلك صرّتَ فينا
إذا عدتْ محاسنك القوافي
فلا زالت من الرّحمن يُعْمى
ومنك تنالُ غايات الأمان
ففيها انت كالسّبع المثاني
أحبّ من الشّباب الى الغواني
غفرنا ما جنته يد الزّمان
لديك قطوفها أبداً دوان

وله في مختطّ ينتف :

لما رأى شعر العذا
وابتزّ بهجة وجهه
ر بخده قد جاز حده
امضى بسوط التّف حده

وله من قصيدته :

برزت اليك عرايس الأشجار
تحلى سجايك الحميدة كلّها
وكانما الأطيّارُ في ترجيعها
في حلية الأنوار والأزهار
عانقنَ وفد الرّيح بالأسحار
تنشئ اليك بلحن موسيقار

وكان صوب القطر كلّ عشية آثار سيبك^(١) في ذوي الأقطار^(٢)
(ذكر الزوازنة وملح أشعارهم)

فمنهم :

١٢٤ - أبو بكر محمد بن أحمد اليوسفي

كان من أفرادهم أديباً وفضلاً ومفلقهم نظماً ونثراً ، ولفظته زوزن الى أقطار الأرض وآفاق البلاد وحرقة الأدب زميله ونزيلة وحليفه وأليفه وتصرّفت به أحوال في تأديب ولد ابن ينفع وانتجاع الصّاحب وغيره وطالت مدته في الغربة ثم عاد الى الوطن على غير قضاء الوطر^(٣) ولم يلبث ان انتقل من ضيق العيش الى ضيق القبر لم يلق بين الضيّقين فسحة ورحمة الله تعالى حسبه ، وهذه فصوص من كلامه ورسائله :

فصل : تحيرتُ فما أدري أفارة مسك فتفتت أم شامة كافور نُفحت أم لطيمة فضّ ختامها أم قسيمة فرقت أقسامها أم محاسن وصالٍ كأنهنّ محامد نظمّن عقداً وفضائل نسقن عقداً وكان زمانها عطار ولياليها أسحار .

فصل : نحن اليوم في باغ وفي زمن غير باغ وظلال أشجار موقرة بالثمار نرود بينها كما نريد بين قيان تجود عليها فتجيد .

فصل : في وصف أطعمة وحلاوى صيحات أنقى من الفضّة بشرة تتناوب على المائدة عشرة عشرة بعد بوادر ومخلّلات تحسبها الجواهر محلّلات وقل يا سيدي في الفالودج المعكك والقرص السكري المُفكّك والقاطولي الذي يقال عنده لليد طولى والقرص العسلي الذي يهون لبس العسلى أوصاف أرقّ من أوصاف مقتصص بفيروزج الفستق مُقتصص بلباب اللوز في مثله يتنافس المتنافسون وله يعمل العاملون .

فصل : بخور لها في مجلس بخار وعقار يهون فيها العقار .

(١) سيبك : عطائك .

(٢) الاقطار : الذين ضاق عيشهم .

(٣) الوطر : الحاجة .

فصل : صحو يكاد من الغضارة^(١) يطر وأزهار تكاد من الاهتزاز تنظر .

فصل : أما والحدق المراض وسهام الأحاظ والرّوض غبّ القطر فإنّ لها حقاً وأنفاس السّحر فإنني عبدها رقا أنّي منذُ حرمت منك حلاوة الرّضى ودعتُ العيش المرتضى وبتّ على مثال جمر الغضا وحدّ السيّف المنتضى ويا ليتني كنت نسياً منسياً قبل أن أعدّ لديك مجرماً ومسيئاً وليت الطّير يخطفني والدنّ تحطمني فإنّ ذلك أهون من تفريع ذلك القريع وعته الذي صنع بي صنيع السيّف الصنّيع .

فصل : أراني الله بها أهلاً كانوا للفضل أهلاً .

فصل : الشّوق الّذي أقاسي يُصدّع الحجر القاسي والّذي مرّ براسي يهدّ الجبل الرّاسي من نواكب أوهت المناكب وعوارض شبيّت العوارض ومحنّ عظام أثرت في العظام وللأنام دول متعاقبة وللصّبر الجميل عاقبة .

فصل : بلدة هي من اخلاقه جونة العطر^(٢) ومن محاسنه عيد الفطر .

فصل : ما أولاه بمثل ما أولاه وأحراه بمثل الذي تحراه وأحقّه بالشكر الّذي استحقّه .

فصل : هذا وسمّيه فلا يحرمني وليّه وقد سرّ بالابتداء فليسرّ بالعود وليّه .

وهذه غررٌ ودررٌ من شعره فمنها قوله من قصيدة أوّلها :

تبدكْتُ من بعد الحبيب المفارق سواد الليالي وابيضاض مفارقي
ومنها :

سقى البارق الغوريّ عذباً من الحيا محلّتنا بين العذيب وبارق
وأغنى مغانيها وأرضى رياضها وشقّ بلطم القطر خدّ الشقائق
محلّة ايناسي ومغنى أوانسٍ ومركز راياتٍ ومرعى أياتق
فيا يومها كم من منافٍ منافقٍ ويا ليلها كم من موافٍ موافقٍ
ومنها :

كأنّي شهدُ مجتنىً لفم الرّدى وكلّ مصيبات الزّمان ذوائقي

(١) الغضارة : الخصب والسعة .

(٢) جونه العطر : بياضه ونوره أي رحيقه .

ومنها :

ولم أنتبه إلاّ وذكرك صاحبي
وقوله من قصيدة صاحبة في العيادة والتّهنة بالاقبال :

أطلع الله للمعالي سعودا
وأعاد الزّمان غضاً جديدا
ومنها :

بعث الدهرُ جندَهُ - وبعثنا
يا عميدَ الزّمان إنّ الليالي
حادثاتٍ أردنَ إحداثَ هدمٍ
وقوله من أخرى :

سلامٌ عليها إنّ عيني عندما
ومنها :

وزرت به كافي الكفاة وعنده
أرى الفضل فذاً والتّفضّل توأما
ومنها :

ينال لديه معتقى الفضل أجراً
ومنها :

وما السيّف صمصامٌ^(٣) ولا الرّمح في الوغا^(٤)
أجم^(٥) إذا لم يُلَف عزمًا مصمّمًا

وقال يهجو :

أمسى أجلّ الشّعرا لا يتقي
إنّ الذي ميّز أشعارنا
وأجهل النّاس به من نقد
أولى من النّقد برعى النّقد

(١) الطيف : الخيال .

(٢) عميدا : شديد الحزن .

(٣) الصمصام : السيف الحاد .

(٤) الوغا : الحرب .

(٥) أجم : محمول ومستعمل .

وقال :

مطارحة الوسائد في النوادي مميزة اللثام من الكرام
يطاهن الكريم بأخصيئه^(١) ومن يطأن اقفاء اللثام

وقال من أخرى :

وكلفني من بلايا الفرا ق حكماً يطاع وما ان يُطاق
رقيب يعوق وخلُّ يُعَقَّ وحسن يروق ودمع يُراق
وقلب يصبُّ ودمع يُصَبُّ ونفس تُشاق وروح تُساق
سقى الله حالين من دهرنا طراد العُتاق^(٢) وطيب العناق

وقال :

اثنان أجمع أهبلُ ال آداب ان لا يُعابا
المستريح شراباً والمستعير كتابا

١٢٥ - أبو جعفر محمد بن اسحق بن عليّ البَحَّاثي

زينة زوزن وظرف الظرف وريحان الروح يقول في هجاء لحيته الطويلة :

يا لحية قد علقت من عارضي لا أستطيع لقبها تشبيها
طالت فلم تفلح ولم تك لحية لتطول إلا والحقا فيها
إني لأظهر للبرية حبها والله يعلم انني أقلها

ويقول في ذمّ خالٍ على وجه بعض من يهجوه :

أبوطاهر في الشوم واللوم غايةً بعيد عن الإسلام والعقل والدين
على وجهه خالٍ قريب من أنفه كمثل ذبابٍ واقع فوق سرقين

وله في مراثية أبي بكر الصبغي الذي تقدّم ذكره من نثفة :

وارحتا لشبابه اذ لم يمتّع بالشباب

(١) أخصيه : قدميه .

(٢) طراد العُتاق : أي اقتناص الخمرة الجيدة .

وكأَنَّهُ في قبره شمسٌ توارتُ بالحجابِ

وله في الغزل :

لما ترحلَ مَنْ أهوى وودّعني
نظمتُ درأً على القرطاس من غزلي
وله :

ينكون غزلان الحسان ولا أرى
فمن يك قد لاقى من النيك راحةً
وله :

ولمّا رأيت الفقر ضربةً لازباً^(١)
ولا لي غلامٌ قد يُناك ولم يكن
شريت قبيحاً من بني الهند أسوداً

ومن أحسن ما قيل في وصف البطيخ قوله :

وزائرةٌ تاهت عليّ بيردها
ثقيلة ما بين الأهاب^(٢) قصيرة
وفاح لها طيبٌ يسير أمامها
فقلتُ إليها مسرعاً فافترعتهما^(٣)

وقال في قصرٍ بناه ضدُّه :

بنى أبو العباس في داره
نام عن الجود ولكنه
قصرأ فلا متّعه الله به
في بخله مستيقظ متنبه

(١) لازب : لازم - ثابت .

(٢) الأهاب : الجلد .

(٣) افترعتهما : فضضتها ونلت ما أشتهيه منها .

وقال في التَّبرُّم بالأدب :

إنِّي أقول وخير القول أصدقه
لا تجمعنْ أبداً علماً ولا أدباً
في المال زينٌ وفخرٌ إن ظفرتَ به

وله عند خروجه في سفر :

خرجتُ مع الركبِ الغداةَ مسافراً
إذا ذكرتُ نفسي ديارَ عشيرتي

وقال :

أقول إذا رَمَتِ الحادِثا
أيا نفسُ صبراً عسى الله أنْ

وقال في أحمد الخشنامي :

وذي أدبٍ برٌّ رُميتُ ببعده
به أرخَ المعروف والمجد والعلی
وقد كنت أشكو البَينَ في ربع فرسخٍ

وقال في غلام تركي :

بليت بقنّاص الضراغم^(٣) شادن^(٤)
تضيق عليّ الأرض من ضيق عينه

وقال من قصيدة :

لا وأفخاذُ الصغار

وأحيراح

الجواري

والصّدق يحمل أحياناً على الكذب
وجدتُ في طلب الأموال واغترب
والبؤس والنّحس والادبار في الأدب

فيا ليت شعري هل أأوب^(١) مع الركبِ
تحدّر دمع العين سكّباً على سكبِ

ت بي من بحار الأسى في لجج^(٢)
يُقدّر لي عن قريب فرجٌ

معينٌ على الأيام أفديه من أخٍ
ولولا تناهى مجده لم يؤرّخِ
فكيف وفيما بيننا ألف فرسخٍ

من التّرك لم تحلل تئامه بعد
وينزف شعري شعره الفاحم الجعد

(١) أأوب : أرجع .

(٢) لجج : أعماق ومتاهات .

(٣) الضراغم : الأسود .

(٤) شادن : ولد الغزال .

وُسْتِيهِ^(١) من صبيّ بالغ حدّ العشاري
 وصغير من بني التّر ك يسقي بالكبار
 لا أطيع العاذل الجا هل في تركّ العقار
 همّتي شربُ خورٍ من يدي ذات خمار
 أو يدي ظبيّ غريّر رخو معقود الإزار
 لستُ والله على اليه سمّ مع الزّير بزاري^(٢)

١٢٦ - أبو بكر احمد بن محمّد القوهي

أحد فضلاء الزّوازنة وشعرائها يقول في شكاية فقهاائها لما اختاروا لزعامتهم

اسرافيل الغزنوي :

لنا فقهاء شرّهم جدّ محكمٍ وان زلّ خيرٌ منهم فهو ينسخ
 أقاموا على النّاس القيامة جهرةً وجاؤوا باسرافيل في الصّور ينفخ
 وله من قصيدة :

كنم من مُودٍّ له عقار عقاره شدّ وهو خفّا
 أي صار عقّار بالتّشديد وصار هو مودياً بالتّخفيف .

١٢٧ - أبو يعلى الزّوزني

من أشهر فضلائها وظرفائها وهو القائل من نتفة :

لم أزل قائلاً بفضلك في السّراء فأنظر اليّ في الضّراء
 وهو القائل :

أُنلني يا حليفَ المجد سؤلي ولا تنظرُ الى ثقلِ الرّسول
 فإنّ ضرورة الأيّام تُلجى أحياناً الى الرّجل الثّقل

(١) ستيه : تصغير إست أي إلية .

(٢) الزّير : ابريق الخمر، وزاري : أي تارك ومتنقص .

١٢٨ - أبو الحسن العبد لكانى

والد أبى محمد العبد لكانى الذى طبّق الدّنيا بشعره الملىح الطّريف وكتاب
اليّيمة مختوم به^(١) وعهدي بملكين يجرى شعره على لسان كلّ منها وهما الأمير أبو
العبّاس مأمون بن مأمون خوارزم شاه والأمير صاحب الجيش أبو المظفر نصر بن ناصر
الدّين رضى الله تعالى عنها وأرضاها ، فأما والده أبو الحسن فإنّه يقول فى قرية
بهذاذين من قرى زوزن ما استظرف البيت الأخير منه وهو :

أشرف بيهذاذين من قرية عن شائيات العيب فى حرز
لكنّها من لؤم سكّانها حطّت الى الدّلّ من العزّ
ما إنّ ترى فيها سوى خامل جلف دنىّ أصله كزّ
لا تُعجبوا منها ومن أهلها فالسّوس لا يُنكر فى الخزّ
ويقول فى التّاجن :

رجلٌ أسدى إلينا صالحاً فمعاذ الله ان نجهله
بل نكافيه به أضعافه انّ منّ يفسد لنا نخر له

١٢٩ - أبو عليّ بن أبى بكر بن حشّوية الزّوزنى

أنشدني أبو القاسم بن أبى منصور له :

تعجّب من مشيبي فى شبابي كأن لم تلق من قبلي مشيبا
فقلتُ ذرىّ التعجّب انّ هذا زمانٌ يجعل الولدان شييا
وأنشدني غيره له أيضاً :

ليس من قلّة العقول أتينا بل لما ساقه الجدود العواثر^(٢)
كيف نرجو نجاحنا من رئيسٍ ليس يحظى لديه إلاّ مواجر^(٣)

(١) اليّيمة ج ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٥

(٢) الجدود العواثر : الحظوظ المتعثرة .

(٣) مواجر : مساعد .

١٣٠ - ابو الحسن علي بن أبي علي بن جعفر المعروف بابن سيسنبر الزوزني

يقول في معنى تفرّد به وهو يقع في باب تكلم كل انسان من صناعته وقد مرّ
مثله في ذكر ابي بكر القوهي وغيره :

كفى الشيب عيباً ان صاحبه اذا أردت له وصفاً به قلت أشيب
وكان قياس الأصل ان قست شائباً ولكنّه في جملة العيب يُحسب
يعني ان معائب خلق الانسان في كلام العرب يجيء أكثرها على أفعال مثل
أعمى وأعرج وأعور وأزرق وأحول وأقرع وأصمّ وأبخز وأوقص .

١٣١ - ابو علي الحسين بن احمد رزغيل

له :

الى الله أشكو ما لقيت من التوى^(١) فلم يلق منها ما لقيت متيم
فراق وهجر واشتياق وغربة فلله قلب بينهن مقسم

وله :

ولي همّة فوق نجم السماء ولكنّ حالي تحت الثرى
فلو ساعدتْ حالتي همّتي لكنت ترى غير ما قد ترى

وله :

أبا الفضل يا عين الفضائل انّني عليك لمثن غير انّني قاصر
وانّ الذي يرنو الى الشمس ناضراً ليرجع عنها طرفه وهو حاسر^(٢)

(١) التوى : الفراق والهجر .

(٢) حاسر : قليل وتعَب .

ذكر سائر أهل نواحي نيسابور ،
منهم :

١٣٢ - طاهر بن عبد الله البيهقي

كتب الى أحمد بن عثمان الخشنامي الذي تقدّم ذكره :

يا بن عثمان يا كريم السّجّايا^(١) صانك الله عن جميع البلايا
أنت في الفضل والبراعة والظّر ف وكلّ الخصال فقت البرايا
صحّ لما رأيتك اليوم عندي قولهم : « إنّ في الزّوايا خبايا »

١٣٣ - ابو الهيجاء عليّ بن حمّدان الخوافي

يقول في الشّيخ الامام الموقّ أدام الله عزّه :

إنّ الموقّ لو كانت أنامله بحرأ لأذن أهل الأرض بالغرق
ولو نثرت على الدّنيا محاسنه ما أنبتت غير حسن الخلق والخلق
ويقول في مطايبه أهل زوزن :

إنّ التكهرش^(٢) عادة يحظى بها أهل المروّة والذي يتطرّف
لكنه في أهل زوزن عادة مطبوعة ولأهل خوآف تكلف

١٣٤ - ابو العباس محمّد بن ابراهيم الباخري

غرة شادخة^(٣) في وجه ناحيته مرغوب في شعره ، أنشدني ابو القاسم عليّ بن
الفضل القائي رحمه الله قال أنشدني ابو العباس الباخري الكاتب لنفسه وكان اذ

(١) السّجّايا : الطبايع والصفات .

(٢) التكهرش : الهمة والتلطف .

(٣) غرة شادخة : شاب يملأ نوره أفق ناحيته أي أنه مشهور .

ذاك يكتب للشيخ العميد أبي القاسم منصور بن محمد بن كثير أدام الله عزّه بغزنة :

قل للأمير السيّد التحرير ^(١)	فقت الوري وفضّلت كلّ أمير
إن شئت أن يزداد ملكك بسطة	بوزير ابن وزير
فعليك بالشيخ العميد المرتجى	منصور بن محمد بن كثير
فيكون في الديوان صدر وسادة	ويكون في الأيوان صدر سرير

وذكر اسم الممدوح واسم أبيه وجده معاً صنعة حسنة في محاسن الشعر فاذا
اتفق مع ذلك ذكر الكنية فناهيك به كما قال الأصمعي الشاعر للشيخ أبي الحسين
محمد ابن كثير رحمه الله تعالى يوم استوزر ببخارا :

صدر الوزارة أنت غير كثير لأبي الحسين محمد بن كثير
فأحسن في الجمع بين الكنية والاسم واسم الأب وجنس بذكر كثير وكثير فان كان
الباخرزي قصّر في ذكر الكنية فقد برع في ذكر اسم الجد وقول الأصمعي أبرع
وأحلى ولم أسمع في مثل هذا أشف من قول أبي القاسم الاليماني من قصيدة الى
الشيخ الجليل أبي علي محمد بن عيسى الدامغاني فانه ذكر بلدة الممدوح وبها كان
يُعرف فأتى بالاسم والكنية واسم الأب والبلدة ولي في مثل هذا النقد وأشباهه من
صناعة الشعر وصيغته ومحاسنه ومعانيه كتاب يقع في مائة باب وقد ابتدأه ولم أتممه
بعد وأرجو أن يوفق الله لاتمامه ومن عزمي أن لا أقتصر فيه على النظم دون النثر وأن
اعنونه بسر الصناعة ان شاء الله تعالى .

عاد ذكر أبي العباس ، حدثني أبو علي الحسن بن ابي الطيّب قال كتبت الى
أبي العباس وهو بغزنة هذين البيتين :

الله أسأل أن أراك قريباً	ويعودُ عود الوصل منك رطيباً
حتى تكون لداء فرقتك الذي	شقّ القلوب مداوياً وطيباً

(١) التحرير : الحاذق العاقل .

فأجاني بهذه الابيات :

يحكى اذا نظم القريض ^(١) حبيبا
مُتَدَرِّعاً ^(٢) طرف العراق أديبا
صافي الاخوة شهيداً ومغنيا
يزداد فيها كل يوم طيبا
لولاه كان به الأديب غريبا

استودع الله الحفيظ حبيبا
مُطَبَّعاً طبع الشَّام مبرزاً
صافي المروّة ناشياً أو يانعاً
حقّت به لأبيه كنيته التي
فخراً به يا أهل مالين التي

وأنشدني له ايضاً من نتفة في الهجاء :

ولا حياءُ ولا دينٌ وإيمان
لم يأكل الكلب منه وهو غرثان ^(٣)
لم يشرب القرد منه وهو عطشان

ما فيه فضلٌ ولا عقلٌ ولا أدبٌ
لو خُطّ في الخبز حرفٌ من معائبه
أو شيب بالماءِ شيءٌ من خلائقه
وله في الشكر والاستغفاء من كثرة البرّ :

وليس فوق الذي أحسنت أحسان
والعدل ان جاوز المرسومُ عدوان
فان يزدنَ فذاك الفضل نقصان

مهلاً فما بعد هذا البرّ ^(٤) امكان
فالماء ان جاوز المقدار مهلكةٌ
ان الأصابع خمسٌ وهي كاملةٌ

١٣٥ - أبو علي الحسن بن أبي الطيّب الباخرزي أيده الله تعالى

فتى كثر الله فضائله وحسن شمائله فالوجه جميل تصونه نعمة
صالحة والخلق عظيم تزينه آداب راجحة والنثر بليغ تضمّنه أمثال بارعة والنظم بديعٌ

(١) القريض : الشعر ، وحبیب : أي أبو تمام .

(٢) متدرّعا : لابسا الدرع .

(٣) غرثان : جوعان .

(٤) البرّ : الاحسان والعطاء .

كله أحاسن لامعة وأنا كاتب من نشره ما يُربي على الدرّ المنشور ومن نظمه ما يأخذ بمجامع القلوب ، جملة من ألفاظه في كل فن :

نعم العادة للانسان اعادة الاحسان . لا تجعل الجزع كسوة فتكون للنسوة أسوة . طوبى لمن عقله يغنيه عما لا يعنيه . من قنع بما يكفيه فرايك فيه . العذل على البذل فعل النذل . السعيد من يبدى البرّ ثم يعيد . الشقي من شكاه التقى . لا تضطرب في مخالب المحنة فتمزقنك بأنياب الاحنة . من تزود التقى استمسك بالعروة الوثقى . من دفىء بجمر الخمر عري من برد البرد . أنزه المناظر والمجالس ما سافر فيه ناظر الجالس . الوصّب^(١) نتيجة النصب^(٢) والراحة ثمرة الاستراحة . الصبر على الأوصاب أمر من الصّاب . رداءة الملبوس شعار البوس وجودة البرّة^(٣) علامة العزة . من نكد الدنيا طول حياة الحيات وقصر آجال الرجال . الرحيق على الرقيق حريق وبعد الطعام برد وسلام . لا يستبدع العبوس من المحبوس . لو كان الهدهد طبيبا لصير بيته طيبا . من يعدم خيرك يخدم غيرك . الطبع على الرخيص حريص وللغالي قال . فلان لا يمسكني فأقر ولا يتركني فأفر . فلان يخلف عِداتي ويشمت عِداتي . ما شئت من لفظ بار ورزق غير دار . لا أشتغل بوصف الشوق فقد كبر عمرو عن الطوق ولا بشرح المودة من الجانبين فقد بين الصبح لذي عينين .

فصل : لحي الله زماننا من زمان سقط فيه سحر الشعر وظهرت كآبة الكتابة وانخفض علم العلم ونصب^(٤) نهى النهي وعزّ وجود الجود وانسدّ باب الألباب وانطوى بساط الانبساط وارتفع قدر القدر وانقطعت فائدة المائدة وخابت وسائل

(١) الوصّب : الألم الدائم .

(٢) النّصب : التعب الارهاق .

(٣) البرّة : الثوب .

(٤) نصب : من النّصب أي التعب .

السَّائِلُ وقامت سوق الفسوق .

ومن بدايع شعره ولطائفه قوله في غلامٍ صوفيٍّ لم يُسبق إليه :

وشادنٍ يدّعي التّصوّف قد أورثتِ الحور حيرة صفته
أصفى له مهجتي تصوّفه ورقعت توبتي مرقعته
قوله في غلامٍ خياطٍ :

قولا لخياطنا خفيّاً يا أوحدَ العصر في الجمال
قد مزقَ الهجر ثوب صبري فجَدَّ بخيطٍ من الوصال^(١)
وقوله في غلامٍ مزينٍ :

مزينَ زانه حسن واحسان فما يشاكله في الشّكل انسان
حمّامه كجحيمٍ من حرارته لكن متى تأتّه يخدمك رضوان

ومن افراد معانيه قوله في التّلفيق بين النّبل والقوس :

وبدرٍ أغير قوامَ النّبال تقوّستُ من هجره كالهِلالِ
ولما تراءى غداة الودا ع كالنّعمة اقتربتُ من زوالِ
أطلتُ الحنين وزدتُ الأنين وأصبحتُ من سوءِ حالي بحالِ
كذاك القسيّ تُطيلُ الأنين اذا كلّفوها فراقَ النّبالِ
وقال في مختطّ قارب الالتحاء :

يا بدرُ انك قد بلغُ ستَ من الجمال مدى كمالك
اخشى عليك دُجى الكسو فِ وقد بدت آثار ذلك
عهدي بخالك وهو عي من الدّهر يشغل عن جمالك

(١) الوصال : التلاقي .

ت بكم خطك وجه خالك

فبأي عذر قد ستر

وقوله في مختط خطاط :

في الحسن خط يمينه المستملحا
فلنفسه لا شك يكتب أملحا

قد قلت لما فاق خط عذاره^(١)
من يكتب الخط المليح لغيره

وقوله في صبية مليحة توفى أبوها فأفرطت في الجزع :

وفاة أبيها فهي تبكي وتجزع
أليس يتيم الدر أبهى وأبدع

ودرة حسن أنفدت حسن صبرها
فقلت اصبري فاليتم زادك قيمة

وقوله في قينة بيدها كاس :

وقد حملت ذهبي العقار^(٢)
بأحسن أم ذهبي السوار

ظلمت أفكر طول النهار
أفي يدها ذهبي العقار

وقوله :

وترك الشرب قبل الشيب لوم
فمورث ماله عندي ملوم
لكيلا يشغل القلب الهموم
لأن البقل قبل الخبز شوم
بأن العمر شيء لا يدوم

سأعمر بالشراب شباب عمري
وأبذل فضل مالي قبل موتي
وأهزم بالعقار جنود عقلي
ولا أختار قبل الشيب زهداً
ولا أرجو دوام العمر علماً

وقوله في ذم الشراب :

أخاف يوم التفاف الساق بالساق
فميز الشر عنه واسقني الباقي

لا تسقنيه فأنّي أيها الساق
هذا الشراب يهيج الشر نشوته

(١) عذاره : العذار منبت الشعر في وجه الانسان .

(٢) العقار : الخمر .

يعني اسقني الماء القراح بالفارسيّة ، وقوله في غلام أصهب الشارب :

بدتُ صهبةً في مسك شارب مالكي فأطرق عشاق وعابته أعداءُ
وشاربه لا غرو أن كان أصهباً^(١) فمرتعه وردٌ وسقياه صهباءُ^(٢)

وقوله :

حشوت قلوبنا بقلبي^(٣) ومقتِ
فإنّ تك قد جلست اليوم فوقِي
لفرط رعونةٍ في كلّ وقتٍ
فربّت ليلةٍ قد نمّت تحتي

وقوله :

لنا صاحبٌ للزّاد آكل من رحيّ
إذا نحن ضفّناه تغير وجهه
ولكنّه للراح أشرب من قمع
ومهما أضفّناه تلاًّلاً كالشمع

وقوله :

دعاني أحمدٌ قبل الشّروقِ
ولمّا جعتُ عشّاني لديه
وأمسكني الى وقت الطّروقِ^(٤)
بقرص الشّمس مع بيض الأنوق^(٥)

١٣٦ - ابو جعفر أحمد بن الحسن بن الأمير الباخري الخطيب

قاضي الطّرف ، يقول في زعيم ناحيته أبي سعيد خدّاش بن أحمد :

ولي ابدأُ أمران يكتنفاني هما عدّتا ديني ودنياي سرمداً^(٦)

(١) الأصهب : من كان في شعره حمرة أو شقرة .

(٢) الصهباء : الخمر .

(٣) القل والمقت : البغض والكراهة .

(٤) الطروق : الليل .

(٥) بيض الأنوق : بيض العقاب .

(٦) سرمداً : ابدياً .

شهادتي التوحيد لله خالصاً وحبي في الدنيا خداس بن أحمد
ويقول :

اهيمُ بذكر التيرشاذ صبابةً وما بي إلا حبّ من حلّ واديهما
وأنّ نسيماً من رياح جبالها أحبّ من الدنيا اليّ وما فيها
ويقول :

بحقّ النبي وحقّ الوصيّ وحقّ المشاعر والقبلة
أنلني مراديّ يا منيتي وما أن أروم سوى قبلة

سائر أهل بلاد خراسان

١٣٧ - أبو نصر أحمد بن عليّ بن حفص العمريّ أيّده الله

فرد طوس وغرتها وحسنة النوقان ونكتتها وله أدبٌ غزيرٌ يجمع الفضل أطرافه
ومجدٌ قويّ تحرّس المروّة أكنافه وأنا كاتب من شهره ما هو أدنى فضائله كقوله في
الغزل :

مشوّش الصّدغ ساحر الحدق معشّق الخلق فاتن الخلق
كأنّ صدغيّه فوق عارضه من غسقٍ رفرفٍ على فلقٍ
وقوله في فتىّ جاءه بالآلات البخور ليبخره :

ومورّد	الخدّين	با	درّ	نحو	عاشقه	بمجمر
بالنّفخ	صير	عوده	ما	بين	مجمرة	معبر
وبماء	ورد	خلته	من	ورد	عارضه	المنور
حيّته	ولعاً	وقد	ت	له	مقالاً	ليس يُنكر
نفحات	ندك	دون	مس	لك	فوق	عارضك
والورد	في	خدّيك	نا	ب	عن	ابنة الصّافي
						الممطر

فاحمرَّ وجنته وأظ
وبدت لالٍ منه في
هر حسنه ما كان مضمراً
صدفٍ من الياقوتِ أحمر

وقوله :

تحت القلنسوة السّوداء لي قمرٌ
في سرجه غصنٌ بانٍ منه بانٍ لنا
تحرار في حسنه الألحاظ والفكر
من العقيق كيمام^(١) نوره^(٢) دُررٌ
فوق الكتيب^(٣) ومن أعلاه لي قمرٌ

وقوله :

وبنفسجي الثوب حياً مدنفاً^(٤)
غصنٌ بدا لي في قباء بنفسجٍ
بينفسجي بستانه وعذاره
منه وبدراً لاح من أزراره

ولو حضرني شعر أخويّه أبي عمر حفص وأبي عبد الله محمد ابني عليّ بن حفص
أيدهما الله لكتبته فهماهما في الفضل والأدب الغضّ والكرم المحض وإذا حصّلت
أحقته ولم أشن كتابي بالخلو منه ان شاء الله تعالى .

١٣٨ - أبو علي الفضل بن محمد بن الحسين الطبرستي

من أنجب شبّان طوس وأجمعهم للمحاسن والفضائل وأبرعهم في النظم
والنثر على غضاضة عوده واقتبال شبابه وهو خلف من أبيه أبي الحسين رحمه الله اذ
كان غرة شادخة في وجه بلدته جامعاً بين الأدب والشعر والفقه فاحتضر وما مات من
خلف مثله ومثل أخيه أبي القاسم وقد كتبت بعض ما وقع اليّ من شعر أبي علي
كقوله :

(١) كيمام : غطاء الزهر .

(٢) نوره : زهر أبيض .

(٣) الكتيب : التل من الرمل .

(٤) مدنفاً : عاشقاً أشرف على الهلاك .

فَدَيْتُ مَنْ قَدْ جَفَانِي فِي مَوَدَّتِهِ
إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى فِيهِ فَلَمْ أَرِهِ
لَوْ صَبَغَ خَاتَمَهُ لِلْخَصْرِ مَنْطِقَةً
وَقَالَ أَيْضاً :

سَبَى الْقَلْبَ بِدَرْسٍ عَيْنِي طُلُوعُهُ
إِذَا اسْتَلَّ سَيْفُ الْهَجْرِ فَاضَتْ تَوَجُّعاً
وَلَهُ أَيْضاً فِي الْهَجْوِ :

غَيْرَ الْمَقُولِ عَيْبِهِ كَالْوَاوِ مِنْ
كَالْتُونِ مِنْ زَيْلٍ يُقَالُ مَدِيحُهُ
وَلَهُ فِي شِكْوَى الزَّمَانِ :

لَقَدْ ضَقْتُ ذُرْعاً مِنْ عَجَائِبِ ذَا الدَّهْرِ
تَرَى الْحَرَ فِيهِ مُعْسِراً لَيْسَ عِنْدَهُ
وَكُلَّ لَثِيمٍ فِي رِخَاءٍ وَنَعْمَةٍ
عَلَى ذَاكَ أَنَّ الْحَرَ يُلْقَى افْتِخَارُهُ
وَكَمْ مُعْسِرٍ فِيهِ الْفَضَائِلُ جَمَّةٌ^(١)
وَلَهُ فِي نَسِيبِ قَصِيدَةٍ :

أَبَيْتُ مُسْهَداً^(٥) أَبْكِي انْفِرَادِي

لَكُنْتَنِي لِهَوَاهُ لَا أَكَافِيهِ
حَتَّى رَنَوِي^(١) إِلَى فِيهِ نَكِي فِيهِ^(٢)
مِنْهُ لَكَانَ لِلْطَفْرِ الْخَصْرِ كَافِيهِ

صَبَاحاً فَوَا قَلْبَاهُ عِنْدَ غُرُوبِهِ
غُرُوبِ شُؤُونِي^(٣) مِنْ شُؤُونِ غُرُوبِهِ

عَمَرُو يُرَى وَاللَّفْظُ عَنْهُ قَصِيرٌ
بِاللَّفْظِ لَكِنْ لَا يَرَاهُ بِصِيرٌ

يُؤَافِقُ نَذْلاً ثُمَّ يَسْطُو عَلَى حُرٍّ
وَلَوْ بَلَغَ الْمَجْهُودُ غَيْرَ أَذَى الْفَقْرِ
كَذَاكَ أُمُورُ الدَّهْرِ تَجْرِي عَلَى الْقَدْرِ
وَرَفَعَتْهُ فِي الْفَضْلِ لَا الْيَسَرَ وَالْعُسْرَ
وَكَمْ مُوسِرٍ لَا فَضْلَ فِيهِ مَعَ الْيَسْرِ

بِمَنْ هُوَ فِي رُقَادٍ مِنْ سَهَادِي

(١) رَنَوِي : تَطْلُمِي .

(٢) نَكِي : يَنْكِي نَكَايَةً : جَرَحَ وَأَثَرَ .

(٣) غُرُوبِ شُؤُونِي : أَيِ فَاضَتْ دُمُوعُهُ بِغَزَاةٍ ، وَالشُّؤُونُ : هِيَ عُرُوقُ الدَّمْعِ : وَالْغُرُوبُ : الدُّلُوتُ الَّتِي يَمْلَأُ بِهَا الْمَاءُ .

(٤) جَمَّةٌ : كَثِيرَةٌ .

(٥) مُسْهَدٌ : قَلَقًا .

تعاطى الجسم من عينيه سُقْمًا
وصوبني انحاء الصّدغ منه
فعاضت^(١) عينه مني رقادي
فعلّم صدغه قلقاً فؤادي
وفي هذه القصيدة قال للمدوح :

خلّثقه الحميدة حين تُحصى
أبرّ من الأنام وان يفدى
لئن قبلت يد الاعسار حرّاً
فصار المجتدون إليه طراً
وألقوا من يديه ما تمتّوا
يبالغ جاهداً في الجود حتّى
على الأيام تأبى عن نفاذ
له طوعاً اذا ما عن فاد
تجده لما جنت يمناه وادي
من الآفاق طامحة الهوادي
وبشّره نداء بالمعاد
يُنيل نوال كفيه^(٢) الأعادي

١٣٩ - أبو القاسم عمر بن عبد العزيز السرخسي الملقب بالجرزى

من أظرف خلق الله وأحلام مذاق معاشره وأعذبهم مساع منادمة وأجمعهم
بين جدّ كعلوّ الجدّ وهزل كحديقة الورد ومجونٍ ألطف من نسيم الصبّا وشعر كعهد
الصبّا كقوله :

ما قولكم في ماجنٍ
لم يلق في الدّنيا حرّاً
النّيك أكبرُ همّة
مذ كان غير حرامه

وقوله :

هبت رياح معاشرٍ عاشرتهم
فعجبت منه وقلت بعد تلهّفٍ
ووجدت ريحي أولعت بسكون
يا ليت قوماً نكتهم ناكوني

(١) عاضت : أي عوضاً عنه وبدلاً منه .

(٢) نوال كفيه : سببه وعطاؤه .

وقوله :

قالوا التحى قلتُ مهلاً حديثنا ذو شجون
قد كان بدرٌ تمامٌ فعاد كالعرجون^(١)
ولست أعمى ولكن أنيكه لمجوني

وكتب الى صديق له مع عُرَاضة هرويةً أهداها له :

أيّها الفاضل الذي قد كستني غرّ آدابه من العزّ ريطاً^(٢)
في است قاليك ألف زُبٍّ من القب ط وهنيت فستقاً وقُبيطاً

وقال للشّيخ حجّاج بن الشّيخ أبي العباس الاسفرايني وقد خرّ سقّف دهليزه بنسا
فتطيّر من ذلك :

أتاك السّعد مشدود النّطاق يبشّرنا بعزّك فهو باق
وشيدَ عند بابك للمعالي رواقاً رائقاً عالي المراق
وأحكم صنع هيكله فأضحى رواق الطّين قالب ذا الرّواق
فلمّا تمّ واستعلى مشيداً على حسن الثّمام واتّساق
تولّى السّعد نفّض رواق طينٍ كذاك يهدّ قالب كلّ طاق

وكتب الى صديق مع هديّة :

النّمل تعذر في مقدار ما حملتُ والعبدُ يعذر في مقدار ما ملكا
ولو أطاق لأهدء "انفرّقين معاً والشّمس والبدر والعيوق"^(٣) والفلكا

(١) العرجون : عنقود النخل اليابس .

(٢) ريطاً : كل ثوب يشبه الملحفة ، أي غمره بالعز .

(٣) العيوق : نجمٌ أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن .

وكتب الى صديق له دعاه في يوم فطر :

إنَّ شهر الصَّوم ضيفٌ نازلٌ فإذا ما حلَّ فانشط لقراه
وقُمدَ الفيل^(١) يوم الفطر في سرِّم^(٢) من يفطر في بيت سواه

١٤٠ - العَمْرُكي الميهني

أشهر شعره وأجوده قوله :

إذا أردتَ أن تعيش سالماً فكلَّ ما لم يك يعينك فدعْ
وإنَّ طلبتَ الرِّزقَ فاقنعْ بالَّذي اوتيته واقطعْ من النَّاسِ الطَّمَعْ
سل ربَّ مسؤوليك تعطِ الله من سأل السَّائل خاب واتَّضعْ
فانت والنَّاس عبيد واحدٍ من شاء أعطاه ومن شاء منعْ

١٤١ - أبو بكر النَّسَوِي الفقيه

هو محمد بن القاسم وقد ظُرف وملح في قوله لغلام صائغ ولم أسمع فيه
غيره

وشادنٍ صائغٍ هام الفؤاد به وجبه في سواد القلب قد رسخا
يا ليتني كنت منفاخاً على فمه كيما أقبل فاه كلَّ ما نفخا
وله أيضاً فيه :

قد كنت ذا قلبٍ رخيٍّ فارغٍ حتَّى ابتليتُ بحبِّ بدرٍ بازغٍ^(٣)
ولقد رضيت بأن أكون سبيكةً فأصاغُ في حانوتِ ذاك الصائغِ

(١) قمد الفيل : ما كان ضخماً العنق طويلاً .

(٢) سرِّم : طرق المعى المستقيم .

(٣) بازغ : طال .

١٤٢ - أبو منصور قسيم بن ابراهيم القائي
الملقب ببزرجمهر

شاعر مفلق مبدع باللسانين من شعراء السُّلطان الأجلّ أدام الله تعالى ملكه، يقول
في استطالة الشتاء واستبطاء الربيع ما تفرّد بمعناه وأحسن كلّ الاحسان في التشبيه
البديع حيث قال :

لقد حال دون الورد بردٌ مطاولٌ كأنّ سعوداً غيّت في مناحس
وحجّب في الثلج الربيع وحسنه كما اكتن^(١) في بيض فراخ الطّواوس

وله في الهجاء البديع :

بخلتهم فودّ المشركون لو أنّهم قدورهم كيلا تمسّهم النّار

وله أيضاً :

رأيتك تبغي بسوء الصنّيع ثناءً جميلاً مسوقاً اليكا
وتغسل قبل الضيوف اليدين كأنّك تغسل منهم يديكا

١٤٣ - أبو جعفر محمّد بن عبد الله الاسكافي

أديبٌ كاتبٌ شاعرٌ كثير المحاسن سمع قولني في كتاب المبهج كأنّ ورق
الترجس ورقٌ وعينه عينٌ فنظمه بقوله :

ونرجس قدّ له القدّ من زبرجدٍ في قدرٍ شبرين
فالورق الغضّ مصوغٌ له من ورقٍ والعينُ من عين

(١) اكتن : أي اختفى وتستر .

وأنشدني لنفسه في الورد :

قلت للورد هل ترى لك بدءاً
قال احكي الحبيب لوناً وليناً
وأنشدني لنفسه في معنى تفرد به :

الله أشهد والملائك انني
نفسي وقاؤك لا لقدري بل أرى
وفي هذا المعنى بعينه :

نفسي فداؤك وهي غير عزيزة
ولقد بقي الخرز^(١) الثمين أذاته
وله في الشيب :

فرشتُ لشيبي أجلّ البساطِ
فقلتُ لنفسي لا تنكريه
وأنشدني لنفسه :

عسى المهمّ المخوف يكفي
فلطف صنع الآله عندي
لطيفةً من لطائف الله
وظيفةً من وظائف الله

١٤٤ - القاضي أبو أحمد منصور بن محمد الأزدي الهروي

قد ضمنت كتاب اليتيمة ذكره^(٢) إلا أنني لم اعطه حقّه ولم اقدر قدره لعلّتين

(١) الصدّ : نفوراً وامتناعاً .

(٢) الخرز : الحرير النفيس .

(٣) اليتيمة ج ٤ ص ٢٤٣ .

إحداهما أنّي في ذلك الوقت لم يكن وقعت بيني وبينه معرفة ولا اتّفقت لي بعظم محله وعلوّ فضله احاطةً والأخرى أنّ محاسن نظمته وبدائع نثره قلّت لديّ إذ ذاك بل عزّت واعوزت ثمّ طلع عليّ من بعد وتقدر لي التّقاء به بعد فراغي من كتاب اليتيمة فأحدثت مناسبة الأدب وذمة المعرفة وحرمة الغربة بيننا حالاً هي القرابة أو أخصّ وامتزاج النفوس أو أمسّ وشملني من جلائل مننه ودقائق كرمه ما أثقل ظهري واستنفد شكري وجمعت يدي من غرر كلامه ودرر نظامه على ما يميّز له اللّيل المظلم ويتّصف به الدّهر الظّالم وقد أودعت الآن كتابي هذا لمعاً من نثره ونظمه تتلافى الفائت وتجبّر الكسر ان شاء الله تعالى وبه الحول والقوّة .

فقرّ ولطائف ونكت من مشور كلامه :

فصل : كتبت ويدي واحية وعيني ماحية فسل بي الأرق وأنا لا أحمل الورق ولا افلّ القلم فأصقّ الألم .

فصل : بي أيّد الله الشّيخ رمّد وفي الهواء ومدّ لقاء الشّيخ فرّج ولكن ليس على الأعمى حرج لا سيّما والمجلس وطّي والمركب بطّي ووهج الصّيف يشير الرّهج^(١) ويذيب المهج .

فصل : عبده الذي يحبّ الحياة لخدمته وينشر محاسن دولته بلسان فيضه المدح والثناء وقلب حشوه الودّ والدّعاء .

وكتب الى صديق له حيّاً بياكورة وردّ فردة :

وصلت أيّد الله الشّيخ الوردة الفردة لا زال ذكره كريّهاها عرفاً^(٢) ودهره كفضلها ظرفاً وحال أوليائه كأصلها خُضرة ووجوه أعدائه كلونها صُفرة فسرت الكرب وسرّت القلب وأدّت الأدب واهدت الطّرب ودعت الى الرّسم المألوف وأمرت بالمنكر

(١) الرّهج : السحاب الرقيق .

(٢) كريّهاها عرفاً : كرائحتها الفواحة الذكيّة .

المعروف وافتنا والليل قد حُطَّ رواقه وحلَّ نطاقه والصَّبح قد بسط رداءه ورفع لواءه
والجوَّ قد أخذ زِيَّه الأحسن ونشر مُطرفه الأدكن^(١) والنَّدى طلَّ والنَّسيم مبتلَّ
والمزن^(٢) منسجمٌ وثغر الصَّبح مبتسم ونحن نبوح بما في الصَّدور ونطير بأجنحة
السَّروور فوضعت الوردة على الرُّؤوس وأديرَت مع الكؤوس ونطقت الأوتار فمع كلِّ
نقرة نبْرة ومع كلِّ نبْرة نَعرة ومع كلِّ ضربة طربة ومع كلِّ طربة شربة ولكلِّ ذي فطنة فتنة
ولكلِّ ذي توبة أوبة^(٣) ومع كلِّ ذكْرة فترة وعند كلِّ لَفْتَةٍ حسرة ومع كلِّ دورة سكرة .

وله من كتاب صدر من بغداد : كتابي أطال الله تعالى بقاء الشَّيخ وقد محى
الشَّوق اصطباري وحلَّ الشَّيب يلعب في عذارى .

وما ان شبتُ من كبرٍ ولكنَّ لقيت من الحوادث ما أشابا
والهموم إذا لقيت الصَّخر أذابته فقيم أتعجَّب ومنها ان لقيت الشَّعر فأشابهته
ووصل كتابه فأعاد الرُّوض الممطور والوشي المنشور ووجدتُ كلامه يستفيد تحت
مرَّ الأيام ما يستفيد الرُّوض تحت صوب الغمام فيزداد قوَّة أصول وبهجة فصول .

مثل الهلال بدا فلم يبرح به صوغ اللَّيالي فيه حتَّى أقمرا

فهو بحمد الله كما يلتقي الوشيان وشي الرُّبى ووشي البرود ويجتمع الوردان
ورد الجنى وورد الخدود غير أنَّ رقة الشكوى تركته دمعاً ينسكب وجَمراً يلهب
وعلمت أنه صدر عن صدرٍ وافٍ وودٌ صافٍ فإنَّ اللِّسان يؤدِّي عن القلب ما يُخفيه
وإنَّما يرشح كلَّ أناء بما فيه وبحسن الكلام تعرف صدق الوداد وفي خُصرة الرُّوض
تحسن آثار العهاد .

وممَّا قالتِ الحكماء قِدماً لسان المرء من خَدَم الفؤاد

(١) الادكن : الأسود الدامس .

(٢) المزن : الغيم المطر .

(٣) أوبة : عودة .

وما أنا معه الا الطرف والرقاد والصدر والفؤاد، ذكر مدينة السلم وحضرة الاسلام ولو نطق عن اختبار لأجرى القول الى الاختصار وما أبعد الطعموم من الألوان وما أبين البون^(١) بين السماع والعيان فإن طرة رأفتك فاخبر فربما أمر مذاق العود والعود أخضر بلى ما شئت من أشواق وأندية وأطواق وأردية ثم قف العطايا ولا تبد الخفايا فإن جاوزت كسوتهم اليهم فليس وراء عبّادان قرية وأنا في اجتواء بغداد للاجماع خارق وللجماعة مفارق ولكنه اجماع ما انعقد على تحصيل ولا استند الى أصل أصيل وها أنا اقيس هراة اليها بل افضلها عليها.

فوالله ما أدري أزيدت ملاحه على الأرض أم رأي المحب فلا أدري نسخة كتاب له الى شمس الكفاة رحمه الله تعالى عند عود الوزارة اليه ولم يقصد الشعر :

والشمس في راد الضحى	والبدر في جنح الدجى
والماء في حرّ الصدى	والغيث جاد على الثرى
والمزن يضحك في الربى	والورد جمشه الندى
والصبح يقدمه الصبا	والعيش في زمن الصبا
والقرب صبّ على النوى ^(٢)	والقلب رقّ مع الهوى
والطرف غازله الكرى ^(٣)	والصفو باعده القذى ^(٤)
والحلى في ثغر الدمى	ومنازل لك بالحمى
وعهود سعدى باللوى	والدهر يسعد بالمنى
والبرء ^(٥) في عقب الضنا	والفقر يطويه الغنا

(١) البون : البعد ، المسافة الفاصلة .

(٢) النوى : الفراغ .

(٣) الكرى : النعاس .

(٤) القذى : ما يسقط من مسخ من مدمع العين .

(٥) البرء : الشفاء .

والبِشْرُ يتبعه الندى والنشْرُ^(١) من بعد البلى
والودّ في أثر القلى والمحلّ يطرده الحيا
والعتب يمحوه الرضى والكفّ تسمع باللّهى
ومذاكرات ذوي النهى والرأى يعضده الحجى^(٢)

والجدّ ساعد فاعتلى

بها وبما لها من الأمثال سارت سوائر الأمثال فيما يونق النفوس والطباع ويونس
الأبصار والأسماع وأحسن من هذا كله أيام الشيخ الجليل وقد أتاه اسم ما لم يزل
معناه :

فيا حسنَ الزّمانِ وقد تجلّى بهذا الفخر والاقبال صدرة
وكان الدهر يعذر قبل هذا فحلّ وفاؤه وانحلّ غدره
تصدّر للوزارة مستحقّ تساوى قدرها شرفاً وقدره
فقلّ في النّصل وافقه نصابُ وقل في الأفق أشرق بدره

فالحمد لله الذي زان الشجر بالثمر وحلّى البرج بالقمر وأنس العرين بالأسد
وأهدى الرّوح الى الجسد لم أنس أدام الله علوّ مولانا رسم التّصدير وما يجب من
مراعاته على الصغير والكبير ولكنّ التّهنئة المرسومة تتهاداها الأكفاء وتتعاظها
النّظراء فأمّا الخدم مع الصّدور والنّجم التّاليات مع الأهلّة والبدور فالعادة فيها
الوفادة ثم ان تعذّرت الارادة ولم تساعد السّعادة فالدّعاء موصولاً منشوراً والثناء
منظوماً منشوراً وعلى هذه الجملة عملتُ والى هذا الجانب عدلتُ فأصدرت كلمة
نتجها الودّ الصّريح ونسجها الولاء الصّحيح .

فجاءت تُودّي وجوه الرّيا ض أضحكها العارض الهامع^(٣)

(١) النشر : البعث من جديد .

(٢) الحجى : العقل .

(٣) العارض الهامع : السحاب الممطر .

وليس لها غير عين الرضى لديك ذمام ولا شافع

وهذه ملح وظرف من شعره : كتب الى بعض ندمائه قصيدة منها :

ولكن بني من السكر ارتعاشُ	كتبت ولي بذكراك انتعاشُ
وللسّاقى احتثاث وانكماشُ	ولللشّادي نشاط وانبساطُ
وأنت الماء اذ نحن العطاشُ	وما يُروى العطاش بغير ماءٍ
وإنّ تبطىء فحيني والفراشُ	فإنّ تسرع فوجهي والندامى

وقال في فتى قامره :

يهدي الفتور الى البشر	رشأ فتور جفونه
ينبث في ورد الخفر ^(١)	ورد الجمال بخده
من مساهلاً حتّى قمر	قامرته بالكعبين
لما رأى وجه الظفر	فازداد حسناً وجهه
قمر القمر قمر القمر	فُعُرت ^(٢) نعة عاشق

وله :

طرفي كاد الضمير يلتهب	افدى الذي كلّما تأمله
ولحظه للقلوب متتهب	يتتهب اللحظ ورد وجنته

وله في التّرجس :

غصناً يجدّ به النسيم ويلعب	ومهفهفٍ لما تشنى خلته
وحسبتني من وجنته أشرب	أومى إليّ بكاسه فشربتها
فحسبت بدراناً في يديه كوكب	ودنا اليّ بطاقةً من نرجس

(١) الخفر : الحياء .

(٢) النُّعة : الكبر والخيلاء .

وله أيضاً في الورد الأصفر :

أنسيت إذ نبّهت من نبّهته
يسعى اليك مع المدام بوردة
كعب من الميناء ركب فوقه
وله فيه أيضاً :

أدر المدامة^(٢) يا غلام فائنا
والورد أصغره يلوح كأنه
وله في الشرب على الثلج :

قم لا عدمتك فاسقني من قهوة
وانثر على الذهب اللّجين^(٤) أما ترى
وله في البنفسج :

طلع البنفسج زائراً أهلاً به
فكأنما النقاش قطع لي به
وله في ترجمة فارسية :

رأيت غذاء الطفل درة أمه
فراجع من الجام الفراش عشية
وله في مطرب مختط :

وشادنٍ تفعل الحاظه
لم أنسه يكسر أعطافه

والفجر من خلل الدجى يتنفّس
صفراء يحكيها لمن يتفرّس
جام^(١) من الذهب السّبيك مسدّس

في مجلسٍ بيد الربيع منجدٍ
أقدام تبرّ كعبت بزبرجد^(٣)

لو أبرزت للشمس أخفت نورها
نثر السّماء على الثرى كافورها

من وافد سرّ القلوب وزائرٍ
من أزرق الديباج صورة طائرٍ

وانّ غذاء الشّيخ صرفٌ من الخمر
وفارق من الجام الفراش مع الفجر

بالقلب ما لا يفعل السّحرقط
والورد من وجنته يلتقط

(١) جام : إناء يتخذ للطعام والشراب .

(٢) المدامة : الخمرة .

(٣) التبر والزبرجد : التبر الذهب الخالص .

(٤) اللجين : الفضة .

يا ليتني بربطه المرتبط
كما التقى للعين خدّ وخطّ

مرتبط البربط^(١) في حجره
معتدلاً ضرباً وصوتاً معاً

وله :

اقصِرْ بذرعك يا فتى
في اثر صيدٍ أفلتنا
هك دائماً لك مشبثا
ت وما علمت وقد أتى

حتّى متى والى متى
فكأنتي بك ناظراً
لا تحسبنّ جمال وجـ
فالخطّ يفعل ما عمل

وكتب ببغداد الى صديق له يدعوّه في أيام الورد وبلغه أنّه متشاغل بالترّد :

م كما ترضاه أبلغ
رطب الطلّ سجسج^(٢)
وورد وبفسج
نة كالروض مدبج
وشواء وملهوج
ر في الكاس تأجج
ظ ساجى الطّرف أدعج^(٣)
وإذا شاء تغنّج
د وجئنا نتفرّج

نحن بالتجمي في يو
ناضر الثّبت رقيق الجوّ
بين مشور وخيري
ولنا وجه من الجو
ومع اللّفات وسط
ولنا راح كمثل النّا
ومغنّ ساحر الألحا
فإذا شاء تغنى
فاختر الورد على النّـ

وله في أمرّد التحى :

بدكتنا بالورد شوك العوسج

يا من أناف^(٤) بلحية تيسية

(١) البربط : آلة موسيقية تعرف بالعود والحجر : الأحضان .

(٢) سجسج : معتدل ، لا حرقه ولا برد .

(٣) أدعج : من كانت عينه شديدة السواد .

(٤) أناف : أشرف وطلع وارتفع .

قد كنت تونسنا بطلعة كوكب
وله :

فرجعت توحشنا بطلعة كوسج

الله جار عصابة رحلوا
ما الشان ويحك انهم رحلوا
وله :

ساروا وقلب الصب عندهم
الشان اني عشت بعدهم

سكوني كلام والكلام سكوت
وليس لروحي غير قربك راحة
وصبري قليل والهموم كثيرة
ومن لي بحسن الصبر عنك وانما
وله ايضا :

ولي طمع احيا به واموت
ولا لفؤادي غير حبك قوت
وانت بخيل والزمان يفوت
وصالك لي ماء وقلبي حوت

من وجهه كالقمر الفرد
يسعى على الورد بورديّة
فاغد علينا تر ما شئت من
وله من قصيدة :

أقبل في قرطقة الورد
يكسد سوق العنبر الورد
ورد على ورد على ورد

شمائل مشرقة عذبة
فهن العتاب وهن الدموع
وكتب الى مؤلف الكتاب :

تعادل رقتها والصفاء
وهن المدام وهن الهواء

جعلت لك الفداء لو ان كتبي
اذا لجعلت أقلامي عظامي

بحسب تكثري بك واعتدادي
وطرسي^(١) مقلتي ودمي مداي^(٢)

١٤٥ - أبو القاسم طاهر بن أحمد الهروي

صاحب البريد كان بنيسابور رحمه الله تعالى غزير الأدب حسن الترسّل مليح

(١) طرسي : كتابي .

(٢) المداي : الخبر .

الشعر منفرد عن أقرانه بالفضل أنشدني لنفسه :
أعيذ علاه ان يكون ابتداءه زيادة عليه بنقص صديقه
وأنشدني أيضاً لنفسه :

إذا انتهز الأحرار للجود فرصة فللمنع والتعويق ينتهز الفرص
وان ذكرت ببيض الأيادي فأنما يد لك لا تبيض إلا من البرص^(١)
وأنشدني له بعض بلديه وأنا أشك فيه :

ضمان على الاقبال ما أنت طالب وحتم على الأيام أنك غالب
وما هذه الدنيا لغيرك فانتظر مواعد ما تومي اليه العواقب
رواقك ممدود وجدك صاعد وجندك منصور ونجمك ثاقب

وهذه فصوص من فصول رسائله :

من شكر البحر على التدفق والشمس على التألق والمسك على التارج^(٢) والصبح
على التبليج^(٣) فقد عاد بتكلف غير مريح وسعي غير منجح .

فصل : قصر كتاب الشيخ قصوراً ترك الهم طويلاً والصبر قصيراً وأورث القلب تفكراً
والعيش تكديراً .

فصل : وصل كتابه فحكي الرياض مجودة والأمانى موجودة والمسرات آتية والنعم
مواتية .

فصل : توقعت اتجاباً فلم أر إلا حجاباً وتوسلت بالحقوق السالفة فلم أحصل إلا
على المعاذير العائرة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

(١) البرص : مرض يصيب الجلد .

(٢) التارج : التزيين بالعمود .

(٣) التبليج : الاشراف .

١٤٦ - أبو مسعود عُصَم بن يحيى الهَرَوِي

من حسنات هراة وأفراد ادبائها وفضلائها ، أنشدني لنفسه :

يهتشي الأنامُ بخصبِ روضٍ حللت بجانبه خَضَلَ^(١) مطير
وما خصب الرِّياضُ بنافعٍ لي إذا ما كنت في طَوْلٍ^(٢) قصير

وله على لسان صديق قدح النَّار بحضرته فلم يُورِ :

إنَّ كان زندي كبا في مهنةٍ عرضت وصادفتُ غيبةَ الخدَّامِ عن داري
فانَّ سيفي لا تكبو مضاربه يوم الجِلاَد وزندي في العلى وارٍ^(٣)

وله في العيادة :

مولاي انَّ فؤادي جمرةٌ تقدُّ والدَّمعُ منِّي على الخدين مطرُ
انِّي لأكره أن ألقاك مشتكياً فلا أقاسمك الشَّكوى التي تجدُّ

١٤٧ - المعروف [بن] أبي الفضل الدَّبَّاع الهَرَوِي

أنشدني له أبو علي الحسين بن محمد الكاتب النسفي المقيم كان بهراة في

هجاءٍ بوشنج وأهلها :

إذا سقى الله أهل منزلةٍ فلا سقى الله أرض بوشنج
كأنَّها في اشتباكٍ بقعتها خرَّبها الله نطع شطرنج
قد ملئتُ فاجراً وفاجرةً أكرم منهم خؤولة الزنج
كأنما صوئتهم إذا نطقوا صوتُ قملٍ^(٤) يُدسُّ في فرجٍ^(٥)

(١) الخضل : النديّ المبتل .

(٢) طول : الحبل الذي تربط به الدابة حتى لا تقرب الزرع وتفتك به

(٣) وارٍ : من أورى النار ، أي أشعلها .

(٤) قمد : ما كان طويل العنق ، أي ذكر الانسان ،

(٥) الفرج : حرّ المرأة .

١٤٨ - الأستاذ ابو زكريا يحيى بن عماد السجزي

المقيم كان بهراة رحمه الله تعالى هو أشهر وذكره أسير من أن ينبه على محله
وكان أمة في علم التذكير والقصص ومتفرداً عن أهل طبقة بفضل الأدب وبلغني أنه
كان في ابتداء أمره يتكسب بالشعر حتى رفع الله عنه قدره وأعلى أمره .

ورفعت اليه قصة فيها :

أيها العالم انت ال	يوم	للعالم	قيلة
عاشق خاطر حتى	سلب	المعشوق	قيلة
أفتينا لا زلت تفتي	أبيح	السلب	قتله

فوقع تحتها :

أيها السائل عما	قد يبيح	الظرف	فعلة
قيلة العاشق للمع	شوق	لا توجب	قتله

وقال للشیخ الامام أبي الطیب سهل بن محمد بن سليمان رضي الله عنه :

سقى الله نيسابور صوب غمامه	وخص امام الدين سهلاً بوابله
تتيه على البلدان أرض ثوى بها	كما تاهت الدنيا بطيب شمائله

ومن أشهر شعره وأسيره قوله :

أرى الدنيا على الادبار همأ	وبالاقبال مهلكة لديني
فما احد بأغبطاً من تقي	نمدد في الضريح ^(١) على يقين
نجا من باطل الدنيا سليماً	وفاز برحمة الحق المبين

(١) أغبط : أسر وأفرح .

(٢) الضريح : القبر .

١٤٩ - ابو علي البوشنجي الفلجَردي

يقول لما حجّ :

كُتبت الى سادتي من مِنى^(١) وَاَتِي لفي غايةٍ من مِنى
أبطحاء مكة هذي التي أراها عياناً وهذا أنا

وهو القائل :

وكان ببوشنجٍ والٍ مهيب اذا ما رآه البري اقشعر
فمرَّ وأمر من بعده فتى لو رآه الخصي انتشر

١٥٠ - احمد بن محمد بن الأشعث البوشنجي

عربيّ المحتد بوشنجيّ المولد طوسيّ الموطن دخل اليّ فأنشدته بيتاً
جمع كنية الممدوح واسمه واسم أبيه فكتب الي صديقه ابي يوسف يعقوب بن احمد
وهو احد من يتضمّن الكتاب ذكره وشعره :

فلئن غيّتُ عن منزل أهلي وغدا جسمي عن الأوطانُ مبعّدُ
فلقد بلّت^(٢) يميني بكريمٍ من أبي يوسف يعقوب بن احمد

١٥١ - ابو عبد الله الحسين بن عليّ البغوي^(٣)

كان مفخرة كنج رستاق ولم تخرّج مثله في الجمع بين الاحسان في الترسّل
والاتيان في الشعر بالدرّ المفصل وكان كما قال الصّاحب اتيّ ليعجبني أن يكون
الكاتب شاعراً كما يعجبني أن يكون الشعر سائراً . وأنا كاتبٌ غرراً من نثره تقدّم

(١) منى : مكان في مكة تقام فيه شعائر الحج .

(٢) بلّت : ظفرت .

(٣) بالأصل أبو عبد الله الحسين علي بن بغوي .

ملحاً من شعره بأذن الله ومشيتته :

فصل : وصل كتاب الشيخ ووضعته على عيني فكان لها بروداً ونشرته فكأني
أنشر بروداً وتذكرت زماننا اذ الأيامُ غُرُّ والدَّهرُ غِرُّ والعيشُ غَضُّ وطرفُ الحدثانِ
مغضوضٌ .

فصل : أنا اهدي اليه من السَّلام ما يحكي النَّسيم السَّحري والعنبر السَّحري
والترجس الطَّري والأترج الطَّبري والورد الجني والعيش الهني .

فصل : ليته جاد علي بكلامه كما جاد بانعامه ومن علي بشار أعلامه كما من
بآثار غمامه وأوسعني من غرائب بنانه كما أوسعني من رغائب احسانه فيكون أوصافه
في الجوى متناسبة متناسقة وبوارقه في جميع حالاته صادقة وادقة .

فصل : وصل كتابه بألفاظ يكثف عندها الهواء ويقف عليها الأهواء وتقبح
معها الحسناء .

فصل : نظرت الى دجلة فرأيت كفه والى الفرات فذكرتُ خلقه وتوسَّطت
الدهناء^(١) فتصورت صدره .

فصل : قد صار الوقت أضيق من بياض الميم ومن صدر اللثيم .

وهذه ملح من شعره كقوله :

إنْ كان يظلمني دهري فإنَّ له
أو كنت في سمل^(٢) فالبدر في سدف^(٣)
سجيةً ظلم أهل الفضل والشرفِ
والخمر في خزفٍ والدَّرَّ في صدفِ

(١) الدهناء : الصحراء .

(٢) السمل : أي الأسبال وهي الثياب البالية .

(٣) السدف : الظلام .

وقوله في عقاب طريق غزنة من قصيدة :

عُقَابٌ تَطِيرُنِي فِي الْفَلَكَ
وَطَوْرًا أَرَانِي تَحْتَ السَّمَكَ

عُقَابٌ كَأَنِّي بِهَا فِي خَوَافِي^(١) الـ
فَطَوْرًا أَرَانِي فَوْقَ السَّمَكَ^(٢)

وقوله من اخرى :

مِمَّا بَقْلِبِي مِنْ غَمٍّ وَمِنْ غُـمٍّ
وَرَعْدَهَا أَتْنِي وَالْقَطَرُ فَيُضِ دَمِي
أَعْجَبَ بِمَحَلِّ يُرَى مِنْ صَيِّبِ الدَّيَمِ^(٣)

غُمَائِمٌ مِنْ جَفُونِي وَهِيَ مُنْشَأَةٌ
وَبَرْقُهَا نَارُ شَوْقٍ رِيحُهَا نَفْسِي
وَأَرْضُهَا صَحْنُ خَلْدِي وَهِيَ مَمْحَلَةٌ

وقوله في ذم الزمان وأهله :

وَنَاسٌ كُلُّهُمْ ذَيْمٌ وَذَامٌ^(٤)
شَحَاحُ الزَّيْدِ مَا فِيهِ ضِرَامٌ
وَأَمْوَالٌ لِرَاجِيهَا حَرَامٌ

زَمَانٌ كُلُّهُ ضَيْمٌ وَضَيْرٌ
وَمَا فِيهِمْ سِوَى لَحْزٍ^(٥) لَثِيمٍ
وَأَعْرَاضٌ لِهَاجِيهَا حَلَالٌ

وقوله في الشيب والخضاب :

فَقُلْتُ بَلَى سَتَرْتُ عَنْ الْعَيُونِ
فَهَلْ تَخْفِيهِ عَنْ عَيْنِ الْمُنُونِ

تَقُولُ لَقَدْ خَضَبْتَ الشَّيْبَ زَوْرًا
فَقَالَتْ هَبْكَ قَدْ أَخْفَيْتَ عَنَّا

وقوله من قصيدة :

بِجُودٍ لَهُ فَيُضُّ كَفِيضُ سَحَابٍ
غَدَوْتُ بِحَالٍ فِي ذَرَاكِ خَرَابٍ

أَيَا عَامَرَ الدُّنْيَا وَعَامَرَ أَهْلِهَا
عَمَرْتُ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ وَهَا أَنَا

(١) الخوافي : من الريش ما تأتي بعد القوادم التي مقدمة الجناح .

(٢) السماك : كل ما هو عال .

(٣) الدَّيَم : مطر يتساقط في سكون .

(٤) ذَيْمٌ وَذَام : يذمّون بعضهم بعضا .

(٥) اللَّحْز : البخيل .

ومن اخرى :

طلبتُ بجهدي العزّ والمجد منضياً^(١) وما كنت في كسب المعالي مقصراً
فليس بياض المجد إلا لمكتسب
وكم ليلة راعيت فيها فراقدا
ظهور المطايا في بطون الفدافد^(٢)
ولا مقصراً لو كان دهمري مساعد
سواد اللبالي ساهداً^(٣) غير راقدا
لكسب على فوق السهى والفراقدا^(٤)

١٥٢ - ابو سعد احمد بن محمد بن جمل العميدي

يقول في استهداء الخنطة :

يا سيداً لم تزل مبرته
أنعم ببرٍ بضم أوله
تعم أهل العلوم والكتب
وابعث الى الخادم الذي كبت

وفي التماس الحطب :

ألا يا أيها الشيخ المقدى
قد احتجنا لفرط البرد جداً
وقيت أذى المكاره والرزية
الى مقلوب ما يدعى مزية^(٥)

وله في الهزل والمداعبة :

ألا ان هذي المباغي قسم
فبعض يحب أداة الدواة
وللناس في الشهوات الهم
وبعض يحب أداة القلم

(١) منضياً : منضياً .

(٢) الفدافد : الصحاري .

(٣) ساهدا : ساهراً مفكراً .

(٤) السهى والفراقدا : من النجوم والكواكب .

(٥) مزيه : مقلوبها هو « هيزم » أي الحطب بالفارسية .

وله في الجدّ :

يا هارباً من جنود الموت منهزماً عنها توقّف الى أين المفرُّ لكا
هَبْ عشتَ أكثر من نوحٍ فحين نجا بقدرة الله من طوفانه هلكا

١٥٣ - ابو بكر العنبري السّجزي^(١)

هو القائل :

أفدي أبا نصرٍ وأفدي له خلّقاً جميع الناس عشاقه
كم مدحةٍ لي فيه كالدرّ لا يخفى على العالم اشراقه
من كلّ لفظٍ سيء حسّاده به ومعنى سرّ سرّاقه

ولم أسمع في تهنئة من زوج ابنته غير قوله وهو من الأفراد :

أنكحتَ حرّتك الكريم مة عامداً إجلالها
من لم يكن كفواً سوا ه اليوم في الدنيا لها
ما كنت إلا منكحاً شمس السماء هلالها
فضممت محمود الفعا ل الى اليمين شمالها
ستقرّ عينك عن قريب ب اذ ترى أشبالها

وله في الشيب :

أشكو الى الله ظلم شبيبي أشقّ منه عليّ جبيبي
غير منّي جميل وجهي أظهر منّي جميع عبيبي

(١) كذا بالأصل .

ذكر أركان الدولة وأعيان الحضرة
والمتصرفين بها ومنها والمنتسبين الى خدمتها
واختيار غرر من أنوار نظمهم وثمار نثرهم :

١٥٤ - الشيخ العميد ابو سهل احمد بن الحسن الحمدوثي
أدام الله تأييده

سليلُ الرِّياسةِ وغَدَيُ السَّيادةِ وبدُرُ الأرضِ وشمسُ الفضلِ وعمدَةُ الملكِ
وبحرُ الأدبِ وطَوْذُ الكرمِ ومن ارتفع محلُّه عن الوزارةِ الكبرى وهي الرتبةُ العظمى
فرغب عنها وقد رَغِبَتْ فيه وصدَّ عنها وقد تصدَّتْ له ونظَرَ فيها أيَّامَ الفترةِ بمؤخَّرِ عينه
فهذبها وسددها ورمَّها وزمَّها ثم جاد عنها وعافها حتَّى قال فيه الاستاذ ابو القاسم بن
الحريش رحمه الله :

وزارةٌ ضاعتُ فشرَّفَتْها بالفضلِ وإنَّادَتْ^(١) فتَقَفَتْها^(٢)
ولم تزلْ تصبرْ مظلومةً حتَّى تصدَّيتْ وأنصفتها
فارتح لها تُدرِك طمأنينةً فانَّها تفلق^(٣) مذ عفتها

ومن خائص فضله وبدائع مجده أنَّه والي الرِّيِّ وسائر بلاد الجبال وهي في
سعة المملكة كالعراق والملوك يخدمونه والصدور يقبلون أرضه وهو يقول في
الكفَّ عن زخرف الدنيا ونضرتها واعداد الزَّاد للمعاد ما لو قالها أزهَّد الزَّهاد لَمَّا زاد :

الخمر عنوان الفساد ورتاج^(٤) أبواب السِّدَّادِ
ادمانها أصل الضلَّال ل وحبَّها رأس العنادِ
والعمر زورة طائفٍ يأتيك ما بين الرُّقادِ

(١) انَّادَتْ : انحنى وتثنت .

(٢) ثَقَفَتْها : أي هذبها وصلحها .

(٣) تفلق : تشقّ .

(٥) التنادي : القيامة .

(٤) رتاج : حماية ، وأرتج الباب أي أقفله .

قد زلّ من ركب الفسا دِ عن الطّريقة والرّشاد
 فاحذرْ أبا سهلٍ وتُبْ من قبلُ ميعاد المعاد
 والبسْ لباسَ تضرّعٍ وتندمِ قبل التّنادي^(٥)
 واقلب الى نور الهدى قلباً به أثر السّداد
 من قبل عجزك باللسا نِ وقبل ضعفك بالفؤاد
 وكأنتي بك راكباً أجيادهم بدل الجياد
 ترد القيامة فارغاً متخلياً من خير زاد
 كيف الجواب عن السّؤا لِ متى يناديك المنادي
 لا ذخّر لي بين الجميـ ع من الحواضر والبوادي
 الآ شهادةً واثقٍ بالله عن صفو اعتقادي
 ومشفعٍ عند السّؤا لِ بعفو أمّته ينادي

ثم هناك من النفس الأمّارة بالخير واليد الفيّاضة بالنيل والخلق الذي لو مُرّجَ
 بالبحر لنفي ملوحته وصفا كدورته ومن الطّلاقة التي يترقّق فيها ماء الكرم وتقرأ منها
 صحيفة حسن الشّيم ما يجمع الأهواء على محبّته ويؤلف الآراء في موالاته
 ومشايعته . ومن شعره الدّالّ على مجده وحسن عهده قوله :

لا تنتزعْ عن عادٍ عودتها أحداً فذاك من الفطام أشدّ
 واصبر عليها ما حييت ولا تزل عنها فذاك من الجفاء يُعدّ
 ومن شعره البديع الصّنع المليح الصّيغة الذي يُغبّر في وجه أبي الفتح البستي
 قوله في سراجٍ غير مضىء :

ظلّمتك اللّيل يا سراجي ظلّمة كفرٍ ويأسٍ راجي

١٥٥ - الشّيخ العميد ابو منصور بن مُشكان أدام الله عزّه

الكتاب السنة الزّمان وصدور النّاس وهو صدرهم وبدرهم وينبوع الفضائل

وشمس ديوان الرسائل وما ظنك بأبلغ الصدور يكتب لملك الملوك أدام الله سلطانه
وحرس عزه ومكانه وقد رفع الله محله عن الشعر الذي ينخفض عن قدره وآتاه البلاغة
العالية التي هي أليق به وما هي إلا عفوَ خطراته وفي التمثل بسلاسة كلامه
وعذوبة ألفاظه . يقول بعض أهل العصر وهو يصف ماء :

يا حسن ماءٍ قد كسَّته الصَّبَا^(١) تشنيج^(٢) ذيل القرطوق الأزرق
كأنه لفظ ابن مُشكان في توقيعه عن ملك المشرق
ويقول في وصف آثار الربيع من أبيات :

باح الصَّباح بأسرار البساتين وأحييت النَّفس أنفاسَ الرِّياحين
وقد حسبتُ نسيم الروض يقرئني كتب ابن مُشكان عن صدر السلاطين

ويقول أيضاً في فتى صبيحٍ مليح طرَّز الشعر ديباجة وجهه وأحرق فضة خده
ونقش فصَّ عارضه :

وشادن فائن الألفاظ طلعتة ترياق^(٣) سُمِّ لأحزاني وأشجاني
كأنَّ خطَّ عذارٍ شقَّ عارضه في الحسن خطَّ أبي نصر بن مُشكان
ويقول أيضاً :

مَنْ رأى غرةَ العميد ابن مشكا ن ازدرى المشتري ببرج القوس
مَنْ يطالعُ آدابه وعلاه يطلُعُ في نموذج الفردوس
عين ربِّي عليه من بدر صدرٍ ودَّه خزر جي ولُقياه أوسي
ليس لي طاقةٌ بوصفٍ معاليه ه وإن كنت مفلقاً^(٤) كابن أوس

وهذه غرر ولمع من فصول رسائله السلطانية :

فصل : العاقل من لا يرفع رأيه إلا بعد الثقة باستقلالها ولا يقدر ناراً إلا بعد

(١) الصَّبَا : ربيعٌ من الشرق منعشة .

(٢) التشنيج : الانقباض والتقلص .

(٣) الترياق : دواءٌ يعالج به السم .

(٤) مفلقاً : موضحاً الحق .

التَّاهُبُ لاذكائها .

فصل : لكلِّ حالٍ من تصارييف الزَّمانِ رسمٌ لا يؤخَّر امضاؤه وحقٌّ لا يضيِّع قضاؤه .

فصل : الألقاب نعوتٌ ان حَقَّقتِ والت وآلت قلائدًا وعقوداً ، وان كذَّبتِ عادت وعادت على المساوي شهوداً .

فصل : اذا قدَّر الله أمراً يسَّر أسبابه ومهَّد أحواله وأتاح له الدَّواعي وأماط دونه العوائق والعوادي .

فصل : صلة الرَّحْم واجبة في الدِّين والتَّجاوز عن زَلَّة الشَّمال قوَّة اليمين .

فصل : لا منشورٌ كالسَّيف المشهور والجَدَّ المنصور .

فصل : ربَّ منعٍ أفضل من اسعافٍ يشينه تقصيرٌ ويكدره تسويفٌ .

فصل : نقل الطَّبائع شديد المرام بعيد الحصول في الأوهام .

فصل : من نصب للغواية شركاً اختنق بحبله ولا يحقيق المكر السيِّء إلا بأهله .

فصل : الأجال تجري على أحكام المقادير وتمتنع على التَّقديم والتَّأخير .

فصل : الاصغاء الى رأي مَنْ لم يبلغ رتبة التَّدبير ربَّما أدَّى الى خللٍ لا يدرك سابقه واقترب بضررٍ لا يُضبط جامحه .

فصل : تقويم الاخوة بالاحسان أبلغُ من تأديبهم بالحرمان ما لم يجاوزوا قدر الدَّالة الى حدِّ الشَّقاق والعصيان .

فصل : العسكر الكثير اذا وجد الخلاف بينهم مجالاً عادت كثرتهم مع عدم الوفاق وبالأل والعسكر القليل اذا اختلفوا لم يتولَّد منهم غير الفساد والاعوجاج ولم يصلحوا للسكون والاهتياج .

فصل : الوليَّ مَنْ امترى الزَّيادة بالخدمة ورعى حقَّ العارفة والنَّعمة في أيَّام

الفترة ولم يهتك عند امكان الفرصة ستر المراقبة والحشمة ليسلم من غوائل الضَّغينة عند زوال الفتنة ونزول السَّكينة .

فصل : مَنْ جعله الله بأمْرٍ من امور دينه كفيلاً فقد أعطاه من كرامته حظاً جزيلاً وفضله على كثير من عباده تفضيلاً .

فصل : قوام الملك بالمال والرَّجال واستمالة القلوب في وقت الاستعطاف أوَّلَى من تحصين الأموال وأنما المال عُدَّة لدفع النَّوائب وعمدة لكشف الكرائب وليس بحازمٍ من يمسكه عند وجوب انفاقه كما أنَّه ليس بعاقِلٍ مَنْ يتلفه عند جواز إمساكه وأنما جمع الملوك ما جمعه من أموالهم واتخذوا ما اتَّخذوه من عتادهم ليفرقوه في أوليائهم على حكم الوجوب عند الاشتغال بمنازلة الخطوب .

فصل : انَّ الله جعل القرآن نور القلوب وشفاء الصِّدور والعروة الوثقى لأهل دينه الى يوم الحشر والنَّشور قد بيَّن فيه آثار الامم الخالية فيما اخطأوا فيه واصابوا واخبار القرون الماضية فيما احسنوا فيه واسأؤا ليختار السَّعيد من عباده ما حمده الله من سائر الامم ويجتنب ما ذمَّه من غيرهم من الخصال والشيِّم .

فهذا نموذج من نثره الجزل السَّهل وقوله الفصل . وهو القائل من تنفَّ في الاعراض عن قرص الشَّعر :

لَمَّا تَرَكْتُ الشَّعْرَ نَكَبَ مَعْرَضاً^(١) عَنِّي فَقُلْ فِي مُعْرَضٍ عَنِ مُعْرَضٍ

وانشدني ابو القاسم عبد الصِّمد بن علي الطبري أيده الله تعالى له من قصيدة كتبها الى الاستاذ ابي العلاء بن حَسَّوَل أيده الله وعليه زعمه أعني ابا القاسم :

جمال الوري ما المجد الأَمْطِيَّةُ يمينك أضحتْ مالِكاً لقيادها
جلت بك قسراً عن بلادك عَصْبَةٌ رأْتَ لك فضلاً لم يكن في سوادها

(١) نَكَبَ مَعْرَضاً : أي مال عني وعدل إلى غيري .

كذا عادة الغربان تكره أن ترى بياضَ البزاة الشَّهب^(١) بين سوادها
وانشدني الحاكم ابو جعفر محمد بن اسحاق البَحْاثي له :

ما دام يسبح في الأفلاك أنجمها فليسعدنَ بملك الشرق مسعود
وليفتحنَ بلاد الغرب قاطبةً سيوفه البيض بل راياته السَّود
لا زال في نعمة يخضر جانبها ما أورق العود بل ما أطرب العود

وانشدني غيره له في غلامٍ بازاء حربٍ كتب يسأل مدداً :

كبت البدر^(٢) واستمدَّ معونه وتوخَّى صلاحه وسكونه
فأجبناه ان لحظك جيشٌ تتمنى جيوشنا أن تكونه
كيف أغفلته وأقبلت تبغي مدداً قدره يعارض دونه

وله ايضاً :

ظلمناك لما طلبنا قراك وما للقرى^(٣) والفتى الباخل
وسمناك^(٤) ما لم تكن تستطيع وتأبى الطَّبَاع على النَّافل^(٥)

١٥٦ - الشيخ العميد ابو سهل محمد بن الحسن ادام الله عزه

صدرٌ يملأ الصَّدْرَ جمالاً وكمالاً وتناسب صورته حسناً كما يتشابه محلّه
وهمته علواً وتكاثر فضائله وأياديه وفوراً كما يتبارى نثره ونظمه براعة ومما علق
بخفضي من ألفاظه قوله في ابي القاسم الميكالي من كتاب الي : هو ثقیل روح

(١) الشَّهب : التي خالط سوادها البياض .

(٢) كبت البدر : لم تخرج ضوءها .

(٣) القرى : الضيافة .

(٤) سمناك : أي حملناك .

(٥) النافل : المعطي معروفاً .

الحركة جامد هواء الراحة حار ظل الشجرة . وقوله في رقعة : أعادنا الله للالتقاء فما أرق نسيمه وألذ نعيمه . وقوله في ذكر الحضرة : ملقى الرّحال وملتقى الرّجال وقبله الآمال .

ومن سحر شعره قوله من نشيب قصيدة وهو أحسن وأجود ما قيل في معناه على كثرته لأنه جمع في بيت واحد ما فرّق في أبيات كثيرة وفاز بحسن الترتيب حيث قال :

لقد نثرت درّين لفظاً وعبرة^(١) وقد نظمت درّين عقداً ومبسماً
وله في غلام هندي :

ولي أسودّ في أسود القلب حاضر ولكنّه عن أسود العين غائب
وأنشدني لنفسه من نتفة خمريّة :

كشعاع^(٢) في هواء تتحاماه العيون
هي في الدنّ جنين وهي في الرّأس جنون

وله من قصيدة :

تقولين أنّي قد سلوت عن الهوى لعلّك قد قايست حالي بحالك
وله من قصيدة شمسية :

عجبت من الأقلام لم تُبد خضرة وباشرن منه كفّه والأناملا
لو أنّ الوري كانوا كلاماً وأحرفاً لكان نعمّ منها وباقي الأنام لا

وله في انسان ساع يقال له حميد مات بزوّن :

يا ويح أهل القبور لما حلّ حميدُ بهم جوارا

(٢) كشعاع : يصف هنا الخمرة .

(١) عبرة : دعة ، جمعها عبرات .

لو راج عند الآله ساعٍ أشعل فيهم هناك ناراً

١٥٧ - الشيخ العميد أبو الطيّب طاهر بن عبد الله أدام الله عزّه

صدرٌ واسع الصدر ممتدّ باع الفضل قد بايعته يد المجد ومالت فيه الشورى
الى النصر وأشرق بنوره أرض الرّبي وطال ما تولّى ديوان الرسائل الى سائر الأعمال
الجلائل ، وله شعرٌ في غاية الحلاوة كقوله :

إذا بلغ الحوادث منتهاتها فرجٌ^(١) بعيدها الفرَج المطلاً
وكم كربٍ تولّى إذ توالى وكم خطبٍ تجلّى حين جلا^(٢)
وقوله :

قالوا تبدّى شعره فأجبتهم لا بدّ من علمٍ على ديباجٍ
والبدر أبهى ما يكون اذا بدا متلحفاً بظلام ليلٍ داجٍ
وقوله في الهجاء :

أبو سعد بن حمدان كره الخلق والخلق
فهذا الشيب في الفرق وهذا العظم في الخلق

١٥٨ - الشيخ أبو الحسن محمد بن عيسى الكرجي أدام الله عزّه

جامع تفاريق المحاسن وناظم عقود الفضائل ومالك رقاب المكارم ومعلوم أنّ
السّلطان الماضي أبا القاسم رضي الله عنه وأرضاه كان أعلى الملوك رأياً كما كان
أعلاهم ملكاً وأنّه كان ينظر بعين التّوفيق الى أسرار الضّمائر ويُرْمِي بسهام خطراته
أغراض المقاصد ولا يصرف تدبيره إلا على موقع الاصاله ولا يضع رأيه إلا موضع

(١) فرجٌ : فعل امر من الرّجاء .

(٢) جلا : اي ارتحل .

الاصابة فلم يتخذ الشيخ أبا الحسن أيده الله مصباح مجلسه ومفتاح انسه وثمره قلبه
وريحانة روحه ومستودع سره وأخص بطانته إلا لأنه في الفضلاء والكبراء كهو في
الملوك والامراء ، وقد كتبت من شعره ما نطق به لسان فضله كقوله البديع الذي تفرد
به :

بدا معدنُ الياقوتِ في حبةِ الحشا وفي الخدّ والعينين والشّوق يغلبُ
فعيناي حمراوان من كثرة البكا وخدي مصفر وقلبي أكهب^(١)
وقوله في الهلال والثريا :

كأنّ الهلالَ المستنيرَ وقد بدا ونجم الثريا واقفٌ فوق هالته
ملكٌ على أعلاه تاجٌ مرصعٌ ويُزهى على منْ دونه بجلالته
وقوله في السلطان الأعظم أدام الله ملكه :

يا سيّد الناس كيف يمدحك الـ خادِم في شعره كما يجبُ
ما يتأتّى له من المدح لا يرضى وما يرتضيه يحتجبُ
وقوله في الاقلاع عن التصابي عند الشيب :

هجرتُ اللّهُوَ إذ عقلي على نفسي أشار به
وحلّني حلول الشيب ب كرهاً عن مشاربه^(٢)
فما أسعى الى راحٍ وساقيه
وإما عن لي لهوٌ لهت كفي بشاربه
فهل يا نفسُ أنتِ على ملازمة المشار به

(١) أكهب : متغير أسود .

(٢) مشاربه : دروبه وموارده .

وقوله في مدح نيسابور من قصيدته :

وماذا يصنع المرء	بيغداد	وكوفان
ونيسابور في الأرض	كإنسان ^(١) في	إنسان
ولا غرو فقد أضحت	لنا عين	خراسان
إذا ما دوّخ المرء	بلاداً بعد	بلدان
يراهما عندهما شاهاً	وباقيةا	كفرزان

وقوله في حمام مصوّر :

أعجب بيت يُريك باطنه	جوارحاً أرسلت على الوحش
تعدو لصيد الظباء مسرعة	كأنها في غياضها ^(٢) تمشي
طيوره قد تقابلت نسقاً	كأنها وقّع على العش
فضاؤه طاب فسحة وهوى	مُصقل الأرض مؤنق الفرش
وأنت في خلوق مساعدة	تولع بالدك ثم بالرش

١٥٩ - الشيخ العارض أبو الحسن مُسافر بن الحسن أدام الله عزّه

طال ما لقيت في شببتي وكهولتي وعند شيخوختي وعلوّ سني أعيان الفضل
وأفراد الدهر ونجوم الأرض وبدور الصدور من أصحاب الأقلام والسيوف فلو حلفتُ
بالله الذي لا يحلف بأعظم منه أنّي لم أشاهد مثله في امتزاج الكرم والأدب بطبعه
 واجتماع الحسن في قوله وفعله وانتظام آلات الرئاسة وأدوات السياسة في عقد فضله
 واقتران الطيّب بالحلاوة في ثمار نظمته ونشره لما خشيت أحنث^(٣) ولما تعدّتي

(١) إنسان الأولى : أي يؤيّد العين .

(٢) غياضها : الموضع الكثير الشجر .

(٣) أحنث : أخلّ بالقسم واليمين .

الصّدق ، وبحسبك أنّي كتبت اليه في هذه الأيام :

يا مَنْ تشابهتِ المحاسن والعلی
فالخلقُ منه كخلقه والخلق من
وغذاءُ جسمي من سماح يمينه
لا زلتَ بين سعادةٍ وزيادةٍ
فيه وأصبحتِ القلوب برسمه
ه كلفظه والشعر منه كاسمه
وغذاءُ روحي من بدائع نظمهِ
وسلمت من سيف الزّمان وسهمه

فأجاب في الوقت والسّاعة بهذه الأبيات :

أفدى الامامَ الأوحد الفرد الذي
لا زال منصوراً كما يُكنى به
فغذاء أرواح الوری من كتبه
وينظمه عطل الفضائل^(١) ألبست
من شاء فرد زمانه فليسّمه
ولتفتخر روحٌ غدت في جسمهِ
والظّرفُ فيهم من لطائف رسمه
حلى العرائس مذ غدت في قسمه

وكان قضی لي حوائج مثمرة وأسقط عني مؤناً مُجحفة وكتب اليّ رقاعاً موفقة

فكتبت اليه :

مَنْ مبلغُ الصّدر مولانا أبي الحسن
خفيت ظهري من ثقل الخطوب كما
صنائع منك جلّت في الأنام وقد
وقد أتاني قريضٌ قد نفثت به
والله يجزيك عن عبدٍ ومصطنعٍ
فعاش عن كلماتٍ منك كنّ له
مسافرٌ نكتة^(٢) الأيام والزّمن
أثقلته بالأيادي الغرّ والمنن^(٣)
دقّت معانيك في الأشعار والفطن
كالسّحر والراح والريّحان في قرن^(٤)
قد كان ميتاً بأيدي البث^(٥) والحزن
كالرّوح عائدةً منه الى البدن

(١) عطل الفضائل : يقال جيدٌ عطل : أي لا تزنيّه الحلي .

(٢) النكتة : الكلام اللطيف الذي يؤثّر في النفس .

(٣) المنن : الفضائل والعطايا .

(٤) قرن : في سلك واحد .

(٥) البث : الشكوى والوجد .

فأجابه في رقعةٍ غير قصيرة :

يا صدر أهلِ النهى يا أوحدَ الزَّمنِ
أهديتَ نظماً فقد اهدتَ لطافته
أحيي الخواطرَ مني بعد ميّتها
أزاح عني مقيمَ الهمِّ والحزن
فصفو ودُّك للحسنى يؤهلّني
وليس في الشرط أن تولى الجميل وان
ولي في الاستطراد بذكره :

سقى الله أياماً أشبهَ حُسْنِها
بشعر ابنِ معترٍ وخطابنِ مقلّةٍ
ولي أيضاً فيما يناسبه :

ومفهفٍ فنن الآله عباده
فكأنَّ بابل أصبحت في طَرَفِهِ
وكأنَّ توقيعَ الرّئيسِ مسافرٌ
ولي أيضاً :

قد سقّتنا السّماء ماء الغيومِ
نشرب الرّاح باذكار الرّئيس الـ
واذا ما مسافرٌ سافرتُ أخـ
وأيضاً :

يا سائلي وصفَ مولانا أبي حسنٍ

أوهتَ علاك قوى الأقوال واللّسنِ
روحاً الى بدني روحاً الى أذني
وقام عندي مقام البرِّ للزّمنِ
نعم وصيّرنى والانس في قرن
وبعد شأوك في الافضال يكرمني
تفيد علماً غزيراً ثمّ تمدحني

وقد كنت في روضٍ من العيش ناضِرٍ
ودولة مسعودٍ وخلق مسافرٍ

إذ ساق حُسْن العالمين اليه
وكأثما الأهواز في شَفَتِهِ
في عُرْض عارضه يلوح عليه

فاسقِنَا يا غلامَ ماء الكرومِ
فرد في الجود والعلی والعلومِ
بار عليه أسفرت^(١) عن نجومِ

مسافرٍ في بديع القول محكمِهِ

(١) أسفرت : انجلت وكشفت .

المسك من ذكره والمزن^(١) من يده والروض من خلقه والدر من فمه

إلى أشباه كثيرة لها . ومن ثمار خاطره قوله :

لقد لامني قومي على أن صبوتي^(٢)
فقلت اعذروني في تلذذ لحظة
وقوله :

أجودُ بجلّ مالي لا أبالي
وذاك لأنني أنفقتُ حرصاً
وقوله :

مدادك في الكتاب يقوم عندي
لأنّ كتابك المحبوب عندي
وقوله :

أرغب في العلم ولا أدعي
لأنني آنف من جهل ما
وقال يوبخ نفسه وصديقاً له :

وطيب	عيش	رفيق
من	كفّ	ساق
مواصل	لغبوق ^(٤)	صباح

(١) المزن : المطر .

(٢) الصبوة : جهل الفتوة وهوها .

(٣) شرح الشباب : أول الشباب وأتمته .

(٤) الغبوق : ما يشرب بالعشي .

والمالُ من ظلم حرٍّ	وضعته	في	الحريق
ومن مطاعم قومٍ	ضعفي	وقوتِ	فريق
وأنتَ واثقٌ نفسٍ	بخدمة		المخلوق
ولستَ عن سُكرٍ لهوٍ	وقهوةٍ		بمفيق
فما تُصيحُ ^(١) لنصحٍ	ولا	لقولٍ	شفيق
فما تظنّ خليلي	بكلِّ	هذا	الفسوق ^(٢)
لقد ضللت فنكَبُ ^(٣)	الى	سواءِ	الطريق

١٦٠ - الشيخ أبو الفتح مسعود بن الليث أدام الله عزّه

قد لبس بُردَ شبابه على عقل الشيخ الأفضل وحاز في حادثة سنّه آداب المبرز الأكمل وفاز بالخطوة التامة عند السلطان الأعظم أدام الله ملكه فهو من خلّص ثقاته وخدمه ومتحملي نعمه وأعيان ديوان رسائله وأكابر رُسله وهذه قصيرة من طويلة ونكتة من جملة وله نثرٌ يضحك عن زهرٍ وغُررٍ ونظمٌ ينطوي على حبرٍ ودُررٍ ، وهذه فصوصٌ من فصوله القصار تجمع بين الأنوار والثمار :

فصل : راحة الروح في الراح^(٤) وقرة العين في الوجوه الصبايح وقوة النار في الدراهم الصباح .

فصل : دواء الخمار قبل الحبيب وطُرف الحديث .

فصل : الدنيا كريق المعشوق كلما ازدَدَتْ منه رياءً ازدَدَتْ إليه عطشاً .

فصل : مَنْ خدَمَ الملوك ولم يستخدموه ذبل عوده وغربت سعوده^(٥) .

(١) تصيح : تصغي وتستمع .

(٢) الفسوق : الفجر والافحاش .

(٣) فنكَبُ : أي عد إلى الطريق المستقيم .

(٤) الراح : الكأس أي الخمر .

(٥) سعوده : حظوظه .

فصل : مثل نائل الملك كالسحاب كلما أبطأ سيراً كان أكثر خيراً .

فصل : مَنْ سلب الرِّقعة لغير رفع الأولياء وقمع الأعداء فهو طالب مالٍ لا طالب جلالٍ .

فصل : مَنْ تَرَدَّى بالقناعة رُئِيَ حاله وكسُفَ هلاله ^(١) .

وهذه لمعٌ من ملح شعره كقوله :

حبيبٌ زارني والليل داجٍ وفي عينه تفتيرٌ ^(٢) المدام
وقد نال الكرى من مقلتيه منالُ الحادثات من الكوام ^(٣)

وقوله

يا رامياً عن لحظ طرفك أسهماً تقبيل وردة وجنتيك شفائي
عجباً لطرفك كيف دائي كامنٌ فيه وثغرك كيف فيه دوائي

وقوله من نتفة :

ولبستُ من صدر السرور وبتُّ في صدر السرير
في مجلس قد رشَّ ما ءَ الورد من سحبِ البخور
طلعتُ علينا أنجمٌ الـ كحاسات من أيدي الدور

وقوله :

نمٌ ^(٤) في ورد وجنتيك من العند بر خطٌ فازدَدَتْ تيهاً ودلاً
ولقد حقَّ أن تزيد دلالاً ولقد حقَّ أن أزيدك ذلاً

(١) كسف هلاله : غاب بدره ، أي حظه وأمله .

(٢) التفتير : الانكسار والضعف .

(٣) الكوام : من الكومة وهي القطعة المرتفعة الرأس من التراب وغيره .

(٤) نمٌ : بدا وظهر .

وقوله في غلام طيب :

متطبّب كالغصن في حركاته صيرتُ روعي في هواه سيلا
ما جاءني متطبّياً إلا لأن أهوى السقام لكي أراه قليلا
عجبا له يُبْري السقيم بطبه ويلحظه يدعُ الصّحيح عليلا

١٦١ - الشيخ أبو بكر عليّ بن الحسن القهستاني

شخص الفضل وصورته وينبوع الكرم ومعدنه ورفضه الأدب وغديره وعُذر
الزّمان المذنب وزينته وقد لفظته بلاد المشرق وترامت به الحوادث والنّوائب حتّى
كانه خليفة الخضر وقذاة في عين الأرض وما هو إلاّ السيف يزداد على الصّروف^(١)
أثراً والمسك يزداد على السّحق طيباً وماء البحر إذا ساغر عذب وكأني به الآن وكأنّما
يوحي إليه في الشّر والنّظم ويغرف آدابه من البحر وأنا كاتب من غرر ألفاظه
نبذاً علّق يحفظني ، فمنها قوله : مَنْ طلب شيئاً وجدَّ وجدَّ وَمَنْ قرع باباً ولجَّ ولجَّ^(٢)
وقوله في تواتر الفتوح : هذه فتوح ألفتها النفوس والطّباع ومُرّنت عليها الأبصار
والأسماع فهي لا تُستغرب غرائبها ولا تُستعجب عجائبها ، وقوله في وصف نبية :
كانّ الشياطين نصبت تلك الأساطين ، وقوله في حكاية : ما قيل لبيداء الملك أنّك
لا تسلم حتّى تسلم ولا تأمن حتّى تؤمن .

وهذه بدائع من شعره كقوله :

أقمت لي قيمةً مذ صرت تلحظني شمس الكفاة بعيني محسن النّظر
كذا اليواقيت فيما قد سمعت به من لطف تأثير عين الشّمس في الحجر

(١) الصّروف : الأحداث .

(٢) ولج : دخل ولجّ وألجّ .

وكقوله في الشيخ العميد أبي سهل الحمدوي أدام الله تعالى عزّه :

يا ما لهذا القلب لا يرعوي^(١) وقد درى ان قد هوى من هوى
هوىً بيستٍ وبلخٍ هوىً ثانٍ فما هذا الهوى الغزنوي
ثلاثةً والحقّ في واحدٍ والقول في الاثنين للمانوي
وانّ تثليث^(٢) النصارى لمن يدين بالاسلام لا يستوي

ومنها :

هيهات إنّ الدهر ما قد ترى أعصل^(٣) قرنٍ عسرٍ ملتوي
فأحمد الله ومن بعده فأحمد بن الحسن الحمدوي
من برّه استعبد شكري له والحرّ عبد البرّ فيما روي
قد نشر الله تعالى به ما كان من صحف المعالي طوي

ومنها :

أشهد بالله وآياته يمين حقّ غير ذي مثوي
لو بصرت بنت شعيب به قالت له هذا الأمين القوي

وقوله من اخرى :

تمتّع من الدنيا فأوقاتهما خلّس^(٤) وعمر الفتى ملّيت أطولهُ نفسُ
وسارع الى سهمٍ من العيش فايز فما ارتدّ سهمٌ قطّ يوماً ولا احتبسُ
وقض زمان الانس بالانس وانتبه لحظّك إذ لا حظّ قيل لمن نعسُ
ولا تتقاض اليوم همّ غدٍ ودع حديث غدرٍ فلاشتغال به هوسُ

(١) يرعوي : يكفّ .

(٢) تثليث : جعلهم ثلاثة

(٣) أعصل : قاس ، ملتوي

(٤) خلّس : سنح وفرص

فدونك عني انما الرأي يُقتبسُ
أحاديث تروى عن قتادة عن أنسُ

هي الروح كالمصباح والراح زيتها
انبثك عن نفسي وعمّا اختبرت لا
وقوله من اخرى :

وقلّة أعداد السنين أريب^(١)
صبيّاً كذاك ابن النجيب نجيبُ

وأنت على ما فيك من منعة الصبا
كيحيى الذي قد أوتي الحكم كله
وقوله من اخرى :

أب لك يدعوا الله في السرّ والجهر
ان اشدّد به أزري^(٢) وأشركه في أمري

سما بك من فوق السموات رتبة
كما قد دعى موسى لهرون ربّه
وممّا يستظرف من شعره قوله :

لذاك يقال لي الشيخُ العميدُ

وشيّني وأعمدني هواهُ

وكتب الى عمر بن عبد العزيز الجكرزي يتشوّقه ويستزيره :

حوشيت طال ذا السرار^(٣) واستمرّ
فطال ما اشتاق أبو بكر عُمر

يا قمرَ الوجهِ ويا وجهَ القمرِ
فاطلع وجلّ ما بجوى من قتر^(٤)
وقال في عَجّةٍ اتّخذت بين يديه :

وشرّ دهر الشتاء الباردُ الكلبُ
وقد تمكّن من احشائنا السّغبُ
جمراً وجمراً طوى^(٥) في الجوف تلتهب

ما أنسَ لا أنسَ يوماً بارداً كلباً
اذ لا تقربنا أطرافنا خصرأ
جاء الغلام بمقلّةٍ فافرشها

(١) أريب : ماهر ، ذكي

(٢) أزري : قوتي وظهري .

(٣) السرار : المحاق .

(٤) قتر : غبار .

(٥) الطوى : الجوع .

وجاء بالبيض مثل الدر يفلقه فيها وللدهن صوت بينها لجب^(١)
فأخرجت مثل قرص الشمس مشرقة كأنها فضة قد مشها ذهب

١٦٢ - القاضي ابو الحسن المؤمل بن الخليل بن احمد البستي

هو في الأدباء والعلماء علم وفي الجود والمروة عالم وكان خطيب غزنة حيناً
من الدهر ثم تقلد قضاء بشت والرخج وهو عليهما الآن كما كان أبوه وجدته فهو قاضي
ابن قاضي بن قاض وهناك من الكرم والفضل وسعة الرّحل وحسن السيرة وقوة
البصيرة ما تشهد به أخباره الأربعة وآثاره البهجة وتجمعه وأيأي حال في المودة
طويلة المدة وعشرة في الغربية مزجت المهجة بالمهجة وطال ما تلاقينا وتصافينا بغزنة
وجرينا على حكم مناسبة الأدب وتكاتبنا بالنثر والنظم وسمعته يقول وقد سئل عن
بُست : صفتها تشيتها يعني أنها بستان ، وأجاز قول الشاعر :

قَبْلَ أنامله فليس أناملاً لكنهنّ مفاتحُ الأرزاقِ
بما وازنه فقال :

واذكر صنائعه فلسنَ صنائعاً لكنهنّ قلائدُ الأعناقِ
ولي في الاستطراد بذكره من نطفة :

يا	زماناً	نعيمه	لم يُعرج على يدي
كنسيم	معقد	وشعاع	مجسّد
طيه	كالكرى	يلم	بجفن المسهّد ^(٢)
أو كخلق المؤمل بـ	ن	الخليل بن أحمد	

ومما انشدني لنفسه :

ساعدُ زمانك تسعدُ واقنعُ بحظّك تُرشدُ

(٢) جفن مسهّد : جفن مؤرق .

(١) لجب : ضجيج .

وهوَنِ الأمرِ فيما أيقنْتَ أنْ سوفَ ينفذُ
فما مضى فكأنْ لم وما يكونَ كأنْ قدْ

١٦٣ - القاضي أبو القاسم عالي بن علي بن عبد الله الشيرازي أيده الله تعالى

قد آتاه الله تعالى في اقتبال العمر جوامع الفضل وسوَّغَه في ريعان الشباب
محاسن الاستكمال فهو مع أصله الشريف وعرقه الكريم أديبٌ فقيهٌ شاعرٌ خطيبٌ
فصيحٌ القلم واللسان عارفٌ بأمور السلطان وكانَ أبا الفتح كشاجم عنه بقوله :

ما كان أحوجَ ذا الكمالِ إلى عيبٍ يوقيه من العين

وكنْتَ اقتبستُ من نوره واستملتُ منه أبياتاً له في نهاية الحسن وأعددتُها لهذا
الكتاب فضاغت نسختها ، وسهم الرّزايا بالذخائر مولع ، وهذا ما علق بحفظي من
قصيدٍ له سلطانيةً فريدٍ ، أوّلها :

وَباتٌ سَعْدُكَ لِلوَرى اسْتِسعَادُ	أَيَّامُ مَلِكِكَ لِلوَرى أَعْيَادُ
فَالأَرْضُ رَوْضٌ وَالسَّمَاءُ عِهادُ ^(١)	وَإِذَا بَقِيَتْ عَلَى الْأَنامِ مُمْلِكاً
وَعنا لِراسِخٍ مَجْدُهُ الْأَمْجادُ	يا مَنْ تَضَعُضَعُ الْجَدودَ لِحَدِّهِ
بِمَقالِدِ الدُّنْيا إِلَيْكَ تُفادُ	هَذي السَّعادةُ قَدْ أَتَتْكَ وَفودُها
هَذا أَتَتْكَ سَوابِقاً رُؤادُ	وَلها لَواحِقُ قَدْ قُربَنَ وائِما
بَعلى تُشادُ وَبِسطَةً ^(٢) تَرَدادُ	أَبْشُرْ بِمَلِكٍ لا يَزالُ مُؤَيِّداً
عَبْدُ لَأَمْرِكَ سامِعٌ مُنقادُ	وَمُرَ الزَّمانَ بِما تُريدُ فَإِنَّهُ

(١) عهاد : أول المطر السنوي .

(٢) البسطة : القوة .

١٦٤ - القاضي أبو الفضل أحمد بن محمد الرشيدي اللوكري

له شرفٌ عظيم وطبعٌ كريم وخلقٌ عظيم ولسانٌ فصيح ومجدٌ صريح وأدب
جزلٌ ومنطقٌ فصل وهو من أولاد هرون الرشيد ولي القضاء بسجستان
والوزارة بغرستان والسفارة بين السلطان الماضي وأمير المؤمنين القادر بالله رضي
الله تعالى عنهما فلم يزل فيما نيّط به واعتمد عليه بين نصيحٍ يؤثّرهِ وجميلٍ يؤثّرهُ حتّى
مهّد قواعد الصّلاح وذللّ مقاود النّجاح فأحمد وأجلّ وبُجلّ ولُقب بتاج القضاة وزين
الكفاة رضي أمير المؤمنين وهو القائل :

قالوا اقتصدْ في الجود أنّك منصفٌ عدلٌ وذو الانصافِ ليس يجورُ
فأجبتهم أنّي سلالَةٌ معشرٍ لهم لواءٌ في العلى منشورُ
بالله أنّي شائدٌ ما قد بنى جدّي الرشيد وقبله المنصورُ
وأنشدني لنفسه :

الدَّهْرُ يلعب بالفتى	لُعِبَ الصّوالج بالكره
أو لعب ريحٍ عاصفٍ	عصفت بكفٍّ من ذره
ويقوده نحو السّعا	ده والشقاء بلا بره ^(١)
الدَّهر قنّاصٌ وما الـ	انسان إلّا قنّره ^(٢)

وله في أيام الخانيّة ببلخ :

أرى الأحرار كلّهم حيارى	كأنّهم ولحياتهم سكارى
وأضحى الأفضّلون من البرايا	بأيدي التّرك في بلخٍ اسارى
كأنّ المسلمين وقد جبّوهم	مجوسٌ أو يهودٌ أو نصارى
كأنّ التّرك فوقهم صقورٌ	وهم من فرط خوفهم حبارى ^(٣)

(١) البره : التعب والمشقة . (٢) قنّره : القنّره ، وهي من الطيور .

(٣) الحبارى : طائر رماديّ اللون يشبه الاوزة ، طويل العنق والمقار .

وله في الشيخ شمس الكفاة :

إذا قيل مَنْ للعلی والندي وَمَنْ للمكارم في ذا الزَمَنُ
وَمَنْ للعلوم وَمَنْ للرَّسومِ وَمَنْ للفروضِ وَمَنْ للسَّنَنُ^(١)
أجبنا وقلنا باجماعنا أبو قاسمٍ أحمد بن الحسن

١٦٥ - الشيخ أبو الحسن علي بن محمد الأربعاني

من أفراد دهره وحسنات وقته لابسُ بُرْدٌ^(٢) شبابه على كهولة فضله جامع بين شرف أصله وكرم طبعه حائز حسن نثره الى جودة نظمه وأبوه الشيخ أبو عبد الله أيده الله أوجه أمناء السلطان الأجلَّ السَّيِّد الملك الأعظم وليَّ النعم أدام الله ملكه بخراسان يتقلد له بريد نيسابور وطوس وعدة من بلاد خراسان مع الاشراف عليها وقد كتبت من شعر أبي الحسن ما انشدنيه كقوله من قصيدة في الشيخ الجليل أبي القاسم أحمد بن الحسن رحمه الله لما أعيدت الوزارة اليه :

علت الوزارة اذ علوت محلها	يا خير من عقد الامور وحلها
هذي الأمور تلاحقت فتهنها	وهي السعود تلاحقت فتملها
ان الوزارة رتبة مرموقة	خلقت هواك كما خلقت هوى لها
صعبت على أيدي سواك امورها	فاظلها استقلالكم فاذلها
فالآن عاد وعاذ منك بعقوة ^(٣)	حلف المكارم لا يريم محلها
هذي الوزارة في الحقيقة لا التي	كانت تقاسمها الأراذل قبلها

وانشدني لنفسه في الشكوى أبياتاً منها :

يشارطني دهري لئن صرت جاهلاً رفعتك يا دهري فقدت مشارطا

(١) السنن : الشرائع .

(٢) البرد : الثوب .

(٣) عقوة : اسم مكان .

محابرنا يا ليت كنت محاجماً^(١) وأقلامنا يا ليت كنت مشارطاً
وانشدني ايضاً لنفسه :

يا ربّ حقّق دعوة العبدِ وارحمْ دُعائي واشفني وحدي
وارحمْ لبيدَ الشعر حين شكا قد كان يشكو جلد أجربه
وبقيتُ في زمنٍ بلا جلدٍ

وله أيضاً :

كلُّ معاشٍ الى فناءٍ كلُّ نعيمٍ الى زوالٍ
كم أخذ الدهر باغتصابٍ قوت فقيرٍ وكنزٍ والٍ
كم هسّ لي وجهه زماناً حتّى اذا ما انقضى زوى لي

وله ايضاً في الشيخ الأجلّ أكفى الكفاة أدام الله تأييده من قصيدة :

بلغتَ السّماء اذاً فاقتصرِ وحُزنتَ النّساء اذاً فاقتصد
وأعليتَ من طالعي ما هوى واصلحت من حالتي ما فسد

ومن منشور كلامه ما كتب اليه يهنيّه بالوزارة : شنّ وافق طبقاً وفضل عائق عباق وخائم
فاجاً ماءً وزرع صادف سماءً وصدر شرفٍ تحلّى بصدرٍ وليل تمّ تجلّى ببدرٍ وسيّد
مملكةٍ سادها وصدرٍ وسادها أحلماً أرى أم حقّاً وكذباً أسمع أم صدقاً ان كان حقّاً فهو
طالع الميمون وان كان حلماً فخيراً رأيّت وخيراً يكون وما شئت وما شاء فالق الدكو
وارسل الرّشاء وجدتَ وأجدتَ فهل شكرت وسجدت هناك هناك ثمّ عناك ومناك
وايهاً يا زمان ايها فقد أخرجت نبياً دنيا أراها عطرة وكانت دقراء^(٢) وسماءً أراها مطرةً
وكانت جرباءً وفضل يفتّر عن بردٍ وقد كان في حردٍ وعلم يُسفر عن شمسٍ وقد

(١) المحاجم : ما يستعمل في حرفة الحجامة .

(٢) دقراء : من الأراضي الكثيرة الماء والندى .

كان في رمس^(١) وزمان صالح عنواً وقد كان حرباً ودهر سالم كرهاً وقد كان ألباً دولة
أضحكت بما جد وكان في حسرة ومملكة تريح بسيد وكانت في خسارة ومولانا يقول
ما هذا التعريض والتصريح والتعريض والتعريض والتعريض والتعريض هو حياة البصر يبهره القمر
واضطراب الأسماع لمضرب السماع ودهشة العاشق لنجاة الخيال الطارق ولجلجلة
كلام عبد ظفر بعد القنوط وارتفع بعد الهبوط ورأى كالسعد الذي له تجدد والمجد
الذي به تفرّد فأقول مرحباً بملك أطلع علينا سعده وأهلاً بهذا اليوم وما بعده والحمد
لله الذي صدقنا وعده وأورث مولانا ملك الدست والصدر ومُلك الحياة والقدر
وزمان النهى والأمر يتبوء منها حيث يشاء فنعم أجر العاملين .

١٦٦ - ابو بكر عبد المجيد بن أفلح الغزنوي

كثير المحاسن والفضائل جمّ المحامد والمناقب وكان السلطان الماضي
رحمه الله يكرمه ويفضله على الصّاحب وقلّده بريد طوس وهو الآن مرتّب في أعيان
كتاب الرسائل ومرشّح للأعمال الجلائل وله شعر يروق ويشوق كقوله :

انظر الى حسن الربيع فقطره يحلى على الأغصان دراً نابتا
وكأنّ غيمَ الجوّ يسكب دمعته من حُزنه والروضُ يضحك شامتا
وقوله في معنى آخر :

وراويّ في انشاد شعري مقصراً ولو كنت قد هذبتَه في الدفاترِ
مخافة ان يلقي امرؤ من عيوبه بخاطره ما لا أراه بخاطري

وقوله في الحكمة والموعظة الحسنة من تنفة :

قل لمن تاه في الورى بغناه لا يساوي الغنى حذار زواله
مرن النفس للقناعة كرهاً أي مالٍ يفي بذلّ سؤاله

(١) رمس : جدث ، قبر .

وقوله :

لساناً فصيحاً وقولاً صحيحاً
اعالج بالصبر قلباً جريحاً
ومالي صديقٌ يساوي المديحاً

تبين أهل الحجى أن لي
ولكنني أبداً ساكتٌ
فما لي عدوٌ يساوي الهجاء

وقوله :

لجهل بهم فالآن أصبحت تائباً
نظرت فما أبصرتُ في الحمد راغباً

لقد كنتُ حيناً أقصد الناس مادحاً
ادافع آمالي بئأسٍ لأنني

وقوله :

ويقصد كلَّ حرٍّ بامتهان
فإنَّ الدهر دهرُ بني الزواني

رأيت الدهر يُسعد كلَّ نذلٍ
فقلت لقلبي استمسكُ بصبرٍ

وقوله :

إذا ما غاب وجهك عن فنائي
نجومُ اللَّيل في افقِ السَّماءِ

أرى مثلَ النُّجوم دموع عيني
كذاك الشَّمس حين تغيب تبدو

وقوله :

سماء العلى شمس الفخار أبي الخير
لعقلي برهاناً على أنه غيري

سلامٌ على بدر الدجى كوكب الحجى
على من اذا استطلعت قلبي لا أرى

وقوله :

ليصير أعيان البلاد ذوي الفضل
سواه فكلَّ الفضل حيث أبو الفضل

أقول لسارٍ في الحزونة^(١) والسَّهل
تيمم أبا الفضل بن ميكال واترك

(١) الحزونة : الأرض الكثيرة الحصى والاشواك .

١٦٧ - ابو محمد عبد الله بن محمد الدوغابادي

اعجوبة العصر وبكر عطارِد وذلك أنه حديث السنّ رطيب الغصن ولو قلت
أنه معجز بلدته في الشعر لما قلت شططا ومن خبره أنه استظهر كتاب اليتيمة كلّ له
طبع نافذ وخاطر عامر وقريحة ثاقبة وكياسة نادرة فانتجع بدائع الخواطر واجتنى ثمار
الأفكار وحمل على الروح حتى تطبع بطباع أفراد الشعراء العصريين وجرى في طرق
المفلقين المبدعين وكسا المعاني البديعة الخفية معارض الألفاظ الرشيقة الجليلة فان
شاء فالسري والخالدي وان أراد فالبيغاء والسلامي وان نشط تغزل وأطرب وان أثر
مدح فأعجب وعجب وهو الآن بالحضرة في ديوان الرسائل مرشح للأعمال
الجلال ، ومن شعره في الغزل قوله من قصيدة :

ونملُ عذاره نقلتُ اليه وهنّ ضعائفُ حبّ القلوبِ
نقلنَ له القلوب وهنّ ضعفي فكيف اذا قدرن على الدبيب^(١)

وقوله في معناه من أخرى :

فحذارٍ من ذاك العذار فانّما نقلت له حبّ القلوب نمال

ومن أخرى :

مُري جفنك الممراض من غير علّة يشم^(٢) سيفه إنّنا أتيناه عُوداً

وقوله من أخرى :

وظبية انسٍ بين أسدٍ طرقها على حذرٍ واللّيل في لون خالها
وما غرضي منها سوى ورد خدّها وبرق ثنايها وبرد زلالها

(١) الدبيب : دبيب النمل أي وقعهن .

(٢) يشم : يبصر يتطلع .

وقوله :

سلا صدغه المسكيّ كيف قراره
ويشرب من فيه المدام معلقاً
ومن سلطانيّات شعره قوله من قصيدته :

الملك بعد نظام الدّين محمود
ان كان داود زار الغيث تربته
من كان شمس ملوك الأرض وارثه

ومنها :

لا يطمعن أحد في الملك يملكه
سقى الكماة كؤوس الموت مترعة

ومنها :

طويل عمر المساعي والتّدى أبداً
يداه فوق أكفّ الناس كلّهم

[اخذه من قول أبي الفياض الطّبري :

يدُ تراها أبداً
تبارك الله ما أبهاك من ملك
فوق يدر وتحت فم]
في تاج عزّ بكفّ الله معقود

زلقت قدمه في ذكر الكفّ فأنّها لا تضاف الى الله عزّ اسمه وتعالى عمّا لم
يُصف به نفسه ولولا أنّه أضاف اليد إلى نفسه وان كان تأويلها غير ظاهرها لما استجيز
قول من قال يد الله ، وقد نُعى على ابن ثباته قوله وعيّب بذلك :

(١) الصّيد : الملوك ، السادة .

إذا تَمَنَّتْ تَمَنَّتْ أَنْ تَعِيشَ لَهَا يَا رَاكِبَ الْعَرْشِ بَارِكْ فِي أَمَانِيهَا
لأنَّهُ قَالَ مَا لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْ رُكُوبِ الْعَرْشِ وَأَتَمَّا جَازَ الْإِسْتِوَاءَ لِأَنَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ
وَصَفَّ بِهِ نَفْسَهُ وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ تَأَوَّلَ فِيهِ الْإِسْتِوَاءَ وَاحْتَجَّ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

قَدْ اسْتَوَى بِشَرِّ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقٍ
عَادَ الشَّعْرُ :

قَرْمٌ^(١) يُعِيدُ حُدُودَ الْبَيْضِ مُصَلَّتَةً مِنْ الدِّمَاءِ عَلَيْهَا ذَاتُ تَوْرِيدٍ
تَخَالِهَا وَهِيَ كَابُنِ الْغَيْمِ صَافِيَةٌ كَأَتَمَّا مَا زَجَّتْهَا بِنْتُ عِنْقُودٍ
لَا تَسْتَقِرُّ ظَبَاهَا فَهِيَ رَاحِلَةٌ مِنْ الْجَفْوَنِ إِلَى هَامِ الصَّنَادِيدِ^(٢)
وَمِنْهَا :

مَغْنَاكَ رَوْضٌ أَرِيضٌ مُونِقٌ خَضِلٌ وَأَنْتَ عِنْدَلِيبٌ جَدٌّ غَرِيدٌ
[أَخَذَهُ مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ الزَّعْفَرَانِيِّ وَزَادَ عَلَيْهِ :

وَتَغْنِيكَ فِي النَّدَى طَيُورٌ أَنَا وَحْدِي مَا بَيْنَهُنَّ الْهَزَارُ]
لَا زَالَ مُلْكِكَ مَخْصُوصاً بِأَرْبَعَةٍ أَمِنْ وَيَمِنْ وَتَأْيِيدٍ وَتَأْيِيدٍ
فَأَنْتَ لِلْمَلِكِ لَا فَارِقَتَهُ أَبَداً كَالنَّارِ لِلْعُودِ بَلْ كَالْمَاءِ فِي الْعُودِ
وَعَشْتَ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَأَهْلُهَا لِلْعُلَى وَالنَّدَى وَالْبَاسِ وَالْجُودِ

وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي الشَّيْخِ أَبِي الْطَّيِّبِ طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَيْدَهُ اللَّهُ ، أَوَّلُهَا :

سَقَامَ عَيْنِكَ لِلْعَوَادِ قِتَالُ فَفِي الْعِيَادَةِ قُلْ لِي كَيْفَ أَحْتَالُ
وَمِنْهَا :

وَيَحِ الْمَحْيِينَ لَمَّا سَارَ عَيْسُكُمْ^(٣) فِي صَحْبَةِ الدَّمْعِ مِنْ أَجْفَانِهِمْ سَالُوا

(١) القرم : السيد الشجاع .

(٢) الصناديد : الشجعان .

(٣) عيسكم : نوقمكم ، إيلكم .

فضل الشهادة في سبل الهوى نالوا
كلاكما خضلُ الشؤبوب هطالُ
هي الغمامُ ولكن وبلها^(١) المالُ
من روضة نبتها مجدُ وافضالُ

لم يرزقوا الخير منكم غير أنهم
ناديت دمعِي وصوب المزن يسعده
ولستما كيدِ الشيخ العميد ندى
كم أنبتت يدَ مولانا وسيدنا

ومنها :

ما كلّ ماشية بالرجل شمال^(٢)
طام^(٣) يفيض وصمصام وريال^(٤)
فالمرهفات له والسمر عمال
سواك في دسّت هذا الملك أكفال^(٥)
فالدهر طوع لما تقضيه فعّال
فانّ تقبيل ذاك التّرب إقبال
وافخر فانت على خدّ الندى خال
وأنت بحر الندى أذ غيرك الآل

قلّ للذي يتمنى نيل رتبته
في دسّته عارض هام وبحر ندى
كافٍ إذا ما امتطى الأقدام أنمله
يا فارس الدسّت انّ الناس كلّهم
مرّ عبدك الدهر يجنبني نوابه
وأول ثغري بتقبيلي ثراك ندى
واسلم فانك في افق العلى قمر
وأنت نبع العلى اذ غيرك الضال

وكتب الى أبي القاسم الطائي الكاتب يسأله تذكيره وعداً له عليه :

على غير الزّمان وصفوعهدك
لتذكرني بفضلك عند ربك

أبراهيم دام صفاء ودك
دعوتك دعوة التعب المعنى

١٦٨ - ابو الحسن محمد بن الحسن البرمكي

كثير الفضائل جمّ المحاسن جامع من العلم والادب بين العنب والرّطب

(١) وبلها : أمطارها .

(٢) شمال : سريع .

(٣) طام : غزير فياض .

(٤) ريبال : أسد .

(٥) أكفال : مفردا كفل ، أي ما يحفظ الراكب من خلفه .

فصيح اللسان والقلم وهو من رياحين الحضرة وطال ما نفذ منها رسولاً إلى الخليفة
القادر بالله رضي الله عنه فأحسن السفارة واستوفى العبارة وهو الآن يتولى أوقاف
الهند ، وله شعرٌ يدخل على الأذن بلا اذن كقوله :

إِنْ شَابَ رَأْسِيْ فَالْمَشِيبُ مَوْقُرٌ وذوو العلوم بشيبيهم يُتَبَرَّكُ
وَالشَّيْبُ تَغْتَفِرُ الْغَوَانِي^(١) ذَنْبَهُ ما دام ذاك الشيء فيه يُحَرَّكُ
وله :

وذي عينين كحلاوين يرمي بسهمهما سويداء الفؤادِ
المُ بعارضيه نصف لامٍ وهمٌ بشاربيه نصف صادِ
وله في الهجاء :

ابو بكر بن حمدان	بلا أصلٍ ولا فضلٍ
كأنَّ الله صوره	من الأعجاب والبخلِ
إذا شاهدتَ طلعتَه	دعوتَ عليه بالثُّكلِ
ترى ما شئتَ من حمقٍ	ترى ما شئتَ من جهلٍ
ترى نغلاً ^(٢) على بغلٍ	ترى ندلاً بلا بذلٍ

١٦٩ - ابو الفتح المظفر بن الحسن الدليغاني

كان من وجوه خدم الحضرة وأعيانها يرجع الى أدبٍ وفضلٍ وحسن نظمٍ ونثرٍ
وتقلد الاشراف بنيسابور فلم يلبث ان اشرف على الآخرة واختصر بالحتل منذ أشهر
وكان قرأ كتابي في التغزل بمأتى غلامٍ مختلف الأوصاف والأحوال والصناعات
والمذاهب فانشدني لنفسه في غلامٍ كرامي :

(١) الغواني : الحسنات .

(٢) نغلاً : فاسداً ، والنغل هو الحيوان المتولد من الحصان والأتان .

وريمِ أصار الخانقاه كناسه^(١) وعارض عمداً رغبتني فيه بالزهد
أطال مواعيدي فقلت له أما تعبدت في دين الهوى بسوى الوعد
فقال اقتصر مني على الوعد في الهوى فقد صح إيماني على قولي الفرد

وانشدني لنفسه من قصيدة في شمس الكفاة رضي الله عنه والاشارة عليه
باصطلام أعدائه الذين سعوا به وأعانوا عليه :

فسد الزمان فما ترى إلا ذئاباً أو ذبابا
هذا يصول فان يُصب لم يألُ عقراً^(٢) وانتهابا
ويحومُ ذاك على أذا ك فلا تزال به مصابا
فابسط حسامك في الذئبا ب فلا تدعُ ظفراً ونابا
واصببْ على الذبّان من عذبات مقرعك العذابا

وله من قصيدة في الشيخ العميد أبي سهل الحمدوثي أدام الله عزّه :

بابي طلوعك أيها القمر حتى متى يا بدرُ تُنتظرُ
يا مجملاً فيه الجمال له خضرٌ كحظي منه مختصرُ
العشق أوّل مرّة نظر كم خاض في دم عاشقٍ نظر

ومنها :

والمجدُ يحمدُ فعل أحمده في كلّ ما يأتي وما يذر
الحمدويّ المكتفي بندي كفيه إمّا أمسك المطر

ومنها :

وكفى الوزير مهمّة فغدا منه بحيث السّمع والبصرُ

(١) الخانقاه كناسه : الخانقاه هي المكان الذي يتعبد فيه المتصوفة ، والكناس : بيت الغزال .

(٢) لم يأل عقراً : لم يتوان ولم يمتنع عن العضّ .

فاذا دجا خطب^(١) يفرجه
 بعزيمة كالسهم ماضية
 غرس الصنائع في الوري فغدا
 لا يخش صرف الدهر زائره
 يا مثرياً من كل مكرمة
 لي حاجة وقضاؤها أم^(٥)
 ومتى يكن عمراً لها أحد
 لا زلت ما سجع الحمام وما
 في عيشة لا جوها قتر
 عن وجهه آراؤه الزهر
 يرتد عنها الصارم^(٢) الذكر
 يُجنى له من شكرهم ثمر
 فذراه من أحداثه وزر^(٣)
 إني إلى جدواك^(٤) مفتقر
 سهل عليك وما لها خطر
 فالشيخ سيدنا لها عمر
 نفح النسيم ونور الزهر
 فيه ولا في صفوها كدر

وقال :

ولقد يثست من الرئيد
 وضربتهم عرض الجدا
 وغسلت من معروفهم
 س ومن بنيه زائده
 ر فليس فيهم فائده
 كلتا يدي بواحدة

وقال :

أثرنا خبايا العيش في جنب خابية بأجذب^(٦) حنان وحدا حانية

١٧٠ - أبو نصر أحمد بن محمد الخالدي

أديب بارع شاعر حسن الشعر من المقيمين بغزنة يقول :

-
- (١) دجا خطب : أي أظلمت الدنيا وتراكت المصائب .
 (٢) الصارم الذكر : السيف القاطع .
 (٣) الوزر : الملجأ .
 (٤) جدواك : عطايك ومنتك .
 (٥) أمم : قاصد .
 (٦) الأجذب : المكان المحل الذي انقطع عنه المطر .

متى شملتني صحّة وفراغٌ وقوتٌ به لي غنيّة وبلاغٌ^(١)
وأصبحتُ لهفاناً على ما يفوتني فرأسي رأسٌ ليس فيه دماغٌ

ويقول :

قلْ للنّووم عن التّفَضِّ ل وادعاً وسط الكرى مة
أحسن فإنّ الحرَّ عب دُ للمبرّة والكرامة

وله :

قاصرٌ لنا ابليسٌ يشهد أنّه ما في الفضائح مثله ابليسٌ
فكأنّما زُبْرُ الحديد^(٢) فيأشل^(٣) وكأنّما مفساه مغناطيسٌ

١٧١ - ابو الفتح المظفر بن صالح الرازي المدير

أحد من انتقل من الرّي في صحبة الرّاية السلطانيّة أدام الله نصرتها وتصرف
على خدمة الحضرة وهو القائل في سيلٍ أتى بالريّ بعيد ارتحال الموكب العالي
عنها :

أتى كالطود أحمر في اصفرارٍ كأنّ قرأه ضمّخ بالخلوق
أتانا تجرف الدّنيا بليلٍ لحاه الله من زورٍ طروق^(٤)
تغنم فرصةً ونوى بيّاتاً لأنّ البحر مال عن الطّريق
ولولا رحلة الملك المرجّى لما جسر السيول على الطّروق

(١) بلاغ : اكتفاء .

(٢) زبر الحديد : قطعه .

(٣) الفياشل : الحشقات ، ورأس كلّ محوّق مفردة فيشلة .

(٤) لحاه الله من زور طروق : أي لعنه من زائر طارق أثناء الليل .

خاتمة الكتاب

يشتمل على ذكر أقوامٍ مختلفي الترتيب متفاوتي التاريخ غير معطين حقوقهم من التقديم والتأخير وهم من كلِّ الأقسام الأربعة فبعضهم من استفدتهم بآخرة ومنهم قوم ما أنسانيهم إلا الشيطان أن اذكرهم في أماكنهم فقد جمعت في هذا الفصل محاسنهم على ما خيلت وكتبت من لطائف غررهم وملحهم ما يجري مجرى الحلواء التي تُقدّم في أواخر الموائد ويكمل به الكتاب والله وليّ التوفيق .

١٧٢ - ابو محمد لطف الله بن المعافي

يقول :

وهم الكرام السادة الأشرافُ
خبزُ الشعير اذا علاه جفافُ

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم
وبقيت في خلفٍ كأنَّ وجوههم

ويقول :

ومالا أشتهيه اليّ يأتي
ومن أهواه شص^(١) في لهاتي

أرى ما أشتهيه يفرّ مني
ومن أهواه يبغضني عناداً

(١) شص : بعد - ومنع .

كَأَنَّ الدَّهْرَ يَطْلُبُنِي بِثَأْرِ فَلَيْسَ يَسْرُهُ إِلَّا وَفَاتِي
وهو القائل :

وَهَلْ يَذْخِرُ الضَّرْعَامُ قُوْتاً لِيَوْمِهِ إِذَا أَذْخَرَ التَّمْلُ الطَّعَامَ لِعَامِهِ
هذا البيت لابي العلاء المعري^(١) .

١٧٣ - ابو القاسم علي بن مسرة البغدادي

يقول :

زَعَمْتُ أَنَّمَا هَوَايَ مُحَالٌ أَتْرَاهَا ظَنَنْتُ نَحُولِي^(٢) انْتِحَالاً
وَلَقَدْ زَارَنِي الْخِيَالُ فَمَا صَا دَفَّ مَنِّي الْخِيَالُ إِلَّا خِيَالاً
بِتُ أَرَعَى النَّجُومَ فِيهَا وَبَاتَتْ مِنْ وَرَاءِ السُّجُوفِ^(٣) تَنَعَّمَ بِالَا
وَشَكُوتُ الْهَوَى إِلَهَا فَقَالَتْ حَضْرِي يُنْمُقُ الْأَقْوَالَا
وقوله :

أَلَفَ الْحَوَادِثُ مَهْجَتِي فَأَلْفَتْهَا بَعْدَ التَّنَافُرِ وَالْكَرِيمِ أَلُوفَ
لَيْسَ الْبَلَاءُ عَلَيَّ صَنْفَافاً وَلِحْدَاً لَكِنْ عَلَيَّ الْيَوْمُ مِنْهُ صَنُوفَ

١٧٤ - محمد بن أحمد الشيرجي

أديبٌ فقيهٌ ظريفٌ شاعرٌ خليعٌ يقول :

يَا خَلِيلِيَّ عَرَجَا بِي إِلَى الْقَفِّ صِصْ وَحُطَّا الرِّحَالُ بِالْبِرْدَانِ

(١) كذا بالأصل .

(٢) نحوي : هزالي .

(٣) السجوف : ما يستر به .

واتركاني من التفقه في الدين . من فحسبى تعلّمي ما كفاني
واسقياني على وجوه الغواني واصطفاق النّيات والعيدان

ويقول :

إلق الدّساکر والمعاصر والسّواحر والزّوامير
ودع الدفاتر والمحابر والقماطر والمساطر

وكتب الى صديق له يستزيه :

اليوم	يوم	انجحار ^(١)	ويوم	ايقاد	نار
ويوم	عزف	وقصف	ويوم	شرب	عقار
وكل	هذا	لدينا	فاحضر	مع	الحضار

وكان كثيراً ما يقول لاخوانه : أنعم الله صباحك وأدام لرأسك الخضرة ولوجهك
الحمرة ولوجه حاسدك الصقرة .

١٧٥ - أبو الفضل أحمد بن محمد الكاتب

ثقيل وزن الفضل خفيف روح الشعر ، يقول :

دخلت إلى النّخّاس يوماً وعنده	غلام صبيح الوجه أتلع ^(٢) أحور
فقلت له هذا الغلام تبيعه	فقال به عيبٌ وذلك يُستر
فقلت فأظهره فقال أباه	فقلت رضىً بالعيب فالظبي ينفر

ويقول :

قد قلت والصدغ على خده كالليل يبدو تحته الفجر

(٢) أتلع : مدّ عنقه متطاولاً .

(١) انجحار : دخول الجحر .

البدْرُ من أبراجه عقربُ فصار برجُ العقربِ البدْرُ

١٧٦ - أبو المظفر عبد الجبار بن الحسن البيهقي الجُمحيّ

كثير المحاسن حلّو الأدب مليح الشعر يعيش في ظلّ الكفاية ويخدم السلطان
ويعاشر الاخوان ويقول مثل قوله في بعض الصدور :

وإنّ أبا سعد لعائن ربّنا عليه لشيخٍ حامضٍ في المشايخ
فلو أنّني وكّيتُ شُغلَ وكالةٍ لوفّرت من خديّه خلّ المطايخ

وقوله :

وجه أبي العبّاس ما أصلده^(١) نعم ويوم البعث ما أسوده
يخيبُ من يرجوه في يومه ثم مع الخيبة يخشى غده
قلّ لمليك الشرق هذا الذي يكتب في الديوان ما أبرده
إنّ شئت ان تبسط بين الوري عدلَ أنوشروان فاقبضُ يده

وقوله :

دخلتُ على أبي سعدٍ وآنّي ادخله على ودٍّ سقيم
رأيتُ لديه كُتّاباً ظرافاً حيّارى حول محزونٍ كظيم^(٢)
تصوّر لي ملائكةً كرامَ قعودٍ حول شيطانٍ رجيم
ففي ديوانه كرمٌ ولكن مدارعه^(٣) تُزّرّ على لثيم
يعزّ عليّ ان يلقاه شّمي بلا ضربٍ اكّره أليم

(١) الصلّد : القاسي الصلب .

(٢) كظيم : حزين القلب أسوده .

(٣) مدارعه : أي ما يدّرّع به من ثيابٍ وغيره .

وقوله من قصيدة :

عبد الكرى متصافح متعاقب	عبق بكفى من خيال طارق
واظل أبكي من فراق صادق	فأبيت أضحك من وصال كاذب
لكن ألاحظه بعيني فاسق	إنني أصافحه بكفى صائن
اعشقن مهجة كل صب ^(١) عاشق	ما للهموم ألفن كل متيم

١٧٧ - أبو منصور علي بن أحمد الحلّاب

شاب كان متقدّم القدم في الفضل والأدب كتب في ديواني الرّسائل بنيسابور والرّي وبرع وخدم وخدم وقد ذكرت له أبياتاً في مريّة صديقه أبي بكر الصّبغي وكتبت الآن ما أنشدني لنفسه قوله في خطّ العذار :

كم سقيت الدّموع عارض حتّى	اشتهدى خطّه على غير حين
فتباطى النّبات حتّى إذا ما	رويت خدّه وجفّت شؤوني
دار فيها السّواد وهو شبهه	يخطى النّمل في جنّى الياسمين
كيف أستنكر العذار نباتاً	وهو من عبرتي وزرع جفوني

وقوله :

حلّى المشيب محلاً	عن كلّ ورد التّصابي
ما للغواية والصّبا	به غير ريعان الشّباب

١٧٨ - أبو سهل الجنبذى الكاتب

من كتّاب الرّسائل في ديوان السّلطان الأعظم وليّ النّعم أدام الله ملكه ومن الأدب والفضل بحيث يضرب به المثل وله شعر يجمع الحُسْن واللّطف والظّرْف كما

(١) الصّب : العاشق المشتاق .

أنشدني الحاكم أبو جعفر محمد بن اسحاق البجلي قال أنشدني هذا الشيخ لنفسه :

أفدى فتاةً حرمتُ ظلماً عليّ جمالها
ودَّ الهلالُ بأن يكونَ لساقها خلخالها
قد واعدتني زورةً تشفى الجوى^(١) فبدالها

وأنشدني أيضاً قال أنشدني لنفسه :

سقياً لزائرة زارتُ على عجل
في ليلةٍ بات شمل الانس مجتمعاً
قطعت أوكها شرباً وأوسطها
حتى بدا الصبح محمراً ذوائبه
قالت تودعني والعينُ باكيةً
والليل ألبس غيطان^(٢) الفلا غسقا
فيها وشمل الأسى والحزن مفترقا
سكراً وآخرها ضمماً ومعتنقا
كأنه موقدٌ في أفقه سدقا^(٣)
يا ليت أن بياض الصبح ما خلقا

١٧٩ - أبو طالب محمد بن علي بن عبد الله

المعروف بالبغدادي المستوفي

أخبرني أنه واسطي خدم الصاحب والأجلة واقتبس من أنوارهم في صباه
وانتقل الى خراسان فشاخ بها على الاستيفاء في الديوان وكان أديباً كاتباً حاسباً كريماً
فاضلاً به طرش يسير وله حفظ كثير وطلع بنيسابور فأطلع شمس فضله وأنشدني
لنفسه :

إن كنتُ عندك يا مولاي مطرَحاً فعند غيرك محمولاً على الحدق

(١) الجوى : شدة الوجد والحب والاشتياق .

(٢) الغيطان : السهل المنخفض الواسع من الأرض .

(٣) السدق : ليلة الوقود معرب سدة .

وأنشدني لنفسه في قائد اسمه فولاذ :

قالوا امتدح فولاذ فاسعد به
فقلت لا يغرركم بره
لو أنه الزبيق لم يجر لي
فالحرّ بالأحرار يعتاذُ
فإنه في اللوم أستاذُ
فكيف تجري وهو فولاذ

وله في الأمير حسنك رحمه الله تعالى :

أبدى لك الدهر في أحواله عبّرا
أنظر بعين النهى في حسنك لثرى
صلبٌ ورجمٌ وحزّ الرأس بعدهما
لو كنت يوماً بما تلقاه مُعتبرا
سحاب كلّ بلاءٍ أرضه مطراً
من يقهر الناس في سلطانه قهراً

وانتقل الى جوار ربّه منذُ سنّيات وله ابن نجيب أديب في ديوان الاستيفاء
بالحضرة يكتى ابا غالب .

١٨٠ - أبو عدي الشّهْرزُوريّ

له شعر مدوّن قد انتخبت منه قوله :

حصلتُ وعدك سيدي وكفى به ثقةً لآمل
لكنني كالنّاس مشغوف الفؤاد بكلّ عاجل

وقوله :

ربّما كان واحداً يغلب الألف زائدا
ربّ ألف رأيتهم لا يُساوون واحدا

وقوله :

وأنت كالماء يُروى النّاس كلّهم ورُبّما شرق^(١) الانسان بالماء

(١) شرق : غصّ .

١٨١ - أبو منصور محمود بن عليّ المهلبيّ العماني

حدثني أبو الحسن علي بن محمد الحاجبي بالجرجانية قال كنت في أواخر أيام السّامانية أحرّر في ديوان الرّسائل ببخارا مع جماعة من المحرّرين وصاحب الدّيوان اذ ذاك أبو علي محمد بن عيسى الدّامغاني ومعنا في الجملة أبو منصور المهلبيّ وكان أشعر القوم وكان فينا واحد يعرف بأبي الفوارس النّيسابوري رديّ الخطّ غليظ الطّبع كثير الكتب قليل الأدب يتعاطى الشّعْر ويفتضح فيه فمدح أبا عليّ بما اضحكه والقوم فأمر المهلبيّ بهجائه ووصف خطّه وبلاغته فقال أبياتاً منها :

وكاتبٍ كتبه تُذكرني الـ قرآن حتّى أظلّ في عجب
فاللفظ : قالوا قلوبنا غُلفاً^(١) والخطّ : تبتّ يديّ أباي لهب

فأعجب أبو عليّ بقوله وأمر له بصلّة ولمّا رأى المهلبيّ ميل أبي عليّ الى وصف خطّ أبي الفوارس قال فيه يخاطب أبا عليّ :

يا سيّد السّادات في المجالس	أما ترى خطّ أباي الفوارس
كأنّما يكتب بالمكانس	فميّمه كمنخَر الأفاطس
وجيّمه كرجل بغلٍ رافس	وسينه كأرجل الخفافس
وواوه مغرفة الهرائس	ولامّه شريحة ^(٢) المحابس
وما تراه الدّهر غير عابس	أو ناكساً ^(٣) لرأسه كالنّاعس
يدرس طوماراً بفهم دارس	أو قائلاً شعراً بشقّ هاجس
أو غايصاً في لُجّة الوسائس	كأنّه من جملة الأبالس
فارم به في شوق ليثٍ ناهس	فبئس للكتّاب من مُجالس

(١) غلف : أي لا تفقه ، عجز عليها .

(٢) شريحة : جديلة من القصب .

(٣) ناكساً : مطاطناً

قال ولما قلّد أبو محمّد عبد الله بن محمد بن عزيز الوزارة ببخارا مدحه أبو منصور المهلبّي بيتين فوصله بألفي درهم وهما :

أرى الله البريّة كلّ خيرٍ وجنبهم بفضلٍ كلّ ضير^(١)
وردّ حياتهم بيني عزيزٍ كما ردّ الحياة على عزير
وأنشدني غيره للمهلبّي :

قد أولعَ النَّاسُ في الدُّنيا بأربعةٍ أكلٍ وشربٍ وملبوسٍ ومنكوحٍ
وغايةَ الكلِّ إنّ فكّرت فيه إلى روثٍ وبولٍ ومطروحٍ ومفضوحٍ
وله :

إذا اعتلّ برذون الفتى وهو واحدٌ فصاحبه حتّى يصحّ عليل

١٨٢ - أبو منصور نصر بن أحمد بن سعد السّعدي

أنشدني الشّيخ أبو الحسن مسافر بن الحسن أيّده الله له :

أكرمُ أليفك ما استطعت فإنّه ما دمتَ تكرمه فأنت كريمٌ
فإذا أضعتَ ذمامه وتركته تركتكَ الفقه وأنت مُليمٌ
وله في ذمّ صديقٍ :

الفلّكُ تجري في البحار وأنّني أجريه منك على الصّفا والجندل^(٢)
الله يعلم ما أقاسي دائماً من سوء خلقك يا نقيع الحنظل^(٣)

(١) الضير : الأذى والمكروه .

(٢) الجندل : الصخر .

(٣) الحنظل : نبات مرثمه .

وله :

يا جامعَ المالِ كي تَضُنَّ به^(١) تطمعُ واللهُ في الخلودِ معةً
هل حملَ المالَ مِيتٌ معه أما تراه لغيرِ مَنْ جمعةً
وممّا ينخرطُ في سلكِ هذا النّظامِ قولُ بعضهم :

يا جامعاً للمالِ يا مانعاً ألم تثقُ بالرازقِ الباعثِ
مَنْ شحَّ بالمالِ على نفسه جاد به قهراً على الوارثِ

١٨٣ - أبو الفرج أحمد بن عليّ بن خلف الهمداني

في نهاية الفضل وحسن النثر وملاحة الشعر وقد ذكرت له عند أبيه هذين البيتين المرتفعين في الحسن عن النعت الجارين مجرى السحر :

لئن كنتُ في نظمِ القريض^(٢) مبرّزاً وليست جدودي يعربُ وأياد
فقد تسجعُ الورقَاءُ وهي حمّامةٌ وقد تنطقُ الأوتارُ وهي جماد

ولم أكن أحفظ إذ ذاك غيرهم ثمّ اكتبني الشيخ أبو بكر أيده الله بعد حين من الدهر ما كتبته في سويداء القلب كقوله :

تعيّرني وخَطُ المشيبِ بعارضي ولولا الحجول البيض لم تحسن الدّهم^(٣)
حنى الشّيبِ ظهري فاستمرتْ عزيمتي ولولا انحناءُ القوس ما نفذ السّهم

(١) تَضُنَّ به : تبخل وتحرص عليه .

(٢) القريض : الشعر .

(٣) الدّهم : ثلاث ليالٍ من آخر الشهر القمري .

وكقوله :

وشرابنا حلبٌ له مختوم
عمداً لكي يتضاعف التحريم

ولربّ كرمٍ نقلنا أعنابه
فجمعت بين الأمّ فيه وبناتها
وكقوله من قصيدة فريدة بدعية جداً :

ومنعماً غصّ الجمال ربّيا
عيشاً كما يرضى التّصابي طيبا
يوفي على غصن الأراك^(١) خطيبا
من أن تُفارق سهمها فتغيبا
أبدأ على مدح الملوك نسيبا
طماحة حتّى تراه طروبا
ورأيت رأى العاشقين مصيبا
بعجاجة^(٢) تذر الشّباب مشيبا
وثبت في قلب الخميس^(٤) وجيا^(٥)
ترجو مقاماً للكّماة عصيبا
دون الهجير^(٦) سرادقاً مضروباً
تقتات منهم أعيناً وقلوبا
أوفاهم في المكّرمات نصيبا
وبه أعدّ اذا افتخرتُ حسيبا

لا تعذّليني إنّ ذكرت كثيبا
ومنازلاً قضيتُ بين خيامها
لولا اشتياقُ الالف لم ترَ طائراً
ولقد ترنّ القوس وهي صليّة
وكفّاك من شرف الهوى تقدّمنا
مهلاً فلسّت ترى الفتى ذا همّة
أمّا تراني فقد ولّهتُ صباةً
فلربّ يومٍ قد حجبت سماءه
غادرتُ صدر السّمهرية^(٣) مرعداً
سرّنا فسارت للنّسور عصائبُ
وقيننا شمس النّهار وصرن من
فليجزّين صنيعها بفوارس
وأبي الذي شهد الكرام بأنّه
هوبي اذا الأبناء عدّوا مُنجبُ

(١) الأراك : شجر طيب الرائحة .

(٢) العجاجة : كثرة الصراخ .

(٣) السّمهرية : من الرماح .

(٤) الخميس : الجيش من فرق خمس .

(٥) الوجيب : الخفقان والرجف .

(٦) الهجير : الحرّ الشديد ، وهو الوقت الذي تكون فيه الشمس ظهراً .

كالبحر ولد درّه والغيث أند
أصل وفرع طيّان كلاهما
وكقوله في حال انقضت :

قرباً الأشقر الأغر فإني
ورأيت الثواء في بلد الذل
وتخيرت للحروب قنّة^(٢)
فأجيزا عني الكؤوس فإني
ودعاني من الأغاريد الأ
ولخير من أن نعيش لثاماً
وقوله من قصيدة :

نشفت بأنفاسي نطاف^(٤) المناهل
ورحمت بقلب في الظعائن سائر
وأنكر جاراتي خضاب ذوائي
فيا عجبا منهن ينكرن باطلاً
وكنت متي أبدي النصول^(٥) بياضها
فسل مشيبي من خضابي كأنما
وقوله من أخرى :

شكر لآلاء الوزير فإنه

ببت روضه والمسك أبدى طيباً
ما فيهما أمر تراه معيباً

يا خليلي قد ملئت المقاما
حماماً^(١) وان أمنت الحماما
صعدة^(٣) صدقة وسيفاً حساماً
قد ألفت السرى وعفت المداما
من طنين السيوف يفلقن هاما
مستذلين ان نموت كراماً

فأخلفتها دمعي بسحب هواطل
حيث ودمع بالأباطح سائل
وهن به زين بيض الأنامل
عليّ ولم يحلين الأ بباطل
رأيت نصولاً ركبت في مقاتلي
تسل من الأغمداد بيض المناصل

أحى نفوساً قد كمدن تروعا

(١) الحمام : الموت .

(٢) قنّة : رمح .

(٣) صعدة : مستوية لا تحتاج إلى تقويم .

(٤) نطاف : الماء السائل قليلاً .

(٥) النصول : السيوف .

لنداه في انجازها متوقعا
وعزوف^(١) نفسي أن أرى متوجعا
ذلّ السؤال وجدّ به متبرعا
كان الذي يأتيه أحسن موقعا

ولئن تبقت لي مآرب لم أزل
يأبى حيائي أن أطيع بيانها
ولأنت تعلم ما أريد فوقني^(٢)
وإذا الفتى سبق السؤال بفعله
وقوله :

سيصني الى لومها الألام
ويخلع خلته الأرقم^(٣)
ويعظم في عيني الدرهم
وموقفه في الندى أكرم

تلوم اميمة أني سخوت
أأمنع ما ملكته يدي
فيمنح من جسمه بعضه
إذا هو أولى بنيل العلى

وقوله :

مسار غمام او مشار حمام
ولا انقبضت الا لهز حسام

ولي أنمل^(٤) تغني وتفني كأنها
فما انبسطت الا لاغناء مقتر^(٥)

وقوله في الزهد :

آية للمهيمن الجبار
ونجوم تجري بغير اختيار
فوق أرض رست بغير قرار
مونق الرّوض مورق الأشجار

في ظلام الدجى وضوء النهار
فلك دائر وقطب مقيم
وسماء قامت بغير عماد
وصعيد^(٦) يحول نبتاً نضيراً

(١) العزوف : الامتناع والترك .

(٢) وقني : من الوقاية أي اكفني وامنعني .

(٣) الأرقم : السام من الأفاعي .

(٤) الأنمل : الأصابع ، كناية عن الكفّين .

(٥) المقتر : الفقير .

(٦) الصعيد : الموضع الواسع العريض ، أو المرتفع من الأرض .

شربه واحدٌ وألوانه شت
شهد الراسخون في العلم طراً^(١)
خالقُ الخلقِ باسطُ الرزقِ فيهم
فهو الواحدُ الحكيمُ تعالى
وهو ذاك الذي إذا خفتُ أمراً
فاذا زال ما أخاف وأخشى
أيها الغافلون عن ثوب الدهـ
إن هذي الديار قد نزلت قبـ
أين أين الملوك في سالف الدهـ
كلُّ ذي نخوةٍ وأمرٍ مطاعٍ
ملكوا برهةً فسادوا وقادوا
لم تخلدهم الكنوز التي قد
لم تغتثهم^(٣) يوم الحساب ولكن

سى فمن أصفرٍ ومن جلّ نار
إنّ هذا من صنعة الجبار
مالكُ الملك عالمُ الأسرار
عن شبيهه وعن شريكه وجار
قلتُ يا ربّ نجّني من حذاري
عدتُ في سكرةٍ وفي إصرار
ر وناسون سطوة الأقدار
ل وحلت فآين أهل الديار
ر وما أثروا من الآثار
وامتناعٍ وعسكرٍ جرّار
ثم صاروا أحدثه السّمّار
كثروها من فضّةٍ ونُضار^(٢)
حملوا وزرها مع الأوزار^(٤)

١٨٤ - أبو الحسين الحسيني الهمداني

هو والد عبّاد سبط الصّاحب وكان بهمدان في الشّرف والجاه واليسار كيحيى
ابن عمر العلوي ببغداد وفي الأدب والشّعركالرّضي والمرضى الموسويين بها وكان
الصّاحب يفتخر بمصاهرته ويتشرف بمواصلته وكان من أعظم الرؤساء مروءةً
وأوسعهم رحلاً وكان له ندماء فضلاء ادباء لا يُغَيّبونه ولا يغيّبون عن مائدته وكان يسأل
كلّ واحدٍ منهم عمّا يتشّهاه من الأطعمة فيأمر الطّباخ باتّخاذها واحضار جميعه فيأكل
بشهواتهم وقال لهم يوماً تعالوا بنا نتكرّم اليوم فقالوا وأيّ يومٍ لا يتكرّم سيّدنا فيه قال

(١) طراً : قاطبة .

(٢) النضار : الذهب .

(٣) لم تغتثهم : لم تنقدهم وتقدّم لهم المساعدة .

(٤) الأوزار : الأثام .

نتكرم من الكرم لا من الكرم قالوا كيف تعمل قال نستغرق مرافق الكرم ومنافعه ومصالحه فنستوقد بقضبان الكرم ونأخذ سكباجة وقلية حصرمية وحلواء ديسية ونشرب العيني وننتقل الزبيب فقالوا لا اختيار على هذا الرأي فأمر بذلك كله وطاب يومهم وكنت علقت له أبياتاً ضاعت وعلق بحفظي منها قوله في جارية تحمل شمعة :

خطرت^(١) لنا قبل العشاء بشمعة تحكي بها شكل القنا الخطار^(٢)
فكأنما طعنتُ بها عشاقها فتكللتُ بدل النجيع^(٣) بنار

وقوله من قصيدة :

أعينا على تسويفه^(٤) واعتلاله وتكديرها بالهجر ماء وصاله
لئن كانت الأيام ضنتُ بقربها فإنّ الليالي اسعفتُ بخياله

ومنها :

ينفر عنه النفس سوء فعاله ويدعو اليه القلب فرط جماله
ألا ربّ يومٍ قد نعمتُ بقربه إذا العيش في ريعانه واقتباله

ومنها قوله من قصيدة صاحبة :

إني وإن كنت من يدنيه أبطحه الى الفخار وتنميه أخاشبه
حتى تعلّيه طوراً فواطمه الى النبيّ وأطواراً زيانبه
لعبد أنعمك اللاتي ملأن يدي طولاً وميزتني عمّن أناسبه

(١) خطرت : مرت بدلال .

(٢) القنا الخطار : الرمح النافذ .

(٣) النجيع : الدم .

(٤) التسويف : الماطلة في الوعد .

وكتب الى الصّاحب مع طبق فضة فيه من نداء الملوك وذلك قبل العيد :

العيد زارك نازلاً برواقك يستنبط الاشراق من اشراقك
فاقبل من النداء^(١) الذي أهديته ما يسرق العطار من أخلاقك
والظرف يوجب أخذه مع ظرفه فأضف به طبقاً الى أطباقك

والجواب عنه في نهاية الظرف وقد ضاع في جملة ما ضاع ، وسهم الرّايا
بالذخائر مولع ، ولئن عثرت عليه الحقته بحاشية هذه الورقة ان شاء الله تعالى .

١٨٥ - أبو الحسين التّغليّ

أنشدني الشّيخ أبو بكر أيّده الله قال انشدني ابن أبي علان الأهوازي لأبي
الحسين التّغليّ في مدح الصّغار من قصيدة :

وإذا رمقت^(٢) بحلظ طرفك في العلى
وصغيرة الخمس الأصابع أنّها
والرمح أصغر عقدة فيه التي
وكذلك الدينار يُصغر حجمه
نجماً صغيراً فهو فوق الأنجم
أولى بزينه خاتم المتختم
عند السّنان وذاك صدر الهذم^(٣)
وهو الثّمين تراه فوق الدرهم

وأنشدني غيره في أمره متكبّر :

تكبر لما رأى نفسه
سيندم ألفاً على كيرو
على هيئة الشّمس قد صوّرت
إذا الشّمس في وجهه كوّرت^(٤)

(١) النداء : عود طيب الرائحة .

(٢) رمقت : نظرت وتطلعت بغنج ودلال .

(٣) الهذم : السيف الفاطم .

(٤) كورت : جمعت ولّفت كما تلفّ العمامة .

١٨٦ - الخليل بن أحمد القاضي السجزي

من أفضل القضاة وأشهر أدبائهم وله شعر الفقهاء كقوله :

الشَّيْبُ أبهى من الشَّبَابِ فلا تهجَّته بالخضابِ
هذا غرابٌ وذاك بازٌ والبازُ خيرٌ من الغرابِ

وقوله :

من أراني في غلوٍّ في الجفا ما لم اره
فانتقامي منه أن أخجله بالبرِّ به

وقوله في الهزل :

إذا نامتِ العينان من متيقِّظ تراختْ بلا شك تشانيج فُفَّحته^(١)
فَمَنْ كان ذا عقلٍ سيعذر ضارطاً ومَنْ كان ذا جهلٍ ففي وسطِ احبته

وقوله في الجدِّ :

جنبي تجافى عن المهاد خوفاً من الموت والمعاد
مَنْ خاف من سكرة المنايا لم يدرِ ما لذَّة الرُّقاد
قد بلغ الزرع متناه لا بدَّ للزرع من حصاد

١٨٧ - أبو درهم البندنجي

أنشدني الشيخ أبو بكر أيده الله تعالى له من نتفة :

متى ما أقل مولاي أفضل منهم أكن للذي فضَّلته متنقِصا
ألم ترَ أنَّ السِّيفَ يزري به الفتى إذا قال هذا السِّيفُ أمضى من العصا

(١) ففحته : فتحة المؤخرة .

وله أيضاً :

الم تر هذه الدنيا حطاماً توقد بيننا فيه الحروب
إذا نافست فيه كسك ذلاً ومسك في مطالبه اللغوب

١٨٨ - أبو محمد يحيى بن عبد الله الأرزني

أحد مدرّسي اللغة ببغداد واصحاب الخطوط بها حدثني ابو الفضل التميمي
قال كنت يوماً معه في دار بهاء الدولة فجلسنا على برجٍ منها مُطلّ على دجلة مع فتى
أسمر مليح وأخذنا نشرب من نبيذ التمر فارتجل أبياتاً منها :

كأنا على البرج المطلّ غُدِيّةً لنا منزل بين السّماكين والنّجم
ومن دوننا فيحاء قد نسجت لها يد المزن أفواهاً من الوشي والرقم^(١)
ودجلة تحكي في أطراد حُبابها^(٢) مضاعفة التّسجين محكمة النّظم
وكاساتنا تجري بسوداء مالها إذا انتسبت غير الاشاءة^(٣) من أم
ولو كان في عمر الحبّيس معرّسي^(٤) إذا لأتت صهباء من حلب الكرم

[الحبّيس كان من بلاد الشام أو الجزيرة]

ولكنّما أزرى بنا أنّ دارنا ببلدة لا خالٍ يعدّ ولا عمّ
بلى قد زهاها أنّ لونك لونُها فجاءت تضاهي المسك في اللون والشمّ

وأنشدني غيره له في امرأة تزوّجها فلم تحمدها وشبهها بالنّرجس ذاماً لها :

أبنت أبي إسحق هل أنت نرجسُ فإنّ كلا شخصيكما متماثلُ
فساقاك خضروان والرأسُ أبيضُ ووجهك مصفرٌ وجسمك ناحلُ

(١) أفواهاً من الوشي والرقم : أثواباً رقيقة شفّافة موشحة بالوشي والطرز .

(٢) الحباب : الفقاقيع التي تعلقو الماء والخمر .

(٣) الاشاءة : أشاء أشاءة : أي التجأ اليه .

(٤) التعريس : نزول المسافر للاستراحة .

١٨٩ - أوحـد المـلك أبو طاهر الحسن بن أحمد بن حسـول

يلقب بالأستاذ أوحـد الملك ويرشح للوزارة ومحله محلّ الوزراء وهو ابن عمّ الأستاذ صفـيّ الملك أبي العلاء وله بلاغة بالغة وشعر مع قرب لفظه بعيد المرام مستمرّ النظام كقوله :

اشربْ فقد أقبل الربيع بلا	مطلٍ وخلّ العذول في تعب
وسقني قهوة معتقة	كأنها جذوة من اللهب
وانظر الى السن الرياض وقد	نضضن يتلو عوارف السحب
كأن أشجارها منورة	منقوطة بالكواكب الشهب
تسري اليها الشمال مدنفه	مسرى شفاء الى أخ وصيب ^(١)
كأتما الترجس الجني اذا	منحته اللحظ طرف مرتقب
والورق مثل القيان في كلل الـ	أغصان يوقظن هاجد ^(٢) الطرب
وخلني واسخ بي على رشاً	خلّي دموعي مفوضه السحب

وكقوله :

وأغيد يهجرني دائماً	ويمنحني الطيف من سُخطه
كأن الثريا وقد صوبت	قبيل التبّـلج ^(٣) من قرطه

وله من رسالة :

عاقنتني عن زيارة مولاي الأنواء^(٤) مضاهية تدفق بنانه بالعطاء وتموج بحره بالحباء
المرتوية من الأنداء ارتواه من الكرم والحياء ثم صدّني ايضاً ما نحن بصددّه في

(١) الوصب : المرض السقيم .

(٢) هاجد : النائم أو المصلي .

(٣) التبّـلج : الطلوع والاشراق .

(٤) الأنواء : الأعاصير .

المعسكر المأهول من الخطر المهول والوحول التي تسوخ فيها أثباج الفيول فضلاً
عن الخيول .

ومن أخرى :

غرست في فنا مولاي آمالاً متهدكة الأفنان مخضلة الأغصان فلم استثمر منها
إلا التأخر عن جماعة لم يجرؤا في الخدمة والطاعة الى أملٍ معي ولم يضربوا في
الغناء بمثل قدمي ومن أخرى :

ومعاذ الله ان استعدى على كرامة إلا بكرمه ولو أحوجت الى استفاف الثرى أو
يشاهد متي غير الثناء ولو أزار نعتي حدّ الظبي .

ومن أخرى :

قد شاهدت عهد الصبا حاضرةً وأغصان الشبيبة ناضرة .

١٩٠ - القاضي أبو علي عبد الوهاب بن محمد

امامٌ قد غزر علمه ونقى جيبه وسلم غيبه ولم يدنس ذيله واستوى في النزاهة
نهاره وليله ولا عهد لنيسابور بمثله في الزهد والورع^(١) والبعد عن الطمع وربما
يقول شعرا دباء الأئمة كقوله وأنشدني له الحاكم أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن
دوست أيده الله قال أنشدني لنفسه :

شبابٌ أنستُ بأيّامه	فولّى بأيّامه وانقضى
وأورثني عنه شيئاً أضاء	كصبحٍ أتى بعد ليلٍ مضى

قال وأنشدني أيضاً لنفسه :

ما في شكايه من به	بعض الأذية من حرج
والصبر أجمل بالفتى	والصبر مفتاح الفرج

(١) الورع : العبادة والتقوى .

١٩١ - الحاكم أبو علي الحسن بن منصور بن العلاء
الدرا بجردي النيسابوري

من شبّان الحكام سنّاً ومشايخهم علماً وفضلاً وكأنّ البحر يري عينه بقوله :
وشبيبة فيها النّهى فإذا بدت لذوي التّوسّم^(١) فهو شيبٌ أسود
وله أدب من ثماره شعر حسن كقوله في الغزل :

تجلّت كمثل الشمس فوق جبينها سلاسل من مسكٍ عُقدن على درّ
إذا نظمت تحت العقيق لثالثاً نثرت يواقيت الجفون على تير
وقوله :

وإذا مررت بموضعٍ مرّت به خلت التراب غدا فتيت العنبر
أرجأ^(٢) على أرجائه وكأثما خلط العبير به بمسكٍ أذفر^(٣)
وقوله :

ولمّا تداعوا للرحيل وودّعوا وظلّ حداة العيس^(٤) توضع بالوخد
تردّدت في تلك المواقف باكياً ومعك في آثار أحمصها خدي
وقوله في الربيع من تنفّ :
قد طال لبثك في البيوت كثيراً فاعزم إلى صحن الفضاء مسيراً
وانهض إلى حسن الرياض وطيبها تشتم مسكاً بينها وعبيراً
راقّت بدائعها فصرن كأثما ألسن من حلال الجنان حبيراً^(٥)

(١) التوسّم : التطلع والتأمل .

(٢) أرجأ : عبيراً من الرائحة الذكية .

(٣) الأذفر : ما ظهرت رائحته واشتدت .

(٤) العيس : النوق والجمال .

(٥) حبيراً : ثياباً مخططة تصنع من الكتان أو القطن .

فاحت روائحها وفاح نباتها في القلب نوراً ساطعاً وسروراً
وقوله في الخريف :

جمع الزمان محاسن الألوان واهتز اعطاف الهواء كأنما
وامتدّ ظلّ الليل في أطرافها فانظر الى حسن الزمان وطيبه
من بين أحمر قد علاه وأصفر وتمايلت تلك الغصون فأشبهت
تتطاير الأوراق في أفق الهوا خلع الرياح على الرياض نثارها
يا طيب ذاك العيش في أرجائها لو نام عنها أعين الحدثان^(١)

١٩٢ - أبو الحسن عليّ بن محمد الحميري

من وجوه العمّال بنيسابور أديب فاضل شاعر يقول في أبي علي الزاهر الشاعر
البلخي الذي وقع يسير من شعره في اليتيمة^(٢) :

لنا صديق شعره داجن لا يألف الأسفار والغربة
لكنني أنشده راعياً لحقه في قدم الصّحبة

ويقول في الغزل :

وأغيد ساحر الألفاظ أدعج^(٣) يتيه عليّ بالخذ المضرج^(٤)

(١) تظمن : تسكن .

(٢) الحدثان : الليل والنهار .

(٣) اليتيمة : ج ٤ ص ٢٩٦ .

(٤) أدعج : من كانت عينيه شديدة السواد واسعة . (٥) المضرج : أي المورد .

أفاض على فؤادي الوجد لَمَّا أضاف الى شقائقه البنفسجُ
ويقول أيضاً :

أبو الفضل أخو النِّقْص ص وعمّ الخرق^(١) والجهلِ
حمارٌ من بني آ دم محمولٌ على بغلِ

١٩٣ - أبو القاسم عليّ بن الحسين الاليماني

أصله من الرّبيّ وكان مقامه بنيسابور بعد تركه التّصوّف وكان يقول شعراً مليحاً
ظريفاً كقوله في استقبال رئيسٍ :

كيف استقبلُ من حيث مضى طار قلبي معه في سفره
فهو في غيبته يخدمه مثل ما يخدمه في حضره
وكقوله في وزيرٍ :

سيرة الشّيخ سيرةً مذكورةً وأياديه بيننا مشكورةً
إذ لديه محلّ كلّ كريم كمحلّ الكلاب في المقصورة

١٩٤ - الأمير أبو القاسم عليّ بن عبد الله الميكالي

أكبر أبناء الأمير السيّد أبي الفضل أدام الله عزّه وأدبهم وأعلمهم وهو في الكرم
هُمام وفي الطّب امام وله شعرٌ لم يخرج بعد لأنّه لا يظهره ترفعاً عنه وسوء ظنّ به فمما
اختلفه حفطي منه قوله في شدّة الحرّ :

كأنّنا والهجير يطبخنا والبقّ تقتات كلّ ما نضجنا
طبخ صيامٍ يراقبون به أدراكه والظلام أن يلجأ^(٢)

(٢) يلج : يدخل ويحلّ .

(١) الخرق : الطيش والنزق .

وسألحق ما أجده من غرره بهذا الكتاب ان شاء الله تعالى

١٩٥ - الأمير أبو العباس اسمعيل بن عبد الله

كثير المحاسن غزير الفضائل كريم النفس شريف الطبع كتب الى الأمير أبيه
أيدهما الله وكان خرج الى ناحية أبياتاً منها :

ولو أتني غداة البين^(١) أغدو امام الخيل في خدم الأمير
للاحت لي تبشير الأمانى وهشت لي أسارير السرور
ولكنني لقيد الاذن منه أقمت وجد قلبي في المسير

١٩٦ - أبو الحسن علي بن عبد الله الدكشادي

من كتاب ديوان الرسائل بالحضرة حرسها الله يتناسب وجهه وخطه وشعره
حسناً وسنه فويق العشرين وهو من أهل البيوتات بنيسابور يقول في غلام جندي :

يا من حوى جد القتال وهزله وسبى الورى بحسام طرف سلّه
صدغاه مثل الصولجان وخده ميدانه وقلوبنا كره له

١٩٧ - أبو منصور عبد الرحمن بن سعيد القائي

أنشدني الشيخ أبو بكر أيده الله له :

يا مَنْ تخطأ الى دارى فأخطاني طوباي طوباي لو قد كنت في الدار
لو أنّ لي ألف دينارٍ وكان معي نثرت بين يديه ألف دينار

(١) غداة البين : يوم الرحيل والفراق .

١٩٨ - السّلاميّ المقيم ببخارا

له ملحٌ ظريفةٌ كقوله :

قال السّلاميّ محتني عجبٌ أصغرّها في القياس أعظمّها
مَنْ ذاك أنّي اشتريت جاريةً خادمةً لي فصرْتُ أخدمها
وكقوله :

قال السّلاميّ إذا شئتَ أن تبصر محروماً ومسكيناً
فذاك مَنْ لم ترَ في كُمةٍ في زمن البَطِيخِ سَكِيناً

١٩٩ - الأصمعيّ المقيم بها

لَمَّا استوزر الشَّيْخُ أبو الحسين محمّد بن كثير رحمه الله ببخارا قال
الأصمعيّ :

صدرَ الوزارةَ أنتَ غيرُ كثيرٍ لأبي الحسين محمّد بن كثير

فأعجب به الصّدور والسّامعون واستحسنوا قرب المأخذ وسهولة
المطلع ، وممّن ذكر الكنية والاسم واسم الوالد والبلدة في بيت واحد أبو القاسم
الأليمانيّ حيث قال :

إلى الشَّيْخِ الجليل أبي عليٍّ محمّد بن عيسى الدّامغانيّ

وممّن ذكر الاسم واسم الأب واسم الجدّ واسم جدّ الأب أبو الحسين بن
بلقين في قوله لأبي الفضل العارض بالرّيّ :

أنا نرى للملك بعد حوادثٍ حدثت به وتصرّفتْ أطواراً
في ظلّ راية زيد ابن محمّد بن عليّ بن القاسم استقراراً

والأصل في مثله قول الأول :

ان يقتلوك فقد ثلثت^(١) عروشهم بعتيبة بن الحرث بن شهاب
ومما يستظرف من شعر هذا الأصمعي قوله :

قد ارتهنت قلبي غداة لقيتها وقد هيّجت شوقي الى القمر السعد
سرخسية الألاحظ مروية الحشا^(٢) بخارية الألفاظ بلخية القد

٢٠٠ - أبو علي الحسين بن أحمد الاسفرايني

من حسنات اسفرائن وأفرادها عقلاً وفضلاً وكتابةً وظرفاً ومعرفةً بالنجوم
يقول :

يا أيها الشيخُ الجليلُ الذي في غير مغناه يذلُّ العزيز
طال مقامي وانتهتْ غربتي ومسنّي الضرُّ وأنت العزيز
ويقول :

قد قلت لِمَا أن كساه الردى يوم الثلاثا بردة^(٣) الهالك
يا ملك الموتِ تسلّمته منّي فسلمّه الى مالك

٢٠١ - أبو نصر المهلبّي القائد

شاعر اسفرائنيّ المولد عراقيّ المنشأ صحب أعراب البوادي وأخذ عنهم
وتفاصح متشبهاً بهم وكتب الى الشيخ الامام الموفق أيّده الله وقد تابعت عليه
امراض في شببته :

(١) ثلثت : هدمت .

(٢) الحشا : ما انضمت عليه الضلوع .

(٣) البردة : الثوب والعباءة .

أقول لأصحابي وقد قال بعضهم
عزیزٌ علیکم أن يموت فتیٌ له
لئن غبت عن مغناک یا بن محمدٍ
وكم من سریرِ زینته يد العلی
ولم أرَ من دنیای بعدُ لذادةً
وما سرّني دسْتُ العلی وأنا الذی
أرى نفسه فی لُجّة الموتِ تغرقُ
لسانُ بحدّ الهند وانی ينطقُ
بموتٍ فكم جیبِ علیٍ یُشققُ
بریحان فضلی فی الاقالیم یخرق
ولم يتمتّع بی الغزال المطوق
بأنجم فضلی سنّة الشمس^(١) تشرق

٢٠٢ - أبو القاسم هبة الله بن محمد الاسفرائني الفقيه

أنشدت له في غلامٍ صيدلانيّ :

قد صاد باللحظ مهجتي غنجٌ عذار خديّه صولجانيّ
ما خلت كي أتقي مخائله ان يحسن الصيد صيدلانيّ

٢٠٣ - ابن هلال العسکريّ

انشدت له من قصيدته :

شقائق من تحت أغصان بانٍ كمثل العرايس من تحت كلة
ودجلة زرقاء مثل السماء وفيها زبازبها^(٢) كالأهله

٢٠٤ - ابو صالح سهل بن احمد النيسابوريّ المستوفي

هناك من الجمع بين الأدب الديوانيّ والشعر الكتابيّ وتقدّم القدم في براعة
الصناعة ما لا خفاء بمكانه وله ديوان شعر كتبت منه قوله في ابي سعد بن ارمك من

(١) سنّة الشمس : وجهها .

(٢) زبازب : نوع من السفن .

قصيدة مهرجانية مطبوعة مصنوعة . :

لو مرّ فيها حاتم لم يهتد
هام السّمّاك وقرن سعد الأسعد

سلك ابن ارمك للسّمّاح مسالكا
وسما بهمتّه التي قد ذلّت
ومنها :

حلل الثناء عليك تنشرها يدي
مرّ الزمان بقاء نقش الجلمد^(١)
وزففتها نحو الأغرّ الأصيد^(٢)
ودوام عافية وعزّ سرمد^(٣)

تهدي إليك طرائف وهديتي
تفنى الهدايا وهي باقية على
غراء بكرأ صنتها عن غيره
مهرج^(٣) على يمن وطول سلامة
وقوله في سنّة الأفاضل من قصيدة :

وأنساني الشغل بالخرد^(٥)

دهاني الشتاء بضيق اليد

ومنها :

ودين أقضّ له مرقدي
وبرد الشتاء وضيق اليد
فوافين منّي على موعد

ومما أساء له عطلتي
كانّ الزمان وهجر الحبيب
تجمعن ثمّ ترصدن لي

وهي طويلة في السهولة والعدوبة ومن حقّها أن تُكتب كلّها دون بعضها
وكذلك سائر فقره وله من سذقيّة في بعض أصحاب الدّواوين :

أصاخوا اليه وقالوا صدق
وقام بواجبه فأتسّق

إذا حدث المرء عن فضله
كفى أمر ديوانه وحده

(١) الجلمد : الصخر الأصم .

(٢) الأصيد : السيد ، الملك .

(٣) مهرج : أي افرح وابتهج ، من الهرج .

(٤) عزّ سرمدي : عزّ أبدي .

(٥) الخرد : الفتيات العذراوات .

ودبّر أعمال سلطانه ودوّج^(١) من ماله ما انغلق

ومنها :

ولو لم يقيّض لتدبيرها
وبات الرعيّة في شقوة
وأضحّت معالمها تمنح
ووالهم لم يكن يرتفق

ومنها :

أرى الناس يهدون ما استطرفوا
وكلُّ بمقدار امكانهم
وأصبحت عن شأوهم قاصراً
ولو كان في قبضتي مهجتي
ولما تعذر ما رمته
ولست لأقبح في همّتي
من البرّ ما جلّ منه ودقّ
يقيمون رسماً لهذا السّدق^(٢)
فجئتُ السّكيت غداة السّبِق
لأنفذتها نحوكم في طبق
تركْتُ تكلفاً ما لم اطق
ولكن تقاصر عنها الورق

وله من قصيدة ربعية فهي كما تراه كتابة معقودة بالقوافي كشعر البحري :

أما ترى الدّهر في أثواب جدته
تحكي البسيطة جاماً من زبرجده
كأثما ألبس الدنيا لبهجتها
فاشربْ على وجهها صهباء^(٣) صافية
وانعم بيومك هذا وارع ذمته
أما الرّبيعُ فقد أحى الرّبي فغدا
كأثما الأرض تجلى وهي ضاحكة
قد عاد فينا فتيا بعد ما هرما
خضراء حيث وضعت النعل والقدما
حلياً من النّور والنّوار منتظما
واستمع الطير والأوتار والنّغما
فانّ مثلك يرعى الحقّ والذّما
وجه الثرى عن صنوف الدّهر مبتسما
والجوّ من غيره تبكي لها ديماً^(٤)

(١) ودّج : مثى وفتح لها أبواب العمل .

(٢) السّدق : نسبة الى السّدقية إحدى البلدان

(٣) صهباء : خمرة .

(٤) ديماً : سحياً مطرة .

وأصبح الرّوض ذا شكرٍ لنعمته
وله من مهرجانيّة :
كمثل شكريك اذ أوليتني نعماً

جاءك المهرجان أطيبَ وقتٍ
من سماعٍ يزيد في الرّوح روحاً
وشرابٍ كأنه المسك نفحاً
وكتب الى صديق له في حاجة :

يا قاضي الحاج لآخوانه
يا مَنْ اذا عنّ لنا مشكلٌ
خادمه يسأله حاجةً
وله في أيام العجوز :

اليوم	يومٌ	اعتكافٍ	وليس	يوم	بُروز
ويوم	بيت	دفيءٍ	ويوم	لبس	الخزوز
ويوم	عزفٍ	وقصفٍ	ويوم	شربٍ	بكوز
فانّ	يومك	هذا	عنوانٌ	بردٍ	العجوز

وله في استبطاءٍ عامل في اقامة مرسومةٍ لحقّ الحساب :

يا ايّها الشيخُ الَّذي برّه
أغفلة ألهتك أم نية
اذا انقضى الغرُس فلا مرحباً
ابطأ عني بعد طول انتظار
نويّت في تأخير رمي الجمار
بالخرفيات التي تستعار

وله في المهرجان :

أسعدُ بيوم المهرجان
لا زلتَ يا عينَ الزّما
واشربُ على نغم القيان
ن تُصان عن عين الزّمان

وله في رئيسٍ منكوبٍ :

يا سيّد الصدر الذي
ان كان نابك حادث
فالبدرُ يكشف ساعةً
شهد الصّدور على بهائه
فلتصبرنّ على بلائه
لكن يعود الى انجلائه

وله في الشرب الدوّاء :

شربت الدوّاء فهنيته
ولا زال جسمك في صحّةٍ
والبست من شربه عافيه
وأثار أسقامه عافيه

وله ترجمة فارسيّة :

خضت بنا الماء مع الخفّ
تركتنا نغرق في جُرف

وله في محرّر ردى الخط :

اقبحُ بخطٍ محرّرٍ أقلامه
فكأنّ ما مجّت^(١) به أقلامه
لعت أنامله اذا ما حرّرا
آثار أبقع^(٢) حيث يبحث عن خرا

وله في كاتب ادعى الحساب :

يا كاتباً يدّعي الحساب وقد
دع عنك ذا العُجب لست تفرق
أوتي عجباً بحسن تخطيط
ما بين القناطر والقراريط

اذا أخذت الحساب تكتبه
حكيت ذا حرفةٍ يقال لها التّ
مقيّداً شكله بتنقيط
وقيع في الظّهر بالمشاريط

(١) مجّت : من معجج الشراب : يقذفه ويرمي به .

(٢) الابقع : الغراب .

٢٠٥ - حيدر الخجندي

استصغ بقوله :

ما ان سألتُ الله مذ ايقنت نفسي انّ الذلَّ تحت السَّوَالِ

وانّما كتبتّه تعجباً من خُرْقِهِ وحمقه في الترفع عما يدين به أفضل العالم وسيد ولد آدم
نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم ونظيره في الجهل الكثيف والعقل
السّخيف الصّوّفيّ الَّذِي كان اذا ذكر الله سبحانه لا يقول تبارك وتعالى ولا عزّ وجلّ
فاذا قيل له في ذلك انشد :

اذا صَفَتِ المودّة بين قومٍ ودام اخاؤهم سَمُجٌ^(١) الثّناء

٢٠٦ - ابو الحسن الآغاجي

هو أشهر في شعر الفارسيّة وفرسانهم من المجرّة وله ديوان شعر سائر في بلاد
خراسان وربّما ترجم شعر نفسه بالعربيّة كقوله :

ان شئتَ تعلم في الآداب منزلي واثني قد غذاني العزّ والنعم
فالطّرف والقوس والأوهاق^(٢) تشهد لي والسيف والنرد والشطرنج والقلم

وقوله في بلخ :

وبلدة قد ركب اسم لها من أحرف البخل هي بلخ
والعيش فيها كاسمها مبدلاً من بائها تاءً وذا تلخ

٢٠٧ - ابو بكر محمد بن عليّ بن احمد العبداني

جمع غضاضة الشبان الى أبهة المشايخ ولم يرث الفضل والأدب عن كلاله

(١) سمج الثناء : أي قُبِح واستثقل .

(٢) الأوهاق : حبل في أحد طرفيه عقدة .

فقد كان ابوه ابو الحسن رحمه الله تعالى روضة الأدب وغدير العلم مع وجاهته عند الملوك والصدور وابو بكر من اهل بيت المعاذية بنيسابور وهم هم وله شرف الانتساب الى شرف الاكتساب وشعره في صباه مليح لطيف ووراء طبعه على الأيام غررٌ ودُررٌ وقد كتبت لَمَعاً من بنات خاطره كقوله من قصيدة :

شموسٌ مغاربهنّ الكللُ	شققنَ فؤادي بسهم المقل
وحملنني ثقل اردافهن ^(١)	يا ويحَ قلبي مما حمل
ونادينَ قلبي فلبى وقال	عزايَ مع الظّاعنين ارتحل
فيا عينُ جودي ولا تبخلي	وإنْ كان بالصَّبْرِ قلبي بخل
وأدمعها كاثرت في الوري	أيادي الوزير الكبير الأجل

وله من اخرى :

فيا طول انشادي غداة رحيلهم	حشاشة ^(٢) نفسٍ ودّعت يوم ودّعوا
لئن ضاع سرّي بعد ما قد كتّمته	كذلك سرّ العاشقين مضيعٌ
وان طال انشادي مديح محمدٍ	فمن طربٍ ورق الحمايم تسجع ^(٣)

وله من اخرى :

اذا ما كنتَ ذا رأيٍ سديدٍ	فلا تغترّ بالدّهر الخؤون
ولا تغضبُ فانّك بين قومٍ	يقيسون الملائك بالقيون ^(٤)

٢٠٨ - ابو الحسن عليّ بن محمد بن عبدونة

يقول من قصيدة :

دموعٌ بما ألقى من الوجد تنطقُ	وقلبٌ بنيران الصّباية محرقُ
-------------------------------	-----------------------------

(١) الردف : مؤخّرة المرأة .

(٢) الحشاشة : بقية الروح .

(٣) ورق الحمايم تسجع : الحمايم تغني وتهدل .

(٤) القيون : جمع قين ، وهو العبد .

ولو كان لي طرفٌ يحلّ به الكرى رأيت خيالاً للحبيبة يطرق

٢٠٩ - وهذه خاتمة الخاتمة في ذكر الاستاذ الأوحـد أبي عثمان

اسماعيل بن عبد الرحمن الصّابوني

وهو هو في الامامة والانفراد عن النظراء وتقدّم القدم في الخطباء وممّا حاضر به من شعره قوله :

طيب الحياة لمن خفت مؤنته	ولم تطب لذوي الأثقال والمؤن
هذا يزجي ^(١) بيسر عمره طرباً	وذا يذوب من الأهوال والمحن
فاجهد لترهد في الدنيا وزينتها	انّ الحريص على الدنيا لفي حزن
يخوض في غمرات الشغل ليس له	الا الحصول على البغضاء والأحن ^(٢)
فارغب الى الرب في تيسيره سبباً	تنجو به من بلايا حادث الزمن
فانه خير مرغوب اليه ومن	يكفي المكاره ذو الآلاء ^(٣) والمين

(١) يزجي : يدفع برفق .

(٢) الأحن : الأحقاد .

(٣) الآلاء : النعم .

قال مؤلف الكتاب

قد أنجزت ما وعدت ووفيت بما ضمننت ووقفت حيث انتهيت من كتاب تتمّة اليتيمة اذ اودعته من بدائع النظم وأحاسنه ولطائف النثر وطرائفه ما يستميل القلوب بحدّته وغضاضته ويقف الأهواء على براعته وحلاوته فكتاب اليتيمة الآن كرأس المال وهذا الكتاب الذي هو فرّحه وعلاته كالربح المستفاد والربح أطيب وبالقلب أعلق ونسيمة أعبق والله الحمد أولاً وآخراً على ما أفاض علينا من نعمه وآياه نسأل الصفح الجميل من الاشتغال بما لا يزلف لديه ولا يقرب اليه وصلواته على أشرف الخلق وأكملهم سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلامه صلاة وسلاماً دائمين متلازمين الى يوم الدين ورضي الله تعالى عن التابعين وتابعيهم .

تمّ

من كتابة العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير الرّاجي كرم ربّه القدير ابراهيم ابن المرحوم احمد القلعي حامداً لله تعالى على نعمه ومصلّياً على نبيّه سيّدنا محمد وآله وصحبه ومسلماً في مدّة غايتها السّابع عشر من شهر صفر الخير من شهور سنة تسع وثمانين وتسعمائة أحسن الله سبحانه وتعالى عاقبتهم بما تمّه وكرمه آمين آمين .

وان تجد عيباً فسدّ الخلا وجلّ من لا فيه عيبٌ وعلا

فهرست الكتاب

المقدمة

تتمة القسم الأول في محاسن أهل الشام

والجزيرة ٩

- | | | | |
|------------------------------------|----|---|----|
| ١٩ - أبو سعيد الغفيري | ٣٦ | ١ - الأمير أبو المطاع | ٩ |
| ٢٠ - أبو نصر الحمصي | ٣٦ | ٢ - أبو الحسين أحمد بن محمد المعري | ١٣ |
| ٢١ - أبو الضياء الحمصي | ٣٧ | ٣ - أبو الخير المفضل بن سعيد بن عمرو | ١٥ |
| ٢٢ - أبو منصور الصوري | ٣٨ | ٤ - أبو العلاء المعري | ١٦ |
| ٢٣ - محمد بن أيمن الرهاوي | ٣٩ | ٥ - أبو القاسم المحسن بن عمرو | ١٧ |
| ٢٤ - ابن وكيع التنيسي | ٤٠ | ابن المعل | |
| ٢٥ - أبو جعفر الجعفري العطار | ٤١ | ٦ - أبو الحسين المستهام الحلبي | ١٨ |
| ٢٦ - أبو العباس أحمد بن جعفر | ٤١ | ٧ - أبو محمد الماهر الحلبي | ١٩ |
| ٢٧ - محمد بن حماد الكاتب | ٤٣ | ٨ - أبو الفتح الموازيني | ٢١ |
| ٢٨ - أبو سهيل الحرّاني | ٤٤ | ٩ - أبو أحمد محمد بن حماد البصري | ٢١ |
| ٢٩ - أبو علي الحسين بن بشر الرّملي | ٤٤ | ١٠ - أبو الحسن محمد بن عبد الواحد | ٢٢ |
| ٣٠ - أبو ذفافة المصري | ٤٥ | القصار | |
| ٣١ - جعفر بن هانيء الأندلسي | ٤٦ | ١١ - أبو عبد الله الحسين بن أحمد الفيلس | ٢٤ |
| ٣٢ - أبو محمد عبد المحسن الصوري | ٤٦ | ١٢ - أبو المكارم المطهر بن محمد البصري | ٢٦ |
| ٣٣ - أبو الحسن علي بن محمد التهامي | ٤٨ | ١٣ - أبو القاسم علي بن محمد البهدي الأيلي | ٢٧ |
| ٣٤ - أبو شرجيل الكندي | ٥٣ | ١٤ - أبو القاسم السعدي ابن عمّ ابن نباته | ٢٨ |
| ٣٥ - الحسن الدقاق | ٥٣ | ١٥ - أبو محمد طاهر بن الحسين المخزومي | ٢٩ |
| ٣٦ - أبو محمد البوصر آبادي | ٥٤ | ١٦ - القاضي أبو عبد الله المعروف بابن | ٣٣ |
| ٣٧ - أبو الفتح بن دردان | ٥٦ | حشيشه | |
| ٣٨ - أبو الأعين الأنطاكي | ٥٦ | ١٧ - أبو سويد الصوفي | ٣٤ |
| | | ١٨ - أبو القاسم الحسين بن علي الوزير | ٣٤ |
| | | المغربي | |

٣٩ - ابن بامنصور الديلمي	٥٧	٤٤ - أبو الحرث بن التمار الواسطي	٦١
٤٠ - جريح المقل	٥٨	٤٥ - ابن الزمكدم الموصل	٦٢
٤١ - أبو القاسم الحموي	٥٩	٤٦ - أبو محمد الحسن بن محمد الرقي	٦٢
٤٢ - الطاهر الجزري	٥٩	٤٧ - أبو الدرداء الموصل	٦٥
٤٣ - أبو الغنائم بن حمدان الموصل	٦٠	٤٨ - محمد بن عبيد الله البلدي	٦٦

تمة القسم الثاني في محاسن أشعار أهل العراق ٦٩

٤٩ - الشريف المرتضى الموسوي - النقيب	٦٩	٦٥ - أبو الفتح المحسن بن علي البديع	٨٧
٥٠ - الأشرف ابن فخر الملك	٧٢	٦٦ - أبو الفرج بن حيدرة الحمصي	٨٨
٥١ - ابن المطرز	٧٣	٦٧ - أبو الوفا الدمياطي	٨٨
٥٢ - أبو الحسن علي بن الريان الجرهمي	٧٦	٦٨ - أبو معشر الكاتب	٨٩
٥٣ - أبو بكر العنبري	٧٧	٦٩ - أبو الرماح الفصيصي	٨٩
٥٤ - أبو الحسن النعيمي	٧٨	٧٠ - أبو الغوث بن نحرير	٩٠
٥٥ - أبو الحسن الهاشمي المأموني	٧٨	٧١ - أبو منصور عبد العزيز بن طلحة	١٠٠
٥٦ - أبو الفضل محمد التميمي البغدادي	٧٩	٧٢ - ابن أبي مرة المكي	١٠١
٥٧ - أبو الغنائم بن أبي المكارم الرملي	٨١	٧٣ - أبو حمزة الذهلي	١٠٢
٥٨ - أبو الحسن ابن كويرات الرملي	٨٢	٧٤ - أبو شبل الشعيري	١٠٣
٥٩ - عبد المنعم الصوري	٨٢	٧٥ - أبو مسلم الجهني	١٠٤
٦٠ - أبو الفرج بن أبي حصين الحلبي	٨٣	٧٦ - أبو الفضل الفضل الكسكري	١٠٥
٦١ - أبو الفرج عبد الصمد الصوري	٨٤	٧٧ - أبو قيس التيمي	١٠٥
٦٢ - أبو الفهم عبد السلام النصيبي	٨٥	٧٨ - أبو الخطاب محمد بن علي الجبلي	١٠٦
٦٣ - أبو السمط الرسعني وأخوه أبو مالك	٨٦	٧٩ - أبو يعلى محمد بن الحسن البصري	١٠٨
٦٤ - أبو الثريا الشمشاطي	٨٦	٨٠ - أبو الحسن علي بن غسان البصري	١٠٩

تمة القسم الثالث في محاسن أهل الرّي وهمدان واصفهان وسائر بلاد الجبل

٨١ - الأمير أبو العباس خسره فيروز الديلمي	١١١	٨٢ - القاضي أبو بكر عبد الله الأسكي	١١٣
		٨٣ - أبو علي مسكويه الخازن	١١٥

- ١١٠ - أبو القاسم عبد الصمد بن ١٨٩
علي الطبري
- ١١١ - أبو حفص عمرو بن المطوعي الحاكم ١٩١
- ١١٢ - أبو منصور يحيى بن يحيى الكاتب ١٩٤
- ١١٣ - أبو الوفاء محمد بن يحيى ١٩٤
- ١١٤ - أبو سلمة بن يحيى ١٩٧
- ١١٥ - أبو الفضل اسمعيل بن ١٩٥
محمد الكرابيسي
- ١١٦ - أبو مسعود أحمد بن عثمان الخشنامي ١٩٨
- ١١٧ - أبو الحسن محمد بن أبي علي الحسين ١٩٩
بن طلحة
- ١١٨ - أبو يوسف يعقوب بن أحمد بن محمد ٢٠١
- ١١٩ - أبو محمد الحسن بن المؤمل الحربي ٢٠٤
- ١٢٠ - أبو الفضل أحمد بن محمد العروضي ٢٠٥
الصفار
- ١٢١ - أبو بكر أحمد بن علي الصبغي ٢٠٦
- ١٢٢ - أبو منصور بن أبي علي الكاتب ٢٠٧
- ١٢٣ - عبد الرحمن الدوغي الفقيه ٢٠٨
- ١٢٤ - أبو بكر محمد بن أحمد اليوسفي ٢٠٩
- ١٢٥ - أبو جعفر محمد بن اسحق بن علي ٢١٢
البحاثي
- ١٢٦ - أبو بكر أحمد بن محمد القوهي ٢١٥
- ١٢٧ - أبو يعلى الزوزني ٢١٥
- ١٢٨ - أبو الحسن العبد لكانى ٢١٦
- ١٢٩ - أبو علي بن أبي بكر بن حشوية ٢١٦
- ١٣٠ - أبو الحسن علي المعروف بابن سيسنبر ٢١٧
الزوزني
- ١٣١ - أبو علي الحسين بن أحمد رزغيل ٢١٧
- ١٣٢ - طاهر بن عبد الله البيهقي ٢١٨
- ١٣٣ - أبو الهيجاء علي بن حمدان الخوافي ٢١٨
- ١٣٤ - أبو العباس محمد ابن ٢١٨
ابراهيم البخارزي
- ١٣٥ - أبو علي الحسن بن أبي ٢٢٠
الطيب البخارزي

- ٨٤ - الأستاذ أبو سعد منصور الآبي ١١٩
- ٨٥ - أبو العلاء محمد بن علي صفى ١٢٦
الحضرتين
- ٨٦ - أبو القاسم عبد الواحد ١٣٢
بن الحريش الأصبهاني
- ٨٧ - أبو القاسم غانم بن محمد الاصفهاني ١٣٨
- ٨٨ - أبو الفضل يوسف بن محمد الجلودي ١٤٠
- ٨٩ - أبو علي محمد بن حمد البدوجدي ١٤٣
- ٩٠ - أبو الحسن محمد بن أحمد بن رامين ١٤٥
- ٩١ - أبو محمد النظام الخزرجي ١٤٦
- ٩٢ - أبو سعد علي بن خلف الهمداني ١٤٦
- ٩٣ - أبو غانم معروف بن محمد القصري ١٥٠
- ٩٤ - أبو القاسم إبراهيم الكاتب الطائي ١٥١
- ٩٥ - أبو الحسن علي بن محمد الكاتب ١٥٢
- ٩٦ - أبو النجم مسافر بن محمد القزويني ١٥٣
- ٩٧ - أبو الفتح محمد بن أحمد الدبائندي ١٥٣
- ٩٨ - أبو الفرج علي بن الحسين بن هندو ١٥٥
- ٩٩ - أبو المحاسن سعد بن محمد بن منصور ١٦٥
- ١٠٠ - أبوالمظفر بن القاضي أبي بشر الجرجاني ١٧٠
- ١٠١ - صاعد بن محمد الجرجاني ١٧١
- ١٠٢ - أبو بكر عبد القاهر بن محمد ١٧٢
ابن الحسن
- ١٠٣ - أبو الحسن عالي بن جبلة الغساني ١٧٢
- ١٠٤ - أبو علي الحسن بن محمد الدأغاني ١٧٢
- ١٠٥ - أبو الفرج أحمد بن محمد بن يحيى ١٧٧
بن حسنيلى الهمداني
- الجزء الثاني من كتاب تمة اليتيمة ١٧٩
- ١٠٦ - السيد أبو البركات علي بن الحسين
- العلوي ١٨١
- ١٠٧ - الأمير أبو إبراهيم نصر بن أحمد
- الميكالي ١٨٤
- ١٠٨ - الإمام الموفق أبو محمد هبة الله بن
- محمد بن الحسين ١٨٦
- ١٠٩ - أبو سعد الكنجرودي ١٨٧

- ١٦٤ - أبو الفضل أحمد ابن محمد الرشيدى ٢٦٩
اللوكرى
- ١٦٥ - أبو الحسن علي بن محمد الأربعى ٢٧٠
- ١٦٦ - أبو بكر عبد المجيد بن افلح الغزنوى ٢٧٢
- ١٦٧ - أبو محمد عبد الله محمد الدوغابادى ٢٧٤
- ١٦٨ - أبو الحسن محمد بن الحسن البرمكى ٢٧٧
- ١٦٩ - أبو الفتح المظفر بن الحسن الديكفاني ٢٧٨
- ١٧٠ - أبو نصر أحمد بن محمد الخالدي ٢٨٠
- ١٧١ - أبو الفتح المظفر بن صالح الرازي ٢٨١
المدير
- ١٧٢ - أبو محمد لطف الله بن المعافى ٢٨٣
- ١٧٣ - أبو القاسم علي بن مسرة البغدادي ٢٨٤
- ١٧٤ - محمد بن أحمد الشيرجي ٢٨٤
- ١٧٥ - أبو الفضل أحمد بن محمد الكاتب ٢٨٥
- ١٧٦ - أبو المظفر عبد الجبار الجمحي البيهقي ٢٨٦
- ١٧٧ - أبو منصور علي بن أحمد الحلاب ٢٨٧
- ١٧٨ - أبو سهل الجنبذي الكاتب ٢٨٧
- ١٧٩ - أبو طالب محمد البغدادي المستوفى ٢٨٨
- ١٨٠ - أبو عدي الشهرزوري ٢٨٩
- ١٨١ - أبو منصور محمود بن علي المهلبى ٢٩٠
العماني
- ١٨٢ - أبو منصور نصر بن أحمد السعدي ٢٩١
- ١٨٣ - أبو الفرج أحمد بن علي بن خلف الهمداني ٢٩٢
- ١٨٤ - أبو الحسين الحسيني الهمداني ٢٩٦
- ١٨٥ - أبو الحسين التغلبي ٢٩٨
- ١٨٦ - الخليل بن أحمد القاضي السجزي ٢٩٩
- ١٨٧ - أبو درهم البندنجي ٢٩٩
- ١٨٨ - أبو محمد يحيى بن عبد الله الأرزني ٣٠٠
- ١٨٩ - أوحده الملك أبو طاهر بن حصول ٣٠١
- ١٩٠ - القاضي أبو علي عبد الوهاب بن محمد ٣٠٢
- ١٩١ - أبو علي الحسن بن منصور الدرابجردي النيسابوري ٣٠٣
- ١٩٢ - أبو الحسن علي بن محمد الحميري ٣٠٤

- ١٣٦ - أبو جعفر أحمد بن الحسن البخارزي ٢٢٤
- ١٣٧ - أبو نصر أحمد بن علي العمري ٢٢٥
- ١٣٨ - أبو علي الفضل بن محمد الطبرستي ٢٢٦
- ١٣٩ - أبو القاسم عمر بن عبد العزيز الجكرزي ٢٢٨
- ١٤٠ - العمركي الميهني ٢٣٠
- ١٤١ - أبو بكر النسوي الفقيه ٢٣٠
- ١٤٢ - أبو منصور قسيم بن إبراهيم القايني الملقب بيزرجمهر ٢٣١
- ١٤٣ - أبو جعفر محمد بن عبد الله الاسكافي ٢٣١
- ١٤٤ - القاضي أبو أحمد منصور الأزدي الهروي ٢٣٢
- ١٤٥ - أبو القاسم طاهر بن أحمد الهروي ٢٤٠
- ١٤٦ - أبو مسعود عصم بن يحيى الهروي ٢٤١
- ١٤٧ - المعروف بن أبي الفضل الدبّاغ الهروي ٢٤٢
- ١٤٨ - أبو زكريّا يحيى بن عماد السجزي ٢٤٣
- ١٤٩ - أبو علي البوشنجي الفلجدردي ٢٤٤
- ١٥٠ - أحمد بن محمد بن الأشعث البوشنجي ٢٤٤
- ١٥١ - أبو عبد الله الحسين بن علي البغوي ٢٤٤
- ١٥٢ - أبو سعد أحمد بن محمد العميدي ٢٤٧
- ١٥٣ - أبو بكر العبيري السجزي ٢٤٨
- ١٥٤ - أبو سهل أحمد ابن الحسن الحمدوني ٢٤٩
- ١٥٥ - أبو منصور بن مشكان ٢٥٠
- ١٥٦ - أبو سهل محمد بن الحسن ٢٥٤
- ١٥٧ - أبو الطيب طاهر بن عبد الله ٢٥٦
- ١٥٨ - أبو الحسن محمد بن عيسى الكرجي ٢٥٦
- ١٥٩ - أبو الحسن مسافر بن الحسن العارض ٢٥٨
- ١٦٠ - أبو الفتح مسعود بن الليث ٢٦٢
- ١٦١ - أبو بكر علي بن الحسن القهستاني ٢٦٤
- ١٦٢ - أبو الحسن المؤمل بن الخليل بن أحمد البستي ٢٦٧
- ١٦٣ - أبو القاسم عالي بن علي الشيرازي ٢٦٨

- ١٩٣ - أبو القاسم علي بن الحسين الالباني ٣٠٥
 ١٩٤ - الأمير أبو القاسم علي الميكالي ٣٠٥
 ١٩٥ - الأمير أبو العباس اسمعيل بن عبد الله ٣٠٦
 ١٩٦ - أبو الحسن علي بن عبد الله الدكشاذي ٣٠٦
 ١٩٧ - أبو منصور عبد الرحمن بن سعيد ٣٠٦
 القاييني
 ١٩٨ - السلامي المقيم ببخارا ٣٠٧
 ١٩٩ - الأصمعي المقيم ببخارا ٣٠٧
 ٢٠٠ - أبو علي الحسين بن أحمد الاسفرايني ٣٠٨
 ٢٠١ - أبو نصر المهلب القائد ٣٠٨
 ٢٠٢ - أبو القاسم هبة الله الاسفرايني الفقيه ٣٠٩
 ٢٠٣ - ابن هلال العسكري ٣٠٩
 ٢٠٤ - أبو صالح سهل بن أحمد النيسابوري ٣٠٩
 ٢٠٥ - حيدر الخجندي ٣١٤
 ٢٠٦ - أبو الحسن الأغاجي ٣١٤
 ٢٠٧ - أبو بكر محمد بن علي العبداني ٣١٤
 ٢٠٨ - أبو الحسن علي بن محمد بن عبدونة ٣١٥
 ٢٠٩ - أبو عثمان اسماعيل الصابوني ٣١٦



مؤسسة حمد للطباعة والتصوير

هاتف: ٢٧٧١٨٤ - ٢٧٦٥٣٨ - ب.ق.ب. - بنات

يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ

فِي مُحَاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ

تَأَلَّفَ

أَبِي مَنْصُورٍ عَبْدِ الْمَلِكِ الشَّعَالِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ
الْمُتَوَفَّى ٤٢٩ هَجْرِيَّةً

شَرَحَ وَتَحْقِيقَ

الدُّكْتُورَ مُفِيدَ مُحَمَّدٍ قَمِيحَةَ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

يطلب من: دار الكتب العلمية - ص ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

نيو ملكارت سنتر - الرملة البيضاء - قرب محلات سبينيز

هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٠٨٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

«مُقَدِّمَةُ الْمَحَقِّقِ»

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ، فقد شهد القرن الرابع للهجرة ازدهاراً أدبياً واسعاً تجلّى بظهور عدد كبير من الكتب المتخصصة في شتى مجالات المعرفة الانسانية ، فرغم مظاهر الوهن المتعدّدة التي أثقلت جسم الدولة العباسية وجعلته ينوء تحت جموح الأطماع والأهواء والقلافل ، فإنّ الأدب العربي شهد جموحاً من نوع آخر ، جموحاً نحو الابداع والكمال ، ساهم في نهضته المباركة عددٌ كبيرٌ من الأدباء الذين أغنوا الفكر العربي والاسلامي بكتاباتٍ قيمة وابتكارات رائعة ، كان لها الأثر المرجو في تعميق الفكر وخدمة الثقافة والأدب ، وأبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري ، واحدٌ من أولئك الذين ساهموا في هذه النهضة المباركة ، بحيث قدّم للعربية عدداً كبيراً من المؤلفات والمصنّفات التي تنوّعت لتشمل اغراضاً متنوعة في الآداب واللغة والفكر .

ولد أبو منصور في نيسابور عام ٣٥٠ للهجرة وإليها نفي ، وكان في أوّل حياته فرّاءً ، يخيّط جلود الثعالب فنسب إلى صناعته ، ومن ثمّ انتقل من حوك الفراء إلى حوك الكلّم ، فاشتغل باللغة والأدب والتاريخ فنيغ واشتهر ، ولم تتحدّث كتب التراجم عن تفاصيل حياته ومراحلها وأدوارها ، إلّا أنّها أسهبت في ذكر فضله وعلمه ، فقد ذكره فريق من كبار المؤلّفين ، وأشاروا إلى مكانته ومؤلفاته التي بلغت

حدّاً لا بأس له من الكثرة والغنى والتنوع ، فقال ابن الأنباري في نزهة الألباء عنه :
« كان أديباً فاضلاً فصيحاً بليغاً ، صنف كتباً كثيرة ، وأخذ عن أبي بكر
الخوارزمي » .

وقال ابن بسّام صاحب كتاب الذخيرة في حقه : « كان في وقته راعي تلعات
العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ، ورأس المؤلفين في زمانه ، وإمام المصنّفين
بحكم قرانه ، وسار ذكره سير المثل ، وضربت إليه آباط الإبل ، وطلعت دواوينه في
المشارك والمغارب ، طلوع النجم في الغياهب ، تأليفه أشهر مواضع وأبهر مطالع ،
وأكثر راويها وجامع ، من أن يستوفيهما حدّاً أو وصف ، أو يوفي حقوقها نظم أو
رصف » .

وقال عنه الباخرزي صاحب دمية القصر : « هو جاحظ نيسابور ، وزبدة
الأحقاب والدمهور ، لم ترَ العيون مثله ، ولا أنكرت الأعيان فضله ، وكيف تنكر
وهو المزن يحمد بكلّ لسان ، أو كيف يستر وهو الشمس لا تخفى بكلّ مكان » .

أما كتابه « يتيمة الدهر » الذي قمنا بشرحه وضبط نصوصه قدر الامكان فإنه
أكثر مؤلفاته شهرة وتداولاً ، كونه يقدّم فيه ترجمةً وافية لكثير من الشعراء المعاصرين له
أو السابقين لزمانه بقليل ، وهذه الترجمة تختلف عمّا عرفناه في كتب الطبقات ، لأنه
يجمع فيها كلّ جماعة من الشعراء حسب بلدهم أو إقليمهم أو البلاط الذي سلكهم
في عداده ، ومثال ذلك ما فعله بشعراء الشام ، وشعراء مصر من حيث الأقاليم ،
وبشعراء دولة بني حمدان وبلاط سيف الدولة في حلب ، وبني بويه في بغداد
وأصبهان ..

وقد بدأت فكرة الكتاب لديه في سنٍّ مبكرة إذ بدأه سنة ٣٨٤ هجرية ، ثم
رجع إليه بعد فترة من الزمن بعد أن اكتمل عوده وقوي مراسه ، ليتمّ في كهولته ما

استهله في شبابه ، وقد قسّم الرجل كتابه إلى أقسامٍ أربعة وأردفه بعد مدّة بقسمٍ خامس ، لم يكن أهل الأدب واللغة قد اطلعوا عليه وقد نشر هذا القسم في طهران ، وفيه تتأت لما جاء في الأقسام السابقة له ، بحيث تضمّن أبواباً ثلاثة حملت العناوين التالية : « تتمّة القسم الأول في محاسن أهل الشام والجزيرة ، وتتمّة القسم الثاني في محاسن أشعار أهل العراق ، وتتمّة القسم الثالث في محاسن أهل الرّي وهمدان وأصفهان وسائر بلاد الجبل » وقد قدّم الثعالبي في هذه الأقسام تراجم لشعراء عدّة يظهر أنّهم كانوا أقلّ شهرةً من الذين ترجم لهم في الأقسام الأربعة السابقة فألحقهم بهذا القسم بعد أن تمكّن من الوقوف على نماذج من أشعارهم .

أمّا غاية الكتاب فهي خدمة اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم ، عن طريق الشعر الذي يرى فيه فضلاً وعلماً وتقدّم مكانة ، يقول في مقدمته « ولما كان الشعر محمّدة الأدب وعلم العرب الذي اختصوا به دون سائر الأمم ، ولبسانهم جاء كتاب الله المنزل على النبيّ فيهم المرسل ، صلوات الله وسلامه عليه ، كانت أشعار الاسلاميين أرقّ من أشعار الجاهليين وأشعار المخضرمين ، ثم كانت أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن ، وأنظم للطوائف البدائع من أشعار سائر المذكورين ، ولانتهاؤها إلى أبعد غايات الحسن ، وبلوغها أقصى درجات الجودة والظرف ، تكاد تخرج من باب الإعجاب إلى الإعجاز ، ومن حدّ الشعر إلى السحر فكأن الزمان ادّخر لنا من نتائج البراعة وأوفرها نصيباً من كمال الصنعة ورونق الطلاوة » وهكذا فإن الثعالبي يتقدّم لتصنيف عمله وإتمامه مدفوعاً برغبة داخلية قويّة قوامها الحبّ للعربية والإدراك العميق لأبعاد الكلمة وأثرها البعيد الغور في النفس الانسانية التي قدّر لها نصيبٌ من الحسّ والرّفاهية والذوق ..

والثعالبي في اليتيمة لم يقتصر على الترجمة المحضة والاستشهاد بالنصوص الشعرية ، بل نراه يورد آراءً نقدية قيّمة وتعليلاتٍ أدبية متمّة تنمُّ عن ذوقٍ أدبيّ رفيع ، كما يعتمد في كثير من الأحيان إلى المقارنة والموازنة بين من يترجم له وبين غيره

من الشعراء في الفن الشعري الذي برع فيه ويكشف بلياقة وكياسة عن مدى تأثر الشاعر بغيره من السابقين والمعاصرين ويتعقب بحسٍّ أدبيٍّ وذوقٍ مرهفٍ صورته ومعانيه ، فيشهد له بما قدّم من توليداتٍ مبتكرة وجديدة ، ويرشد إلى ما كان فيه تابعاً ومقلداً ، كما نراه أحياناً يصوّب المعنى ويشير إلى الاستعمال السليم ، مثال ذلك تعليقه على بيت شعري لأبي القاسم عبد الصمد بن بابك يقول :

نشوة نفاس الأمير الذي أدرك ما شاء برغم الزمان

فيرى الثعالي أنه « لم يحسن في تشبيه طيب رائحة الشراب ، بنفس المددوح وهو ملك عظيم ، لأنه إنمّا يشبه بنفس المعشوق » وكان ينبغي أن يقول :

نسيم أفعال الأمير الذي أدرك ما شاء برغم الزمان
كما نراه يشير إلى سقطات أبي بكر محمد بن محمد الخوارزمي فيقول : « ومآزل فيه أقبح زلة قوله من قصيدة في الصاحب وقد اعتلّ :

نعوا إليّ نفس المجد ساعة أخبروا بما يشتكي من سقمه ويمارس
فإن في لفظة النعي ما فيها من الطيرة ؛ إذ هي ممّا يقع في المراثية لا في العيادة .
ويقول أيضاً عنه ومن سقطاته المنكرة قوله للمصاحب :

ومهيّب كأنما أذنب الناس إليه فهم مغشون ذلاً
وظريف كأنّ في كلّ فعلٍ من أفاعيله عرائس تجلى

فإنّ الكبراء والمحترمين لا يوصفون بالظرف إذ هو من أوصاف الأحداث والقيان والشبان ، ولم يرض بالفرطة في هذه اللفظة حتى شبه أفاعيله بعرائس تجلى ، فلو مدح مخنثاً لما زاد .»

وفي حديثه عن أكثر الشعراء فإننا نراه يتتبع سرقاتهم ويشير إلى المعاني التي اقتبسوها من غيرهم ، ويقطع في مواضع كثيرة سرد القصيدة ليذكر سرقة بيت منها ، كحديثه عن أبي سعيد الرستمي حين يقول :

بدورُ زهتهن الملاحه أن يرى لهنّ نقابٌ فالوجوه سوافر
فيقطع الثعاليبي القصيدة ليذكر أنه سرقة من قول القائل :

ولما تنازعنا الحديث وأسفرت وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحدّ ، بل نراه يورد في كتابه فصولاً خاصة يتتبع فيها سرقات الشعراء ، كما فعل في حديثه عن السريّ الرّقاء حيث عقد له فصلاً مسهباً أشار فيه إلى سرقاته الكثيرة ، وذكر النصوص التي تأثر بها وضمّنها قصائده ، كما أنه لم ينس أن يشير إلى نوع السرقة ، وهل استطاع الشاعر أن يتفوق على سابقه أم أنه قصر في بلوغ شأوه ، يقول معلقاً على بيت لأبي الحسن عليّ بن هارون بن المنجم « ولقد أحسن السرقة وجود اللفظ وزاد في المعنى » .

أمّا حديثه عن المتنبيّ فقد طال نظراً لإعجابه الشديد بالرجل ، إلا أن هذا الإعجاب لم يمنعه من ذكر هفواته التي اعترف بها المنصفون من النقاد ، يقول الثعاليبي بهذا الصدد « ومنها إتباع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء والافصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت وقلة التناسب، وتنافر الأطراف وتخالّف الأبيات، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ويعود لهذه العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط، فبيناه يصوغ أفرح حلّي وينظم أحسن عقد وينسج أنفُس وشي ويختال في حديقة ورد ، إذا به قد رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة أو تعويض اللفظ أو تعقيد المعنى إلى المبالغة في التكلف والزيادة في التعمّق والخروج إلى الافراط والإحالة والسفسفة والركاكة والتبرّد والتوحش باستعمال الكلمات الشاذة ، فمحا

تلك المحاسن وكدر صفاءها وأعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها واستهدف لسهام العائنين وتحكك باللسنة الطاعنين «وهكذا فإن الثعالبي لم يقتصر في اليتيمة على الترجمة الخالصة وتسجيل النصوص ، بل كان له رأي خاص يمثل ذوقه الأدبي وحسّه الشعريّ ، وهذا الرأي مبنيّ على خبرة واسعة وإطلاع عميق استطاع بهما أن يصل إلى تعليقات موفقة لم تجانب الصواب ، بل حالفته وعمقته وأرشدت إليه في كثير من الأحيان ، إلا أنّه في تعليقاته ونقده لم يخرج عما تعارف عليه الذوق النقدي العربي القديم ، الذي كان ينظر إلى القصيدة بيتاً بيتاً وبناءً مفككاً يفصل فيه البيت عن سابقه وتاليه ، ويركز على استعمالات الألفاظ واختيار المعاني ، ولا يشير إلى البناء الكليّ للقصيدة ذلك البناء الذي يتحد فيه اللفظ والمعنى ليؤديان الصورة الفنيّة الممتعة ، فقد ظلّ الشعر في نظره لفظاً ومعنى لا عملاً فنياً متكاملًا تجمعه وحدة عضوية متماسكة .

بعد هذا العرض يمكننا أن نقول : إن اليتيمة كتاب هام لا غنى عنه لكل من يتعانى الأدب ويسلك دروبه لأنّه يعرفنا بالنقلة التي وصل إليها الشعر في عصره ، سواء من حيث النوعية أو الكميّة فضلاً عن تقديمه ترجمة وافية لكثير من شعراء العربية الذين لولا الجهد المشكور الذي بذله أبو منصور ، لظلّ أكثرهم في عالم المجهول والنسيان ...

والله من وراء القصد

وهو وليّ التوفيق

د. مفيد محمد قميحة

فهرس بأهم الآثار التي خلفها الثعالبي

خلف الثعالبي كتباً قيمة أربت على الثمانين كتاباً ، وقد وضع لها الأستاذ عبد الفتاح محمد فهرساً بأسماؤها والأماكن الموجودة فيها ، وتنوّعت هذه الكتب بين اللغة والسيرة والأخبار والبلاغة والأدب شعراً ونثراً واخترنا منها ما يلي :

- (١) أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين ، وملوك الجاهلية وملوك الاسلام .
- (٢) أحسن ما سمعت ، وهو مختصر على عشرة أبواب ، أوله : أمّا بعد حمد الله على آلائه الخ . . ويعرف بالآلي والدّرر .
- (٣) أربع مسائل متتخبة من مؤلفات العلامة أبي منصور الثعالبي :

(أ) منتخبات كتاب التمثيل والمحاضرة .

(ب) المبهج .

(خ) سحر البلاغة وسرّ البراعة .

(د) النهاية في الكناية .

(٤) الاعجاز والايجاز ، أو الاجار والاعجاز .

(٥) كتاب الأمثال المسمّى بالفرائد والقلائد ، ويسمى أيضاً العقد النفيس في نزهة المجلس .

(٦) برد الأكباد في الأعداد .

(٧) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب .

- (٨) خاص الخاص ، وفيه مواضيع شعرية ونثرية ، أودع فيه من عيون الغرر ونصوص الكتب ما يكاد يخرج من حدّ الإعجاب إلى حدّ الإعجاز .
- (٩) رسالة فيما جرى بين المتنبي وسيف الدولة .
- (١٠) سرّ الأدب في مجاري لغة العرب .
- (١١) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم .
- (١٢) فقه اللغة وسرّ العربية .
- (١٣) الكناية والتعريض .
- (١٤) لطائف المعارف .
- (١٥) المؤنس الوحيد في المحاضرات ، طبع منه مختصرات .
- (١٦) اللطائف والظرائف ، في مدح الأشياء وأضدادها ، ومعه اليواقيت والمواقيت في مدح الشيء وذمّه .
- (١٧) مرآة المروءات .
- (١٨) مكارم الأخلاق .
- (١٩) من غاب عنه المطرب .
- (٢٠) والمتحل - وهو منتخبات من فحول الشعراء العرب .
- (٢١) المقصور والممدود .
- (٢٢) نثر النظم وحلّ العقد .
- (٢٣) يتيمة الدهر .
- (٢٤) الغلمان .
- (٢٥) الشكوى والعتاب .
- (٢٦) تحفة الوزراء .
- (٢٧) لباب الأدب .
- (٢٨) طبقات الملوك .
- (٢٩) نسيم السحر .
- وغير ذلك كثير . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الصفوة المختار من خلقه
أجمعين ، وعلى آله وصحبه .

وبعد ، فهذا كتاب « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » الذي يقول فيه
أبو الفتوح نصر الله بن قلافس الشاعر الإسكندري المشهور :

أبيات أشعار اليتيمة أبكار أفكار قديمة
ماتوا وعاشت بعدهم فلذاك سميت اليتيمة

وهو الكتاب الذي لولاه لكانت قد « بقيت محاسن أهل عصر مؤلفه - وهي
التي معها رواء الحداثة ، ولذة الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على
كثرة النقد - غير محصورة بكتاب يضم نشرها ، وينظم شذرها ، ويشد أزرها ، ولا
مجموعة في مصنف يقيد شواردها ، ويخلد أوابدها » مع أنه « قد سبق مؤلفو
الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين
كلماتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم ، فكم من كتاب فاخر عملوه ،
وعقد باهر نظموه ، لا يشينه إلا نبو العين من إخلاق جدته ، وبلى برده ، ومج
السمع لمردداته ، وملالة القلب من مكرراته »^(١) وهو كتاب قد جمع الكثير من غرر

(١) من مقدمة الثعالبي في كتاب اليتيمة (ص ٢٦ ج ١) .

شعراء القرن الرابع وصدر القرن الخامس : ملوكهم وأمرائهم ووزرائهم وقضاتهم ، ذوي الجذ منهم وذوي المجون ، في رقعة البلاد التي كانت يد العرب مبسطة عليها يومذاك ، من بلاد الشام والعراق وجرجان ومصر والمغرب والأندلس وغيرها ، وهذه الحقبة من الزمن - على ما كان فيها من التفرق والاضطراب السياسي - أنضر حقب الزمان في الآداب والعلوم والفنون .

وقد بقي الكتاب - على رغم أنه طبع مرتين قبل اليوم - سراً محجوباً لرداءة عرضه وفشو الأغاليط فيه وقلة العناية بروائه ، فأردت أن أخدم العربية التي أشربت حبها من عهد الصغر بإخراجه في صورة ترضى عنها النفس وينشرح لها الصدر ، فتوفرت على مراجعته على أصوله المخطوطة ، وعلى ما تيسر لي من دواوين الشعراء ومجاميع الشعر ، حتى استقام لي نص صحيح أو قريب من الصحة ، ثم قدمته للنشر في هذه الضائقة التي غلت فيها أسعار الورق ، وشح وجود الجيد منه ، وتهافت الناس فيها على نشر دوريات قليلة الغناء ، فازدحمت بها دور الطباعة ، وأعوز الأدباء أن يجدوا للتأنيج قرائحهم مكاناً في هذا الميدان .

وهذه المطبوعة من هذا الكتاب - فيما نعتقد - خير ما يقرأ المتأدبون من نسخ الكتاب ، أصلحنا فيها الكثير مما فشا في سابقتها من الأغاليط ، وكانت طريقنا أن نستبقي النص كما هو في أصول الكتاب ما وجدنا له محملاً من الصحة ، فإن لم نجد له ذلك ووجدناه في ديوان من دواوين الشعر على وجه آخر صحيح غيرناه إليه ، وبيننا ذلك في أسفل صفحات الكتاب أحياناً ، فإن لم نعثر على النص في كتاب آخر وظهر لنا فيه وجه صحيح غيرناه إليه والتزمنا في هذه الحال أن نبين عملنا في أسفل صحف الكتاب ، وإن لم نعثر على النص في كتاب آخر ولم يستقم لنا فيه وجه صحيح ، أشرنا إلى أنه لم يبين لنا فيه وجه يوثق به ، والله وحده الذي يعلم كم قاسينا في هذه السبيل من جهد ، وعنده وحده جزاء ذلك كله ، إنه لا يجزي على الخير سواه ، ولا يعرف خفيات الأمور غيره .

وفي الكتاب مجون كثير ، كما تجده في المختار من شعر أبي الرقعمق وأبي القاسم الواساني وابن لنكك وأبي الحسن السلامي وابن سكرة الهاشمي وابن الحجاج وغيرهم ، وقد ترددنا كثيراً في أن نجاري بعض أدباء هذا العصر فنحذف هذا المجون ولو من بعض نسخ الكتاب ، ولكننا « لم نشأ أن نحذف شيئاً مما في هذا الكتاب من المجون - كما يفعل بعض الناشرين ، تخرجاً منهم وتائماً زعموا ، وحرصاً على مكارم الأخلاق ظنوا - لأننا لا نؤلف كتاباً نختار فيه ما نشاء وندع ما نشاء ، وإنما نحقق نصاً قيده صاحبه في زمن كان الناس فيه أشد تخرجاً من هذا الزمن الذي نعيش فيه ، ولأننا لا نرى من حقنا أن نتصرف في كتب الناس ثم نبقيها منسوبة إليهم فيجيشوا يوم المعدلة يتعلقون بمن ظلمهم يجادلونه عن أنفسهم ، والله يعلم أننا لا نقل عن هؤلاء المتأدبين الذين يفسدون كتب الناس ، تخرجاً من المجون ولا حرصاً على مكارم الأخلاق » ولأن الغرض من نشر هذا الكتاب ، واحتمال الجهد الجاهد في تحقيقه ، والصبر على الكثير مما يغري بعضه بالانصراف ، إنما هو أن ندل قراء الأدب العربي على الحياة الأدبية والحياة الاجتماعية والسياسية في هذه الحقبة التي كان هؤلاء الشعراء يعيشون فيها ، وأن نضع بين أيديهم النصوص التي تدلهم على ما يتوجهون إليه من مناحي البحث ، فلو أننا سمحنا لأنفسنا بحذف شيء مما اشتمل عليه الكتاب لكنا قد أضعنا هذه الغاية ، ولكننا كمن يجهز جندياً للقتال فيضع في يده سيفاً من الخشب ، ويقعده على صهوة جواد من قصب .

هذا ، ومؤلف الكتاب نفسه يشعر بما عسى أن يقوله عنه بعض الناس ، ويصر - مع ذلك - على أن يذكر المجون ، ويعتذر عنه ، فأبي معذرة لمن يقدم على نشر كتابه وقد حذف منه هذا النوع من الكلام ، اسمع إليه يقول في مطلع حديثه عن أبي عبد الله الحسن بن أحمد بن الحجاج « هو وإن كان في أكثر شعره لا يستتر

من العقل بسجف ، ولا يبيني جل قوله إلا على سخف ، فإنه من سحرة الشعر ،
وعجائب العصر ، وقد اتفق من رأيته وسمعت به من أهل البصيرة في الأدب وحسن
المعرفة بالشعر ، على أنه فرد زمانه في فنه الذي شهر به ، وأنه لم يسبق إلى
طريقته ، ولم يلحق شأوه في نمطه ، ولم يركاقداره على ما يورده من المعاني التي
تقع في طرزه مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها ، وانتظامها في سلك الملاحاة
والبلاغة ، وإن كانت مفصحة عن السخافة ، مشوبة بشعر الخلدين والمكدين
وأهل الشطارة . ولولا أن جد الأدب جد وهزله هزل - كما قال إبراهيم بن
المهدي - لصنت كتابي هذا عن كثير من كلام من يمد يد المجون فيعرك بها أذن
الحرم ، ويفتح جراب السخف فيصفع بها قفا العقل ، ولكنه على علاته تنفكه
الفضلاء بشار شعره ، وتستملح الكبراء ببنات طبعه ، وتستخف الأدباء أرواح
نظمه ويحتمل المحتشمون فرط رفته وقذعه ، ومنهم من يغلو في الميل إلى ما
يضحك ويمتع من نوادره ، ولقد مدح الملوك والأمراء والوزراء والرؤساء ، فلم
يخل قصيدة فيهم من صفاتج هزله ، ونتائج فحشه ، وهو عندهم مقبول الجملة
غالي مهر الكلام ، موفور الحظ من الإكرام والآنعام ، مجاب إلى مقترحه من
الصلات الجسم «ولسنا نريد إلا أن تقرأ هذه العبارة ثم تقرأها ثم تقرأها ، ثم
احكم وكن من المنصفين .



وهذا الكتاب قد وضعه مؤلفه على أربعة أقسام يشتمل كل قسم منها على
أبواب وفصول :

القسم الأول : في محاسن أشعار آل حمدان وشعرائهم وغيرهم من أهل
الشام وما يجاورها ومصر والموصل والمغرب ، ولمع من أخبارهم .

القسم الثاني : في محاسن أشعار أهل العراق ، وإنشاء الدولة الديلمية من

طبقات الأفاضل ، وما يتعلق بها من أخبارهم ، ونوادرهم ، وفصوص من فصول المتوسلين منهم .

القسم الثالث : في محاسن أشعار أهل الجبل وفارس وجرجان وطبرستان وأصفهان ، من وزراء الدولة الديلمية وكتابتها وقضاتها وشعرائها ، وما ينضاف إليها من أخبارهم وغرر ألفاظهم .

القسم الرابع : في محاسن أهل خراسان وما وراء النهر من إنشاء الدولة السامانية والغزنية ، والطارئين على الحضرة ببخارى من الآفاق ، والمتصرفين على أعمالها ، وما يستطرف من أخبارهم ، وخاصة أهل نيسابور ، والغرباء الطارئین عليها والمقيمين بها .

وقد وفى المؤلف فيه بما وعد ، فجمع فيه « من بدائع أعيان الفضل ، ونجوم الأرض من أهل العصر ومن تقدمهم قليلاً وسبقهم يسيراً ، ما لم تأخذ الكتب العتيقة غره ، ولم تفتض عذره ، ولم ينتقص قدم العهد وتطول المدة زبره » وضمنه « من نسج طباع هؤلاء وسبك أفهامهم ، وصوغ أذهانهم ، ما يشتمل على الحلل الفاخرة الفائقة ، والحلى الرائقة الشائقة ، ويتضمن من طرفهم وملحهم لطائف أمتع من بواكير الرياحين والثمار ، وأطيب من فوح نسيم الأسحار ، بروائح الأنوار والأزهار »^(١) والتزم ألا يورد في هذا الكتاب إلا « لب اللب ، وحبّة القلب ، وناظر العين ، ونكتة الكلمة ، وواسطة العقد ، ونقش الفص ، مع كلام في الإشارة إلى النظائر والأحسن والسرقات »^(٢) .

وإن يكن في هذا الكتاب نقص يصح أن يعتد به بعض الناس على صاحبه ،

(١) انظر (ص ٢٨ ج ١) .

(٢) من مقدمة المؤلف (ص ٢٩ ج ١) .

فهو أنه لم يعن بجمع أخبار من تعرض للاختيار له من الشعراء مما يتضمن نشأتهم ومواليدهم ووفياتهم وتصرف الدهر بهم ، بل إنه لم يتعرض في بعضهم إلا لاختيار عدة أبيات وقعت له أو سمعها من بعض رواتها من الأدباء ، فالكتاب - في نظر هؤلاء - ناقص وفي مسيس الحاجة إلى إتمام هذا النقص ، ولعلمهم يستوجبون على من يتعرض لتحقيقه أن يسد هذه الثلمة ، ونحن نقرر أن هذا الكتاب لم يوضع في تأريخ الأدب والشعر ، ولا كان الغرض منه تأريخ حياة الأدباء والشعراء ، ولكنه وضع في صميم الأدب ولبابه ، فهو يعني بالقول أكثر مما يعني بحال قائله ، وكثير من الشعراء الذين جرى لهم ذكر في الكتاب واختار لهم صاحبه لم يكن يعرف عنهم شيئاً ، بل لعله لم يسمع بهم ولا درى من شأنهم غير ما يرويه لهم من الشعر القليل ، ومحقق الكتاب لم يقصد من تحقيقه إلا تمكين القارئ من دراسة الأدب واستنباط ما يريد من نصوصه ، غير حافل بما جرى على أهل هذا الأدب من تصارييف الدهر ، فوق أنه لا يريد أن يتحمل عبثاً قد يشق عليه احتماله ، وقد لا يجد لبعض من تعرض لهم المؤلف ذكراً في غير هذا الكتاب ، فهو يرى أن يكفي بتحقيق النص تحقيقاً يطمئن إليه ، ويستطيع به أن يضمن لقارئه الطمأنينة ، وهذا وحده مما لا يستهين به إلا من لا يريد أن يكون من المنصفين .

* * *

على أن في هذا الكتاب عيباً لا نريد أن نغضي لصاحبه عنه ، وهو - فيما نعتقد - شر من ذلك العيب الذي قدمنا ذكره ، وليس لنا أن نغفر هذا العيب وإن كانت للثعلبي عنه معاذر أكثر من عدد الحصى ، لأن ذلك العيب يغطي على كل محمدة ، بل إنه ليشكك في كل محمدة ، وهذا العيب هو العصبية ، وتظهر هذه العصبية في ناحيتين من كتابه : أما إحدى هاتين الناحيتين ففي حديثه عن شعراء الشام حيث يعقد باباً موضوعه « فضل شعراء الشام على شعراء سائر البلدان ، وذكر السبب في ذلك » ويستهلله بقوله « لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من

شعراء عرب العراق وما يجاورها ، في الجاهلية والإسلام ، والكلام يطول في ذكر المتقدمين منهم » ثم يعد جماعة من طبقة العتابي ومنصور النمري ، وجماعة من طبقة الرقي وكشاجم والصنوبري ، ثم يقول « فأما العصريون ففيما أسوقه من غر أشعارهم أعدل الشهادات على تقدم أقدامهم » ويستدل لذلك بقربهم من خطط العرب ، وبعدهم عن الأعاجم ، وقلة اختلاطهم بغير العرب ممن تفسد الخلطة بهم الألسنة ، وغير ذلك مما تقرأه في هذا الفصل .

فالتعالي لم يكتف بتقديم شعراء الشام على كل من ذكرهم في كتابه ، ولم يكتف بتقديمهم على كل من ذكرهم في القسم الأول منه ، لأن التقديم الذكري لا يدل إلا على العناية ، بل يفضلهم على شعراء سائر البلدان ، ويجعل ذلك مطلع كتابه ، ثم حين يريد أن يبين السبب في ذلك يجعل المفضل هم شعراء العراق وما يجاورها ، فينسى « سائر البلدان » التي عقد الفصل عليها ، ويذكر أن قرب العراق من بلاد فارس واختلاط أهل العراق بالفرس سبب ضعف الشعراء من عرب العراق عن الشعراء من عرب أهل الشام ، ونسي قرب الشام من بلاد الروم ، واختلاط عرب الشام بالروم ، وأن هذا القرب وهذا الاختلاط قد يكونان سبباً في فساد ألسنة العرب من أهل الشام .

وأما الناحية الثانية ففي حديثه عن الشعراء من الملوك والرؤساء ، فهو يفرد لملوك كل ناحية باباً ، وهو يثنى عليهم أوفر الثناء ، وهو يستبيح أن يروي الضعيف من شعرهم في حين أنه شرط ألا يروي إلا لب الباب ، وهو أظهر في هذه الناحية حين يتحدث عن أبي الحسن سيف الدولة على ابن عبد الله بن حمدان .

اسمع إليه يقول في مقدمة الكتاب « فإن وقع في خلال ما أكتبه البيت والبيتان مما ليس من أبيات القصائد ، ووسائل القلائد ، فلأن الكلام معقود به والمعنى لا يتم دونه ، ولأن ما يتقدمه أو يليه مفتقر إليه ، أو لأنه شعر ملك أو أمير أو وزير أو رئيس خطير ، أو إمام من أهل الأدب والعلم كبير ، وإنما ينفق مثل ذلك

بالانتساب إلى قائله ، لا بكثرة طائله «^(١) ولست أريد أن أعرض عليك ما قاله في سيف الدولة الحمداني ، ولا ما قاله في عضد الدولة البويهى ، ولا ما قاله في غيرهما من الملوك والأمراء والرؤساء والوزراء ، ولكنى أكتفى بأن أشير إلى أنه جعل لرواية ما لا يتفق مع شرط الكتاب سببين أحدهما أن يكون الجيد محتاجاً إلى غير الجيد ، وثانيهما أن يكون قائل غير الجيد رئيساً أو وزيراً .



والكتاب - بعد هذا - أوفى المراجع الأدبية لمن يريد أن يدرس الشعر العربي ، ولمن يريد أن يدرس الحالة الاجتماعية والسياسية من طريق النتاج الأدبي ، في القرن الرابع وصدر من القرن الخامس الهجري ، وقد خشي الثعالبي أن يكون للشعراء السابقين على عصره أثبات جمعها علماء الأدب من عيون الشعر وفنونه ، ولا يكون لشعراء عصره من يتصدى لمثل ذلك ، فندب نفسه للاضطلاع بهذا العبء .

رأى كتاب البارع في أخبار الشعراء الذي صنفه هارون بن المنجم ، ورأى طبقات الشعراء الذي صنفه الشاعر البارع أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز ، فأحب أن يكون لشعراء عصره كتاب مثل هذين الكتابين وغيرهما ، فصنف « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » والذي يؤخذ من مقدمته أنه صنفه مرتين ، أما المرة الأولى فقد تصدى لعمله^(٢) « في سنة أربع وثمانين وثلثمائة والعمر في إقباله ، والشباب بمائه ، فافتتحه باسم بعض الوزراء مجرياً إياه مجرى ما يتقرب به أهل الأدب ، إلى ذوي الأخطار والرتب ، ومقيماً ثمار الورق مقام نثار الورق ، وكتبه في مدة تقصر عن إعطاء الكتاب حقه ، ولا تتسع لتوفية شرطه ، فارتفع كعجالة الراكب وقبسة العجلان » وأما المرة الثانية فحين رأى نفسه يحاضر « بأخوات كثيرة لما فيه

(١) أنظر (ص ٧ ج ١) .

(٢) أنظر (ص ٤ ج ١) .

وقعت باخرة إليه ، وزيادات جمة عليه حصلت من أفواه الرواة لديه ، فقال : إن كان لهذا الكتاب محل من نفوس الأدباء ، وموقع من قلوب الفضلاء ، كالعادة فيما لم يقرع من قبل آذانهم ، ولم يصافح أذهانهم ، فلم لا أبلغ به الذي يستحق به حسن الإحماذ ويستوجب من الاعتداد أوفر الأعداد ، ولم لا أبسط فيه عنان الكلام ، وأرمي في الإشباع والإتمام هدف المرام ، فجعل بينه وينقضه ، ويزيده وينقصه ، ويمحوه ويثبت ، وينتسخه ثم ينسخه ، وربما افتتحه ولا يختتمه ، وينتصفه فلا يستتمه ، والأيام تحجز ، وتعد ولا تنجز ، إلى أن أدرك عصر السن والحنكة ، وشارف أوان الثبات والمسكة ، فاختلس لمعة من ظلمة الدهر ، وانتهز رقدة من عين الزمان ، واغتنم نبوة من أنياب النواثب ، وخفة من زحمة الشوائب ، واستمر في تقرير هذه النسخة الأخيرة ، وتحريرها من بين النسخ الكثيرة ، بعد أن غير ترتيبها ، وجدد تبويبها ، وأعاد ترصيفها ، وأحكم تأليفها ، وصار مثله فيها كمثل من يتأنق في بناء داره التي هي عشه ، وفيها عيشه ^(١) وكان من آثار هذه العناية وهذا الجهد أن رأى كتابه « يسحر العقول ، ويملك القلوب ، ويعجب الملوك كما يعجب الرعية ، ويحسن أثره على الشعراء كما يطيب ثمره للكتاب ، ويسير في الآفاق مسير الأمثال ، ويسري في البلاد مسرى الخيال ، ولقي أعيان الفضل وأفراد الدهر أطلب له من طير الماء للماء ، وأحرص عليه من المرضى على الشفاء » ^(٢) ومع هذا كله لم يكن الكتاب قد أشبع نهمته ، ولا سدّ الفراغ الذي قدر أن يسده ، وهذا شأن أهل العلم في كل عصر : ما يزال أحدهم يجد ويدأب حتى يظن أنه استولى على الغاية وأوفى على الأمد ، ثم يظهر له ما يرى معه أنه لا يزال في أول الطريق ، وهذا هو الذي وقع لأبي منصور فقد « وقع له على الأيام ما يخطر في سلك اليتيمة ، ويصلح لللاحق به ، ولا يسوغ تأخيرها عن أخواته ، سيما وقد خلا منه مكان قوم من السادة والكبراء لا مترك لثمار خواطرهم ووسائل قلائدهم »

(١) أنظر (ص ٥ و ٦ ج ١) .

(٢) من مطلع مقدمته لكتابه تمة اليتيمة (ص ١ ج ١ طبع طهران) .

وحيثلذ يتردد في أن يعود إلى النسخة الثانية من اليتيمة فيبني فيها وينقض ، ويصنع فيها ما صنعه في نسختها الأولى ، يتردد في ذلك لأن الكتاب قد سار في الآفاق وطار ذكره في الأقطار وانتسخه الأدباء والرؤساء . فما يلبث أن « يعن له حذو كتاب لطيف على تمثيله وترتيبه ، يودعه ما شذ عنه من طرزه وجنسه ، ويجريه مجرى الفرخ له والعلاوة عليه » .

* * *

ويذكر صاحب كشف الظنون من ذبول اليتيمة عدة مؤلفات :

(١) دمية القصر ، وعصرة أهل العصر ، تصنيف أبي الحسن علي بن الحسن الباخرزي المتوفى في عام ٤٦٧ سبعة وستين وأربعمئة ، وقد طبع في حلب .

(٢) خريدة القصر ، وجريدة أهل العصر ، تأليف عماد الدين الإصفهاني المتوفى في عام ٥٩٧ سبعة وتسعين وخمسمئة من الهجرة ، ويذكر حاجي خليفة أنه في عشر مجلدات ، وأنه يجمع من عام ٥٠٠ خمسمئة إلى عام ٥٩٢ اثنين وتسعين وخمسمئة .

(٣) زينة الدهر ، تصنيف أبي المعالي سعد بن علي الوراق المتوفى في عام ٥٦٨ ، وهو تذييل لدمية الباخرزي يقع في مجلد واحد .

ويذكر صاحب كشف الظنون أيضاً أن لأبي الحسن علي بن زيد البيهقي كتاباً على « يتيمة الدهر » اسمه « وشاح الدمية » كما يذكر أن لتقي الدين بن عبد القادر المصري المتوفى في عام ١٠٠٥ من الهجرة مختصراً لليتيمة في مقدار نصفها .

* * *

وقد كان ظهور كتاب « يتيمة الدهر » حافزاً لأبي الحسن علي بن بسام

الشتريني المتوفى في عام ٥٤٢ من الهجرة ، على تصنيف كتابه « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » وقد قلد ابن بسام أبا منصور في كل شيء ، فكما أن أبا منصور يجعل كتابه « في محاسن أهل العصر » يجعل ابن بسام كتابه « في محاسن أهل الجزيرة » وكما أن كتاب الثعالبي مقسم إلى أربعة أقسام يبنى ابن بسام كتابه على أربعة أقسام ، وكما جعل الثعالبي فصولاً من كل قسم من أقسام كتابه للملوك والأمراء والوزراء والرؤساء ومن في حكمهم جعل ابن بسام الأمر في كتابه على هذا الوجه .

ويقول الدكتور طه حسين بك في مقدمة الجزء الأول من الذخيرة « وهو (يريد ابن بسام) قد سار سيرة الثعالبي في العناية بالملوك والأمراء والرؤساء وما يكون من تأثيرهم في الأدب ، وما يكون من إنتاجهم الأدبي الخاص ، ولكن العناية بهذه الناحية من الحياة الأدبية كانت أشد وأقوم وأجدى من عناية الثعالبي ، فهو لا يكتفي بهذا الإطار الذي لا غناء فيه والذي تمتلئ به اليتيمة ، وهو لا يكتفي برواية مقتطفات من الآثار الأدبية للملوك والوزراء والأمراء كما فعل الثعالبي ، ولكنه يعرض تأريخهم عرضاً دقيقاً مفصلاً ، يرد آثارهم الأدبية إلى مصادرها ، بل يرد الآثار الأدبية التي أنشئت في بيئتهم إلى مصادرها . وبعض هذا الكلام مما يؤيد ما ذكرناه عن عصبية الثعالبي ، وبعضه الآخر مما قد أبنا عنه وعذرنا الثعالبي فيه ، على أن أبا منصور قدوة وابن بسام مؤتم ، ومن شأن المقتدي أن يتجنب وجوه النقص التي طرأت على من سبقه .

ومما يتصل بالكلام على فروع « يتيمة الدهر » ذلك الكتاب البديع الذي ألفه الثعالبي نفسه ، بعد أن كثر تردده على اليتيمة ، وبعد أن ملأ عينيه من النظر إليها وأشبع نفسه من التفكير فيها ، ذلك هو كتابه « سحر البلاغة وسر البراعة » فإنه كتاب جمع فيه عبارات في مواضيع كثيرة من نوع ما يسميه أساتذة الإنشاء العربي في هذا العصر بالجمال المختارة ، وقد أخرج بعض هذه الجمل « من غرر نجوم الأرض ، ونكت أعيان الفضل من بلغاء العصر في النثر » وحل بعضها الآخر « من

نظم أمراء الشعر الذين أورد ملح أشعارهم في الكتاب المترجم بيتيمة الدهر ،
فللق جميع ذلك ونسقه ، وسرده وساقه ، وأنفق عليه جميع ما رزقه ، وعمله
بجهد الخاطر ، وكد الناظر وعرق الجبين ، وتعب اليمين . . « (١) » .

* * *

وبعد ، فأحسب أنني أسديت إلى قراء العربية يداً لا يجحدها أحد منهم
بتحقيق نصوص هذا الكتاب ، وتقويم ما اعوج منها بفعل الناسخين والناشرين ،
وبشرح ما دعت الحاجة إلى شرحه من المفردات ، وبالإشارة أحياناً إلى المواطن
التي يجد فيها القارئ ما لم يتعرض له الشعالي من أحوال الشعراء وترجماتهم .

وكم كنت أود أن أضبط ما يحتاج إلى الضبط منه ، بل لقد ضبطت ذلك في
أصول الكتاب التي قدمتها للنشر ، ولكن الضرورة اقتضت أن يخرج الكتاب غير
مضبوط بالشكل ، لأن دار الطباعة التي اختارها الناشر - مع الأسف المحض - لم
يكن فيها من الحروف القابلة للضبط ولا من الحركات ما يكفي للقيام بهذا العمل ،
وكان لا بد من انتظار عام كامل أو قريب منه حتى تتمكن من البدء في العمل على
الوجه الذي أحب ، وآثر الناشر أن يظهر على الوجه الذي تراه على أن يطول به أمد
الانتظار .

هذا ، وأنت غير محتاج إلى الضبط بالشكل ، لأن الشعر الذي تضمنه هذا
الكتاب ليس من الشعر العويص الذي يكثر فيه الغريب ، ولأنني ضبطت لك
بالعبارة في أسفل الصفحات ما ظننت أنك محتاج إلى ضبطه .

والأمور كلها بيد الله يصرفها كيف يشاء .

كتبه المعترف بالله تعالى

أبو رجاء

محمد محيي الدين عبد الحميد

(١) من مطلع كتاب « سحر البلاغة وسر البراعة للشعالي » .

يتيمة الدهر

في محاسن أهل العصر

لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي
المتوفى في عام ٤٢٩ من الهجرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خير ما بدىء به الكلام وختم ، وصلى الله على النبي المصطفى وآله وسلم^(١) .

أما بعد ، فإن محاسن أصناف الأدب كثيرة ، ونكتها قليلة ، وأنوار الأقاويل موجودة ، وثمارها عزيزة^(٢) وأجسام النثر والنظم جمّة ، وأرواحهما نزرة^(٣) ، وقشورهما معرضة ، ولبوبهما معوزة^(٤) . ولما كان الشعر عمدة الأدب^(٥) ، وعلم العرب الذي اختصت به [عن] سائر الأمم ، وبلسانهم جاء كتاب الله المنزل ، على النبي منهم المرسل ، صلوات الله عليه وآله وسلم^(٦) ، كانت أشعار

(١) في جـ « وصلى الله على خير نبي أرسل » .

(٢) الأنوار : جمع نور - بفتح النون وسكون الواو - وهو الزهر ، أو الأبيض منه خاصة . وعزيزة : نادرة قليلة الوجود ، وفي جـ « غزيرة » ولا يوافق ما قبله ولا ما بعده .

(٣) جمّة : كثيرة . ونزرة : قليلة .

(٤) تقول : عرضت الشيء فأعرض لي ، إذا أردت معنى أظهرته فظهر لي وبرز ، وهو من نوادر اللغة ، ونظيره كيبته فأكب . وأنت عارض والشيء معرض ، أي ظاهر بارز . واللبوب : جمع لب - بضم اللام - وهو من النخل والجوز واللوز ونحوها : ما في جوفها ، وقد غلب على ما يؤكل داخله ويرمى خارجه .

(٥) في جـ « محمّدة الأدب » .

(٦) في جـ « صلوات الله وسلامه عليه » .

الإسلاميين أرق من أشعار الجاهليين ، وأشعار المحدثين [اللطف من أشعار المتقدمين ، وأشعار المولدين أبدع من أشعار المحدثين] ، وكانت أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن ، وأنظم للطائف البدائع من أشعار سائر المذكورين ؛ لانتهائها إلى أبعد غايات الحسن ، وبلوغها أقصى نهايات الجودة والظرف ، تكاد تخرج من باب الإعجاب إلى الإعجاز ، ومن حد الشعر إلى السحر ، فكأن الزمان ادخر لنا من نتائج خواطرهم ، وثمرات قرائحهم ، وأبكار أفكارهم أتم الألفاظ والمعاني استيفاء لأقسام البراعة ، وأوفرها نصيباً من كمال الصنعة ، ورونق الطلاوة .

وكذلك قد ساد النبي محمد كل الأنعام وكان آخر مرسل^(١)

وقد سبق مؤلفو الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين كلماتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم ، فكم من كتاب فاخر عملوه ، وعقد باهر نظموه ، لا يشينه الآن إلا نبو العين من إخلاق جدته ، وبلى بردته ، ومع السمع لمردداته ، وملالة القلب من مكرراته . وبقيت محاسن أهل العصر التي معهاروا الحدائث ، ولذة الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد ، غير محصورة بكتاب يضم نشرها ، وينظم شذرها^(٢) ، ويشد أزرها ، ولا مجموعة في مصنف يقيد شواردها ، ويخلد فوائدها ، وقد كنت تصديت لعمل ذلك في سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، والعمر في إقباله ، والشباب بمائه ، فافتتحته باسم بعض الوزراء مجرياً إياه مجرى ما يتقرب به أهل الأدب إلى ذوي الأخطار^(٣) والرتب ، ومقيماً ثمار الورق ، مقام نثار الورق ، وكتبته في مدة تقصر عن إعطاء الكتاب حقه ، ولا تتسع لتوفية شرطه ،

(١) في م « ولذا قد ساد » .

(٢) ينظم : يجمع . والشذر - بفتح الشين وسكون الذال - المتفرق المتبدد .

(٣) الأخطار : جمع خطر - بفتح الحاء - وأراد به القدر العالي والمنزلة الرفيعة .

فارتفع كعجالة الراكب ، وقبسة العجلان ، وقضيت به حاجة في نفسي . وأنا لا أحسب المستعيرين يتعاورونه ، والمتسخين يتداولونه ، حتى يصير من أنفس ما تشح عليه أنفس أدباء الإخوان ، وتسير به الركبان إلى أقاصي البلدان ، فتواترت الأخبار ، وشهدت الآثار ، بحرص أهل الفضل على غدره^(١) وعدهم إياه من فرص العمر وغرره^(٢) واهتزازهم لزهرة ، واقتفارهم لفقره^(٣) ، وحين أعرته على الأيام بصري ، وأعدت فيه نظري ، تبينت مصداق ما قرأته في بعض الكتب : أن أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غداها أن يزيد فيه أو ينقص منه ، هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عدة ؟

ورأيتني أحاضر بأخوات كثيرة لما فيه وقعت بأخرة إلى^(٤) ، وزيادات جمّة [عليه] حصلت من أفواه الرواة لدي . فقلت : إن كان لهذا الكتاب محل من نفوس الأدباء ، وموقع من قلوب الفضلاء ، كالعادة فيما لم يقرع من قبل أذانهم ، ولم يضافح أذهانهم ، فلم لا أبلغ به المبلغ الذي يستحق حسن الإجماع ، ويستوجب من الاعتداد أوفر الأعداد ؟ ولم لا أبسط فيه عنان الكلام ، وأرمي في الإشباع^(٥) والاتمام هدف المرام ؟ فجعلت أبنيه وأنقصه ، وأزيد وأنقصه ، وأمحوه وأثبت ، وأنسخه ثم أنسخه ، وربما أفتحه ولا أختتمه ، وأنتصفه فلا أستتمه ، والأيام تحجز ، وتعد ولا تنجز ، إلى أن أدركت عصر السن والحكمة^(٦) ، وشارفت

(١) الغدر - بضمين - جمع غدير ، وهو ما يتركه السيل من الماء .

(٢) الغرر - بضم ففتح - جمع غرة .

(٣) اقتفارهم : تتبعهم . تقول : اقتفر فلان الأثر ، وتقفره ، إذا تبعه . والفقر : جمع فقرة - بالكسر ، وبالفتح - وأصلها ما انتظم من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب ، وتستعار للجملّة من الكلام البليغ .

(٤) في م « رأيتني أحاضر بأجواب كثيرة مما ينسب فيه وقعت بأخرة الى » .

(٥) في ج « وأرمي في الاتساع والاتمام » والمعنى واحد .

(٦) الحكمة - بضم الحاء وسكون النون - التجربة والخبرة . وتقول : حنكت السن الرجل - مخففاً من بابي نصر وضرب ، وبتشديد النون - إذا أحكمته التجربة وصيره الاختبار حكماً .

أوان الثبات والمسكة^(١) ، فاختلست لمعة من ظلمة الدهر ، وانتهزت رقدة من عين الزمان ، واغتنمت نبوة من أنياب النوائب ، وخفة من زحمة الشوائب ، واستمررت في تقرير هذه النسخة الأخيرة ، وتحريها من بين النسخ الكثيرة ، بعد أن غيرت ترتيبها ، وجددت تبويبها ، وأعدت ترصيفها ، وأحكمت تأليفها . وصار مثلي فيها كمثل من يتأنق في بناء داره التي هي عشه ، وفيها عيشه ، فلا يزال ينقض أركانها ، ويعيد بنيانها ، ويستجدها على أنحاء عدة ، وهيئات مختلفة ، ويستضيف إليها مجالس كالطواوس^(٢) ، ويستحدث فيها كنائس كالعرائس^(٣) ثم يقورها آخر الأمر قوراء توسع العين قرّة ، والنفس مسرة . ويدعها حسناء تخجل منها الدور ، وتتقاصر عنها القصور . فإن مات فيها مغفوراً له انتقل من جنة إلى أخرى ، وورد من جنة الدنيا على جنة المأوى .

فهذه النسخة الآن تجمع من بدائع أعيان الفضل ، ونجوم الأرض من أهل العصر ، ومن تقدمهم قليلاً وسبقهم سيراً ، ما لم تأخذ الكتب العتيقة غره ، ولم تفتض عذره^(٤) ، ولم ينتقص قدم العهد وتطاول المدة زبره^(٥) وتشتمل من نسج طباعهم ، وسبك أفهامهم ، وصوغ أذهانهم ، على الحلل الفاخرة الفائقة ، والحلى الرائقة الشائقة . وتتضمن من طرفهم^(٦) وملحهم لطائف أمتع من بواكير الرياحين والثمار ، وأطيب من فوح نسيم الأسحار ، بروائح الأنوار والأزهار ، ما

(١) المسكة - بضم الميم - الرأي ، والعقل الوافر يرجع إليه .

(٢) الطواوس : جمع طاووس ، وهو طائر هندي معروف يضرب به المثل في الحسن والحالة ، والطاووس أيضاً : الرجل الجميل ، والأرض المخضرة فيها كل ضرب من النبات .

(٣) الكنائس : جمع كناس - بكسر الكاف - وهو هنا بيت الطبي الذي يستتر فيه وسط الشجر ، على التشبيه .

(٤) العذر - بضم ففتح - جمع عذرة - بالضم - وهي البكارة .

(٥) تقول : زبرت الكتاب أزبره زبراً - من بابي ضرب ونصر - إذا كتبه .

(٦) الطرف - بضم الطاء وفتح الراء - جمع طرفة وهي الشيء الطريف . ووقع في جـ ، م « طرفهم » .

لم تتضمنه النسخة السائرة الأولى .

والشرط في هذه الأخرى إيراد لب اللب ، وحة القلب ، وناظر العين ، ونكتة الكلمة ، وواسطة العقد ، ونقش الفص ، مع كلام في الإشارة إلى النظائر والأحاسن والسرقات ، وأخذ في طريق الاختصار ، ونبذ من أخبار المذكورين ، وغرر من فصوص [فصول] المترسلين ، يميل إلى جانب الاختصار . فإن وقع في خلال ما أكتبه البيت والبيتان - مما ليس من أبيات القصائد ، ووسائط القلائد - فلأن الكلام معقود به ، والمعنى لا يتم دونه^(١) ولأن ما يتقدمه^(٢) أو يليه مفتقر إليه ، أو لأنه شعر ملك أو أمير أو وزير أو رئيس خطير ، أو إمام من أهل الأدب والعلم كبير . وإنما ينفق^(٣) مثل ذلك بالانتساب إلى قائله ، لا بكثرة طائله .

وخير الشعر أكرمه رجالاً وشر الشعر ما قال العبيد
وإن أخرت متقدماً فعذري فيه أن العرب قد تبدأ بذكر الشيء والمقدم غيره ،
كما قال الله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾^(٤) وقال
تعالى : ﴿ يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾^(٥) وكما قال حسان
ابن ثابت : وذكر بني هاشم [من الطويل] :

بها ليلٌ منهم جعفرٌ وابن أمّه عليٌّ ، ومنهم أحمدُ المتخيرُ
وكما قال الصلتان العبدى [من المتقارب] :

فملّتنا أننا مسلمون على دين صديقنا والنبي

(١) في جـ « لا يتم بدونه » .

(٢) في جـ « أو أن ما يتقدمه - الخ » .

(٣) في جـ ، م « ينفق » محرفاً عما أثبتناه ، وينفق - بالنون - مضارع نفقت السلعة تنفق - من باب نصر - نفاقاً ، إذا راجت ورغب فيها .

(٤) من الآية ٢ من سورة التغابن ، وفيها تقديم الكافر في الذكر على المؤمن .

(٥) من الآية ٤٣ من سورة آل عمران ، وفيها تقديم السجود في الذكر على الركوع .

وإن قدمت متأخراً فسيبيله على ما قال إبراهيم الموصلي لمسرور ، وقد تقدمه في المسير : إن تقدمتك كنت مطرماً لك ^(١) ، وإن تأخرت فلحق الخدمة .

وقال أبو محمد المزني للملك نوح في مثل تلك الحال : إن تقدمت فحاجب ، وإن تأخرت فذاك واجب .

ثم إن هذا الكتاب المقرر ينقسم إلى أربعة أقسام : يشتمل كل قسم منها على أبواب وفصول :

القسم الأول : في محاسن أشعار آل حمدان ، وشعرائهم ، وغيرهم من أهل الشام وما يجاورها ومصر والموصل [والمغرب] ولمع من أخبارهم .

القسم الثاني : في محاسن أشعار أهل العراق ، وإنشاء الدولة الديلمية من طبقات الأفاضل ، وما يتعلق بها من أخبارهم ونوادرهم ، وفصوص من فصول المترسلين منهم .

القسم الثالث : في محاسن أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان [وأصفهان] من وزراء الدولة الديلمية وكتابها وقضاتها وشعرائها وسائر فضلائها ، وما ينضاف إليها من أخبارهم وغرر ألقاظهم .

القسم الرابع : في محاسن [أشعار] أهل خراسان وما وراء النهر من إنشاء الدولة السامانية والغزنية ، والطائرين على الحضرة ببخارى من الأفاق ، والمتصرفين على أعمالهم ، وما يستطرف من أخبارهم ، وخاصة أهل نيسابور

(١) طرقت لك - بتشديد الراء - فأنا مطرق لك : أي جعلت لك طريقاً . وأصله قولهم : طرق فلان لابله .

والغرباء الطارئين عليها والمقيمين بها .

وفيما لم يقع إليّ من جنس هذا الكتاب كثرة ، ولعله يزيد على ما حصل لدي ، ومن يقدر على حصر الأنفاس وضبط بنات الأفكار ؟ وفي الزوايا خبايا ، ولا نهاية للخواطر ، ولا منقطع لمواد المحاسن ، وما على المؤلف إلا جهده ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

القسم الأول

في محاسن أشعار آل حمدان ، وشعرائهم ، وغيرهم من أهل الشام ، وما
يجاورها من مصر والموصل ، ولمع من أخبارهم ، وفيه عشرة أبواب .

الباب الأول ، [من القسم الأول] في فضل شعراء الشام على شعراء سائر البلدان وذكر السبب في ذلك

لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها ، في الجاهلية والإسلام ، والكلام يطول في ذكر المتقدمين منهم ، فأما المحدثون فخذ إليك منهم العتابي . ومنصوراً النمري ، والأشجع السلمي^(١) ومحمد بن زرعة الدمشقي ، وربيعة الرقي . على أن في الطائيين^(٢) اللذين انتهت إليهما الرئاسة في هذه الصناعة كفاية ، وها هما .

ومن مولدي أهل الشام المعوج الرقي ، والمريمي ، والعباسي المصيبي ، وأبو الفتح كشاجم ، والصنوبري ، وأبو المعتصم الأنطاكي ، وهؤلاء رياض الشعر، وحدائق الظرف .

فأما العصريون ففيما أسوقه من غرر أشعارهم أعدل الشهادات على تقدم أقدامهم .

والسبب في تبريز القوم قديماً وحديثاً على من سواهم في الشعر : قربهم من خطط العرب ولا سيما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة ألسنتهم

(١) اتفقت الأصول على ذكر هذا العلم مقترناً « بال » ودخول « أل » عليه للمح أصله كدخولها في الفضل والعباس والحارث .

(٢) أراد بالطائيين : أبا تمام حبيب بن أوس وأبا عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري .

من الفساد العارض لألسنة أهل العراق لمجاورة الفرس والنبط ، ومداخلتهم إياهم ، ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة ، ورزقوا ملوكاً وأمراء من آل حمدان وبني ورقاء هم بقية العرب ، والمشغوفون بالأدب ، والمشهورون بالمجد والكرم ، والجمع بين أدوات السيف والقلم ، وما منهم إلا أديب جواد ، يحب الشعر وينتقده ، ويثيب على الجيد منه فيجزل ويفضل - انبعثت^(١) قرائحهم في الإجابة ، فقادوا محاسن الكلام بالين زمام ، وأحسنوا وأبدعوا ما شاءوا .

وأخبرني جماعة من أصحاب الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد أنه كان يعجب بطريقتهم المثلى ، التي هي طريقة البحتري في الجزالة والعذوبة . والفصاحة والسلاسة ، ويحرص على تحصيل الجديد من أشعارهم ، ويستملئ الطارئين عليه من تلك البلاد ما يحفظونه من تلك البدائع واللطائف ، حتى كسر دفترأ ضخم الحجم عليها^(٢) ، وكان لا يفارق مجلسه ، ولا يملأ أحد منه عينه غيره ، وصار ما جمعه فيه على طرف لسانه ، وفي سن قلمه ، فطوراً يحاضر به في مخاطباته ومحاوراته ، وتارة يحله أو يورده كما هو في رسائله ، فمن ذلك قول القائل [من الطويل] :

سلامٌ على تلك المعاهد إنَّها شريعة وردي أو مهبّ شمالي^(٣)
ليالي لم نحذرُ حزون قطيعةٍ ولم نمش إلا في سهول وصال^(٤)
فقد صرت أرضى من سواكن أرضها بخلب برقٍ أو بطيف خيال^(٥)

(١) « انبعثت » هذا جواب لما في قوله « ولما جمع شعراء أهل الشام الخ » .

(٢) تقول : كسرت الكتاب على عدة أبواب بتشديد السين - إذا كنت قد جعلته عدة أبواب .

(٣) شريعة وردي : أي مكان ورودي الماء لهله ، ومهبّ شمالي : أي الريح الشمالية الباردة .

(٤) الحزون : الأرض الصعبة المسالك .

(٥) خلب برق : أي البرق اللامع الغير مصحوب بالمطر .

وقول الآخر [من الوافر] :

إذا دنت المنازل زاد شوقي ولا سيمًا إذا بدت الخيام^(١)
فلمح العين دون الحيّ شهرٌ ورجع الطرف دون السير عامٌ

وقول الآخر [من الخفيف] :

فسقى الله بلدةً أنت فيها كدموعي عند اعتراض الفراق
وأرانيك فالصبّا قد ترقّت يا بروحي إلى أعالي التراقي^(٢)

وقول الآخر [من الطويل] :

ووالله لا فارقت عقدة ودّه ولا حلت ما عمّرت عن حفظ عهده^(٣)
ولا بدّ أنّ الدهر كاشف أهله ويظهر للمولى موالاة عبده

وكان أبو بكر الخوارزمي في ريعان عمره ، وعنفوان أمره ، قد دوخ بلاد الشام ، وحصل من حضرة سيف الدولة بحلب في مجمع الرواة والشعراء ، ومطرح الغرباء الفضلاء ، فأقام ما أقام بها مع أبي عبد الله بن خالويه ، وأبي الحسن الشمشاطي ، وغيرهما من أئمة الأدباء ، وأبي الطيب المتنبّي ، وأبي العباس النامي ، وغيرهما من فحول الشعراء^(٤) ، بين علم يدرسه ، وأدب يقتبسه ، ومحاسن ألفاظ يستفيدها ، وشوارد أشعار يصيدها ، وانقلب عنها وهو أحد أفراد الدهر ، وأمراء النظم والنثر ، وكان يقول : ما فتق قلبي ، وشحد فهمي ، وصقل ذهني ، وأرهف حد لساني ، وبلغ هذا المبلغ بي ، إلا تلك الطوائف

(١) لاسيما : هي هنا بتخفيف الياء مفتوحة مثلها في قول الشاعر وهو من شواهد النحاة

فيه بالعقود والإيمان لا سيما عقد وفاء به من أعظم القرب

(٢) التراقي : جمع ترقوة وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .

(٣) لا حلت : لا تغيّرت وتراجعت .

(٤) لفحول : جمع فحل ، وأصله الذكر من كلّ حيوان ويطلق على الراوي وعلى الشاعر الذي يغلب

على كلّ شاعر يعارضه أو يفضل عليه .

الشامية ، واللطائف الحلبية التي علقت بحفظي ، وامتزجت بأجزاء نفسي ،
وغصن الشباب رطيب ، ورداء الحدائث قشيب ، وما كان أكثر ما ينشدني ويكتبني
مما يضمن به على غيري من تلك الغرر التي تجري مجرى السحر والملح التي يقطر منها
ماء الظرف ، وأنا أكتبها في أماكنها من أبواب هذا القسم الأول ، بمشيئة الله
تعالى .

وممن خرجته تلك البلاد ، وأخرجته ، وكلامه مقبول محبوب ، آخذ
بمجامع القلوب : القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني ، فإنه جنى
ثمارها ، واستصحب أنوارها ، حتى ارتقى إلى المحل العلي ، وتطبع بطبع
البحثري .

* * *

الباب الثاني

١ - في ذكر سيف الدولة أبي الحسن

علي بن عبد الله بن حمدان^(١)

وسياق قطعة من أخباره ، وملح من أشعاره

كان بنو حمدان ملوكاً وأمراء أوجههم للصبحا ، وألستهم للفصاحة ،
وأيديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة ، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم ،
وواسطة قلاذتهم^(٢) وكان - رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه ! - غرة
الزمان ، وعماد الإسلام ، ومن به سداد الثغور^(٣) ، وسداد الأمور ، وكانت وقائعه
في عصاة العرب تكف^(٤) بأسها [وتنزع لباسها] وتفل أنيابها ، وتذل
صعابها ، وتكفي الرعية سوء آدابها . وغزواته تدرك من طاغية الروم
الثار ، وتحسم شرهم المثار ، وتحسن في الإسلام الآثار . وحضرته مقصد
الوفود ، ومطلع الجود ، وقبلة الآمال ، ومحط الرحال ، وموسم الأدباء ، وحلبة
الشعراء ، ويقال : إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك - بعد الخلفاء - ما
اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ، ونجوم الدهر ، وإنما السلطان سوق يجلب إليها ،
ما ينفق لديها . وكان أديباً شاعراً محباً لجيد الشعر ، شديد الاهتزاز لما يمدح به ،

(١) أنظر ترجمة سيف الدولة في ابن خلكان (٦٦ / ٢ النيل) .

(٢) القلاذة : العقد ، وما تضعه الفتاة في جيدها من حلي وغيرها .

(٣) سداد الثغور : حمايتها وقوتها .

(٤) تكف : تمنع وتدفع وتصرف .

فلو أدرك ابن الرومي زمانه لما احتاج إلى أن يقول [من الكامل] :

ذهب الذين تهزهم مدأحهم هز الكماة عوالي المران^(١)
كانوا إذا امتدحوا رأوا ما فيهم ملأ ريحية منهم^(٢) بمكان^(٣)
وكان كل من أبي محمد عبد الله بن محمد الفياض الكاتب ، وأبي الحسن علي
بن محمد الشمشاطي ، قد اختار من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف
بيت ، كقول أبي الطيب المتنبي [من الطويل] :

خليليّ إنني لا أرى غير شاعرٍ فلم منهم الدعوى ومني القصائد^(٤)
فلا تعجبا إنّ السيوف كثيرةٌ ولكنّ سيف الدولة اليوم واحدٌ
له من كريم الطبع في الحرب متّضٍ ومن عادة الإحسان والصفح عامد^(٥)
ولما رأيت الناس دون محله تيقنت أنّ الدهر للناس ناقد^(٦)
ومن القصيدة المرقومة :

فلم يبق إلّا من حماها من الظبا لمى شفتيها والثديّ النواهد^(٧)
تبكي عليهنّ الباطريق في الدجى وهنّ لدينا ملقيات كواسد
بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قومٍ عند قوم فوائد

(١) العوالي : جمع عالية ، وهي أعلى القناة أو رأسها الذي يلي السنّان ، والمران : بضم الميم وتشديد
الراء ، شجرٌ باسق أوراقه كأوراق التوت ومنه تتخذ الرماح .

(٢) ملأ ريحية : أراد من الأريحية ، والعرب تحذف نون من الجارة إذا اضطرت إلى ذلك في الشعر وقد
ورد ذلك في أبيات كثيرة منها :

نحن قومٌ ملجنّ في زيّ ناسٍ فوق طيرٍ لها شخوص الجبال

(٣) هذه الأبيات والتي بعدها في الديوان (١ / ٢٧١ / ٢٧٥) .

(٤) متّضٍ : انتضى السيف ، شهره واستلّه من الغمد ، وغمد السيف : حيث يوضع ، قرابه ،
وجفنه .

(٥) ناقد : خبير ، يعرف من يختار للسيادة وكبار المهام .

(٦) اللّمي : سمرة محبوبة في الشفة .

ومن شرف الإقدام أنك فيهم
 وأن دماً أجرته بك فاخر
 وكل يرى طرق الشجاعة والندى
 نهبت من الأعمار ما لو حوته
 فأنت حسام الملك والله ضارب
 أحبك يا شمس الزمان وبدره
 وذلك لأن الفضل عندك باهر
 وعلى القتل مرموق كأنك شاكد^(١)
 وأن فؤاداً رعته لك حامد
 ولكن طبع النفس للنفس قائد
 لهئت الدنيا بأنك خالد
 وأنت لواء الدين والله عاقد
 وإن لا مني فيك السهى والفراقدا^(٢)
 وليس لأن العيش عندك بارد
 وكقول السري بن أحمد الموصلی [من الوافر] :

أعزمتك الشهاب أم النهار
 خلقت منيةً ومنى فاضحت
 تحلّي الدين أو تحمي حماه
 سيفك من شكاة الثغر برء
 وكفأك الغمام الجون يسري
 يمين من سجيتها المنايا
 حضرنا والملوك له قيام
 وزرنا منه ليث الغاب طلقاً
 فكان لجوهر المجد انتظام
 أراحتك السحاب أم البحار^(٣)
 تمور بك البسيطة أو تمار^(٤)
 فأنت عليه سور أو سوار
 ولكن للعدى فيها بوار^(٥)
 وفي أحشائه ماءً ونار^(٦)
 ويسري من عطيتها اليسار^(٧)
 تغض نواظراً فيها انكسار
 ولم نر قبله ليشاً يزار
 وكان لجوهر المدح انتشار^(٨)

(١) مرموق : محبوب ، والمقة : الحب ، والشاكد : المعطي .

(٢) السهى والفراقدا : النجوم والأقمار .

(٣) الراح : الكف الذي يكون به العطاء « راحة اليد » .

(٤) تمور : تموج وتضطرب .

(٥) البوار : الهلاك .

(٦) الجون : من الأضداد يطلق على الأسود والأبيض .

(٧) سجيتها : طبعها ، والمنايا : الحتوف ، واليسار : من اليسر .

(٨) انتظام : من نظم الجواهر أي سلكتها في عقد واحد .

فعثت مخيراً لك في الأماني وكان على العدو لك الخيار
فضيفك للحيا المنهل ضيفاً وجارك للربيع الطلق جاراً^(١)

وكقول أبي فراس الحارث بن سعيد [من البسيط] :

أشدّة ما أراه فيك أم كرم تجود بالنفس والأرواح تصطلم^(٢)
يا باذل النفس والأموال مبتسماً أما يهولك لا موت ولا عدم ؟
لقد ظننتك بين الجحفلين ترى أن السّلامة من وقع القنا تصم^(٣)
نشدتك الله لا تسمح بنفس علاً حياة صاحبها تحيا بها أمم
إذا لقيت رفاق البيض منفرداً تحت العجاج فلم تستكثر الخدم
تفدي بنفسك أقواماً صنعتهمو وكان حقهم أن يفتدوك هم
من ذا يقاتل من تلقى القتال به وليس يفضل عنك الخيل والبهم^(٤)
تضنّ بالطعن عناضنّ ذي بخل ومنك في كلّ حال يعرف الكرم
لا تبخلنّ على قومٍ إذا قتلوا أثنى عليك بنو الهيجاء دونهم
ألبيت ما لبسوا أركبت ما ركبوا عرفت ما عرفوا علّمت ما علموا
هم الفوارس في أيديهم أسلّ فإن رأوك فأسدّ والقنا أجم^(٥)

وكقول أبي العباس بن محمد النامي [من الوافر] :

خلقت كما أردتك المعالي فأنت لمن رجاك كما يريد

(١) الحيا المنهل : المطر المنتصب .

(٢) تصطلم : تزهق ، وتقطع من أصولها .

(٣) الجحفل : الجيش الجرار ، والقنا : جمع قنّاة وهي من أدوات الحرب ، وتصم : مضارع وصم : أي غيّر .

(٤) يفضل عنك : يبقى بعد ما قتلت ، والبهم جمع بهمة وهو الفارس المتغطي بسلاحه وأدواته ، يريد : إذا كنت أنت تقتل جيش الأعداء وحدك فوارسه وأفراسه فيجيشك الذي أخرجته معك لتلقى به العدو لن يجد واحداً من فرسانه كيما يقتله .

(٥) الأسل : الرماح ، والأجم جمع أجمة ، وهي الغابة تكون مأوى السباع .

عجيبٌ أن سيفك ليس يروى وسيفك في الوريد له ورود^(١)
وأعجب منه رمحك حين يسقى فيصحو وهو نشوانٌ يميد^(٢)

وكقول أبي الفرج البيغاء [من الطويل] :

نداك إذا ضنّ الغمام غمام وعزمك إن فلّ الحسام حسام^(٣)
فهذا ينيل الرزق وهو ممنعٌ وذاك يردّ الجيش وهو لهام^(٤)
ومن طلب الأعداء بالمال والطبا وبالسعد لم يبعد عليه مرام

وكقول أبي الفرج الوأواء [من المنسرح] :

من قاس جدواك بالسحاب فما أنصف بالحكم بين شكلين^(٥)
أنت إذا جدت ضاحكٌ أبداً وهو إذا جاد دامع العين

وكقول أبي نصر بن نباتة وهو من شعراء العراق [من البسيط] :

حاشاك أن تدّعيك العرب واحداها يا من ترى قدميه طينة العرب
فإن يكنّ لك وجهٌ مثل أوجههم عند العيان فليس الصفر كالذهب^(٦)
وإن يكنّ لك نطقٌ مثل نطقهم فليس مثل كلام الله في الكتب
وكانت غمائم جوده تفيض ، ومآثر كرمه تستفيض ، فتؤرخ بها أيام المجد ، وتخلد
في صحائف حسن الذكر .

* * *

(١) ليس يروى : أي يظلّ ظمآنًا على كثرة ما يشرب من دم الأعداء .

(٢) يميد : يتحرك ويضطرب يميناً وشمالاً .

(٣) ضنّ : بخل ، وفلّ الحسام : تكسرّ حده .

(٤) لهام : كثير ضخم .

(٥) جدواك : عطاياك .

(٦) الصفر : بضمّ وسكون الفاء : النحاس لأن لونه أصفر .

فصل في انفجار ينابيع جوده على الشعراء

حدثني أبو الحسن علي بن محمد العلوي الحسيني الهمداني الوصي ، قال : كنت واقفاً في السَّمَّاطِين^(١) بين يدي سيف الدولة بحلب ، والشعراء ينشدونه ، فتقدم إليه أعرابي رث الهيئة ، فاستأذن الحجاب في الإنشاد ، فأذنوا له ، فأنشد [من المنسرح] :

أنت عليّ وهذه حلبٌ قد نفذ الزاد وانتهى الطلبُ
بهذه تفخر البــــــــــــــلادوبالأمير تزهى على الورى العربُ
وعبدك الدهر قد أضربنا إليك من جور عبدك الهرب
فقال سيف الدولة ، « أحسنت ، والله أنت ! » . وأمر له بمائتي دينار.

وحكى ابن لييب غلام أبي الفرج البيغاء أن سيف الدولة كان قد أمر بضرب
دنانير للصلات في كل دينار منها عشرة مثاقيل ، وعليه اسمه وصورته ، فأمر يوماً
لأبي الفرج منها بعشرة دنانير ، فقال ارتجالاً [من المنسرح] :

نحن بجود الأمير في حرم
أبداع من هذه الدنانير لم
فقد غدت باسمه وصورته
نرتع بين السعود والتعم
يجر قديماً في خاطر الكرم
في دهرنا عوذة من العدم^(٢)

فزاده عشرة أخرى .

وكان أبو فراس يوماً بين يديه في نفر من ندمائه ، فقال لهم سيف الدولة :

(١) السماطين : الصفيّان .

(٢) العُودَة : ما يعلّق على الصبي من التماثيل ليقيه العين .

أيكم يجيز قلبي ، وليس له إلا سيدي (يعني أبا فراس) [من الخفيف] :

لك جسمي تعلُّه فدمي لم تُحلِّه^(١)
لك من قلبي المكا ن فلم لا تحلِّه

فارتجل أبو فراس ، وقال :

أنا إن كنت مالكاً فلي الأمر كله

فاستحسنه وأعطاه ضيعةً بمنيج تغل ألفي دينار .

واستنشد سيف الدولة يوماً أبا الطيب المتنبي قصيدته التي أولها [من

الطويل] :

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ وتأتي على قدر الكرام المكارم
وكان معجباً بها كثير الاستعادة لها ، فاندفع أبو الطيب المتنبي ينشدها ، فلما بلغ
قوله فيها :

وقفت وما في الموت شكٌ لواقفٍ كأنك في جفن الردى وهونائمُ
تمرُّ بك الأبطال كلمي هزيمةً ووجهك وضاحٌ وثغرك باسمُ
قال : قد انتقدنا عليك هذين البيتين ، كما انتقد على امرئ القيس بيتاه
[من الطويل] :

كأني لم أركبُ جواداً للذةٍ ولم أتبطنُ كاعباً ذات خلخال^(٢)
ولم أسبأ الزقَّ الرويَ ولم أقلُ لخليي كرىً كرةً بعد إجفال^(٣)

(١) تعلُّه : تمرضه ، وتحلُّه : أي تستحلُّ سفكه .

(٢) أتبطن : أعلو ، والكاعب : الفتاة الناهد .

(٣) أسبأ : اشترى ، الزق : دن الخمر ، الروي : المملوء والإجفال : الإنهزام في سرعة .

وبيتاك لا يلتئم شطراهما ، كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين ، وكان ينبغي
لامرئ القيس أن يقول :

كأنِّي لم أركب جواداً ولم أقلُ لخليسي كَرِّي كَرَّةً بعد إجحاف
ولم أسبأ الزق الروي للذَّة ولم أتبطَّنْ كاعباً ذات خلخال
ولك أن تقول :

وقفت وما في الموت شكٌ لواقفٍ ووجهك وضاحٌ وثغرك باسم
تمرُّ بك الأبطال كلمي هزيمةً كأنك في جفن الردى وهونائم

فقال : أيد الله مولانا ! إن صح أن الذي استدرك على امرئ القيس هذا
كان أعلم بالشعر منه ، فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعلم أن الثوب
لا يعرفه البراز معرفة الحائك ، لأن البراز يعرف جملته ، والحائك يعرف جميلته
وتفاريقه ، لأنه هو الذي أخرجه من الغزلية الى الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة
النساء بلذة الركوب للصيد ! وقرن السماحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة
في منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى - وهو
الموت - ليجانسه ، ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ،
وعينه من أن تكون باكية ، قلت * ووجهك وضاح وثغرك باسم * لأجمع بين
الأضداد في المعنى ، وإن لم يتسع اللفظ لجميعها . فأعجب سيف الدولة بقوله ،
ووصله بخمسين ديناراً من دنائير الصلات ، وفيها خمسمائة دينار .

وكان أبو بكر وأبو عثمان الخالديان من خواص شعراء سيف الدولة ، فبعث
إليهما مرة وصيفة ووصيفا ، ومع كل واحد منهما بدرة^(١) وتخت من ثياب مصر ،
فقال أحدهما من قصيدة طويلة ، وهي [من الكامل] :

لم يغد شكرك في الخلائق مطلقاً إلاً ومالك في النّوال حبيسُ

(١) البدره : صرة أو كيس توضع فيه الدراهم .

خوگنتنا شمساً وبدراً أشرفت
 رشأ أتاناً وهو حسناً يوسف
 هذا ، ولم تقنع بذاك وهذه
 أنت الوصيفة وهي تحمل بدرة
 وبررتنا مما أجادت حوكه
 ففدا لنا من جودك المأكول وال
 بهما لدينا الظلمة الحنديس^(١)
 وغزالة هي بهجة بلقيس
 حتى بعثت المال وهو نفيس
 وأتى على ظهر الوصيف الكيس^(٢)
 مصر ، وزادت حسنه تنيس^(٣)
 مشروب والمنكوح والملبوس

فقال له سيف الدولة : أحسنت إلا في لفظه « المنكوح » ، فليست مما
 يخاطب بها الملوك ، وهذا من عجيب نقده .

حكى أبو إسحق إبراهيم بن هلال الصابي ، قال : طلب مني رسول سيف
 الدولة - وكان [قد] قدم إلى الحضرة - شيئاً من شعري ، وذكر أن صاحبه رسم له
 ذلك ، فدافعته أياماً ، ثم ألح علي وقت الخروج فأعطيته هذه الثلاثة الأبيات ،
 وهي [من الكامل] :

إن كنت خنتك في الأمانة ساعة
 وزعمت أن له شريكاً في العلا
 قسماً لو أنني حالف بغموسها
 لغريم دين ما أراد مزيداً^(٤)
 فذممت سيف الدولة المحموداً
 وجحدته في فضله التوحيداً

[وقال] فلما عاد الرسول إلى الحضرة ، ودخلت عليه مسلماً ، أخرج لي
 كيساً بختم سيف الدولة مكتوباً عليه اسمي ، وفيه ثلاثمائة دينار .

* * *

(١) الحنديس : من الليل الشديد الظلمة .

(٢) الوصيفة : الجارية ، والوصيف : الخادم .

(٣) بررتنا : من البر وهو المعروف والعطاء . والحوك : النسيج ، تنيس : مدينة بمصر اشتهرت
 بالنسيج .

(٤) الغموس : يقال الغموس النجم أي غاب وغمست الطعنة : أي اخترقت المطعون .

نبذ من ذكر وقائعه وغزواته

حدث أبو عبد الله الحسين بن خالويه ، قال : لما كانت الشام بيد الإخشيدي محمد بن محمد بن طغج سار إليها سيف الدولة فافتتحها ، وهزم عساكره عن صفين ، فقال له المتنبي [من الكامل] :

يا سيف دولة ذي الجلال ومن له خير الخلائف والأنام سمي^١
أو ما ترى صفين كيف أتيتها فانجاب عنها العسكر الغربي^(١)
فكأنه جيش ابن حرب رعته حتى كأنك يا علي^(٢) علي^(٣)

وقال أبو فراس من قصيدة طويلة [من الطويل] :

أتى الشام لما استذاب البهْم واغتدت بها أنؤب البيداء وهي قساور^(٤)
فثقف مناداً ، وأصلح فاسدً وذلل جباراً ، وأذعر ذاعر^(٥)

وكان ظهر رجل في الغرب يعرف بالمبرقع يدعو الناس إلى نفسه ، والتفت عليه القبائل ، وافتتح مدائن من أطراف الشام ، وأسر أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان ، وهو خليفة سيف الدولة على حمص ، وألزمه شراء نفسه بعدد من الخيل وجملة من المال ، فأسرع سيف الدولة من حلب يغذ^(٥) السير حتى لحقه في اليوم الثالث بنواحي دمشق ، فأوقع به ، وقتله ، ووضع السيف في أصحابه ، فلم ينج إلا من سبق فرسه ، وعاد سيف الدولة إلى حلب ومعه أبو وائل ، وبين يديه رأس

(١) انجاب : انهزم وتراجع وانكشف .

(٢) ابن حرب : معاوية بن أبي سفيان ، وعلي الأول : سيف الدولة وعلي الثاني : الإمام علي بن أبي طالب .

(٣) البهْم : بفتح الباء وسكون الهاء : صغار أولاد الضأن ، والقساور : جمع قسورة ، وهو الأسد .

(٤) ثقف : قوم وعدل ، والمناد : المنحني المنعطف ، وذلل : أخضع ، وأذعر : أخيف وأفزع .

(٥) يغذ : يسرع .

الخارجي على رمح ، فقال أبو فراس يذكر ذلك [من الطويل] :

وأنقذ من مسّ الحديد وثقله أبا وائل ، والدهر أجده صاغراً^(١)
وآب ورأس القرمطيّ أمامه له جسدٌ من أكعب الرمح ضامراً^(٢)
وهذا من أحسن ما قيل في الرأس المصلوب على الرمح .

[ولبعضهم في مثل ذلك] [من البسيط] :

وعاد لكنّه رأسٌ بلا جسدٍ يسري ، ولكن على ساقٍ بلا قدم
وقال أبو الطيب في خلاص أبي وائل [من المتقارب] :

ولو كنت في أسر غير الهوى ضمنت ضمان أبي وائل^(٣)
فدى نفسه بضمن النضار وأعطى صدور القنا الذابل^(٤)
ومناهم الخيل مجنوبةً فجئن بكلّ فتىّ باسل^(٥)
كأنّ خلاص أبي وائل معاودة القمر الآفل
دعا فسمعت وكم ساكت على البعد عندك كالقائل
فلبّيته بك في جحفلٍ له ضامنٌ وبه كافل
وعدت إلى حلبٍ ظافراً كعود الحليّ إلى العاطل^(٦)

وكان سيف الدولة اصطنع بني كلاب ، وأدناهم ، وآمن سربهم^(٧) ، فقهروا

(١) أجده : أي ذليل .

(٢) آب : رجع ، وضامر : هزبل .

(٣) أسر : قيود .

(٤) النضار : الذهب الخالص ، القنا : يريد الرمح ، والذابل : الدقيق .

(٥) المجنوبة : السلسة القياد .

(٦) العاطل : يقال جيد عاطل ، أي خالٍ من الحليّ .

(٧) يقال « فلان آمن في سربه » بكسر السين وسكون الراء - أي آمن في حرمة وعياله ، وهو مستعار من سرب الظباء والبقر الوحشي والقطا ، أي جماعتها .

العرب وعلت كلمتهم ، إلى أن بدرت منهم جفوة أحفظته^(١) فأسرى إليهم ، وأوقع بهم ، وملك حرمهم وأموالهم ، ثم صفح عنهم وكرم ، وجمع الحرم ، ووكل بهن الخدم وأفضل عليهن ، وأحسن إليهن ، فقال أبو الطيب من قصيدة [من الوافر] :

فعدن كما أخذن مكرّاتٍ	عليهن القلائد والملاب ^(٢)
يثبنك بالذي أوليت شكراً	وأين من الذي تولي الثواب ؟
وليس مصيرهنّ إليك شيئاً	ولا في صونهنّ لديك عاب ^(٣)
ولا في فقدهنّ بني كلابٍ	إذا أبصرن غرتك اغترابٍ
وكيف يتمّ بأسك في أناسٍ	تصيبهم فيؤلمك المصاب
ترفق أيها المولى عليهم	فإنّ الرفق بالجاني عتاب

هذا كلام مالحسنه غاية .

وعين المخطئين هم ، وليسوا	بأول معشرٍ خطئوا فتابوا
وأنت حياتهم غضبت عليهم	وهجر حياتهم لهم عقاب
وما جهلت أياديك البوادي	ولكن ربّما خفي الصواب
وكم ذنبٍ مولده دلالٌ	وكم بعد مولده اقتراب
وجرمٍ جرّة سفهاء قومٍ	وحلٌّ بغير جارمه العذاب ^(٤)

كأنما اقتبس من قول الله سبحانه : ﴿ أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ﴾^(٥) [ونحو من

هذا قول زياد في خطبته البتراء » والله لأخذن المحسن بالمسيء]

ولو غير الأمير غزا كلاباً ثناه عن شמושهم ضباب

(١) أحفظته : أغضبته وأحنقته .

(٢) الملاب : بفتح الميم ، كلّ عطرٍ مائع ، وهو فارسي الأصل .

(٣) الشين : العيب والنقص .

(٤) الجرم : الذنب ، وجارمه : مقترفه .

(٥) من الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

وما أحسن ما كُنِّي عن الحرم بالشموس ، وعن المحاماة دونهم بالضباب .

ولكن ربهم أسرى إليهم فما نفع الوقوف ولا الذهاب
كذا فليسر من طلب المعالي ومثل سراك فليكن الطلاب

وكتب إليه أبو فراس في تلك الحال يداعبه [من المتقارب] :

وما أنس لا أنس يوم المغار	محجبةً لفظتها الحجب
دعاك ذووها بسوء الفعال	لما لا تشاء وما لا تحب
فوافتك تعثر في مرطها	وقد رأت الموت من عن كئيب ^(١)
وقد خلط الخوف لمّا طلع	ت دلّ الجمال بذلّ الرعب
تسرع في الخطو لا خفة	وتهتزّ في المشي لا من طرب
فلما بدت لك دون البيوت	بدا لك منهن جيشٌ لجب ^(٢)
وما زلت ، مذ كنت ، تأتي الجميل	وتحمي الحريم وترعى الحسب
وتغضب حتى إذا ما ملكت	أطعت الرضا وعصيت الغضب
فكنت حماهنّ إذ لا حمى	وكنت أباهنّ إذ ليس أب
فولينّ عنك يفدينها	ويرفعن من ذيلها ما انسحب
ينادين بين خلال البيو	ت لا يقطع الله نسل العرب
أمرت وأنت المطاع الكريم	بيذلّ الأمان وردّ النهب ^(٣)
وقد رحن من مهجات القلوب	بأوفر غنم وأعلى نشب ^(٤)
فإن هنّ يا بن الكرام السراة	رددن القلوب رددنا السلب ^(٥)

(١) المرط : الثوب الطويل الذيل ، وكئيب : هنا بمعنى القريب ، وقد استعمل « عن » هنا إسماعياً بمعنى الجهة فلذلك أدخل عليها « من » .

(٢) جيش لجب : أي ذو جلبة وصياح ، وذلك لكثرة عدده .

(٣) النهب : السلب .

(٤) النشب : المال وغيره من إبل وخيول الخ ...

(٥) السراة : السادة الكرام .

وقال أيضاً يمدحه ويذكر نسوة بني كلاب [من البسيط] :

قد ضجّ جيشك من طول القتال به وقد شكتك إلينا الخيل والإبل
وقد درى الروم مذ جاورت أرضهم أن ليس يعصمهم سهل ولا جبل^(١)
في كل يوم تزور الشجر لا ضجر يشيك عنه ، ولا شغل ، ولا ملل
فالنفس جاهدة ، والعين ساهرة ، والجيش منهمك ، والمال مبتذل
توهمتك كلاب غير قاصدها وقد تكتفك الأعداء والشغل
حتى رأوك أمام الجيش تقدمه وقد طلعت عليهم دون ما أملوا
فاستقبلوك بفرسان أسنتها سود البراقع والأكوار والكلل^(٢)
فكنت أكرم مسئول وأفضله إذا وهبن فلا من ولا بخل

ويقال : إن سيف الدولة غزا الروم أربعين غزوة له وعليه ، فمنها أنه أغار على زبطرة وعرة وملطية ونواحيها فقتل وأحرق وسبى ، وانثنى قافلاً إلى درب موزار فوجد عليه قسطنطين بن فردس الدمستق فأوقع به وقتل صناديد رجاله ، وعقب إلى للدانه وقد تراجع من هرب منها فأعظم القتل وأكثر الغنائم ، و [قد] عبر الفرات إلى بلد الروم ، ولم يفعله أحد قبله ، حتى أغار على بطن هنزيط ، فلما رأى فردس بعد مغزاه وخلو بلاد الشام منه غزا نواحي انطاكية ، فأسرى سيف الدولة يطوي المراحل : لا ينتظر متأخراً ، ولا يلوي على متقدم ، حتى عارضه بمرعش ، فأوقع به وهزمه ، وقتل رؤوس البطارقة ، وأسرقسطنطين بن الدمستق ، وأصابته الدمستق ضربة في وجهه ، وأكثر الشعراء في هذه الواقعة ، فقال أبو الطيب [من الطويل] :

لكلّ امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

(١) يعصمهم : يمنعهم ويحميهم .

(٢) البراقع : أفنعة تستر بها النساء وجوهها . والأكوار : جمع كور وهو الرحل ، والكلل : الحالة .

وأن يكذب الإرجاف عنه بضدّه ويمسي بما تنوي أعاديّه أسعداً^(١)
وربّ مريدٍ ضرّه ضرّ نفسه وهادٍ إليه الجيش أهدى وما هدى

ومنها :

سريت إلى جيحان من أرض آملٍ ثلاثاً ، لقد أدناك ركضٌ وأبعدا
فولّى وأعطاك ابنه وجيوشه جميعاً ولم يعط الجميع لتحمدا
وما طلبتُ زرق الأسنة غيره ولكنّ قسطنطين كان له الفدا

وقال أبو فراس [من الطويل] :

وآب بقسطنطين وهو مكبلٌ تحفٌ بطاريقٌ به وزرازُر^(٢)
وولّى على الرسم الدمستق هارباً وفي وجهه عذرٌ من السيّف عاذر
فدى نفسه بابنٍ عليه كنفسه وللشدّة الصماء تقنى الذخائر^(٣)
وقد يقطع العضو النفيس لغيره وتدفع بالأمر الكبير الكبائر

وسار سيف الدولة لبناء الحدث - وهي قلعة عظيمة الشأن - فاشتد ذلك على ملك الروم ، فجمع عظماء أهل مملكته ، وجهزهم بالصليب الأعظم وعليهم فردس الدمستق ، ثائراً بابنه قسطنطين في عدد لا يحصى ، حتى أحاطوا بعسكر سيف الدولة ، والتهبت الحرب ، واشتد الخطب ، وساءت ظنون المسلمين ، ثم أنزل الله نصره ، فحمل سيف الدولة يخرق الصفوف طلباً للدمستق ، فولّى هارباً ، وأسر صهره وابن بنته ، وقتل خلق كثير من الروم ، وأكثر الشعراء في هذه

(١) الإرجاف : الخوض في الأخبار السيئة والفتن .

(٢) الزرازُر : جمع الزرزار ، وهو في الأصل الذكي الخفيف .

(٣) تقنى : تدخّر ، والدخائر : جمع ذخيرة ، وهو ما تدخّره لوقت الحاجة .

الوقعة ، فقال أبو الطيب وذكر الحدث [من الطويل] :

بناها فأعلى والقنا تفرع القنا
وكان بها مثل الجنون فأصبحت
تفيت الليالي كل شيء أخذته
وذكر ولد الدمستق فقال :

وقد فجعته بابنه وابن صهره
مضى يشكر الأصحاب في فوته الظبا
ويفهم صوت المشرفية فيهم
يسرّ بما أعطاك لا عن جهالة
وبالصهر حملات الأمير الغواشم
بما شغلها هامهم والمعاصم^(١)
على أن أصوات السيوف أعاجم
ولكن مغنوماً نجا منك غانم

وقال السريّ في بناء الحدث [من البسيط] :

رفعت بالحدث الحصن الذي خفضت
أعدته عدوياً في مناسبة
فقد وفي عرضه بالبيد واعترضت
مصغ إلى الجو أعلاه فإن خفقت
كان أبراجه من كل ناحية
منه الحوادث حتى ذلّ جانبه
من بعد ما كان رومياً مناسبة^(٢)
طولاً على منكب الشعري مناكبه
زهر الكواكب خلناها تخاطبه
أبراجها والدجى وحف غياهبه^(٣)

(١) القنا : يقصد بها السلاح وعدة الحرب . ، والمنايا : جمع منية ، وهي الموت ، ومتلاطم : أي يزحم بعضه بعضاً ، متدافع .

(٢) التماثم : جمع تميمية وهي العوذة التي تقي من العين .

(٣) غوارم : مدينة .

(٤) الظبا : جمع ظبة ، وهي حدّ السيف والسكين وغيرهما .

(٥) عدوياً : منسوب إلى عدي ، وهو جدّ من أجداد سيف الدولة .

(٦) الوخف : الشعر الأسود ، والغياهب : الظلمات الشديدة .

ولأبي فراس في ذكرها [من الطويل] :

رأى الثغر مثغوراً فسدَّ سيفه فم الدهر عنه وهو سغبان فاغر^(١)

* * *

ملح شعر سيف الدولة

ومما أنشدني أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي المقيم لسيف الدولة في وصف قوس قزح ، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرة [من الطويل] :

وساقٍ صبيحٍ للصبح دعوته فقام وفي أجفانه سِنة الغمض^(٢)
يطوف بكاسات العقار كأنجمٍ فمن بين منقضٍّ علينا ومنقضٍّ
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً على الجوِّ دكناً والحواشي على الأرض^(٣)
يطرّزها قوس الغمام بأصفرٍ على أحمرٍ في أخضرٍ تحت مبيضٍّ
كأذيال خودٍ أقبلت في غلائلٍ مصبغةٍ والبعض أقصر من بعض^(٤)

وهذا من التشبيهات الملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها السوقة ، ونظيره قول ابن المعتز في وصف الهلال [من الكامل] :

فانظر إليه كزورقٍ من فضةٍ قد أثقلته حمولةٌ من عنبرٍ

وقول أبي فراس - وهو مما يعرب عن استخدامه نفائس الفرس - [من الكامل] :

وكأنما البرك الملاء تحفها ألوان ذاك الروض والزهر

(١) مثغوراً : أي به ثغرة ، والسغب : الجوع ، وفاغر : فاتح .

(٢) الصبح : الشرب صباحاً ، سنة الغمض : أي الفتور الذي يلحق بالأجفان من النعاس .

(٣) الجنوب : الريح تهب جنوباً : والمطارف : ودكناً : قاتمة .

(٤) الخود : النساء الناعمة ، والغلائل : الثياب الرقيقة الناعمة ، تنسب إلى ابن الرومي .

بسط من الديباج بيضُ فروزت أطرافها بفراوزٍ خضر^(١)
وقوله من قصيدة [من الكامل] :

والماء يفصل بين زهر الـ رَوْض في الشَّطِين فصلا
كبساط وشي جَرَدَتْ أَيْدِي القِيُون عليه نصلا^(٢)
وأنشدني أبو الحسن العلوي الهمداني ، قال : أنشدني سيف الدولة لنفسه .
وأنا أراه من قوله في صباه [من الوافر] :

أقبله على جزعٍ كشرب الطائر الفزع
رأى ماءً فأطعمه وخاف عواقب الطمع
وصادف فرصةً فدنا ولم يلتذّ بالجرع^(٣)

ينظر معناها إلى قول ابن المعتز [من المنسرح] :

فكم عناقٍ لنا وكم قبلٍ مختلساتٍ حذارٍ مرتقب
نقر العصافير- وهي خائفةٌ من النواطير- يانع الرطب^(٤)

ويحكى أنه كانت لسيف الدولة جارية من بنات ملوك الروم ، لا يرى الدنيا
إلا بها ، ويشفق من الريح الهابة عليها ، فحسدتها سائر حظاياها على لطف محلها
منه ، وأزمعن إيقاع مكروه بها من سم أو غيره ، وبلغ سيف الدولة ذلك ، فأمر
بنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً على روحها ، وقال [من الخفيف] :

راقبتني العيون فيك فأشفقت ولم أخلُ قطُّ من إشفاقٍ

(١) فروزت : ذيلت بحواشي .

(٢) القيون : مفردا قين وهو الحداد .

(٣) الجرع : شرب الماء بسرعة .

(٤) النواطير : جمع ناطور ، وهو الموكل بحراسة الكروم والأشجار .

ورأيت العذول يحسدني فيك مجداً يا أنفس الأعلاق^(١)
 فتمنيت أن تكوني بعيداً والذي بيننا من الودِّ باق
 ربُّ هجرٍ يكون من خوف هجرٍ وفراقٍ يكون خوف فراق
 وأنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني ابن خالويه بحلب لسيف
 الدولة [من الطويل] :

تجنّى عليّ الذنبَ والذنبَ ذنبه وعاتبني ظلماً وفي شقّه العتب^(٢)
 وأعرض لما صار قلبي بكفّه فهلاًّ جفاني حين كان لي القلبُ !^(٣)
 إذا برم المولى بخدمة عبده تجنّى له ذنباً وإن لم يكن ذنب^(٤)
 يشبه هذا المعنى [من الخفيف] :

وإذا ما الجفاء جهّز جيشاً سبقته طليعةٌ من تجنّى
 وأنشد أبو الحسن أحمد بن فارس ، قال : أنشدني شاعر يعرف بالمتيم^(٥)
 لسيف الدولة [من المديد] :

قد جرى في دمه دمه فإلى كم أنت تظلمه ؟
 ردّ عنه الطرف منك فقد جرّحه منك أسهمه^(٦)
 كيف يستطيع التجلّد منْ خطرات الوهم تؤلمه ؟^(٧)

(١) الأعلاق : جمع علق وهو من العقود .

(٢) شقّه : فمه .

(٣) أعرض : صدّ وامتنع .

(٤) برم : سئم وضجر .

(٥) المتيم : سبق للمؤلف في مطلع هذا البحث أن سماه أبا الحسن محمد بن أحمد الأفرريقي .

(٦) الطرف : العين والنظر .

(٧) خطرات الوهم : تخيّل وتصوّر .

وأنشدني غير واحد له في أخيه ناصر الدولة أبي محمد عند وحشة جرت
بينهما . [من الطويل] :

رضيت إليك العليا وقد كنت أهلها وقلت لهم بيني وبين أخي فرق
ولم يكُ بي عنها نكولٌ ، وإنما تجافيت عن حقي فتمّ لك الحق^(١)
ولا بدّ لي من أن أكون مصلياً إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق^(٢)

وأنشدت له أيضاً في وصف نار الكانون [من المنسرح] :

كأنما النار والرماد معاً وضوءها في ظلامه يحجب
وجنة عذراء مسّها خجلٌ فاستترت تحت عنبرٍ أشهب^(٣)

نظيرهما في الحسن قول كشاجم [من المنسرح] :

كأنما الجمر والرماد وقد كاد يوارى من ناره النورا
ورد جني القطاف أحمر قد ذرّت عليه الأكفّ كافورا

وقول أبي طالب المأموني [من الخفيف] :

ما ترى النار كيف أسقمها الـقـرّ فأصحت تخبو وطوراً تسعُر^(٤)
وغدا الجمر والرماد عليه في قميصٍ مذهبٍ ومعنبرٍ

* * *

(١) النكول : الهرب والابتعاد .

(٢) المصلّى : هو من فرسان السباق الذي يجيء بعد الفرس الأول ، والأول يسمّى السابق .

(٣) الأشهب : ما كان لونه الشهبه ، وهي بياض غلب على السّواد .

(٤) القرّ : البرد ، وتخبو : يضعف وهجها ، وتسعر : يشتدّ وهجها ويتقد .

الباب الثالث

٢ - في ذكر أبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وأخباره وغرر أخباره وأشعاره^(١)

[هو ابن عم سيف الدولة المقدم ذكره ، وابن عم ناصر الدولة] .

كان فرد دهره ، وشمس عصره ، أدباً وفضلاً ، وكرماً ونبلاً ، ومجداً وبلاغة وبراعة ، وفروسية وشجاعة ، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة ، والعدوبة والفخامة ، والحلاوة والمتانة ، ومعه رواء الطبع ، وسمّة الظرف ، وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله بن المعتز ، وأبو فراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة ونقّدة الكلام ، وكان الصاحب يقول : « بدىء الشعر بملك ، وختم بملك » يعني امرأ القيس وأبا فراس ، وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ، ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ، ولا يجترى على مجاراته ، وإنما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيئاً له وإجلالاً ، لا إغفالاً وإخلالاً . وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن أبي فراس ، ويميزه بالإكرام عن سائر قومه ، ويصطنعه لنفسه ، ويصطحبه في غزواته ، ويستخلفه على أعماله ، وأبو فراس ينثر الدر الثمين في مكاتباته إياه ، ويوفيه حق سؤدده ، ويجمع بين أدبي السيف والقلم في خدمته .

* * *

(١) تجد ترجمة أبي فراس في وفيات الأعيان لابن خلكان (١٢٧/١ الحلي) .

قطعة من أخباره مع سيف الدولة وأشعاره فيه سوى الروميات

حكى ابن خالويه قال : كتب أبو فراس إلى سيف الدولة ، وقد شخص من حضرته إلى منزله بمنج كتاباً صدره : «كتابي - أطال الله بقاء مولانا ! - من المنزل وقد وردته ورود السالم الغانم مثقل [البطن] والظهر وفرأ وشكراً » . فاستحسن سيف الدولة بلاغته ، ووصف براعته . وبلغ أبا فراس ذلك فكتب إليه [من الكامل] :

هل للفصاحة والسماحة والعلا عني محيدٌ
إذ أنت سيدي الذي ربيتني ، وأبي سعيدٌ
في كل يومٍ أستفيد من العلاء وأستزيدُ
وزيد في إذا رأيك في الندى خلقٌ جديدُ

وكان سيف الدولة قلماً ينشط لمجلس الأنس ؛ لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش وملابسة الخطوب ، وممارسة الحروب ، فوافقت حضرته إحدى المحسنات من قيان بغداد ، فتأقت نفس أبي فراس إلى سماعها ، ولم ير أن يبدأ باستدعائها قبل سيف الدولة ، فكتب إليه يحثه على استحضارها ، فقال [من السريع] :

محلّك الجوزاء أو أرفعُ وصدرك الدهناء بل أوسع^(١)
وقلبك الرحب الذي لم يزل للجد والهزل به موضع
رفّة بقرع العود سمعاً غدا قرع العوالي جلّ ما يسمع

فبلغت هذه الأبيات المهلبي الوزير فامر القيان [والقوالين] بحفظها

(١) الجوزاء : نجم في السماء ، والدهناء : صحراء من صحارى العرب ، يريد أن صدره مثلها في الاتساع .

(٢) العوالي : الرماح .

وتلحينها ، وصار لا يشرب إلا عليها .

وكتب أبو فراس إلى سيف الدولة [من الكامل] :

يا أيها الملك الذي أضحت له جمل المناقب^(١)
نتج الربيع محاسناً ألقننها غرر السحائب^(٢)
راقت ورق نسيمها فحكت لنا صور الجائب
حضر الشراب فلم يطب شرب الشراب وأنت غائب

وتأخر عن حضرته لعة وجدها ، فكتب إليه [من الهزج] :

لقد نافسني الدهر بتأخيري عن الحضرة
فما ألقى من العلة ما ألقى من الحسرة

وأهدى الناس إلى سيف الدولة [في بعض الأعياد] وأكثروا ، فكتب إليه أبو

فراس [من الكامل] :

نفسي فداؤك قد بعثت تعهدي بيد الرسول
أهديت نفسي ، إنما يهدي الجليل إلى الجليل
وجعلت ما ملكت يدي صلة المبشر بالقبول
[لما رأيتك في الأنا م بلا مثال أو عدل]^(٣)

وكتب إليه يعاتبه [من الكامل] :

قد كنت عدتني التي أسطوبها ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي
فرميت منك بغير ما أملكته والمرء يشرق بالزلال البارد^(٤)

(١) المناقب : المآثر .

(٢) نتج الربيع : خلف ، وألقننها : أسقيناها والسحائب : الغيوم .

(٣) العدل : الشبيه والموازن .

(٤) يشرق : يغص ، والزلال : الماء العذب .

فصبرت كالولد التقى لبره أغضى على ألم لضرب الوالد
وعزم سيف الدولة على الغزو ، واستحلاف أبي فراس على الشام ، فكتب
إليه قصيدة منها [من البسيط] :

قالوا المسير فهزّ الرمح عامله
حقاً لقد ساءني أمرٌ ذكرت له
لا تشغلنّ بأمرِ الشام تحرسه
وإنّ للثغر سوراً من مهابته
لا يحرمني سيف الدّين صحبته
وما اعترضت عليه في أوامره

وارتاح في جفنه الصمصامة الخدم^(١)
لولا فراقك لم يوجد له ألمٌ
إن الشام على من حلّه حرمٌ
صخوره من أعادي أهله القمم
فهي الحياة التي تحيا بها النسم^(٢)
لكن سألت ، ومن عاداته « نعم »

وقال له [من الطويل] :

وما لي لا أثني عليك وطالما
وأودتني حتّى إذا ما ملكتني

وكتب إليه يعزیه [من السريع] :

لا بدّ من فقدٍ ومن فاقدٍ
كنّ المعزّي لا المعزى به

هيئات ما في الناس من خالدي
إن كان لا بدّ من الواحد

وكتب إليه [من الطويل] :

أيا عاتباً لا أحمل الدهر عتبه
سأسكت إجلالاً لعلمك أنّي

عليّ ، ولا عندي لأنعمه جحد^(٣)
إذا لم تكن خصمي لي الحجج اللدّ^(٤)

(١) الصمصامة : السيف ، والخدم : القاطع .

(٢) النسم : الناس والأرواح .

(٣) الجحد : النكران .

(٤) اللدّ : الشديدة القويّة .

وكان لسيف الدولة غلام يقال له نجا ، قد اصطنعه ونوه باسمه وقلده
 طرسوس وأخذ يقرع باب العصيان والكفران ، وزاد تبسطه وسوء عشرته لرفقائه ،
 فبطش به ثلاثة نفر منهم وقتلوه . فشق ذلك على سيف الدولة ، وأمر بقتل فتكته
 فكتب إليه أبو فراس [من المجتث] :

ما زلت تسعى بجدٍّ برغم شانيك مقبل^(١)
 ترى لنفسك أمراً وما يرى الله أفضل

وكتب إليه يستعطفه [من الكامل] :

إن لم تجاف عن الذنوب وجدتها فينا كثيرة^(٢)
 لكنّ عادتكَ الجميلة أن تغضّ على بصيره^(٣)

وكتب إليه يستعطفه [من الوافر] :

دع العبرات تنهمر انهما را	ونار الشوق تستعر استعارا
أتطفأ حسرتي وتقرّ عيني	ولم أوقد مع الغازين نارا
أقمت على الأمير وكنت ممّن	تعزّ عليه فرقته اختيارا
إذا سار الأمير فلا هدواً	لنفسٍ أو يؤوب ، ولا قرارا
ستذكرني إذا طردت رجالاً	دققت الرمح بينهم مرارا
وأرضٍ كنت أملؤها رجالاً	وجوّاً كنت أرهجه غبارا ^(٤)
إذا بقي الأمير قرير عينٍ	فديناه اختياراً واضطرابا
يمدّ على أكابرنا جناحاً	ويكفل عند حاجتها الصغارا ^(٥)

(١) شانيك : ميفضك .

(٢) تجاف : تصفح وتبتعد .

(٣) تغضّ : تتجاهل وتتعامى ، والبصيرة : المعرفة .

(٤) الرهج : بفتح الراء والهاء : الغبار ، وأرهج الرجل : أثار الغبار .

(٥) يريد أن عنايته قد شملت الكبار والصغار .

أراني الله طلعتة سريعاً وأصبحه السّلامة حيث سارا
وبلّغه أمانيه جميعاً وكان له من الحدثان جارا^(١)

وكتب إليه [من الوافر] :

إذا حدثن جمجمن الكلاما ^(٢)	ألا من مبلغ سروات قومي
وسيف الدولة الملك الهما	بأنني لم أدع فتيات قومي
ونار الحرب تضطرم اضطراما ^(٣)	شريت ثناءهنّ يبذل نفسي
أشدّ من المنية أو حياما ^(٤)	ولما لم أجد إلاّ فراراً
وقلت لصحبتي موتوا كراما	حملت على ورود الموت نفسي
إذا لم أركب الخطط العظاما	وهل عذرٌ وسيف الدين ركني
وأجعل فضله أبداً إماما	وأقفو فعله في كلّ أمر
وحسبي أن أكون له غلاما	وقد أصبحت منتسباً إليه
وأعطاني على الدهر الذّماما	أراني كيف أكتسب المعالي
وأنشأني فسدت به الأناما	وربّاني ففقت به البرايا
وزاد الله نعمته دواما	فأحياه الإله لنا طويلاً

* * *

ما أخرج من فخرياته

قال من قصيدة يذكر فيها إيقاعه ببني كعب وهو على مقدمة سيف الدولة وكان

(١) الحدثان : الليل والنهار .

(٢) السروات : جمع سرّة وهو جمع سري أو السراة مفرد بمعنى الأعلى من كلّ شيء ، ثم أريد منه العظيم القدر من الرجال . والجمجمة : الإسرار بالكلام وإخفاؤه .

(٣) تضطرم : تستعر وتصطلي .

(٤) الحمام : الموت .

قد حسن بلاؤه في تلك الواقعة [من الوافر] :

ألم ترنا أعزّ الناس جاراً	وأمنعهم وأمرعهم جناباً ^(١)
لنا الجبل المطلّ على نزارٍ	حللنا النجد منه والهضاباً ^(٢)
يفضّلنا الأنام ولا نحاشي	ونوصف بالجميل ولا نحابي
وقد علمت ربّعة بل نزارُ	بأنّا الرأس والناس الذنابي
ولما أن طغت سفهاء كعبٍ	فتحنا بيننا للحرب باباً
منحناها الحرائب غير أنّا	إذا جارت منحناها الحراباً ^(٣)
ولما ثار سيف الدين ثرنا	كما هيّجت آساداً غضاباً
أسّته إذا لاقى طعاناً	صوارمه إذا لاقى ضرباً
دعانا والأسنة مشرعاتُ	فكّنا عند عودته الجواباً ^(٤)
صنائع فاق صانعها ففاقتُ	وغرسُ طاب غارسه فطاباً
وكنا كالسهام إذا أصابت	مراميها فراميها أصاباً

هذا أحسن ما قيل في معناه ، وقد أخذه الأستاذ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي ، فكتب في كتاب فتح تولاه للصاحب بأصبهان : « وهنّا الله مولانا كافي الكفاة هذه المناجح التي هي نتائج عزائمه ، وثمرات صرائمه ، فما يرى عبده وصنيعته ، وسائر من يكنفه ظله وتريشه عنايته ، نفوسهم إذا وفقوا لمذهب من مذاهب الخدمة وهدوا لأداء حق من حقوق النعمة ، إلا سهاماً إذا أصابت فراميها المصيب ، وما لها في المحمّدة نصيب » .

(١) أمرعهم جناباً : أخصّهم محلاً وأكثرهم نعمة .

(٢) النجد : ما ارتفع من الأرض ، والهضاب : جمع هضبة ، وهي ما اطمأن من الأرض .

(٣) الحرائب : الأسلاب .

(٤) مشرعات : معدّة للقتال .

ولأبي فراس من قصيدة أولها [من الوافر] :

أيلحاني على العبرات لاحي	وقد يش العواذل من صلاح ^(١)
تملكني الهوى بعد التأبي	وراضني الهوى بعد الجماح ^(٢)
ألا يا هذه هل من مقل	لضيفان الصبابة أو مراح
فلولا أنت ما قلقت ركابي	ولا هبت إلى نجد رياحي

ومنها :

ومن جرّك أوطنت الفيافي	وفيك غذيت ألبان اللقاح
أصاحب كلّ خلّ بالتجافي	وأسو كلّ داء بالسّماح
إذا ما عنّ لي أربّ بأرض	ركبت له ضمينات النّجاح ^(٣)
ولي عند العداة بكلّ أرض	ديون في كفالات الرماح

وله من قصيدة كتب بها إلى جعفر بن ورقاء [من الكامل] :

إنّا إذا اشتدّ الزّما	ن وناب خطبّ وادلهم ^(٤)
ألفيت حول بيوتنا	عدد الشجاعة والكرم
للقا العدا بيض السيو	ف وللندی حمر النعم ^(٥)
هذا وهذا دأبنا	يودي دمّ ويراق دم ^(٦)

وله من قصيدة أولها [من الطويل] :

أقلّي فأيام المحبّ قلائل	وفي قلبه شغلّ عن اللوم شاغل
--------------------------	-----------------------------

(١) اللاحي : اللائم .

(٢) التأبي : الإمتناع ، وراضني : قاذني وطوّعني ، والجماع : الشرود .

(٣) ضمينات : من الضمان والحيلة .

(٤) ناب : حلّ ، وادلهم : اشتدّ واكفهر .

(٥) حمر النعم : الأبل .

(٦) يودي : يسفك ، ويراق : يسفك .

يقول فيها :

تطالبني البيض الصوارم والقنا
ووالله ما قصّرت في طلب العلا
مواعيد أيامٍ تطالبني بها
وأخلاف أيامٍ متى ما انتجعتها
تدافعني الأيام عما أريغه
خليليّ ، شدّا لي على ناقتي كما
فمثلي من نال المعالي بسيفه
وما كلّ طلابٍ من الناس بالغٍ
وإنّ مقيماً منجح العزّ خائبٌ
وما المرء إلا حيث يجعل نفسه
أصاغرنا في المكرمات أكابرُ
إذا صلت صولاً لم أجد لي مصولاً
وله من قصيدة أخرى [من الوافر] :

عذيري من طوالع في عذاري
وثوبٍ كنت ألبسه أنيقٍ
ومن ردّ الشباب المستعار
أجرّ ذيله بين الجواري

-
- (١) البيض : السيوف ، والصوارم : القواطع ، والمخايل : جمع مخيلة ، وأراد أن مخايل النجابة كانت ظاهرة عليه ، فتوسّم فيه جدّاه الشجاعة والإقدام .
(٢) المخاتل : الغادر .
(٣) الأخلاف : الأنداء والضروع ، والبكيات : جمع بكية وهي التي قلّ لبنها ، والحوافل : الممتلئة .
(٤) أريغه : أطلبه ، والغريم المماطل : أي المدين المؤفّ .
(٥) الناصل : الظاهر والخارج .
(٦) غالته : دهرته وأصابته ، والغوائل : الدواهي والمصائب .
(٧) السماكان : نجمان في السّماء .

وما زادت عن العشرين سنّي فما عذر المشيب إلى عذاري ؟

أخذه من قول أبي نواس [من الكامل] :

وإذا عددت السنّ كم هي لم أجد
رجعاً وما استمتعت من راعي التصابي
تلاعب بي على هوج المطايا
ونفسٍ دون مطلبها الثريا
وما يغنيك من همّ طوالٍ
عزيزٌ حيث حطّ السير رحلي
فأهلي من أنخت إليه عيسي

وله [من الوافر] :

لنا بيتٌ على عنق الثريا
تظللّه الفوارس بالعوالي

وله [من الوافر] :

لقد علمت سراة الحيّ أنا
يفيء الراغبون إلى ذراه

وله [من الوافر] :

لئن خلق الأنام لحتّ كأسٍ
ومزمارٍ وطنبورٍ وعودٍ

(١) الصغار : الذلّ .

(٢) قرنت : سلّكت ، والأحوال : جمع حول : وهي السنة ، ويقصد بها الأعمار .

(٣) العيس : الإبل .

(٤) الأطناب عُمُد البيت ، وسامي : من السموّ .

فلم يخلق بنو حمدان إلا
وله [من الوافر] :

علونا جوشناً بأشدّ منه
بجيشٍ جاش بالفرسان حتى
والسنة من العذبات حمراً
وأروع جيشه ليلٌ بهيمٌ
صفوحٌ عند قدرته كريمٌ
وكان ثباته للقلب قلباً
وأثبت عند مشتجر الرماح^(١)
ظننت البرّ بحرّاً من سلاح^(٢)
تخاطبنا بأفواه الرياح^(٣)
وغرته عمودٌ للصباح^(٤)
قليل الصفح ما بين الصفاح
وهيته جناحاً للجناح^(٥)

وله من قصيدة [من الوافر] :

قتلت فتى بني عمرو بن عبد
ولست أرى فساداً في فساد
وأوسعهم على الضيفان ساحا
يجرّ على فريقه صلاحا

كان سيف الدولة قد أبعد كلاباً وشردّها ، فقصدت أبا فراس وهو ببالس في خف
من أصحابه ، وعليهم كثير بن عوسجة ، فهزمهم ، ثم طرحوا أنفسهم عليه وقدمت
وفودهم إليه ، فخرج وتوسط في أمرهم مع سيف الدولة ، وقال في ذلك [من
الوافر] :

سلي عتّا سراة بني كلابٍ ببالس عند مشتجر العوالي^(٦)

(١) الجوشن : الدرع ، مشتجر الرماح : تشابكها .

(٢) جاش : امتلاً وفاض .

(٣) العذبات : رؤوس الألسنة وأطرافها .

(٤) غرته : نوره وبياضه .

(٥) الجناح : يعني به جناح الجيش لأن الجيش كان يقسم إلى خمس فرق - القلب والمقدمة والمؤخرة والجناحان .

(٦) بالبس : بلدة بشط الفرات ، والعوالي : الرماح واشتجارها : اختلاطها .

لَقِينَاهُمْ بِأَسْيَافٍ قَصَارٍ كَفَيْنَ مَوْنَةَ الْأَسْلِ الطَّوَالِ^(١)
فَوَلَّى بَابِنَ عَوْسَجَةً كَثِيرٌ وَسَاعَ الْخَطُوفِ فِي ضَنْكَ الْمَجَالِ
يَرَى الْبَرْغُوثَ إِذْ نَجَّاهُ مَنْأً أَجَلَ عَقِيلَةٍ وَأَحَبَّ مَالِ
تَدُورُ بِهِ إِمَاءُ بَنِي قَرِيطٍ وَتَسْأَلُهُ النِّسَاءُ عَنِ الرِّجَالِ
يَقْلَنَ لَهُ السَّلَامَةُ خَيْرَ غَنَمٍ وَإِنَّ الذَّلَّ فِي ذَاكَ الْمَقَالِ
وَعَادُوا سَامِعِينَ لَنَا فَعَدْنَا إِلَى الْمَعْهُودِ مِنْ شَرَفِ الْفَعَالِ
وَنَحْنُ مَتَى رَضِينَا بَعْدَ سَخَطٍ أَسُونَا مَا جَرَحْنَا بِالنَّوَالِ^(٢)

أخذه من قول أبي نواس :

وَكَلَّتْ بِالْدهِرِ عَيْنًا غَيْرَ غَافِلَةٍ بِجُودِ كَفِّكَ تَأْسُو كُلُّ مَا جَرَحَا
وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ أُولَاهَا [مِنَ الْوَافِرِ] :

وَقُوفُكَ بِالْذِّيَارِ عَلَيْكَ عَارٍ وَقَدْ رَدَّ الشَّبَابُ الْمُسْتَعَارُ
وَمِنْهَا :

وَكَمْ مِنْ لَيْلَةٍ لَمْ أَرَوْ مِنْهَا حَنَنْتُ لَهَا وَأَرْقَنِي ادِّكَارُ^(٣)
عَسَفْتُ بِهَا عَوَارِيَّ اللَّيَالِي أَحَقَّ الْخَيْلِ بِالرِّكْضِ الْمَعَارُ^(٤)
فَبْتُ أَعْلَ خَمْرًا مِنْ رَضَابٍ لَهَا سَكْرٌ وَلَيْسَ لَهَا خَمَارُ^(٥)

(١) للأسل : الرماح ، يقصد أن السيوف قامت مقام الرماح في الحرب .

(٢) أسونا : داوينا وخففنا آلام الجراح ، والنوال : العطاء .

(٣) لم أرو : لم أنل غايتي منها ، وأرقني : أسهرني

(٤) عسفت : ظلمت ، والعواري : جمع عارية ، وهو ما تعطيه غيرك على أن يعيده إليك ، وعجز هذا البيت من قول الشاعر :

وجدنا في كتاب بني تميم أحقَّ الخيل بالركض المعارُ

(٥) أعل : أنهل وأشرب ، والخمار : الصنداع يعتري شارب الخمر .

إلى أن رقّ ثوب الليل عنا ونادت قم فقد برد السّوار^(١)

ومنها :

إذا ما العزّ أصبح في مكانٍ
مقامي حيث لا أهوى قليلٌ
أبت لي همتي وغرار سيفي
ونفسٌ لا تجاورها الدّنيا
وقومٌ مثل من صحبوا كرامٌ
وكم بلدٍ شتّاهنّ فيه
وكم ملكٍ نزعنا الملك عنه

سموت له ، وإن بعد المزارُ
ونومي عند من أقلّى غرارُ
وعزمي والمطيّة والقفار^(٢)
وعرضٌ لا يرفُّ عليه عار
وخيلٌ مثل من حملت خيار
ضحىً وعلا منابرهُ المَعَار^(٣)
وجبارٍ به دمه جبار^(٤)

وله من أخرى [من الطويل] :

ولو نيلت الدنيا بفضلٍ منحتها
ولكنّها الأيام تجري بما جرتُ
لقد قلّ أن تلقى من الناس مجملًا
ولست بجهم الوجه في وجه صاحبي

فضائل تحويها وتبقى فضائلُ
فيسفل أعلاها وتعلو الأسافل
وأخشى قريباً أن يقلّ المجامل^(٥)
وإن سأل الأعمار ما هو سائل^(٦)

وله [من الطويل] :

بخلت بنفسي أن يقال مبخلٌ
وأقدمت جنباً أن يقال جبانٌ

(١) السّوار : حلقة من ذهب تتخذ في المعصم وسوار الخمر : شدّتها .

(٢) غرار السيف : حدّه .

(٣) المَعَار : الفرس المضمرّ ، وفي الديوان :

وكم بلدٍ شتّاهنّ فيه ضحىً وعلا منابرهُ الغبار

(٤) جُبار : بزّة شجاع - أي هدر دمه ولا نأثر له ، وفي الحديث : « جرح العجماء جبار » .

(٥) المجامل : المواسي والمشارك .

(٦) جهم الوجه : مقطّبه وعابسه .

وملكي بقايا ما وهبت مفاضة^(١) ورمح^(٢) وسيف^(٣) قاطع^(٤) وسان^(٥)
وله [من الوافر] :

بأطراف المثقفة العوالي
وما تحلو مجاني العز يوماً
ممالكنا مكاسبنا إذا ما
إذا لم تمس لي ناراً بأرض
وله [من الكامل] :

غيري يغيره الفعال الجافي
لا أرتضي ودّاً إذا هو لم يدم
تعس الحريص وقلّ ما يأتي به
إنّ الغنيّ هو الغنيّ بنفسه
ما كلّ ما فوق البسيطة كافياً
وتعاف^(٦) لي طمع الحريص فتوتي
ما كثرة الخيل العتاق بزائدي
خيلي - وإن قلّت - كثير نفعها
ومكارمي عدد النجوم ، ومنزلي
ويحول^(٧) عن شيم الكريم الوافي^(٨)
عند الجفاء وقلّة الإنصاف
عوضاً عن الإلحاح والإلحاف
ولو انه عاري المناكب حافي
وإذا قنعت فبعض شيء كافي^(٩)
ومروءتي وقناعتني وعفافي^(١٠)
شرفاً ، ولا عدد السوام الضافي^(١١)
بين الصوارم والقنا الرّعاف^(١٢)
مأوى الكرام ومنزل الأضياف

(١) المفاضة : الدرع الفضفاضة الوافية .

(٢) صالي : أصلى النار : أسعها .

(٣) يحول : يتغير ويتحول .

(٤) البسيطة : الأرض .

(٥) تعاف : تكره وتأبى .

(٦) العتاق : الكريمة ، والسوام : الإبل وغيرها من الماشية .

(٧) الرّعاف : النازف للدماء .

لا أقتني لصروف دهري عدةً حتى كأنَّ خطوبه أحلافي^(١)
شيمٌ عرفت بهنَّ مذ أنا يافعٌ ولقد عرفت بمثلها أسلافي

وله [من الوافر] :

أتعجب إن ملكنا الأرض قسراً وأن تمسي وسائدي العراب^(٢)
وتربط في مجالسنا المذاكي وتنزل بين أرحلنا الركاب^(٣)
وهذا العزُّ أورثنا العوالي وهذا الملك ملكنا الضرابُ
فقصرك إنَّ حالاً ملكتنا لحالٌ لا تدمُّ ولا تعابُ

وله [من الطويل] :

ونحن أناسٌ لا توسّط عندنا لنا الصدر دون العالمين أو القبرُ
تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغله المهر

* * *

الإخوانيات

[قال] وكتب بها إلى أخيه أبي الهيجاء [من المتقارب] :

حللت من المجد أعلى مكانٍ وبلغك الله أقصى الأماني
فأنك - لا عدمتك العلا - أخٌ لا كإخوة هذا الزمان
كسوت أخوتنا بالصفاء كما كسيت بالكلام المعاني

(١) أحلافي : أي مرافقي وأتباعي ، أو أنها عقدت حلفاً معي فهي لا تفارقي .

(٢) العراب : الخيل العربية .

(٣) المذاكي : جمع مذك ، وهو من الخيل ماتم له بعد قروحه سستان ، يقصد الخيل النشيطة الفتية .

وقال لصديق له وأحسن [من الخفيف] :

لم أؤاخذك بالجفاء لأنني واثقٌ منك بالوداد الصريح^(١)
فجميل العدو غير جميلٍ وقبيح الصديق غير قبيح

وله [من الكامل] :

ما كنت تصبر في القدي م فلم صبرت الآن عناً
ولقد ظننت بك الظنو ن لأنّه من ضنّ ظناً^(٢)

وقال [من الكامل] :

أشفقت من هجري فسأطت الظنون على اليقين
وضننت بي فظننت بي والظنّ من شيم الضنين

وقال وكتب بها إلى أخيه [من الكامل] :

ولقد أبيتُ وجلّ ما أدعو به حتّى الصباح وقد أقضّ المضجع^(٣)
لا همّ إنّ أخي لديك وديعتي أبداً ، وليس يضيع ما تستودع

وكتب إلى أبي العشائر وهو أسير بأرض الروم [من الطويل] :

نفى النوم عن عيني خيالٌ مسلّم تأوّب من أسماء والركب نوم^(٤)
وخطبُ من الأيام أنساني الهوى وأحلى بفيّ الموت والموت علقم^(٥)
ووالله ما شبيّت إلاّ علالةً ومن نار غير الحبّ قلبي يضرّم

(١) الوداد الصريح : الحبّ الصافي الذي لا تشوبه شائبة .

(٢) ضنّ : بخل .

(٣) أقضّ المضجع : أي أفلقه وحرمه النوم .

(٤) تأوّب : رجع .

(٥) العلقم : الشديد المرارة .

فمن مبلغ عني الحسين ألوكه
لذيذ الكرى حتى أراك محرم
وأترك أن أبكي عليك تطيراً
تضمنها درُّ الكلام المنظم^(١)
ونار الأسى بين الحشا تتضرم
وقلبي يبكي والجوانح تلطم^(٢)

لم يسمع أحسن من هذا البيت في التفجع بمنكوب .

وأظهر للأعداء فيك جلادة
وما أغربت فيك الليالي وإنها
طوارق خطبٍ ما تغبُّ وفودها
فما عرفتنني غير ما أنا عارف
وأكتم ما ألقاه ، والله يعلم
لتصدعنا من كلِّ شعبٍ وتثلم^(٣)
وأحداث أيامٍ تفدُّ وتثتم^(٤)
ولا علّمتني غير ما كنت أعلم
ومنها :

أندعو كريماً من يجود بماله
إذا لم يكن ينجي الفرار من الردى
لعمري لقد أعذرت لو أن مسعداً
وما عابك ابن السابقين إلى العلا
ومالك لا تلقى بمهجتك القنا
لعا يا أخي لا مسك السوء ! إنه
ومن جاد بالنفس النفيسة أكرم
على حالة فالصبر أرجى وأحزم^(٥)
وأقدمت لو أن الكئائب تقدم
تأخر أقوامٍ وأنت مقدم
وأنت من القوم الذين همُّهم
هو الدهر في حاله يؤسى وأنعم^(٦)

(١) الألوكة : الرسالة .

(٢) تطيراً : تشاؤماً ، والجوانح : جوانب الصدر وأضلاعه .

(٣) أغربت : أظلمت ، وتصدعنا : من الصدع وهو الشق الذي يفرق بين وحدة الشيء والشعب : بكسر الشين : الناحية .

(٤) تغبُّ : تزور حيناً بعد حين يعني أن الخطوب كانت متلاحقة ، وتفدُّ : تأتي بالمصائب فذة أي مفردة ، وتثتم :

تأتي بها زوجاً ، وأصله قولهم « أتأتم المرأة » إذا ولدت توماً .

(٥) الردى : الموت والهلاك .

(٦) لعا : دعاءً للعائر ، يعني نعشك الله ونجوت .

وكتب إليه قصيدة أخرى منها [من الكامل] :

أبَا العشائر إن أُسِرْتُ فطالما أسرت لك البيض الخفاف رجالا
لَمَّا أَجَلت المهر فوق رؤوسهم نسجت له حمر الشعور عقالا
ما أحسن ما اعتذر له مع إحسانه التشبيه .

يا من إذا حمل الحصان على الوجى قال اتخذ حبك التريك نعالا^(١)
ما كنت نهزة آخذ يوم الوغى لو كنت أوجدت الكميت مجالا^(٢)
أخذوك في كيد المضايق غيلةً مثل النساء تربب الرثبالا^(٣)
زللٌ من الأيام فيك يقيه ملكٌ إذا عشر الزمان أقالا
بالخيل ضمراً والسيوف قواصباً والسمر لدناً والرجال عجالا^(٤)
وقال [من البسيط] :

ما كنت مذ كنت إلا طوع خلاني ليست مؤاخذه الإخوان من شاني
يجني الخليل فأستحلي جنائته حتى أدلُّ على عفوي وإحساني
إذا خليلي لم تكثر إساءته فأين موقع إحساني وغفراني
يجني عليّ وأحنو صافحاً أبداً لا شيء أحسن من حانٍ على جاني^(٥)
وقال [من الكامل] :

ما صاحبي إلا الذي من بشره عنوانه في وجهه ولسانه

-
- (١) الوجى : التعب ، والحبك : جمع حبيكة وهي المنسوجة ، والتريك : بيضة المغفر ، يأمر حصانه أن يتخذ من مغافر أعدائه نعالاً له ، وذلك كناية عن قهره إيّاهم واستيلائه على عقائلهم .
(٢) نهزة : فرصة ، والكميت : الحصان يميل لونه إلى الحمرة الغامقة .
(٣) الرثبال : الأسد .
(٤) الضمر : الهزيلة ، والقواضب : القاطعة . ، والنسر : الرماح ، واللدن : اللين المرن .
(٥) الجاني : الأثم .

كم صاحب لم أغن عن إنصافه في عشرة وغنيت عن إحسانه
وكتب في وصف كتاب ورد عليه من صديق له [من البسيط] :

ووارد مورد أنساً يؤكدُهُ صدوره عن سليم الورد والصدر
شدت سحائبه منه على نزو تقسم الحسن بين السمع والبصر
عذوبة صدرت عن منطقٍ جدٍ كالماء يخرج ينبوعاً من الحجر^(١)
وروضة من رياض الفكر دبجها صوب القرائح لا صوب من المطر^(٢)
كأنما نشرت أيدي الربيع بها برداً من الوشي أو ثوباً من الجبر
وقال لأبي الحصين القاضي [من الكامل] :

من بحر شعرك أغترفُ وبفضل علمك أعترفُ
أنشدتني فكأنما شققت عن در الصدف
شعراً إذا ما قسته بجميع أشعار السلف
قصّر ن دون مداه تقصير الحروف عن الألف

وقال أيضاً [من الكامل] :

إنني عليك أبا حصين عاتبُ والحرّ يحتمل الصديق ويغفرُ
وإذا وجدت على الصديق شكوته سرّاً إليه ، وفي المحافل أشكر^(٣)
هكذا شرط الصداقة ، لا كما حكاها أبو إسحاق الصابي في قوله [من
الخفيف] :

ومن الظلم أن يكون الرضى ســــرّاً ، ويبذو الإنكار وسط النادي

(١) منطقٍ جدٍ : منطق فيه لين وسهولة .

(٢) دبجها : أتقن نظمها وصنعها ، والصوب : المطر .

(٣) وجدت : عتبت وغضبت .

ومن العدل أن يشاع بهذا مثل ما شاع ذاك في الأشهاد

* * *

الشكوى والعتاب ، سوى ما وقع في الروميات

قال [من الطويل] :

أراني وقومي فرقنا مذاهبُ
فأقصاهمُ أقصاهم من مساءتي
غريبٌ وأهلي حيث ما كرَّ ناظري
نسيك من ناسبت بالودِّ قلبه
وأعظم أعداء الرجال ثقاتها
وما الذنب إلا العجز يركبه الفتى
ومن كان غير السيف كافلُ رزقه

وقال [من البسيط] :

مالي أعاتب ؟ مالي ؟ أين يذهب بي ؟
أبغي الوفاء بدهرٍ لا وفاء له

وقال [من الطويل] :

تمنيتُم أن تفقدوني ، وإنما
أما أنا أعلى من تعدُّون همَّة ؟
إلى الله أشكو عصبه من عشيرتي

(١) كرَّ ناظري : تطلَّع ، والعصائب : الجماعات .

(٢) جانب : ملازم .

(٣) الأصيد : السيد الكريم .

وإن حاربوا كنت المجنّ أمامهم
وإن ناب خطبٌ أو ألمّت ملامةٌ
وقال [من الطويل] :

أيا قومنا لا تنشبوا الحرب بيننا
فيا ليت داني الرحم منّا ومنكم
عداوة ذي القربى أشدّ مضاضةً
وقال [من الطويل] :

ويغتابني من لو كفائي غيبه
وعندي من الأخبار ما لو ذكرته
وقال [من الطويل] :

إذا كان فضلي لا أسوّغ نفعه
ومن أضيع الأشياء مهجة عاقلٍ
فأفضل منه أن أرى غير فاضلٍ
يجوز على حوائها حكم جاهلٍ^(٤)

* * *

الغزل والنسب

[قال] [من الوافر] :

تبسم إذ تبسم عن أقاح
وتحفني براحٍ من رضابٍ
وأسفر حين أسفر عن صباحٍ
وراحٍ من جنى خدٍ وراحٍ^(٥)

(١) المجن : الترس الواقي والدرع الحصين .

(٢) المضاضة : الألم وشدته .

(٣) قرع المغتاب من ندم سناً : أي عضّ على أسنانه بقوة حتى تكسّر بعضها من الغيظ والحنق .

(٤) الحوباء : الروح والنفس .

(٥) الراح : الخمر ، والراح الأخيرة : باطن الكف الذي لا ينبت فيه الشعر .

فمن لألاء غرته صباحي ومن صهباء ريقته اصطباحي^(١)
وقال [من البسيط] :

سكرت من لحظه لا من مدامته وما بالثوم عن عيني تمايله
فما السلاف دهنتي ، بل سوالفه ولا الشمول ازدهنتي ، بل شمائله
ألوى بعزمي أصداغ لوين له وغال صبري ما تحوي غلائله^(٢)

وقال [من الكامل] :

من أين الرشأ الغرير الأحور في الخدّ مثل عذاره المتحدّر^(٣)
قمرٌ كأنّ بعارضيه كليهما مسكاً تساقط فوق وردٍ أحمرٍ

وقال [من مخلع البسيط] :

قد كان بدر السماء حسناً والنّاس في حبّه سواء
فزاده ربّه عذاراً تمّ به الحسن والبهاء
لا تعجبوا ربّنا قديرٌ يزيد في الخلق ما يشاء

وقال [من الطويل] :

وظبي غرير في فؤادي كناسه إذا اكتنست عين الفلاة وحوورها^(٤)
فمن خلقه أجيادها وعيونها ومن خلقه عصيانها ونفورها

(١) غرته : طلعت البياض ، والصهباء : الخمر والاصطباح : شرب الخمر صباحاً .

(٢) غال صبري : قتله .

(٣) الرشأ : الغزال ، والغرير : الشاب الحسن ، والأحور : من الحور وهو شدة سواد العين وشدة بياضها .

(٤) الكناس : بيت الظبي ومأواه .

وقال [من البسيط] :

وشادنٍ قال لي لمّا رأى سقمي وضعف جسمي والدمع الذي انسجما^(١)
أخذت دمعك من خدّي، وجسمك من خصري، وسقمك من طرفي الذي سقما

وقال [من الطويل] :

أساء فزادته الإساءة حظوةً حبيبٌ على ما كان منه حبيب
يعدّ عليّ الواشيان ذنوبه ومن أين للوجه الجميل ذنوب ؟

وقال [من الرمل] :

أيُّها الغازي الذي يغدو زرو بجيش الحبّ جسمي
ما يقوم الأجر في غز وك للروم بإثمي

وقال [من الكامل] :

وإذا يئستُ من الدنوّ رغبت في فرط البعاد
أرجو الشهادة في هواك لأنّ روعي في جهاد

وقال [من الكامل] :

وكنى الرسول عن الجواب تظرفاً ولئن كنّى فلقد علمنا ما عني^(٢)
قل يا رسول ولا تحاشِ فإنّه لا بدّ منه أساء بي أم أحسنا
الذنب لي فيما جناه لأنني مكّته من مهجتي فتمكّنا

وقال [من الوافر] :

عدتني عن زيارته عوادٍ أقلّ مخوفها سمر الرماح^(٣)

(١) الشادن : الغزال ، وانسجام الدمع : هطوله وذرفه .

(٢) كنّى : من الكناية ، أي أجاب عن السؤال بطريق خفي ، وعناه : قصده .

(٣) عدتني : منعتني ، والعوادي : الموانع .

ولو أتني أطعت رسيس شوقي ركبت إليه أعناق الرياح^(١)
وقال [من الخفيف] :

يا عسوفاً بالمستهام الشفيق وعنيفاً على الرفيق الرفيق^(٢)
أسرق الدمع من نديمي بكأسٍ فأحلي عقيانها بالعقيق
وقال [من مخلع البسيط] :

لطيرتي بالصداع نالتُ فوق منال الصداع منّي
وجدت فيه اتفاق سوءٍ صدّعني مثل صدّ عني
وقال [من البسيط] :

يا ليلةً لست أنسى طيها أبداً كأنّ كلّ سرورٍ حاضرٍ فيها
باتت وبتُ وبات الزقُّ ثالثنا حتى الصباح تسقيني وأسقيها
كأنّ سودَ عناقيدٍ بلمتها أهدت سلافتها خمراً إلى فيها^(٣)
وقال [من الوافر] :

مسيءٌ محسنٌ طوراً وطوراً فما أدري عدوي أم حبيبي
وبعض الظالمين وإنّ تناهى شهياً الظلم مغتفر الذنوب
وقال [من الخفيف] :

قمرٌ دون حسنه الأقمار وكثيبٌ من النقا مستعار^(٤)
وغزالٌ فيه نفارٌ، وما ين كمر من شيمة الطباء النّفار

(١) رسيس شوقي : رفته ولينه .

(٢) العسوف : الجائر الظالم .

(٣) اللمة : شعر الرأس ، والسلاف : من صفات الخمر .

(٤) الكثيب : التلّ من الرمل ، والنقا : القطعة من الرمل المحدودة .

لا أعاصيه في اجتراح المعاصي في هوى مثله تطيب النَّار
قد حذرت الملاح دهرًا ولكنَّ ساقني نحو حَبِّه المقدار
كم أردت السلو فاستعطفنتي رقيةً من رقاك يا عيَّار

وقال [من الهزج] :

من السلوان في عيني لك آياتٌ وآثارُ
أراها منك بالقلب وفي الأضلاع أبصار
إذا ما برد القلد ب فما تسخنه النَّار

وقال [من المجث] :

يا معشرُ الناس هل لي ممَّا لقيت مجيرُ
أصاب غرةً قلبي ذاك الغزال الغرير^(١)
فعمر ليلي طويلُ وعمر يومي قصير

وقال [من الرمل] :

أجملي يا أمَّ عمرو زادك الله جمالا^(٢)
لا تبغني برخصٍ إنَّ في مثلي يُغالي
[أنا إن جدت بوصلٍ أحسن العالم حالا]

* * *

الأوصاف والتشبيهات

قال في وصف الجسر [من الرجز] :

كأنَّما الماء عليه الجسر درجٌ بياضٍ خطٌّ فيه سطر

(١) غرة قلبي : مفطمه ، والغرير : الجميل الناعم .

(٢) أجملي : ترفقي وتصبري .

كأَنَّنا لَمَّا تَهَيَّأَ العِبرُ أسْرَةَ موسى حين شَقَّ البحر
وجلس يوماً في البستان البديع والماء يتدرج في البرك ، فقال في وصفه ،
وكل واصف فإنما يشبه الموصوف بما هو من جنس صناعته ، أو بما يكثر رؤيته له
[من الكامل] :

أنظر إلى زهر الربيع والماء في برك البديع
وإذا الرياح جرت عليه في الذهاب وفي الرجوع
نثرت على بيض الصفا ثح بيننا حلق الدروع

وقال في وصف النار والفحم [من الكامل] :

لله بردٌ ما أشدَّ ومنظرٌ ما كان أعجبُ
جاء الغلام بناره هوجاء في فحمٍ تلهَّبُ
فكأنَّما جمع الحليَّ فمحرقٌ منه ومذهب
وكأنَّها لما خبت ما بيننا ندُّ معشَّبٌ^(١)

وقال [من الطويل] :

مددنا علينا الليل والليل راضعُ
بحالٍ تردُّ الحاسدين بغيظهم
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنَّهُ
إلى أن تردَّى رأسه بمشيبٍ
وتطرف عنا عين كل رقيبٍ
مبادي نصولٍ في عذار خضيبٍ

وقال [من الرجز] :

وجلَّنا في مشرفٍ على أعالي شجرةٍ
كأنَّ في رءوسه أحمره وأصفرةٍ

(١) خبت النار : ضعف وهجها ، والتدُّ : نوع من الطيب .

قراضةٌ من ذهبٍ في خرقٍ معصرة^(١)

وقال في جارية مسبية [من الكامل] :

وخريدةٌ كرمت على آبائها زمناً ، وعند سبائها لم تكرم^(٢)
خطبت بحدّ السيف حتى زوّجت كرهاً ، وكان صداقها للمقسم
راحت وصاحبها لعرسٍ حاضرٍ برضا الآله وأهلها في ماتم

ينظر معنى البيت الأول [والثالث] إلى قول المتنبي [من الطويل] :

تبكي عليهن البطاريق في الدجى وهنّ لدينا ملقياتٌ كواسدُ
بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائد

ولأبي فراس في طعنة أصابت خده [من الكامل] :

لما رأت أثر السنان بخذه ظلّت تقلّبه بوجهٍ عابسٍ
خلف السنّان به مواقع لثمها بشّس الخلافة للمحبّ البائس
حسن الثناء بقبح ما صنع القنا يوم الطعان بصحن خدّ الفارس

* * *

الحكمة والموعظة

قال [من الهزج] :

غنى النفس لمن يعق ل خيرٍ من غنى المال
وفضل الناس في الأنف س ، ليس الفضل في الحال

(١) القراضة : النثار ، ومعصرة : مصبوغة بالعصفر ، وهو نبات أصفر يصبغ به .

(٢) الخريدة : الفتاة البكر .

وقال [من الكامل] :

المرء نصب مصائب لا تنقضي حتى يوارى جسمه في رمسه^(١)
فمؤجلٌ يلقى الردى في أهله ومعجلٌ يلقى الردى في نفسه

قال [من الكامل] :

أنفق من الصبر الجميل فإنه لم يخش فقراً منفقاً من صبره
والمرء ليس ببالغ في أرضه كالصقر ليس بصائد في وكره

وقال [من الكامل] :

خفّض عليك ولا تكن قلق الحشا ممّا يكون وعله وعساه^(٢)
والدهر أقصر مدّة مما ترى وعساك أن تكفي الذي تخشاه

وقال [من الهزج] :

عرفت الشرّ لا للشّر رّر لكن لتوقيه
فمن لا يعرف الشرّ من الناس يقع فيه

وقال [من الطويل] :

لعمرك ما الأبصار تنفع أهلها إذا لم يكن للمبصرين بصائرُ
وهل ينفع الخطي غير مثقّف وتظهر، إلّا بالصّقال ، الجواهر^(٣)
وكيف ينال المجد والجسم وادعُ وكيف يحاز الحمد والوفر وافر

وقال [من الطويل] :

إذا لم يعنك الله فيما تريده فليس لمخلوقٍ إليك سبيل

(١) نصب : أمام وهدف ، والرّمس : القبر .

(٢) خفّض عليك : أي هوّن ولا تستصعب ، والحشا : ما انضمت عليه الضلوع .

(٣) الخطي : الرمح ، ومثقّف : مصقول .

وإن هو لم يرشدك في كل مسلكٍ ضللت ، ولو أن السَّمَاءَ دليلٌ^(١)
وقال [من الخفيف] :

لست بالمستقيم من هودوني اعتداءً ، ولست بالمستضامِ
ربّ أمرٍ عففت عنه اختياراً حذراً من أصابع الأيتامِ
أبذل الحقّ للخصوم إذا ما عجزت عنه قدرة الحكامِ

* * *

الروميات من غرر أبي فراس

لما أدركت أبا فراس حرفة الأدب ، وأصابته عين الكمال ، أسرته الروم في
بعض وقائعها وهو جريح ، وقد أصابه سهم بقي نصله في فخذه ، وحصل مثخناً
بخرشنة ، ثم بقسطنطينية ، وتناولت مدته بها لتعذر المفاداة ، وقد قيل : على كل
نجح رقيب من الآفات ، وقد كانت تصدر أشعاره في الأسر والمرض واستزادة
سيف الدولة ، وفرط الحنين إلى أهله وإخوانه وأحبابه ، والتبرم بحاله ومكانه ، عن
صدر حرج ، وقلب شجر ، تزداد رقة ولطافة ، وتبكي سامعها ، وتعلق بالحفظ
لسلاستها ، فمنها قوله [من الكامل] :

ما للعبيد من الذي يقضي به الله امتناعُ
ذدت الأسود عن الفرا نس ثم تفرسني الضباغُ !

وقوله [من السريع] :

قد عذّب الموت بأفواهنا والموت خيرٌ من مقام الذلّيلِ
إنّا إلى الله لما نابنا وفي سبيل الله خير السبيلِ

(١) السَّمَاءُ : نجمٌ يهتدى به .

ولما شقت فخذَه عن نصل السهم الذي أصابه قال [من الطويل] :
 فلا تصفن الحرب عندي ، فإنها طعامي مذُ بعت الصبا وشرابي
 وقد عرفت وقع المسامير مهجتي وشقق عن زرق النصول إهابي^(١)
 ولججت في حلو الزمان ومرة وأنفقت من عمري بغير حساب
 وقال بخرشنة [من الكامل] :

إن زرت خرشنة أسيراً فلقد حللت بها مغيراً
 ولقد رأيت النار تنتهب المنازل والقصورا
 ولقد رأيت السبي يجلد ب نحونا حوّاً وهوراً^(٢)
 من كان مثلي لم يبت إلاً أميراً أو أسيراً
 ليست تحلّ سراتنا إلاً الصدور أو القبورا

وكتب إلى سيف الدولة قصيدة منها [من الطويل] :
 دعوتك للجفن القريح المسهد لديّ ، وللنوم القليل المشرد
 وما ذاك بخلاً بالحياة وإنها لأوّل مبذول لأوّل مجتد^(٣)
 ولا زال عني أن شخصاً معرضاً لنبل العدا إن لم يصب فكان قد
 ولكنتي أختار موت بني أبي على سروات الخيل غير موسد
 وآبى وتآبى أن أموت موسداً بأيدي النصارى موت أكمد أكبد^(٤)
 فضوت على الأيام ثوب جلادتي ولكنتي لم أنض ثوب التجلد^(٥)

(١) شقق : تفتح وأبنت ، وزرق النصول : كناية عن أدوات الحرب من سيف وغيره ، والإهاب : الجلد .

(٢) الحوّ : البيض من النساء ، والهور : النساء اللاتي في عيونهنّ حور ، وهو شدة سواد العين وشدة بياضها .

(٣) المجتدي : السائل والطالب .

(٤) أكبد : أي مقروح الكبد من الحزن والغم .

(٥) فضوت : خلعت ، والجلادة : الصبر والتحمل والقوة .

فمن حسن صبرٍ بالسلامة واعد
فمثلك من يدعى لكلّ عزيمة
تشبّث بها أكرومةً قبل فوتها
فإن تفتدونني تفتدوا شرف العلا
يدافع عن أعراضكم بلسانه
متى تخلف الأيام مثلي لكم فتى
ولا وأبي ما ساعدان كساعدي
وإنك للمولى الذي بك أقتدي
وأنت الذي عرّفتني طرق العلا
وأنت الذي بلغتني كلّ غاية
فيا ملبسي النعمى التي جلّ قدرها
ألم تر أنّي فيك صافحت حدّها
وفيك لقيت الألف زرقاً عيونها
يقولون جنبّ عادةً ما عرفتها
فقلت أما والله ما قال قائل
ولكن سألقاها فإمّا منية
ولم أدر أنّ الدهر من عدد العدا

ومن ريب دهرٍ بالردى متوعدي
ومثلي من يفدي بكلّ مسود^(١)
وقم في خلاصي صادق العزم واقعد
وأسرع عوادي إليكم معود
ويضرب عنكم بالحسام المهند
طويل نجاد السيف رحب المقلد^(٢)
ولا وأبي ما سيّدان كسيّد
وإنك للنجم الذي بك أهتدي
وأنت الذي أهديتني كلّ مقصد
مشيت إليها فوق أعناق حسدي
لقد أخلقت تلك الثياب فجدد^(٣)
وفيك شربت الموت غير مصرّد^(٤)
بسبعين فيها كلّ أشام أنكد
شديدٌ على الإنسان ما لم يعوّد^(٥)
شهدت له في الخيل ألأم مشهد
هي الظنّ أو بنيان عزّ مؤيد
وأنّ المنايا السود يرمين عن يد

(١) كلّ عزيمة : كلّ أمر عظيم ، والمسود : أي سيّد .

(٢) نجاد السيف : حمائله وعلائقه ، والمقلد : موضع حمائل السيف .

(٣) أخلقت : بليت .

(٤) مصرّد : من التصريد ، وهو تقليل العطاء ، والشرب دون الإرتواء .

(٥) جنبّ : أي ابتعد وتجنّب الشيء ، تلافاه .

وكتب إلى والدته وقد ثقل من الجراح التي به [من الطويل] :

مصابي جليلٌ والعزاء جميل	وظنني بأن الله سوف يدلُّ ^(١)
جراحُ تحامها الأساة مخافةً	وسقمان بادٍ منهما ودخيل
وأسرُ أقاسيه وليلٌ نجومه	أرى كلَّ شيءٍ غيرهنَّ يزول
تطول بي الساعات وهي قصيرةٌ	وفي كلَّ دهرٍ لا يسرُّك طول
تناسني الأصحاب إلاَّ عصابةً	ستلحق بالأخرى غداً وتحول
وإن الذي يبقى على العهد منهم	وإن كثرت دعوهم لقليلٌ
أقلب طرفي لا أرى غير صاحبٍ	يميل مع النعماء حيث تميل
وصرنا نرى أن المتارك محسنٌ	وأنَّ خليلاً لا يضرُّ وصول

كانه مأخوذ من قول المتنبي [من البسيط] :

إنَّا لفي زمنٍ تركُّ القبيح به من أكثر الناس إنعاماً وإفضالاً
(رجع) :

تصفحت أحوال الزمان فلم يكن	إلى غير شاكٍ للزمان وصولٌ
أكلَ خليلٍ أنكدُ غير منصفٍ	وكلَّ زمانٍ بالكرام بخيلٌ
نعم دعت الدنيا إلى الغدر دعوةً	أجاب إليها عالمٌ وجهول
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه	وخلى أمير المؤمنين عقيلاً
فيا حسرتي من لي بخلٍّ موافقٍ	أقول بشجوي مرةً ويقول
وإن وراء الستر أمّاً بكاؤها	عليّ ، وإن طال الزمان ، طويلٌ
فيا أمّاً لا تعدمي الصبر ، إنّه	إلى الخير والنجح القريب رسول ^(٢)
فيا أمّاً لا تحبطني الأجر ، إنّه	على قدر الصبر الجميل جزيل

(١) يدل : ينتقم لي بأن يجعل له الدولة عليهم .

(٢) أمّاً : أي يا أمي ، وهذا الاستعمال خاص بالنداء .

فقد غال هذا الناس قبلك غول
وخضت سواد الليل وهو خيول
عشيّة لم يعطف عليّ خليل
وفيه وفي حدّ الحسام فلول^(١)
ومن لم يعزّ الله فهو ذليل
فليس لمخلوقٍ إليه سبيل

تأسّي كفاك الله ما تجدينه
لقيت نجوم الأفق وهي صوارمُ
ولم أَرع للنفس الكريمة خلّة
ولكن لقيت الموت حتّى تركته
ومن لم يوقّ الله فهو ممزّق
ومن لم يرده الله في الأمر كلّه

وكتب إلى سيف الدولة [من الكامل] :

لا بالأسير ولا القتيل	هل تعطفان على العليل
فأُ سحابة الليل الطويل	باتت تقلّبه الأك
وبكاه أبناء السبيل	فقد الضيوف مكانه
ح وأغمدت بيض النصول	وتعطّلت سمر الرما
م وكاشف الخطب الجليل	يا فارح الكرب العظي
ف ويا عزيز لذا الذليل	كن يا قويّ لذا الضعيف
في ظلّ دولته الظليل	قربه من سيف الهدى
ت بطول خدمته غليلي	لم أرو منه ولا شفي
ه لقد حننت إلى وصول	ولئن حننت إلى ذرا
ب ولا الكذوب ولا الملول	لا بالقطوب ولا الغضوب
ت وظلّتي عند المقيّل ^(٢)	يا عدّتي في النائبا
م وما وعدت من الجميل ؟	أين المحبّة والذما
أحمل على النفس الكريمة فيّ والقلب الحمول	

(١) الفلول : الشطوب ، والتكسر في حدّ الدسيف .

(٢) ظلّتي : أي ما يظلّني من حرّ الشمس كالفيء وغيره والقيلوله : الراحة وقت اشتداد الحرّ .

وكتب إلى والدته [من الكامل] :

لولا العجوز بمنبحٍ ما خفت أسباب المنيّه
ولكان لي عمّا سألت من الفدى نفسٌ أبيه
لكنّ أردت مرادها ولو انجذبت إلى الدنيّه
أمست بمنبحٍ حرّةً بالحزن من بعدي حرّيه^(١)
فيها التقى والدين مجـمـوعان في نفسٍ زكيّه
لا زال يطرق منبجاً في كلّ غاديه تحيه
يا أمّتا لا تحزني وثقي بفضل الله فيه
يا أمّتا لا تيأسي لله الطاف خفيّه
أوصيك بالصبر الجميل فإنّه خير الوصيّه

وكتب إلى غلامين له [من الخفيف] :

هل تحسّان لي رفيقاً رفيقاً	يحفظ الودّ أو صديقاً صدوقاً
لا رعى الله يا خليلي دهرأ	فرّقنا صروفه تفريقاً
كنت مولاك ما وما كنت إلّا	والدأ محسناً وعمّاً شقيقاً
فاذكراني وكيف لا تذكراني	كلما استخون الصديق صديقاً
بتّ أبكيكما وإنّ عجيباً	أن يبيت الأسير يبكي الطليقاً

وكتب إلى غلامه منصور [من الخفيف] :

مغرّم مؤلمٌ جريحٌ أسيرٌ	إنّ قلباً يطيق ذا لصبورٌ
وكثيرٌ من الرجال حديدٌ	وكثيرٌ من القلوب صخور
قل لمن حل بالشام طليقاً :	بأبي قلبك الطليق الأسير

(١) حرّيه : جديره .

أنا أصبحت لا أطيق حراكاً كيف أصبحت أنت يا منصور
وكتب إليه [من السريع] :

ارث لصبّ بك قد زدته على بلايا أسره أسرا
قد عدم الدنيا ولذاتها لكنّه ما عدم الصبرا
فهو أسير الجسم في بلدو وهو أسير القلب في أخرى
وكتب إليه أيضاً [من السريع] :

يا ليل ما أغفل عمّا بي حبائبي فيك وأحبابي
يا ليل نام الناس عن موجع ناءٍ على مضجعه نابي^(١)
هبت له ريحٌ شاميةٌ متّت إلى القلب بأسباب^(٢)
أدت رسالات حبيب بها فهمتها من بين أصحابي
بلغني أن صاحب كان يستظرف هذين البيتين ويستملحهما ويكثر
الإعجاب بهما .

وكتب إليهما [من المتقارب] :

لأيكم أذكر وفي أيكم أفكر
وكم لي على بلدتي بكاءً ومستعبر
ففي حلبٍ عدتي وعزّي والمفخر
وفي منبج من رضا ه أنفسُ ما أذخر^(٣)
ومن حبّها زلفةٌ بها يكرم المحشر
وأصيبةٌ كالفراخ خ أكبرهم أصغر

(١) ناءٍ : بعيد ، ونابي : لم يطمئن في نومه على الفراش .

(٢) متّت : وصلت ، والأسباب : الحبال والعلائق .

(٣) أنفس : أغلى وأثمن ، وأذخر : أي أذخر وأبقى .

يخيّل لي أمرهم	كأنّهم حضّر ^(١)
وقوم ألفناهم	وغصن الصّبا أخضر
فحزنيّ ما ينقضي	ودمعي ما يفتّر ^(٢)
أيا غفلت كيف لا	أرجى كما أحذر
وماذا القنوط الذي	أراه وأستشعر
بلى ، إنّ لي سيّداً	مواهبه أكثر
بذنبيّ أوردتني	ومن فضلك المصدر ^(٣)

وقال وقد حضره العيد [من السريع] :

يا عيد ما عدت بمحجوب	على معنّى القلب مكروب ^(٤)
يا عيد قد عدت إلى ناظر	عن كلّ حسنٍ فيك محجوب
يا وحشة الدار التي ربّها	أصبح في أثواب مريب ^(٥)
قد طلع العيد على أهلها	بوجه لا حسنٍ ولا طيب
ما لي وللدهر وأحداثه	لقد رماني بالأعاجيب

وقال وقد سمع حمامة تنوح بقربه على شجرة عالية [من الطويل] :

أقول وقد ناحت بقربي حمامة	أيا جارتني هل تشعرين بحالي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة الهوى	ولا خطرت منك الهموم ببال
أتحمل محزون الفؤاد قوادم	على غصنٍ نائي المسافة عالي

(١) حضّر : من الاحتضار ، وهو النزاع عند الموت ، يريد أنّهم لفراقه يحضرون من الألم .

(٢) يفتّر : يضعف .

(٣) الورد : مكان ورود الماء للإستسقاء ، والمصدر : الرجوع عن الماء بعد الورد منه .

(٤) معنّى القلب : متألّم ومتعبه ، والمكروب : المحزون .

(٥) ربّ الدار : صاحبها ، والمريب : المستعبد .

أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا
تعالى تري روحاً لديّ ضعيفاً
أيضحك مأسورٌ وتبكي طليقةً
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلّةً
تعالى أقاسمك الهموم تعالي^(١)
تردد في جسمٍ يعذب بالي
ويسكت محزونٌ ويندب سالي^(٢)
ولكنّ دمعي في الحوادث غالي

وكتب إلى سيف الدولة [من الطويل] :

أما لجميلٍ عندكّن ثوابُ
إذا الخلُّ لم يهجرِكَ إلّا ملالةً
إذا لم أجد من خلّةٍ ما أريده
وليس فراقٌ ما استطعت فإن يكنّ
ولا لمسيءٍ عندكّن متابُ
فليس له ، إلّا الفراق ، عتاب
فعندي لأخرى عزمةٌ وركاب
فراقٌ على حالٍ فليس إياب

أخذه من قول القائل وهو أوس بن حجر [من الطويل] :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكذّ
إليه بوجهٍ آخر الدهر تقبل

(رجع) :

صبور ولو لم يبق منّي بقيةٌ
وقورٌ وأحداث الزمان تنوشني
بمن يشق الإنسان فيما ينوبه
وقد صار هذا الناس إلّا أقلهم
تغابيت عن قومٍ فظنّوا غباوةً
قؤولٌ ولو أنّ السيوف جوابُ
وللموت حولي جيئةٌ وذهاب
ومن أين للحرّ الكريم صحاب
ذئابٌ على أجسادهن ثياب
بمفرق أغبانا حصىً وتراب !

(١) كسر اللام من « تعالي » عند إسنادها إلى ياء المخاطبة وضمّها عند إسنادها لواو الجماعة لغة حجازية

قليلة ، والأكثر بقاء اللام مفتوحة في كلّ أحوالها .

(٢) السالي : من السلوان وهو الذي سلى الشيء : أي نسيه .

(٣) الخلّة : المصادقة . وعزمة وركاب : أي عزيمة إلى قصد غيرها .

(٤) تنوشني : تصيبني وتترك في آثارها .

إذا علموا أنني شهدت وغابوا
تحكم في آسادهن كلاب
لدي ولا للمعتفين جناب
ولا ضربت لي بالعراء قباب^(١)
ولا لمعت لي في الحروب حراب
وكعب، على علائها، وكلاب
ولا دون ما لي في الحوادث باب
ولا عورتي للطالين تصاب
إذا قل منه مضرب وذباب
ويوشك يوماً أن يكون ضراب
رحاب علي للعفاة رحاب
وأمواله للطالين نهاب
وأظلم في عيني منه شهاب^(٢)

وبحر خطاني فيضه وهو مفعم
وموضع رحلي منه أسود مظلم

وللموت ظفر قد أطل وناب
ولا نسب بين الرجال قراب
ولي عنه فيه حوطة ومناب^(٣)

ولو عرفوني بعض معرفتي بهم
إلى الله أشكو أننا بمنازل
تمر الليالي ليس للنفع موضع
ولا شد لي سرج على متن سابح
ولا برقت لي في اللقاء قواطع
ستذكر أيامي نمير وعامر
أنا الجار لا زادي بطيء عليهم
ولا أطلب العوراء منها أصيبتها
بني عمنا، ما يفعل السيف في الوغى
بني عمنا، نحن السواعد والظبا
وما أدعي ما يعلم الله غيره
وأفعاله للراغبين كريمة
ولكن بنا منه بكفي صارم
ألم فيه بقول البحري [من الطويل] :

سحاب عداني جوده وهو ريق
وبدر أضاء الأرض شرقاً ومغرباً
(رجع) :

وأبطأ عني والمنايا سريعة
فإن لم يكن ود قريب تعده
فأحوط للإسلام أن لا يضيعني

(١) السابح : الحصان .

(٢) نبا : لم يستقر ، والصارم : السيف القاطع .

(٣) فأحوط : من الحيطة وهي الحذر من مقارفة الذنب .

ولكنني راضٍ على كلِّ حالةٍ
وما زلت أَرْضَى بالقليل محبةً
وأطلب إبقاءً على الودِّ أرضه
كذاك السوداد المحض لا يرتجى له
ومثله للمتنبي [من الطويل] :

وما أنا بالبأغي على الحبِّ رشوةً
ضعيف هوىً يبغي عليه ثواب
(رجع) :

وقد كنت أخشى الهجر والشمل جامعُ
فكيف وفيما بيننا ملك قيصرٍ
أمن بعد بذل النفس فيما تريده
فليتك تحلو والحياة مريرةُ
وليت الذي بيني وبينك عامرُ
إذا صحَّ منك الودُّ فالكلُّ هينُ
وكتب إليه [من الكامل] :

بالكره مني واختيارك
يا تاركِي إنني لشك
كن كيف شئت فأنني
أن لا أكون حليف دارك
رك ما حييت لغير تارك
ذاك المواسي والمشارك

وكتب إليه [من الطويل] :

أبى غربُ هذا الدمع إلا تسرعاً
ومكنون هذا الحبِّ إلا تضرعاً^(١)

(١) المحض : الخالص الذي لا تشوبه شائبة نفعية وغيرها .

(٢) الغرب : وهو هنا بمعنى عرقٍ في العين ينزف الدمع فلا ينقطع ، أو مسيل الدمع وانهلاله .

وكنـت أرى أنـي مع الصـبر واجـدٌ
فلما استمرَّ الحـبُّ في غلوائـهِ
فحزنيَ حزن الهائمين مبرحاً
وهبت شبابي والشباب مضنَّةً
أبيت معنًى من مخافة عتبه
فلما مضى عصر الشبيبة كلَّه
تطلَّبت بين العتب والهجر فرجةً
وصرت إذا ما رمت في الخير لذةً
وها أنا قد حلـى الزمان مفارقي
فلو أنـني مكنت ممّا أريده
أما ليلةٌ تمضي ولا بعض ليلةٍ
أما صاحبٌ فردٌ يدوم وفاؤه
أفي كلِّ دارٍ لي صديقٌ أودّه
إذا خفت من أخوالي الروم خطّةً
وإن أوجعتني من أعادي شيمّةً
ولو قد رجوت الله لا شيء غيره
لقد قنعوا بعدي من القطر بالندى
وما مرَّ إنسانٌ فأخلف مثله

إذا شئت لي ممضى وإن شئت مرجعاً^(١)
رعت مع المضياغة الغرماً رعى^(٢)
وسرّي سرُّ العاشقين مضياً
لأبلغ من أبناء عمّي أروعا^(٣)
وأصبح محزوناً وأمسي مروّعا
وفارقتني شرخ الشباب فودّعا^(٤)
فحاولت أمراً لا يرام ممّنعاً^(٥)
تتبّعها بين الهموم تتبّعاً
وتوجّني بالشيب تاجاً مرصّعاً
من العيش يوماً لم أجد في موضعاً
أسرُّ بها هذا الفؤاد المفجعاً
فيصفي لمن يصفى ويرعى لمن رعى
إذا ما تفرّقنا حفظت وضيّعاً
تخوّفت من أعمامي العرب أربعا
لقيت من الأحباب أدهى وأوجعا
رجعت إلى آلي وأملّت أوسعا
ومن لم يجد إلّا القنوع تقنّعاً^(٦)
ولكن يرجى الناس أمراً مرقّعاً^(٧)

(١) ممضى : مصدر ميمي بمعنى المضي .

(٢) الغلواء : حدة الشباب ونشاطه وميعته .

(٣) مضنّة : يقال للشيء النفيس الذي تضنُّ به النفوس : إنّه علق مضنّة .

(٤) شرخ الشباب : ريعانه وحدّته ونشاطه .

(٥) الفرجة : الفسحة والخلاص .

(٦) القطر : المطر المنهل .

(٧) مرقّعاً : موصولاً .

تَنَكَّرَ سيفُ الدِّينِ لِمَا عَتَبْتَهُ
فَقُولَا لَهُ مِنْ صَادِقِ الْوَدِّ : إِنَّنِي
وَلَوْ أَنَّنِي أَكُنْتُ فِي جَوَانِحِي
فَلَا تَغْتَرَّرُ بِالنَّاسِ ، مَا كُلَّ مَنْ تَرَى
فَلِلَّهِ إِحْسَانٌ عَلَيَّ وَنِعْمَةٌ
أَرَانِي طَرَقَ الْمَكْرَمَاتِ كَمَا رَأَى
فَإِنْ يَكُ بَطْءٌ مَرَّةً فَلْتَطَالَمَا
وَإِنْ يَجْفُ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ فَإِنَّنِي
وَإِنْ يَسْتَجِدَّ النَّاسُ بَعْدِي فَلَمْ يَزَلْ

وكتب إليه أبو فراس : مفاداتي إن تعذرت عليك فأذن لي في مكاتبة أهل
خراسان ومراسلتهم ليفادوني وينوبوا عنك في أمري ، فأجابه سيف الدولة بكلام
حسن ، وقال له : ومن يعرفك بخراسان ؟ فكتب إليه أبو فراس [من المتقارب] :

أَسِيفُ الْهَدَى وَقَرِيعُ الْعَرَبِ إِلَامَ الْجَفَاءِ ؟ وَفِيمَ الْغَضَبِ ؟
وَمَا بِالْكَتَبِ قَدْ أَصْبَحْتُ تَنَكَّبَنِي مَعَ هَذِي النُّكْبِ^(٣)
وَأَنْتَ الْكَرِيمُ ، وَأَنْتَ الْحَلِيمُ وَأَنْتَ الْعُطُوفُ ، وَأَنْتَ الْحَدَبِ^(٤)
وَمَا زِلْتَ تَسْعَفْنِي بِالْجَمِيلِ وَتَنْزِلْنِي بِالْمَكَانِ الْخَصْبِ
وَإِنَّكَ لِلْجَبَلِ الْمَشْمُخِرِ لِي ، بَلْ لِقَوْمِكَ ، بَلْ لِلْعَرَبِ
عَلَاً يَسْتَفَادُ ، وَعَافٍ يَفَادُ ، وَعَزٌّ يَشَادُ ، وَنَعْمَى تَرْبُ^(٥)
وَمَا غَضَّ مَنِّي هَذَا الْإِسَارِ وَلَكِنْ خَلَصْتَ خُلُوصَ الذَّهَبِ

(١) رابني : أدخل في نفسي الريبة والشك ، والمفزع : الملجأ .

(٢) أوضعت : أسرعت ، وأفسدت .

(٣) تنكَّبني : تصيَّني وتساعد عليَّ ، والنكْب : المصائب .

(٤) الحدب : العطوف الشفوق .

(٥) العافي : الطالب المعروف ، ترب : تحمّد وتحفظ .

فقيم يقرّ عني بالخموم
 وكان عتيداً لديّ الجواب
 أتذكر أنني شكوت الزمان
 فألاً رجعت فأعتبتني
 فلا تنسبنّ إليّ الخمول
 وأصبحت منك فإن كان فضلُ
 وإنّ خراسان إنّ أنكرت
 ومن أين ينكرني الأبعدون
 ألسنت وائّاك من أسرو
 ودادُ تناسب فيه الكرام
 ونفسُ تكبرُ إلاّ عليك
 فلا تعدلن فذاك ابن عمّك ، لا ، بل غلامك عمّا يجب
 من الفضل والنسب المكتسب
 لياليّ أدعوك من عن كثب
 ولاح من الأمر ما لا أحب
 لقلت صديقك من لم يغب

وكتب إليه أيضاً [من الوافر] :

زمانني كلّهُ غضبٌ وعتبُ
 وعيش العين لديك سهلُ
 فكيف وأنت دافع كلّ خطبِ
 وأنت عليّ والأيام ألبُ^(١)
 وعيشي وحده بفناك صعب
 مع الخطب الملمّ عليّ خطبِ

(١) أشب : ملثف ومتماسك .

(٢) ألب : أي مجتمعون عليّ .

فلا تحمل على قلبٍ جريحٍ به لحوادث الأيام ندب^(١)
أمثلي تقبل الأقوال فيه ومثلك يستمر عليه كذب^(٢)
جناني ما علمت ، ولي لسانٌ يقدّ الدرع والإنسان ، غضب^(٣)
وزندي وهو زندك ليس يكبو وناري وهي نارك ليس تخبو^(٤)
وفرعي فرعك السامي المعلّى وأصلي أصلك الزاكي وحسب^(٥)
وفضلي تعجز الفضلاء عنه لأنك أصله والمجدّ ترب^(٦)
فدت نفسي الأمير وكان حظي وقربي عنده ما دام قرب^(٧)
فلما حالت الأعداء دوني وأصبح بيننا بحرٌ ودرب^(٨)
ظلمت تبدّل الأقوال بعدي ويبلغني اغتيابك ما يغب^(٩)
فقل ما شئت فيّ فلي لسانٌ مليءٌ بالثناء عليك رطب^(١٠)
وقابلني بإنصافٍ وظلم تجدني في الجميع كما تحب^(١١)

وبلغ أبا فراس أن والدته قصدت حضرة سيف الدولة من منبج تكلمه في
المفاداة ، وتتضرع إليه ، فلم يكن عنده ما رجت من حسن الإيجاب ، ووافق ذلك
عنفاً من الدمستق بأبي فراس ومن معه من الأسرى ، وزيادة في إرهابهم ، فكتب
إلى سيف الدولة [من المنسرح] :

يا حسرةً ما أكاد أحملها آخرها مزعجٌ وأولها
عليلةٌ بالشّام مفردةٌ بات بأيدي العدى معلّلا

(١) الندب : الجرح وجمعه ندوب .

(٢) يقدّ : يقطع ، والعضب صفة ثانية للسان وهي بمعنى القاطع .

(٣) كبا الزند : أي أنّه لم يخرج ناراً عند القدح ، وتخبو : تضعف وتنطفئ .

(٤) الترب : يقال فلان ترب فلان ، أي يساويه في السن .

(٥) حالت : منعت ووقفت في طريقي ، والدرب : الطريق الموصل إلى بلاد الروم .

(٦) يغب : يزور الفينة بعد الفينة .

إذا اطمأنت ، وأين ؟ أو هدأت
تسأل عنا الركبان جاهدةً
يا من رأى لي بحصن خرشنة
يا من رأى في الدروب شامخةً
يا أيها الركبان هل لكما
يا أمتا هذه منازلنا
عنت لها ذكرةً تقلقلها^(١)
بأدمعٍ ما تكاد تمهلها
أسدَ شرىً في القيود أرجلها
دون لقاء الحبيب أطولها
في حمل نجوى يخفُ محلها
تركها تارة ونزلها

ومنها :

يا سيداً ما تعدُّ مكرمةً
ليست تنال القيود من قدمي
لا تتيَّمُ والماء تدركه
أنت سماءً ونحن أنجمها
أنت سحباً ونحن وابله
بأيّ عذرٍ رددت والهةً
جاءتك تمتاح ردّ واحدنا
تلك العقود التي عقدت لنا
أرحامنا منك ، لم تقطعها ؟
سمحت منّي بمهجةٍ كرمتُ
إن كنت لم تبذل الفداء لها
تلك المودات كيف تمهلها
إلاً وفي راحتك أكملها
وفي اتباعي رضاك أحملها
غيرك يرضى الصغرى ويقبلها^(٢)
أنت بلادٌ ونحن أجبلها
أنت يمينٌ ونحن أشملها
عليك دون الورى معولها^(٣)
ينتظر الناس كيف تقفلها^(٤)
كيف وقد أحكمت تحللها
ولم تزل دائباً توصلها
أنت ، على ياسها ، مؤملها
فلم أزل في هواك أبذلها
تلك المواعيد كيف تغفلها

(١) عنت : خطرت في بالها ، والذكرة : الفكرة ، وتقلقلها : تقضُّها وتقلِّقها .

(٢) التيمُّم : هو استعمال التراب للوضوء في حال الجنابة وعدم توفر الماء .

(٣) الوالهة : العاشقة الحزينة المفجوعة ، ومعولها : أي الذي يعولها .

(٤) تمتاح : أصل الامتياح ، استخراج الماء من البئر والمراد هنا : تسأل ، وتقفلها : ترجعها وتعيدها .

أين المعالي التي عرفت بها
يا واسع الدار كيف توسعها
يا ناعم الثوب كيف تبدله
يا راكب الخيل لو بصرت بنا
رأيت في الضر أوجهاً كرمت
قد أثر الدهر في محاسنها
لا يفتح الناس باب مكرمة
أينبري دونك الكرام لها
وأنت إن عزَّ حادثٌ جَلُّ
منك تردى بالفضل أفضلها
فإن سألنا سواك عارفةً
لم يبق في الناس أمةٌ عرفتُ
نحن أحقُّ الورى برأفته
يا منفق المال لا يريد به
أصبحت تشري مكارماً فضلاً
لا يقبل الله قبل فرضك ذا

تقولها دائماً وتفعلها؟
ونحن في صخرة نزلزلها
ثيابنا الصوف ما نبدلها!
نحمل أقيادنا وننقلها
فارق فيك الجمال أجملها
تعرفها تارةً وتجهلها
صاحبها المستغاث يقفلها
وأنت قمقامها وأجملها^(١)
قلبها المرتجى وحولها^(٢)
منك أفاد النوال أنولها^(٣)
فبعد قطع الرجاء نسألها^(٤)
إلاً وفضل الأمير يشملها
فأين عنا وكيف معدلها
إلاً المعالي التي يؤثّلها^(٥)
فداؤنا ما علمت أفضلها
نافلةً عنده تنقلها^(٦)

وكتب إلى أبي المعالي وأبي المكارم ابني سيف الدولة [من الكامل] :
يا سيدي أراكما لا تذكران أخاكما

(١) القمقام : السيد الكثير العطاء .

(٢) قلبها : يقال فلان قلبٌ حولٌ : إذا كان بصيراً بمسالك الأمور ، خبيراً بحلّ مشكلها ، قادراً على التحلّل لها .

(٣) تردى : أي لبس الرداء ، واستعاره هنا للاستمسك بالفضل ، وأنولها : أشدها نوالاً .

(٤) العارفة : النوال والعطاء .

(٥) يؤثّلها : يقال مجدُّ أثيل : أي أصيل وعظيم .

(٦) النافلة : ما زاد عن الواجب ، وتنقلها : أراد تنقلها ، فحذف إحدى التاءين .

أوجدتما بدلاً به بيني سماءً علاكما
أوجدتما بدلاً به يفري نحور عداكما^(١)
من ذا يعاب بما لقيت من السورى إلأكما
لا تقعدا بي بعدها وسلا الأمير أباكما
وخذا فداي جعلت من ريب المنون فداكما !

وقال لما طال أسره يسب الشامتين ويتشوق محله بمنيج [من الكامل] :

قف في رسوم المستجا ب وناد أكناف المصلّى
تلك المنازل والملا عب لا أراها الله محلاً^(٢)
أوطنتها زمن الصبا وجعلت منبج لي محلاً
حيث التفت رأيت ما ء سائحاً وسكنت ظلاً
والماء يفصل بين زهر الـروض في الشطين فصلاً
كسباط وشي جرّدت أيدي القيون عليه نصلاً^(٣)
من كان سرّ بما عرا ني فليمت ضرّاً وهزلاً^(٤)
ما غصّ مني حادثُ والقرم قرمٌ حيث حلاً^(٥)
أنّى حللت فائّما يدعوني السيف المحلى
ولئن خلصت فائّني شرق العدا طفلاً وكهلاً^(٦)
ما كنت إلّا السيف زا د على صروف الدهر صقلاً^(٧)

(١) يفري : يقطع .

(٢) المحل : الجذب ، وهنا دعاء للمنازل بأن تبقى مخصصة ناعمة .

(٣) القيون : جمع قين ، وهو الحداد ، الذي يصنع السيوف .

(٤) عراني : أصابني .

(٥) غصّ : نقص وقلل من منزلي ، والقرم : السيد .

(٦) شرق العدا : غصتهم .

(٧) الصقل : المضاء ، وصقل السيف : جلّاه .

ولئن قتلت فإنّما موت الكرام الصيد قتلى^(١)
 يغترّ بالدنيا الجهو ل وليس بالدنيا مملى^(٢)

وقال من قصيدة [من الطويل] :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهى عليك ولا أمرُ
 بلئى أنا مشتاق وعندي لوعة إذا الليل أضوى بي بسطت يد الرّجا
 تكاد تضيء النار بين جوانحي إذا هي أذكتها الصبابة والفكر^(٣)
 ومنها :

وإني لجرارٌ لكلّ كتيبة معوذة أن لا يخلّ بها النصر
 وأصدأ حتى ترتوي البيض والقنا وأسغبُ حتى يشبع الذئب والنسر^(٤)
 ومنها :

أسرت وما صحبي بعزلٍ لدى الوغى ولا فرسي مهر ولا ربّه غمرُ^(٥)
 ولكن إذا حمّ القضاء على امرئٍ فليس له برٌّ يقيه ولا بحرُ
 وقال أصيحابي : الفرار أو الرّدى فقلت : هما أمران أحلاهما مرُ
 ولكتني أمضي لما لا يعينني وحسبك من أمرين خيرهما الأسر
 ولا خير في دفع الرّدى بمذلة كما ردّها يوماً بسوأتها ~~عمره~~^(٦)

(١) الصيد : بكسر الصاد : وهو الذي يميل رأسه كبيراً .

(٢) مملى : يقال تملّى فلان من عمره : أي أطال الله عمره ومدّ بحياته .

(٣) أذكتها : أذكى النار ، أوقدها وزادها وقوداً .

(٤) أصدأ : أظلم ، وأسغب : أجوع .

(٥) بعزل : بجبناء ، والغمر : القليل التجربة ، الجاهل .

(٦) يقال : إن عمرو بن العاص ، كان يقاتل عليّ بن أبي طالب فقال منه أبو الحسين وصرعه ، وأراد أن يجهز عليه فرفع ثوبه وأظهر سوأته ، وكان الإمام عليّ لا ينظر إلى سواة أحد قطّ ، فتركه وأشاح بنظره =

وكتب إلى سيف الدولة قصيدة منها [من الكامل] :

مالي جزعت من الخطوب ، وإنّما
إن لم تكن طالت سنيّ فإنّ لي
قمن بما سرّ الأعادي موقفي
يا دهر خنت مع الأصادق خلّتي
لكنّ سيف الدولة المولى الذي
أضيعني من لم يزل لي حافظاً
إنّي أغار على مكاني أن أرى

أخذ الإله لبعض ما أعطاني
رأي الكهول ونجدة الشبان
والدهر برزّ لي مع الأقران^(١)
وغدرت بي في جملة الإخوان
لم أنسه وأراه لا ينساني
كرماً ويخفّضني الذي أعلنني
فيه رجلاً لا تسدّ مكاني

وقال من قصيدة [من الوافر] :

يعزّ على الأحبة بالشام
وإنّي للصبور على الرزايا
جروح ما يزلن يردن منّي
تأملني الدمستق إذ رآني
أتكرني كأنك لست تدري
فلا هتّها نعمى بأخذي
أما من أعجب الأشياء علج
وتكنفه بطارقة تيوس^(٢)

حبيب بات ممنوع المنام
ولكنّ الكلام على الكلام^(٣)
على جرح قريب العهد دام
فأبصر صيغة الليث الهمام
بأنّي ذلك البطل المحامي
ولا وصلت سعودك بالتمام
يعرفني الحلال من الحرام^(٤)
تباري بالعثانين الضخام^(٥)

= عنه ، فقرّ عمرو ونجا بهذه الحيلة ، وذكر ذلك إلى معاوية فقال له : لو كنت مكانه لآخترتك بالرمح ...

(١) القمن : الجدير والخليق .

(٢) الكلام : الجراح ، يريد أن الجراح بعضها فوق بعض أو إثر بعض .

(٣) العليج : الكافر .

(٤) تكنفه : تحيط به ، والعثانين : اللحي ، أو ما فضل منها بعد المعارضين « في الذقن » .

لهم خلق الحمير فلسست تلقى فتى منهم يسير بلا حزام
يريفون العيوب ، وأعجزتهم ، وأي العيب يوجد في الحسام^(١)
ثناء طيب لا خلف فيه وآثار كآثار الغمام
ألاز على التعرض للمنايا ولي سمع أصم عن الملام
بنو الدنيا إذا ماتوا سواء ولو عمر المعمّر ألف عام
ألا يا صاحبي تذكراني إذا ما شمتما البرق الشامي^(٢)
إذا ما لاح لي لمعان برق بعثت إلى الأحبة بالسلام

وكتب إليه ابن الأسمر يوصيه بالصبر ، فأجابه [من الطويل] :

ندبت لحسن الصبر قلب نجيب وناديت بالتسليم خير مجيب
ولم يبق مني غير قلب مشيع وعود على ناب الزمان صليب^(٣)
وقد علمت أمي بأن منيتي بحدّ حسام أو بحدّ قضيب
كما علمت من قبل أن يغرق ابنها بمهلكه في الماء أم شبيب

كانت أم شبيب رأت في منامها - وهي حبلى - كأن نار أخرجت من بطنها
فاشتعلت الآفاق ثم وقعت في الماء فانطفأت ، فلما كان من أمره ما كان ونعى إليها
لم تصدق ، حتى قيل : إنه قد غرق في الماء ، فأقامت المناحة .

تجشمت خوف العار أعظم خطية وأملت نصراً كان غير قريب
وللعار خلّى ربّ غسان ملكه وفارق دين الله غير مصيب^(٤)

(١) يريغون العيوب : يطلبونها ، والحسام : هو الذي يحسم مادة الشر والخلاف .

(٢) شمتما : شام البرق : نظر إليه ليعرف أين مطره .

(٣) قلب مشيع : أي جريء قوي ، والصليب : أي صلب .

(٤) أراد ربّ غسان : جيلة بن الأيهم ، وكان قد أسلم ثم ذهب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،
ولطم أعرابياً مسلماً لأنه داس رداءه فأراد عمر أن يقتص منه ، إلا أن يرضى الأعرابي ، فاستمهله إلى
الغد ، ثم فرّ في جنح الليل ولحق بالروم متنصراً ... ؟

ولم يرتغب في العيش عيسى بن مصعب ولا خفّ خوفٌ بالحزون خيب^(١)

وأحفظ أبو فراس الدمستق في مناظرة جرت بينهما فقال له الدمستق : إنما أنتم كتاب ولا تعرفون الحرب ، فقال له أبو فراس : نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالأقلام ؟ ثم قال [من الطويل] :

أتزعّم يا ضخم اللغاديد أنّنا	ونحن أسود الحرب ، لا نعرف الحرب ^(٢)
فويلك ! من للحرب إن لم تكن لها ؟	ومن ذا الذي يضحي ويمسي لها تربا ؟
ومن ذا يكفّ الجيش من جنباة	ومن ذا يقود العين أو يصدّم القلبا
وويلك ، من أردى أخاك بمرعش	وجلّ ضرباً وجه والدك العضبا ^(٣)
[وويلك من خلى ابن أختك موثقاً	وخلاك باللقان تبتدر الشعبا
أتوعدنا بالحرب حتّى كأننا	واياك لم يعصب بها قلبنا عصبا ^(٤)
لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه	فكنّا بها أسداً وكنّت بها كلبا
وسلّ برد ، سلّ عتّا أباك وصهره	وسلّ أهل برداليس أعظمهم خطبا ^(٥)
وسلّ قرقاشا والشمقمق صهره	وسلّ سبطه البطريق أثبتهم قلبا
وسلّ صيدكم آل الملايين ، إنّنا	نهبنا ببيض الهند عرضهم نهبا ^(٦)
وسلّ أهل بيرام وأهل بلنطس	وسلّ آل شنوان الخناجرة الغلبا
وسلّ بالبطرصيس العساكر كلّها	وسلّ بالمسيطرناطس الروم والعربا

(١) عجز هذا البيت في ديوانه « ولا خفّ خوف الحرب قلبُ خيب » والحزون : الأرض الصعبة المسالك ، والخيب : من الخبب وهو ضربٌ من العدو .

(٢) اللغاديد : جمع لغدود ، وهو لحمه في الحلق ، أو كالزوائد من اللحم في باطن الأذن .

(٣) العضب : السيف القاطع .

(٤) لم يعصب : لم يجمع ويشرك ، والعصابة : الجماعة .

(٥) برد : اسم أبي الدمستق ، وبرداليس : اسم مكان .

(٦) الصيد : جمع أصيد وهو المائل الرأس كبيراً ومخيلة والملايين جمع ملبون : وهو من به مثل السكر .

ألم تكفهم قتلاً ونهباً سيوفنا
 بأقلامنا أجحرت أم بسيوفنا ؟
 تفاخرنا بالضرب والطعن والقنا
 رعى الله أوفاننا - إذا قال - ذمّة
 وأسد الشرى الملقى وإن جمدت رعباً
 وأسد الشرى قدنا إليك أم الكتبا ؟^(١)
 لقد أوسعتك النفس يا ابن استها كذباً^(٢)
 وأنفذنا طعنا وأثبتنا ضرباً
 وقال من قصيدة [من الطويل] :

خليليّ ما أعددتما لمتيم
 فريدٍ عن الأحباب لكن دموعه
 جمعت سيوف الهند من كلّ جهة
 إذا كان غير الله للمرء عدّة
 فقد جرّت الحنفاء حتف حذيفة
 [وجرت منايا مالك بن نويرة
 وأردى فؤاباً في بيوت عُثيبة
 أسير لدى الأعداء جافى المراقد
 مثانٍ على الخدين غير فرائد^(٣)
 وأعددت للأعداء كلّ مجالد
 أته الرزايا من وجوه الفوائد
 وكان يراها عدّة للشدائد^(٤)
 عقيلته الحسناء أيام خالد^(٥)
 بنوه وأهلوه بشدو القصائد^(٦)

ولما خفف عن أبي فراس ورفه ، ونوظر في أمر الهدنة والأسارى ، وأجيب إلى
 ملتسمه بعد أن أكرم وبجل قال [من الطويل] :

ولله عندي في الإِسار وغيره
 حللت عقوداً أعجز الناس حلّها
 مواهب لم يخصص بها أحدٌ قبلي
 وما زلت لا عقدي يذم ولا حلّي

(١) أجحرت : أي دخل الحجر فراراً .

(٢) الإِسْت : المؤخّرة .

(٣) مثانٍ : جمع مثني ، وأراد متالية بعضها إثر بعض .

(٤) الحنفاء : القوس ، والحنف : الهلاك .

(٥) العقيلة : الزوجة : وخالد : هو خالد بن الوليد .

(٦) أردى : قتل ، وفؤاباً : جمع ذئب .

إذا عايتني الروم قد ذلّ صيدها
وأوسع أياماً حللت كرامةً
فأبلغ بني عمي وأبلغ بني أبي
وما شاء ربي غير نشر محاسني
كأنهم أسرى يديّ بلا كبل^(١)
كلّني من أهلي نُقلتُ إلى أهلي
بأنّي في نعماء يشكرها مثلي
وأن يعرفوا ما قد عرفتم من الفضل

* * *

ما أخرج من مزدوجته الطردية

ما العمر ما طالت به الدهور
أيام عزّي ونفاذ أمري
[ما أجور الدهر على بنيه
لو شئت مما قد قللن جدا
أنعت يوماً مرّ لي بالشام
دعوت بالصقّار ذات يوم
قلت له اختر سبعةً كباراً
يكون للأرنب منها اثنان
واجعل كلاب الصيد نوبتين
ثم تقدّمت إلى الفهّاد
وقلت إنّ خمسةً لتقع
وأنت يا طبّاح لا تباطا
ويا شرابيّ البلقيسيات
العمر ما تمّ به السرور
هي التي أحسبها من عمري
وأغدر الدهر بمن يُصفيه^(٢)
عددت أيام السرور عدّاً
ألذّ ما مرّ من الأيام
عند انتباهي سحراً من نومي^(٣)
كلّ نجيب يردّ الغبارا
 وخمسةً تفرد للغزلان
يرسل منها اثنان بعد اثنين
والبازيارين بالاستعداد^(٤)
والزرقان الفرخ والملمع
عجل لنا اللّفات والأوساطا
تكون للراح ميسّرات

(١) الكيل : القيد .

(٢) يُصفيه : يتخذه خليلاً .

(٣) الصقّار : الذي مهنته رعاية الصقور .

(٤) البازيارين : حملة الباز ، الحيوان الذي يستعمل في الصيد وهو استعمال فارسي .

بِالله لا تستصحبوا ثقيلاً
ردّوا فلاناً وخذوا فلاناً
فاخترت لَمّا وقفوا طويلاً
عصابةً أكرم بها عصابةً
ثم قصدنا صيد عين باصر
جثناه والشمس قبيل المغرب
وأخذ الدّراج في الصباح
في غفلةٍ عَنّا وفي ضلال
يطرب للصبح وليس يدري
نحن نصلي والبزاة تخرج
وقلت للفهاد : إمض وانفرد
فلم يزل غير بعيد عَنّا
وسرت في صفٍّ من الرجال
فما استوينّا كلّنا حتى وقف
ثم أتاني عجلاً قال سبق
سرت إليه فأراني جاثمه
[ثم أخذت نبلة كانت معي
حتى تمكنت فلم أخط الطلبُ

ومنها :

ثم دعوت القوم : هذا بازي فايكم ينشط للبراز

(١) مظنة الصيد : أي حيث يظن أن فيها ما يصطاد والخابر : أي الخبير العارف .

(٢) الدّراج : طائر كالحجل .

(٣) الشّرف : أي المكان العالي للمراقبة .

فقال منهم رشاً: أنا ، أنا ولو درى ما بيدي لأذعن^(١)

ومنها :

جئت بيازٍ حسنٍ وهيرج	دون العقاب وفويق الزمَج ^(٢)
زَيْنٍ لرائيه وفوق الزَيْن	ينظر من نارين في غارين
كَأَنَّ فوق صدره والهادي	آثار مشي الذرِّ في الرماد
[ذي منسرٍ فخِمٍ وعينٍ غائره	وأفخذٍ مثل الجبال وافرهِ ^(٣)
ضخمٍ قريب الدَّسْتَبَانِ جدًّا	يلقى الذي يحمل منه كدًّا ^(٤)
وراحهٍ تحمل كَفِّي سبطة	زادت على قدر البزاة بسطهِ ^(٥)
سرَّ وقال هات قلت مهلا	احلف على الردِّ فقال كلاً
أما يميني فهي عندي غالية	وكلمتي مثل يميني وافية
فقلت خذه هبةً بقبله	فصدَّ عني وعلته خجله
ثم ندمت غاية الندامة	ولمت نفسي أكثر الملامه
على مزاحي والرجال حضّر	وهو يزيد خجلاً ويحصر
فلم أزل أمسحه حتى انبسط	وهشَّ للصيْد قليلاً ونشط

ومنها في وصف البازي واستيلائه على الكركي .

حتى إذا جندله كالعندل	أيقنت أن العظم غير الفضل ^(٦)
صحت إلى الطباخ ماذا تنتظر	انزل عن المهر وهات ما حضر

(١) أذعن : أقرَّ وهذا .

(٢) الهيرج : السمين ، والزمج : طائرٌ دون العقاب في صوته يشبه نباح الجرو ، يُصاد به .

(٣) المنسر : الظفر .

(٤) الدسْتَبَان : فارسية والدست المكان والبيت .

(٥) البسطه : القوة .

(٦) العندل : الناقة العظيمة ، وجندله : صرعه .

جاء بأوساطٍ وجردباج من حجل الطير ومن درّاج
فما تنازلنا عن الخيول يمنعنا الحرص من النزول
وجيء بالكأس وبالشراب فقلت : وفرها على أصحابي
أشبعني اليوم وروّاني الفرح فقد كفّاني بعض وسطٍ وقده
ومنها :

ثم انصرفنا والبغال موقرةً في ليلةٍ مثل الصباح مسفرة
حتى أتينا رحلنا بليلٍ وقد سبقنا بجياد الخيل
ثم نزلنا فطرحنا الصيّداً لما عددنا مائةً وزيداً^(١)
فلم نزل نشوي ونقلني ونصبُ حتى طلبنا صاحياً فلم نُصِبْ
شرباً كما عن من الزقاق بغير ترتيبٍ وغير ساق
ولم نزل سبع ليالٍ عدداً أسعد من راحٍ وأحظى من غدا

وحكى بديع الزمان أبو الفضل الهمداني قال : قال صاحب أبو القاسم يوماً
لجلسائه وأنا فيهم - وقد جرى ذكر أبي فراس - : لا يقدر أحد أن يزور على أبي
فراس شعراً ، فقلت : ومن يقدر على ذلك وهو الذي يقول [من الوافر] :

رويدك لا تصل يدها بياحك ولا تغز السباع إلى رباعك
ولا تعن العدو عليّ ، إني يمينٌ إن قطعت فمن ذراعك

فقال صاحب : صدقت ، قلت : أيد الله مولانا قد فعلت . ولعمري إنه
فد حسن ، ولكن لم يشق غبار أبي فراس .

وكتب على ظهر الجزء المشتمل على مزدوجته التي أولها [من الرجز] :

ما العمر ما طالت به الدهور العمر ما تمّ به السّرور

(١) زيداً : مصدر زاد يزيد ، وأراد مائةً وزائداً عليها .

هذه الأبيات [من الرجز] :

أروح القلب ببعض الهزل تجاهلاً منّي بغير جهل
أمزح فيه مزح أهل الفضل والمزح أحياناً جلاء العقل

* * *

فصل

قد أطلت عنان الاختيار من محاسن شعر أبي فراس ، وما محاسن شيء كله حسن ؟ وذلك لتناسبها وعذوبة مشارعها . ولا سيما الروميات التي رمى بها هدف الإحسان . وأصاب شاكلة الصواب ، ولعمري إنها - كما قرأته لبعض البلغاء - لو سمعته الوحش أنست ، أو خوطبت به الخرس نطقت ، أو استدعي به الطير نزلت .

ولما خرج قمر الفضل من سراره ، وأطلق أسد الحرب ، عن إساره ، لم تطل أيام فرحته ، ولم تسمح النوائب بالتجافي عن مهجته . ودلت قصيدة قرأتها لأبي إسحاق الصابي في مراثيته على أنه قتل في وقعه كانت بينه وبين بعض موالي أسرته ، وما أحسن وأصدق قول المتنبي [من البسيط] :

فلا تنلك الليالي ، إنَّ أيديها إذا ضربن كسرن النبع بالغرب^(١)
ولا يعنَّ عدواً أنت قاهره فإنهنَّ يصدن الصقر بالخرب^(٢)

(١) النبع : شجر صلب ينبت في رؤوس الجبال والغرب : بيت ضعيف بيت على الانهار يريد يكسرن بالضعيف .

(٢) الخرب : بفتحتين : ذكر الحباري ، والصقر : من الطيور الجارحة ، يعني أنَّ الليالي إذا أعانت الضعيف صاد القوي .

وذكر ابن خالويه أن آخر شعر لأبي فراس قوله عند موته ، رحمه الله تعالى ! [من
الكامل] :

أبنيّتي لا تجزعي كلُّ الأنام إلى ذهابٍ
نوحى عليّ بحسرة من خلف سترك والحجاب
قولي إذا كلّمتني فعييت عن ردّ الجواب
زين الشاب أبو فرا س لم يمتّع بالشباب
اللهم ارحم تلك الروح الشريفة !!

* * *

الباب الرابع

في ملح شعر آل حمدان وغيرهم من أمراء الشام وقضاتها وكتابها

(أخبرني جماعة من أهل الأدب أن المتنبي لما عوتب في آخر أيامه على تراجع شعره قال : قد تجوزت في قولي ، وأعفيت طبعي ، واغتنمت الراحة منذ فارقت آل حمدان) وفيهم من يقول [من الوافر] :

وقد علمت بما لاقتنه منّا قبائل يعربٍ وبنو نزارٍ
لقيناهم بأرماحٍ طوالٍ تبشّرهم بأعمارٍ قصارٍ

يعني أبا زهير مهلهل بن نصر بن حمدان ، ومنهم من يقول - يعني أبا العشائر -
[من الكامل] :

أخا الفوارس لو رأيت موافقي والخيّل من تحت الفوارس تنحط^(١)
لقرأت منها ما تخطّ يد الوغى والبيض تشكّل^(٢) والأسنة تنقط

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي لبعضهم [من الكامل] :

أغمامٌ ما يدريك ما أفعالنا والخيّل تحت النّقع كالأشباح^(٣)

(١) تنحط : تزفر من الجهد .

(٢) النّقع : الغبار الذي تثيره الحرب .

تطفو وترسب في الدماء كأنها
وأنشدت لأبي العشائر [من البسيط] :

سطا علينا ، ومن حاز الجمال سطا ،
له عذران قد خطا بوجنته
ظبي من الجنة الفردوس قد هبطا
فاستوقفا فوق خديه وما انبسطا
وظل يخطو فكل قال من شغف :
يا ليت في سواد الناظرين خطا

وقال بعض الرواة : دخلت على أبي العشائر أعوده من علة هجمت عليه
فقلت له : ما يجد الأمير ؟ فأشار إلى غلام قائم بين يديه اسمه نسطوس كأن
رضوان غفل عنه فأبق^(١) من الجنة ، وأنشد [من مخلع البسيط] :

أسقم هذا الغلام جسمي بما بعينه من سقام
فقر عينيه من دلال أهدى فتوراً إلى عظامي^(٢)
وامتزجت روحه بروحي تمازج الماء بالمدام

وكان أبو الحسن الماسرجي ينشد في تدريسه مسألة « الحر لا يقتل بالعبد »
هذين البيتين ، وهما لبعض آل حمدان [من الطويل] :

خذوا بدمي هذا الغزال ، فإنه
ولا تقتلوه إنني أنا عبده
رمانى بسهمي مقلتيه على عمد
ولم أر حرّاً قط يقتل بالعبد

وأنشدت لبعضهم ، وهو أحسن ما سمعت في معناه [من الكامل] :

للعبد مسألة لديك جوابها
ما بال ريقك ليس ملحاً طعمه
إن كنت تذكره فهذا وقته
ويزيدني عطشاً إذا ما ذقته !

(١) أبق : هرب .

(٢) الفتور : الضعف والانكسار .

ووجدت بخط أبي بكر الخوارزمي هذه الأبيات منسوبة إلى أبي وائل تغلب
ابن داود بن حمدان ، ورويت لغيره [من الكامل] :

لا والذي جعل الموا لي في الهوى خدام العبيد
وأصار في أيدي الظبا ء قياد أعناق الأسود
وأقام ألوية المنيد ة بين أفنية الصدود^(١)
ما الورد أحسن منظراً من حسن توريد الخدود

ووجدت بخطه لحمدان الموصلي [من الخفيف] :

يا رسول الحبيب ويحك قد ألد قى عليك الحبيب حسناً وطيباً
وتعلّمت حسن ألفاظه تد لك فظرفت بادئاً ومجيباً
ولقد كدت أن أضمّك لولا أن يسيء الظنون أو يستريباً
خيفة أن يكون ذاك كما قد ل قديماً : صار الرسول حبيباً

ولأبي وائل الحمداني لما أسره المبرقع [من الخفيف] :

يا خليلي ، أسعداني فقد عي ل ، اضطباري على احتمال البلية
غربة قارظية ، وغرام عامري ومحنة علوية^(٢)

ولأبي زهير ، وهو مما يتغنى به [من الكامل] :

وزعمت أني ظالمٌ فهجرتني ورميت في قلبي بسهم نافذ
فنعم ظلمتك فاغفر لي زلتي هذا مقام المستجير العائد
وأنشدني الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي هذه الأبيات ولم يسم

(١) أفنية : جمع فناء ، وهو الساحة والمتسع من المكان .

(٢) قارظية : أراد دائمة أبد الدهر ، وعامري : نسبة إلى بني عامر عشاق العرب منهم ليلى العامرية

وعلوية : نسبة إلى آل علي بن أبي طالب عليهم الرحمة .

قائلاً ، ثم وجدتها في بعض التعليقات منسوبة إلى بعض آل حمدان [من الوافر] :

أَجِلْ عَيْنِكَ فِي عَيْنِي تَجِدُهَا مَشْرَبَةً نَدَى وَرَدَ الْخُدُودُ^(١)
وَصَافِحَنِي تَجِدَ عِبْقاً بِكَفِّي يَضُوعُ إِلَيْكَ مِنْ رَدَعِ النُّهُودِ^(٢)
وَحَذَّ سَمْعِي إِلَيْكَ فَإِنَّ فِيهِ بَقَايَا مِنْ حَدِيثِ كَالْعُقُودِ

وأنشدني أبو الحسن محمد بن أبي موسى الكرخي ، قال : أنشدني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن بن القاضي أبي القاسم التنوخي ، قال : أنشدني أبو المطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة أبي محمد لنفسه ، تغمدهم الله تعالى برحمته وأسكنهم بحبوبة جنته ! [من البسيط] :

إِنِّي لِأَحْسَدُ « لَا » فِي أَسْطَرِ الصَّحْفِ إِذَا رَأَيْتَ اعْتِنَاقَ الْإِلَامِ لِلْأَلْفِ
وَمَا أَظْنَهُمَا طَالَ اجْتِمَاعُهُمَا إِلَّا لَمَّا لَقِيا مِنْ شِدَّةِ الشَّغْفِ

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

أَفْدَى الَّذِي زَرْتَهُ بِالسَّيْفِ مُشْتَمِلاً وَلَحِظَ عَيْنِيهِ أَمْضَى مِنْ مُضَارِبِهِ
فَمَا خَلَعْتَ نَجَادِي فِي الْعِنَاقِ لَهُ حَتَّى لَبَسْتَ نَجَاداً مِنْ ذَوَائِبِهِ
فَكَانَ أَنْعَمْنَا عَيْشاً بِصَاحِبِهِ مِنْ كَانَ فِي الْحَبِّ أَشْقَانَا بِصَاحِبِهِ

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

قَالَتْ لَطِيفُ خِيَالٍ زَارَهَا وَمَضَى : بِاللَّهِ صَفْهِ وَلَا تَنْقُصُ وَلَا تَزِدْ
فَقَالَ : خَلْفَتَهُ لَوْ مَاتَ مِنْ ظَمَأٍ وَقَلَّتْ قَفٌّ عَنْ وَرُودِ الْمَاءِ لَمْ يَرِدْ
قَالَتْ : صَدَقْتَ الْوَفَا فِي الْحَبِّ عَادَتَهُ يَا بَرْدَ ذَاكَ الَّذِي قَالَتْ عَلَى كَبْدِي !

(١) أجل : أدير ، وتطلع ، وحقق .

(٢) العبق : الريح الطيب ، ويضوع : يفوح ، والردع : أثر الطيب .

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني لنفسه في جارية كانت معاجرها^(١) تبلى بسرعة [من البسيط] :

أرى الثياب من الكتّان يلمحها ضوء من البدر أحياناً فيليها
وكيف تنكر ان تبلى معاجرها والبدر في كلّ حين طالع فيها^(٢)
وقد أحسن غاية الإحسان ، والعرب تزعم أن البدر يبلى الثياب الحلوة ، وقوله [من المتقارب] :

أيا من صبرت على فقده وإن كان لي مؤلماً موجعا
لقد نال كلّ الذي يشتهي حسودٌ علينا بين دعا^(٣)
وأنشدني أيضاً للحسين بن ناصر الدولة [من البسيط] :

لو كنت أملك طرفي ما نظرت به من بعد فرقتكم يوماً إلى أحدٍ
ولست أعتده من بعدكم نظراً لأنه نظرٌ من مقلتي رمِد^(٤)

* * *

٣ - منصور وأحمد ابنا كيغلغ

أديبان شاعران ، من أولاد أمراء الشام ، فمن مشهور ملح منصور قوله [من السريع] :

خنت الذي أهوى من الناس ونمت عن جودي وعن باسي
يوم أرى الدجن فلا أرتوي من ريق إلفي ومن الكاس^(٥)

(١) المعجر : بزنة المنبر ، ثوب تشده المرأة على وسطها .

(٢) تبلى : تخلق وترث .

(٣) البين : الفراق ، ودعا : توسّل الله .

(٤) الرمد : وجع يصيب العين .

(٥) الدجن : المطر الكثير ، وإلفي : خلّي وحبيبي .

وقوله [من السريع] :

كانها والقرط في أذنها بدر الدجى قرط بالمشتري
قد كتب الحسن على وجهها « يا أعين الناس قفي وانظري »

وقوله من أبيات [من مخلع البسيط] :

يدير في كفه مدا ألدُّ من غفلة الرقيب
كانها إذ صفت ورقَّتْ شكوى محبٍّ إلى حبيب

وقوله [من الكامل] :

عاد الزمان بمن هويت فأعتبا يا صاحبي فسقياني واشربا
كم ليلةً سامرت فيها بدرها من فوق دجلة قبل أن يتغيَّبا
قام الغلام يديرها في كفه فحسبت بدر التَّمَّ يحمل كوكبا
والبدر يجنح للغروب كأنه قد سلَّ فوق الماء سيفاً مذهبا

وقد أكثروا في وصف القمر على الماء ، وبيت منصور هذا من غرر ذلك ، وأحسن ما سمعت فيه - على كثرتِه - قول القاضي التنوخي [من الكامل] :

أَحْسِنْ بِدَجْلَةٍ وَالدَّجَى مُتَصَوِّبٌ وَالبدر في أفق السماء مغرَّبٌ^(١)
فكأنها فيه بساطٌ أزرقٌ وكأنه فيها طرازٌ مذهب

وقول أبي الفتح كشاجم [من مجزوء الرجز] :

ما زلت أسقاها على وجه غزالٍ مَوْنِقٍ^(٢)
بقمرٍ متقَبٍ بخاتمٍ منتطقٍ
والبدر فوق دجلةٍ والصبح لما يشرق

(١) الدَّجَى : الظلام : متصَوِّبٌ : منحدر ، ونازل .

(٢) المونق : البديع الفاتن .

كحلية من ذهب على رداء أزرق

ومن ملح منصور قوله [من المتقارب] :

كتبت إليك بماء الجفون وقلبي بماء الهوى مشرب^(١)
فكفّي تخطّ وقلبي يمل وعيني تمحو الذي تكتب^(٢)

وقوله [من مخلع البسيط] :

ألسني ذلة العبيد مَنْ قلبه صيغ من حديد^(١)
ونمّ طرفي بما ألقى من كمد دائم المزيد^(٢)
وكيف يخفي الهوى عيّد ودمه صاحب البريد

وقوله [من البسيط] :

قالوا : عليك سبيل الصبر ، قلت لهم : هيهات ! إن سبيل الصبر قد ضاقت
ما يرجع الطرف عنه حين يبصره حتى يعود إليه القلب مشتاقا

* * *

ولأحمد [من الرمل] :

لا يكن للكأس في كفّ لك يوم الغيث لبث^(٣)
أو ما تعلم أن الـ غيث ساقٍ مستحثّ

وله [من الهزج] :

ولولا أن برذون الـ هوى يعتلف الرطبه

(١) صيغ : سبك وصنع .

(٢) نمّ : أظهر ودلّ ، والكمد : الحزن والغمّ .

(٣) اللبث : مقام .

ركبناه إلى الصَّيد وأرسلنا له كلبه
فصدنا ثعلب الهجرا ن تلك الخَبَّة الضَّبة^(١)
وصيرنا لزيت الوصـ ل من جلد استهاريته^(٢)

وله ، ويروي لديك الجن [من مخلع البسيط] :

قلت له والجفون قرحى قد أقرح الدمع ما يليها
ما لي في لوعتي شبيه قال : وأبصرت لي شبيها؟!

وله [من الهزج] :

بدت من خلل الحجب كمثل اللؤلؤ الرطب
فأدمى خدَّها لحظي وأدمى لحظها قلبي

وله [من الرجز] :

واعطشي إلى فمـ يمجُ خمراً من برد
إنَّ قسَم الناس فحسـ بي بك من كلُّ أحد

* * *

٤ - أبو محمد جعفر وأبو أحمد عبد الله ابنا ورقاء الشيباني

من رؤساء عرب الشام وقوادها ، والمختصين بسيف الدولة . وما منهما إلا
أديب شاعر جواد ممدح ، وبينهما وبين أبي فراس مجاوبات ، وإليهما أرسل أبو
فراس يقول من قصيدة [من الوافر] :

أتاني عن بني ورقاء قولُ ألدُّ جنىً من الماء القراح

(١) ثعلب الهجران : تقلِّبه وتحركه ، والخَبَّة : خرقه طويلة تعصب بها اليد ، والضَّبة : جلد الضب المدبوغ ، أو أنثى الضب .

(٢) الأيست : المؤخرة .

وأطيب من نسيم الروض حَفَتْ به اللَّذات من روحٍ وراح
ولو أُنِّي اقترحت على زماني لكتتم ، يا بني ورقا ، اقتراحي
ولأبي أحمد في جوابها من قصيدة أولها [من الوافر] :

أصاح قلبه أم غير صاحٍ وقد عَنَّت له عفر البطاح^(١)
ظباء الوحش تحكي ماثلاتٍ ظباء الانس بالصَّور الملاح
ومنها :

يدرن مراض أجفانٍ صحاحٍ فيا عجبي من المرضى الصحاح
وما زالت عيون العين فينا تؤثر فوق تأثير السلاح
ومنها :

أطلعة الهلال على قضيبٍ ومسدلة الظلام على الصَّباح !
عدتني عن زيارتك العوادي ودهرٌ للأكارم ذو اطراح^(٢) !
ومنها :

أمدره تغلب لسنأ وعلما ومصقع نطقها عند التلاحي^(٣)
لقد أوتيت علماً واضطلاعا بآدابٍ وألفاظٍ فصاح
لمقولك المضاء إذا انتضاه الـ قصيد على المهنة الصَّفاح

وله من قصيدة [من الطويل] :

ألا ليت شعري ، والحوادث جمَّة وما كنت في دهري إلى الناس شاكيا

(١) عَنَّت : أذعنت ، وعفر البطاح : شجعانها ودهاتها .

(٢) عدتني : منعتني ، والعوادي : الأحداث المانعة .

(٣) المدرة : العالم الجليل . والمصقع : البليغ الفصيح ، والتلاحي : اللوم .

أمخترمي ريب المنون بحسرة تبْلُغُ نفسي من شجاءها التراقيا ؟^(١)
إلى الله أشكو أن في الصدر حاجة تمرُّ بها الأيام وهي كما هيا
ومنها في ذكر بني كعب وإيحاشهم سيف الدولة حتى أضربهم :

وإنهم لَمَّا استهاجوا صياله وما كان عن مستوجب البطش وانيا^(٢)
كمن شبَّ ناراً في شعار ثيابه وهيجَ ليشاً للفريسة ضاريا^(٣)
وله من قصيدة أجاب بها عن قصيدة أبي فراس التي أولها [من الطويل] :

✽ لعل خيال العامرية زائر ✽

عمرن بعمارٍ من الإنس برهةً فها هنَ صفرٌ ليس فيهنَ صافرُ
أخلت بمغناها دميَّ وخرائدُ وحلت بأقصاها مهأً وجآذرُ^(٤)
أهنَّ عيونٌ باللحاظ دوائرُ على عاشقيها أم سيوفٌ بواترُ ؟^(٥)
ضعائف يقهرن الأشداء قدرةً عليهم وسلطان الصبابة قاهرُ
ومنها :

ألا يا ابن عمِّ يستزيد ابن عمِّه رويدك إنني لانبساطك شاكِرُ
تصفحت ما أنفذته فوجدته كما استودعتُ نظم العقود الجواهر
وذكرني روضاً بكته سماؤه فضاحكه مستأسدٌ وهو زاهر
عرائس تجلوها عليك خدورها ولكنما تلك الخدور دفاتر

(١) أمخترمي : اخترم الشيء : ثقبه من ناحية إلى ناحية . والتراقي : جمع ترقوة ، وهي العظمة بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .

(٢) الصيال : أي صولته في الحرب ، والواني : المتأخر والتعب ، والضعيف .

(٣) شبَّ ناراً : أسعرها وأصلاها .

(٤) الدمى والخرائد : الفتيات الأبيكار النواهد .

(٥) البواتر : القاطعة .

فعدلاً ، فَإِنَّ العدل في الحكم سيرةٌ بها سار في الناس الملوك الأساور^(١)
ولما قال أبو فراس [من الكامل] :

إنا إذا اشتدّ الزمان وناب خطبٌ وادلهم

من أبيات قد مرت أجابه أبو محمد جعفر بن محمد بن ورقاء بقوله من
أبيات [من الكامل] :

أنتم كما قد قلت بل أعلى وأشرف يا ابن عمٍ
ولكم سوابق كلٍّ فخيرٍ واللواحق من أمم^(٢)
أحسنّت والله العظيم نظام بيتك حين تمّ
فيما ذكرت من السيوف وما ذكرت من النعم
حتى كأنّ بنظمه للحسن دراً منتظم

وكتب أبو محمد عند حصوله ببغداد بعد وفاة سيف الدولة إلى أبي إسحاق
الصائبي ، وكانت بينهما مودة وتزاور فانقطع عنه أبو إسحاق لبعض العوائق [من
الكامل] :

يا ذا الذي جعل القطيعة دأبه إن القطيعة موضعٌ للريب
إن كان ودك في الطوية كامناً فاطلب صديقاً عالماً بالغيب^(٣) !

فأجابه أبو إسحاق بهذه الأبيات [من الكامل] :

قد يهجر الخلّ السليم الغيب للشغل وهو مبرأ من ريب
ويواصل الرجل المنافق مبدياً لك ظاهراً سستبطننا للعب

(١) الأساور : الشجعان الأسود .

(٢) أمم : قرب .

(٣) الطوية : يقصد الصدر والضمير والنية .

لا تفرحَنَّ من الصديق بشاهد
وتأمل المسودَّ من شعر الفتى
وإذا ظفرت بذي ودادٍ خالص
حتى يكون موافقاً للغيب
أهو الشبية أم خضاب الشيب؟^(١)
فاغفر له ما دون غشِّ الجيب

وكتب إليه أبو إسحاق قصيدة طويلة فأجابه بقصيدة منها [من الطويل] :

ومشمولةٍ صرفٍ صرفت بشربها
إذا جال فيها المزج خلّت حبابها
وعاذلةٍ في بذل ما ملكت يدي
فإنّ زئير الأسد من كلّ جانبٍ
أفي الحقّ أن قايست غير محقّقٍ
ولا سيّما أنت الذي نشرت له
وما زلت بين الناس صدر محافلٍ
وجوه لحاتي قاطباتُ الحواجبِ
عيون الأفاعي أو قرون الجنادبِ
رددت لها المسعى بصفقة خائبٍ
ليشغل سمعي عن صياح الثعالبِ
فظاظة جنديٍّ إلى ظرف كاتبٍ^(٢)
محاسن كالأعلام فوق المراقبِ^(٣)
وعين مقاماتٍ وقلب مواكبٍ

وكتب إليه أبو أحمد قصيدة منها [من الخفيف] :

يا هلالاً يدعى أبوه هلالاً
أنت بدرٌ حسناً، وشمسٌ علواً،
جلّ باريك في الورى وتعالى
وحسامٌ عزمأ، وبحرٌ نوالاً

* * *

٥ - أبو حصين علي بن عبد الملك الرقي القاضي بحلب

هو الذي يقول فيه السري الموصلي من قصيدة [من الوافر] :

لقد أضحت خلال أبي حصينِ
حُصوناً في الملمّاتِ الصعابِ

(١) الخضاب : الصباغ .

(٢) قايست : وازنت وساويت .

(٣) نشرت له : دفعت واشتهرت ، والمراقب : الأماكن العالية حيث تكون المراقبة .

كساني ظلّ وابله ، وآوى غرائب منطقي بعد اغتراب
وكنت كروضة سقيت سحاباً فأننت بالنسيم على السحاب
وكتب إليه أبو فراس - وقد عزم على المسير إلى الرقة - قصيدة افتتاحها [من
البيسط] :

يا طول شوقي إن كان الرحيل غدا لا فرق الله فيما بيننا أبدا
فأجابه القاضي بقصيدة أولها [من البيسط] :
الحمد لله حمداً دائماً أبداً أعطاني الدهر ما لم يعطه أحدا
ومنها :

إن كان ما قيل من سير الركاب غداً حقاً فإني أرى وشك الحمام غداً^(١)
ومنها في ذكر سيف الدولة :

لولا الأمير وأنّ الفضل مبدؤه منه لقلت بأنّ الفضل منك بدا
دام البقاء له ما شاء مقتدراً تمضي أوامره ، إن حلّ أو عقدا
يذلّ أعداءه عزّاً ، ويرفع منّ والاه فضلاً ، ويبقى للعلا أبدا
وكتب أبو حصين إلى أبي فراس من قصيدة جواباً [من البيسط] :

من وائب الدهر كان الدهر قاهره ومن شكا ظلمه قلّت نواصيره^(٢)
إن كان سار فإنّ الروح تذكره والعين تبصره ، والقلب حاضره
يا من أخالسه ودّي ، وأمحضه نصحي ، وتأتيه من وصفي جواهره^(٣)
أتى كتابك والأنفاس خافتة والجسم مستسلم ، والسقم قاهره

(١) وشك الحمام : قرب الموت .

(٢) وائب الدهر : قارعه وسابقه .

(٣) أمحضه : أصفه .

والوجد باطنه ، والصبر ظاهره
 وشدّ صدعاً وكسراً أنت جابره^(١)
 وأحسن الروض ما دامت زواهره
 هو الفخور وما خلق يفآخره
 أم من يساجله ؟ أم من يكاسره ؟^(٢)
 أم من يجادله ؟ أم من يناظره ؟
 أم من يناضله ؟ أم من يساوره ؟^(٣)
 في كلّ معترك ؟ أم من يصابره ؟
 والسيف عزمته ، والله ناصره
 والعفو والعرف والتقوى ذخائره

والطرف منكسرٌ ، والشوق طارقه ،
 فانتاشني وأعاد الروح في بدني
 ما زلت في نزهة منه وفي زهر
 حسبي بسيدنا فخراً أصول به
 من ذا يطاوله ؟ أم من يماجده ؟
 أم من يفآقهه ؟ أم من يشاعره ؟
 أم من يقاربه في كلّ مكرمة ؟
 أم من ييارزه ؟ أم من يواقفه
 الحرب نزّهته ، والبأس همته
 والجود لذّته ، والشكر بغيته
 ومنها :

قد خانه فهمه ، بل مات خاطره
 وطول شوقٍ ونيراناً تخامرة^(٤)
 فأنت بالعدل والإحسان عاذره

هذا جواب عليلٍ لا حراك به
 يشكو إليك بعباداً عنك أتلفه
 إن كان قصّر فيما قال مجتهداً
 وقال أيضاً فيه [من الكامل] :

رهين شكر الحارث^(٥)
 ورئت ذلك وارثي^(٦)

آليت إنني ما بقيت
 فإذا المنية شارفت

-
- (١) انتاشني : نال منّي ، أو أعاد إليّ الروح ، والصدع : الكسر ، وجبر العظم : أصلحه وقوّاه .
 (٢) يطاوله : أي يقاربه رفعةً وعلاءً ، المساجلة : المباراة والمفاخرة في المجاد والمآثر .
 (٣) يساوره : يواثبه ، والمراد المحاربة .
 (٤) تخامرة : تداخله وتخالطه .
 (٥) آليت : حلفت وأقسمت .
 (٦) المنية : الموت ، وشارفت : دنت وقربت .

رَقِي له من بعد سَيِّدنا وليس لثالث
قسماً على صدق الضمير ولست فيه بحاث^(١)

* * *

٦ - أبو الفرج سلامة بن بحر أحد قضاة سيف الدولة

يقول شعراً يكاد يمتزج بأجزاء الهواء رقة وخفة ، ويجري مع الماء لطافة
وسلاسة ، كقوله [من السريع] :

من سرُّ العيد فما سرِّي بل زاد همِّي وأشجاني^(٢)
لأنَّه ذكرني ما مضى من عهد أحبابي وإخواني
ونظيرهما لغيره [من الكامل] :

من سرُّ العيد الجديد د فما لقيت به سرورا
كان السرور يتمُّ لي لو كان أحبابي حضورا

ولأبي الفرج ، ويروى للقاضي أبي النعمان البصري [من المنسرح] :

نوح حمام يشرب غرد هيج شوقي وزاد في كمدي
واكبدي من عذابكم ! وكذا من ذاق ما ذقت صاح واكبدي !
فارقت إلفي فصار في بلد بالرغم منِّي ، وصرت في بلد

وأنشدني أبو علي محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني القاضي أبو الفرج

بيروت لنفسه [من الكامل] :

مولاي ما لي منك بختٌ قد ذبت من كمدي ومت^(٣)

(١) الحاث : الذي لا يفي بقسمه .

(٢) أشجاني : أحزنني .

(٣) البخت : الحظ ، والكد ، الحزن والغم .

تصفو بك الدنيا ولا يصفو لعبدك منك وقتُ
 مولاي ما ذنبي إليك ؟ فلو عرفت الذنب تبت
 لا أنني أنسيتم أو أنني للعهد خنت
 إن كان ذاك فلا بقيت ، وإن بقيت فلا سلمت

* * *

٧ - أبو محمد عبد الله بن عمرو بن محمد الفياض

كاتب سيف الدولة ونديمه ، معروف ببعد المدى في مضمار الأدب وحلبة
 الكتابة ، أخذ بطرفي النظم والنثر ، وكان سيف الدولة لا يؤثر عليه في السفارة إلى
 الحضرة أحداً لحسن عبارته وقوة بيانه ، ونفاذه في استغراق الأغراض ، وتحصيل
 المراد ، وقد ذكره أبو إسحاق الصابي في الكتاب « التاجي » ومدحه السري
 بقصائد منها قوله من قصيدة [من الوافر] :

محنت رسم الكرى عن مقلتيه	رواسمٌ لا تملُّ من الرسم ^(١)
تروم وقد فرعن بنا فروعاً	من الفياض طيبة الأروم ^(٢)
إذا طافت بعبد الله لاقت	سمات المجد في الوجه الوسيم
لك القلم الذي يضحى ويمسي	به الإقليم محمي الحريم ^(٣)
هو الصلُّ الذي لو عضَّ صلاً	لأسلمه إلى ليل السليم
أخو حكيم إذا بدأت وعادت	حكمن بعجز لقمان الحكيم
ملكك خطامها فعلوت قساً	برونقها وقيس بن الخطيم ^(٤)

(١) الرواسم : الأبل ، والرسم : ضرب من السير .

(٢) الأروم : الأصول والمحتد .

(٣) الصلُّ : الأفعى ، والسليم : اللديغ أطلق عليه ذلك تمثيلاً له السلامة .

(٤) الخطام : العنان والزمام ، وقساً : هو قس بن ساعدة الأيادي .

نجومٌ لا تعوز فمن درارٍ يسار بضوئهن ومن رجوم^(١)
كحلي الخود مؤتلفٌ النواحي ووشي الرّوض مختلف الرقوم^(٢)

وكان يعجن مداده بالمسك ، ولا تلاق دواته إلا بماء الورد ، تفادياً من قول
القائل [من الوافر] :

دعي في الكتابة لا روي له فيها يُعد ولا بديه
كأن دواته من ريق فيه تلاق فريحها أبداً كرية^(٣)

وإثارة لما قال الآخر [من الرجز] :

في كفّه مثل سنان الصعده أرقش بزّ الأفعوان جلده^(٤)
كأتما النقش إذا استمده غالية مدوفة بندة^(٥)

ومن ملح شعره قوله ، ولم أسمع في معناه أحسن منه [من البسيط] :

قم فاسقني بين خفق الناي والعود ولا تبع طيب موجود بمفقود
كأساً إذا أبصرت في القوم محتشماً قال السرور له قم غير مطرود
نحن الشهود وخفق العود خاطبنا نزوج ابن سحاب بنت عنقود^(٦)
وأنشدني أبو علي محمد عمر الزاهر ، قال : أنشدني ابن الفياض لنفسه بحلب في

(١) رجوم : شهب تتطاير .

(٢) الخود : المرأة الناعمة ، والرقم : جمع رقم ، أراد به سطور الأزهار .

(٣) تلاق : تملأ .

(٤) الصعده : القناة المستوية ، وأراد قلمه والأرقش : من الحيات : المنقط ، والأفعوان : ذكر الحيات
وبزّ : غلب وقهر ، يريد أنه اعتصب جلداً لأفعوان وليس له ، والمقصد تشبيه قلمه بالأفعى .

(٥) الغالية : ضرب من الطيب ، وكذا الندّ ، ومدوفة : مخلوطة وممزوجة .

(٦) أي نخلط الماء بالخمير .

غلام له أنير لديه استوحش منه لميله إلى غلام آخر يقال له إقبال [من الكامل] :

أنكرت إقبالي على إقبال وخشيت أن تتساويا في الحال
هيهات ! لا تجزع فكلُّ طريفة ربحٌ يهون وأنت رأس المال

قال : وأنشدني لنفسه في ذلك الغلام [من الكامل] :

الآن تهجرني وأنت المذنبُ وظننت أنك عاتبٌ لا تعتبُ
وأمنت من قلبي التقلب واثقاً بوفائه لك ، والقلوب تقلبُ^(١)

وقال [من الوافر] :

وما بقيت من اللذات إلا محادثة الكرام على الشراب
ولثمك وجنتي قمرٍ منيرٍ يجول بخده ماء الشباب

٨ - أبو القاسم الشيطمي

قال يصف نمرقة^(٢) رآها بجانب سيف الدولة [من مجزوء الرجز] :

نمرقةٌ منها استعا ر الرّوض أصناف المُلح
فيها لمن يبصر من ريش الطواويس ملح
كأنما دارت على سمائها قوس قزح

* * *

٩ - أبو ذر أستاذ سيف الدولة

قال [من الكامل] :

نفسي الفداء لمن عصيت عواذلي في حبه لم أخش من رقبائه

(١) التقلب : التحوّل والتغيّر .

(٢) النمرقة : الصغيرة من الوسائد .

الشمس تطلع في أسرة وجهه والبدر يطلع من خلال قبائه^(١)
وله أيضاً [من مخلع البسيط] :

مروّع منك كل يوم محتمل فيك كل لوم
إن كنت أنكرت ملك رقي غصباً صراحاً بغير سوم^(٢)
فقل لجنبي : أين قلبي ؟ وقل لعيني : أين نومي ؟

* * *

١٠ - أبو الفتح البكتري

يعرف بابن الكاتب الشامي ، له شعر يتغنى بأكثره ملاحه ولطافة ، أنشدني
أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني ابن الكاتب لنفسه بالشام [من الرجز] :
وروضة راضية عن الدائم وطأتها بناظري دون القدم
وصتها صوني بالشكر النعم
قال : وأنشدني لنفسه [من الكامل] :

قالوا : بكيت دماً؟ فقلت : مسحت من خدي خلوقاً^(٣)
أبصرت لؤلؤ ثغره فثرت من جفني عقيقا
لولا التمسك بالهوى لحملت في دمعي غريقا
وأنشدني غيره له [من الكامل] :

قمر كأن قوامه من قد غصن مسترق

(١) القباء : الثوب الذي يعتمره فوق ثيابه .

(٢) السوم : المبايعه والمفاصلة عند الشراء

(٣) الخلق : الطيب .

وكأثما اصطبح الربيع بوجنتيه واغتبِقُ^(١)
وكأثما قلم الزمرّ د فوق عارضه مشقاً^(٢)

وله من أبيات [من المتقارب] :

سقاني بعينه كأس الهوى وثنى وثلث بالحاجب
كان العذار على خدّه فذلك من مشقة الكاتب

ووجدت على ظهر دفتر عراقي الخط هذين البيتين منسوبين إليه [من الكامل] :

ردّوا الهدوء كما عهدت إلى الحشا والمقلتين إلى الكرى ثم اهجروا
من بعد ملكي رمتم أن تغدروا ما بعد فرقة بيعين تخير^(٣)

وله زعم في الميضأة [من السريع] :

أحق بيت من بيوت الورى بصونه قدماً وإشاره
بيت إذا [ما] زاره زائر فقد قضى أعظم أوطاره^(٤)
يدخله المولى بخزّ كما يدخله العبد بأطماره^(٥)
وهو إذا ما كان مستظفاً مروءة الإنسان في داره

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني بعضهم لنفسه في أبي الفتح

ابن الكاتب ، ولم ينصف فضله [من السريع] :

إن أبا الفتح فتى كاتب والشعر من آتته فضل

(١) اصطبح واغتبِق : أي شرب الخمرة صباحاً ومساءً .

(٢) العارض : صفحة الخدّ ، ومشق : مدّ وأطال حرومه .

(٣) أخذ معناه من الحديث « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » .

(٤) أوطاره : حاجاته وغاياته .

(٥) الخزّ : ضرب فاخر من الحرير ، والأطمار : الثياب البالية .

أنشدنا شعراً فقلنا له : ذا غزلٌ ويحك أم غزلٌ ؟
وملت عنه نحو أصحابنا أسألهم : هل عندكم نعل ؟!

* * *

١١ - أبو الفرج العجلي الكاتب

أنشدني أبو بكر الخوارزمي له أبياتاً تعجب من سلاستها وسهولة مأخذها
وعذوبة ألفاظها ، وذكر أنه من أفراد مطبوعي تلك البلاد ، فمنها قوله [من
المتقارب] :

أقول له يا مُذيقِي الهوى ولم أكُ فيما مضى ذقتهُ
سألتك بالله لا تدنني إلى أجلٍ ما دنا وقته
ملكْت فؤادي فعذبته ولو أنه في يدي صنته

ومنها قوله [من الكامل] :

أرسلت نظرة وامقٍ لك خائفٍ من عينٍ واشٍ لحظه ما يفترُ^(١)
وجعلت أوهم أن قلبي مضمّرٌ شيئاً سوى نظري ، وأنت المضمّر

ومنها قوله [من الخفيف] :

وأريه أني سلوت ، وإني لمشوقٌ والله صبٌّ إليه
وهواه يدبُّ في كلِّ قلبٍ كدبيب السواد في عارضيه^(٢)

ومنها قوله وأنشدني غيره [من الوافر] :

عذارٌ كالطراز على الطراز وبدرٌ في الحقيقة لا المجاز

(١) الواق : المحب العاشق ، يفتر : يضعف وينكسر .

(٢) يدبُّ : يتمشى .

ولو جاز السجود له سجدنا ولكن ليس ذاك بمستجاز

* * *

١٢ - أبو عبد الله الحسين بن خالويه*^(١)

أصله من همذان ، ولكن استوطن حلب ، وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، وكانت إليه الرحلة من الآفاق ، وآل حمدان يكرمونه ، ويدرسون عليه ، ويقتبسون منه ، وله شعر لم يحضرني منه الآن إلا قوله في وصف برد همذان [من الطويل] :

إذا همذان اعتارها القرّ وانقضى	برغمك أيلول وأنت مقيم ^(٢)
فعينك عمشاء وأنفك سائل	وجهلك مسودّ البياض بهيم
وأنت أسيرُ البرد تمشي بعلّة	على السيّف تحبو مرةً وتقوم
بلادٌ إذا ما الصيف أقبل جنةً	ولكنّها عند الشتاء جحيم

ولبعضهم في برد همذان [من الكامل] :

همذان متلفة النفوس ببردها	والزمهرير ، وحرّها مأمون
غلب الشتاء مصيفها وخريفها	فكأنّما تموزها كانون

ولأبي علي كاتب بكر [من السريع] :

يا بلدة أسلمني بردها	وبرد من يسكنها للقلق
لا يسلم الشاتي به من أذى	من لثقٍ أو دميٍّ أو زلق ^(٣)

(١) إقرأ ترجمة ابن خالويه في ابن خلكان (٢٨١ / ١) النيل .

(٢) اعتارها : حلّ بها ، والقرّ : البرد القارص .

(٣) اللثق : الوحل ، والدّمق : الريح التي يرافقها برد ، والزلق : السقوط وزلّة القدم .

ولأبي الربيع البلخي في الشاش^(١) [من المجتث] :

الشاش في الصيف جَنَّةٌ ومن أذى الحر جَنَّةٌ^(٢)
لكنني تعتريني بها لدى البرد جَنَّةٌ^(٣)

وفي مثل هذه الصنعة ، وإن كان في غير المعنى ، لغيره [من المجتث] :

يا شادناً متُّ قَبْلَهُ قد صار في الحسن قَبْلَهُ
امننُ عليَّ بقبلة تشفي فؤاداً موله^(٤)

ولا بن خالويه ايضاً [من الطويل] :

إذا لم يكن صدر المجالس سيِّداً فلا خير فيمن صدرته المجالسُ
وكم قائلٍ : مالي رأيتك راجلاً ؟ فقلت له : من أجل أنك فارس !

* * *

١٣ - أبو الفتح عثمان بن جني النحوي اللغوي*^(٥)

هو القطب في لسان العرب ، وإليه انتهت الرياسة في الأدب ، وصحب أبا الطيب دهرأ طويلاً ، وشرح شعره ، ونبه على معانيه وإعراجه ، وكان الشعر أقلّ خلاله لعظم قدره ، وارتفاع حاله . فمن ذلك قوله في الغزل [من مجزوء الوافر] :

غزالٌ غير وحشيٍّ حكى الوحشيُّ مقتلَهُ
رآه الورد يجني الور د فاستكساه حلَّتَهُ

(١) الشاش : بلدة ممّا وراء النهر ينسب إليها كثير من العلماء .

(٢) جلة الأولى بفتح الجيم : البستان ، والثانية بضم الجيم : بمعنى الوقاية .

(٣) جَنَّةٌ : بكسر الجيم : تعني الجنون .

(٤) امنن : تكرم وتمنن ، والواله : العاشق المكدذب .

(٥) إقرأ ترجمة أبي الفتح في وفيات الأعيان لابن خلكان (١ / ٥٦١ النيل) .

وشمّ بأنفه الريحا ن فاستهداه زهرته
وذاقت ريقه الصهبا ء فاختلسته نكهته^(١)

وله [من الطويل] :

أيا دارهم ما أنت أنت مذ انتوا ولا أنا مذ سار الركاب أنا أنا^(٢)
وجود المنى أن لا يكائر بالمنى ونيل الغنى أن لا يكائر بالغنى
ومن كان في الدنيا أشدّ تصوّراً تجده عن الدنيا أشدّ تصوّناً

* * *

١٤ - الشمشاطي

هو أبو الفتح الحسن بن علي بن محمد ، لم يقع إلى من شعره إلا قوله في البنفسج
[من الكامل] :

إشربْ على زهر البنفس ج قبل تأنيب الحسود
فكأنما أوراقه آثار قرصٍ في الخدودِ

وقوله في الجلنار [من الخفيف] :

وبدا الجلنار مثل خدودِ قد كساها الحياءُ ثوبَ عقارِ
صبغة الله كالعقيق تراه أحمرّاً ناصعاً لدى الاخضرارِ

* * *

وممن يليق ذكره بهذا المكان من اعيان الشام ، وليس يحضرني شعر أبو
القاسم الأدمي ، وإذا حصلت عليه الحقته به ، وهذا آخر الباب الرابع .

* * *

(١) اختلسته : أي سرت منه ، والنكهة : المذاق .

(٢) انتوا : أي ابتعدوا وفارقوا .

الباب الخامس

١٥ - في ذكر أبي الطيب المتنبي ، وما له وما عليه *

هو - وإن كان كوفي المولد - شامي المنشأ ، وبها تخرج ، ومنها خرج .
نادرة الفلك ، وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر ، ثم هو شاعر سيف
الدولة المنسوب إليه ، المشهور به ، إذ هو الذي جذب بضبعه^(٢) ، ورفع من
قدره ، ونفق شعره ، وألقى عليه شعاع سعادته ، حتى سار ذكره مسير الشمس
والقمر ، وسافر كلامه في البدو والحضر ، وكادت الليالي تنشده ، والأيام
تحفظه ، كما قال وأحسن ما شاء [من الطويل] :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمراً وغنى به من لا يغني مغرداً^(٣)
وكما قال [من المتقارب] :

ولي فيك ما لم يقل قائل وما لم يسر قمر حيث سارا
وعندي لك الشرد السائرا ت لا يختصن من الأرض دارا
إذا سرن من مقول مرة وثبن الجبال وخضن البحارا

(١) اقرأ ترجمة أبي الطيب في وفيات الأعيان (١ / ٦٢ / النيل) .

(٢) جذب ضبعه : كناية عن أنه رفعه وأعلى قدره .

(٣) مشمراً : جاداً .

هذا من أحسن ما قيل في وصف الشعر السائر ، وأبلغ منه قول علي بن الجهم حيث قال [من الطويل] :

ولكنّ إحسان الخليفة جعفرٍ دعاني إلى ما قلت فيه من الشعر
فسار مسير الشمس في كلّ بلدٍ وهبّ هبوب الريح في البرّ والبحر
فليس اليوم مجالس الدرس ، أعمر بشعر أبي الطيب من مجالس الأنس ولا
أقلام كتاب الرسائل ، أجرى به من ألسن الخطباء في المحافل ، ولا لحون
المغنين والقوالين ، أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين . وقد ألّفت الكتب في
تفسيره ، وحل مشكله وعويصه ، وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديته ، وتكلم
الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه ، والإفصاح عن أبكار كلامه وعونه^(١) .
وتفرقوا فرقاً في مدحه والقدح فيه والنضح^(٢) عنه ، والتعصب له وعليه . وذلك أول
دليل دل على وفور فضله ، وتقدم قدمه ، وتفردة عن أهل زمانه ، بملك رقاب
القوافي ، ورق المعاني ، فالكامل من عدت سقطاته ، والسعيد من حسبت
هفواته « وما زالت الأملاك تهجي وتمدح » .

وأنا مورد في هذا الباب ذكر محاسنه ومقابحه ، وما يرتضى وما يستهجن من
مذاهبه في الشعر وطرائقه ، وتفصيل الكلام في نقد شعره ، والتنبيه على عيونه
وعيوبه ، والإشارة إلى غرره وعرره^(٣) ، وترتيب المختار من قلائده وبدائعه ، بعد
الأخذ بطرف من طرق أخباره ومتصرفات أحواله ، وما تكثر فوائده وتحلو ثمرته ،
ويتميز هذا الباب به عن سائر أبواب الكتاب كتمييزه عن أصحابها بعلو الشأن في
شعر الزمان ، والقبول التام عند أكثر الخاص والعام .

(١) العون : بضمّ العين ، جمع عوان وهي النصف من النساء .

(٢) النضح عنه : أراد الدقاع عنه .

(٣) الغرر : البدائع ، والعرر : الساقط من شعره .

ذكر ابتداء أمره

ذكرت الرواة أنه ولد بالكوفة في كندة سنة ثلاث وثلاثمائة ، وأن أباه سافر إلى بلاد الشام ، فلم يزل ينقله من باديتها إلى حضرها ، ومن مدرها إلى وبرها ، ويسلمه في المكاتب ، ويردده في القبائل ، ومخايله نواطق الحسنى عنه . وضوامن النجح فيه ، حتى توفي أبوه وقد ترعرع أبو الطيب وشعر وبرع ، وبلغ من كبر نفسه وبعد همته أن دعا إلى بيعته قوماً من رائي نبله^(١) ، على الحدائة من سنه والغضاضة من عوده . وحين كاد يتم له أمر دعوته تأدى خبره إلى والي البلدة ، ورفع إليه ما هم به من الخروج ، فأمر بحبسه وتقييده ، وهو القائل في الحبس قصيدته التي أولها [من المتقارب] :

أيا خدّد الله ورد الخدود وقدّ قدود الحسان القدود

ومنها استعطافه ذلك الأمير والتنصل مما قذف به :

أمالك رقيّ ، ومن شأنه هبات اللجين وعتق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجا ء والموت منّي كجبل الوريد
دعوتك لما يراني البلى وأوهن رجلي ثقل الحديد

ومنها :

وقد كان مشيهماً في النعال فقد صار مشيهماً في القيود^(٢)
وكنت من الناس في محفل فها أنا في محفل من قروود
تعجل فيّ وجوب الحدود وحديّ قبل وجوب السجود !^(٣)

(١) رائشي نبله : كناية عنّ يقوى بهم ساعده تقول راش التبل يرشه : إذا لرق فيه الريش ليقوى .

(٢) المشيهم : من الشيهم ، وهو ما عظم شوكة من ذكور القناقد .

(٣) الحدود : تنفيذ أوامر الشريعة في المخالفين لها .

أي : إنما تجب الحدود على البالغ ، وأنا صبي لم تجب عليّ الصلاة بعد ،
ويجوز أن يكون قد صغّر سنه وأمر نفسه عند الوالي ، لأن من كان صبيّاً لم يظن به
اجتماع الناس إليه للشقاق والخلاف .

ومن شعره في الحبس ما كتب به إلى صديق له قد كان أنفذ إليه مبرّة [من
المنسرح] :

أهون بطول الثواء والتلفِ والسجن والقيد ، يا أبا دلفِ
غير اختيارٍ قبلت برّك بي والجوع يرضي الأسود بالجيف
يشبه قول أبي عيينة [من مخلع البسيط] :

ما أنت إلا كلحم ميتٍ دعا لي إلى أكله اضطرارُ
(رجع) :

كنّ أيّها السجن كيف شئت فقدُ وطّنت للموت نفسَ معترفِ
لو كان سكناي فيك منقصةً لم يكن الدرُّ ساكن الصدفِ
ويحكى أنه تنبأ في صباه ، وفتن شرذمة بقوة أدبه ، وحسن كلامه ، وحكى أبو
الفتح عثمان بن جني قال : سمعت أبا الطيب يقول : إنما لقبت بالمتنبي لقولي
[من الخفيف] :

أنا ترب الندى وربّ القوافي وسمام العدا وغيظُ الحسودِ
أنا في أمّةٍ تداركها الدُّ ه غريبٌ كصالحٍ في ثمودِ
وفي هذه القصيدة يقول :

ما مقامي بأرض نخلة إلّا كمقام المسيح بين اليهود
وما زال في برد صباه إلى أن أخلق برد شبابه ، وتضاعفت عقود عمره ، يدور
حب الولاية والرياسة في رأسه ، ويظهر ما يضمّر من كامن وسواسه ، في الخروج

على السلطان ، والاستظهار بالشجعان ، والاستيلاء على بعض الأطراف ،
ويستكثر من التصريح بذلك في مثل قوله [من البسيط] :

لقد تصبّرت حتى لات مصطبرٍ فالآن أقحم حتى لات مقتحم^(١)
لأتركنّ وجوه الخيل ساهمةً والحرب أقوم من ساقٍ على قدم^(٢)
[والطعن يحرقها والزجر يقلقها حتى كأنّ بها ضرباً من اللمم^(٣)
قد كلّمها العوالي فهي كالحةٌ كأنما الصّاب مذرورٌ على اللجم]^(٤)
بكلّ منصلتٍ ما زال منتظري حتى أدلت له من دولة الخدم^(٥)
شيخٌ يرى الصلوات الخمس نافلةً ويستحلّ دمَ الحجاج في الحرم
وقوله [من الطويل] :

سأطلب حقّي بالقنا ومشايخٍ كأنّهم من طول ما التثموا مردّ
ثقالٍ إذا لاقوا ، خفافٍ إذا دعوا كثيرٌ إذا شدّوا ، قليلٌ إذا عدّوا
وطعنٍ كأنّ الطعن لا طعن بعده وضربٍ كأنّ النار من حرّه بردّ
إذا شئت حفت بي على كلّ سابحٍ رجالٌ كأنّ الموت في فمها شهد^(٦)
وقوله [من الطويل] :

ولا تحسبنّ المجد زقاً وقينةً فما المجد إلاّ السيّف والفتكة البكرُ
وتضريب أعناق الملوك وأن ترى لك الهبوات السود والعسكر المعجر^(٧)

(١) لات : بمعنى النهاية أي تصبر حتى آخر الاصطبار .

(٢) ساهمة : ضامرة ضعيفه .

(٣) اللمم : ضرب من الجنون .

(٤) الصّاب : شجر مرّ ، وعصارته شديدة المرارة مذرور : نابت وطاق .

(٥) أدلت له : غلبته وأظفرتة .

(٦) السابح : الحصان .

(٧) الهبّو : الغبار يرتفع في الجو .

وتركك في الدنيا دويًّا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر^(١)
وقوله [من البسيط] :

وإن عمرت جعلت الحرب والدَّةً والسهمريُّ أخاً ، والمشرفيُّ أبا
بكلُّ أشعث يلقى الموت مبتسماً حتَّى كأنَّ له في قتله أربا
قحُّ يكاد صهيل الخيل يقذفه من سرجه مرحاً للعزِّ أو طرباً^(٢)
الموت أعذر لي ، والصبر أجمل بي ، والبرُّ أوسع ، والدنيا لمن غلبا

وكان كثيراً ما يتجشم أسفاراً بعيدة أبعد من آماله ، ويمشي في مناكب
الأرض ، ويطوي المناهل والمراحل ، ولا زاد إلا من ضرب الحراب ، على
صفحة المحراب^(٣) . ولا مطية إلا الخف أو النعل ، كما قال [من المنسرح] :

لا ناقتي تقبل الرديف ولا بالسَّوط يوم الرهان أجهدُها
شراكها كورها ، ومشفرها زمامها ، والشسوع مقودها^(٤)

وإنما ألم في هذا المعنى بأبي نواس في قوله [من الطويل] :

إليك أبا العباس من بين من مشى عليها امتطينا الحضرميُّ الملسنا^(٥)
قلائنص لم تعرف حنيئاً على طلا ولم تدر ما قرع الفتيق ولا الهنا^(٦)

(١) تداول سمع المرء : أي جعل الإنسان أصابعه في أذنيه .

(٢) قحُّ : خالص النسب ، جمعه أقحاح يقال : عربُّ أقحاح .

(٣) أراد بالمحراب هنا العنق ، يريد أنه يذهب الناس بعد ما يقتلهم .

(٤) الشسوع : جبل من جلد .

(٥) الحضرميُّ الملسنا : أراد النعل الذي يلبسه في رجله .

(٦) القلائنص : النوق ، والطلا : الصغير من ولد الإبل والفتيق : الفحل من فحولة الأبل ؛ الهنا : طلي

الإبل ، الجري بالقطران .

وكما قال في شكوى الدهر ووصف الخف [من الكامل] :

أظمتني الدنيا فلما جئتها مستسقياً مطرت عليّ مصائباً^(١)
وحُيت من خوص الركاب بأسود من دارشٍ فغدوت أمشي راكباً^(٢)

وكما قال في الاعتداد بالرحلة ، والقدرة على الرحلة [من المنسرح] :

ومهمي جيتي على قدمي تعجز عنه العرامس الذلُّ^(٣)
[بصارمي مرتدي ، بمخبرتي مجتزيء ، بالظلام معتمِلُ]
إذا صديقٌ نكرت جانبه لم تعيني في فراقهِ الحيلُ
في سعة الخافقين مضطربُ وفي بلاد من أختها بدلُ

وشتان ما بين حاله هذه والحال التي قال فيها [من البسيط] :

وعرفاهمُ بأنّي من مكارمه أقلب الطرف بين الخيل والخول^(٤)

وكان قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح القريب والغريب ، ويصطاد ما بين
الكركي والعندليب .

ويحكى أن علي بن منصور الحاجب لم يعطه على قصيدته فيه التي أولها

[من الكامل] :

بأبي الشموس الجانحات غواربا [اللباسات من الحرير جلابيا]

(١) أظمتني : أصلها أظمأتني بالهمز - فهلّ الهمزة فصارت الفأ ، ثم حذفها كما تحذف الألف الأصلية .

(٢) حُيت : أعطيت ، والخوص : ورق النخل .

(٣) العرامس : التوق الشديدة ، والذلُّ : جمع ذلول وهو سهولة القيادة .

(٤) الخول : العبيد .

ومنها :

حالٌ متى علم ابن منصور بها جاء الزمان إليّ منها تائباً
إلا ديناراً واحداً ، فسميت الدينارية .

ولما انخرط في سلك سيف الدولة ، ودرّت له أخلاف الدنيا على يده ، كان
من قوله فيه [من الطويل] :

تركت السرى خلفي لمن قلّ ماله وأنعلت أفراسي بنعمائك عسجداً^(١)
وقيّدت نفسي في هواك محبةً ومن وجد الإحسان قيّداً تقيّداً
وهذا البيت من قلائده ، وإنما ألم فيه بقول أبي تمام [من الكامل] :

هممي معلقةً عليك رقابها مغلولّةً ، إنّ الوفاء إسارُ
ولكنه أخذ عباءة وردها ديباجاً ، وأرسلها مثلاً سائراً ، وكرر هذا المعنى
فزاد فيه حتى كاد يفسده في قوله [من الكامل] :

يا من يقتل من أراد بسيفه أصبحت من قتلاك بالإحسان

* * *

نبذ من أخباره

لما أنشد سيف الدولة قصيدته التي أولها [من البسيط] :

أجاب دمعِي وما الداعي سوى طللٍ دعا فلبّاه ، قبل الركب والإبل
وناوله نسختها وخرج فنظر فيها سيف الدولة ، فلما انتهى إلى قوله :

يا أيُّها المحسن المشكور من جهتي والشكر من جهة الإحسان ، لا قبلي

(١) السرى : المسير ليلاً ، والعسجد الذهب .

[ما كان نوميَ إلاّ فوق معرفتي بأنّ رأيك لا يؤتّى من الزّكل]
أقلّ أنلّ أقطعْ حملْ علّ سلّ أعد زدّ هشّ بشّ تفضّلْ أدنّ سرّ صلّ

وقع تحت أقلّ : قد أقلنّاك ، وتحت أنلّ : يحمل إليه من الدراهم كذا ،
وتحت أقطعّ : قد أقطعنّاك الضيعة الفلانية ضيعة ببلاد حلب ، وتحت حملّ :
يقاد إليه الفرس الفلاني ، وتحت علّ : قد فعلنا ، وتحت سلّ : قد فعلنا فاسلّ ،
وتحت أعدّ : أعدنّاك إلى حالك من حسن رأينا ، وتحت زدّ : يزداد كذا ، وتحت
تفضّلّ : قد فعلنا ، وتحت أدنّ : قد أدنينّاك ، وتحت سرّ : قد سررنّاك . وتحت
صلّ : قد فعلنا .

قال ابن جنّي : فبلغني عن المتنبي أنه قال : إنما أردت سر من السرية ،
فأمر له بجارية .

قال : وحكى لي بعض إخواننا أن المعقلي - وهو شيخ كان بحضرته
ظريف - قال له - وحسد المتنبي على ما أمر به - : يا مولاي قد فعلت به كل شيء
سألكه ، فهلا قلت له لما قال لك هشّ بشّ : هه هه هه ، يحكي الضحك ،
فضحك سيف الدولة ، فقال له : ولك أيضاً ما تحب ، وأمر له بصلة .

وذكر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز في كتاب « الوساطة » أن أبا
الطيب نسج على منوال ديك الجن فقال [من الخفيف] :

احل وامررّ وضر وانفعّ ولنّ واخـ شنّ ورشّ وابرّ وانتدبّ للمعالي

وحكى ابن جنّي قال : حدثني أبو علي الحسين بن أحمد الصنوبري ،
قال : خرجت من حلب أريد سيف الدولة ، فلما برزت من السور إذا أنا بفارس
مثلثم قد أهوى نحوي برمح طويل ، وسدده إلى صدري ، فكدت أطرح نفسي عن

الدابة فرقاً ، فلما قرب مني ثنى السنان وحسر لثامه^(١) فإذا المتنبي ، وأنشدني [من الطويل] :

نثرنا رءوساً بالأحيدب منهم كما نثرت فوق العروس الدراهم
ثم قال : كيف ترى هذا القول ؟ أحسن هو ؟ فقلت له : ويحك ! قد
قتلني يا رجل ، قال ابن جني : فحكيت أنا هذه الحكاية بمدينة السلام لأبي
الطيب ، فعرفها وضحك لها ، وذكر أبا علي من التقريظ والثناء بما يقال في مثله .
قال : وأنشدت أبا علي ليلاً قصيدة أبي الطيب التي أولها [من البسيط] :

* واحرّ قلباه ممّن قلبه شبم^(٢) *

فلما وصلت إلى قوله فيها :

وشرّ ما قنصته راحتني قنصٌ شهب البزاة سواء فيه والرّخم^(٣)
أعجب جداً به ، ولم يزل يستعيده ، حتى حفظه ، ومعناه : إذا تساويت
ومن لا قدر له في أخذ عطاياك فأبي فضل لي عليه ؟ وما كان من الفائدة كذا لم أفرح
به ، وإنما أفرح بأخذ ما تختص به الأفاضل .

قال : وحدثني المتنبي قال : حدثني فلان الهاشمي من أهل حران بمصر ،
قال : أحدثك بطريفة ، كتبت إلى امرأتي وهي بحران كتاباً تمثلت فيه ببيتك [من
البسيط] :

بم التعلّل لا أهلٌ ولا وطنٌ ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنٌ؟

(١) حسر لثامه : أزاله عن وجهه فانكشف وطهر .

(٢) الشبم : البارد ، لأن قلبه لم يداخله الحب حتى يحترق بناره .

(٣) الرّخم : طائر من الجوارح يشبه النسر .

فأجابتنى عن الكتاب ، وقالت : ما أنت والله كما ذكرته في هذا البيت ، بل أنت كما قال الشاعر في هذه القصيدة :

سهرت بعد رحيلي وحشةً لكمُ ثم استمرّ مريري وارعوى الوسن^(١)
قال : ولما سمع سيف الدولة البيت الذي يتلوه وهو قوله :

وإنّ بليت بوذٌ مثل ودكمُ فإنّني بفراقٍ مثله قمن^(٢)

قال : سار وحق أبي .

قال : ولما سمع قوله لفنا خسرو [من المنسرح] :

وقد رأيت الملوك قاطبةً وسرت حتى رأيت مولاها

قال : ترى هل نحن في الجملة ؟

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : كان أبو الطيب المتنبي قاعداً تحت قول الشاعر [من الطويل] :

وإنّ أحقّ الناس باللوم شاعرٌ يلوم على البخل الرجال ويبخلُ
وإنما أعرب عن عادته وطريقته في قوله [من الطويل] :

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

فحضرت عنده يوماً بخلب وقد أحضر مالا من صلات سيف الدولة ، فصب بين يديه على حصير قد افترشه ، ووزن وأعيد في كيس ، وإذا بقطعة كأصغر ما يكون من ذلك المال قد تخللت خلل الحصير ، فأكب عليها بمجامعه ينقرها ويعالج استنقاذاً منه ، ويشغل بذلك عن جلسائه حتى توصل إلى إظهار

(١) استمرّ مريري : قوي بعد ضعف والمرير : العزيمة وارعوى : تراجع ، والوسن : النعاس .

(٢) القمن : الجدير .

بعضها ، فتمثل بيت قيس بن الخطيم [من الطويل] :

تبدّت لنا كالشمس بين غمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضئت بحاجبٍ^(١)
ثم استخرجها ، وأمر بإعادتها إلى مكانها من الكيس ، وقال : إنها تحضر
المائدة .

وسمعه يقول : لما أنشد المتنبي عضد الدولة قصيدته فيه التي أولها [من
الوافر] :

* مغاني الشعب طيباً في المغاني *

وانتهى إلى قوله فيها .

وألقى الشرق منها في ثيابي دنائيراً تفرُّ من البنان

قال له عضد الدولة : لأقرنها في يدك ، ثم فعل .

قال : ولما قدم أبو الطيب من مصر بغداد ، وترفع عن مدح المهلبى
الوزير ، ذهاباً بنفسه عن مدح غير الملوك ، شق ذلك على المهلبى ، فأغرى به
شعراء بغداد ، حتى نالوا من عرضه ، وتباروا في هجائه ، وفيهم ابن الحجاج وابن
سكرة [محمد بن عبد الله الزاهد] الهاشمي ، والحاتمي ، وأسمعوه ما يكره ،
وتماجنوا به ، وتنادروا عليه ، فلم يجبههم ولم يفكر فيهم ، وقيل له في ذلك ،
فقال : إني فرغت من إجابتهم بقولي لمن هم أرفع طبقة منهم في الشعراء [من
الوافر] :

أرى المتشاعرين غروا بدمي ومن ذا يحمل الداء العضالاً^(٢)
ومن يك ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ يجد مرّاً به الماء الزلالاً

(١) تبدّت : ظهرت .

(٢) غروا : أولعوا .

وقولي [من الطويل] :

أفي كل يومٍ تحت ضبني شوبعراً ضعيفٌ يقاويني قصيرٌ يطاول^(١)
لساني بنطقي صامتٌ عنه عادلٌ وقلبي بصمتي ضاحكٌ منه هازلٌ
وأتعب من ناداك من لا تجيبه وأغيظ من عاداك من لا تشاكلُ
وما التيه طيبي فيهم غير أنني بغيضٌ إليّ الجاهل المتعاقل^(٢)

وقولي [من الكامل] :

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأنّي فاضل
قال : وبلغ أبا الحسين بن لنكك بالبصرة ما جرى على المتنبي من وقعة
شعراء بغداد فيه ، واستحقارهم له ، وكان حاسداً له ، طاعناً عليه ، حاجياً إياه ،
زاعماً أن أباه كان سقاء بالكوفة فشمت به وقال [من البسيط] :

قولاً لأهل زمانٍ لا خلاق لهم ضلّوا عن الرشيد من جهلٍ بهم وعموا
أعطيتهم المتنبي فوق منيته فزوّجوه برغم أمّهاتكم
لكنّ بغداد جاد الغيث ساكنها نعالهم في قفا السقاء تزدهم
قال : ومن قوله فيه [من الخفيف] :

متنبّيكُم ابن سقاء كوفاً ن ويوحى من الكنيف إليه^(٣)
كان من فيه يسلمح الشعر حتى سلحت فقحة الزمان عليه
ومن قوله أيضاً فيه [من المجث] :

ما أوقع المتنبي فيما حكى وادّعاهُ

(١) الضمين : بكسر الضاد وسكون الباء ، ما بين الكشح واللايط .

(٢) التيه : التكبر والعجب ، وطبي : عاداتي وخلقي .

(٣) الكنيف : المرحاض .

أبيح ملاً عظيماً حتى أباح قفاه
يا سائلي عن غناه من ذاك كان غناه
إن كان ذاك نبياً فالجائليق إله

ثم إن أبا الطيب المتنبي اتخذ الليل جملاً ، وفارق بغداد متوجّهاً إلى حضرة أبي الفضل بن العميد مراغماً للمهلي الوزير ، فورد أرجان ، وأحمد مورده ، فيحكى أن صاحب أبا القاسم طمع في زيارة المتنبي إياه بأصبهان ، وإجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان ، وهو إذ ذاك شاب وحاله حويلة ، ولم يكن استوزر بعد ، وكتب إليه يلاطفه في استدعائه ، وتضمن له مشاطرته جميع ماله ، فلم يقم له المتنبي وزناً ، ولم يجبه عن كتابه ولا إلى مراده ، وقصد حضرة عضد الدولة بشيراز ، فأسفرت سفرته عن بلوغ الأمانة ، وورود مشرع المنية ، واتخذها صاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقية ، ويتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته ، وينعي عليه سيئاته ، وهو أعرف الناس بحسناته ، وأحفظهم لها ، وأكثرهم استعمالاً إياها وتمثلاً بها في محاضراته ومكاتباته ، وكان مثله معه كما قال الشاعر [من الرجز] :

شتمت من يشتمني مغالطاً لأصرف العاذل عن لجاجته
فقال: لمّا وقّع البزّاز في الثوب علمنا أنّه من حاجته^(١)

وكما قال الآخر [من الطويل] :

وذمّوا لنا الدنيا وهم يرضعونها ولم أر كالدُّنيا تذبّ وتقلب^(٢)

وكما قال الآخر [من البسيط] :

(١) البزّاز : بائع البز.

(٢) يرضعونها : أي يشربون لبنها ، وتقلب : يستخرج لبنها .

تُبِّئت أنِّي إذا ما غبت تشتمني قل ما بدا لك فالمحجوب مسبوبُ

* * *

قطعة من حل صاحب وغيره نظم المتنبي واستعانتهم بالفاظه ومعانيه في الترسل

فصل له من رسالة في وصف قلعة افتتحها عضد الدولة :

وأما قلعة (كذا) فقد كانت بقية الدهر المديد ، والأمد البعيد ، تعطس
بأنف شامخ من المنعة ، وتنبو بعطف جامع على الخطبة ، وترى أن الأيام قد
صالحتها على الإغفاء من القوارع ، وعاهدتها على التسليم من الحوادث ، فلما
أتاح الله للدنيا ابن بجدها ، وأبا بأسها ونجدتها ، جهلوا بون ما بين البحور
والأنهار ، وظنوا الأقدار تأتيهم على مقدار ، فما لبثوا أن رأوا معقلهم الحصين
ومشواهم القديم ، نهزة الحوادث ، وفرصة البوائق ، ومجر العوالي ، ومجرى
السوابق .

وإنما ألم بالفاظ بيتين لأبي الطيب أحدهما [من الكامل] :
حتى أتى الدنيا ابن بجدها فشكا إليه السهل والجبل^(١)

والآخر [من الطويل] :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجرّ عوالينا ومجرى السوابق^(٢)

وفصل له - لئن كان الفتح جليل الخطر ، عظيم الأثر ، فإن سعادة مولانا
لتبشر بشوافع له ، يعلم معها أن الله أسراراً في علاه لا يزال يديها ، ويصل أوائلها
بتواليها .

(١) ابن بجدها : أي العالم بالشيء المتقن له .

(٢) العوالي : الرماح ، والسوابق : الخيل .

وهو من قول أبي الطيب [من الطويل] :

ولله سرٌّ في علاك ، وإنّما كلام العدى ضربٌ من الهديانِ
فصل - ولو كان ما أحسنه شظية في قلم كاتب لما غيرت خطه ، أوقذى في
عين نائم لما انتبه جفنه .

وهو من قول أبي الطيب [من الطويل] :

ولو قلمٌ ألقيت في شقِّ رأسه من السقم ما غيرت من خط كاتب
وقول نصر [من السريع] :

ضنيت حتى صرت لو زجّ بي في ناظر النائم لم ينتبه^(١)
ومنه أخذ ابن العميد قوله [من الكامل] :

فلو أنّ ما أبقيت في جسدي قذى في العين لم يمنع من الإغفاء
فصل للمصاحب في التعزية - إذا كان الشيخ القدوة في العلم وما يقتضيه ،
والأسوة في الدين وما يجب فيه ، لزم أن يتأدب في حالات الصبر والشكر بأدبه ،
ويؤخذ في ثارات الأسى والأسى بمذهبه ، فكيف لنا بتعزيته عند حادث رزيته ،
إلا إذا روينا له بعض ما أخذناه عنه ، وأعدنا إليه طائفة مما استفدناه منه .

وإنما هو حل من قول أبي الطيب [من الخفيف] :

أنت يا فوق أن يعزى عن الأحـ باب فوق الذي يعزّيك عقلا
وبالفاظك اهتدى فإذا عزّا ك قال الذي له قلت قبلا
وفصل له - وقد أثنى عليه ثناء لسان الزهر ، على راحة المطر .

(١) ضنيت : هزلت وضعفت .

وهو من قول أبي الطيب [من الكامل] :

وذكيٌّ رائحة الرياض كلامها تبغي الشاء على الحيا فيفوح^(١)

والأصل فيه قول ابن الرومي [من الخفيف] :

شكرت نعمة الوليِّ على الوسميِّ ثم العهد بعد العهد^(٢)
فهي تنني على السماء ثناءً طيب النّشر شائعاً في البلاد
من نسيم كأنّ مسراه في الأر واح مسرى الأرواح في الاجساد
ومما أورده من أبيات أبي الطيب كما هي قوله في كتاب أجاب به ابن العميد
عن كتابه الصادر إليه عن شاطيء البحر في وصف مراكبه وعجائبه :

وقد علمت أن سيدنا كتب وما أخطر بفكره ، سعة صدره ، ولو فعل ذلك
لرأى البحر وشلاً لا يفضل عن التبرّض^(٣) ، وثمداً لا يكثر عن الترشّف^(٤) [من
الطويل] :

وكم من جبالٍ جبت تشهد أنّي الـ حبال وبحرٍ شاهدي أنّي البحر^(٥)
وله من رسالة في التهئة ببنت أولها - أهلاً بعقيلة النساء ، وكريمة الآباء ،
وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، والأولاد الأطهار ، ثم يقول فيها [من الوافر] :
ولو كان النساء كمثل هذي لفضّلت النساء على الرجال

(١) الحيا : المطر ، شبه رائحة أزهار الرياض بالكلام ، ثم بيّن أن الرياض أرادت أن تتحدّث عن
صنائع المطر فأرسلت عبير أزهارها تتحدّث عنه .

(٢) الولي : المطر بعد المطر ، والوسمي : مطر الربيع والعهد : أوّل المطر .

(٣) الوشل : القليل من الماء ، والتبرّض : الاكتفاء والتبّلغ بالقليل ، ولا يفضل عنه : لا يزيد على
قدره .

(٤) الثمد : الماء القليل ، والترشّف : أخذ الماء جرعة بعد جرعة .

(٥) جبت : قطعت .

وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكير فخرٌ للهِلال

وهما لأبي الطيب من قصيدة في مريثة والدة سيف الدولة إلا أنه يقول :

*ولو كان النساء كمن فقدنا *

وللصاحب من كتاب تعزية - وقلنا : قد أخذ الزمان من أخذ ، وترك من ترك ، فهو لا شك يعفو عن القمر ، وقد أسلم الشمس للطفل^(١) ولا يصل الصروف بالصروف ، ولا يجمع الكسوف إلى الخسوف ، فأبي حكم الملوين ، وقد غبنك إذ قاسمك الأخوين ، إلا أن يعود فيلحق الباقي بالفاني ، والغابر بالماضي [من البسيط] :

وعاد في طلب المتروك تاركه إنا لنفعل والأيام في الطلب
ما كان أقصر وقتاً كان بينهما كأنه الوقت بين الورد والقرب
أقول : هذا كعادة المصدور في النفث ، وشكوى الحزن والبث ، وإلا فما يعجب السفر من تقدم بعض ، وكل بين الراحلة والرحل ، لا يترك الموت ساعياً على وجه الأرض ، حتى ينقله إلى بطن التراب [من السريع] :

نحن بنو الموتى فما بالنا نعاف ما لا بدّ من شربه
تبخل أيدينا بأرواحنا على زمانٍ هنّ من كسبه
فهذه الأرواح من جوّه وهذه الأجسام من تربه

وهذا غيظ من فيض ما اغترفه الصاحب من بحر المتنبّي ، وتمثل به من شعره . ولو ذكرت نظائره لامتد نفس هذا الباب .

وليس هو بأوحد في الاقتباس من كلامه ، هذا أبو إسحاق الصابي رسيّله في

(١) الطفل : بفتح الطاء والفاء ، الوقت عند الغروب .

ذلك وزميله ، وقد قرأت له غير فصل فيما أشرت إليه ، ونهت عليه : فمне ما كتب في تقرّيط - شاب مقبّل الشّيبية ، مكتهل الفضيلة ، ولقد آتاه الله في اقتبال العمر جوامع الفضل ، وسوغه في عنفوان الشباب محامد الاستكمال ، فلا تجد الكهولة خلة تتلافها بتطاول المدة ، وثلمة تسدها بمزايا الحنكة .

وإنما هو حل نظم أبي الطيب ، وإن كان في معنى آخر [من المنسرح] :

لا تجد الخمر في مكلرمه إذا انتشى خلةً تلافها^(١)

وأخذ من قول البحري [من الطويل] :

تكرّمت من قبل الكؤوس عليهم فما اسطعن أن يحدثن فيك تكرّماً

ومنه ما كتب إلى ابن معروف تهنئة بقضاء القضاة - منزلة قاضي القضاة تجل عن التهنئة ، لأن ما تكتسبه الولاية بها من الصيت والذكر ، ويدرعونه فيها من الجمال والفخر ، سابق لها عنده ، وحاصل قبلها له ، وإذا مد أحدهم إليها يداً تجذبها إلى سفال ، جذبتها يده إلى المحل العالي ، فكأن أبا الطيب المتنبي عناه أو حكاه بقوله [من الكامل] :

فوق السماء وفوق ما طلبوا فإذا أرادوا غايةً نزلوا

ومنه ما كتب - وعاد مولانا إلى مستقر عزه عود الحلّي إلى العاقل ، والغيث إلى الروض الماحل .

وإنما من قول أبي الطيب [من المتقارب] :

وعدت إلى حلبٍ ظافراً كعود الحلّي إلى العاقل^(٢)

(١) الخلة : الصداقة وتلافها : توقّأها وتجنّبها .

(٢) العاقل : يقال جيدٌ عطل أي خالٍ من الحلّي .

وإذا كان هذان الصدران المقدمان على بلغاء الزمان يقتبسان من أبي الطيب
في رسائلهما ، فما الظن بغيرهما ؟ وما أحسن قول الشاعر [من الطويل] :
ألا إن حلّ الشعر زينة كاتبٍ ولكنّ منهم من يحلّ فيعقدُ
وممن يحذو حذوهما الأستاذ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي ، وما
أظرف ما قرأت له في كتابه إلى أبي سعيد الشيبني :

وقد أتاني كتاب شيخ الدولتين فكان في الحسن ، روضة حزن^(١) بل جنة
عدن . وفي شرح النفس ، وبسط الأنس ، برد الأكباد والقلوب ، وقميص يوسف
في أجفان يعقوب .

وهو من بيت أبي الطيب [من البسيط] :
كأنّ كلّ سؤالٍ في مسامعه قميص يوسف في أجفان يعقوبِ
وفصل لأبي بكر الخوارزمي - وكيف أمدح الأمير بخلق صن به الهواء ،
وامتلات من ذكره الأرض والسماء ، وأبصره الأعمى بلا عين وسمعه الأصم بلا
أذن .

وهو حل نظم أبي الطيب [من المنسرح] :
تنشد أثوابنا مدائحهُ بالسنِ ما لهنّ أفواهُ
إذا مررنا على الأصمّ بها أغنته عن مسمعيه عيناهُ
ولأبي بكر من رسالة - ولقد تساوت الألسن حتى حسد الأبيكم ، وأفسد
الشعر حتى أحمد الصمم .

(١) موضعٌ في ديار بني يربوع يشتمل على قيعان ورياض .

وهو قول أبي الطيب [من البسيط] :

ولا تبال بشعرٍ بعد شاعره قد أفسد القول حتى أحمد الصممُ
وهذا ميدان عريض ، وشوط بطين ، وفيما ذكرته كفاية .

* * *

ولاستراقات الشعراء من أبي الطيب باب هذا مكانه .

* * *

أنموذج لسرقات الشعراء منه

١ - قال المتنبي [من الوافر] :

وقد أخذ التمام البدر فيهمُ وأعطاني من السَّقم المحاقا^(١)

أخذه أبو الفرج البيغاء فلفظه وقال [من الكامل] :

أوليس من إحدى العجائب أنِّي فارقتَه وحييت بعد فراقه
يا من يحاكي البدر عند تمامه أرحمُ فتى يحكيه عند محاقه

٢ - وقال أبو الطيب [من البسيط] :

قد علّم البين منّا البين أجفانا تدمى ، وألف ذا القلب أحزاناً^(٢)

أخذه المهلبى الوزير وقال [من الطويل] :

تصارمت الأجفان منذ صرمتني فما تلتقي إلا على عبرة تجري

(١) المحاق : وقت سرار القمر وخفائه .

(٢) البين : الفراق ، وألف : أوجد .

٣ - وقال أبو الطيب وهو من قلائده [من الطويل] :

وكنْتُ إذا يَمَمْتُ أرضاً بعيدةً سريت فكنْتُ السرَّ والليلَ كاتمةً
أخذه الصاحب وقال [من الطويل] :

تجشَّمتها والليلَ وحفَّ جناحه كأني سرُّ والظلامَ ضميرٌ^(١)
٤ - وقال أبو الطيب ، وهو أيضاً من قلائده [من الوافر] :

لبسن الوشي لا متجمّلاتٌ ولكن كي يصنُّ به الجمالا
أغار عليه الصاحب لفظاً ومعنى فقال [من الطويل] :

لبسن برود الوشي لا لتجمِّل ولكن لصون الحسن بين برود
وإنما فعل ببيتيه ما فعل أبو الطيب بيت العباس بن الأحنف [من الكامل] :
والنجم في كبد السماء كأنَّه أعمى تحيّر ما لديه قائدُ
فقال [من المنسرح] :

ما بال هذي النجوم حائرةٌ كأنَّها العمى ما لها قائد
وهذه مصالّته لا سرقة^(٢) ، وهي مذمومة جداً عند النقّدة .
٥ - وقال أبو الطيب ، وهو من فرائده [من الطويل] :

سقاك وحيّانا بك الله ، إنَّما على العيس نورٌ والخدور كمائمٌ
أخذه السري بن أحمد ، قال ابن جني : أنشدني لنفسه من قصيدة يمدح بها أبا

(١) تجشَّم : كابد ، والوحف : الشعر الأسود .

(٢) المصالّته : أن يأخذ الشاعر معنى بيت من أبيات شاعر آخر ، ولا يكتفي بهذا حتى يضمّ إليه ألفاظ البيت المأخوذ أو بعضها .

الفوارس سلامة بن فهد ، وهي قوله [من المنسرح] :

حيًا به الله عاشقيه فقد أصبح ريحانةً لمن عشقا
ولم أجد أنا هذه القصيدة في ديوان شعره ، والبيت نهاية في العذوبة ، وخفة
الروح .

٦ - والسري كثير الأخذ من أبي الطيب في مثل قوله [من الوافر] :

وخرق طال فيه السير حتى حسبناه يسير مع الركاب
وهو مأخوذ من قول أبي الطيب [من الطويل] :

يخدن بنا في جوزه وكأننا على كرق أو أرضه معنا سفر^(١)
٧ - وقال السري [من الكامل] :

وأحلها من قلب عاشقها الهوى بيتاً بلا عمد ولا أطناب
وهو من قول أبي الطيب [من البسيط] :

هام الفؤاد بأعرابية سكنت بيتاً من القلب لم تضرب به طنباً^(٢)
٨ - وقال السري [من الكامل] :

وأنا الفداء لمن مخيلة برفق عندي وعند سواي من أنوائه^(٣)
وإنما ألم فيه بقول أبي الطيب [من البسيط] :

ليت الغمام الذي عندي صواعقه يزيلهن إلى من عنده الدائم

(١) يخدن : يهتم ويحذب ، والخدن : الصديق .

(٢) الطنب : الحبال .

(٣) الأنواء : المطر .

٩ - وقال أبو الطيب ، وهو من قلائده [من الوافر] :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال
وقال أيضاً [من الوافر] :

وما أنا منهمُ بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام^(١)
أخذ أبو بكر الخوارزمي معنى البيتين ، وهما قريب من قريب ، فقال [من
الوافر] :

فديتك ما بدا لي قصد حرٍّ سواك من الورى إلا بدالي
وأنتك منهمُ وكذاك أيضاً من الماء الفرائد واللالِي
وتسكن دارهم وكذاك سكنى الـ حجارة والزّمرد في الجبال
وهذا معنى قد اخترعه المتنبي ، وكرره في تفضيل البعض على الكل ، فأحسن
غاية الإحسان حيث قال [من الطويل] :

فإن يك سيّار بن مكرم إنقضى فإنك ماء الورد إن ذهب الورد
١٠ - وقال [من البسيط] :

وإن تكن تغلبُ الغلباءُ عنصرها فإنّ في الخمر معنى ليس في العنب
ألم به أبو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب فقال [من الطويل] :

أبوك حوى العليا وأنت مبرزٌ عليه إذا نازعته قصب المجدر
وللخمر معنى ليس في الكرم مثله وفي النار نورٌ ليس يوجد في الزّند
وخيرٌ من القول المقدّم فاعترف نتيجه والنحل يكرم للشهد

(١) الرغام : التراب.

(٢) الزند : الذي تورى به النار.

وقال أيضاً [من الطويل] :

أبوك كريمٌ غير أنك سابقٌ مداه بلا ضيمٍ عليه ولا ذيم^(١)
فلا يعجبين الناس مما أقوله وأقضي به فالغيث أندى من الغيم

١١ - وقال أبو الطيب [من الوافر] :

وصرت أشكُ فيمن أصطفيه لعلمي أنه بعض الأنام

أخذه أبو بكر الخوارزمي فقال [من الرمل] :

قد ظلمناك بحسن الـ ظنٍ يا بعض الأنام

١٢ - وقال أبو الطيب [من البسيط] :

أتى الزمان بنوه في شببته فسرهم وأتيناه على الهرم

أخذه أبو الفتح وحسنه فقال [من البسيط] :

لا غرو إن لم تجد في الدهر مخترفاً فقد أتيناه بعد الشيب والخرف

١٣ - وقال أبو الطيب [من الطويل] :

هما الغرض الأقصى ، ورؤيتك المنى ومنزلك الدنيا ، وأنت الخلائق

امثله أبو الحسن السلامي فقال [من الطويل] :

وبشّرت آمالي بملكٍ هو الورى ودارٍ هي الدنيا ، ويومٍ هو الدهر

١٤ - وقال أبو الطيب [من الخفيف] :

لم تزل تسمع المديح ولكن صهيل الجياد غير النهاق

(١) الذيم والذام : العيب .

أخذه أبو القاسم الزعفراني ولطفه جداً فقال [من الخفيف] :

وتغنيك في النداء طيورٌ أنا وحدي ما بينهن الهزار

* * *

وإذ قد ذكرت أنموذجاً من سرقات الشعراء منه ، فلا بأس أن أذكر سرقاته من الشعراء ، سوى ما أورده القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز في كتاب « الوساطة » فشفي وكفى وبالغ فأوفى ، وسوى ما مر ويمر منها في أماكنها من فصول هذا الكتاب .

صدر من سرقاته

١ - قال مخلد الموصلي [من مخلع البسيط] :

يا منزلاً ضنّ بالسلام سقيت ريثاً من الغمام
ما ترك الدهر منك إلا ما ترك الشوق من عظامي

أخذه أبو الطيب فجوده حيث قال [من البسيط] :

ما زال كلُّ هزيم الودق ينحلها والشوق ينحلني حتى حكت جسدي^(١)

٢ - وقال عمرو بن كلثوم [من الوافر] :

فآبوا بالنهاب وبالسبايا وإينا بالملوك مصفدينا

أخذه أبو تمام فأحسن إذ قال [من البسيط] :

إنَّ الأسود أسود الغاب همّتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب^(٢)

(١) هزيم الودق : أي المطر المندفع ، وينحلها : يخصصها وحكت : شابته ومائلت .

(٢) الكريهة : الحرب .

وأخذه أبو الطيب فلم يحسن في تكرير لفظ النهب وذكر القماش إذ هو من ألفاظ العامة [من الوافر] :

ونهب نفوس أهل النهب أولى بأهل المجد من نهب القماش
٣ - وقال بشار بن برد [من الطويل] :

كأنّ مشار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبهُ
أخذه أبو الطيب وذكر الرماح مكان الأسياف فقال [من الكامل] :

وكأنّما كسيّ النهار بها دجى ليلٍ ، وأطلعت الرّماح كواكبا
٤ - وقال مسلم بن الوليد [من الطويل] :

أرادوا ليخفوا قبره من عدوّه فطيّبُ تراب القبر دلّ على القبرِ
ألم به أبو الطيب فقال [من الوافر] :

وما ريح الرياض لها ولكنّ كساها دفنهم في التّرب طيبا
٥ - وقال الفرزدق [من البسيط] :

وكنّت فيهم كممطورٍ ببلدته يسرّ أن جمع الأوطان والمطرا
أخذه أبو الطيب فقال [من الطويل] :

وليس الذي يتبع الوبل رائداً كمن جاءه في داره رائد الوبل
٦ - وفي قوله في هذه القصيدة [من الطويل] :

وخيلٍ إذا مرّت بوحشٍ وروضةٍ أبت رعيها إلّا ومرجلنا يغلي

رائحة من قول امرئ القيس [من الطويل] :

إذا ما ركبنا قال ولدانُ أهلنا : تعالوا إلى أن يأتي الصيد نحطب^(١)

٧ - وقال أبو نواس ، ويقال : إنه أمدح بيت للمحدثين [من البسيط] :

وكلت بالدهر عيناً غير غافلة بجود كفّيك تأسو كل ما جرحا^(٢)

أخذه أبو الطيب وزاد فيه حسن التشبيه فقال [من الطويل] :

تتبع آثار الرزايا بجوده تتبّع آثار الأسنة بالقتل^(٣)

٨ - وقال أبو نواس ، وهو من قلائده في وصف الخمر [من الطويل] :

إذا ما أتت دون اللهاة من الفتى دعا همّه من صدره برحيل

أخذه أبو الطيب ونقله إلى معنى آخر فقال [من الطويل] :

وما هي إلا لحظةٌ بعد لحظةٍ إذا نزلت في قلبه رحل العقل

٩ - وقال ابن أبي عيينة ، ويروي للخليل [من البسيط] :

زرّ وادي القصر ، نعم القصر والوادي في منزل حاضر ، إن شئت ، أو بادي
ترقى به السفن والظلمان حاضرةً والضب والنون والملاح والحادي^(٤)

وهذا أحسن ما قيل في وصف مكان يجمع بين أوصاف البر والبحر
والحاضرة والبادية ، ألم به أبو الطيب في وصف متصيد عضد الدولة بناحية سهلية

(١) نحطب : نجمع الحطب.

(٢) تأسو : تطيّب وتخفّف الجراح.

(٣) الرزايا : المصائب ، والأسنة الرماح وغيرها من عدّة الحرب.

(٤) الظلمان : جمع ظليم ، وهو ذكر النعام ، والنون : الحوت والحادي من يسوق الإبل ويزجرها.

جبليّة تجمع الأضداد [من الرجز] :

سقياً لدشت الأرزن الطوال بين المروج الفيح والأغيال^(١)
مجاور الخنزير والرثبال داني الخنايص من الأشبال^(٢)
مستشرف الدبّ على الغزال مجتمع الأضداد والأشكال

١٠ - وقال بعض العرب ، وهو من الأمثال السائرة [من الطويل] :

إذا بلّ من داءٍ به ظنّ أنّه نجا ، وبه الداء الذي هو قاتله^(٣)

أخذه أبو الطيب فقال وأحسن [من الوافر] :

وإنّ أسلمّ فما أبقى ولكنّ سلمت من الحمام إلى الحمام^(٤)

١١ - وقال بعض الرجاز [من الرجز] :

هل يغلبني واحدٌ أقاتله ريمٌ على لبّاته سلاسله^(٥)

* سلاحه يوم الوغى مكاحله *

أخذه أبو الطيب فأكمل الوصف وأظهر الغرض حيث قال [من الكامل] :

من طاعني ثغر الرجال جاذرٌ ومن الرماح دمالجٌ وخلاخلُ
ولذا اسم أغطية العيون جفونها من أنّها عمل السيوف عوامل

(١) الدشت : الصحراء لفظة فارسية ، والأرزن : الشجر والفيح : الواسعة ، والغيل : أجمة الأسد .

(٢) الخنايص : أولاد الخنازير ، والرثبال : الأسد .

(٣) بلّ من دائه : شقي ونجا من المرض .

(٤) الحمام : الموت .

(٥) الريم : الظبي الخالص البياض ، واللّبة : موضع القلادة .

١٢ - وقال أبو تمام [من الكامل] :

غربتُ خلائقه وأغرب شاعرٌ فيه فأبدع مغربٌ في مغربٍ
أخذه أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

شاعر المجد خدنه شاعر اللفظ كلانا ربّ المعاني الدقائق^(١)

١٣ - وقال أبو تمام [من الطويل] :

يمدّون بالبيض القواطع أيدياً فهن سواءٌ والسيف قواطعُ

أخذه أبو الطيب فأوقع التشبيه على الجملة حيث قال [من الطويل] :

همامٌ إذ ما فارق الغمد سيفه وعايته لم تدر أيُّهما النصل

١٤ - وقال ابن الرومي [من السريع] :

لا قدّستُ نَعْمَى تسربلتها كم حجةٍ فيها لزندق

أخذه أبو الطيب فقال [من البسيط] :

فإنه حجةٌ يؤذي القلوب بها من دينه الدهر والتعطيل والقدم

١٥ - ولابن الرومي وأجاد [من الطويل] :

وأحسن من عقد العقيلة جيدها وأحسن من سربالها المتجرّد

أخذه أبو الطيب فقال [من الرجز] :

وربّ قبحٍ وحليٍّ ثقالٍ أحسن منها الحسن في المعطال

(١) الخدن : الصاحب والصديق .

١٦ - وقال عبيد الله بن طاهر [من الطويل] :

وجرّبت حتى لا أرى الدهر مغرباً عليّ بشيء لم يكن في تجاربي
أخذه أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

قد بلوت الخطوب حلواً ومرّاً وسلكت الأيام حزناً وسهلاً^(١)
وقتل الزمان علماً فما يغرب قولاً ولا يجدّ فعلاً
وكرر هذا المعنى فقال [من الطويل] :

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا فلمّا دهتنا لم تزدني بها علماً
١٧ - وكتب ابن المعتز إلى عبيد الله بن سليمان يعزيه عن ابنه أبي محمد ويسليه
ببقاء أبي الحسين القاسم أبياتاً منها [من الكامل] :

ولقد غبت الدهر إذ شاطرته بأبي الحسين وقد ربحت عليه^(٢)
وأبو محمد الجليل مصابه لكن يمّني المرء خير يديه
فأخذ أبو الطيب هذا المعنى ، وقال لسيف الدولة من قصيدة يعزيه بها عن
أخته الصغرى ، ويسليه ببقاء الكبرى حيث قال [من الخفيف] :

قاسمتك المنون شخصين جوراً جعل القسم نفسه فيك عدلاً
فاذا قست ما أخذن بما غا درن سرى من الفؤاد وسلّى
وتيقّنت أنّ حظك أوفى وتبيّنت أن جدك أعلى^(٣)
١٨ - وكان أبو الطيب كثير الأخذ من ابن المعتز ، على تركه الإقرار بالنظر في شعر

(١) بلوت : خبرت وجرّبت ، والحزن : الأرض الصعبة المسالك .

(٢) غبت : انتقصت ، يقال غبنه حقه ، أي انتقصه إياه .

(٣) الجدّ : الخطّ .

المحدثين : فمما أخذه منه قوله [من البسيط] :

وتكسب الشمس منك النور طالعةً كما تكسب منها نورها القمرُ

وهو معنى قول ابن المعتز [من السريع] :

البدر من شمس الضحى نوره والشمس من نورك تستملي

١٩ - وأخذ قوله ، وهو من فلائده ، ولعله أمير شعره [من البسيط] :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وياضُ الصبح يغري بي

من مصراع لابن المعتز ، ذكر ابن جني قال : حدثني المتنبي - وقت القراءة عليه - [قال] : قال لي ابن حنابلة وزير كافور : أحضرت كتيبي كلها وجماعة من الأدباء يطلبون لي من أين أخذت هذا المعنى ، فلم يظفروا بذلك ! وكان أكثر من رأيت كتباً .

قال ابن جني : ثم إنني عثرت بالموضع الذي أخذه منه ، إذ وجدت لابن المعتز مصراعاً بلفظ لين صغير جداً فيه معنى بيت المتنبي كله على جلالة لفظه وحسن تقسيمه ، وهو قوله [من البسيط] :

* فالشمس نمّامة والليل قواد *^(١)

ولن يخلو المتنبي من إحدى ثلاث : إما أن يكون ألم بهذا المصراع فحسنه وزينه ، وصار أولى به ، وإما أن يكون قد عثر بالموضع الذي عثر به ابن المعتز فأربى عليه في جودة الأخذ ، وإما أن يكون قد اخترع المعنى وابتدعه وتفرد به ، فله دره ! وناهيك بشرف لفظه ، وبراعة نسجه !

وما أحسن ما جمع فيه أربع مطابقات في بيت واحد ، وما أراه سبق إلى

(١) صدر هذا البيت : لا تلق إلا بليل من تواصله .

مثلها ، وما زال الناس يعجبون من جمع البحترى ثلاث مطابقات في قوله [من البسيط] :

وأمةً كان قبح الجور يسخطها دهرأ فأصبح حسن العدل يرضيها
حتى جاء أبو الطيب فزاد عليه مع عذوبة اللفظ ورشاقة الصنعة .

ولبعض أهل العصر بيت يجمع خمس مطابقات ، ولكنه لا يستقل إلا بإنشاد بيتين قبله . وهي [من الطويل] :

عذيري من الأيام مدّت صروفها إلى وجه من أهوى يد النسخ والمحو
وأبدت بوجهي طالعَاتٍ أرى بها سهام أبي يحيى مسددةً نحوي
فذاك سواد الحظّ ينهى عن الهوى وهذا بياض الوخط يأمر بالصحو^(١)

٢٠ - وقال ابن الرومي [من الطويل] :

أرى فضل مال المرء داءً لعرضه كما أنّ فضل الزاد داءٌ لجسمه
فليس لداء العرض شيءٌ كبذله وليس لداء الجسم شيءٌ كحسمه

ألم به أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

يتداوى من كثرة المال بالآفة لال جوداً كأنّ مالا سقام

* * *

بعض ما تكرر في شعره من معانيه

١ - قال [في سيف الدولة] [من الوافر] :

وأنت المرء تمرضه الحشايا لهمةً ، وتشفيه الحروبُ

(١) الوخط : اختلاط الشعر الأبيض بالأسود .

وقال [يذكر الحمى التي كانت تغشاه بمصر] [من الوافر] :

وما في طَبِّه أني جوادُ أضرَّ بجسمه طول الجمام^(١)

٢ - وقال [يمدح بدر بن عمار] [من الكامل] :

ليت الحبيب الهاجري هجر الكرى من غير جرمٍ واصلي صلة الضنا

وقال [يمدح طاهر بن الحسين] [من الطويل] :

فيا ليت ما بيني وبين أحبتي من البعد ما بيني وبين المصائب

٣ - وقال [يمدح المغيث بن بشر العجلي] [من البسيط] :

إذا بدا حجبت عينيك هيتهُ وليس يحجبه سترُ إذا احتجبا

وقال [وقد حجبه بدر عمار] [من الكامل] :

أصبحت تأمر بالحجاب لخلوة هيهات لست على الحجاب بقادرٍ

من كان ضوء جبينه ونواله لم يحجبا لم يحتجب عن ناظر

فإذا احتجبت فأنت غير محجَّبٍ وإذا بطنت فأنت عين الظاهر

٤ - وقال [من قصيدة يمدحه بها] [من المتقارب] :

أميرُ أميرُ عليه الندى جوادُ بخيلُ بأن لا يجودا

وقال [من الوافر] :

إلا أنَّ الندى أضحى أميراً على مال الأمير أبي الحسين

٥ - وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

ومالٍ وهبت بلا موعِدٍ وقرنٍ سبقت إليه الوعيد^(٢)

(١) طَبِّه : علمه والجمام : الراحة .

(٢) القرن : النضير في العلم والشجاعة ، والوعيد : التهديد .

وقال [من القصيدة التي كتبها إلى السلطان من حبسه] [من المتقارب] :
لقد حال بالسيف دون الوعيد وحالت عطاياه دون الوعود

٦ - وقال [من قصيدة يمدح بها كافوراً] [من الطويل] :

وما رغبتني في عسجدٍ أستفيده ولكنّها في مفخرٍ أستجدّه^(١)

وقال [من قصيدة يمدح بها أبا العشائر] [من الوافر] :

فسرت إليك في طلب المعالي وسار سواي في طلب المعاش

٧ - وقال [يمدح سعيد بن عبد الله] [من البسيط] :

قد علّم البين منّا البين أجفانا تدمي وألف في ذا القلب أحزانا

وقال [في خلاص أبي وائل] [من المتقارب] :

كانّ الجفون على مقتلتي ثيابٌ شققن على ثاكلٍ

٨ - وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

كأنّك بالفقر تبغي الغنى وبالموت في الحرب تبغي الخلودا

وقال [في الحسين بن إسحاق التنوخي] [من الطويل] :

كأنّك في الإعطاء للمال مبغضٌ وفي كلّ حربٍ للمنية عاشقٌ

٩ - وقال [من الخفيف] :

الذي زلت عنه شرقاً وغرباً ونداه مقابلي ما يزولُ

وقال [في سيف الدولة] [من الطويل] :

ومن فرّ من إحسانه حسداً له تلقاه منه حيث ما سار نائلُ

(١) العسجد : الذهب والجوهر.

١٠ - وقال [يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران] [من الكامل] :

فكأنّما نتجت قياماً تحتهم وكأنّما ولدوا على صهواتها^(١)

وقال [في الحسن بن عبيد الله بن طغج] [من الطويل] :

وطعن غطاريف كأنّ أكفهم عرفن الردينيات قبل المعاصم^(٢)

١١ - وقال [يشكو الحمى بمصر] [من الوافر] :

جرحت مجرحاً لم يبق منه مكان للسيوف وللسهام

وقال [في مريّة والدّة سيف الدولة] [من الوافر] :

رمانى الدهر بالأرزاء حتّى فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتنى سهام تكسّرت النصال على النصال

١٢ - وقال [يمدح أبا علي هارون بن عبد الله الكاتب] [من الكامل] :

وشكيتي فقد السّهام لأنّه قد كان لما كان لي أعضاء

وقال [قبيل مسيره من مصر يهجو كافوراً] [من البسيط] :

لم يترك الدهر من قلبي ومن كبدي شيئاً تتيّمه عين ولا جيد^(٣)

١٣ - وقال [يصف مدينة مرعش] [من الطويل] :

تصد الرياح الهوج عنها مخافة وتفزع فيها الطير أن تلقط الحبا

(١) نتجت : ولدت .

(٢) الغطاريف : جمع غطريف ، وهو الفتى الجميل والرديّات : الرماح .

(٣) تتيّمه : تجعله يمشق والجيد : العنق .

وقال [من قصيدة في مدح كافور] [من البسيط] :

إذا أتها الرياح النكب في بلدٍ فما تهبُّ بها إلاً بترتيب

١٤ - وقال [يمدح الحسن بن عبيد الله بن طنج] [من الطويل] :

إذا ضوؤها لاقى من الطَّير فرجةً تدور فوق البيض مثل الدراهم^(١)

وقال [من كلمة يمدح فيها عضد الدولة] [من الوافر] :

وألقى الشرق منها في ثيابي دنائيراً تفرُّ من البنانِ

وقال^(٢) [يمدح أبا شجاع محمد بن أوس] [من الكامل] :

ولقد بكيت على الشباب ولمتي مسودةً ، ولماء وجهي رونقُ

حذراً عليه قبل يوم فراقه حتى لكدت بماء جفني أشرق^(٣)

١٥ - وقال [وقد أهداه عبد الله بن خراسان هدية] [من المنسرح] :

هديةً ما رأيت مهديها إلا رأيت العباد في رجلٍ

وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

[أحلماً نرى أم زماناً جديداً] أم الخلق في شخص حيٍّ أعيدا

ومثله [في الحسين بن إسحاق التنوخي] [من الطويل] :

[هي الغرض الأقصى ، ورؤيتك المنى] ومنزلك الدنيا ، وأنت الخلائقُ

(١) الفرجة : الكوة.

(٢) لا يظهر لي وجه اتفاق هذين البيتين مع ما قبلها ولا ما بعدهما ، ولا بدَّ أنه سقط من الأصول ما يوافقها

وكذلك سقط من الصباح المنبي ١٧٦ .

(٣) أشرق : أغص.

ثم كرره وزاد فيه فقال [من كلمة يمدح فيها ابن العميد] [من الكامل] :

ولقيت كلّ الفاضلين كأنما ردّ الإله نفوسهم والأعصرا
نسقوالنا نسق الحساب مقدماً وأتى فذلك إذ أتيت مؤخراً

والأصل فيه قول أبي نواس [من السريع] :

ليس على الله بمستكرٍ أن يجمع العالم في واحد

وقال [من البسيط] :

متى تخطي إليه الرجل سالمةً تستجمع الخلق في تمثال إنسان

١٦ - وقال [في سيف الدولة] [من البسيط] :

هو الشجاع يعدّ البخل من جبنٍ وهو الجواد يعدّ الجبن من بخلٍ

وقال [وقد ضرب أبو العساكر خيمة على الطريق فكثر سؤاله وغاشيته] [من

المنسرح] :

فقلت إنّ الفتى شجاعته تريحه في الشحّ صورة الفرق^(١)

والأصل فيه قول أبي تمام [من الكامل] :

أيقنت أنّ من السماح شجاعةٌ تدمى ، وأنّ من الشجاعة جوداً

١٧ - وقال [يمدح أبا شجاع عضد الدولة] [من الوافر] :

ومن أعتاض منك إذا افترقنا ؟ وكلّ الناس زورٌ ما خلاكا

وقال في مثله فتبرد وبالع [من الخفيف] :

إنّما الناس أنت ، وما لنا س بناسٍ في موضعٍ منك خالٍ

(١) الشحّ : البخل ، والفرق : الخوف وشدّته .

١٨ - وقال [في سيف الدولة] [من الطويل] :

إذا اعتلَّ سيف الدولة اعتلَّت الأرضُ ومن فوقها والبأس والكرَمُ المحض^(١)

وقال [فيه أيضاً] [من البسيط] :

وما أخصك في برءٍ بتهنئةٍ إذا سلمت فكلُّ الناس قد سلموا

١٩ - وقال [يمدح كافوراً ولم يلقه بعد] [من الطويل] :

تجاوز قدر المدح حتَّى كأنه بأحسن ما يُثنى عليه يعابُ

وقال [في عبد الله بن يحيى البحتري] [من البسيط] :

وعظُمُ قدرك في الآفاق أوهمني أني بقلَّةٍ ما أثبت أهجوكا

وقال [يعزي عضد الدولة وقد مات عمته] [من السريع] :

وكان من عددٍ إحسانه كأنه أسرف في سبه

والأصل في هذا قول البحتري [من الخفيف] :

جلُّ عن مذهب المديح فقد كا د يكون المديح فيه هجاءُ

٢٠ - وقال [وهو مما سبق إليه] [من مخلع البسيط] :

نال الذي نلت منه مني لله ما تصنع الخمورُ

وقال [من الطويل] :

أفيكم فتىً حيٌّ فيخبر ناعباً بما شربت مشروبة الراح من ذهني

(١) المحض : الخالص الصافي.

٢١ - وقال [يمدح سيف الدولة] [من الطويل] :

عليمٌ بأسرار الديانات واللّغى له خطراتٌ تفضح الناس والكتبا^(١)

وقال [في أبي العشائر علي بن الحسين] [من الوافر] :

كأنّك ناظرٌ في كلّ قلبٍ فما يخفى عليك محلّ غاش^(٢)

وقال [من البسيط] :

ووكّل الظنّ بالأسرار فانكشفت له سرائر أهل السهل والجبل

٢٢ - وقال [لبدر بن عمار يمدحه] [من الكامل] :

فاغفر فديّ لك واجنبي من بعدها لتخصّني بعطيّة منها أنا^(٣)

وقال [من المنسرح] :

له أياديّ إليّ سالفّة أعدّ منها ولا أعدّها

٢٣ - وقال وهو من قلائده [من الخفيف] :

خير أعضائنا الرؤس ولكنّ فضّلناها بقصدك الأقدام^(٤)

وقال [من المتقارب] :

وإنّ القيام الألى حوله لتحسد أرجلها الأروس

٣٤ - وقال [من قصيدة في مدح سيف الدولة] [من الطويل] :

وما الحسن في وجه الفتى شرف له إذا لم يكن في فعله والخلاق

(١) اللغى : جمع لغة .

(٢) غاش : مغطى ومحجوب .

(٣) الحباء : العطاء .

(٤) فضّلناها : من الفضل ، أي سبقتها إلى الفضل .

وقال في وصف الخيل [من الطويل] :

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك مغيب^(١)
وقريب منه قوله [من الوافر] :

يحبُّ العاقلون على التصافي وحبُّ الجاهلين على الوسام
٢٥ - وقال في معنى قد تصرفت فيه الشعراء [من الخفيف] :

ذلّ من يغبط الذليل بعيش ربّ عيش أخفّ منه الحمام
وقال [في صباه] [من الخفيف] :

عش عزيزاً أو متّ وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود^(٢)
٢٦ - وقال [لعلّي بن إبراهيم التنوخي يمدحه] [من الوافر] :

إذا ما لم تسرّ جيشاً إليهم أسرت إلى قلوبهم الهلوعا^(٣)
وقال [من الخفيف] :

بعثوا الرعب في قلوب الأعداي فكأن القتال قبل التلاقي
وقال [من البسيط] :

قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت لك المهابة ما لا يصنع البهم
وقال [من الخفيف] :

أبصروا الطعن في القلوب دراكاً قبل أن يبصروا الرماح خيالاً^(٤)

(١) الشية : العلامة .

(٢) البنود : الأعلام والرايات .

(٣) الهلوع : الخوف والرعب .

(٤) دراكاً : متلاحقه .

وقال [من الطويل] :

صيامٌ بأبواب القباب جيادهمُ وأشخاصهم في قلب خائفهم تعدو

وقال [من البسيط] :

تغيرُ عنه على الغارات هيتهُ وماله بأقاصي البرِّ أهمالٌ^(١)

والأصل فيه قول النبي ﷺ « نصرت بالرعب » ثم أكثر الناس منه ، ومن أوجز ما قالوا قول علي بن جبلة العكوك [من الهزج] :

غدا مجتمع العزم له جندٌ من الرعبِ

٢٧ - وقال أبو الطيب [من الطويل] :

وأتعِب خلق الله من زاد همهُ وقصّر عما تشتهي النفس وجدهُ

وقال [من الطويل] :

لحى الله ذي الدنيا مناخاً لراكبٍ فكلَّ بعيدَ الهمِّ فيها معذبٌ^(٢)

٢٨ - وقال [من الخفيف] :

ومعالٍ إذا ادّعاها سواهمُ لزمته خيانة السُّراقِ

وقال [من الكامل] :

مسكِيَّةُ النَّفحاتِ إلّا أنّها وحشيَّةٌ بسواهم لا تعبقُ

* * *

(١) تغير : تغزو . من الغارة .

(٢) لحى الله : لعن وقبح .

والآن حين أذكر ما ينعى على أبي الطيب من معائب شعره ومقابحه :
ومن ذا الذي تُرضي سجاياه كلّها كفى المرء فضلاً أن تعدّ معائبه^(١)
ثم أقفى على آثارها بمحاسنه وسياق بدائعه وفرائده :
فحسن دراريّ الكواكب أن ترى طوالع في داجٍ من الليل غيب^(٢)

* * *

١ - فمنها قبح المطالع

وحقه الحسن والعذوبة لفظاً ، والبارعة والجودة معنى ، لأنه أول ما يقرع
الأذن ويصافح الذهن ، فإذا كانت حاله على الضد موجه السمع ، وزجه القلب ،
ونبت عنه النفس ، وجرى أوله على ما تقوله العامة « أول الدن دردى » .

ولأبي الطيب ابتداءات ليست لعمرى من احرار الكلام وغرره ، بل هي -
كما نعاها عليه العائبون - مستشعنة لا يرفع السمع لها حجاب ، ولا يفتح القلب لها
بابه ، كقوله [من الكامل] :

هذي برزت لنا فهجت رسيسا ثم انصرفت وما شفيت نسيسا^(٣)
فإنه لم يرض بحذف علامة النداء من « هذي » ، وهو غير جائز عند النحويين ،
حتى ذكر الرسيس والنسيس ، فأخذ بطرفي الثقل والبرد .

(١) السجاياء : الصفات والطبائع .

(٢) داجٍ : مظلم . وغيب : شديد الظلمة .

(٣) الرسيس : الرقة في الشوق . والنسيس : بقية الروح .

وكقوله [من المنسرح] :

* أوهٍ بديلٌ من قولتي واهـ *^(١)

وهو برقيّة العقرب أشبه منه بافتتاح كلام في مخاطبة ملك .

وكقوله - وهو مما تكلف له اللفظ المتعقد ، والترتيب المتعسف ، لغير معنى بديع يفي شرفه وغرابته بالتعب في استخراج ، ولا تقوم فائدة الانتفاع به بإزاء التأذي باستماعه [من الطويل] :

وفاؤكما كالربع أشجاء طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه^(٢)
وكقوله في استفتاح قصيدة في مدح ملك يريد أن يلقاه بها أول لقية [من الطويل] :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا
وفي الابتداء بذكر الداء والموت والمنايا ما فيه من الطيرة ، التي تنفر منها السوق ، فضلاً عن الملوك .

حكى صاحب قال : ذكر الأستاذ الرئيس يوماً الشعر ، فقال : وإن أول ما يحتاج فيه إليه حسن المطلع ، فإن ابن أبي الشبّاب أنشدني في يوم نيروز قصيدة ابتداؤها [من الطويل] :

* أقبرُ وما طلّت ثراك يد الطلّ ؟ *

فتطيرت من افتتاحه بالقبر ، وتنغصت باليوم والشعر ، فقلت : كذاك كانت حال

(١) وعجز البيت : لمن نأت والبديل ذكرها . وأو : كلمة توجع ، وواهـ : كلمة تعجب وطيبة .

(٢) طاسمه : دارسه ، وأشجاء : أحزنه والساجم : المذروف من الدمع .

ابن مقاتل لما مدح الداعي بقوله [من الرمل] :

لا تقل بشرى ولكنْ بشريانِ غرةَ الدّاعي ويوم المهرجان
فإنه نفر من قوله « لا تقل بشرى » أشد نفار ، وقال : أعمى وتبتدىء بهذا في يوم
مهرجان ؟!

قال صاحب : ومن عنوان قصائده التي تحير الأفهام ، وتفوت الأوهام ،
وتجمع من الحساب ما لا يدرك بالأرثيماتقي ، وبالأعداد الموضوعة للموسيقى
[من الوافر] :

أحادُ أم سداسُ في أحاد ليلتنا المنوطة بالتنادي

وهذا كلام الحكل ورطانة الزط^(١) وما ظنك بممدوح قد تشمر للسمع من
مادحه فصك سمعه بهذه الألفاظ الملفوطة والمعاني المنبوذة ؟ فأي هزة تبقى
هناك ؟ وأي أريحية تثبت هنا ؟

وقد خطأه في الانظ والمعنى كثير من أهل اللغة وأصحاب المعاني ، حتى
احتيج في الاعتذار له ، والنضح عنه ، إلى كلام لا يستأهله هذا البيت ، ولا يتسع
له هذا الباب .

ومن ابتداءاته البشعة التي تنكرها بديهة السماع قوله [من الوافر] :

ملثُ القطرِ أعطشَها ربوعاً وإلاً فاسِقَها السّم النجيعا^(٢)

وقوله [من الكامل] :

أثلث فأتا أيّها الطلل [نبكي وترزم تحتنا الايل]^(٣)

(١) الحكل : ما لا يسمع صوته كالذرّ، والحكلة : العجمة في الكلام، والزط: جيل من الهنود.

(٢) ملثُ القطر : أي المطر الذي لا ينقطع لأيام والنجيع : النافع، أي القائل لها.

(٣) أثلث: كن ثالثاً. ترزم : تحنّ.

وقوله [من الوافر] :

بقائي شاء ليس هم ارتحالا [وحسن الصبر زَمُوا لا الرِّحالا]^(١)

قال صاحب : ومن افتتاحاته العجبية قوله لسيف الدولة في التسلية عند
المصيبة [من الطويل] :

لا يحزن الله الأمير فإني لأخذُ من حالاته بنصيب

قال صاحب : لا أدري لم لا يحزن سيف الدولة إذا أخذ المتنبى بنصيب من
القلق !

* * *

٢ - ومنها إتباع الفقرة الغراء ، بالكلمة العوراء

والإفصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت ، وقلة التناسب ، وتنافر
الأطراف ، وتخالف الأبيات ، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ، ويعود لهذه
العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط . فبينما هو يصوغ أفخر
حلي ، وينظم أحسن عقد ، وينسج أنفاس وشي ، ويختال في حديقة ورد ، إذا به
وقد رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة ، أو تعويض اللفظ ، أو تعقيد
المعنى ، إلى المبالغة في التكلف ، والزيادة في التعمق ، والخروج إلى الإفراط
والإحالة والسفسفة ، والركاكة والتبرد والتوحش ، باستعمال الكلمات الشاذة ،
فمحا تلك المحاسن ، وكدر صفاءها ، وأعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها ،
واستهدف لسهام العائبين ، وتحكك بالسنه الطاعنين : فمن متمثل بقول الشاعر
[من الكامل] :

أنت العروس لها جمالٌ رائعٌ لكنّها في كلّ يومٍ تصرعُ

(١) زَمُوا : أجمعوا .

ومن مشبه إياه بمن يقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات وبدائع الطيبات ، ثم يتبعها بطعام وضر ، وشراب عكر ، أو من يتبخر بالنند المعشب المثلث ، المركب من العود الهندي والمسك الأصهب والعنبر الأشهب ، ثم يرفقه بإرسال الريح الخبيثة ، ويفسده بالرائحة الردية ، أو بالواحد من عقلاء المجانين ينطق بنوادر الكلم ، وطرائف الحكم ، ثم يعتريه سكرة الجنون فيكون أصلح أحواله وأمثل أقواله أن يقول : اعذروني فإن العذرة متعذرة .

فمما نشر أبو الطيب من هذا النمط قوله [من الخفيف] :

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في المآقي ؟

وهو ابتداء ما سمع بمثله ، ومعنى تفرد بابتدائه ، ثم شفعه بما لا يبالي العاقل أن يسقطه من شعره فقال :

كيف ترثي التي ترى كل جفن راءها غير جفنها غير راقى^(١)

وقوله [من الطويل] :

ليالي بعد الظاعنين شكول طوال ، وليل العاشقين طويل^(٢)
 بين لي البدر الذي لا أريده ويخفين بدرأ ما إليه وصول
 وما عشت من بعد الأحبة سلوة ولكنني للنائبات حمول
 وما شرقي بالماء إلا تذكرأ لماء به أهل الخليط نزول^(٣)
 يحرمه لمع الأسنة فوقه فليس لظمان إليه سبيل

من قصيدة اخترع أكثر معانيها ، وتسهل في ألفاظها ، فجاءت مصنوعة ، ثم

(١) راءها : أي رأها قدم الألف واخر الهمزة ضرورة راقى : رقا الدمع ، انكفا وانقطع .

الظاعنين : الراحلين .

(٢) الظاعنين : الراحلين وشكول : متشابهة .

(٣) شرقي : غصي ، والخليط : المكان الذي يختلط به القوم .

اعترضته تلك العادة المذمومة ، فقال :

أغررْكُم طول الجيوش وعرضها عليَّ شروبٌ للجيوش أكل
إذا لم تكن لليث إلا فريسةً غذاه ولم ينفعك أنك فيل
ثم أتى بما هو أطم^(١) منه فقال ، وذكر صاحب أنه من أوابده التي لا يسمع طول
الأبد بمثلها :

إذا كان بعض الناس سيفاً لدولةٍ ففي الناس بوقاتٌ لها وطبول
فإن تكن الدولات قسماً فإنها لمن ورد الموت الزؤام تدول
قال صاحب : قوله « الدولات » و « تدول » من الألفاظ التي لو رزق فضل
السكوت عنها لكان سعيداً .

وقال من قصيدة جمع فيها الشذرة والبعة ، والدرّة والآجرة [من الكامل] :
لك يا منازل في الفؤاد منازل أقفرت أنت ، وهنّ منك أوائلُ
وهذا ابتداء حسن ومعنى لطيف ، ثم قال :

وأنا الذي اجتلب المنيةَ طرفه فمّن المطالب والقتيل القاتلُ
وهو وإن كان مأخوذاً من قول دعبل [من الكامل] :

لا تطلباً بظلامتي أحداً طرفي وقلبي في دمي اشتركا
فإنه أخذ بأطراف الرشاقة والملاحه ، ثم استمر في قصيدته ، فجاء بالمتوسط
المقارب والبدیع النادر والردیء النافر ، حيث قال :

ولذا اسم اغطية العيون جفونها من أنها عمل السيوف عوامل

(١) أطم: أدهى.

وهذا معنى في نهاية الحسن واللفظ لو ساعده اللفظ ، ثم قال :

كم وقفة سجرتك شوقاً بعدما غري الرقيب بنا ولج العاذل^(١)
فلم يحسن موقع قوله « سجرتك » أي ملأتك (هكذا الرواية بالجيم ، ولو كانت
بالحاء من السحر لم يكن بأس) ثم قال وملح :

دون التعانق ناحلين كشكلتي نصب أدفهما وضم الشاكل^(٢)

أي : قريب بعضنا من بعض ، ولم نتعانق خوف الرقيب . ثم قال فأحسن غاية
الإحسان :

للهو آونة تمر كأنها قبل يزودها حيب راحل
جمع الزمان فما لذيد خالص ممّا يشوب ، ولا سرور كامل
حتى أبو الفضل بن عبد الله رؤيته المنى وهو المقام الهائل

قال ابن جني : وهذا خروج غريب ظريف حسن ، ما أعرفه لغيره ، يقول : إن
المنى رؤيته إلا أن هيئته تهول . ثم قال فجمع أوصافاً في بيت واحد :

للشمس فيه وللرياح وللسحاب وللبحار وللأسود شمائل

ثم قال وتحقق وتبرّد :

ولديه ملعقيان والأدب المفا د وملحياة وملمات مناهل^(٣)

وإنما ألم في صدر هذا البيت بقول أبي تمام [من المنسرح] :

* نأخذ من ماله ومن أدبه *

(١) سجرتك : أشعلتك ، وسجر التنور : زاده ناراً ووقوداً .

(٢) أدفهما : حركهما ،

(٣) يريد : من العقيان ، ومن الحيات ، ومن الممات فحذف النون من (من) الجارة والـف الوصل من
المجروور بها .

ثم قال :

علامةُ العلماء واللجُّ الذي لا ينتهي ، ولكلِّ لجٍّ ساحلٌ^(١)

ثم قال فأحال :

لو طاب مولد كلِّ حيٍّ مثله ولد النساء وما لهنَّ قوابلٌ^(٢)

قال القاضي أبو الحسن : إن طيب المولد لا يستغني به عن القابلة ، وإن استغنى عنها كان ماذا ؟ وأي فخر فيه ؟ وأي شرف ينال به ؟

ثم توسط وقارب فقال :

ليزد بنو الحسن الشراف تواضعاً هيهات تكتم في الظلام مشاعلُ
ستروا الندى ستر الغراب سفاده فبدا ، وهل يخفي الرباب الهاطل ؟^(٣)

ثم قال وتوحش وتبغض ما شاء الحاسد :

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم شيمٌ على الحساب الأغرّ دلائلٌ^(٤)

يريد بالجفخ الفخر والبذخ ، ثم قال :

يا افخر فإنّ الناس فيك ثلاثة : مستعظمٌ ، أو حاسدٌ ، أو جاهلٌ

أي : يا هذا افخر ، فحذف المنادى ، وتباغض وتبادى ، ثم قال :

لا تجسر الفصحاء تنشد ههنا شعراً ، ولكنني الهزبر الباسل

(١) اللجُّ: البحر الزاخر.

(٢) القوابل : جمع قابلة ، وهي التي تشرف على الولادة.

(٣) السقّاد : الجماع ، والرباب .

(٤) جفخت : فخرت وبذخت ، والأغرّ : الشريف والكريم.

ثم قال وأرسله مثلاً سائراً ، وأحسن جداً :

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأنّي كامل
ما نال أهل الجاهلية كلهم شعري ، ولا سمعت بسحري بابل

ثم قال وتعسف في اللفظ :

أما وحقك وهو غاية مقسمٍ للحق أنت ، وما سواك الباطل
الطيب أنت إذا أصابك طيبه والماء أنت إذا اغتسلت الغاسلُ

وتقدير الكلام : الطيب أنت طيبه إذا أصابك ، والماء أنت غاسله إذا
اغتسلت به ، وإنما ألم فيه بقول القائل [من الخفيف] :

وتزيدين طيب الطيب طيباً إن تمسيه ، أين مثلك أينا ؟!

وقال من قصيدة كهذه التي تقدمت [من البسيط] :

قد علم البين منّا البين أجفانا تدمى ، وألف في ذا القلب أحزانا
أملت ساعة ساروا كشف معصمها ليلبث الحيّ دون السير حيرانا
بالواخداث وحاديها وبى قمرٌ يظلّ من وخدها في الخدر حشيانا^(١)

وحشيان - بالخاء المهملة - من الغريب الوحشي ، الذي لا يأنس به السمع ، ولا
يقبله القلب ، يقال : حشى الرجل حشياً فهو حشيان ، إذا أخذه البهر . يقول :
إذا وخذت الإبل تحت هذا القمر أخذه البهر لترفه . ومن المؤدبين من يروي حشيانا
بالخاء معجمة من الخشية .

(١) الواخداث : النوق ، والوخد ضرب من السير والحادي : السائق .
والخدر : الخباء .

ثم قال ، وأحسن ولطف وظرف :

قد كنت أشفق من دمعي على بصري فالיום كلّ عزيزٍ بعدكم هانا
ثم أراد أن يزيد على الشعراء في وصف المطايا ، فأتى - كما قال صاحب -
بأخزى الخزايا ، فقال :

لو استطعت ركبت الناس كلهم إلى سعيد بن عبد الله بعرا^(١)
قال صاحب : ومن الناس أمه ، فهل ينشط لركوبها ؟ والممدوح لعل له
عصبة لا يريد أن يركبوا إليه ، فهل في الأرض أفحش من هذا السخف وأوضع من
هذا التبسط ؟

ثم أراد أن يستدرك هذه الطامة بقوله :

فالعيس أعقل من قوم رأيتهم عمّا يراه من الإحسان عميانا
وقال ، ثم قال وأجاد في مدح الممدوح :

إن كوتبوا، اولقوا، او حوربوا، وجدوا في الخط واللفظ والهيّجاء فرسانا^(٢)
كأنّ السّنههم في النطق قد جعلتْ على رماحهم في الطّعن خرسانا^(٣)
كأنّهم يردون الموت من ظمأ أو ينشقون من الخطّيّ ريحانا
ثم قال :

خلائق لو حواها الزنج لانقلبوا ظمي الشفاه جعاد الشعر غرانا
والزنجي لا يوجد إلا جعد الشعر ، فكيف ينقلبون عن الجعودة إلى الجعودة ؟ وقد

(١) بعرا : جمع بعير ، وهو الجمل .

(٢) الهيّجاء : الحرب .

(٣) خرصان : جمع خرص ، وهي أسنة الرماح ، او الحراب .

احتج عنه أصحاب المعاني بما يطول ذكره .

والعجب كل العجب من خاطر يقدح بمثل قوله في قصيدة [من

المتقارب] :

وملمومة زرد ثوبها ولكنّه بالقنا مخمل^(١)
يفاجيء جيشاً بها حينه وينذر جيشاً بها القسطل^(٢)

ثم يتصور في هذا الكلام الغث الرث فيتبعه به حيث يقول :

جعلتك في القلب لي عدةً لأنك باليد لا تجعل

ولو قاله بعض صبيان المكاتب لاستحيا له منه .

* * *

٣ - ومنها استكراه اللفظ ، وتعقيد المعنى

وهو أحد مراكبه الخشنة التي يتسنىها ، ويأخذ عليها في الطرق الوعرة
فيضل ويضل ويتعب ويُتعب ولا ينجح ، إذ يقول في وصف الناقة [من
الكامل] :

فتبيت تسئد مسئداً في نِيّها إسأدها في المهمه الأنضاء^(٣)
وتقديره : فتبيت تسئد مسئد الأنضاء في نِيّها إسأدها في المهمه : أي كلما قطعت
الأرض قطعت الأرض شحمها على احتذاء ومثال هذا بهذا .

(١) الملمومة : الدرع .

(٢) القسطل : الغبار .

(٣) سئد : تسرع السير في الليل خاصة والني : الشحم

والمهمه : الأرض الواسعة البعيد

والأنضاء : مصدر أنضاء : أي أهزله .

ويقول في المدح [من الكامل] :

أنى يكون أبا البرايا آدمُ وأبوك ، والثقلان أنت ، محمد^(١)
وتقديره : أنى يكون آدم أبا البرايا وأبوك محمد وأنت الثقلان .
وقال من نسيب قصيدة [من الطويل] :

إذا عدلوا فيها أجبت بأنّ حبيبتا قلبي فؤادي هيا جمل
أراد « يا حبيبتى » ثم أبدل الياء من حبيبتى ألفاً تخفيفاً ، و « قلبي » منصوب لأنه
بدل من حبيبتا ، و « فؤادي » بدل من قلبي ، وهذا كقولك : أخي سيدي مولاي ،
نداء بعد نداء ، ويقال في النداء : يا زيد ، وأيا زيد ، وهيا زيد .

وأشبه هذه الأبيات كثيرة في شعره كقوله [من الطويل] :

لساني وعيني والفؤاد وهمّي أودّ اللواتي إذا اسمها منك والشرّ
وقوله [من الطويل] :

فتى ألف جزء رأيه في زمانه أقلّ جزيّ بعضه الرأي أجمع
وقوله [من الكامل] :

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو عقت بمولد نسلها حواء
وهو مما اعتل لفظه ، ولم يصح معناه ، فإذا قرع السمع لم يصل إلى القلب
إلا بعد إتعاب الفكر ، وكد خاطر ، والحمل على القريحة ، [ثم] إن ظفر بعد
العناء والمشقة فقلما يحصل على طائل .

* * *

(١) الثقلان : الجنّ والانس .

٤ - ومنها عسف اللغة والإعراب

وهو مما سبق إلى القلوب إنكاره ، وإن كان عند المحتجين عنه الاعتذار له ، والمناضلة دونه ، كقوله [من الطويل] :

فدى من على الغبراء أولهم أنا لهذا الأبى الماجد الجائد القرم^(١)
ولم يحك عن العرب « الجائد » وإنما المحكى رجل جواد ، وفرس جواد ، ومطر جواد .

وكقوله [من الطويل] :

فأرحامٍ شعري تتصلن لدنّه وأرحام مالٍ لا تني تتقطّع
وتشديد النون من « لدن » غير معروف في لغة العرب .

وكقوله [من الوافر] :

شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند أو طلع النخيل
والمعروف عند العرب الأترج ، والترنج مما يغلط فيه العامة . قال
الصاحب : لا أدري الاستهلال أحسن ، أم المعنى أبدع ، أم قوله ترنج أفصح ؟
وكقوله [من الكامل] :

بيضاء يمنعها تكلم دلّها تيهها ، ويمنعها الحياء تيمسا
فنصب « تيمس » مع حذف أن ، وهو ضعيف عن أكثر النحويين .
وكقوله [من الكامل] :

وتكرّمت ركباتها عن مبرك^(٢) تقعان فيه ليس مسكاً أذفرا^(٣)

(١) القرم : السيد .

(٢) المبرك : مكان البروك ، والأذفر : ما ظهرت رائحته واشتدت سواء كانت طيبة أم خبيثة .

فجمع الركبات ثم انتقل إلى الثنية فقال « تقعان » ، وهو ضعيف وغير سديد في صناعة الإعراب .

وكقوله [من الخفيف] :

ليس إلّاك يا عليّ همامٌ سيفه دون عرضه مسلّولٌ

وكقوله [من السريع] :

لم تر من نادمت إلّا كا لا لسوى ودك لي ذا كا

فوصل الضمير بالآ ، وحقه أن ينفصل عنه كما قال الله تعالى^(١) : ﴿ ضل من تدعون إلا إياه ﴾ .

وكقوله [من البسيط] :

* لأنت أسود في عيني من الظلم *

وآلف التعجب^(٢) لا تدخل على أفعال ، وإنما يقال : أشد سواداً وحمرة وخضرة .
وكقوله [من الكامل] :

* جلاً كما بي فليكُ التبريحُ *

وحذف النون من « يكن » إذا استقبلها الألف واللام خطأ عند النحويين^(٣) ، لأنها تتحرك إلى الكسر ، وإنما تحذف استخفافاً إذا سكنت .

(١) من الآية ٦٧ من سورة الاسراء .

(٢) يريد أن صيغة « أفعال » في التفضيل والتعجب لا تبنى من الأفعال الدالة على الألوان ، وهذا رأي كثير من النحاة ، ومنهم من أجاز البناء من البياض والسواد بخصوصهما .

(٣) أجازة يونس بن حبيب واستدل له بوروده في بعض القراءات وفي الشعر العربي من مثل قول الشاعر : فإن لم تك المرأة أبدت وسامةً . فقد أبدت المرأة جهة ضيغم .

وكقوله [من الطويل] :

* أمط عنك تشبيهي بما وكأنه *^(١)

والتشبيه بما محال .

وكقوله [من الكامل] :

لعظمت حتى لو تكون أمانة ما كان مؤتمناً بها جبرين

قال صاحب : وقلب هذه اللام إلى النون ، أبغض من وجه المنون ، ولا أحسب جبرائيل عليه السلام يرضى منه بهذا المجاز ، هذا على ما في البيت من الفساد والقبح .

وكقوله [من الطويل] :

حملت إليه من ثنائي حديقة سقاها الحجا سقي الرياض السحائب
أي : سقي السحائب الرياض^(٢) .

* * *

٥ - ومنها الخروج عن الوزن

كقوله [من الطويل] :

تفكره علم ، ومنطقه حكم وباطنه دين ، وظاهره ظرف

وقد خرج فيه عن الوزن لأنه لم يجيء عن العرب « مفاعيلن » في عروض الطويل غير مصرع ، وإنما جاء « مفاعلن » ، قال صاحب : ونحن نحاكمه إلى كل شعر للقدماء والمحدثين على بحر الطويل ، فما نجد له على خطئه مساعداً .

(١) أمط : نح وأبعد .

(٢) فيه الفصل بين المضاف والمضاف اليه بمفعول المضاف وهو جائز عند الكوفيين ، وله شواهد .

قال القاضي أبو الحسن : وقد عيب أيضاً بقوله [من الرمل] :

إنما بدر بن عمار سحابٌ هطلٌ فيه ثوابٌ وعقابٌ

لأنه أخرج الرمل على « فاعلاتن » وأجرى جميع القصيدة على ذلك في الأبيات غير المصرفة ، وإنما جاء الشعر على « فاعلن » وإن كان أصله في الدائرة فاعلاتن .

* * *

٦ - ومنها استعمال الغريب الوحشي

وإذا كان المتنبي من المحدثين ، بل من العصريين ، وجرى على رسومهم في اختيار الألفاظ المعتادة المألوفة بينهم ، بل ربما انحط عنهم بالركافة والسفسفة ، ثم تعاطى الغريب الوحشي ، والشاذ البدوي ، بل ربما زاد في ذلك على أقحاح المتقدمين - حصل كلامه بين طرفي نقيض ، وتعرض لاعتراض الطاعنين .

فمن ذلك الفن الذي ينادي على نفسه ، ويقلق موقعه في شعره وشعر غيره من أبناء عصره - قوله [من الوافر] :

وما أرضى لمقلته بحلمٍ إذا انتهت توهمه ابتشاكاً

والابتشاك : الكذب ، ولم أسمع فيه شعراً قديماً ولا محدثاً سوى هذا البيت وقوله في وصف الغيث [من الوافر] :

لساحيه على الأجداث حفشٌ كأيدي الخيل أبصرت المخالي

الساحي : القاشر ، ومنه سميت المسحاة لأنها تقشر وجه الأرض ، والحفش : مصدر حفش السيل حفشاً ، إذا جمع الماء من كل جانب إلى مستنقع .

وقوله في وصف السيف [من الخفيف] :

ودقيقٌ قديّ الهباء أنيقٌ متوالٍ في مستوٍ هزّازٍ

قدي : بمعنى مقدار ، يقال : بينهما قيد رمح ، وقدي رمح .

وقوله [من الكامل] :

* تطسُ الخدود كما تطسن اليرمعا *

تطسن : أي تدق ، واليرمع : الحجارة الرخوة .

وقوله [من الكامل] :

وإلى حصى أرضٍ أقام بها بالنّاس منٌ تقيّلها يَلَلُ

الليل : إقبال الأسنان وانعطافها على باطن الفم ، ولم أسمع في غير شعره .

وقوله [من الكامل] :

* الشمس تشرق والسّحاب كنهوراً *

الكنهور : القطع من السحاب العظيمة .

وقوله [من البسيط] :

وكيف أستر ما أوليت من حسنٍ وقد غمرت نوالاً أيّها النّالُ

والنال : المعطي .

وقوله [من الوافر] :

* أسائلها عن المتديريها *

قال صاحب : لفظة « المتديريها » لو وقعت في بحر صاف لكدرته ، ولو

ألقي ثقلها على جبل سام لهده ، وليس للمقت فيها نهاية ، ولا للبرد معها غاية ،

المتديروها : المتخذوها داراً .

قال صاحب : ومن أطم ما يتعاطاه التفاصح بالألفاظ النافرة ، والكلمات الشاذة ، حتى كأنه وليد خباء ، وغذي لبن ، لم يطق الحضر ، ولم يعرف المدر ، فمن ذلك قوله [من الطويل] :

أيفطمه التوراب قبل فطامه ويأكله قبل البلوغ إلى الأكل^(١)
وليس ذلك سائغاً لمثله ، وهو وليد قرية ، ومعلم صبية .

ومن الجموع الغربية التي يوردها قوله في جمع الأرض [من الوافر] :
أروضُ الناس من تربٍ وخوفٍ وأرضُ أبي شجاعٍ من أمانٍ^(٢)
وقوله في جمع اللغة [من الطويل] :

* عليمٌ بأسرار الديانات واللّغى *

وقوله في جمع الدنيا [من الطويل] :

* أعزُّ مكان في الدنى سرج سابع *

وقوله في جمع الأخ [من الخفيف] :

* كلّ آخائه كرام بني الدنيا *

قال صاحب : لو وقع « الآخاء » في رائية الشماخ لاستثقل ، فكيف مع أبيات منها :

قد سمعنا ما قلت في الأحلام وأنلناك بدرةً في المنام^(٣)

(١) التوراب : لغة في التراب ، والترباء : الأرض .

(٢) أروض : جمع أرض .

(٣) البدرة : العطية ، وهي كيس من الدراهم ، أو صرة .

والكلام إذا لم يتناسب زيفته جهابذته ، وبهرجته نقاده .

* * *

٧ - ومنها الركافة والسفسفة بألفاظ العامة والسوقة ومعانيهم

كقوله [من الطويل] :

رمانى خساس الناس من صائب استه وآخر قُطنٌ من يديه الجنادل^(١)

وقوله [من الوافر] :

وإن ما ريتني فاركب حصاناً ومثلهُ تخرُّ له صريعاً^(٢)

وقوله [من الكامل] :

إن كان لا يدعى الفتى إلاّ كذا رجلاً فسمّ الناس طراً إصبعا

وقوله [من الوافر] :

قسا فالأسد تفزع من يديه ورق فنحن نفزع أن يذوبا

وقوله [من الوافر] :

تألم درزه والدرز لينٌ كما يتألم العضب الصنيعاً^(٣)

وعلى ذكر الدرز فقد حكى صاحب في كتاب الروزنامجة من حديث لحظة
الطولونية المغنية ما يشبه معنى هذا البيت ، وهو أنه قال : سمعتها تقول : يا

(١) خساس الناس : أقلهم قدراً . والإيست : المؤخرة .

والقطن : الذي تصنع منه الثياب ، والجنادل : الصخور .

(٢) ماريتني : جادلني .

(٣) الدرز : الخياطة ، والعضب : السيف .

جارية ، علي بالقميص المعمول في النسيج ، فقد آذاني نقل الدروز .

وقوله [من الخفيف] :

لسرى لباسه خشن القط من ومروي مرو لبس القروء

وقوله [من المجتث] :

ما أنصف القوم ضبه وأمّه الطرطبه^(١)

رموا برأس أبيه وباكوا الأم غلبه^(٢)

وقوله [من البسيط] :

بياض وجه يريك الشمس طالعةً ودرّ لفظ يريك الدرّ مخشلا^(٣)

وقوله [من الكامل] :

إن كان مثلك كان أو هو كائنٌ فبرئت حينئذ من الإسلام
قال صاحب : « حينئذ » ، ههنا من غير منفلت .

قال : ومن ركيك صنعه ، في وصف شعره ، والزراية على غيره ، قوله [من

الخفيف] :

إنّ بعضاً من القريض هراءٌ ليس شيئاً ، وبعضه أحكام

منه ما يجلب البراعة والذهب ، ومنه ما يجلب البرسام

وقال : وههنا بيت نرضى باتباعه فيه ، وما ظنك بمحكم مناويه ثقة بظهور

حقه وإبراء زنده ؟ ، ولولم يكن التحكيم بعد أبي موسى من موجب العزم ،

(١) القرطبه : القصيرة الضخمة .

(٢) باكوا : نزوا .

(٣) المخشلب : نبطية الأصل ليست عربية وتعني خرز من حجارة البحر وليس بدر .

ومقتضى الحزم ، وهو [من الطويل] :

أطعناك طوع الدهر يا بن ابن يوسف
بشهوتنا والحاسدو لك بالرغم
وقوله [من الخفيف] :

تقضمُ الجمر والحديد الأعادي
دونه قضم سكر الأهواز
وقوله [من الكامل] :

فكأنما حسيب الأسنّة حلوةٌ
أو ظنّها البرني والأزاد^(١)
قال صاحب : إذا جمع السكر إلى البرني والأزاد تم الأمر .

قال : وكانت الشعراء تصف المآزر ، تنزيهاً لألفاظها عما يستشنع ذكره ،
حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع إلى التصريح الذي لم يهتد له غيره فقال [من
الكامل] :

إنّي على شغفي بما في خمرها
لأعفُ عمّا في سراويلاتها
وكثير من العهر أحسن من هذا العفاف .

قال القاضي : ومن أمثاله العامية قوله [من المتقارب] :

وكلّ مكانٍ أتاه الفتى
على قدر الرجل فيه الخطى

* * *

ومنها إبعاد الاستعارة ، والخروج بها عن حدها

كقوله [من البسيط] :

مسرةٌ في قلوب الطيب مفرقتها
وحسرةٌ في قلوب البيض واليلب^(٢)

(١) البرني : نوع من التمر، وكذلك الأزاد .

(٢) اليلب : الجلد .

وقوله [من المنسرح] :

تجمعتُ في فؤادهمُ هممٌ ملء فؤاد الزمان إحداها

وقوله [من الكامل] :

لم يحك نائلك السحاب ، وإنما حمّت به فصبيها الرحضاء^(١)

وقوله [من البسيط] :

إلاّ يشبّ فلقد شابّت له كبْدُ شيئاً إذا خضبتَه سلوةً نصلاً

وقوله [من الطويل] :

وقد ذقت حلواء البنين على الصبّا فلا تحسبني قلت ما قلت عن جهل

فجعل للطيب والبيض واليلب قلوباً ، وللسحاب حمى ، وللزمان فؤاداً ،
وللكبد شيئاً ، وهذه استعارات لم تجر على شبه قريب ولا بعيد ، وإنما تصح
الاستعارة وتحسن على وجه من الوجوه المناسبة ، وطرق من الشبه والمقاربة .

قال صاحب : وما زلنا نتعجب من قول أبي تمام [من الكامل] :

لا تسقني ماء الملام [فأنني صبّ قد استعذبت ماء بكائي]

فخف علينا بحلواء البنين .

* * *

ومنها الاستكثار من قول « ذا »

قال القاضي : وهي ضعيفة في صنعة الشعر ، دالة على التكلف ، وربما

(١) الرحضاء : العرق إثر الحمى .

وافقت موضعاً تليق به فاكستت قبولاً ، فأما في مثل قوله [من الخفيف] :

قد بلغت الذي أردت من البرِّ ومن حق ذا الشريف عليكا
وإذا لم تسر إلى الدار في وقـتـك ذا خفت أن تسير إليكا
وقوله [من الكامل] :

لو لم تكن من ذا الوري للذمنك هو عقت بمولد نسلها حواء
وقوله [من الكامل] :

عن ذا الذي حرم الليوث كماله تنسى الفريسة خوفه لجمالهِ
وقوله [من المنسرح] :

وإن بكينا له فلا عجبُ ذا الجزر في البحر غير معهود^(١)
وقوله [من الطويل] :

أفي كلِّ يومٍ ذا الدمستق مقدمُ قفاه على الإقدام للوجه لائمُ
وقوله [من الطويل] :

أبا المسك ذا الوجه الذي كنت تائقاً إليه ، وذا الوقت الذي كنت راجياً
وقوله [من الطويل] :

*وأعجب من ذا الهجر ، والوصل أعجب *

وقوله [من البسيط] :

أريد من زمني ذا أن يبلغني ما ليس يبلغه في نفسه الزمنُ

(١) الجزرُ : رجوع ماء البحر إلى الوراء .

وقوله [من الطويل] :

* يضاحك في ذا اليوم كلَّ حبيبة *

فهو - كما تراه - سخافة وضعف ، ولو تصفحت شعره لوجدت فيه أضعاف
ما ذكرناه من هذه الإشارة ، وأنت لا تجد منها في عدة دواوين جاهلية حرفاً ،
والمحدثون أكثر استعانة بها ، لكن في الفرط والندرة ، أو على سبيل الغلط
والقلته .

* * *

ومنها الإفراط في المبالغة ، والخروج فيه إلى الإحالة

كقوله [من الوافر] :

ونالوا ما اشتهاوا بالحزم هوناً وصاد الوحش نملهم دبياً^(١)

وقوله [من البسيط] :

وضاقت الأرض حتى صار هاربهم إذا رأى غير شيء ظنَّه رجلاً
فبعده وإلى ذا اليوم لو ركضتُ بالخيال في لهوات الطفل ما سعلا

وقوله [من الوافر] :

وأعجب منك كيف قدرت تنشأ وقد أعطيت في المهد الكمالا
وأقسم لو صلحت يمين شيء لما صلح العباد له شمالا

وقوله [من الطويل] :

بمن أضرب الأمثال ؟ أم من أقيسه إليك وأهل الدهر دونك والدهر ؟

(١) الهون : الرفق والتأني والديب : مشي النمل .

وقوله [من الطويل] :

ولو قلمٌ ألقيت في شقِّ رأسه من السقم ما غيّرت من خطِّ كاتبٍ

وقوله [من البسيط] :

من بعد ما كان ليلي لا صباح له كأنَّ أوَّل يوم الحشر آخره

فهو مما يستهجن في صنعة الشعر ، على أن كثيراً من النقدة لا يرتضون هذا الإفراط كله .

* * *

ومنها تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين

كقوله [من الطويل] :

ومن جاهلٍ بي وهو يجهل جهله ويجهل علمي أنه بي جاهلٌ

وقوله في هذه القصيدة :

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل عيسٍ كلهنَّ قلاقل^(١)

قال صاحب : وما زال الناس يستبشعون قول مسلم [من الكامل] :

سلّت وسلّت ثم سلّ سليلها فأتى سليل سليلها مسلولا

حتى جاء هذا المبدع فقال [من الوافر] :

وأفجع من فقدنا من وجدنا قيل الفقد مفقود المثل

وأظن المصيبة في الراثي أعظم منها في المرثي .

(١) قلقل : حرك ، وقلاقل عيس : وهي النوق الخفيفة والعيس : الإبل .

وقوله [من الطويل] :

عظمتَ فلمّا لم تكلمْ مهابةً تواضعت وهو العظم عظمًا عن العظم

قال صاحب : وما أحسن ما قال الأصمعي لمن أنشده [من الطويل] :

فما للنوى جدّ النوى قطع النوى كذاك النوى قطاعةً لوصال

لوسلط الله تعالى على هذا البيت شاة فأكلت هذا النوى كله !

وقوله [من الطويل] :

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

وقوله [من الوافر] :

ولم أر مثل جيرانني ومثلي لمثلي عند مثلهم مقام

وقوله [من البسيط] :

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابن العارض الهتن^(١)

وقوله [من الطويل] :

وإنّي وإن كان الدفين حبيبه حبيبٌ إلى قلبي حبيبٌ حبيبي

وقوله [من الطويل] :

لك الخير غيري رام من غيرك الغنى وغيري بغير اللاذقية لاحق

وقوله [من المنسرح] :

ملولة ما تدوم ليس لها من ملل دائم بها ملل

(١) العارض الهتن : الغيم الممطر.

وقوله [من الوافر] :

قبيلُ أنت أنت وأنت منهم وجدك بشر الملك الهمام^(١)

وقوله [من الوافر] :

وكلكم أتى مأتى أبيه فكلُّ فعالٍ كلكم عجابُ

وقوله [من الطويل] :

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله ولكن شعري فيك من نفسه شعراً

وقوله [من الخفيف] :

إنما الناس حيث أنت ، وما لنا س بناسٍ في موضعٍ منك خالي

وقوله [من الطويل] :

ولولا تولى نفسه حمل حملة عن الأرض لانهدت وناء بها الحملُ

وقوله [من الوافر] :

ونهبُ نفوسٍ أهل النهب أولى بأهل النهب من نهب القماشِ

وقوله [من الطويل] :

* وطعنٍ كأنَّ الطعنَ لا طعنَ عنده *
* وطعنٍ كأنَّ الطعنَ لا طعنَ عنده *

وقوله [من الطويل] :

أراه صغيراً قدرها عظم قدره فما لعظيمٍ قدره عنده قدرُ

(١) قبيل : جماعة .

وقوله [من الوافر] :

جواب مسائلي ألهُ نظيرُ ولا لك في سؤالك لا ألا
قال صاحب : ما قدرت أن مثل هذا البيت يلج سمعاً ، وقد سمعت
الفأفاء ، ولم أسمع بالألاء ، حتى رأيت هذا المتكلف المتعسف ، الذي لا يقف
حيث يعرف .

* * *

ومنها إساءة الأدب بالأدب

كقوله [من الكامل] :

فغدا أسيراً قد بللت ثيابه بدمٍ ، وبلىَّ ببوله الأفخاذا

وقوله [من المتقارب] :

وما بين كاذتي المستغير كما بين كاذتي البائل^(١)

وقوله [من الطويل] :

خفى الله واسترَّ ذا الجمال ببرقعٍ فإن لحت حاضت في الخدور العوائق^(٢)
ويقال : لما أنكرت عليه « حاضت » غيره فجعله « ذابت » ، وذكر البول
والحيض مما لا يحسن وقوعه في مخاطبة الملوك والرؤساء .

وأقبح موقعاً من ذلك قوله في قصيدة يرثي بها أخت سيف الدولة ، ويعزيه
عنها حيث يقول [من البسيط] :

وهل سمعت سلاماً لي ألم بها فقد أطلت وما سلّمت عن كذب

(١) الكاذة : ما حول السوءة من ظاهر الفخذين ، أولحم مؤخرهما .

(٢) حاضت : من الحيض وهو معروف عند المرأة والعوائق : الكريمات من النساء .

وما باله يسلم على حرم الملوك ، ويذكر منهم ما يذكره المتغزل في قوله [من البسيط] :

يعلمن حين تحيَّ حسن مبسمها وليس يعلم إلا الله بالشنب^(١)

وكان أبو بكر الخوارزمي يقول : لو عزاني إنسان عن حرمة لي بمثل هذا لألحقته بها ، وضربت عنقه على قبرها ، قال صاحب : ولقد مررت على مرثية له في أم سيف الدولة تدل مع فساد الحس ، على سوء أدب النفس ، وما ظنك بمن يخاطب ملكاً في أمه بقوله [من الوافر] :

بعيشك هل سلوت فإن قلبي وإن جانبت أرضك غير سالي ؟
فيتشوق إليها ، ويخطيء خطأ لم يسبق إليه ، وإنما يقول مثل ذلك من يرثي بعض أهله ، فأما استعماله إياه في هذا الموضع فдал على ضعف البصر بمواقع الكلام ، وفي هذه القصيدة :

رواق العزّ فوقك مسبطر وملك عليّ ابنك في كمال^(٢)
ولعل لفظة الاسبطرار في مرثي النساء من الخذلان الرقيق الصفيق المتبر قال : ولما أبدع في هذه القصيدة واخترع قال :
صلاة الله خالقنا حنوط على الوجه المكفّن بالجمال
فلا أدري هذه الاستعارة أحسن أم وصفه وجه والدته ملك يرثيها بالجمال أم قوله في وصف قرابتها وجواربها .

أتتهنّ المصائب غافلات فدمع الحزن في دمع الدلال !؟

* * *

(١) الشنب : البارد من رضاها .

(٢) رواق العزّ : أي أروقته . ومسبطر : الممتدّ .

ومنها الايضاح عن ضعف العقيدة ورقة الدين

على أن الديانة ليست عياراً على الشعراء ، ولا سوء الاعتقاد سبباً لتأخير الشاعر ، ولكن للإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال به قولاً وفعلًا ونظماً ونثراً ، ومن استهان بأمره ، ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلق به في موضع استحقاقه ، فقد باء بغضب من الله تعالى ، وتعرض لمقته في وقته ، وكثيراً ما قرع المتنبّي هذا الباب بمثل قوله [من الخفيف] :

يترشّقن من فمي رشقاتٍ هنّ فيه أحلى من التوحيد
وقوله [من الطويل] :

ونصفي الذي يكنى أبا الحسن الهوى ونرضى الذي يسمى الإله ولا يكنى
وقوله من قصيدة مدح بها العلوي [من الطويل] :

وأبهر آيات التهامي أنّه أبوكم ، وإحدى مالكم من مناقب
وقوله [من الكامل] :

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثل الذي الأفلاك فيه والدُّنا
وقد أفرط جداً ؛ لأن الذي الأفلاك فيه والدنا هو علم الله عز وجل .
وقوله [من المنسرح] :

الناس كالعابدين آلهة وعبد كالموحد اللاها

وقوله [من الكامل] :

لو كان علمك بالآله مقسماً في الناس ما بعث الآله رسولا

أو كان لفظك فيهم ما أنزل الـ تورا والفرقان والإنجيلا
وقوله [من الكامل] :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرن شمساً
أو كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لأعيا عيسى
عازر : اسم الرجل الذي أحياه المسيح عليه الصلاة والسلام ، بإذن الله عز
وجل .

أو كان لجُ البحر مثل يمينه ما انشقَّ حتى جاز فيه موسى
وكان المعاني أعيته حتى التجأ إلى استصغار أمور الأنبياء ، وفي هذه القصيدة :
يا من نلوذ من الزمان بظلهُ أبداً ، ونطرد باسمه إيليسا
وقوله وقد جاز حد الإساءة [من مجزوء الرجز] :

أيُّ محلٍّ أرتقي؟! أيُّ عظيمٍ أتقي؟!
وكلُّ ما قد خلق الله وما لم يخلق
محتقراً في همّتي كشعرة في مفرقي^(١)
وقبيح بمن أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما حامل بول
وعذرة ، أن يقول مثل هذا الكلام الذي لا تسعه معذرة .

* * *

ومنها الغلط بوضع الكلام في غير موضعه

كقوله [من الوافر] :

أغار من الزجاجاة وهي تجري على شفة الأمير أبي الحسين

(١) مفرقي : أي مفرق الشعر في الرأس .

وهذه الغيرة إنما تكون بين المحب ومحبوه ، كما قال أبو الفتح كشاجم
وأحسن [من الوافر] :

أغار إذا دنت من فيه كأسٌ على درٍّ يقبله الزُّجاجُ
فأما الأمراء والملوك فلا معنى للغيرة على شفاهها !
وكقوله [من المتقارب] :

وغرَّ الدمستق قول الوشاة إنَّ علياً ثقیلاً وصیب^(١)

فجعل الأمراء يوشى بهم ، وإنما الوشاية السعاية ونحوها [من الرعية] ،
ومن شأن الممدوح أن يفضل على عدوه ، ويجري العدو مجرى بعض أصحابه
وليس في اللغة أن يقال : وشى فلان بالسلطان إلى بعض رعيته .

وكقوله في وصف الحمى المعركة [من الوافر] :

إذا ما فارقتني غسلتني كأننا عاكفان على حرام
وليس الحرام أخص بالاغتسال منه من الحلال .
وكقوله في وصف مهره [من الرجز] :

* وزاد في الأذن على الخرائق *^(٢)

وأذن الفرس يستحب فيها الدقة والانتصاب ، وتشبه بطرف القلم ، وأذن
الأرنب ، على الضد من هذا الوصف .

* * *

(١) وصب : مريض .

(٢) الخرائق : الأرناب .

ومنها امثال ألفاظ المتصوفة

واستعمال كلماتهم المعقدة ، ومعانيهم المغلقة ، في مثل قوله في وصف فرس [من الطويل] :

[وتسعدني في غمرة بعد غمرة] سبوح لها منها عليها شواهد^(١)
وقوله [من الوافر] :

إذا ما الكأس أرعشت الديدن صحت فلم تحل بيني وبينه
وقوله [من الطويل] :

أفيكم فتى حيٌ يخبرني عني بما شربت مشروبة الراح من ذهني
وقوله [من مخلع البسيط] :

نال الذي نلت منه مني لله ما تصنع الخمور!
وقوله [من الكامل] :

كبر العيان عليّ حتى إنه صار اليقين من العيان توهمًا
وقوله [من الكامل] :

وبه يضمن على البرية ، لا بها وعليه منها ، لا عليها ، يوسي
وقوله [من الوافر] :

ولولا أنني في غير نوم لكنت أظنني مني خيالا
قال صاحب : ولو وقع قوله [من الخفيف] :

نحن من ضايق الزمان له فيك ، وخاتته قربك الأيام

(١) غمرة : موقعة وحرب ، وسبوح : فرس .

في عبارات الجنيد والشبلى لتنازعه المتصوفة دهرأ بعيدا .

ومن أشد ما قاله في هذا المعنى قوله [من الطويل] :

ولكنك الدنيا إليّ حبيبةً فما عنك لي إلاّ إليك ذهابُ

* * *

ومنها الخروج عن طريق الشعر إلى طريق الفلسفة

كقوله [من الكامل] :

ولجدت حتى كدت تبخل حائلاً للمتهدى ، ومن السرور بكاءُ

وقوله [من الخفيف] :

والأسى قبل فرقة الروح عجزُ والأسى لا يكون قبل الفراقِ

وقوله [من الخفيف] :

إلف هذا الهواء أوقع في الآنفس أنّ الحمام مرُّ المذاقِ

وقوله [من البسيط] :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلاّ على شجبٍ والخلف في الشجب^(١)

فقليل : تخلص نفس المرء سالمةً ، وقيل : تشرك جسم المرء في العطبِ

وقوله [من الكامل] :

خلفت صفاتك في العيون كلامه كالخطّ يملأ مسمعي من أبصرا

(١) الشجب : الهلاك .

وقوله [من الوافر] :

تمتّع من سهادٍ أو رقاد ولا تأمل كرى تحت الرجام^(١)
فإنّ لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام
قال ابن جني : أرجو أن لا يكون أراد بذلك أن نومة القبر لا انتباه لها .

* * *

ومنها استكراه التخلص

قال القاضي : لعلك لا تجد في شعره تخلصاً مستكراهاً إلا قوله [من الوافر] :
أحبك أو يقولوا : جرّ نملٌ ثبيراً وابن إبراهيم ريعاً^(٢)
فأما قوله [من الطويل] :
فأفنى وما أفنته نفسي ، كأنما أبو الفرج القاضي له دونها كهفٌ
وقوله [من البسيط] :
لو استطعت ركبت الناس كلّهم إلى سعيد بن عبد الله بعرانا
وقوله [من الطويل] :
أعزّ مكانٍ في الدّنا سرج سابحٍ وخير جليسٍ في الزّمان كتاب^(٣)
وبحر أبو المسك الخضّم الذي له على كلّ بحرٍ زخرةٌ وعباب^(٤)
فهي وإن لم تكن مستحسنة مختارة فليست بالمستهجن الساقط .

* * *

(١) الرجام : الحجارة توضع على القبر .

(٢) ثبير : إسم جبل ، وابن إبراهيم : هو علي بن إبراهيم التنوخي مددوحيه ، وريعا : أي أخيف .

(٣) السابح : الحصان .

(٤) زخرة وعباب : كناية عن تفوّقه على غيره .

ومنها قبح المقاطع

كقوله بعد أبيات أحسن فيها غاية الإحسان ، وترقى الدرجة العالية ، وهي [من الطويل] :

ولله سرٌّ في علاك ، وإنّما أتلتمس الأعداء بعد الذي رأته
رأت كلّ من ينوي لك الغدر يتلّى
قضى الله يا كافور أنّك واحدٌ
فما لك تختار القسيّ ، وإنّما
وما لك تعني بالأسنة والقنا
ولم تحمل السيف الطويل نجاده
أرد لي جميلاً جدت أو لم تجد به
هذا البيت الذي هو عوذتها .

لو الفلك الدوّار أبغضت سعيه لعوّقه شيء عن الدوران

وقوله في قصيدة منها [من الكامل] :

في خطّه من كلّ قلبٍ شهوةٌ حتّى كأنّ مداده الأهواءُ
ولكلّ عينٍ قرّةٌ في قربه حتّى كأنّ مغيبه الأقداءُ (٣)
هذا البيت الذي جعله المقطع .

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو عقت بمولد نسلها حواءُ

(١) القسيّ : جمع قوس ، والثقلان : الجن والإنس .

(٢) نجاد السيف : حمائله ، والحدثان : الليل والنهار .

(٣) قرّة : من القرار ، وهو السكينة والهدوء ، والقذى : ما يقع في العين من أذى .

وكقوله في آخر القصيدة [من الكامل] :

خلت البلاد من الغزاة ليلها فأعاضهاك الله كي لا تحزننا^(١)

* * *

هذا آخر المقابيح والمعائب ، وأول المحاسن والروائع والبدائع والقلائد والفرائد التي زاد فيها على من تقدم ، وسبق جميع من تأخر .

* * *

فمنها حسن المطالع

كقوله [من الطويل] :

فدينك من ربعٍ وإن زدتنا كربا
فإنك كنت الشرق للشمس والغربا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامةً
لمن بان عنه أن نلّم به ركبا

وقوله [من الكامل] :

الرأي قبل شجاعة الشجعان
هو أولٌ، وهي المحلُّ الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفسٍ مرّةٍ
بلغت من العلياء كلَّ مكانٍ^(٢)

وقوله [من الطويل] :

إذا كان مدحُ فالنسيبُ المقدمُ
أكلُ فصيحٍ قال شعراً متيمٌ؟
لحبِّ ابن عبد الله أولى : فأنه
به يبدأ الذكر الجميل ويختمُ

وقوله [من البسيط] :

أعلى الممالك ما بينى على الأسلِ
والطعن عند محيَّهن كالقبلِ^(٣)

(٣) الأسل : الرماح .

(١) الغزاة : أي الشمس .

(٢) المرّة : القوية الثابتة .

وقوله [من الوافر] :

فؤادٌ ما تسليهُ المدام وعمرٌ مثل ما يهب اللثام

وقوله [من البسيط] :

أفاضل الناس أغراضٌ لذا الزمنِ يخلو من الهمٍ أخلاهم من الفطن^(١)

وقوله [من الكامل] :

اليوم عهدكمُ فأين الموعدُ هيهات ليس ليوم عهدكمُ غدٌ؟
الموت أقرب مخلباً من بينكمُ والعيش أبعد منكمُ لا تبعدوا

وقوله [من البسيط] :

المجد عوفي إذ عوفيت والكرمُ وزال عنك إلى أعدائك الألم

* * *

ومنها حسن الخروج والتخلص

كقوله [من البسيط] :

مرّت بنا بين تربيها فقلت لها : من أين جانس هذا الشادن العربيا^(٢)
فاستضحكت ثم قالت : كالمغيث يرى ليث الشرى وهو من عجلٍ إذا انتسبا

وقوله [من الطويل] :

وغيثٍ ظننا تحته أنٌ عامراً علا لم يمت أوفى السحاب له قبرٌ

وقوله [من الطويل] :

والأ فخانتنني القوافي ، وعاقني عن ابن عبيد الله ضعف العزائم

(١) أغراض : أهداف ، والفطن : الذكاء .

(٢) الشادن : الظبي إذا طلع قرنه .

إذا صلت لم أترك مصالاً لصائل . وإن قلت لم أترك مقالاً لعالم .

وقوله [من الطويل] :

نودّعهم والبين فينا كأثء قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق^(١)

وقوله [من الكامل] :

ومقانب بمقانب غادرتها أقوات وحش كن من أقواتها^(٢)
أقبلتها غرر البلاد كأنما أيدي بني عمران في جبهاتها
وقوله [من الكامل] :

حديق يذم من القواطل غيرها بدر بن عمار بن إسماعيل
وقوله [من المتقارب] :

ولو كنت في أسر غير الهوى ضمنت ضمان أبي وائل
فدى نفسه بضمن النصار وأعطى صدور القنا الذابل

* * *

ومنها النسيب بالأعرابيات

كقوله [من البسيط] :

من الجآذر في زيّ الأعراب حمر الحلّى والمطايا والجلابيب؟^(٣)
إن كنت تسأل شكاً في معارفها فمن بلاك بتسهيدي وتعذيب؟

(١) الفيلق : القطعة العظيمة من الجيش ، أو الرجل العظيم .

(٢) المقانب : جمع مقنب وهي الجماعة من الناس وأراد أنه لقي الأعداء بجيش عظيم مغادرهم طعمة للوحوش .

(٣) الجآذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية .

سوائِرُ ربّما سارت هواجها منيعةً بين مطعونٍ ومضروب
أي : لكثرة الرغبة فيهن ، وشدة الذب عنهن ، والمحاربة دونهن .

وربما وخذت أيدي المطيِّ بها على نجيعٍ من الفرسان مصبوب^(١)
كم زروقٍ لي في الأعراب خافية أدهى وقد رقدوا من زورة الذيب
أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنشي وبياض الصبح يغري بي
قد وقع التنبيه على حسن هذا البيت في شرف لفظه ومعناه ، وجودة تقسيمه ، وكونه
أمير شعره .

قد وافقوا الوحش في سكنى مراتبها وخالفوها بتقويضٍ وتظنيبٍ
فؤاد كلِّ محبٍّ في بيوتهم ومال كلِّ أخيدٍ المال محروب^(٢)
ما أوجه الحضر المستحسنات به كأوجه البدويّات الرعايب^(٣)
حسن الحضارة مجلوبٌ بتطرية وفي البداوة حسنٌ غير مجلوب
أفدي ظباء فلاقٍ ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمّام مائلة أوراكهن صقيلاتُ العراقيب^(٤)
ومن هوى كلِّ من ليست مموهة تركت لون مشيبي غير مخضوب
ومن هوى الصدق في قلبي وعادته رغبت عن شعرٍ في الوجه مكذوب

وناهيك بهذه الأبيات جزالة وحلاوة وحسن معادن .

وله طريقة ظريفة في وصف البدويات قد تفرد بحسنها وأجاد ما شاء فيها ،

(١) وخذت : سارت ، والنجيع : الدم السائل .

(٢) محروب : الذي أخذ جميع ماله .

(٣) الرعايب : جمع رعبوبة وهي الطويلة الممتلئة .

(٤) العراقيب : جمع عرقوب ، وهو العصب الغليظ فوق عقب الرجل .

فمنها قوله [من البسيط] :

هام الفؤاد بأعرابية سكنتُ بيتاً من القلب لم تضرب به طنباً
مظلومة القدّ في تشبيهه غصناً مظلومة الرّيق في تشبيهه ضرباً^(١)

وقوله [من الكامل] :

إن الذين أقمت واحتملوا أيامهم لديارهم دُولُ
الحسن يرحل كلّما رحلوا معهم ، وينزل حيثما نزلوا
في مقلتي رشاً تديرهما بدويّة فتنت بها الحلل
تشكو المطاعم طول هجرتها وصدودها ومن الذي تصل

وصفها بقلة الطعم ، وهي محمودة في نساء العرب .

ما أسأرت في القعب من لبنٍ تركته وهو المسك والعسل^(٢)
قالت ألا تصحو فقلت لها أعلمتني أنّ الهوى ثملُ

وقوله [من الطويل] :

ديار اللواتي دارهنّ عزيزةُ بطول القنا يحفظن لا بالتمائم^(٣)
حسان التثنّي ينقش الوشي مثله إذا مسنّ في أجسادهنّ النواعم
ويسمن عن درّ تقلّدن مثله كأنّ التراقي وشّحت بالمباسم^(٤)

* * *

(١) الضرب : بفتح الضاد والراء : الشهد ؛

(٢) السور : بضم فسكون ، ما فضل من الشرب في الإناء ، والقعب : الإناء .

(٣) التمام : جمع تميمية وهي عوذة تعلق على الصبي من العين .

(٤) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .

ومنها حسن التصرف في سائر الغزل

كقوله [من الكامل] :

قد كان يمنعني الحياء من البكا فالآن يمنعه البكا أن يمنعا
حتى كأن لكل عظم رنة في جلده ولكل عرق مدمعا
سفرت وبرقعها الحياء بصفرة سترت محاسنها ولم تك برقعا
فكأنها والدمع يقطر فوقها ذهب بسمطي لؤلؤ قد رصعا^(١)
كشفت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فارت ليالي أربعا^(٢)
واستقبلت قمر السماء بوجهها فارتني القمرين في وقت معا

وهي مما يتغنى به لرشاقتها وبلوغها كل مبلغ من حسن اللفظ وجودة المعنى ، واستحكام الصنعة .

وكقوله [من الوافر] :

أيدري الربع أي دم أراقا ؟ وأي قلوب هذا الركب شاقا ؟
لنا ولأهله أبدا قلوب تلاقي في جسوم ما تلاقي

معناه ينظر إلى قول ابن المعتز [من الرجز] :

إنّا على البعاد والتفرق لنلتقي بالذكر إن لم نلتقي

ومنها :

فليت هوى الأجنة كان عدلاً فحمل كل قلب ما أطاق^(٣)

(١) السمت : العقد .

(٢) الذوائب : خصلات الشعر في مقدمة الرأس .

(٣) عدلاً : منصفاً ، وأطاق : تحمل .

ومنها :

وقد أخذ التمام البدر فيهم وبين الفرع والقدمين نوراً
وطرفه إن سقى العشاق كأساً وخصرٍ تثبت الأحداق فيه

وأعطاني من السقم المحاقا يقود بلا أزمته النياقا^(١)
بها نقص سقانيها دهاقا^(٢) كأن عليه من حدقٍ نطاقا^(٣)

وقوله [من المنسرح] :

كأنما قدّها إذا انفطلت يجذبها تحت خصرها عجزاً
سكران من خمر طرفها ثملٌ كأنه من فراقها وجل^(٤)

وقوله [من الكامل] :

مثّلت عينك في حشاي جراحةً نفذت عليّ السابريّ ، وربّما
فتشابها كلتاها نجلاء^(٥) تندق فيه الصّعدة السّمراء^(٦)

وكقثوله [من الوافر] :

كأنّ العيس كانت فوق جفني لبسن الوشي لا متجملاتٍ
مناخاتٍ فلمّا ثرن سالا^(٧) ولكنّ كي يصنّ به الجمالا
وضفّرن الغدائر لا لحسنٍ ولكن خفن في الشعر الضّلالا

* * *

(١) الفرع : الشعر الأسود كناية عن الرأس .

(٢) دهاقاً : مملوءة .

(٣) النطاق : الإزار ، وما تضعه المرأة في خصرها .

(٤) الوجل : الخوف .

(٥) النجلاء : الواسعة .

(٦) السابريّ : الدرع ، والصعدة : حديدة الرمح .

(٧) العيس : النوق والإبل ، ثرن : أي مشين ، وسال : أي دمه .

ومنها حسن التشبيه بغير أداة التشبيه

كقوله [من الوافر] :

بدت قمراً ، ومالت غصن بانٍ وفاحت عنبراً ، ورنّت غزالاً^(١)

وقوله [من البسيط] :

ترنو إليّ بعينِ الطَّبْسيِ مجهشةً وتمسحِ الطلّ فوق الوردِ بالغنمِ^(٢)

وقوله [من الكامل] :

قمرأ ترى وسحابتين بموضعٍ من وجهه ويمينه وشماله

وقوله [من البسيط] :

أعارني سقم عينيه وحملني من الهوى ثقل ما تحوي مآزره

وقوله [من الوافر] :

عرفت نوائب الحدثان حتّى لو انتسبت لكنت لها نقيباً

وقوله [من الكامل] :

فأتيت معترماً ولا أسدُ ومضيت منهزماً ولا وعلُ

وقوله في وصف الخيل [من المتقارب] :

خرجنا من النقع في عارضٍ ومن عرق الركض في وابلٍ^(٣)

(١) رنت : نظرت .

(٢) العنم : شجر حجازي له نبت أحمر ، والعرب تشبّه به أصابع الحسان .

(٣) النقع : الغبار ، والعارض : الغيم . والوايل : الممطر .

وقوله [من الخفيف] :

وجيادٍ يدخلن في الحرب أعرا ءٌ ويخرجن من دمٍ في جلال^(١)
واستعار الحديد لوناً وألقى لونه في ذوائب الأطفال

* * *

ومنها الإبداع في سائر التشبيهات والتمثيلات

كقوله [من الطويل] :

وإنَّ نهاري ليلةٌ مدلهمةٌ على مقلةٍ من فقدكم في غياهبِ
بعيدة ما بين الجفون كأنما عقدتم أعالي كلِّ هذبٍ بحاجبِ

ذكر ابن جني أنه مثل قول بشار [من الوافر] :

جفت عيني عن التغميض حتّى كأنَّ جفونها عنها قصارُ

وذكر القاضي أنه مأخوذ من قول الطرمي في رطاناته [من الطويل] :

ورأسي مرفوعٌ إلى النجم كأنما قفائي إلى صلبي بخيطٍ غيظُ^(٢)

وقوله [من الطويل] :

كأنَّ رقيباً منك سدّ مسامعي عن العذل حتّى ليس يدخلها العذلُ

كأنَّ سهاد العين يعشق مقلي فبينهما في كلِّ هجرٍ لنا وصلُ

وقوله [من الطويل] :

رأيت الحمياً في الزجاج بكفه فشبهتها بالشمس في البدر في البحر^(٣)

(١) الجلال : جمع جل ، وهو للفرس كالبرذعة للحمار .

(٢) الصلب : عظم في الظهر من الكاهل إلى أسفل الظهر .

(٣) الحمياً : الخمر .

وقوله في الحمى [من الوافر] :

وزائرتي كأنَّ بها حياءَ فليس تزور إلا بالظلام
بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت في عظامي

وقوله في وصف الظبي [من الرجز] :

أَغْنَاهُ حَسَنُ الْجِيدِ عَنْ لِبْسِ الْحُلَى وَعَادَةُ الْعَرِيِّ عَنِ التَّفَضُّلِ^(١)

* كَأَنَّهُ مَضْمُخٌ بِصَنْدَلٍ *^(٢)

وقوله في سرعة الأوبة وتقليل اللبث [من الوافر] :

وما أنا غير سهمٍ في هواءٍ يعود ولم يجد فيه امتسكا
قال ابن جنى : قد اختلف أهل النظر في هذا الموضع ، فقال قوم : إن السهم
والحجر ونحوهما إذا رمي به صعدا فتناهى صعوده كانت له في آخر ذلك لبثة ما ، ثم
يتصوب منحدرأ . وقال آخرون : لا لبثة له هناك ، وإنما أول وقت انحداره وقت
صعوده .

وقوله - وهو أحسن ما قيل في وصف محنة نهكت صاحبها ، واشتدت به ، ثم
عاد إلى حال السلامة وقد هذبت تلك الحال وزادته صفاء وسهولة [من الوافر] :

وَرَبَّتْ شَفِيتٌ غَلِيلٌ صَدْرِي بِسِيرٍ أَوْ مَقَامٍ أَوْ حَسَامٍ
وَضَاقَتْ خَطَّةٌ فَخَرَجَتْ مِنْهَا خُرُوجُ الْخَمْرِ مِنْ نَسِجِ الْفَدَامِ^(٣)

وقوله وهو مما لم يسبق إليه [من الطويل] :

كَرِيمٌ نَفَضَتْ النَّاسَ لَمَّا لَقِيْتَهُ كَأَنَّهُمْ مَا جَفَّ مِنْ زَادٍ قَادِمٍ

(١) الجيد : العنق ، والتفضُّل : بقيَّة الشيء .

(٢) الصندل : شجر هندي أبيض الزهر ، خشبه طيب الرائحة .

(٣) الفدام : المصفاة .

وكاد سروري لا يفني بندا متي على تركه في عمري المتقادم
وقوله وهو من بدائع [من الوافر] :

رضوا بك كالرضا بالشيب قسراً وقد وخط النواصي والفروعاً^(١)
وقوله في وصف الشعر [من البسيط] :

إذا خلعت على عرض له حلاًلاً وجدها منه في أبهى من الحلل
بذي الغباوة من إنشادها ضرراً كما تضر ريار الورد بالجعل^(٢)
وذلك أن الجعل إذا طرح عليه الورد غشى عليه .

* * *

ومنها التمثيل بما هو من جنس صناعته

كقوله [من البسيط] :

وإنما نحن في جبل سواسية شر على الحر من سقم على البدن
حولي بكل مكان منهم خلق تخطي إذا جئت في استفهامها بمن

« من » إنما يستفهم بها عن يعقل ، يقول : هؤلاء كالبهائم ، فقولك لهم
« من أنتم » خطأ ، إنما ينبغي أن يقال لهم « ما أنتم » لأن موضع « ما » لما لا
يعقل ، ويحكى أن جريراً لما قال [من البسيط] :

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا
قال الفرزدق : ولو كان ساكنه قروداً ؟ فقال له جرير : لو أردت هذا لقلت ما كانا
ولم أقل من كانا .

(١) وخط : خالط ، والنواصي : جمع ناصية وهي شعر مقدم الرأس والفروع : الشعر الأسود .

(٢) الجعل : نوع من الخنافس .

وكقوله [من البسيط] :

نتاج رأيك في وقتٍ على عجلٍ كلفظ حرفٍ وعاه سامعٌ فهمٌ

وقوله [من البسيط] :

من اقتضى بسوى الهندي حاجتهُ أجاب كلَّ سؤالٍ عن هل بلمِ

وقوله [من الكامل] :

أمضى إرادته فسوف له قد واستقرب الأقصى فثمَّ له هنا

« سوف » للاستقبال ، و « قد » موضوعة للمضي ومقاربة الحال ، يقول :

إذا نوى أمراً فكأنما يسابق نيته ، وقوله [من الكامل] :

دون التعانق ناحلين كشكلتي نصبٍ أدقَّهما وضمَّ الشاكلُ

وقوله [من الوافر] :

ولولا كونكم في الناس كانوا هراءٌ كالكلام بلا معان^(١)

وقوله [من الطويل] :

قشيرٌ وبلعجان فيها خفيةُ كراءين في ألفاظ ألثغ ناطق^(٢)

وقوله [من الطويل] :

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً مضى قبل أن تلقى عليه الجوازُ

المضارع ما كان في أوله إحدى الزوائد الأربع ، مثل : أقوم ، ونقوم ونقوم ، ويقوم ، يقول : إذا نويت فعلاً أوقعته قبل فوته . وقبل أن يقال لم يفعل ، وأن

(١) الهراء : الذي لا معنى وراءه .

(٢) أراد بقوله ، بلعجان ، بنو العجلان .

يفعل ، وقوله [من الوافر] :

وكان ابنا عدو كاثرا له يآي حروف أنيسان

« أنيسان » تصغير إنسان وتحقيقه ، وإنسان عدد حروفه خمسة ، وهو اسم مكبر ، فإذا صغرته زدت عليه ياءين فزادت حروفه ونقص معناه ، فكذلك إذا كان لعدوه ابنان فكاثره بهما ، فيكونان زائدين في عدده ولكن ناقصين ، لسقوطهما وتخلفهما .

* * *

ومنها المدح الموجه

كالثوب له وجهان ما منهما إلا حسن ، كقوله [من الطويل] :

نهبت من الأعمار ما لو حوته لهنت الدنيا بأتك خالد

قال ابن جني : لو لم يمدح أبو الطيب سيف الدولة إلا بهذا البيت وحده لكان قد بقي فيه ما لا يخلقه الزمان ، وهذا هو المدح الموجه ، لأنه بنى البيت على ذكر كثرة ما استباحه من أعمار أعدائه ، ثم تلقاه من آخر البيت بذكر سرور الدنيا ببقائه ، واتصال أيامه ، وكقوله [من البسيط] :

عمر العدو إذا لاقاه في رهج أقل من عمر ما يحوي إذا وهبا^(١)
مال كان غراب البين يرقبه فكلمة قيل هذا مجتد نعبا^(٢)

وقوله [من المنسرح] :

تشرق تيجانه بفرته إشراق ألفاظه بمعناها

(١) الrehج : غبار الحرب .

(٢) المجتدي : السائل ، ونعب : صوت .

وقوله [من المنسرح] :

تشرق أعراضهم وأوجهم كأنما في نفوسهم شيمٌ

وقوله [من الطويل] :

إلى كم تردّ الرسل فيما أتوا له كأنهم فيما وهبت ملامٌ

وقوله [من الطويل] :

يخيّل لي أنّ البلاد مسامعي وأنيّ فيها ما تقول العواذلُ

وقوله [من البسيط] :

كانّ أسنهم في النطق قد جعلتُ على رماحهم في الطعنِ خرصانا^(١)

* * *

ومنها حسن التصرف في مدح سيف الدولة بجنس السيفية

كقوله [من المتقارب] :

لقد رفع الله من دولةٍ لها منك يا سيفها منصل^(٢)

وقوله [من الكامل] :

لولا سميّ سيوفه ومضاؤه لما سلّلت لكنّ كالأجفان

وقوله [من الطويل] :

عزاءك سيف الدولة المقتدى به فإتّك نصلٌ والشدائد للنصلِ

(١) خرصان : جمع خرّص ، وهو سنان الرمح .

(٢) المنصل : السيف .

وقوله [من البسيط] :

يَسْمَى الحسام وليست من مشابهة
كلّ السيوف إذا طال الضراب بها
وكيف يشبهه المخدم والخدم
يمسّها - غير سيف الدولة - السأم^(١)

وقوله [من الطويل] :

تهاب سيوف الهند وهي حدائدُ
فكيف إذا كانت نزاريةً عرباً

وقوله [من الطويل] :

تحير في سيفٍ : ربيعة أصله
وطابعه الرحمن ، والمجد صاقلُ

وقوله [من الخفيف] :

قلّد الله دولةً سيفها أنـ
فإذا اهتزّ للندى كان بحرأ
ت حساماً بالمكرمات محلّى
وإذا اهتزّ للعدا كان نصلاً

وقوله [من الطويل] :

وأنت حسام الملك والله ضاربُ
وأنت لواء الدّين والله عاقلُ

وقوله [من الطويل] :

لقد سلّ سيف الدولة المجد معلماً
على عاتق الملك الأغرّ نجاده
وإنّ الذي سمى علياً لمنصفُ
وما كلّ سيفٍ يقطع الهام حدةً
فلا المجد مخفيه ولا الضرب ثالمه^(٢)
وفي يد جبار السّموات قائمه^(٣)
وإنّ الذي سمّاه سيفاً لظالمه
وتقطع لزبات الزمان مكارمه^(٤)

(١) الضراب : من الضرب ، والسأم : الملل .

(٢) معلماً : واضحاً عالياً وثلمه : قطعه .

(٣) قائمه : قبضته .

(٤) الزبات : شدّته وقطعه .

وقوله [من الكامل] :

إنَّ الخليفة لم يسمَّكَ سيفهُ حتى بلاك فكنت عين الصارم^(١)
وإذا تتوَجَّ كنت درّة تاجه وإذا تختّم كنت فصّ الخاتم

وقوله [من الكامل] :

من للسيوف بأن تكون سميُّها في أصله وفرنديهِ ووفائهِ^(٢)
طبع الحديد فكان من أجناسه وعليّ المطبوع من آبائه

* * *

ومنها الإيداع في سائر مدائحه

كقوله [من الكامل] :

ملكٌ سنانٌ قناته وبنانه يتباريان دماً وعرفاً ساكبا
يستصغر الخطر الكبير لوفده ويظنُّ دجلة ليس تكفي شاربا
كالبدر من حيث التفت رأيتهُ يهدي إلى عينيك نوراً ثاقبا
كالشمس في كبد السماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقاً ومغارباً
كالبحر يقذف للقريب جواهرأ جوداً ، ويبعث للبعيد سحائباً

وقوله [من الكامل] :

ليس التعجب من مواهب ماله بل من سلامتها إلى أوقاتها
عجباً له حفظ العنان بأنملٍ ما حفظها الأشياء من عاداتها
لو مرّ يركض في سطور كتابه أحصى بحافر مهره ميماتها
كرمٌ تبين في كلامك مائلاً ويبين عتق الخيل في أصواتها^(٣)

(١) بلاك : اختبرك ، والصارم : السيف القاطع .

(٢) الفرند : السيف بالفارسية .

(٣) عتق الخيل : نجابتها .

أعيا زوالك عن محلّ نلته لا تخرج الأقمار من هالاتها

فيه مدح ، ومثل مضروب ، وتشبيه نادر .

ذكر الأنام لنا فكان قصيدة أنت البديع الفرد من أبياتها

وهذا البديع الفرد من أبيات هذه القصيدة ، وكقوله [من الطويل] :

وما زلت حتى قادني الشوق نحوه يسايرني في كل ركب له ذكر
وأستكبر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغر الخبر الخبر

هذا ضد قولهم « تسمع بالمعيدي خير من أن تراه » .

أزالت بك الأيام عتبي كأنما بنوها لها ذنب وأنت لها عذر
وكقوله [من الطويل] :

ألا أيها المال الذي قد أباده تعزّ فهذا فعله بالكتائب^(١)
لعلك في وقت شغلت فؤاده عن الجود أو أكثر جيش محارب

وقوله [من الخفيف] :

بعثوا الرعب في قلوب الأعادي فكأن القتال قبل التلاقي
وتكاد الظبا لما عودوها تنتضي نفسها إلى الأعناق
كلّ ذمير يزيد في الموت حسناً كبذور تمامها في المحاق^(٢)
كرم خشن الجوانب منهم فهو كالماء في الشّفار الرقاق^(٣)
ومعال إذا ادّعاها سواهم لزمته جناية السراق

(١) أباده : أنفقه ، والكتائب : جمع كتيبة وهي الفرقة من الجيش .

(٢) الذمير : الشجاع الظريف . والمحاق : سرار القمر وخفاؤه .

(٣) الشّفار : السيوف .

وكقوله [من الخفيف] :

خير أعضائنا الرعوس ولكن فضلتها بقصدك الأقدام

وكقوله [من المنسرح] :

قومٌ بلوغ الغلام عندهم كأنما يولد الندى معهم
إذا تولّوا عداوة كشفوا تظنُّ من فقدك اعتدادهم
إن برقوا فالحتوف حاضرة أو شهدوا الحرب لاقحاً أخذوا
أو حلفوا بالغموس واجتهدوا أو ركبوا الخيل غير مسرجة
تشرق أعراضهم وأوجههم أعيذك من صروف دهركم

وكقوله [من المنسرح] :

الناس ما لم يروك أشباه والجود عينٌ وأنت ناظرة
يا راحلاً كلَّ من يودّعه إن كان فيما تراه من كرم

وكقوله [من البسيط] :

تمشي الكرام على آثار غيرهم وأنت تخلق ما تأتي وتبتدع

(١) لاقحاً : هائجة .

(٢) خاب سائلي : هذه جملة يقولها أحدهم عندما يحلف ، مثل قول أحدنا « برئت من كذا » .

من كان فوق محلّ الشمس موضعه
وكقوله [من الطويل] :

فلما رأوه وحده دون جيشه
وكقوله [من الطويل] :

وأوردتهم صدر الحصان وسيفه
جواداً على العلات بالمال كلّه
وكقوله [من الطويل] :

أرى كلّ ذي ملكٍ إليك مصيره
إذا أمطرت منهم ومنك سحابة
وقوله [من الطويل] :

ودانت له الدنيا فأصبح جالساً
وكلُّ أناسٍ يتبعون إمامهم
وربّ جوابٍ عن كتابٍ بعثته
وكقوله [من الطويل] :

هم المحسنون الكرّ في حومة الوغى
ولولا احتقار الأسد شبّهتها بهم
وأحسن منهم كرّهم في المكارم^(١)
ولكنّها معدودة في البهايم

(١) العلات : كلّ الأحوال .

(٢) الطلّ : الندى ، والوابل : المطر .

(٣) القتّام : الغبار .

(٤) الكرّ : الهجوم والحرب .

وكقوله [من المنسرح] :

أغرّ أعداؤه إذا سلموا بالهرب استكثروا الذي فعلوا
إنك من معشرٍ إذا وهبوا ما دون أعمارهم فقد بخلوا
كتيبةٌ لست ربّها نفلٌ وبلدةٌ لست حليها عطلٌ^(١)

وكقوله [من المنسرح] :

لو كفر العالمون نعمته لما عدّت نفسه سجاياها^(٢)
كالشمس لا تبتغي بما صنعتُ منفعةً عندهم ولا جاها

وكقوله [من الطويل] :

فجاءت بنا إنسان عين زمانه وخلّت بياضاً خلفها ومآقيا^(٣)
وهذا أحسن ما يمدح به ملك اسود ، ولا نهاية لحسنه ، وشرف معناه ، وجودة
تشبيهه وتمثيله :

ترفع عن عون المكارم فعله فما يفعل الفعلات إلّا عذاريا^(٤)
أبا كلّ طيّبٍ ، لا أبا المسك وحده وكلّ سحاب لا أخصّ الغواديا
يدلّ بمعنى واحدٍ كلّ فاخرٍ وقد جمع الرحمن فيك المعانيا

ألم فيه بقول أبي نواس [من المجتث] :

كأنّما أنت شيءٌ حوى جميع المعاني

* * *

(١) النفل : الغنيمة ، والعطل : الخالية من الحليّ .

(٢) عدت : فارقت ، والسجايا : المزايا والصفايا .

(٣) إنسان العين : يؤبّوها .

(٤) العون : النصف من النساء ، وأراد هنا المكرمة التي لها مثال ونظير ، والعذارى : البكر من النساء ،

وأراد المكرمة التي ليس لها نظير .

ومنها مخاطبة الممدوح من الملوك

بمثل مخاطبة المحبوب والصديق ، مع الإحسان والإبداع

وهو مذهب له : تفرد به ، واستكثر من سلوكه ، اقتداراً منه ، وتبحراً في
الألفاظ والمعاني ، ورفعاً لنفسه عن درجة الشعراء ، وتدرجاً لها إلى مماثلة
الملوك ، في مثل قوله لكافور [من الطويل] :

وما أنا بالباغي على الحبّ رشوةً ضعيف هوىً يبغى عليه ثوابُ
وما شئت إلا أن أدلّ عواذلي على أن رأيي في هواك صوابُ
وأعلم قوماً خالفوني فشرقوا وغربتُ ، أني قد ظفرت وخابوا
إذا نلت منك الودّ فالمال هينُ وكلّ الذي فوق التراب ترابُ

وقوله له [وقد أهدها مهراً أسود] [من الطويل] :

فلولم تكن في مصر ما سرت نحوها بقلب المشوق المستهام المتيمّ

وقوله لابن العميد [يودعه] [من الطويل] :

تفضّلت الأيام بالجمع بيننا فلمّا حمدنا لم تدمنا على الحمدِ
فجدّ لي بقلبٍ إن رحلت فإنني مخلفٌ قلبي عند من فضله عندي

وقوله لعضد الدولة [من الوافر] :

أروح وقد ختمت على فؤادي بحبك أن يحلّ به سواكا
فلو أني استطعت حفظت طرفي فلم أبصر به حتّى أراكا

من قصيدة تشتمل على أبيات من هذا الطراز ، سأكتبها في آخر الباب .

وكقوله لسيف الدولة [من البسيط] :

ما لي أكتّم حبّاً قد برى جسدي وتدّعي حبّ سيف الدولة الأمّ ؟

إن كان يجمعنا حبٌ لغرته
يا أعدل الناس إلا في معاملتي
إذا رأيت نيوب الليث بارزةً
أعيدها نظراتٍ منك صادقةً
وما انتفاع أخى الدنيا بناظره
يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم
ما كان أخلقنا منكم بتكرمةٍ
إن كان سرُّكم ما قال حاسدنا
وبيننا ، لو رعيتم ذاك ، معرفةً
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم
ما أبعد العيب والنقصان من شرفي
ليت الغمام الذي عندي صواعقه
أرى النوى تقتضيني كلَّ مرحلةٍ
لئن تركنا ضميراً عن ميامننا
إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا
شر البلاد بلادٌ لا صديق بها
وشرُّ ما قنصته راحتي قنصُ

فليت أنا بقدر الحبِّ نقتسيمُ^(١)
فيك الخصام ، وأنت الخصم والحكم
فلا تظننَّ أنَّ الليث يتسم
أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورمُ
إذا استوت عنده الأنوار والظلمُ
واجدانا كلُّ شيءٍ بعدكم عدم
لو أنَّ أمركم من أمرنا أمم^(٢)
فما لجرح - إذا أرضاكم - ألم
إنَّ المعارف في أهل النُّهى ذممُ
ويكره الله ما تأتون والكرمُ
أنا الثريا وذان الشيب والهزم
يزيلهنَّ إلى من عنده الدِّيم^(٣)
لا تستقلَّ بها الوخادة الرِّسم^(٤)
ليحدثنَّ لمن ودَّعتهم ندم
ألا تفارقهم فالراحلون هم
وشرُّ ما يكسب الإنسان ما يصم^(٥)
شهب البزاة سواءٌ فيه والرخم^(٦)

(١) لغرته: لطلعته المضئية .

(٢) أخلقنا : أجددنا ، وأمم : قريب .

(٣) الدِّيم : السحاب الممطر .

(٤) النوى : الفراق والبعد ، والوخادة : النوق السريعة السير ، والرسم : جمع رسوم ، وهي الناقة التي

تؤثِّر في الأرض بأخفافها .

(٥) يصم : يلحق به العار .

(٦) الرخم : طائرٌ من الجوارح يشبه النسر .

وهي - على براعتها ، واستقلال أكثر أبياتها بأنفسها - تكاد تدخل في باب إساءة الأدب بالأدب ، وقد تقدم ذكره .

* * *

ومنها استعمال ألفاظ الغزل والنسيب في أوصاف الحرب والجد

وهو أيضاً مما لم يسبق إليه ، وتفرد به ، وأظهر فيه الحذق بحسن النقل ، وأعرب عن جودة التصرف والتلاعب بالكلام ، كقوله [من البسيط] :

أعلى الممالك ما يبني على الأسلِ والطعن عند محيِّهن كالقبلِ
وقوله ، وهو من فرائده [من الطويل] :

شجاعٌ كأنَّ الحربَ عاشقَةٌ له إذا زارها فدَّتْهُ بالخيـل والرجـل
وكقوله [من البسيط] :

وكم رجالٍ بلا أرضٍ لكثرتهم تركتَ جمعهم أرضاً بلا رجلٍ
ما زال طرفك يجري في دمائهم حتى مشى بك مشي الشارب الثملِ
وكقوله [من المنسرَح] :

والطَّعنُ شزراً والأرضُ واجفَةٌ كأنَّما في فؤادها وهل^(١)
قد صبغت خدَّها الدماءُ كما يصبغ خدَّ الخريـدة الخجل^(٢)
والخيـل تبكي جلودها عرقاً بأدمعٍ ما تسحَّها مقلُّ^(٣)

(١) الشزr : أي أن الطعن عن اليمين والشمال ، وواجفة : مضطربة ، والوهل : الخوف والرعب والذهل .

(٢) الخريـدة : الفتاة البكر .

(٣) تسحَّ : تدرف .

وكقوله [من الطويل] :

تعوّد أن لا تقضم الحبّ خيله إذا الهام لم ترفع جنوب العلائق^(١)
ولا ترد الغدران إلّا وماؤها من الدم كالريحان تحت الشقائق

وكقوله [من الكامل] :

فأتتك دامية الأطلّ كأنما حذيت قوائمها العقيق الأحمر
وإذا الحمائل ما يخدن بنفنفٍ إلّا شققن عليه برداً أخضر^(٢)

وكقوله [من الكامل] :

قد سوّدت شجر الجبال شعورهم فكأنّ فيه مسفة الغربان^(٣)
وجرى على الورق النجيع القاني فكأنّه النارج في الأغصان

وكقوله [من الوافر] :

حمى أطراف فارس شمريّ يحضّ على التباقي في التفاني^(٤)
بضربٍ هاج أطراب المنايا سوى ضربِ المثالث والمثاني
كأنّ دم الجماجم في العناصي كسا البلدان ريش الحيقطان^(٥)
فلو طرحت قلوب العشق فيها لما خافت من الحدق الحسان^(٦)

(١) العلائق : العلف الذي تعلق به .

(٢) يخدن : من الوخد وهو ضرب من السير السريع ، والنفنف : المفازة والمهوى .

(٣) المسفة : الدانية من الأرض ، وأسف الطائر : إذا دنا من الأرض في طيرانه .

(٤) شمريّ : فارس كثير التشمير ، أي الجدّ والسعي ، ويحضّ : يحثّ .

(٥) العناصي : جمع عنصوة وهو الشعر المتفرّق في جوانب الرأس ، والحيقطان : ذكر الدراج وريشه ملون .

(٦) يريد بقلوب العشق ، قلوب أهله .

وكقوله [من الطويل] :

كَرِعْنَ بِسَبْتٍ فِي إِنْاءٍ مِنَ الْوَرْدِ^(١)

* * *

ومنها حسن التقسيم

حكى أبو القاسم الأمدى في كتاب الموازنة بين شعري الطائيين ، قال :

سمع بعض الشيوخ من نقدة الشعر قول العباس بن الأحنف [من الطويل] :

وصالْكُمُ هَجْرٌ ، وَحُبُّكُمْ قَلْبِي وَعُظْفُكُمْ صَدٌّ ، وَسَلْمُكُمْ حَرْبٌ^(٢)

وَأَنْتُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ فِيكُمْ فِظَاظَةٌ وَكُلُّ ذُلُولٍ مِنْ مَرَاكِبِكُمْ صَعْبٌ^(٣)

فقال : والله هذا أحسن من تقسيمات إقليدس ، وقول أبي الطيب المتنبي في هذا

الفن أولى بهذا الوصف [من البسيط] :

ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملكٍ ملء الزمان وملء السهل والجبل

فنحن في جدلٍ ، والرُّومُ في وجلٍ والبرُّ في شغلٍ ، والبحرُ في خجلٍ^(٤)

وكقوله [من البسيط] :

الدَّهْرُ مَعْتَذِرٌ ، وَالسَّيْفُ مَنْتَظَرٌ وَأَرْضُهُمْ لَكَ مِصْطَافٌ وَمَرْتَبَعٌ

للسبي ما نكحوا ، والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا ، والنار ما زرعوا

وقوله [من الطويل] :

فلم يخلُ من نصرٍ له مَنْ له يدُ ولم يخل من شكرٍ له مَنْ له فمُ

(١) كرعن : شربن . ، والسبت : بكسر السين وسكون الباء ، جلود تدبغ بالقرط .

(٢) القلى : البغض .

(٣) الذلول : اللين السهل الانقياد .

(٤) الجدل : السرور والفرح ، والوجل : الخوف .

ولم يخل من أسمائه عود منبر
وقوله [من الوافر] :

قليلٌ عائدي ، سقمٌ فؤادي
عليل الجسم ممتنع القيام
كثيرٌ حاسدي ، صعبٌ مرامي^(١)
شديد السكر من غير المدام

وقوله [من المتقارب] :

بمصر ملوكٌ لهم ما له
فأجود من جودهم بخله
وأشرف من عيشهم موته
ولكنهم ما لهم همّة
وأحمد من حمدهم ذمّة
وأنفع من وجدهم عدمه

وقوله [من البسيط] :

لم نفتقد بك من مزنٍ سوى لثقي
ولا من الليث إلا قبح منظره
ولا من البحر غير الريح والسفن^(٢)
ومن سواه سوى ما ليس بالحسن

وقوله [من الطويل] :

يجلٌ عن التشبيه : لا الكفُّ لجةً
ولا جرحه يؤسى ، ولا غوره يرى
محلك مقصودٌ ، وشانيك مفحمٌ
ولا هو ضرغامٌ ، ولا الرأي مخذمٌ
ولا حدّه ينبو ولا يتثلّم^(٣)
ومثلك مفقود ، ونيلك خضرم^(٤)

(١) العائد : الزائر ، والمرام : الغاية والنيل .

(٢) المزن : السحاب الممطر ، واللثقي : تبلّل الثياب أو : الوحل .

(٣) غوره : عمقه وعبابه ، ينبو : لا يصيب ولا يقطع . ويتثلّم : يتقطّع .

(٤) الشانيء : المبغض ، والمفحم : المغلوب والمقهور . والخضرم : البحر العظيم ، والكثير من كلّ شيء .

وقوله [من الطويل] :

أذم إلى هذا الزمان أهيله فأعلمهم قدم ، وأحزمهم وغد^(١)
وأكرمهم كلب ، وأبصرهم عم ، وأسهدهم فهد ، وأشجعهم قرد^(٢)

وقوله [من الكامل] :

وغناك مسألة ، وطيشك نفحة^(٣) ورضاك فيشلة ، وربك درهم^(٤)

وقوله [من الخفيف] :

عربي لسانه ، فلسفي^(١) رأيه ، فارسيّة أعياده

وقوله [من الطويل] :

سقتني بها القطربلي^(٢) مليحة^(٣) على كاذب من وعدها ضوء صادق^(٤)
سهاد لأجفان ، وشمس لناظر^(٥) وسقم لأبدان ، ومسك لناشق^(٦)
وأغيد يهوى نفسه كل عاقل^(٧) ويهوى جسمه كل فاسق^(٨)

* * *

ومنها حسن سياقة الأعداد

كقوله [من الطويل] :

على ذا مضى الناس : اجتماع وفرقة^(١) وميت ومولود^(٢) ، وقال وواق^(٣)

(١) القدم : الجاهل والأحمق والوغد : الخبيث الماكر .

(٢) النفحة : الفورة والدفعة ، والفيشلة : القضيبة الضخم الرأس .

(٣) القطربلي : الخمر المنسوب إلى قطربل .

(٤) القال : الكاره ، والواق : العاشق .

وقوله [من الطويل] :

ألا أيها السيف الذي ليس مغمداً ولا فيه مرتابٌ ، ولا منه عاصمٌ^(١)
هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلأ وراجيك والإسلام أنك سالمٌ

وقوله [من الكامل] :

لا يستحي أحدٌ يقال له فضلوك آل بويه أو فضلوا^(٢)
قدروا عفوا ، وعدوا وفوا ، سئلوا أغنوا ، علّوا أعلّوا ، ولّوا عدّوا

وقوله [من قصيدة يمدح بها سيف الدولة] [من الطويل] :

وربّ جوابٍ عن كتابٍ بعثته وعنوانه للناظرين قتامٌ
حروف هجاء الناس فيه ثلاثةٌ : جوادٌ ، ورمحٌ ذابلٌ ، وحسامٌ^(٣)

لما سمى الجيش جواباً جعل حروفه جواداً ورمحاً وحساماً ، اقتداراً واتساعاً في
الصنعة ، وقوله [من البسيط] :

ومرهفٌ سرّتُ بين الجحفلين به حتى ضربت وموج الموت يلتطم
فالخيّل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال ابن جني : قد سبق الناس إلى ذكر ما جمعه في هذا البيت ، ولكن لم
يجتمع مثله في بيت ما علمت ، وقد قال البحتري [من الخفيف] :

اطلبا ثالثاً سواي فإنّي رابع العيس والدُجى والبيدِ

(١) عاصم : مانع .

(٢) فضلوك : غلبوك .

(٣) الرمح الذابل : الرمح الدقيق .

وهذا اللفظ عذب ، ولكن ليس فيه جميع ما في بيت المتنبي ، وقوله [من البسيط] :

أنت الجواد بلا منٍّ ولا كدرٍ ولا مطالٍ ولا وعدٍ ولا مذلٍّ^(١)

وقوله [من المنسرح] :

بي حرٌّ شوقٍ إلى ترشُّفها يفصل الصبر حين يتصلُّ
فالثغر والفجر والمخلخل والـ معصم دائي ، والفاحم الرجلُ^(٢)

وقوله [من الطويل] :

ولكنَّ بالفسطاط بحرًا أزرته حياتي ونصحي والهوى والقوافيا^(٣)

وقوله [من الطويل] :

أميناً وإخلاقاً وغدرا وخسةً وجبناً، أشخصاً لحت لي أم مخازيا؟^(٤)

ومنها إرسال المثل في أنصاف الأبيات

كقوله [من الطويل] :

* مصائب قومٍ عند قومٍ فوائدُ *

وقوله [من الطويل] :

* ومن قصد البحر استقلَّ السواقيا *

وقوله [من الطويل] :

* وخير جليسٍ في الزمان كتابُ *

(١) المنّ : تعداد الفضل في كلّ مناسبة والمذلّ : الضجر والقلق .

(٢) الفاحم الرجلُ : الشعر المسترسل المنسرح .

(٣) أزرته : منحته .

(٤) المين : الكذب .

وقوله [من البسيط] :

* إِنَّ المعارف في أهل النَّهي ذمُّ *

وقوله [من البسيط] :

* وَرَبِّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ *

وقوله [من الوافر] :

* وَفِي الْمَاضِي لِمَنْ بَقِيَ اعْتِبَارُ *

وقوله [من المتقارب] :

* وَتَأْبَى الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقلِ *

وقوله [من المتقارب] :

* وَمَنْفَعَةُ الْغَوْثِ قَبْلَ الْعَطْبِ *

وقوله [من الكامل] :

* هِيَهَاتُ تَكْتُمُ فِي الظَّلَامِ مَشَاعِلُ *

وقوله [من المنسرح] :

* وَمَخْطِئُ مَنْ رَمَاهُ الْقَمَرُ *

وقوله [من الوافر] :

* وَمَا خَيْرُ الْحَيَاةِ بِلَا سُرُورِ *

وقوله [من البسيط] :

* بِجَبْهَةِ الْعَيْرِ يَفْدِي حَافِرَ الْفَرَسِ *

وقوله [من المتقارب] :

* ولا رأي في الحب للعاقل *

وقوله [من الطويل] :

* ولكن طبع النفس للنفس قائد *

وقوله [من البسيط] :

* وليس يأكل إلا الميت الضبع *

وقوله [من الخفيف] :

* كل ما يمنح الشريف الشريف *

وقوله [من المنسرح] :

* والجوع يرضي الأسود بالجيف *

وقوله [من المتقارب] :

* ومن فرح النفس ما يقتل *

وقوله [من الطويل] :

* ويستصحب الإنسان من لا يلائمه *

وقوله [من البسيط] :

* إن النفيس غريبٌ حيثما كانا *

وقوله [من الكامل] :

* فمن الرديف وقد ركب غصنفرًا *

وقوله [من الطويل] :

* إذا عظم المطلوب قلّ المساعد *

وقوله [من البسيط] :

* ومن يسدّ طريق العارض الهطل *

وقوله [من الوافر] :

* وأدنى الشّرك في نسبٍ جوار *

وقوله [من الطويل] :

* وفي عنق الحسناء يستحسن العقد *

وقوله [من الطويل] :

* لا تخرج الأقمار من هالاتها *

وقوله [من الرجز] :

* إنّ النفوس عدد الأجال *

وقوله [من الطويل] :

* ولكنّ صدم الشرّ بالشرّ أحزم *

وقوله [من البسيط] :

* أنا الغريق فما خوفي من البلل *

وقوله [من الطويل] :

* أشدّ من السُّقم الذي أذهب السّقام *

وقوله [من الوافر] :

* فَإِنَّ الرِّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابٌ *

وقوله [من الكامل] :

* إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْحَبِيبِ كَثِيرٌ *

وقوله [من الطويل] :

* بَغِيضٌ إِلَيَّ الْجَاهِلُ الْمُتَعَاقِلُ *

وقوله [من البسيط] :

* وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْمَخْلَبِ السَّبْعُ *

وقوله [من البسيط] :

* وَلِلسَّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالُ *

وقوله [من البسيط] :

* فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يَغْنِيكَ عَنْ زَحَلٍ *

وقوله [من الوافر] :

* فَأَوَّلُ قَرْحِ الْخَيْلِ الْمَهَارُ *

وقوله [من البسيط] :

* وَالْبِرُّ أَوْسَعُ وَالْدُنْيَا لِمَنْ غَلَبَا *

وقوله [من البسيط] :

* لَيْسَ التَّكْحَلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحَلِ *

وقوله [من الكامل] :

* ويبين عتق الخيل في أصواتها *

* * *

ومنها إرسال المثالين في مصراعي البيت الواحد

كقوله [من الطويل] :

وكلُّ امرئٍ يولي الجميل محبِّبٌ وكلُّ مكانٍ ينبت العزَّ طيِّبٌ

وقوله [من المنسرح] :

في سعة الخافقين مضطربٌ وفي بلادٍ من أختها بدل

وقوله [من الكامل] :

الحبُّ ما منع الكلام الألسنا وألذُّ شكوى عاشقٍ ما أعلننا

وقوله [من الخفيف] :

ذلٌّ من يغبط الذليل بعيشٍ ربُّ عيشٍ أخفُّ منه الحمام^(١)
من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرحٍ بميتٍ إيلاُمٌ

وقوله [من الطويل] :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكنَّ أمانيا

وقوله [من البسيط] :

أفاضل الناس أغراضٌ لذا الزمن يخلو من الهمِّ أخلاهم من الفطن

(١) يغبط الذليل : أي يتمنى مثل عيشه ويكاد يحسده عليه ، والحمام : الموت .

وقوله [من الطويل] :

وأتعب من ناداك من لا تجيبه وأغيط من عاداك من لا تشاكلُ

وقوله [من البسيط] :

لا تشتتر العبد إلا والعصا معه إن العبد لأنجاسُ مناكيدُ

وقوله [من الطويل] :

إذ أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردًا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى
وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحرّ الذي يحفظ اليدا
وقيدت نفسي في ذراك محبةً ومن وجد الإحسان قيداً تقيداً

* * *

ومنها إرسال المثل والاستملاء والموعظة

وشكوى الدهر والدنيا والناس

وما يجري مجراها .

كقوله [من الطويل] :

وما الجمع بين الماء والنار في يدي بأصعب من أن أجمع الجدّ والفهما

وقوله [من الكامل] :

يخفي العداوة وهي غيرُ خفيةٍ نظرُ العدو بما أسِرُّ يبوحُ

وقوله [من المنسرح] :

والأمر لله ، ربُّ مجتهدٍ ما خاب إلاّ لأنّه جاهد^(١)

(١) جاهد : راغب في عمله ومثابر عليه .

وقوله [من الطويل] :

إليك فإني لست ممّن إذا اتقى عضاض الأفاعي نام فوق العقارب

وقوله [من الكامل] :

خير الطيور على القصور ، وشرّها يأوي الخراب ويسكن الناووساً^(١)

وقوله [من البسيط] :

ليس الجمال لوجهٍ صحّ مارنه أنف العزيز بقطع العزّ يُجتدعُ^(٢)

وقوله [من الوافر] :

وليس يصح في الأنهام شيءٌ إذا احتاج النهار إلى دليلٍ

قال ابن جني : هذا كما يقول أهل الجدل « من شك في المشاهدات فليس بكامل العقل » .

وقوله [من الطويل] :

وقد يتزيّا بالهوى غير أهله ويستصحب الإنسان من لا يلائمه

وقوله [من الطويل] :

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا إذا لم يكن فوق الكرام كرامٌ

وقوله [من البسيط] :

ما كلُّ ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفنُ

(١) الناووس : القبر .

(٢) مارنه : لين جلده . يجتدع : يقطع ويرغم .

وقوله [من الكامل] :

وأحبُّ أُنِّي لو هويت فراقكمُ فارقتَه والدَّهرُ أحبُّ صاحبِ

وقوله [من الكامل] :

من خصَّ بالذمِّ الفراقُ فأنِّي من لا يرى في الدَّهرِ شيئاً يحمِدُ

وقوله [من الطويل] :

ومن نكد الدنيا على الحرِّ أن يرى عدواً له ما من صداقته بدُّ^(١)

وقوله [من الخفيف] :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبتُ في مرادها الأجسامُ

وقوله [من الكامل] :

تلفَ الذي اتخذ الشجاعة جنةً وعظ الذي اتخذ الفرار خليلاً^(٢)

وقوله [من الطويل] :

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً فأفعاله اللاتي سررن ألوفُ

وقوله [من الكامل] :

وإذا خفيتُ على الغبيِّ فعاذرُ أنْ لا تراني مقلّةُ عمياءُ

وقوله [من البسيط] :

إن كنت ترضى بأن يعطوا الجزى بذلوا منها رضاك ومن للعبور بالحوّلِ !؟

(١) النكد : البلاء والقهر .

(٢) الجنة : الدرع ، والخليل : الصاحب .

وقوله [من الوافر] :

فأجرك الإله على مريضٍ بعثت به إلى عيسى طيباً

وقوله [من الوافر] :

إذا أتت الإساءة من لئيمٍ ولم أَلَمِ المسيءَ فَمَنْ أَلومُ

وقوله [من الكامل] :

وإذا أتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بآتي فاضلُ

وقوله [من المتقارب] :

إذا ما قدرت على نقطةٍ فإني على تركها أقدرُ

وقوله [من الخفيف] :

واحتمال الأذى ورؤية جانيه هـ غذاءٌ تضوى به الأجسام^(١)

وقوله [من الكامل] :

وتوهموا اللعب الوغى والطعن في الـ هيجاء غير الطعن في الميدانِ

وقوله [من الخفيف] :

وإذا ما خلا الجبان بأرضٍ طلب الطعن وحده والنزالا

وقوله [من الخفيف] :

ومن الخير بطةٌ سيبك عني أسرع السحب في المسير الجهام^(٢)

(١) تضوى : تهزل .

(٢) السيب : العطاء ، والجهام : القاتم .

وقوله [من الطويل] :

وليس الذي يتبع الوبل رائداً كمن جاءه في داره رائد الوبل

وقوله [من المنسرح] :

أبلغ ما يطلب النجاح به السطع ، وعند التعمق الزلل

وقوله [من البسيط] :

كم مخلص وعلاً في خوض مهلكة وقتلة قرنت بالذم في الجبن

وقوله [من المتقارب] :

وما قلت للبدر أنت اللجين ولا قلت للشمس أنت الذهب
ومن ركب الثور بعد الجوا د أنكر أظلافه والغيب^(١)

وقوله [من البسيط] :

فقر الجهول بلا قلب إلى أدب لا يعجبن مضيماً حسن بزته
فقر الحمار بلا رأس إلى رسن وهل يروق دفيناً جودة الكفن

وقوله [من الوافر] :

إذا ما الناس جرّبهم لبيب فلم أر ودّهم إلا خداعاً
فإنّي قد أكلتهم وذاقا ولم أر دينهم إلا نفاقاً

وقوله [من الطويل] :

ذريني أنل ما لا ينال من العلا فصعب العلاف في الصّعب والسهل في السهل
تريدن لقيان المعالي رخيصة ولا بدّ دون الشهد من إبر النحل

(١) الغيب : اللحم المتدلي تحت الحنك من الناس والبقر والديكة .

وقوله [من الطويل] :

وإن كان لا يغني فتيلاً ولا يجدي
ولكنه غيظ الأسير على القد^(١)

تمنّ يلدّ المستهام بمثله
وغيظ على الأيام كالنار في الحشا

وقوله [من الكامل] :

وعداوة الشعراء بشّ المقتني
ضيفٌ يجرُّ من الندامة ضيفنا

ومكائد السفهاء واقعةٌ بهم
لعت مقاربة اللثيم فإنها

وقوله [من الطويل] :

وإن كثرت في عين من لا يجربُ
وأعضائها فالحسن عنك مغيب^(٢)

وما الخيل إلا كالصديق قليلة
إذا لم تشاهد غير حسن شياتها

وقوله [من الكامل] :

عَمّا مضى منها وما يتوقّع
ويسومها طلب المحال فتطمع^(٣)

تصفو الحياة لجاهلٍ أو غافلٍ
ولمن يغالط في الحقائق نفسه

كأنه مأخوذ من قول لبيد [من الرمل] :

إنّ صدق النفس يزري بالأمل

أكذب النفس إذا حدثتها

وكفوله [من الطويل] :

وقصّر عما تشتهي النفس وجده
فينحلّ مجدّ كان بالمال عقده

وأتعب خلق الله من زاد همّه
فلا ينحلل في المجد مالك كلّّه

(١) القدّ : القيد .

(٢) الشية : العلامة .

(٣) يسومها : يكلّفها .

ودبّره تدبير الذي المجد كفّه
فلا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله
إذا كنت في شكّ من السيف فابله
وما الصارم الهندي إلاّ كغيره

وقوله [من الخفيف] :

إنّما تنجح المقالة في المر
وإذا الحلم لم يكن في طبع
إنّما أنت والدّ، والأب القا

وقوله [من الطويل] :

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له
وما بلد الإنسان غير الموافق
وجائزة دعوى المحبّة والهوى
وما يوجع الحرمان من كفّ حارم

وقوله [من الخفيف] :

إنّما أنفس الأنيس سباع
من أطاق التماس شيء غلاباً
كلّ غادر حاجة يتمنى

وقوله [من البسيط] :

لولا المشقّة ساد الناس كلّهم

إذا حارب الأعداء والمال زنده
ولا مال في الدنيا لمن قلّ مجده
فأمّا تنفيّه وإما تعدّه^(١)
إذا لم يفارقه النجاد وغمده^(٢)

ء إذا وافقت هوى في الفؤاد
لم يحلّم تقادم الميلاد
طع أحنى من واصل الأولاد

إذا لم يكن في فعله والخلاق
ولا أهله الأدنون غير الأصادق
وإن كان لا يخفى كلام المنافق
كما يوجع الحرمان من كفّ رازق

يتفارسن جهرةً واغتيالاً
واقتساراً لم يلتمسه سؤالاً
أن يكون الغضنفر الرثبلاً^(٣)

الجود يفقر والإقدام قتال

(١) أبله : اختيره من البلاء .

(٢) الصارم : السيف القاطع ، والهندي : نسبة إلى بلاد الهند .

(٣) الغضنفر الرثبلاً : أي الأسد الشجاع .

وقلّما يبلغ الإنسان غايته
 إنّنا لفي زمنٍ تركُ القبيح به
 ذكر الفتى عمره الثاني ، وحاجته
 ما كلّ ماشيةً بالرجل شمالاً^(١)
 من أكثر الناس إحساناً وإجمالاً
 ما قاته ، وفضول العيش أشغال

وقوله [من الوافر] :

يرى الجبناء أنّ العجز حزمٌ
 وكلُّ شجاعةٍ في المرء تغني
 قيل له : أنى يكون الشجاع حكيماً ؟ فقال : هذا علي بن أبي طالب كرم الله
 وجهه ! .
 وتلك خديعة الطبع اللثيم
 ولا مثل الشجاعة في الحكيم

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً
 ولكن تأخذ الأذهان منه
 وآفته من الفهم السقيم
 على قدر القرائح والعلوم

وقوله [من الكامل] :

ولقد رأيت الحادثات فلا أرى
 والهمُّ يخترم الجسم نحافةً
 ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
 لا يخدعنك من عدوٍّ دمه
 لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
 يقفأ يميت ولا سواداً يعصم^(٢)
 ويشيب ناصية الصبي ويهرم^(٣)
 وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
 ورحم شبابك من عدوٍّ يرحم
 حتّى يراق على جوانبه الدم

(١) الشمال : السريع .

(٢) اليق : الشديد البياض ، يقول : البياض في الشعر لا يكون سبباً في الموت فقد يعيش الشيخ ،
 وسواد الشعر لا يكون سبباً في الحياة فقد يموت الشاب .

(٣) يخترم : يصيب ، واخترم الشيء : ترك فيه خرمًا من جانب إلى جانب ، والناصية : شعر مقدّم
 الرأس .

قال ابن جنى : أشهد بالله لو لم يقل غير هذا البيت لتقدم به أكثر المحدثين .

وهذه الأبيات كلها غرر وفرائد ، لا يصدر مثلها إلا عن فضل باهر ، وقدرة على الإبداع ظاهرة .

والظُّلم من شيم النفوس ، فإنَّ تجدَّ
ومن البليَّة عدل من لا يرعوي
ومن العداوة ما ينالك نفعه
وقوله [من الطويل] :

أرى كلُّنا يبغي الحياة لنفسه
فحبَّ الجبان النفس أوردته التُّقى
ويختلف الرزقان والفعل واحدٌ
وقوله [من الوافر] :

وفيك إذا جنى الجاني أناة
بنو كعب وما أثرت فيهم
بها من قطعه ألم ونقص
لهم حقٌّ بشركك في نزار
لعلَّ بنيتهم لبنيك جندٌ
وما في سطوة الأرباب عيبٌ

تظنَّ كرامةً وهي احتقار^(١)
يدٌ لم يدمها إلاَّ السَّوار
وفيها من جلالته افتخار
وأدنى الشَّرْك في نسبٍ جوارُ
فأول قرَح الخيل المهار^(٢)
ولا في ذلَّة العبدان عار^(٣)

(١) الصبّ : العاشق .

(٢) الأناة : التصبُّر وطول البال .

(٣) القرَح : جمع قارح ، وهو ما بلغ التاسعة من عمره من ذوات الحافر ، والمهار : جمع مهر .

(٤) العبدان : أحد جموع العبد ، والسطوة : القوَّة والبسطة .

وقوله [من البسيط] :

أجاب كلَّ سؤالٍ عن هل بلم
بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم
فإنَّما يقظات العين كالحلم
شكوى الجريح إلى الغربان والرحم
ولا يغرنك منهم ثغر مبتسم
في غير أمته من سائر الأمم
فسرهم وأتيناها على الهرم

من اقتضى بسوي الهندي حاجته
ولم تزل قلّة الانصاف قاطعةً
هوناً على بصيرٍ ما شقّ منظره
لا تشكون إلى خلقٍ فتشمته
وكن على حذرٍ للناس تستره
وقتٍ يضيع وعمرٌ أنت مدته
أتى الزمان بنوه في شببته

وقوله [من الكامل] :

هو أوّلٌ، وهي المحلُّ الثاني
بلغت من العلياء كلَّ مكان
بالرأي قبل تطاعن الأقران^(١)
أدنى إلى شرفٍ من الإنسان^(٢)

الرأي قبل شجاعة الشجعان
فاذا هما اجتماعاً لنفسٍ مرّةً
ولربّما طعن الفتى أقرانه
لولا العقول لكان أدنى ضيغمٍ

وقوله [يمدح كافوراً] [من الطويل] :

فكلُّ بعيدٍ لهم فيها معذبٌ !
ولا أشتكى فيها ولا أتعبُ !
ولكن قلبي ، يا ابنة القوم ، قلبٌ
بغيضاً ثنائي أو حبيباً تقربُ ؟

لحا الله ذي الدنيا مناخاً لراكبٍ
ألا ليت شعري هل أقول قصيدةً
وبى ما يذود الشعر عني أقلّه
أما تغلط الأيام فيّ بأن أرى

(١) القرين : المثل والنظير ، والأقران :

(٢) الضيغم : المفترس من الحيوانات .

وقوله [يمدحه أيضاً] [من الطويل] :

أبي خُلِقَ الدُّنْيَا حَبِيباً تَدِيمُهُ
وَأَسْرَعَ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغْيِيراً

وقوله [يمدحه أيضاً] [من الطويل] :

إِذَا سَاءَ فَعَلَ الْمَرْءُ سَاءَتْ ظَنُونُهُ
وَعَادِي مَحْبِيهِ يَقُولُ عِدَاتُهُ
ومنها :

وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ
وَلَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ بِمَتَمٍّ

ومنها :

فَأَحْسَنُ وَجْهِهِ فِي الْوَرَى وَجْهَ مُحْسِنٍ
وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هَمٍّ
لَمَنْ تَطَلَّبَ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَرُدَّ بِهَا

وقوله [يمدح المغيث بن علي العجلي] [من الوافر] :

فَوَادُ مَا تَسْلِيهِ الْمَدَامُ
وَدَهْرُ نَاسِهِ نَاسُ صَغَارُ
وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْعِيشِ فِيهِمْ
وَشَبَّهِ الشَّيْءِ مَنْجَذِبُ إِلَيْهِ
وَلَوْ لَمْ يَعْلَمْ إِلَّا ذُو مُحَلٍّ
وَعَمْرُ مِثْلِ مَا يَهَبُ اللَّثَامُ
وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ جِثْتُ ضَخَامُ
وَلَكِنْ مَعْدَنُ الذَّهَبِ الرُّغَامُ^(١)
وَأَشْبَهْنَا بِدُنْيَانَا الطَّغَامُ^(٢)
تَعَالَى الْجَيْشُ وَانْحَطَّ الْقَتَامُ^(٣)

(١) الرغام : التراب .

(٢) الطغام : أرذال الناس .

(٣) القتام : الغبار .

ولو حَيَزَ الحفاظ بغير عقلٍ تجنَّبَ عنقَ صيقله الحسام^(١)
وقوله [من الخفيف] :

أبدًا تستردّ ما تهب الدنـ يا فيا ليت جودها كان بخلا
فكفّت كون فرحة تورث الغـ مَ وخلّ يغادر الوجد خلا
وهي معشوقة على الغدر لا تحـ فظ عهداً ولا تتمّ وصلا
كلّ دمع يسيل منها عليها وبفكّ اليدين عنها تخلّى
أي : كل من أبكته الدنيا فإنما يبكي لفوت شيء منها ، ولا يخليها الإنسان إلا قسراً
بفكّ يديه .

وفي هذه القصيدة :

شيم الغانيات فيها فلا أدري لذا أتت اسمها الناس أم لا ؟
ولذيذ الحياة أنفس في النـ س وأشهى من أن يملّ وأحلى
وإذا الشيخ قال أفّ فما ملّ حياة وإنما الضّعف ملّا
آلة العيش صحّة وشباب فإذا ولياً عن المرء ولي

* * *

ومنها افتضاؤه أبكار المعاني ، في المراثي والتعازي

كقوله [من المنسرح] :

سالم أهل الوداد بعدهم يُسلمُ للحنن لا لتخليد

أي : إذا مات الصديق يسلم صديقه للحنن لا للخلود ، لأن كلامه ميت .

فما ترجّى الخلود من زمن أحمد حاليه غير محمود

(١) حَيَزَ : امتلك .

أي : أحمد حالك أن تبقى مع صديقك ، وهو مع ذلك غير محمود لتعجيل الحزن وانتظار الأجل .

وقوله [من الكامل] :

المجد أخسر والمكارم صفةُ
والناس أنزل في زمانك منزلاً
قبحاً لوجهك يا زمان ؛ فأنه
أيموت مثل أبي شجاع فاتكُ
من أن يعيش بها الكريم الأروع
من أن تعايشهم وقدرك أرفعُ
وجهُ له من كل قبح برقع
ويعيش حاسده الخصي الأوكع^(١)؟
وقوله [من البسيط] :

عدمته وكأني سرت أطلبه
من لا يشابهه الأحياء في شيم
فما تزيدي الدنيا على العدم
أمسى يشابهه الأموات في الرّم^(٢)
أحسن والله أبدع ما شاء ! .

وقوله [من الطويل] :

وقد فارق الناس الأحبة قبلنا
سبقنا إلى الدنيا ، فلو عاش أهلها
وأعيا دواء الموت كل طيب
منعنا بها من جيئة وذهاب
تملكها الآتي تملك سالب
وفارقها الماضي فراق سلب
هذا كقول بعضهم في الموعظة : « وإن ما في أيديكم أسلاب الهالكين ،
ويستخلفها الباقون كما تركها الماضون » .

علينا لك الإسعاد إن كان نافعاً
فرب كئيب ليس تندى جفونه
بشق قلوب لا بشق جيوب
ورب كثير الدمع غير كئيب

(١) الأوكع : اللثيم ، والأحمق .

(٢) الشيم : السجاياء والخصال الكريمة . والرّم : العظام البالية .

وللواجد المكروب من زفراته سكون عزاء أو سكون لغوب^(١)
وقوله [من الكامل] :

ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرى أن الكواكب في التراب تغور
ما كنت أمل قبل نعشك أن أرى رضوى على أيدي الرجال تسير^(٢)
خرجوا به ، ولكلِّ بالك خلفه صعقات موسى يوم ذلك الطور^(٣)
حتى أتوا جدثاً كأنَّ ضريحه في كلِّ قلب موحَّد محفور
كفل الشاء له بردٌ حياته لما انطوى فكأنَّه منشور
وقوله في تعزية سيف الدولة عن أخته [من الخفيف] :

ولعمري لقد شغلت المنايا بالأعادي فكيف يطلبن شغلا
وكم انتشت بالسيف من الدهر أسيراً وبالنوال مقلًا^(٤)
خطبةً للحمام ليس لها ردُّ وإن كانت المسماة ثكلا
وإذا لم تجد من الناس كفواً ذات خدرٍ أرادت الموت بعلا
هذا أحسن ما قيل في مريثة المملوك .

وقوله في مريثة طفل لسيف الدولة وتعزيته عنه [من الطويل] :

فإن تك في قبرٍ فإنَّك في الحشا وإن تك طفلاً فالأسى ليس بالطفل
ومثلك لا يبكي على قدر سنِّه ولكن على قدر المخيلة والفضل^(٥)
عزاءك سيف الدولة المقتدى به فإنَّك نصلٌ ، والشدائد للنصل

(١) اللغوب : الإعياء الشديد .

(٢) رضوى : إسم جبل معروف .

(٣) ذلك : هدم وتحطم ، والطور : جبل .

(٤) انتشت : انتاش : تناول وانتشل ، والمقل : الفقير .

(٥) المخيلة : المظنة .

ولم أر أعصى فيك للحزن عبرة
تخون المنايا عهده في سليله
ويبقى على مرّ الحوادث صبره
وما الموت إلا سارق رقّ شخصه
يردّ أبو الشبل الخميس عن ابنه
إذا ما تأملت الزّمان وصرفه
وما الدهر أهل أن يؤمّل عنده

وقوله [من السريع] :

نحن بنو الدنيا فما بالنا
تبخل أيدينا بأرواحنا
فهذه الأرواح من جوّه
لو فكر العاشق في منتهى
لم يرقن الشمس في شرقه
يموت راعي الضأن في جهله
وربّما زاد على عمره
وغاية المفرط في سلمه
فلا قضى حاجته طالب
نعاف ما لا بدّ من شربه
على زمانٍ هنّ من كسبه
وهذه الأجسام من تربه
حسن الذي يسببه لم يسبه
فشكّت الأنفس في غربه
موتة جالينوس في طبه
وازداد في الأمن على سربه^(١)
كغاية المفرط في حربه؟^(٢)
فؤاده يخفق من رعبه !

* * *

(١) الرجل : المشاة من الجيش .

(٢) السرب : الجماعة .

(٣) المفرط : المتزيّد والمكثّر .

ومنها الايجاع في الهجاء

كقوله [من المجث] :

إن أوحشتك المعالي فإنّها دار غربه
أو آنستك المخازي فإنّها لك نسبه

وقوله [من البسيط] :

إنّي نزلت بكذّابين ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدود
جود الرجال من الأيدي ، وجودهم من اللسان ، فلا كانوا ولا الجود !
ما يقبض الموت نفساً من نفوسهم إلّا وفي يده من ننتها عود
يعني العود الذي يتناوله المعالج للشيء القذر ليكون واسطة بينه وبين يده .

وقوله [من البسيط] :

العبد ليس لحرّ صالحٍ بأخٍ لو أنّه في ثياب الحرّ مولود
لا تشتري العبد إلّا والعصا معه إنّ العبيد لأنجاسٍ مناكيد
من علّم الأسود المخصي مكرمةً أقومه البيض أم أبأؤه الصيد ؟^(١)
أم أذنه في يد النخاس داميةً أم قدره وهو بالفلسين مردود ؟
وذاك أن الفحول البيض عاجزةً عن الجميل فكيف الخصية السود

كانه من قول أبي علي البصير [من الخفيف] :

عجز الراكب البصير ، وأولى منه بالعجز راجل مكفوف^(٢)

وقوله [من السريع] :

فلا ترجّ الخير عند امرئٍ مرّت يد النخاس في رأسه

(١) الصيد : السادة ، والصيد إمالة الرأس عجياً وتكبّراً .

(٢) المكفوف : الأعمى ، والراجل : السائر على قدميه .

وقوله [من الوافر] :

أخذتُ بمدحه فرأيتُ لهواً مقالِي للأحيمقُ يا حَكِيمُ
ولمّا أن هجوت رأيتُ عيًّا مقالِي لابن آوى يا حَلِيمُ^(١)
فهل من غادرٍ في ذا وهذا فمدفوعٌ إلى السُّقمِ السَّقِيمُ

وقوله [من المتقارب] :

لقد كنتُ أحسب قبل الخصي بأنّ الرءوس مقرأُ النهي
فلما نظرت إلى عقله رأيتُ النهي كلّها في الخصي

وقوله [يهجو إسحاق بن إبراهيم بن كيغلغ] [من الكامل] :

يمشي بأربعةٍ على أعقابه تحت العلوج ومن وراء يلجم^(٢)
وجفونه ما تستقرُّ كأنها مطروفةٌ أو فتٌ فيها حصرم
وتراه أصغر ما تراه ناطقاً ويكون أكذب ما يكون ويقسم
وإذا أشار مكلّماً فكأنه قد يقهقه أو عجوزٌ تلطم
يقلّي مفارقة الأكفّ قذاله حتى يكاد على يدٍ يتعمّم^(٣)

* * *

ومنها إبراز المعاني اللطيفة
في معارض الألفاظ الرشيدة الشريفة

والرمز بالطرف والملح

كقوله في الجمع بين مدح سيف الدولة وقد فارقه ، وبين مدح كافور وقد

(١) العي : الصعوبة في الكلام .

(٢) العلوج : الحمير .

(٣) يقلّي : يكره ، والقذال : القفا من الرقبة .

قصده في بيت واحد [من الطويل] :

فراقٌ ومن فارقت غير مذممٍ وأُمٌّ ومن يمتت حير ميمم^(١)

ثم قال معرضاً بسيف الدولة :

وما منزل اللذاتِ عندي بمنزلٍ إذا لم أبجلُ عنده وأكرمُ
رحلت فكم بالكِ بأجفانِ شادنٍ عليّ ، وكم بالكِ بأجفانِ ضيغم^(٢)

المصراع الثاني تصديق لقوله :

* ليحدثنَّ لمن ودعتهم ندمُ *

وما ربّة القرط المليح مكانهُ بأجزع من ربّ الحسام المصممِ
فلو كان ما بي من حبيبٍ مقنّعٍ عذرت ، ولكن من حبيبٍ معمم^(٣)

وهذا أيضاً مما نهت عليه من إجراءات الممدوح من الملوك مجرى المحبوب

في كثير من شعره :

رمى واتقى رمي ، ومن دون ما اتقى هوى كاسر كُفّي وقوسي وأسهمي

وكقوله في مدح كافور والتعريض بالقدح في سيف الدولة [من البسيط] :

قالوا : هجرت إليه الغيث ؟ قلت لهم إلى غيوثٍ يديه والشآبيب^(٤)
إلى الذي تهب الدّولات راحته ولا يمنُّ على آثارٍ موهوبٍ
ولا يروع بمغرورٍ به أحداً ولا يفزع موفوراً بمنكوبٍ
يا أيّها الملك الغانسي بتسمية في الشرق والغرب عن نعتٍ وتلقب

(١) يمم : قصد ناحيته .

(٢) الشادن : الغزال ، والضيغم : المفترس من الوحش .

(٣) معمم : يلبس عمة .

(٤) الشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر .

يعني أنا مستغن بشهرته عن لقب كلقب سيف الدولة .

أنت الحبيب ولكنني أعوذ به من أن أكون محباً غير محبوب
وهذا أيضاً من ذاك .

وقوله من قصيدة لسيف الدولة بعد ما فارق حضرته يعرض باستزادة يومه وشكر
أمسه ، وهو من فرائده [من المتقارب] :

وإنَّ فارقتنيَ أمطاره فأكثر غدرانها ما نضبُ
وإنِّي لأتبع تذكاره صلاة الإله وسقي السُّحبُ

ومنها في التعريض بكافور :

ومن ركب الثور بعد الجوا د أنكر أظلافه والغيب^(١)

وقوله في هز كافور والتعريض باستزادته [من الطويل] :

أبا المسك هل في الكأس فضلُ أناله فإنِّي أغني منذُ حينٍ وتشربُ
يقول : مديحي إياك يطربك كما يطرب الغناء الشارب ، فقد حان أن
تسقينني من فضل كأسك .

وهبت على مقدار كفي زماننا ونفسي على مقدار كفيك تطلبُ
وقوله أيضاً في التعريض بالاستزادة [من الطويل] :

أرى لي بقربي منك عيناً قريرةً وإن كان قرباً بالبعد يشاب^(٢)
وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا ودون الذي أملت منك حجابُ ؟
أقل سلامي حباً ما خف عنكم وأسكت كيما لا يكون جواب

(١) الغيب : اللحمة المتدلية تحت الحنك في الإنسان والبقرة والدبابة .

(٢) يشاب : يمزج ويخلط .

وفي النفس حاجاتٌ وفيك فطانةٌ سكوتي بيانٌ عندها وخطاب
وكقوله في وصف الفرس [من الطويل] :

ويومٍ كليل العاشقين كمنته أراقب فيه الشمس أيّان تغربُ
وعيني إلى أذنيّ أغرّ كأنه من الليل باقٍ بين عينيهِ كوكب
أي : كأنه قطعة من الليل ، وكأن الغرة في وجهه كوكب ، وعينه إلى أذنه
لأنه كامن لا يرى شيئاً ، فهو ينظر إلى أذني فرسه ، فإن رآه قد توجس بهما تأهب
في أمره وأخذ لنفسه ، وذلك أن أذن الفرس تقوم مقام عينيهِ ، وتقول العرب : أذن
الوحشي أصدق من عينيهِ .

له فضلةٌ عن جسمه في إهابه تجيء على صدرٍ رحيبٍ وتذهب^(١)
شقت به الظلماء أذني عنانه فيطغى ، وأرخيه مراراً فيلعب
أي : إذا جذبت عنانه طغى برأسه لطماحه وعزة نفسه ، وإذا أرخيت عنانه
لعب برأسه .

وأصرع أيّ الوحش قفّيته به وأنزل عنه مثله حين أركبُ
وكقوله في التوديع [من الوافر] :

وإني عنك بعد غدٍ لغادٍ وقلبي في فنائك غير غاد
محبُّك حيث ما اتجهت ركابي وضيّفك حيث كنت من البلاد
وكقوله [من الكامل] :

سرّ حيث شئت يحلّه النوار وأراد فيك مرادك المقدارُ
وإذا ارتحلت فشيعتْكَ سلامةٌ حيث اتجهت وديمةٌ مدرارُ

(١) الإهاب : الجلد .

وأراك دهرَكَ ما تحاول في العدا حتى كأنَّ صروفه أنصار
أنت الذي بجح الزمان بذكره وتزيَّنت بحديثه الأسمار^(١)

وكقوله في اللطف بالصدِّيق والعنف بالعدو [من الكامل] :

إني لأجبن عن فراق أحبَّتي وتحسَّ نفسي بالحمام فأشجعُ
ويزيدي غضب العداة جراءةً ويلمَّ بي عتب الصديق فأجزعُ

وكقوله في حسن الكناية [من الخفيف] :

تشتكي ما اشتكيت من ألم الشوق إلينا ، والشوق حيث النحول
وإنما كنَى عن تكذيبها ولم يصرح به : أي أنا أشتكي الشوق ونحولي يدل على
ذلك ، وهي غير ناحلة فليست مشتاقة .

وكقوله [من الرجز] :

أبيضُ ما في تاجه ميمونه عفيف ما في ثوبه مأمونه^(٢)
أي : عفيف الفرج ، فكنى به .

وكقوله في حسن الحشو [من الكامل] :

صلَّى عليك الله غير مودعٍ وسقى ثرى أبويك صوبَ غمامٍ
« غير مودع » حشو ، ولكنه حسن .

وكقوله [من الطويل] :

ويحتقر الدنيا احتقار مجرَّبٍ يرى كل ما فيها ، وحاشاك ، فانيا
سبحان الله ! ما أحسن الحشو بقوله « وحاشاك » !

(١) بجح : افتخر وفرح ، والأسمار : من السَّمر ، وهو الأنس .

(٢) الميمون : من اليمن .

وكقوله [من البسيط] :

إذا خَلَّتْ منك حمصٌ ، لا خلت أبداً فلا سقاها من الوسميِّ باكره^(١)

وكقوله في العيادة [من الكامل] :

لا نعذل المرض الذي بك ، شائقٌ أنت الرجال ، وشائقٌ علائها^(٢)
ومنازل الحمى الجسم ، فقل لنا : ما عذرهما في تركها خيراتها ؟

أي : لا عذر للحمى في تركها جسمك ، إذ هو أفضل الجسم .

وكقوله [من المنسرح] :

قصدت من شرقها ومغربها حتى اشتكتك البلاد والسبلُ
لم تبق إلا قليل عافية قد وفدت تجتديكها العلل

وقوله [من الوافر] :

تجشَّمك الزمان هوىً ووداً وقد يؤذى من المقت الحبيبُ
وكيف تعلُّك الدنيا بشيءٍ وأنت لعلَّة الدنيا طيبٌ ؟
وكيف تنوبك الشكوى بداءٍ وأنت المستجار لما ينوب ؟^(٣)

وكقوله في التهئة وهي تهئة سيف الدولة [من البسيط] :

المجد عوفي إذ عوفيت والكرمُ وزال عنك إلى أعدائك الألمُ
وما أخصَّك في برءٍ بتهئةٍ إذا سلمت فكلُّ الناس قد سلموا

(١) الوسمي : مطر الربيع .

(٢) شائق : خير مقدم ، وأنت مبتدأ مؤخر والرجال مفعول به لاسم الفاعل شائق وشائق الثاني معطوف على الأول ، وعلائها مفعول والشائق : باعث الشوق ، يقول : ألم بك المرض لأنك باعث له على الحب لك .

(٣) تنوبك : تصيبك .

وكقوله [من الخفيف] :

وَلَمَنْ يَدْنِي مِنَ الْبَعْدَاءِ إِنَّمَا التَّهْنِئَاتُ لِلْأَكْفَاءِ
بِالْمَسَرَاتِ سَائِرُ الْأَعْضَاءِ وَأَنَا مِنْكَ لَا يَهْنِئُ عَضْوُ

وكقوله [من البسيط] :

الصَّوْمُ وَالْفِطْرُ وَالْأَعْيَادُ وَالْعَصْرُ مِثْرَةٌ بِكَ ، حَتَّى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
مَا الدَّهْرُ عِنْدَكَ إِلَّا رَوْضَةٌ أَنْفٌ يَا مَنْ شَمَائِلُهُ فِي دَهْرِهِ زَهْرٌ^(١)
مَا يَنْتَهِي لَكَ فِي أَيَّامِهِ كَرَمٌ فَلَا انْتَهَى لَكَ فِي أَعْوَامِهِ عَمْرُ
فَإِنْ حَظُّكَ مِنْ تَكَرَّرِهَا شَرَفٌ وَحَظُّ غَيْرِكَ مِنْهَا نَوْمٌ وَالسَّهْرُ

وكقوله [من الطويل] :

تَغَيَّرَ حَالِي وَاللَّيَالِي بِحَالِهَا وَشَبَّتَ وَمَا شَابَ الزَّمَانُ الْغَرَانِقُ^(٢)

وكقوله [من البسيط] :

تَسْوَدُّ الشَّمْسُ مِمَّا بِيضَ أَوْجِهِنَا وَلَا تَسْوَدُّ بِيضَ الْعِذْرِ وَاللِّمَمِ^(٣)
وَكَانَ حَالُهُمَا فِي الْحُكْمِ وَاحِدَةً لَوْ احْتَكَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حُكْمِ

وقوله [من الطويل] :

مُشَبُّ الَّذِي يَبْكِي الشَّبَابَ مَشِيبُهُ فَكَيْفَ تَوَقَّيْهِ وَبَانِيهِ هَادِمُهُ^(٤)
وَمَا خَضِبَ النَّاسُ الْبَيَاضَ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ ، وَلَكِنْ أَحْسَنَ الشَّعْرَ فَاحِمُهُ^(٥)

* * *

(١) روضة أنف : أي لم ترع .

(٢) الغرانق : الشاب الأبيض الناعم الجميل .

(٣) اللمم : جمع لمة وهي شعر الرأس .

(٤) مشب : مبتدأ خبره مشيبه ، ويجوز العكس ، والبيت الذي يبكي الشباب إنما أشابه الذي أشبهه ، فقد حصل له الشيب من عند الذي حصل له منه الشباب .

(٥) والفاحم : الأسود .

ومنها حسن المقطع

كقوله [من البسيط] :

قد شرف الله أرضاً أنت ساكنها وشرف الناس إذ سواك إنسانا
قال ابن جني : لا يعجبني قوله « سواك إنسانا » لأنه لا يليق بشرف ألفاظه ،
ولو قال « أنشاك » أو نحو ذلك لكان أليق بالحال .

قلت أنا : ولو قال غير ما قاله لم يكن فصيحاً شريفاً . لأن في القرآن « ثم
سواك رجلاً »^(١) ولا أفصح ولا أشرف مما ينطق به كتاب الله عز ذكره وكقوله [من
المتقارب] :

سما بك همي فوق الهموم فلست أعد يساراً يسارا
ومن كنت بحرأله يا علي لم يقبل الدر إلا كباراً^(٢)
وكقوله [يمدح سيف الدولة] [من المتقارب] :

أنلت عبادك ما أملوا أنالك ربك ما تأمل

وكقوله [في المغيث بن علي العجلي] [من الوافر] :

وأعطيت الذي لم يعط خلق عليك صلاة ربك والسلام

* * *

ذكر آخر شعره وأمره

لما أنجحت سفرته ، وربحت تجارته بحضرة عضد الدولة . ووصل إليه
من صلاته أكثر من مائتي درهم - استأذنه في المسير عنها ليقضي حوائج في نفسه ،

(١) من الآية ٣٧ من سورة الكهف .

(٢) يا علي : أي سيف الدولة .

ثم يعود إليها ، فأذن له ، وأمر بأن تخلع عليه الخلع الخاصة ، ويقاد إليه الحملان الخاص ، وتعاد صلته بالمال الكثير ، فامتثل ذلك ، وأنشده أبو الطيب الكافية التي هي آخر شعره ، وفي أضعافها كلام جرى على لسانه كأنه ينعي فيه نفسه ، وإن لم يقصد ذلك ، فمنه قوله [من الوافر] :

فلو أني استطعت خفضت طرفي فلم أبصرُ به حتّى أراكا
وهذه لفظة يتطير منها ، ومنه :

إذا التّوديع أعرض قال قلبي عليك الصّمت لا صاحبتُ فاك
ولولا أنّ أكثر ما تمنى معاودةً لقلت ولا مناكا
أي : لو أن أكثر ما تمنى قلبي أن يعاودك لقله له : ولا بلغت أنت أيضاً
ممتك ، وهذا أيضاً من ذاك ، ومنه :

قد استشفيت من داءٍ بداءٍ وأقتل ما أهلك ما شفاكا
أي : قد أضمرت يا قلب شوقاً إلى أهلك ، وكان ذلك داء لك ، فاستشفيت
منه بأن فارقت عضد الدولة ، ومفارقتة داء لك أيضاً أعظم من داء شوقك إلى
أهلك ، وهذا شبه قول النبي ﷺ « كفى بالسلامة داء » وقول حميد بن ثور [من
الطويل] :

* وحسبك داءً أن تصحّ وتسلم *

و « أقتل ما أهلك ما شفاكا » من ألفاظ الطيرة أيضاً ، ومنه :

وكم دون الثوية من حزينٍ يقول له قدومي ذا بذاكا
الثوية : من الكوفة ، يقول له « قدومي ذا بذاك » أي هذا القدوم بتلك
الغيبة ، وهذا السرور بذلك الحزن ، لم يقل « إن شاء الله تعالى » ومنه :
ومن عذب الرّضاب إذا انخنا يقبل رحل تروك والوراكا

تروك : اسم ناقة لم ير مثلها لعضد الدولة أمر له بها ، والوراك : شيء
يتخذه الراكب كالمخدة تحت وركه .

يحرّم أن يمسّ الطيب بعدي وقد عبق العبير به وصاكاً^(١)
وهذا أيضاً من تلك الألفاظ ، ومنه :

وفي الأحباب مختصّ بوجدٍ وآخر يدّعي معه اشتراكاً
إذا اشتبهت دموعٌ في خدودٍ تبيّن من بكى ممّن تبّاكى
وهذا أيضاً من ذاك ، ومنه :

فزّل بعد عن أيدي ركابٍ لها وقع الأسنة في حشاك
هذه استعارة حسنة لأنه خاطب البعد وجعل له حشا ، ومنه :

وأياً شئت يا طريقي فكوني أذاةً أو نجاةً أو هلاكاً

جعل قافية البيت الهلاك فهلك ، وذلك أنه ارتحل عن شيراز بحسن حال
ووفور مال ، فلما فارق أعمال فارس حسب أن السلامة تستمر به كاستمرارها في
مملكة عضد الدولة ، ولم يقبل ما أشير به عليه من الاحتياط باستصحاب الخفراء
والمبذرقين^(٢) ، فجرى ما هو مشهور من خروج سرية من الأعراب عليه
ومحاربتهم إياه ، وتكشف الواقعة عن قتله وابنه محسد ونفر من غلمانته ، وفاز
الأعراب بأمواله وذلك في سنة أربع وخمسين وثلاثمائة .

أنشدني أبو القاسم المظفر بن علي الطبسي الكاتب لنفسه في مرثية المتنبّي
[من الخفيف] :

لا رعى الله سرب هذا الزمان إذ دهانا في مثل ذاك اللسان

(١) صاك : أراد أنّه لصق به .

(٢) المبذرقين : الحرّاس والخفراء .

ما رأى الناس ثانيَ المتنبيّ أيّ ثانٍ يرى لبكر الزمان ؟
كان من نفسه الكبيرة في جيدٍ وفي كبرياء ذي سلطان
كان في لفظه نبياً ، ولكنّ ظهرت معجزاته في المعاني

فصل - وقد جمع بي القلم في إشباع هذا الباب وتذييله ، وتصويره كتاباً
برأسه في أخبار أبي الطيب والاختيار من أشعاره والتنبيه على محاسنه ومساويه ،
وقد كان بعض الأصدقاء سألني عمل ذلك ، وله الآن فيه كفاية ، وبه غنية ، فإن
أحب إفراده عن الأبواب كان كتاباً على حدة ، وإن نشط لانتساخ الجميع تضاعفت
الفوائد لديه ، وانتالت القلائد عليه ، بمشيئة الله وإرادته .

والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
تسليماً .

* * *

الباب السادس

١٦ - في ذكر النامي والناشي والزاهي وإخراج غرر أشعارهم

أبو العباس أحمد بن محمد النامي - شاعر من فحولة شعراء العصر ،
وخواص شعراء سيف الدولة ، وكان عنده تلو المتنبي في المنزلة والرتبة ، وقد
أخرجت من ديوانه ما هو شرط الكتاب من عقائل شعره وفرائد عقده ، فمن ذلك
قوله من قصيدة [من الطويل] :

له من هواها ما لصبٍّ متيمٍ	وذمة حبٍّ عهدِه لم يذمِّ
أفارق نفسي شعبةً بعد شعبةٍ	فريقين باتا منجداً بعد متهم ^(١)
فقد كثرت في كلِّ أرضٍ ديارهمْ	ككثرة عذالي عليٍّ ولومي
ولم أر يوماً كان أثلم للحشا	من اليوم بين الجزع والمثلّم ^(٢)

ومنها :

لکم یا بني العباس سيفٌ على العدا	حسامٌ متى يعرض له الداء يحسم
أخفُّ إلى يوم الوغى من حمامةٍ	وأثبت من شوقٍ بقلبٍ متيمٍ

(١) الشعبة : الجزء والقسم ومنجدو متهم : نسبة الى نجد وتهامة .

(٢) أثلم : أي أمر وأقطع .

وقوله من أخرى [من الطويل] :

أمير العلا ، إنَّ العوالي كواسبٌ
يمرُّ عليك الحول : سيفك في الطلا ،
ويمضي عليك الدهر : فعلك للعلا ،
ومنها في وصف أشعاره :

رياحن أذهانٍ : سماحك غارسُ
من المذهبات الدارميات شرُّدُ
لها ، فاجنّها بالعرف من روضة الحمد
تدقُّ معانيها على الملك الكندي^(٣)

وقوله من أخرى [من الوافر] :

أحقّاً أنّ قالتي زرود
وقفت وقد فقدت الصبر حتّى
وشكتُ فيّ عدالي فقالوا
وأنّ عهودها تلك العهود^(٤)
تبين موقفي أنّي الفقيدُ
لرسم الدار : أيكما العميد ؟

ومثل هذا النمط من التشبيه قول السري [من الوافر] :

إذا ما الراح والأترج لاحا لعينك قلت : أيهما الشراب ؟

وقول بعض أهل العصر [من المنسرح] :

لي سيدُ فاتنٌ يعلمني بحسنه كيف يعبد الصنمُ
لما رآني وفي يدي قلمٌ لم يدر مولاي أينما القلمُ

(١) الطلا : الدم المطلول والشكيمة : حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس .

(٢) الرفد : العطاء .

(٣) الملك الكندي : يعني امرؤ القيس .

(٤) زرود : إسم علم .

ومنها :

إليك صدعن أفئدة الليالي وفيهنّ السخائم والحقير^(١)
فعيدان الأراك لها عظامٌ وأسقية السنان لها جلود^(٢)

ومنها :

وشعرٍ لو عبيد الشعر أصغى إليه لظلّ لي عبداً عبيد
كأنّ لفكرة نشر ابن حجرٍ ونودي من حفيرته ليبد^(٣)

وقوله من أخرى [من البسيط] :

إمامةٌ بمغاني داره لممٌ إذ لا أمامة في دارٍ لها أمم
بأيّ حكمٍ لأيّام الفراق نأتُ بناعبٍ كاعبٍ والبين يحتكم ؟
عقلت عيساً كأنّي كنت حاسدها بدار سلمى وترب الدار مستلم
إحدى الحسان أساءت بي وقد صرمت يوم الحمى وهواها ليس ينصرم

أخذه من قول ابن الرومي [من البسيط] :

يا ربّ حسانةٍ منهنّ قد فعلت سوءاً وقد يفعل الأسواء حسان

[رجع] :

كأنّ قلبي معارٌ للنوى جزعاً من قلب قرن عليٍّ وهو منهزمٌ
ناط الحماثل في ليثٍ وفي قمرٍ وفي الحماثل قد نيطت به الهمم^(٤)
كأنّه أجلّ ، أو طرفه وجلّ ، أو سيفه قدرٌ في الروح يحتكم

(١) السخائم : الضغائن .

(٢) الأراك : شجر طيب الرائحة يستعمل عوده سواماً .

(٣) ابن حجر : امرؤ القيس ، وليد : لبید بن ربيعة وعبيد : عبيد بن الأبرص .

(٤) ناط : أوكل وكلف وعهد .

يا مظمىء الخيل أو تروى ذوابله
إذا ملائكة النصر اختلطت بها
لم تدع يا علم المجد المقابلنا
لا يكتم النصر يوماً أنت شاهدته
النصر أسرجها ، والعز أجمها
قال النهار له والشمس مغمة
هذا عجاج فآين الأفق وهو قنا ؟
بحد سيفك سيف الدولة انحطمت
يحدث الذئب ذئب وهو مبتهج
قد أرضعتك ثدي الأرض درتها
من آل حمدان حيث الملك مقتبل
قوم إذا حكموا يوماً لأنفسهم
أمن علا أم ندى أدعوك ؟ أم بهما ؟
إن يعجل الرأي تلحقه بغايته
وإن تأتيت عزماً لم يفتك عدأ
إن لم أقم أمماً للمدح من فكري
إذا طلبتك لم ألحقك في أمد
وما علي إذا ما كنت ناظمها

والخيل تشرب من أشداقها اللحم^(١)
تشابه العالم النوري والسسم
إلاً وسبح إجلالاً لك العلم
واليوم من نفعه قد كاد ينكتم^(٢)
والحزم أمسك بالأسراج لا الحزم
وللمنايا شمس غمدها القم :
وتلك خيل فآين الأرض وهي دم ؟
قواعد الشرك والأرواح تحطم
ويخبر النسر نسر وهو مبتسم
ورمحك ابن رضاع ليس ينظم
والمال مقتسم والحمد مقتنم
جار السماح عليهم في الذي حكموا
فأنت ذا والحياء الصارم الخدم^(٣)
كذا الجواد من الإعجاب يحتدم
إن الأسود تمطى ثم تعترم^(٤)
فشك فيك يقيني أنك الأمم
ما حيلتي ؟ قد تناهى دونك الكلم^(٥)
فعطلت كل ما قالوا وما نظموا

(١) الزوايل : الرماح .

(٢) النقع : الغبار .

(٣) الخدم : القاطع .

(٤) نمطى : تنهياً .

(٥) أمد : مجال .

وقوله من أخرى [من الطويل] :

أمرن هوانا أن يصحّ لنسقما فأدمى قلوباً صادياتٍ إلى الدّمى^(١)
ومنها :

أرتنا جنى العناب للورد ظالمأ ومن أقحوانٍ مرمضٍ متظلمأ^(٢)
ما أحسن هذا البيت وأظرفه ، وفيه كناية عن حك الوجه بالبنان المخضب وعض
اليـد بالشـعر الأشنب :

طوى البين ديباج الخدود ، ونشّرت	يد البين وشياً للخدود منمنما
تقسّمت الأهواء قلبي كما غدا	نوال عليّ في العلا متقسّما
ويومٍ كأجياذ العذارى حليّه	فريد ندىّ في جيده قد تنظّما ^(٣)
جلونا به وجهي عروسٍ وكاعبٍ	على طفل زهر قد بكى وتبسّما ^(٤)
وأخرس يصبيننا بخمسة السنـ	إلى أيّها مدّ السّنان تكلمّا
لدن غدوة حتى إذا الشمس ودعت	مغاربها واستأذنتها التصرّما
ثوبنا كأنّا بعض أبناء قيصرٍ	غدا فيهم سيف الأمير محكّما
أطعت العلا حتى كأنّك عبدا	وإن كنت مولاها وكنت لها ابنما
مكارم لا تنفكّ تتعب حاسداً	يؤخّره سعيّ لها قد تقدّما
زكت فكري فيها وأينع هاجسي	فظلّتُ على أهل القريض مقدّما
وولّد شعري فيك شعراً لمعشرٍ	فكنت عليهم مثل نعماك منعما

(١) الصادي : الظامى ، والدمي : الفتيات .

(٢) مرمضٍ : اشتدت عليه الحرارة .

(٣) الجيد : العنق .

(٤) جلونا : زينا .

وقوله من أخرى [من الطويل] :

سلاها لم اسودَّ الهوى في ابيضاضه ؟
كأنَّ برأسي عسكرين تحاربا
وليلٍ له نجمٌ كليلٌ عن السَّري
كأنِّي وابن الغمد والطَّرف أنجمٌ
إلى أن رأيت الفجر والنسر خاضبٌ
وحلَّت يد الجوزاء عقد وشاحها
فقلت : أخيلُ التغلبي مغيرةٌ
فتى قسَم الأيام بين سيوفه
فسودَّ يوماً بالعجاج وبالردى
ألم تر فرعوناً وموسى تجاريا
جهدت فلم أبلغ مذاك بمدحةٍ
يزيد على شأوي زيادٌ وجرولاً

وقوله من أخرى [من الطويل] :

له سورةٌ في البشر تقرأ في العلا
إذا ما عليٌّ أمطرتك سماؤه
يرجى ويخشى ضره وهو نافعٌ

(١) كليلٌ : متوانٍ والسرى : المسير ليلاً.

(٢) الورس : نبات أحمر للصباح وعلٌ : مزج .

(٣) الطريف والتلد : المال الحديث والموروث .

(٤) زياد : هو النايغة الذبياني، وجرولاً : هو الحطيئة وابن العبد : هو طرفة بن العبد البكري .

(٥) السورة : السطوة ، والعلاء والمجد .

(٦) تتحلَّب : تتصبَّب، والنوء : المطر .

(٧) أزاته : تموجه .

يروع ويبدو الأنس منه كأنه الـ
وأزهر يبيض الندى منه في الرضى
أمير الندى ، ما للندى عنك مذهب
إذا فاخرت بالمكرمات قبيلة
قناة من العلياء أنت سنانها
وخيل كأمثال القنا في لبودها
وضرب يريك الخيل مجّ نجيعه
وقوله من أخرى [من الخفيف] :

سألت بالفراق صبّاً ، وما يد
هو بين الحشا صدوع ، وفي الأعد
نحن أبناء ذا الهوى تسكن الأند
نال منا يوم الفراق كما نا
في خميسٍ للتّصر فيه لواء
رجله كالدبا ، وفرسانه كالأ
وسجايك يا أبا الحسن الغد
لوغدا الدهر صافحاً لي عن الحد
لتعطّرت من غبار مذاكي
ثم صيرت من دماء أعادي

هوى لذعه بين الجوانح يعذب
وتحمر أطراف القنا حين يغضب
ولا عنك يوماً للרגائب مرغب
فتغلب أبناء العلا بك تغلب
وتلك أنابيب عليها وأكعب
فإن سهلت فهي اليراع المثقّب^(١)
وأشبهها من لون أشقر يخضب^(٢)

بئها بالفراق مثل خبير
ين ماء ، وجمرة في الصدور^(٣)
فس منا إلى الضنا والزفير
ل من الناكثين سيف الأمير
عقده من لوائه المنصور
سد بأساً ، وخيله كالصقور^(٤)
رّ وإتاعبهن شكر الشكور
ظ وأعلى من جدّ حال عثور^(٥)
ك رواحي ، وكان عطري بكوري^(٦)
ك خلوقي ، وكان منه طهوري^(٧)

(١) اليراع : القصة التي يزمربها .

(٢) الأشهب : الذي يميل لونه إلى الحمرة والسّواد .

(٣) صدوع : شروخ .

(٤) الدبا : القرع .

(٥) الجد : الحظ ، والعائر : السوء .

(٦) المذاكي : جياذ الخيل .

(٧) الخلوق : الطيب .

ولقيت المنون تحت عواليك معداً ذخراً ليوم نشوري
سر على السعد تستظل من الأيام ظلّي سلامة وجبور
بين فرضين من جهاد وشهر أنت في الناس مثله في الشهور
سمع النصر فيه أمرك لما خاطبته الأقدار بالتأثير
أنتم دارة العلا يا بني حم دان ، سكان بيتها المعمور
وتسيرون في القنا فترى الآ جال مرتابةً بذاك المسير
في شمس من الحديد عليها أنجم يفترون فوق بدور
وعجاج كأنه من دخان الدد يلقى الهواء بالتعطير^(١)
عبق من علاكم فكان ال أرض مسك ، والجو من كافور
فتحوا بمدحتي فهي ريحا نة حمير تبقى بقاء الدهور
وقوله من أخرى [من الكامل] :

ومنازلين إذا بدوا في شارق شبا ضياء وقوده بوقود^(٢)
ردوا على داود صنعة سرده لغناهم بالصبر عن داود
لا يصبحون إذا انتضوا بيض الظبا وشبا القنا غير المنايا السود^(٣)
وقوله من أخرى [من الطويل] :

ألم تر أعداء الأمير كوفرو يظل لتوفير العلا غير وافر
وحساده مما تذوب كخيله بلغن مدى أنفاسهن الزوافر
وقوله من أخرى [من البسيط] :

وصارم مثل لحظ البرق أسلك في مثال جدول ماء فيه منسكب

(١) المعجاج : الغبار ، والند : نوع من الطيب .

(٢) شبا : أوقدوا ، وأسعروا .

(٣) انتضوا : شهبوا ، وبيض الظبا : يقصد بها السيوف ، وشبا القنا : رؤوس الرماح .

تنأى الخواتيم عن مقروءة الكتب

تنأى به الهام عن أجسامهنّ كما

وقوله من أخرى [من البسيط] :

ومسمع الرعد إن أصغى له صمم^(١)
والموت في خرز الأعناق ينتظم
لك المعاني وأمضى حكمها الكرم
دامت سلامته ما أورك السلم !
خلق يساميك مذ حيزت لك القسم^(٢)
ونلت فيها خلوداً أنت والتعم

في ناظر الشمس إن عنت له رمد^(٣)
يردها ونظام الملك متسق^(٤)
أسعد بعيد إذا كارمته حكمت
عيد وفتح وملك والأمير له
الله أعطاك أقسام الفخار ، فما
لو كان يرضى لك الدنيا لما فنيته

وقوله في صفة منارة [من الرجز] :

قاعدة فيه وإن لم تقعد
يغرف من حوض الغمام باليد

سامية في الجو مثل الفرقد
يكاد عاليها - وإن لم يبعد -

وقوله [من الطويل] :

أم النار في أحشائها وهي لا تدري
وكاللولؤ المبتول أدمعها تجري^(٥)
مطارفها طرزا من البرق كالتبر^(٦)
فعاجت له نحو الرياض على قبر^(٧)
ودمع بلا عين ، وضحك بلا ثغر

خليلي ، هل للمزن مقلّة عاشق ؟
أشارت إلى أرض العراق فأصبحت
تسربل وشياً من خروز تطرزت^(٨)
سحاب حكّت ثكلى أصيبت بواحد
فوشي بلا رقم ، ونقش بلا يد

(١) عنت : بدت وخطرت ، والرمد : وجع يصيب العين ، والصمم : فقد السمع .

(٢) حيزت لك القسم : جعلت ملكك .

(٣) المبتول : المقطع المفصول عن غيره .

(٤) المطارف : أوشحة من الحرير ، والتبر : الذهب .

(٥) الثكلى : الفاقدة ، ولدها وعاجت ، المّت ونزلت .

ودخل على ناصر الدولة ويده وجعة قد لطخت بلطوخ ، فقال له : هل قلت شيئاً ؟ قال : ما علمت ، قال : فقل ، فقال ارتجالاً [من الوافر] :

يدُ في برئها برءُ الأيادي ووعكُ للطريف وللتلاد^(١)
يد الحسن التي خلقت سماءً موكلّةً بأرزاق العباد

* * *

١٧ - أبو الحسين الناشيء الأصغر

أنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني أبو الحسين الناشيء بحلب لنفسه [من الطويل] :

إذا أنا عاتبت الملوك فإنّما أخطُ بأقلامي على الماء أحرفاً
وهبةً ارعوى بعد العتاب ، ألم يكن تودّده طبعاً فصار تكلّفاً؟^(٢)

قال : وأنشدني لنفسه [من الكامل] :

ليس الحجاب من آلة الأشراف إنّ الحجاب مجانبُ الإنصاف
ولقلّ من يأتي فيحجب مرةً فيعود ثانيةً بقلبٍ صافي

وله في سيف الدولة يودعه [من الطويل] :

أودّع ، لا أنّي أودّع طائعاً وأعطى بكرهي الدهر ما كنت مانعاً
وأرجع لا ألقى سوى الوجد صاحباً لنفسي إن القيت بالنفس راجعاً
تحملت عنّا بالصنائع والعلا فنستودع الله العلا والصنائع
رعاك الذي يرعى بسيفك دينه ولقّاك روض العيش أخضر يانعا

(١) البرء : الشفاء ، والوعك : المرض .

(٢) ارعوى : تراجع وأتاب .

وله [من المتقارب] :

إذا لم تنل همم الأكرمين وسعيهم وادعاً فاغترب
فكم دعة أتعبت أهلها وكم راحة نتجت من تعب^(١)

[وله أيضاً] [من مجزوء الخفيف] :

يا خليلي وصاحبي من لؤي بن غالب
حاكم الحب جائر موجب غير واجب
لك صدغ كأنما نونه نون كاتب
يلذع الناس - إذ تعق رب - لذع العقارب

* * *

١٨ - أبو القاسم الزاهي

وصاف محسن ، كثير الملح والظرف ، ولم يقع إلي شعره مجموعاً ، وإنما
تطرفته من أفواه الرواة ، واستفدته من التعليقات .

أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان فيما أنشدنيه من التثف التي استفادها
ببغداد ، وأتحفني به من اللطائف التي استصحبها : منها للزاهي [من الطويل] :

سفرن بدوراً ، وانتقبن أهلةً ومسن غصوناً ، والتفتن جاذراً^(٢)
وأطلعن في الأجياد بالدر أنجماً جعلن لحبات القلوب ضرائراً^(٣)

(١) الدعة : الراحة .

(٢) سفرن : أظهرن محاسن وجوههن انتقبن اي لبسن النقاب ومسن : تمايلن وتثنين والجاذر : البقر الوحشي .

(٣) الضرائر : جمع ضرة وهي الزوجة الثانية مع الأولى في البيت الواحد .

وإنما احتذى في البيت الأول مثال المتنبي في قوله [من الوافر] :

بدت قمراً ، ومالت غصن بانٍ وفاحت عنبراً ، ورنّت غزالاً
وممن نسج على هذا المنوال أبو عامر إسماعيل بن أحمد الشاشي ، فإنه قال :
قصيدة [من الطويل] :

رأيت على أكوارنا كلّ ماجدٍ يرى كل ما يبقى من المال مغرماً
ندوّم أسيفاً ، ونعلو قواضياً ، وننقضّ عقباناً ، ونطلع أنجماً^(١)
وقال أبو الحسن الجوهري في الخمر إلا أنه قلب التشبيه [من الطويل] :

يقولون : بغداد التي اشتقت برهةً دساكرها والعكبريّ المقيراً^(٢)
إذا فضّ عنه الختم فاح بنفسجاً ، وأشرق مصباحاً ، ونورّ عصفراً^(٣)
ولبعض أهل العصر في غلام مغنٍ [من الوافر] :

فديتك يا أتمّ الناس ظرفاً وأصلحهم لمتّخذٍ حبياً
فوجهك نزهة الأبصار حسناً وصوتك متعة الأسماع طيباً
وسائلةٌ تسائل عنك ، قلنا لها في وصفك العجب العجيبا :
رنا ظيباً ، وغنى عندليباً ، ولاح شقائقاً ، ومشى قضيباً^(٤)

وللزاهي [من الطويل] :

أرى الليل يمضي والنجوم كأنها عيون الندامى حين مالت إلى الغمضِ
وقد لاح فجرٌ يغمر الجوَّ نوره كما انفجرت بالماء عينٌ على الأرضِ

(١) القواضب : السيوف ، والعقبان : جمع عقاب ، وهو نوع من الطيور الجارحة .

(٢) العكبري : الشراب من الخمر ، والمقيراً : المطلي بالقار .

(٣) فضّ : أزيل ، والعصفر : نبات يصنع به .

(٤) رنا : نظر وتطلع .

وأشدني أبو سعد نصر بن يعقوب في كتابه « كتاب روائع التوجيهات ، من بدائع التشبيهات » للزاهي [من البسيط] :

الريح تعصف والأغصان تعتقُ والمزن باكية والزهر معتبق^(١)
كأنما الليل جفنٌ والبروق له عينٌ من الشمس تبدو ثم تنطبق
ومن مشهور شعر الزاهي قوله [من الكامل] :

لولا عذارك ما خلعت عذارى ولكنك في وزرٍ من الأوزار^(٢)
ما كنت أحسب أن أعاين أو أرى تخطيط ليلٍ في بياض نهار
حتى نظرت إلى عذارك فاغتدى سقم القلوب ونزهة الأبصار
فتركت قلبي في الوعيد لأجله وعزمت فيك على دخول النار

ووجدت في كتاب أبي الحسن علي بن أحمد بن عبدان ، في مجموعة المترجم بحاطب الليل ، قصيدة للزاهي أولها [من الكامل] :

الليل من فكري يصير ضياءً والسيف من نظري يذوب حياءً
والخيل لو حملتها علمي بها لتركتها تحت العجاج هباءً
ومنها :

أحصي على دهري الذنوب بمقلةٍ لدموعها لا أملك الإحصاء
سرقه من قول ديك الجن [من الخفيف] :

أنا أحصي فيك النجوم ولكن لذنوب الزمان لست بمحص

(١) المزن : السحب ، ومعتبق : أي مليء بالعبق الذكي .

(٢) الوزر : الإثم .

رجع :

عجباً لصرف الدهر كيف يخون من غمر البرية نجدةً ووفاءً
عدم الصباح فتاب عنه بفكره وعلت يده فطاول الجوزاء

وأنشدت له بيت معمى ، وما أراه قاله [من الكامل] :

من كان آدم جملاً في سنّه هجرته حواء السنين من الدمى^(١)

آدم في حساب الجمل خمس وأربعون ، وحواء خمسة عشر .

وله في وصف الأترج [من البسيط] :

وذاث جسم من الكافور في ذهب دارت عليه حواشيه بمقدار
كأنها - وهي قدامي ممثلة في رأس دوحته - تاج من النار

* * *

(١) جملاً : حساب الجمل ، وهو حساب الأحرف الهجائية المقرونة بأرقام من الواحد الى الألف .
والمعنى : أن الذي في عمر آدم لابد أن تهجره النساء .

الباب السابع

١٩ - في ذكر أبي الفرج عبد الواحد البغاء

وغرر نثره ونظمه

هو : أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي ، من أهل نصيبين .
نجم الآفاق ، وشمامة الشام والعراق ، وظرف الظرف ، وينبوع اللطف ،
واحد أفراد الدهر ، في النظم والنثر ، له كلام بل مدام ، بل نظام من الياقوت ، بل
حب الغمام ، فنثره مستوف أقسام العذوبة ، وشروط الحلاوة والسهولة ، ونظمه
كأنه روضة منورة تجمع طيباً ومنظراً حسناً . وقد أخرجت من شعره . ما يشهد
بالذي أجريت من ذكره ، وإنما لقب بالبغاء للثغة فيه سيجري وصفها في ذكر ما دار
بينه وبين أبي إسحاق الصابي من طرف المكاتبات وملح المجاوبات ، وكان في
عنفوان أمره وريعان شبابه متصلاً بسيف الدولة ، مقيماً في جملته ، ثم تنقلت به
بعد وفاة صاحبه الأحوال في وروده الموصل وبغداد ومناذمته بهما الملوك
والرؤساء ، وإخفاقه مرة وإنجاحه أخرى ، وآخر ما بلغني من خبره ما سمعت الأمير
أبا الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي يورده من ذكر التقائه معه عند صدره من
الحج وحصوله ببغداد في سنة تسعين وثلاثمائة ، ورؤيته بها شيخاً عالي السن ،
متناول الأمد ، نظيف اللبسة ، بهي الركبة ، مليح اللثغة ، ظريف الجملة ، قد
أخذت الأيام من جسمه وقوته ، ولم تأخذ من طرفه وأدبه ، وأنه مدح أباه الأمير أبا
نصر بقصيدة فريدة أجزل عليها صلته ، ثم السلامي وغيره من شعراء العراق ، ثم
عرض على القاضي أبو بشر الفضل بن محمد بجرجان سنة إحدى وتسعين كتاب

أبي الفرج الوارد عليه من بغداد مشتملاً من النظم والنثر على ما أثرت فيه حال من بلغ ساحل الحياة ، ووقف إلى ثنية الوداع ، ولست أدري ما فعل الدهر به ، وأغلب ظني أنه إلى الآن قد لحق باللطيف الخبير ، وأنا أبدأ بسياق قصة له من عبارته وحكايته ، لم أسمع أظرف منها في فنها ، ولا ألطف ولا أعذب ، ولا أخف ؛ وإن كان فيها بعض الطول ، والبديع غير مملول .

قال أبو الفرج : تأخرت بدمشق عن سيف الدولة رحمه الله مكرهاً ، وقد سار عنها في بعض وقائعه ، وكان الخطر شديداً على من أراد اللحاق به من أصحابه ، حتى إن ذلك كان مؤدياً إلى النهب وطول الاعتقال ، واضطرت إلى إعمال الحيلة في التخلص والسلامة ، بخدمة من بها من رؤساء الدولة الإخشيدية ، وكان سني في ذلك الوقت عشرين سنة ، وكان انقطاعي منهم إلى أبي بكر علي بن صالح الروزباري لتقدمه في الرياسة ، ومكانه من الفصل والصناعة ، فأحسن تقبلي ، وبالع في الإحسان بي ، وحصلت تحت الضرورة في المقام ، فتوفرت على قصد البقاع الحسنة ، والمتنزهات المطرفة ، تسلياً وتعللاً ، فلما كان في بعض الأيام عملت على قصد دير مران ، وهذا الدير مشهور الموقع في الجلالة وحسن المنظر ، فاستصحبت بعض من كنت آنس به . وتقدمت لحمل ما يصلحنا ، وتوجهنا نحوه ، فلما نزلنا أخذنا في شأننا وقد كنت اخترت من رهبانه لعشرتنا من توسمت فيه رقة الطبع وسجاجة الخلق ، حسبما جرى به الرسم في غشيان الأعمار وطروق الديرة ، ومن التطرف بعشرة أهلها والأنسة بسكانها ، ولم تزل الأقداح دائرة بين مطرب الغناء وزاهر المذاكرة إلى أن فض اللهو ختامه ، ولوح السكر لصحبي أعلامه ، وحانت مني نظرة إلى بعض الرهبان فوجدته الى خطابي متوثباً ، ولنظري إليه مترقباً ، فلما أخذته عيني أكب يزعجني بخفي الغمز ووحى الايماء ، فاستوحشت لذلك ، وأنكرته ونهضت عجلان ، واستحضرتة ، فأخرج إلي رقة مختومة ، وقال لي : قد لزمت فرض الأمانة فيما تضمنته هذه الرقة ، ووني وسقط

ذمام كاتبها في سترها بك عني ، ففضضتها ، فإذا فيها بأحسن خط وأملحه وأقرئه وأوضحه :

بسم الله الرحمن الرحيم

لم أزل فيما تؤديه هذه المخاطبة يا مولاي : بين حزم يحث على الانقباض عنك ، وحسن ظن يحض على التسامح بنفيس الحظ منك ، إلى أن استزلتني الرغبة فيك على حكم الثقة بك من غير خبرة ، ورفعت بيني وبينك سجف الحشمة ، فأطعت بالانبساط أوامر الأنسة ، وانتهزت في التوصل إلى مودتك فائت الفرصة ، والمستماح منك - جعلني الله فداك ! - زورة أرتجع بها ما اغتصبتنيه الأيام من المسرة مهنة بالانفراد إلا من غلامك الذي هو مادة مسرتك .

وما ذاك عن خلق يضيق بطارق ، ولكن لأخذي بالاحتياط على حالي ، فإن صادف ما خطبته منك - أيدك الله ! - قبولاً ، ولديك نفاقاً ، فمنية غفل الدهر عنها ، أو فارق مذهبه فيما أهدها إليّ منها ، وإن جرى على رسمه في المضايقة فيما أوتره وأهواه ، وأترقه من قربك وأتمناه ، فذمام المروءة يلزمك رد هذه الوقعة وسترها ، وتناسيها واطراح ذكرها . وإذا بأبيات تتلو الخطاب ، وهي [من المنسرح] :

يا عامر العمر بالفتوة والـ	قصف وحث الكؤوس والطرب
هل لك في صاحب تناسب في الـ	غربة أخلاقه وبالأدب
أوحشه الدهر فاستراح إلى	قربك مستنصراً على النوب ^(١)
فإن تقبلت ما أتاك به	لم تشن الظن فيه بالكذب ^(٢)
وإن أتى الزهد دون رغبتنا	فكن كمن لم يقل ولم يجب

(١) النوب : المصائب والأحداث .

(٢) تُشِنُ : تُعِبُّ .

قال أبو الفرج : فورد عليّ ما حيرني ، واسترد ما كان الشراب حازه من تميزي ، وحصل لي في الجملة أن أغلب الأوصاف على صاحبها الكتابة خطأ وترسلا ونظما ، فشاهدته بالفراصة من ألفاظه ، وحمدت أخلاقه قبل الاختبار من رقعته ، وقلت للراهب : ويحك ! من هذا ؟ وكيف السبيل إلى لقائه ؟ فقال : أما ذكر حاله فإليه إذا اجتمعنا ، وأما السبيل إلى لقائه فمتسهل إن شئت قلت : دلني ، قال : تظهر فتورا ، وتنصب عذراً تفارق به أصحابك منصرفاً ، وإذا حصلت بباب الدير عدلت بك إلى باب خفي تدخل منه ، فرددت الرقعة عليه ، وقلت : ارفعها [إليه] ليتأكد أنسه بي وسكونه إلي ، وعرفه أن التوفر على أعمال الحيلة في المبادرة إلى حضرته على ما أثره من التفرد أولى من التشاغل بإصدار جواب وقطع وقت بمكاتبته ، ومضى الراهب ، وعدت إلى أصحابي بغير النشاط الذي نهضت به ، فأنكروا ذلك ، فاعتذرت إليهم بشيء عرض لي ، واستدعيت ما أركبه ، وتقدمت إلى من كان معي ممن يخدم بالتوفر على خدمتهم ، وقد كنا عملنا على المبيت ، فأجمعوا على تعجل السكر والانصراف ، وخرجت من باب الدير ومعني صبي كنت آنس به وبخدمته ، وتقدمت إلى الشاكري برد الدابة وستر خبري ومباكرتي ، وتلقاني الراهب ، وعدل بي إلى طريق في مضيق ، وأدخلني إلى الدير من باب غامض ، وصار بي إلى باب قلاية متميز عما يجاوره من الأبواب نظافة وحسناً ، فقرعه بحركات مختلفة كالعلامة ، فابتدرنا منه غلام كأن البدر ركب على أزراره مهفهف الكشح مخطفه^(١) ، معتدل القوام أهيفه^(٢) ، تخال الشمس برقعت غرته ، والليل ناسب أصداعه وطرته ، في غلالة تنم على ما تستره^(٣) ، وتجفومع رقتها عما تظهره ، وعلى رأسه مجلسية مصمت فبهر عقلي ، واستوقف نظري ، ثم أجفل كالظبي المدعور ، وتلوته والراهب إلى صحن القلاية ، فإذا أنا ببيت فضي

(١) المخطف : دقيقة وناعمه .

(٢) الهيف : اعتدال القوام .

(٣) الغلالة : الثياب الشفافة .

الحيطان ، رخامي الأركان ، يضم طارقة خيش ، مفروشة بحصير مستعمل ،
فوثب إلينا منه مقتبل الشبية ، حسن الصورة ، ظاهر النبل والهيئة ، متزي من
اللباس بزي غلامه ، فلقيني حافياً يعثر بسرويله ، واعتقني ، ثم قال : إنما
استخدمت هذا الغلام في تلقيك يا سيدي لأجعل ما لعلك استحسنته من وجهه
مصانعاً عما ترد عليه من مشاهدتي ، فاستحسنتم اختصاره الطريق إلى بسطي ،
وارتجاله النادرة على نفسه حرصاً في تأنيسي ، وأفاض في شكري على المسارعة
إلى أمره . وأنا أوصل في خلال سكناته المبالغة في الاعتداد به ، ثم قال : يا
سيدي أنت مكدود بمن كان معك ، والاستمتاع بمحادثتك لا يتم إلا بالتوصل إلى
راحتك ، وقد كان الأمر على ما ذكر ، فاستلقيت يسيراً ثم نهضت ، فخدمت في
حالي النوم واليقظة الخدمة التي ألفتها في دور أكابر الملوك وأجلة الرؤساء .
وأحضرنا خادم له لم أر أحسن منه وجهاً ولا سواداً طبقاً يضم ما يتخذ للعشاء مما
خف ولطف ، فقال : الأكل مني يا سيدي للحاجة ، ومنك للممالحة
والمساعدة ، فلنا شيئاً ، وأقبل الليل فطلع القمر ففتحت مناظر ذلك البيت إلى
فضاء أدى إلينا محاسن الغوطة ، وحبانا بذخائر رياضها : من المنظر الجناني ،
والنسيم العطري ، وجاءنا الراهب من الأشربة بما وقع اتفاقنا على المختار منه ،
ثم اقتعدنا غارب اللذة ، وجرينا في ميدان المفاوضة ، فلم يزل يناهبني نوادر
الأخبار ، وملح الأشعار ، ونخلط ذلك من المزح بأظرفه ، ومن التودد بالطفه ،
إلى أن توسطنا الشراب فالتفت إلى غلامه ، وقال له : يا مترف ، إن مولاك ما ادخر
عنا السرور بحضوره ، وما يجب أن ندخر ممكنا في مسرته ، فامتقع وجه الغلام
حياء وخفراً ، فأقسم عليه بحياته وأنا لا أعلم ما يريد ، ومضى فعاد يحمل
طنبوراً ، وجلس فقال لي : يا سيدي تأذن لي في خدمتك ؟ فهممت بتقبيل يده لما
تداخلني من عظم المسرة بذلك ، فأصلح الغلام الطنبور وضرب وغنى [من
المجث] :

يا مالكي وهو ملكي وسالبي ثوب نسكي

نزه يقين الهوى فيك عن تعرض شك
لولاك ما كنت أبكي إلى الصباح وأبكي

فنظر إلى الغلام وتبسم ، فعلمت أن الشعرله ، فكادت والله أطيّر طرباً وفرحاً
بملاحة خلقه وجودة ضربه وعذوبة ألفاظه وتكامل حسنه ، فاستدعيت كيزاناً
فأحضرنا الخادم عدة قطع من فاخر البلور وجيد المحكم ، فشربت سروراً
بوجهه ، وشرب بمثل ما شربت ، ثم قال لي : أنا والله يا سيدي أحب ترفيهك وأن
لا أقطعك عما أنت متوفر عليه ، ولكن إذا عرفت الاسم والنسب والصناعة واللقب
فلا بد أن تشي ليلتنا بشيء يكون لها طرازاً ولذكرها معلماً ، فجذبت الدواة وكتبت
ارتجالاً وقد أخذ الشراب مني [من المجث] :

وليلة أوسعتني حسناً ولهواً وأنسا
ما زلت ألثم بدرأ بها وأشرب شمساً
إذ أطلع الدّير سعداً لم يبق مذ بان نحسا
فصار للروح مني روحاً وللنفس نفساً

فطرب على قولي « ألثم بدرأ وأشرب شمساً » ، وجذب غلامه فقبله ،
وقال : ما جهلت ما يجب لك يا سيدي من التوقير ، وإنما اعتمدت تصديقك فيما
ذكرته ، فبحياتي إلا فعلت مثل ذلك بغلامك ، فاتبعت آثاره خوفاً من احتشامه ،
وأخذ الأبيات وجعل يرددها ، ثم أخذ الدواة وكتب إجازة لها [من المجث] :

ولم أكن لغريمي والله أبذل فلساً
لو ارتضى لي خصمي بدير مران حبساً

فقلت : إذاً والله ما كان أحد يؤدي حقاً ولا باطلاً ، وداعبته في هذا المعنى
بما حضر ، وعرفت في الجملة أنه مستتر من دين قد ركبه ، وقال لي : قد خرج لك
أكثر الحديث ، فإن عذرت ، وإلا ذكرت لك الحال لتعرفها على صورتها ، فتبينت
ما يؤثره من كتمان أمره ، فقلت له : يا سيدي ، كل ما لا يتعرف بك نكرة . وقد

أغنت المشاهدة عن الاعتذار ، ونابت الخبرة عن الاستخبار ، وجعل يشرب وينخب علمٍ من غير إكراه ولا حثٍّ ولا استبطاء ، إلى أن رأيت الشراب قد دب فيه ، وأكب على مجاذبة غلامه والفتنة تشنيه في الوقت بعد الوقت ، فأظهرت السكر وحاولت النوم ، وجاء الغلام ببرذعة ففرشها لي بإزاء برذعته ، فنهضت إليها وقام يتفقد أمري بنفسه ، فقلت له : إن لي مذهباً في تقريب غلامي مني ، واعتمدت بذلك تسهيل ما يختاره من هذه الحال في غلامه ، فتبسم وقال لي بسكره ، جمع الله لك شمل المسرة كما جمعه لي بك ، وأظهرت النوم ، وعاد يجاذب غلامه بأعذب لفظ وأحلى معاتبة ، ويخلط ذلك بمواعيد تدل على سعة وانبساط يد ، وغلامه تارة يقبل يده وتارة فمه ، وغلبتني عيناى إلى أن أبقطني هواء السحر ، فانتبهت وهما متعانقان بما كان عليهما من اللباس ، فأردت توديعه وحاذرت إنباهه وإزعاجه ، فخرجت ، ولقيني الخادم يريد إيقاظه وتعريفه انصرافي ، فأقسمت عليه أن لا يفعل ، ووجدت غلامي قد بكر بما أركبه كما كنت أمرته ، فركبت منصرفاً وعاملاً على العود إليه والتوفر على مواصلته وأخذ الحظ من معاشرته ، ومتوهماً أن ما كنت فيه منام لطيبه وقرب أوله من آخره ، واعترضتني أسباب أدت إلى اللحاق بسيف الدولة ، فسرت على أتم حسرة لما فاتني من معاودة لقائه وقلت في ذلك [من الطويل] :

ويوم كآن الدهر سامحني به
جرت فيه أفراس الصبّا بارتياحنا
بحيث هواء الغوطتين معطر الـ
فمن روضة بالحسن ترفد روضة
وفي الهيكل المعمور منه افترعتها
ونزّهت عن غير الدنانير قدرها

فصار اسمه ما بيننا هبة الدهر
إلى دير مرّان المعظم والعمر
نسّيم بأنفاس الرياحين والزهر
ومن نهرٍ بالفيض يجري إلى نهرٍ
وصحبي حلالاً بعد توفية المهر^(١)
فما زلت منها أشرب التبر بالتبر

(١) افترع : افترض.

وحلّ لنا ما كان منها محرّماً
فأهدت لي الأيام فيه مودةً
أتى من شريف الطبع أصدق رغبةٍ
وكان جوابي طاعةً لا مقالةً
فلأقبت ملء العين نبلاً وهمّةً
وأحشمني بالبرّ حتى ظننته
ونزه عن غير الصفاء اجتماعنا
وشاء السرور أن يلينا بثالثٍ
بمعطي عيونٍ ما اشتهدت من جماله
جنينا جنيناً الورد في غير وقته
وقابلنا من وجهه وشرابه
وغنّى فصار السمع كالطرف آخذاً
وأمتعنا من وجنته بمثل ما
سرورُ شكرنا منّة الصحو إذ دعا
كأنّ الليالي نمن عنه فعندما
مضى وكأني كنت فيه مهوماً
وهل يحصل الإنسان من كل ما به

وهل يحظر المحظور في بلد الكفر^(١)
دعتني في سترٍ فلبّيت في ستر
تخاطبني عن معدن النظم والشر
ومن ذا الذي لا يستجيب إلى اليسر
محلّى السّجايا بالطلاقة والبشر
يريد اختداعي عن جناني ولا أدري^(٢)
فكنت وإياه كقلبين في صدر
فلاطفنا بالبدر أو بأخي البدر
ومضني قلوبٍ بالتجنّب والهجر
وزهر الرّبا من روض خديّه والثغر
بشمسين في جنحيّ دجى الليل والشعر
بأوفر حظٍّ من محاسنه الزهر
تمزّج كفّاه من الماء والخمر
إليه ولم نشكر به منّة السكر^(٣)
تنبّهن نكّبن الوفاء إلى الغدر
يحدث عن طيف الخيال الذي يسري^(٤)
تسامحه الأيام إلّا على الذكر

ولم أزل على أتم قلق وأعظم حسرة ، وأشدّ تأسف على ما سلبته من فراق
الفتى ، لا سيما ولم أحصل منه على حقيقة علم ولا يقين خبر يؤديانني إلى الطمع

(١) المحظور : الممنوع .

(٢) الخبان : العقل .

(٣) المنّة : الفضل .

(٤) نكّبن : حوكن وغيرن .

(٥) التهؤم : النوم القليل ، وهؤم : هزّ رأسه لشدة النعاس .

في لقائه ، إلى أن عاد سيف الدولة إلى دمشق ، وأنا في جملته ، فما بدأت بشيء قبل المصير إلى الراهب ، وقد كنت حفظت اسمه ، فخرج إليّ مرعوباً ، وهو لا يعرف السبب ، فلما رأيته استطار فرحاً ، وأقسم ألا يخاطبني إلا بعد النزول والمقام عنده يومي ذلك ، ففعلت ، فلما جلسنا للمحادثة قال : ما لي لا أراك تسأل عن صديقك ؟ قلت : والله ما لي فكر ينصرف عنه ، ولا أسف يتجاوز ما حرّمته منه ، ولا سررت بعودي إلى هذه البلدة إلا من أجله ، ولذلك بدأت بقصّك ، فاذا كرّلي خبره ، فقال لي : أما الآن فنعم ، هذا فتى من المادرائين جليل القدر ، عظيم النعمة ، كان ضمن من سلطانه بمصر ضياعاً بمال كثير ، فخاص به ضمّانه^(١) ، لقعود السعر ، وأشرف على الخروج من نعمته ، فاستتر ولما اشتد البحث عنه خرج متخفياً إلى أن ورد دمشق بزيّ تاجر ، فكان استتاره عند بعض إخوانه ممن أخدمه ، فإني عنده يوماً إذ ظهر لي وقال لصديقه : إني أريد الانتقال إلى هذا الراهب إن كان عليّ مأموناً فذكر له صديقه مذهبي ، وأظهرت السرور بما رغب فيه من الأنس بي وأنا لا أعرفه ، غير أن صديقي قد أمرني بخدمته ، وحصل في قلايتي ، فواصل الصوم ، فلما كان بعد أيام جاءنا الرسول من عند صديقنا ، ومعه الغلام والخادم ، وقد لحقا به ومعهما سفاتج^(٢) وعليهما ثياب رثة . فلما نظر إليّ الغلام قال : يا راهب ، قد حلّ الفطر وجاء العيد ،^(٣) ووثب إليه فاعتنقه ، وجعل يقبل عينيه ويبكي ، ووقف على السفاتج فأنفذهما مع درج رقعة منه إلى صديقه فلما كان بعد يومين حمل إليه ألفي دينار ، وقال له : ابتع لنا ما نستخدمه في هذه الضيعة ، فابتاع آلة وفرشاً ، ولم يزل مكباً على ما رأيت إلى أن ورد عليه بالبغال والآلات الحسنة ، وكتب أهله باجتماعهم إلى صاحب مصر وتعريفهم بإياه الحال في بعده عن وطنه لضيق ذات يده عما يطالب به والتوقيع

(١) خاص : خسر.

(٢) السفاتج : هي أن تدفع أموالاً في بلد معين لرجل معين ويعطيك لقاء ذلك صكاً أو رسالة تستردّ بها مالك من عميل له في بلد آخر.

بحظيطة المال عنه مقترناً بالكتب ، فلما عمل على المسير قال لغلامه : سلم جميع ما بقي معك من نفقتنا إلى الراهب ليصرفه في مصالح الدير إلى أن نواصل تفقده من مستقرنا ، وسار وما له حسرة غيرك ، ولا أسف إلا عليك ، يقطع الأوقات بذكرك ، ولا يشرب إلا على ما يغنيه الغلام من شعرك ، وهو الآن بمصر على أفضل الأحوال وأجلها ، ما يبخل بتفقدتي ، ولا يغيب بري^(١) ، فتعجلت بعض السلوة بما عرفت من حقيقة خبره ، وأتممت يومي عند الراهب ، وكان آخر العهد به (انتهى كلامه) .

* * *

في بيان غرر من رسائله الموصولة بمحاسن شعره

كتب إلى سيف الدولة يذكر منصرفه من بعض الغزوات ظافراً إلى الثغر ومقامه على ابن الزيات صاحبه ، وقد عصي ، وأخذة إياه ، وانكفائه بعد ذلك إلى حلب :

الرياسة - أيد الله سيدنا ! - حلة موموقة ، ومرتبة مرموقة ، يتفاضل الناس فيها بقدر الهمم ، وينالونها بحسب مراتبها من الكرم ، فما تدرك إلا بالسماح ، ولا تملك إلا بأطراف الرماح . ولا تتقمص إلا بالحمد . ولا تخطب إلا بلسان المجد ، فكل من أدركها طلبا ، واستحقها بأفعاله لقبا ، من غير الدخول لسيدنا تحت شرف التعبد ، ورق الإخلاص لا التودد ، فقد حرم نيل الكمال ، وعدل عن الحقيقة إلى المحال [من البسيط] :

لأنه الغاية القصوى التي عجزت عن أن تؤمل إدراكاً لها الهمم ما تستحق ملوك الدهر مرتبة في الفضل إلا له من فوقها قدم

(١) لا يغيب بري : أي لا تنقطع صلاته عن الوصول إلي .

ذكاؤه إن دجا ليل الشكوك ضحىً وظلّه إن خطا صرف الردى حرم^(١)
فلو عدا الكرم الموصوف راحته عن أن يجاوزها لم يكرم الكرمُ
الشجاعة أقل أدواته ، والبلاغة أصغر صفاته ، يطرق الدهر إذا نطق ،
وينطق المجد إذا افتخر . فالآمال موقوفة عليه ، والثناء أجمع مصروف إليه ،
نهض بما قعدت همم الملوك عن ثقله ، وضعف الدهر عن معاناة مثله . بهمم
سيفية ، وعزائم علوية ، فرد شمل الدين جديداً ، وذميم الأيام حميداً ، بحق
أوضحه ، وخلل أصلحه . وهدى أعاده ، وضلال أباده [من الطويل] :

فلا انتزع الله الهدى عزّ بأسه ولا انتزع الله الوغى عزّ نصره
وأحسن عن حفظ النبي وآله ورعي سوام الدين توفير شكره
فما تدرك المدّاح أدنى حقوقه بإغراق منظوم الكلام ونثره
لأن أدنى نعمة تستغرق جماع الشكر ، وأيسر منة تفوت المبالغة في جميل
الذكر ، فأما هذا الفتح الشريف خطره ، الحميد أثره ، المشهور بلاؤه ، الواجب
ثناؤه ، الباسق فرعه ، العام نفعه ، فأشرف من أن يحد بالصفات ، أو يعد بأفصح
العبارات ، لإجراء الله تعالى سيدنا فيه من نيل الإرادة ، على مشكور العرف
والعادة ، فيما ابتسم به من ثغر الدين ، وشمل صلاحه كافة المسلمين [من
البسيط] :

كأنّما ادّخر الرحمن معظمةً دون الملوك لسيف الدولة البطل^(٢)
رآه أكرمهم في الخير إن ذكروا وصفاً ، وأفضلهم في القول والعمل
فهزه وظبأ الأسياف مغمدةً واستلّه غير منسوب إلى الفلّل^(٣)

(١) دجا : أظلم ، والردى : الموت .
(٢) ادّخر : أبقى ، وجمع ، ومعظمة : أي أمراً عظيماً .
(٣) الفلّل : التقطع والتلثم في حدّ السيف .

حتى غدا الدين من بعد العبوس به جذلان يرفل من نعماء في حلل
فلو تكلم في حالٍ وقيل له : من خير هذا الوري؟ لم يسم غير علي

وله من رسالة أخرى :

شهاب ذكاء ، وطود وفاء ، وكعبة فضل ، وغمامة بذل ، وحسام حق ،
ولسان صدق . فالليالي بأفعاله مشرقة ، والأقدار لخوفه مطرقة ، تحمده أولياؤه ،
وتشهد له بالفضل أعداؤه [من المتقارب] :

يقابلنا البدر من برده ويشملنا السعد من سعده
ولو فخر المجد لم تلقه فخوراً شيء سوى مجده

وله من رسالة أخرى :

ثم إن شكري نعمة الله تعالى بما جددت من ملاحظة سيدنا حالي ، وتداركه
بطول التطول مرض آمالي ، ما لا أؤمل - مع المبالغة والإغراق فيه - فك نفسي
بحال من رق أياديه ، غير أنني أحسن لها النظر ، وأجمل عندها الأحداث والخبر ،
بالدخول في جملة الشاكرين ، والاتسام بفضيلة المخلصين ، إذ كان - أدام الله
عزه ! - قد نصر نباهتي على الخمول ، واستنقذني من التعهد للتأميل [من
البيط] :

فصرت أمسك عن أوصاف نعمته عجزاً ، وينطق عن آثارها حالي
لما تحصنت من دهري بمعقله سمتُ بحملانه الحافظ إقبالي^(١)
وواصلتني صلات منه رحت بها أختال ما بين عز الجاه والمال
فلينظر الدهر عقبي ما صبرت له إذ كان من بعض حسادي وعذالي^(٢)
ألم أكده بحسن الانتظار الى أن صنت حظي عن حل وترحال

(١) المعقل : الحصن .

(٢) العقبي : العاقبة والنتيجة .

بلغت ما لا يجوز السؤل نائله ولا يدافع عن فضل وإفضال
يا عارضاً لم أشم مذ كنت بارقه إلا رويت بغيث منه هطال^(١)
رويد جودك قد ضاقت به هممي وردّ عني برغم الدهر إقلالي
لم يبق لي أمل أرجو نداك به دهري لأنك قد أفنيت آمالي
والله ينهضني من شكر طوله ، والنهوض بحقوق فضله . لما يبلغني رتبة
الزيادة ، ونيل السؤل والإرادة ، بمنه وكرمه .

وله من رسالة إليه يلتمس رسمه من الكسوة :
والعادة جارية بإعانتني على ما أوثره من التجمل في الخدمة بمتابعة النظر
ومواصلة التفقد [من البسيط] :
فإن رأى - لا رأى سوءاً ولا برح ال إقبال مشتملاً أيام دولته -
أن يقتضي لي من إنعامه خلعاً تنوب عن منطقي في شكر نعمته^(٢)
إذا تأملها الحساد لائحة تيقنوا أنها عنوان نيته
فعل إن شاء الله .
وله من رسالة إلى المهلي الوزير :

ولما كانت مناقب سيدنا من المعجز الذي لا يتعاطى استطاعة الوصف
مطالوته ، ولا إمكان البلاغة مساجلته ، عدلت إلى شكر الله تعالى على ما ألهمنيه
من تأميل سيدنا ، والتجمل بحمل منته ، واكتساب الشرف بسمة ذكره . متحققاً
أنني على البعد منه حاضر بالإخلاص ، لا حق بذوي الحظوة والاختصاص . إذ
كانت خدمة مثلى إنما هي بلبه لا بقربه وبفهمه لا بجسمه [من البسيط] :
وفي الحقيقة لولا أن معتقلي عن السرى جود سيف الدولة الملك

(١) أشم : انظر واتطلع ، والعارض : السحاب .

(٢) الخلع : العطايا والهبات .

لما اقتصرت على غير المسير إلى من حظّه في المعالي غير مشترك
لكنّه فلك الفضل المحيط، وما من عادة الشمس أن تنأى عن الفلك
وفي هذه الرسالة [من البسيط] :

وإن رأى المتناهي من سيادته إلى المحلّ الذي لم يرقه أحد^(١)
أن يقتضي لي حظاً من مكارمه يغري على العدى من أجله الحسد
فالشّمس تدنو ضياءً وهي نازحة^(٢) والسّحب تروي ومن أوطانها البعد^(٣)
وله من رسالة إلى أبي محمد جعفر بن محمد بن ورقاء :

وقد كنت أؤثر أن لا يصدر كتابي هذا إلا بقصيدة في الأمير ، غير أن الوقت
لم يتسع لما أؤثره فأنفذت هذه الأبيات ، وأرجو أن يكون موقعها باسطاً لي إلى ما
أؤثره من المواصلة بأمثالها ، ولا والله ما حسبت فيها ، ولا فيما تقدمها من
المنثور ، عنان القلم ، وهي [من الخفيف] :

جاد ربعاً حللته يا همأم	من ندى كفك العزيز رهام ^(٣)
فقيحٌ إن استزدت له صو	ب غمامٍ وأنت فيه غمامٌ
ما بأرضٍ لم تبد فيها صباحٌ	ما بدارٍ حللت فيها ظلامٌ
وإذا ما حللت في بلدٍ فهـ	و جميع الدنيا وأنت الأنام
سوددٌ عنده التفاخر ذلٌ	وندى عنده الكرام لثام
وسجايا كأنها الروض ، إلّا	أنّها للعدو موتٌ زوام ^(٤)
أنتم أنفس العلا يا بني ور	قاء والناس كلهم أجسام

(١) لم يرقه : لم يصعده ، أو لم يصل إليه .

(٢) النازحة : البعيدة .

(٣) الرهام : بكسر الراء : هو المطر الضعيف الدائم .

(٤) الزوام : المحتم القتاتل .

سَخَطَ المالَ من أَكْفَكُمُ ما حمَدته السيوف والأقلام
وله من رسالة كتبها بعد وفاة سيف الدولة ، إلى عدة الدولة أبي تغلب بن
ناصر الدولة ، يذكر رغبته في قصده وإثارة الانقطاع إليه ، وذلك في سنة ثمان
وخمسين وثلثمائة :

ومن أبرز لسيدنا صفحة رجائه ، ووفق للانقطاع إلى سعة نعمائه - فقد
استظهر لما بقي من عمره ، وحكم لنفسه بالفوز على دهره [من المتقارب] :

فما يقدح الفقر في حاله ولا يطمع الدهر في قصده
وكيف وقد صار ضيف الغما م وهو قريبٌ على بعده؟
ومن علقت بأبي تغلب يداه احتذى البدر من سعده
همامٌ قضى الله من عرشه له بالإمارة في مهده
فظود السيادة في دسسته وشمس الرياسة في برده^(١)

ولما ورد الجواب عن مكتوبه مقروناً بإزاحة العلة في جميع ما يحتاج إليه في
سفره ، والتوقيع بالمبادرة في المسير إلى الموصل ، وردها ، ولقي أبا تغلب
برسالة طويلة منها :

أفصح دلائل الإقبال ، وأصدق براهين السعادة - أطال الله بقاء سيدنا ! - ما
شهدت العقول بصحته ، ونطقت البصائر بحقيقته ، ونعمة الله تعالى على الدين
والدنيا بما أولاهما من اختيار سيدنا لحراستهما بناظر فضله ، وسترهما بظل
عدله ، مفصحة بتكامل الإقبال ، مبشرة بتصديق الآمال [من البسيط] :

محروسةً ضمن الشكر الوفي لها عن الزيادة نيل السؤل في الدرك^(٢)
تحقق الدهر أن الملك منذ نشأ له أبو تغلب اسمٌ غير مشترك

(١) الدست : المجلس • وصدر البيت .

(٢) الدرك : اللحاق وإدراك الحاجة .

واستخلف الفلك الدوّار همّة فلو ونى أغنت الدُّنيا عن الفلك^(١)

موفر الحسنات ، مأمون الهفوات ، متناصر الصفات ، رباعي النفاس ،
حمداني السياسة ، ناصري الرياسة ، عطاردي الذكاء ، موفق الآراء ، شمسي
التأثير ، فلكي التدبير ، قمري التصوير ، للصدق كلامه ، والعدل
أحكامه ، وللوفاء ذمامه . وللحسام عناؤه ، وللقدر مضاهؤه ، وللسحاب عطاؤه
[من البسيط] :

دعوتهُ فأجابتنِي مكارمهُ ولودعوت سوى نعماه لم تُجِبِ
وجدته الغيث مشغوفاً بعادته والروض يجني بما في عادة السَّحْبِ
لوفاته النسب الوضّاح كان له من فضله نسبٌ يغني عن النَّسَبِ
إذا دعتهُ ملوك الأرض سيّدها طراً دعتهُ المعالي سيد العرب^(٢)

فأجمل بره ، وتقبله مدة مقامه بحضرته ، إلى أن سار عنها إلى مدينة السلام سنة
تسعة وخمسين وثلاثمائة ، وجعل يعاود الموصل مرة ، ومدينة السلام أخرى .
وله من رسالة شكر :

وكأنني أرى عواقب اشتمالك علي ، وتفقدك المتواصل إلي ، من مرآة العقل ،
وبصيرة الذكاء والفضل ، إذ كانت امارات الإقبال على حالي بك لائحة ، وشواهد
السعادة لدي بعنايتك واضحة [من الوافر] :

فمن نظري يسارع في صلاحِي ومن وصفٍ يحثُ على نفاقي
فإنعامٌ أسرُّ من التداني على عدمٍ أفضّ من الفراق^(٣)

(١) ونى : ضعف .

(٢) طراً : قاطبة ، جميعاً .

(٣) العدم : الفقر : وأفضّ : أغلظ وأقسى .

وله في مثلها :

من كان جميل رأي سيدنا عدته ، أمن من الدهر شدته ، ومن فزع إلى
إحسانه ، استظهر على زمانه ، ومن توجه برغبته إليه ، لم تقدم الأيام عليه [من
الكامل] :

وأنا الذي علمت من طلب الغنى	كيف الطريق إلى الغنى برجائه
فظللت مخصوصاً بحمد عفاته	وغدوت ممدوحاً بشكر عطائه ^(١)
وأفدت قدماً معجزات فضائلي	من نور فطته ونار ذكائه
فاذا نطقت نطقاً من ألفاظه	واذا وهبت وهبت من نعمائه

* * *

ذكر ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابي

كان كل منهما يتمنى لقاء صاحبه ، ويكاتبه ويراسله ، فاتفق أن أبا الفرج
قدم مرة بغداد وأبو إسحاق معتقل منذ مدة بعيدة ، فلم يصبر عنه ، فزاره في
محبسه ، ثم انصرف عنه ولم يعاوده ، فكتب إليه أبو إسحاق [من الطويل] :

أبا الفرج اسلم وابق وانعم ولا تزل	يزيدك صرف الدهر حظاً إذا نقص
مضى زمن تستام وصلي غالباً	فأرخصته ، والبيع غال ومرخص ^(٢)
وأنستني في محبسي بزيارة	شفت كمداً من صاحب لك قد خلص
ولكنها كانت كحسوة طائر	فوقاً كما يستفرص السارق الفرص ^(٣)
وأحسبك استوحشت من ضيق محبسي	وأوجست خوفاً من تذكرك القفص
كذا الكرز اللّماح ينجو بنفسه	إذا عاين الأشراك تنصب للقفص ^(٤)

(١) العفاة : عطائه .

(٢) الحسوة : الجرعة .

(٣) استام البضاعة : سأل عن ثمنها .

(٤) الكرز : البازي .

فحوشيت يا قسَّ الطيور فصاحةً
من المنسر الأشغى ومن حزة المدى
ومن صعدو فيها من الدبق لهذمٌ
فهذي دواهي الطير وقَّت شرّها
فأجابه أبو الفرج في الحال مع رسوله :

أيا ماجداً مذ يَمِّم المجد ما نكص
ستخلص من هذا السّرار ، وأيما
برأفة تاج الملة الملك الذي
تقنّصت بالألطف شكري ، ولم أكنُ
وصادفت أدنى فرصةٍ فانتهازتها
أتني القوافي الباهرات تحمل الـ
فقابلت زهر الروض منها ولم أرغُ
فإن كنت بالبيغاء قدماً ملقباً
وبعد ، فما أخشى تقنّص جارحٍ

فانتهى الابتداء والجواب إلى عضد الدولة ، فأعجب بهما واستظرفهما ، وكان
ذلك أحد أسباب إطلاق أبي إسحاق من اعتقاله ، ثم اتصلت بينهما المكاتبة
والمودة .

(١) قسَّ الطيور : يعني أفصحها ، وقسَّ : هو قسَّ بن ساعدة الايادي .

(٢) المنسر : المنقار والأشغى : الطويل .

(٣) الدبق : غراء تصاد به الطيور ، واللهزم : الحاد القاطع من السيوف والقمص : القتل والإجهاز .

(٤) جرع : شرب .

(٥) يَمِّم : قصد ، ونكص : ولَّى وهرب .

(٦) السّرار : المحاق ، ماخر أيام الشهر .

(٧) مخترص : مختلق ، والتخريص : الكذب .

وكتب أبو إسحاق إلى أبي الفرج أبياتاً في صفة القبيح^(١) والخطاطيف ، ثم

كتب إليه هذه الأرجوزة في صفة البغاء :

أنعتها صبيحةً مليحة	ناطقَةٌ باللّغة الفصيحة
غدت من الأطيار ، واللسانُ	يوهمني بأنّها إنسانُ
تنهي إلى صاحبها الأخبارا	وتكشف الأسرار والأستارا
سكّاء إلا أنّها سميعه	تعيد ما تسمعه طبيعه ^(٢)
وربّما لُقنتِ العضيّه	فتغتدي بذئّةً سفيّه ^(٣)
زارتك من بلادها البعيده	واستوطنت عندك كالقعيده
ضيفٌ قراه الجوز والأرزُ	والضيف في أبياتنا يعزُ
تراه في منقارها الخلوقي	كلؤلؤٍ يلقط بالعقيق
تنظر من عينيّن كالقصيّين	في النور والظلمة بصّاصين ^(٤)
تميس في حلتها الخضراءِ	مثل الفتاة الغادة العذراءِ
خريدهُ خدورها الأقفاصُ	ليس لها من حبسها خلاص ^(٥)
تحبسها وما لها من ذنبِ	وإنّما تحبسها للحبِّ
تلك التي قلبي بها مشغوفُ	كُنيت عنها واسمها معروفُ
نشرك فيها شاعر الزمان	والكاتب المعروف بالبيانِ
وذاك عبد الواحد بن نصر	تقيه نفسي عاديّات الدهر!

فأجابه أبو الفرج بهذه الأرجوزة :

من منصفني من حكم الكتاب شمسُ العلوم قمر الآداب؟

(١) القبيح : هو الحجل .

(٢) السكّاء : أي أذنّها صغيرة ، او مقطوعة من أصلها

(٣) العضيّه : الكذب والزور البهتان .

(٤) بصّاصين : مضيين ، ناظرين .

(٥) الخريده • البكر .

أضحى لأوصاف الكلام محرزا وهل يجاري السابق المقصر؟ ما زال بي عن غرضٍ معرضا فتارةً يعتمد الخطافا وتارةً يعني بنعت القبح يحوم حول غرضٍ معلوم حتى تجلّت رغبة الصريح وصحّ أن البيغاء مقصده فلم يدع لقائل مقالا أهدى لها من كل نعت أحسنه أحال بالريش الأشيب الأخضر على اختلاط الروض بالشقيق تزهى بدوّاج من الزمرد وحسن منقارٍ أشمّ قاني صيرها انفرادها في الحبس تميّزت في الطير بالبيان تحكي الذي تسمعه بلا كذب غداؤها أزكى طعام رغدا ذات شغى تحسبه ياقوتا

وسام أن يلحق لما برزا أم هل يساوي المدرك المعذر؟ ولي بما يصدره مستنهضا بيدع تستغرق الأوصافا من منطق لفضله محتج^(١) ومقصدا في شعره مفهوم وسلّم التلويح للتصريح بكلّ ما كان قديماً يورده فيها ولا لخاطر مجالا وصاغ من حلي المعاني أزينه وباحمرار طوقها والمنسر^(٢) وأخضر الميناء بالعقيق ومقلّة كسبج في عسجد^(٣) كأنما صيغ من المرجان بنطقها من فصحاء الإنس عن كلّ مخلوق سوى الإنسان من غير تغيير لجدّ أو لعب لا تشرب الماء ولا تخشى الصدا^(٤) لا ترتضي غير الأرض قوتا^(٥)

(١) القبح : الحجل .

(٢) الأشيب : المختلط، والمنسر : المنقار .

(٣) الدوّاج : لحاف يلبس، والسبج : خرز أسود ناعم .

(٤) الصدا : الظمأ .

(٥) الشغى : المنقار، أو السن الزائدة طويلاً عن رفيقاتها .

كأثما الحبّة في منقارها حباية تطفو على عقارها^(١)
إقدامها بياسها الشديد أسكنها في قفص الحديد
فهي كخود في لباس أخضر تأوي إلى خركاهة لم تستر^(٢)
ووصفها المعجز ما لا يدرك ومثله في غيرها لا يملك
لو لم تكن لي لقباً لم أختصر لكن خشيت أن يقال منتصر
وإنما تنعتُ باستحقاق لوصفها حذق أبي إسحاق
شرفها وزاد في تشريفها بحكم أبداع في تفويها^(٣)
فكيف أجزى بالثناء المنتخب من صرف المدح إلى اسمي واللقب

وكتب إليه أبو إسحاق بأحسن ما قيل في مدح الأثغ [من الطويل] :

أبا الفرج استحققت نعتاً لأجله تسميت من بين الخلائق ببغا
بياناً منيراً كاللّجين مضمناً نضاراً من المعنى أديباً وأفرا
فلولا مرىء القيس انتدبت مجارياً كبا أو لقس في فصاحته صغا^(٤)
متى ما يرمّ ذا الاسم غيرك رائم ليلبغ من غايات فضلك مبلغا^(٥)
فإنني أسميه به ثم أنثني فأسلبه باءً من الاسم إذ بغى
إذا أنا سلّمت البلاغة طائعاً إليك فأبي الناس خالفني طغى
كفتك على رغم الحسود شهادتي بأن كنت منه ثم مني أبلغا
وما هجّنت منك المحاسن لثغة وليس سوى الانسان تلقاه ألثغا^(٦)

(١) العقار : الخمرة، والحباب : فقاغ يعلو الخمرة حين تصب في الكأس .

(٢) الخود : الفتاة القاعمة .

والخركاة : إسم مكان فارسي .

(٣) التفويف : التنزيين والتوشية .

(٤) صغا : مال .

(٥) يروم : يبتغي .

(٦) اللثغة : تكون في نطق الحرف كالسين ينطق شيئاً .

أُتعرّفها فيما تقدّم خالياً لغير إذا ما صاح أو جمل رغا^(١)
فيا لك حرفاً زدت فضلاً بنقصه فأصبحت منه بالكمال مسوّغا
بقيت ولا تعدم بقاء مرفّها وعشت ولا تعدم معاشاً مرفّغا^(٢)

ولما نقل عز الدولة بختيار ابنته المزوجة بعدة الدولة أبي تغلب إليه
بالموصل - كتب عنه أبو إسحاق في معناها فصلاً من كتاب استحسنه الناس
وتحفظوه وأقرله بالبراعة والبلاغة كل بليغ ، وهو :

قد توجه أبو النجم بدر الحرمي ، وهو الأمين على ما يلحظه ، الوفي بما
يحفظه ، نحوك يا سيدي ومولاي - أدام الله عزك ! - بالوديعة ، وإنما نقلت من
وطن إلى سكن ، ومن مغرس إلى معرس . ومن مأوى بر وانعطاف ، إلى مثوى
كرامة وإطاف . ومن منبت درت لها نعمائّه ، إلى منشأ تجود عليها سماءه . وهي
بضعة مني انفصلت إليك ، وثمره من جنى قلبي حصلت لديك . وما بان عني من
وصلت حبله بحبلك ، وتخيرت له بارع فضلك . وبوأت المنزل الرحب من جميل
خلائقك ، وأسكنته الكنف الفسيح من كرم شيمك وطرائقك . ولا ضياع على ما
تضمه أمانتك ، ويشتمل عليه حفظك ورعايتك . وأرجو أن يقرن الله موردها
بالبطائر السعيد . والأمر الرشيد . والعز الزائد ، والمجد الصاعد . والنماء في
الائتلاف ، والعصمة من الفرقة بالخلاف . حتى تكون عوائد البركة بأحوالها
منوطة ، ومن عوادي الأيام وغيرها محوطة .

وإنما ألم أبو إسحاق في تسميته لها بالوديعة بالفصل الذي كتبه جعفر ابن
محمد بن ثوبة عن المعتضد إلى ابن طولون في ذكر ابنته قطر الندى المنقولة إليه ،
وهو :

وأما الوديعة - أعزك الله ! - فهي بمنزلة ما انتقل من شمالك إلى يمينك ،

(١) رغا : أزيد وهاج .

(٢) الرفاغية : السعة في العيش .

عناية بها ، وحياطة لها ، ورعاية لمولاتك فيها .

فلما عرضه على الوزير عبد الله بن سليمان ارتضاه جداً واستحسنه ، وقال له : تسميتك إياها بالوديعة نصف البلاغة ، ووقع له بالزيادة في إقطاعه ومشاهرتة .

ولما قرىء الفصل من إنشاء الصابي بحضرة أبي تغلب اعتمد في الجواب عنه على أبي الفرج البيهقي ، وكتب كتاباً يشتمل على هذا الفصل الذي هو الجواب عن الفصل المذكور ، وهو :

وأما أبو النجم بدر الحرمي - أيده الله ! - المستوجب للارتضاء والإحجاد ، الموفى بمناصحته على كل مراد ، فقد أدى الأمانة إلى متحملها ، وسلم الذخيرة الجليلة إلى متقبلها ، فحلت من محل العز في وطنها ، وأوت من حمى السؤدد إلى مستقرها وسكنها : متنقلة من عطن الفضل والكمال ، إلى كنف السعادة والإقبال . وصادرة عن أنبل ولادة ونسب ، إلى أشرف اتصال وأنبه سبب ، وفي اليسير من لوازم فروضها وواجبات حقوقها ، ما صان رعايتي عن الوصاة بها ، ونزه وفائي عن الاستزادة لها ، وكيف يوصي الناظر بنوره ؟ أم كيف يحض القلب على حفظ سروره ، وإن سببا قرن بإحجاد أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه ! - ذكرى ، ووصل بحبل السيد العم ركن الدولة - أدام الله تأييده ! - حبلي . ومنع عز الدولة - أيده الله ! - مكنون ودي ، واختص الأخوة من ولد أبيه السعيد رضي الله عنه وأيدهم بوثيق عهدي ، إلى أن صرت بفضل الجماعة قائلاً ، ودونها بالنية والفعل مناضلاً ، وبمحاسنها المجموعة إلى ناطقاً ، وبمالي عندها من المساهمة والمشاركة واثقاً - لحقيق بالتناهي في الأعظام ، وخليق بالمبالغة في الإيجاب والإكرام ، والله يعين على ما اعتقده من ذلك وأخفيه . ويوفقني لما يوفني على المحبة والبغية فيه . بمنه وقدرته ، وحوله وقوته .

* * *

هذا ما أخرج من شعر أبي الفرج الذي يتغنى به

[فمنه قوله] [من الوافر] :

لقد عزَّ العزاء عليَّ لما تصدَّى لي لتقتلني الصدودُ
إذا بُعدَ الحبيب فكلُّ شيءٍ من الدنيا ولذتها بعيدُ

وقوله [من البسيط] :

يا سادتي ، هذه نفسي تودِّعُكمُ إذ كان لا الصبر يسليها ولا الجزعُ^(١)
قد كنت أطمع في روح الحياة لها فالآن إذ بثُّمُ لم يبقَ لي طمعُ
لا عذبَ الله روحي بالبقاء فما أظنني بعدكم بالعيش أنتفعُ

وقوله [من الوافر] :

حصلت من الهوى بك في محلٍّ يساوي بين قربك والفرقِ
فلو واصلت ما نقص اشتياقي كما لو بنت ما زاد اشتياقي

وقوله [من البسيط] :

يا مسقمي بجفونٍ سقمها سببُ إلى مواصلة الأقسام في جسدي
وحقَّ جفنيك لا استعفيت من كمدي دهري ، ولو متُّ من همٍّ ومن كمدٍ^(٢)
عذرت من ظلٍّ في حبِّك يحسدني لأنَّه فيك معذورٌ على حسدي

وقوله [من البسيط] :

يا من تشابه منه الخلقُ والخلقُ فما تسافر إلَّا نحوه الحدقُ
توريدُ دمعي من خديك مختلسُ وسقم جسمي من جفنيك مسترقُ^(٣)

(١) الجزع : الخوف واليأس .

(٢) استعفيت : طلبت الخلاص والكمد : الحزن الشديد .

(٣) مختلس : مأخوذ ومسروق .

لم يبق لي رمتُ أشكو هواك به
وقوله [من الكامل] :

ومهفهفٍ لَمَّا اكتست وجنَّتهُ
لَمَّا انتصرتُ على عظيم جفائه
كملت محاسن وجهه فكأَنَّمَا اقد
وَإِذَا أَلَحَّ القلبُ في هجرانه
وقوله [من الكامل] :

ما ضرَّ من بعد السرور ببعدهِ
يبدو فأطرق هيبةً ومخافةً
قد صرت أعجب أنَّ علَّةَ طرفه
وقوله [من الكامل] :

يا طيف من أنا عبده من أين لي
ينأى فتدنيه إليَّ على النوى
ما كان أحسن حالتي لو أن ما
وقوله [من البسيط] :

علَّمتُ طيفك اسعافي فما هجعتُ
فكيف أشكر من إن نمت واصلني

(١) الرمتُ : بقية الروح .

(٢) فداره : من المدارة ، أي التمهّل والتأني .

(٣) يجمل : يحسن .

(٤) يطرفني : يسكن طرفي ولا يفارقه فيمنعه النوم .

وقوله [من الوافر] :

خيالك منك أعرفُ بالغرامِ
فلو يستطيع حين حظرت نومي
وأرأفُ بالمحبِّ المستهامِ
عليّ لزار في غير المنام^(١)

وقوله [من البسيط] :

قد كان أحسن شيءٍ بعد بعدهمِ
هم بالوصال أعادوها إليك ، فلمْ
ذخرتها بعدهم للصبر والجلدِ ؟
أظهرت ما ليس موجوداً لدى أحدٍ
وعدت بالدمع تعليلاً كأنك قد

وقوله [من البسيط] :

يا من إذا خفت فيه العذل آمني
ما يستحقُّ زماني - وهو سامحي
جميل إنصافه من عذلٍ عذَّالي
بمثل ودك - أن أشكوه في حالٍ
تسعى لئاليه حتى نلت آمالي
رآك غاية آمالي ، فما برحتْ

وقوله [من الكامل] :

أوليس من إحدى العجائب أنني
يا من يحاكي البدر عند تمامه
فارقتَه فحييت بعد فراقه
أرحم فتى يحكيه عند محاقه^(٢)

وقوله [من البسيط] :

جاورت بالحب قلباً لم تذّر فكري
مفرقاً بين همٍّ غير مفترقٍ
للحب مستمتعاً فيه ولم تدع^(٣)
عنه ، وبين سلوٍّ غير مجتمعٍ

* * *

(١) خطرت : منعت .

(٢) يحاكي : يماثل ، والمحاق : القمر في السرار آخر الشهر .

(٣) جاورت : من الجوار ، وهو القرب والجيرة ولم تذّر : لم تترك .

وهذه غرر من شعره في الغزل والخمر

أنشدت له في رمد المحبوب ، وهو أحسن ما سمعت في معناه [من الطويل] :

بنفسي ما يشكوه من راح طرفه ونرجسه ممّا دهى حسنه ورد
أراقت دمي ظلماً محاسن وجهه فأضحى وفي عينيه آثاره تبدو
غدت عينه كالخدّ حتّى كأنما سقى عينه من ماء توريده الخدّ
لئن أصبحت رمداً مقلّة مالكي لقد طالما استشفت بها مقلّ رمد^(١)

وله في الفصد [من الخفيف] :

بأبي الغائب الذي لم يغبْ ع نني فأشكو إليه همّ المغيب
باشرته كفّ الطيب ، فلو ند ت الأمانى قبلت كفّ الطيب
فعلت في ذراعه طبّة المب ضع أفعال لحظه بالقلوب^(٢)
فأسالت دماً كأنّ جفوني عصفرته بدمعها المسكوب^(٣)
طاب جداً فلو به سمح الدهر ر لأمسي عطري وأصبح طيبي

وله في غلام خرج غازياً [من البسيط] :

يا غازياً أتت الأحزان غازيةً إلى فؤادي والأحشاء حين غزا
إن بارزتكم كماء الروم فارمهم بسهم عينيك تقتل كلّ من برزا

وله في وصف معصرة [من مجزوء الوافر] :

ومعصرة أنخت بها وقرن الشمس لم يغب
فخلت قزازها بالرّأ ح بعض معادن الذهب

(١) المقلّة : العين ، والرّمد : أذى يصيبها .

(٢) طبّة المبزع : أي حده القاطع .

(٣) العصفر : نبات أصفر يصغ به .

وقد ذرفت لفقد الكر م فيها أعين العنب
وجاش عباب واديها بمنهل ومنسكب
وياقوت العصير بها يلاعب لؤلؤ الحب^(١)
فيا عجباً لعاصرها وما يغني به عجي!
وكيف يعيش وهو يخوض في بحر من اللهب؟

قوله في الخمر والقذح [من المنسرح] :

بالقفص للقفص منزل كتب ما للتصابي في غيره أرب
جادت به ديمة السرور، وحلّ اللهو فيه ، وعرس الطرب^(٢)
دارت نجوم السرور في فلك منه له من فتوتي قطب^(٣)
من كل جسم كأنه عرض يكاد لطفاً باللحظ يتهب
نور وإن يغب ، ووهم وإن صح ، وماء لو كان ينسكب
لا عيب فيه سوى إذاعته الـ سر الذي في حشاه يحتجب
كأنما صاغه التفاق فما يخلص صدق منه ولا كذب
فهو إلى لون ما يجاوره على اختلاف الطباع ينتسب
إذا ادعاه اللجين أكذبه بالراح في صبغ جسمه الذهب
جلت عروس المدام حالية فيه علينا الأوتار والنخب^(٤)
فالأراح بدر ، والجام هالته والأفق كفي ، والأنجم الحب^(٥)
حال به الماء عن طبيعته بالمزج حتى خلناه يلتهب

(١) الحب : فقاع يعلو الماء والخمر وغيرهما .

(٢) الديمة : السحابة الممطرة ، وعرس : أقام .

(٣) القطب : نجم يهتدي به .

(٤) النخب : أي نخب الشراب .

(٥) الجام : إناء الخمر .

خمر علينا الأقداح لا العلب
أوطان من بالسرور ويقترب
من بعد بغداد سلوتي حلب

ونحن في مجلسٍ تدير به الـ
ينسى بأوطانه الحنين إلى الـ
لولا حفاظي المشهور ما أمنت

وله [من الخفيف]:

صباحٌ مقارنٌ لمساءٍ
لم تمتع فيه بطول البقاء
لم ناراً تذكي بقرع الماء^(١)
بُفلاحت كالشمس في الظلماء^(٢)
ه لأننا عن نوره في غناء
كشعاعٍ ممازجٍ لهواء
يتلاشى باللحظ والإيماء
ر حتى ترفض مثل الهباء^(٣)
تتهادى كواكبُ الجوازاء
وكانَ المدير في الحلة البيضاء
بين جد الغنا وهزل الغناء
حيث سكر الشباب أفضى على قلبي وأمضى من نشوة الصهباء

ومدام كأنها في حشا الدن
فهي نفس لها من الطين جسم
ما توهمت قبلها أن في العا
بزلت والضحي عن الليل محجو
وتلاه الفجر المنير فعنا
مازجت جوهر الزجاج فجاءت
وتحلت من الحباب بدر
بينما تسكتسي به زرد البلو
فكأننا بين الكؤوس بدور
وكانَ المدير في الحلة البيضاء
بين جد الغنا وهزل الغناء
حيث سكر الشباب أفضى على قلبي وأمضى من نشوة الصهباء

وله [وهو] من أبلغ ما قيل في عتق الخمر [من الكامل]:

وعريقة الأنساب والشيم
موجودةً والخلق في العدم
قدمت فلا تعزى إلى حدثٍ
إلا إذا عزيت إلى الهرم^(٤)

وعريقة الأنساب والشيم
موجودةً والخلق في العدم
قدمت فلا تعزى إلى حدثٍ
إلا إذا عزيت إلى الهرم^(٤)

(١) تذكي : تسعر.

(٢) بزلت : شقت.

(٣) ترفض : تزول.

(٤) تعزى : تنسب ، والحدث : الجديد .

هي آدمُ الكرم المولدُ في الدنيا وحوّاً الخمر في القدم
 كملت فضائلها وقصرَ عن أوصافها الإغراق في الكلم
 ظهرت ونور الشمس في فلكهِ من قبل خلق الصبح والظلم
 فانهلَ جوهرها بمنسكبٍ لم يعتصرَ بيدٍ ولا قدم
 واشتق معنى اسم السُّلاف لها من كونها في سالف الأمم^(١)
 فكأنّها في صفوها خلقي وكأنّها في عتقها كرمي

وله [من الخفيف] :

غادني بالصبوح قبل الصباح واجرّ في حلبة الصِّبا والمراح
 واغتتم زائر الغرام فقد بشّ ر بالغيث من نسيم الرياح
 عاطيها كالجلنار إذا ما كلّلت من حبابها بالأفاح^(٢)
 في اختصاص التفاح بالطيب والخمر رة لا في كثافة التفاح
 غير نكرٍ أن تستمدّ شعاع الـ شمس منها كواكب الأقداح
 فهي أصل الأنوار لطفاً كما كا ساتها عنصر الزلال القراح^(٣)
 خدمتها الأجسام بالطبع لمّا شاهدت قربها من الأرواح
 فتداركُ بها حشاشة أفرا حي وحركُ بها سكون ارتياحي
 بين وردين من بنانٍ وخلد وشرابين من رضابٍ وراح^(٤)
 ونشيدٍ مستنبطٍ من حديثٍ وغناءٍ يُغني عن الاقتراح
 فالذُّ الحياة ما خلط العا قل فيه فساده بصلاح

(١) السلاف : من اسماء الخمرة ، وسالف الأمم : قديمها .

(٢) كلّلت : أي علاووجهها حباب الخمر والأفاح والجلنار : من الورود .

(٣) الزلال القراح : العذب الصافي .

(٤) الرضاب : اللعاب .

وله في وصف شراب في قدح أزرق فيه صور [من المنسرح] :

كم مئة للظلام في عنقي
وكم صباح للراح أسلمني
فعاطنيها بكرة مشعشة
في أزرق كالهواء يخرقه الـ
كان أجزاء مركبة
ما زلت منه منادماً لعباً
تختال قبل المزاج في أزرق الـ
تغرق في أبحر المدام فيسـ
فلو ترى راحتي وزرقته
لخلت أن الهواء لاطفني

بجمع شمل وضم معتق
من قلق ساطع إلى فلق
كانها في صفائها خلقي
لحظ وإن كان غير منخرق
حسناً ولطفاً من زرقة الحدق
مذ أسكرتها السقاة لم تفق
فجر وبعد المزاج في الشفق
تنقذها شربنا من الغرق
من صبغها في معصفر شرق
بالشمس في قطعة من الأفق

وله من قصيدة [من الكامل] :

كم للصباية والصبأ من منزل
جادته من ديم المدام سحائب
غيث إذا ما الراح أو مض برقه
لطفت مواقع صوبه فسجاله
راضعت فيه الكأس أهيف ينثني
فأتى وقد نقش الشعاع ثيابه
وكسا البنان بها خضاباً ياله
قدح البزال زاندها من دونها

ما بين كلوا ذا إلى قطربل
أغته عن صوت الحيا المتهلل^(١)
فرعوده حث الثقل الأول
تهمي على كرب النفوس فتنجلي
نحوي بجيد رشاً وعيني مغزل
بممزج من نسجها ومثقل
لو أنه من وقته لم ينصل^(٢)
فتهاقت مثل الشراب المرسل^(٣)

(١) صوب الحيا المتهلل : أي المطر المنهمر.

(٢) ينصل : يتغير لونه.

(٣) البزال : أداة يثقب بها الشيء.

وطغت لعجز الماء عن إطفائها
فوردت أروي مورده وشربت أحـ
ونزعت لافي السكر خنت تصونني
وقال في الورد [من الخفيف] :

زمنُ الورد أظرف الأزمانِ
أدرك النرجس الجنيَّ وفزنا
أشرف الزهر زار في أشرف الدهـ
وأجلُّ شمس العقار في يد بدر الـ
وأدرها عذراء وانتهز الـ
في كؤوسٍ كأنها زهر الخشـ
واختدعها عند البزال بألفا
فهي أولى من العرائس إن زفـ
وقال في النرجس [من السريع] :

ونرجسٍ لم يعدُ مبيضُ الكأس
تخال أقحاف لجينٍ حوتُ
كأنما تهدي التحايا به
يلهي عن الورد إذا مارنا
أحبُّ به من زائرٍ راحلٍ
فانتهز الفرصة في قربه

حتى ظننت الكأس جذوة مصطلي^(١)
لى مشربٍ ونهلت أعذب منهلٍ
بخناً ولا في الصحو شنت تجملي^(٢)

وأوان الربيع خير أوانٍ
منهما بالخدود والأجفان
ر فصلٌ فيه أشرف الإخوان
حسن يخدمك منهما النيران
كان من قبل عائق الإمكان
خاش ضمت شقائق النعمان
ظِ المثاني ومطربات الأغاني
ت بعزف النايات والعيان

ولا أصفره الرّاحا
من أصفر العسجد اقداحاً^(٣)
لطفاً إلى الأرواح أرواحاً
ويخلف المسك إذا فاحا
عوضَ بالأحزان أفرحا
وكنُ إلى اللذات مرتاحا

(١) الجذوة : النار أوقبس منها .

(٢) الخنا : الفحش ، والشين : العيب .

(٣) الأقحاف : جمع قحف ، وهو إناء من الخشب مثل قحف الرأس كأنه نصف قده واللجين : الفضة
والمسجد : الذهب .

وهاتها عذراء لم تفتزع في الليل إلا عاد إصباحاً
كأنما كل بنانٍ حوت كاساتها تحمل مصباحاً
واجنر بالحاظك من وجتي مديرها ورداً وتفاحا

* * *

غرر شعره في سائر الفنون

وله من قصيدة [من الوافر]:

صحبت الدهر في سهلٍ وحزنٍ	وجربت الأمور وجربتني ^(١)
فلم أر مذ عرفت محلّ نفسي	بلوغ غنى يساوي حمل من ^(٢)
ولم تتضمن الدنيا لحظي	منال مسرة إلا بحزن
حملت على السوابق ثقل همّي	وشاهدت العواقب صفو ذهني
وشمت بوارق الآمال دهرأ	فلم أظفر على ظمأ بمزن ^(٣)
ولم أر كالجياذ أصح ودأ	إذا عدل الودود إلى التضني
نكلّفها عزائنا فتكفي	ونستدني الحظوظ بها فتدني
وهبت لمثل قطع الليل منها	أغرّ كمثل ضوء الصبح مني
وكنت بحيث ظنّ من اعتزامٍ	وكان من المضاء بحيث ظني
وثالثنا ابن جدّ لا يرى أن	يصاحب في تصرفه ابن وهن ^(٤)
حجبت لجفنه الأبصار عنه	ومن لي أن يكون الجفن جفني
سقيت نداي ما أسنى محلي	وأرفع همّي وأعزّ ركني
رسا في تربة العلياء أصلي	وأينع في بروج العزّ غصني

(١) الحزن : المصاعب.

(٢) المنّ : ذكر التفضل في كل مناسبة.

(٣) شمت : نظرت.

(٤) ابن وهن : ابن ضعف.

وليس عليّ غير الجدد فيما سعت له لأستغنى وأغني
فإن أحرم فلم أحرم لعجز وإن أبلغ فنفسى بلغتني
وله من أخرى [من المنسرح] :

ما الذلّ إلاّ تحمل المنزلة فكن عزيزاً إن شئت أو فهن
إذا اقتصرنا على اليسير فما الـ علة في عتبنا على الزمن
وله من أخرى [من البسيط] :

جزيت أفضل ما يجزاه ذو كرم أحلافه في دياجي دهره شعل
حماء وهو غلامٌ غير مكتهل عن المطامع فضلٌ فيه مكتهل
وله من أخرى [من الوافر] :

أكلٌ وميضٌ بارقةٌ كذوبٌ أما في الدهر شيءٌ لا يريبُ؟
أبى لي أن أقول الهجر قدرٌ بعيد أن تجاور العيوب
وله من أخرى في سعد الدولة بن سيف الدولة [من المنسرح] :

لا غيث نعماء في الوري خلب الـ برق ولا ورد جوده وشل^(١)
جاء إلى أن لم يبق نائله مالا، ولم يبق للورى أمل
وله [من الكامل] :

واليوم من غسق العجاجة ليلة والكرُّ يخرق سجفها الممدودا^(٢)
وعلى الصفاح من الكفاح وصدقه روعُ أحال بياضها توريدا^(٣)

(١) الوشل : الماء القليل .

(٢) السجف : السائر، وشدة الظلام .

(٣) الصفاح : السيوف .

والطعن يغتصب الجياد شياتها
وعلى النفوس من الحمام طلائعُ
وقد استحال البر بحرًا، والضحي
وأجلُّ ما عند الفوارس حثها
حتى إذا ما فارق الرأي الهوى
لم يغن غير أبى شجاعٍ والعلا

وله من أخرى [من البسيط]:

للخطب إن ضاقت الأخلاق والحيلُ
في صورة الموت إلاَّ أنَّه رجل
ظهرُ وهادى جوادٍ ما له كفل^(١)

من كلِّ متسع الأخلاق مبتسمٍ
يسعى به البرق إلاَّ أنَّه فرسٌ
يلقى الرماح بصدرٍ منه ليس له

وله من أخرى [من الكامل]:

بعجاجةٍ ملء الفضاء لهام^(٢)
من عثيرٍ ونجومه من لام^(٣)
يلقى الضحى من نعه بظلام

في سالبٍ للشمس ثوب ضيائها
كالليل إلاَّ أنَّ ثوب ظلامه
يلقى الدجى من بيضه بضحي كما

وله من أخرى [من الكامل]:

شعثاً ولولا بأسه لم تنقذ
كالقطر صافح موج بحرٍ مزبد
فيه اعتناق تواصلٍ وتودُّد

قاد الجياد إلى الجياد عوابساً
في جحفلٍ كالسيل أو كالليل أو
متوقِّدُ الجنبات يعتنق القنا

(١) حثها : العمل على إسراعها .

(٢) الكفل : الردف أو المؤخرة .

(٣) اللهام : العظيم من الجيش وغيره .

(٤) العثير : الغبار والتراب واللام : الأشخاص والناس .

مُتَعَنَجِرٌ بظبا الصوارم مبرقٌ تحت الغبار وبالصواهل مرعد^(١)
 ردّ الظلام على الضحى فاسترجع الـ إظلام من ليل العجاج الأربد^(٢)
 وكأَنَّمَا نَقَشْتَ حَوَافِرَ خَيْلِهِ للناظرين أهْلَةً في الجلمد
 وكأنَّ طرف الشمس مطروفٌ وقد جعل الغبار له مكان الإيْئِد^(٣)

ما أحسن هذا التشبيه وأوقعه ! وكل هذه الأوصاف مالا مزيد عليه حسنا وبراعة . وله من أخرى [من المنسرح] :

من كلِّ مَخْتَالَةٍ تنقب بالـ عثير وجه الضحى من الخجل^(٤)
 تضم أحشاءها على أسدٍ تزأر في غابةٍ من الأسل^(٥)
 وله من أخرى [من الخفيف] :

في خميس كَأَنَّمَا السمر والأبد طال غيلٌ حمته أسود^(٦)
 سلب الشمس ضوءها بشموسٍ طالعات أفلاكهن حديدٌ
 عارضٌ كلِّما جلته بروق الـ بيض حشّته بالصهيل الرعود
 وله من أخرى [من الطويل] :

وموشيةٌ بالبيص والزغف والقنا مجبرة الأعصاب بالضمّر القب^(٧)
 بعيدة ما بين الجناحين في السرى قريبة ما بين الكمين بالضرب

(١) مُتَعَنَجِرٌ : متسلّح ومتمنطق .

(٢) الأربد : الكالْح المتجهّم .

(٣) مطروفٌ : لحقه بعض الأذى ، والإيْئِد الكحل .

(٤) العثير : الغبار والتراب .

(٥) الأسل : والرماح

(٦) الخميس : الجيش من خمس فرق ، والغيل : الشجر الملتف .

(٧) الزغف : الدرْع الفضفاضة الواسعة والمحكمة الصنع . والغمر : القَبّ الخيل الهزيلة الخصر والبطن .

من السالبات الشمس ثوب ضيائها
يعاتب نشوان القنا صراح الظبا
أعادت علينا الليل بالنقع في الضحى
تبلى عن شمسي نزار ويعرب
موقرة يقتاد ثني زمامها
أصح اعتزاماً من خؤون على فلا
وله من أخرى [من المتقارب] :

ويوم أغص اتساع الفضا
يخيل أن ماله آخر
ويغصب شمس الضحى نورها
دجى أنت بدر به والنجو
ء جيش لمن أمه مهول
إذا ما تراءى له أول
من الخيل ما تبعث الأرجل
م زرقك والظلمة القسطل^(١)

وله من أخرى [من البسيط] :

في عارض ضاقت الأرض الفسيحة
كأنه الليل لا قرب ولا بعد
يهدي الغبار إليه الشمس كاسفة
شق الغضنفر آجام الرماح به
عن سراه إذ سال فيها سيله العرم
يخفى عليه ولا فج ولا علم
كأنها فيه سر ليس ينكت
والموت يسفر أحياناً ويلثم
وكاتب النصر عنه السيف لا القلم
إذا سرى صاحبه في السرى الأجم^(٢)
وما سمعنا بليث قبل رؤيته

(١) بصير : خبير ، والكريهة : الحرب .

(٢) الزرق : كناية عن السيوف ، والقسطل : الغبار .

(٣) السرى : المسير ليلاً ، والأجم : جمع أجمة ، وهي غابة الأسد .

الباذل العرف والأنواء باخلة
حيث الدجى النقع ، والفجر الصوارم ،
والمانع الجار والأعمار تخترم^(١)
والأسد الفوارس ، والخطية الأجم^(٢)

وله من أخرى [من الطويل] :

وكلّ بعيدٍ قربَ الحين نحوه
تباشر أقطار البلاد كأنها
لخفتها فوق السروج قلوب
تماشي بفتيانٍ كأن جُسومهم

وله من أخرى [من الطويل] :

أناهم بالحاظ الجياد ولم تكن
من اللاء يهجرن المياه لدى السرى
مرنٌ على لدغ القنا فكأنما
نسجن ملاء النقع ثم حرقته
لينأى عليها المنزل المتباعدُ
ويعتضن شمّ الجوّ والجو راكدُ
عليهنّ من صبغ الدماء مجاسد^(٣)
بكرٌ لها منه إلى النصر قائد
عليهنّ من نسج الغبار غلائلُ
رقاقٌ ومن نضح الدماء قلائد^(٤)

وله من قصيدة في وصف فرس [من الكامل] :

إن لاح قلت أدميةً أم هيكلُ
تتخاذل الأحاظ في إدراكه
فكأنه في اللطف فهمٌ ثاقبُ
أو عنّ قلت أسابحُ أم أجدلُ^(٥)
ويجار فيه الناظر المتأملُ
وكأنه في الحسن حظٌ مقبلُ

(١) تخترم : تقتطع .

(٢) الخطية : الرماح .

(٣) السلاهب : الطويل من الخيل ، والجرد : القصيرة الشعر .

(٤) لدغ القنا : آثارٌ جراحها والمجاسد : جمع مجسد ، وهو الثوب الذي يلامس الجسد .

(٥) نضح الدماء : فيضها .

(٦) السابح : الفرس ، والأجذل : الصقر .

وله من قصيدة يشكر بها بعض إخوانه وقد أهدى إليه بغلة [من البسيط] :

قد جاءت البغلة السفواء يجنب من	ها البرد غيث ندى ينهل ماطره ^(١)
عريقة ناسبت أخوالها فلها	بالعتق من كرم الجنسین فاخره
ملء الحزام وملء اللبد مجفرة	يريك غائبها في الحسن حاضره ^(٢)
أهدى لها الروض من أوصافه شية	خضراء ناضرة إذ حال ناضره
ليست بأول حملانٍ شريت به	حمدي ، ولا هي ياذا المجد آخره
كم قد تقدمها من سابح بيدي	عنانه ، وعلى الجوزاء حافره
وله في وصف بركة [من المتقارب] :	

وقوراء كالفلک المستدير	تروق العيون بلائها ^(٣)
حبتها البحار بأمواجها	وسحب السماء بأنوائها
كأن تدفق تيارها	يداك تفيض بنعمائها
وجودك أغزر من جريها	وخلقك أعذب من مائها

* * *

(١) السفواء : السريعة التي تسف الغبار خلفها كما تسف الريح الرمال والغبار .

(٢) الجفرة : جوف الصدر ، ومن الشيء معظمه .

(٣) القوراء : المحوقة .

الباب الثامن

٢٠ - في ذكر الخليع الشامي ، والوأواء الدمشقي وأبي طالب الرقي

أما الخليع فكنته أبو عبد الله ، وقد ذهب عني اسمه وكان شاعراً مفلحاً قد أدرك زمان البحري وبقي إلى أيام سيف الدولة فانخرط في سلك شعرائه .

فحدثني أبو بكر الخوارزمي قال : رأيت الخليع بحلب شيخاً قد أخذت منه السن العالية ، وثقلت عليه الحركة ، فمما أنشدنيه لنفسه قوله [من الكامل] :

جيراننا جار الزمان عليهمُ	إذا جار حكمهم على الجيران
ما الشأن ويحك في فراق فريقيهمُ	الشأن ويحك في جنون جناني
خذ يا غلام عنان طرفك فائنه	عني ، فقد ملك الشمول عناني ^(١)
سكران سكر هوىً وسكر مدامة	أتى يفيق فتىً به سكران ^(٢) !

وقوله وهو مما يتغنى به [من المتقارب] :

بأي المدامين لم أسكر	بكأسك أم طرفك الأحور ^(١)
سقيت من الشمس مشمولاً	على غرة القمر الأزهر
إذا الماء خالطها جنتحت	أكاليل درّ على جوهر

(١) اثنه : اطوه ، والشمول : الخمر .

(٢) الطرف : النظر : والأحور ، الشديد البياض والشديد السواد .

كَانَ عَلَى الشَّرْبِ مِنْ لَوْنِهَا ثِيَاباً مِنَ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ
وَقَوْلُهُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ [مِنْ الْكَامِلِ] :

أَنَا شَاعِرٌ ، أَنَا شَاكِرٌ ، أَنَا نَاشِرٌ ، أَنَا رَاجِلٌ ، أَنَا جَائِعٌ ، أَنَا عَارِي
هِيَ سِتَّةٌ فَكُنِ الضَّمِينِ لِنَصْفِهَا أَكُنِ الضَّمِينِ لِنَصْفِهَا بَعِيَارِ
وَالنَّارَ عِنْدِي كَالسَّوَالِ فَهَلْ تَرَى أَنْ لَا تَكْلُفْنِي دُخُولَ النَّارِ
وَأُنْشِدُنِي غَيْرَهُ لِلخَلِيعِ ، وَأَنَا أَشْكُ فِيهِ [مِنْ السَّرِيعِ] :

لَوْلَمْ تَحُلْ مَا سَمَّيْتَ حَالاً وَكُلُّ مَا حَالَ فَقَدْ زَالَا
انْظُرْ إِلَى الظِّلِّ إِذَا مَا انْتَهَى يَأْخُذْ فِي النَقْصِ إِذَا طَالَا

* * *

٢١ - أَبُو الْفَرَجِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْغَسَّانِي الدمشقي الملقب بالوَأَوَاءِ

من حسنات الشام ، وصاغة الكلام ، ومن عجيب شأنه ما أخبرني به أبو بكر الخوارزمي قال : كان الوأواء منادياً في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفوكه ، وما زال يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه ، ووقع فيه ما يروق ، ويشوق ويفوق ، حتى يعلو العيوق^(١) . ثم أخبرني أبو الحسن المصيصي بما يصدقه ، وأنشدني لمعاً يسيرة من شعره ، وذكر أنه سمعها من إنشاده . وأول من حمل ديوانه إلى نيسابور أبو نصر سهل بن المرزبان ، فإنه استصحبه من بغداد في جملة ما حصله من اللطائف والبدائع التي عنى بها ، وأنفق الرغائب عليها ، وأتحفني بذلك في دفتر صغير الجرم ، خفيف الحجم ، ثم ألحق به ما استملاه من القوال المعروف بعين الزمان . وهو غير ثقة في الرواية والحكاية ، وكنت تأنقت في إخراج ما يفتقر الأديب

(١) العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا ولا يتقدمها .

إلى فقره ، ولا يستغنى الشاعر عن غرره . من شعر الوأواء في النسخة الأولى من هذا الكتاب ، ولم أزد في هذه المقررة كثير زيادة .

وقرأت في بعض الكتب عن ابن حمدون قال : كان الفتح بن خاقان يأنس بي ، ويطلعني على الخاص من سره ، فقال لي مرة : أشعرت يا أبا عبد الله أنني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين فلما دخلت منزلي استقبلتني فلانة (يعني جارية له) فلم أتمالك أن قبلتها فوجدت فيما بين شفثيها هواء لو رقد المخمور فيه لصحا ، فكان هذا ما يستحسن ويستظرف من كلام الفتح وكان الوأواء قد سمع ذلك فألم به ونظمه في قوله [من الطويل] :

سقى الله ليلاً طاب إذ زار طيفه فأفئتيه حتى الصّباح عناقا
بطيب نسيم منه يستجلب الكرا ولو رقد المخمور فيه أفاقا
تملكني لما تملكت مهجتي وفارقني لما أمنت فراقا

ومما أنشدنيه كل من الخوارزمي والمصيصي له ، ووجدته في ديوان شعره والبيت الرابع منه نهاية في الملاحاة [من الوافر] :

أتاني زائراً من كان يدي لي الهجر الطويل ولا يزورُ
فقال الناس لما أبصروه : ليهنك ! زارك البدرُ المنيرُ
فقلت لهم ودمع العين يجري على خدي له درٌ نثير :
متى أرعى بروض الحسن منه وعيني قد تضمّنها غديرُ؟
ولو نصّبتُ رحيّ بإزاء دمعي لكانت من تحدّره تدور^(١)

وأقدر أنه ألم في البيت الرابع بقول ابن المعتز [من الطويل] :

وإنّ تك في خديك للحسن روضةً فإنّ على خدي غديرًا من الدمع

(١) الرّحى : الطاحون.

ومن ملح قوله في وصف الدمع [من الخفيف] :

كلُّ دمعٍ فبالتَّكَلُّفِ يجري غير دمع المحبِّ والمهجورِ
ورَّدَ البين دمعَ عيني فأضحى كعقيقٍ أذيب في بلور^(١)

ومن ملحه في الخمر [من المنسرح] :

عذبتُها بالمزاج فابتسمت عن بردٍ نابتٍ على لهبٍ
كأنَّ أيدي المزاج قد سبكتُ في كأسها فضةً على ذهبٍ

وقوله [من الكامل] :

فامزجْ بمائك نارَ كأسك واسقني فلقد مزجت مدامعي بدمائي
واشربْ عفى زهر الرياض مدامةً تنفي الهموم بعاجل السَّراءِ
لطفت فصارت من لطيف محلِّها تجري كمجرى الروح في الأعضاءِ
وكانَّ مخنقةً عليها جوهرُ ما بين نارٍ أذكيت وهواءِ^(٢)
وكانَّها وكانَّ حامل كأسها إذ قام يجلوها على النَّدماءِ
شمس الضحى رقصت فنقَّط وجهها بدر الدجى بكواكب الجزاءِ

وقوله [من الطويل] :

يطوف براحٍ ريحها ومذاقها نسيم الصِّبَا والعيش في زمن الصِّبَا
ومن ملحه في الخط [من الطويل] :

وشمسٍ بأعلاه وليلين أسبلا بخديهِ إلاَّ أنها ليس تغربُ^(٣)
ولما حوى نصف الدجى نصف خدِّهِ تحيِّر حتى ما درى أين يذهبُ

(١) البين : الفراق.

(٢) المخنقة : سلك ينظم به الجوهر.

(٣) أسبلا : أرخيا ، وأسبل الستر : أرخاه .

وقوله [من مخلع البسيط] :

زار بليلٍ على صباح
حتى أتت ألسن الليالي
فيا لها زورةٌ أخذنا
على قضيبٍ على كتيب^(١)
معتذراتٍ من الذنوبِ
بها أماناً من الخطوبِ

وقوله [من الكامل] :

بدرٌ تقنّع بالظلا
تدعو محاسنه القلو
فعلت به ريح الصبا
عقلت ركائب حسنه
وتلطّمت وجناتنا
وكأنما تشوشنا
يا بدر بالبدر الذي
وبعقرب الصدغ الذي
ترعى وما استرعيتها
هب لي مزارك في الكرا
م على قضيبٍ في كتيب
ب إلى مشافهة الذنوبِ
ما ليس تفعل بالقضيبِ
بعقولنا عند المغيب^(٢)
بيد الدموع من النحيبِ
تشويش ألفاظ المريبِ
أطلعت من فلك الجيوبِ
زرقت من حسنٍ وطيب^(٣)
ثمر القلوب بلا ديب^(٤)
كيما أراك بلا رقيب

ومن بدائع تشبيهاته قوله [من البسيط] :

قالت وقد فتكت فينا لواحظها
وأسبلت لؤلؤاً من نرجسٍ ، وسقت
كم ذا ؟ أما لقتيل الحب من قودٍ ؟^(٥)
ورداً ، وعضّت على العناب بالبرد^(٦)

(١) الكتيب : التلّ من الرمل

(٢) عقلت : من العقال .

(٣) زرفن صدنميه : أدارهما وجعلهما كالحلقة .

(٤) الديب : مشي النمل .

(٥) القود : القصاص .

(٦) العناب : يقصد بها الشفاه ، والبرد يقصد بها الأسنان .

هذا البيت مما أحسن فيه ، وضمنه خمس تشبيهات بغير أداة التشبيه :

إنسانةٌ لو بدت للشمس ما طلعتُ من بعد رؤيتها يوماً على أحدٍ
كأنما بين غاباتِ الجفون لها أسد الحمام على طرقِ الهوى رصدي
وقوله [من المنسرح] :

قد سترت وجهها عن النظر بساعدٍ حلَّ عقد مصطبري
كأنه والعيون ترمقه عمود نورٍ في دارة القمرِ

وقوله [من الخفيف] :

جعلت تشتكي الفراق وفي أج فأنها عقد لؤلؤٍ منشورٍ
فكان الكحل السحيق مع الدم مع على خدّها بقايا سطورٍ

وقوله في قوس قزح مع البروق والشمس [من البسيط] :

سقياً ليوم ترى قوس السماء به والشمس مسفرةً والبرق خلاسُ
كأنها قوسُ رامٍ والبروق له رشق السهام وعين الشمس برجاس^(١)
وقوله وهو مما يتغنى به [من الكامل] :

لا تنكري ما بي فليس بمنكرٍ عند التفرُّق دهشة المتحيرِ
يا هذه روعي إليك هديةً فتجملي في أخذها لي واعذري
وتأملي غير الزمان فإنها تحكي تغيرُ عهدك المتغيرِ
ولربَّ ليلٍ ضلَّ عنه صباحه وكأنه بك خطرةً المتذكر^(٢)
والبدر أول ما بدا متلثماً ييدي الضياء لنا بخدَّ مسفرٍ

(١) البرجاس : غرض ينصب في الهواء على رأس رمح أو نحو.

(٢) ضلَّ : لم يهتد ، والخطرة : الفكرة.

فكأنّما هو خوذةٌ من فضةٍ قد ركبّت في هامةٍ من عنبرٍ
وقوله في غلامٍ عليلٍ [من مخلع البسيط] :

إبيضّ واصفرّ لاعتلالٍ	فصار كالنرجس المضعّف
كأنّ نسرين وجنتيه	بشعر أصدائه مغلف
يرشح منه الجبين ماءً	كأنّه لؤلؤ مصنّف

وقوله [من الخفيف] :

ليت ليلى أمدٌ من نفس العا	شق طولاً إذ زار فيه الخليل
ما اعتنقنا حتى افترقنا وخفاً	ن الدجى عن قميصه محلول ^(١)
وكانّ الهلال تحت الثريا	ملكٌ فوق رأسه إكليل

وقوله [من الخفيف] :

وغدافُ الظلام في شرك الفج	ر شريكٍ في قبضة الارتهان ^(٢)
وكانّ النجوم أحداق رومٍ	ركبتُ في محاجر السودان

وقوله من أبيات [من المنسرح] :

كم حثّ شربي بكأسه قمرٌ	بقدّ غصنٍ وخصرٍ زنبورٍ
------------------------	------------------------

وقوله من قصيدة [من الطويل] :

يقمن لنا برق الثغور أدلةً	إذا ما ضللنا في ظلام الذوائب ^(٣)
---------------------------	---

(١) الخفان : الجوانب .

(٢) الغداف الغراب الأسود ، وهو لا يبيض أصلاً .

(٣) الذوائب : خصلات الشعر في مقدّمة الرأس .

ومما يتغنى به من شعره [من مجزوء الكامل] :

يا من سقام جفونه لسقام عاشقه طيبُ
حزت المودة فاستوى عندي حضورك والمغيبُ
كن كيف شئت من البعا د فانت من قلبي قريبُ

وقوله [من البسيط] :

أستودع الله في بغداد لي قمراً بالكرخ من فلك الأزرار مطلعهُ
ودعته وبودي أن تودعني روح الحياة وأني لا أودعهُ
وكم تشبّث بي يوم الرحيل ضحى وأدمعي مستهلاتُ وأدمعهُ
وكم تشفع في أن لا أفارقه وللضرورة حالٌ لا تشفعهُ

وقوله [من البسيط] :

بالله ربكما عوجا على سكني وعاتباه لعلّ العتب يعطفهُ
وعرضاً بي وقولا في كلامكما : ما بال عبدك بالهجران تتلفهُ ؟
فإن تبسم قولا عن ملاطفةٍ ما ضرّ لو بوصالٍ منك تسعفهُ
وإن بدا لكما من سيدي غضبُ فغالطاه وقولا ليس نعرفهُ

وقوله [من المتقارب] :

زمان الرياض زمانٌ أنيقُ وعيش الخلاعة عيشٌ رقيقُ
وقد جمع الوقت حالهما فمن ذا يفيق ومن يستفيقُ
فيا من هو الفوز لي والمنى ومن هو بالودّ منّي حقيقُ
أدرّ لحظ عينيك وامرجه في مروج الرياض تجدها تشوقُ^(١)
ترى مزوج الحسن في مفردٍ جليلُ المحاسن فيه دقيقُ

(١) امرجه : ارسله ينظر إليها.

إذا ضاحك الزهر زهر الوجوه
 بهارٌ بهيرٌ به غيرهُ
 فذا عاشقٌ وجلٌ خائفٌ
 مداهن يحملن ظلّ الندى
 تنظّم أوراقها درّها
 يميل النسيم بأغصانها
 ويوم ستارته غيمة
 جعلنا البخور دخاناً له
 تظلُّ به الشمس محجوبةً
 على شجراتٍ رافعات الذبول
 سجدنا لصلبان منثورها
 وقلنا بها ولضوء الصّباح
 أدرُ يا غلام كؤوس المدام
 أيا من هو الفوز لي بالمني
 تغتم بنا غفلة الحادثات
 وحثّ الصبوح لضوء الصّباح

وقوله [من البسيط] :

وزائرٍ راع قلب الناس منظره
 ألقى على الليل ليلاً من ذوائبه
 أراد بالهجر قتلي فاستجرت به

أحلى من الأمن عند الخائف الوجل^(١)
 فهابه الصبح أن يبدو من الخجل
 فاستلّ بالوصل روعي من يدي أجلي

(١) البهار : نبات طيب الرائحة ، والبهير : المنقطع النَّفس من شدة التعب .

(٢) الخلق : الطيب .

(٣) راع : أخاف ، والوجل : الخائف .

وصرت فيه أمير العاشقين فقد
وقوله [من الوافر] :

وما أبقى الهوى والشوق مني
خفيت عن النواشب أن تراني
وقوله [من البسيط] :

ما حكّم البين إلا جار محتكماً
يا دارهم خبرينا ما الذي فعلوا
الله يعلم أتى يوم بينهم
قد سرّني أنهم قد سرّهم سقمي
وقوله [من مجزوء الرجز] :

ب القلب منه إذ رمي ^(١)	رماه ريمٌ فأصاب
بأنه ما علما	واحتج في قتلته
ينصفني من ظلما؟	يا معشر الناس أما
جسمي منه سقما	علم سقم طرفه
من طرفه تعلما	فسقم جسمي في الهوى
مخيراً محكماً	لو قيل لي ما تشتهي
نحراً ووجها وفما	لقلت أن أئثمه

وقوله [من المتقارب] :

له مضحكٌ برقه خاطفٌ
عقول الرجال إذا ما ابتسمُ

(١) الضنا : المرض والألم .
(٢) الريم : الظبي الخالص البياض .

أقول له إذ بدا درّه : شهدنا لصانعه بالحكم
أرى الدرّ يثقبه الناظمو ن وما ثقبوا ذا فكيف انتظم ؟ !
وقوله [من المتقارب] :

تملّكت يا مهجتي مهجتي وأسهرت يا ناظري ناظري
وفيك تعلّمت نظم الكلام فلقبني الناس بالشاعر
وما كان ذا أملّي يا ظلوم ولا خطر الهجر في خاطري
وقوله [من مجزوء الخفيف] :

وحديثٍ كأنّه أوبةٌ من مسافر^(١)
كان أحلى من الرقا د لدى طرفي ساهرٍ
بت ألهو بطيبه في رياضٍ زواهرٍ
بين ساقٍ وسامرٍ ومغنٍ وزامرٍ

حدثني أبو بكر الخوارزمي ، قال : حضرت مع الشيخ أبي الحسن النمري
دعوة القاضي أبي بكر الحميري ، فغنى بعض القوالين بهذه الأبيات [من
الكامل] :

قمّ يا غلام إلى المدام قم داوني منها بجامٍ
قم فاسقني برق الثغو رفقد مضى برق الغمام
بادر إلى صرف الحميّا سابقاً صرف الحمام^(٢)
وتغنّم الغفلات من دهرٍ يجور على الكرام

فاستملحها أبو الحسن ، وسألني عن قائلها ، فأخبرته أنها لأبي الفرج

(١) الأوبة : العودة .

(٢) حرف الحميّا : أي الخمر الخالصة والحمام : الموت .

الوأء ، فاقترح عليّ معارضتها ، فارتجلت أبياتاً ثم أتممتها قصيدة منها [من
الكامل] :

لما بدت روح الضياء تدبّ في جسم الظلام
وغدت نجوم الليل وهي تفرّ من حلق الأنام
والديك يتلو دائماً هجو النيام على القيام
* ناقضت ما قال المؤدّ ن بالفعل وبالكلام
هو قال حيّ على الصلاة ة وقلت حيّ على المدام

ومنها :

لما رأيت الهم يطرق من أتاه بلا سلام
ضيفٌ يزور فليس يأكل غير لحمي أو عظامي
والدهر قد حمل السلاح على الكرام عن اللثام
داويته بالراح إنَّ الرّاح ترياق الكرام^(١)

ومن ملح الوأء وطرفه قوله في جرب معشوقه [من مجزوء الرمل] :
يا صروف الدهر حسبي أي ذنبٍ كان ذنبي ؟
طرقنتي نائباتُ الدهر في إعلال حبي
علةٌ عمّت وخصّت في حبيبٍ ومحبٍ
دبّ في كفيه ما من حبه دبّ بقلبي
فهو يشكو حرّ حبّ واشتكائي حرّ حبّ

وقوله في زرقه عين محبوبه [من البسيط] :

يا من هو الماء في تكوين خلقته ومن هو الخمر في أفعال مقلته^(٢)

(١) الترياق : دواء السموم ، والراح : الخمر .

(٢) طلّ دمي : سفكه .

ومن بزرقة سيف اللحظ ظلّ دمي والسيف ما فخره إلا بزرقته
علّمت إنسان عيني أن يعوم فقد جادت سباحته في بحر دمعه^(١)

وللسري الموصلي في مثله [من المتقارب] :

وقالوا بمقلته زرقه تشين فظلّ لها مطرقا
وهل يقطع السيف يوم الوغى إذا لم يكن منته أزرقا؟^(٢)

ومن ملح الوأواء [من البسيط] :

يا ذا الذي ورد خديّه إذا أخذت منه اللواحظ شيئاً ردّه الخجل
ماذا يضرّك أن تجني وقد ضمنت أضعاف ما تجتني من لحظها المقل
هذا لعمرك ماعونٌ بخلت به على العيون، وبش الخلّة البخل^(٣)

وله [من السريع] :

رثى له ممّا به نابه صبّ غدا صبّاً بأوصابه^(٤)
ميتٌ يرى حياً ولكنه تربته ما بين أثوابه
أيّ حياة لامرئٍ قد بلى بالقرب من فرقة أحبابه؟

وقوله من قصيدة [من الخفيف] :

قد أطلت الصلاة في قبلة الكأ س بتسييح ألسن العيدان
كم صلاةٍ على فتى مات سكرأ قد أقيمت فينا بغير أذان

* * *

(١) إنسان العين : يؤؤها .

(٢) المتن : الحدّ .

(٣) الماعون : كلُّ ما انتفع به من أشياء البيت والخلّة : السجّة والصّفه .

(٤) الأوصاب : الأمراض .

٢٢ - أبو طالب الرقي

لم أجد ذكره إلا عند أبي بكر الخوارزمي ، وسمعتة يقول : إنه أحد المقلين المحسنين ، الذين يطبقون المفصل في أغراضهم ، وينظمون الدر المفصل في معانيهم وألفاظهم ، ثم أنشدني له قوله [من الكامل] :

ولقد ذكرتكَ في الظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشِقْ
وكانَ أجرام النجوم لوامعاً دررٌ نثرن على زجاجِ أزرقِ
والفجر فيه كأنه قطر الندى ينهلُ من سحِّ الغمام المغدق^(١)
وقوله [من الكامل] :

ومعيرُ وجهِ البدر ما في وجههِ والغصن ما في قدّه المتأوّد^(٢)
رمدت جفوني من تورّد خدّهِ فكحلتها من عارضيه بائمِدِ^(٣)
وقوله [من الكامل] :

ديباجُ خدّك بالعذار مطرّزٌ وشبيه وجهك في البرايا معوز
وكانما إنسانُ عينك شاهرٌ سيف اللحاظ يصيح : من ذا يبرُزُ؟
يا من أعزّ بذلتي في حبّه مثلي رأيت بذلّةً يتعزّزُ؟
وقوله [من الطويل] :

ومشتملِ ثوبي عفافٍ وفتنةٍ يرى قتل من يهوى إلى النّسك مسلّكا
إذا طاف بالأركان طاف به الوري فيقضي ولا يقضون للحجّ منسكا^(٤)

(١) سح الغمام : مطولة.

(٢) المتأوّد : المشتمّي والمتمايل.

(٣) العارض : صفحة الخدّ ، والائمد : الكحل.

(٤) المنسك : فرض من فروض الحج.

جنى اللحظ من خديهِ ورداً مورداً
فيا رائحاً منه بأوفر فتنةٍ
وقوله [من الرجز] :

مصفرة الظاهر بيضاء الحشا
كأنها كفٌ محبٌ دنفر
أبداع في صنعتها ربّ السّما
مبعد يحسبُ أيام الجفا
وقوله [من المنسرح] :

ووردو في بنان معطار
كأنها وجنة الحبيب وقد
جئت بها في لطيف أسرار
نقطها عاشقٌ بدينار

(١) الممسك : المشوب بالمسك .

الباب التاسع

في ملح أهل الشام ومصر والمغرب وطرف أشعارهم ونواديرهم

هذا باب كثرته على غرر تلقفتها من أفواه الرواة ، وتطرفت بها من أثناء التعليقات ، ولم أجد لأصحابها أشعاراً مجموعة يتفصح في طريق الاختيار منها ، وإنما هي تفاريق تلتقي أطرافها ، وتجتمع حواشيها ، ولن تعدم القلائد فيها بحمد الله ومشيتته .

أنشدني أبو بكر الخوارزمي للتلعفري ولم يسمه ولم يكنه [من السريع] :

ما أصعب العيش على بائسٍ معاشه في حلب النحو
ليس له في بردها جبةٌ ولا قميصٌ لا ولا فروٌ

ثم أنشدني له مرة هذين البيتين ومرة لبعضهم وزعم أنهما مما يتغنى بهما [من مخلع البسيط] :

يا راكب العيس قفْ وعرجٍ واقراً سلامي على بني طي
وقل لهم ظبيكم جفاني لما رآني وما معي شي

ووجدت للسري والسلامي هجاء في التلعفري يدل على أنه من المذكوري الشعراء بتلك البلاد .

ثم أنشدني محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني أبو الحسن علي بن أحمد

التلعفري بنصيين لنفسه من قصيدة أولها [من الكامل] :

من ذا يدلّ على الرقاد جفوني قد ضاع بين صبابتي وشجوني
أما النجوم فقد ألفت رعايتي والعائدات فقد ملن أنيني

قال : وأنشدني أيضاً علي بن محمد الشاشي بميا فارقين ، قال : أنشدني
لنفسه في غلام نصراني [من الوافر] :

غريب الحسن ، مَنْ سَمَّاكَ بدرا ؟ وبدر التّم ، في خديك خالٌ
كتمت هواك إذ قلبي سليمٌ فذاب القلب وانحلّ العقل
وكننت كمودع الحلفاء ناراً وكننت النار في قصبٍ محال^(١)

وأنشدني أيضاً [من الخفيف] :

ربّ ليلٍ سهرت حتى تجلّى مغرمًا في ظلامه أنقلّى^(٢)
والثريّا كأنّها رأس طيرٍ أدهم زين باللّجام المحلّى^(٣)

وقوله [من الكامل] :

ومتيمٌ أبدى إليّ غرامه فعذلته والعذل فعل الجاهل
حتى إذا أبصرت مالك رقه كادت لوحظه تصيب مقاتلي
إن عدت أعذل عاشقاً من بعده فأصابني ربّي بحتفٍ عاجلٍ

* * *

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني أبو نصر بن أبي الفتح بن كشاجم بصيداء

(١) الحلفاء : نبات محدّد الأطراف يصنع من ورقه القفف والحصر والجبال وهي سريعة الاشتعال.

(٢) أنقلّى : أتحرق.

(٣) الطرف : الحصان.

الشام لنفسه في وصف الكتاب من أبيات [من المنسرح] :

جالسني بالملوك والكبرا	وصاحب مؤنس إذا حضرا
يجلُّ معنى وإن دنا خطرا	جسم موات تحيا النفوس به
فما أبالي ما قل أو كثرا	ملكته منه كنزاً غنيت به
بالناس طراً ولا أرى بشرا	أظلل منه في مجلس حفل
مستحسن منظرأ ومختبراً ^(١)	وإن أطفل به فيا لك من
عليه كفّ المجلس لاستترا	أعجب به جامعاً ولو جعلت

وله في شمعة [من المنسرح] :

تفيض ناراً من موضع الماء	بركة صفر عمودها شمع
فرط حياء من الأخلاء	تبكي إذا ما المقصر خمّشها
فيه بوادٍ لمقلة الرائي	كأنها عاشق مخايله
ودمع حزن، ونار أحشاء ^(٢)	صفرة لون، وذوب معتبة

قلت : شبه أربعة بغير حرف تشبيه ، وقال في بخيل [من الطويل] :

وأفضلهم فيه وليس بذي فضل	صديق لنا من أبدع الناس في البخل
فجئت كما يأتي إلى مثله مثلي	دعاني كما يدعو الصديق صديقه
يرى أنه من بعض أعضائه أكلي	فلما جلسنا للطعام رأيت
وأعلم أن الغيظ والشتم من أجلي	ويغتاظ أحياناً ويشتم عبده
والحاذ عينيه رقيباً على فعلي	فأقبلت أستل الغذاء مخافة
فيلحظني شزراً فأعبث بالبقل ^(٣)	أمدّ يدي سرّاً لأسرق لقمة

(١) أطفل : أي يبقى حتى الغروب .

(٢) المعتبة : أي عاتبة من العتاب ، أو غاضبة .

(٣) الشزر : النظر بغضب .

إلى أن جنت كَفَي لحتفي جنايةً وذلك أنَّ الجوع أَعَدمني عقلي
فَجَرَّتْ يدي للحين رجل دجاجةً فَجَرَّتْ كما جَرَّتْ يدي رجلها رجلي
وقَدَّم من بعد الطعام حلاوةً فلم أَسْتَطع فيها أمرٌ ولا أحلي
وقمت لو انسي كنت بَيْتَ نِيَّةٍ ربحت ثواب الصوم مع عدم الأكلِ

وكتب على تفاحة حمراء بالذهب إلى الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل
ابن الفرات وأنفذها إليه وقد خرج إلى منزله بالمقس [من المنجث] :

إذا الوزير تجلَّى للنيل في الأوقاتِ
فقد أتاه سمياً ه جعفر بن الفراتِ

وله في طيب [من المجث] :

عيسى الطيب ترفقُ فأنت طوفان نوحِ
يأبى علاجك إلّا فراق جسمٍ لروحِ
شتان ما بين عيسى وبين عيسى المسيحِ
فذاك محي مواتٍ وذا مميتٌ صحيحِ

وقال في فصد إسحاق بن كيغلغ [من المنسرح] :

يا فاصداً شقَّ عرق إسحاق أي دمٍ لو علمت مهراقٍ ؟^(١)
سفكته من يدر مَعودٍ لنيل مالٍ وضرب أعناقِ
لو يوم حرب أصبت من دمه إذا أقام الدنيا على ساقِ

وأنشدني له يصف جونة الطعام من قصيدة مزدوجة [من الرجز] :

وجونةٌ موصوفةٌ من الجونِ قد جمع الطباخ فيها كلَّ فنٍّ^(٢)

(١) الفاصد : الذي يخرج الدم من الجسم بألة حادة .

(٢) الجونة : سلّة مستديرة تكون مع العطارين ويوضع عليها الطيب .

من كل سخنٍ منضجٍ وباردٍ
 فمن رقاقٍ ناعمٍ رقاقٍ
 وأرغف تشفٍ للصفاء
 ومن مصوصٍ من مخاليف الحجل
 ومن فراريحٍ بماء الحصرم
 قد شوشت أكبادها ببيض
 وجاءنا فيها ببيضٍ أحمر
 حتى إذا قدمه مقشراً
 حتى إذا ما قطع البيض فلق
 يخال أن الشطر منه من لمح
 ما بين أوساطٍ لطاف القد
 من صدر درّاجٍ وصدر حجلة
 فيها جن صادق الحرافه
 قد ألبست قضبان طلع غصّه
 وجاءنا فيها بياذنجان
 قد قارن الهليون بالمازجة
 ثم أتت سكارج الكوامخ
 ما بين طرخونٍ وبين صعتر

ما بين ألوانٍ إلى بوارد
 يحمد في المنظر والمذاق
 كما تشفٍ أوجه المرائي
 كأنما كانت ترفٍ في الجبل^(١)
 تصلح للمخمور أو للمحتمي
 فهي كمثّل نرجسٍ في روض
 كأنه العقيق ما لم يقشر
 أبرز من تحت عقيقٍ دررا
 رأيت منه ذهباً تحت ورق
 أعاره تلوينه قوس قزح
 مقدودٍ كمثّل قدّ الندّ
 بملحها وبقلها متبلّه^(٢)
 مقطّع باللفظ والنظافه
 كأنها سلاسل من فضه^(٣)
 مثل قدود أكر الميدان^(٤)
 تقارن الكرات بالصوالجه
 كمثّل أنوارٍ من اللخالخ^(٥)
 وفيجنٍ غصّ وبين كزبر^(٦)

(١) المصوص : الفراريح الطرية اللحم .

(٢) الدراج : طائر يشبه الحجل .

(٣) الطلع من النخل شيء كالكوز يخرج منه وفيه حب منضود .

(٤) الأكر : جمع أكرة وهي الكرة .

(٥) السكارج : الآنية التي يؤكل فيها الكوامخ : جمع كامخ نوع من الأدم معرب اللخالخ : ضرب من الطيب .

(٦) الطرخون : نبات ، والفيجن : الزاب .

وبين بن عدة المشطور
ثم أتى براضع لم يعتلف
وحمل مبرز مشبر
يتلوه جدي قارس بخل
تخاله في خلّه المزعفر
وقد عملت أطرافه سلاقة
زيدت من الخردل والصباغ
وصف فيه فلق الرمان
ثم أتى بناطف هياج
كأنه في العين والقياس
ثم أتانا بعده لوزينج
تنشله من دهنه العميق
وجاءنا الغلّمة بالمدام
بغير ترتيب ولا صواني
لأنّ في الجونة أنواع الأرب
هذا هو النوع الذي اختاره

كأنه تعلية النحور^(١)
كأن في جنبه قطعاً قد ندف
كأنه مضمخ بعنبر
كأنه بالزعفران مطلي
مركباً تحت عقيق أحمر
عجبة الصنعة والمذاقة
وكشف القحف عن الدماغ
مثل رصيع خرز المرجان
يحرطبع البارد المزاج^(٢)
سبائك جاءت من الروباس^(٣)
كأنه في الأتحمي مدرج^(٤)
كما أخذت بيد الغريق
ونحن لم ننهض من الطعام
وغير أنقال ولا ريحان^(٥)
وعوضاً من كلّ شيء يطلب
ليس الذي عذبنا انتظاره

* * *

وأنشدني عبد الصمد بن وهب المصري ، قال : أنشدني أبو نصر بن أبي

(١) المشطور : الخبز المطلي بالكامخ .

(٢) الناطف : نوع من الحلوى البيضاء .

(٣) الروباس : الفضّة .

(٤) الأتحمي : نوع من البرد .

(٥) الأنقال : ما يقدم مع الخمرة من فستق وغيره .

الفتح كشاجم لنفسه [من الخفيف] :

غبط الناس بالكتابة قوماً حرّموا حظّهم بحسن الكتابة
وإذا أخطأ الكتابة حظاً سقطت تأوها فصارت كآبه

* * *

وأنشدني الخوارزمي لعبد الرحمن بن جعفر النحوي الرقي [من مجزوء الرمل] :

قل لمن تاب ولم يق ضر من اللذات نجبة
توبة الحشوي لا تع دل عند الله حبة
أم من تسبقه أن ت إلى الجنة قجبه

* * *

وأنشدني أبو الحسن علي بن مأمون المصيبي ، قال : أنشدني أبو العميد
هاشم بن محمد المتيم الاطرابلسي لنفسه [من الهزج] :

مضت للهو أوقات ولأوقات لذات
إليها أنا مشتاق وقد فاتت بمن فاتوا
وما لي عوض عنهم وأحيا الناس أموات
مضى أهل المروءات فلم تبق المروءات

* * *

وقرأت في كتاب التحف والظرف لابن لبيب غلام أبي الفرج البيغاء لأبي
عمارة الصوفي في ثقل خفيف على القلب [من الخفيف] :

وثقل لو كان في حسناتي وجميع الأنام في سيئاتي
لاستخف الذنوب بل كسر المي زان من ثقله على الكفات

وله في ثقیل [من الطویل] :

ثقیلٌ براه الله أثقل من برى ففي كلِّ قلبٍ بغضةٌ منه كامنه^(١)
مشى فدعا من ثقله الحوت ربّه فقال : إلهي زدت في الأرض ثامنه ؟

* * *

وأنشدنا أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي المتيّم في كتاب أشعار الندماء لأبي
الحسن الممشوق الشامي - ولست أتحقّق اسمه - في المشمش [من الرجز] :

أما ترى المشمش يا خلّ الأدب مشطّباً أكرم بهاتيك الشطّب
مثقّبُ الهامات من غير ثقب كأنّها بنادقٌ من الذّهب

* قد صاغها صائغها بلا تعب *

وله في جام فالودج [من الكامل] :

إنني اتخذت أبا عليّ ذا العلا معقودةً لك ذات طعمٍ طيّبٍ
فقد اغتدت في جامها وكأنّها شمسٌ على بدر أوانٍ المغرب^(٢)
وتخال فيها اللوز وهو منصف أنصاف درّ فوق صحنٍ مذهب
فتعال نخمش وجهها بأكفنا غضبت علينا أو غدت لم تغضب

وأنشدني غيره للممشوق [من المتقارب] :

فؤادي كفّيك إذا ما نطقت وصبري كخصرك في دقّته
وما آس عارضك المستنير ر كالقلب منّي في حرّته^(٣)
وبالجسم منّي الذي يشتكيه طرفك من غير ما علّته

(١) براه الله : أنحله .

(٢) الجام : الإناء من فضة .

(٣) الآس : الريحان ، ورقه عطر ، خضرته دائمة .

أشبه وعدك إمّا وعدت بعقرب صدغك في عطفته
 وأزداد في كلّ يوم هوى وحبّيك يزداد في فتنه
 وأنشدني محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني أبو الحسن الممشوق
 صاحب المتنبي لنفسه [من الخفيف] :

ليلةً بتّها بقرتم أسقي عاتقاً عتقت مداها الدهورُ
 وكأنّ السماء والبدر والأنجم روضٌ ورجسٌ وغديرُ

* * *

وأنشدني أيضاً محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني أبو الحسن علي بن
 محمد الأنطاكي [من الكامل] :

لما تأمل جودك القطرُ وسما ليدرك صدرك البحرُ
 خجلاً جميعاً مثل ما خجلاً إذ قابلاك الشمس والبدرُ
 يا صالح الخيرات ما صلحا إلّا لك التأييد والأمر

* * *

وأنشدني أيضاً للحسن بن عبد الرحيم الزلالي صاحب كتاب الأسجاع على
 معنى الحمدوني في طيلسان ابن حرب [من مجزوء الرمل] :

طيلسانُ كان رسماً ثم قد أصبح وهماً^(١)
 لا تراه العين إلّا بعد أن يهجع حلماً
 تتعب المقلّة كي تدرك منه أثراً ما
 تعب الفكرة في إخراجها البيت المعنى

(١) الطيلسان : كساء أخضر لا تفصيل له يلبسه خواص العلماء والمشايخ .

وقوله [من الرمل] :

نظرةً كانت لحتفي سببا جلب الحين لها ما جلبا
ضحكت أسماء من ذي لمّة ضاحك الأثيب فيه الأشياء
إنما يعرف أيام الصبا من صبا في غير أيام الصبا

* * *

وللأنطاكي في وصف عود [من البسيط] :

وبربطٍ سحب الترنام نغمته أحلى من اليسر وافى بعد إعسار^(١)
يملي القريض عليه لفظ محسنه فينيري مخبراً عنها بإجهار
ما حث أوتاره في وجه نائبة إلّا استفاد بتارات وأوتار
تحنو عليه أمّ تخاطبه سرّاً فيخبر بالنجوى بإظهار^(٢)
وإن هفا عركت آذانه شفقاً عليه من وصمة النقصان والعار

* * *

وأنشدني أبو الحسن علي بن مأمون المصيصي وغيره لتميم بن معد أبي تميم

صاحب مصر ، وهي مشهورة [من الكامل] :

ما بان عذري فيه حتّى عذراً ومشى الدجى في خده فتحيراً
همتّ تقبله عقارب صدغه فاستلّ ناظره عليها خنجراً
والله لولا أن يقال تغيراً وصبا وإن كان التصابي أجدر
لأعدت تفاح الخدود بنفسجاً لثماً وكافور الترائب عنبراً^(٣)

* * *

(١) البربط : آلة موسيقية تشبه العود والترنم : النغم والغناء .

(٢) النجوى : السرّ .

(٣) الترائب : جمع تريبة ، وهي موضع القلادة من الصدر .

وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان ، قال : أنشدت بمدينة السلام لمعد
ابن تميم ويروي للوأواء [من السريع] :

لا تظلموا الناس ولا تطلبوا بثأريَ اليوم أذى مسلم
ويا لقومي دونكم شادناً معتدل القامة والمبسم
وإنَّ أبى إلّا جحوداً له واكتتم الأمر فلم يعلم
قولوا له يكشف عن وجهه فإنَّ فيه نقطةً من دمي

وأنشدني المصيبي له [من المنسرح] :

وَجَنَّةٌ من شَفَنِي هواه ومن أفنيت فيه دموع آماقي^(١)
كأئما الصيرفي دَنَر ما نجم منها ودرهم الباقي^(٢)

ووجدت له من قصيدة [من الطويل] :

وما بلد الإنسان إلّا الذي به له سكنٌ يشاقه وحيبٌ
إلى الله أشكو وشك بين وفرقة لها بين أحشاء المحبّ ندوبٌ
ترى عندهم علمٌ وإن شطّط النوى بأنَّ لهم قلبي عليّ رقيب^(٣)

* * *

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي الفقيه لأبي منصور نزار بن معد أبي تميم
وقد وافق بعض الأعياد وفاة ابنه وعقد المأتم عليه [من المنسرح] :

نحن بنو المصطفى ذوو محنٍ يجرعها في الحياة كاظمنا^(٤)

(١) شفني : براني وآلمني ، والآماق : عروق الدمع .

(٢) دَنَر : أي جعلها كاللدنانير .

(٣) شطّط : باعدت .

(٤) الكاظم : المتحمل للمحن والصابر عليها

عجيبۃ في الأنام محتنتا أولنا مبتلى وآخرنا
يفرح هذا الوری بعیدهم طراً وأفراحنا مآتمنا

* * *

وأنشدني المصيصي للأمير تميم [من الطويل] :

شربنا على نوح المطوقة الورق وأردية الروض المفوفة البلق
معتقة أفنى الزمان وجودها فجاءت كفوت اللحظ أو رقة العشق
كان السحاب الغرأ أصبحن أكوساً لنا ، وكان الراح فيها سنا البرق
فبتنا نحث الكأس فينا ، وإننا لنشربها بالحث صرفاً ونستسقي^(١)
إلى أن رأيت النجم وهو مغربٌ وأقبلن رايات الصباح من الشرق
كان سواد الليل والفجر طالعٌ بقية لطح الكحل في الأعين الزرق
أحسن في هذا البيت ما شاء .

* * *

وأنشدت للمرواني في الهلال وأجاد [من الكامل] :

والبدر في جو السماء قد انطوت طرفاه حتى عاد مثل الزورق
وتراه من تحت المحاق كأنما غرق الكثير وبعضه لم يغرق
وهو من قول ابن المعتز [من الكامل] :

* قد أثقلته حمولة من عنبر *

قال : وسمعت الشيخ الإمام أبا الطيب يحكي أن المرواني صاحب الأندلس
كتب إليه صاحب مصر كتاباً يسبه ويهجوه فيه . فكتب إليه « أما بعد فإنك عرفتنا

(١) الصرف : الصافية الغير ممزوجة .

فهجوتنا ، ولو عرفناك لأجبنك ، والسلام » .

وأنشدني أبو سعيد بن دوست ، قال : أنشدني الوليد بن بكر الأندلسي
الفقيه المالكي لأمرهم محمد بن أبي مروان بن أخي المستنصر بالله المدعو
الخليفة بالأندلس ، وهو الحكم بن عبد الرحمن المرواني ، من قصيدة كتب بها
إلى صاحب مصر يفتخر [من الطويل] :

ألسنا بني مروان كيف تبدلتُ بنا الحال أو دارت علينا الدوائر؟
إذا ولد المولود منا تهللت له الأرض واهتزت إليه المنابرُ
وذكر أن المستنصر وهو أبو الحسن قتل ابن أخيه خوفاً منه على المملكة .

* * *

قال : وأنشدني لوزير المستنصر وهو أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي
[من البسيط] :

يا مَنْ أراني بالحافظِ يصرفُها عني الصبا والهوى رشدي وتوفيقي
جمعت فيك غليل العاشقين كما جمعت ما تشتهي من كل معشوق
وله أيضاً [من الطويل] :

لعينيك في قلبي عليّ عيونُ لئن كان جسمي مخلقاً في يد الهوى
نصيبي من الدنيا هواك ، وإنه فحبُّك غرضٌ في الفؤاد مصونُ
عذابِي ولكُنِّي عليه ضنين^(١) وله أيضاً في الخمر [من الكامل] :

صفراء تطرق في الرّجّاج فإن سرتُ في الجسم دبت مثل أيمٍ لاذع^(٢)

(١) ضنين : حريص .

(٢) الأيم : الحية ، ولدغ : عض .

لم يحسن في تشبيه ديبب الخمر في جسم شاربها بديبب الحية اللادغة ،
وقد أحسن في البيت الذي يليه جداً :

خفيت على شربها فكأنهم يجدون رياءً من إناء فارغ

* * *

قال : وأنشدني لعيسى بن وطيس كاتب المستنصر [من البسيط] :

يا سيداً أفرطت بالعبد سطوته ما كلُّ مالك رقٌّ مغضبٌ حنقٌ
أعتق وإلا فبع، كم ذا تعذّبي ؟ إنّ العبيد إذا ما عذبوا أبقوا^(١)
وثقت مني بأنّ الحبّ قيّدي أجلّ وحقك إني فوق ما تثق

ومعنى بيته الثاني مما يزيفه نقدة الشعر المتغزلون ولا يرضونه . وإنما
يميلون إلى مثل ما قال أهل العصر [من الخفيف] :

لي مولى أفسى البرية قد قا سيت فيه الهموم والأشواقا
قلت إذ لجّ في جفائي واحت حجّ عليه فساق نحوي السّياقا
أيهذا المليك رأيك في سو امتلاكي فلن أروم الفراقا

* * *

قال : وأنشدني حبيب بن أحمد الأندلسي لنفسه [من الطويل] :

ثلاثون من عمري مضين فما الذي أوْمَلُ من بعد الثلاثين من عمري
أطايب أيامي مضين حميدةً سراعاً ولم أشعر بهنّ ولم أدرِ
كأنّ شبابي والمشيّب يرّوعه دجى ليلةٍ قد راعها وضح الفجرِ

(١) اعتق : من العتق : وهو التحرير والأبق : الهرب .

وأنشدت لأحمد بن عبد الرحمن المتيم النحوي^(١) [من الوافر] :

إذا ما نلتَ من دنياك حظاً فأحسنْ للغنيِّ وللفقيرِ
ولا تمسك يدك على قليلٍ فإنَّ الله يأتي بالكثيرِ

* * *

٢٣ - عبد المحسن بن محمد الصوري

أحد المحسنين الفضلاء ، المجيدين الأدباء ، وشعره بديع الألفاظ ، حسن المعاني ، رائق الكلام ، مليح النظام ، من محاسن أهل الشام ، فمن شعره قوله [من الكامل] :

أترى بشأري أم بدينِ	علقت محاسنها بعيني
في خصرها وقوامها	ولحاظها ما في الرديني
وبوجهها ماء الشبا	ب خليط نار الوجنتينِ
بكرت عليّ وقالت اخـ	ترخصةً من خصلتين ^(٢)
إمّا الصدود أو الفرا	ق فليس عندي غير ذين
فأجبتها ومدامعي	منهلةً كالمرزمين ^(٣)
يا هذه لا تعجلي	إن حان بينك حان حيني ^(٤)
فكأنما قلت اذهبي	فمضت مسارعةً لبيني

قال : وأعطاه بعض الأمراء عمامة حسنة فلبسها أياماً ، ثم باعها ، ولبس عمامة

(١) سينشد البيتين فيما يأتي لأحمد بن محمد بن عبد الكريم النحوي .

(٢) بكرت : أتته باكراً .

(٣) المرزم : المطر المصحوب بالرعد .

(٤) الحين : الأجل .

لطيفة ، ومشى ، فقال بعض من رآه : ثقلت عليه العمامة فباعها . فقال ارتجالا
[من الكامل] :

قالوا عسى ثقلت عليّ فباعها من غير عدم
والله ما ثقلت عليّ عمامتي بل خفّ كمي

وقوله [من الطويل] :

وكم أمر بالصبر لم يرَ لوعتي وما صنعت نار الأسى بين أحشائي
ومن أين لي صبرٌ وفي كلِّ ساعة أرى حسناتي في موازين أعدائي ؟

وقوله [من الوافر] :

ومعتذر العذار إلى فؤادي لجرمٍ سابقٍ من مقلتيه
وكم أعرضتُ عنه فأعرضتُ بي عن الإعراض خضرةً عارضيه
ولمّا قلت إنّ الشعر يسعى لقلبي في الخلاص سعى عليه

وقوله [من مجزوء الرمل] :

لحظاتٌ تترامى بي إلى المرمى القصي
طرحنتي من عليّ بين الحاظ عليّ
فادّعى رقي وما رقى بدعوى المدّعي
أنا عبد المحسن الصو ريّ لا عبد المسي

وقوله [من مجزوء المتقارب] :

جنى ما جنى وانصرف وأنكر ثمّ اعترف
وظنّ بأن القصا ص يمنع منه الترف
سلوا صدّغهُ لِمَ جرى ؟ ولمّا جرى لِمَ وقف ؟
وكان على أنّه يجوز المدى فانعطف

وقوله [من مجزوء الرمل] :

بالذي ألهم تعذيبــي ثـناياك العذابا
والذي ألبس خديـك من الورد نقابا
والذي صيّر حظي منك هجراً واجتنابا
يا غزلاً صاد باللحـظ فؤادي فأصابا
ما الذي قالته عينا ك لقلبي فأجابا ؟

وقوله [من السريع] :

تعلمت وجته رقيةً لعقرب الصدغ فما تلسعُ
صمتُ عن العاذل في حبٍّ أذني فما لي مسمعُ يسمعُ

وقوله في صبي اسمه عمر [من السريع] :

نادمني من وجهه روضةً مشرقهً يمرح فيها النظر
فانظر معي تنظر إلى معجز سيف عليٍّ بين جفني عمرُ

وقوله [من الطويل] :

زففت إلى نيهان من عفو فكري عروساً غدا بطن الكتاب لها خدرا^(١)
فقبلها عشراً وهام بذكرها فلما ذكرت المهر طلقها عشرا

وأنشدني له وقد مر بقبر صديق له [من الخفيف] :

عجباً لي وقد مررت بآثا رك أتي اهتديت قصد الطريق
أتراني نسيت عهدك يوماً صدقوا ما لميت من صديق

(١) الخدر : الستر والخباء .

وقوله [من الخفيف] :

أمنون بدت لنا أم جفونُ
بعثها ما حيت طول هجوعي

حركاتُ للسَّقم فيها سكُونُ
بدموعي فأَيْنَا المغبون ؟^(١)

وقوله [من الطويل] :

تعلَّقته سكران من خمرة الصبا
وشاركني في حُبِّه كلُّ أغيدٍ
فلا تلزمني غيرَةً ما عرفتها

به غفلةٌ عن لوعتي ولهبي
يشاركني في مهجتي بنصيبٍ
فإنَّ حبيبي مَنْ أحبُّ حبيبي

وقوله [من السريع] :

قلت وقد أوردني حُبُّه
أفسدت دنيائي ولا دين لي

موارداً ليس لها مصدرُ
تفسده فاصدعُ بما تؤمُرُ^(٢)

وقوله [من الطويل] :

أتابعَت أهل البيعة اليوم في دمي
ولا تورثنُ عينيك سقمي فإنَّهُ

غلبت فخذ أخطارهم وتقدِّمِ
حرامٌ على الذَّمِّيِّ ميراثُ مسلمٍ

وقوله [من السريع] :

رأيت ما لم يره راثي
أومأت باللحظ إلى جسمه

ماءٌ غدا يسبح في ماءٍ
فكاد أنْ يدميه إيمائي

وقوله [من مجزوء الكامل] :

ظبيُّ أقامَ قيامتي
من قبل أنْ تأتي القيامةُ

(١) المغبون : المنتقص حقّه .

(٢) اصدعُ : امثل .

عطب القلوب جفونه فعلام سمّوه سلامه؟

وقوله [من الخفيف] :

ولئن كنت قد رحلت بقلبي فاعلمي أن سرّ حبك فيه
لا تقولي ضيعته بعد بين ضيعه إن شئت أو فاحفظيه

وقوله [من مجزوء الكامل] :

رقت فكادت لا ترى في كأسها إلا التماسا
لولا الحجاب لخالها شرابها في الكأس كاسا

وقوله [من المنسرح] :

لما تبينت أنّ حبكم يحسن عندي وليس يحسن بي
بشرت طرفي بحسن عاقبتى فيكم وقلبي بسوء منقلبي

وقوله [من الخفيف] :

يا مطيع العذول في عصياني ومذيقى حرارة الهجران
اتق الله لا ترعني بالصدّ وجاز الإحسان بالإحسان^(١)
كيف أبقي على الزمان وهجرا نك ممّا جنت صروف الزمان
صرت أجفوك مكرهاً وعلى الحسب دليل من ناظري ولساني
فإذا عدت بالتجلّد عنكم كذبتني نواظر الأجفان
كيف تجني ولا تخاف عقاباً وفؤادي معاقب غير جاني
خلّ ما بين مقلتيك وقلبي فعلينا يد من السلطان
لا تكونن ثالثاً لقويّ من فلو كان واحداً لكفاني
لك والله في صميم فؤادي لذة الماء في فم العطشان

(١) ترعني : تخفني ، والصدّ : الإعراض .

وقال يهجو بعض من أضافه [من الخفيف] :

وأخِ مسّه نزولي بقرحٍ مثل ما مسّني من الجوع قرح^(١)
قيل لي إنه جوادٌ كريمٌ والفتى يعتريه بخلٌ وشحٌ
بت ضيفاً له كما حكم الدهر وفي حكمه على الحرّ قبحٌ
قال لي إذ نزلت وهو من السكرة والهم طافحٌ ليس يصحو
لِمَ تغرّبت قلت قال رسول الله والقول منه نصحٌ ونجحٌ
سافروا تغنموا فقال وقد قال ل تمام الحديث صوموا تصحوا
وقوله [من الخفيف] :

بدر تمّ يثنيه دعصٌ وخوطٌ عذري في عذاره مبسوطٌ
أي درٌ للثقب أي كتابٌ لو تأتت بصفحتيه الخطوط
وإذا اغترّ قلت ظبيٌ غريٌ وإذا افترّ قلت درٌ سقيط^(٢)
وقوله [من الرجز] :

يستوجب العفو الفتى إذا اعترفْ وتاب مما قد جناه واقرّفْ
لقوله قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلفْ
وقوله [من المنسرح] :

طرةٌ مسكٍ وشاربٌ أخضرٌ وثغرٌ درٌ ومقلتا جوذر^(٣)
ريمٌ إذا رمت أن أكلمه كلّمني من جفونه خنجرٌ
وإن تعوّضت من عوارضه لثماً تجنّي عليّ واستكبر^(٤)

(١) القرح : الجرح ، والمرض .

(٢) افتر : ضحك وتبسّم .

(٣) الجوّذر : البقر الوحشي .

(٤) تعوّض : استبدل .

سَمَاءَ حَسَنٍ نَجُومَهَا تَزْهَرُ
فَذَلِكَ اللَّهُ خَيْرٌ مِنْ قَدَرٍ

كَأَنَّ خَيْلَانَهُ وَوَجَّتَهُ
سَبْحَانُ مِنْ صَاغِهِ عَلَى قَدَرٍ

وقوله [من السريع] :

فَاذْهَبْ تَجَسَّسْ لِمَنْ النَّارُ
وَإِنْ أَضَاءَتْ لَهُمْ سَارُوا^(١)
لَهُ بِفَضْلِ الزَّادِ إِثَارُ
أَوْ مَسَّهَا مِنْ قَرَبِكُمْ عَارُ
قُلْتُ كَمَا تَهْوَى وَتَخْتَارُ
مِمَّا أَسْرَّ الطِّينَ وَالْقَارُ^(٢)
كَأَنَّمَا طَرَفَكَ خَمَّارُ
تَتْلُوهُ لَوَاعَاتُ وَأَفْكَارُ
مَا بَعْدَ رَأْيِ الْعَيْنِ إِخْبَارُ
أَلَسْتُ مِنْ جَفْنِيكَ أَمْتَارُ^(٣)

يَا حَارِ إِنَّ الرِّكْبَ قَدْ حَارُوا
تَبْدُو وَتَخْبُو إِنَّ خَبْتَ وَقَفُوا
قَامَ عَلَيْهَا مَوْقِدٌ مَرُشِدُ
فَلَا تَلُومُونِي إِذَا مَسَّكُمْ
وَسَائِلُ يَسْأَلُ عَنْ حَالَتِي
وَأَيْنَ مَا أَسْرَرْتُ فِي لِحْظِهِ
مَا نَظَرْتُ إِلَّا لَهَا سَكْرَةُ
هَذَا هَوًى يَصْدُرُ عَنْهُ جَوًى
وَهَذِهِ أَفْعَالُهَا هَذِهِ
وَلَسْتُ أَعْتَدُ عَلَيْكَ الضَّنَا

وقوله [من الطويل] :

وَسُؤْلِي فِي دَارِ الْخُلُودِ وَفِي الدُّنْيَا
وَكَفِّيَ الَّتِي أُرْمِي الْأَعَادِي بِهَا رَمِيَا
إِذَا فُطَوَانِي عَنْهُ صَرَفَ الرَّدَى طِيًّا
وَقَدْ زَادَ حَتَّى مَا أَطِيقُ لَهُ نَفِيَا
إِذَا فَأَرَانِي اللَّهُ أَعْيَنَهُمْ عَمِيَا

هَوَايَ الَّذِي أَبْدَى وَأَضْمَرَهُ يَحْيَى
وَعَيْنِي الَّتِي أَرَعَى بِهَا مِنْ يَوْدَنِي
أَأَصْبِرُ عَنْ يَحْيَى وَأَطْوِي وَصَالَهُ
كَتَمْتُ الْهَوَى جَهْدِي وَنَفَيْتُ طَاقَتِي
يُودُ أَنْاسُ لَوْ عَمِيتُ عَنِ الصَّبَا

(١) خبت : انطفأت أو ضعفت .

(٢) القار : القطران .

(٣) أمتار : أجمع الطعام والمونة ، أنغذى .

فما بالهم لا قدّس الله بالهم يلومون في يحيى ولو أنّ لائماً فيا منيتي كم فيك عاصيت عاذلاً وكم جاءني ما قاله فيك كاشحُ أسمع فيك العذل ممّن يلومني فما أحسن الدنيا إذا كنت جانبي

وله يهجو [من مجزوء الرجز] :

حديثه كالحدث يودُّ من يسمعه
يرفث كلّ الرفث^(١) لو أنّه في جدث^(٢)

وله يرثي [من الكامل] :

قالوا ألم تحضر علياً بعد ما لا أستطيع أرى المعالي بينكم لم يمض قبلك من أراه أسوة قد كنت جزءاً والأكارم كلّهم ما كان أكثرهم وأنت جليسهم
دفنوه قلت هناك بش المحضرُ محمولاً وأرى المكارم تقبرُ فأقول هذا مثل ذاك فأصبرُ جزءٌ ، ولكنّ الأقلّ الأكثر وأقلّهم إذ شيعوك ، وكبروا

ومما يتغنّى به من شعره قوله [من الخفيف] :

ما عليها سهرت أم بتّ نائمٌ بعد أن لا يلسمُ بي طيف حالمٌ تسأل الناس كيف حالي ومن أعلم منها ؟ وفاعل الشيء عالمٌ وغزالٍ أغنّ أغيد ساجي الطرف مستحسن الخلائق ناعم^(٣)

(١) الكاشح : المبغض .

(٢) الحدث : ما يخرج المرء من فضلات وريح والرفث : الجماع والفحش .

(٣) الجدث : القبر .

(٤) الأغن : الذي في صوته غنة ، وساجي الطرف : ساكنه .

لم يصلني ولم يعدني وقال اكتم فماذا أسرّ حتى أكاتم
وقوله [من المنسرح] :

قبلتها أشتفي بقبلتها
وساءلتنني عن مبتدا سقمي
فزادني ذلك اللّمي ألما^(١)
مسقم جفنيك مسقمي بهما

وقوله [من السريع] :

يا علّة الأجفان كفيّ كفيّ
وساعدينا واعلمي أنّها
ما حملت منك وما استوثقت
قد نذرت قتلي وما أعتقت

وقوله [من البسيط] :

أرى الليالي إذا عاتبها جعلت
وليس عند الليالي أن أقبح ما
تمنّ أن جعلتنني من ذوي الأدب
صنعن بي أن جعلن الشعر مكتسي
إن كان لا بدّ من مدحٍ فها أنا ذا
بحيث آمن في قلبي من الكذب

وقوله [من الطويل] :

إذا كسدت سوق الشاء فجوده
تضيق بما تحوي يداه ، وصدرة
طلبوبٌ لأسباب الشاء كسوبُ
بتفريق ما تحوي يداه رحيبُ

وقوله [من الخفيف] :

وغزالٍ مثل الغزالة يحكي
رقّ جسماً فرقّ دمعني عليه
ها كمالاً إلّا بقلب وودّ
فجرى مثل خذه فوق خديّ

وقوله [من السريع] :

والله ما عورضتُ في مهجتي
إلّا لأن أرفع عنها يدي

(١) اللّمي : السمرة في الشفة .

الأهيف الأغيد والنفس ما ألفها للأهيف الأغيد^(١)
يعجبها أن ترتدي حسنه والحسن قد يُردى به المرتدي^(٢)
طوفان نوح طَبَّق الأرض لا يرح منها آخر المسند
طاف علينا فاستوينا على الجودي من جود أبي أحمد^(٣)
أبو العلا إذ ذكرتُ وابنها يا ذا المكانين من السؤدد
غير من حالي ومن نيتي في غيره كم مصلح مفسد
لو كان من أحببته بعض ما في يده زارت بلا موعد

وقوله من قصيدة [من الطويل] :

فتى كلما قالوا تناهى صعوده إلى كل مجد خالف القول صاعدا
ترى كل ملقى المقاليد في الوغى إليه إذا لاقاه ألقى المقالدا^(٤)
ولست ترى بيتاً من المجد أو ترى من الجود أركاناً له وقواعدا
لقد شرفتُ أبيات عوفٍ وطهرتُ من الرّجس حتى خلتهن معابدا^(٥)
وكل يعاف الورد من بعد ربّه وأرماح عوفٍ لا تعاف الموارد^(٦)
ترى منهم يوم الوغى كلّ ناشر من النقع فوق الدار عين مطاردا
ينالون ما أمسى بعيداً مناله كأنهم طالوا الرماح سواعدا
وقلبت الهيجاء أعيان خلقهم فقد وثبوا أسداً ودبّوا أسودا^(٧)

(١) الأغيد : الجميل ، وآلفها : من الألفة ، وهي الصحبة والمحبة .

(٢) يردى : يقتل .

(٣) الجودي : جبل في العراق ، استوت عليه سفينة نوح عليه السلام بعد الطوفان .

(٤) المقالد : القيادة ، أي أوكله بالأمر .

(٥) الرّجس : الاثم .

(٦) يعاف : يملّ .

(٧) الأساود : الحيات ، واحدها أسود .

على أن من لا قيتَ منهم مسلماً لقيت به نوء السماء مجاوداً^(١)
وقوله [من البسيط] :

وقد حسدت على ما بي فواعجبي حتى على الموت لا أخلو من الحسد
ما بعثكم مهجتي إلا بوصلكم ولا أسلمها إلا يداً بيد
ومن قصيدة يقول في مدحها [من الخفيف] :

طالما جاد لي وظنُّ بأنَّ الجود يبلي في كلِّ يومٍ مجدِّ
بيمينٍ طالَت فكم تضرب الأيدِ ام عني بها وكم تتجلَّدُ
أحسن الفعل بي فأحسنَت قولاً فاشتبهنا فليل جادٌ وجودٌ
وقوله [من الكامل] :

وغريرة مغرورةً بجهاها وتظنُّ أنَّ المنتهى كالمبتدي
ظلت تناكرني الهوى من بعد ما اعترفت به زمناً فقلت تقلدي
ليكن عقابك لي بقدر تجلدي لا بالنوى فضعفةً عنها يدي
وقوله في أبي الجيش حامد بن سلهم [من الكامل] :

ما زال ينحلني أبو الجيش اسمهُ فيما يجدُّ وكلُّ يومٍ جوداً
حتى غدوت أنا المسمى حامداً وغدا يسمى حامداً محموداً
وقوله [من البسيط] :

نام الخليون من حولي فقلت لهم : ما كلُّ عينٍ لها عينٌ تسهِّدها
لا تنكروا عقلتي عامين في يده فإنَّ صيداء معروف تصيِّدها^(٢)

(١) نوء السماء : نجم السماء المضيء ومجاودا : متكرباً.

(٢) عقلتي : عقالي وأسري.

كأنما أهلها أهل المقيم بها فذلك الزهد في الأوطان يبعدها
وقال يهجو أخاه عبد الصمد [من الرمل] :

قال لي : أنت أخو الكلب ، وفي ظنه أن قد تناهى واجتهد
أحمد الله كثيراً أنه ما درى أنني أخو عبد الصمد
وقوله من قصيدة أولها [من السريع] :

لا بتأديك على هجري ولا بإكثارك من ذكري
عهدتكم من حيث عاهدتكم لم تعرفوا شيئاً سوى الغدر
فما لكم لما نذرتم دمي صرتم من الموفين بالنذر
جاءت عطايك موفرة فلم يكن عندي سوى النشر^(١)
مقرونة بالعدر إنني لفي الت قصير أولى منك بالعدر

وقوله من قصيدة أولها [من المنسرح] :

حتى متى كلّ مشتك زاجر واللوم مثل الهوى بلا آخر
كم عاذل عاشقٍ وكنت أرى أن الذي جرب الهوى عاذر
يا نافرأ نفرة الغزال وكا ن الحزم لو أنني أنا النافر
يبيت ما تستعدّ مقلته من خمرها فوق ثغره قاطر
فطرفه عاصرٌ وليس به خمرٌ وفوه خمرٌ بلا عاصر
وشادنٍ طائفٌ على نفرٍ شخص الكرى من يمينه دائر
صرعهم حوله وأوجسهم بما اشتكى نائبٌ له ساهر^(٢)
فحسني ساعةً فلم ترني في أثر القوم بعدهم سائر
فقال أوصيك بي وأسلمه الصبر على رغمه إلى الصابر

(١) في الأصول: «جاءت عطايك موفورة» وغيرناها لإقامة الوزن.

(٢) أوجس : شعر وأحس.

فبت في روضه ألف على الغداة طرقي وأمرح الناظر
يقول في مدحه بالكتابة وأجاد :

لا يخطر الفكر في كتابته كأن أقلامه لها خاطر
القول والفضل يجريان معاً لا أول فيها ولا آخر
وقوله [من مجزوء الكامل] :

وأغنّ أغيد، ودّه مستأنس بي، وهو نافر
إن قلت زرنى قال نمّ فالطيف ليس يزور ساهر
ويقول لي فيما يقو ل نعم وما للقول آخر
حتى أشاور قلت لـكنّي هويت ولم أشاور!

وقوله [من الخفيف] :

سهلت عنده المسالك حتى أوصلته إلى العلا وهي وعرة
ثم هامت به المعالي فصارت تتقي صده وتحذر هجرة
وقوله من قصيدة يقول فيها [من المتقارب] :

هلموا اسألوا عن سلو يباع أو استخبروا عن كرى يكترى^(١)
هل الناس مثلي؟ وإلا فما أشدّ القلوب وما أصبرا
وصفراء تنفذ من كأسها فترك ما حولها أصفرا
بداً إذا شعشت كالهباء لمن كان قدّامها أو ورا^(٢)
وفي القوم من لم يكن عنده إذا سكر القوم أن يسكرا

(١) الكرى : النعاس : ويكتري : يشتري .

(٢) شعشت : أضاءت ، والهباء : غبار دقيق يظهر مع نور الشمس إذا دخلت من كوة بيت مظلم .

سقاني وشدّ معي مئزرأ فما شدّ من بعدها مئزرا

وقوله [من البسيط] :

عندي حدائق شكرٍ غرس جودكم قد مسّها عطشٌ فليسقٍ من غرسا
تداركوها وفي أغصانها رملٌ فلن يعود اخضر العود إن ييسا

وقوله من قصيدة يقول في مدحها [من الكامل] :

بش السياسة والرياسة منزلٌ أصبحت وحدك في ذراه مقيا
وجعلت تفعل مثل ما فعل الألى فيه وتتخذ الخطوب خصوما
ولو اختصرت على القديم كفى العلا إنّ القديم ليجب التقدما
للحادثات معي حديثٌ مبهمٌ أضحى النهار علىّ منه بهما
وصناعتى عريّةٌ وكأنتي ألقى بأكثر ما حفظت الرّوما
فلمن أقول وما أقول فأين بي فأسيرٌ أولا أين بي فأقيا
وإذا اشتكيت إلى امرئٍ ما حلّ بي فأقول يرحمني أراه حلما

وقوله من قصيدة يقول فيها [من الطويل] :

يروح إلى كسب الثناء ويغتدي إذا كان همّ الناس كسبُ الدراهم
وإن جلس الأقوام عن واجب الندى وحق العطايا كان أوّل قائم
يزيد ابتهاجا كلما جاء قاصدٌ كأنّ به شوقاً إلى كلّ قادم

وقوله [من السريع] :

إنّ لها من لوعةٍ شانا أضربت الأحشاء نيرانا
وحالفت دمعي فلم يطفها وقد جرى سحاً وتهتاناً^(١)

(١) سحاً : متصبياً، والتهتان : المطر الذي يتقطع ثم يعود فيهطل.

وآل ما زال عدواً لها
لكنّ في حيني وفي شقوتي
وغادق قمت لتوديعها
ففاض دمعي وجرى دمعي
ثم انثنت قائلة : ما له
فقلت : جار الدمع في حكمه
مذ كانت النار ومذ كانا^(١)
ما يجعل الأعداء خلاناً^(٢)
أسعى إلى التفريق عجلانا
زوراً على الحبّ وبهتاناً
لم ييكه اليبين وأبكنا؟
ففاض من أجفان أجفانا^(٣)

وقوله [من السريع] :

ما زال ييني كعبةً للعلا
حتى أتى الناس فطافوا بها
ويجعل الجود لها ركنا
وقبلوا راحتها اليمنى

وقوله في أبي الجيش حامد بن سلهم [من الطويل] :

أبا الجيش ، حسب الشعر ما أنت صانعٌ فقد عجزت عن وصف ذاك القصائدُ
أما انصلحت للمال منك طويةً فتصلحه حتى متى أنت حاقدٌ^(٤)
سبقت بني الدنيا فما هبّ قائمٌ سواك إلى جودٍ ولا قام قاعدٌ

وقوله [من السريع] :

ومن بني القواد من بغته
سلطان عينيه له سطوة
عن سيفه سيوف أجفانه^(٥)
أشدّ من سطوة سلطانه

(١) آل : أقسم .

(٢) الحين : الموت والخلان : الأصحاب .

(٣) جار : ظلم ، وأجفانا : أكثرنا جفاءً وهجرًا .

(٤) الطوية : دخيلة النفس ، وما تضمّره .

(٥) في الأصول : «عن سيفه سيف أجفانه » وغيرناه لإقامة الوزن .

وقوله [من الكامل] :

يا ذا الذي في خدّه جيشان من زنجٍ ورومٍ
هذا يغير على القلو ب وذا يغير على الجسومِ
إنّي وقفت من الهوى في موقفٍ ضنكٍ عظيمٍ
كوقوف عارضك الذي قد حار في ماء النعيمِ

وقوله [من الخفيف] :

غَتّني يا أعزّ ذا الخلق عندي حيّ نجداً ومن بأكناف نجد^(١)
واسقني ما يصير ذو البخل منه حاتمًا والجبان عمرو بن معدي
لي وما فوق وجتتيك من الو رد مدام كالمسك في لون ورد
فاسقنيها ملأى فقد فضح اللب لَ هلالٌ كأنّه فترٌ رند^(٢)
والثريا خفّاقَةٌ بجناح ال غرب تهوي كأنّها رأس فهد
في أوان الشّبّاب عاجلني الشّيء ب فهذا من أوّل الدنّ دردي^(٣)

وقوله [من السريع] :

إنّ خيالاً زارنا وهنا من عندكم هاج لنا حزنا
أحبابنا، لا بلغت منكم أيدي النوى ما بلغت منّا
فلم يغب عنكم على بعدكم ما فعلت غيبتكم عنّا
أيسر ما في عهدكم أنّا لما حفظنا عهدكم ضعنا

* * *

(١) الكناف : الجنبات .

(٢) الفتر : ما بين الخنصر والابهام والرند : عودٌ طيب الرائحة .

(٣) دردي : أي الكدر الذي يبقى في أسفل الإناء راسباً .

٢٤ - أحمد بن سليمان الفجري

شاعر ماهر ، كتب إلى عبد المحسن الصوري هذه الأبيات [من الوافر] :

أعبد المحسن الصوريّ لم قدّ جثمت جثوم منهاضٍ كسيرٍ^(١)
فإن قلت العباله أفعدتني على مضضٍ وعاقث عن مسيري^(٢)
فهذا البحر يحمل هضب رضوى ويستثني بركنٍ من ثبير^(٣)
وإن حاولت سير البرّ يوماً فلست بمثقلٍ ظهر البعير
إذا استحلّ أخوك قلاك يوماً فمثل أخيك موجودٌ النظير^(٤)
تحركّ علّ أن تلقى كريماً تزول بقربه إحن الصدور^(٥)
فما كلُّ البرية من تراه ولا كلُّ البلاد بلاد صور

فأجابه عبد المحسن [من الوافر] :

جزاك الله عن ذا النصح خيراً ولكنّ جاء في الزمن الأخير
وقد حدثت لي السبعون حدّاً نهى عما أمرت من المسير
ومذ صارت نفوس الناس حولي قصاراً عدت بالأمل القصير

* * *

٢٥ - أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي

المعروف بأبي الرقعمق

نادرة الزمان ، وجملة الإحسان ، ومن تصرف بالشعر الجزل ، في أنواع الجد

(١) المنهاض : المقعد .

(٢) العباله : الضخامة : والمضض : الألم والإرغام .

(٣) رضوى : إسم جبل معروف ، وثبير إسم جبل .

(٤) قلاك : أبغضك .

(٥) إحن الصدور : أحقادها .

والهزل ، وأحرز قصب الفضل ، وهو أحد المداح المجيدين ، والفضلاء المحسنين ،
وهو بالشام كابن حجاج بالعراق ، فمن غرر محاسنه قوله يمدح من قصيدة أولها [من
الخفيف] :

قد سمعنا مقاله واعتذاره وأقلناه ذنبه وعثاره^(١)
والمعاني لمن عنيت ، ولكن بك عرضت فاسمعي يا جاره
من مراديه أنه أبد الدهر تره محلاً أزراره
عالم أنه عذاب من الله مباح لأعين النظارة
هتك الله ستره فلکم هت ك من ذي تستر أستره
سحرتني لحاظه وكذا كل ملح لحاظه سحاره
ما على مؤثر التباعد والإع راض لو أثر الرضى والزياره
وعلى أنني وإن كان قد عذ ب بالهجر مؤثر إثاره
لم أزل لا عدته من حبيب أشتهي قربه وأبى نفاره

يقول في مدحها :

لم يدع للعزیز في سائر الأرز ض عدواً إلا وأحمد ناره
فلهذا اجتباه دون سواه واصطفاه لنفسه واختاره
لم تشيّد له الوزارة مجداً لا ولا قيل رفعت مقداره
بل كساها وقد تخرمها الدهر ر جلالاً وبهجة ونضاره^(٢)
كل يوم له على ثوب الدهر ر وكر الخطوب بالبذل غاره^(٣)
ذو يد شأنها الفرار من البخ ل وفي حومة الوغى كزاره

(١) أقلناه : أعفيناه : والعثار : من التعثر أي السقوط في الخطأ وغيره .

(٢) تخرمها الدهر : ترك بها خروماً .

(٣) كر الخطوب : تجددّها واستمرارها .

هي فُلْتُ عن العزيز عداه بالعطايا وكثُرَتْ أنصاره^(١)
هكذا كلُّ فاضلٍ يده تمسِّي وتضحى نفاعه ضراره
فاستجره فليس يأمن إلا من تقياً بظله واستجاره
فاذا ما رأته مطرقاً يُعمل فيما يريده أفكاره
لم يدع بالذكاء والذهن شيئاً في ضمير الغيوب إلا أناره
لا ولا موضعاً من الأرض إلا كان بالرأي مدركاً أقطاره
زاده الله بسطةً وكفاه خوفه من زمانه وحذاره^(٢)

وقوله من أخرى أولها [من الخفيف] :

إن ربعاً عرفته مألوفاً كان للبيض مربعاً ومصيفاً
غيرت آية صروف الليالي وغدا عنه حسنه مصروفاً
ما مررنا عليه إلا وقفنا وأطلنا شوقاً إليه الوقوفاً
ألفاً فيه للبكاء كأنني لم أكن فيه للغواني ألوفاً
حاسداً للجفون لما أزالته في مغانيه دمعها المذروفاً
إن يعقوب قد أفاد وأقنى وأعاد الندى وأغنى الضعيفاً^(٣)
سل سيفاً من البصيرة والرأى فأغنائه أن يسلّ السيوفاً
باذلاً للعزيز دون حماه مهجة حرة ورأيا حصيفاً
لم تزل دونه تخوض المنايا وتردّ الردى وتلقى الصفوفاً
ناصرها مشفقاً محباً ودوداً قائماً في رضاه صعباً عسوفاً
ليس يخشى فساد أمرٍ تولاه وأضحى برأيه مكنوفاً^(٤)

(١) فُلْتُ : قطعت .

(٢) البسطة : القوة والهيبة .

(٣) أقنى : أملك واعطى .

(٤) مكنوناً : محاطاً .

خلقاً طاهراً وفعلاً شريفاً
 منعماً مفضلاً رحيماً رؤوفاً^(١)
 د وأعطى يرى الكثير طففاً^(٢)
 يستلذُّ الندى ويقري الضيواً
 د ويعطي ويسعف الملهوفاً^(٣)
 أبداً عن فئاته مصروفاً

ما رأيناه قطُ إلا رأينا
 ورأينا قرماً كبيراً همماً
 لذّ طعم العطاء وهو إذا جا
 خلقٌ منه - منذ كان - كريمٌ
 ويريش الفقير بالبذل والجو
 فأرانا الإله صرف الليالي

وقوله من أخرى [من المجتث] :

مغرى بأهل الخيام	حيّ الخيام	فلأني
بصائبات السّهام	بالراميات	فؤادي
ن لأشفين سقامي ^(٤)	أسقمتني	وتألي
والهجر غير حرام	أيام وصلي حرام	
إلا بطول الغرام	لا عذب الله قلبي	
بشرّتي وغرامي ^(٥)	سقياً لدهر تولّى	
ش كان في الأحلام	كأنما ذلك العي	
لحادث الأيام	لم يبق من نرتجيه	
ل والأيادي الجسام	إلا ابن أحمد ذو الطو	
من واكفات الغمام	كفاه أغدق جوداً	
مستبشر بسّام	يلقى العفاة بوجه	

(١) القرم : السيّد .

(٢) الطفيف : القليل .

(٣) يریش : يقوّي ويغني .

(٤) تألّين : أقسم ودعون الله .

(٥) الشرّة : حدّة الشباب ونشاطه .

معظماً ترتجيه للنائبات العظام
يرمي الخطوب برأي أمضى من الصمصام
قرم له عزمات تفل حذاء الحسام

وله من أخرى [من المتقارب] :

توهمت أمراً فلم أنبس بحرفٍ وناديت بالأكؤس
حمياً كأن سنا نورها سنا بارقٍ لاح في الحندس^(١)
يعاطيكها رشاً طرفه سريعٌ إلى تلف الأنفس
بخدرٍ يروقك توريده وعين تنوب عن النرجس

يقول في مدحها :

له قلمٌ أبداً ناطقٌ بأسعد قومٍ وبالأنحس
إذا ما انتضاه لأمرٍ رمى به الدهر عن صائبات القسي^(٢)
رآه الوزير على غاية من الفضل تعلو على الخنس^(٣)

ومن أخرى [من الوافر] :

أظن ودادها من غير نية وهل هي فيه إلا مدعية
فتاة لا تملُّ عذاب قلبي ولا تخليه وقتاً من أذية
ولا ذنبٌ له إلا التوافي لمن في الحب ليست بالوفية
ويعجبني التمتع والتشاجي من الخود الممنعة الشجية^(٤)
فوا أسفاً على حرٍّ يعزي أخا رزءٍ على عظم الرزية^(٥)

(١) الحمياً : الخمر ، والحندس : الظلام .

(٢) انتضاه : استلّه وشهره ، والقسي : جمع قوس .

(٣) الخنس : الكواكب .

(٤) التشاجي : شدة الشوق والتذكر والخود : الفتاة الناعمة .

(٥) الرزية : المصاب .

ومنها^(١) :

وذلك أنْ يُيري فيه رطلٌ
ومن بعث المدام فليس بدٌ
فثمّ هناك حرٌّ شافعيٌ
ونفسي غير مائلةٍ إليها
أحبُّ دنوّها وتحبُّ قربي
وما لاقيتها إلّا تلاقى
وهذا الرأي لا رأيٌ سواه
ولا عيشٌ سوى تقلّبٍ بظُرٍ
على أنّي أقول بكلّ شيءٍ
ولا ألوي على أحدٍ يراني
ومن نال العلاء حجاباً ومجداً
تشابه خلقه والخلق حسناً
تشاهد منه طوداً مشمخراً
له الأقلام كيف يشاء تجري
كانّ اللفظ في القرطاس زهراً

ومن أخرى [من البسيط] :

كفّي ملامك يا ذات الملاماتِ فما أريد بديلاً بالرقاعاتِ

(١) لم نشأ أن نحذف شيئاً ممّا في هذا الكتاب من المجون - كما يفعل بعض الناشرين ، تحرجاً منهم وتأنماً كما يزعمون ، وحرصاً على مكارم الأخلاق لأننا لا نؤلف ، وإنّما نحقق نصّاً قيده صاحبه في زمن. كان الناس فيه أشدّ تحرجاً من هذا الزمن الذي نعيش فيه ، ولأننا نرى من حقنا ان نتصرّف في كتب الناس ثم نبقها منسوبة إليهم . . .

(٢) القذمليّة : الواسعة .

(٣) الحجى : العقل والرأي .

كأنني وجنود الصفع تتبعني
 قسيس دبر تلا مزماره سحراً
 وقد مجنتُ وعلمت المجنون فما
 وذاك أني رأيت العقل مطرحاً
 إنني سأدخل عذالي على عدل
 أفدي الذين نأوا والدار دانيةً
 كم قد نفت سبالي في صدودهم
 سقياً ورعياً لأيام لنا سلفت
 إذا لا أروح ولا أغدو إلى وطن
 أيام أسحب أذيال الهوى مرحاً
 عوضت منهن أحزاناً تؤرقني
 لولا عذارُ تعالى كيف صوره
 كأنه مشقة من خد من شقيت
 لما حللت بدار مالها أحد
 لو كنت بين كرام ما تهضمني
 ومنها :

وقد تولت مزامير الرطانات^(١)
 على القسوس بترجيع ورنات
 أدعي بشيء سوى رب المجانات
 فجئت أهل زماني بالحماقات
 في الحب أن عذلوني في الحرامات
 وشئتوا بالجفا شمل المودات
 والصد أصعب من نف السبالات^(٢)
 بالقفص قصرها طيب اللذات
 إلا إلى ربع خمائر وحانات
 مصرعاً بين سكرات ونشوات
 بعد السرور وفرحات بترحات
 رب العباد لتعذيبي وحسراتي
 روحي بهجرانه أو عطف نونات^(٣)
 إلا أناس تواصلوا بالخصاسات
 دهر أناخ على أهل المروءات^(٤)

لنال بالمجد أعنان السموات
 إذا دجا الرأي من أهل البصيرات
 أو واقفاً في صدور السّمهريات^(٥)

لو نيل بالمجد في العليا منزلة
 يرمي الخطوب برأي يستضاء به
 فليس تلقاه إلا عند عارفة

(١) الرطانة : الكلام الأعجمي .

(٢) السبال : الشارب .

(٣) المشقة : طول ورقة في الخد .

(٤) تهضمني : أنقصني حقوقي - ظلمي .

(٥) السّمهري : الريح .

يا من غدت أوجه الأيام مشرقة
مالي بلا سبب غودرت مطرَحاً
ولي مدائح قدماً فيك سائرة

ومن أخرى [من البسيط] :

كلُّ بشعري مفتونٌ ومشغوفٌ
كلفت من أمرهم ما لا أقوم به
لأنتنن سبالي طاعةً لهم
أُسمي وأصبح مجفواً ومطرَحاً
وبي وعندي وفي ملكي ولا رزقوا
من تلك أافية القوم الكشاخنة الـ
مفوقات بتنفيشٍ وأطعها
معطوفةً وبنفسي يا ابن أمِّ قفا
كم قاتلٍ ويداه في أطايه
فإن يكن ذا فلا غرو ولا حرج
هذا الذي من رآه دون ملمسه
ولم يمدَّ إلى رأسٍ على طربٍ
بيناً يرى الثوب منشوراً بلا سببٍ
فكم ألام ؟ وكم ألحى ؟ وهل حمقي
ألفتُهُ حسب مالي من محبته

بجوده مستهلاتٍ منيراتٍ
وقد حرمت عطايك الجزيلاتِ
مستطرفاتٍ بالفاظٍ طريفاتِ

وجيد الشعر منعوتٌ وموصوفٌ
ومن يقوم بأمرٍ فيه تكليفٌ
والذقن إن دام ذا الإعراض منتوفٌ
هذا ورأسي وما والاه مكشوفٌ
رزقي قذالٌ أصمُّ السمع مكفوفٌ^(١)
فدم الذين لهم منها مجاديفٌ^(٢)
لا شك ما فيه تنفيشٌ وتقويفٌ
على الأخادع مثنيٌ ومعطوفٌ
وطيب الشيء مجنيٌ ومقطوفٌ
فلليالي وللأيام تصريفٌ
لم يأكل اللحم إلا وهو معلوف
يديه إلا وفي اليمنى تطاريفٌ^(٣)
حتى يرى وهو بعد النشر ملفوفٌ
إلا نتيجة رأسٍ فيه تخفيفٌ؟^(٤)
دون البرية والمحبوب مألوفٌ

(١) القذال: القفا.

(٢) الكشاخنة: الفسدة والفسقة والقدم الأحق الغليظ.

(٣) التطاريف: من الأطراف.

(٤) ألحى: ألام.

إلف المكارم والجدوى فتى أسد
حر إذا ذكر الأحرار مشتمل
بمثله يدفع الخطب الجليل إذا
ندب نماء كرام سادة نجب
تحصى النجوم ولا تحصى فضائله
محمد خير من ناداه ملهوف
على السّماح ببذل العرف معروف
تصرّفت بيني الدنيا تصاريف
شم الأنوف بها ليل غطاريف^(١)
ولا يحيط بها وصف وتكييف

ومن أخرى [من الهزج] :

لمن أمدح بالشعر ؟ لمن أقصد ؟ لا أدري !
إلى من إن دجا خطب ونابت نوب الدهر
فقد والشفع والوتر ومن أقسم بالفجر
تحيرت فما أدري الذي أصنع في أمري
على أني بالدهر وبالأيام ذو خبر
ولكنني للحير ة سكران بلا سكر
كأنني لست مخلوقاً لغير الجهد والضر
ومذ كنت فمدفوع إلى الفاقة والفقر
فما أصنع في مصر إذا لم أحظ في مصر ؟
وفي الآفاق أقوام يميلون إلى شعري
ونبت بأن القو م لا يخلون من ذكري
فقيم الترك للسير وهل في ذاك من عذر ؟
وقد قدمت أثقالني وسيري غرة الشهر
فأما أكثر الحمق فقد سيرت في البحر
وباقه معي يذهب ب في البر على ظهري

(١) الندب : السريع الى الفضائل والبهايل : جمع بهلول، وهو السيد المحب للخير وكثيرة
والغطاريف : جمع غطريف وهو الفتى الجميل .

ولا أترك في مصر
فمن بعدي ليطيب
ومن يلعب في الرأس
ومن من شدة الصفع
ومن هامته أقوى
ومن يضطرب في الذقن
ومن ينتف بالدبق
ولكنني لا كنت
إذا أمراني الصفع
وهيات ترى صفعاً
لذكر الحمق من أثر
ه في النظم وفي النثر؟^(١)
من العصر إلى العصر؟
له رأس بلا شعر؟
على الصفع من الصخر؟
بلا كيل ولا حزر؟^(٢)
سبالات بني البظر؟^(٣)
لما في من الكبير
تجشأت من الدبر؟^(٤)
لغيري أبداً يمرى

ومنها :

ألا يا منتهى الجود
ويا ابن السادة الغر
ويا أبهى من الشمس
لماذا أنت لا تعدي
همام طاهر الذيل
كريم الأصل والخيم
جواد غير مدفوع
ويا ذا المجد والفخر
ويا ابن الأنجم الزهر
ضياءً ومن البدر
على الأيام والدهر؟
سليل السادة الغر
رحيب الباع والصدر؟^(٥)
عن الإفضال والبر

(١) أطباء : دعاه .

(٢) الخزر : المقدار والمعرفة .

(٣) سبالات بني البظر : أي شعر العانة .

(٤) أمراني : يقال أمري الدّم : استخرجه وربما الصفع أمرى دموعه .

(٥) الخيم : السجايا .

وما زال إلى كلِّ
لقد عمّت أياديه
له عارفةٌ تسري^(١)
جميع البدو والحضر

ومن أخرى [من المديد] :

عجبٌ ما مثله عجبٌ
قرقرت بطنسي فواحزني
هرباً من شرّها هرباً
ذهب الناس فما أحدٌ
حزّني أنّي مذّ زمنٍ
ولكم بتنا على طربٍ
وكؤوس الصفع دائرة
وانتخبناها وهامهمُ
وكأنّ الصفع بينهمُ
والعمى منهم وإن شغلوا
سوف يدرون أيما رجلٍ
بسيوفٍ شركها أدمُ
وعجيبٌ والحسين له
أنّ شربي عنده رنقُ
وله الورْدُ المعاذ به
فعلوا بي غير ما يجبُ
ذقن من بالسّلع يختضب^(٢)
فعسى أن ينفع الهربُ
يشتهي أن تنفخ القربُ
ما لعبناه ولا لعبوا
ورؤوس القوم تستلب
ملؤها اللذات والطربُ
وأكفُ القوم تصطخبُ
شعلُ النيران تلتهبُ
عنه باللذات مقتربُ
ضيّعوا مني إذا طربوا
مرهفاتٍ للعمى سببُ^(٣)
راحةً بالجدود تنسكب
ولديه مربعي جذب^(٤)
والجناب الممرع الخصب

(١) العارفة : النوال والفضل .

(٢) القرقر : أصوات الريح في البطن .

(٣) الشرك : ما ينصب من الحبال ليصطاد به .

(٤) الرنق : الكدر .

وهو الغيث المثلث إذا أعوزتنا دَرَّها السُّحب^(١)
وإلى الرِّسِّي ملجؤنا من صروف الدهر والهرب
سيد شادت علاه له في العلا آباؤه النجب
وله بيت تمد له فوق مجرى الأنجم الطنب^(٢)
حسبه بالمصطفى شرفاً وعليّ حين ينتسب
رتبة في العز شامخة قصرت عن نيلها الرتب
ذاك فخر ليس تنكره لكم عجم ولا عرب
ولأنتم من فضلهم جاءت الأخبار والكتب
وإليكم كل منقبة في الوري تعزي وتنسب^(٣)
وبكم في كل معركة تفخر الهندية القضب^(٤)
وبكم في كل عارفة ترفع الأستار والحجب
وإذا سمر القنا اشتجرت فبكم تستكشف الكرب^(٥)

وقوله من قصيدة في الرسي أولها [من مجزوء الرمل] :

باح وجداً بهواه حين لم يعط مناه
مغرم أغرى به السقم فما يرجى شفاه
كاد يخفيه نحول الـ جسم حتى لا تراه
لوضناً يخفى عن العين لأخفاه ضناه

ومنها :

حبذا الرسي مولى رضي الناس ولاه

(١) الغيث المثلث: المطر الهاطل والدر: يعني به مطر السحاب.

(٢) الطنب: الحبال.

(٣) المنقبة: المائرة.

(٤) الهندية القضب: السيوف القاطعة المنسوبة الى الهند.

(٥) اشتجرت: تداخلت وتشابكت في العراك.

جعل الله أعاديهِ من السوء فداهُ
فلقد أيقن بالثروة من حلّ ذراه
من رقى حتى تنهى في المعالي مرتقاه
فات أن يبلغ في السؤدد والمجد مداهُ
ملكٌ مذ كان بالسطوة ممنوعٌ حماهُ
بحر جودٍ ليس يُدزى أين منه متناهٍ
لم يضع من كان لإبراهيم في الناس رجاه
لا ولا يفرق من صرّف زمان إن عراه^(١)
من به استكفى أذى الأيام والدّهر كفاهُ
كيف لا أمدح من لم يخلُ خلقٌ من نداهُ

وقوله من أخرى يقول فيها [من مجزوء الرمل] :

لو برجلي ما برأسي لم أبت إلا بنجدي
خفةً ليست لغيري لا أراني الله فقدي
ومحال أن يرى مثلي أو يبصر بعدي
رجلٌ لا يضطر الضرّة إلا بعد جهدي
فلذا الأمر تراه يأكل التمر بزدي
غير أنّي قيل عني إنني مغرّ بدعدي
وبليلى وبسلمي ويسعدى وبهندي
ثم لا أملك شيئاً غير سنورٍ وخلد^(٢)
وحماقاتٍ وعمرى إن لي رأساً مرندي^(٣)

(١) يفرق : يخاف ، وعراه : أصابه وحلّ به .

(٢) السنور : الهرّ ، والخلد : حيوان يشبه الجردون يعيش داخل الأرض ويتخذ له فيها طرقاً عدّة .

(٣) المرندي : الصلب والقوي التحمل .

أصبر الأروُس في صفح بلا حَزِرٍ وعدٌ

ومنها :

خلقت كفّاه من جو دٍ لراجيه ورفدٍ
موردٌ يورد راجيه إلى أعذب وِردٍ
لا خلا من منّةٍ منه إلى الأحرار يسدي^(١)
فهو القائم بالحق وموفي كلّ عهدٍ

ومن أخرى [من البسيط] :

قلبي لك الخير بالأفراح معمورٌ مستبشرٌ جذلٌ بالفتح مسرورٌ
يقول فيها :

خذ في هناتك ممّا قد عرفت به ممّا به أنت معروفٌ ومشهور^(٢)

واحك العصافير صي صي صي	صصي صصي صصي
إذا تجاوبن	في الصبح العصافير
ففيك ما شئت من حمقٍ ومن هوسٍ	قليله لكثير الحمق إكسير ^(٣)
كم رام إدراكه قومٌ فأعجزهم	وكيف يُدركُ ما فيه قناطيرُ
لا تنكرن حماقاتي لأنّ بها	لواء حمقي في الآفاق منشورُ
ولست أبغي بها خلاً ولا بدلاً	هيهات غيري بترك الحمق معذور
لا عيب فيّ سوى إنّي إذا طربوا	وقد حضرت يرى في الرأس تفجير

(١) يسري : يقدّم ويتكرّم .

(٢) الهناة : الدّهاء .

(٣) الإكسير : ما يلقي على الفضّة أو نحوه فيحوّله إلى ذهب خالص ، وذلك من خرافات أصحاب الكيمياء القديمة .

والأخدعان فما زالا يُرى بهما
 وذا الفعال مع الإعراض مطرد
 فذا وذاك وهذا ثم ذاك وذا
 أستغفر الله ممّا قلته عبثاً
 أقول للنفس لما استشعرت جزعاً
 إنّ الإمام نزاراً مدحه فثقي
 هو الذي ليس بعد الله من أحلّه
 مشمراً في المعالي ذيل مجتهد

ومن أخرى [من الوافر] :

أترضى بالتخلّف والتواني
 وما أنا والأحاديث اللواتي
 ألا طربت إلى النشوات نفسي
 كما طربت أباريق الندامي
 ويومك إذ تطوف به فتاة
 مهفهقة القوام إذا تثنت
 ولم أر قبلها شمساً تبدت
 لحاه الله من شيخٍ ضروط
 ولكن رأسه جلدٌ جليدٌ

لكثرة المزمح توريمٌ وتحميم^(١)
 صفعٌ ونقعٌ وتيسيرٌ وتعسير
 كذا الليالي لها صفوٌ وتكدير
 لغير شيءٍ وما في الصّحف مسطور
 وبات يردعها خوفٌ وتحذير
 ذخرٌ لمثلك عند الله مذخور
 سواء في الناس محمودٌ ومشكور
 وماله في سوى العلياء تشمير^(٢)

على ضرب اللّجاجة والحران؟^(٣)
 تزهد في المثلث والمثاني؟
 وتقت إلى معتقة الدّنان^(٤)
 إلى أصوات قهقهة القناني
 على الخدين منها وردتان
 تثنت كالقضيبي الخيزران^(٥)
 ولا قمرأ بأعلى غصن بان
 ضجيجٌ ضراطه بالنهروان
 صبورٌ عند مختلف الطعان

(١) الأخدعان : عرقان في العتق .

(٢) مشمّر : متأهب .

(٣) الحران : العناد .

(٤) تقت : اشتقت .

(٥) تثنت : تمايلت .

ولم أر قبله رأساً سواه
ولا سيماً إذا الأيدي توالَتْ
غدا وقفاً على حربِ عوان^(١)
عليه والتقت حلقِ البطان^(٢)
ومنها :

إلى من راحتها ندى وجود
كريم لا يدافع عن سماح
تناهت عنده الآمال لما
علينا بالمواهب ثرُتان^(٣)
جواد ماله في الجود ثان
غدا أقصى النهاية في الأمان

ومن أخرى [من مجزء الرمل]

كلُّ يومٍ أنا من إـيـري في أمرٍ عجاب
ليس يخليني من همٍّ وحزنٍ واكتئاب
لم يدع لي ذهباً إلا رماء بالذهاب
وابتدى المشؤوم أن يعـمل في امر التَّباب^(٤)
هل مجير لي منه أهل ودي وصحابي
أو وإلا تبت والرحـم من من لعب الكعاب
أنا مبلي من بلايا هـ بنصبٍ وعذاب
أنا لولاه لألفـي ت قليل الاضطراب
وتجزيت بنزير من طعام وشراب
ولما طال انتزاحي عن بلادي واغترابي^(٥)
لعنة اللـه عليه وبراعيتُ الكلاب

ط ٧
٣
٢
١
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩
٢٠
٢١
٢٢
٢٣
٢٤
٢٥
٢٦
٢٧
٢٨
٢٩
٣٠
٣١
٣٢
٣٣
٣٤
٣٥
٣٦
٣٧
٣٨
٣٩
٤٠
٤١
٤٢
٤٣
٤٤
٤٥
٤٦
٤٧
٤٨
٤٩
٥٠
٥١
٥٢
٥٣
٥٤
٥٥
٥٦
٥٧
٥٨
٥٩
٦٠
٦١
٦٢
٦٣
٦٤
٦٥
٦٦
٦٧
٦٨
٦٩
٧٠
٧١
٧٢
٧٣
٧٤
٧٥
٧٦
٧٧
٧٨
٧٩
٨٠
٨١
٨٢
٨٣
٨٤
٨٥
٨٦
٨٧
٨٨
٨٩
٩٠
٩١
٩٢
٩٣
٩٤
٩٥
٩٦
٩٧
٩٨
٩٩
١٠٠

(١) الحرب العوان : الحرب الضروس المتتابعة .

(٢) حلقِ البطان : أي بطون الأكف .

(٣) الثرة : المنعمة بالخير الكثير .

(٤) التباب : الهلاك والخسران .

(٥) الانتزاح : الابتعاد .

فَلَكُمْ أَوْقَفَنِي مَوْ قَفْ خَزِيْ وَاكْتِشَابَ
 وَلَكُمْ أَغْلَقْتُ بَاباً مِنْ هَوَاهُ دُونَ بَابِ
 رَبٍّ قَدْ أَبْلَيْتَنِي مِنْهُ بِمَعْتَوْهِ مَصَابِ
 عَيْنِهِ فِي كُلِّ مَنْ دَبُّ عَلَى وَجْهِ التُّرَابِ
 ثُمَّ لَا يَرْضِيهِ مِنْهُ غَيْرُ دَبْرِ مُسْتَطَابِ

ومنها :

وبإحسان تميم عَذْتُ مِنْ عَظُمِ مَصَابِي^(١)
 بِالْأَمِيرِ السَّيِّدِ الْمَا جِدِ وَالْقَرَمِ اللَّبَابِ^(٢)
 وَالْهَمَامِ الْمَنْعَمِ الْمَفْضَلِ وَالْبَحْرِ الْعَبَابِ
 وَالَّذِي لَا فَرْقَ مَا بَيْنَ جَدَاهُ وَالسَّحَابِ^(٣)
 تَشْنِي مِنْهُ إِلَى ذِي كَرَمٍ رَحْبِ الْجَنَابِ
 رَافِعِ دُونَ بَنِي آلِ مَالِ أَسْتَارِ الْحِجَابِ
 لَمْ أَزِرْهُ قَطُّ إِلَّا بِتُ مُحَمَّدٍ الْإِيَابِ
 ذَكَرَهُ أَعَذِبَ فِي الْإِنْفَسِ مِنْ ذَكَرِ الشَّبَابِ
 وَلَقَدْ رَقَّ عَنِ الْمَاءِ وَعَنْ طَبْعِ الشَّرَابِ
 أَكْثَمُ فِي الرَّأْيِ وَالْفَضْلِ وَقَسُّ فِي الْخُطَابِ^(٤)

وقوله [من الكامل] :

كُتِبَ الْحَصِيرُ إِلَى السَّرِيرِ أَنْ الْفَصِيلِ ابْنِ الْبَعِيرِ

(١) عَذْتُ : احتमित .

(٢) القرم : السيد ، واللَّبَاب : الخالص من كل شيء .

(٣) جداه : تفضله وكرمه .

(٤) أكثم : هو أكثم بن صيفي حكيم العرب وقس : هو قس بن ساعدة خطيبهم .

فلمثلها طرب الأمير إلى طباهجة بَقِير^(١)
 فلا منعن حمارتي ستين من علف الشعير
 لا هم إلا أن تطير من الهزال مع الطيور
 فلا خبرتك قصتي فلقد وقعت على الخير
 إن الذين تصافعوا بالقرع في زمن القشور
 أسفوا علي لأنهم حضروا ولم أك في الحضور
 لو كنت ثم لقليل : هل من آخذ بيد الضير؟
 ولقد دخلت على الصديق البيت في اليوم المطير
 متشمراً متبخرأ للصفع بالدكو الكبير
 فأدرت حين تبادروا دلوي فكان عمى المدير
 بالرجال تصافعوا فالصفع مفتاح السرور
 لا تغفلوه فأنه يستل أحقاد الصدور
 هو في المجالس كالبخور فلا تملأوا من بخور
 ولأذكرن إذا ذكرت أحبتي وقت السحور
 ولأحزنن لأنهم لما دنا نضج القدور
 رحلوا وقد خبزوا الفطير ففاتهم أكل الفطير
 لا والذي نطق النبي بفضله يوم الغدير
 ما للإمام أبي علي في البرية من نظير

وله من أخرى أولها [من المتقارب] :

سلام على الربع ربع الجدا سلام على تمره واللبا^(٢)

(١) طباهجة : اللحم المشوح ، بَقِير : مقطّع ومشقق .

(٢) اللَّبَا : أول اللبن عند الولادة .

سلامٌ عليه سلام امرئٍ
 سلامٌ عليه فكمٌ موقفٍ
 لعهديّ فيه شيوخٌ لنا
 إذا ما قبضت على لحيّةٍ
 وكنا من الظّرف لو أنّا
 نعيب الوفاء ولهفي على
 ولا عذر إلا أدير اللّطام
 وقد كنت تبت ولكنتي
 فلا تترك الصّفع جهلاً به
 ومالي أكاتمكم قصّتي
 إذا كان في الصّيف لي جنةٌ
 ولم أكسب الحمق لكنتي
 لقد فقت فيه كما الفارسيّ في الرّمي فاق جميع الوري
 كأنّ البنادق طوعٌ له
 إذا ما رمى طائراً حطّه
 فإلك من موقفٍ مبهجٍ
 فعيد الطيور به ماتمٌ

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

وكمٌ إلى كم تؤنّبيني
 لكنك لاشك تعذريني
 عاذل كم فيه تعذّليني
 لو بك ما بي من التصابي

(١) معنّى : مولعٌ ومغرمٌ ومُشقى .

(٢) الفراء : يعني الفراء .

(٣) السّها : النجوم .

إنّ الذي قد أذاب جسمي
بدر تمامٍ على قضيبٍ
ما شئت من نرجسٍ جنّي
عيناه تسطو على فؤادي

ومنها :

بالثغر والجيد والجفون
ركّباً من نغمةٍ ولين
غضٍ ووردٍ وياسمين
والموت في سطوة العيون

فأطيب العيش كان عندي
وكنّت طباً به بصيراً
فكم غزالٍ أخذت قسراً
والناس يسعون نحو داري
فذا يوافي بثوب خزٍ
وذا يفدّي وذاك يهدي
وكلُّ علقٍ الى مراحي
وكان خلقي لهم رضيعاً
قد أجمع الناس أن حمقي
قد عشت دهرأ أعول عقلي
فمذ تحامقت قد كساني
ومن بلائي أبو عمير
منتصبٌ ما ينام وقتاً
من كان ذا زوجةٍ فإني
عميرةٌ قد جلدت حتى

أيامٍ للفسق قلّدوني
وأقوّد الناس في سكون^(١)
وكم مليحٍ حوت يميني
من كلِّ أرضٍ ويقصدوني
وذا يوافي بثوب توني^(٢)
وذاك يمضي وذا يجيني
أهدى من الطير للوكون^(٣)
أصفعهم ثم يصفعوني
أحسن من عفتي وديني
والناس إذ ذاك يبعدوني
حمقي وقد عالني جنوني
معرّضٌ لي إلى المنون
وليس يهدي من الرنين
لشقوتي زوجتي يميني
خشيت والله يجلدوني

(١) طباً : عالماً .

(٢) التوني : نوع من الحرير .

(٣) الوكون : أعشاش الطيور .

فراقبوا الله في أموري فطلقوها وزوجوني

ومن أخرى [من السريع]:

يا أهل ذا المنزل هل حيلةٌ
عقرب صدغيه فقلبي إذا
وكلّما لاحظني طرفه
يسم إنّ ناولني ثغرةً
أنجبت في الحمق وهل فاضلٌ
لو علموا مالي من لذّة
أعتبني الدهر ولولا الذي
لما رأى الآمال مصروفةً
فارقني من شرّه صاحبٌ
هناك لو تبصرني نائهاً
تطلب منّي نائلاً بعد أن
كذاك من صاحبٍ من لم يزل
أكرم من جاد فما بعدهُ
أول من يشي به خنصرٌ
مهذب الآراء محمودها
لا فرق عندي بين أقلامه
ما استلّها إلّا أدلّت له

تنجي فمن ظبيكم مُعطي
همّ توقّى لدغة العقرب
لاحظني عن مقلة الرّرب
عن ذي غروبٍ واضح أشنب^(١)
كناقصٍ في الحمق لم ينجب
لم ألح في الحمق ولم أعتب^(٢)
عمّ الوريّ بالبذل لم يعتب
إلى السّديد ابن أبي الطيب
كان لعمري شرٌ مستصحب
على بني الدهر تعلّقت بي
كنت أرى الرّزق مع الكوكب
ربّ جنابٍ ممرعٍ مخصب
لطالبي جدواه من مطلب
وأصفح النفس عن المذنب
مفضّل في الشرق والمغرب
وبين فعل الصّارم المقضب
من الأعادي كلّ مستصعب

(١) عن ذي غروب أشنب : يقصد الرضاب البارد .

(٢) ألحى : ألأم .

ومن أخرى [من المجتث] :

إني	ليرتاح	قلبي	إلى اصطحاب	المثاني
بحيث	تنفي	همومي	معتقات	الدنان
مع	شادن	ذي	دلا	ل مهفهف
يرنو	إلي	بطرف	وناظر	وسنان ^(١)
أعار	حسن	الشني	تثني	الأغصان
إذا	تبسم	تيها	يفتر	عن أقحوان
لأسخطن	عذولي	فيه	بخلع	العنان
فقم	رفيقي	فاحث	كؤوسنا	غير واني ^(٢)
وهاتها	كسنا	البر	ق لا ح	من نعمان
صفراء	مما	اقتناها	كسرى	أنو شروان
صفت	ورقت	ففاتت	إدراكها	بالعيان
فليس	تدرك	بالحس	لا ولا	الأذهان
روح	من الراح	لكنها	بلا	جثمان
فالريح	للمسك	منها	واللون	للزعفران ^(٣)

يقول في مدحها :

من قال	من غير خير	بأن في	الناس ثاني
لسؤدد	ابني علي	قد جاء	بالبهتان ^(٤)
يداهما	بالعطايا	وبالندي	ثرتان

(١) يرنو : ينظر ، والوسنان : الناعس .

(٢) فاحث : أسرع وعجل ، والواني : المبطل .

(٣) الزعفران : نبات له أصل كالبصل زهره أحمر إلى الصفرة .

(٤) البهتان : الزور والكذب .

ومن أخرى [من مجزوء الرومل :

ربُّ يومٍ قد قطعنا هـ حديثاً وعتاباً
وجمعنا بين خمريْن مداماً ورضاباً
وشفينا غلّة النّفس دنواً واقتراباً
وترشّفت على شو ق ثناياه العذابا
وسألنا ذلك الشي ء جهاراً فأجابا

يقول في مدحها :

ورحلنا نطلب السّيد والقرم اللباباً^(١)
فرأينا العزّ والثرّوة والبحر والعبابا
ورأينا أفضل النّاس وأحلامهم خطابا
يقظاً يدرك بالفطنة ما فات وغابا
هذبته فطنة العلم فما يخشى معابا
عرف اللّذة للبذل فأعطى وأثابا
وإذا ما كرّم الأصل زكا الفرع وطابا

ومن أخرى يقول فيها [من مجزوء الرجز] :

كأنّما عذاره سطرّا سوادٍ في يقق^(٢)
كأنّما رضابه خمرٌ بمسكٍ قد فتق

ومنها :

إنّ نكته فاستمعنْ نصحك من خلٍّ شفق

(١) اللباب : الخالص من كلّ شيء .

(٢) اليقق : الشديد البياض .

كن حذراً	كن حذراً
لأنه	من سعة
ان قلت إنني	حسن
قلنا مقالاً	بيناً
كل أمرئ	صوره
كن غصناً	كن قمراً
كن يوسف الحسن	الذي
هل أنت إلا	خلق
يا أيها العلق	الذي
خانك في الود	الذي

كن حذراً من الغرق
يصلح للبحر طبق
والحسن مني مسترق
لا كذباً ولا خرق^(١)
خالقه كما اتفق
كن شمس دجن في الأفق^(٢)
من طينة الحسن خلق
زدت على كل خلق
فقحته بلا غلق^(٣)
بوده كنت تشق

ومن أخرى [من المتقارب] :

خليلي من عامر اسعدا	على الشوق خلاً بلا مسعد
قفا وقفة بربوع الحمى	فلولا الوفا لهوى الخرد ^(٤)
لما عجت بالركب مستنجداً	دموعي على الطلل الملبد
معاهد لهو كأن الهوى	بها بعد زينب لم يعهد
فسبحان من جعل المكرمات	جميعاً بكف أبي أحمد
وقال له كن كما تشتهي	فكان النهاية في السؤدد
وهل غيره أحد يرتجى	ويعدى على الزمن المعتدي

-
- (١) الخرق : الجهل والطيش .
(٢) الدجن : الغيم الكثير المظلم .
(٣) العلق : المخنث ، والفقحة : فتحة المخرج .
(٤) الخرد : الناعمات من النساء .

ومن اخرى [من مجزوء الرمل] :

عدُّ عن قالٍ وقيل وصعودٍ ونزولٍ
حصحص الحق فما [ذا] شتٍ من قولٍ فقولي
غير أني أقبل النا س لشيءٍ مستحيل
فاسمعن مني ودعني من كثيرٍ وقليل
وصغيرٍ وكبيرٍ ودقيقٍ وجليل
قد ربحنا بالحماقا ت على اهل العقول
فرعى الله ويبقى كلُّ ذي عقلٍ قليل
ما له في الحمق والخفّة مثلي من عدل^(١)
فمتى أذكر قالوا شيخنا طبلُ الطبول
شيخنا شيخٌ ولكنّ ليس بالشيخ النبيل
طالما نادى نداما ه إلى شرب الشمول^(٢)
قائلاً بالشادن الأغيد ذي الطّرف الكحيل
أطرب الناس إذا غنّى على ثاني الثّقل
قفّ على المنزل بالنحستين فالرسم المحيل
وقفّة الواله للتس آل ما بين الطلول
أهملنّ دمّك فالرا حة في الدمع المهمول
عدُّ عما أنت فيه من محالٍ وفضول^(٣)
واصرف المدح إلى ذي السّطول والفعل الجميل^(٤)

(١) العدّيل : المثل .

(٢) الشمول : الراح .

(٣) عدُّ : تجاوز .

(٤) ذي الطول : ذي القوّة والبأس .

الذي ذكره في كل محل وقيل^(١)
 ذى يد بالجود أندى من ندى الغيث الهطول
 لم يكن قط لراجيه سوى سمح منيل
 أسمح الأمة بالمال وبالثيل الجزيل
 وإذا ما سيل الفي بالندى غير بخيل
 لم يزل يذخر للحادث والخطب الجليل
 ناهض إذ عجز الأقوام بالعبء الثقيل
 ليس يصغي في المقالة ت إلى عذل العذول
 وإذا ما قال قولاً لم يكن غير فعول
 ولقد عزت به الآداب من بعد الخمول

ومن أخرى في الرثاء [من الوافر] :

لعمرك إنه رزء عظيم	وخطب أمره جلل جسيم
رزئنا من صلاة الله تترى	عليه ما دجا ليل بهيم
وما أطت إلى البيت المطايا	وما طلعت على الأرض النجوم ^(٢)
لعمرك ما المصاب به خصوص	ولكن المصاب به عموم
سقى جدثاً به حماد أضحى	من الوسمي هطال سجوم ^(٣)
ففيه المجد أمسى والمعالي	وفيه العز والفخر القديم
أبعد وفاته يدعى همام	لخطب أو يقال بقي كريم
كأننا يوم منعه إيلنا	وقد فتكت بأنفسنا الهموم ^(٤)

(١) القبيل : الجماعة .

(٢) أطت : سارت وشقت الأرض .

(٣) الجدث : القبر ، والوسمي : مطر الربيع والساجم : اللامنقطع .

(٤) منعه : من النبي ، وهو نبأ الوفاة .

ثواكل حزنهنّ على الليالي
وكان ربيعنا في كلّ محلّ
جميل الفعل محمود السجايا

ومن أخرى [من البسيط] :

هل من سبيلٍ إلى بيتي وجاريتي
أم هل سبيلٌ إلى البيت الذي سكنتُ
لا أحمد البعد عنها بعد معرفتي
أشكو إلى الله دهرًا غير مثبّر
ما زدت فيه اجتهداً في معاتبه
أقول والدهر لا يألو مراغمةً
يا واحداً ليس إلّا من يؤمّله
وامنن عليّ على أني وإن نزحت
ناشدتك الله فيما أشرت به
واستعمل السخف واترك ما سواه فما
والصفع إياك منه فالعمى أبداً

ومنها :

لكن مدحت حميداً فامتدحت فتىً
رأيتَه فرأيتَ البدر في أفقٍ
والبحر معترضاً والغيث منبجساً

وإن قدم المدى حزنٌ مقيم
إذا ضنّت بوابلها الغيوم
يزين فعاله كرمٌ وخيمٌ^(١)

أنّى ؟ وكيف وما داري بدانية ؟ !
فيه التي بفراقي غير راضية
بأنّها لبعادي غير حامدة
من قبح ما لجّ فيه من معاندتي^(٢)
إلّا وزاد اجتهداً في مغايطتي
وليس يشيه شيءٌ عن مراغمتي^(٣)
ويرتجى عفوه جدّ لي بواحدة^(٤)
عنّي فما هي عن قلبي بنازحة
إلّا قبلت ولا تهمل مناشدتي
لذاذة العيش إلّا في المساخفة
بغير شكٍّ منوطٌ بالمصافعة

وقفاً على منّة تسدى وعارفةٍ
والشمس طالعةً من كلّ شارقة
برائحٍ لمرجيّه وغادية^(٥)

(١) السجايا : الصفات ، والخيم : المآثر والمزايا الحميدة .

(٢) اتنّد : تواقف وامتنع وتمهل .

(٣) يألو : يترك ويمتنع ، ويقصّر .

(٤) جدّ : تكرم .

(٥) انبجس الغيث : هطل ، وانبجس الماء : تفجّر .

صوادرٍ بين أفكارٍ وبادرة
موفقُ الرأي محمود المخاطبة
إلاَّ وفلَّ شياه كلَّ حادثة^(١)
ليست إذا طلعت عنا بأفلة
جوداً ويجهد نفساً في معاونتي
من بعد ضربتي وحربي بالمسالمة

ساس الأمور بآراءٍ مهذبةٍ
مستحسن اللفظ في القرطاس موجزه
ذو أناملٍ ما انتضت في حادثٍ قلماً
في كلَّ يومٍ له نعمى مجددةٌ
ما زال يتبع معروفاً بعارفةٍ
حتى رأيت صروف الدهر عاثدةً

ومن أخرى [من الوافر] :

وعن حال الصلاح إلى الفسادِ
ولو شاهدت ما لك في فؤادي
وتصبح دون غيرك في السوادِ
ولا آلوك جهداً في اجتهاد^(٢)
أبا عبد الإله لك اعتقادي
إذا ما اسطعت فيه على ازدياد
وكسب الحمد غير فتى جواد
كالفك جاد عن غير اعتداد
وأن يهب الطريف مع التلاد^(٣)
ولست أريده يوم التناد^(٤)

نشدتك أن تحول عن الوداد
ولو عاينت ما لك في ضميري
إذاً لعلمت أنك منه تُمسي
فما آلوك نصحاً في وداد
وليس سوى المودة والتصافي
ولو في ذاك حاولت ازدياداً
ولم أعهدك في طلب المعالي
ومن ألف المكارم والعطايا
ويوشك أن يجود بما حواه
ووعدك في الحياة له مرادي

ومنها :

فكم ممن قرنت بهنَّ شكرياً كشكر الروض منهلُ الغوادي

(١) انتضت : استلَّت وحملت ، فلَّ شياه كلَّ حادثة : أي قصمها وقطعها وأعان من أصابته عليها .

(٢) آلوك : أقصَّر في نصحك .

(٣) الطريف والتلاد : المال المكتسب والموروث .

(٤) يوم التنادي : يوم القيامة .

وكم لك يا محمد من أياذ
لدي ومن جميل وافتقاد
ومن أخرى [من البسيط] :

ليلى بتيس ليل الخائف العاني
أقول إذ لج ليلى في تطاوله
لم يكف أني في تيس مطرَح
حتى بليت بفقدان المنام فما
ما صاعد البرق من تلقاء أرضهم
ولا حننت إلى نجران من طرب
لا تكذبن فما مصر وإن بعدت
ليالي النيل لا أنساك ما هتفت
أصبر إلى هنوات فيك لي سلفت
مع سادو نجب غر غطارفة
وذي دلال إذا ما شئت أنشدني
سقيته وسقاني فضل ريقته
ما زلت أجنبي بلحظي ورد وجتته
ما زال يأخذها صفراء صافية
الله يعلم ما بي من صبابته
كم بالجزيرة من يوم نعمت به
سقياً لليلتنا بالدير بين رباً

تفنى الليالي وليلى ليس بالفاني^(١)
يا ليل أنت وطول الدهر سيان
مخيم بين أشجان وأحزان
للنوم إذ بعدوا عهداً بأجفاني
إلا تذكرت أيامي بنعمان
إلا تكثفني شوق لنجران^(٢)
إلا مواطن أطرابي وأشجاني
ورق الحمام على دوح وأغصان
قطعتهن وعين الدهر ترعاني^(٣)
في ذروة المجد من ذهل بن شيان^(٤)
وإن أردت غناء منه غثاني
وجاد لي طرفه عفواً ومثاني
وأستغير على تفاح لبنان
حتى توسد يسراه وخلاني
وما علي جناه طرفه الجاني
على تصاخب نايات وعيدان
باتت تجود عليها سحب نيسان^(٥)

(١) العاني : الشاكي والقلق .

(٢) تكثفني : أحاط بي ، وشملني .

(٣) الهنوات : أوقات جمع هنو .

(٤) الغطارفة : جمع غطريف وهو الشاب الفتي الجميل .

(٥) سقياً : دعا له بالمطر والخير .

والطلُّ منحدرٌ والروض مبتسمٌ
والنرجس الغضُّ منهلٌ مدامعه
ومنها :

أستغفر الله من عقلٍ نطقْتُ بهِ
لا والذي دون هذا الخلق صيرني
ما للشذائيٍّ من مثلٍ يقاس بهِ
مهدبُ الرأي محمودٌ خلائقه
من كان في الجود والإفضال لذته
وجملة الأمر فيه أنه رجلٌ
إن كنت قلت سوى ما فيه أعرفهُ
إذا جرت يده في الطرس كاتبةٌ
وإن تكلم جاءته براعته

مالي وللعقل ليس العقل من شاني؟!
أحدوثةٌ وبحبِّ الحمق أغراني
ولا له في اصطناع العرف من ثانٍ
رحبُ المكارم سمحٌ غير مثانٍ
لم يخله الجود من فضلٍ وإحسانٍ
يراقب الله في سرٍّ وإعلانٍ
إذا كُفرت بمعبودي وديّاني
تبلى الطرس عن درٍّ وعقيانٍ^(١)
بكلِّ ما شاء من فهمٍ وتبيانٍ

٢٦ - أبو القاسم الحسين بن الحسين بن واسانة بن محمد

المعروف بالواساني

أعجوبة الزمان ونادرته ، وفريد عصره وباقعته^(١) ، وهو أحد الفضلاء
المجيدين في الهجاء ، وكان في زمانه ، كابن الرومي في أوانه : فمن شعره قوله
يهجو ابن أبي أسامة [من الكامل] :

يا ساكني حلب العوا صم جادها صوب الغمامة
أنا في مدينتكم غريبٌ لست من أهل الإقامة

(١) الباقع : الخالص الصافي من الألوان .

(٢) الطرس : الصحيفة ، تبلى : أشرق

والخان يحدث للغريب إذا أبى به سامة^(١)
فقرضت من طول المقام بها وأعوزت المدامه
وخرجت في بعض الليالي قاصداً باب السلامه
وشربت من بشر بها من ياتها ينقع أوامه^(٢)
ورفعت في فلوته وعلوت مرتقياً أكامه^(٣)
فلمحت في بعض الوها د وقد قعدت سواد هامه^(٤)
فسعيت أحسبها غرا باً أو حداة أو حمامه^(٥)
وإذا بأسود كالفنيق يقل إيراً كالذعامه^(٦)
وإذا بشيخ تحته حسن الوسامة والقسامه
والشيخ يعصر تحته قد بل من عرق حزامه
فرجرت نايكه فقا ل له ألت ترى مقامه
انهض فديتك علنا نقضي بنهضتنا ذمامه
ونعود بعد عزوبه عنا وتربحنا خصامه
فسطا عليه وقال نك لا كان ذاك ولا كرامه
هذا الرقيق بعينه لي في رقاعته علامه
لولا فضول فيه لم يصرف إلى دبري اهتمامه
وبكى وقال لي امض ويحك واسأل الله السلامه

(١) الباقعة : الرجل الذكي الدأهية .

(٢) أبى : أقام بالمكان .

(٣) الأوام : العطس .

(٤) الأكام : القمة والمرتفع .

(٥) الهامه : طائر كان العرب يعتقدون أنه يخرج من رأس القتيل ويطلب الثار .

(٦) الحدأة : طائر كبير من الجوارح يصطاد الجرذان والحيوانات الداجنة .

(٧) الفنيق : الفحل من الإبل .

واشكره لما صار سر
 واعلم بأنني كنت من
 يومي إلي إذا عبر
 حتى ابتليت بمبعري
 فعجبت من تلك الفضا
 شيخ له سمة تخا
 والأير يغرق في استه
 فتضحك الحبشي منه وقال لا تسمع كلامه
 هذا وعيشك دأبه
 أبدا يباري باسته
 واستله من دبره
 مك لا يريد له صمامه^(١)
 أهل الرئاسة والزعامه
 ت يقال ذا ابن أبي أسامه
 فحصلت بين الناس شامه
 حة وهو يعفج والعرامه^(٢)
 طبني بالفاظ مقامه
 قد غاب في مفساه قامه
 من قبل مبلغه احتلامه
 بين الوري صوب الغمامه
 وكأنه عنق النعامه

وقال يهجو منشأ بن إبراهيم القزاز [من المنسرح] :

قال منشأ يوماً لسعدانه
 من بعد أن غلّف العوارض بالـ
 وامتنص من خمرة معتقة
 وكان خشف قد باسها بفم
 هل لك في قبله وهاك خذي
 قالت له هاتها ودونك فاس
 فباسها ثم قال قد بقيت
 وهي سحور العينين فتانه
 طيب وغلا بالمسك أسنانه^(٣)
 تحول بين الدنان في الحانه
 وهي من البوس بعد شعبانه
 خمسين حمراً وحل هميانه^(٤)
 طعني بجعص وعجل الآنه
 أخرى فقالت وعظمت شأنه

(١) الصمامة : السدة .

(٢) يعفج : يلاط ، والعرامة : الشدة والقوة .

(٣) العوارض : الأسنان .

(٤) الهميان : حزام من الجلد توضع فيه الدراهم .

ما هي قل لي ألم أبس شرجاً
 ألم أقدم فما أضنّ به
 فقال أن تدخلني لسانك في
 يا ألف كشخان وابن زانية
 لم ترض أنني قبلت مقعدة
 حتى تناهيت في الهوان فشبه
 جمّشت أعفاجه ومصرانه^(١)
 إلى كنيف أطرت ذبانه ؟
 في فردت مردّ حردانه
 نعم ويا زوج ألف كشخانه^(٢)
 تحت سبال كأنها عانه
 ت لسانني بينت وردانه^(٣)

وقوله فيه [من المنسرح] :

إن منشأ قد زاد في التّيه
 فلا ابنُ هندي ولا ابن ذِي يزنِ
 وهو مغيطٌ عليّ الوصي ومن
 يذكر أيام خيبر بهم
 وقد حكى أن فاه أطيب من
 ومن يقول القبيح فيه ومن
 فسوكوه بكلّ طيّبة الر
 ومضمضوه بالخلّ واجتهدوا
 وأطعموه من الجوارش ما
 واسقوه من خمرٍ معتقة
 واستفحقوني واستنكهوه فإن
 وزاد في شامنا تعديهِ
 ولا ابنُ ماء السما يدانيهِ
 يعزى إليه من يواليهِ
 وهم قذئ جال في أماقيهِ
 سرمي وأني تَمَن يعاديهِ
 أصبح بالمعضلات يرميه
 يح تعفي على مساويهِ^(٤)
 معاً بكلّ اجتهادكم فيه
 يعمل بالمسك والأفاويهِ^(٥)
 قد صانها القس في خوابيه
 كان لسرمي فضلٌ على فيه

(١) الشرح : المخرج ، وجمّش : داعب وقبل .

(٢) الكشخان : الفاسد والفاسق .

(٣) بنت وردان : بنت آوى .

(٤) سوكوه : من السواك ، وهو عود تخلّل به الأسنان من بقايا الأطعمة .

(٥) الجوارش : نوع من الحلوات .

فحملوا الكلب والحمار على عياله واصفحوا محبيه

وقوله فيه [من السريع] :

يا راكباً يقطع عرض الفلا
أبلغ أبا سهل إذا جئته
وقل له عرنين ذاك الفتى
قد ذاب مذ ليلة سارته
يكي فما ترقا له عبرة
حزناً على أرنبه غودرت
فهو بسم الكلب يا سيدي
من عاذري من رجل زرت
فقال عندي لك أحدىة
فادن لي تسمعها واحتفظ
فقلت للغفلة مستعجلاً
فناه عن أتن من جعسه
وشارب فيه دم فارث
نحوم ذبان الخلا حوله
كشعر زق الدبس أو شعرة الـ
وشك خيشومي بنشابة

على أمون جسر حرف^(١)
رسالة عن عبده المنفي
في حالة جلّت عن الوصف^(٢)
وصار للسقم على النصف
ويسهر الليل فما يغفي
تقطر قطراً من دم صرف
من داء أنفاسك يستشفي
للحين والإدبار والحرف
مليحة تكتب في الصحف
بالسر في مكنون ما تحفي
أمشي برجلي إلى حنفي
يعد بين البحر بالآلف^(٣)
ولث تشخب كالحلف^(٤)
مثل حمام طار من كف
حائض أو مكنسة الكنف^(٥)
من يد حر طامش وجف^(٦)

(١) أمون : الناقة ، الحرف : الناقة القوية .

(٢) العرنين : الأنف .

(٣) الجعس : الرجيع مولد ، أو اسم الموضع الذي يقع فيه الجمعوس .

(٤) الفارث : من الفرث وهو بقايا الطعام في الكرش ، والدم الفارث : المتجمد .

(٥) الكنف : المرحاض .

(٦) الوجف : المضطرب .

تصمى العرانيين ولو أنها في الدلص الموضونة الزغف^(١)
وتدرك الهارب منها ولا ينجو ولو كان على طرف^(٢)
فانغمرت روعي وناديته يا أيها الثعبان بالكهف
بحق من كلم موسى على الطور فدك الطور بالرجف
هب لي ما أبقيت مني فقد أشفى على مثل شفا الجرف^(٣)
ولم أزل أدفعه جاهداً وقد تقاعست إلى خلف
فانقد بعض الثوب في كفّه وقال أفلت فياهفي
وكان للحين على موضع مستشف مرتفع السقف
فانكسرت ساقي وهيضت يدي واندق صدري ووهى كفي^(٤)
وقمت أجري بعدها هارباً أسعى على رجلي كالخشف^(٥)
يا معشر الناس اسمعوا ما أنا قائله واسمعوا وصفي
إذا أردتم سرم أستاذنا فلتكن الأناف في غلف^(٦)
ثم اغسلوا شعر اللحي بعدها غسل الدرايك أو القطف
وبخروها بعد تطيبها بكل شيء طيب العرف
وما أرى سائر ما قلته يغني ولا أحسبه يكفي
أو فانتفوها واستريحوا فما ينجيكم شيء سوى التنف
وسووكوه بخروا أمه في رأس كرناف من الرّعف^(٧)

(١) تصمى : تقتل ، والدلص : الدروع ، والموضونة : المنسوجة ، والزغف : الدرع الفضفاضة الطويلة .

(٢) الطرف : الجواد السريع .

(٣) شفا الجرف : شفير الهاوية .

(٤) هيضت يدي : ضعفت ورضضت ، ووهى : ضعف .

(٥) الخشف : صغير الغزال ، غلف : أي في غلاف .

(٦) الكرناف : أصول قضبان النخل التي تبقى في الجذع بعد قطع القضبان .

فإن جالينوس ما عالج الـ بخرة إلا بخرا القلف^(١)
وقال في الغزل ، ويعرض بابن بسطام في الهجاء ، ويذكر أنها لميسر [من الكامل] :

ومهفهف يزهر عليّ بجيده	وبخصره وبردفه وبساقه
وافي إليّ وقلبه متخوف	كتخوف المعشوق من عشاقه
حتى إذا مدّته وحللت عن	كفل مباح الحل بعد وثاقه
وافت إليّ أصنة من دبره	بخلاف ما قد فاح من أطواقه ^(٢)
فأجبتة ماذا فقال بحرقه	ودموعه تنهل من آماقه
هذا ابن بسطام أتاني طارقاً	بلطيف حيلته وحسن نفاقه
وعلا على كفلي وبلغم مثقي	برياله المنهل من أشداقه ^(٣)
فبقى صنان رضابه في مثقي	زماً لحاه الله بعد فراقه
فالله يحرمه معيشته كما	قد سدّ مكسب مثقي ببصاقه

وقال يصف ما جرى عليه في الدعوة التي عملها في قرية حرايا من أعمال دمشق [من الخفيف] :

من لعين تجود بالهملان	ولقلب مدله حيران؟ ^(٤)
يا خليلي أقصرا عن ملامي	وارثيا لي من نكبتني وارجحاني
ومتى ما ذكرت دعوة أولاً	د البغايا والعاهرات الزواني
فانتفا لحيّتي وجزاً سبالي	وبنعل الكنيف فاستقبلاني ^(٥)
ما الذي ساقني لحيني إلى حد	ففي ؟ وما غالني ؟ وماذا دهاني ؟

(١) القلف : الذي لم يخن .

(٢) الأصنة : الرائحة الكريهة من البول .

(٣) الكفل : المؤخرة .

(٤) المدله : المعذب من العشق .

(٥) السبال : الشارب .

من عذيري من دعوة أوهنت عظ
كنت في منظرٍ ومستمتعٍ عند
فنزت بطنتي وهاجت على نفد
كان عيشي صافٍ فكدره أهـ
فارثوا لي يا معاشر الناس من ضـ
ضرب البوق في دمشق ونادوا
النفير النفير بالخيـل والرجـ
جمعوا لي الجموع من خيل جيـلا
ومن الرّوم والصقالب والتّر
ومن الهند والطماطم والبر
لم يبقوا ممن عدت من الـ
والبوادي من الحجاز إلى نجـ
كلّ ضربٍ فمن طوالٍ ومن حُد
وشيوخٍ مثل الفراخ وشبّا
مِعْدُ جَوْعَتُ ثلاثين يوماً
من مرندٍ ومن تكيـنٍ وطرخا
وخمارٍ وزيركٍ وعجيبٍ
وجريحٍ ونار قسطا ويونا
وطرادٍ وجَهْلٍ وزيامٍ
قمسٌ جَمَعُوا بغير عقولٍ

مي وهدت بهولها أركانـي ؟
ها ومن ذا يغتـرُ بالحدثان^(١)
سي بلاءٌ ما كان في حسابـي^(٢)
ل صفائي بنو أبي صفوان
رّي ومن طول عطـلتي وامتـحاني
لشقاـي في سائر البلدان
ل إلى فقر ذا الفتى الواساني
ن وفرغانةٍ إلى ديلمان
ك وخلقاً من بلغـرٍ واللّان
بر والكيلجوح والبيلقان
فاق من مسلمٍ ولا نصراني
لـ معديها مع القحطاني
ب قصارٍ والحول والعوران
ن رحاب الأشداق والمصران
بسلاحٍ شالئٍ من الأسنان
ن وكسرى وخرّـدٍ وطعانٍ
وبديعٍ وفارسٍ وجوانٍ
ن وبرحفثيا ويوحناـن
وشهابٍ وعامرٍ وسنانٍ
ردعتهم عني ولا أديان^(٣)

(١) الحدثان : الليل والنهار .

(٢) فزت : وثبت ، والبطنة : كثرة الأكل .

(٣) القمس : رتبة كنهوتية عند الأقباط

هل سمعتم بمعشر جمعوا الخيد
 رحلوا من بيوتهم ليلة المر
 يركضون البريد تسعة أميا
 شره باردٌ وحرصٌ على الأك
 ما شعرنا ونحن من آمن العا
 أدركوني فهذه غرر الخيد
 لست أنسى مصيبتى ويوم جاءو
 وردوا ليلة الخميس علينا
 متلثب كالسَّيل لا يلتقي من
 شزروني بأعينٍ تقدح الد
 أشرفوا لي على زروعٍ وأحطا
 لبنٌ قارسٌ وخبزٌ كثيرٌ
 وشواءٌ من الجداء ومعلو
 وشرابٌ ألدُّ من زورة المع
 ينجل الورد في الروائح والطع
 أذكرتني جيوشهم يوم جاءو
 بقدوم القوم هاشميُّ هريت الشُّدق رحب المعى طويل اللسان^(٨)

(١) الوجيف : الاضطراب والخفقان ، والذملان : الإسراع .

(٢) الديديان : الحارس والرقيب .

(٣) الأشطان : الحبال .

(٤) الخميس : الجيش ، والمحاني : الأرض المنحنية كالأودية .

(٥) متلثب : مندفع .

(٦) الشزور : النظر بغضب ، والخصوس : الضيقة .

(٧) الدادكان : المواعد .

(٨) الهريت : الواسع .

هو نمسُ الدجاج والبَط والأو
والشريفان أشرفا في خلال الـ
وسوادٍ من عظمه طَبَق الأرض
وأبو القاسم الكبير على طير
وأخوه الصغير يعترض الخيـ
وهما يهويان بالسوط والرجـ
أي قلب يطيق شتم بني خيـ
غير أنني يوم القيامة أشكو
وأنادي يا بنت خير النبيـ
أي شيء صنعت بابنيك حتـ
والسريُّ الذي سرى في جيوشـ
بفمٍ أشوهِ وشدقٍ رحيبـ
وأخوه الفضل الذي بان للعا
والشموليُّ خلقه خلق تراء
لست أنساه جاثياً جاحظ العيـ
كالعقاب الغرثان يقتنص اللحـ
والأديب الذي به كنت أعتـ

زَ وذئب النعاج والخرفان (١)
خيل في موكبٍ من الحبشان
وخيل تهوين كالظلمان (٢)
في كميته أقبُ كالسرحان (٣)
ل على قارجٍ عريض اللبان (٤)
ل إلى ما يسوءني مسرعان
ر البرايا وأكرم النسوان ؟
هم إلى الحرّة الحصان الرزان (٥)
ن ويا أم أكرم الفتیان
غزواني في الزنج والسودان ؟
أضعفتني وقصرت من عناني
وبكفٍ يحول كالصولجان
لم من فضل أكله نقصاني
س عريض الأكتاف عبل الحران (٦)
من عبوساً في صورة الغضبان
م ويهوي إلى طيور الخوان
مد غزاني للحين فيمن غزاني

(١) النمس : حيوان قصير اليدين والرجلين .

(٢) الظلمان : ذكور النعام .

(٣) الطرف : الجواد ، والكميت : الذي لونه أحمر مائل إلى السواد ، والأقب : الضامر الخصر
والسرحان : الذئب .

(٤) القارج : القوي من الخيل ، واللبان : الصدر .

(٥) الحصان الرزان : العفيفة الراجعة العقل .

(٦) ترأس : صانع التروس ، عبل الحران : ضخم .

وكذا الكاتب الذي كان جاري
غيرته الأيام حتى أتاني
وصديق الأشراف أخنى على خد
كلما شقق الفراريج شققاً
وهو في أمره مجدٌ رخيُّ الـ
مجهدٌ كالسوس في الصوف في الصيف بقلبٍ خالٍ من الإيمان^(١)
قلت قل لي يا ابن البشر ما شأ
ليس هذا من شهوة الأكل هذا
قلت للفيلسوف لما غدا في الـ
واستحث الكؤوس صرفاً بلا مز
ليت شعري أمن رسائل بقرا
أنت تزدد يا خليلي بهذا الـ
ثم لا تنس ما لقيت وما مرَّ
أعجمي اللسان أفصح من قد
قال قم فأتنا بخبزٍ ولحمٍ
وغلامٍ مقينٍ حسن الوجه
لم توكل فرغان إلا بتفريد
إن من أعظم المصائب يا قو
رجلٌ كالفنيق قدمٌ بلا لـ

وصديقي ومُشتكى أحزاني
جائعاً للشقاء مذ سستان
ري وأفنى بالكرع ما في دناني^(٢)
ت لغيظي من فعله قمصاني
بال لم يعنه الذي قد عناني
بجره بقلبٍ خالٍ من الإيمان^(٣)
نك من بين من غزاني وشاني
من طريق البغضاء والشنآن
أكل أعني فتى أبي عدنان
ج. مكباً كالهائم العطشان^(٤)
ط تعلّمت ذا وسمع الكيان
فعل علماً بالعالم الروحاني
لشؤمي من عسكر الفرغاني
س. إذا ما نشأ ومن سحبان
ونبيذٍ في حمرة الأرجوان
ه يحاكي بقده غصن بان^(٥)
غ دناني وصبها في الجفان
م بلائي بذلك الطرمذان^(٦)
ب. طويلٌ في صورة الشيطان^(٧)

(١) أخنى : جثم وأفحش في الشراب .

(٢) المجهد : المشتغل والعابث .

(٣) استحث الكؤوس : أكثر منها .

(٤) المقين : المؤدب من القيان .

(٥) الطرمذان : الأبله .

(٦) الفنيق : الفحل من الإبل ، والقدم : الأحق .

يققأ كالعمود يستغذب الصف
 زائد الخلق ناقص العقل والديب
 ييلع الطيبات بلعاً بلا مض
 لا تمتني حتى أراه وقد قص
 وأتوني بزامرٍ زمرة يح
 ومغنٍ غناؤه يطلق البط
 قصدت هذه الطوائف حمرا
 قلت ما شأنكم قالوا أغشنا
 وأناخوا بنا فيا لك من يو
 نزلوا حجرتي وأطلقت الأفرا
 لم يكن مربعاً سوى ساعة ح
 أفقروني وغادروني بلا دا
 حيروني ودھوني فقد صر
 أسمع اللفظ كالطينين لسهوي
 تركوني يا قوم أفقر من فر
 أكلوا لي من الجرادق ألفي
 أكلوا لي أضعافها غير مسطو
 أكلوا لي من الجداء ثلاثين

ع ورأسٌ أصمٌ كالسندان^(١)
 ن غليظ القذال كالقلتان^(٢)
 غرٍ ويحسو النيذ كالثعبان
 ر من فضل طوله شبران
 كي ضراط العبيد والرعيان
 ن ويأتي بالقيء والغثيان
 يا لهتكى وذلتى وامتحاني
 ما طعمنا الطعام منذ ثمان
 م عبوسٍ عصبصٍ أرونان^(٣)
 س بين الرطبان والقصلان^(٤)
 تى رأيت الزروع كالفلحان
 رٍ ولا ضيعةٍ ولا بستان
 ت بليداً كالذاهل السكران
 وهو لفظٌ يجري لغير معاني
 خٍ وأعرى ظهراً من الأفعوان
 ن بينٍ تشتاقه العارضان^(٥)
 رٍ ومالوا إلى سميد الفران
 قريصاً بالخل والزعفران^(٦)

(١) اليق : الشديد البياض .

(٢) القذال : القفا حيث يكون الصفع .

(٣) عصبص : أي عصب شديد ، والأرونان : الصعب من الأيام .

(٤) الرطبان والقصلان : العلف الطري والناضج .

(٥) الجرداق : الأرغفة .

(٦) الجداء : جمع جدي ، وهو الحمل الصغير ، والقريص : ضرب من الأدم .

أكلوا ضعفها شواءً وضعفياً
أكلوا لي تبالةً تبَلَّتْ عقد
أكلوا لي مضيقاً ضاعفت ضرّاً
أكلوا لي كشكياً قرّحت قلد
أكلوا لي سبعين حوتاً من النه
أكلوا لي عدلاً من المالح المشد
أكلوا لي من القريشاء والبر
ألف عدلٍ سوى المصقر والبر
أكلوا لي من الكوامخ والجو
ومن البيض والمخلل ما تعد
فتّوا لي من السفرجل والتّ
والرياحين ما رهنّت عليه
درسوا لي من البنفسج والنر
ذبحوا لي بالرغم يا معشر النا
ما كفاهم ما مرّ من غنم القر
ذبحوها والدمع يجري على خدّ
أكلوا كل ما حوته يميني
ثم قالوا هلمّ شيئاً فنادى
لم تدع لي بطونكم يا بني البظ
فقالوا عليّ شتاً ولعنأ
من له قدرة على الشعر يهجو

ها طيخاً من سائر الألوان
لي بعشر من الدجاج السّمان
ي بروس الجداء والعصبان
سبي وهاجت لفقدها أشجاني
ر طريّاً من أعظم الحيتان
ويّ ملقى في الخلّ والأنجدان
ني والمعقلي والصرفان
دي واللؤلؤي والصيحاني
ز معاً والخلاط والأجبان
جز عن جمعه قرى حوران
فاح والرازقيّ والرّمان
جبّتي عند أحمد الفاكهاني
جس ما ليس مثله في الجنان
س ثمانين من معين وضان
ية حتى أخذوا على الثيران^(١)
ي انسياباً مثل انسياب الجمان
وشالي وما حوى جيرانني
ت غلامي قم ويك فاخبأ حصاني
ر سواه وذا شطوبّ يمانني^(٢)
واستباحوا عرضي بكلّ لسان
ني ومن كان مفحماً يلحاني^(٣)

(١) أخذوا : أفحشوا يقتلها وذبحها .

(٢) شطوب يمانني : سيف يمانني .

(٣) مفحماً : عاجزاً .

وكأنّي أنا الذي عثت في الخبيث
ثم جاء المعقبون من الساء
فرأيت النخاع واللطم والدف
وتفانوا صفعاً وفاح من القو
ثم لما أتوا على كل شيء
ثم قاموا إلى الجلاهيق والبا
فرأيت الحمام بعضاً على بعد
ورأيت الدجاج في وسط القر
أكلوا ما ذكرت واستعملوا لي
ومن المحلب المطيب بالبا
شربوا لي عشرين ظرفاً من الرا
فأقاموا سواسهم والمكارب
ينقلون الأحطاب من حيث وافو
جوزة كان حملها أحسن الحم
كان لي في فنائها منزلٌ رح
ورياضٌ مثل البرود علاها ال
وطيورٌ ما بينها تتغنّى
هي كهفي ومستظلي من الح
أحرقوها يا قوم في ساعة القف
كسروا السكر فاختلطت فقالوا
قطعوا اللوز والسفرجل أحطاً

ر وغيرت صورة الحيوان
سة والساكري والعبدان
مع وكدم الأنوف والأذان
م غباراً من الفسا والصنّان
ختموا محتتي بكسر الأواني
شق والمحدقات والزربطان^(١)
ضرباً وبعضاً ملقى على الأغصان
ية ملقى مكسراً السيّقان
يا ثقتاي كراً من الأشنان^(٢)
ن وماء الكافور سبع براني
ح لذيد المذاق أحمر قان
ن إلى أن سمعت صوت الأذان
ها فبالطير مرّ لي غيضان
ل وكانت ظليلة الأفنان
باً أنيقٌ يحفه نهران
طلّ بين البهار والأقحوان
بجميع اللغات والألحان
ر وذخري لنائبات الزمان
ز وضرب الأحطاب بالنيران
كيف تبقى بغير شاذوران^(٣)
باً ومالوا بها على غلمانني

(١) الجلاهيق : القوس التي يرمى بها البندق .

(٢) الأشنان : حمض تغسل به الأيدي والثياب .

(٣) الشاذوران : نوع من الحلوى .

والنواطير مددوا وعلوهم طالبوني بالنيك في آخر الليد
 قسم فأسرع فبعضنا يطلب المر فتوهمته مزاحاً فجدوا
 ليس يبقي على أرامل حمرا لو سمعتم يا قوم في غسق الليد
 يتنادون بالعويل والويد ويقولون ويلنا من أبي القا
 قصدته الأعداء فاستملكونا أوجروني النيذ بالرطل حتى
 فجعوني لما سكرت بهميا كان في أول النهار على رأ
 ثم راحوا بعد الهدوء إلى دا كان لي مفرش وكل ملوح
 وبساط من أحسن البسط مذخور لعرس اودعوة أوختان^(١)
 غرقوه بالزيت والبول والق أوقدوا زيتنا جزافاً بلا كيد
 خلعت داراي يا إخوتي المسجد الجا مع ليلاً للنصف من رمضان
 سرقوا جبتي وسيفي وسكيني وخفي وجوربي ورآني

(١) المطرمذ : الأبله . والمخرقان : الكاذب المختلق .

(٢) الفرزان : من حجارة الشطرنج .

(٣) الختان : طهور الطفل الذكر .

ثم لما انتهت بهم شدة الكظّة خرّوا صرعى على الأذقان^(١)
هوّموا ساعة كتهويمة الخائف في غير ارضه الفزعان
ثم قاموا ليلاً وقد جرح النسر ومال السّمّاك والفرقدان
يصرخون الصبوح يا صاحب البيت فأبكوا عيني وراعوا جناني
سحبوني من جوف بيتي على وجهي كأني أدعى إلى السلطان
بقلوب أشدّ حرّاً من الجمر وأقسى من الصفا الصوان
قلت رَقّوا لذلك الطفل ميمو نّ ولا تؤتموه يا إخواني^(٢)
ما بقي أكلة يقتل غريب ذي عيال ناء عن الأوطان
علّقوني بفرد رجل إلى السّف ف وعذبت ليلتي بالدخان
لو رأي أبي وأمي على رأسي ورجلاي بالعصا تنقران
بكيا لي من ذاك واشترياني من يديهم بكلّ ما يملكان
وقع الضرب يا خليلي على جسم من السّوط والعصا قرحان^(٣)
قلت للفضل والسري غثاني ومماتي قد حلّ بي خلّصاني
واذكرا عشتري وودّي وإخلا صي وحنّا عليّ واستبقاني
أنتما إن قتلتماني وحقّ الدّه من أجل أكلة تندمان
أي شيء تركتماه لضعفي قد مضى لي بالأمس ما قد كفاني
أحلفاني أن ليس عندي مشرو بّ ولا في خزانتي لقمتان
فاستشاطا عليّ غيظاً وقال الـ فضل قلّ لي بأيّ عين تراني
نحن من أجهل البرية طرّاً إن حصلنا منكم على الأيمان
قطعوا الجبل فانقلبت على رأسي وظهري فاندقّ لي ضلعان

(١) الكظّة : التخمة .

(٢) تؤتموه : أي تجعلوه يتيماً .

(٣) قرحان : سريض .

ثم لما تمكّن اليأس خلّو نبي ومالوا حشواً على الأتبان^(١)
وأجيري مسخرٌ ينقل الأتبان بالذل عارياً والهوان
وهو يبكي فقلت ويحك ما تصدّنع بالتبن بعد موتة الفدان
سرقوا السُّرج والقناديل والزبد وأقداحنا وكلّ القناني
والنبذ استقوه واغتموه آخر الليل كاستقاء السواني^(٢)
زودوه سواسهم والمكاريب ن معاً بالجرار والكيزان
لوترى الفضل وهو يحمل في السر ج قميصاً مخيطة الأردان
قد حشاه لحمًا وطيراً وسبعيد ن رغيفاً من أعظم الرغفان
سرقوا الراح في الزقاق وراحوا بطعام منضد في الصواني
ميزوا خيلهم بكلّ كسير وعقير مدبر جربان
خلّفوه يرعى بقية زرعى رعى لا خائف ولا متوان
مارثى لي سوى المبارك من ضرّى وذاك القصير الدحدحاني
رفهاني وخفقا الثقل عني فهما من ملامتي سالمان
والسري السرى حقاً كما س مى أيضاً من بطنه أعفاني
هل سمعتم فيما سمعتم بإنسا ن عراه في دعوة ما عراني
أسعدوني يا إخوتي وثقاتي بدموع تجري من الأجفان
إخوتي من لواكف الدمع محزو ن كتيب مدله حيران
هائم الفكر ساهر الليل باكي ال عين واهي القوى ضعيف الجنان
لم يكن ذا القران إلّا على شؤ مي فويلي من نحس ذاك القران

قد أحسن في هذه القصيدة غاية الإحسان، وأبان فيها عن مغزاه أحسن بيان . وتصرف فيها وأطال، وأمكنه القول فقال . وإذا تخلص الشاعر عند الإطالة

(١) الأتبان : قصب القمح والشعير وغيره اليابس ، يطحن ويستعمل علفاً للحيوانات .

(٢) السواني : البُهم .

والوصف هذا التخلص ، وسلم مما يؤديه الى التكلف والتلصص . فهو الذي لا يدرك غوره ، ولا يخاض بحره .

وقال أيضاً يهجو أبا الفضل يوسف بن علي ، ويعرض فيها بمنشأ بن إبراهيم ابن القزاز ، ويقال : إن هذه القصيدة كانت سبب عزله من عمله ، وقد تصرف فيها كل التصرف ، وهي سالمة عن التكلف ، ولم يقل في معناها مثلها ، وهي [من المنسرح] :

يا أهل جيرون هل لسامركم	إذا استقلت كواكب الحمل
في ملح كالرياض باكرها	نوء الثريا بعارض هطل
أو مثل نظم العقود بالشذر والـ	درّ ووشي البرود والكلل ^(١)
يلذ للسامع الغناء بها	على خفيف الثقل والرمل
كنت على باب منزلي سحراً	أنتظر الشاكري يسرج لي
وطال ليلي لحاجة عرضت	باكرتها والنجوم لم تمل
فمرّ بي في الظلام أسود كالـ	فيل عريض الأكتاف ذو عضل
أشغى له منخر ككوة تد	ور عين سجاء كالشعل ^(٢)
ومشفر مسبل كخب رحي	على نيوب مثل المدى عضل ^(٣)
مشقق الكعب أفدع اليد والر	جل طويل الساقين في سمل ^(٤)
فأهدت الريح منه لي أرجاً	مثل جني الروض في الندى الخضل
مسكاً وقفصية معتقة	شيبا بيان وعبر شمل ^(٥)
فقلت ما هكذا يكون إذا	راح الندامى روائح السفلى

(١) الشذر : العقد ، والكلل : جمع إكليل .

(٢) الأشغى : الطويل المنقر المعقوف ، والمسجور : المحمى والمستعر .

(٣) العصل : المعقوفة .

(٤) أفدع : أعوج ، والسمل : البالي الرث من الثياب .

(٥) شيبا : مزجا .

أسود غادر من الأتون له
هذا وربّ السّماء أعجب من
أرددهً يانصر كي أسائله
فقال يخشى فوات حاجتنا
فقلت ترك الفضول يا ناقص الـ
بادره من قبل ان يفوتك في
فصدّ عني تغافلاً ومضى
وصاح من خلفه رويدك يا
ارجع إليّ ذلك الرّقيع وإن
أجب إذا ما سئلت مقتصداً
وهو بترك الفضول أجدر لو
فكرّ نحوي عجلان يعثر في
وقد مذى والمذى يقطر من
وظنّ أنّي صيدٌ فأبرز لي
سوداء قد طوّقت بطوق خرا
وقال لجّ داركم لأولجها
فطالما أسهلتُ طبيعة من
هذا على أنّها مؤدّبة
وطال والله ما خدمت بها الـ
وكنّت أغشاهم على فرش الـ

عرف أميرِ نشوان في فضل
حمار وحشٍ في البرّ متعل
فشأنه عضلةً من العضل
وليس هذا من أكبر الشغل
همّة عين الإديبار والكسل
سلوكه بين هذه السُّبل
يعجب من عقله ومن خللي
أسود مالي بالعدوّ من قيل
أطال في خطبه فلا تطل
في اللفظ واسكتُ إن أنت لم تسل
يسلم من خفّة ومن خطل^(١)
مرطٍ كسائٍ مبرغثٍ قمل^(٢)
غرموله في الذبول كالوشل^(٣)
فيشلةً مثل ركبة الجمل^(٤)
أصفر تزهى به على الحجل
فيك وإن كنت لم تبلى قبل
ليس لأمثالها بمحتمل
من الفياشي المروضة الذلل
ملوك خلف السّتور والكلل
خزّ بلا سقطة ولا زلل

(١) الخطل : فساد الرأي .

(٢) المرط : الثوب الطويل المذيل .

(٣) المذى : ما يخرج من القضيب عند تهيجه ، والوشل : الماء القليل .

(٤) الفيشلة : عتق القضيب الضخم .

لأنها صنعتي وصنعة آ
وزاد في دولة اليهود بها
حتى لقد فتقت فروشهم
فانظر إليها فإن رأيت لها
وخذ عموداً أغلافه شرج
قلت له لا عدمت برك قد
وجدت عفواً من غير مسألة
لكنني والذي يمدُّ لك الـ
ما شقّ دبري مذ قطّ فيشلة
ولا لهذا دعيت فاطلب لمـ
وهات قل لي بالله من أين أف
فقال لي بت عند عاملكم
فصاك بي طيبه وصاك به
تركته بالنهار اخفش لا
قلت تزيّدت وادّعت على
أبوه سمحٌ وجده ملكٌ
لعلّ ذا غيره فصفه فما
فإن تكن صادقاً نجوت وأنـحيت عليه باللوم والعذل
وإن تكن كاذباً صفعتك بالنـعل فإن كنت قائلاً فقل
فقال يا سيدي عجلت بمكـر وهي وكان الإنسان من عجل
هذا الذي بت عنده نصفٌ دون مسنٍّ وفوق مكتهل

(١) الشرح : نهاية المعنى .

(٢) صاك : لزق .

في فيه نتنٌ وتحت عصعصه
آدر رخو العجان منخرق ال
حيضة بأسوره إذا اختلطت
له إذا ما علوته نفسٌ
يصرع طير السماء في الأفق ال
أتن من كلٌ ما يقال إذا
وهو على ذاك مولعٌ أبداً
نعم وفي باب سرمه وضحٌ
أخاف يعدى أيري ببرصته
أسود كالليل بين أكرعه
فقلت هذى صفاته ولقد
فقال أمّا إذ اهتممت به
قد طاب عيشاً وقد أصاب من ال
يكون مثل العروس مفترشاً
فيجمع اللذتين مغتبطاً
وهو عوانٌ لم يخش من ألم ال
وأنت يا ابن الخراء محتفلٌ
فقلت قل لي من أين تعرفه
كنت أجيراً بيدَ معصرةٍ
وكنت أضحي النهار في ظاهر ال

عينٌ تمجُّ الصيد في دغل^(١)
مبعر ألحى مهيج السفل^(٢)
بالسلح كالسمن شيب بالعسل
أمضى من السيف في يد البطل
أعلى ويوهي مخارم القل
بالغ في الوصف ضارب المثل
لشؤم بختي بالعضّ والقبل
أبيت ليلي منه على وجل
فأغتدى مثلةً من المثل
عمود صبحٍ ينجاب عن طفل^(٣)
شغلت قلبي بذلك الرجل
فإنه في نهاية الجذل
لذة ما لم يصب ولم ينل
طوراً وطوراً كالفحر في الإبل
ذي دبره تارةً وفي قبل
حمل عقيمٌ لم يخش من جبل^(٤)
بأمره وهو غير محتفل
فقال ذرني من هذه العقل
بصور كانت لكاتب البجل
يد إذا ما انصرفت من شغلي

(١) الدغل : في خفاء .

(٢) آدر : فاسق ، والعجان : الإست .

(٣) الطفل : وقت مغيب الشمس .

(٤) العوان : نصف المرأة ، لا بكر ولا متزوجة .

فنمت يوماً وكنت من سهر الـ
وهبت الريح فانكشفت ولم
واجتاز للحين والقضاء الذي
حف بصفر البنود والخيـل والرـ
على كميـتٍ أقبّ كالصخرة الـ
ليس بأشغى ولا أجش ولا
وهو أمام الصفوف تقدمه
مجنّباتٌ كأنهنّ سرا
وحان منه التفاتة فرأى
فاشدّ تحديقه إليّ كما
ولم أبت ليلتي وعيشك يا
فجئته خائفاً كما يلج الـ
فارتعت لما رأيت لحيته
وظنّ أني استحيته فغدا
وقال هذا الحياء - يا أبـي
فاطرح الهية المضرة بي
إن كنت أكرمتني لترفع من

ليل وقيداً كالشارب الثمل^(١)
أشعر وطار الشراع عن قبلي
حمّ مشا في موكب زجل
جل وبيض الصفيح والأسل
صماء قدت من قنة الجبل^(٢)
أهضم طاوي الحشى ولا شغل^(٣)
جرد الهوادي شواذب المقل^(٤)
حين قطاعٍ أو كالقنا الذبل^(٥)
ذيل قميصي قد قدّ من قبل
حدّق ذئبٌ طاوٍ إلى حمل
مولاي حتّى دعيت بالرسل
عصفور مستكرهاً على الورل^(٦)
وكدت أخرى من شدة الوهل
يسطني بالمزاح والغزل
أنت - بريد النكول والفشل^(٧)
واعتزل الخوف أيّ معتزل
قدري فبعض الهوان أنفع لي

(١) الوقيد : المحزون والثقيل والشديد المرض ، والثمل : السكران .

(٢) قنة الجبل : قمة الجبل .

(٣) طاوي الحشى : جائعه وضامره ، والشاذب : الضامر والخشن .

(٤) الجرد : الخيل ، والشاذب : الضامر والخشن .

(٥) السراحين : الذئاب .

(٦) الورل : دابة تشبه الضب تكون في الصحارى والرمال .

(٧) النكول : النكوص والهرب .

انتف سبالى واصفع قفاي ولا
 ولا عبيدي ولا فروشي ولا
 إن يشقّ أعلاي باللطام فقد
 وليس بعد المزاح يا أبني
 ولم يزل دائباً يشمرخ شا
 فحين أدليت كالحمار بدا
 وخرّ للوجه والجبين وقد
 طعنته طعنةً بصدق الأنا
 فقال : أوجعت جوف مقعدتي
 وقرقرت بطنه وربّما
 ثم رماني بسلحة خطمت
 فقلت : يا سيدي ويا أُملي
 فقال : أخطأت إذ أسلت دمي
 أين النجيع القاني ؟ فديتك من
 ألا تبرّزت لا أبالك أو
 فقال لما أنشأت تعفجني
 ألم تكن عالماً بأنّ سلا

تنظر إلى قدرتي ولا خولي
 طيبي ولا حليتي ولا حللي
 يسعد بالرهز بعده سفلي^(١)
 في الرأس من حشمة ولا خجل
 قولي ويختال لي على مهل^(٢)
 يرفع أجلاله عن الكفل
 رطب حول خصيه بالبلل
 يبب أصمّ الكعوب معتدل
 وظلّ يدعو بالويل والهبل
 حذرت من مثلها ولم أبل
 أنفى فزاولتها على ميل^(٣)
 أظن ذا السرم من بني ثعل
 فقلت : كلا والله لم يسلم
 لطخ رجيع كالورس منسحل^(٤)
 شددت من باب سرمك النغل ؟^(٥)
 في استى برمّح لم يعتصم سفلي^(٦)
 ح استى سلاحي في كلّ منتضل^(٧)

(١) الرهز : النهز والإدخال .

(٢) يشمرخ : ينتصب ، والشاقول : القضيبي .

(٣) خطمت : أصابت وقطعت .

(٤) النجيع : الدم ، ومنسحل : مطحون .

(٥) تبرّزت : خرجت ، والنغل : الفاسد .

(٦) تعفج : تعالج وتترك .

(٧) منتضل : معترك .

خذ أبنوساً حلّيته ذهباً
ولا تلمني فكيف أصنع في
تمنعه اللذة الحياء فتسـ
نعم وعاجلتني بجانفة
عاجلت قلبي عن التحفظ في
وخاض جمعي أيرُ به هوجُ
يا سيدي ما اسمه فقلت أبوالـ
فقال: يا حبذا أبوالأسود الزا
هل رابه غيرها وقد جعل الـ
فامض وعد بعدها لترويني
ولاتخف بعدها وصاح بفرأ
فقال ذاك الفراش: مالك قد
فهذه عادةُ لسيّدنا
ولم أزل في خزانة الفرش أيـ
حتى اثنت صعدتي وبان له
ثم تغني والأير في يده
يا دار هندٍ بالخيف من ملل
وقال لي ويك في دمشق أخُ
وهو بحبّ السودان أعرفه
فخذ كتابي وسر إليه ولا

فالحلي أولى به من العطل^(١)
سرم شديد الحكاك مؤتكل
ترخي حواشي مثقف نغل
أصمت ومرّت في موضع العلل^(٢)
أمري برهنز كالبرق مشتعل
يجوز حدّ الجنون والخبل^(٣)
أسود يكنى وليس بالدولي
هد فينا بسلحة قبلي
ماء طهوراً لكل مغتسل
من بعد نومي علأ على نهل
شقصير السربال معتمل
متّ كذا فاغتسل ولا تبل
موروثة عن أبيه لم تزل
أماً مخلى في زيّ معتقل
فيّ اناة الفتور والكسل^(٤)
قد خفّ بعد العتوّ والثقل
حييت من دمنة ومن طلل
للقف والخرج والضياح بلى
وليس عن رأيه بمنتقل
ترك مقالاً مذ قطّ لم يقل

(١) الجيد العطل : الخالي من الحلي .

(٢) الجانفة : الجالفة ، جلف وجنف بمعنى كشط الجلد .

(٣) الخبل : فساد العقل .

(٤) الصعدة : القوة ، أي ضعفت شهوته وفتر قضيبه .

وقلّ سرتُ بي في الليل ذعلبةً
تمطو جماحاً إذا المطيُّ ونْتُ
أهوى بطون الأقطار في غسق الـ
وليس لي شافعٌ إليك سوى
فإنه سوف يلتقيها ويحد
وتغتدي عنده أعزّ من الـ
فجئته واثقاً بقول أبي
فما حصلنا إلا على سهرٍ
وكان هذا ابتداء معرفتي
وقد مضى يومنا بلا عملٍ
ظننت للنّيك قد دعيت، ولم
تهدي صدور المهرية البزل^(١)
حتى تراخى لها من الجذل^(٢)
لميل وآوي مناهل الوعل
فيشلة أسهلت أبا سهل
بوما إذا أقبلت بحيهل^(٣)
أهلين والأقربين والخول
سهلٍ ومن يسمع المنى يخل
يعمي ورهز يوهي القوى نكل
به ، فحسبي فاقطع ولا تصل
ترجى له أجرة ولا أمل
أدري بأنّي دعيت للجدل

صرف عنه بعض الأدباء وهو ابن خيران العبد لأنه أصال ولم يصرفه صرف
عنه بعض الأدباء وهو ابن خيران العبد لأنه أطل ولم يصرفه بعد مشور يتقدم ذلك :

قلت له : اذهب مصاحباً فلقد
فمرّ يسعى كأنه ثملٌ
يقول في سيره وقد وضح الـ
كان نكاح إبليس زوره
لا بارك الله فيهما فلقد
حدثت عنه بحادثٍ جللٍ
من سهرٍ كده ومن ملل^(٤)
صبح : ألا ربّ واثقٍ خجل
بلا شهودٍ ولا حضورٍ ولي
جاء بما لا يجوز في الملل

(١) الذعلبة : الناقة السريعة ، البزل : النوق والجمال .
(٢) تمطو جماحاً : أي تسرع في مشيتها ، والوني : الضعف .
(٣) بحيهل : كلمة منحوتة ، من حيّ أي أقبل ، وأهلاً وسهلاً .
(٤) كده : أرهقه .

وعدت بالله أستعيز من الـ سوء ومن كلّ موقفٍ رذل
والحمد للواهب السلامة من جرحٍ يداوي بهذه الفتل^(١)
وإن اتفق وجود المشور ألحقته بعون الله وقدرته .

٢٧ - أحمد بن محمد الطائي الدمشقي

قال [من الخفيف] :

قد غدونا إلى صلاة الغداة ثم ملنا منها إلى الحانات
فشربنا مدامةً كدم الخشد ف عقاراً تضيء في الكاسات
فإذا شجّها السقاة بماءٍ أبرزت مثل ألسن الحيات^(٢)
وكانّ الأنامل اعتصرتها من شقيق الخدود والوجنات

* * *

٢٨ - أبو محمد الموصلي

قال يرثي أم الأمير أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان ، وقد رثاها الناس على
طبقاتهم [من الخفيف] :

يا أميراً علا على النجم همّة مثل ما قد زرى على الخلق عزمة^(٣)
أكثر الناس في التعازي وقالوا كلّ معنى ينسي أcha الهمّ همّة
فاختصرت العزاء في نصف بيتٍ كلّ خطب إذا تعدّاك نعمة

* * *

(١) الفتل : جمع فتيل ، وهو ما يداوى به الجرح ويستخرج به قيحه .

(٢) شجّها : مزجها وشقها .

(٣) زرى : عمّ .

٢٩ - أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي

شاعر بارع . وعالم جامع . قد برع في إبانه ، على أهل زمانه ، فلم يتقدمه
أحد في أوانه . وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام . فمن ملح شعره
وغرائب قوله من قصيدة مربعة [من الرجز] :

رسالةً من كلفٍ عميد حياته في قبضة الصّدودِ
بلغه الشّوق مدى المجهود ما فوق ما يلقاه من مزيدِ

* * *

جار عليه حاكمُ الغرام فدقّ أن يُدرك بالأوهام
فلو أتاه طارقُ الحمام لم يرده من شدة السقام

* * *

له اهتزازٌ وارتياحٌ وطربُ لوجه من أورثه طول الكربِ
فهل سمعتم في أحاديث العجبِ بمن مناهُ قُربُ من منه العطبُ

* * *

ما غاب عنه الحزم في الأمور لكنّ مقدار الهوى ضروري
صاحبه يخطط في ديجور منفسد التقدير بالمقدور

* * *

إذا التقى في مسمعيه العذلُ وقيل من دون المراد القتلُ
قال لهم لوم المحبّ جهلُ إنّ الهوى يغلب فيه العقلُ

* * *

ما العذر في السلوة عن غزالٍ منقطع الأقران والأشكالِ

تستخلف الشمس لدى الزوال ضياء خديّه على الليالي

* * *

بخفة الروح احتوى صاحي فصرت لا أرغب في الفلاح
والشكل والخفة في الأرواح أملح ما يعشق في الملاح

* * *

من عشق القدم وإن دقّ البصرُ فليقصد البيعة وليهو الصُّور^(١)
من كان يهوي منظرًا بلا خبر فما له أوفق من عشق القمر

* * *

ظبيّ سلويّ عنه مثل جودهّ ظبيّ سلويّ عنه مثل جودهّ
أجفانه أسقم من عهوده أردافه أثقل من صدودهّ

* * *

يا وصله صل مثل وصل صدهّ يا وصله صل مثل وصل صدهّ
يا قلبه كن رقة كخدهّ يا خصره كن مثل ضعف عهده

* * *

أمّا وخصر ضعفه كصبري له ووجه حسنه كشعري
له عذار قام لي بعذري لا تبت من شوقي إليه دهري

* * *

أضحى لإبليس به استقدار على بني آدم واستبشار
وقال : في ذا تستطاب النار ما لهم عن مثل ذا اضطبار

* * *

(١) القدم : الغليظ الأحمق .

تمّت لي الحيلة في العباد أدركت من صالحهم مرادي
بمثل ذا أمكنني إفسادي لأنفس العباد والزهاد

* * *

والهفتي من خدّه الأسيل إذا انجلي عن صفحتي صقيل^(١)
واحربي من طرفه الكحيل من منصفى منه ومن مديلي؟^(٢)

* * *

من مقلّة كالصّارم البتار ألحاظها أمضى من المقدار^(٣)
تحكم في لبّي وفي اصطباري نظير حكم الدهر في الأحرار

* * *

حلّ قواي العقد من زنّاره ألهب قلبي خدّه بناره
عذر صبري مبتدا عذاره حيرني بالطرف واحوراره^(٤)

* * *

جاء بوجه حسنه محبوب طيب في أمثاله الذنوب
وقامة ذلّ لها القضيب والقّد تنقّد به القلوب

* * *

هفا بقلبي منه إفراط الهيف فقلت لما أن تشّى وانعطف :^(٥)
يا سيدي من دون ذا الميل التلف وشرط من كان ظريفاً في القطف^(٦)

* * *

(١) الأسيل : الأملس الناعم ، والصقيل : السيف المصقول .

(٢) الحرب : الأسف والحزن ، والمديل : المعين والمغلب .

(٣) البتار : القاطع .

(٤) الحور : شدة سواد العين وشدة بياضها .

(٥) هفا : حنّ ومال ، والإفراط : الإكثار .

(٦) التلف : الهلاك .

ما قَصَرَ القامة مثل الطول ولا البدين الجسم كالمهزول
عشق الرشيقي الأهيف المجدول شأن ذوي الأفهام والعقول

* * *

لا يعشق الضخم الغليظ الجسم غير غليظ الطبع جافٍ فدم
مكدر الحسن ركود الفهم يقول في الحسن بغير علم

* * *

قد صحت لما خفت منه القتل وكدت من فرط السقام أبلى :
يا حاكماً جانباً في العدا مهلاً بمن يهواك مهلاً مهلاً^(١)

* * *

يا ظالماً يقتلني مجاهره قد منع الوجد من المساتره
هلم إن شئت إلى المناظره واستعمل الإنصاف لا المكابره

* * *

في أي دين حلّ قتل الروح وهل لما تفعل من مبيع
إن قلت ذا جاء عن المسيح فليس ما تزعم بالصحيح

* * *

مُرْقُصٌ ما أخبرنا بذا الخبر عنه ولا لوقا حكاه في الأثر
وقد نهى عن ذا يوحنا وزجر ولا ارتضى متى به ولا أمر

* * *

أربعة ليس لهم عديلٌ ولا لهم في أمرهم كفيلٌ

(١) جانب : ابتعد وفارق .

ما فيهم من قال ما تقولُ فهل سوى إنجيلهم إنجيلُ

* * *

فإن زعمت أن ذا موجود في زبر جاء بها داودُ
فما الزبور بيننا مفقود فكيف لم تعلم به اليهودُ

* * *

ولم يخبر أحدٌ سواكا من النصارى كلهم بذاكا
لا تتقول غير ما أتاكَا وغلب الحق على هواكا^(١)

* * *

سفك دمي يحظر في الأديانِ فدع حجاجاً ظاهر البطلانِ
لا تجمع الإثم مع البهتانِ وكن على خوفٍ من العدوانِ^(٢)

* * *

واعلم بأنني إن تمادى بي الهوى وخفت أن أتلّف من فرط الضنى
ودمت في هجرك لي كما أرى ولم أجد منك لما بي مشكى

* * *

شكوت ما تلقاه نفسي البائسة من خطراتٍ للهموم هاجسة
عفت رسوم الصبر فهي دارسة إلى جميع عصبة الشمامسة

* * *

فإن هم لم يرحموا أنيني وخيئوا في قصدهم ظنوني

(١) لا تتقول : لا تخلق الأقوال .

(٢) البهتان : الزور وعدم الحقيقة .

ولم أجد في القوم من معين ينصفني منك ولا يعديني

* * *

شكوت ما يلقي من الأحزان قلبي إلى مشيخة الرهبان
عساك تستحي من الشيوخ وإن تهاونت بهم في شاني

* * *

فلا أراك مغضباً عبوساً إذا أتيت أسأل القسيسا
معونة أرجو لها التنفيسا عن مهجة قاربت النسيسا^(١)

* * *

واعلم بأنني إن رددت شافعي هذا ولم يرجع بأمرٍ نافع
فليس ذا بحاسمٍ مطامعي كم طالب جدٍّ بجدٍّ مانعٍ

* * *

لو كنت مبذولاً لنالمت تطلب وإنما نرغب إذ لم نرغب
وكلت النفس بترك الأقرب وشدة الحرص على المستصعب

* * *

وإن تماديت على جفائكَا ودمت بالقلّة من حبائكَا^(٢)
في هجرنا عل قبيح رأيكا واستيأس الرهبان من إصفاكَا

* * *

(١) النسيس : آخر الرمق والروح .
(٢) الحباء : العطاء والتكرم بالوصل .

فلا تلمني إن قصدت الأسقفا من برّح السُّقم به رام الشِّفا^(١)
فلا تقل أبديت مكنون الخفا أنت الذي أحوجتني أن أكشفا

* * *

سوف إلى المطران أنهي قصّتي إن دام ما تؤثّره من هجرتي
فإن رثى لي طالباً معونتي ولم تشفعه بكشف كربتي

* * *

شكوت ما يلقاه من فرط السقم قلبي إلى البطرك والحبر العلم^(٢)
عساك إن حالفته فيما حكم يدخلك الحرم فويل من حرم

* * *

هناك تأتي مستقيلاً ظلمي تسألني عطف الرضى بالرغم
ترضى بما ينفذ فيك حكمي إذا بك اشتدّ عذاب الحرم

* * *

دع ذا فهذا كله تهديد أرجو به قربك يا بعيد
هيهات سرّي أبداً جحود فيك وقولي كلما تريد

* * *

مولاي قد ضاقت بي الأمور فقلت ما قلت وقولي زور
قلبي إلا في الهوى جسور فلا تلم أن ينفث المصدور^(٣)

* * *

(١) برّح : ألم وعذب .

(٢) الحبر : العالم النحرير ، وهو رئيس الأساقفة .

(٣) المصدور : المسلول ، مريض الصدر .

مولاي بالرحمن أحي مغرماً
إليك أشكو فعسى أن تنعما
يخاف أن تغضب إن تظلماً
مهلاً قليلاً قد قتلت المسلما

* * *

يا جرجس ارفق بفؤادِ هائمٍ
وقد رضينا بك في التّحاكمِ
يا سيدي خفْ سوء عقبي الظالمِ
والجور لا يشبه فعل الحاكمِ

* * *

أقصى رجائي منك نيل الودِّ
يا جائراً أفرط في التعديّ
وقبله تشفي غليل الوجدِ
منك إليك في الهوى أستعدي

* * *

وقال في أزمنة السنة مزدوجة [من الرجز] :

يا سائلي عن أطيب الدهور
سألتني أيّ الزمان أحلى
وقعت في ذاك على الخبير
عندي في وصف الفصول الأربعة
وأية بالقصف عندي أولى
مقالة تغني الليب مقنعه

فصل الصيف :

أما المصيف فاستمع ما فيه
فصل من الدهر إذا قيل حضر
من فطن يفهم سامعيه
تبصر فيه النبات مقشعرا
أذكرنا بحرّه نار سقر^(١)
نهاره مقسم بين قسم
والأرض تشكو حرّه المضراً
جميعها يعاب عندي ويذم
كأنه على القلوب يقبض
أولكه فيه ندى مبغض
وتعلق الأذيال بالتراب
يلصق منه الجسم بالثياب

(١) سقر: جهنم .

حتى تراها مثل منديل الغمر
حتى إذا ما طردته الشمس
فتحت النار له أبوابها
حرّاً يحيل الأوجه الغرانا
يعلوه الكرب . ويشد القلق
تبصره فوق القميص قد علا
إن كان رثاً زاد في تمزيقه
ثم يعيد الماء ناراً حامية
شاربه يكرع في حميم
ينسيه ما يلقي من التهايه
حتى إذا عنا انقضى نهاره
تحركت في جنحه دواهي
من عقرب يسعى كسعي اللص
وحية تنفث سمّاً قاتلا
تبصر ما في جلدها من الرقش
لونهشت بالناب منها الخضرا
فإن أردت الشرب في إبانة
أبشر بما شئت من الصراع

فيهنّ تخطيط كتخطيط الحبر^(١)
وفرحت بأن يزول النفس
وشبّ فيها مالك شهابها
حتى ترى الروم بها حبشانا^(٢)
وتنضج الأبدان منه بالعرق
حتى ترى مبيضه مصندلا^(٣)
أو مستجداً حلّ حلّ زيقه^(٤)
تزيد في كرب قلوب الضاويه^(٥)
كأنه من ساكني الجحيم
أن يحمد الله على شرابه
وأرخت من ليله أستاره
سارية وأنت عنها ساهي
سلاحها في إبر كالشص^(٦)
تزود الملدوغ حفاً عاجلا
كوجنة مصفرة فيها نمش
لبترت منه الحياة بتر^(٧)
على الذي وصفته من شأنه
فضلاً عن التهويس والصداع

(١) الحبرة : الملاعة .

(٢) يحيل : يجعل ويحوّل ، والغران : البيضاء .

(٣) الصندل : شجر هندي أبيض الزهر خشبه طيب الرائحة .

(٤) الزيق : من القميص ما أحاط بالعنق .

(٥) الضاوية : الملتبهة .

(٦) الشص : حديدة معكوفة الرأس تشدّ بها حبال الرجل .

(٧) بترت : قطعت .

وعللٍ تعجز إحصاء العددُ
وبعد حمى الكبد لا تنساه
ولا تقل إن جاء يوماً أهلاً

فصل الخريف :

حتى إذا زال أتى الخريفُ
أهويةً تسرع في كل الجسدُ
يخشى على الأجسام من آفاته
لا يمكن الناس اتقاء شره
تبصره مثل الصبي الأرعن
فإن أردت الشرب للعقار
فأنت منه خائف على حذر
أحسن ما يهدي لك النسيما
وهو على المعدود من ذنوبه

فصل الشتاء :

حتى إذا ما أقبل الشتاءُ
أقبل منه أسدٌ مزيرُ
لو أنه روحٌ لكان قدما
يأتيك في إبانهِ رياحُ

من جربٍ ومن دُوارٍ ورمدُ
لأنه أولُ ما تلقاه
فلعنة الله عليه فصلاً

فصلٌ بكل سوءٍ معروفُ
وهو كطبع الموت ييساً وبردُ
فأرضه قرعاء من نباته^(١)
من اختلاف برده وحره
في كثرة التغير والتلون^(٢)
في حينه بالليل والنهار
لأنه يمزج بالصفو الكدرُ
يقلبه في ساعة سموما^(٣)
خير من الصنف على عيوبه

جاءتك منه غمة غماء^(٤)
له وعيدٌ وله تحذيرُ
أو أنه شخص لكان جهما^(٥)
ليس على لاعنها جناح^(٦)

(١) قرعاء : جرداء .

(٢) الأرعن : الطائش .

(٣) السموم : الريح اللافة تهب صيفاً فتشوي الوجوه شياً .

(٤) الغمة : الكرب .

(٥) الجهم : العابس المقطب .

(٦) جناح : إثم أو ذنب أو ملامة .

تضرُّ بالأسماعِ والعيونِ
 هذا إذا ما فاتك الصدامُ
 كأنَّه خصمٌ لنا ملازمٌ
 وعن قضاء الحقِّ للصديقِ
 وإن عفا عنك أذاك الوكفُ^(١)
 وكثرة الإنفاق للدرهمِ
 يكفُ عنا منه غربٌ حدُّ^(٢)
 كأنَّما يحمل منها ثقلاً
 لكن تراه سمناً غير حسنٍ
 فيه فقد قاسيت خطباً صعباً
 تطير نحو الحدق الشرَّارِ
 تحكي السعيدِ لك المنقَطُ^(٣)
 من خوفه وتغلق الأبوابُ^(٤)
 حتى ترى صاحبه ديجوراً
 لأنَّه صار سواءً والدُّجى
 ليس لأنَّ تلهو أو تسراً
 فشرها ضربٌ من الدواء^(٥)
 عاكك عن تناول المدامِ
 وخشيَّة البرد على الأطرافِ

حراكها ليس إلى سكونِ
 يحدث من أفعالها الزكامِ
 ثم يليها مطرٌ مداومٌ
 يقطعنا بغضاً عن الطريقِ
 وربما خرَّ عليك السَّقْفُ
 هذا وكم فيه من المغارمِ
 في ملبسٍ يدفع شرَّ بردهِ
 ملابسٌ تعمي الجليد حملاً
 يحكي بها المنحوف أصحاب السَّمَنِ
 فإن أردتَ بالنَّهار الشُّرباً
 واحتجت أن توقد فيه النارا
 تترك مبيضُ الثيابِ أرقطاً
 وبعد ذا تسدُّ الثُّقَابُ
 نعم وترخي نحوه الستورا
 فحسنُ لون الراح فيه لا يرى
 تشرب فيه إن شربت الخمرِ
 لكن لتحمي خضر الأعضاء
 وإن أردت الشرب في الظلامِ
 حسبك أن تندسَّ في اللحافِ

(١) الوكف : الانحراف والثقل والضعف .

(٢) الغرب : السهم .

(٣) الأرقط : المنقط .

(٤) الثقبابا : الكوى والفتحات والثقوب .

(٥) خضر الأعضاء : كسلها وفترها .

ورعدو تشغل عن كل عمل
حتى إذا ملت إلى الرقاد
إنّ البراغيث عذابٌ مزعج
لا يستلذّ جنبه المضاجعا
قبّح فصلاً فوق ما ذمته
حتى إذا ما هو عنا بانا
وتؤثر النوم وتستحلي الكسل
فت على فرشٍ من القتاد^(١)
لكلّ ما قلبٍ وجلدٍ تنضج
كأنّما أفرشته مباضعا^(٢)
لو أنّه يظهر لي قتلته
وزال عنا بعضه لا كانا

فصل الربيع :

جاء إلينا زمنّ الربيع
لبرده وحرّه مقدار
عدل في أوزانه حتى اعتدل
نهاره من أحسن النهار
تضحك فيه الشمس من غير حجب
وليله مستلطف النسيم
لبدره فضل على البدور
كجامة البلور في صفائها
كأنّها إذا دنت من نحره
رومية حلّتها زرقاء
هذا وكما يجمع من أمور
فيه تظلّ الطير في ترثم
غناؤها ذو عجمة لا يفهمه
فجاء فصل حسن الجميع
لم يكتنف حدّهما الإكثار
وحمد التفصيل منه والجمال
في غاية الإشراق والإسفار
كأنّها في الأفق جام من ذهب
مقوم في أحسن التقويم
في حسن إشراق وفرط نور
أو غرة الحسناء في نقابها
جوزاؤه قبل طلوع فجره
في الجيد منها درّة بيضاء
إسراف مطربها من التقصير
حاذقة باللحن لم تعلّم
سامعه ، وهو على ذا يقرمه^(٣)

(١) القتاد : الشوك الحاد .

(٢) المباضع : جمع مبضع ، يستعمل في الجراحة والشق .

(٣) يقرمه ، يقضمه ، والقرم : شدة الشهوة .

من كل دبسي له رنينُ
 في قرطقي أعجل أن يوردا
 هذا وفيه للرياض منظر
 سرّ نبات حسنه إعلانهُ
 فيه ضروبٌ للنبات الغضُّ
 من نرجسٍ أبيض كالثغور
 وروضة تزهّر من بنفسج
 قد لبست غلالة زرقاء
 تبصرها كشاكر أولادها
 يضحك فيها زهر الشقيق
 مضمّناً قطعاً من السّجّ
 كأنما المحمرّ في المسود
 أما ترى أترجه ما أحسنهُ
 وانظر إلى الخشخاش إن نظرتا
 واربم بعينيك إلى البهار
 كأنه مداهنٌ من عسجدٍ
 فانهض إلى اللهو ولا تخلف
 واشرب عقاراً طال فينا كونها
 وكلّ قمريّ له حنين^(١)
 خاط له الخياط طوقاً أسوداً^(٢)
 يفشي الثرى من سرّها ما يضمّر
 إذا سواه زانه كتمانهُ
 يحكي لباس الجند يوم العرض
 كأنه مخانق الكافور
 كأنها أرض من الفيروزج
 فكأيدت بلونها السماء^(٣)
 قد لبست من حزنٍ حداها
 كأنه مداهنٌ العقيق
 فأشرفت بين احمرارٍ ودعج^(٤)
 منه إذا لاح عيون الرمد
 يختال في غلائل مبيّنه
 يحكي كراتٍ ظوهرت كيمختا^(٥)
 فإنّه من أحسن الأنوار^(٦)
 قد سمّرت في قصب الزبرجد
 فلست في ذلك بالمعنف
 يصفرّ من خوف المزاج لونها

(١) الدبسي : طائر أدكن يقرقر .

(٢) القرطقي : نوع من الأردية .

(٣) الغلالة : الثياب الرقيقة ، وكأيدت : ماثلت .

(٤) السّجّ : خرز أسود ، والدعج : سعة العين مع شدّة بياضها وشدّة سوادها .

(٥) كيمخت : رفعت رأسها تكبراً .

(٦) البهار : نبت طيب الرائحة .

من كفّ طبعي من بني النصارى
إذا بدا جماله لذي النظر
بيدي جمالاً جلّ عن أن يوصفا
تزينه أحشاء كشح طاوية
لاسيما مع مسمع وزامر
قد سلما من وحشة التنافر

* * *

دونك هذي صفة الزمان
فأصغ نحو شرحها كي تسمعا
وارض بتقليدي فيما قلته
ولا تعارضني في هذا العمل

وقال أيضاً [من الرجز] :

باعثاً لدعوتي غلامه
إذا أردت أن تزار في غد
واعمد إلى ما أنا منه واصف
ابعث فخذ عشراً من الرقاق
تكاد مما رقّ من حرسائها
أرقها الصانع حتى خفت
تكاد لولا حذقه في صنعه
حتى أتت في صورة البدور

وعاتبنا من تركنا إمامه^(١)
فلا تغال في الطعام واقصد
فإنني بالطيبات عارف
تلذّها نواظر الأحداق
تشف للأعين من صفائها^(٢)
ولطفت أجسامها ومدّت
تطيرها أنفاسه من راحته
أو مثل جامات من البلور

(١) الغالية : أنواع الطيب .

(٢) الإلمام : الزيارة ، والقصد .

(٣) الحرساء : الغلاف والجلد الحافظ للشيء .

حتى إذا فرغت منها متقناً
فاعمد إلى مدورٍ من البصل
يحكي لعينيك اخضرار قشره
غلائلاً خضرا على جُوم
حتى إذا أحكمته تقطيعاً
خلطته باللحم خلطاً جيّداً
حتى إذا أنت أجدت فعله
صيرته يا ذا العلا السنية
ثمت أغل الشبرق المقتشراً
مكتسباً حلته الخمرية
ثم أدير كأس الشمول منمما
فلست في فعلك ذا مبدراً

وله في الروض [من الرجز] :

أسفر عن بهجته الدهر الأغر
أبدى لنا فصل الربيع منظرأ
وشياً ولكن حاكه صانعه
عائنه طرف السماء فانشى
فالأرض في زيّ عروسٍ فوقها
وشيّ طواه في الثرى صوانه

ولم ير العائب فيها مطعناً^(١)
فإنّه أكبر أعوان العمل
إذا رماه ناظرٌ بفكره
بيض رطابٍ من بنات الروم
وقلت قد جودته صنيعاً
ولم تزل تخلطه مردداً
ثم جمعت في الرقاق شمله
شابورةً ليست لها سمية^(٢)
من فوقه حتى تراه أحمرأ^(٣)
من بعدما عهدتها فضية
أكرم بهذا مشرباً ومطعماً
كلأ ولا في حقنا مقصراً

وابتسم الروض لنا عن الزهر
بمثله تفتن ألباب البشر
لا لابتذال اللبس لكنّ للنظر
عشقاً له يبكي بأجفان المطر
من أدمع القطر نثاراً من دررأ^(٤)
حتى إذا ملّ من الطي نشرأ^(٥)

(١) المطعن : الانتقاص .

(٢) شابورة : ملكة (شاه بور) .

(٣) الشبرق : نبات رطب .

(٤) نثار : ما ينثر من الماء والمال وغيره .

(٥) نشر : فاح وعرض لأشعة الشمس .

أما ترى الورد كخديّ كاعبٍ
 كأنما الخمر عليه نفّضتُ
 أخجله النرجس إذ جاد له
 قال له العين وما الخدُّ لها
 ماذا الذي يرجى لخدِّ بهجٍ
 فاحمرّ من حجّته إذ ظهرتُ
 وانظر إلى النارج في بهجته
 مثل دنائير نضارٍ أحمرٍ
 وانظر إلى المنشور في ميدانه
 كجوهريّ مختلفٍ ألوانه
 كأنّ نور الباقل إذا بدا
 كمثّل الحاظّ اليعافير إذا
 كأنّه مدهنٌ من فضّةٍ
 كأنّها سوافٌ من خرّذٍ
 وانظر إلى الأطيّار في أرجائه
 كأنّها تصفر في رياضها
 فانهض إلى اللهو ولذات الصبا
 فقلّما يغنيك من يعذل في
 فكيف هجران اللذات ولم
 والنّسك في عصر الصبا كأنّه

راودها فامتنعت منه ذكرُ
 صباغها أو هي منه تعتصّرُ
 فاحمرّ من فرط حياءٍ وخفر^(١)
 موازناً في عظم قدرٍ وخطر
 مستحسنٍ صاحبه أعمى البصر
 والحقّ لا يدفع يوماً إنْ ظهر
 يلوح في أفنان هاتيك الشجر
 أو كعقيقٍ خرّطت منه أكر^(٢)
 يرنو إلى الناظر من حيث نظر
 أسلمه سلكُ نظامٍ فانتشر
 لناظريه أعينٌ فيها حور
 روعها من قانصٍ فرط الحذر^(٣)
 أوساطها بها من المسك أثر
 قد زينت بياضها سود الطرّر^(٤)
 إذا دعا الشاكل منها وصفر
 سرب قيانٍ فوق بسطٍ من حبر
 لامك من يعذل فيها أو عذر
 ما تشتهي حتى تواريك الحفر
 يبدّ نهار الشيب في ليل الشعّر
 من قبحه خلعُ عذارٍ في الكير

(١) الخفر : الحياء .

(٢) الأكر : الكتل .

(٣) اليعافير : جمع يعفور ، وهو ظبيّ بلون التراب .

(٤) الطرّر : خصال الشعر في مقدمة الرأس .

يا لائماً يعذلني في طربي
أعرف فضل العقل إلا أنه
الجهل ينبوع مسرات الفتى
فاجسر على ما تشتهي جهالة
واشرب عقاراً لو أصابت حجراً
عدوة الحزن الذي ما ظفرت
لو رام أن يجيره من كيدها
أرقها الدهر إلى أن شاكنت
خفية الحيلة في جسم الفتى
كأنما الأوطار فيها جمعت
لاسيماً من كف ظبي لم يشن
له سهام من لحاظ صيب
مزنر شككني في دينه
لأنه كالحور في تصويره
لو لم يكن زناره في وسطه
وبان منه نصفه عن نصفه
إن قلت يحكي قمراً عتقني
أنى يوازيه وهذا ناطق

حسبك قد أكثرت من هذا الهذر^(١)
لعيش من أثره عين الكدر
والعقل ينبوع الهموم والفكر
ما فاز باللذات إلا من جسر^(٢)
لطار من خفته ذاك الحجر
قط به إلا أساءت في الظفر
صرف الزمان الحتم يوماً ما قدر
من رقة شعر جميل وعمر
تحدث في الجسم ديباً وخدر^(٣)
فليس في العيش لجافها وطر^(٤)
بفرط طول لا ولا فرط قصر
كأنما يرمين عن قوس القدر
حتى أحلت الكفر فيمن قد كفر
والحور لا يسكنها الله سقر^(٥)
يمسك ضعف الخصر منه لانبتر
لكنه جاء له على قدر
عقل له أعدمه عند القمر
وذاك إن خوطب لم ينطق حصر^(٦)

(١) الهذر : الهذيان والكلام الذي لا طائل وراءه .

(٢) جسر : تجرأ .

(٣) اللبيب : المشي ، والخدر : الضعف والفتور .

(٤) الوطر : الحاجة .

(٥) سقر : جهنم .

(٦) حصرأ : إعياء .

يا لك منه منظراً أشهى إلى
يا طيب ذي الدنيا لنا منزلة

وقال أيضاً [من البسيط] :

علل فؤادك والدنيا أعاليل
ولا يصدئك عن أمرهممت به
فخير يومك يوم أنت فيه إذا
وإن أتوك فقالوا كن خليفتنا
فإن ذلك أمر مع نفاسته
وارض الخمول فلا يحظى بلذته
ولا تبع عاجل الدنيا بأجل ما
واسفك دم القهوة الصهباء تحي به
يا خائف الإثم فيها حين تشربها
قم فاسقني النض مما حرموه ، ولا
من قهوة عتقت في دنها حقبا
عروس كرم أتت تختال في حلال
كأنها بأكف القوم إذ جليت
في فتية جعلوا للهو طاعتهم
جليسهم ليس يروى من حديثهم
لا كالذين إذا ما كنت حاضرهم
تري مجالسهم مملوءة لجبا

قلبي من جنة عدن أو أسر
لو لم تكن نزعج منها بسفر

لا يشغلنك عن اللهو الأباطيل
من العواذل لا قال ولا قيل
ميزت في الناس محمود ومعدول
فقل لهم إنني عن ذاك مشغول
ونبله بفناء العمر موصول
إلا امرؤ خامل في الناس مجهول
ترجو فذلك أمر شأنه الطول
روحي فإن دم الصهباء مطلول^(١)
لا تقنطن فعفو الله مأمول
تعرض لما كثرت فيه الأفاويل^(٢)
كأنها في سواد الليل قنديل^(٣)
صفر على رأسها للمزج إكليل
ذوب من الذهب الإبريز محلول
فما لهم عن طريق اللهو معدول
يوماً وبعض حديث القوم مملول
ففي سكوتهم المأمول والسول
وكل ذاك فضول عنك معزول^(٤)

(١) المطلول : مباح سفكه .

(٢) نض الماء : سال قليلاً ، أو خرج رشحاً ، والناض : الزائد .

(٣) الحقب : مفردا حقة وهي مدة طويلة من الزمن .

(٤) اللجب : الصخب .

وقال أيضا [من مخلع البسيط] :

اشرب فقد طابت العقارُ
من قهوة ما انبرت لهمُ
لها جيوشُ من الملاهي
لألاؤها في الدجى نهارُ
إذا استقرت حشا لببٍ
لم يرها ناظرٌ حديدُ
خيالها جسمه لجينُ
كأنها تحته كميّتُ
لها لدى حزن شاريها
فالحزن عن أهلها مطارُ
فلا انتصار لذا عليها
يسعى بها جؤذرٌ غريبُ
يحسن مني الوقارُ إلا
أغار منّي عليه حتّى
كلّ جمالٍ ترى فمهُ
كأنّ صدغاً له تراه
ميدان آسٍ بدا جنياً
بيتٌ من الحسن لي إليه
زيارة البيت كلّ عامٍ

وابتسم الورد والبهارُ
إلاّ وولّى له انشمارُ^(١)
للهمّ قدامها الفرارُ
يظلم من نوره النهارُ
رأيتُه ما له قرارُ
إلا ثنى لحظه انكسارُ
وجسمها شخصه نضارُ^(٢)
عليه من فضةٍ عذارُ
ثأرُ وعند الحلم ثارُ
والحلم في إثره مطارُ
ولا عليها لذا انتصارُ
في لحظ أجفانه احورارُ
فيه فما يحسن الوقارُ
عليه من نفسه أغارُ
إذا تأملتُ مستعارُ
وهو على خدّ مدارُ
ألهب في جانبيه نارُ^(٣)
حجٌ مدى الدهر واعتمارُ
ودهر ذا كلّه يزارُ

(١) ولّى : ذهب ، وانشمار : انقباض .

(٢) اللجين : الفضة ، والنضار : الذهب .

(٣) الآس : الريحان .

من لاعج الشوق مستطاراً^(١)
للناس من شرطك اختصاراً
عليك إلاّ امرؤ حماراً

قلت له إذ بدا وقلبي
يا جامع الحسن كلّ حسن
ما فضل الغانيات عندي

وقوله أيضاً [من مخلع البسيط] :

وافترّ عن ثغره الغمام^(٢)
والصبر عن مثلها حرام
يدقّ شأنها الكلام
فما له عندها ذمام
ليس لمتشوره نظام^(٣)
عليه من فضة لجام
وهي لأعظامها قيام
ينفع منها ولا اعتصام
وخير من يصحب الكرام
ظرفاً ولا يكسد الغلام
بكلّ ما فعله أئام
وصفت من فضلهم إمام
في لحظ أجفانه سقام
للصبر قدامها انهزام
كمثل ما يثقل الملام
من قبل أن يفتن الحمام

اشرب فقد طابت المدام
من قهوة حرّمت علينا
جلّت عن الوصف فهي شيء
إذا استندم الأسى إليها
طوّفها الماء سمط درّ
كأنّها تحته كميّة
إذا بدت للهموم ظلّت
تلوذ منها فلا لواذ
في فتية كلّهم كريم
يكسد سوق الفتاة فيهم
أئمة كلّهم عليهم
لكنني فيهم على ما
وعندنا شادن غريب
للحسن قدّامه جيوش
يخفّ في حبّه التصابي
ذا العيش فافطن له وبادر

(١) لاعج الشوق : حرةً وشدّته ، ومستطار : أي شرر يطاير .

(٢) افترّ : تبسّم .

(٣) السمط : العقد .

يومٌ ، ويوم الهموم عامٌ

وانعم فعام السرور عندي

وقال أيضاً [من الكامل] :

وخلعت في طرق المجون عذاري
تهوى النفوس ممحَق الأعمار^(١)
فالعيش أجمع في ركوب العار
والعيش فهو تهتُّكُ الأستارِ
فبيت من الحسراتِ والأفكارِ؟
بِرمٍ بقرب الصَّاحِب المَهذارِ^(٢)
ولججت في الإرهَاب والإندارِ
بجميل عفو الواحد القَهَّارِ
تعذيب ذي جرمٍ على الإقرارِ^(٣)
فيه عليك طرائف الأنوارِ
شهدت بحكمة منزل الأمطارِ
من درهم بهجٍ ومن دينارِ
جلَّتْ عن الأثمان والأخطارِ
مثل الشموس قرنٌ بالأقمارِ
عرس السرور ومأتم الأطيَّارِ^(٤)
لم يحفلوا بنعيم تلك الدَّارِ
ما زال يسكن حانة الخَمَّارِ

جانبت بعدك عَفَّتِي ووقاري
ورأيت إشار الصبابة في الذي
لا تأمرُنِّي بالتسُّتُرِ في الهوى
إنَّ التوقُّر للحياة مكدَّرُ
من تابعت أمر المروءة نفسه
لا تكثرنَّ عليَّ إنَّ أخا الحجا
خوفتني بالنار جهدك دائماً
خوفي كخوفك غير أُنِّي واثقُ
أقررتُ أُنِّي مذنبٌ ومحرَّمُ
انظر إلى زهر الربيع وما جلتُ
أبدت لنا الأمطار فيه بدائعاً
ما شئت للأزهار في صحرائه
وجواهرٍ لولا تغيُّرُ حسنِها
من أبيضٍ يققٍ وأصفرٍ فاقعٍ
ناحت لنا الأطيَّار فيه فأرهجت
دارٌ له اتصل البقاء لأهلها
فانهضُ بنا نحو السَّروور فإنَّهُ

(١) ممحَق الأعمار : متلفها .

(٢) برم : ضجُر ومال .

(٣) الجرم : الذنب .

(٤) أرهجت : أقامت .

فاشرب معتقّة كأنّ نسيمها
أخفى ديبياً في مفاصل شربها
أحكامها في العقل إنّ هي حكمت
يرضى على الأقدار شاربها الذي
وكانها والكأس ساطعة بها
لا سيمّا من أغيد شادن
فضل الغصون لأنّها من غرسنا
قد غيب الزنار دقة خصره
متنصر قويت على إسلامنا
قالوا أيصنع مثل هذا ربكم
مع مسمع حلفت له أوتاره
فطن يحرك كلّ عضو ساكن
شدو إذا الحلماء زار حلومهم
والشدو أحسنه الذي لم يستمع
ذا العيش ، لا نعت المهامه والفلا
لا فرج الرحمن كربة جاهل
وقال أيضاً [من الخفيف] :

مسك تضوّعه يد العطار^(١)
وأدقّ الطافاً من المقدار
أحكام صرف الدهر في الأحرار
ما زال ذا سخط على الأقدار
ذوب تحلل في عقيق جاري
يسبي العقول بطرفه السحار
عند التأمل وهو غرس الباري
حتى ظنناه بلا زنار
بالحسن منه حجة الكفار
ويرى فساد صنيعه بالنار
أن لا تنافر رنة المزمار^(٢)
تحريكه لسواكن الأوتار
باعوا بطيب السخف كلّ وقار
إلا أطار العقل كلّ مطار
وسؤال رسم الدار والأحجار^(٣)
يكي على الأطلال والآثار

قد رضينا من الغزال الكحيل
وهجرنا سواه وهو منيل
بغرور العادات والتعليل^(٤)
وهويناه وهو غير منيل

(١) تضيّعه : تشرّبه .

(٢) المسمع : اسم فاعل من مصدر أسمع ، وأراد به المغنى .

(٣) نعت : وصف ، والمهامه : القفار .

(٤) العادات : جمع عدة ، وهي الوعد .

فكثير البغيض غير كثير
يا عدولي زعمت صبري صواباً
هلك العزم بين شوقٍ صحيحٍ
لا تعبٍ من هويتٍ بالبخل ، إني
يجمّل البخل بالملاح وإن كا
كلّ من سرّه حبيبٌ جوادٌ
وقال أيضاً [من الطويل] :

أست ترى وشيَ الربيع المنمنا
فقد حكت الأرض السماء بنورها
فخضرتها كالجوّ في حسن لونه
فمن نرجسٍ لما رأى حسن نفسه
وأبدى على الورد الجنيّ تطاولاً
وزهر شقيقٍ نازع الورد فضله
وظلٌّ لفرط الحزن يلطم خده
ومن سوسنٍ لما رأى الصبغ كله
تجلّب من زرق اليواقيت حلّة
وألوان مشورٍ تخالف شكلها
جواهر لو قد طال فينا بقاءها
فقم فاسقني ما حرّموه ، فما أرى

وما رصّع الربيع فيه ونظماً^(١)
فلم أدّر في التشبيه أيّهما السّما
وأنوارها تحكي لعينيك أنجما
تداخله عجبٌ بها فتبسّماً
فأظهر غيظ الورد في خده دما
فزاد عليه الورد فضلاً وقدمًا
فأظهر فيه اللّطم جمرًا مضرّمًا^(٢)
على كلّ أنوار الرياض تقسّماً
فأغربَ في الملبوس منه وأعلما^(٣)
فظلّ بها شكل الربيع متمّما
رأيت بها كلّ الملوك مختما
من العيش حلواً غير ما قيل حرّما

(١) الربيع : مطر الربيع .

(٢) المضرّم ؛ المتقدّم .

(٣) تجلبب : أي لبس ، وأعلم : أي صار معروفاً عن غيره .

وقال أيضاً [من البسيط]:

قالوا عشقت كثير البخل ممتنعا
لو جاد هانٍ وقيل الجود عادته
وقال [من الطويل]:

أرجي دنو الوصل من بعد بعده
وأكثر في الهجر العتاب كأنتي
وأهوى مواعيد المنى عنك بالرضى
وقال [من الرمل]:

حبذا زورٌ أتاني طارقاً بعد اجتنابه
شقّ جنح الليل بدرٌ لاح من ثني نقابه
طربت نفسي إليه وإلى طيب اقترابه
طرب الشّيح إذا دُكّر أيام شبابه

وقال [من مخلع البسيط]:

خلعت في حبّه عذاري
وذقت طعم الجنون فيه
إنّ أبدٍ في حبّه خضوعاً
لو كان في الحبّ لي اختيارٌ
من روحه في يديّ سواه
لا تحمدوني على احتمالي
وطاب لي العيش باشتهاري
فكان أحلى من العقار^(١)
فليس ذلّ الهوى بعارٍ
لكان تركي له اختياري
فهو حقيقٌ بأن يداري
هوانه واحمدوا اصطباري

(١) العقار : الخمر .

وقال [من البسيط]:

متى وعدتك في ترك الهوى عدةً
أما ترى الليل قد ولّت عساكره
وجدّ في أثر الجوزاء يطلبها
كصولجان لجين في يدي ملكه
فم بنا نصطبح صفراء صافيةً
عروس كرم أتت تختال في حلل
وقال [من المنسرح]:

قم فاسقني والخليج مضطرب
كأنّها والرياح تعطفها
والجوّ في حلّة ممسكة
وقال [من الخفيف]:

وسحاب إذا همى الماء فيه
مثل ماء العيون لم تجر إلاّ
وقال [من الخفيف]:

جوهريّ الأوصاف يقصر عنه
شارب من زبرجد وثنايا
وقال [من السريع]:

صوّره خالقه جامعاً
لكلّ شيء حسن بارع

(١) اللجب : الكثير العدد والصخب .

(٢) العذب : أطراف الرماح .

وكلّ حسنٍ من جميع الوري مختصراً من ذلك الجامع
وقال [من المنسرح]:

عشقت من لا ألام فيه وما يخلو من اللوم كلٌّ من عشقا
رأيُ الوري في سواه مختلفٌ وأنت تلقاه فيه متفقاً
وكل قلبٍ إليه منصرفٌ كأنه من جميعها خلقاً
ألم فيه بقول إسحاق بن إبراهيم الموصلي : « خلق من كل قلب ، فهو يغني كلاً ما
يشتيه » .

وقال [من الخفيف]:

زارني في دجا الظلام البهيم قمرٌ بات مؤنسي ونديمي
بحديثٍ كأنه عودة الصّحّة في الجسم بعد يأس السّقيم
تتلقى القلوب منه قبلاً كتلقّي المخمور برد النسيم
وقال [من الوافر]:

ظفرتُ بقبله منه اختلاصاً وكنت من الرقيب على حذارٍ
ألدُّ من الصّبوح على غمامٍ ومن برد النسيم على خمارٍ^(١)
وقال [من الكامل]:

لا تلفينٌ مقارناً من لا يزين من الصّحاب
فالثوب ينفذ صبغه فيما يليه من الثياب

وقال [من السريع]:

ريقٌ إذا ما ازددت من شربه رياً ثنائي الريّ ظمّانا

(١) الصبوح : شرب الخمر صباحاً .

كالخمر أروى ما يكون الفتى من شربها أعطش ما كانا
وقال [من الخفيف]:

حملت كأسه إلى شفتيه كفّه والظلام مرخي الإزار
فالتقى لؤلؤا حبابٍ وثغري وعقيقان من فمٍ وعقارٍ
وقال [من الطويل]:

وصفرا من ماء الكروم كأنها فراقٌ عدوٌّ أو لقاء صديقٍ
كأنّ الحباب المستدير بطوقها كواكب درّ في سماء عقيقٍ
صببت عليها الماء حتّى تعوّضت قميص بهارٍ من قميص شقيقٍ
وقال [من الوافر]:

سلا عن حبّك القلب المشوق فما يصبو إليك ولا يتوق^(١)
جفاؤك كان عنك لنا عزاءً وقد يسلى عن الولد العقوق
وقال [من المجث]:

كانّ أوراق زهرٍ للباقلاء بهيه
خواتمٌ من لجينٍ فصوصها حبشيه
وقال [من الكامل]:

أسنى الأمانى كلّها وأجلّ منها ما ينالُ
كأسٌ ومسمعةٌ وإخوان تحادثهم ومالُ
وقال [من مخرج البسيط]:

أبصره عاذلي عليه ولم يكن قبل ذا رآه

(١) سلا : من السلو ، وهو التجمّل والنسيان ، ويتوق : يشواق .

فقال لي لو هويت هذا ما لامك الناس في هواه
 قل لي إلى إلى من عدلت عنه فليس أهل الهوى سواء^(١)
 فظل من حيث ليس يدري يأمر بالحب من نهاه

وقال في ثقیل [من البسيط] :

ما السقم في سفر والدین مع عدم يوماً بأثقل منه حين يلقاني
 مالي عليه معين حين أبصره غير الصدود وتغميضي لأجفاني

وقال [من الكامل] :

إن كان قد بعد اللقاء فودنا دان ونحن على النوى أحباب
 كم قاطع للوصل يؤمن وده ومواصل بوداده يرتاب

وقال [من الرمل] :

لا و وعد الوصل باللحظ على رغم الرقيب
 واختلاس القبله الخلوقة من خد الحبيب
 وساع مستطاب جاء في لفظ مصيب
 ما سوى الراح لداء الهم عندي من طيب

وقال [من الكامل] :

يا من إذا لاح محاسن وجهه غفرت بدائعها جميع ذنوبه
 النجم يعلم أن عيني في الدجا معقودة بطلوعه وغروبه
 إن كان في تعذيب قلبي راحة لك فاجتهد بالله في تعذيبه
 لو كان سفك دمسي إليك محبباً لرأيتني متضرجاً بصيبه^(٢)

(١) عدلت : ملت وغيّرت .

(٢) متضرجاً بصيبه : أي مصبوغاً بما يسيل منه من الدماء .

وقال [من الكامل] :

ازهد إذا الدنيا أنالتك المنى فهناك زهدك من شروط الدين
فالزهد في الدنيا إذا ما رمتها فأبت عليك كعفة العين^(١)

وقال [من المجتث] :

لا تحسدن صديقاً على تزايد نعمة
فإن ذلك عندي سقوط نفس وهمة

وقال [من المجتث] :

وجلنار بهي ضرامه يتوقد
بدا لنا في غصون خضر من الرى ميد^(٢)
يحكى فصوص عقيق في قبة من زبرجد

وقال [من السريع] :

أقبل والعدال يلحونني فكلهم قال : من البدر؟
فقلت : ذا من طال في حبه منكم لي التعنيف والزجر
قالوا : جهلنا فاغفر جهلنا فليس عن ذا لامرئ صبر
عذك في الحب له واضح وما لنا في لومنا عذر

وقال [من خلع البسيط] :

بما بعينيك من فتون ومن فتور بها وسحر
وبالعدار الذي تولى خلع عذارى وبسط عذري

(١) العين : الفاقد الفحولة .

(٢) ميد : متميلة .

ومضحكٍ منك لؤلؤيٌ
ممتزجٌ مسكه بخمر
جدُّ لي بالصَّفح عن ذنوبي
أولا فعاقبٌ بغير هجر

وقال [من مخلع البسيط]:

عدت إلى الغيِّ بعد نسكي
أضحك للكاشحين جهراً
تمنعني أن أبوحَ نفسُ
تأنفُ من ذلَّةِ التَّشكِّي
عيني التي أوقعت فؤادي
يا عين ماذا لقيت منك

وقال [من مخلع البسيط]:

واحربي من جفون ظبي
أسقم جسمي بسقم طرفي
عجبت من جمر وجنتيه
أقام عذري به عذاره
أشاهد عقل الفتى اختياره
يحرقني دونه استعاره
هذا اختياري فأبصروه

وقال [من الكامل]:

لا تقبلن من الرشيد كلامه
ودع التزمت والتجمل للورى
واشرب مزعفرة القميص سلافة
وإذا رمت الهموم بسهمها
كبت العدو ورغم أنف العذل
لم يخط نافذه سواء المقتل
فالعيش ليس يطيب بالمتجمل^(١)
من صبغة البردان أو قطربل^(٢)
تحلو وتعذب في النفوس كأنها

(١) الغي: الضلال ، والمحك : من المماحكة .

(٢) التزمت : التضييق والتشدد .

(٣) المزعفرة : المصبوغة بالزعفران ، وهو نبات زهره أحمر إلى صفرة ، له أصل كالبصل .

معها ويُفتح كل بابٍ مقفل
نارٌ لعمرك ليس تؤذي المصطلي^(١)
ترنو بناظرتي خذولٍ مطلق^(٢)

وقال [من الوافر]:

وقد بعد اللقاء على التداني
جعلت فداك يا مولاي ثاني
وما يرضى الخليل إذا أتاني
تأنقه فليس له مداني
وظاهره غلالة زعفران
لها حجبٌ كمنظوم الجمان
تطرف منه مبيضُ البنان^(٣)
تمكّن طالعاً في غصن بانٍ
محذقةً بأصناف الأغاني
بتحريك الثالث والمثاني
لعمرك ما كفاك وما كفاني
تمّ لنا بزورته الأمانى

حمراء يرحبُ كل صدرٍ ضيقٍ
تحكى ضرام النار إلا أنها
لا سيما من كفّ طاوية الحشا

كتبت وفرط شوقي قد عناني
وما في البيت لي ثانٍ فكن لي
فغندي ما يجاوز كل وصفٍ
خروفٌ أظهر الشواء فيه
غلالة باطنٍ منه لجينٌ
وكأسٌ مثل عين الديك صرفٌ
لها في كفّ شاربها شعاعٌ
يطوف بشمسها قمرٌ منيرٌ
وإن أحببت مسمعةً أتتنا
تطلق همّ سامعها ثلاثا
فهذا عندنا، ولدون هذا
فزرنا لاعدمتك من صديقٍ

وقال [من الخفيف]:

فَحُمُ شِبْهُ الغلام وأدلى في كوانينه حياة النفوس^(٤)

(١) ضرام النار : إيقادها .

(٢) الخذول : الكثيرة الخذل وهي التي تتخلف عن القطيع وتتفرد ، والمطفل : التي تربّي أطفالها .

(٣) تطرف : تزين وتوشّح .

(٤) شِبْهُ : أوقده .

كان كالآبنوس غير على فغدا وهو مذهب الآبنوس
لقي النار في ثياب حداد فكسته مصبغات عروس

وقال [من الخفيف]:

بتُّ ضيفاً لسيد يمني فقراني والجود قدماً يمني
وأنت عرسه تغازل إيري قلت لا تفعلني فليستُ بزاني
ولو أني فعلت ما كنت ممن يتصدى لنسوة الإخوان
فأتاني وقال نكها بعيشي فهي موقوفة على الضيفان
قلت قد زدت في الضيافة معنى ما عرفناه في قديم الزمان
قال من أجل ذاك طار لي اسمُ وألح الضيوف في غشيان^(١)
فمتى يدعى مع اسمي ضيوفُ قيل مرعى وليس كالسعدان

* * *

٣٠ - القاضي أبو الحسن علي بن النعمان

أنشدني له ابن وهب [من المنسرح]:

ولي صديقٌ ما مسني عدمٌ مذ وقعت عينه على عدمي
أغنى وأقنى فما يكلفني تقبيل كفٍّ له ولا قدم
قام بأمري لما قعدت به ونمت عن حاجتي ولم ينم

وأنشدني له أيضاً [من مجزوء الوافر]:

صديق لي له أدبٌ صداقة مثله نسبُ
رعى لي فوق ما يرعى وأوجب فوق ما يجبُ

(١) الغشيان : الأم والقصد والنزول .

فلو نقدت خلائقه لبهرج عندها الذهب^(١)

* * *

٣١ - إسحاق بن أحمد بن المارديني

أنشدني له ابن وهب يصف الثريا [من السريع] :

أرقني الشوق فلم أكتحلُ	بلذة الغمض إلى الفجر
تسري همومي فأراعي بها	كواكباً دائبةً تسري
حتى كأنّ البدر إذ أشرقتُ	على الثريا غرةً البدر
صفحة مرآةٍ وقد أذهبتُ	بمقبضٍ رصعٍ بالدر

وله في الليل والنجوم [من البسيط] :

كم مجهلٍ بسواد الليل ملتبسٍ	باتت تقمّه العيسُ المراسيلُ
ليلٌ قد اختلفت أشكال أنجمه	كأنهنّ عيونٌ للدجى حولُ
تبدو الثريا ككفٍّ للدعاء بها	قد مدها الصبح والجوزاء إكليلُ
تلوى رقاب المطايا من تطاوله	وينهض الفجر فيه وهو مشكول

* * *

٣٢ - القاضي أبو عبد الله محمد بن النعمان

أنشدني له عبد الصمد بن وهب هذه الأبيات وهي مما يتغنى بها [من الرمل] :

ربّ ليلٍ لم أذقُ فيه الكرى	حظّ عيني فيه دمعٌ وسهرٌ
طال حتى خلته لا ينقضي	ونأى الصبح فما منه أثرٌ

(١) نقدت : أي جعلت نقوداً ، وبهرج الذهب : زيفه ، أو أصبح رديئاً .

غاب عني قمرٌ أحبته فتعللت بأنوارِ القمرِ
كلما هيج شوقي حزنِي صحت ياليلي أما فيك سحرُ
وقال [من الخفيف] :

ربَّ خودِ عرفتُ في عرفاتِ سلبتني في حسنِها حسناتي
حرمت يومَ أحرمت نومَ عيني واستباححت حماي باللحظات^(١)
وأفاضت مع الحجيج ففاضت من جنوني سواكب العبراتِ
ولقد أضمرت بقلبي جمرأً حين راحت للرمي بالجمراتِ^(٢)
لم أنل من منى منى النفس حتى خفت بالخيف أن تكون وفاتي^(٣)
وقال يصف الهلال [من المنسرح] :

انظرُ الى حسنِ ذا الهلالِ وقد بدا لست مضيئاً من عُمره
وقد أطافت به كواكبه حسناً فيبته لمعتبه
مثل زنادٍ قد صيغ من ذهبٍ يقدح ناراً وهن من شره
ثم تولى يريد مغربه في شفق الشمس وهي في أثره
فخلته غائصاً ببحر دمٍ يقذف بالرائعات من دره
فلم أزل ليلتي أراجعه لحظي وأبكي للوقت من قصره
حتى تبدى الصباح متبهاً قبل انتباه المخور من سكره
وقوله في مليح بعمامة حرير حمراء [من الكامل] :

يا من يمرُّ ولا تمرُّ به القلوب من الحرق

(١) استباححت الحمى : أي جعلته مباحاً لها تدخله ساعة تشاء .

(٢) أضمرت : أشعلت ، والجمرات : من مناسك الحج ، وهو مكان يرمى به بالحصى .

(٣) منى والخيف : أماكن فيها بعض مناسك الحج .

بعمامةٍ من خدّه أو خدّه منها سرق
فكأنّها وكأنّه قمرٌ أحاط به شفقٌ
فإذا مشى وإذا انثنى وإذا رنا وإذا نطقٌ
شغل الجوارح والخواطر والمسامع والحدق

* * *

٣٣ - صالح بن مؤنس

أنشدني له ابن وهب في ابن رشد بن صالح [من السريع] :

يفديك بالمهجة يا صالح من كلّ ما يكرهه صالح
فأنت غصنٌ صيغ من درّة على ذراه قمرٌ لائح

وله فيه بديها [من الهزج] :

شربنا مثل ماء الور د في الطيّب على الورد
ونادمت ابن رشد بن فما حدث عن الرشد
فتى كالبدر في الرفعة والإشراق والسعد
كأني منه في الجنة لو أظفر بالخلد

وله فيه [من مجزوء الرمل] :

بك يا صالح أرضى عن زمانى حين أسخط
فأدم لي الوصل إني بك في العالم أغبط
أنت والرحمن مذ كنت على قلبي مسلط
ومصيب أنا في الحب ومن بعدي يغلط
يا جواداً في لهاه بندها أتبسّط^(١)

(١) لهاه : عطايه ، واتبسّط : أتكرّم وأتوسّع في العيش .

أسقط الحشمة في العشرة فالحشمة تسقط

وله جارية اسمها خمرة وأضمرة [من الكامل] :

ما اسم إذا صحفته وعكسته ونقصت حرفاً منه كان سلاحاً^(١)
وإذا قام ولم يحل عن حاله عادى العقول وصالح الأرواح

وله في بعض آل الفرات [من المجث] :

قد مرَّ عيدٌ وعيدٌ ما اخضرَّ لي فيه عودٌ
وكيف يخضرُّ عودي والماء منه بعيدٌ ؟
يا من له عددُ المجد كلها والعديدُ
آل الفرات نداهم على الفرات يزيدُ
وأنت فضلك فيهم عليك منه شهودُ
وكلَّ يومٍ لغيري من راحتك مدودُ
هل لي إلى الرزق ذنبٌ إن كان منه صدودُ ؟
ما الناس إلا شقيُّ في دهرنا وسعيدُ

وقال في صفة جدي [من الرجز] :

جدُّ لي بجدي نعته من اسمه لم يلج التنور مثل جسمه
كأن بين جلده ولحمه لقات قطنٍ بسطت من شحمه
* يؤكل من نعمته بعظمه *

وله يصف رعوساً [من الخفيف] :

قد غدونا على رعوسٍ سمانٍ ناعماتٍ من رؤس الخرفانِ

(١) « خمرة » إذا صحفته صار « حمرة » فإذا عكسته بعد حذف حرفه منه صار « رمح » وهو من أدوات القتال .

شحماتِ العيونِ والأذانِ
مسها كفَّ آكلٍ بينانِ
لك من الطيبِ مصَّ طرفِ اللسانِ
كوجوهِ المخدَّراتِ الحسانِ
ض وتنسيكِ خضرةِ البستانِ
واح مثل الأرواحِ في الأبدانِ
فرأينا السرورَ في الأحزانِ
وهو عبدٌ لسائرِ الإخوانِ
فأريت الزَّمانَ حكمَ الزَّمانِ

وارماتِ الخدودِ من غيرِ سوءٍ
تتداعى بالوهمِ من قبل أن تد
ولأصلِ اللسانِ طيبٌ ينسي
ورقاقٍ ذي نعمةٍ وبياضٍ
وبقولٍ تغنيك عن زهرةِ الرو
وأنت راحنا التي هي في الأر
ثم وافى بنفسجٍ في حدادٍ
عند حرٍّ يستنفد الوصف مدحاً
أحكمتك الأيام يا ابن حكيمٍ

وقال أيضاً [من الطويل] :

وأمدح من شرَّابها كلَّ مدمن^(١)
ولا تحسن الأيام إلاَّ لمحسنٍ

سأدمنُ شربِ الراح ما دمتُ باقياً
فما تكمل الأوقات إلاَّ بقهوةٍ

وقال [من السريع] :

وخفض الصَّوت عن الرفعِ
فإنَّما خاف من الصَّعقِ^(٢)

إذا هجا الشاعر في خفيةٍ
ولاذ بالجحد لما قاله

وقال في يوم شديد البرد [من البسيط] :

من قرَّه شَعَرُ الهاماتِ بالرَّعدِ
قبضت فيه على جمر الغضا بيدي^(٣)

هذا لعمرك يومٌ يستطيع له
لو شئت لا خائفاً لذعاً ولا ألماً

(١) أدمن الشراب : أي أصبح الشراب عنده عادة لا يستطيع مفارقتها .

(٢) الجحد : الإنكار .

(٣) الغضا : شجر فحمه أو حطبه شديد التوقد والحرارة .

وله في غلام صوفي [من السريع] :

عشقت صوفياً له شاهدٌ يقيم عذري عند عذالي
قد قصد الله بأحواله فليته يقصد في حالي^(١)

وقال يهجو عبيد الله بن أبي الجوع من قصيدة أولها [من السريع] :

هاجيك فيما قاله ماحٌ فأنت في صفقتك الرابعُ
وما يقوت الفيل من بقّةٍ أمثالها في فمه طائحُ
وربّ من ترفعه خزيةٌ ميسمها في وجهه لائحُ^(٢)
ففخر عبد الله في الناس أن يقول قد ناقضني صالحُ
يا ابن أبي الجوع قدحْتَ امرأً من فكره يحترق القادح
لقد تعرّضت على غرةٍ قريحةٍ صاحبها قارحُ^(٣)
فاركب ذلول الأمر أو صعبه فيّ فقد جدّ بك المازح
وعقّ من أهلك من شتته فإنّما أنت له فاضحُ^(٤)
واغد بما تهوى وروح إنّي غادٍ بما تكرهه رائحُ
يا أيّها الصعو الذي لم يزل يرقص حتى دقّه الجارحُ^(٥)

ومنها :

إن زأر الليث على ما أرى وهاج يوماً ضرط النابحُ
وودّ أن يفلت من بعدما أنحى على أوداجه الذابحُ

(١) أحواله : طرائقه بالعبادة .

(٢) الميسم : الأثر والعلامة .

(٣) الغرة : الجهل ، والقارح : من ذي الحافر : ما شقّت نابه وطلعت ، يقصد أنه قادر على مواجهته وليس صغيراً .

(٤) عقّ : من العقوق ، وهو نكران الجميل وجود الفضل .

(٥) الصعو : العصفور الصغير .

إِنَّ الَّذِي تَطْمَعُ فِي قَرْبِهِ
 يَا شَارِباً فِي يَدِهِ حَتْفَهُ
 أَرَاكَ قَدْ لَجَجْتَ فِي غَمْرَةٍ
 فَقَدْ تَمَرَّسْتَ بِمَنْ شَعْرَهُ
 كَمْ جَامِحٍ قَبْلَكَ أَلْجَمْتَهُ
 نَجْمٌ لِمَنْ يَرْمِقُهُ لَائِحٌ
 لَمْ تَدْرِ مَا خَاضَ لَكَ الْجَارِحُ
 يَغْرُقُ فِي تَيَارِهَا السَّابِحُ
 كَالْبَحْرِ لَا يَتَزَفُّ الْمَاتِحُ^(١)
 بِالذَّلِّ حَتَّى سَكَنَ الْجَامِحُ^(٢)

وقوله فيه [من السريع] :

يَا ذَا الَّذِي عَنْ رَشْدِهِ قَدْ عَمِي
 لَوْ كُنْتَ شَهْماً حَازِماً ضَابِطاً
 مَا أَنْتَ فِي فَعْلِكَ إِلَّا كَمَنْ
 كَيْفَ يَخْوُضُ الْبَحْرَ مِنْ مِثْلِهِ
 فَاثِبْتُ أَوْ أَجْزَعُ كُلِّ ذَا وَاحِدٍ
 اسْتَغْدِرَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ مَا
 تَجَاسَرَ الْجُوعُ عَلَى صَالِحٍ
 وَفَاهٍ بِاسْمِي مَفْصَحاً بَعْدَمَا
 وَقَالَ قَوْماً قَدْ غَدَا شَاعِراً
 فَقُلْتُ لَا لَوْماً عَلَى مِثْلِهِ
 أَنَا الَّذِي أَلْبَسْتَهُ حَسْرَةً
 وَاللَّهُ لَا يَجْهَلُ مِنْ بَعْدِهَا
 لَوْ كُنْتُ جِلْداً حَدَثَ عَنْ أَهْمِي
 لَمَا تَقَلَّبْتَ عَلَى الشَّيْهِمِ^(٣)
 تَطْعَمَ الرِّيقَ مِنَ الْأَرْقَمِ^(٤)
 يَغْرُقُ فِي دَائِرَةِ الدَّرْهِمِ
 لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ لِمُسْتَعْصِمٍ
 أَلْصَقَ مِنْكَ الْأَنْفَ بِالْمَرْغَمِ
 تَجَاسَرَ الْكَلْبُ عَلَى الضَّيْغَمِ^(٥)
 تَرَكْتَهُ أَسَكْتَ مِنْ أَبْكَمِ^(٦)
 وَالشَّعْرَ لَا يَعْرِفُ لِلْمَفْحَمِ
 مِنْ أَخَذِ الصَّقْعِ قَفَاهُ حَمِي
 بِمَا جَرَى مِنْ ذِكْرِهِ فِي فَمِي
 وَفِي قَفَاهُ لِلرَّدَى مِيسَمِي

(١) الماتح : الغارِف منه ويتزفه : يقنيه .

(٢) الجامح : الشرود .

(٣) الشيهم : الدلدل ، وذكر القنفذ ، أو ما عظم شوكة من ذكرانها .

(٤) الأرقم : الأفعى السامة .

(٥) الضيغم : الحيوان المغترس .

(٦) الأبكم : الأخرس .

أَبَيِّنْ بِهِ مِنْ مَيْسَمٍ وَاضِحٍ . يَضِيءُ كَالْغُرَّةِ فِي الْأَدْهَمِ^(١)
فَلَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ رَامَ الْعَلَا
وَمِنْهَا :

ثُمَّ أَتَيْتُ بِالضَّعْوِ مُسْتَبْشِراً
فِي الثَّمَرِ الْمَرْدِلُ عَلَى
رِدَاءِ الْأَصْلِ لِمُسْتَطْعَمٍ^(٢)
يُرُومُ أَنْ يَلْحُقَ بِالْقَشْعَمِ^(٣)

وَلَهُ فِيهِ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

لَا تَعْجِبْنِي لِسُكُوتِي بَعْدَ أَشْجَانِي
قَدْ أَرَقْتُ اللَّهَ دَمْعِي بَعْدَ جَرِيتهِ
فَمَا أَرَى أَحَدًا يُصْفِي الْهَوَى أَحَدًا
لَمْ يَبْقَ بَيْنَ الْوَرَى إِلَّا مَكَاشِرَةٌ
أَقُولُ لَابْنِ أَبِي الْجَوْعِ الْمَنَافِقِ إِذْ
أَرَاكَ تَقْرَعُنِي سِرًّا وَتَعْجَمُنِي
تَرَدُّ فِي جِهَةِ النَّقَارِ مَعُولُهُ
الْعَزُّ دَارِي وَظَهَرَ الْعِزْمُ رَاحِلَتِي

وَلَهُ فِي الْعِنَاقِ ، وَأَحْسَنَ مَا شَاءَ [مِنْ السَّرِيعِ] :

لِي سَيِّدٌ مَا مِثْلُهُ سَيِّدٌ
عَانَقْتَهُ عِنْدَ مُوَافَاتِهَا
تَصَدَّتِ الْحَمَى لَهُ فَاشْتَكَى
وَالْأَفْقُ بِاللَّيْلِ قَدْ احْلُولُكَ

(١) الميسم : الأثر والعلامة . والغرة : بياض في رأس الفرس ، والأدهم ، من الخيل : ما كان لونه مائلاً إلى الحمرة والسواد .

(٢) القشعم : النسر المسن .

(٣) أرقاً : كفّ .

(٤) ترقع : تطرق ، وتعجم : تحك وتنفخض .

(٥) الكدّان : القوي الكثير الشحم واللحم .

فجاءت الحمى كعادتها فلم تجد ما بيننا مسلکا

وقوله يصف برادة على حامل نحاس [من الكامل] :

أُمُّ الحَيَاةِ عَلَى سِرِيرِ نَحَاسٍ عَرِيَانَةٌ أَبْدَأُ بِغَيْرِ لِبَاسٍ
هِيَ فِي الْمَوَاتِ لَدَى الْوَرَى مَعْدُودَةٌ لَكِنَّهَا ضَمِنَتْ حَيَاةَ النَّاسِ

وقوله [من الوافر] :

بَعِينَ اللَّهُ أَنْتَ فَإِنَّ عَيْنِي إِذَا مَا غَبْتَ دَامِيَةَ الْجَفُونِ
كَأَنَّكَ مَهْجَتِي فَإِذَا تَدَانِي فِرَاقُكَ حَمًّا لِي رَيْبُ الْمُنُونِ^(١)

وقال يصف البنفسج والورد [من مixel البسيط] :

بِنَفْسِجٍ جَاءَ فِي حَدَادٍ وَوَرْدَنَا فِي مَعْصِفَاتٍ
فَاشْرَبَ عَلَى مَاتَمٍ وَعَرَسٍ جَلَا جَمِيعاً عَنِ الصَّفَاتِ

وسأله ابن رشد بن المسير معه إلى القاش فقال مرتجلاً [من المنسرح] :

يَا آمِرِي بِالْمَسِيرِ فِي لَجَجِ السَّنِيلِ كَأَنَّ سَخَّرْتُ لِي الرِّيحَ
مَا جَمَدَ الْمَاءُ لِي فَأَرْكَبُهُ كَلًّا ، وَلَا صَامَتِ التَّمَاسِيحُ

* * *

٣٤ - محمد بن الحسن اليماني

أنشدت له في صالح [من المجتث] :

يَا قَاطِعِي بَعْدَ وَصَلٍ تَسُومُ مَا لَا أَسُومُكَ^(٢)

(١) حم : نزل ، وحم القضاء : أي نزل .

(٢) الوصل : من الوصال وهو القرب ، وتسوم : من سام : أي عرض البضاعة وغيرها للبيع وذكر ثمنها ، وسامه الخسف : أذله .

يا ليت أتى يوماً من الزمان نديمك
فالشوق عندي غريمٌ كما السلو غريمك
وقوله [من مجزوء الرمل] :

فاضح الغصنِ النضير كاسف البدر المنير
أنت عذري في حياتي ومماتي ونشوري
ما سرورٌ غاب عنه صالحٌ لي بسرورٍ

٣٥ - محمد بن هرون بن الأكتمي

أنشدت له في بعض الوزراء يهجوهُ [من مجزوء الخفيف] :

يا وزيراً إلى المكايل والبيع ينسب
من يرُم حَبَّك يتعبُ وأمانيه تكذبُ
وإذا ما رجوته قلت ما مات أشعب
يا وضيعاً ترجِّل الـ مجد مذ صار يركب^(١)

وله يهجو ابني كشاجم أبا النصر وأبا الفرج [من الكامل] :

يا ابني كشاجم أنتما مستعملان مجربان
مات المشوم أبوكما فخلفتماه على المكان^(٢)
وقرنتما في عصرنا ففعلتما فعل القران
لغلاء أسعار الطعا م وميتة الملك الهجان

وقوله في عزاء [من الوافر] :

بقاؤكما يعيد الميت حياً وإن غطاه دونكما الترابُ

(١) ترجِّل : أي أصبح يمشي على رجليه .

(٢) المشوم : من المشؤم خففت الهمزة للضرورة الشعرية .

فلا تستشعرا حزناً عليه فيذهب لاعدمتكما الثوابُ

وله في غلامه راشد [من مخلع البسيط] :

يا قمر الليل كن شهيدى	فأنت من أعدل الشهود
هل نمت أو ذقت طعم غمضٍ	مذ هجعت أعين الرقودِ
وكيف يلتذُّ باغتماضٍ	من لجَّ مولاه في الصدودِ
فكن شفيعى إلى حبيبٍ	قد زاد في كثرة الجحودِ

وقال رحمه الله [من المتقارب] :

كأنَّ الأباريق مملوءةٌ	ظباءٌ وقوفٌ على ساحلٍ
رمaha بأسهمه قانصٌ	فخضبها بالدم السائلِ

وقوله في شمعة [من مجزوء الرجز] :

باكيةٌ	ضاحكةٌ	خدأها	جلاسها
مظهرةٌ	أنوارها	إن جزَّ منها رأسها	
كأنها	عاشقةٌ	تذيبها	أنفاسها

وقال [من السريع] :

لو أنصفتُ عطفْتُ أو رقتُ	ما أضنتُ الجسم ولا سلْتُ
أفدي التي إن أقبلتُ أقبلتُ	دنيائى أو غنَّتْ لنا أغنتِ

وقال [من مخلع البسيط] :

يا أيها ذا أستمعُ مقالى	فليس في قصتي ضلالُ
ثلاثةٌ مالها مثالُ	السَّجن والجوع والعيالُ
إن دام هذا علىَّ منهمُ	صحَّحت ما شنعوا وقالوا
أليس إن متَّ مات شعري	أفنى وما قلته يقالُ

وقوله [من مجزوء الرمل] :

أكثر العذال لومي يا ابن رشدين وزادوا
وبقلبي منك وجدٌ ماله الدهر نفاذُ
قد تجافى عن جفوني مذ تجافيتُ الرقادُ
فيك يا صالح للقلب صلاحٌ وفسادُ
أنا من حبك مولا ي عليلٌ لا أعاد^(١)

وقوله [من السريع] :

دافعت أيامي بأيامي حتى مضى أكثر أعوامي
وإنما عمر الفتى كله كأنه طارقُ أحلام
يا ويح من أمسى على غرةٍ وأنفه من حتفه دامي^(٢)
يرمى بسهمٍ للردى صائبٍ من حيث لا يشعر بالرامي

* * *

٣٦ - عبيد الله بن محمد بن أبي الجوع

أحد رواه المتنبي الأدباء ، وأصحابه العلماء ، وممن تمهر في لغات العرب
وأجاد أنواع الأدب ، فمن شعره قوله رحمه الله تعالى [من المتقارب] :

أظنك يا سيدي إذ جفوت توهّمت بي نبوة الغادر^(٣)
وخلت بآني ملالاً سلوتُ ولست بسالٍ ولا صابرٍ
وقد علم الله أنني عليه ك أشفق منّي على ناظري

(١) أعاد : أزار .

(٢) الغرة : الغفلة ، والحتف : الموت والهلاك .

(٣) النبوة : الجفوة والبعد .

وقال [من السريع] :

صالح يا مشبه بدر الدجى بالحسن والإشراق والرفعة
وجهك في الليل كشمس الضحى نوراً فما تصنع بالشمعة

وقال [من المجتث] :

يا أطيّب الناس ريحاً وأطيّب الناس راحا
وما به أتصدى الـ أطراب والأفراحا
هات اسقني أو تراني لا أعرف الأقداحا
واحفظ عليّ فؤادي من أن يطير ارتياحا
لو كنت كاسمك يا صا لح اعتمدت الصّلاحا
لكن أبى الله إلّا أن تفسد الأرواحا

قال : وكتب إلى بعض إخوانه يستدعيه بهذه الأبيات [من المجتث] :

شعبان قد صار نضواً ولم نفذ فيه لهوا؟^(١)
وليس ذلك منّا جهلاً ولا كان سهوا
فبالمودة إلّا بكرت للقصف عدوا^(٢)
حتى نقوم فنفروا ما خرق الدهر رفوا^(٣)
من بعد تقديم جدي مسمّن ظلّ يشوى
له ثلاثون يوماً يحبو إلى الضّرع حبوا^(٤)
وأوفر الزّور في الخـ ملّ قد تبوّأ مثوى

(١) النضو : الهزيل ، أي أنّ قمر شعبان أصبح في لياليه الأخيرة وهذا دليل على انتهائه .

(٢) القصف : اللهو ، والعدو : الإسراع في السير .

(٣) نفروا : أي نصلح عيب الثوب أو ما تمزّق منه .

(٤) الضّرع : الثدي .

لما انتزعت حشاه	عوّضته البقل حشوا
وقد عنيت بجامٍ	ملأته لك حلوى
وقهوة بنت كرمٍ	صفت من الذمّ صفوا
ما شعشت قطّ إلاّ	سظت على الهمّ سطوا
جَبَّتها كلّ وغدٍ	يمحو المحاسن محوا
إلاّ إذا ما اقتنصنا	عذب الخلائق حلوا
وشادنٍ ذي دلالٍ	يشدو فيلهيك شدوا
إمّا غناءً وإمّا	عجائباً عنه تروى
حتى تظلّ بما فيه	من وقارك خلوا
وعندنا لك وردٌ	يحدو المسرة حدوا ^(١)
ريحانه لا يوازي	لوناً وعطراً وسروا
فما اعتذارك في أن	تُنفي زمانك صحوا
وأنت بعد قليلٍ	بالصّوم والله تطوى
أبا عليٍّ ألا اسمعُ	نصيحةً ليس تزوى ^(٢)
فإنّما نحن سَفَرٌ	على محجّة بلوى
ولا تعرّج ذميماً	على معاهد حزوى

وله في أبخر [من الخفيف] :

لا تنفّس في مجلسٍ أنا فيه	وتنفّس سرّاً وراء البابِ
ثم لا تعترض لسرّ صديقٍ	إنّ ذاك السّراء سوّط عذابِ
إنّما فوك فقحة كلّ وقّتٍ	تتصدى الأنوف كالنّشابِ

(١) الورد : المنهل ، ويحدو : يسوق .

(٢) تزوى : تبعّد ولا يعمل بها .

تصرع الطائر المحلّق في الجوّ ولو غاب في سواء السّحاب
وقوله [من الوافر]:

أرى اللذات تعبر بي يمينا على رغمي وتعبر بي شمالاً
فأجرعُ دونها غصصاً لأنّي أشاهدها وما اعطيت مالا
وقوله [من مجزوء الخفيف]:

وعذارٍ مجعدي فوق خدٍّ مورّد
كلّما رمتُ فرصةً لسعتْ عقربُ يدي

* * *

٣٧ - الحسن بن محمد الشهاجي

كتب إلى صالح بن رشدين يستهديه مشوراً في يوم نيروز [من السريع]:

اليوم يا صالح ما تبصرُ وصحو مثلي فيه مستنكرُ
وقد مضى الوعد وحصلته وصفوه من مظهله يكدر^(١)
فهات ما يحضر إنّي امرؤُ يقنعه منك الذي يحضرُ

وله [من المنسرح]:

قولي ماض على العباد فما يُردُّ في جدّه ولا لعبه
ولي لسانٌ كأنّه ظبّةُ السّيف طویلُ أكاد أعثر به^(٢)
وقوله [من البسيط]:

وقهوة كشعاع انّشمس صافيةً شربتها مع شربٍ سادٍ كرما

(١) المطل : التسويف بالوعد وعدم الوفاء به .

(٢) ظبّة السيف : شفرته .

حازو الفخار وأجروا بالسيوف دما^(١)
نجومٌ كلٌّ فخارٍ لا نجوم سما

وقوله [من الطويل] :

وأسرح في أقطارها حين تقرب
وسيفي الذي أسطوبه حين أضرب

وقوله [من الرجز] :

إذا ثنوا أرؤس الفرسان في رهج
إذا رأيتهم أيقنت أنهم

وقهوة في كأسها
قد جمعت نشر الربا
أطيب ما شربتها
طوبى لمن حجَّ إلى

وقوله [كن الكامل] :

في كلِّ حالٍ من علو الكوكب
ألبيسته ثوب الثناء الطيب
أقصى حديثك من بأرض المغرب

وعلو قدرك وهو أبعد غاية
لأسيرن مديحك الحسن الذي
حتى يحدث من بأرض المشرق الـ

وقوله [من الكامل] :

قبل الصبوح سلافة عذراء
حتى توسد كفه اغفاء
لما استقلَّ لسانه فافاء^(٣)

ومهفهفٍ ساقٍ أغنَّ سقيته
ما صاح ديك الصبح إلا صيحة
جعلته قبل رقاد كاسلته

(١) الـرهج : غبار الحرب .

(٢) نشر الربا : عبقها الطيب .

(٣) الفافاء : الذي يفأء في كلامه فيخرج الكلام من بين شفتيه كثير الفاء .

٣٨ - أبو علي صالح بن رشدين الكاتب

أحد أئمة الكتاب ، المهرة في سائر الآداب ، صحب المتنبي وروى شعره ، وكان جيد المعاني ، أنشدني له محمد بن عمر الزاهر [من مجزوء الخفيف] :

قل لمولاي منعماً لم صرمت المتيمماً^(١)
أنت أعطشتني إليك وأبكيتهني دما
فإذا شئت أن ترى عاشقاً ميتاً ظما
فأدر في ناظريك تجدني توهما

وقوله [من المَجْتَث] :

أَجَنَّةٌ نحن فيها أم نحن في المرزجوش^(٢)
ما بين آسٍ وماءٍ ينساب بين العروش
وقهوة ذات حسنٍ وطاجنٍ ذي نشيش^(٣)
وسيدٍ رشت منه لما تطاير ريشي^(٤)

وزاره ابن أبي الزلازل في منزله ، فلم يره ، فطرح له رقعة من طاق في المنزل ، وكتب اسمه على الباب . فلما أتى صالح ورأى اسمه على الباب ووجد الرقعة فقرأها فوجده يعتبه فيها على انقطاعه عنه ، فذهب صالح في

(١) صرمت : هجرت وقطعت .

(٢) المرزجوش : معرب مرزنگوش ، ويسمى أيضاً مردقوش ، وعربيته السمق وهو نبات الياسمين ، ويطلق على الزعفران .

(٣) الطاجن : ما يقلى فيه ، والنشيش : الغليان وصوته .

(٤) رشت : تقويت واستغنيت .

الوقت إلى منزل ابن أبي الزلازل فلم يجده . فكتب اسمه على بابه وترك رقعة فيها [من الخفيف] :

قد ، ومن خصني بؤدك ، أذكى	طول شوقي إليك في القلب نارا ^(١)
سرت فيه تلقاء داري قصداً	فإذا النور قد تغشى الديارا
فتعجبت أن أرى الأفق ليلاً	مدلهماً وجوف داري نهارا
وإذا خطك البديع على البا	ب يبت الضياء والأنوارا
فتمنيت أن خدي نعلًا	أحمصيك للذين نحوي سارا
غير مستنكر لمثلك أن يسبق فضلاً وأن يفوت فخارا	
ثم أصبحت أشتكى عثر السكر وعزمي زيارتيك ابتكارا	
فإذا رقعة تمر بها الريح يميناً طوراً وطوراً يسارا	
فتأملتها وكانت من اللا	ئي تروق القلوب والأبصارا
ما توهمت أنني قبلها أقرأ خطأ يزيل عني الخمارا	
قابلتني منها سهام عتاب	جعلت درعي الحصين اعتذارا
وأحاشيك أن تكون خليلاً	مذق الود للصديق معارا ^(٢)

فلما رأى ابن أبي الزلازل الرقعة كتب إليه بهذه الأبيات [من الخفيف] :

بأبي أنت سابق لا يجارى	قاده نحوي اشتياق فزارا
عاقني الحظ أن أراه وأن نق	ضي عند اجتماعنا الأوطارا
يا ابن رشدين قد أفدت بك الرش	د وبدلت بعد عسر يسارا
كنت بالأمس عند إخوان صدق	أدباء ندير كأساً عقارا
قد جعلنا محمود ذكرك نقلاً	وشربنا من قبله تذكارا ^(٣)

(١) أذكى : أوقد .

(٢) المذق : المداهن .

(٣) النقل : ما يؤكل مع الخمر كالفتق وغيره .

ثم إنني انصرفت سكران أعتسُ طريقِي تمايلاً وعشاراً^(١)
والدَجى كالهَموم في قلب من فا رَقَ عَشْقاً وغربةً وأدكاراً
أخبط الليل مفرداً إذ تراءى لي نورُ أضاء ثم استطارا
فهنيئاً إنني أودك ودّاً ترتضيه مغيباً وجهارا
ثم أخبرتني بشكواك فيها فوقاني الإله فيك الحذارا
لم أزل دائباً أكرّر قولي كان لي فيك حافظ الجار جارا

* * *

٤٠ - أحمد بن محمد العوفي

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر قوله [من المَجْث] :

يا حسرةً في نفوسٍ ويا شجىً في حلوقٍ^(١)
يا فضةً بين ثنبي غلالةٍ من عقيقٍ
عليّ لا زلت همّي في صبحتي وغبوقي
ودون سلوةٍ وجدي وجدان بيض الأنوق^(٣)

وأنشدني أيضاً [من المَجْث] :

يا موقظاً طرف همي من بعد ما كان أغفى
تظنّ ما بت أخفيه من جوى بك يخفي
ولي لسان دموعٍ ما يكتّم الناس حرفا
إذا تظلم طرفي وقعت بالطرف تكفى

(١) عسّ : طاف بالليل .

(٢) الشجى : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه .

(٣) الأنوق : العقاب ، أو طائر أسود يحرز بيضه فلا يكاد يوصل إليه .

وأنشدني له [من المجتث] :

قد عابني برقادي	خياله حين زارا
ولا وحبّيه ما إنْ	فعلت ذاك اختيارا
طمعت في أن أراه	طوعاً فتمت اضطرارا
فتملك علّة نومي	يا ملزمي فيه عارا

* * *

٤١ - القائد أبو تميم سليمان بن جعفر

كتب إلى صالح بن رشدين رسالة يستدعيه فيها إلى الشراب ، فامتنع عليه وكتب له هذه الأبيات [من المنسرح] :

يا أيها القائد الجليل ومنْ	أصبح بالمكرمات يفتخرُ
آليت لا أشرب المدام ، وإنْ	كانت ذنوب المدام تغتفرُ
يكفي أخا العقل أنْ سورتها	تجني على عقله ويعتذر ^(١)

فكتب إليه القائد أبو تميم [من المنسرح] :

أبا عليّ حاشاك يا أملي	من أن أراك الغداة تعتذرُ
قلبي إذا غبت ساعة قلقُ	يكاد شوقاً إليك يستعرُ
فسرّ إلينا فوقتنا حسنُ	ساعد فيه السحاب والمطر

قال ابن رشدين : حضرت عند القائد أبي تميم في ضيعة له ، فلما عمل فينا الشراب نظرت إلى جارية له تسمى عبدة ذاهبة وجائية ، فحملني

(١) سورة الخمر : حدّتها .

النبيذ أن أخذت رقعة وكتبت فيها إليه [من الخفيف] :

صالحٌ لا يزال يطلب عبدهً من كريمٍ يصفي الأخلاء ودهً
قد بثت الغداة وجدي وحيي من ولي يولي لمولاه مجده
فإذا شئت أن أرى لك عبداً فتفضل أبا تميم بعبده

فقرأها وأمسك ، فارتعت وخفته ، وتماديت في الشرب معه ، ثم
نهضت الى منزل أنزلي فيه بقربه ، فلما استقري انفذ لي الجارية ومعها
درجٌ فيه طيب كثير، وعليها ثياب رفيعة حسنة ، ورقعة فيها شعر [من
الخفيف] :

قد بعثنا أبا عليّ بعبده وقضينا بذاك حق المودة
وحمدناك إذ خطبت إلينا أسأل الله أن يهنّيك حمده
فخذنها فأنّت أكرم كفاءٍ وهي ما عشت كاسمها لك عبده

وقال الخادم الذي جاء بها : يقول لك مولاي : لا تخرج غدا من
منزلك او يأتيك رسولي . فلما أصبحت جاءني القائد أبو تميم بجواريه
المغنيات وطباخه ، معه طعام كثير قد أعده وشراب ، فمازلنا نأكل ونشرب إلى
الليل وانصرف فرحاً مسروراً .

٤٢ - أبو هريرة أحمد بن عبد الله بن أبي العصام

أنشدني له ابن وهب [من الطويل] :

لئن ذهبَ أيام لَدَتْنَا الأولى بذى الأسل ما وجدي عليها بذاهبٍ
ألا ليت أياماً مضت لم تكن مضتُ ففقدني لها يا صاحٍ إحدى المصائب
رعى الله أيام السرور فإنّها تمر سريعاتٍ كمرَّ السَّحائب

وقوله في رثاء صالح [من السريع]:

كلّ الذي اصلحه صالحُ
وصاح في مجلسه الصائحُ
وناح في اوطانه النائح
إذ راح في حفرته الرائح
قولي فأني مشفقٌ ناصحُ
ففرقُ ما بينهما واضح
كلّ امرئٍ عن أهله نازحُ

قد أفسد الموت على صالح
وانصرف البوّاب عن بابه
خلّوه في دار البلى مفرداً
يا ليت شعري ما الذي قاله
يا أيّها الناس ألا فاسمعوا
لا تؤثروا الدنيا على غيرها
فالحمد لله وشكرُ له

وقوله [من الخفيف]:

ياشبيه الهلال عند الطلوع ؟
من ضميري وأنت بين ضلوعي

مَنْ رسولي إليك أو من شفعي
أنت في القلب شاهدٌ ليس يخلو

وقوله [من البسيط]:

والأرض تضحك كالجدلان من فرح
من الزمان وما نلقى إلى القدح

أما ترى الغيم كالباكي بأربعةٍ
فقم فديتك نشكو ما نكابدُه

وقوله [من المنسرح]:

مع كل ذي نشوةٍ وذو ظُرفٍ^(١)
تقصر عنه بدائع الوصفِ

كم لي بدير القصير من قصفٍ
لهوت فيه بشادنٍ غنجٍ

وقوله [من السريع]:

من أهل ودّي ومصافاتي

أذكرتني ياديرُ مَنْ قد مضى

(١) القصف : المجون .

كم كان لي فيك وفيهم معاً من طيب أيامٍ وليلاتٍ
أشكو إلى الله مصاباتهم وفقدنا أهلَ المرواتِ
وقوله [من البسيط]:

كتمتُ حَبْكَ في قلبي فما وسعهُ هذا وليس له شغلٌ سواه مَعَهُ
يا من إذا ما بدت للناس صورتهُ رأيت فيها فنون الحسن مجتمَعَهُ
والله ما حلتُ عما قد عهدت ولا أصغيت أذناً إلى العَذالِ مستمعهُ^(١)
رفقاً بمن لو تسلى عنك يا أملي بكلِّ شيءٍ على الدُّنيا لَمَّا نفَعَهُ

* * *

٤٣ - أبو القاسم بن علي بن بشر الكاتب

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر يصف العذار [من الخفيف]:

مَنْ عذيري إلى العذار الجديد؟ مَنْ رسولي إلى القريب البعيد؟
دَبَّ في خدَّه العذار فحاكى ظلمة النَّحس في بياض السَّعودِ
وقوله [من السريع]:

أما ترى لي ناظراً شاهداً بالحَبِّ والأعين رسلُ القلوبِ
ودون إلحاح جفوني به تخبر عما في فؤادي الكئيبِ
وأنت لا شك به عالمٌ لأن عند المِرْد علمُ الغيوبِ
وقوله [من المنسرح]:

ضممته ضمَّ مفرط الضمِّ لا كأبٍ مشفقٍ ولا أمٍّ
ولم نزل والظلام حارسنا جسمين مستودعين في جسمٍ

(١) حلت : تحوكت وتغيّرت .

أَلْثَمَهُ فِي الدُّجَا وَبَرَقَ ثَنَا
ثُمَّ افْتَرَقْنَا عِنْدَ الصُّبْحِ وَقَدْ
وَقَوْلُهُ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

إِذَا ذَكَرْتَ أَيْدِيكَ الَّتِي سَلَفَتْ
أَكَادَ أَقْتَلَ نَفْسِي ثُمَّ يَدْرِكُنِي
وَقَوْلُهُ [مِنَ الْخَفِيفِ] :

أَنْتَ مِنِّي بِحَيْثُ مَأْوَى الْغَرَامِ
فِي فَوَادِي وَنَاطِرِي وَهَمَا مِنْكَ قَرِينَا صَبَابَةٍ وَانْسِجَامِ
وَقَوْلُهُ [مِنَ الْوَافِرِ] :

لَحَى اللَّهُ امْرَأً يُوعِيكَ سِرًّا
فَإِنَّكَ بِالَّذِي اسْتَوْدَعْتَ مِنْهُ
وَقَوْلُهُ [مِنَ الْكَامِلِ] :

بِيضَاءِ جَنَحٍ جَبِينِهَا
ضِدَّانَ مَا اجْتَمَعَا لَغِيٍّ
وَلَذِكْرُهَا أَنْدَى عَلَى الْـ
وَوَصَفَتْ نِعْمَةً حَسَنَهَا
فِي لَيْلٍ طَرَّتْهَا الْبَهِيمُ
رَتَشَّتِ الصَّبْرَ الْمَقِيمُ
أَكْبَادَ مَنْ بَرَدَ النَّسِيمُ
فَنَعِمْتَ فِي صِفَةِ النَّعِيمِ

وَقَوْلُهُ [مِنَ الْمُتَقَارِبِ] :

دِيُونُ الْمَكَارِمِ لَا تُقْتَضَى
كَمَا تُقْتَضَى وَاجِبَاتُ الدِّيُونِ

(١) لَحَى اللَّهُ : لَعَنَ اللَّهُ ، يُوعِيكَ : يَكْتُمُكَ وَيَأْتِمُنْكَ ، وَفَضَّ : فَتَحَ وَشَقَّ .

(٢) أَنْمَ : أَدَلَّ .

ولكنّها في قلوب الكرام تجول مجال القذى في العيون
وقوله [من المنسرح] :

طرفي على ما عهدت في أرقه فيك وقلبي يزداد من حُرَقه
ولي حبيب أقام معتنقي كما أقام الشّهاب في غسقه^(١)
وجملة الأمر أنني رجل قدّمْتُ قبل الفراق من فرقه^(٢)
هذا حديثي والشمل مجتمِع فما حديثي في عقب مفترقه !؟

قال لي الزاهر : أخبرني ابن بشر أنه كان له جد لأم يعرف بكولان ،
وكان هو من أهل الأدب والكتابة ، وحسن الشعر والخطابة قال لي حججت
سنة من السنين ، وجاورت بمكة حرسها الله ، فاعتلت علة تطاولت بي ،
وضاق معها خلقي ، ثم صلحت منها بعض الصلاح ، ففكرت في أنني
عملت في أهل البيت تسعا وأربعين قصيدة مدحا ، فقلت : أكملها خمسين .
ثم ابتدأت فقلت :

* بني أحمد يا بني أحمد *

ثم ارتج على^(٣) فلم أقدر على زيادة ، فعظم ذلك عليّ ، واجتهدت
في أن أكمل البيت فلم أقدر ، فحدث لي من الغم بهذه الحالة ما زاد على
غمي بإضائتي وعلتي ، فمنت اهتماماً بالحال ، فرأيت النبي ﷺ ، فجئت إليه
فشكوت إليه ما أنا فيه من الإضاعة وما أجده من العلة وأخرى من القلة ، فقال
لي : تصدق يوسع عليك ، وصم يصح جسمك ، فقلت له : يا رسول الله ،
وأعظم مما شكوته إليك أنني رجل شاعر اتشيع ، وأخص بالمحبة ولدك

(١) الغسق : الظلام .

(٢) الفرق : الخوف .

(٣) ارتج عليه : استغلق عليه الكلام .

الحسين وتداخلني له رحمة لما جرى عليه من القتل ، وكنت قد عملت في أهل بيتك تسعاً وأربعين قصيدة ، فلما خلوت بنفسي في هذا الموضع حاولت أن أكملها خمسين ، فبدأت قصيدة قلت فيها مصراعاً وأرتج عليّ إجازته ، ونفر عني كل ما كنت أعرفه فما أقدر على قول حرف ، قال : فقال لي قولا نحا فيه إلى أنه ليس هذا إليّ ، لقول الله تعالى : ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ (١) ثم قال لي : اذهب الى صاحبك ، وأوماً بيده الشريفة إلى ناحية من نواحي المسجد ، وأمر رسولا أن يمضي بي إلى حيث أوماً ، فمضى بي الرسول على ناس معهم عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه . فقال له الرسول : أخوك وجه إليك بهذا الرجل ، فاسمع ما يقوله ، قال : فسلمت عليه ، وقصصت عليه قصتي كما قصصت على النبي ﷺ ، فقال لي : فما المصراع ؟ قلت [من المتقارب] :

* بني أحمد يا بني أحمد *

فقال للوقت قل :

بكث لكم عُمد المسجد	بيثرب ، واهتزّ قبر النبي
أبي القاسم السيّد الأصيل (٢)	وأظلمت الأفق أفق البلاد
وذّر على الأرض كالإثم (٣)	ومكّة مادت ببطحائها
لإعظام فعل بني الأعبد	ومال الحطيم بأركانه
ولو شاء كان طويل اليد	وكان وليّكم خاذلاً

(١) من الآية ٦٩ من سورة يس .

(٢) يثرب : المدينة المنورة ، والأصيل : الكريم العظيم .

(٣) ذرّ : نثر ، والإثم : الكحل .

قال : ورددها عليّ ثلاث مرات ، فانتبهت وقد حفظتها :

* * *

٤٤ - الحسن بن خلاد رحمه الله تعالى

أنشدني الزاهر له [من مجزوء الوافر] :

وَمُنْهَتِكَ لَهُ نَظْرٌ يصون مواقع النظر^(١)
هَلَالٌ لَوْ بَدَأَ لِلسَّفَرِ ألهاهم عن السفر
فَوَا وَيْلَاهُ مِنْ قَمَرٍ يريك مساوي القمر
لَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْ كَلْفِي بغرته على غرر^(٢)

وقوله [من مجزوء الرمل] :

يَا مَرِيداً مَنِّي الوصل ووصلني في يديه
أَنَا لَا أَعْرِفُ مِنْ لَا يعرف الحق عليه

وقوله من أبيات [من مجزوء الكامل] :

نَخْتَالُ فِي حُلُلِ الصَّبَا كالبدري في حلال الغيوم
وَإِذَا تَشَنَّتْ جَالُ فِي أعطافها ماء النعيم
يَنْسِيكَ طَيِّبُ نَسْمِيهَا بعد الكرى برد النسيم

وله أول قصيدة [من الطويل] :

هُوَ السِّيفُ لَا يَكْسُوكَ مَا لَمْ يُجَرِّدْ فجرده واسترفد بغريبه ترفد^(٣)

* * *

(١) ومنهتك : غير محبوب ،

(٢) الكلف : العشق ، والغرر : الطيش .

(٣) الغريب : الحد ، واسترفد : أي اطلب الرزق بحدّه .

٤٥ - أبو الحسن اللطيم

أنشدني ابن وهب قوله [من مخلع البسيط] :

لا تنكري سرعة اختلاسي لذات أيامي القصار
فإن علمي بغدر دهري صيّرني خالع العذار

وقوله [من السريع] :

أهديت لي تذكرة خاتماً اسمك منقوش على فصّه
فما اعترتني زفرات الهوى إلا تروّحت إلى مَصّه

٤٦ - سليمان بن حسان النصبي رحمه الله

أنشدني ابن وهب له [من الخفيف] :

وهتوف ورقاء أرقّت العيّن، وزادت خبل الفؤاد خبالاً^(١)
ذات طوقٍ من الزبرجد يحكي صفو عيشٍ عني تولى وزالا
أيقظتني والصبح قد خالط الليل كما خالط الصدود الوصالا
وتراها كأنما بدموعي خضّبوها أو خاضت الجريالاً^(٢)

وقوله يصف الراي المقلي وهو ضرب من السمك [من مجزوء الرمل] :

ما رأينا مثل هذا السراي حسناً ، ما رأينا
صار تبراً بعد أن كا ن عقيقاً ولجينا

وقوله في شمعة [من المتقارب] :

ومجدولة مثل صدر القناة تعرّت وباطنها مكتسي

(١) الخبال : فساد العقل والراي .

(٢) الجريال : صيغ أحمر .

لها مقلّة هي روح لها
إذا رنّقت لنعاس عرا
وإن غازلتها الصّبا حرّكت
وتنتج في وقت تلقيحها
فنحن من النور في أسعد
وقد ناب وجهك عن ضوئها
ولكنها آله للندام
توقّدها نزهة للعيون
تكيد الظلام كما كادها
فيا ربّة العود حثّي الغناء
ويا صالح انعم وعش سالماً

وتاج على الرأس كالبرنس
وقطّعت من الرأس لم تنعس^(١)
لساناً من الذهب الأملس
ضياءً يجلي دجا الجندس^(٢)
وتلك من النار في أنحس
وعن ذا البنفسج والنرجس
ونجم تألق في المجلس
ورؤيتها منية الأنفس
فتفنى وتُفنيه في مجلس
ويا حامل الكأس لا تحبس
على الدهر في عزك الاعمس^(٣)

وله يصف روضة [من الرجز] :

وروضة ذات غديرٍ متثقٍ
ونرجسٍ مثل العيون الرّمق
باهتة قد فتحت لم تطبق
يشفّ فيه كالزّجاج الأزرق
بنفسجٍ مثل اللجين المحرق

وزهرٍ مثل عشور المهرق^(٤)
أجفانها من لؤلؤٍ مفلّق^(٥)
وسوسنٍ غصّ النّبات موتق^(٦)
وقد حكاها في ضياء الرونق
يا حسنّها من روضة لم تطرق

(١) رنّقت : انكسر طرفها ، وخفقت ، عرا : حلّ ، وقطّعت : أي قطعت .

(٢) الجندس : الظلام الشديد .

(٣) الاعمس : المنيع الثابت .

(٤) متثق : المملوء من كل شيء بما يناسبه ، والعشور : المختلطة ، والمهرق : الصحيفة البيضاء .

(٥) الرّمق : المتطلعة من رمق : أي نظر .

(٦) الموتق : المعجب والجميل المنظر .

كأنها سافرة عن خلقي أو حسن ما ألفته عن منطقي
 باكرتها مثل انفلاق الفلق وشهبه حائرة في الأفق
 في عصبه غر كرام سبق يخطرن فيها بقسي البندق^(١)
 كل فتى في قصده موفق كأنه من نفسه في فيلق
 مقرطس في رميه مؤنق وهو يراعيها بطرف شيق^(٢)
 خوفاً عليها وهو عين المحنق فصاد ما شاء بلا تعوق

* وراح من نجيعه في يلمق *

وقوله في الحمام [من مجزوء الرمل] :

أنت في الحمام موقو فتأملها تجدها
 جرّها من حر أنفا سي وفيض الماء دمعي
 كُؤنت من بعض طبعي ف على قلبي وسمعي

وله يصف ناعورة [من السريع] :

كم نَعَرْتُ بالحيّ ناعورة حنينها كالبربط الناعر^(٣)
 فتارة تحسبها قينة تردّد الزمر على الزامر
 وتارة ثكلى جرى دمعا في مستهلّ واكفٍ ماطر^(٤)
 كأنما كيزانها أنجم دائرة في فلك دائر

* * *

(١) البندق : ما يرمى بالقسي ليصطاد به .

(٢) مقرطس : الذي يكتب في القرطاس ، مؤنق : متمهل ومتقن أي الصحيفة

(٣) البربط : آلة موسيقية تشبه العود .

(٤) الواكف : السحاب الممطر .

٤٧ - الحسن بن علي الأسدي كاتب السر

كتب إليه أحمد بن محمد بن إسماعيل الرسي يطلب منه الكتاب الذي عمله المعروف بالأنيس ، فأنفذ إليه الجزء الأول منه وكتب إليه [من الخفيف] :

قد بعثنا بمؤنسٍ لك في الوحشة خلٌ يدعى كتاب الأنيسِ
فيه ما يشتهي الأديب من العلم ، وفيه جلاء همِّ النفوسِ
فيه ما شئت من بدور معانٍ ضاحكاتٍ إلى وجوه شمسٍ
والنفيس البهيُّ ما زال يُهدى كلَّ حينٍ إلى البهيِّ النفسِ

فلما قرأ رقعته كتب على ظهرها ارتجالاً [من الخفيف] :

قد قرأت الكتاب يا خلٌ نفسي فهو لي مؤنسٌ وأنت الأنيسُ
فهو تأليف ذى ذكاءٍ وفهمٍ وهو وقفٌ على العلوم حبيسُ

وحكى عنه أنه قال : قد كان أبو الحسين جنبك الأخشيدي من كرماء الناس ، وكانت بيني وبينه مودة ، فكنت أغشاه كثيراً للحوائج التي تعرض إليه ، فاستخدم بواباً ، فحجبتني غير مرة ، فكتبت إليه [من المنسرح] :

يا عَلَمَ المكرماتِ والسؤددِ	إليك أشكو بوابك الأسودِ
يبعدني كلما دنوتُ ، وما	حقَّ كريمِ الوداد أن يبعدُ
في كلِّ يومٍ ألقى بطلعته	طالع نحسٍ يسوءني أنكدُ
وجهٌ شتيمٌ بكلِّ فاحشةٍ	عليه من كلِّ مشهدٍ يشهدُ
كلبٌ يهرُّ الضيوف إن طرقوا	فناءك الرّحب كالحِ اعقدُ
أبعدهُ وأنفِ الخبيت عنك كما	ينفي القذى عنه خالص العسجدُ
أولا ، فلن تستطيع تنظم ما	عنك من المكرمات قد بددُ

وما انتفاع الورى ببحر ندى تذادُ عنه العطاش لا توردُ^(١)
فما شعرت حتى جاءني خادم له يقال له بشرى ، وكان يحبه ، والبواب
الأسود معه ، وقال لي : إن مولاي يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : قد
غممني ما جرى من البواب ، وقد قرئ عليّ الشعر . ولو كنت أحسن قوله
لأجبتك ، ولكني قد أنفذته اليك ، وأمرت بشرى أن يضربه بين يديك ثلاثين
مقرعة ، ونحبسه ، فشكرت له ، وقلت لبشرى : قل له ياسيدي ما أحب ان
تبلغ به إلى هذا كله ، وسألت بشرى أن لا يضربه ، فقال : والله مالي إلى
تركه من سبيل ، وقد قال لي : سيقول لك لا تضربه وعليّ لئن رددته إليّ بلا
ضرب لأضربه بين يدي مائة مقرعة ، قلت : فإذا كان كذلك فاضربه ضرباً
خفيفاً . ولا تحنثه^(٢) ، فضربه بحضرتي ضرباً خفيفاً ، وانصرف به ، ولا والله
ما رأيته في داره بعدها .

٤٨ - أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن طباطبا الحسني الرسي

أنشدني له ابن وهب قوله [من المنسرح] :

يا بدرُ بادرُ إليّ بالكاسِ فربَّ خيرٍ أتى على ياسِ^(٣)
ولا تقبلْ يدي فإنّ فمي أولى بها من يدي ومن رأسي
لا عاش في الناس من يلوم على حبيّ وعشقي لأحسنِ الناسِ -
وقوله [من البسيط] :

قلّ للذي حسنت منه خلائقهُ باكرُ صبحك واسبقُ من تسابقهُ

(١) تذاد : تمنع وتحجب .

(٢) تحنثه : أي تجعله لا يفي بقسمه .

(٣) بادر : أسرع وتقدّم ، والياس : أي اليأس وهو القنوط .

أما ترى الغيم مجموعاً ومفترقاً
كعاشقي زار معشوقاً يودّعه
وقوله [من البسيط]:

قالت : أراك خضبت الشيب قلت لها :
فاستضحكت ثم قالت من تعجبها :
وقوله [من الخفيف]:

عيرتني بالنوم جوراً وظلماً
اسمعي حجّتي وإن كنت أدري
لم أنم لذة ولا نمت إلا
وقوله [من الطويل]:

خليلي، إني للثريا لحاسد
أبقى جميعاً شملها وهي سبعة
كذلك من لم تخترمه منية
وقوله [من الطويل]:

وقوله، وهو مما يتغنى به [من البسيط]:

قالت لطيف خيال زارني ومضى :
فقال : أبصرته لومات من ظمأ
صف لي هواه ولا تنقص ولا تزيد^(٤)
وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

(١) آلى : أقسم .

(٢) أن يلماً : أن يحلّ .

(٣) اخترمته المنية : قضت عليه .

(٤) تنسب هذه الأبيات لجماعة من الشعراء منهم يزيد بن معاوية مع اختلاف طفيف في الرواية .

قالت : صدقت الوفا في الحبّ عادته
يا برد ذاك الذي قالت على كبدي
وقوله [من المتقارب] :

سأعتيها حقّ ما استعيت
وإن لم تكن أبداً مُعْتَبَه
وسوف أجربها بالصّدود
ومن يشرب السّم للتجربه ؟ !

* * *

٤٩ - ولده أبو محمد القاسم بن أحمد الرّسي

أنشدني له ابن وهب [من الوافر] :

إذا الكروان صاح على الرمال
وحلّ البدر في برج الكمال
وجعّد وجه بركتنا هبوباً
تمرّ به الجنوب مع الشمال^(١)
وحرّكت الغصون فشابهتها
قدود سقاتنا في كلّ حال
فهات الكأس مترعةً ودعني
أبادر لذّتي قبل ارتحالي^(٢)
فكلّ جماعةٍ لا شك يوماً
يفرّق بينهم صرف الليالي

وقوله [من المتقارب] :

إذا التحف الجوّ بالأدكن
وغنى الحمائم بالأعني^(٣)
وهبّ نسيم الصّبا سحرةً
بريح البنفسج والسوسن
وحنّ إلى القصف الألفه
فبادر إلى شيخك المنحني^(٤)
فنفس من الحنق أوداجه
وسقّ الندامى ولا تنسني^(٥)

(١) جعّد : ترك صفحة الماء متموجة ، والجنوب والشمال : كناية عن الريح ومهبها .

(٢) المترعة : المملوءة .

(٣) الأرغن : مكان بالبحرين ، وربما كانت الأرغن ، وهي آلة موسيقية .

(٤) القصف : المجون ، والآلاف : العشاق .

(٥) وسقّ : أي أسقي .

وقوله يهجو ابن كلس المتطبب [من الطويل] :

توقَّ معزَّ الدين شؤم ابن كلس ولا تقبلنَّ منه مقال مدلس
فإنَّا أردناه لكافور شربةً فزاد على تقديرنا ألف مجلس

* * *

٥٠ - أخوه أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الرسي

أنشدت له [من المتقارب] :

عرفتُ الدِّيارَ على ما بها وأوقفتُ ركي على بابها
وناديت فيها بأعلى النداء مراراً بأسماء أربابها
فلم أر فيها سوى بومها تصيحُ جهاراً بأتربها
فأعلمني ذاك أنَّ الزما ن أخني عليها وأودي بها^(١)

* * *

٥١ - ولده أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم

ابن أحمد رحمهما الله تعالى !

أنشدني له الزاهر [من المجتث] :

شُمَّ النسيم لذيذاً من قبل أن لا تشُمَّهُ
واصرف عن القلب ما اسطعت بالمسرة همةً
وغالطِ الدهر إن كنت لست تملك حُكْمَهُ
وقد نصحتك جهدي فلا تصمَّ وتكْمَهُ^(٢)

(١) أخني عليها : أهلكها ، وطال ، وأودي بها : أهلكها وذهب بها .

(٢) الأكْمه : الأعمى .

وقوله [من مجزوء الرمل]:

صَدَفْتُ عَنَّا نَوَارَ ولقد كانت تزورُ^(١)
ثم قالت: كيف أودى ذلك الغضنُ النضيرُ؟
وشبابُ يتللا فيه للناظر نورُ
قلت: إن أنصفتِ هذا لابن خمسين كثيرُ

* * *

٥٢ - أبو الحسن العقيلي رحمه الله

أنشدني الزاهر قوله [من السريع]:

لنا أخٌ يحسن أن يحسنا جناه للجنانين عذب الجنى
قد عرفت روضة معروفه بأنها تنبت زهر الغنى
إذا تبدى وجه إحسانه تنزهت فيه عيون المنى

وقوله [من الكامل]:

الصبح ينشر فوق مسك الليل كافور الضياء
والبرق يذهب ما تفضضه الغيوم من السماء
فاشرب على دياج نبتٍ قد أحاط بشرب ماء
فالعيش في زمن الربيع رقيق حاشية الرداء

وقوله [من المتقارب]:

وراح تتيه بأنفاسها على ما يفوح من العنبر^(٢)

(١) صدفت : امتنعت عن الزيارة ، وهجرت .

(٢) تتيه : تتكبر وتفخر .

كَأَنَّ زَجَاجَاتِهَا دُرَّةٌ

تَشْفُ عَنْ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ^(١)

وقوله [من البسيط] :

تَاهَ الرِّبِيعُ بِآذِرِيونِهِ وَزَهَا
كَأَنَّ أَغْصَانَهُ فَيُرَوِّجُ بِهِجُ

لَمَّا بَدَأَ مِنْهُ نَشْرُ فِي الرُّبَا أَرْجُ^(٢)
مِنْ فَوْقِهِ ذَهَبٌ فِي وَسْطِهِ سَبَجُ^(٣)

وقوله [من الكامل] :

اشْرَبْتُ عَلَى زَهْرِ الْبِنْفَسِجِ قَهْوَةً
فَكَأَنَّهُ قَرَصُ بَخْدٍ غَرِيرَةٍ

تَنْفِي الْأَسَى عَنْ كُلِّ صَبٍّ مُكَمِّدٍ
أَوْ أَعْيُنُ زَرْقٍ كَحَلْنٍ بِأَثْمِدٍ

وقوله [من الطويل] :

وَنَارِجَةٍ بَيْنَ الرِّيَاضِ نَظَرْتَهَا
إِذَا مِيلَتْهَا الرِّيحُ مَالَتْ كَأَكْرَةٍ

عَلَى غَصْنِ رَطْبٍ كَقَامَةِ أَغْيَدٍ
بَدَتْ ذَهَباً فِي صَوْلْجَانٍ زَمْرَدٍ^(٤)

وقوله [من الكامل] :

وَمَدَامَةٌ يَبْدُو إِلَيْكَ جَنِينُهَا
تَخْفَى لِفَرْطِ صَفَائِهَا فَكَأَنَّمَا

وَعَلَيْهِ تَاجٌ لَمْ يَصْغُهُ صَائِغُ
إِبْرِيْقِنَا الْمَلَانَ مِنْهَا فَارِغُ

وقوله [من الكامل] :

إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ لِي
فَاعْمَلْ بِحَسَبِ وَصِيَّتِي
وَدَعْ الصَّغِيرَ مَكَانَهُ

عِلْماً بِأَسْرَارِ السَّرُورِ
لَكَ فِي مِلَازِمَةِ الْبُكُورِ
وَاعْدِلْ إِلَى جِهَةِ الْكَبِيرِ

(١) تشفُ : تنم وتظهر .

(٢) آذريون : فارسية الأصل « أزهاره » .

(٣) السبج : خرز أسود .

(٤) الأكرة : الكرة .

ما بين وردٍ كالخدو د وأقحوانٍ كالثَّغور
وعليك بالذهب الذي أجراه روباس العصير^(١)
ما زال يسبك بالذي قد شبَّ من نار الهجير
حتَّى صفا فكأنَّه دمع الطليق على الأسير

وقوله [من المنسرح] :

نحن أناسٌ نوالنا خَضِلُ يرتعُ فينا الرجاء والأملُ^(٢)
كلُّ فتىٍّ ليس في مودَّتِه مذقُّ . ولا في خلاله خَلَلُ^(٣)
لو أبصر البحر فيض أنملنا فاض على وجه فيضه الخجلُ
تسبق أموالنا مؤمِّلنا لا يعترينا مطلٌ ولا بُخْلُ^(٤)
تسمح قبل السؤال أنفسنا بخلاً على ماء وجه من يسْلُ^(٥)

* * *

٥٣ - أبو القاسم بن أبي العفیر الأنصاري، رحمه الله !

أنشدت له [من الطويل] :

وروضٍ كحسن العُرفِ يسري وبهجةٍ من الزَّهر فيها شاكَلتْ بهجة الحمدِ
يريك عناق العاشقين عناقه بثغرٍ على ثغرٍ وخدٌّ على خدٍّ

(١) الروباس : الفضة .

(٢) الخضيل : الندى الناعم .

(٣) المذق : الملل والكدر .

(٤) المطل : التسويف والمماطلة .

(٥) أي أننا نكفي الناس مذلَّة السؤال .

وعارضه المتنبي بحضرة كافور في قصيدته الميمية التي أولها [من الكامل] :

* نظرُ المحبِّ إلى الحبيب غرامُ *

فقال له : العرب لا تقول «إليه غرام» وإنما تقول «له» فقال له
الأنصاري : تقول : إليه ، ولديه ، وله ، وحروف الخفض ينوب بعضها عن
بعض . والوزير ابو بكر بن صالح الروزباري حاضر . والوزير ابو الفضل جعفر
بن الفرات حاضر . فقال الأنصاري [من الكامل] :

أما الثناء فصادر بك وارْدُ	بادٍ بما تسدي إليَّ وعائدُ
لك يا أبا بكرٍ إليَّ صنائعُ	أيقظن أحوالي وجدى راقِدُ
أوليتني نعماً متى انكرتها	شهدتُ عليَّ مواهبٌ وفوائد
نعمٌ أقرُّ بها ، وكم من نعمةٍ	يخفى المقرُّ بها ويحظى الجاحد ؟
ولربِّ ليلٍ قد هجرت رقادهُ	لك والردي مغفٍ وطرفي ساهدُ
أتحلل الكلمَ العوانَ تحللاً	فأغافص المعنى كأنني صائد ^(١)
وقصائدٍ لي فيك لولا انها	كلمٌ شهدت بأنهنَّ مشاهدُ
ولهنَّ في عين الوليِّ شواهدُ	تترى ، وفي عين العدو جلامد
لَمَّا رعيت مودتي وخلطتني	ببني أبيك ظننت أنك والدُ
ولقد علمت ، وأنت خير معلِّم ،	أنَّ الثناء على الليالي خالدُ
لَمَّا تعرَّض لي بمقَّتٍ حاسدي	أبدى الملام ، وكيف يرضى الحاسد ؟ ^(٢)
ما زال ينشد قائماً حتَّى إذا	أنشدت عارضني لأنِّي قاعدُ
في مجلسٍ أما الوزير فمكبُّ	فيه يؤيِّدهُ وأنت الساعدُ
ولَّى ولا أنا شاكرٌ لسؤاله	فيه ، ولا هولاً لإجابة حامد

* * *

(٢) المقت : الكره .

(١) أغافص : أفاجىء وأعالج .

٥٤ - أحمد بن محمد الكحال

أنشدني له الزاهر وقد كتب إلى بعض إخوانه يستهديه جرة نبيذ [من
الكامل] :

لو قد سألتك حسب قد رك ما رضيت بألف جرّة
ولقلّ ذاك لقدّر من لا تحصر الأوصاف قدرّة
فابعث إليّ بجرّة وكفاف ما أبغيه جرّة
وتوخّها كبر الجرا ر ، فربّ وافية كزكره^(١)
من رسم بسطام الذي أحيا بحسن الرّسم ذكره
لا بوطساً يؤذي النديم ، ولا مذاقته بمرة^(٢)
واعلم بأنّ محلّها عند الضرورة مثل صرة^(٣)

وكتب إلى بعض إخوانه يستدعيه [من البسيط] :

لا تتركّن لغدٍ مالا ولا سبدا فلست تقتل علماً هل تعيش غدا^(٤)
خذ من زمانك ما جاد الزمان به فمن جنى بعض ما يهوى فقد سدا
أنت ابن وقتك فاحذر أن تضيّعه فليس يرجع وقتٌ فائتٌ أبداً
وعند عبدك شيءٌ إن نشطت له وزرت زدت أياديك الكرام يدا
راي طريّ كقابِ الفتّر تحسبه ذوباً من الفضة البيضاء او بردا^(٥)
كأنّ كفّاً عليه جرّشت قطعاً من اللجين صغار النظم او زردا

(١) الزكرة : زقّ الخمر .

(٢) البوطس : إسم فارسي (نوع من الخمر) .

(٣) الصرة : كيس الدراهم .

(٤) السبد : البقية من النبات والقليل من الشعر .

(٥) الراي : ضرب من السمك .

كأنَّ قالِيَهْ بِالْقَلِيِ الْبَسَهْ
 كأنَّهْ فِي سَعِيرِ الْقَلِيِ مَنْقَلِيَاً
 كأنَّ ياقوتَهْ حمراءَ هَلَّلَهَا
 كأنَّهْ كانَ فِي نَهْرِ الحَيَاةِ فَمَا
 وقَهوةٌ تذكُرُ الأفلاكَ ساكنَهْ
 يديرها قمرٌ فِي كَفِّهْ قمرٌ
 فلا تَضِيعُ سروراً جاءَ عَنْ كَثِبِ
 من الشَّقائِقِ أثواباً لَهُ جَدداً
 صَبُّ ثَقْلَبِهْ كَفُّ الهوى كَمداً
 صَوَّأَها ذهباً لِلْحَسَنِ مَتَّحداً
 يَكادُ يسلَمُ مِنْهُ رُوحُه الجَسداً
 مَشْمُولَهْ أَفْنَتِ الأَيامَ والمَدداً
 من الرَحيقِ يَزِيلُ الهَمَّ والكَمداً
 عَجْزاً فَتَكْتَسِبُ التَّوْبِيخَ والفَنداً^(١)

* * *

٥٥ - أبو الحسن محمد بن الوزير الحافظ

كتب إلى صديق يستدعيه الانجلاً [من الهزج] :

لَنَا مَسْمَعَةٌ حَلَوُهْ وَلَوْ يَفْتَقُ الشَّهْوَهْ
 فَالْبَارِعُ مِنْ مَجْدِ كَإِنْ لَمْ تَجِبِ الدَّعْوَهْ

وأهدى إلى بعض إخوانه مقطاً وكتب إليه [من البسيط] :

إِنِّي بَعَثْتُ مَقْطاً غَيْرَ مُحْتَشَمِ وَلَمْ أَجُلْ فِي الْغِنَى فِكْرِي وَلَا الْعَدَمِ
 وَلَوْ بَعَثْتُ سَوَادِي نَاطِرِي لَمَا كَانَا كَفَاءً لِمَا تَوَلَّى مِنَ النِّعَمِ
 فاقبله واجعله ممّا يستعان به فَإِنَّهُ خَادِمُ السَّكِينِ وَالْقَلَمِ

وقوله يصف النرجس [من المجث] :

خَوَاتِمٌ مِنْ لَجِينِ فَصَوَّصَهَا كَارِبَاءُ^(٢)
 وَلَيْسَ تَضْحَكُ إِلَّا إِذَا بَكَّتْهَا السَّمَاءُ

(١) الفند : المعجز والباطل والكفر بالنعمة .

(٢) الكارباء : نوعٌ من الحجارة الكريمة يستعمل في صنع السبعة أيضاً .

وقوله [من الخفيف] :

منذ حلَّ السواد زاد البياضُ واعتداءاته طوالُ عراضُ
وإذا ما طغى المشيب فلا المذ قاش يقوى به ولا المقراضُ
وكثيراً أرى جساماً صحاحاً لأناسٍ فيها قلوبٌ مراضُ

وأهدى الى الإخشيد خاتماً ، وكتب معه [من مجزوء المتقارب] :

وذى عنقٍ لم يطلُ عليه ولم يقصر
ومتنين قد حصرا على قدر الخنصر
وقد زاد في ضمِّره على الفرس المضمِر^(١)
وأسفله فضةً وأعلاه من جوهر
بعثت به معسراً إلى ملكٍ موسر
ولا غرو أن يهدي المقلُّ إلى المكثِر

وقوله [من الكامل] :

قد قلت إذ سار السفين بهم والسَّوقُ ينهب مهجتي نهبا^(٢)
لو أن لي عزاً أصول به لأخذت كلَّ سفينةٍ غصبا

٥٦ - أحمد بن محمد بن عبد الكريم اليتيم النحوي

أنشدت قوله^(٣) [من الوافر] :

إذا ما نلت من دنياك حظاً فأحسن للغني وللفقير

(١) الضمر : الهزال والنحول .

(٢) السفين : القافلة .

(٣) قد أنشدهما قبيل ما اختاره لعبد المحسن الصوري منسوبين إلى أحمد بن عبد الرحيم النحوي

ولا تمسك يديك على قليلٍ فإنَّ الله يأتي بالكثير

وقوله [من المنسرح]:

خاطبت شمس النهار إذ بدت وقلت ما أنت لي بمنصفةٍ
إنَّ التي أشبهتك مائلةً من بعد ذاك الوصال قد جفتِ
فعاتبها فليس يقنعني يا شمس من شبهك الذي أتتِ
لما رأني على الوفاء لها صدَّت وما أنصفتُ ولا وفيتِ

* * *

٥٧ - أبو محمد بن أبي عمرو الطرازي

أنشدت له من [مجزوء الرجز]:

نارٌ جرت في غايةٍ ترمى العلا بالشهبِ
كأنها جيشٌ وغى فرسانه من ذهبٍ

وقوله يصف الفستق [من مجزوء الرجز]:

وفستق رأيت منه طرفاً من الطرفِ
كأنه لما بدا والراح فينا تختلفُ
زمرّدٌ ضمّنه من خالص العاج الصدفِ

٥٨ - أبو الحسن علي بن لؤلؤ الكاتب

أنشدت له [من الخفيف]:

ربِّ صبحٍ كطلعة الوصل جلى جنح ليلٍ كطلعة الهجران^(١)

(١) جلى : أضاء وأزاح .

زار في حلة البزاة فولّى الليل عنه في حلة الغربان

وقوله [من الطويل] :

يومٌ كأنّ الروض خا ط لضوئه قراطقٌ من وشي غلائلها الغدرُ
كأنّ صفاء الجوّ ناظر أزرقٍ له الغيم جفنٌ هُذبُ أجفانه القطرُ
كأنّ أعالي السرو بين رياضه مطارف لفت في مواكبها خضر^(١)

* * *

٥٩ - أبو القاسم عبد الصمد بن فضالة الصفار

قال يصف الورد [من الكامل] :

لا تصحب الدنيا كثيراً مكمدا من ذا رأيت من البرية خالدا ؟
قم فاغتنم طيب الربيع وحسنه فلقد حباك به الغمام وأسعدا
وردٌ كأنّ أصوله وفروعه سقيت دماً حتى ارتوى فتوردا
وشقائق شقّ القلوب كأنه خدّ مليح ضمّ صدغاً أسودا
والماء يجري في الرياض كأنه سيفٌ صقيل من قرابٍ جردا^(٢)
فاشرب عليه فإنه وقتٌ إذا ولّى تفاوت أن يُنال فيوجدا

وله [من المتقارب] :

فلو زين الحسن في وجهه بهجر الصدود ووصل الوصال
لتمّ وإن كنت ما إن أرى بديع الجمال جميل الفعال

* * *

(١) المطارف : أردية من حرير ذات أعلام .

(٢) القراب : الغمد .

٦٠ - ابن الزيعي

قال يصف دير القصير من قصيدة يقول فيها [من الرجز] :

يا حسرةً في القلب ما أقتلها	كأنها في القلب اطرافُ الأسْلُ
فكم وكم من ليلةٍ طيّبةٍ	أحييتها في الدّير في خير محلّ
دير القصير الفرد في صفائه	يا من رأى الجنة من غير عمل
أشربها راحاً شمولاً قرقفاً	تدبُّ في الجسم فما بقي عللٌ
يديرها ذو غنجٍ بطرفه	يحيي إذا شاء وإن شاء قتلٌ
كأنه غصنٌ من البانٍ وقد	زاد عليه بالقوام المعتدل
ألثغُ حَتَفُ النفس في لثغته	تاه بها على الورى تيه مدلٌ ^(١)
إن قال نارٌ قال ناغٍ أو يقل	نورٌ يقل نوعٌ بدلٌ وغزل
فاحث كؤوس الراح ياساقينا	واغتنمِ الدهر فللدهر دُولٌ
من قبل أن يطرُقنا بين فلا	ينفع عند البين ليست ولعلٌ

* * *

٦١ - محمد بن عباس البصري

المعروف بصاحب الراقية

قال [من البسيط] :

لا تعذلوني فما مثلي بمعذول	جسمي سقيمٌ وأمري غير مجهول
إن ملّ مولاي وَصلي بعد ألفته	فإنّ مولاي عندي غير مملول
ملكْت قلبي ولم تعطف على دنفٍ	ما كلُّ ذاك على قلبي بمعزول ^(٢)

(١) الألتغ : هو الذي ينطق السين شيئاً أي يغيّر في نطق بعض الحروف وتاه : فخر ، ومدلّ : من الدلال .

(٢) المدنف : المريض المشرف على الهلاك .

وقوله [من الرجز]:

قد دعر الشوق فؤادي فاندعز
إذا تداعى الطير فيها وصفـر
حسن مسير مائها إذا انحدر
نثر في تلك النواحي فانتثر

يا حاملَ الكأس أدرها واسقني
أما ترى البركة ما أحسنها
أما ترى نوارها أما ترى
كأنما الجواهر في ألوانه

وقوله [من مجزوء الكامل]:

والطرف منه قد بغى
فتكاً وما شهد الوغى
في صدغه أن يلدغا
ومصنلاً ومصبغا

أما طغان فقد طغى
شهر السلاح بطرفه
لولا مخافة عقرب
لثمت منه ممسكاً

وقوله [من الوافر]:

عدو لي يلقب بالحبيب^(١)
فقد أصبحت من زي عجب؟
غريب اللون في شفق المغيب
قريب من قريب من قريب

أتاني في قميص اللاذ يسعى
فقلت له لم استحليت هذا
فقال الشمس أهدت لي قميصاً
فصوبي والمدام ولون خدي

وقوله [من السريع]:

تبيت تبكي وأبكيها
ومدمعي دمع مآقيها
فمثل ما فيه كذا فيها

وشمعة ظلت أناجيها
كأنما صفرتها صفرتي
أعارها قلبي من ناره

* * *

(١) اللاذ : حريصني أحمر .

٦٢ - أبو عبد الله الحسين المعروف بالجمل

له في طيب [من المنسرح] :

إذا سقامَ عراكُ نازلُهُ فاندبُ أبا جعفرٍ لنازلِهِ
يعرف ما يشكّيه صاحبه كأنما جال في مفاصله

٦٣ - أبو عبد الله بن العرمم

قدم له صديق سمكا في يوم شديد البرد فقال ارتجالا [من مجزوء الرجز] :

شيخٌ وبرْدٌ وسمكٌ لكلٌ ما يخشى شَرَكُ^(١)
فهاثها صافيةً وضمنَ الكأسَ الدَّرَكُ^(٢)
ولا تبالِ بعدها من لام فيها وترك

وقوله [من الكامل] :

ولَيْتُمُ أمرَ الخراجِ محمّداً فغدا الخراجُ بغيرِ جيمٍ يكتبُ
إن كان من عدم الرجالِ دهيتُمُ فالكلبُ فيكم عن قليلٍ يخطبُ

وقوله في أبخر [من الوافر] :

أَرَدْتُ لِقَاءَهُ فلقيت منه كما يلقي الخلاء من الفقاح
وجالسنِي فلم أشعر بَأَنِّي ولم أبعد جليسَ المستراح^(٣)

(١) الشَرَك : المصيدة .

(٢) الدَّرَك : الغاية والحاجة .

(٣) المستراح : الكنيف .

٦٤ - أحمد بن صدقة الكاتب

كتب إلى ابن رشيد يستدعيه [من السريع] :

بالله يا صالح قم مسرعاً إلى عقارٍ أدركت تبعا^(١)
وساعد الليلة في شربها وخذ من السكر بها مصرعا
وقد بذلنا لك أرواحنا لما رأيناك لها موضعاً

* * *

٦٥ - أبو الحسن بن أبي ياسر

قال يصف شمعة [من المتقارب] :

وهيفاء من ندماء الملوك تزيد فينقص من قدرها
إذا ضحكت جنح داجي الظلام بكت فجرى الدمع من نحرها
فإن نعست للكرى نعسة فإيقاظها القص من شعرها

* * *

٦٦ - محمد بن عاصم الموقفي

أنشدني له الزاهر في الفصادة [من المتقارب] :

ألا قل لعلوان كيف أجتزأت على الأسد الباسل الخادر^(٢) ؟
وكيف أرقى دماً دونه يراق دم الجحفل الثائر ؟
ترفق قليلاً على مرفقي به مرفق البدو والحاضر
فليس الحديد على ساعدٍ ولكن من الدهر في الناظر

(١) تبع : من ملوك الدولة الحميرية في اليمن ، كناية عن قدم عهدها .

(٢) الخادر : المقيم في أجمة .

وقوله [من الخفيف] :

أسكر الخمر خمر ريقك حتّى
فلهذا أراك تزداد صحواً
باتت الخمر من رضاك سكرًا
وأراها عليك لا تتجرأ

وقوله [من السريع] :

أشربُ على الجيزة والمقسِ
وروحِ النَّفس بها إنّما
وأنسُ بإخوان الصّفا إنّهم
فلست تدري أيّما ساعةٍ
والمرء لا يعرف في يومه
من قهوةٍ صفراء كالورس^(١)
عيش الفتى في راحة النَّفس
من أكبر النّزهة والأنس
تبيت تحت اللحد والرّمس^(٢)
يصبح في دنياه أو يمسي

وقوله [من السريع] :

أقول والليل دجىً مسبلُ
يا طول ليلٍ ماله آخرُ
والأنجم الزّهر به مئيلُ
فيك وصبحُ ماله أوّلُ

وقوله [من السريع] :

اشرب ستنسى ويك مع مَنْ نسي
في قمرٍ للربيع من شهره
وقوله [من السريع] :
يا حاديّ اللّذات عرّس بنا
من قهوةٍ قوصيّة المغرس
كشّقةٍ من درهمٍ أطلس^(٣)
ويا مدير الكأس قم فاسقنا

(١) المقس : موضع على نيل مصر ، والورس : الزعفران .

(٢) الرمس واللحد : أي القبر .

(٣) أطلس : أغبر يميل إلى السّواد .

أما ترى شمس ضحى يومنا
والروض للوسمي في حلّة

وقوله [من البسيط] :

اشربْ شمولاً على ريح الشمال فقد
كأنها جنّة في الكفّ مائلة
كأنّ حاملها من خمر ريقته

وقوله [من الوافر] :

وظبي زارني من غير وعد
سقاني ثم نقلني بلثم
وشمر ساعداً فيه وشوم
فكان كفضّة سكّت عموداً

وقوله في دير القصير من قصيدة أولها [من الخفيف] :

إن دير القصير هاج ادكاري
وزماناً مضى حميداً سريعاً
عرفتني ربوعه بعد نكر
ولو أنّ الديار تشكو اشتياقاً
ولكادت نحوى تسير لما قد
وكأني إذ زرتّه بعد هجرٍ

قد لبست مطرفها الأدكن^(١)
أذهبها من بعد مالونا^(٢)

هبتْ شمالاً ولاح الصبح فاتّضحا
تبدو فيخفي ضيا أنوارها القدحا
وافى بها أولها من خدّه اقتدحا

نعمت بقربه بأتمّ سعد
على عجلٍ وحيّاني بورِدٍ
بقلي مثلها من أجل صدّ^(٣)
عليها أسطرّ باللازورد^(٤)

لهوأيامي الحسان القصار
وشباباً مثل الرّداء المعار
فعرفت الربوع بالإنكار
لشكّت جفوتي وبعد مزاري
كنت فيها سيّرتُ من أشعاري
لم يكن من منازلٍ ودياري

(١) الأدكن : الذي يميل لونه إلى السواد .

(٢) الوسمي : أول مطر الربيع .

(٣) الشوم : جمع وشم وهو العلامة .

(٤) سكّت : سبكت وصنعت وضربت .

وانحداري في المعقبات الجواري^(١)
وكلاّب على الوحوش ضواري^(٢)
ولننفسى فيه من الأوطار
والمصاييح حوله كالذراري

إذ صعودي على الجياد إليه
بصقورٍ إلى الدماء سوارٍ
منزلاً لست محصياً ما لقلبي
منزلاً في علّوه كسماءٍ

ومنها :

بفؤاد المتيمّ المستطار
ع مشيباً بمفرقي وعذاري
بصغارٍ محثوثة وكبار
فتنةً للقلوب والأبصار
عن سماع العيدان والمزمار
اللياء منها وخدّها الجلناري^(٣)
هي فيه ولونأى بي مزارى
ل فدير القصير صوب العشار^(٤)
بنعير الرهبان في الاسحار^(٥)
حيّ يا نائماً على الابتكار
ن بليلٍ معاقبٍ ونهار
وعلى المستعير ردّ العواري^(٦)

غرّدت بينها الطيور فطارث
كم خلعت العذار فيه ولم أر
كم شربنا على التصاوير فيه
صورةً من مصوّرٍ فيه ظلّت
أطربتنا من غير شديو فأغنت
لا وحسن العينين والشفة اللـ
لا تخلّفت عن مزارى ديراً
فسقى الله أرض حلوان فالنخ
كم تنبّهت من لذاذة نومي
والنواقيس صائحات تنادي
قبل أن ييليّ الجديد الجديداً
إنما هذه الحياة عوارٍ

(١) المعقبات : المتابعات السير .

(٢) سوارٍ : أي سائره .

(٣) اللّـمى : سمرة تستعذب في الشفة .

(٤) العشار : الغزير من المطر .

(٥) نعير الرهبان : تراتيلهم ، مأخوذ من صوت الناعورة .

(٦) عوارٍ : أمانات ، وأشياء مستقرضة .

وقوله [من الوافر] :

أأيامي بشاطى البركتين سقاك الله نوء المرزمين^(١)
لقد أذكرتني طربي ولهوي ووكتل الفؤاد بلوعتين
تُرى أيامنا فيك المواضي يعود وصالها من بعد بين^(٢)
سقى الله البقاع ملث قطرٍ وأعطش منزلاً بالجلهتين^(٣)
ودار على المدار رهام مزنٍ تسير إلى جنان السروتين^(٤)
فكم من بيعةٍ عقدت لقصفٍ وعزفٍ في رياض البيعتين^(٥)
وكم من مدنفٍ قد حاز وصلاً ونال مناه وسط المنيتين^(٦)

وقوله [من البسيط] :

إشرب بطموة من صفراء صافيةٍ تزرى بخمر قراهيتٍ وغايات^(٧)
على رياضٍ من النوار زاهرةٍ تجري الجداول فيها بين جنات
منازلاً كنت مفتوناً بها يفعاً وكنّ قدماً مواخيرى وحناتي^(٨)
كأنما النيل في مرّ النسيم بها مسيلم في دروعٍ سامريات

* * *

(١) المرزمين : المطر المصحوب بالرعد .

(٢) البين : الفراق .

(٣) ملث قطرٍ : أي المطر الدائم المقيم .

(٤) الرهام : المطر المتصّبب برفق .

(٥) البيعة : مكان يُختلى به للشراب .

(٦) المدنف : المريض المشرف على الهلاك وهنا مريض العشق .

(٧) طموة وقراهيت : أسماء بلدان .

(٨) اليفع : الصبا والشباب ، مقتبل العمر .

٦٧ - أبو الفتح البستي الكاتب

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر يصف شمعة من أبيات [من البسيط] :

قد شابهتني في لونٍ وفي قصفٍ وفي نحولٍ وفي دمعٍ وفي سهر

هذا تشبيه خمسة بخمسة وقد أجاد غاية الجودة وقوله [من الكامل] :

صحّت السلاح لشدة الحرب والمستغاث لشدة الكرب
حتى إذا لبسوا سلاحهم وتشددوا لوقائع الحرب
ناولتهم قلبي وقلت لهم : هذا المسىء فقطعوا قلبي

وقوله [من الطويل] :

لئن صدع الدهر المشتّت شملنا وللنجم من بعد الرجوع استقامة
وإنّ نعمة زالت عن الحبّ وانقضت فكأنّ زوال الشرّ عنك سريع
وكنّ واثقاً بالله واصبر لحكمه

وقوله [من الكامل] :

وغزالة غاللتها في المقس من أولاد حام^(١)
نظرت بعيني ظبية ونظرت من عيني قطام^(٢)
وتبسّمت وكأنّها برق تألّق في غمام
ثم انثنت مثل المهى وتبعها رتك النعام^(٣)

(١) صدع : فرق .

(٢) حام : من أبناء نوح ، وهو أبو الزنج .

(٣) قطام : امرأة من العرب يضرب المثل بصواب رأيها وحدة نظرها وفيها يقول الشاعر :
إذا قالت قطام فصدقها لأنّ القول ما قالت قطام

(٤) رتك النعام : مقاربة خطوة .

حتى دخلنا بيتها فحصلت في البيت الحرام
فجعلت أفتح ميمها لما جثوت لها بلامي
وكأنني إذ ذاك أو لجت الضياء على الظلام
ضدان لم يجمعهما إلا المحبة للحرام
كانت لعمري عاهة جمعت غراباً مع حمام

* * *

٦٨ - أبو سهل بن أسباط الكاتب

قال [من السريع]:

إن كنت يا قلب عزمت الهوى فاستخر الله إذا قبلاً
ولا تكن يا قلب مثل الذي قدّم رجلاً وثني رجلاً
حتى تلاقني في الهوى أهله وقلما تلقى له أهلاً
لا تورّدني مورداً كلّما قطعت وحلاً ألتقى وحلاً

* * *

٦٩ - عبد الله الصفري

قال يصف الشيب [من الطويل]:

بد الشيب في رأسي فقلت تعجّباً: لقد شبت من هجري وأنت صغير
فقلت لها: لا غرو إن وصالكم يردّ شباب المرء وهو كبير

٧٠ - أبو العباس الكندي

قال يصف الندى على البحر [من الطويل]:

كأنّ الندى في البحر بحران مائع على مائع هذا على ذاك مطبق
فهذا لجين سابع متفرق وذاك لجين في السماء معلق

إذا أبصرته الشمس بعد احتجابها له ساعة أبصرته يتمزق
وقوله [من المتقارب]:

عذارك المنقطع المسبل يقطع عذري عند من يعذل
ووجهك المقبل إقبال من أنت على طلعتة مقبل
لا عشت أن أعدمه فالذي يعدمه يعدم ما يأمل
وقوله يصف السحاب [من الرجز]:

سارية في غسق الظلام دانية من قلل الآكام
جاءت مجيء الجحفل اللهام فافترت كالإبل السوامي^(١)
كأنها والبرق ذا ابتسام كتيبة مذهب الأعلام
دنت من الأرض بلا احتشام ثم بكت بكاء مستهام
وانتشرت بسائغ الإنعام وثروة تحكم في الإعدام

٧١ - أحمد بن بدر المعروف بالبلاط

قال في ولده وقد حم [من الكامل]:

أعزز عليّ بنيّ ما تلقى سدّت عليّ شكاتك الطرّقا^(٢)
قد كنت بالحمى أحقّ فليتني ألقى من الحمى الذي تلقى

٧٢ - أبو العباس الزوفي

أنشدت له في الشيب [من المنسرح]:

قد رابني من شببتي ريب وفلّ من غرب صبوتي الشيب

(١) الجحفل : الجيش الكثير العدد ، واللهم : العظيم ، والسوامي : المرسل لترعى .

(٢) شكاتك : ألمك وما تشتكي منه .

وكان ثوب الشباب أحسن ملبوساً بهاءً فأخلق الثوب^(١)
من عابني بالمشيب قلت له : صدقت فالشيب كله عيبٌ
طلائع الشيب كلما طلعت شقَّ على ميت الصبا جيبٌ

عبد الوهاب بن جعفر الحاجب

أنشدت له [من الكامل] :

هاترٌ هتورٌ بكثرة الفرح واقدح زناد اللهو بالقدح^(٢)
وصل الغبوق إذا وصلت إلى المسمى ، وإن أصبحت فاصطح
أبردٌ إلى الندمان رسلك ما برَدَ النَّسيم وغنٌّ واقترح
أصلح فساد العيش مجتهداً ففساد عمرك غير منصلح

* * *

٧٤ - أبو بكر الموسوس المعروف بسيبويه

أبو بكر هذا من البصرة . وكان يشبهه - في حضور جوابه ، وبيان
خطابه . وحسن عبارته ، وكثرة درايته - بأبي العيَّاء ، وكان قد تناول البلاذر
فعرضت له منه لوثه ، وكان الناس يتبعونه ويكتبون عنه ما يقول . فقال يوماً
للمصريين « يا أهل مصر . أصحابنا البغداديون أحزم منكم ، لا يقولون باتخاذ
الولد حتى يقتنوا له العقد والعدد ، فهم أبداً يعزبون . ولا يقولون باتخاذ
العقار . خوفاً أن يملكهم شر الجار ، فهم أبداً يكنزون . ولا يقولون بإظهار
الغنى في موضع عرفوا فيه بالفقر ، فهم أبداً يسافرون » .

ووقف يوماً بالجامع - وقد أخذت الحلق مأخذها - فقال « يا أهل مصر ،

(١) أخلق الثوب : بلي ورث .

(٢) الهتور : الاستهتار والعبث .

حيطان المقابر أنفع منكم يُسْتَنَدُ إليها ويستدرى بها من الريح ، ويستظل بها من الشمس ، والبهاثم خير منكم ، تمتطى ظهورها ، وتؤكل لحومها ، وتحتذى جلودها .

وكان ابن خزابة الوزير ربما رفع أنفه تيهاً ، فقال له سيويه وقد رآه فعل ذلك : أيشم الوزير رائحة كريهة فيشمر أنفه ؟ فأطرق واستعمل النهوض ، فخرج سيويه فقال له رجل : من أين أقبلت ، فقال : من عند هذا الزاهي بنفسه ، المدل بعمره . المستطيل على أبناء جنسه . وكانت زوجته ابنة الإخشيد .

وأخلى الحمام لمفلح ، فجاء سيويه ليدخل فمنع ، وقيل له : الأمير مفلح داخل ، فقال : لا انقي الله مغسوله ، ولا بلغه رسوله ، ولا وقاه من العذاب مهوله . وجلس حتى خرج من الحمام ، فقال له : إن الحمام لا يخلى إلا لأحد ثلاث مبتلي في قبله ، أو مبتلي في دبره ، أو سلطان يخاف من شره ، فأبي الثلاثة أنت ؟ . ومن شعره [من الكامل] :

اعذرْ أخاك على رداء خطه	واغفرْ رداءته لجودة ضبطه
فالخط ليس يراد من تحسينه	وبيانه إلا إبانة سمطه ^(١)
فإذا أبان عن المعاني سمطه	كانت ملاحظته زيادة شرطه

* * *

أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن يونس المنجم

أنشدت له [من الكامل] :

غَنَّتْ فأخفت صوتها في عودها	فكأنما الصوتان صوت العود
غيداء تأمر عودها فيطيعها	أبدأ ويتبعها اتباع ودود

(١) السمط : ترتيبه ونظمه .

وأرق من نشر الشنا المعهود
ماء الغمامة وابنة العنقود

أندى من النوار صباحاً صوتها
فكأنما الصوتان حين تمازجا

وقوله [من الطويل] :

بضرب من المزن الكتهور هامل^(١)
غدا وهو حلّي للرياض العواطل
ووسواس رعد ليس بين مفاصل
قلقاه درّ النور بين الخمائل^(٢)

سقى الله أحياء اللوى كلما سقى
إذا نشرت ربحُ جمان سحابة
به خفق برقي ليس بين جوانح
إذا كاد درّ البرق يلمس نبتة

وقوله [من الكامل] :

وأرق منه ما يمرُّ عليه
فعكست فتنة ناظريه إليه

يجري النسيم على غلالة خده
ناولته المرآة ينظر وجهه

وقوله [من الوافر] :

له لمّا تأملّه اختباري
كما نمّ الظلام بسرّاً نار^(٣)
ومن صافى الزجاج على عقار

صديق قد ندمت على اختباري
ينمّ بسرّ مستوعيه سرّاً
أنمّ من النصول على مشيب

وقوله [من الوافر] :

لوارثه ويدفع عن حماه
فريسته ليأكلها سواه

وذى حرصٍ تراه يلمّ وفرّاً
ككلب الصّيد يمسك وهو طاوٍ

وقوله [من السريع] :

وآفة المرء من الكبر

لكل شيء في الورى آفة

(١) الكتهور : المتراكم من السحاب ، أو هو قطع منه كالجبال .

(٢) النور : الأزهار .

(٣) ينمّ : يدلّ ويشير .

يحسب أن الكِبَر فخر له وليس غير العلم من فخر

* * *

٧٦ - أبو القاسم عبد الغفار المصري

أنشدت له [من مجزوء الخفيف]:

إنما الفضل غرة في وجوه المدائح
أريحني رياحه عبقاً الروائح
كعبة الجود كفه بين غادٍ ورائح
إنما تصلح الأمور ر برأي ابن صالح

* * *

٧٧ - أبو العباس أحمد بن مروان بن حماد النحوي

أنشدني ابن وهب له [من مجزوء الرمل]:

لم يطل ليلى ولكن سهري كان طويلاً
وكذا ليس يلدأ الـ نوم من كان عليلاً
يا غزلاً لم أجذع به إلى الصبر سبيلاً
هب لعينٍ سهرت فيك من الغمض قليلاً

* * *

٧٨ - محمد بن جعفر الأنصاري الكاتب المعروف بالقصير

من شعره [من السريع]:

قد طال منك المظل في الوعد لي وأنت في مطلق لا تخطي^(١)

(١) ورد عجز البيت في بعض النسخ هكذا : « وأنت في مطلق لي تخطي » .

لو كنت تعطي مال مصر وما حوت من الدور على الشطّ
وما لدار الضرب من عسجدٍ لكان كفوّاً بالذي تعطي

* * *

٧٩ - أبو علي تميم بن معد صاحب مصر

أنشدني له علي بن مأمون المصيصي [من الكامل] :

يا دهر ما أقساك من متلونٍ في حالتك وما أقلك منصفاً
أتروح للنكس الجهول ممهداً وعلى اللبب الحرّ سيفاً مرهفاً ؟
فإذا صفوت كدرت شيمة باخلٍ وإذا وفيت نقضت أسباب الوفا
لا أرتضيك وإن صفوت لأنني أدري بأنك لا تدوم على الصفا
زمنٌ إذا أعطى استردّ عطاءه وإذا استقام بدا له فتحرفاً
ما قام خيرك يا زمان بشره أولى بنا ما قلّ منك وما كفى

وقوله [من الطويل] :

أيا دير مرخنا سقتك رعود من الغيم تهمني مزنها وتجوّد
فكم واصلتنا من رباك أو انسُ يطفن علينا بالمدامة غيّد
وكم ناب عن نور الضحى فيك مبسّم وناب عن الورد الجني خدودُ
وماست على الكتبان قضبان فضّة فأثقلها من حملهنّ نهودُ^(١)
ليالي أغدو بين ثوبي صباية ولهو ، وأيام الزمان هجود^(٢)
وإذّ لمتي لم يوقظ الشيب ليلها وإذّ أئري في الغانيات حميدُ

(١) ماست : تمايلت بغنج ودلال ، والكتبان : جمع كتيب وهو التلّ من الرمل .

(٢) هجود : راقدة .

وقوله [من البسيط] :

يا منتهى ألمي لا تدن لي أجلي ولا تعذبُ ظنوني فيك بالظنِ
إن كان وجهك وجهاً صيغ من قمرٍ فإنَّ قَدَّكَ قد قدَّ من عُصْنِ
وأنشدني له من قصيدة أولها [من الطويل] :

* سرى البرق فارتاع الفؤاد المعذبُ *

يقول فيها :

وبات ضجيعي منه أهيف ناعمٌ وأدعجُ نشوانٌ والعسُ أشنبُ^(١)
كأنَّ الدجى في لون صدغيه طالعٌ وشمس الضحى في صحن خديهِ تغربُ
وإني لألقي كلَّ خطبٍ بمهجةٍ يهون عليها منه ما يتصعبُ
وأستصحب الأهوال في كلِّ موطنٍ ويمزج لي السَّم الذعاف فأشربُ^(٢)
فما الحرَّ إلا مَنْ تدرَّع عزمه ولم يك إلا بالقنا يتنكبُ^(٣)
وما لي أخاف الحادثات كأنني جهولٌ بأنَّ الموت ما منه مهرُبُ
خليلي ما في أكؤس الراح راحتي ولا في المثاني لذتي حين تضربُ
ولكنني للمدح أرتاح والعللا وللجود والإعطاء أصبو وأطرب
ومن بين جنبيه كنفي وهمتي يروح له فوق الكواكب موكبُ !

وقوله [من الطويل] :

إذا حان من شمس النهار غروبُ تذكّر مشتاقٌ وحنَّ حبيبُ

(١) الأدعج : من الدعج وهو سعة العين مع شدة سوادها وشدة بياضها ، والألمس : الذي في شفته سمرة ، والأشنب : البارد الرضاب .

(٢) الذعاف : القتال .

(٣) تدرَّع : جعله درعا ، ويتنكب : يتكل ويتكىء .

تُرى عندهم علمٌ وإن شطَّت النوى
لهم كبدي دوني وقلبي ومهجتي
فأية حزني لوعةٌ وصباةٌ
وما بلد الإنسان إلا الذي له
إلى الله أشكو وشكٌ بين وفرقةٌ
وقوله [من الطويل]:

بأنَّ لهم قلبي عليَّ رقيبٌ
ونفسي التي أدعى بها وأجيبُ
وعنوان شيني زفرة ونحيب
به سكنٌ يشتاقه وحبيب
لها بين أحشاء المحبِّ ديبُ

أما والذي لا يملك الأمر غيره
لئن كان كتمان المصائب مؤلماً
وبي كل ما تشكو العيون أقله
وقوله ، وهو مما يتغنى به [من البسيط]:

ومن هو بالسَّـرِّ المكتَّم أعلمُ
لإعلانها عندي أشدُّ وآلم
وإن كنت منه دائماً أتبسَّمُ

والبين صعبٌ على الأحياب موقعه
قواه عن حمل ما فيه وأضلعه
من شتَّ شمل الهوى بالبين يجمعه
غريق بحرٍ يرى الشاطي ويمنعه

قالت وقد نالها للبين أوجعه
اجعل يديك على قلبي فقد ضعفتُ
واعطف عليَّ المطايا ساعةً فحسى
كأنتني يوم ولَّتْ حسرةً وأسى
وقوله [من الطويل]:

بلا غضبٍ سكرى الجفون بلا سكرٍ
وفي حيث يهوى القرط منها سنا الفجر^(١)
وتفتَّر عن مثل الجمال من الثغر

وغضبي من الإدلال والتَّيه والهوى
كأنَّ على لَبَّاتها رونق الضحى
ترى البدر مثل البدر في صحن خدَّها
وقوله [من السريع]:

والبرق قد أومض فاستضحكا

أما ترى الرعد بكى فاشتكى

(١) اللبة : موضع القلاد من الصدر ، والسنا : الضياء .

أضحك وجه الأرض لما بكى
كأنه صندل أو مسكا

فاشرب على غيم كصبغ الدجا
وانظر لماء النيل في مده

وقوله [من المنسرح] :

آخرها مشبه لأولاها
والثم الشمس من محياها^(١)
بأكؤس السكر وهي عيناها
بآخر اللحظ في فمي فاها
وليس إلا الخدود مأواها
ونقلها اللثم حين أسقاها^(٢)
بدار حزوى ما كان أحلاها
أعلى رباها الى مصلاها
والعز من فجرها ومغداها^(٣)
أو صعبت خطة حويناها

وليلة بتها على طرب
أقبل البرق من ترائبها
سقتني الراح وهي خذاها
إذا أرادت مزاحها جعلت
فيالها قهوة معتقة
حباها الثغر حين يمزج لي
لله أيامنا التي سلفت
فالقصر من حيرة الملوك إلى
إذ نجتني اللهو من أصائلها
إن عرضت لذة ملكناها

وقوله [من الطويل] :

على وجه معشوق السجا يا مقرطق^(٤)
وإشراقها من خده المتألق

وصفراء لم تطبخ بنار شربتها
كأن حباب الكأس من نظم ثغره

وقوله [من المنسرح] :

ما قدرته كمثل ما قدرا

لو صوّرت خلقها إرادتها

(١) الترائب : جمع تريبة وهي موضع القلادة من الصدر .

(٢) الحباب : فقاع الخمر ، والنقل : ما يؤكل معها .

(٣) مغداها : أي وقت الغدو صباحاً .

(٤) المقرطق : الذي يلبس القرطق وهو نوع من الثياب .

كأمسك نشرأ ، والبرق مبتسماً
وقوله [من السريع] :

شبهتها بالبدر فاستضحكت
وسفّحت قلبي وقالت : متى
والبدر لا يرنو بعينٍ كما
ولا يميّط المرط عن ناهِدٍ
من قاس بالبدر صفاتي فلا
وقوله [من البسيط] :

ناولتها شبه خديها مشعشةً
فقبلتها وقالت وهي ضاحكةً
أليس خدّاي ذابا إذ لمستهما
قلت : اشربي إنّها دمعي وحمرتها
قالت : إذا كنت من حبي بكيت دماً
يا ليلةً بات فيها البدر معتنقي
وبتٌ مستغنياً بالثغر عن قدحي
وقوله [من الطويل] :

وما أمّ خشفٍ ظلّ يوماً وليلةً

والغصن قدأ ، والحقف مؤتزرا^(١)

وقابلت قلبي بالنُّكر
سمجتُ حتّى صرت كالبدر؟^(٢)
أرنو ، ولا يبسم عن ثغر
ولا يشدّ العقد في نحر^(٣)
زال أسيراً في يديّ هجري

صرفاً كأنّ سناها ضوء مقباسٍ^(٤)
وكيف تسقى خدود الناس للناس
فاستنبطاً قهوةً حمراء في الكاس
دمي وطابخها في الكأس أنفاسي
فسقنيها على العينين والراس
وباتت الشمس فيها بعض جلّاسي
وبالخدود عن التفاح والآس

بيلقعةٍ بيداءٍ ظمآن صاديا^(٥)

(١) الحقف : المعوجّ من الرمل .

(٢) سمجت : أصبحت ثقيلة .

(٣) يميّط : يزيح ، والمرط : الثوب .

(٤) المقباس : الضوء والسراج .

(٥) البلقعة : الأرض الخالية التي لا شيء فيها .

مولهه حيرى تجوب الفيايا
لغلتهها من بارد الماء شافيا
فألفته ملهوفاً إلى الجوع ظاميا
ونادى منادى الحي أن لا تلاقيا

وفيل إقدامي شبا الحدثان^(١)
للموت حين يفر كل جبان^(٢)
وتسلط الأيام عز مكان
ذرعاً بأيامي وعر زمان
فكذا ملالته من الحرمان
فكذا يكر لمعشر بهوان
فلسوف يأتي بعدها بليان
وسل الحوادث عن ثبات جناني
بين العزائم واهن الأركان
إلفاً ولا أهوى سوى الإحسان
قطع السيوف القاطعات لساني

تهيم فلا تدري إلى أين تنتهي
أضر بها حر الهجير فلم تجد
إذا بعدت عن خشفها انعطفت له
بأوجع مني يوم شدوا رحالهم
وقوله مفتخراً [من الكامل] :

ألقي الكميّ فلا أخاف لقاءه
وأكرّ في صدر الخميس معانقاً
ويزيدني كل الخطوب تعظماً
وعلمت أخلاق الزمان فلم أضق
وكما يملّ الدهر من إعطائه
وكما يكرّ لمعشر بسعادة
فإذا رماك بشدة فاصبر لها
وسل الليالي عن نفاذ عزيمتي
يخبرك عني أنني لم ألقها
اصبحت لا أشتاق إلا للندي
وإذا السيوف قطعن كل ضريبة
وقوله [من الخفيف] :

اسقياني فلست أصغي لعذل
ليس إلا تعلّة النفس شغلي
أطيع العذول في ضدّ ما أهوى
كأنّي اتهمت رأيي وعقلي
عللاني بها فقد أقبل الليل
كلون الصدود من بعد وصل

(١) الشبا : حدّ السيف والسهم والنصل والحدثان : الليل والنهار .

(٢) أكرّ : أقدم وأهجم ، والخميس : الجيش .

وانجلى الغيم بعدما أضحك الروض بكاء السحاب فيه بوبل
عن هلال كصولجان نضارٍ في سماء كأنها جامٌ ذبل^(١)

أحسن في هذا التشبيه ما شاء ! وقوله [من الطويل] :

إذا هبَّ سلطان المريسِيّ نافحاً سُحيراً وحلَّ القرُّ كلَّ نقابٍ^(٢)
ومدَّ على الأفق الغمام ثيابه فقمُ فالقه في عدَّةٍ وحرابٍ
بكنٍ وكانونٍ وكأسٍ مداميةٍ وكيسٍ وكسٍ وافرٍ وكبابٍ^(٣)

وقوله [من الكامل] :

ورد الخدود أرقُّ من ورد الرياض وأنعمُ
هذا تنشُّقُهُ الأنوفَ ف وذا يقبِّله الفمُ
فإذا علت فأفضل الوردَين وردٌ يُلثَمُ
هذا يُشَمُّ ولا يضمُّ وذا يضمُّ ويشمم

وأنشدني المصيصي له [من المنسرح] :

وجنة من شفني هواه ومن أفنيت فيه دموع آماقي
كأنما الصيرفي دثر ما يحمر منها ودرهم الباقي

وأنشدني له أبو الحسن علي بن مأمون المصيصي من قصيدة مخمسة

اولها [من الهزج] :

دمُ العشاق مطلول ودَيْنُ الحبِّ ممطولُ^(٤)

(١) الجام : الإناء ، وذبل : مصنوع من عظام بحرية .

(٢) سحيراً : وقت السحر ، والقرُّ : البرد .

(٣) الكنَّ : البيت والستر .

(٤) مطلول : مسفوك ، والمطل : التسويف وعدم الوفاء بالوعد .

وسيف اللحظ مسلول ومبدا العيب معزول
وإن لم يصغِ للآثم

إذا لم يظهر الحب ولم ينهتك الصب
ويفشي سره القلب فجملة ما ادعى كذب
فبُح يا أيها الكاتم^(١)

وأحور ساهر الطرف يفوق جوامع الوصف
مليح الدلّ والظرف جنت الحاظه حتفي
فمن يعدي على الظالم

أطاع جفونه السحر وذلّ لوجهه البدر
وماد بردفه الخصر وأشبه ثغره الدر
فقلب محبه هائم؟

يعتفني على حبي ويهجرتي بلا ذنب
كأنني لست بالصّب لقهوة ريقه العذب^(٢)

أما في الحب من راحم؟
غزال لحظه شركه وبدر ثوبه فلكه
لو أني كنت أمتلكه فأنهب ما حوت تككه^(٣)

نهاب الظافر الغانم
خذوا بدمي قنا القدّ وحسن تورّد الخدّ

(١) باح : أعلن .

(٢) الصّب : العاشق .

(٣) التكه : حبل يربط به السروال .

وليل الشعر الجعد وثقل الكفل النهـد
وسقم الأعين الدائم

متى يظفر بالوصل وينفي الجور بالعدل
محبٌ دائم الخبل سليب الصبر والعقل
كثيبٌ مدنفٌ هائم

بحسن الأعين النجل وعُضُّ الوقف والحجل^(١)
وذاك القصب الجدل وريق كجنا النحل
وثغرٍ يطمع الشائم^(٢)

سلوا الشمس التي طلعت علينا ثم ما أفلت
عسى ترثي لمن قتلت بعينها وما علمت

فقد يستعطف العالم

أما والخرد الصفر شبيهات سنا البدر
وألوان صفا الخمر لقد أضرم من في صدري^(٣)

غراماً ليس بالنائم

وراح تبعث الطربا وتحسي الظرف والأدبا
يثير مزاجها حبا تخال به عيون دبي^(٤)

(١) النجل : الواسعة ، والوقف : السوار في يد المرأة .

(٢) الشائم : الناظر والمتطلع .

(٣) أضرم : أوقد النار .

(٤) الدبي : الجراد .

ودراً صفه الناظم

أما والجمرة الكبرى وزمزم والصفاء ومنى
ومن لبي بها ودعا وطاف البيت ثم سعى
خميصاً مخبئاً صائماً^(١)

لقد أضحى لنا خلفاً نزاراً وابتنى شرفاً
وأصبح خامس الخلفاء وأحيا سعيه السلفاً
وأضحى بالهدى قائماً

نمى في المجد عنصره وطال النجم مفخره
وفاق البدر منظره فصرف الدهر يحذره
أبي لئن صارم

وقوله في الراي [من الوافر]:

كأن الراي حين أتى طرياً بأذناي كمجمرة العقيق^(٢)
بإسقيات بلورٍ لطافٍ بأسفلها بقايا من رحيق

٨٠ - محمد بن أبي مروان بن أخي المستنصر بالله

المدعو الخليفة بالأندلس ، وهو الحكم بن عبد الرحمن المرواني من

شعره [من الطويل]:

وما كان من عطفٍ عليّ حديثها ولكن لتعذيب الفؤاد المعذب
حديث لو استسقت به الصخر جادها بأعذب من صوب الغمام وأطيب

(١) الخميص : الجائع ، والمخبئ .

(٢) الراي : نوع من السمك .

وقوله [من مخلع البسيط]:

راجعه شوقه فحنّا
وسال من دمه مصون
فعاد فيه الهوى يقيناً
لو كان يلقي الذي تلاقي

وقوله [من الخفيف]:

بين أجفانها وبين ضلوعي
لست أدري أين مدى طرفها الفا

وقوله [من الخفيف]:

قد رضيت الهوى لنفسي خلاً
وتذلت للحبيب وعزّ الـ
بأبي من أحلّ قتلي عمداً
سوف أجزي الحبيب بالصدود وداً
وإذا ما استزاد تيهاً وعُجباً

وقوله [من الخفيف]:

غير مستنكر همول دموعي
ليس عزّي إلّا فناء عزائي
وبحسبي أنّي ألاقي عدولي

وقوله [من الطويل]:

أعدّ نظراً واستوقف الطرف منعماً

وشفّه شجّوه فأنا^(١)
أظهر ما كان مستكناً
وكان عند الرقيب ظناً
أوسع رحمةً ومنّا

نازعتني الحياة أيدي المنون
تن موتي أم طرفي المفتون

ورأيت الممات في الحبّ سهلاً
صبّ في سنة الهوى ان يذلاً
وهنيئاً لسيدى ما استحلاً
مستجداً وبالقطيعة وصلاً
زدت نفسي له خضوعاً وذلاً

في التّصابي وغير بدع خشوعي
وسنائي إلّا بقاء خضوعي
باصطبارٍ عاصٍ ودمع مطيع

تجدّ كلّفاً صبّا بحبك مغرماً

(١) أنا : من الأنين ويكون وقت المرض .

سرى الحبُّ في أخلاقه فأرقها
ولست تراه سائلاً منك عطفةً
فإن جدت لاقته الحياة كريمةً
وقوله [من الطويل]:

لئن وعدتني وصلها وعدَّ عاتبٍ
فأفضل ثوب الغيث في الأرض دافقُ
فإن ما نعتني فضل إنجاز موعِدٍ
فلا كان لي في الأرض رزقُ أناله
وقوله [من الخفيف]:

يارببعي ما كان ضرَّك لوجد
ورده ذاهبٌ ووردك باقٍ
كن شفيعي إليك ياجنة الخلد
وقوله [من الخفيف]:

كم تصاب أردفته بتصاب
وكؤوسٍ عاطيتها بدر تمَّ
وغصونٍ جنيت منها ثماراً
زمنٌ بكيته حسب وجدي
وقوله [من الطويل]:

ومختطفٍ للعين بتُ أشيمه
سرى يخبط الظلماء حتَّى كأنه

وعلمهُ احكامه فتعلماً
حذاراً من التقبيل إلا توهماً
وإن لم تجد لاقى الحمام مقدها

يجاحدني وعدي وينكرني حقِّي
وأبلغه ما جاء بالرَّعد والبرق
فإن الحيا الممنوع أشهى الى الخلق
إذا لم يكن في نيل موعدها رزقي

ت علينا كما يجود الربيعُ
وهو سهلٌ به وأنت ممنوعُ
د فمالي غير الخضوع شفيعُ

واضطباحٍ وصلته باغتباق
جلَّ أن يعتريه نقصُ المحاق
لم يشنها تساقط الأوراق
كنت أبكيه من دم الأحداق

مجالسةً والليل حيران مطرُقُ^(١)
بوجدني يسرى أو بقلبي يخفق

(١) أشيمه : أتبعه وأنظر إليه .

وقوله [من الطويل]:

تبَدَّتْ بأكناف الحجاز ديارها كأنَّ بأنفاسي استمدَّ ضرامها
فأوقد نار الوجد في القلب نارها يحنُّ إليها القلب حتَّى كأنما
وعن كبدي الحرَّى تلظِّي استعارها^(١)
إليه تناهيها ومنه انتشارها
وقوله [من الطويل]:

ولما حمى الشوق المبرح ناظري شربت عقاراً أذكرتني بريقه
كراه حذاراً أن يريني مثاله فهل هي إلَّا نعمةً مسترقَّةُ
وأهدت كرىً اهدى إليَّ خياله أنالت يدي ما لم أومل نواله

* * *

٨١ - حبيب بن أحمد الأندلسي

قال [من الخفيف]:

ودعنتني بزفرةٍ واعتناقٍ وتصدَّتْ فأشرق الصُّبح منها
ثم نادت متى يكون التلاقي ؟ يا سقيم الجفون من غير سقمٍ
بين تلك الجيوب والأطواقِ إنَّ يومَ الفراق أفظعُ يومٍ
بين عينيك مصرعُ العشاقِ ليتني متُّ قبل يومَ الفراق

وله [من الرمل]:

هيَّج البين دواعي سقمي أيها البين أقلني مرَّةً
وكسا جسمي ثوبَ الألمِ يا خليَّ الروع نم في غبطةٍ
فإذا عدت فقد حلَّ دمي إنَّ من فارقتَه لم ينمِ

(١) تلظِّي استعارها : أي وهج اتقادها .

ولقد هاج لقلبي سقماً حُبُّ من لو شاء داوى سقمي
وقوله [من الخفيف] :

وجنة كالريبع جاد عليها من حياء لا من حياء وسمي
ووجوه قلبتها كالذنانير ومثلي لمثلها صيرفي
تتهادى الرياح منها نسيماً شابه عنبر ومسك ذكي^(١)

وقوله [من الطويل] :

ألا بأبي من قلبه غير مشفق عليّ ، ولي قلب عليه شفيق
وإني لأبدي للوشاة تبسماً وإنسان عيني في الدموع غريق^(٢)
وكم شافهتني للصبأ أريحية ومازج ريقى للأحبة ريق

* * *

تم - بحمد الله تعالى وحسن توفيقه - مراجعة الجزء الأول من كتاب
يتيمة الدهر ، في محاسن اهل العصر « لأبي منصور الثعالبي . ويليهِ - إن شاء
الله تعالى - الجزء الثاني ، مفتتحاً بترجمة « الوزير أبي مروان عبد الملك بن
جهور » نسأل الله المعونة والتوفيق إلى إكماله .

(١) شابه : خالطه ومازجه .

(٢) إنسان عيني : يؤبؤ ناظرها .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الجديدة	٣
فهرس بأهم آثار المؤلف	٩
مقدمة الناشر	١١
مقدمة المؤلف	٢٥

الباب الأول

من فضل شعراء الشام على سائر البلدان	٣٧
---	----

الباب الثاني

في ذكر سيف الدولة	٣٧
فصل في انفجار ينابيع جودة على الشعراء	٤٢
ملح شعر سيف الدولة	٥٣

الباب الثالث

في ذكر أبي فراس واشعاره	٥٧
قطعة من أخباره مع سيف الدولة	٥٨

الموضوع	الصفحة
الشكوى والعتاب سوى الروميات	٧٦
أوصافه وتشبيهاته	٨١
الحكمة والموعظة	٨٣
الروميات من غرر أبي فراس	٨٥
من طرديات أبي فراس	١٠٨
فصل في آخر أيامه	١١٢

الباب الرابع

في ملح شعر آل حمدان وغيرهم	١١٥
منصور وأحمد ابنا كيغلغ	١١٩
أبو محمد جعفر وأبو أحمد عبدالله ابنا ورقاء الشيباني	١٢٢
أبو حصين علي بن عبد الملك الرقي القاضي بحلب	١٢٦
أبو الفرج سلامة بن بحر أحد قضاة سيف الدولة	١٢٩
أبو محمد عبد الله بن عمرو	١٣٠
أبو القاسم الشيطمي وأبو ذر أستاذ سيف الدولة	١٣٢
أبو الفتح البكتمري	١٣٣
أبو الفرج العجلي	١٣٥
أبو عبدالله الحسين ابن خالويه	١٣٦
أبو الفتح عثمان بن جني النحوي	١٣٧
الشمشاطي	١٣٨

الباب الخامس

في ذكر أبي الطيب المتنبي	١٣٩
ذكر ابتداء أمره	١٤١
نبذ من أخباره	١٤٦
الاستعانة بالفاظه ومعانيه	١٥٣
سرقات الشعراء منه	١٥٩

الموضوع	الصفحة
من سرقاته	١٦٤
بعض ما تكرر في شعره من معانيه	١٧١
قبح مطالعه	١٨١
اتباع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء	١٨٤
استكراه اللفظ وتعقيد المعنى	١٩١
عسف اللغة والإعراب	١٩٣
الخروج عن الوزن	١٩٥
استعمال الغريب	١٩٦
الركاكة والسفسفة	١٩٩
الخروج عن حد الاستعارة	٢٠١
الاستكثار من قول « ذا »	٢٠٢
الإفراط في المبالغة	٢٠٤
تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين	٢٠٥
إساءة الأدب بالأدب	٢٠٨
ضعف العقيدة ورقة الدين	٢١٠
الغلط بوضع الكلام في غير موضعه	٢١١
امثال ألفاظ المتصوفة	٢١٣
الخروج عن طريق الشعر إلى طريق الفلسفة	٢١٤
استكراه التخلص	٢١٥
قبح المقاطع	٢١٦
حسن المطالع	٢١٧
حسن الخروج والتخلص	٢١٨
النسيب بالاعرايات	٢١٩
حسن التصرف في سائر الغزل	٢٢٢
حسن التشبيه بغير أداة التشبيه	٢٢٤
الإبداع في سائر التشبيهات والتمثيلات	٢٢٥
التمثيل بما هو من جنس صناعته	٢٢٧
المدح الموجه	٢٢٩
حسن التصرف في مدح سيف الدولة بجنس السيفية	٢٣٠

الموضوع	الصفحة
الإبداع في سائر مدائحه	٢٣٢
مخاطبة الملوك بمثل مخاطبة المحبوب والصديق	٢٣٧
استعمال ألفاظ الغزل في أوصاف الحرب	٢٣٩
حسن التقسيم	٢٤١
حسن سياقة الأعداد	٢٤٣
إرسال المثل في أنصاف الأبيات	٢٤٥
إرسال المثاليين في مصراعي البيت الواحد	٢٥٠
إرسال المثل والاستملاء والموعظة وشكوى الدهر	
والدنيا والناس	٢٥١
افتضاضة أبكار المعاني في المراثي والتعازي	٢٦٣
الإيجاع في الهجاء	٢٦٦
إبراز المعاني اللطيفة في معارض الألفاظ الشريفة	٢٦٧
حسن المقطع	٢٧٤

الباب السادس

في ذكر النامي والناشي والزاهي وإخراج غرر أشعارهم	٢٧٩
أبو القاسم الزاهي	٢٨٩

الباب السابع

في ذكر أبي الفرج عبد الواحد البيغاء وغرر نثره وشعره	٢٩٣
في بيان غرر من رسائله الموصولة بمحاسن شعره	٣٠٢
ذكر ما دار بينه وبين أبي اسحاق الصايي	٣٠٩
ما أخرج من شعره يتغنى به	٣١٦
من غرر شعره في الغزل والخمر	٣١٩
غرر شعره في سائر الفنون	٣٢٥

الباب الثامن

في ذكر الخليل الشامي والأواء الدمشقي أبي طالب الرقي	٣٣٣
---	-----

أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني الملقب بالوأواء	٣٣٤
أبو طالب الرقي	٣٤٦

الباب التاسع

في ملح أهل الشام ومصر والمغرب	٣٤٩
عبد المحسن بن محمد الصوري	٣٦٣
أحمد بن سليمان الفجري	٣٧٩
أبو حامد بن محمد الانطاكي المعروف بالرقعمق	٣٧٩
أبو القاسم الحسين المعروف بالواساني	٤٠٨
أحمد بن محمد الطائي الدمشقي	٤٣٣
أبو محمد الموصلي	٤٣٣
أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع النيسي	٤٣٤
اسحاق بن أحمد المارديني	٤٦٦
القاضي أبو عبدالله محمد بن النعمان	٤٦٦
محمد بن هارون ابن الأكمي	٤٧٥
عبيد الله بن محمد أبي الجوع	٤٧٧
الحسن بن محمد الشهواجي	٤٨٠
أبو علي صالح بن رشدين الكاتب	٤٨٢
أحمد بن محمد العوفي	٤٨٤
القائد أبو تميم سليمان بن جعفر	٤٨٥
الحسن بن خلاد	٤٩٢
أبو الحسن اللطيم	٤٩٣
سليمان بن حسان النصبي	٤٩٣
الحسن بن علي الأسدي	٤٩٦
ابن طباطبا الحسني الرسي	٤٩٧
ولده أبو محمد القاسم	٤٩٩
أخوه أبو اسماعيل	٥٠٠
أبو الحسن العقيلي	٥٠١

الموضوع

الصفحة

٥٠٣	أبو محمد بن أبي العفيرة الأنصاري
٥٠٤	أحمد بن محمد الكحال
٥٠٦	أبو الحسن محمد بن الوزير الحافظ
٥٠٨	أبو محمد بن أبي عمرو الطرازي
٥٠٨	أبو الحسن علي بن لؤلؤ الكاتب
٥٠٩	أبو القاسم عبد الصمد بن فضاله الصفار
٥١٠	ابن الزيعي
٥١٠	محمد بن عباس البصري
٥١٢	أبو عبد الله الحسين المعروف بالجميل
٥١٣	أحمد بن صدقة الكاتب
٥١٣	أبو الحسن بن أبي ياسر
٥١٣	محمد بن عاصم الموقفي
٥١٨	أبو الفتح البستي
٥١٩	أبو سهل بن أسباط
٥١٩	أبو العباس الكندي
٥٢٠	أحمد بن بدر المعروف بالبلاط
٥٢٠	أبو العباس الزوفي
٥٢١	عبد الوهاب بن جعفر
٥٢١	أبو البكر الموسوس
٥٢٢	أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن يونس
٥٢٤	أبو القاسم عبد الغفار المصري
٥٢٤	أبو العباس أحمد بن مروان بن حماد النحوي
٥٢٤	محمد بن جعفر الأنصاري الكاتب
٥٢٥	أبو علي تميم بن معد صاحب مصر
٥٣٤	محمد بن أبي مروان
٥٣٧	حبيب بن أحمد الأندلسي
٥٤٠	فهرس الكتاب

يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ

فِي مُحَاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ

تَأَلَّفَ

أَبِي مَنْصُورٍ عَبْدِ الْمَلِكِ الشَّعَالِيِّ النِّيسَابُورِيِّ
الْمُتَوَفَّى ٤٢٩ هَجْرِيَّةً

شَرَحَ وَتَحْقِيقَ
الدُّكْتُورُ مُفِيدُ مُحَمَّدٍ قَمِيحَةَ

الْجُزْءُ الثَّانِي

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

يطلب من: دار الكتب العلمية - ص ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

نيو ملكارت سنتر - الرملة البيضاء - قرب محلات سبينيز

هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٠٨٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - الوزير أبو مروان عبد الملك بن جهور

أنشدت له [من البسيط] :

أسقمتَ قلبي فكن أنت الدواء له ولا تدعُه بأيدي الشوق مخترماً^(١)
عيناى أورثناه سقمه نظراً رضيت دمعى من عينيّ منتقماً
وقوله [من الكامل] :

أحاطه منهوكة النظر ضعفت نواظرها من الخفر^(٢)
وحديثه أشهى لسامعه من نغمة الشّادي على الوتر
ورضابه أشهى على كبدي من ريّ عذبٍ باردٍ خَصير^(٣)
وكانَ قلبي حين يفقده ما بين ذي نابٍ وذو ظفر

وقوله [من البسيط] :

يا أحسن الناس في عينيّ مبتسماً وأعذب الخلق عندي منطقاً وفما
حلّت بقلبي من عينيك نازلةً من الهوى صيرتني في الورى علماً

(١) المخترم : اسم المفعول من مصدر اخترمته المنية مثلاً ، والمقصود أنّه هالك .

(٢) الخفر : الحياء .

(٣) الخصر : البارد .

لم تبقَ جارحةٌ منِّي ألقبها
فأرحمُ مقامَ محبٍّ ما شكَا وبكى
إلا بعثت عليها بالهوى سقما
تبرماً بالذي يلقي ولا ندماً^(١)
وقوله [من السريع] :

أملح ما تنظر عينكِ شاكِ شكَا الحبِّ إلى شاكِي
يَقْصُرُ من ذكركِ ليلي على أنِّي فيه ساهرٌ باكي
ولي فؤادٌ يستجير من الشـشـوق إلى برد ثناياك
سيدتي لو كنت أبصرت ما يصنع بي حبك أبكاك
وقوله [من البسيط] :

أنار لي وجهه ليلاً فخلت به
ومرَّ يمشي دقيق الخصر يجذبه
بدراً تماماً على الآفاق يطلّع
ردفٌ ، فقلت : أدركوه قبل ينقطع^(٢)
وقوله [من الوافر] :

أجلّك أن تحلّ بك الأمانِي
وأكره أن يمثلك التمني
ولو أني استطعت لفرط شجوي
وما أشكو إليك بغير دمعي
فكيف بأن أراك وأن تراني
حذاراً أن ييوح به لساني
عليك لما رآك الحافظان
بيانُ الدمع أعربُ من بياني
وقوله [من البسيط] :

اليوم منقبض والدمع منبسط
حملت قلبي أن يسلو تذكُّره
وحب من شفني بالروح مختلط
فقال : إن الذي حملتني شطط^(٣)

(١) التبرم : الملل والضجر .

(٢) وصل الهمز من « أدركوه » ليستقيم له الوزن .

والردف : العجز .

(٣) الشطط : البعد والجفاء .

تسومني الصبر عن روحي وتمنعني
عن ذكره ، إن ذا من رأيك الغلط
وقوله [من الوافر] :

ترى العشاق لاقوا ما ألقى
خصصت من الهوى بامرّ شيء
أنا العبد الذي لا عتق يرجو
وقوله [من الطويل] :

وما سرّني أن الهوى غير صاحبي
ولا كنت أرضى أن أرى متخلياً
نسيم الهوى أذكى وإن جار واعتدى
وقوله [من الطويل] :

ومن يحمد الصبر الجميل على الهوى
إذا كان قلب المرء لا يآلم النوى
وقوله [من الكامل] :

أحوى النواظر ألعس الشفتين عذب الريق آلمى^(١)
مخضراً شاربهُ علا درأً يريك الدرّ نظماً
لو زارني طيفٌ له عند الهجوع ولو أَلَمَّا
لأعاد روحاً أو لفرّ ج من هموم النفس همّاً

* * *

(١) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .

(٢) الأياق : الهرب .

(٣) العبشميين : كلمة منحوتة من « عبد شمس » .

(٤) الأحوى : شديدُ بياض العيان وسوادها ، واللّمس : سواد مستحسن في الشفة ، واللّمي : سمرة في الشفة .

٢ - أحمد بن عبد ربه الأندلسي ، رحمه الله تعالى !

أنشدت له [من الكامل] :

بَكَرْتُ عَلَيَّ عَوَازِلِي تَلْحِينِي
إِيهَاءَ عَلَيْكَ فَقَدْ كَبُرْتَ عَنِ الصَّبَا
أَنْتَى وَكَيْفَ وَقَدْ رَأَيْنَ تَغْيِيرِي
وَعَلَى مَفَارِقَةِ الشَّبَابِ شَمْتُنْ بِي
أَذْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا تَهَبَ الْجَوَى
وَفَتَّنَنِي بِلَوَاحِظٍ تَشْكُو الضَّنَى
يُذَكِّينَ فِي قَلْبِي وَبَيْنَ جَوَانِحِي
وَمِنْهَا أَيْضاً :

يَا ابْنَ الْخَلَائِفِ ، إِنَّ أَيَّامَ الْغَنَى
بَنَوَالِهَا وَسَجَالِهَا وَثَمَالِهَا
وَقَوْلُهُ [من الكامل] :

وَصَحَائِحُ مَرْضَى الْعْيُونِ شَحَائِحُ
أَضْنَيْنِي بِلَوَاحِظٍ تَشْكُو الضَّنَى
بَجَوَى حَوْتِهِ مَهْجَتِي عَنْ مَقْلَتِي
وَالْجَارُ قَدْ يَشْقَى بِذَنْبِ الْجَارِ

(١) بكرت : أسرعت . وتلحيني : تلومني .

(٢) إيهاء : أمر بالسكوت .

(٣) الجوى : العشق والحرقه .

(٤) أصليتي : أي أسعرت النار بين الجوانح .

وله في العذار [من الكامل] :

يا ذا الذي خط الجمال بخده
ما صح عندي أن لحظك صارمٌ
خطين هاجا لوعةً وبلا بلا
حتى ليست بعارضيك حمائلًا^(١)

وفي مثله [من الكامل] :

ومعذرٍ نقش الجمال بمسكه
لما تيقن أن سيف جفونه
خدأ له بدم القلوب مضرًا
من نرجس جعل التجاد بنفسجا^(٢)

وقوله [من الوافر] :

تعللنا أمانة بالأمانى
إذا ما قلت : أين الوصل؟ قالت :
ولجّ بنا البعاد من التداني
طلبت العز في دار الهوان

وقوله [من الخفيف] :

بذمام الهوى أمتٌ إليه
بأبي من زها عليّ بوجه
وبحكم العقار أقضي عليه
كلما علّني من الراح صرفا
كاد يدمي لما نظرت إليه
فسقتني عيناه قبل يديه
علني بالرضاب من شفّته
ناول الكأس واستمال بلحظ

وقوله [من الرمل المجزوء] :

أيها البدر الذي ضنّ علينا بالطلوع
ابغ لي عندك قلباً طار من بين ضلوعي
يا بديع الحسن كم لي فيك من وجدٍ بديع

(١) العارضين : الخدين ، والحمائل : علائق السيف .

(٢) التجاد : حمائل السيف .

وقوله [من الطويل] :

وساجبةً فضل الذبول كأنها
إذا ما بدت من خدرها قال صاحبي :

قضيّبٌ من الريحان فوق كثيب
أطعني وخذ من وصلها بنصيب

وقوله [من الكامل] :

ينبيك أنك لم تجد وجدي
نام الخلي عن الشجي به
كنت الشفاء فصرت لي سقماً

ما خدّت العبرات من خدي^(١)
وجفا الملول ولجّ في الصدّ
أبدأ تنوق إلى هوى مُردّي^(٢)

وقوله [من الطويل] :

سقوني حمامي يوم ساقوا حملهم
وأخرسَ لفظي وهو ليس بأخرسٍ
فيا أبّي تلك الدموع التي همت

فرحت وراحوا بين ساقٍ وسائقٍ
وأنطقَ دمعي وهو ليس بناطقٍ
فدلّلت على مكنون تلك العلائق

وقوله [من الكامل] :

أزف الرحيل فودّعني مقلّة
وتطلعت بين الحدوج كأنها
وشكت تباريح الصباية والهوى
كمهاة رمل قد تربّعت الحمى
حتى إذا ضرب المصيف رواقه

أوحّت إليّ جفونها بسلام
شمس تطلّع في خلال غمام^(٣)
بمدامعٍ نطقت بغير كلام
بين الظباء العفر والآرام^(٤)
صافت بظلّ أراكّة وبشام^(٥)

(١) ينبيك : يخبرك ، والوجد : شدة العشق وخدّت : تركت آثاراً في الوجه والعبرات : الدموع .

(٢) تنوق : تشغف وتميل أشد الميل ، والمردّي : المهلك .

(٣) الحدوج : مراكب للنساء .

(٤) الظباء العفر : هي التي يعلو بياضها حمرة ، أو في سرّتها احمرار ، والآرام : جمع رثم وهو ولد الظبية .

(٥) صافت : أي قصت زمن المصيف ، والبشام بفتح الباء : شجرٌ عطر الرائحة .

وقوله [من الطويل] :

ألا إنما الدنيا غضارة أيكة
هي الدار ما الآمال إلا فجائع
فكم سخنت بالأمس عينٌ قريرةٌ
فلا تكتحل عيناك منها بعبرة

إذا اخضر منها جانب جف جانب
عليها ، ولا اللذات إلا مصائب
وقرت عيونٌ دمعها اليوم ساكب
على ذاهب منها فإنك ذاهب

وقوله [من الطويل] :

صحا القلب إلا نظرةً تبعث الأسى
بلى ربّما حلّت عرى عزماته
لواقط حبات القلوب إذا رنت
وريط من الموشي أينع تحته
برودٌ كأنوار الربيع لبسناها
قرين نجوم ديم عن نور أوجه
وجوه جرى فيها النعيم فكللت
سألبس للأحزان ثوباً تصبر
وكيف ولى قلب إذا هبت الصبا

لها زفرة موصولة بحنين
سوالف آرامٍ وأعين عين^(١)
بسحر عيونٍ وانكسار جفون
ثمار صدورٍ لا ثمار غصون^(٢)
ثياب خضابٍ لا ثياب مجون
تجنُّ بها الأبواب أيّ جنون^(٣)
بوردٍ خدودٍ يجتني بعيون
وإن لم يكن عند اللقاء بحصين
أهاب بشوقٍ في الفؤاد كمين

وقوله [من البسيط] :

ونائحٍ في غصون السّدر أرقني
مطوّقٌ بعقودٍ ما تزايله

وما عنيت بشيءٍ ظلّ يعنيه
حتى تزايله إحدى تراقيه^(٤)

(١) العرى : ما يصل الشيء بالشيء ومنه العروة .

(٢) الریط : كل ملاءة من نسجٍ واحد وقطعة واحدة .

(٣) ديم : يقال ديم به : أي أخذه الدوّار في رأسه .

(٤) تزايله : تفارقه .

قد بات يبكي لشجوه ما دريت به وبت أبكي لشجوه ليس يدريه

وقوله [من الخفيف] :

وقضيب يمس فوق كثيب طيب المجتنى لذيد العناق
قد تغنى كما استهل يغني ساق حر مغرد فوق ساق^(١)
يثر الدر في السامع نثراً بين در منظّم مستاق^(٢)
وافترضنا من العواتق بكرا نكحت أمها بغير صداق^(٣)
ثم بانت ولم تطلق ثلاثاً لم تبن حرة بغير طلاق
ديننا في السماع دين مديني ، وفي شربنا الشراب عراقي^(٤)

وقوله [من الوافر] :

سرى طيف الحبيب على البعاد ليصلح بين عيني والرقاد
فبات إلى الصباح يدي وساد لوجته كما يده وسادي
بنفسي من أعاد إلي نفسي ورد إلى جوانحه فؤادي
خيال زارني لما رأي عدتني عن زيارته عوادي
يواصلني على الهجران منه ويدنيني على طول البعاد

وقوله [من الطويل] :

وريان من ماء الشباب تهاقت به نشوات من صيا ودلال^(٥)
كما اهتز بان من أكاليل روضة تلاعبه ريحا صبا وشمال

(١) ساق حر : هو ذكر القماري المعروف بالحمام القمري ، سمّي بذلك لأن حكاية صوته ساق حر .

(٢) مستاق : متابع بعضها بعد بعض .

(٣) العواتق : الفتيات أول إدراكهن والصدّاق : المهر .

(٤) يريد بالمدني المنسوب إلى علم المدينة الامام مالك إذ يبيع السماع ، وبالعراقي المنسوب إلى عالم

العراق أبي حنيفة إذ لم يحرم غير المسكر من النبيذ .

(٥) الريان : الكثير الارتواء ، وتهاقت : تداعت وثبت .

تعلّم منه الهجر طيفُ خياله هدوا فما يلقاه طيف خيال
وأعرض حتى عاد يعرض في المنى ويمنع ذكره الخطور ببالي
وقوله [من الكامل] :

بأبي غزال صدّ بعد وصاله وزها عليّ بحسنه وجماله
سلب الكرى عيني وألبسها الكرى وحمى خيالي من لقاء خياله^(١)
وقوله [من البسيط] :

مستوحشاً من جميع الناس كلهم كأنما الناس أقذاءً على بصري^(٢)
وقوله [من الطويل] :

أما والذي سوّى السماء مكانها ومن مرج البحرين يلتقيان
ومن قام في الأوهام من غير رؤية بأثبت من إدراك كل عيان
لما خلقت كفاك إلا لأربع عقائل لم يخلق لهن يدان
لتقبيل أفواه ، وإعطاء نائل ، وتقليب هنديّ ، وحبس عنان

* * *

٣ - عبد الملك بن سعيد المرادي

أنشدت له [من المديد] :

قد بلوت الحب مختبراً فأنا المسئول عن خبره
هو عذب عز مورده غير أن الموت في صدره
نظري أذكى جوى كبدي وهلاك الصّب في نظره^(٣)

(١) الكرى : من الأضداد يطلق على الأرق والسهاد ، ويطلق على النوم .

(٢) القذى : ما يقع في العين من وسخ وغيره .

(٣) أذكى : أوقد وأشعل وأهاج والصب : العاشق .

وقوله [من الكامل] :

قمرٌ بسبي ذوي العقول أنيقاً
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه
ورشاً بتقطع القلوب رقيقاً^(١)
دراً يصير من الحياء عقيقاً
أبصرت وجهك في سناه غريقاً^(٢)

وقوله [من الكامل] :

برح الخفاء فأعيتني أو عاتبي
لو كنت أعلم لي سوى فرط الهوى
يا ظالماً لا يستفيد بظلمه
هلاً عطفت عليّ عطفة راحمٍ
فهواك سدّ عليّ رحب مذهبني
ذنباً إليك لكنت أول تائب^(٣)
متعّباً في الحب غير معاتب
لما ذلت إليك ذلة راغب

* * *

٤ - الوزير أبو عثمان عبد الله بن يحيى بن إدريس

أنشدت له [من الطويل] :

أسحراً سقت عيني جفونك أم خمراً
وشعراً أراني صبح وجهك أم دجا
وجسمٌ تشنى بين ثوبيك ناعمٌ
فقد رحت ملآن الجفون به سكراً
ووجهاً جلا إظلام شعرك أم فجراً
أم الغصن اللدن اكتسى ورقاً خضراً^(٤)

وقوله [من الخفيف] :

رب خمر شربتها من جفون
ورياض جنيتها من حدود

(١) أنيق : متقن ومعجب .

(٢) السناء : الضياء .

(٣) فرط الهوى : شدته .

(٤) اللدن : الطري .

إذ يشجّ اللثام ريقاً بریقٍ ويلفّ العناق جيداً بجيد^(١)
تحت ظل من النعيم ظليل وبقيء من السرور مديد
وقوله [من الخفيف] :

إنّ بين الضلوع نيران شوقٍ وغليلاً يذوب منه الغليل^(٢)
وحيناً إليه في طول ليلٍ ما إلى الصبح من دجاء وصول
غاب صبري الجميل إذ غاب فيه وجهه عنّي المليح الجميل
وقوله [من الخفيف] :

إنّ بين الضلوع شوقاً دفيناً ترك القلب والهأ مستكينا
يا غزلاً يصبي القلوب هواه وهلالاً يُعشي سناه العيونا^(٣)
أنت علّمتني الصبابة والبخل فصرت البخيل فيك الضنينا^(٤)
وقوله [من البسيط] :

لأنزعنّ وإن لم أقض من وطري إلّا لبانة أشواقٍ ومُدَّكر^(٥)
أكفّ كفي وأثني من تقلّبه قلبي وأقصر من سمعي ومن بصري

* * *

٥ - يوسف بن هرون البطليوسي

أنشدت له [من الكامل] :

هو ظالمي لكن أرقُّ عليه من أن أجيل اللحظ في خديّ

(١) يشجّ : يشق ، والجيد : العنق .

(٢) الغليل : الظمأ .

(٣) أصبى : استمال ، وأعشى : أضعف البصر ليلاً ونهاراً .

(٤) الصبابة : رقة الحبّ وشدّته والضمنين : الشديد الحرص .

(٥) الوطر : الغاية ، واللبانة : الحاجة .

أعفيت رقة وجنتيه من أذى عيني وما أعفيت من عينيه
وكان در الخد يكسي حمرة الـياقوت من نظر العيون إليه

وقوله [من الوافر] :

أتضرب بين عيني واغتماضي بواشٍ من لواظك المراضِ
وتخلفني بوعد قد تَقَضَّى مدى عمري وليس له تقاضي
ولم أسألك إلا النزر ، إني بذاك النزر مغتبطٌ وراضٍ^(١)
أبحُ تفاحتك للحظ عيني وأعطيك الأمان من العضاضِ

* * *

٦ - عبد الله بن إسماعيل بن بدر

قال [من البسيط] :

أشكو إلى الله من سمعي ومن بصري ما يجلبان إلى قلبي من الفكرِ
قد كنت أسمع عمن لست أذكره خوفاً عليه من التصريح بالذكر
سمعت حتى إذا أبصرت قلت له : يا حاش لله ما هذا من البشرِ

* * *

٧ - سعيد بن محمد بن فرج

أنشدني له [من البسيط] :

سمعي فلا كان أعمى بالبكا بصري وقاد قلبي إلى الأحزان والفكرِ
فإن بكت مقلّة من فقد من عرقتُ فقد بكيت بمن لم أدر بالنظر
يا واصفيه رويداً إنَّ وصفكمُ لم يُبق من جلدي شيئاً ولم يذر^(٢)

(١) النزر : القليل واليسير .

(٢) الجلد : الصبر .

قالوا بدا فغلطنا بالسّرار له
وقوله [من الكامل] :

سقم الأحبة للقلوب سقام
لله بدرٌ قد تنقص نوره
وقوله [من المتقارب] :

بكيت ومثلي بكى للدواع
ولم أحمد الصبر يوم النوى
ولو كنت لم أبك من بينهم
وأنشدني لبعضهم شعراً [من الوافر] :

كلامك مثل ريقك ، ذا بهذا
فلو أني إذا أسمعْتُ هذا
فإن أبصرتني منه صريعاً
وقل هونشوة من خمر حباً
مزاج سلافةٍ حلوّ بعذب^(١)
شربت بذاك ضاع عليّ لبي^(٢)
فغالط في هواي وشاةٍ صحتي
فإن الدنّ قد يدعى بحباً

* * *

٨ - يحيى بن عبد الملك بن هذيل رحمه الله تعالى !

أنشدني له [من الخفيف] :

لا تلم هائماً قد استحسن الوجـد وكلّ أمره إلى استحسانه

(١) السّرار : اختفاء القمر والتبليج : الإشراق .

(٢) النوى : الفراق .

(٣) السلافة : الخمر .

(٤) لبي : عقلي .

فأنا الطائع المشوق لمن صا ر يُريني الهوانَ في عصيانه
 مرّ بي خاطراً يكاد من العجب به ان يُراعَ في ريعانه^(١)
 في ملاءٍ كأنّه وهو فيها ورد خديّه في جنى سوسانه^(٢)
 يشتكي بالفتور من كسل المشي ولا يشتكيه من أجفانه
 ولقد شفّني وأسهر طرفي لمع برقٍ يزفّ في لمعانه^(٣)
 شمتّه والظلام يفترّ عنه كافترار الزنجي عن أسنانه^(٤)

وقوله [من الطويل] :

ألا عودة من طيفه فيرى حالي يكاد يضيق الجو من عظم زفرتي
 ألا يا ادكاري للكرى لي أتى تالي وتهفو نجوم الليل من فرط إعوالي
 أطاع ولكن فعله هو أنكى لي أبي غير تعذيبي ولو أمر الردى

وقوله [من الخفيف] :

والثريا دنت من البدر حتى خلتها دارعا يدير مجناً^(٥)

وقوله [من الكامل] :

ومزنةً والبرق ينسج فوقها بردين من نوءٍ وطلٌّ باكي^(٦)
 مالت على طيّ الجناح وإنّما جعلت أريكتها قضيب أراك^(٧)

(١) خاطراً : ماشياً بزهو وتبختر، ويراع : من الروع وهو الخوف .

(٢) الملاء : الخمار .

(٣) شفّني : أمرضني وأهزلني .

(٤) شمتّه : ترقبته وتطلعت إليه .

(٥) المجن : الدرع .

(٦) المزنة : السحابة ، والنوء ، المطر .

(٧) الأراك : شجر طيّب الرائحة .

وقوله في الخضاب [من الكامل] :

لما رأَت شعري تغيَّر لونه ورأته محتجباً وراء حجابِ
قالت : خضبت ، فقلت : شبيبي إنما لبس الحداد على ذهاب شبابي

* * *

٩ - قاسم بن عبد الرحمن العجلي

أنشدني له [من السريع] :

استحيت الأغصان من قدّه وحر ماء الحسن في خدّه
إنّي لمشتاقٌ إلى ريقه طوبى لمن يرشف من برده

* * *

١٠ - محمد بن هشام بن سعد الخير

أنشدني له [من الخفيف] :

يا سقيم الجفون من غير سقمٍ حاشَ الله أن تبوء بائمي^(١)
أنت أذكيت في الحشا نار شوقي وجعلت السقام يلهو بجسمي
ما أبالي بمن لحاني إذا قا م خطيئاً من سحر عينيك خصمي

* * *

١١ - عبد الله بن حارث

قال [من الطويل] :

عزائم وجدٍ ما يحلّ لها عقد وجرية دمعٍ ليس يبقى لها خدٌ

(١) تبوء بائمي : أي تحمله .

ومقلّة ممنوع الرقاد كأنما
وبادية الإعراض لا عن ملالة
منعمة تزهو بخدّ مورّد
وقد وثقت مني بعزم صباية
وما الصدّ إلا كالوصال إذا غدا
جری بین عینیه و بین الکرى حقد
ولکن إعراضاً یولّده الود^(١)
کأن شعاع الشمس من خدها یدو
لها دون عقد الصبر من مهجتي عقد
لغير ملالٍ أو قلّى ذلك الصدّ^(٢)

* * *

١٢ - عباس بن قرماس

أنشدني له [من الطویل] :

وأحور ما يعفى العيون من العشق
وللحسن في خديّه شمس مقيمة
وما العيش إلا ميتة الهجر والنوى
له كذب في الجدّ أحلى من الصدق^(٣)
وبدر كمال لا يحور إلى محق^(٤)
بأحور ما يبقى هواه ولا يُبقي

* * *

١٣ - أحمد بن محمد بن فرج

قال [من الوافر] :

بنفسي من يصدّ بغير ذنب
عجبت لقلبه قاسٍ كجسمي
فهلاً بالتشاكل كان قاسٍ
سوى إدلاله ثقةً بحبي
ويحكي جسمه في اللين قلبي
لقاسٍ ، واغتدى رطباً لرطب^(٥)

(١) الإعراض : الصدّ والهجر .

(٢) القلى : البغض والكره .

(٣) الأحور : من كان في عينيه حور ، وهو شدة البياض وشدة السواد معاً .

(٤) لا يحور : لا يرجع ، والمحق : من المحاق وهو اختفاء القمر ، وأراد به النقصان .

(٥) التشاكل : التشابه .

وإن لم ينعطف باللين فظُّ
فقلبي بالقساوة قلب صبَّ
وقوله [من الوافر] :

بأيَّهما أنا في الحب بادي
سرى وأرادني أُملي ولكنْ
وما في النوم من حرجٍ ولكنْ
بشكر الطَّيِّف أم شكر الرقاد^(١)
عففت فلم أنل منه مرادي
جريت من العفاف على اعتقادي
وقوله [من الوافر] :

وما زال الهوى سكناً لقلبي
وألتذُّ الغرام المحض منه
كذاك الحب ضيفٌ ليس يأتي
أفرُّ إليه من نوب الخطوبِ
وأستحلي به حتى كروبي^(٢)
إلى غير الكرام من القلوب
وقوله [من الطويل] :

بمهلكة يستهلك الجهد عفوها
يرى عاصف الأرواح فيها كأنه
فتترك شمل العزم وهو مبددٌ
من الأين يمشي ظالعٌ ومقيّد^(٣)

* * *

١٤ - أبو الصخر عبد الله بن محمد

قال [من الخفيف] :

حبذا العيش بين يومٍ وصالٍ
وحديثٌ موشَّحٌ بعتابٍ
مستجدٌ وبين يومٍ صدودٍ
فيهما نزهة الفؤاد العميد^(٤)

(١) بادي : أراد أن يقول « باديء » فلم يستقم له الوزن فقلب الهمز ياء .

(٢) المحض : الخالص ، والكروب : الهموم .

(٣) الأين : التعب والاعياء . والظالع : الذي أصابه الظلع : وهو شبه العرج .

(٤) الموشَّح : المزين ، والعميد :

من غزالٍ في مقلتيه سهامٌ هنّ أمضى من مرهفات الحديد^(١)
وقوله [من الطويل] :

وكم ليلةٍ قد نادمتني نجومها أديمٌ صبحاً عندها وغبوقاً^(٢)
يعاطيتني كأساً ألدّ من المنى وأعذب من ريق الأحيّة ريقاً
وأنشدني لبعض شعرائهم [من الطويل] :

أيا شمس دنيائي التي كلما غدتُ لها عزّة المولى فلي ذلّة العبدِ
أعالج داء الدهر منك بذلّتي وقد قيل قديماً : عالجوا الضدّ بالضدّ

* * *

١٥ - زكريا بن يحيى المعروف بابن الطنجية

أنشدني له [من الكامل] :

صبراً على هجر الحبيب وصدّه لا يؤيسنك هجره من ودّه
لا تقنطن من الصدود فإنّما لين الزمان معرضٌ بأشده^(٣)
وأنا الفداء لشادنٍ علّفته حيّه صيرني تحلّة عبده^(٤)
ماء الشباب يجول في وجناته وحسام رونقه يجول بخده

وقوله [من الكامل] :

قف بالمطيّ على المنازلُ بالسفح من حصنٍ فعائلُ
دِمنٌ أناخ بها الربيع وحلّ أثقال الرواحل^(٥)

(١) المرهفات : أي الحادة ، وأمضى : أقطع .

(٢) الصبح : مشرب الخمر صباحاً ، والغبوق شرب الخمر مساءً .

(٣) القنوط : اليأس ، والصدّ : الإعراض .

(٤) الشادن : الغزال ، وعلفته : عشقته .

(٥) الدمن : الأطلال .

لعبت بها هوج البوا رح بالغدو وبالأصائل^(١)
تستن في عرصاتها وتجرو أذيال القسائل^(٢)
حتى كأن رسومها إخلق أجفان المناصل^(٣)
أو أسطر من عهد ذي ال قرنن في الصُحف الأوائل

* * *

١٦ - فاتك الشهواجي

[قال] في غلام يهواه [من الرجز] :

رسالة من كلف الفؤاد
أجفانه وقف على السهاد
إلى الذي ممّا لقيت خالي
يريد هجري ويرى مطالبي
يا غصن بانٍ مخجل الأغصان
يا قمرأ ما إن له مداني
بلغت أعداي الذي أحبوا
هذا جزا من بصبي يصبو
يا عبد ما تعرف ما ألاقي
نفس بحق الودّ عن خناقي
معذب بالصّد والبعاد^(٤)
يكي بدمع رائج وغادي
منعم العيش رخي البال
لئن سلاني لست عنه سالي^(٥)
ويا رقيم الدلّ والمعاني
يا ذا الذي بطرفه سباني^(٦)
صرت عليّ والزمان ألب
عشرت والطرف الجواد يكبو
يا عبد ما شوقك كاشتيافي
ما شدّد الهجران من وثاقي

(١) البوارح : الآلام .

(٢) العرصات : الساحات ، والقسائل : الغبار الساطع في الحرث .

(٣) إخلق : إبلاء ، والمناصل : السيوف وغيرها .

(٤) كلف الفؤاد : العاشق والمتيم .

(٥) المظل : التسويف .

(٦) سباني : أسرني .

يا ذا الذي يملكني بطرفه
يا قاتلي بوعده وخلفه
ارحم عزيزاً في هواك ذلاً
قطعه العذال فيك عدلاً
إرث لقلب دائم الجراح
لا تقبلن في قول لاهي
فقد عفا الرحمن عما قد سلف
واحن على الصب بوصل وانعطف
بحق ما في فيك من رصاب
لا تقطعن الدهر في عتاب
بحق من أنزل صُحُفاً وكتب
يا لعبة وافت على كل اللعب
لم يرض بالذلة غير نذل
إني أرى من دون هذا قتلي
وهي طويلة جداً .

* * *

١٧ - أبو بكر إسماعيل بن بدر

أنشدت له [من الطويل] :
غزالُ جنينا الورد من وجناته على أنه منّا القلوب بها يجني

(١) الخلف : عدم الوفاء ، والحنف : الموت والردي .

(٢) اللأحي : اللائيم ، وسراحي : فك أسري .

(٣) الصلف : التكبر .

(٤) الرصاب بضم الراء : الريق .

(٥) جد : تكرم .

إذا ما بدا والليل منسدل الدُّجَا رأيت سناه كيف يفعل بالدَّجَنِ
أُخْبِرُهُ بالطَّرْفِ أني أحبه فتخبرني عيناه أن قد وعى مِنِّي
وقوله [من السريع] :

كيف ترى شوقي وتعذبي يا غايةً في الحسن والطيب
إن الذي قال عليَّ العدى إفك كما قيل على الذَّيبِ
يا يوسفَ الحسنِ أما رحمةً تكشف عني ضرَّ أيوب؟^(١)

* * *

١٨ - مؤمن بن سعيد بن إبراهيم

أنشدت له [من مجزوء الرمل] :

قل لمن لست أُسمِّي بأبي أنت وأمي
ما على بعض ظباء الـ إنس لو فُرِّجَ همِّي ؟
سيّدي ، وجهك شمسٌ أشرقَتْ أم بدر تم ؟

وقوله [من الكامل] :

أودى الفراق بقلبه فكأته بعد الطعائن ميتٌ لم يلحد^(٢)
يا ظاعناً ولّى بقلبي إذ غدا ما الصبر من جزعي عليك بأحمد
أفنيْتُ فيك دموع عيني بعد ما أفنيْتُ فيك تصبُّري وتجلُّدي
الله يعلم أن نار صبابتي من يومِ بُنتَ جحيماً لم يبرد^(٣)

(١) يوسف الحسن : أي النبي يوسف عليه السلام وتكشف : تزيل ، والضرّ : البؤس والشقاء والعذاب ، وأيوب : أي النبي أيوب عليه السلام .

(٢) أودى : أذهب وأهلك وقضى ، والطعائن : النساء الراحلات ، والظعن : الرحيل والفراق .

(٣) بنت : بدت وغبت .

وقوله [من الكامل] :

ذكر الرّصافة قلبه فاشتاقا وأذاع ماء جفونه مهراقاً^(١)
كم بالرّصافة من أخٍ لي مسعدٍ لولا النوى ما جئنهم مشتاقاً
يا حبذا أرض الرّصافة منزلاً لقي الفؤاد بذكره ما لاقى
لا تنكروا شوقي إلى بلدٍ به أهلي فحكم البين أن اشتاقا

وقوله [من الرمل] :

إنما أزري بقدري أنني لست من بابة أهل البلد^(٢)
ليس منهم غير ذي مقلية لذوي الألباب أو ذي حسد^(٣)
يتحامون لقائي مثلما يتحامون لقاء الأسد
طلعتي أثقل في أعينهم وعلى أنفسهم من أحد
لو رأوني قعر بحرٍ لم يكن أحداً يأخذ منهم بيدي^(٤)

* * *

١٩ - الوزير أبو وهب عبد الوهاب بن محمد

قال [من الرمل المجزوء] :

قتلت عيناك عبدك قبل أن تقضيه وعدك
حُلّت عن عهد محبٍّ لم يزل يحفظ عهدك

* * *

(١) أذاع : أسال وأظهر ، ومهراقاً : أي أراقها وسفحها .

(٢) أزرى : أعاب وأنقص والبابة : الصنف ، والخصلة .

(٣) ذي مقلية : أي صاحب بغض وكره .

(٤) أي أنهم لو رأوه غريباً لما ساعدوه .

٢٠ - عبد محمد بن حسين بن طلحة العبسي

قال [من الخفيف] :

كيف صبري وأملح الثَّقَلَيْنِ مُخْلِفٌ موعدي ولاؤي بديني^(١)
كلما رمت وصلها وصلتي بصدودٍ وذنبُتي بين^(٢)
هي وسنى الجفون لكن بنومٍ مذ أرتنيه أذهبت نومَ عيني^(٣)

* * *

٢١ - الوزير أبو عثمان عبيد الله بن محمد بن أبي عبيدة

أنشدت له [من المتقارب] :

أمولاي حتى متى أضرعُ وأشكو إليك فما تسمعُ
نباي الوساد وطول البعاد وطار الرقاد فما أهجع^(٤)
أودُّ بأن المنايا أتت وأين يرى اللحد لي مضجع
يُقَطِّع قلبي صدودك عني فما لي في عيشةٍ مطمع

وقوله [من الوافر] :

صدودٌ ليس يبلغه عقاب وعتبٌ ليس يشنيه عتابُ
وإبعادٌ بلا ذنبٍ طويلٍ وإعراضٌ وصدٌ واجتناب
فلا سهرٌ يطيب ولا رقادُ ولا أكلٌ يسوغ ولا شراب

* * *

(١) الثقلين : الجن والانس ، ولاؤي بديني : مماطل به ، ومنكر له .

(٢) ذنبتي بين : أي زاد البعد بعد الصد .

(٣) الوسن : النعاس .

(٤) نبا : جفا وباعد ، والهجع : الرقاد .

٢٢ - محمد بن مطرق بن شخيص

أنشدت له [من الطويل] :

يقولون كم تدعو إلى غير راحم وما كل من يشكو إلى الناس يرحم
وددت بأن يرضى فإن جاد بالرضا تفكر في ذنب المحب فيندم
وقوله [من الخفيف] :

كان في كثرة العتاب دليل
من نوى جفوة تقول في الحد
فاقطعني الوصل أو صلي فبقائي
واسلكي بي سبيل عروة إن لم
لي على أن من هويت ملول
ب على من يحبه ما يقول^(١)
مع طول العتاب منك قليل
يتجه لي إلى رضاك سبيل^(٢)

وقوله [من الطويل] :

ولم أدر إذ زمو الهوادج بالضحي
فيا جفن عيني كيف تطمع في الهوى
أطرفي أعمى أم نهاري مظلم؟^(٣)
بنوم ونوم العاشقين محرم؟

* * *

٢٣ - علي بن حنفان بن أخت النظام

أنشدت له [من الكامل] :

وذكرت ما يلقي المحب مخلفاً بعد الأحبة من جوى وسهاد
بالله لا تنس الوداد فإني باق على عهدي ومحض ودادي

* * *

(١) تقول : اختلق الأقوال .

(٢) عروة : هو عروة بن حزام أحد متبني العرب وصاحبته اسمها عفراء .

(٣) زمو : شدوا وأزمعوا الرحيل .

٢٤ - محمد بن عبيدس الجناني

رحمه الله !

أنشدت له [من المتقارب] :

إليك أمدٌ بشجوي يداً فقد بلغ الحبُّ منِّي المدى^(١)
فريد المحاسن أنت الذي قد أثبتني في الأسى مفردا
ترفُّقٌ فلو كنت بعض العدى وفعلك فعلك ما بي عدا
أرحني فقد بتُ ممّا لقيت وأروحُ ما أرتجيه الردى

* * *

٢٥ - أحمد بن أبي صفوان بن العباس

ابن عبد الله بن عمر بن مروان

قال [من البسيط] :

فلو ترانيَ نشواناً أميل على هذا وذاك بلا خوف الرقيين
والكأس يسعى ونقر العود يخفرها ونقل كأسِي من ريق الغزالين
رأيت أحسن مرئيٍّ وأبهجه ليث العرين صريعا بين ريمين

* * *

٢٦ - أغلب بن شعيب

أنشدت له [من الخفيف] :

ربُّ ليلٍ أحييتُ فيه سنا الصب ح بوجه يُعشي الوجوه سناه
بات والراح في غلائلها اليه ض تعاطيكها به راحتاه

(١) الشجو : الحزن .

فأعار الكؤوس توريدُ خديَّ ه وطيب النسيم من رياه
وكانَ المدام قد علّمتها كيف تَسْبِي ألبابنا مقلّناه^(١)
وقوله [من الخفيف] :

قد توقعت حادث البين إشفاء قأ عليه من قبل حين وقوعه
فرايت الفراق دلاً على أن فراق الحياة في توديعه
وقوله [من الخفيف] :

من مجير المشوق من أشواقه ويكف الدموع من آماقه
بان عني من غادر القلب مني فرّقاً من تأسّفي لفراقه^(٢)
وأنشدني لبعض أدبائهم [من الطويل] :

وليلة أنسٍ كاد يسبقها الفجر وتسفر في عيني بها الظلم الكدرُ
لقيتك منها بالأمانِي ذاكراً فيا طيب ليلى من لقاء هو الذكرُ
أقمتك في نفسي لنفسي تذكراً ففزت بوصل ما يغالبه الهجرُ
ألست نظير البدر حسناً وبهجةً فمالك لا تسري كما يفعل البدر ؟

* * *

٢٧ - محمد بن سليمان الفاني الأكبر

قال [من المنسرح] :

أمثل شوقي إليك ينفرج وهو بروحي والجسم ممتزج ؟
أين لقلبي من الهوى وزر ولوعة الشوق فيه تعتلج ؟^(٣)

(١) المدام : الخمر ، وتسبي : تأسر .

(٢) الفرق : الخوف .

(٣) وزر : مساعد ، تعتلج : تتلاعب .

وَابَابِي مِنْ يَذِيبُ نَفْسِي بِالتَّكْرِيهِ مِنْهُ الدَّلَالُ وَالْغَنَجُ
عَلَّمَ طَرْفِي السَّهَادَ مِنْ طَرَفِهِ السَّاحِرِ ذَاكَ الْفَتُورِ وَالْدَّعَجُ^(١)

* * *

٢٨ - حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ رَبِيعِ الْفَانِي

قال [من البسيط] :

لَوْلَا جَفُونُكَ مَا اسْتَوْلَى بِي الْكَمْدُ وَلَا تَحَكَّمْ فِي أَجْفَانِي السَّهْدُ^(٢)
الْهَجْرُ يَذْكِي جَوِي قَوْمٍ فَيَا عَجَبًا لِلْوَصْلِ يَذْكِي جَوِي قَوْمٍ فَيَتَّقِدُ
كَأَنَّهُ لَيْسَ يَبْقَى فِي جَوَانِحِهِ إِلَّا لِيَشْقَى بِمَا يَلْقَى وَمَا يَجِدُ
هَذَا مَقَامَ فَوَادِي فِي تَشْوُفِهِ فَلَا تَسْلُ بَعْدَ ذَا إِنْ كَانَ لِي كَبْدُ

* * *

٢٩ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى !

أنشدت له [من الخفيف] :

حَسَدَتْ نَفْسِي الطَّيِّبَ وَقَالَتْ لَيْتَ كَفِي مَكَانَ كَفِّ الطَّيِّبِ
عَجَبًا كَيْفَ سَاعَدْتُهُ يَدَاهُ فَصَدَّ ذَاكَ الْمَطْرَفُ الْمَخْضُوبُ^(٣)
لَيْتَ وَجْهَ الْحَبِيبِ كَانَ مِنَ الدُّنْيَا وَمِنْ جَنَّةِ الْخُلُودِ نَصِيبِي

(١) الفتور : الضعف والانكسار ، والدعج : سعة العين مع اشتداد بياضها وسوادها .

(٢) الكمد : الحزن والغم ، والشهد : الأرق والسهر .

(٣) الفصد : من الفصاد وهو إخراج الدم من الجسد بألة حادة والمطرف المخضوب : أي الكف المخضب بالخضاب .

وقوله [من الكامل] :

لما رأيت شعاع وجهك قد بدا
سَبَّحْتُ من عجبٍ وقلت : متى
ما كنت أحسب مثل صورتها
متهللاً كتهلل البرق
للشمس مُطَّلَعٌ سوى الشرق ؟
متكوّناً أبداً من الخلق

وأنشدني للكلبي [الوافر] :

بنفسي من هواك لهيب شوقٍ
هو الداء الذي لم يشف منه
وتروي بالعناق قلوب قومٍ
على أني إذا ما غبت عني
وما يخبو كما يخبو اللهب^(١)
لقاء يلتقيه ولا مغيب
وتظماً لو تعانقت القلوبُ
وان أصبحت في أهلي غريب

قال : وعتب الحكم ولي العهد على الكلبي في بعض الأمر فأقصاه وأبعده ،
فكتب إليه كتاباً متنصلاً^(٢) ، وجعل عنوانه « عبده الكلب إلا أن يمنحه مولاه ياء
نسبته » فاستظرف الحكم كتابه ، وضحك منه ، ودعاه فأعتبه^(٣) ، ووصله .

* * *

٣٠ - محمد بن حفص بن فرح

قال [من البسيط] :

يا من غدت نفسه نفسي فإن سلّمتُ
ما إن علمت الذي تشكوه من سقمٍ
سلمتُ أو أَلَمْتُ قاسمُها الأَلما
حتى وجدت بنفسي ذلك السُّقما

(١) يخبو : يخمد وينطفئ .

(٢) متنصلاً : متبرئاً .

(٣) أعتبه : أرضاه وأزال سبب عتبه .

وله [من الخفيف] :

في المنى راحة لكل عميد شفه الحب بالنوى والصدود
إن تنأى الحبيب أدنته منه فغدا في العباد غير بعيد
أو جفاه فإنه لمناه واصل حبله برغم الحسود

* * *

٣١ - عبد الله بن محمد بن فرح الأندلسي

قال [من الطويل] :

شكا السقم من أهوى وجدَّ به الصبا ولا مثل ما جدَّ الصَّبَّابي في الحبِّ
وما عدته إلَّا وسقمي واحدٌ وأبْتُ ولي سقمان بالحب والكرب^(١)

وقوله [من الخفيف] :

ما لهذا الصدود من غير معنى يا حبيبي ، إلى متى تتجنَّى؟^(٢)
أنت غصنٌ فكيف تقسو لجانٍ مدٌّ كفاً وأنت تهتزُّ لدنا^(٣)
إن تكن قد مللت قربي تباعد ت قليلاً لعلني سوف أدنى
أيها الباخل الممانع جدُّ لي من حياتي ببعض ما أتمنى
أو أرحني بالموت فالموت عندي هو خير من أن أعيش مُعنى^(٤)

وقوله [من الطويل] :

رحلت وقلبي عنك ليس براحل وزلت وصبري عنك أوّل زائل

(١) أبْتُ : عُدْتُ .

(٢) تتجنَّى : تتحامل وتتهم .

(٣) الجاني : القاطف ، واللدن : الطري الناعم .

(٤) المعنى : المعذب .

وَجَدْتُ بِنَا الْعَيْسِ الْعَتَاقَ وَإِنَّمَا
وَمَنْ عَجَبَ اخْتَارَ فَيْكَ مَنِيَّتِي

وقوله [من المتقارب] :

نظرت إلى عقدات الكُثيبِ
وكم نظرة ملأتُ ناظري
رعى الله أهل كُثيب اللوى
وشقَّق فيهم جيوب السماء

وقوله [من الطويل] :

أرى نار ليلي بالعقيق تلوح
نظرت إليها وهي تسبح في الدجى
فسلني بوجد لو تقسَّم في الورى
فيا لك ناراً تصطليها جوانحي

* * *

٣٢ - محمد بن أحمد بن قادم

قال [من الخفيف] :

لم أبح باسمه لأتني ضنينٌ باسمه أن تذيله الأفواهُ

(١) العيس العتاق : النوق الكريمت .

(٢) الكُثيب : التل من الرمال ، واللوى : ما التوى من الرمال .

(٣) الرتق : ضدَّ الفتق .

(٤) إنسان عيني : ناظرها . وسبح : سابح وغارق .

(٥) الفحيح : الواسعة ، والمهامه : القلوات والقفار .

عند ذكرى له فكيف سواه
مع علمي عفاف من أهواء
حرقاً خلت أنها شكوا

أنا من خاطري أغار عليه
ساء ظني لفرط غيرة قلبي
وإذا ما سمعت من يتشكى

وقوله [من البسيط] :

أن لا يطيف به طيف من الوسن^(١)
حتى رمتني الليالي فيك بالمحن

إني زعيم لمن أسهرت مقلته
سبحان رب الورى ما كان أغفلني

وقوله [من الخفيف] :

واسفح الدمع فيه سفح الغيوم
ومحاهها الغمام محو الرقيم^(٢)
ت المعالي بمنبت القيصوم^(٣)
ل على قدر جوهر المعلوم

قف بربع البلى وربع الهموم
غيرت آيه صروف الليالي
ساء ما اعتاض بالسحائب من نب
فالأسى حين يعدم الشيء محمو

وقوله [من الوافر] :

وزمزم والمشاعر والمقام^(٤)
شجت قلب الخلي من الغرام^(٥)
فكيف نرى فؤاد المستهام؟
وبيعث شجوها نوح الحمام^(٦)
يُشوقها لموشكة الحمام

أما والبيت والشهر الحرام
لقد حنت ركاب الركب حتى
إذا شاق الحنين فؤاد خلوي
تحن إلى حنين العيس نفسي
وإن حياة نفس كل شيء

(١) زعيم : كفيل ، والوسن : النعاس .

(٢) الصروف : الأحداث والتقلبات ، والرقيم : الخط والكتاب .

(٣) القيصوم : نبات ذهبي الزهر طيب الرائحة يتداوى به .

(٤) يجمع الشاعر في هذا البيت الحج ومناسكه .

(٥) الخلي : الذي لا يعرف العشق .

(٦) يبعث : يثير ، والشجو : الحزن .

وقوله [من الكامل] :

ما كان تركي للعيادة عن قلى مني ولا لتبدل وتغير
لكن علمت إذا سمعتك تشتكي أن لا يقوم به جميل تصبري

* * *

٣٣ - محمد بن عبد العزيز العتيبي

قال [من الكامل] :

فاسأل بهن ربوعهن ، وما الذي يجدي عليك سؤال ربع دائر؟
عَفَّتْ معالمه الليالي مثل ما عَفَّى سواد الشعر بهجة عامر

وقوله [من الكامل] :

حوراء خَوْدٌ تستعير إذا مشَتْ لينَ القضيب الناعم الميَّاس^(١)
لانت أناملها ولكن قلبها في قسوة الحجر الصَّلُود القاسي

وقوله [من الكامل] :

ألا في سبيل الله قلب مقيم أصيبت بين الظاعنين مقاتله
هوى صبره بالبين من ذروة الهوى وغالته إذ بان الخليط غوائله^(٢)
وبين الحمول المستقلة شادنٌ أغنُ غليظ القلب رخص أنامله^(٣)
تيقنت أن الصبر عَنِّي زائلٌ عشية زَمَّت للرحيل رواحله^(٤)

* * *

(١) لموشكة الحمام : لقريبة إلى الموت .

(٢) الحوراء : من الحور ، وهو شدة بياض العين وشدة سواد ، والخود : الشابة الجميلة الناعمة والميَّاس : المتأيل .

(٣) غالته : أهلكته وقضت عليه وبان الخليط .

(٤) الأغن : من في صوته غنة كغنة الظبي والرخص : الناعم اللين .

٣٤ - محمد بن مروان بن حرب

قال [من مخلص البسيط] :

من فرط شحّي عليك أتّي رسول نفسي إليك عني
فلو سألت الرسول ممن أتى لقال الرسول مني

* * *

٣٥ - المكفوف محمد بن محمود بن أيوب الغنوي

قال [من البسيط] :

لا يبعد الله أياماً نعمت بها بين الغواني وشمل الحي ملتئم^(١)
بكلّ ناعمة الأطراف مشرقة تكاد تسفر من إشراقها الظلم
كأنها دمية بل كوكب شرق بل روضة أنف زهراء بل صنم^(٢)
فما لمثلي لا يبكي لفرقتها والعهد منها ولو أن البكاء دم

* * *

٣٦ - مازن بن عمرو بن مروان بن محمد بن عاصم

قال [من السريع] :

كم لي بمن أهواه من وجد بين إلى هجر إلى صد
وعبر لو أنها جمرة ما أطفئت من شدة الوجد
إن حالت الريح إلى غيرها أقول قد حال عن العهد
وإن دنا دنا دان توهمته دنا ليشيك عن الود
كأن سوء الظن مستجمع من بين هذا الخلق لي وحدي

(١) ملتئم : مجتمع .

(٢) روضة أنف : أي لم ترع .

وقوله [من الكامل] :

ومنع للحسن في وجناته	فجر ينم صباحه ونهاره
قد تاه قرطقه بنهدي صدره	وزها بلعبة خصره زناره ^(١)
أمسى يعللني المدام وعنده	عود ترن بشجوه أوتاره
فيهج مني لوعة لو أنها	بصفا المقرر ضعفت أحجاره
والدن مقطوع الوتين ترى له	علقاً يجود بصوبه مدراره ^(٢)
طفئت مصابحنا فكان سراجنا	مصباحه حتى الصباح وناره

* * *

٣٧ - أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز ابن أمية بن الإمام الحكم

قال [من الطويل] :

لئن منعوا من ناظر نور ناظري	فما منعوا ما بيننا في الضمائر
نموت ولا نشكو الهوى غير أننا	إذا ما التقينا نشكي بالمحاجر ^(٣)

وقوله [من السريع] :

ودعني إذ ودعوا صبري	وجمّعوا البين إلى الهجر
واستخلفوا في كبدي لوعة	لاعجها أذكى من الجمر ^(٤)
لولا دموع العين يوم النوى	لأحرقت من حرها صدري
وكيف صبري في هوى شادن	مكتحل الأجفان بالسحر

* * *

(١) القرطق : الثوب أو نوع من الثياب .

(٢) الوتين : شريان في القلب يسقي عروق الجسد كلها . والصوب : المطر .

(٣) المحاجر : يعني العيون .

(٤) اللاعج : حرقه الحب .

٣٨ - محمد بن عبد الله بن عبد الواحد المعروف بعرجون

قال [من الخفيف] :

يا رسولي أبلغ إليها شكاتي واسألها ولو بقاء حياتي
قل لها قد قضى هواك عليه فهو ميتٌ أو مؤذنٌ بالممات
فالحظية ترين إن شئت ميتاً كان يحيا بأيسر اللحظات
واعجبي أن تكون لحظة عينٍ منك تهدي الحياة للأموات

* * *

٣٩ - عيسى بن أبي جرثومة

قال [من البسيط] :

يا من سقتني كأسَ الحبِّ عيناه صرفاً وثنيَ بأخرى طيب ريّاه^(١)
وزادني وردتي خديه ثالثة فأسكرتني عيناه وخداه
يا من كساه ضياء الحسن خالقه فبالملاحه حيّاه ورداه^(٢)
حيُّ يرجي سلاماً في ملاحظةٍ تشفي به سقم قلبٍ طال بلواه

* * *

٤٠ - أحمد بن عبد الملك بن مروان

قال [من الكامل] :

ولقد نَفَسْتُ على الأراك ، وحق لي لما اجتني بالذوق طيب جناك
وبِـي الصَّدَى لا بالأراك ، فما له رشف اللَّـمى وحرمت رشف لماك ؟^(٣)

(١) الصرف : الصافي الذي لم يمزج بغيره .

(٢) ردّاه : ألبسه .

(٣) الصَّدَى : الظمأ .

أشعرت لو أنني حللت محله
وقال [من الطويل] :

على صدع شملي منك قلبي تصدعا
على النَّأي منكم أم على قرب داركم
بلى إن في قرب الديار لراحةً
كما أن أيام النوى تبعث الأسى
وقوله [من البسيط] :

هَبَّتْ لَنَا الرِّيحَ مِنْ تَلْقَاءِ كَاطِمَةٍ
وَمَا عَرَفْتُ نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ بَلَدِي

* * *

٤١ - عيسى بن جوشن

قال [من البسيط] :

أذاع سافحُ دمع العين حين همى
لا تحسبي أنه سرُّ بذلت به
لولا عواصي دموع لا تطاوعني
لؤمُ بذِي الحب أن يُبدي سرائر ما
سجيتني أنني أرعى ودائعكم

فعن أي حال منك أبدي التوجُّعاً؟^(١)
بهجرٍ يزِيل الصبر عَنِّي أجمعا؟
وإن لم يَدْعُ فيك هجرُكَ مطمعا
ويدعو التصابي للمحب إذا دعا

وهناً فكم ردَّ نفح الرِّيح من روح^(٢)
إلا بعرف حبيب هَبَّ في الرِّيح

من الجوانح سرّاً كان مُكْتَمًا^(٣)
ولا فتحت به للكاشحين فما^(٤)
ما ذاع سرُّكَ عندي لا ولا علماً
يهوى ومن صانها حفظاً فقد كرماً
وأحفظ العهد منكم كلما قدماً^(٥)

(١) صدع الشمل : تفرقه .

(٢) كاظمة : إسم موضع ، والوهن : الضعف .

(٣) همى : نزل وانذرِف والمكتم : المستتر .

(٤) الكاشح : المبعض .

(٥) السجية : الطبع .

وأُنْثِي أَمْنَح الْوَاشِي بِكُمْ أَذْنًا مَعَارَةً فَيْكُمُ عَنْ قَوْلِهِ صَمَمَا^(١)

* * *

٤٢ - عبد الله بن سعيد الكاتب المعروف بابن الأخرس

قال [من الخفيف] :

ما لعذري يزيد في قدر ذنبي وعتابي يغريك فيَّ بعُتْبٍ
ولماذا اشتريت ودِّي وقد أعطيتك الود من لساني وقلبي
حسبي الله من أَعَادٍ وحسًا ، وبالصدق في ترضيك حسبي
أنت شربي وليس في العيش حظ لي يصفو إذا تكدرَ شربي

* * *

٤٣ - عبد الله بن حسين بن عاصم بن طاهر

قال [من المجتث] :

أبدى الصدود حبيبٌ قد خان عهدي وملاً
ولي فمن لي بروحي يردّها إذ تولّى !
لا آخذ الله منه من بالجفاء تحلّى

وقوله [من البسيط] :

أغرى بي الشوق فكر ما يسالمني أقام بين ضلوعي حرب صفينا^(٢)
هذا وما خان أحبابي الأولى ظلموا وإنهم لعهود الحب راعونا^(٣)

(١) الصمم : الوقر .

(٢) صفين : مدينة على الفرات كانت بها الواقعة العظمى بين جيشي علي ومعاوية سنة ٣٧ هـ .

(٣) راعون : محافظون .

يا أهل ودِّي عدا بي عن زيارتكم هوى يلحُ بإيعادي أحياناً
مالي على الحبّ من عونٍ يوازرني فيه سوى أدمع تجري أفانينا^(١)

* * *

٤٤ - الوزير أبو الحزم جهور بن عبد الله

قال [من الكامل] :

يا عائباً لي بالصدو د إذا ذكرت قبيح عذركُ
أخلّيت من قلبي مكا نأ كان معموراً بذرك
وأنا أحبّك لو وثقت وأستديم بقاء عمرك

* * *

٤٥ - عيسى بن عبد الملك بن قزمان

قال [من السريع] :

كم من حبيبٍ كان لي قُرّةً مقترب الود لطيف المكانُ
يرى على الأعداء فيما يرى كالصارم الهندي أو كالسنّانُ
حتى إذا الدهر نبا نبوةً حال فحلنا بانقلاب الزمان^(٢)
كان صديق الغيب فيما يرى وإنّما كان صديق العيان^(٣)

وقوله [من المتقارب] :

تقول : بعدتْ فأنسيّتنا ولم يك حبك بالدائم

(١) الأفانين : جمع أفنان الذي هو جمع فنن وأصله الغصن من الشجرة .

(٢) نبا نبوةً : جفا جفوةً، والصارم : السيف القاطع .

(٣) صديق الغيب : أي من يودّك في القرب والنأي . وصديق العيان : من لا يودّك إلا في القرب والمشاهدة .
أي صديق المصلحة .

فقلت لها : لو علمت الهوى لما جرت فيه على العالم^(١)
لأن الهوى وانتزاح النوى يزيدان في لوعة الهائم^(٢)
كفعل الرحيق وسكر الكرى إذا ما استعانا على النائم^(٣)

* * *

٤٦ - محمد بن عبد الجبار النظام

قال [من الخفيف] :

إنَّ جهلاً بالمرء ذي الحزم والرأ ي رجوعٌ في الغيِّ بعد نزاع^(٤)
ومحالاً بأن يطيع هواه والهوى - ما علمت - شرُّ مطاع

وله [من الخفيف] :

أودَعْتُ مهجتي غداة الوداع حرقات تنجُّها أضلاعي
طفلة تستبي العقول بدلٌ آخذ للقلوب والأسماع
كشف البينُ ما كتمت وما كنـت قديماً أصونه في قناعي^(٥)

* * *

٤٧ - الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد^(٦)

أنشدني له أبو سعيد بن دوست ، قال : أنشدني الوليد بن بكر الفقيه
الأندلسي قوله من قصيدة يمدح فيها [من الطويل] :

(١) جرت : ظلمت من الجور .

(٢) انتزاح النوى : كدر البعد وطول مدته .

(٣) الرحيق : الشراب .

(٤) النزاع : وهو النزوع عن الشيء والإقلاع عنه .

(٥) البين : البعد ، وأصونه : أحفظه والقناع : يريد به الصدر موضع الأسرار .

(٦) له ترجمة وافية في ذخيرة ابن بسام (١ - ١٦١) وما بعدها .

وأخرى اعتلقنا دونهن، ودونها
يزينها ماء النعيم وحفها
إذا رامها ذو حاجة صد وجهه
ومنها :

ومن قبة لا يدرك الطرف رأسها
إذا زاحمت فيها المخارم صوبت
تكلفتها والليل قد جاش بحره
ومن تحت حضني أبيض ذو شقاشق
إلى بيت ليلي وهو فرد بذى الغضا
هما صاحبائي من لدن كنت يافعا
فذا جدول في الكف تشفي به المنى
فبتنا على ضم اشتياقنا
ومنها :

ودوية من فتنه مدلهمة
إذا جابها الخريت في طرقاتها
ترى ثابتات الحكم عند اعتسافها
وإن سلكت أضواجها عييت بها

قصور وحجاب ووالٍ ومعرش
من العيش فينان الأراكة أخضر^(١)
ظبا الباترات والوشيج المكسر^(٢)

تزل بها ريح الصبا فتحدّر
هوباً على بعد المدى وهي تجأر^(٣)
وقد جعلت أمواجه تتكسر
وفي الكف من عسالة الخط أسمر^(٤)
يضيء كعين المستهام ويزهر
مقيلان من جد الفتى حين يعثر
وذا غصن في الكف يجني ويثمر
تكاد له أكبادنا تنفطر

دريس الصوى معروفها متكر^(٥)
يظل بها أعمى وإن كان يبصر^(٦)
ترك على إدفافها فتهور
غوارب من ذي مطريات تزجر^(٧)

(١) الفيان : وصف للغصن الرطيب الطويل الكثير الحسن .

(٢) الظبا : الحد ، والباترات : القاطعات ، والوشيج : شجر نتخذ منه الرماح .

(٣) المخارم : جمع خرم ، وهي الطرق والأنفاق في الجبال .

(٤) الحضن : الجانب وبين الإبط ، والأبيض : السيف ، والأسمر : الرمح .

(٥) الدوية : القفر والصحراء ، والصوى : الطريق والمعالم .

(٦) الخريت : الدليل الحاذق الماهر .

(٧) أضواجها : منعطفات الأودية وغوارب : المطي النشيطة .

وسرنا نجوز النهج حتى بدا لنا
وله من أخرى أولها [من الطويل] :

* أمن رسم دار بالعقيق محيل *

ولما هبطنا الغيث يذعر وحشه
مسومة نعتدّها من جيانا
إذا ما تغنى فوق متونها
تدوس بنا أوكار نوء كأنه
رمينا بها عرض الصوار فأقعصت
وبادر أصحابي النزول فأقبلت
فقلت لساقية أدرها سلافة
فقام بكأسيه مطيعاً لأمري
وشعشع راحيه فما زال مائلاً
على كل خوار العنان أسيل^(١)
لطرّد قنيص أو لطرّد رعيل^(٢)
ضحياً أجابت تحتهم بصهيل
رداء عروس أودنت برحيل
أغنّ قتلناه بغير قتيل^(٣)
كراديس من غضّ الشّواء نشيل^(٤)
شمولاً ومن عينيك صرف شمول
يميل به الإدلال كلّ ميل
برأس كريم منهم ونيل

وله من أخرى^(٥) [من الطويل] :

منازلهم تبكي إليك عفاءها
ألثت عليها المعصرات بقطرها
حبست بها عدواً زمام مطيتي
سقتها الثريا بالعريّ نحاءها^(٦)
وجرت بها هوج الرياح ملاءها^(٧)
فحلت بها عيني عليّ وكاءها^(٨)

(١) الأسيل : اللّين المستوي الأملس .

(٢) المسومة : المعلّمة ، والرّعيل : القطيع .

(٣) الصوار : القطيع من البقر الوحشي ، فأقعصت : قتلت في مكانها .

(٤) الكراديس : القطع .

(٥) ورد كثير من هذه الأبيات في الذخيرة (١ - ٢١٦) مع اختلاف يسير .

(٦) العفاء : زوال آثارها ، والعري : اسم مكان والنحاء : الزقّ والجرة .

(٧) ألثت عليها المعصرات : أي دام المطر بها أياماً متتابعة دون انقطاع .

(٨) الوكاء : رباط القرية والوعاء والكيس وغيره .

رأت شدنَ الآرام في زمن الهوى
خليليَّ عوجاً بارك الله فيكما
ولا تمنعاني أن أجود بأدمعٍ
فأقسم ما شمت الغداة وقودها
ميادين أفراس الصبا ومراتعٍ
ولم أر أسراباً كأسرابها الدمى
ولا كضلالٍ كان أهدي لصبوتي
وما هاج هذا الشوق إلا حمائمٌ
تغنّ فلا يبعدُ بذِي الأيك عاشقٌ
أنا البحر لا يستوهن الخطب طاقتي
تيمّم قصدي النائبات فردّها
إذا طرقت الحادثات أعارها
أما وأبي الأعداء ما دفعتهم
جزاهم بما حازوا من الجهل حلمه
ومنها :

ولم تر ليلي فهي تسفح ماءها
بدارتها الأولى نُحَيّ فناءها
حواها الجوى لما نظرت جواءها
وقد شمت ما راب الحمى وأساءها
رتعت بها حتى ألفت ظباءها
ولا ذئب مثلي قد رعى ثم شاءها
ليالي يهديني الغرام خباءها
بكيّت لها لما سمعت بكاءها
بكى بين ليلي فاستحثّ بكاءها
وتأبى الحسان أن أطيّق لقاءها
فتى لم يشجّع حين حان رياءها
شبا فكرات قد أطل مضاءها^(١)
يد سبقتهم يتّقون عداها
كريم إذا رأي المكارم جاءها

وقد نازلتنا الحادثات إزاءها
وقد نفضت فيه العقاب رداءها
يرابيع سدّت خيفةً قصعاءها^(٢)
حسّمت بها أهواءها ومراءها^(٣)

وكم لك من يوم وقفت بظله
ومن موقف ضنك زحمت به العدى
وكم أمةً أنجدها وكأنها
ومن خطبة في كبة الصك فيصل

(١) الشبا : يقال شبا النار : أوقدها وهنا يقصد قوّة الفكر والرأي ومضاءها : إعماها وحدها .

(٢) يرابيع : جمع يربوع ، وهو حيوان قاصم يشبه الفأر ، قصير اليدين طويل الرجلين وطويل الذنب .

(٣) كبة الصك : الكبة : الزحمة والجماعة والشدة والصك : الكتاب ، والمراء : المزاج والهوى .

ومن أخرى أولها [من الكامل] :

* أنكيت - إذ ظعن الفريق - فراقها *

يقول فيها :

إنني امرؤُ لعب الزمان بهمتي
فإذا ارتمتُ نحوي المنى لأنالها
فإذا أبو يحيى تأخر سعيه
الملبسي ذهبيةً من فضله
والماعني من صرف دهري بعدما
حتام لا تزوي جياذك للوغى
وتسد طرق الأرض منك بجحفل
بحرٌ إذا خفقت عقاب لوائه

ومنها :

بطلٌ إذا خطب النفوس إلى الوغى
لو عارضت هوج الرياح بنانه
وإذا الملوك جرت جياذاً في الوغى
وكو أن أفواه الضراغم منهلٌ

وقوله [من الطويل] :

أفي كلِّ عامٍ مصرعٌ لعظيم
أصاب المنايا حادثي وقديمي

(١) كذا ، وفي الذخيرة « فمتى أوئل في الزمان لحاقها » .

(٢) الحداق : جمع حدقة ، وهي سواد العين .

(٣) تزوي : تجمع وتهىء .

(٤) الصداق : المهر .

(٥) المنهل : مشرع الماء ، والورد : حيث ترد الحيوانات للإرتواء من الماء .

فكيف لقائي الحادثات إذا سطت
مضى السلف الوضاح إلا بقية
وكيف اهتدائي في الخطوب إذا دجت
أما وأبي الأيام لولا اعتداؤها
وقارعت من يبغي قراعي منهم
أحلوا ملامي لا أبا لأبيهم
فلا تعذلوني إن ولهت فإنها
وقد فل سيفي منهم وعزيمي^(١)
كغرة مُسودّ القميص بهيم^(٢)
وقد فقدت عيناى ضوء نجومى
لظاهرت في ساداتها بقروم^(٣)
بأحلام بطش أو بطيش حلوم
وإني ورب المجد غير ملوم
علاقة حبر لا علاقة ريم

وقوله [من الخفيف] :

قد تركنا الصبا لكل غوي^(١)
وانقطعنا لواعظات مشيب
وإذا ما الصبا تحمّل عنا
وفتو سروا وقد عكف الليل
وكان النجوم لما هدتهم
وكان الصباح قانص طير
وكان البروق إذ طالعتهم
يتقرون جوز كل فلاة
عن ذكرى لمدلجهم فتاهوا
وانسلخنا من كل ذام وعاب
آذنتنا حياتها بذهب
فقيح بما ارتضاه التصابي
أوقعت للعيون من آدابي
قبضت كفه برجل غراب
أوقدت في سمائها من شهابي
جرح ليل جوزاؤه من ركابي^(٥)
من حديثي في عرض أمر عجاب^(٦)

(١) سطت : من السطوة : أي بطشت وفتكت ، وفل : تشقق وتقطع .

(٢) أي كغرة الفرس .

(٣) القروم : الأسباد ، وظاهرت : استعنت ، وطابقت .

(٤) الفتو : جمع فتى ، والمغدودن : الناعم .

(٥) يتقرون : يتلمسون ويتفحصون وجوز الفلاة : وسطها .

(٦) الإدلاج : المسير في الظلمة .

همّة في السماء تسحب ذيلاً من ذيول العلا وجدّ كابي^(١)
 وفتى أرهفت ظباه المعالي فثتته بالباتر القرضاب^(٢)
 نيّته أيامه ولياليه بظفر من الخطوب وناب
 حوّن لو رآه صرف الليالي لتواري من خوفه في حجاب
 ذاق أيامه فكان سواء عنده طعم شهدها والصاب
 وكو أنّ الدنيا كريمة نجر لم تكن طعمة لفرس الكلاب^(٣)
 وإذا ما نظرت ما حاز غيري قلّ عما حملته في ثيابي

وقوله [من الرمل] :

أصفيح شيم أم برق بدا أم سنا المحبوب أوري أزنذا^(٤)
 هب من مرقدته منكسراً مسبلاً للكمّ مريح للردا
 يمسح النعسة من عيني رشاً صائد في كل يوم أسدا
 كاد أن يرجع من لثمي له وارتشافي الثغر منه أدردا^(٥)
 قال لي يلعب : صد لي طائراً فتراني الدهر أجري بالكدا^(٦)
 فإذا استنجزت يوماً وعده قال لي يمطل : ذكرني غدا
 شربت أعضاؤه خمر الصبا وسقاه الحسن حتى عربدا
 وأنا المجروح من عضته لا شفاني الله منها أبدا
 ومكان عازب من جيرة أصدقاء وهم عين العدا
 ذي نبات بلبلت أعرافه كعذار الشعر في الخدّ بدا^(٧)

(١) وجدّ كابي : أي خط عاثر .

(٢) أرهفت : أمضت ، والباتر : القاطع .

(٣) النجر : الأصل .

(٤) أوري أزنذا : أشعل الزند ، والزند شجر سريع الاحتراق وشديد الحرارة .

(٥) الأدرد : ذاهب الأسنان .

(٦) الكدا : الاستعطاء .

(٧) الأعراف : تيجان النبات والعذراء : الشعر الذي يحاذي الأذن من جانب اللحية .

قلت إذ خيمتُ فيه قاطناً
ورأيت الدهر خوفي ساكناً
جاد من أصبحت في أيامه
ملكٌ يحسب عدلاً ملكاً
خلته والرمح في راحته
نِعَمَ ما اخترت لنفسي فاعلموا
ليس من يعيشو إلى نار القرى

ومن شعره [من الطويل] :

أبرقُ بدا أم لمع أبيضَ قاصل
ألا إنها حرب جنيت بلحظة
هوى تغلبيَّ غالب القلب فانطوى
ردى تعلمي بالخيل ما قرب النوى
جزينا بيوم المرج آخر مثله
ومنها :

سهرت لها أرعى النجوم وأنجماً
وقد فغرت فاهاً بها كلَّ زهرة
كأنَّ الدجى همِّي ودمعي نجومه
وما بيَ إلاَّ همةٌ أشجعية
وكيف ارتضائي دارة الجهل منزلاً

وتلاقنتني الأمانى سجّداً
وبنى الأحرار حولي أعبداً
والردى يحذر من خوفي الردى
وإمامٌ أمَّ فينا فهدي
قمرأ يحمل منه فرقداً
إنَّ زمان جار أو صرفُ عدا
مثل من يعيشو إلى نار الهدى^(١)

ورجعُ شدا أم رجع أشقر صاهل
إلى عُرْبٍ يوم الكثيب عقائل
على كمدٍ من لوعة القلب داخل
جياذك بالثرثار يا ابنة وائل
وغصنٍ سقينا ناب أسمر عاسل^(٢)

طوالع للراعين غير أوافل
إلى كلِّ ضرعٍ للغمامة حافل^(٣)
تحدَّرَ إشفاقاً لدهرٍ ماحل^(٤)
ونفسٌ أبت لي من طلاب الرذائل
إذا كانت الجوزاء بعض منازل

(١) يعيشو : يقصد ليلاً ، والقرى : الضيافة .

(٢) العاسل : الرمح .

(٣) فغرت : فتحت ، والضرع : الثدي في الحيوانات اللبونة .

(٤) همي : من هما المطر : أي نزل .

وصبري على محض الأذى من أسافل
ولما طمى بحر البيان بفكرتي
زفقت إلى خير الورى كل حرة
وما رمتها حتى حططت رحالها
وقوله من قصيدة أولها [من الكامل] :

* هاتيك دارهم فقف بمغانها *

يقول فيها :

ودعّتهم وزناد قدح في الحشا
يا صاحبي إذا ونى حاديكما
وخذا بمرتّب الحسان فربما
وكأنما الشعري عقيلة معشر
وكأنما طرق المجرة منهج
المعجلين عداتهم برماهم
أنا طودها الراسي إذا ما زلزلت
وعليّ للصبر الجميل مفاضة
وكأنني لما كرمتم وقد شكت
وقضت بعزّ النفس مني دوحة
أسري لهم بالخيّل حتى خيلوا

دون الضلوع يشبّ من نيرانها
فتنشّقا النفحات من ظيّانها^(١)
شفع الشباب فصرت من أخدانها
نزلت بأعلى النسر من ولدانها
للعامرية ضامن فينانها
والجاعلين الهام من تيجانها
أيدي الحوادث من فؤاد جبانها
زغف أفل بها شبة سنانها^(٢)
أرضى الحوادث غبت من حدثانها
من عامر أصبحت من أغصانها
أنّ الجبال رمتهم برعانها^(٣)

(١) زفقت : قدّمت وأنشأت أحسن القصائد والأفكار ، لم تحمل : تزول آثارها .

(٢) حلال : السيّد الشجاع .

(٣) ظيّانها : عسلها .

(٤) المغاضة : الدرع . والزغف : الدرع الواسعة الطويلة .

(٤) المغاضة : الدرع ، والزغف : الدرع الواسعة الطويلة .

(٥) خيلوا : حسبوا ، والرعان : جمع رعن وهو أنف الجمل .

ورمى العدى بكتائب ملء الفضاء
 من كل سلهبة تطير بأربع
 نشأوا بزاهرة الملوك ومائها
 وأرثهم العرب الكرام مصاعها
 أعمدن نصل الصبح في رهجانها^(١)
 ينسبك مؤخرها التماح لبانها^(٢)
 وكأنهم نشأوا على غسانها^(٣)
 فتعلموا من ضربها وطعانها^(٤)

وقوله من قصيدة أخرى [من الطويل] :

خليلاً ما آنفك الأسى منذ بينهم
 أريد دنواً من خليلي وقد نأى
 وإنني لتعروني الهموم لذكركم
 وإن هبوط الوادين إلى النقا
 لمسرح سرب ما تقرى نعاجه
 ومرتجز ألقى بذي الأثل كلكلاً
 سعى في قياد الرّيح يسمح للصبا
 وما زال يروي التراب حتى كسا الرّبي
 وعنت له ريح فأسقط قطره
 ولم أر درا بدّدته يد الصبا
 حبيبي حتى حلّ بالقلب فاخطا
 وأهوى اقتراباً من مزار وقد شطا^(٥)
 هدواً فلا أستطيع قبضاً ولا بسطا
 بحيث التقى الجمعان واستقبل السقطا
 بريراً ولا تقرو جآذره خمطا^(٦)
 وحطّ بجرعاء الأبارق ما حطّا^(٧)
 فالقّت على غير التّلاع به مرطا^(٨)
 درانك والغيطان من نسجه بسطا^(٩)
 كما نثرت حسناء من جيدها سمطا
 سواء فبات الزهر يجمعه لقطا

(١) الرهج : الغبار .

(٢) السلهبة : الطويلة الجسيمة ، واللبان : الصدر .

(٣) غسانها : رجالها ، والغسان : ريعان الشباب وحدته .

(٤) المصاع : الجلال والقتال .

(٥) شطا : بعد .

(٦) تقرى : تطعم ، والبرير : الأول من ثمر الأراك ، والخمط : نوع من الشجر .

(٧) الكلكل : الصدر ، والجرعاء : أرض حزنة بهارمل وحجارة .

(٨) التلاع : المرتفع والمنصب من الأرض والمرط : الثوب الطويل الذيل .

(٩) الدرانك : ضرب من الثياب .

وقوله يصف الذئب وأحسن [من الطويل] :

أزلّ كسا جثمانه مستترا طيالس سوداً كالدجى وهو أطلس^(١)
فدلّ عليه لحظ خيبٌ مخادع ترى ناره من ماء عينيه تقبس^(٢)
وقوله [من مجزوء الكامل] :

وأغرّ قد لبس الدجى برداً فراقك وهو فاحمٌ
يحكي بغرّته هلا ل الفطر للاح لعين صائم
أرمي به بقر الحمى وأصدُّ عن عصم العواصم^(٣)
وتجانبني فتق النفوس من المهاريت الدلاقم^(٤)
حتى إذا علم الصبا ح أشار من تلك المعالم
وتمايلت أيدي الثريّا وهي مُذهبة الخواتم
ورنت ذكاءٌ بناظرٍ رمدٍ من الأقذاء سالم^(٥)

قلت : ومن رسائله العجيبة قوله يصف البرد والنار والحطب :

أطال الله بقاء مولاي الذي أهتدي بمصباحه ، وأعشو إلى غرره وأوضحه ،
صبحتنا اليوم خيل البرد مغيرة ، فانقبضت إلى أخريات الايوان ، وقد كدسني
بصارم وسان . فجعلت مجني حطباً دل على نفسه ، وتشظى من ييسه^(٦) فسلطت
عليه صاحب الشرر^(٧) ورميته منها بينات الحديد والحجر . فواقعه قليلاً ، وعاركه
طويلاً . فكان لها عجيج ، وله من حرها ضجيج . ثم خلا لها صريعاً ، واستولت

(١) الأزلّ : الضيق .

(٢) الخبّ : الخداع والخبث .

(٣) أصدّ : أ منع ، والعصم : جمع أعصم ، وهو من الغزلان وغيرها ، ما في ذراعيه أو احداها بياض
وسائره أسود أو أحر .

(٤) المهاريت الدلاقم : الأسود المغيرة .

(٥) ذكاء : هي الشمس .

(٦) تشظى : تشقّق .

(٧) صاحب الشرر : الزناد .

عليه صعباً منيعاً . فبددت شمله وألفت شملها ، واستحالت حية لا يستلذ قتلها .
 ترمي بألوان وتتهدد بلسان ، فلذعت البرد لذعة ، ونكرته على فؤاده نكرة ، خبرها
 على جبينه ، ومات بها من حينه . وغشيننا من فائض حمتها حر كان لنا حياة ، ولذلك
 وفاة . فالحمد لله على نعمته ، وما أرانا من غريب قدرته ، ودلنا به من لطيف
 صنعته . ولما استحال جهرها رماداً ، وقد مهد لنا من الدفء مهاداً ، ولمحته العين
 كالورد ، وذرع عليه كافور الهند ، انبسطت نفس شاكرك فنذكر لما كلفته ، من الزيادة
 في المعنى الذي اعتمدته ، محرماً له لا مقتدياً به ، ومستثنياً فيه لا أخذاً منه .

وله من أخرى يصف فيها البرد والحمام :

لما تلقى اليوم البرد شاكرك بنوع ، ومشى إليه بروع ، وكان بالأمس برداً
 أجحف^(١) ، فابتنى من سحابة أو طف^(٢) ، قصد بيت النار ، ومورد الأبرار
 والفجار . فلما رأى الناس أخلاطاً تذكر جهنم ، ولفحها المتضرم ، وقوله تعالى
 ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ واستعاذ بالله من هبها ، وسأله أن لا يكون من حطبها ،
 وإذا بأهلها يتساقون أكواب الحر ، ويتعاورون أثواب القر ، فلما أخذت منهم
 حمياه ، تهللت الشفاه ، وانطلقت الأفواه ، فأخذوا من تجالدهم ، وأكثروا من
 عوائدهم ، وكشفت الأبخار ، وهتكت الأستار ، وجعلوا يتجالدون دلكا ،
 ويتضاربون حكا . حتى إذا خرجوا بجماهرهم ، وانحفلوا بحذاقرهم^(٣) . صب
 على جسمه من عريض ، وامتد على وضاح ذي وميض ، قاربه الحر حتى احتواه ،
 وباعده القر حتى اشتهاه . فحينئذ أخذ في طهره ، وقضى من أمره ، وقد لطف
 حسه ، وتراجعت إليه نفسه . فذكر ما خاطبك به أمس في المعنى الذي كلفته ، على
 الاختيار الذي قصدته ، فإذا بذلك الكلام لا يدل على سواء ، ولا يقتضي لغير

(١) أجحف : مهلك وكثير الضرر .

(٢) أوطف : أرفع .

(٣) انحفلوا : اجتمعوا .

معناه ، فأثبتت فقراً مختصرة أرهفت جوانبها ، فسالت غرائبها ، وهي حلة ملبسها المشكور ، فإن كان ذلك من كريم كان ذلك طرازاً على كمها ، ورقماً على حاشيتها ، فإن زاد أن يكون عن كريم ، فإن ذلك تيممة لوشيتها ، وذهب يرف على أرضها ، فالشكر حلوبة مسخرة للمشكور ، دريها أمل ، وملحها^(١) عسل . فإن كانت من كريم كان روضها ورداً ، وحوضها شهداً ، وإن زاد أن يكون عن كريم كانت ناقة صالح ، صرها ثواب ، وحفظها عقاب ، والشكر طائر يتغنى باسم المشكور فإن كان من كريم كان شخصه محبوباً ، ورجعه تطريباً . وإن زاد أن يكون عن كريم كان حمامة نوح يغرد بنغم ، ويقع ببشرى ، والشكر درع حصينة يلبسها المشكور ، فإن كان من كريم كان ظلها برداً ، ونفحها نداً ، وإن زاد أن يكون عن كريم كان ثمرها عجوة^(٢) ، وجناها شهوة ، والشكر واد يسقي أرض المشكور ، فإن كان من كريم استحال أتيأ^(٣) ، وإن زاد أن يكون عن كريم عمر عمر العجاج ، وأترع الأضواج^(٤) . والشكر نسيم يهب على المشكور ، فإن كان من كريم كان نشره فوحاً ، ونفحه روحاً . وإن زاد أن يكون عن كريم صاك منه عنبر ، وتنفس منه مسك أذفر^(٥) .

وقوله في صفة برغوث :

أسود زنجي ، وأهلي وحشي ، ليس بوان ولا زميل ، وكأنه جزء لا يتجزأ من ليل - أو شونيزة^(٦) ، أو بنتها عزيزة . أو نقطة مداد ، أو سويداء قلب فؤاد ، شربه عب ، ومشيه وثب ، يكمن نهاره ، ويسير ليله ، يدارك بطعن مؤلم ، ويستحل دم

(١) الدرر : الإدرار ، وملحت الناقة : ذهب لبنها إلا قليلاً يحذ ذائقه فيه ملوحة .

(٢) العجوة : التمر المخلوط ببعضه بعض .

(٣) الآتي : السيل الذي يأتي من حيث لا يدرك أو النهر الذي يسوقه الرجل إلى أرضه .

(٤) الأضواج : منعطفات الوديان .

(٥) أذفر : ما ظهرت رائحته واشتدت طيبة كانت أم خبيثة .

(٦) الشونيزة : الحبة السوداء .

كل كافر ومسلم ، مساور للأساورة ، ومجرد له على الجبابة ، يتكفن بأرفع الثياب ،
ويهتك كل حجاب ، ولا يحفل ببواب ، يرد مناهل العيش العذبة ، ويصل إلى
الأحراج الرطبة ، لا يمنع منه أمير ، ولا ينفع فيه غيرة غيور . وهو أحقر حقير ، شره
مبثوث ، وعهده منكوث ، وكذلك كل برغوث . كفى بهذا نقصاناً للإنسان ،
ودلالة على قدرة الرحمن .
وقوله في صفة بعوضة :

مالكة لا حس لها سواها ، تحقرها عين من رآها ، تمشي إلى الملك بنديها ،
وتضرب بحبوحة داره بطلبها ، تؤذيه بإقبالها ، وتعرفه بإراقة مالها ، فتعجز كفه ،
وترغم أنفه ، وتضرج خده ، وتفري لحمه وجلده ، زجرتها تسليمها ، ورمحها
خرطومها ، تذلل صعبك إن كنت ذا قوة وعزم ، وتسفك دمك وإن كنت ذا حلفة^(١)
وعسكر ضخم ، تنقض العزائم وهي منقوضة ، وتعجز القوى وهي بعوضة ، ليرينا
الله عجائب قدرته ، وضعفنا عن أضعف خليقته .
وله يصف ثعلباً :

أدهى من عمرو ، وأفتك من قاتل حذيفة بن بدر . كثير الوقائع في
المسلمين ، مغري بإقامة ذم المؤمنين ، إذا رأى الفرصة انتهزها ، وإن طلبته الكرامة
أعجزها ، وهو مع ذلك بقراطي في إدامه ، وجالينوس في اعتدال طعامه . غذاؤه حمام
ودراج ، وعشاؤه بذرح^(٢) ودجاج .
وله يصف ماء :

كأنه عصير صباح ، أو ذوب قمر ليح ، له من إنائه ، انصباب الكوكب
الدري من سمائه ، العين كانونه ، والقمر عفريته . كأنه خيط من غزل قلق ، أو
مخصرة ضربت من ورق ، يترفع عنك فتردى ، ويصدع به قلبك فتحيا .

(١) الحلفة : من الحلف ، وهو المعاهدة والاتفاق على المساعدة .

(٢) الذرح : اللبن الذي مزج فيه الماء .

وقوله من رسالة يصف فيها الحلوى :

وما أرقني إلا ليلة أضحيانة دخلت فيها الجامع ، ووقفت موقف الساجد والراكن ، حتى إذا قضيت من حق الله أمراً ، وأتبع الشفع وتراً^(١) . جلست في أكنافه ، وانعظفت في أعطافه ، فإذا أرضه تباهي السماء ، وغبرأؤه تضاهي الخضراء ، زجاجة نورية ، كأنها الكواكب الدرية . ورعد قراء الله تعالى وخيرته ، كالرعد يسبح بحمده والملائكة من خيفته . فصحت واويلاه ، واحرق قلباه . أين منك المفر ، وأين دونك المقر . لاها الله لا يتركك كريم ، ولا يقلاك إلا لثيم ، بركا كبرك الجمال ، وثباتاً كثبات الجبال . ثم خرجت في تتمة من الأصحاب ، وثبة من الأتراب^(٢) ، وفيهم فقيه كان ذا لقم ولم أشعر به ، فلما طالعنا الحلوى صاح : هذا وأبيكم الروض ، فناديته اسكت فضحتنا لا أبالك . فقال : لا وأبيك ، قلت : مالك وما تريد ، قال : ذلك الشهيد العتيد ، واضطرب به الألم واستخفه الشره فدار في ثيابه ، وأسأل من لعبه ، وازور جانبه ، وخفق شاربته ، ثم نهض في كر ، وصدر بحر ، ونظر إلى الفالودج ، فصاح هذا اللص كأنه تألى مجاجة^(٣) الزناير ، حدثت على شواير ، وخالطها لباب الحبة ، فجاءت أطيب من ريق الأحبة ، ثم نظر إلى الخبيص^(٤) ، فصاح بأبي الغالي الرخيص ، أنظر فيه ذا التماع ، أكرم به من شعاع . هذا جليد سماء الرحمة ، تمخضت به فأبرزت منه زبد النعمة ، تجرحه اللحظة ، وتدميه اللفظة ، بماء أبيض ؟ قالوا : بماء البيض البض ، فقال : غض من غض . أنظروه له إشراق ، هذا وأبيكم بقية العشاق . ما أطيب خلوة الحبيب ، لولا حضرة الرقيب . ثم نظر إلى الزلابية . فصاح ويل لأمه الزانية ،

(١) الشفع : المزدوج ، والوتر : المفرد .

(٢) الثبة : الجماعة .

(٣) المجاجة : ما يقذفه الإنسان من فمه ، ومجاجة الشيء عصارته .

(٤) الخبيص : حلواء تتخذ من تمر وسمن .

أباحشاء نسجت . أم صفاق قلبي ألفت ؟ بأبي أجد مكانك من نفسي مكيناً ، وجبل هواك على كبدي متيناً ، من أين خلصك كف طابخك إلى باطني ، فأقطعك مني دواجني ، والعزير الغفار لأطلبين بالثأر ، وتلمظ^(١) له لسان الميزان ، فجعل يصيح الثعبان الثعبان . فلما عاينته قد ألبس ، وهو ينظر نظراً المفلس ، حنت له ضلوعي ، وعلمت أن الله فيه غير مضيعي . وقد تحل الصدقة على ذي الوفر ، وفي كل كبد رطبة أجر . فأمرت الغلام بابتيع أرتال تجمع أنواعها التي أنطقته ، وتحتوي على ضرورها التي أخرعته . فجاء بها فوضعها بين يديه ، فلما عاينها انحنى عليها بليانه ، وألقى عليها بجرانه ، وجعل يركل برجليه ، ويحاحش بفخذه ممانعاً ، ومدافعاً عنها . فصحت به لا عليك حكمها ، فجعل يقطع ويلع ، ويوجرفاه ويدفع . وعيناه تبضان ، كأنها جمرتان ، وقد برزتا عن وجهه كأنهما خصيتان ، وأنا أقول : على رسلك يا فلان . البطنة تذهب الفطنة . وهو يقول (أكلها دائم وظلها) حتى التهم جماهرها . وألحق أولها بآخرها . وهبت منه ريح عقيم . أهبا لنا بالعذاب الأليم ، وفرقتنا شذر مذر^(٢) . وسربتنا في كل شعب شجر بعر^(٣) ، فانتحينا منه الطرفان ، وصدق الخبر فيه العيان ، نفخ ذلك فبدد النعام ، ونفخ هذا فبدد الأنام ، فلم نجتمع بعد هذا والسلام .

وله يصف جارية :

أخت نعمة ، وربيبة نعمة ، كأن شعرها على غرتها الغراء ، غراب يسفد^(٤) حمامة بيضاء . وكأن خدها على جيدها المشرق ، تفاحة قدم بها إبريق من راووق تكلمك بالحاظها ، وتأسوك بالفاظها . تقابلك من خدها بوردة ، ومن عينها بنرجسة .

(١) تلمظ : أصل معناه أخرج لسانه فمسح به شفتيه .

(٢) شذر مذر : أي ذهبوا في كل وجه .

(٣) شجر بعر : أي تفرقوا في كل وجه .

(٤) يسفد : يجمع .

كأنما ثغرها من جوهر، وشفتها خيط حرير أحمر. وتقبل إليك بقضيب بان، ثمرته رمانتان، وتنتفل عليك بكفل مائج، كأنه كثيب عالج^(١)، تنطوي بقبطية، وتقوم على أنبوب بردية، أن استقبلتها بركان، تضحك لك عن فلقة رمان. أو يطحنك جبهة أسد غرير، فيقبض روحك قبض أرواح المؤمنين. ويتوفاك بكدّ كالفقيه المشرف على المذاهب، ركبت فيه اخلاق كاتب. فإن كنت شافعيّاً سدّدتك، وإن كنت مالكيّاً قلّدتك، المنظر غلام، والمخبر فتاة، إن علوتها تدفعت إليك، أو علتك تداركت عليك، وإن أعطشك فراشها سقتك من شراب، إن شئت قلت خمرة أو رضاب، أو أجاعك عراكها أطعمتك من لسانها، يصل إليك وصول الإيمان.

فنثره في غاية الملاحه، ونظمه في غاية الفصاحة.

* * *

ومن شعره ما أنشدنيه الشيخ أبو سعيد بن دوست عن الفقيه الوليد أبي بكر الأندلسي قوله [من الخفيف] :

قل لمن زاد إذ تباعد بعدا وتناسى عهدي ولم أنس عهدا
لا يغرّئك ما ترى من ودادي فلعلّي إن شئت غيرت ودّا
لا وحق الهوى وحق لياليه ومن صاغ حسن وجهك فردا
ما أطيق الذي أدّعت ولو ملّكته لم أكن لغيرك عبدا

وله [من الكامل] :

ما أطربت فوق الغصون حمامة ألا رأيت دموع عيني تسكبُ
وإذا الرياح تناوحت ألفتني بين الصباية والأسى أتقلّب
يا عاذلي في الحب مهلا بالأذى لو كنت تعشق ما ظللت تؤنب

(١) الكفل : الأرداف ، والكثيب : التلّ من الرمل .

كم حاولت نفسي السلو فطالبت أسبابه جهداً فعزَّ المطلب

* * *

٤٨ - غسان بن سعيد

قال [من البسيط] :

من خانته حسبٌ فليطلب الأدبا ففيه منيته إن حلَّ أو ذهباً
فاطلب لنفسك آداباً تعزُّ بها كما تسود بها من يملك الذهبا

* * *

٤٩ - محمد بن يحيى النحوي

المعروف بقلفاط

قال [من الوافر] :

طوى عني مودته غزال طوى قلبي على الأحزان طياً
إذا ما قلت يسلاه فؤادي تجدد حبه فازددت غياً^(١)
أحييه وأفديه بنفسي وذاك الوجه أهلٌ أن يُحياً

وقوله [من الوافر] :

أيا طيفاً سما وهناً إلياً لقد جدّدت لوعاتي علياً
ألم مواصلاً كأخي غرامٍ سيذكر وصله ما دام حياً
غزالٌ لو رأى غيلانُ يوماً محاسنه إذاً أنساه ميأ^(٢)

* * *

٥٠ - شهيد بن المفضل

عفا الله عنه

قال [من الكامل] :

كم ذا تردُّ عنان شوقك صابرا وأخو الصبابة لا يكون صبوراً

(١) يسلاه : يصبر على بعباده والغني : الضلال . (٢) غيلان : هوذي الرمة ، ومي : معشوقته .

فاخلع عذارك في هواه فرجما كان المحبّ على الهوى معذورا
ما العزّ إلا أن تذللّ مع الهوى شحاً عليه وإن ظللت أسيراً

* * *

٥١ - منصور بن أبي الهول

قال [من مجزوء الرمل] :

كم إلى كم أتسلى ليس لي صبرٌ، أجل لا
بأبي أنت وأمّي أترى قتليّ حلاً
حاش لله بأن أسألو عن الحبّ وكلاً !

وأنشدني لبعض شعرائهم [من المتقارب] :

إسار الهوى لا إسار العدا هو التارك الحرّ مستعبدا
عبوديةً تؤيسّ الأمّين له أن يباع وأن يفتدى
فليس له فرجٌ يرتجيه من الأسر غير تمّني الردى
فيا غصن بانٍ إذا ما مشى ويا بدر تمّ إذا ما بدا
ويا عارضاً كلما أطمعت بوارقه زاد قلبي صدى^(١)
أسرت فهللاً بحكم الكتا ب قضيت بالمنّ أو بالفدى
ولكن أبيت سوى قسوة يفوت بها قلبك الجلمدا^(٢)

* * *

٥٢ - غريب بن سعيد

أنشدني له [من مجزوء الكامل] :

وجدٌ دخيل واكتئابٌ وفراق شملٍ واقترابٌ
ما بين قلبي إذ نأيت وبين إخواني حجاب

(١) العارض : السحاب الممطر .

(٢) الجلمد : الصخر الصلب .

فإذا خلا وُلِّجْتُ عليه همومه من كلِّ باب^(١)
يا عاذلي لما رأى دمع العيون له انسكاب
ما لي على برج النوى جلدٌ فأقصرُ في العتاب^(٢)

وله [من المنسرح] :

ألان يوم الفراق قسوته
فخلت ما سال من مدامعه
لم ييك شوقاً لكن بكى حزناً
في مشهدٍ لو أطاق شاهده
حتى جرى دمعهُ وما شعرا
دراً على وجنتيه منترا
لهول يوم الفراق إذ حضرا
فيه استتاراً لوجده استرا
إلا اشتهاراً في الحب فاشتهدا
أبى أساه وفيض أدمعه

وقوله [من الطويل] :

أستودع الريح الجنوب تحيةً
وكم بلغت ريح الشمال نسيمكم
رعى الله أحباباً تألف شملهم
تعوّضت من أنسى بهم وحشة النوى
إليكم تؤدي من سلامي ومن شكري
فأهدت إلينا منكم أطيب النشُر
بقرطبة بين الرُصافة والقصر
ومن قريهم قرب المهامه والقفار^(٣)

* * *

٥٣ - إدريس بن الهيثم بن براق الكلاعي

قال [من الطويل] :

ولم أنسها يوم الوداع ومسحها
أفانين تجري من دموعٍ ومن دمٍ
وتكرارنا نجوى الهوى ذات بيننا
بوادٍ دمع العين والعين تذرفُ
على الخد منها تستهل وترعف
وكلُّ إلى كلِّ يلين ويعطف

(١) ولجت : دخلت .

(٢) الجلد : التصبر .

(٣) المهامه : القفار ، والنوى : البعد .

جعلنا هناك الهجر منا بجانبٍ وللبين داعٍ بالترحُّل يهتف
ولولا النوى لم نشك ضعفاً عن الأسى ومن يحمل الأشجان بالبين يضعف
فقلت كلانا مشتركٍ من صبايةٍ ولكنتني عن حملها منك أضعف

قال : وحدث أن إدريس بن الهيم غنى بأبيات أولها [من الطويل] :

ألا إنما أنسى إذا ما نأيتُم بأقرب من لاقيته بكم عهداً^(١)
إذا حصلتُ روعي إليكم وقد أتتُ على أرضكم ألفتُ على كبدي برداً
ويوحشني قرب الجميع وإنها لتأس نفسي إن ذكرتكم فرداً
وما كان قلبي إذ تبدتُ صخرةً فينبو الهوى عنه ولا حجراً صلداً^(٢)
فقد آن فقداني لنفسي فلو أتى عليها حمامٌ ما وجدت لها فقداً

* * *

٥٤ - محمد بن سعيد بن مخارق الأسدي

أنشدني من أبيات [من الوافر] :

يظل الدمع من جزعٍ عليهم وقد بانوا يسحٌ ويستهل^(٣)
سأتبع إثرهم شوقاً إليهم وأقتصرُ المناهل حيث حلُّوا
فما لي أشتكى بالبين منهم كأني ليس لي زادٌ ورحل

* * *

(١) النأي : البعد .

(٢) ينبو الهوى : يجافيه .

(٣) يسحٌ : يهطل ويذرف .

٥٥ - قاضي الجماعة محمد بن يحيى بن يحيى

قال [من الرمل] :

نازح الدار بنا بي واغتربُ ورماء الدهر رشقاً من كَثَبُ
بعدتُ عن دار ليلي داره وهو في جبل هواها مضطرب
فرجتُ نفسي أن تشفى بكم فرحة في الحب شييت بكرب
كنت لي بداراً بدا في سجنه طلع البينُ عليه فغرب^(١)

* * *

٥٦ - أحمد بن نعيم

قال [من الخفيف] :

ليت أن الرياح إن نفذ الصبر وشطتْ عن أرضها أوطاني
بلغتها تحيتي وسلامي وسلام الإله كلَّ أوانٍ

* * *

٥٧ - سعيد بن محمد بن العاص المرواني

قال يصف الهلال وأجاد [من الكامل] :

والبدر في جو السماء قد انطوى طرفاه حتى عاد مثل الزورق
فتراه من تحت المحاق كأنه غرق الكثير وبعضه لم يفرق^(٢)
وهو مأخوذ من قول ابن المعتز (من الكامل) :

انظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

(١) السجف : الستائر ، والظلام .

(٢) المحاق : الوقت الذي يكون فيه القمر مختفياً .

وأنشدت له [من الكامل] :

رفعوا الهودج للرحيل وأعتموا	فغدت لبيّنهم المدامع تسجم ^(١)
وسرّوا وأروقة الظلام تكنّهم	فكأنهم من تحت ذلك أنجم ^(٢)
واستكتموا بمسيرهم تحت الدجى	فأبى نسيم المسك أن يستكتموا
ومن العجائب أننى متأخّر	عنهم وقلبي عندهم متقدّم
وهي النوى لم يبق لي من بعدها	غيرُ الهواء بنفحه أتسمّ
وإذا الصبا أسرت أقول لعلّها	تلقاهم بتحيتي فيُسلموا

* * *

٥٨ - عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن حسان

أنشدت له [من الطويل] :

لقد هاجني للشوق نوح حائمٍ	مطوّقة من مشرقات الحمائم
وناحت وما أذرت دموعاً قد رأتُ	عيونِي تجري بالدموع السّواجم
إذا ما تراجعت الحنين حسبتها	نوادب رجعت الصّدى في المآتم

* * *

٥٩ - سعيد بن عباس

أنشدت له [من الوافر] :

بنفسي من يجرّعني منوني	ويرجمني بأحجار الطُّنون
ويصرمني ولا يرثي لما بي	وينفي النوم ظلماً عن جفوني ^(٣)

* * *

(١) تسجم : تذرّف .

(٢) تكنّهم : تسترهم .

(٣) يصرمني : يهجرنني .

٦٠ - عمر بن يوسف الحنطي

أنشدت له [من الكامل] :

أو مبيض برقٍ أم سيفٌ تبرق في عارضٍ أكنافه تتألقُ
ديمٌ إذا ارتدتُ إليك وجوهها أضحت وجوه الأرض منها تشرق
ترمي بأجفان الوميض كما انشت أجفان عاشقةٍ إلى من يعشق

* * *

٦١ - يحيى بن عباد البصري

قال [من الطويل] :

إذا بارقُ هاج الفؤاد المعذباً فطربَ قلباً هائماً فتطرباً
بنفسي بلادٌ رحت من نحو أرضها بعيني مشوقٌ ما ألدُّ وأطيباً
بلادٌ بها قلبي رهينٌ معذبٌ وإن جلّت في الآفاق شرقاً ومغرباً^(١)

* * *

٦٢ - الغزال بن الحكم

أنشدت له [من الخفيف] :

ريع قلبي لما ذكرت الديارا وتنوّرتُ بالنخيلات نارا^(٢)
وازدهتني ذات السنا يبروق من لظاها فما أطيع اصطبارا
والقريح الفؤاد يزداد للننا ر وميض السعير منها استعارا

* * *

(١) جلّت : رحلت وتبقت .

(٢) ريع قلبي : أي اضطرب .

٦٣ - يحيى بن زكريا بن شماس

قال [من الكامل] :

نعب الغراب بينهم فتحملوا ونأى المحل بها فكيف تزارُ
بكروا وفي الأظعان يوم تحملو هنّ القصور تكنّها الأستار
صفر النحور من العبير روادعُ بيض الثغور كواعبُ أبكار^(١)

* * *

٦٤ - الوزير أبو المظفر عبد الرحمن بن بدر

قال [من المديد] :

أيُّ طيفٍ في الكرى طرقا سام عيني الدمع والأرقا^(٢)
أنا أفدي من بجنح دجى جاب في ظلمائه الطرُقا
ليَ حظٌّ في زيارته لي لو أنّ الكرى صدقا

* * *

٦٥ - الديك النيري مطرق بن محمود

قال [من الكامل] :

طرق الخيال فمرحبا بالطارق قرّت به في النوم عين العاشق
طرق الخيال خيال ليلى موهنا رحلي ، فبات مضاجعي ومُعاني^(٣)
ومنى المشوق أخي الصباية أن يرى وسان أو يقظان وجه العاشق

* * *

(١) روادعُ : متطيّبات بأنواع الطيب . والكواعب : النواهد .

(٢) سام : كلّف وترك وشغل .

(٣) الوهن : الضعف والإعياء .

٦٦ - أحمد بن إبراهيم بن قلزم

أنشدت له [من الكامل] :

هل تعتب الأيام منك بنظرة تغدو بسرّاء على ضرّاء
لولا محابة الخيال برقدّة من طيفها لطوى الردى حوبائي^(١)
يا ليت أيام النوى عادت كرى فأنال من طيف الحبيب شفائي

* * *

٦٧ - يربوع بن أسد المالقي

أنشدت له [من السريع] :

يا بأبي طيفٌ سرى موهناً ودونه جوبُ الفلا والقفار
أكرم به من راحلٍ ذاهبٍ يرعى نوى الدار وشحط المزار
لو أنه شايع إمامه بطول مكثٍ دائم أو قرار
لكنه هيج نار الأسى ثم تولّى بفؤاد مطّار

* * *

٦٨ - الوزير أبو محمد غنائم المالقي

قال وأجاد [من البسيط] :

صير فؤادك للمحبوب منزلة سمّ الخياط مجال للمحبين^(٢)
ولا تسامح بغيضاً في معاملة فقلّما تسع الدنيا بغضين

* * *

(١) الحوباء : النفس .

(٢) سمّ الخياط : أي مكان دخول الخيط في الإبرة « الفتحة » .

٦٩ - غالب بن عبد الله بن عطية

أنشدت له [من الكامل] :

كيف الحياة ولي حبيبٌ هاجرٌ قاسي الفؤاد يسومني تعذيباً
لما درى أن الخيال مُواصلِي جعل السُّهاد على الجفون رقيباً
وله في عطش البحر [من السريع] :

إنّا إلى الله لقد نالنا همٌ يذيب القلب إحراقه
يا عجباً مما دهينا به نسكن في الماء ونشتاقه

* * *

٧٠ - محمد بن أبي الحسن العروضي

قال [من البسيط] :

لما تطلع بدر التم أذكرني بدرأً تطلّع وهناً من بني قطن
بدر تطلّع والآفاق مظلمةٌ فأنجاب إظلامها عن وجهه الحسن
كم مهجةٍ أرهفت الحاظ مقلته ومقلةٍ منعتها لذة الوسن^(١)

* * *

٧١ - إسماعيل بن إسحاق المنادي

قال [من الطويل] :

سلامٌ على خِلٍّ أدين بحبه وأصفيه من حلو الوداد وعذبه^(٢)
سلام امرئ أودى الفراق بصره ولجَّ فأودى بالفؤاد ولُّبه

(١) المهجة : النفس ، والمقلة : العين ، والوسن : النوم والنعاس .

(٢) أصفيه : أخصّه .

لعلّ الذي شتّ الجميع بنأيه سيجمعنا بعد الشتات بقربه^(١)
وما الأخُّ بالأخّ الشقيق ، وإنّما أخوك الذي يعطيك حبة قلبه

* * *

٧٢ - محمد بن وافد

أنشدت له [من الوافر] :
كتابك هاج لي شوقاً عجيباً وأورثني الصبابة والنحيا
تغرّب عن أحبّته محبّاً فأصبح صبره عنه غريباً
فكيف بصبره والقلب منه يكاد من الصبابة أن يذوبا

* * *

٧٣ - خلف بن أيوب

أنشدت له [من السريع] :
والله لولا خطرات المنى ما طال يوماً عمر أهل الهوى
وابأبي من ظلّت من هجره مستشعراً ثوب الأسى والجوى

* * *

٧٤ - علي بن أحمد الأندلسي

قال [من الكامل] :
بيض كبيض الهند في أفعالها فلذاك قيل ظباً وقيل ظباءُ
وترى محاسنها تروق كأنما نشرت عليها وشيها صنعاءُ

* * *

(١) الشتات : التباعد والفراق .

٧٥ - يحيى بن الفضل

قال [من الطويل] :

وسُقْنِ تثير الريح منها عجاجةً تظلُّ مياه الأرض وهي صعيدها^(١)
 تلوح كأمثال الشواهين حلقت على دهم خيل قد أثيرت صيودها^(٢)
 فللطير ما قد نشرته قلوها وللخيل ما قد أظهرته قدودها
 وقوله أيضاً [من مجزوء الكامل] :

لا تيأسنْ بوفاة مَنْ لم تنتفع بحياته
 وليجرِ عندك ميتاً مجراه قبل مماته
 فوفاته كحياته وحياته كوفاته

* * *

٧٦ - أبو بطل

أنشدت له في العذار [من الطويل] :

وعارضِ كافورِ تراه كأنما يدبُّ به من خالص المسك عقربُ
 تنزهَ عن لسب الجلود ، وإنما يغوص على حبِّ القلوب فيلسب^(٣)
 وقوله [من البسيط] :

جمعتَ مالاً ففكرْ هل جمعت له يا جامع المال أبواباً تفرقه
 المال عندك مخزون لوارثه ما المال مالك إلاَّ يوم تنفقه

(١) العجاج : الغبار .

(٢) الشواهين : الصقور . والأدهم من الخيل : الأسود ، والصيود : ما يصطاد بواسطة الخيل من

حيوانات كالبقر الوحشي والظباء وغيرها .

(٣) اللسب : اللسع .

إِنَّ القناعة من يحلُّ بساحتها لم يلق في ظلها همًّا يؤرِّقه
وأنشدت لبعض شعرائهم^(١) في العذار [من الكامل] :

ومعدِّرٍ نقشَ العذار بمسكه خدًّا له بدم القلوب مضرِّجا
لما تيقَّن أن سيف جفونه من نرجسٍ جعل النِّجاد بنفسجا^(٢)

* * *

٧٧ - القرشي المعروف بالفرح

أنشدت له [من الرمل] :

رُبَّ كأسٍ قد كست جنح الدجا	ثوب بردٍ من سناها يَقَقَا ^(٣)
قلت أسقيها رشاً في جفنه	سنة تورث عيني أرقا
أشرقت في ناصع من كفِّه	كشعاع الشمس وافى الفلقا
خفيت للعين حتى خلتها	تتقي من لحظه ما يتقى
أصبحت شمساً وفوه مغرباً	ويد الساقى المحيِّ مشرقا
فاذا ما غربت في فمه	تركت في الخدِّ منه شفقا
خلع البرق على أرجائه	ثوب وشيٍ منه لمَّا برقاً

* * *

٧٨ - إدريس بن عبد الله بن عباد الليزي

أنشدت له [من الطويل] :

غريبٌ بأرض الغرب منقطع الذكر بعيدٌ من الأهلين في بلدٍ قفرٍ

(١) هو أحمد بن عبد ربه ، وقد مرَّ ذكر هذين البيتين في ترجمته ، وهذه العبارة والبيتان معها لا وجود لها في

« ب » .

(٢) النجاد : حائل السيف .

(٣) اليقق : الأبيض الشديد البياض .

تذكر في أهل الجزيرة أهله
فصوت حمام في الغصون كأنما
لئن كن ما تجري لهن مدامع
فهيجه طول التشوق والفكر
ندب بن قتيلا أو روين من الخمر
فكل غريب الدار أدمعه تجري

* * *

٧٩ - عثمان بن إبراهيم بن النضر

أنشدت له [من الطويل] :

ألا يا حمام الأيك مالك باكيا
تغن ولا تنشج فالفك حاضر
بكيت بلا دمع وترفض مقلتي
وقلبك خلو من تباريح لوعتي
وغصنك نضر والجناب مريع^(١)
قريب وإلفي غائب وشسوع^(٢)
شأيب منها في المصيف ربيع^(٣)
وقلبي بلوعات الفراق صريع

* * *

٨٠ - المنصور بن أبي عامر

أنشدت له [من الطويل] :

ألم ترني بعث المقامة بالسرى
وبدلت بعد الزعفران وطيبه
فلا تحسبوا أنني شغلت بلدق
ولين الحشايا بالخيول الضوامر^(٤)
صدا الدرع من مستحكات المسامر
ولكن أطعت الله في كل كافر

* * *

(١) الأيك : الشجر الملتف .

(٢) تنشج : تبكي وتصور حزا ، وشسوع : أي بعيد .

(٣) شأيب : الشؤبوب : الدفعة من المطر .

(٤) البرى : المسير ليلاً ، والضوامر : الهزال .

٨١ - الوليد بن الحكم

أنشدت له [من الطويل] :

إلى رجبٍ أو غرة الشهر بعده توافيكمُ بيض المنايا وسودها
ثمانون ألفاً دين عثمان دينها بشرذمة جبريل فيها يقودها

* * *

٨٢ - القاضي محمد بن عبد الله بن أيوب بن أبي عيسى

أنشدت له قوله من أبيات أولها [من الخفيف] :

* لا تلمني على البكا والعيول *

فعلت زفرتي وطال انتحابي وبدت لوعتي وهاج غليلي
ولنعم البلاد للنازح الأو طان دمعُ جرى برغم العذول
وقبيحُ صبر الخليل أخي الوجد عن الدمع عند ذكر الخليل
وبنفسني نائي المحل قريبُ من فؤادٍ صبَّ وجسمٍ نحيل
كان بينني وبينه البحر والقفر ووخذ السرى وطول الذميل^(١)
يا قليل الإنصاف في الهجر مهلاً إنَّ وجدي عليك غير قليل

وقوله [من البسيط] :

بل ما ادكارك من ورقٍ مغرّدٍ على قضيبٍ بذات الهضب مياسٍ
هجن الصباية لولا همة شرفت فصيرت قلبه كالجنديل القاسي^(٢)

* * *

(١) الوجد : ضرب من العدو . والذميل : السريع .

(٢) الجنديل : الصخر .

٨٣ - محمد بن فطيس

قال [من الكامل] :

ثكلتك أمك هل سمعت مخلداً أم هل رأيت مصححاً لم يسقم
أم هل رأيت من البرية ناشئاً نال الذي في مدو لم يهرم
فدع الأماني إنها مكذوبة واجعل دعاءك للسبيل الأقوم
أي امرئ يرجو البقاء وقد رأى آثار عاد في البلاد وجرهم^(١)

* * *

٨٤ - أحمد بن عبد الله بن أحمد اللؤلؤي

قال [من الطويل] :

لئن غاب عن عيني وأعجز ناظري لما غاب عن وهمي، ولا زال عن فكري
وتالله لو أستطيع ، محض مودة، لأحلت له قلبي وأسكتته صدري^(٢)
أتني بصفو الود منه صحيفة تخبر عن ود وتنطق عن بر
تضمنها من جوهر الشعر حكمة بها سحرت من كاد ينفث بالسكر
يطول لها لفظ الذكي بلاغة ويقصر بالراوي لها طائل العمر

وقوله [من الرجز] :

أقبل فإن اليوم يوم دجن إلى محل كالضمير المكني
ساكنه كطائر في وكن لعننا نعلم أدنى وفن^(٣)

(١) عاد وجرهم : من القبائل البائدة .

(٢) « محض مودة » هو مفعول لأجله عامله أحللتها وما عطف عليه .

(٣) الوكن : عش الطائر ، الوفن : القلة في كل شيء .

في مجلسٍ مزخرفٍ ذي كنٍّ فأنت في سنّك دون سني^(١)

* * *

٨٥ - أبو عثمان سعيد بن أحمد بن عبد ربه

أنشدت له [من الكامل] :

لما عدمت مواسيا وجليسا جالست بقراطاً وجالينوسا
وجعلت كتُبهما شفاءً تفرّجني وهما الشفاء لكلّ جرحٍ يوسى

وقوله [من الطويل] :

أمن بعد غوصي في علوم الحقائق وطول انبساطي في مواهب خالقي
ومن بعد إشرافي على ملكوته أرى طالباً شيئاً إلى غير رازقي
وقد آذنت نفسي بتقويض رحلها واعنف في سوقي إلى الموت سائقي
وإنّي وإن أيقنت أو زغت هارباً عن الموت في الآفاق فالموت لاحقي

* * *

٨٦ - الحسن بن محمد بن بابل

ال. [من الطويل] :

ألا ما لجسمي قد علاه شحوب وما بال أحشائي توقّدُ لوعةً
وما ذاك إلا أن رمّنتي يد النوى وأنّي في أرجاء مصر غريب
أراعي نجوم الليل لا آف الكرى كأني على رعي النجوم رقيب
إذا ما دعوت الدمع يوماً أجابني وإن رمت دعوى الصبر ليس يجيب

(١) الكنّ : الستر .

وإن رمت كتمان الذي بي من الأسى جرى هاطلٌ من مقلتي سكوب
ألا ليت شعري هل أرى الدهر منزلاً تبوَّاه بعد الفراق حبيب^(١)
وهل أَرَدَنْ يوماً مِياهُ رصافَةٍ وهل يصفُونَ لي عيشها ويطيب

* * *

٨٧ - عبد النصير بن أحمد

أنشدت له ما كتب به إلى بعض الرؤساء بديهة في عيد الأضحى ، وكان
عوده أن ينفذ إليه كبشاً لأضحيته فأبطأ عليه [من المديد] :

يا سليل الأكرمين ومن فضله فرضُ فما منه بدُ
أزف العيد وعودتم الكُـبش داري والحبل معد^(٢)
ولقد أبرزت مدينتنا فهي من قبل الصباح تحد^(٣)
خيمك الفضل وقد حكموا أنك الفرد وما لك ند^(٤)
فأنفذ إليه ثلاثة أكبش وصلة واسعة .

* * *

٨٨ - محمد بن أحمد العطار

أنشدت له من قصيدة يقول فيها من مدح المنصور بن أبي عامر الحاجب [من
البسيط] :

يا حاجب الملك الأعلى الذي طففت به الخلافة والأيام تبسمُ

(١) تبوَّاه : حلّه وأقام فيه .

(٢) أزف العيد : قرب .

(٣) المدية : السكين .

(٤) الندّ : المثل .

ومن به أمن الرحمن بلدتنا
وخامر المسلمين الذعر وانحسرت
حتى إذا قنط الإسلام وانبسطت
هبت به ريح نصر الله عن كذب
وجرد السيف فانحازت لسلته
إذا تبسم فالأموال عابسة
فأي بلدة شرك أمها قدماً
بقيت للدين والدنيا تسوسهما

من بعد أن فارقت ملكاً لها العجم
عنهم عوائد صنع الله والنعم^(١)
أعداؤه واستبيحت منهم الحرم
للدين واستيقظت من نومها الهمم
من الجسوم طلى الأعناق والقمم^(٢)
أو صال ماتت له الأبطال والبهم
ولم يحل بها في عقرها النقم ؟
ما حنت النيب أو ما أورك السلم^(٣)

* * *

٨٩ - موسى بن أحمد المعروف بالوتد

أنشد له يعارض العطار في قصيدته الميمية ويرد عليها فيها [من البسيط] :

يا أيها المتمى للعطر قدك فقد
زعمت أنك محسود على نعم
فرب ذي نقم يعتدّها نعماً
قذفت أعراض قوم جاهلاً بهم
وقلت إنك قد فارقتهم وهم
فما حماك اغتيال القوم فضلهم
مدحت نفسك فاستنقصتهم سفهاً
أقسمت بالله ما يرضى بفعلك من

قدحت نيران بغي سوف تضطرم
أوليتها ومحال أنها نعم
بجهله وهي إما حصّلت نقم
يا ظالماً وهم أعلام عصرهم
في حيث قدرك إما حصلوا رخم^(٤)
ولا تحرّجت فيمن عرضه حرم
وما استزلّك إلا فرط حلمهم
فيه حشاشة إيمان ولا كرم^(٥)

(١) خامر : داخل .

(٢) سل السيف : شهر من غمده .

(٣) النيب : جمع ناب ، وهي الناقة المسنة والسلم : من شجر البادية .

(٤) الرخم : طائر يشبه النسر كثير الريش أبيض اللون مبّقع بسواد .

(٥) الحشاشة : بقية الروح والنفس .

ما حصحص الحق فيما قد أتيت به لكنها ظلمات فوقها ظلم^(١)
وعن قريب ستجني غباً ما غرست^(٢) يداك فالبغي غرس طعمه وخم^(٣)

* * *

٩٠ - حبيب بن أحمد الشاعر

أنشدت له من قصيدة يقول فيها في ابن أبي عامر [من البسيط] :

لا ضيَّعَ لله للمنصور مالكنّا حوط الهدى وصلاح الدين بالنظر
في كلّ يومٍ له في المسلمين يدٌ غراء تخبر عن أفعاله الغرر^(٣)
فيا لها فرجةٌ عمّت طوالعها كما يعمّ ضياء الشمس والقمر^(٤)
لا زالت الأرض والدنيا بطاعته معمورتين إلى أقصى مدى العمر

* * *

٩١ - أبو علي بن حسان الأسنجي

أنشدت له [من الكامل] :

ثَقُلْتَ نفسك بالذنوب ودونها جسرٌ لعمرِكَ ما تحير ثقيلاً
يا بانِي الغررِ التي قد عطّلت - لو كنت تعقل - دينها تعطيلاً
فاقصده إنَّك ميتٌ ومشاهدٌ يوماً عليك من الحساب طويلاً
تبني مصانعها وأنت مسافرٌ فلمن بناؤك إن أردت رحيلاً

* * *

(١) حصحص الحق : ظهر وبان .

(٢) غبّ : عاقبه .

(٣) الغرر : البيض .

(٤) فرجة : فسحة .

٩٢ - أبو محمد الباجي ، رحمه الله تعالى !

أنشدت له [من الطويل] :

إذا كنت لا أعفو عن الذنب من آخر وقلت أكافيه فأين التفاضلُ
ولكنني أغضي جفوني على القذى وأصفح عما رابني وأجامل^(١)
متى أقطع الإخوان في كلِّ عثرة بقيت وحيداً ليس لي من أوصل
ولكن أداريه فإن صحَّ سرني وإن هو أعيأ كان عنه التجامل

* * *

٩٣ - عبد الرحمن بن عمرو الحجري

أنشدت له [من الكامل] :

لما قدمت وقال بعض صحابتي قد جاء من عقلت يمينك حبله
قالت قعيدة بيتها يممُّ أبا إسحق سيدنا وقبْلُ نعله
نفسي تعاود نيله الغمر الذي هو أهله وعسى به ولعله^(٢)

* * *

٩٤ - عبد الملك بن خزيمة

قال [من البسيط] :

ابرز إلى الناس إنَّ الناس في أسف إذ ليس بعدك للإسلام من خلف
وقد مضت لك أيامٌ ثمانية أشقى لها الناس من وجد على التلف
خوفاً لعلَّه حبرٍ ليس يشبهه من البرية إلا خيرة السلف^(٣)

(١) أغضي : أعض وأطرق ، والقذى : ما يقع في العين من الأذى ، ورابني : جعلني أشك فيه .

(٢) الغمر : العطاء الوفير .

(٣) الحبر : العالم الجليل .

أضحى الضلال بإبراهيم متضعباً وصار بالمشرفي السدين ذا شرف

* * *

٩٥ - أبو العباس المرداوي

أنشدت له [من المجتث] :

إني رأيت لك اليوم يا كريماً أجله
طفلاً عليه حياءُ وفي الحيا الخير كله
سقيته الحلم لدناً والفرع يسقيه أصله^(١)
لا زلت أثني عليه دهري بما هو أهله
فبارك الله فيه وفي محل يحله

* * *

٩٦ - محمد بن وهيب البدسمي

أنشدت له وقد حضر مجلس بعض الفقهاء ، وهو محتفل بسراة الناس ، وقد حضروا لعقد نكاح ، فقال الفقيه لابن وهيب : لو أمكننا^(٢) عقد هذا النكاح لشاركتنا في الحسنة ، فقال : نعم وكرامة ، وكيف تريد ذلك : منشوراً أو منظوماً ؟ فقال له الفقيه : سبحان الله ، ويمكن نظم هذا والإتيان على فصوله ؟ قال لي : إي والله . وإنه لأيسر على من نثره ، وإن أردت نظمته الآن بين يديك من أوله إلى آخره . ولا أخليه من البسمة في افتتاحه ، فقال : إذا أتيت بهذا أتيت بطامة . فقال له : هات كاتباً أمل عليه ، فأحضره كاتباً فأمل عليه في نسق [نظماً] لم يتردد فيه ولا أبطأ كأنه يتلوه من كتاب حفظه ، وذكر الشروط والتاريخ على نصها في

(١) لدناً : يافعاً طرياً .

(٢) كذا ، ولعله أملتينا .

الصدقات قديماً . كل ذلك بحضرة من شهد المجلس ، فبهت القوم لما رأوه وشاهدوه ، وأقروا أنه نسيح وحده وفريد دهره ، واستكثروا من الثناء عليه والمباهاة به ، وقال له الفقيه : أمرك والله عجيب كاد لولا المشاهدة لم أصدقه .

وركب إلى المنصور بن أبي عامر فأخبره بالمجلس وأراه الشعر ، فعجب من ذلك ، وأمر بصلة جزيلة حملت إليه ، وكان عدة ما ارتجله ثلاثين بيتاً ، وقد كتبت بعضها ، وإن لم تكن من نادر الشعر وبديعه ، وهي [من الطويل] :

لأصدق عبد الله نجل محمد	فتى أمويّ زوجه البكر مريما
وأمرها عشرين عجل نصفها	دنائر يحويها أبوها مسلماً
وأنكحها منه أبوها محمد	سلالة إبراهيم من حيّ خثعما ^(١)
وباقى صداق البكر باقٍ إلى مدى	ثلاثة أعوام زمانا متمماً ^(٢)
مؤخرة عنه يؤدي جميعها	إذا لم يكن عند التطلب معدما
ومن شرطها أن لا يكون مرحلاً	لها أبداً عن دارها أين يمما
وأن لا يرى حتماً بشيء يضرها	يصرف فيه الدهر كفأً ولا فما

وكان ابن وهيب هذا أحد أفراد زمانه ، وكان إذا جلس ابن أبي عامر في الأعياد للشعراء وأذن لهم في الإنشاد على مراتبهم جلس ابن وهيب وبدأ بما يصنعه بديهة فلا تأتية نوبته حتى يفرغ من قصيدته ويقوم وينشده ، وإن مداده لم يجف ، وهذه مادة عظيمة .

* * *

٩٧ - أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي اللغوي

أحفظ أهل زمانه للإعراب والفقه واللغة والمعاني والنوادر ، وله كتب مؤلفة

(١) خثعم : اسم قبيلة .

(٢) الصداق : المهر .

منها اختصار كتاب العين ، وكتاب طبقات النحويين واللغويين في الأندلس
والمشرق من زمن أبي الأسود الدؤلي إلى زمن عبد الله الرياحي النحوي معلم
الزبيدي ، وله كتاب الأبنية في النحوليس لأحد مثله ، وكان الشعر أقل أدواته .

فما أنشدت له في تكذيب منجم [من المتقارب] :

يقول المنجم لي لا تسرْ فإنك إن سرت لاقيت ضرًا
فإن كان يعلم أتني جسير فقد جاء بالنهي لغواً وهجرا
وإن كان يجهل سيري فكيف يراني إذا سرت لاقيت شرًا

وله في رثائه لشيخه علي بن إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي اللغوي
قصيدة جزلة الألفاظ كثيرة الغريب ، صاغها صوغ فحول العرب ، وضمنها قطعة
من غريب كلامهم ، وهي قصيدة طويلة أولها [من السريع] :

تالله لا يبقى لصرف النوى ذو جسد في رأس نيقٍ منيف^(١)

وقوله في الزهد [من السريع] :

لو لم تكن ناراً ولا جنةً للمرء إلا أنه يقبرُ
لكان فيه واعظٌ زاجرٌ ناهٍ لمن يسمع أو يبصر

وقوله [من السريع] :

الفقر في أوطاننا غربةٌ والمال في الغربة أوطانُ
والأرض شيءٌ كلُّها واحدٌ والناس جيران وأخوان

* * *

(١) صرف النوى : كناية عن الصروف والأحداث ، والنيق : أعلى موضع في الجبل ، والمنيف : الشاهق
المطل . .

٩٨ - محمد بن يحيى بن يعقوب

أنشدت له قوله في الزهد [من الوافر] :

لقد فاز الموفق للصواب	وعاتب نفسه قبل العتاب
ومن شغل الفؤاد بحب مولى	يجازى بالجزيل من الثواب
فذاك ينال عزاً لا كعز	من الدنيا يصير إلى الذهاب
تفكر في الممات فعن قريب	ينادى بالرحيل إلى الحساب
وقدّم ما تُرجى النفع منه	لدار الخلد واعمل بالكتاب
ولا تغترّ بالدنيا فعمّا	قريب سوف يؤذّن بالخراب

* * *

٩٩ - الفقيه محمد بن عبد الله بن أبي ريمين

أنشدت له قوله في الزهد [من الخفيف] :

أيها المرء إنّ دنياك بحر	طافح موجه فلا تأمنّها
وسبيل النجاة فيها مهين	وهو أخذ الكفاف والقوت منها

وقوله [من الطويل] :

خليلي إنّ الذي تعلمانه	زمان التصابي وانطلاق عنانه
شديد الأسى حر الجوى محرق الحشى	فهل من مجبر مخبر بأمانه ^(١)
رأى مجبر غير من قد عصيته	فيا أسفى أن لم يعد بحنانه

وقوله [من الطويل] :

وذي حرق زادت به زفرائه	إذا ما سطت في قلبه خطرائه
------------------------	---------------------------

(١) من بحير : من حام وحافظ

له في دجى الإِظلام خلوة مخلصٍ
ويدفعه ذكر الوعيد إلى الأسى
إذا ما تلا التنزيل وانكشفت له
وإن لحظت عين اليقين معاده
بنفسي وليّ أنه بملكه
وقوله [من الخفيف] :

أيها المرء لم تسرّك دنيا أنت منها مرحّل عن قريب
وإذا المرء لم يقصّر خطاه في أمانيه فهو غير لبيب

* * *

١٠٠ - أحمد بن محمد بن عفيف

أنشدت له قوله من قصيدة يمدح فيها أمير المرية خيران ، أولها [من الكامل] :
قف بالمطيّ على مغاني الدار ليس الوقوف على الرسوم بعارٍ
ينول فيها :

أنت الذي أنقذتنا من بعدما كنّا جميعاً تحت جرفٍ هارٍ^(١)
ونهضت نحو المارقين بجحفلٍ جمٍّ أولي عزمٍ وذو استبصارٍ
باعوا النفوس لنصردين محمدي فكأنهم في الحرب أسد الزار
وفيها يصف أعداءهم :

كانوا رياحاً للردى حتى رموا من جيشك المنصور بالاعصار

(١) الهنة : خصلت شره .

(٢) جرف هار : كناية عن الخطر الشديد أي أنهم كانوا على وشك الهلاك .

(٣) الزار : من الزئير ، وهو صوت الأسد .

الله أركسهم وفرّق شملهم حتى أحلّهم^(١) بدار بوار^(٢)

* * *

١٠١ - محمد بن عمر بن عبد الله بن عبد العزيز

المعروف بابن القوطية

من أعلم أهل زمانه باللغة والعربية ، وأرواهم للأشعار والأخبار ، وكان - مع ذلك - حافظاً للفقهِ والحديث ، من أهل النسك والزهادة ، وله كتاب في الأفعال لم يسبقه أحد إلى مثله ، وكان أبو علي البغدادي المعروف بالقالي يفضلّه ويعظمه ، ويعرف حقه ويقدمه .

أخبرني أبو سعيد بن دوست قال : أخبرني الوليد بن بكر الفقيه ان يحيى بن هذيل الشاعر زار يوماً ابن القوطية في ضيعة له ، فألفاه خارجاً منها ، فاستبشر بلاقائه ، وابتدأه بيت حضره على البديهة فقال [من البسيط] :

من أين أقبلتَ يا من لا شبيه له ومن هو الشمس ، والدنيا له فلك
فأجابه مسرعاً [من البسيط] :

من منزل يعجب التّسّاك خلوته وفيه سترٌ على الفَتّاك إن فتكوا
قال ابن هذيل : فما تمالكت أن قبلت يده ، إذ كان شيعي وأستاذي ، وكان الشعر أقل صناعته لكثرة غرائبه : فمن بديعه قوله [من البسيط] :

ضُحىً أناخوا بوادي الطّلع غيرهمُ فأوردوها عشاءً أيَّ إيرادٍ^(٣)
أكرم به وادياً حلَّ الحبيب به ما بين رند وصفصاف وفرصاد^(٤)

(١) أركسهم : أهلكهم وبدّهم والبوار : الهلاك .

(٢) أناخوا : حطّوا الرجال والعير : الدواب .

(٣) الرند : شجر طيب الرائحة ، والفرصاد : هو المعروف في بلادنا باسم التوت .

يا وادياً سار عنه الـركب مـرتحـلاً بالله قل أين سار الـركب يا وادي
أبالحمى نزلوا أم باللّوى عدلوا أم عنك قد رحلوا خُلْفاً لميعادي
بانوا وقد أورثوا جسمي لينهم سقماً وقد قطعوا بالبين أكبادي

* * *

١٠٢ - أحمد بن محمد بن عبد ربه

أحد محاسن الأندلس علماً وفضلاً ، وأدباً ونبلاً ، وشعره في نهاية الجزالة
والحلاوة ، وعليه رونق البلاغة والطلاوة .

أنشدني له أبو سعيد بن دوست قال : أنشدني الوليد بن بكر قوله [من

الكامل] :

يا من يجرد من بصيرته تحت الحوادث صارم العزم
رعت العدو فما مثلت له إلا تفزع منك في الحلم^(١)
أضحى لك التدبير مطرداً مثل أطراد الفعل للاسم
رفع العدو إليك ناظره فراك مطلعاً مع النجم

وقوله [من الوافر] :

ومعترك تهز له المنايا ذكور الهند في أيدي ذكور^(٢)
لوامع يبصر الأعمى سناها ويعمى دونها طرف البصير
وخافقة الذوائب قد أقامت على حمراء ذات شبا طير^(٣)
نجوم تحتها عقبان موت تخطفت القلوب من الصدور
يوم راح في سربال ليل كما عرف الأصيل من البكور

(١) رعت : أخفت .

(٢) ذكور الهند : سيوفها .

(٣) الشبا الطير : الطرف الحاد من السنان .

وعين الشمس تدنو في قتامٍ
فكم قصَّرتَ من عمرٍ طويلٍ .
دُئُوْ الانْف ما بين السّور
به وأطْلَتَ من عمرٍ قصيرٍ

وقوله [من البسيط] :

كم ألحم السيف من أبناء ملحمةٍ
فأورد النار من أرواح بارقةٍ
كأنما صال في ثني مفاضته
لما رأى الفتنة العمياء قد دخنتُ
وأطبقت ظلمٌ من فوقها ظلمٌ
قاد الجياد إلى الأعداء ساريةٍ
ملمومةٌ تتبارى في ملممةٍ
تفوت بالثأر أقواماً وتدركه
فانصاع ناصر دين الله يقدمهم
كتائبٌ تتبارى حول رايته

وقوله يصف الحرب [من الطويل] :

ومعتزلُ ضنكٍ تساقَت كمامته
يديرونها راحاً من الراح بينهم
وتسمعهم أمّ المنية وسطها
كؤوس المنايا من كلّى ومفاصلٍ^(٣)
بيضٍ رقاقٍ أو بسمِرٍ ذوابلٍ^(٤)
غناء صهيل البيض تحت المناصل

(١) المفاضة : الدرع الوافية . وهرّار : مكشّر عن أنيابه .

(٢) قباً : من القبّ ، وهو دقة الخصر وضمور البطن في الخيل . والعضب : نوعٌ من الثياب المخطّطة .

(٣) الضنك : الشديد الصعب ، والكمامة : الفرسان والأبطال .

(٤) البيض والسمر : السيوف والرماح .

وقوله [من الطويل] :

بكلّ ردينيّ كأنّ سنانهُ
تقاصرت الأجال في طول متنهُ
وساءت ظنون الحرب في حسن ظنّه
وذِي شُطْبٍ تقضي المنايا بحكمه
فرنْدُ إذا ما اعتن للعين راكد
يسلّل أرواح الكماة انسلاله

وقوله [من السريع] :

بكلّ مشورٍ على متنهُ
يرتدُّ طرف العين عن حدّه

وقوله [من الطويل] :

كريمٌ على العلاتِ جزلٌ عطاؤه
وما الجود من يعطي إذا ما سأله

وقوله [من السريع] :

من يُرتجى بعدك أو يتّقي
إن عشت عاش الناس في نعمةٍ

وقوله في الشيب [من الوافر] :

شباب المرء تنفده الليالي
فأسوده يصير إلى بياضٍ

(١) الرديني : الرمح .

(٢) وذِي شُطْب : كناية عن السيف .

وقوله [من البسيط] :

هل من جديدٍ على كَرِّ الجديدين^(١)
فأطيب العيش وصل بين إلفين
فربما ضاقت الدنيا على اثنين

قالوا شبابك قد ولى فقلت لهم
صِلْ من هويتَ وإن أبدى معاتبَةً
واقطع حبائل خلٍّ لا ثلاثمه

وقوله يرثي ولده [من الكامل] :

والصبر ينفد والبكا لا ينفدُ
ولقائه حتى القيامة موعدُ
لو كان ضم أباك ثم الملحد
هيهات أين من الحزين تجلّد

بليت عظامك والأسى يتجدّدُ
يا غائباً لا يرتجى لإيابه
ما كان أحسن ملحداً ضُمَّتُهُ
باليأس أسلو عنك لا بتجلدي

وقوله يرثيه [من المنسرح] :

وأحرقته لواعج الكمد^(٢)
أعذر من والدٍ على ولد
دفنتُ فيه حشاشتي بيدي
من لم يصل ظلمه إلى أحد
وأَيَّ روحٍ نزعَت من جسدي
قبل طلوع السّواء في العدد^(٣)
وأَيَّ عينٍ عليه لم تجلِدِ؟
فُجِعْتُ بالصّبر فيه والجلد
يقدح نارَ الأسى على كبدي

واكبداً قد تَفَطَّعت كبدي
ما مات حيٍّ لميتٍ أسفاً
يا رحمة الله جاورى جدناً
ونُورِي ظلمة القبور على
أَيَّ حسامٍ أخذت رونقه
يا قمراً أجحف الخسوف به
أَيَّ حشىٍّ لم يذب له أسفاً؟
لا صبر لي بعده ولا جلدُ
يا لوعةً لا يزال لاعجُها

(١) كَرَّ الجديدين : أي تقلّب الليل والنهار .

(٢) لواعج الكمد : حرقه الحزن والهم .

(٣) أجحف : ظلم وأضرّ ، وليلة السّواء : هي ليلة أربع عشرة أو ثلاثة عشرة ، يريد أنه لم يكتمل .

وقوله [من البسيط] :

لا بيت يسكن إلا فارق السكنا
لهفا على ميت مات السرور به
واهأ عليك أبا بكرٍ مرددةً
إذا ذكرتك يوماً قلت واحزانا
يا سيدي ومزاج الروح في بدني
يا أطيب الناس روحاً ضمّه بدنٌ
لو كنت أعطى به الدنيا معاوضةً
ولا امتلا فرحاً إلا امتلا حزناً^(١)
لو كان حياً لأحيا الدين والسنا
لو سكنت والهأ أوفتت شجناً^(٢)
وما يرد عليك القول واحزنا
هلاً دنا الموت مني حيث منك دنا
أستودع الله ذاك الروح والبدنا
منه لما كانت الدنيا له ثمنا

وقوله في التحيب إلى الناس [من الكامل] :

وجهٌ عليه من الحياء سكيةً
وإذا أحبَّ الله يوماً عبده
ومحبةٌ تجري مع الأنفاس
ألقى عليه محبةً للناس

وقوله [من البسيط] :

لا غرو إن نال منك السقم ما سألأ
ما تشتكي علةً في الدهر واحدةً
قد يكسف البدر أحياناً إذا كمالأ
إلا اشتكى الجود من وجدها عللا

وقوله [من البسيط] :

قالوا نأيت عن الإخوان قلت لهم
دعني أصنّ حرّاً وجهي عن إذالته
ما لي أخ غير ما تحوي عليه يدي
وإن تغرّبت عن أهلي وعن ولدي^(٣)

وقوله [من الطويل] :

وأعذر من أدمى الجفون من البكا
كريمٌ رأى الدنيا بكفٍ لثيمٍ

(١) امتلا أصله امتلأ - بالهمز - مخفّف الهزمة بقلبها ألفاً لانفتاح ما قبلها ، لضرورة الشعر .

(٢) الشجن : الحزن .

(٣) إذالته : إهانته وابتذاله .

أرى كلَّ قدمٍ قد تبجَّح في الغنى
وقوله في الشيب [من الوافر] :

بدا وَضَحُ المشيب على عذاري
وألْبَسني النهى ثوباً جديداً
شريت سواد ذا بياض هذا
وما بعث الصبا بيعاً بشرط

وهل ليلٌ يكون بلا نهار
وجردني من الثوب المعار
فبدلت العمامة بالخمار
ولا استثيت فيه بالخيار

وقوله في الشباب [من الكامل] :

ولّى الشباب وكنت تسكن ظلّه
وأنّه المشيب عن الصبا لو أنه
وقوله فيه [من المنسرح] :

كنت أليف الصبا فودّعني
أيام هوي كظلّ أسجلة

وداع من بان غير منصرفٍ
وإذ شبابي كروضة أنف^(١)

وقوله فيه [من الوافر] :

شبابي كيف صرت إلى نفاذ
وما أبقى الحوادث منك إلا
فراقك عرف الأحزان قلبي
كأنني منك لم أربع أربع
سقى ذاك الرّبا وبلّ الثريا

وبدلت البياض من السواد ؟!
كما أبقت من القمر الدّادي^(٢)
وفرق بين عيني والرقاد
ولم أرتدّ به أحلى مراد
وغادى نبتة صوب الغوادي^(٣)

(١) القدم : الأحمق .

(٢) كظلّ أسجلة : أي الظل الواسع المتدلي ، والروضة الأنف : التي لم ترع .

(٣) الدّادي : الليالي الشديدة الظلام .

(٤) الويل : المطر ، وصوب الغوادي : مطر السحاب .

وكان الغيّ فيه من رشادي
وكم لي من غويل فيك بادي

زمانٌ كان فيه الرشْد غيًّا
فكم لي من غليل فيك خافٍ
وقوله [من البسيط] :

فقد تحيرَ فكري بين هذينِ
وبحر جودك ممتدُّ العنانينِ
فقلت شتّان ما بينَ اليزيدينِ

فكرتُ فيك أبحرُ أنت أم قمرُ
إن قلت بحرٌ وجدت البحرَ منحسراً
أو قلت بدرُ رأيتَ البدرَ منتقصاً
وقوله في الزهد [من السريع] :

أخوف من أن يعدلَ الحاكمُ
وليس لي من دونه راحم
أسرف إلا أنه نادم

يا ويلتها من موقف ما به
أبازر الله بعصيانه
يا رب عفواً منك عن مذنب

وقوله [من الوافر] :

وأنت من الهلاك على شفير^(١)
به يردى إلى أجل قصير
ترك مكان قبرك في القبور
فإن الحزن عاقبة السرور
بعارية ترد إلى معير^(٢)
ودار الحق من دار الغرور

أتلهو بين باطيه وزير
فيا من غره أملٌ طويلٌ
أتفرح والمنية كل يومٍ
هي الدنيا وإن سرتك يوماً
ستسلب كل ما جمعتَ فيها
وتعتاض اليقين من التظنيّ

وقوله [من السريع] :

وأعينُ مكحولةٌ بالهجوم^(٣)

مدامع قد خدّدت في الحدودُ

(١) الباطية : الحمر وأوانيتها والوزير : إناء الخمر .

(٢) العارية : الأمانة ، أو الشيء المستعار .

(٣) خدّدت : تركت آثاراً وأخاديداً لمجراها .

فبادروا خشية ذاك الوعيد
يكون من خوف عقاب المجيد
ما قابلت أعينهم في السجود

ومعشر أوعدهم ربه
فهم عكوف في محاريبهم
قد كاد أن يعشب من دمهم

وقوله في الغزل [من الطويل] :

وقد قام من عينك لي شاهدا عدل
بعينه سحر فاطلبوا عنده ذلي^(١)
أطالبه فيه أغار على عقلي
ولو سألت قتلي وهبت لها قتلي
فيعجبني هجر الذُّ من الوصل
بماء البلا هذا يخطُّ وذا يمي
ولكن ذاك الجور أحل من العدل
فلا شيء أشفى في فؤادي من العذل
إذا ما أبيت العز فاصبر على الذل
وأمرك لا أمري وفعلك لا فعلي
فجرّده ثم اتّكيت على النصل^(٢)
فأنت الذي عرّضت نفسك للقتل

أتقتلني ظلماً وتجدني قتلي
أطلاب ذلي ليس بي غير شادن
أغار على قلبي بعينه شادن
بنفسي التي ضئت عليّ بوصلها
إذا جثتها صدت حياء بوجهها
كتمت الهوى جهدي فحرّره الأسى
وإن حكمت جارت عليّ بحكمها
وأحييت فيها العذل جبالاً لذكرها
أقول لقلبي كلما ضامه الأسى
برأيك لا رأيي تعرّضت للهوى
وجدت الهوى نصلاً لموتي مغمداً
فإن كنت مقتولاً على غير ريبة

وقوله ، وهو من دقيق التشبيه وحسن النسيب [من الكامل] :

حوراء راعتها النوى في حور
نظرت إليك بمقلتي أمانة
حكمت لواظها على المقدور
وتلفّقت بسوالف اليعفور^(٣)

(١) الذحل : الثأر .

(٢) النصل : السيف والرمح وكلّ ماله حدّ ، ومغمداً : أي في غمده . . وغمد السيف : حيث يوضع وعاءه وبيته .

(٣) الأمانة : الظبية . واليعفور : الغزال ، وولد البقرة الوحشية .

وكأنما غاص الأسى بجفونها
وقوله [من الكامل] :

أدعو إليك فلا دعاء يسمع
للورد حين ليس يطلع دونه
من لي بأحور ما يبين لسانه
منع الكلام سوى إشارة مقلّة
وقوله [من الطويل] :

جمال يفوت الوهم في غاية الفكر
ووجه أعار البدر ذلّة حاسد
وقوله في النحول [من الكامل] :

لم يبق من جثمانه
قد رقّ حتى ما يرى

وقوله في البين [من الوافر] :

فررت من اللقاء إلى الفراق
سقاني البين كأس الموت صرفاً
فيا برد اللقاء على فؤادي
وقوله في نوح الحمام [من الطويل] :

ويحتاج قلبي كلما كان ساكناً
وإن ارتياحي من بكاء حمامة

حتى أتاك بلؤلؤ مشور

يا من يضرّ بناظريه وينفع
والورد عندك كلّ حين يطلع
خجلاً وسيف جفونه لا يقطع^(١)
منها يكلمني وعنّها يسمع

وطرفاً إذا ما فاه ينطق بالسحر
فمنه الذي يسودّ في صفحة البدر

إلا حشاشة مبتئس
بل ذاب حتى ما يحس

فحسبي ما لقيت وما ألاقي
وما ظني أموت بكفّ ساقي
أجرّني اليوم من حرّ الفراق

دعاء حمام لم ييت بوكون^(٢)
كذي شجن داويته بشجون

(١) الأحور : من الحور وهو شدة سواد العين وشدة بياضها معا .

(٢) الوكون : جمع وكن وهو : العش .

كَانَ حَمَامَ الْأَيْكَ لَمَّا تَجَاوَبْتَ حَزِينٌ بَكَى مِنْ رَحْمَةِ الْحَزِينِ
وقوله فيه [من الطويل] :

أَنَا حَتَّ حَمَامَاتِ اللَّوَى أَمْ تَغْنَّتْ فَأَبَدْتُ دَوَاعِي قَلْبِهِ مَا أَجْنَتْ^(١)
فَدَيْتِ التِّي كَانَتْ وَلَا شَيْءَ غَيْرَهَا مِنْ نَفْسٍ أَوْ يَقْضَى لَهَا مَا تَمَنَّتْ
وقوله فيه [من الطويل] :

لَقَدْ سَجَعْتُ فِي جَنَحِ لَيْلٍ حَمَامَةً فَأَيُّ أَسَى هَاجَتْ عَلَى الْهَائِمِ الصَّبِّ
لَكَ الْوَيْلُ بَلْ هَيَّجَتْ شَجْوِي بَلَا جَوَى وَشَكْوَى بَلَا شَكْوَى وَكَرْباً بَلَا كَرْبٍ
وَأَسْكَبْتُ دَمْعاً مِنْ جَفُونٍ مَسْهَدٍ وَمَا رَقَرْتُ مِنْكَ الْمَدَامِعَ بِالسَّكَبِ
وقوله في الرياض [من الطويل] :

وَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزَنِ حَاكَ لَهَا النَّدَى بِرُودٍ مِنَ الْمَوْشِيِّ حَمَرِ الشَّقَائِقِ
يَقِيمُ الدَّجْسَى أَعْنَاقَهَا وَيَمِيلُهَا شِعَاعُ الضُّحَى الْمُسْتَنِّ فِي كُلِّ شَارِقِ^(٢)
إِذَا ضَا حَكَّتْهَا الشَّمْسُ تَبْكِي بِأَعْيُنٍ مَكَلَّلَةَ الْأَجْفَانِ صَفَرِ الْحِمَالِقِ^(٣)
حَكَتْ أَرْضَهَا لَوْنُ السَّمَاءِ وَزَانِهَا نَجُومٌ كَأَمْثَالِ النُّجُومِ الْخَوَافِقِ
بِأَطْيَبِ نَشْراً مِنْ خَلَائِقِكَ الَّتِي لَهَا خَضَعْتُ فِي الْحَسَنِ زَهْرَ الْخَلَائِقِ
وقوله في التضمين [من الطويل] :

وَرَوْضَةٌ وَرَدَ حَفٌّ بِالسُّوسَنِ الْغَضُّ تَحَلَّتْ بِلَوْنِ السَّامِ وَالذَّهَبِ الْمَحْضِ^(٤)
رَأَيْتُ بِهَا بَدْرًا عَلَى الْأَرْضِ مَاشِياً وَلَمْ أَرْ بَدْرًا قَطُّ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ
إِلَى مِثْلِهِ تَصْبُو إِذَا كُنْتَ صَابِياً فَقَدْ كَادَ مِنْهُ الْبَعْضُ يَصْبُو إِلَى الْبَعْضِ

(١) اللَّوَى : ما التوى وانعطف وانثنى من الرمل أو مسترقه .

(٢) فِي كُلِّ شَارِقٍ : أَي عِنْد كُلِّ شُرُوقٍ .

(٣) الْحِمَالِقُ : بَاطِنُ أَجْفَانِ الْعَيْنِ .

(٤) السَّامُ : عُرُوقُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ .

على أنه يجزي المحبة بالبعض
حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وقل للذي يفني الفؤاد بحبه
«أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا

وقثوله [من الطويل] :

موردّة تسعى بلونٍ موردٍ
تُصلّ له من غير طهرٍ وتسجد
كأقراط درّ في قضيب زبرجد
وعنها فسلّ لا تسأل الناس عن غد
ويأتيك بالأخبار من لم تزود»^(١)

وحاملةٍ راحا على راحة اليد
متى ما ترى الإبريق للكأس راكعا
على ياسمينٍ كاللّجين ونرجسٍ
بتلك وهذي فآله يومك كلّهُ
«ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً

وقوله [من الطويل] :

قريبٌ وهل من لا يرى بقريبٍ
وأيّ محبٍّ خان عهد حبيب
قضيب من الريحان فوق كثيب
أطعني وخذ من حظها بنصيب
وما كلُّ مؤتٍ نصحه بليب

أيقتلني دائي وأنت طيب
لئن خنت عهدي إنني خير خائنٍ
وساحبةٍ فضل الذبول كأنها
إذا برزت من خدرها قال صاحبي
«فما كل ذي لب بمؤتيك نصحه

وقوله [من المديد] :

واشتغالي بك عن كلّ شغلٍ
وقضيباً فوق دعصة رمل»^(٢)

يا طويل الهجر لا تنس وصلي
يا هلالاً فوق جيد غزالٍ

وقوله [من المديد] :

لا عليها بل عليك السلام

يا وميض البرق بين الغمام

(١) البيت لطرفة بن العبد الشاعر الجاهلي المشهور .

(٢) دعصة الرمل : التلّة والكثيب .

إنّ في الأحداج مقصورة
تحسب الهجر حلالاً لها
ما تأسيك لدارٍ خلت
إنما ذكرك ما قد مضى
وجهها يهتك ستر الظلام
وترى الوصل عليها حرام
ولشعبٍ شتٌ بعد التثام^(١)
ضِلَّةٌ مثلُ حديث المنام

وقوله [من المديد] :

يا عاتباً صرت له عاتباً
من يتب عن حب معشوقه
فالهوى لي قدر غالب
ساكن القلب ومن حلّه
رب مطلوبٍ غدا طالباً^(٢)
لست عن حبي له تائباً
كيف أعصي القدر الغالبا
أصبح القلب به ذاهباً

وقوله [من المديد] :

أيُّ تفاحٍ ورمّانٍ
أي وردٍ فوق خدٍّ بدا
وثنٌ يعبد في خلوةٍ
من رأى الذلفاء في خلوةٍ
« إنما الذلفاء ياقوتةٌ
نجتني من خوط ريحانٍ^(٣)
مستثيراً فوق سوسان
صيع من درٍّ ومرجان
لم ير الحدّ على الزاني^(٤)
أخرجت من كيس دهقان^(٥) »

وقوله [من المديد] :

من محبٍّ شفّه سقمه
وتلاشى لحمه ودمه

(١) شت : تفرق .

(٢) زاد في أول هذا البيت سبباً خفيفاً وهذه الزيادة سائغة عند أهل العروض .

(٣) الخوط : الغصن الناعم .

(٤) الذلفاء : إسم . علم ، والذلف : صغر الأنف واستواء طرفه .

(٥) الدهقان : التاجر .

كاتبٌ حنَّتْ صحيفته وبكى من رحمةِ قلمه
يرفع الشكوى إلى قمرٍ تنجلي عن وجهه ظلمه
حلُّ عقلي يا مسفه إنَّ عقلي لست أتهمه
« للفتى عقلٌ يعيش به حيث تهدي ساقه قدمه »

وقوله [من المديد] :

زادني لومك إصرارا إنَّ لي في الحب أنصارا
طار قلبي من هوى رشاً لو رثى للقلب ما طارا
خذ بكفِّي لا أمت غرقاً إن بحر الحب قد فارا
أنضجت نار الهوى كبدي ودموعي تطفئ النارا
« رب نار بتُّ أرمقها تقضم الهندي والغارا »^(١)

وقوله [من البسيط] :

يا ليلةً كان في ظلمائها نور إلّا وجوهاً تضاهيها الدنانيرُ
حورٌ سقَّتني كأس الموت أعينها ماذا سقَّتني تلك الأعين الحور
إذا ابتسمن فدرُ الثغر منتظمٌ وإن نطقن فدر اللفظ منشور
حلَّ الصبا عنك واختم بالنهاي عملاً فإنَّ خاتمة الأعمال تكفير^(٢)
« فالخير والشر مقرونان في قرَنٍ فالخير ممتنع والشر محذور »^(٣)

وقوله [من البسيط] :

يا طالباً في الحب ما لا ينال وسائلاً لم يعف ذلّ السؤال
ولّت ليالي الصبا محمودة لو أنها ترجع تلك الليالي

(١) الهندي والغار : نوعان من الطيب يتبخر بهما .

(٢) حلّ : دع واترك . والتكفير : التوبة وعمل الخير إزالة للذنوب .

(٣) القرن : القيد والشُرْكُ .

بالهجر لما رأت شيب القذال^(١)
ولا تكن طالباً ما لا ينال
كانت تمنّيك من حسن وصال

وأعقبك التي أوصلتها
لا تلتمس وصلةً من مخلف
« يا صاح قد أخلفت أسماء ما

وقوله [من البسيط] :

فتصرمي جبل من لم يصرم^(٢)
لا يرحم الله من لم يرحم
ذنبٌ بأعظم من سفك الدم
للمنزل الفقر ولا للرسم
مخلولقٍ دارسٍ مستعجم^(٣)

ظالمتي في الحب لا تظلمي
أهكذا باطلاً عاقبتني
قتلت نفساً بلا نفسٍ وما
لمثل هذا بكت عيني لا
« ماذا وقوفي على رسمٍ عفا

وقوله [من مخلع البسيط] :

وأبعد الصبر من بكائي
أنت دوائي وأنت دائي
تخلط لي اليأس بالرجاء
لي بنعم لا ولا بلاء
فاضت دموعي على ردائي
ونخوة العزّ في الجواء^(٤)

ما أقرب اليأس من رجائي
يا مذكي النار في جوائي
من لي بمخلفةٍ وعدّها
سألّها حاجةً فلم تفه
قلت استجيبي فلما لم تجب
كآبة الذل في كتابي

وله فيه [من مخلع البسيط] :

فكيف تنجو من العذاب

قتلت نفساً بغير نفس

(١) القذال : القفا ، حيث الصفع .

(٢) الصرم : الهجر والقطيعة .

(٣) الدارس : البالي الذي عفت آثاره ، والمستعجم : الذي لا ينطق .

(٤) الجواء : من الجوى ، وهو شدة الوجد والاحتراق من العشق والجواء : الداخل والباطن .

إذ خلق الناس من تراب
فلهف نفسي على الشباب
يدعو حثيثاً إلى الخضاب

خلقت من بهجة وطيب
ولت حمياً الشباب عني
أصبحت والشيب قد علاني

وقوله [من الوافر] :

ولكن ليس تجفوها الدموعُ
ولكنْ ليس تتركه الضلوع
فليس لها على الدنيا طلوع
ويحكي لي تورُّدكَ الربيع
ودون لقائك الحصنُ المنيع
وجاوزهُ إلى ما تستطيعُ

تجافى النوم بعدك عن جفوني
يطير إليك من شوقٍ فؤادي
كان الشمس لما غبتْ غابتُ
يذكرني تبسُّمك الأفاحي
فما لي من تذكُّرك امتناعُ
« إذا لم تستطع شيئاً فدعه »

وقوله [من الكامل] :

وكسا المشيب مفارقاً وقذالا
طلعت إليك أكلَّةً وحجالاً^(١)
ولقد يكون حرامهن حلالا
وصل الشباب طوين عنك وصالاً^(٢)
نسبُ يزيدك عندهن خبالاً^(٣)

حال الزمان له فبدلٌ حالا
غابت غواني الحيّ عنك وربما
أضحى عليك حلالهن محرماً
إن الكواعب إن رأينك طاوياً
« وإذا دعونك عمهن فإنه »

وقوله [من مجزوء الكامل] :

طرفُ به تبلى السرائرُ
ب كآته في القلب ناظر

هتك الحجاب عن الضمائر
يرنو فيمتحن القلو

(١) الأكلَّة : المتزينة بالتاج ، أو بعصابة من الجواهر ، والحجال : الخلاخيل .

(٢) طاوياً : جائعاً .

(٣) الخبال : فساد العقل والرأي .

يا ساحراً ما كنت أعرف قبله في الناس ساحر
أقصيتني من بعد ما أدنيتني فالقلب طائر
«وغررتني وزعمت أنك لابن في الصيف تامر»^(١)

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يا مقلّة الرشا الغريـر وشقة القمر المنير
ما رنقت عيناك لي بين الأكلمة والستور
إلا وضعت يدي على كبدي مخافة أن تطير
هبنـي كبعض حمام مكّة واستمع قول النذير
«أبني لا تظلم بمكّة لا الصغير ولا الكبير»

وقوله [من مجزوء الكامل] :

قل ما بدا لك وافعل واقطع حبالك أوصل
هذا الربيع فحيه وانزل بأكرم منزل
وصل الذي هو واصل وإذا كرهت تبدّل
وإذا نبا بك منزل أو مسكن فتحوّل
«وإذا افتقرت فلا تكن متخشعاً وتحمل»

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يا دهر ما لك ضنك وأنت غير مواتي^(٢)
جرعتني غصصاً بها كدرت [عليّ] حياتي
أين الذين تسابقوا في المجد للغايات
قوم بهم روح الحيا ة تردّ في الأموات

(١) لابن في الصيف تامر : أي عندك لبن وتمر .

(٢) ورد صدر هذا البيت هكذا « يا دهر مالي بضنك » وهو غير مستقيم الوزن .

وإذا همو ذكروا الإساءة أكثروا الحسنات
وقوله فيه [من الهزج] :

متى أشفي غليلي بنيل من بخیل
غزالٌ ليس لي منه سوى الحزن الطویل
حملت الضیم فيه من حُودٍ أو عذول
جميل الوجه أخلاني من الصبر الجمیل
« وما ظهري لباغي الضیم بالظهر الذلول »^(١)

وقوله [من الرجز] :

لم أدرِ جنیُّ سباني أم بشرٌ
أم ناظر يهدي المنايا طرفه
ويحي قتيلاً ما له من قاتل
ما بال رسم الوصل أضحي دارسا
« دارٌ لسلمي إذ سليمى جارةٌ
أم شمس ظهرٍ أشرقَتْ لي أم قمرٌ
حتى كأن الموت فيه في النظر
إلا سهام الطُرف ريشَتْ بالحور »^(٢)
حتى لقد أذكرني ما قد دثر
قفرٌ ترى آياتها مثل الزبر »^(٣)

وقوله [من الرجز] :

قلبٌ بلوعات الهوى معمود
ما ذقت طعم الموت في كأس الرجا
من ذا يداوي القلب من داء الهوى
أم كيف أسلو غادةً ما حبها
« القلب منها مستريحٌ سالم
حيٌ كميتٍ حاضرٌ مفقود »^(٤)
حتى سقتنيه الطباء الغيد
إذ لا دواء للضنى موجود
إلا قضاء ما له مردود
والقلب مني جاهد مجهود

(١) الذلول : السهل امتطاؤه .

(٢) ريشت : يقال أراش السهم .

(٣) الزبر : المكتوب .

(٤) المعمود : الموجه والمضني .

وقوله [من الرجز] :

يا أيها المشعوف بالحب التعبُ كم أنت في تقريب ما لا يقتربُ
دع ودَّ من لا يرعوي إذا غضب ومن إذا عاتبته يوماً عتب

« إنك لا تجني من الشوك العنب »

وقوله [من الرمل] :

أنا في اللذات ممنوع العذار هائم في حب ظبي ذي احورارٍ
صفرةً في حمرةٍ في خده جمعتُ روضة وردٍ وبهار^(١)
بأبي طاقة آسٍ أقبلتُ تنشي بين حجلٍ وسوار
قادني قلبي وطرفي للهوى كيف من قلبي ومن طرفي حذاري
« لو بغير الماء حلقي شرقُ كنت كالغصّان بالماء اعتصاري »

وقوله [من الرمل] :

يا مدير الصدغ بالخد الأسيل ومجبل السحر بالطرف الكحيل^(٢)
هبْ لمحزونٍ كئيبٍ نظرةً منك يشفي بردها حرّ الغليل
وقليلُ ذاك إلا أنه ليس من مثلك عندي بالقليل
بأبي أحور غنى موهناً بغناء قصر الليل الطويل
« يا بني الصيّداء ردّوا فرسي إنما يفعل هذا بالذليل^(٣) »

وله [من الرمل] :

شادنٌ يسحب أذيال الطرب يتنشي ما بين لهوٍ ولعبٍ

(١) البهار : كلّ شيء حسن ومنير وطيب الرائحة .

(٢) الأسيل : الناعم الرقيق .

(٣) الصيّداء : المائلة العنق .

بجبينٍ مفرغٍ من فضةٍ فوق خدٍ مشربٍ لون الذهب
كتب الدمع بخدي عهده للهوى والشوق يملئ ما كتب
يا لجهلي ما أراه ذاهباً وسواد الرأس مني قد ذهب
« قالت الخنساء لما جئتها شاب بعدي رأس هذا واشتهب »^(١)
وقوله [من الرمل] :

يا هلالاً في تجليّه وقضياً في تشيّه
والذي نلت أسمىه ولكني أكنيه
شادنٌ ما تقدر العيون تراه من تلاله
كلّما قابلها شخصٌ رأى صورته فيه
لان حتى لو مشى الذرّ عليه كاد يدميه^(٢)
وقوله [من الرمل] :

يا هلالاً قد تجلّى في سحابٍ من حريرٍ
وأميراً بهواه قاهراً كلّ أمير
ما لخديك استعاراً حمرة الورد المنير
ورسوم الوصل قد ألبسها ثوب الدثور^(٣)

وقوله [من السريع] :

أنت بما في نفسه أعلم فاحكم بما شئت به تحكم
الحاظه في الحبّ قد هتكت مكتومةً والحبّ لا يكتم
يا مقلتي وحشية قتل نفساً بلا نفسٍ ولا تظلم

(١) اشتبه : أي خالط بياضه سواده .

(٢) الذرّ : النمل الصغير .

(٣) الدثور : الستر .

قالت تسلّيت فقلنا لها ما قال قبلي عاشق مغرم
« يا أيها الزاري على عمرٍ قد قلت فيه غير ما تعلم »^(١)

وقوله [من السريع] :

ويحي قتيلاً ما له من عقل من شادن يهتزّ مثل النصل^(٢)
مكحل ما مسّه من كحل لا تعذلاني إنني في شغل

« يا صاحبي رحلي أقلا عدلي »

وقوله فيه [من المنسرح] :

بيضاء مضمومة مقرطقة تنقذ عن نهدها قراطقها^(٣)
كأتما بات ناعماً جذلاً في جنة الخلد من يعانقها
وأي شيء ألدّ من أملٍ نالته معشوقة وعاشقها
دعني أمتّ في هوى مخدرة يعلق نفسي بها علائقها
« من لم يمت عبطة يمت هرماً »^(٤)

وقوله [من الخفيف] :

أنت دائي وفي يديك شفائي يا دوائي من الهوى وشفائي
إنّ قلبي يحبّ من لا أسمي في عناءٍ أعظمّ به من عناء
كيف لا كيف أن ألدّ بعيشٍ مات صبري به ومات عزائي
أيّها اللائمون ماذا عليكم أن تعيشوا وأن أموت بدائي

(١) الزاري : العائب .

(٢) العقل : الدية ، سميت بذلك لأنها كانت تؤخذ من الإبل ، وكان قوم القاتل يبيثون بها فيعقلونها بفناء دار القتيل .

(٣) القراطق : نوع من الثياب والمضمومة : الملتفة المكتنزة .

(٤) عبطة : شاباً ، أو فجأة .

« ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما الميت ميت الأحياء »
وقوله [من الخفيف] :

ذات دلٍّ وشاحها قلقُ من ضمورٍ وحجلها شرقُ
برت الشمس نورها وحباها لحظ عينية شادنٌ حلق^(١)
ذهبٌ خدُّها يذوب حياءُ وسوى ذاك كله ورق
إن أمت ميتة المحيَّين [يوما] وفؤادي من الهوى حرق
فالمنايا ما بين غادرٍ وسارٍ كلُّ حيٍّ برهنها علق

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

أشرفتُ لي بدورٌ في ظلامٍ تنيرُ
طار قلبي لحسنها من لقلب يطير!
يا بدور أنا بها الدهر عان أسير^(٢)
إن رضيتم بأن أمو ت فموتي حقير^(٣)
« كلَّ خطبٍ ما لم تكو نوا غضبتم يسير »

وقوله [من المقتضب] :

يا مليحة الدعج هل لديك من فرج^(٤)
أم أراك قاتلي بالدلال والغنج
من لحسن وجهك من سوء فعلك السَّمج
عاذليٌ ويحكمما قد غرقت في لجج^(٥)

(١) حباها : أعطائها ، والشادن : الغزال .

(٢) في أ ، ب ، الدهر عان وأسير والوزن يحتل عليها .

(٣) في أ ، ب ، فموتي بها حقير والوزن لا يستقيم .

(٤) الدعج : سعة العين وحورها .

(٥) عاذلي : لائمي ، واللجة : الماء العميق .

هل عليّ ويحكمنا إن لهوت من حرج

وقوله [من المتقارب] :

أأحرم منك الرضى وتعرض عن هائم
وتعرض عن هائم أبى عنك أن يعرضاً
قضى الله بالحب لي فصبراً على ما قضى
رميت فؤادي فما تركت به منهضاً
وقوسك شريانة ونبلك جمر الغضا^(١)

وقوله [من الطويل] :

وأزهر كالعيوق يسعى بأزهر
لنا منه داء وهو برء من الداء^(٢)
ألا بأبي صدغٌ حكى العين فتله
وشارب مسكٍ قد حكى عطفة الرءاء
فما السحر ما يعزى إلى أرض بابل
ولكن فتور اللحظ من طرف حوراء^(٣)
وكيف أدارت مذهب اللون أصفرا
بمذهبة في راحة الكف صفراء

وقوله [من الطويل] :

معذبتي رفقا بقلبٍ معذبٍ وإن كان يرضيك العذاب فعذبني
لعمري لقد باعدت غير مباعد كما أنني قربت غير مقرب
بنفسي بدرٌ أحمد البدر نوره وشمسٌ متى تطلع إلى الشمس تغرب
لو ان امرأ القيس بن حجر بدت له لما قال « مرأى بي على أم جندب »

وقوله [من الطويل] :

(١) شريانة : من الشريان ، وهو شجر للقصي وجمر الغضا : الغضا شجر حطبه شديد اللهب والاشتعال .

(٢) العيوق : نجم في السماء .

(٣) الفتور : الضعف والانكسار .

محبٌ طوى كشحاً على الزفراتِ
 فيا من بعينه سقامي وصحتي
 بحبكِ عاشرت الهموم صباةً
 فخذِي أرضٌ للهموم ومقلتي
 وإنسان عينٍ خاضَ في العبراتِ^(١)
 ومن في يديه ميتتي وحياتي
 كأني لها تربٌ وهنٌ لداتي
 سماء لها تنهلُ بالعبرات

وقوله [من المديد] :

طَلَقَ اللهو فؤادي ثلاثاً
 وبياض في سواد عذارِي
 غير أني لا أطيق اضطراباً
 بإناثٍ في صفات ذكورٍ
 لا ارتجاعٌ لي بعد الثلاثِ
 بذكر التشيب لي بالمرائي
 وأراني صائراً لانتكاثي^(٢)
 وذكرٍ في صفات إناث

وقوله [من المديد] :

صدعتُ قلبي صدع الزجاج
 مزجت روعي ألحاظها
 يا قضيباً فوق دعص النقا
 أنت نوري في سواد الدجا
 ما له من حيلةٍ أو علاج^(٣)
 فالهوى مني لروحي مزاج
 وكثيباً تحت تمثال عاج^(٤)
 وسراجي عند فقد السراج

وقوله [من المديد] :

مستهام دمعهُ سافحٌ
 كلما أمَّ سبيل الهوى
 بين جفنيه هوىٌ قادح
 قاده السافح والنازح^(٥)

(١) طوى كشحاً : أي تصبّر . وإنسان عينٍ : أي ناظر العين .

(٢) الانتكاث : انتكث العهد : انتقض وانحل بعد إبرامه .

(٣) صدعت : شقت .

(٤) النقا : القطعة من الرمل المحدودة .

(٥) أم : قصد . والسافح : السائل من الدمع ، والنازح : البعيد عنه ، من أهلٍ وأحبة .

حلّ فيما بين أعدائه وهو عن أحبابه نازح
أيها القادح نار الهوى أصلها يا أيها القادح

وقوله [من المديد] :

عاد منها كلّ مطبوخ غير داذيٍّ ومفضوح^(١)
فاعتقد من ود أهل الحجى كلّ ودٍّ غير مشدوخ^(٢)
وانتشق ريّاك من ملتقى شاربٍ بالمسك ملطوخ
إنّ في العلم وآثاره ناسخاً من بعد منسوخ

وقوله [من المديد] :

يا مجال الروح من جسدي والذي يفتر عن برد
وفريد الحسن واحده متناهٍ منتهى العدد
خذ بكفي إنني غرق في بحار جمّة المدد
ورياح الهجر قد هدمت ما أقام الصبر من أودي^(٣)

وقوله [من المديد] :

أذكرت من طير ناباذ فقري الكرخ فبغداد
قهوةً ليست ببارقة لا ، بتع ولا داذي
مرةً يهذي الحليم بها بأبي ذلك من هاذي
فهي أستاذ الشراب معاً والمعاني دأب وأستاذ

(١) الداذي : شراب الفساق ، والمفضوخ : عصير القصب .

(٢) مشدوخ : مجروح .

(٣) الأود : الإعوجاج ، والكدّ والتعب .

(٤) البتع : نبيذ يتخذ من العسل ووقع في أ ، ب ، ولا بتع ولا باداذي .

وقوله [من البسيط] :

نورٌ تولّد من شمسٍ ومن قمرٍ
أصلي فؤادي بلا ذنبٍ جوى حرقٍ
لا والرحيق المصفى من مراشفه
ما أنصف الحب قلبي في حكومته

في طرفه سقمٌ أمضى من القدرِ
لم يبق من مهجتي شيئاً ولم يذرِ
وما بخديه من خالٍ ومن طرر^(١)
ولا عفا الشوق عني غير مقتدر

وقوله [من البسيط] :

خرجت أجتاز قفراً غير مجتاز
صفرٌ على أنه صفر لوالبه
كم موعدي لي من ألحاظ مقلته
أبكي ويضحك مني طرفه هزواً

فصادني أسهل العينين كالبا^(٢)
ذا فوق نعلٍ وهذا فوق قفازٍ
لو أنه موعداً يُقضى بإنجاز
نفسى الفداء لذاك الضاحك الهازي

وقوله [من البسيط] :

يا غصناً مائساً بين الرباط
يا من إذا ما ابتدى ماشياً
ترك عيناه من يبصره
قلت متى نلتقي يا سيدي

ما لي من بعد بالعيش اغتباط^(٣)
وددت أن له خدي بساط^(٤)
مخلط اللبسة كل اختلاط^(٥)
قال غدا نلتقي عند الصراط

وقوله [من البسيط] :

يا ساحراً طرفه إذ يلحظ
وفاتنا لفظه إذ يلفظ

(١) الحال : بثرة سوداء في الوجه والطرر : جمع طرة ، وهي الخصلة من الشعر .

(٢) الأشهل : الذي يخالط سواد عينه زرقة .

(٣) في أ ، ب ، « مالي من بعدك بالعيش اغتباط » ولا يستقيم به الوزن .

(٤) في أ ، ب ، « وددت لو أن له خدي بساط » ولا يستقيم عليه الوزن .

(٥) اللبسة : الشك .

وجهك من كل عين يحفظ
من طرفه ناعس مستيقظ
تجرحها مقلّة من يلحظ

يا غصناً ينثني من لينه
أيقظني إذ جاءني من نفسه
ظبيّ له وجنة من رقّة

وقوله [من البسيط] :

وكلّ حرّاً له مملوك
أو ذهبٌ خالصٌ مسبوك
عن عاجلٍ كلّهُ متروك
ولا طريقٌ له مسلوك

يا من دمي دونه مسفوك
كانه فضّة مسبوكة
ما أطيب العيش لولا أنه
والخير مسدودة أبوابه

وقوله [من البسيط] :

وبدعة الحسن والجمال
وأين كفي من الهلال
فلم ترقّي ولم تبال
حالا من السقم مثل حالي

إليك يا غرة الهلال
مددت كفّاً بها انقباض
شكوت ما بي إليك وجداً
أعاضك الله من قريب

وقوله [من الوافر] :

ومن لحظات مقلته سهامُ
صبا من حسنه البدر التمام
فلا لفظ إليّ ولا ابتسام
ولا يمحو محاسنك السلام

بنفسي من مراشفه مدام
ومن هو إن بدا والبدر تمّ
أقول له وقد أبدى صدوداً
تكلمّ ليس يوجعك الكلام

وقوله [من الوافر] :

وصمت القلب بالحزن
ولي روح بلا بدن

سلبت الروح من بدني
فلي بدن بلا روح

قرنت مع الردى نفسي فنفسى وهو في قرن
فليت السحر من عينيك لم أره ولم يرني
وقوله [من الوافر] :

غزالٌ من بني العاص أحسنَ بصوتٍ قناصٍ
فأتلعَ جيده حذراً وأشخصَ أيَّ إشخاص^(١)
أيا من أخلصتُ نفسي هواه كل إخلاص
أطاعك من ضمير القلب عفواً كل معتاص^(٢)

وقوله [من الكامل] :

في الكِلَّةِ الصفراء ريمٌ أبيضُ يشفي القلوب بمقلتيه ويمرضُ
لما غدا بين الحمول مقوضاً كاد الفؤاد عن الحياة يقوِّض^(٣)
صدَّ الكرى عن جفن عينك معرضاً لما رآه يصدُّ عنك ويعرض

وقوله [من الكامل] :

أوحى إليك جفونها بوداعٍ خود بدت لك من وراء قناعٍ
بيضاء ما باهى النعيم بصفرةٍ فكأنها شمسٌ بغير شعاعٍ
أما الشباب فودَّعت أيامه ووداعهن موكلٌ بوداعي
لله أيام الصبأ لو أنها كرت عليّ بلذق وسماع

وقوله [من الكامل] :

أصغى إليك بكأسه مصغي صلت الجبين معقرب الصدغ^(٤)

(١) أتلع : رفع ومدّ . ، وأشخص : تنبّه وازداد يقظةً واحتراساً .

(٢) المعتاص : الأمر الخفي الصعب .

(٣) مقوضاً : مهدّماً .

(٤) الصلت : الواضح والبارز المستوى .

كأسٌ تولّد بالمحبة بيننا
في روضةٍ درجت بزهرتها الصبا
واشرب بكفٍّ أغنّ عقرب صدغه

وقوله [من الكامل] :

يا دمية ليست بمعتكف
بل درّة زهراء ما سكنت
أسرفت في قتلي بلا ترة
إني أتوب إليك معترفاً

وقوله [من الكامل] :

يا فتنة بعثت على الخلق
شمس بدت لك في مغاربها
ما كنت أدري قبل رؤيتها
يا من يضمن بفضل نائله

وقوله [من الكامل] :

طلعت له والليل دامس
تختال في صفر المجا
يا من لبهجة وجهه
لم يبق من قلبي سوى

طوراً وتنزغ أيّما نزغ^(١)
والشمس في درجٍ من الفراغ
للقلب منك مميتة اللدغ^(٢)

بل ظبية أوفت على شرف
بحراً ولا درّاً من الصدف
وسمعت قول الله في السرف^(٣)
إن كنت تقبل قول معترف

ما بينها والموت من فرق
يفترّ مبسمها عن البرق
للشمس مُطْلِعاً سوى الشرق
لو في يديك مفاتيح الرزق

شمسٌ تجلّت في حنادس^(٤)
سد بين حارسةٍ وحارس
يستأسر البطل الممارس
رسمٍ تغيّر فهو دارس

(١) النزغ : الافساد بين الناس .

(٢) اللدغ : اللسع .

(٣) الترة : الثأر .

(٤) الحنادس : الظلمة الشديدة .

وقوله [من الكامل] :

دع قول واشيةً وواشي	واجعلهما كلبِي هراش ^(١)
واشرب معتقةً تسل	سلُ في العظام وفي المحاشي
حتى ترى العود المسن	بها أرقٌ من الخشاش ^(٢)

وقوله [من الكامل] :

الحاظ عين تنتهي	في روض ورد تزدهي
رتعت بها وتنزهت	منها بأي تنزه
يا أيها الخنث الجفو	ن بنخوة وتكره ^(٣)
والمكتفي عجباً أما	ترثي لأشعث أمره

وقوله [من الكامل] :

أطفت شرارة لهوي	ولوت بشرّة عدوي ^(٤)
شعل علون مفارقي	ومضت بيهجة سرّوي
لما شككت عروضها	ذهب الزحاف بحزوي ^(٥)
يا أيها الشادي صه	ليست بساعة شدو

وقوله [من الهزج] :

ألا يا زين قلبي للـ	شباب العفر إذ ولي ^(٦)
---------------------	----------------------------------

(١) الهراش : النباح والعراك .

(٢) العود : الجمل المسنّ ، والخشاش : حشرات الأرض .

(٣) الخنث : الذي فيه تكسر ولين .

(٤) الشرّة : الحدة والنشاط .

(٥) الحزو : التقدير والتكهن .

(٦) العفر : أي المعفر بالأيّام ، وعفره في التراب : أي مرّغه وقلّبه .

جعلت الغيَّ سربالي وكان الرشيد بي أولى
بنفسي جائراً في الحك ثم يلفي جوره عدلاً
وليس الشهد في فيه بأحلى عنده من لا

وقوله [من الهزج] :

هنا تفنى قوافي الش عر في هذا الروي
قوافٍ ألبستُ حلياً من الحلَى الروي
تعالَت عن جرير بل زهير بل عدي

* * *

١٠٣ - أبو عمرو يوسف بن هرون المعروف بأبي سبيح

وأنشدت لأبي عمرو يوسف بن هرون الأندلسي المعروف بأبي سبيح يمدح
أبا علي إسماعيل بن القاسم البغدادي القالي ، من قصيدة أولها [من الكامل] :

مَنْ حَاكُمُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَذُولِي الشَّجْوُ شَجْوِي وَالْعَوِيلُ عَوِيلِي
فِي أَيِّ جَارِحَةٍ أَصُونُ مَعَذِبِي سلمت من التعذيب والتنكيل
إِنْ قَلْتُ فِي بَصْرِي فَتَمَّ مَدَامَعِي أَوْ قَلْتُ فِي كِبْدِي فَتَمَّ غَلِيلِي
وِثْلَاثُ شِيَاثٍ نَزَلْنَ بِمُفْرَقِي فعلمت أنْ نَزُولِهِنَّ رَحِيلِي
طَلَعْتُ ثَلَاثُ فِي نَزُولِ ثَلَاثَةٍ وَاشْرَ وَوَجْهَ مَرَاقِبٍ وَمَقِيلٍ^(١)
فَعَدَلْتَنِي عَنْ صَبَوْتِي مُتَذَلَّلًا وَلَقَدْ سَمِعْتُ بِذَلَّةِ الْمَعْدُولِ

ومنها :

حتى إذا صدت الوحوش فلم تدع منهنَّ غيرَ معالمٍ وطلول

(١) المقيِل : مكان القيلولة .

ونَهتَ محافظة الحسان فلم تصل
ومكْبَلٌ لم يجترم جرماً ولا
متلفٌ كتلفت المرتاع يق
حتى إذا ما السرب عنَّ للحظه
ولَّت جماعتها وشدَّ وراءها
عجلت وأدركها ردىً في إثرها
ولقد غدوت بأهت متضائلٍ
ولربما اشتَمَّ الصعيد بأنفه
متبَّع لظلاله فكأنه
فزلت في فرش الرياض ولم يكن
روضٌ تعاهده السحاب كأنه
قِسهُ إلى الأعراب تعلم أنه
حازت قبائلهم لغات جُمَعَتْ
فالشرق خال بعده فكأنما
جمعوا بغيبته وموت شيوخه
مذ جاءهم وهمُ بليل همومهم
فكأنه شمسٌ بدت في غربنا
يا سيدي هذا ثنائي لم أقلُ

كفني إلى ظبي أغنَّ كحيل
دامت صحابته بغير كبول
سم لحظه في الحول بعد الحول
أومى بقادمتيه خلٌ سبيلي^(١)
وكأنه بطل وراء رعي^(٢)
إن الردى قيدٌ لكل عجل
سر النفوس إليه غير ضئيل^(٣)
حيناً فقام له مقام دليل^(٤)
في القيط يطلب ظلّه لمقيل^(٥)
ليحوزها مثلي بغير نزول
متعاهدٌ من علم إسماعيل
أولى من الأعراب بالفضيل
فيهم وحاز لغات كل قبيل
نزل الخراب بربعه المأهول
عنهم ولما يظفروا ببديل
منه فصاروا في دجى موصول
وتغرّبت في شرقهم بأفول
زوراً ولا عرّضتُ بالتنويل^(٦)

(١) السرب : الجماعة .

(٢) الرعي - القطعة من الخيل .

(٣) الأهت : الأسد .

(٤) الصعيد : التراب .

(٥) المقيل : مكان القيلولة وقت اشتداد الحرّ .

(٦) التنويل : الإعطاء .

من كان يأمل نائلاً فانا امرؤ
لم أَرْجُ غيرَ القربِ في تأميلي
وقوله [من الطويل] :

وَإِنِّي لِأَعْضِي الطَّرْفَ عَنْكَ جَلَالَةً
وَلَوْ أَنَّني أَهْمَلْتُ عَيْنِي بَأَن تَرَى
رَأَيْتُ وَشَاةَ الْكَاشِحِينَ أَبَاعِداً
زَعَمْتُ بِأَنِّي حَلْتُ عَنْكَ وَلَمْ أَكُنْ
وَهَلْ أَنَا إِلَّا طَالِبٌ لِمَنِيَّتِي
وقوله [من الطويل] :

عَزَمْتُ عَلَى قَتْلِي بِغَيْرِ تَحَرُّجٍ
وَلَمْ يَبْدُ سَرِّي فَيْكَ رَأْيِي ، وَإِنَّمَا
نَحُولِي وَدَمْعِي دَبَّجاً وَجَنَّتِي بِمَا
بِهَاراً وَدَرّاً هَبَّتِ الرِّيحُ فَوْقَهُ
وقال يرثي البلدي الخباز [من الرمل] :

أَنَا إِن رَمَتْ سُلُوءاً
كَنتَ فِي الْإِثْمِ كَمَنْ شَا
لَكَ صَوْلَاتٍ عَلَى قَلْدٍ
مِثْلَ صَوْلَاتٍ عَلَيَّ
عَنْكَ يَا قَرَّةَ عَيْنِي
رَكَ فِي قَتْلِ الْحُسَيْنِ
بِجِي دَلِيلَاتٍ لِحَيْنِي
يَوْمَ بَدَرٍ وَحْنَيْنِ

(١) حلت عنك : تَخَلَّيْتُ وَابْتَعَدْتُ ، أَعْنَيْكَ : أَقْصَدُكَ .

(٢) لم يبدُ : لم يظهر ، ومتوهَّج : متوقِّد .

(٣) القرو : القصد والتبع .

ومن شعره قوله [من الطويل] :

هَبُوا أَنْ سَجَنِي مَانِعٌ لَوْصَالِهِ فَمَا الْعَذْرُ أَيْضاً فِي امْتِنَاعِ خِيَالِهِ ؟
بَلَى لَمْ تَنْمَ عَيْنِي فَيَطْرُقُ طَيْفُهَا زَوَالُ مَنْامِي عِلَّةٌ لَزَوَالِهِ

* * *

١٠٤ - عبد الملك بن إدريس المعروف بالخريري

له من قصيدة كتب بها إلى ابنه عبد الرحمن من محبسه ، أولها [من الكامل] :

أَلَسَ بَعِزُّمُ تَجَلَّدِي وَتَصَبَّرِي نَأْيُ الْأَحْبَةِ وَاعْتِيَادُ تَذَكَّرِي
شَحَطَ الْمَزَارُ فَلَا قَرَارَ وَنَافَرْتُ عَيْنِي الْهَجُوعُ فَلَا خِيَالُ يَعْتَرِي^(١)
أَزْرَى بِصَبْرِي وَهُوَ مَشْدُودُ الْقَوَى وَأَلَانَ عَوْدِي وَهُوَ صَلْبُ الْمَكْسَرِ
وَطَوَى سُرُورِي كُلَّهُ وَتَلَذَّذِي بِالْعَيْشِ طَيِّ صَحِيفَةٍ لَمْ تَنْشُرْ
هَلَاً بِمَا أَلْقَى الْحَبِيبُ تَوْهَمًا بَضْمِيرِ تَذَكَارِي وَعَيْنِ تَفَكَّرِي
وَإِذَا الْفَتَى فَقَدَ الشَّبَابَ سَمَالَهُ حُبِ الْبَنِينَ وَلَا كَحَبِّ الْأَصْغَرِ
عَجَبًا لِقَلْبِي يَوْمَ رَاعَتْنَا النُّوَى وَدَنَا وَدَاعَكَ كَيْفَ لَمْ يَتَفَطَّرْ
مَا خَلَّتْنِي أَبْقَى خِلَافَكَ سَاعَةً لَوْلَا السُّكُونُ إِلَى أَخِيكَ الْأَكْبَرِ
إِنْ سَانَ عَيْنِي إِنْ نَظَرْتَ وَسَاعَدِي مَهْمَا بَطَشْتَ وَصَاحِبِي الْمُسْتَوَزِرِ
فَإِذَا شَكُوتَ إِلَيْهِ شَكْوَى رَاحَةٍ ذَكَرْتَهُ فَشَكَأَ إِلَيَّ بِأَكْثَرِ
أَرَبَى عَلَيَّ فَحَظُهُ مِمَّا بَنَا حَظَ الْمَعْلَى مِنْ قَدَاحِ الْمَيْسَرِ^(٢)

ومنها :

واعلم بأن العلم أرفع رتبة وأجل مكتسب وأسنى مفخر

(١) شحط المزار : بعد ونأى .

(٢) المعلى : القداح الفائز من الأقداح .

وبضُمُّر الأَقلام يبلغ أهلها
والعلم ليس بنافع أربابه
فإذا دفعت إلى قرين فابُلُّهُ
لا يستفزك منظر حسن بدا
كم من أخ يلقاك منه ظاهر
واشرح لكل مِلْمَةٍ صدرًا وخذ
واستنصح البرَّ التَّقِيَّ وشاوره
واخزن لسانك واحترس من نطقه
واصفح عن العوراء إن قلت وعد
وكل المسيء إلى إساءته ولا
فكفَّاكَ من شرِّ سماعك خبره
وإذا سئلت فجد وإن قلَّ الجدَى
واشكر لمن أولاك برًّا إنَّه
ليس الحريص بزائدٍ في حرصه
أو ما رأيت غبيٍّ قومٍ موسراً
قد أوعب التكوين كلَّ مكوِّنٍ
فلو ابتغيت بكل جهدٍ نيل ما

ما ليس يبلغ بالجياد الضُمُّرُ
ما لم يفد عملاً وحسن تبصر
قبل التقارض والتشارك واخْبُرْ
حتى تقابله بحسن المخبر
باد سلامته وباطنه وري^(١)
بالحزم في كلِّ الأمور وشمِّرْ
فطن الذكي تكن ربيع المتجر
واحذر بوادر غيِّه ثم احذر
بالحلم منك على السفیه المعور
تنعقب الباغي ببغي تنصر^(٢)
وكفَّاكَ من خبرٍ قبول المخبر
جهد المقل إزاء جهد المكثّر^(٣)
حقٌّ عليك ولا تكن بالممترى^(٤)
بأتمَّ حيلته هشيمة إذخر^(٥)
وليبيهم يشقى بحال المعسر
مذ أحكم التقدير كلَّ مقدر
سبق القضاء بمنعه لم تقدر

* * *

(١) الوري : المتضمر ناراً .

(٢) كلٌّ : دَعُ واترك .

(٣) الجدَى : العطاء .

(٤) الممترى : الشاك .

(٥) الإذخر : الحشيش الأخضر .

١٠٥ - أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج الأندلسي المعروف بالقسطلي

كان بصقع الأندلس كالمتنبى بصقع الشام ، وهو أحد الفحول . وكان يجيد ما ينظم ويقول ، فمن ذلك قوله من قصيدة يمدح بها محمد بن أبي عامر [من البسيط] :

ما كُفِّرُ نعماك من شأني فيثني
ولا ثنائي وشكري بالوفاء بما
حقَّ على النفس أن تبلى ولو فنت
ها إنها نعمة ما زال كوكبها
تنأى بجوهر ودٍّ غير مبتذل
وحبذا النأي عن أهلي وعن وطني
وموقفٍ للنوى أغليت مُتَّدي
من كلِّ نافرة ذلَّت لقود يدي
والخدر يخفق في أحشاء والهة
أجاهد الصبر عنها وهي غافلة
يا هذه كيف أعطي الشوق طاعته
شدِّي عليَّ نجاد السيف أجعله
رضيت منها وشيك الشوق لي عوضاً
فإن تشجَّ تباريح الهوى كبدي

عَمَّنْ توالى لنصر الملك والدين
أوليتني دون بذل النفس يكفيني
في شكر أيسر ما أضحيت توليني
إليك في ظلمات الخطب يهديني
عندي وجوهر حملي غير مكنون^(١)
في كلِّ برٍّ وبحرٍ منك يدنيني
فيه وأرخصت دمع الأعين العين
في ثني ما يدك العليا تحبوني^(٢)
تردّد الشجو في أحشاء محزون
عن لوعة في الحشى منها تناجينني
وهذه طاعة المنصور تدعوني
ضجيج جنب نبا عن مضجع الهون^(٣)
وقلت فيها للوعات الأسى بيني^(٤)
فقد تعوضت قريباً منك يأسوني

(١) مكنون : مستر .

(٢) النافرة : الشاردة ، وذلَّت : انقادت .

(٣) الهون : اللذل والصغار .

(٤) بيني : أي أبعدني .

فأحر لي بدنوً منك يحييني
 من الوفاء بحظّ فيك مغبون
 وليس جودك عن كفي بمخزون
 أو ورد ماء سوى جدواك يرويني
 والبيض والسمر أن تحظى بها دوني
 قدماً وأثبت في أهوالها الجون
 وكل لدنٍ طرير الحدّ مسنون
 سعت فيه فلا ساعٍ يباريني^(١)
 على مراصد ذاك الماء ترميني
 تمدّ للطعن أمثال الثعابين
 تغلغل الماء في ظل الرياحين^(٢)
 بملك آبائك الشم العرانيين
 رقّ الأساور منهم والدهاقين^(٣)

وإن يمت موقف التوديع مصطبري
 أو أفرط الحظ من نعماك منقلب
 وخازنٌ عنك نفسي في هواجرها
 وأي ظلّ سوى نعماك يلحقني
 وحاش للخليل أن تزهى عليّ بها
 وربما كنت أمضي في مكارهاها
 من كلّ أبيض ماضي الغرب ذي شطبٍ
 كذاك شأوي مفدى في رضاك إذا
 لكنّ سهام من الأقدار ما برحت
 يحملن للروع أسداً في فرائسها
 والبيض تحت ظلال النقع لامعة
 حتى يحوزوا لك الأرض التي اعترفت
 حيث استبوا فارساً والروم واعتوروا
 وقوله من قصيدة أولها [من البسيط] :

* لولا التخرج لم يحجب محياك *

وحشية اللفظ هل يودي قتيلكم ؟
 إني أراك بقتل النفس حاذقة
 ما لي وللبرق أستسقيه من ظمأٍ
 لولا الضلوع لظل القلب نحوكم
 دمي مضاعٌ وجاني ذاك عينك^(٤)
 قلبي فديتك : من بالقتل أوصاك ؟
 هيهات لا ريّ إلاّ من ثناياك
 ضعي بعيشك فوق القلب يميناك

(١) شأوي : مداي وحالي .

(٢) النقع : الغبار .

(٣) اعتوروا : امتلكوا ، ورقّ الأساور : أي نساءهم والدهاقين : السادة والأمراء .

(٤) يودي : تعطي عنه دية ، والجاني : الفاعل والقاتل .

أصليتني لوعة الهجران ظالمةً
أظنُّ عزمك أن أخفي لأسلوكم
حاشاك أن تجمعي حسن الصفات إلى
إن كان واديك ممنوعاً فموعدنا
ظبي وقلبُ فمن لي أن أسيدهما
وقوله [من الوافر] :

أصخُّ نحوي لدعوةٍ مستقيل
رهينة كلِّ همٍّ مستكنٍ
ومأمونٌ على ظلم الأعادي
تراني منك في همٍّ صحاحٍ
ولكن ربُّ دهرٍ ساورتي
مظاهر لأمتي بغيٍّ ومكرٍ
ورامٍ عن قسي الغلِّ نبلاً
أبا وبنين عن عرضٍ منيعٍ
فكان كأنه جفن سخين
ومضطرم الحشى داءً دويّاً
فتلك معالمي علم الرزايا
وتلك مراتب الأخطار مني

ينادي من غيابات الخمول^(١)
ونهزة كلِّ خطبٍ مستطيل^(٢)
ونوأمٌ على ثوب الذحول^(٣)
نكصن على دجى خطبٍ عليل^(٤)
غوائله على نهج السبيل
ومصلت صارمي قالٍ وقيل^(٥)
أصبن مقاتل الأدب النبيل
لقد أجلين عن أمل قتيل
أسال دماً على خد أسيل
تنفس منه عن سيفٍ صقيل
وتلك وسائلٍ درج السيول
حمائم تنتجب على هدبل

(١) أصخ : استمع وانتبه .

(٢) النهزة : الفرصة .

(٣) النوب : المصائب ، والدخول : الحقد والثأر والعداوة .

(٤) نكصن : تراجعن واحجمن .

(٥) اللأمة : الحاجة ، ولأم الشيء : جمعه .

لعل رضاك يا منصور يوماً
ويقرع منك أسماع المعالي
إليك جلوت أبكار المعاني
سوارٍ في الظلام بلا نجوم
وقوله من أخرى [من الطويل] :

إليك شحناً الفُلك تهوي كأنها
على لججٍ خضرٍ إذا هبت الصبا
وإن سكنت عنا الرياح جرى بنا
يقلن وموج البحر والهَمِّ والدجا
ألا هل إلى الدنيا معادٌ وهل لنا
وهبنا رأينا معلم الأرض هل لنا
هوت أمهم ماذا هوت برجالهم
كواكب إلا أن أفلاك سيرها
فإن غربت أرض المغارب موثلي
فكم رحبت أرض العراق بمقدمي
وإنّ بلاداً أخرجتني لعاطل
سلامٌ على الإخوان تسليم آيسٍ

وقد ذعرت عن مغرب الشمس غربانُ
ترامى بنا فيها ثبير وثهلان^(١)
زفيرٌ إلى ذكر الأجنة حنّان^(٢)
تموج بنا فيها عيون وآذان
سوى البحر قبرٌ أو سوى الماء أكفان
من الأرض مأوى أو من الإنس عرفان
إلى نازح الآفاق سفنٌ وأطعان
زمامٌ ورحلٌ ، أو شرع وسكان
وأنكرني فيها خليطٌ وخلّان^(٣)
وأجزلت البشري على خراسان
وإنّ زماناً خان عهدي لخوّان
وسقياً لدهر كان لي فيه إخوان^(٤)

(١) العثار : ما عثر به واطلع عليه والمستقيل : فقير .

(٢) أبكار المعاني : أي القصائد البكر .

(٣) هواز : أي مهتديات .

(٤) ثبير وثهلان : من الجبال .

(٥) الزفير : يعني به الشوق ، لأنّ المتشوق يكثر من التأوّه والزفرات الطويلة .

(٦) الخليط : المجالس والمساكن ، والخلّان : الأصحاب .

(٧) آيس : قانط ويائس ، وسقياً : هي للدعاء .

فلا مؤنسٌ إلا شهيقٌ وزفرةٌ
وما كان ذاك البين بين أحبةٍ
فيا عجباً للصبر منا كأننا
مضى عيشهم بعدي وعيشي بعدهم
وأفجع من آوى صفيح وجلمد
وجوه تناءت في البلاد قبورها
وما بليت في التراب إلا تجددتُ
ومنها :

وأوردتها يوم اللقاء فراثه
بكل كميٍّ عامريٍّ يسوقه
حليهم بيض الصّوارم والقنا
فيا ذل أعلام الهدى يوم عزهم
حفرت لهم في يوم ثبرةً بالقنا
يطير بهم بازٍ ونسرٌ وناعبٌ
فلو نشر الأملاك يومك فيهم
ولو رد في المنصور روح حياته
وناديت في الهيجاء أبناء ملكه
جبالٌ إذا أرسيتها حومة الوغى
يقودهم داعٍ إلى الحق مجلبٍ

كما انصرفتُ يوم الهبأة ذبياناً^(١)
لحرّ الوغى قلب على الدين حرّان
لها وحلاها سابغات وأبدان
ويا عزّ أعلام الهدى بك إذ هانوا
قبوراً هواء الأرض منهنّ ملآن^(٢)
ويغدو بهم ذئبٌ رميحٌ وسرحان^(٣)
لألقي إليك التاج كسرى وخاقان^(٤)
غداة لقيت الموت والموت غرثان^(٥)
فلبّاك آساد عبيدٌ وفتيانُ
وإن تدعُها يوماً إليك فعقبان
على البغي يرضى ربه وهو غضبان

(١) يوم الهبأة : أحد أيام العرب ، نصرت فيه قيس على فزارة وذبيان .

(٢) يوم ثبرة : أحد أيام العرب ، والقنا : الرماح .

(٣) الناعب : الغراب ، والرميح : السريع ، الخفيف والسرحان : الذئب .

(٤) الخاقان : من القاب الملوك عند المغول .

(٥) غرثان : جوعان .

وأسمر يسري في بحارٍ من الندى
تلاً نوراً من سناك سنانه
فحيّاك من أحيت منه شمائله
وناداك إسراراً وناداك معلناً
ألا هكذا فليحفظ العهد حافظ
فله ماذا أنجيت منك عامر
ولله منا أهل بيتٍ رمتهم
فما قصرت بي عن علاك شفاعه

وقوله من أخرى [من الخفيف] :

بشر الخيل يوم كَرّ الطراد
وسماء العلا بنجم المساعي
ثم واف القصور من ملك بصرى
ثم ناد الأذواء عن ذي الرياسا
وصلتكم أرحام ملكٍ نمتكم
وهناكم منصور كم من نجيب
بلغت مجدكم نجوم الثريا
ونما منكم إلى الملك سيف
بسمات أهدت لكم هدى هوى
وأنارت به نجوم المعالي
وهو في المنجيين أعلى وأزكى
قمر في مطالع الملك أوفى

بكفك لكن يغتدي وهو ظمآن
وقد دعت الفرسان للحرب فرسان
يموت بها في الأرض ظلم وعدوان
وحسب المعالي منه سر وإعلان
ألا هكذا فليخلف الملك سلطان
ولله ماذا ناسبت منك قحطان
إلى يدك العليا بحور وبلدان
ولا بك عن مثلي جزاء وإحسان

وظبا الهند عند حرّ الجلال^(١)
ورياض المنى بصوب الغوادي
بالمشيدات من ذرى شدّاد
ت نداءً يصغي له كلّ ناد^(٢)
من كرام الأملاك والأجواد
في مساعٍ جلت عن الأنداد
ومساعيكم أقاصي البلاد
نافذ الحكم في رقاب الأعادي
وبحلم أعاد أحلام عاد
وأنار الدنيا ببيض الأيادي
والد أنت أكرم الأولاد
طالعاً والمنى على ميعاد

(١) كَرّ الطراد : من المطاردة ، وتكون أثناء الصيد وأثناء الحرب ، والظبا : الحدّ .

(٢) الأذواء : ملوك اليمن الذين في صدور ألقابهم « ذو » ومنهم « ذو نواس » ملك الدولة الحميرية .

وتلاقت زهراً النجوم عليه
وسما للإسلام باسم أبيه
هو للبين بالحياة بشير
سابق الشأو لم يؤخر مداه
ولدتَه الحروب منكم تماماً
فاكتسى الدين منه ثوب سرور
فهنيئاً للتاج أيّ جبين
وهنيئاً لنا وللدين والدن
وغريب تهوي به كل أرض
وهنيئاً لطيّء ولهمدا
بسعود الجدود والأجداد
وانتحي باسم جدّ للأعادي
وهو للشرك منذرٌ بالبواد
عن مداكم تأخر الميلاد
فارس الخيل فارس الآساد
وصليب الضلال ثوب حداد
عنده أيّ عاتقٍ للنجاد^(١)
يا وللبيض والقنا والحياد
وشريدٍ ينبو به كل وادي
ن ولخمٍ وكندقٍ وإياد^(٢)

وله من أخرى يرثي بها أم هشام المؤيد بالله [من المتقارب] :

بقاء الخلائق رهن الفناء
لقد حلّ من يومه لاقتراب
هل الملك يملك ريب المنون
أرى الموت يصدع شمل الجميع
بيد الحياة ببطشٍ شديد
ألم تر كيف استباححت يده
هو الرزء أودى بعزم الملوك
فما في العويل له من كفاء
وقصر التداني وشيك التناهي
وقد حان من عمره لانتهاه
أم العزّ يصرف صرف القضاء
ويكسو الربوع ثياب العفاء^(٣)
ويلقي النفوس بداء عياء
حريم الملوك وعلّق النساء^(٤)
مصائباً وأودى بحسن الغزاء
ولا في الدموع له من شفاء

(١) العاتق : ما بين المنكب والعتق .

(٢) أسماء قبائل عربية .

(٣) العفاء : الغناء .

(٤) العلق : النفيس من كل شيء .

وهيهات فيه انتصار البكاء
وكيف يعالج داءٌ بداء ؟
مفجّرة من قلوبٍ ظماء
ولا جفن إلا غريق بماء
ويضرم نار الأسى في الهواء
وشجو النحيب ولهف النداء
ومن وجنة غرقت بالدماء
ونابذة صبرها بالعراء
د حمر البرود وبيض الملاء
لتبكٍ عليك نجوم السماء
عويلُ الرجال ولدم النساء^(١)
تمسّك وجه الضحى بالضياء
عليك الصباح بثوب المساء^(٢)

فهيهات فيه غناء الزفير
وأنى يدافع سقم بسقم ؟؟
فتلك مآقي جفون رواء
فلا صدر إلا حريق بنار
فقد كاد يصدع صمّ السلام
وجيب القلوب وشق الجيوب
فمن مقلة شرقت بالدموع
وسافرة من قناع الحياء
وبيض صبغن بلون الحدا
أنجماً هوى من سماء المعالي
وحاشا لرزئك أن يقتضيه
ليبيض أياديك في الصالحات
فقل لفقيدك أن يحتوي

ومنها :

ومن قبل في شرفات العلاء
وبذل اللهى ما بها من خفاء^(٣)
ت خير المجازين خير الجزاء
نسيم النعيم وطيب الثواء

لئن حجبت تحت ردم اللحدود
فتلك مآثرها في التقى
جزاك بأعمالك الزاكيا
ولقيت من ضنك ذاك الضريح

(١) اللدم : اللطم .

(٢) احتبى : اشتمل والتفّ .

(٣) اللهى : العطايا ، ومن أمثالهم : « اللهأ تفتح اللهأ » يريدون أن العطايا تفتح الفم بالثناء على المعطي .

وقوله أيضاً [من الطويل] :

لك الله بالنصر العزيز كفيل
هو الفتح أما يومه فمعجل
وآيات نصر ما تزال ولم تزال
سيوف تنير الحق أني انتصيتها
ألا في سبيل الله غزوك من غوى
لئن صدئت أبواب قوم بمكرهم
فإن يحى فيهم مكر جالوت جدّهم
خفيف على ظهر الجواد إذا عدا
وجرداء لم تبخل يداها بغاية
لها من خوافي لقوة الجوّ أربع
وبيض تركز الشرك في كل متأى
تمور دماء الكفر في شفرتها
وأسمر ظمآن الكعوب كأنما
إذا ما هوى للطعن أيقنت أنه
وحنانة الأوتار في كل مهجة
إذا نبعها عنها أرّن فإنما
كتائب عز النصر في جنباتها

أجدّ مقام أم أجدّ رحيل
إليك ، وأما صنعه فجزيل
بهن عمايات الضلال تزول
وخيل يجول النصر حيث تجول
وضلّ به في الناكثين سبيل
فسيف الهدى في راحتك صقيل
فأحجار داود لديك مثول^(١)
ولكن على صدر الكميّ ثقل
ولا كرهاً نحو الطعان بخيل^(٢)
وكشحان من ظبي الفلا وتليل^(٣)
فلولا وما أزرى بهن فلول
ويرجع عنها الطرف وهو كليل
بهن إلى شرب الدماء غليل
لصرف الردى نحو النفوس رسول
تعاصيك أوتار لها وذحول^(٤)
صداه نحيب في العدى وعويل
وكلّ عزيز يممته ذليل

(١) جالوت : أحد الملوك الكفرة قتله طالوت وقد ورد ذكره في القرآن الكريم .

(٢) الجرداء : كناية عن الفرس .

(٣) الخوافي : الريش الصغار التي تلي القوادم في مقدّمة الجناح . ولقوة الجوّ : العقاب السريعة . .

والكشحان : يعني عظام الصدر ، والتليل : العنق .

(٤) الذحول : الثار والحقد والعداوة .

يسير بها في البر والبحر قائدٌ
جوادٌ له من بهجة العزّ غرةٌ
به أمن الإسلام شرقاً ومغرباً
حسامٌ لداء المكر والغدر حاسم
إذا انشق ليل الحرب عن صبح وجهه
كريم الثاني في عقاب جناته
وأيقن باغٍ حقه أن أمه
وله أيضاً [من الكامل] :

اليوم أبهجت المنى أبهاجها
ما للوزارة لا تضيء لنا وقد
شمسٌ تبدّت في ذوائب يعربٍ
لم تنتقل قدماً لأول منزل
أنجبتهُ زحر الخلافة إن شكت
وسلّته سيفاً لكلّ ملمةٍ
فنظمت في جيد الوزارة عقدها
والخيل جانحة إليه كلما
يا قبلّة للآملين وكعبة
أنت الذي فرّجت عني كربةً

يسيرٌ عليه الخطب وهو جليل^(١)
ومن شيم الفضل المبين حجول
وغالت غوايات الضلالة غول^(٢)
وظلّ على الدين الحنيف ظليل
فقد حان من يوم الضلال أفول^(٣)
ولكن إلى صوت الصريخ عجول^(٤)
- وقدامه الليث الهصور - هبول^(٥)

وتوسّطت شمس الضحى أبراجها
أضحى سراج العالمين سراجها
ركبت إلى الرُتب العلا معراجها
للمجد حتى استقبلت منهاجها
ألماً تضمّن برءها وعلاجها
يفري بأول ضربة أوداجها^(٦)
وعقدت في رأس الرياسة تاجها
رفع اللواء وأوجنت أسراجها
تدعو بحيّ على الندى حجاجها
لله قد شدّت عليّ رتاجها^(٧)

(١) ورد عجز البيت غير مستقيم الوزن على هذه الصورة يسير على الخطب وهو جليل « فأصلح .

(٢) غالت : دعت وأهلكت .

(٣) الأفول : الغروب .

(٤) الصريخ : المستغيث .

(٥) هبول : ناكل .

(٦) الملمّة : الحادثة ، ويفري : يقطع ، والأوداج : يعني بها الأعناق حيث تكون الأوداج والعروق .

(٧) الرتاج : الباب ، وأرتج الباب : أقفله وغلقه .

وجلوت عن قلق المنى من ليلة
وسقيتني من جود كفك منعماً
فلألبسن الدهر فيك ملابساً
ما عاقب الليل النهار ورجعت
وقوله من قصيدة أخرى [من المتقارب] :

دعيت فأصغ لداعي الطرب
فهذا بشير الربيع الجديد
بهار يروق بمسك ذكي
غصون الزبرجد قد أورقت
فمن حقها أن ترى الشارين
وأن تسألوا الله طول البقاء
فلولا محاسنه لم ترق
وقوله [من الطويل] :

وأن بيوت العاجزين قبور
فتنيك إن يميناً فهو سرور^(١)
لتقبيل كف العامري سفير
إلى حيث ماء المكرمات نمير^(٢)
إلى حيث لي من عدوهم خفير
لراكبها أن الجزاء خطير
بصبري منها أنة وزفير
ألم تعلمي أن الثواء هو النوى
ولم تزجري طير السرى بحروفها
يخوفني طول السفار وإنه
ذريني أردماء المفاوز آجناً
وأختلس الأيام خلسة فاتك
فإن خطيرات المهالك ضمن
ولما تدانت للوداع وقد هفا

(١) الإدلاج : الظلمة .

(٢) زجر الطير: التفاؤل أو التشاؤم بها، ويمن: سرن يميناً حيث يكون التفاؤل أما السير شمالاً فهو للتشاؤم.

(٣) المفاوز : الأرض الكثيرة الهلكة ، والآجن : المتغير والنمير : الصافي .

تناشدني عهد المودة والهوى
عبيّ بمرجوع الخطاب ، ولفظه
تبوأ ممنوع القلوب ، ومهدت
عصيت شفيح النفس فيه وقادني
وطار جناح البين بي وهفت بها
لئن ودّعت مني غيوراً فإنني
وما شاهدتني والضواحك تلتظي
أسلّط حر الهاجرات إذا سطا
وأستنشق النكباء وهي نوازح
وللموت في عين الجبان تلون
ولو شاهدتني والسرى جل عزمي
وأعتسف المومة في غسق الدجا
أميرٌ على غول التناثف ما له
وقد خليت طرق المجرة أنها
ودارت نجوم القطب حتى كأنها
لقد أيقنت أنّ المنى طوع همتي
وأنى بذكراه لهميّ زاجرٌ
تلاقت عليه من تميمٍ ويعربٍ

وفي المهد مبغوم النداء صغير^(١)
بموضع أهواء النفوس خبير
له أذرع محفوفة ونحور
رواحٌ لتدآب السرى وبكور
جوانح من ذعر الفراق تطير
على عزمي من شجوها لغيور
عليّ ورقراق السراب يمور^(٢)
على حر وجهي ، والأصيل هجير
وأستمطىء الرمضاء وهي تفور^(٣)
وللذعر في سمع الجريء صفير
وجرسي لحنان الفلاة سмир
وللأسد في غيل الغياض زئير^(٤)
إذا ربيع ، إلا المشرفي ، وزير^(٥)
على مفرق الليل البهيم قدير
كؤوس طلا والى بهن مدير^(٦)
وأنى بعطف العامريّ جدير
وأنى منه للخطوب نذير
شموسٌ تلالا في العلا وبدور

(١) المبغوم : الخفي صوته الذي لا يفهم .

(٢) الضواحك : حجارة بركة .

(٣) استمطىء : أي أمتطي وأسير، والرمضاء : الحرّ الشديد .

(٤) المومة : الصحراء المقفرة ، وغيل الغياض : أي الشجر الكثير الملتف .

(٥) التناثف : جمع تنوفة وهي المفازة والغلاة .

(٦) الطلا : الخمر ، والى : دار بها على الشاربين .

من الحميريين الذين أكفَّهُمْ
همُ صدّقوا بالوحي حين أتاهم
مناقب يعيا الوصف عن كنه قدرها
ألا كلّ مدحٍ عن نذاك مقصر
ولما تراءوا للسلام ورُفِعَتْ
وقد قام من زرق الأسنة دونه
رأوا طاعة الرحمن كيف اعترازها
وكيف استوى بالبدر والبحر مجلس
يقولون والأوجال تخرس السنأ
لقد حاط أعلام الهدى بك حائطٌ
ومنها :

أثرنى لخطب الدهر والدهر معضلٌ
وقد تخفض الأسماء وهي سواكنٌ
وتنبو الردينيات والطول وافرٌ
وقوله من أخرى [من الكامل] :

أوجعت خيلي في الهوى وركابي
وسللت في سبل الغواية صارماً
ورفعت للشوق المبرّح رايةً
وقذفت نبلي في الصبا وحرابي
عضباً تفرقُ فيه ماء شبابي^(٤)
خفاقة بهزائج الأطراب^(٥)

(١) الأوجال : المخاوف .

(٢) المصور : الشديد الفتك .

(٣) تنبو : تخطيء ، والردينيات : الرماح .

(٤) العضب : السيف القاطع .

(٥) أراد بهزائج الأطراب : الأناشيد التي تقال عند الطرب ، وكأنما سميت بذلك لأنها تكون من وزن بحر الهزج .

ولبست للوَّام لأمة خالعٍ
وبرزت للشكوى بشكّة مُعلمٍ
فاسأل كَمِيَّ الوجد كيف أثرته
واسأل جنود العذل كيف لقيتها
ولقد كررت على الملام بزفرة
حتى تركت العاذلين لما بهم
من كلّ ممنوع اللقاء أغتاله
حتى افتتحت على الأجنة معقلاً
ووقفت موقف عاشق حلّت له
بحدائقِ الحدق التي أفنيتني
في روضةٍ جاد النعيم نباتها
من كلّ مغنومٍ لقلبي غانمٍ
في جنح ليلٍ كالغراب أطار لي
وجلا لعيني كلّ بدرٍ طالعٍ
جاء الظلام فلم يدع من دجنه
فظللت بين صباية وظلامه
فإذا كتبت بناظري في قلبه
وإذا سقاني من عقار جفونه
وسلافة الأعناب توقد نارها

مسرودةً بصبايةٍ وتصابي^(١)
نكص الملام بها على الأعقاب^(٢)
بغروب دمعٍ صائب التكساب
في جحفل البرحاء والأوصاب^(٣)
ذهل العتاب بها عن الإعتاب
شغفاً بحبّ التاركيّ لما بي
سرف النوى فنأى به ودنا بي
وعر المسالك مقفل الأبواب
فيه غنيمة كاعب وكعاب
بأحدٍ من سيفي ومن نشأبي
فتفتحت بكواعبٍ أتراب
عشقاً ومسبيّ لعقلي سابي
عن ملتقى الأحباب كلّ غراب
قَمِنٍ بهتك حجابهِ وحجابي^(٤)
إلا غدائر شعرهِ المنجاب^(٥)
مغري الجفون بطرفهِ المغري بي
أخفى فخطّ بناظريهِ جوابي
أبقى عليّ فشجها برضاب
تهدي إليّ بيانع العناب

(١) اللّامة : الدرع . والمسرودة : المصنوعة .

(٢) الشكّة : السلاح . ونكص : تراجع وفرّ .

(٣) البرحاء والأوصاب : الآلام والأمراض الموجعة .

(٤) قَمِنٍ : جدير . وهناك الحجاب : نزعه .

(٥) الدجن : الظلام .

والدهر ينسج لي ثياب سلابي^(١)
فقد الشباب وفرقة الأحباب^(٢)
فينا إلى أجلٍ له وكتاب

فسكرتُ والأيام تسلب جدتي
سكرين من خمرٍ كأنَّ خمارها
لمدى تناهى في الغواية فانتهى
ومنها :

في طيها طوبى وحسن مآب^(٣)
من جور أيام عليٍّ غضاب
وسناك أبرق لي وزندي كابي^(٤)
وثويت منه في أعزّ رحاب
وضريت في أعلى البقاع قبابي^(٥)
في نار أحلاسي وفي أقتابي^(٦)
ما أخلقتُ عصراه من أثوابي

وشملتني بشمائلٍ أذكرني
ورضاك ردّاً لي الرضا في أوجه
وهذاك أشرق لي وليلي مظلم
فحللت منه خير دار مقامةٍ
وأسمت في أزكى البقاع صوافني
وشويت للأضياف لحم ركائبي
ولقد كسوت برغم دهرٍ ضامني
وقوله يصف الهلال [من الرجز] :

وَمَحَقَ الشَّهْرُ كَمَالَ الْبَدْرِ فَلَاحَ فِي أَوَّلَى الصَّبَاحِ النَّضْرُ

* كَأَنَّهُ قَرَطَ بِأَذْنِ الْفَجْرِ *

(١) الجدة : قدرتي وترقي ، أو ثيابي .

(٢) الخمار : وقع الخمر وأثره .

(٣) طوبى : جنة الخلد ، أو يثرب مدينة الرسول .

(٤) الزند الكابي : الذي لا يورى ولا يخرج ناراً .

(٥) أسمت : أحللت . والصوافن : الخيل .

(٦) المجلس : ما يوضع تحت البرذعة ونحوها ، والأقتاب : الرجل

الباب العاشر
في ذكر شعراء الموصل و غرر أشعارهم

١٠٦ - فمنهم السري بن أحمد الكندي المعروف بالرفاء

السري وما أدراك من السري ؟ صاحب سر الشعر . الجامع بين نظم عقود الدر ، والنث في عقد السحر ، والله دره ما أعذب بحره ، وأصفى قطره ، وأعجب أمره ! وقد أخرجت من شعره ما يكتب على جبهة الدهر ، ويعلق في كعبة الفكر . فكتبت منه محاسن وملحاً ، وبدائع وطرفاً ، كأنها أطواق الحمام ، وصدور البزاة البيض ، وأجنحة الطواويس ، وسوالف الغزلان ، ونهود العذارى الحسان ، وغمزات الحدق الملاح ، وبدأت بصدر من أخباره ، وبطرف لأشعاره .

بلغني أنه أسلم صبيّاً في الرفائين بالموصل ، فكان يرفو^(١) ويطرز إلى أن قضى باكورة الشباب ، وتكسب بالشعر . ومما يدل على ذلك ما قرأته بخطه ، وذكر ان صديقاً له كتب إليه يسأله عن خبره وهو بالموصل في سوق البزازين يطرز ، فكتب إليه [من السريع] :

يكفيك من جملة أخباري يُسري من الحب وإعساري
في سوقة أفضلهم مرتد^(٢) نقصاً ، فضلي بينهم عاري^(٣)

(١) يرفو : أي يصلح الثوب من شقّ وغيره .

(٢) مرتد : لابس .

وكانت الإبرة فيما مضى صائنةً وجهي وأشعاري
فأصبح الرزق بها ضيقاً كأنه من ثقبها جاري

وهذه الأبيات ليست في ديوان شعره الذي في أيدي الناس ، وإنما هي في
مجلدة بخط السري استصحبها أبو نصر سهل بن المرزبان من بغداد ، وهي عنده
الآن ، وكل خبر عندنا من عنده .

ولما جد السري في خدمة الأدب وانتقل عن تطريز الثياب ، إلى تطريز
الكتاب ، ف شعر بجودة شعره ، ونا بذ الخالدين الموصليين وناصبهما العداوة ،
وادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره ، وجعل يورق وينسخ ديوان شعر أبي الفتح
كشاجم ، وهو إذ ذاك ربحان أهل الأدب بتلك البلاد ، والسري في طريقه
يذهب ، وعلى قلبه يضرب ، وكان يدس فيما يكتبه من شعره أحسن شعر
الخالدين ، ليزيد في حجم ما ينسخه ، وينفق سوقه ، ويغلي سعره ، ويشنع
بذلك على الخالدين ، ويغض منهما ، ويظهر مصداق قوله في سرقتهما ، فمن
هذه الجبهة وقعت في بعض النسخ من ديوان كشاجم زيادات ليست في الأصول
المشهورة منها ، وقد وجدتها كلها للخالدين بخط أحدهما ، وهو أبو عثمان سعيد
ابن هاشم . في مجلدة أتحف بها الوراق المعروف بالطرسوسي ببغداد أبا نصر
سهل بن المرزبان وأنفذها الى نيسابور في جملة ما حصل عليه من طرائف الكتب
باسمه ، ومنها وجدت الضالة المنشودة من شعر الخالدي المذكور وأخيه أبي بكر
محمد بن هاشم ، ورأيت فيها أبياتاً كتبها أبو عثمان لنفسه ، وأخرى كتبها لأخيه ،
وهي بأعيانها للسري بخطه في المجلدة المذكورة لأبي نصر ، فمنها أبيات في
وصف الثلج واستهداء النبيذ [من البسيط] :

يا من أنامله كالعارض الساري وفعله أبداً عارٍ من العارِ
أما ترى الثلج قد خاطت أنامله ثوباً يزرّ على الدنيا بأززار
نارٌ ولكنها ليست بمبديّة نوراً ، وماءً ولكن ليس بالجاري

والراح قد أعوزتنا في صبيحتنا
فأمنن بما شئت من راح يكون لنا
ومن قوله أيضاً [من الوافر] :

ألذُّ العيش إتيان الصبح	وعصيان النصيحة والنصح
وإصغاءً إلى وترٍ ونايٍ	إذا ناحا على زقٍّ جريح ^(١)
غداة دجنَّةٍ وطفاءٍ تبكي	إلى ضحكٍ من الزهر المليح ^(٢)
وقد حديث قلائصها الحيارى	بحادرٍ من رواعدها فصيح ^(٣)
وبرقٍ مثل حاشيتي رداءٍ	جديدٍ مذهبٍ في يوم ريح ^(٤)

هكذا بخط السري ، والذي بخط الخالدي « حاشيتي لواء » ، ولست أدري
أنسب هذه الحال إلى التوارد أم إلى المصالاة ، وكيف جرى الأمر فينبهم مناسبة
عجيبة ، ومماثلة قريبة في تصريف أعنة القوافي وصياغة حلى المعاني .

وأنا أجعل فصلاً لشعر السري في ذكر سرقتهم منه وغارتهم عليه ، ثم أسوق
غرر الخالدين مع نبذ من أخبارهما إذا فرغت من قضاء حق السري بإذن الله تعالى
ومشيئته .

ولم يزل السري في ضنك من العيش إلى أن خرج إلى حلب واتصل بسيف
الدولة ، واستكثر من المدح له ، فطلع سعه بعد الأفول ، وبعد صيته بعد
الخمول ، وحسن موقع شعره عند الأمراء من بني حمدان ورؤساء الشام والعراق .
ولما توفي سيف الدولة ورد السري بغداد ، ومدح المهلبى الوزير وغيره من

(١) الراح : الخمر .

(٢) الزق : وعاء الخمر ، الدن .

(٣) الوطفاء : الممطرة التي تدلت ذيلها .

(٤) حديث : سيق ، والقلائص : النوق .

الصدور ، فارتفق بهم ، وارتزق معهم ، وحسنت حاله ، وسار شعره في الآفاق ونظم حاشيتي الشام والعراق ، وسافر كلامه إلى خراسان وسائر البلدان ، وكنت أحسب أنني استغرقت شعره لجمعي فيه بين لمع أنشدنيها وأنسخنيها أبو بكر الخوارزمي أولاً ، وبين ديوان شعره المجلوب من بغداد ، وهو أول ما رأيته مما أنفذه أبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمي من بغداد إلى أبي بكر وبين المجلدة بخط السري التي وقعت إلي من جهة أبي نصر وفيها زيادات كثيرة على ما في الديوان . فقرأت في كتاب الوساطة للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني أبياتاً أنشدها للسري في جملة ما أنشده لأكابر الشعراء مما يتضمن الاستعارة الحسنة مع إحكام الصنعة . وعدوبة اللفظ ، وهي : [من الطويل] :

أقول لحنّان العشاء المغرّد يهزّ صفيح البارق المتوقّد^(١)
تبسم عن ريّ البلاد صبيه ولم يتسم إلاّ لإنجاز موعد

ومنها [من الطويل] :

ويا ديرها الشرقيّ لا زال رائحٌ يحلّ عقود المزن فيك ومغتدى
عليلة أنفاس الرياح كأثما يعلّ بماء الورد نرجسها الندى
يشقّ جيوب الورد في شجراتها نسيمٌ متى ينظرُ إلى الماء يبرد

فأعجبت جداً بها وتعجبت منها ، وتأسفت على ما فاتني من أخواتها من هذه القصيدة وغيرها ، ثم قرأت في كتاب تفسير ابن جني لشعر المتنبي بيتاً واحداً أنشده السري من قصيدة ، وذكر أنه أخذه من قول المتنبي [من الطويل] :

سقاك وحيّانا بك الله ، إنما على العيس نور والحدود كمائمه^(٢)

(١) صفيح البارق : أي صفحة السيف ويعني هنا صفحة الحدّ أو الفم المقرّ عن بيض الأسنان .

(٢) العيس : الجمال ، والكائم : أغلفة النوار .

وهو [من المنسرح] :

حيّا بك الله عاشقيك فقد أصبحت ريحانة لمن عشقا
فكدت أقضي بأنّي لم أسمع في معناه أظرف منه ولا ألطف ولا أعذب ولا
أخف ، وطلبت القصيدتين فعزتا وأعوزتا ، وعلمت أن الذي حصلت من شعره
غيض من فيض ما لم يقع إلي .

* * *

ولما وجدت السريّ أخذ جديد القميص في حسن السرقة وجودة الأخذ من
الشعر كسرت هذا الفصل على ذكر سرقاته :

قال السري من قصيدة في سيف الدولة وذكر بعض غزواته [من الوافر] :
طلعتُ على الديار وهم نباتٌ وأغمدت السيوف وهم حصيد
فما أبقيت إلاّ مخطفاتٍ حماها الخصر منها والنهود^(١)
وكرر هذا المعنى فقال [من الكامل] :

أفنت ظباك الروم حتى إنّها لم تبقى إلاّ ظبيةً أو ريما
وإنما سرقه من قول المتنبي [من الطويل] :

فلم يبق إلا من حماها من الظبا لمى شفتيها والثديّ النواهد^(٢)
وقال السري من قصيدة [من الكامل] :

حيّيت من طللٍ أجاب دثوره يوم العقيق سؤال دمعٍ سائلٍ
يخفي وينزل وهو أعظم حرمةً من أن يذال براكب أو يعل

(١) المخطفات : الهزيلات .

(٢) اللّمي : السمرة في الشفة السفلى .

وهو من قول المتنبي [من الطويل] :

نزلنا على الأكوار نمشي كرامةً لمن بان عنه أن نلّم به ركباً^(١)

وفي قصيدة السري [من الكامل] :

فالدهر يمسح منه غرةً سابقٍ لاقاه أولُ سابقين أوائل

وهو من قول مروان بن أبي حفصة [من الكامل] :

مسحت معدّ وجه معنٍ سابقاً لمّا جرى وجرى ذوو الأحساب

وقال السري من قصيدة وذكر الخيال [من الكامل] :

وافى يحقق لي الوفاء ولم يزل خدن الصبابة بالوفاء حقيقاً^(٢)

ومضى وقد منع الجفون خفوقها قلبٌ لذكرك لا يقرّ خفوقاً

فالتجنيس أخذه من قول التنوخي [من مجزوء الكامل] :

يفديك قلبٌ خافقٌ أبداً وطرفٌ ما خفق

واللفظ من قول ابن المعتز [من الكامل] :

* ما بال قلبك لا يقر خفوقاً^(٣) *

وقال السري من قصيدة [من الكامل] :

نضّت البراقع عن محاسن روضةٍ رِيضَتْ بمحتفل الحيا أنوارها^(٤)

(١) الأكوار : جمع كور ، وهو الرّجل الذي يجعل على ظهر الحمل كالسّرج .

(٢) خدن الصبابة : الخدن الصديق ، والصبابة : المحبة والعشق .

(٣) هذا صدر بيت : وعجزه قوله : « وأراك ترعى النجم والعيوقا » ولابن المعتز في هذا المعنى شعراً رقيقاً من هذا البيت ، فمن ذلك قوله :

ومتيّمٍ جرح الفؤاد فراقه فالدمع من أجفانه يتدفّق
بهرته ساعة فرقةً فكأنما في كلّ عضوٍ منه قلبٌ يخفق

(٤) نضت : خلعت ، والبراقع : الملاء . والحيا : المطر .

فمن الثغور المشرفات لجينها
أغصان بانٍ أغربت في حملها
وهو من قول ابن الرومي [من البسيط] :

غصون بان عليها الدهر فاكهة
وما الفواكه مما يحمل البان !
وقال السري [من الكامل] :

تلك المكارم لا أرى متأخراً
عفوٌ أظللُ ذوي الجرائم كلهم
وهو من قول أبي تمام [من الكامل] :

وتكفل الأيتام عن آبائهم
حتى وددنا أننا أيتام
والأصل فيه قول أبي دهب الجمحي [من المنسرح] :

ما زلت في العفو للذنوب وإط
حتى تمنى البراء أنهم
وقال السري من قصيدة [من الوافر] :

إذا ذكر العقيق لنا نثرنا
طلولٌ كلما حاولن سقياً
تحنّ جمالنا هوناً إليها
ونسأل من معالمها محيلاً
عقيق الدمع سحاً وانهمالاً^(١)
سقتها العين أدمعها سجلاً
فأحسبها ترى منها جمالاً
فنطلب من إجابتها محالاً

وهو من قول ديك الجن [من الكامل] :

قالوا السلام عليك يا أطلالُ
قلت السلام على المحيل محالُ

(١) السحّ : غزارة المطر عند هطله .

وقال السري من قصيدة يشوق بها بني فهد [من الطويا] :

تناءوا ولمّا ينصرم عزمهم وحاشا لذاك الحبل أن يتصرّما
فشرّق منهم سيّد ذو حفيظةٍ وغربّ منهم سيّد فتشأما
كأن نواحي الجو تشر منهم على كلّ فجٍّ قاتم اللون أنجما
وهو من قول الشاعر [من الطويل] :

رمى القفر بالفتيان حتّى كأنهم بأقطار آفاق البلاد نجومٌ
وقال من قصيدة [من الوافر] :

تناهى فاطمأنّ إلى العتاب وأحسن للعواذل في الخطاب
وصار جنب غصنٍ غير رطب وكان جنب أغصانٍ رطاب
خلت منه ميادين التصابي وعرّى منه أفراس الشباب
وزهد خضابُ الله لما تولّى عنه في زور الخضاب^(١)

وإنما أخذ مصراع البيت الثالث من قول زهير [من الطويل] :

* وعزي أفراس الصبا ورواحله^(٢) *

وذكر خضاب الله في البيت الرابع ، وهو من قول أبي تمام [من الكامل] :

* ورأت خضاب الله وهو خضابي^(٣) *

(١) خضاب الله : يعني الشيب .

(٢) هذا عجز بيت هو مطلع قصيدة لزهير بن أبي سلمى المزني وصدره قوله :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله

(٣) هذا عجز بيت من قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق وصدره قوله :

أو ما رأت برديّ من نسج الصبّا

وفي قصيدة السري [من الوافر] :

وكنت كروضة سقيت سحاباً فأننت بالنسيم على السحاب
وهو من قول المتنبي [من الكامل] :
وذكي رائحة الرياض كلامها تبغي الثناء على الحيا فيفوح^(١)
والأصل فيه قول ابن الرومي [من الخفيف] :

شكرت نعمة الولي على الوس مي ثم العهد بعد العهد^(٢)
فهي تنني على السماء ثناءً طيب النشر شائعاً في البلاد
وقال السري من قصيدة [من الوافر] :

ليالينا بأحياء الغميم سقيت ذهاب مذهب الغيوم
مضت بك رافة الأيام فينا وغفلة ذلك الزمن الحليم
فكنّا منك في جنات عيش وقت حسناً بجنات النعيم
رياض محاسن وسنا شمس وظل دساكر وجنى كروم^(٣)
وأجفان إذا لحظت جسوماً جعلن سقامهن على الجسم

وإنما أخذ هذا المثل من قول أبي تمام [من الوافر] :

فيا حسن الرسوم وما تمشى إليها الدهر في صور البعاد
وإذ طير الحوادث في رباها سواكن وهي غناء المراد
مذاكي حلبة وشروب دجن وسامر قينة وقدر صاد^(٤)

(١) ذكي : عبق .

(٢) الوسمي : مطر الربيع .

(٣) الدساكر : جمع دسكرة ، وهي القرية أو البناء الضخم الذي يتخذة الملوك للهو والشراب .

(٤) المذاكي : الخيل الكريمة . والصاد : النحاس .

وأعين ربرب كحلت بسحر وأجساد تضمخ بالجساد^(١)

وممن أخذ هذا المثل مع ركوب هذه القافية القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني حيث قال من قصيدة [من الوافر] :

وأجفان تروّي كل شيء سوى قلب إلى الأحباب صادي^(٢)
بذاك جزيت إذ فارقت قوماً لبست لبيّهم ثوبى حداد
معادن حكمة وغيوث جذب وأنجم حيرة وصدور نادي

وقال السري من قصيدة [من المنسرح] :

ترتع حولي الطباء آنسة نظائراً في الجمال أشباها
رقت عن الوشى نعمة فإذا صافح منها الجسوم وشاها
وهو من قول المتنبي [من الطويل] :

حسان الثنّي ينقش الوشى مثله إذا مسن في أجسامهن النواعم

وقال من أبيات [من الطويل] :

وأغيد مهتز على صحن خده غلائل من صبغ الحياء رقاق
أحاطت عيون العاشقين بخصره فهن له دون النطاق نطق^(٣)

وهو أيضاً من قول المتنبي [من الوافر] :

وخصر تثبت الأحداق فيه كأنّ عليه من حدق نطقا

(١) الربرب : البقر الوحشي . والجساد : الزعفران .

(٢) الصادي : الظامى .

(٣) النطاق : الإزار أو مكانه .

وكتب إلى صديق له قد اتهمه بغلام بعثه إليه في حاجة [من الوافر] :

أبا بكر أسأت الظن فيمن سجيته التمنع والخلاف
وخفت عليه في الخلوات مني ولم تك بيننا حال تخاف
جفوت من الصبا ما ليس يُجفى وعفت من الهوى ما لا يعاف
فلو أني هممت بقبح فعل لدى الإغفاء أيقظني العفاف

وإنما أخذه من قول أبي الحسن بن طباطبا [من الكامل] :

ماذا يعيب الناس من رجلٍ خلص العفاف من الأنام له
يقظاته ومنامه شرع كل بكل منه مشبه
إن هم في حلم بفاحشة زجرته عفته فينتبه

وقال السري من أبيات لصديق له أهدى إليه ماء ورد فارسي في قارورة

بيضاء مزينة بقراطيس مذهبة [من الطويل] :

بعثت بها عذراء حالية النحر مشهرة الجلباب حورية النجر^(١)
مضمّنة ماء صفا مثل صفوها فجاءت كذوب التبر في جامد الدر
ينوب بكفي عن أبيه وقد مضى كما نيت عن آبائك السادة الغر

وإنما هو عكس قول المتنبي [من الطويل] :

فإن يك سيار بن مكرم انقضى فإنك ماء الورد إن ذهب الورد^(٢)

وقال من قصيدة في سيف الدولة [من البسيط] :

لما تراءى لك الجمع الذي نزحت أقطاره ونأت بعداً جوانبه
تركتهم بين مصبوغ ترائبه من الدماء ومخضوب ذوائبه^(٣)

(١) النجر : الأصل ، وحالية النحر : أي تلبس الحلي في نحرها .

(٢) ماء الورد : ماء النع حيث يشرع الناس للإستسقاء .

(٣) الترائب : الصدر أو أعلاه ، والذوائب : خصلات الشعر في أول الوجه .

فحائرٍ وشهاب الرمح لاحقه
يهوي إليه بمثل النجم طاعنه
يكسوه من دمه ثوباً ويسلبه
وهو من قول البحري [من الكامل] :

سلبوا وأشرق الدماء عليهم
محمّرةً فكأنهم لم يسلبوا
وقال السري من قصيدة في سيف الدولة ، وذكر العدو [من البسيط] :

تروع أحشائه بالكتب وهولها
لا يشرب الماء إلا غصّ من حذرٍ
خوف الردى ورجاء السلم مستلم
ولا يهومٌ إلا راعه الحلم
وهو من قول أشجع السلمي [من الكامل] :

فإذا تنبّه رعته ، وإذا غفا
سَلّت عليه سيوفك الأحلام
وقال من قصيدة [من الوافر] :

وقفنا نحمد العبرات لمّا
كأنّ خدودهنّ إذا استقلت
رأينا البين مذموم السجايا^(١)
شقيق فيه من ظلّ بقايا
وهو من قول الناشئ الأوسط [من المتقارب] :

كأنّ الدموع على خدها بقية ظلّ على جلتار^(٢)
وقال من قصيدة في مريّة أم أبي تغلب [من الطويل] :

تذال مصونات الدموع إزاءها ونمشي حفاة حولها الرجل والركب^(٣)

(١) ذباب السيف : حده .

(٢) السجايا : الصفات .

(٣) الظلّ : الندى ، والجلتار : نوع من الورود .

(٤) تذال : تجري .

تساوت قلوب الناس في الحزن إذ ثوت كأن قلوب الناس في موتها قلب

ومصراع البيت الأول من قول المتنبي [من الوافر] :

* مشى الأمراء حولها حفاة^(١) *

والبيت الثاني من قول ابن الرومي [من الطويل] :

سلالة نورٍ ليس يدركها اللمس إذا ما بدا أغضى له البدر والشمسُ
به أضحت الأهواء بجمعها هوى كأن نفوس الناس في حبّه نفس

ولأبي بكر الخالدي في الأخذ منه [من الطويل] :

وبدر دجىٍ يمشي به غصنٌ رطبٌ دنا نوره لكن تناوله صعبُ
إذا ما بدا أغرى به كلٌّ ناظرٍ كأن قلوب الناس في حبّه قلب

وقال السري من قصيدة [من البسيط] :

أيام لي في الهوى العذري مأربةٌ وليس لي في هوى العذال من أرب
سقى الغمام رباها دمعٌ مبتسمٍ وكم سقاها التصابي دمعٌ مكتئبٍ

وردد هذا المعنى فقال [من الطويل] :

ولما اعتنقنا خلّت أن قلوبنا تناجي بأفعال الهوى وهي تخفقُ
هي الدار لم يُخل الغمام ولا الهوى معالمها من عبرة تترقق

(١) هذا صدر بيت من قصيدة له يرثي فيها أم سيف الدولة وعجزه قوله :

« فإن المرو من زفّ الرثال »

والمرو : حجارة بيض براقه يكون فيها النار ، والزفّ : صغار الريش ، والرثال : جمع رثل وهو ولد النعام يقول : مشى الأمراء في جنازتها على الحجارة حفاة كأنما يمشون على ريش النعام لعظم المصاب وشدة الحزن .

وهو من قول أبي تمام [من الخفيف] :

دمنٌ طالما التقت أدمع المز ن عليها وأدمعُ العشاق

وفي قصيدة السري [من الطويل] :

وطوّقت قوماً في الرقاب صنائعاً كأنهم منها الحمام المطوّقُ

وهو من قول المتنبي [من الوافر] :

أقامت في الرقاب له أيادٍ هي الأطواق والناس الحَمامُ

وللسري من قصيدة في سيف الدولة [من الطويل] :

تبسمُ برقُ الغيم فاختال لامعاً وحلّ عقود الغيث فارفضاً هاملاً^(١)
فقلت عليّ منك أعلى صنائعاً إذا ما رجونه وأرجى مخايلا

وإنما نسج فيه على منوال البحري فقال [من الكامل] :

قد قلت للغيم الركام ولجّ في إبراقه وألحّ في إرعاده
لا تعرضنّ لجعفرٍ متشبّهاً بندى يديه فلسّ من أنداده

وقال السري من قصيدة [من الكامل] :

قامت تميل للعناق مقوماً كالخوط أبدع في الثمار وأغرباً^(٢)
حملت ذاره الأحقوان مفضضاً يسقي المدامة والشقيق مذهباً
وأبت وقد أخذ النقاب جمالها حركات غصن البان أن تنتقبا

(١) الغيث : المطر ، وارفض : انفض وتوزع وهاملاً : ممطراً .

(٢) الخوط : الغصن .

وهو من قول أبي تمام [من البسيط] :

أرخت خماراً على الفرعين وانتقبت
لِلناظرين بقدرٍ ليس ينتقب^(١)

وقال السري في وصف شعره [من الكامل] :

وغريبة تجري عليك رياحها
ممن له غرر الكلام تفتحت
تجري وتطلبه عصائب قصرت
فتعيش بعد مماته أشعاره
أرجاً إذا لفحت عدوك نارها^(٢)
أبوابها وترفعت أستارها
عن شأوها فقصارها إقصارها^(٣)
وتموت قبل مماتها أشعارها

وهو من قول دعلب [من الطويل] :

يموت رديء الشعر من قبل أهله
وجيدٌ يبقى وإن مات قائله

وقال من قصيدة [من الرمل] :

صادق البشر يرى ماء الندى
قلت إذ برز سبقاً في العلا
يرتقي في وجهه أو ينحدر
ألى المجد طريقٌ مختصر؟

وهو من قول البحري [من البسيط] :

ما زال يسبق حتى قال حاسده
له طريقٌ إلى العلياء مختصرٌ

وفي قصيدة السري [من الرمل] :

قد تقضى الصوم محموداً فعد
لهوىً يحمد أو راجٍ يسر

(١) الخمار : الستر والملاءة ، والفرعين : يقصد الشعر ، وانتقبت : أي لبست النقاب وهو ما تستر به المرأة .

(٢) الأرج : العبق الذكي .

(٣) العصائب : الجماعات ، والشأو : المدى .

أنت والعيد الذي عاودته غرّتا هذا الزمان المعتكر
لذّ فيك المدح حتى خلته سمرّاً لم أشق فيه بسهر

وهو من قول ابن الرومي [من المنسرح] :

يا مسرعاً كان لي بلا كدر يا سمرّاً كان لي بلا سهر

وقال من قصيدة ذكر فيها جراحاً نالته في بعض أسفاره [من الخفيف] :

نوبٌ لو علت شماریخ رضوى أوشكت أن تخرّ منهنّ هدّاً^(١)
عرضتني على الحسام فأضحى كلّ عضوٍ منّي لحديّة غمدا
وكسّت مفرقي عمامةً ضرب أرجوانيةً الذوائب تندي

وهو من قول ابن المعتز [من الطويل] :

ألا ربّ يومٍ قد كسوكم عمائمًا من الضرب في الهامات حمر الذوائب

وقال السري من قصيدة في المهلبی الوزير [من الكامل] :

وأرى العدو نقیصة في عمره وأرى الصديق زيادة في حاله
بوقائع للباس في أعدائه ووقائع للجود في أمواله
عذّلوه في الجدوى ومن يثني الحيا أم من يسدّ عليه طرق سجّاله^(٢)

وهو من قول المتنبي [من البسيط] :

وما ثنّاك كلام الناس عن كرمٍ ومن يسدّ طريق العارض الهطل ؟!

وقال من قصيدة في وصف طير الماء [من الطويل] :

وآمنة لا الوحش يذعر سربها ولا الطير منها داميات المخالب

(١) الشماريخ : رؤوس الجبال ، ورضوى : إسم مكان .

(٢) الجدوى : الكرم والعطاء ، والحيا : المطر ، وسجّاله : هطوله يريد أنّ المطر يتدفّق ويهطل دون أن يستطيع أحد رده .

هي الروض لم تنش الخمائل زهره ولا اخضل عن دمع من المزن ساكب
إذا انبعثت بين الملاعب خلتها زرابي كسرى بثها في الملاعب
وهو من قول ابن الرومي [من الطويل] :

زرابي كسرى بثها في صحونه ليحضر وفداً أو ليجمع مجمعا^(١)
وفي قصيدة السري [من الطويل] :

وإن آنت شخصاً من الناس صررت^٢ كما صررت في الطرس أقلام كاتب^(٢)
وهو من قول أبي نواس [من الرجز] :

كأنما يصفرن عن ملاعق^٣ صرصرة الأقلام في المهارق^(٣)
وقال في وصف رقاص [من الوافر] :

إذا اختلجت مناكبه لرقص^٤ نزت طير القلوب إليه نزوا^(٤)
أفارس أنت أحسن من تثني^٤ على صنج وأملح من تلوى

وهو من قول الصنوبري [من المتقارب] :

فمن متلو على نايه ومن مثن على صنجه

وقال من قصيدة في سيف الدولة [من البسيط] :

بكاهل الملك سيف الدولة أطادت^٥ قواعد الدين واشتدت كواهله^(٥)

(١) الزرابي : ما بسط واتكىء عليه من الطنافس وغيرها .

(٢) صررت : صوتت .

(٣) يصفرن : يصوتن .

(٤) النزو : الميل والطموح إلى الشيء .

(٥) أطادت : أي اشتدت وقويت وتوطدت .

من الرماح وإن طالّت مخاصره كما الدروع وإن أوهت غلائله
وهو من قول البحري [من الطويل] :

ملوكٌ يعدّون الرماح مخاصراً إذا زعزعوها والدروع غلائلا

وقال في وصف السحاب والبرق من قصيدة [من الرجز] :

وعارض أكلاً فيه بارقاً كالنار شبّت في ذرى طودٍ أشم^(١)
كأنه نشوان جرّ ذيله فكلماً ريع انتضى عضباً خذم^(٢)

وهو من قول ابن المعتز [من الطويل] :

كان الرّباب الجونَ دون سحابه خليعٌ من الفتیان يسحب مئزرا^(٣)
إذا أدركته روعةٌ من ورائه تلفتَ واستلّ الحسام المذكراً

وفي قصيدة السري [من الرجز] :

ورب يومٍ تكتسي البيض به لوناً فتكسو لونها سود اللّم^(٤)
وهو من قول المتنبي [من الخفيف] :

واستعار الحديد لوناً وألقى لونه في ذوائب الأطفال

وقال من قصيدة [من الكامل] :

وأنا الفداء لمرغمٍ في العدى إذ زارني وهناً على عدوائه
قمرٌ إذا ما الوشي صين أذاله كيما يصون بهاءه ببهائه^(٥)

(١) الأشم : المرتفع العالي .

(٢) العضب : السيف والخذم : القاطع .

(٣) الجون : من الأضداد وهو للأسود والأبيض .

(٤) اللّم : جمع لَمَة - وهو الشعر الذي يتجاوز شحمة الأذن .

(٥) أذاله : أهانه ، وأذالت المرأة الثوب : أرسلته وجعلت له ذيلاً .

وهو من قول المتنبي [من الوافر] :

لبسن الوشى لا متجملاتٌ ولكن كي يصنَّ به الجمالا

وفي قصيدة السري [من الكامل] :

ضعفت معاهد خصره وعهوده فكان عقد الخصر عهد وفائه

واللفظ من قول ابن المعتز [من الرجز] :

* وشادن ضعيف عقد الخصر *

وقال السري من قصيدة [من البسيط] :

حليّة وثناياه وعنبره كلُّ ينمُّ عليه أو يراقبه^(١)
فلست أدري إذا ما سار في أفق شمائل الأفق أذكى أم جنائبه
سرى من الخيف يخفي البدر منتقباً والبدر يأنف أن تخفي مناقبه

وإنما ألم فيه بقول كشاجم [من الكامل] :

بأبي وأمي زائرٌ متقنّع لم يخف ضوء البدر تحت قناعه

وقال في وصف القلم من قصيدة في أبي إسحاق الصابي [من الكامل] :

وفتىّ إذا هزّ اليراع حسبته لمضاء عزمته يهزّ مناصلا
من كلّ ضافي البرد ينطق راكباً بلسان حامله ويصمت راجلا^(٢)

وهو من قول أبي تمام [من الطويل] :

فصيحٌ إذا استنطقته وهو راكبٌ وأعجم إن خاطبته وهو راجل

(١) ينمّ : يشي به .

(٢) ضافي البرد : الطويل الفضفاض .

وقال السري من قصيدة [من المنسرح] :

الغيث والليث والهلال إذا أقمر : بأساً وبهجةً وندى
ناسٍ من الجود ما يجود به وذاكرٌ منه كلٌ ما وعدا
وهو من قول الشاعر [من البسيط] :

رأيت يحيى أدام الله بهجته يأتي من الجود ما لم يأتيه أحدٌ
ينسى الذي كان من معروفه أبداً إلى الرجال ولا ينسى الذي يعد
وقال من قصيدة [من المتقارب] :

بعيدٌ إذا رمت إدراكه وإن كان في الجود سهلاً قريباً
ضرائب أبدعتها في السّماح فلسنا نرى لك فيها ضربياً^(١)

وهو من قول البحتري [من المتقارب] :

بلونا ضرائب من قد نرى فما إن رأينا لفتح ضربياً

وقال من قصيدة [من الطويل] :

فتى شرع المجد المؤئل : فالعلاء مآربه ، والمكرمات شرائعُ
إذا وعد السّراء أنجز وعده وإن أوعد الضّراء فالعفو مانعه
وهو من بيت تشتمل عليه قصة حكاها المبرد عن أبي عثمان المازني ، قال :
حدثني محمد بن مسعر ، قال : جمعنا بين أبي عمرو بن العلاء وعمرو بن
عبيد في مسجدنا ، فقال له أبو عمرو : ما الذي يبلغني عنك في الوعيد ؟ فقال :
إن الله وعد وعداً وأوعد إيعاداً فهو منجز وعده ووعيده ، فقال له أبو عمرو : إنك
أعجمي ولا أعني لسانك ، ولكن فهمك ، إن العرب لا تعد ترك الإيعاد ذماً ،
وتعده مدحاً ، ثم أنشد :

(١) الضريب : المثيل والشبيه .

وما يرهّب ابن العم ما عشت صولتي وما أختشي من صولة المتوعد
وإنّي إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدى^(١)

فقال له عمرو : أفليس يسمى تارك الإيعاد مخلفاً ؟ قال : بلى ، قال :
أفتسمي الله مخلفاً إذا لم يفعل ما أوعد ؟ قال : فقد أبطلت شاهدك .

وقال السري من أبيات [من الخفيف] :

لحظت عزمتي العراق فسلتُ همتي للرحيل سيف اعتزامي
فسلامٌ على جنابك والمذ هل والظّل والأأيادي الجسام

وهو من قول البحتري [من الخفيف] :

فسلام على جنابك والمذ هل فيه وربك المأنوس
حيث فعل الأيام ليس بمذمو م وجه الزمان غير عبوس

وقال في وصف أشعاره [من الخفيف] :

خلعُ غصّة النسيم غذاها صفو ماء العلوم والآداب
فهى كالخرّد الأوانس يخلط من شماس الصبا بأنس التصابي^(٢)
رقة فوق رقة الحضر تبدي فطنة فوق فطنة الأعراب^(٣)

وهو من قول الطائي [من الكامل] :

لا رقة الحضر اللطيف عدتهم وتباعدا عن فطنة الأعراب

(١) أوعدته : من الوعيد وهو التهديد ، ووعدته من الوعد : أي العطاء وغيره .

(٢) الشماس : بكسر الشين : الإباء والامتناع .

(٣) الحضر : سكان المدن ، والأعراب : سكان البادية .

وقال السري من قصيدة [من الكامل] :

ألبستني النعمى التي غيرن لي وذو الصديق فعاد منها حاسدا
فلبسني بها الثناء مسيراً ومخلداً ما دام يذبل خالدا^(١)

والبيت الأول من قول البحري [من الطويل] :

وألبستني النعمى التي غيرت أخي عليّ فأمسى نازح الودّ أجنياً

* * *

وقد أخذت بطرف من ذكر سرقاته ، ولا بأس أن أورد بعض ما كرره من معانيه ، فما منها إلا بارع رائع ، وإنما كررها إعجاباً بها واستحساناً لما اخترعه منها .

ذكر ما تكرر من معانيه

قال من أبيات في الاستزارة [من الطويل] :

ألست ترى ركب الغمام يساق وأدمعه بين الرياض تراق
ورقت جلايب النسيم على الثرى ولكن جلايب الغيوم صفاق^(٢)

وقال في معناه [من الكامل] :

راح الغمام به صفيقاً شربه وغدا به ثوب النسيم رقيقاً

وقال في قريب منه [من مجزوء الكامل] :

فهواؤه سكب الرداء وغيمه جافي الأزار

(١) يذبل : إسم جبل .

(٢) الصفيق : الجلد الذي تحت الجلد الظاهر ، أو الجلد .

وقال من تلك الأبيات [من الطويل] :

وذو أدبٍ جَلَّتْ صنائعُ كَفِّهِ ولكنْ معاني الشعر منه دقاق

وقال في معناه [من الكامل] :

أعْلِيَّ كم نعمٍ منحت جليلاً منحتك معنى في الشاء دقيقاً
يلقى الندى بريق وجهٍ مسفرٍ فإذا التقى الجمعان عاد صفيقاً
رحب المنازل ما أقام فإن سرى في جحفلٍ ترك الفضاء مضيقاً

وقال في معناه [من الطويل] :

فطوراً لكم في العيش رحب منازلٍ وطوراً لكم بين السيوف زحام

وقال يمدح [من الكامل] :

فلتُشكرنَّك دولةٌ جدَّدَتْها فتجددتْ أعلامها ومنارُها
حَلَّتْها وحميت بيضة ملكها فغرار سيفك سورها وسوارها^(١)

وقال في معناه [من الوافر] :

تحلَّى الدين أو تحمي حماه فأنت عليه سورٌ أو سوارٌ

وقال [من الكامل] :

نشر الشاء فكان من إعلانه وطوى الوداد فكان من أسرارهِ
كالنخل يبدي الطلع من أثماره حيناً ويخفي الغصن من جُمّاره^(٢)

(١) وحميت بيضة ملكها : أي جعلت ملكها منيعاً بصونك له ، وغرار السيف : حذّه .

(٢) الطلع : ما يبدو من ثمرة النخل أوّل طلوعها ، والجمار : شحم النخلة .

وقال في معناه [من البسيط] :

أصبحت أظهر شكراً عن صنائعه
كيانع النخل يدي للعيون ضحى
وأضمر الودّ فيه أيّ إضمار
طلعاً نضيداً ويخفي غضّ جمّار

وقال في وصف الشمع [من الرجز] :

أعددت لليل إذا الليل غسق
قضبان تبرّ عريت عن الورق
وقيّد الألحاظ من دون الطرق
شفاؤها إن مرضت ضرب العنق

وقال في معناه [من الكامل] :

فرجتها بصحائح إن تعتلّ
فلهنّ من ضرب الرقاب شفاء

وقال في معناه [من مجزوء الكامل] :

وإذا عرتها مرضة
فشفاؤها ضرب الرقاب

وقال في معناه [من السريع] :

سيّافها يضرب أعناقها
وهو بذاك الفعل يحييها

وقال [من الرجز] :

قد أغتدي نشوان من خمر الكرى
أجر بُردِيّ على برد الثرى

*والصبح حمل بين أحشاء الدجى *

وقال في مثله [من الكامل] :

*والصبح حمل في حشى الظلماء *

وقال في وصف الخمر [من المتقارب] :

ألا غادها مخطئاً أو مصيباً
وسر نحوها داعياً أو مجيباً

وخذ لهباً حرّه في غدٍ إذا الحر قارن يوماً لهيباً
وقال في معناه [من البسيط] :

هات التي هي يوم الحشر أوزار كالنار في الحسن عقبى شربها النار
وقال في معناه [من الخفيف] :

هاتها لم تبأشر النار واعلم أنها في المعاد للشرب نارٌ
وقال من أبيات [من المنسرح] :

أنظر إلى الليل كيف تصدعه راية صبح مبيضة العذب
كراهبٍ حن للهوى طرباً فشقّ جلبابه من الطرب
وقال في معناه [من السريع] :

والفجر كالراهب قد مزّق من طربٍ عنه الجلابيبُ
وقال يمدح [من الخفيف] :

يخضب الكفّ بالمدام وطوراً يَخْضُبُ السيف من دمٍ مهراقٍ^(١)
وقال في معناه [من المتقارب] :

وتخضب بالراح أيماننا ونخضب بالدم أرمأخنا
وقال في الغزل ، وهو من غرره [من الوافر] :

بنفسي من أجود له بنفسي ويخل بالتحية والسلام
وحتفي كامنٌ في مقلتيه كُمون الموت في حدّ الحسام^(٢)

(١) يخضب : من الخضاب ، أي صبغ الشعر واليدين . والمهراق : أي المراق المسفوك .

(٢) الحتف : الموت والهلاك ، وكامن : مستتر وموجود .

وقال ، ونقل معناه إلى الخمر [من الكامل] :

ويريه أعلى الرأي حزم كامن فيه كمون الموت في حدّ القضب^(١)
وقال في معناه [من المتقارب] :

أما للمحبين من حاكم
حمامي في طرفه كامن
فينصفني اليوم من ظالمي
كُمونَ المنية في الصارم

وقال في معنى آخر [من البسيط] :

وفتية زهر الآداب بينهم
مشوا إلى الراح مشي الرّخ وانصرفوا
أبهى وأنضر من زهر الرياحين
والراح تمشي بهم مشي الفرازين^(٢)
وقال في معناه [من السريع] :

حتى إذا الشمس بها آذنت
راحوا عن الراح وقد أبدلوا
خيامها الصفر بقلع الأواخي^(٣)
مشي الفرازين بمشي الرخاخ^(٤)

وقال في قلب معناه ووصف الشطرنج [من الكامل] :

بيدي لعينك كلما عاينته
فكأن ذا صاحٍ يسير مقوماً
قرنين جالا مقدماً ومخاتلاً^(٥)
وكان ذا نشوان يخطر مائلاً

وقال يصف كانون نار [من المتقارب] :

وذو أربع لا يطيق النهوض
ولا يآلف السّير فيمن سرى

(١) القضب : السيوف .

(٢) الرّخ والفرازن : من أحجار الشطرنج .

(٣) الأواخي : من أحجار الشطرنج .

(٤) الراح : الخمر .

(٥) المخاتل : الخداع .

نحمله سبجاً أسوداً فيجعله ذهباً أحمر^(١)
وقال في معناه [من مجزوء الوافر] :

وأحدقنا بأزهر خا
فما ينفك من سبج
فقات حوله العذب
يعود كآته ذهب

وقال يمدح [من الوافر] :

وكم خرق الحجاب إلى مقام
كان سيوفه بين العوالي
توارى الشمس فيه بالحجاب
جداول يطردن خلال غاب

وقال في معناه [من الطويل] :

كان سيوف الهند بين رماحه
جداول في غاب سما فتأشبا^(٢)

وقال في معناه [من الكامل] :

أسد لها من بيضها وسمرها
وقال في وصف شعره [من الوافر] :

إليك زففتها عذراء تأوي
أذبت لصوغها ذهب القوافي
حجاب القلب لا حجب القباب^(٣)
فأدت رونق الذهب المذاب

وقال في معناه [من الوافر] :

ونخذها كالتهاب الحلوى تغني
عن المصباح في الليل التهابا

(١) السبج : الخرز .

(٢) تأشب : اختلط واجتمع .

(٣) زففت : قدمت وزينت وحجاب القلب : غلافه ، والقباب : أي البيوت التي تكون للسلطين .

مشعشة كأنّ الطبع أجرى على صفحاتها الذهب المذابا

* * *

وعلى ذكر الشعر فإني كاسر عليه فصلاً ، لفرط استحساني جودة وصفه له ،
وموافقته الموصوف :

قال في وصف شعره من قصيدة [من الوافر] :

وما زالت رياح الشعر شتى فمن رياّ الهبوب ومن سموم^(١)
تحّيّ الصاحب الطلق المحيّا وتعلن شتم ذي الوجه الشّميم^(٢)
منحتك من محاسنها ربيعاً مقيم الزهر سيّار النسيم
وقال من أخرى [من الكامل] :

قل للعدو إليك عن ذي عدة ما ثار إلا نال أبعد ثأره
صلّ القريض إذا ارتوت أنيابه من سمّه قطرت على أشعاره^(٣)
لو أنه جارى عتيقيّ طيء في الحلبتين تبرّعا بغباره^(٤)
وقال من أخرى [من الكامل] :

شغلّتك عن حسن السماع مدائح حسنت فما تنفك تطرب سامعا
طلعت عليك أبا الفوارس أنجم منهنّ يخجلن النجوم طوالعا
زهرٌ إذا صافحن سمع معاند خفض الكلام وغضّ طرفاً خاشعا
جاءتك مثل بدائع الوشي الذي ما زال في صنعاء يتعب صانعا
أو كالربيع يريك أخضر ناضراً ومورداً شرقاً وأصفر فاقعا^(٥)

(١) رياّ الهبوب : أي الرياح المنعشة الباردة والسموم : الرياح الحارة اللافة .

(٢) الشّميم : الكريه الوجه .

(٣) الصلّ : الحية .

(٤) يريد بعتيقي طيء أبا تمام والبحري .

(٥) الفاقع : الخالص الصافي من الألوان .

وقال من أخرى [من الطويل] :

وكم مدحة غبّ النوال تبسمت كما ابتسم النّوّار غبّ حياً أروى
وما ضرّ عقداً من ثناء نظمته وفصلته أن لا يعيش له الأعشى^(١)

وقال من أخرى [من البسيط] :

جاءتك كالعقد لا تزري بناظمها حسناً وتزري بما قالوا وما نظموا
والشعر كالروض ذا ظامٍ وذا خضلٌ وكالصوارم ذا نابٍ وذا خذم^(٢)
أو كالعرانين هذا حظّه خنس مزرٍ عليه وهذا حظّه شمم^(٣)

وقال [من المتقارب] :

وفكر خواطره ألبست علاك من الحمد ثوباً خطيرا
محاسن لو علقت بالقتير لحسن عند الحسان القتيرا^(٤)
إذا ما جفت خلع المادحين عليهنّ رقت فكانت حريرا

وقال [من المنسرح] :

وخلعة من ثنائي دبّجها الفـ فكر ففاقت بحسّها البدعا
وقرب الحذق لفظها فغدا من قربها مطمعا وممتنعا

وقال [من البسيط] :

سأبعث الحمد موشياً سبائبه إلى الأمير صريحاً غير مؤتشب^(٥)
إن المدائح لا تهدي لناقدها ألا وألفاظها أصفى من الذهب

(١) الأعشى : ميمون بن قيس أحد شعراء الخمة المشهورين .

(٢) الظامىء : العطش ، والخضل : المرتوي والنابي : الذي لا يقطع .

(٣) العرينين : الأنف ، والخنس : تأخر الأنف عن الوجه ، والشمم : ارتفاع الأرنبة .

(٤) القتير : الشيب .

(٥) السبائب : جمع سبيبة ، وهي الشقة الرقيقة من القماش ، والصريح : الخالص والمؤتشب : المختلط .

كم رَضْتُ بالفكر فيها روضة أنفأ
لفظٌ يروح له الريحان مطرَحاً
تفتّح الزهرُ عن جنى الأدب
إذا جعلناه ريحاناً على النجب^(١)

وقال [من الطويل] :

أتتكَ يَجُولُ ماء الطبع فيها
قوافِرُ إن ثنتَ للمرء عطفاً
مجال الماء في السيف الصقيل
ثنى الأعطاف في برد جميل

وقال [من الطويل] :

شرقت بماء الطبع حتى خلتها
ويقول سامعها إذا ما أنشدت
شرقت لرونقها بتبر ذائب
أعقود حمد أم عقود كواكب

وقال [من الكامل] :

والبس غرائب مدحة دبّجتها
من كل بيتٍ لو تجسّم لفظه
فكأنما دبّجت منها مطرفاً^(٢)
لرأيتَه وشيأً عليك مفوّفاً^(٣)

وقال [من الكامل] :

ألفاظه كالدرّ في أصدافه
من كلّ رائقة الجمال كأنها
لا بل يزيد عليه في لألائه
جاد الشباب لها بريقة مائه

وقال [من الكامل] :

والشعر بحرٌ نلت أنفس درّو
وتنافس الشعراء في حصائنه

(١) النجب : الكرام السادة .

(٢) المطرف : رداء من حرير ذو أعلام .

(٣) التفويف : التزيين .

وقال [من الكامل] :

وغرائبٍ مثل السيوف إضاءةً وجدت من الفكر الدقاق صياقلاً^(١)
فلو استعار الشيب بعض جمالها أضحى إلى البيض الحسان وسائلاً
جاءتك بين رصينه ودقيقه تهدي إليك مطارفاً وغلاًثلاً

* * *

ما أخرج من غرره في الخالدين وغيرهما ممن ادعى شعره

قال يتظلم من الخالدين والتلعفري إلى سلامة بن فهد [من الطويل] :

هل الصبر مجد حين أدّرع الصبرا وهل ناصر للشعر يوسع نصره
تَحَيَّفَ شعري يا ابن فهد مصالت عليه فقد أعدمت منه وقد أثرى^(٢)
وفي كل يومٍ للغبيين غارةً تروّع ألفاظي المحجّلة الغراً^(٣)
إذا عنّ لي معنى يضاحك لفظه كما ضاحك النوار في روضه
غريب كشط البرق لما تبسّمت مخائله للفكر أودعته سطره
فوجه من الفتیان يمسح وجهه وصدر من الأقوام يسكنه الصدره
تناوله مشرٍ من الجهل معدّم من الحلم معذور متى خلع العذره
فبعد ما قرّبت منه غباوة وأوزر ما سهلت من لفظه وعرا
فمهلاً أبا عثمان مهلاً فإنما يغار على الأشعار من عشق الشعرا
لأطفأتما تلك النجوم بأسرها ودنّستما تلك المطارف والأزرا
فويحكما هلاً بشطرٍ قنعتما وأبقيتما لي من محاسنه شطراً^(٤)

(١) الغرائب : القصائد ، والصياقل : جمع صيقل ، وهو الذي يصنع السيوف ويصقلها .

(٢) تحيّف : اغتصب ، والمصالت : السارق .

(٣) المحجّلة : البيضاء ، والغراء : البيضاء الناصعة .

(٤) الشطر : القسم والنصيب .

وقال من قصيدة مدح بها أبا البركات لطف الله بن ناصر الدولة يتظلم إليه من الخالدين ، وقد ادعيا شعره وشعر غيره ومدحا به المهلبي وغيره [من البسيط] :

يا أكرم الناس إلا أن يعدَّ أباً
أشكو إليك حليفي غارة شهراً
ذئبن لو ظفروا بالشعر في حرم
سلاً عليه سيوف البغي مصلته
وأرخصاه فقل في العطر ممتهناً
لطائم المسك والكافور فائحة
وكل مسفرة الألفاظ تحسبها
أرقت ماء شبابي في محاسنها
كأنها نفس الريحان يمزجه
إن قلداك بدرٌ فهو من لججي
باعا عرائس شعري بالعراق فلا
مجهولة القدر مظلوم عقائلها
ما كان ضرهما والدر ذو خطر
وما رأى الناس سبياً مثل سبيهما
والله ما مدحا حياً ولا رثياً
هذا وعندي من لفظ أشعشه
كريمة ليس من كرم ولا التثمت
تشا خلال شغاف القلب إن نشأت

فات الكرام بآباء وآثار
سيف الشقاق على دياج أفكاري
لمزقه بآنياب وأظفار
في جحفل من صنيع الظلم جرار
لديهما يشتري من غير عطار
منه ومنتخب الهندي والغار^(١)
صفيحة بين إشراق وإسفار
حتى ترقق فيها مأوها الجاري
صبا الأصائل من أنفاس نوار
أو ختماك بياقوت فأحجاري^(٢)
تبعد سباياه من عون وأبكار^(٣)
مقسومة بين جهال وأغمار^(٤)
لو حلياه ملوكاً ذات أخطار
بيعت نفيسته ظلماً بدينار
ميتاً ولا افتخرا إلا بأشعاري
سلافة ذات أضواء وأنوار
عروسها بخمار عند خمّار
ذات الحجاب خلال الطين والقار^(٥)

(١) اللطيمة : وعاء المسك .

(٢) اللجج : القاع من البحر .

(٣) العون : المرأة ، والبكر : العذراء .

(٤) الغمر : الطيش .

(٥) القار : القطران .

لم يبق لي من قريض كان لي وزرا
أراه قد هتكت أستار حرمة
كأنه جنة راحت حدائقها
عارٍ من النسب الوضّاح منتسبٌ
على الشدائد إلا ثقل أوزاري^(١)
وسائر الشعر مستور بأستار
من الغيبين في نارٍ وإعصار^(٢)
في الخالدين بين العرّ والعار^(٣)

وقال من قصيدة في أبي تغلب ذكر فيها أحد الخالدين [من الطويل] :

ولا بد أن أشكو إليك ظلامه
يخيل شعري أنه قوم صالح
رعى بين أعطانٍ له ومسارحٍ
وكان رياضاً غضةً فتكدّرت
يساق إلى الهجن المقارف حليه
غصبت على ديباجه وعقوده
وكنت إذا ما قلت شعراً حدث به
وغارة مغوار سجيّته الغصبُ
هلاكاً وأن الخالدي له سقب^(٤)
فلم ترع فيهنّ العشار ولا النجب^(٥)
مواردها واصفرّ في تربها العشب
وتسلبه الغرّ المحجّلة القب^(٦)
فديباجه غصبٌ كما رُوّع السرب
حداة المطايا أو تغنى به الشرب

وقال في الخالدي الأصغر وقد ادعى كثيراً من شعره [من السريع] :

لا بد من نفثة مصدور
قد أنست العالم غاراته
أثكلني غيد قواف غدت
فحاذروا صولة مخدور
في الشعر غارات المغاوير
أبهى من الغيد المعاطر

(١) الوزر : الملجأ والمعين .

(٢) الإعصار : ريحٌ شديدة تصحب بنارٍ أحياناً .

(٣) العرّ : العيب ، والشّر .

(٤) السقب : ولد الناقة .

(٥) العطن : مبيت الإبل ، والعشار : النوق التي مضى على حلها عشرة أشهر والنجب : الجمال الأصيلة .

(٦) الهجن : النوق ، والمقارف : الحمر والقبّ : الفحل ، وسيد القوم .

أطيب ريحاً من نسيم الصبا جاءت برياً الورد من جور^(١)
من بعد ما فتحت أنوارها فابتسمت مثل الأزاهير
وبات فكري تعباً بينها ينقشها نقش الدنانير
يا وارث الأغفال ما حبروا من القوافي والمشاهير^(٢)
أعط « قفا نيك » أماناً فقد راحت بقلب منك مذعور

وقال من قصيدة خاطب فيها أبا الخطاب المفضل بن ثابت الضبي وقد سمع
أن الخالدين يريدان الرجوع إلى بغداد ، وذلك في أيام المهلبى الوزير [من
الكامل] :

بكرتُ عليك مغيرة الأعراب فاحفظ ثيابك يا أبا الخطاب
ورد العراق ربيعة بن مكرم وعتيبة بن الحارث بن شهاب
أفعدنا شكاً بأنهما هما في الفتك لا في صحة الأنساب
جلبا إليك الشعر من أوطانه جلب التجار طرائف الأجلاب
فبدائع الشعراء فيما جهزا مقرونة بغرائب الكتاب
شئنا على الآداب أقبح غارة جرحت قلوب محاسن الآداب
فحذار من حركات صليّ قفرة وحذار من حركات ليثي غاب^(٣)
لا يسلبان أحبا الثراء وإنما يتناهبان نتائج الألباب^(٤)
إن عزّ موجود الكلام عليهما فأنا الذي وقف الكلام ببابي
أو يهبطا من ذلة فأنا الذي ضربت على الشرف المطل قبابي
كم حاولا أمدي فطال عليهما أن يدركا إلاّ مشار ترابي^(٥)

-
- (١) جور : مدينة فيروز آباد ينسب إليها الورد .
(٢) الأغفال : جمع غفل ، وهو الشاعر المجهول .
(٣) الصل : الأفعى .
(٤) نتائج الألباب : أي ما ينتجه الفكر من أدب وغيره .
(٥) أمدي : مجالي .

يوم الرهان مواقف الأرباب
 ذمٌ سوى الأسماء والألقاب
 عن حوزة الآداب كان ضرابي
 شعري وترفل في حبير ثيابي^(١)
 نقضت عمائمهم على الأبواب
 لونين بين انامل البواب^(٢)
 دامى الجبين تجهّم الحجاب
 فتعرّضت لهما صدور حرابي^(٣)
 منه خدود كواعب أتراب^(٤)
 ولربّ عذب عاد سوط عذاب
 ضربا ولم تند القنا بخضاب
 مسية لا تهتدي لأياب
 أسرى وما حملت على الأقتاب^(٥)
 في مشرقات النظم درّ سحاب
 حرّ اللجين وخالص الزرياب^(٦)
 في نزهة منه وفي استغراب
 عن حسنه بصبا ولا بتصابي
 عبق النسيم فذاك ماء شبابي
 بين التعجّب منه والاعجاب

عجزاً ولن تقف العبيد إذا جرت
 ولقد حميت الشعر وهو لمعشر
 وضربت عنه المدّعين وإنما
 فغدت نبيط الخالدية تدعي
 قوم إذا قصدوا الملوك لمطلب
 من كل كهل تستطير سباله
 مغمض على ذلّ الحجاب يرده
 ومفوهين تعرّضا لحرابتي
 نظرا إلى شعر يروق فتربا
 شرباه فاعترفا له بعدوبة
 في غارة لم تتلم فيها الطبا
 تركت غرائب منطقي في غربة
 جرحي وما ضربت بحدّ مهتد
 لفظ صقلت متونه فكأنه
 وكأنما أجريت في صفحاته
 أغربت في تحبيره فرواته
 وقطعت فيه شبيبة لم تشتغل
 وإذا تفرّق في الصحيفة ماؤه
 يصغي اللبيب له فيقسم لبه

(١) نبيط : من النبط أخلاط الناس وعوامهم .

(٢) السبال : الشنب .

(٣) الحراية : السلب .

(٤) ترّبا : زينا ، والكواعب : الفتيات النواهد ، والأتراب : الرفيقات من سنّ واحد .

(٥) المهتد : السيف : والأقتاب : جمع قتب وهو المحمل على ظهر البعير .

(٦) الزرياب : الذهب .

جَدْ يطير شراره وفكاهة تستعطف الأحباب للأحباب
 أعزِرْ عليَّ بأن أرى أشلاءه تدمي بظفر للعدو وناب
 أفنُ رماه بغارةٍ مأفونةٍ باعت ظباء الروم في الأعراب
 إنني أحذرُ من يقول قصيدة غراءُ خِدْنِي غارةٍ ونهاب
 إنني نبذت على السواء إليكما فتأهبا للقادح المتاب^(١)
 وإذا نبذت إلى امرئٍ ميثاقه فليستعدَّ لسطوتي وعقابي
 وهي طويلة متناسبة في الحسن والعدوبة .

وقال من قصيدة في أبي إسحاق الصابي ، وقد ورد عليه كتاب الخالدين
 بأنهما منحدران إلى بغداد في سرعة [من الخفيف] :

قد أَظْلَتُكَ يا أبا إسحاقَ غارة اللفظ والمعاني الدقاق
 فاتخذ معقلاً لشعرك تحميه مروق الخوارج المراق^(٢)
 قبل رفاقه الحديد تريق السِّمِّ في صفو مائه الرِّقاق
 كان شَنَّ الغارات في البلد القف ر فاضحى على سرير العراق
 غارة لم تكن بسمر العوالي حين شَنَّت ولا السيوف الرِّقاق
 جال فرسانها عليَّ جلوساً لا أَقلَّتْهم ظهور العتاق
 فجعت أنفُس الملوك أبا الهيثم جاء حرباً بأنفس الأعلاق

يعني أبا الهيثم حرب بن سعيد أخا أبي فراس الحمداني .

بقوافٍ مثل الرياض تمشَّت بين أنوارها جياذ السواقي
 بدعُ كالسيوف أرهفنَ حسناً وسقاهنَّ رونقَ الطبع ساقِي
 مشرقاتُ تريك لفظاً ومعنى حمرة الحلبي في بياض التراقي^(٣)

(١) نبذت : أرسلت ، والمتاب : القاصد .

(٢) المروق : الخروج عن الدين وعدم مراعاة أحكامه .

(٣) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .

يا لها غارةً تفرق في الحو
تسم الفارس السמידع بالعا
لو رأيت القريض يرعد منها
وقلوب الكلام تخفق رعباً
وسيوف الظلام تفتك فيها
والوجوه الرقاق دامية الأب
لتنفس رحمة للخدود الـ
والرياض التي ألحَّ عليها
والنجوم التي تظل نجوم الـ
بعدما لحن في سماء المعالي
وتخيرت حليهن فلم تعد
وقد لعت الشباب فيه إلى أن
فهو مثل المدام بين صفاء
منطق يخجل الربيع إذا حـ
يا هلال الآداب يا ابن هلال
سوف أهدي إليك من خدم الـ
كل مطبوعة على اسمك بادٍ
مة بين الحمام والأطواق
ر وبعض الإقدام عارٌ باقي^(١)
بين ذاك الإرعاد والإبراق
تحت ثني لوائها الخفاق
بعذارى الطروس والأوراق
شار في معرك الوجوه الصفاق
سمر منهن والقُدود الرِّشاق
كاذب الودق صادق الإحراق^(٢)
أرض حسّادها على الإشراق
طلّعاً وانتثرن في الآفاق
د خيار النحور والأعناق
همّ برد الشباب بالإخلاق^(٣)
وبهاء ونفحة ومذاق
ل عليه السحاب عقد النطاق
صرف الله عنك صرف المحاق
سوف أهدي إليك من خدم الـ
كل مطبوعة على اسمك بادٍ
وسمّها في الجباه والآماق

* * *

(١) السِّمِدَع : الشجاع .

(٢) الودق : المطر .

(٣) الإخلاق : يقال ثوب خلق : أي رث بال .

(٤) الإيّاق : الهروب .

غرر من أهاجيه للشعراء

قال من قصيدة هجا بها أبا العباس النامي ، ويحكي أنه كان جزاراً بالمدينة [من الوافر] :

أرى الجزار هيّجني وولّى	فكاشفني وأسرع في انكشافي
ورقع شعره بعيون شعري	فشاب الشّهد بالسّم الذعاف ^(١)
لقد شقيت بمديتك الأضاحي	كما شقيت بغارتك القوافي
توعر نهجها بك وهو سهل	وكدّر وردها بك وهو صافي
فتكت بها مثقفة النواحي	على فكرٍ أشد من الثّفاف
لها أرجُ السوالف حين تجلى	على الأسماع أو أرج السّلاف
جمعن الحسنين فمن رياح	معبرة وأرواح خفاف
وما عدمت مغيراً منك يرمي	رقيق طباعها بطباع جافي
معانٍ تستعار من الدياجي	وألفاظٌ تقدُّ من الأثافي ^(٢)
كأنك قاطفٌ منها ثماراً	سبقت إليه إبّان القطاف
وشرّ الشعر ما أذاه فكرٌ	تعثّر بين كدٍّ واعتساف ^(٣)
سأشفي الشعر منك بنظم شعري	تبيت له على مثل الأثافي
وأبعد بالمودة عنك جهدي	فقفّ لي بالمودة خلف قاف

وقال يعرض بالتلعفري المؤدّب [من الطويل] :

ينافسني في الشعر والشعر كاسدٌ	حسودٌ كبا عن غايتي ومعانِدُ
وكلُّ غبيٍّ لو يباشر برده	لظى النار أضحى حرّها وهو بارد

(١) الذعاف : القاتل المميت .

(٢) الأثافي : حجارة توضع عليها القدور « الموقد » .

(٣) الاعتساف : المشقة .

أفيقوا فلن يعطى القريض معلم
ولا تمنحوا منه الكرام قلانداً^(١)
وهل يتولى الأغبياء عطار
فليس من الحصباء تهدي القلائد^(٢)

وقال من قصيدة في أبي الحسن الشمشاطي [من الكامل] :

قد كانت الدنيا عليك فسيحةً
أسخطتني وجناة عيشك حلوةً
وعلمت إذ كلفت نفسك غايتي
أترومني وعلى السّمّاك محلتي
من بعد ما رفع الأكابر مجلسي
وغدت صوارم منطقي مشهورة
وقد امتحنت دعاويا لك بيت
فرايت علمك من خراً وخرابة
فاليوم أضحت وهي سَمُّ خياطٍ^(٣)
فجنيت مرّ العيش من إسخطي
أنّ الرياح بعيدة الأشواط
شرفاً وبين الفرقدن صراطي
فجلست بين مؤمّل وسماط
بين العراق تهزّ والفسطاط
عن بحر تمويه بعيد الشاطي
ووجدت شعرك من فسا وضراط

وقال من أرجوزة في الخالدي [من الرجز] :

بؤساً لعرس الخالدي بوساً
خلته واعتاضت فتى نفيساً
فصادفت ربع هوى مأنوساً
وكيف تهوى وجهه العبوسا
أكلّ يوم تغتدي عروسا
وفارقت من ننته ناووسا
وبدكت من رخم طاوسا^(٣)
وهي ترى الأقمار والشموسا

* * *

هذه ملح مما قاله في ابن العصب الملحي الشاعر

وكان شيخاً يتصابب ، ويتعصب للخالدين على السري ، وكان السري

(١) القلائد : جمع قلادة وهي العقد الذي يوضع في العنق ، والحصباء : الحصى .

(٢) سَمُّ خياط : أي ضيقه كفتحة الإبرة .

(٣) الرخم : طائر من الجوارح يشبه النسر كثير الريش .

يهجوه جاداً وهازلاً ، وينسبه إلى القيادة ، ويذكر كثيراً مشاهدة أهل الريب في منزله ، ولا يبقى ولا يذر في التولع به ، فمن ملحه فيه قوله من قصيدة [من الطويل] :

ومن عجب أن الغبيين أبرقا
فقد نقلاه عن بياض مناسبي
وإن علياً بائع الملح بالنوى
وعندي له لو كان كفواً قوارصي
ومغموسة في الشري والأري هذه
لك الويل إن أطلعت بيض سيوفها
ولست لجد القول أهلاً وإثماً
نصبت لفتيان البطالة قبةً
وكان طريق القصف وعراً عليهم
وكم لذو لا من فيها ولا أذى
قصدهم وزناً فساويت بينهم
وجتتهم قبل ارتداد جفونهم
ومبيضة مما قرأه محمد
نشرت عليها البقل غضاً كأنما
ومصبوغة بالزعفران عريضة
تريك وقد غطت بياضاً بصفرة
حفف بها منهم كهول وفتية

مغيرين في أقطار شعري وأرعدا
إلى نسب في الخالدية أسودا
تجرد لي بالسب فيمن تجردا
قوارص ينثرن الدلاص المسرداً^(١)
ليدي بها باغ وتلك لترتدي^(٢)
وأطلقتها خزر النواظر شرذاً^(٣)
أطير سهام الهزل مثنى وموحدا
ليدخلها الفتیان كهلاً وأمردا
فسهّلته حتى رأوه معبداً
هديت لها خدن الضلالة فاهتدى
ولم تأخذ السهم الحديد ليقصدا
بمائدة تكسي الشرائح والمدى
أبوك لكي تبيض عرضاً وتحمدا
نشرت على حر اللجين الزبرجدا
كأن على أعطافها منه مجسدا
مثالاً من الكافور ألبس عسجداً^(٤)
كأنهم عقد يحف مقلداً

-
- (١) الدلاص : الدروع . . والمسرد : المنسوج المصنع .
(٢) الشري والأري : الشري : الخنضل ، والأري : الشهد .
(٣) خزر النواظر : أي العيون التي فيها ضيق .
(٤) العسجد : الذهب والجوهر .

فلا نظر الداعي إلى الزاد كفهم
وملت بهم من غير فضلٍ عليهم
مناهدة إن فات مثلك طيها
معداً لهم في كل يوم مجد
إذا وصلوا أضحى الخوان مدبجاً
وإن شرعوا في لذّة كنت بيعة
لك القبة العليا أوضحت نهجها
يصادف منها الزور عيشاً مبرداً
وقد فضلت شمّ القباب لأنّي

وقوله فيه [من الطويل] :

ولا خجلة المدعو ردّت لهم يدا
إلى الورد غضاً والشراب مورداً
تنفس مجروح الحشا أو تنهداً
من الراح والريحان عيشاً مجدداً
وإن هجروا أضحى سلياً مجرداً^(١)
وإن طمعوا في مرفق كنت مسجداً
وأطلعت منها للفتوة فرقداً
وباطية ملأى وظياً مغرداً^(٢)
نصبت عليها بالقصائد مطرداً^(٣)

طوى ودّه الملحّي عني فانطوى
دعاني فغاداني بإنشاد شعره
وقال أتاك الحلّي قلت مماًزحاً
وناولني مسوّدّة لو قرنتها
وقال أرى هذا الشراب لصفوه
وفضّل في الشعر امرأً غير فاضلٍ
ولو أنني أحمي الثقاف لمثله

وقد كان لي خلافاً فأعرض والتوى
ولولا انصرافي عنه متّ من الطوى^(٤)
أتاك النوى يا بائع الملح بالنوى
إلى القار كانا في سوادهما سوا
ورقته كالنجم قلت إذا هوى
فقلت له أمسكْ نطقك عن الهوى
وأعمل فيه الغمز لانصان واستوى^(٥)

(١) الخوان : ما يوضع عليه الطعام وقت الأكل .

(٢) الباطية : الإناء .

(٣) المطرد : من الطرد ، وهو الابعاد .

(٤) الطوى : الجوع .

(٥) الثقاف : بكسر الثاء ، ما تسوى به الرماح .

وقوله فيه [من الوافر] :

سل الملحيّ كيف رأى عقابي وكيف وقد أثاب رأي ثوابي^(١)
سقاني الهاشمي فسلّ ضغني وأغمد عنه تأنيبي ونابي
أراه عني ابن سكرة الهاشمي فإنه كان صديق الملحي ، ولهذا قال :

* سقاني الهاشمي فسلّ ضغني * الخ

وقال أخو المودة والتصافي وعون أخي الصباية والتصابي
وشيخ طاب أخلاقاً فأضحى أحبّ إليّ الشباب من الشباب
له قفصٌ إذا استخفيت فيه أمنت فلم تنلك يد الطلاب
طرقناه وقنديل الثريا يحطّ وفارس الظلماء كابي
فرحّب واستمال وقال حطّ ركابكمُ بأفنية رحاب
وحضّ على المناهدة الندامى بألفاظ مهذّبة عذاب
وقال تيمموا الأبواب منها فكلّ جاء من تلقاء باب
فهذا قال قدر من طعام وهذا قال دنّ من شراب
وهذا قال ريحانٌ ونقلٌ وثلجٌ مثل رقراق السراب^(٢)
وسمح القوم من سمحت يده بخدر غريرة بكرٍ كعاب^(٣)
فتمّ لهم بذلك لهو يوم غريب الحسن عذب مستطاب
إذا العبء الثقيل توزّعته أكفّ القوم خفّاً على الرقاب

وقوله فيه [من الرجز] :

أقررت يا ابن العصب العيون ورحت جلاً للخنا متيناً^(٤)

(١) أثاب : استيقظ .

(٢) النقل : ما يؤكل مع الشراب من فستقٍ وفواكه وغيرها .

(٣) سمح القوم : جوادهم وكرمهم .

(٤) ابن العصب : ابن الزنا وابن الجماعة والخنا : الفحش .

عَلَّمَتْ قوماً كيف يقصفونا
 ودخلوا القبة آميناً
 ولم يكن سرورهم ممنونا
 ومن يداري العيش كي يلينا
 مؤونةً قضت على عشرينا
 فاطرَحُوا الحشمة مسرعينا
 فأكلوا يومهم سميناً
 يا من يرى نزع الدنان دينا
 ما العيش إلا للمناهدينا^(١)
 ولو تفرَّدنا بها خرينا

وقوله فيه من قصيدة [من البسيط] :

ملنا إلى غرفة الملحى إنَّ بها
 نزوره وبقايا الليل تسترنا
 يرضى النديم ويرضى عن مروءته
 وإن رآه رقيق الوجه قال أرقُ
 فزدت إذ زرتَه قنديل بيعته
 ظيأ من الإنس مبذول الخلاخيل
 فنهتدي لخليع منه ضليل
 إذا أتاه بمشروب ومأكول
 كأس الحياء بضمٍّ أو بتقبيل
 فالزيت ينشر أضواء القناديل

وقوله من أخرى [من مجزوء الرمل] :

قد وهى ستر رقيق
 قصرت أيامنا اليه
 دعوة ينتسب القح
 ليس إلا العطش القا
 مجلس فيه لأربا
 وضراط مثل ما انشد
 فإذا اختالت خلال الد
 ومضى ودَّ عليل
 ضُ وفي يومك طول
 ط إليها والمحول
 تل والماء الثقيل
 ب الخنا قال وقيل^(٢)
 ق الديقي الصقيل^(٣)
 شرب عذراء شمول

(١) المناهدين : المناهضين المخاصمين .

(٢) أرباب الخنا : أصحاب الفحش وقال وقيل : كناية عن القول الكثير .

(٣) الديقي : المنسوب إلى دبيق ، بلد بمصر .

لعبت أيلد لها أق
لست من شكلك والنا
أنت للحاجة حتى
فاقطع الرسل فقد أز
فية القوم طبول
س ضروبٌ وشكول^(١)
يصدر الورد خليل
رى بنا منك الرسول

وقوله فيه [من المنسرح] :

شيخ لنا من شيوخ بغداد
رقٌ طباعاً ومنطقاً فغدا
تظنّ تحت الأكفّ هامته
قوَاد إخوانه فإنّ ظمئوا
له على الشط غرفة جمعت
أعد فيها ابنة الشباك لهم
ولذوّ من صباح قطربل
يقول للزائر الملمّ به
وشاعر جوهر الكلام له
وخير ما فيه أنّه رجلٌ
إذا انتشى أقبلت أنامله
أغذّ في القصف أيّ إغذاذ^(٢)
وراح في المستشفّ كاللاذ^(٣)
إذا علتها طنين فولاذ
سقامهم الراح سقي نباذ^(٤)
كلّ خليع نشا ببغداد
ممكورة الجنب في ابنة الداذي^(٥)
وجؤذرا من ملاح كلواذ^(٦)
أوصلُ هذا ألدُّ أم هذي؟
ملك فمن تارك وأخاذ
يخدمني الدهر وهو أستاذي
تنشر ميتاً خلال أفخاذي^(٧)
وقوله فيه ، وكان دعاه في يوم حار إلى غرفة له حارة على الشط ، فأطعمه هريسة

(١) ضروبٌ وشكول : أي أشكالٌ واللوان .

(٢) أغذّ : أسرع وأمعن .

(٣) اللاذ : حرير أحمر صيني .

(٤) قوَاد : أي من يقودهم إلى الضلالة والراح الخمر .

(٥) ابنة الشباك : أي التي تصيدهم وممكورة : مصبوعة ، أو مسقية والراذي : شراب الفسّاق .

(٦) كلواذ : قرية أسفل بغداد .

(٧) تنشر : تحيي وتبعث .

وسقاه نبيد الدبس وماء بثر يعرف بكرخايا^(١) [من الطويل] :

أرى الشاعر الملحيّ راح بنا صبا
دعانا ليستوفي الثناء فأظلمت
تيمّم كرخايا فجاد قلبها
وأحضرنا محبوسة طول ليلها
تخيّر من رطب الذؤابة لحمها
وساھرھا ليلاً يضيق سجنها
إذا مسحّتها الريح راحت كأنها
وداذية تنهي الصباح إذا بدا
شراب يغيض الظرف عنه وعمره
يحدّ بأطراف النهار وما افتري
فلما تراءت للجميع إزاءنا
وقوله فيه [من الخفيف] :

أربعاء حسامه مشهور
نتوقّاه أول الشهر إن دا
فاغدُ سراً بنا إلى قفص المـلـد
نتواری من الحوادث والدهـ
مجلس في فناء دجلة يرتا
طائر في الهواء فالبرق يسري
حين يأتي وشره محذور
ر ونخشاه آخرأ لا يدور
حيّ فالعیش فيه غصّ نصير
ر خير بمن تواری بصير
ح إليه الخلیع والمستور
دون أعلاه والحمام يطير

(١) كرخايا : مسيل يفيض الماء من عمود على نهر عيسى ببغداد .

(٢) القلب : البثر .

(٣) الداذية : شراب الفساق .

(٤) الخدن : الصاحب . والترب : الرفيق من سنّ واحد .

وإذا الغيم سار أسبل منه
وإذا غارت الكواكب صباحاً
ليس فيه إلا خمار وخمر
وحديث كأنه زهرُ المند
وجريحُ من الدنان تسيل الـ
ولك الظبية الغريرة إن شئت
فتمتع بما تشاء نهاراً
كل هذا بدرهمين فإن زد
وقوله فيه من قصيدة [من الطويل] :

شققت قذال الخالدي بمنطقٍ
وناضلني الملحى عنه فأصبحت
وقد كان يُخلي بيته لماربي
على أنه يكره يوماً بخمسة
تحلّت بذكر الله من كلّ جانب
يبيح بها الملحى طوراً قذاله
فإن شئت أن تحظى بوصل غزاله
فقدّم له الجدي الرضيع وثنه
ولا تلقه إلا بخير وسيلة

يشقُّ من الأعداء كل قذال^(٣)
جوارحه مجروحةً بنبال
إذا زار إلفاً أو حبا بوصال
موجهة بيض الوجوه ثقال^(٤)
فهنّ بذكر الله خير حوالي
وطوراً حريمي منزلٍ وعيال
مهفهفة الكشحيّ أو بغزال^(٥)
بعذراء من ماء الكروم زلال
يلوح على وجهه خير مقال

(١) المعرس : أي صاحب عرس .

(٢) المحبور : المسرور ، والمبجل : المعظم .

(٣) القذال : القفا ، مكان الصفع .

(٤) يكره : يؤجره .

(٥) الكشخ : ما بين الخاصرة والسرّة ووسط الظهر من الجسم .

ببازٍ إذا أرسلته صاد كل ما تروم به أو نال كل منال.
وقوله فيه من أخرى ووصف دعوة دعاه فيها [من الهزج] :

على ابن العصب الملحـي يثني اليوم من أثنى
على الجلد وإن صاد ف في عظمه وهنا
ضحينا عنده يوماً شديد الحر فالتحنا
ولم يحو به الأجر ولم نعدم به المنا
جياً نصف الزيتو ن لو أمكن والجنا
ونظري السمك البني والجردق والبنّا^(١)
وكنا نشر الدر من اللفظ فخلطنا
فلو طارت بنا ضعفاً صبا لاعة طرنا
ولو أنا دعونا الله في دعوته فزنا
إلى أن كبر العصر وهللنا فكبرنا
ونشر السمك المقـلـو بالقرب فسبحنا
وقلنا هذه الرحمة جاءت فأظللنا
وظللنا إذ رأينا الخبز ندنو قبل نُستدنى
إلى مائدة حُفَّت بها أرغفة متنى
عليها البقل لا نلحقه بالخل أو يفنى
ومنسوب إلى دجلة ما زال لها خدنا
جرى في مائها قبل يجاري ماؤها السفنا
فأضحى لامتداد العمر أعلى صيدها سنّا
طوى أقرانه الدهر فلم تبق له قرنا
فلما اكتحلت عيني به أوسعته لعنا

(١) نظري : من الإطراء ، وهو المدح ، والجردق : نوع من الخبز .

حللنا عقد الشّوا ء عن جسم له مضنى
ومزقنا له درعاً يوارى أعظماً حجناً^(١)
نردُّ اليد بالخيلة عن أقربها مجنى
فما تمّ لنا الإفطار بالقوت ولا صمنا
وطاف الشيخ بالذنّ إلى أن نزع الدنا
فأدنى كدر العيش بها لا كان ما أدنى
مدام تجلب الهم ولا تطرده عنا
فلا النفس بها سرّت ولا القلب لها حنا
كأنّ شرابه مطبوخ على راحته اليمنى
وفاح البخر القاتل منه فتبخّرنا
وقال اغتتموا وصل فتاة برعت حسنا
فجاءت تخجل البدر وغصن البانة اللدنا^(٢)
وتصطاد قلوب الشرّ ب أجفان لها وسنى
فكدنا وأبى الله لنا والشيم الحسنى^(٣)
وقمنا نعطف الأزرق على العفة إذ قمنا
وقلنا يا لحاك الله نرني بعد ما شبننا!
فأبدى الأنس للقوم وأخفى الحقد والضغنا
هو الشنّ وما وافق منا طبق شنا^(٤)

(١) الحجن : المعوجة ، واحدها حجناء .

(٢) اللدن : الطري الناعم .

(٣) خبر كاد محذوف ، والتقدير : فكدنا نفعل ، وله نظائر في العربية منها قول العرب :
من تأتى نال أو كاد .

والشيم : الصفات والمزايا .

(٤) الشنّ : الوعاء البالي .

وقوله فيه [من مجزوء الرمل] :

لك يا ابن العصب الملحيّ عرضٌ مستباحٌ
وقفاً فيه لأيدي الشرب جدٌ ومزاح
هو للصفع قريحٌ وهو للرحب قراح
وقريضٌ مثلاً تنطق باللغو الفقاح^(١)
لست أدري أسلاح لك منه أم سلاح

* * *

غرر من الغزل والنسيب وما يتغنى به من شعر السري

وما أراني أروي أحسن ولا أشرف ولا أعذب ولا ألطف من قوله [من البسيط] :
قسمت قلبي بين الهم والكمد ومقلتي بين فيض الدمع والسهد
ورحت في الحسن أشكالاً مقسمةً بين الهلال وبين الغصن والعقد
أريتني مطراً ينهل ساكنه من الجفون وبرقاً لاح من برد
ووجنة لا يروى ماؤها ظمئي بخلا وقد لذعت نيرانها كبدي
فكيف أبقى على ماء الشئون وما أبقى الغرام على صبري ولا جلدي^(٢)

ومما يأخذ بمجامع القلوب قوله [من الوافر] :

بلاني الحب منك بما بلاني فشأنني أن تفيض غروب شاني^(٣)
أبيت الليل مرتفعاً أناجي بصدق الوجه كاذبة الأماني
فتشهد لي على الأرق الثريا ويعلم ما أجنّ الفرقدان
إذا دنت الخيام به فأهلاً بذاك الخيم والخيم الدواني
فبين سجوفها أقمار تم وبين عمادها أغصان بان

(١) الفقاح : جمع فقة وهي فتحة المؤخرة .

(٢) الشئون : مجاري الدمع .

(٣) الغروب : الدلو ، وهو يريد هنا محبس الدمع في العين .

ومذهبة الحدود بجلنار مفضضة الثغور بأقحوان
سقانا الله من ريك ريا وحيانا بأوجهك الحسان
ستصرف طاعتي عمّن نهاني دموعٌ فيك تلحي من لحاني
ولم أجهل نصيحته ولكن جنون الحبّ أحلّ في جناني
فيا ولع العواذل خلّ عني ويا كفّ الغرام خذي عناني^(١)

وقال من قصيدة [من البسيط] :

ومن وراء سجوف الرقم شمس ضحى تجول في جنح ليلٍ مظلمٍ داجي^(٢)
مقدودةٌ خرطت أيدي الشباب لها حقّين دون مجال العقد من عاج^(٣)
عهدي بأبي بكر الخوارزمي يحن على هذا الوصف .

وقال من أخرى [من الخفيف] :

لطمت خدّها بحمرٍ لطاف نال منها عذاب بيض عذاب
فتشكى العنّاب نور الأقاحي واشتكى الورد ناضر العنّاب

وقال [من مجزوء الكامل] :

قامت وخطو البانة الـ مياس في أثوابها
ويهزّها سكران سكر شرابها وشبابها
تسعى بصهباوين من الحاظها وشرابها
فكأنّ كأس مدامها لما ارتدت بحبابها^(٤)
توريد وجنتها إذا ما لاح تحت نقابها

(١) العنان : الزمام .

(٢) السجوف : الستائر .

(٣) الحقّ : وعاء الطيب .

(٤) الحباب : ما يعلو الخمر من فقاع .

وقال [من الكامل] :

لبستُ مصندلة الثياب فمن رأى صنماً تسربل قبلها أثوابا
وحكتُ من الطبي الغرير ثلاثةً جيداً وطرفاً فاتراً وإهاباً^(١)

وقال من قصيدة طويلة [من الطويل] :

إذا برزت كان العفاف حجابها وإن سمرت كان الحياء نقابها
حمئنا الليالي بعد ساكنة الحمى مشارب يهوى كل ظام شرابها
ألاحظها لحظ الطريد محله وأذكرها ذكر الشيوخ شبابها

* * *

تذكر أيام الصبا ومواطن الهوى

ما أحسن وأظرف قوله من قصيدة [من الكامل] :

أسلاسل البرق الذي لحظ الثرى وهناً فوشح روضه بسلاسل
أذكرتنا النشوات في ظل الصبا والعيش في سنة الزمان الغافل^(٢)
أيام أستر صبوتي من كاشح عمداً وأسرق لذتي من عاذل

وقوله من أخرى [من الوافر] :

تشئى البرق يذكرني الثنايا على أثناء دجلة والشعابا
وأياماً عهدت بها التصابي وأوطاناً صحبت بها الشبابا

وقوله من أخرى [من الكامل] :

ما كان ذاك العيش إلا سكرةً رحلت لذاذتها وحلّ خمارها

ومن أخرى [من الطويل] :

وكم ليلة شمّرت للراح رائحاً وبت لغزلان الصريم مغازلاً^(٣)

(١) الإهاب : الجلد .

(٢) السنة : النعاس والغفوة .

(٣) الصريم : القطعة من الرمل .

وَحُلِّيتُ كَأْسِي وَالسَّمَاءَ بِحُلِيِّهَا فَمَا عَطَلْتُ حَتَّى بَدَأَ الْأَفَقُ عَاطِلًا

وقوله من قصيدة يتشوق بها الموصل ونواحيها وهو بحلب [من الكامل] :

أَحْلَى صَبُوتَنَا دَعَاءَ مَشُوقٍ	يَرْتَاحُ مِنْكَ إِلَى الْهَوَى الْمَوْمُوقِ
هَلْ أَطْرَقَنَّ الْعَمْرُ بَيْنَ عَصَابَةٍ	سَلَكُوا إِلَى اللَّذَاتِ كُلِّ طَرِيقِ
أَمْ هَلْ أَرَى الْقَصْرَ الْمُنِيفَ مَعْمَأً	بِرْدَاءٍ غَيْمٍ كَالرِّدَاءِ رَقِيقِ
وَقَلَالِي الدَّيْرِ الَّتِي لَوْلَا النَّوَى	لَمْ أَرْمَهَا بِقُلَى وَلَا بِعَقُوقِ ^(١)
عَمْرَةَ الْجَدْرَانِ يَنْفَحُ طَيْبُهَا	فَكَأَنَّهَا مَبْنِيَةٌ بِخُلُوقِ
وَمَحَلَّ خَاشِعَةَ الْقُلُوبِ تَغْرَدُوا	بِالذِّكْرِ بَيْنَ فُرُوقِهِ وَفُرُوقِي
أَغْشَاهُ بَيْنَ مَنَافِقٍ مُتَجَمِّلٍ	وَمَنَاضِلٍ عَنْ كُفْرِهِ زَنْدِيقِ
وَأُغْنَى تَحْسَبُ جِيدَهُ إِبْرِيْقَهُ	مَا دَامَ يَسْفَحُ عَبْرَةَ الْإِبْرِيْقِ
يَتَنَازَعُونَ عَلَى الرَّحِيقِ غَرَائِباً	يَحْسَبْنَ زَاهِرَهُ كُؤُوسَ رَحِيقِ
صَدَرَتْ عَنِ الْأَفْكَارِ وَهِيَ كَأَنَّهَا	رَقْرَاقٌ صَادِرَةٌ عَنِ الرَّاوُوقِ ^(٢)
دَهْرٌ تَرَفَّقَ بِي فَوْقاً صَرْفَهُ	وَسَطاً عَلَيَّ فَكَانَ غَيْرَ رَفِيقِ ^(٣)
فَمَتَى أَزُورُ قَبَابَ مَشْرِقَةِ الذَّرَى	فَأُورِدُ بَيْنَ النَّسْرِ وَالْعِيُوقِ
وَأَرَى الصَّوَامِعَ فِي غَوَارِبِ أَكْمَهَا	مِثْلَ الْهُوَادِجِ فِي غَوَارِبِ نَوْقِ ^(٤)

ما نظرت إلى الصوامع بقرية بوزن من نيسابور إلا تذكرت هذا البيت واستأنفت التعجب من حسن هذا التشبيه وبراعته وفصاحته .

حِمْراً تَلُوحُ خِلَالَهَا بَيْضٌ كَمَا فَصَّلْتُ بِالْكَافُورِ سَمَطَ عَقِيقِ^(٥)

(١) قلا : أبغض . والقل : الكره .

(٢) الراووق : المصفاة ، والكأس .

(٣) الفواق : يقال فوق السهم أي أراشه أي أن أحداثه كالسهم .

(٤) أكْمَهَا : جمع أكمة نهي التلة العالية .

(٥) السمط : العقد .

كلفٌ تذكّر قبل ناهية النهى ظلّين ظلّ هوى وظلّ حديق^(١)
فتفرقت عبراته في خدّه إذ لا شير له من التفريق

* * *

حسن الخروج والتخلص

فمنه قوله من قصيدة في الوزير المهلبى [من الكامل] :

عصر مزجت شمائي بشموله وظلاله ممزوجة بشماله^(٢)
حتى حسبت الورد من أشجاره ينجي أو الريحان من آصاله
وكأنني لما ارتديت ظلاله جار الوزير المرتدي بظلاله

وقال من أخرى [من الكامل] :

أكني عن البلد البعيد بغيره وأردّ عنه عنان قلبٍ مائلٍ
وأود لو فعل الحيا بسهولة وحزونه فعل الأمير بآملٍ

ومن أخرى [من الكامل] :

وركائب يخرجن من غلس الدجى مثل السهام مرقن منه مرقا
والفجر مصقول الرداء كأنّه جلباب خوّدٍ أشربته خلوقا^(٣)
أغمامة بالشام شمن بروقها أم شمن من شيم الأمير بروقا^(٤)

ومن أخرى [من المتقارب] :

وبكر إذا جنبّتها الجنوب حسبت العشار تؤمّ العشارا^(٥)
ترى البرق يسم سراً بها إذا انتحب الرعد فيها جهارا

(١) كلف : عاشق .

(٢) الشمائل : الصفات الكريمة والشمول : الخمر .

(٣) الخود : الفتاة الناعمة ، وأشربته خلوقا : أي دمجته بالطيب .

(٤) شمن : ترقين .

(٥) العشار : النوق .

إذا ما تنمّر وسميها تعصّفرَ بارقُها فاستطارا^(١)
يعارضها في الهواء النسيم فينثر في الأرض درّاً صغارا
فطوراً يشقّ جيوب الحيا وطوراً يسحّ الدموع الغزارا
كأن الأمير أعار الرّبا شمائله فاشتملن المعارا

* * *

ملح من المدح

قال من قصيدة [من الكامل] :

ظلم التليد وليس من أعدائه وحباً الحسود وليس من أحبابه
فالغيث ينجل أن يلمّ بأرضه والليث يفرق أن يطيف بغابه

ومن أخرى [من البسيط] :

أقول للمبتغي إدراك سؤده خفضْ عليك أليس النجم مطلوباً
إن تطلب السّلم تسلّم من صوارمه أو تؤثر الحرب ترجعْ عنه محروباً^(٢)
كم من جبينٍ أزار السيف صفحته لعاد طرساً بحدّ السيف مكتوباً
وكم له في الوغى من طعنةٍ نظمتْ عداه أو نثرت رمحاً أنابياً

ومن أخرى [من الكامل] :

كالغيث يحيي إن همى والسيل ير دي إن طما والدهر يصمي إن رمى
شتى الخلال يروح إمّا سالباً نعم العدى قسراً وإمّا منعماً
مثل الشهاب أصاب فجاً معشياً بحريقه وأضاء فجاً مظلماً
أو كالغمام الجوّ إن بعث الحيا أحياء وإن بعث الصواعق ضرماً^(٣)

(١) تعصفر: لمع ، والعصفر: صبغ أصفر يستخرج من النبات .

(٢) المحروب : المحزون .

(٣) ضرماً : ألهب وأشعل .

عبس الردى في حده فتجهما
حتى ترى عقداً عليه منظماً
أحلى من اللبس الممنع واللى^(١)

أو كالحسام إذا تبسم متنه
كلف بدرّ الحمد يبرم سلكه
ويلمّ من شعث العلا بشمائل
ومن أخرى [من الكامل] :

وتوعّر الأيام من أوعاره
أو فاح فهو الروض في نواره

خلق سهول المكرمات سهوله
إن لاح فهو الصبح في أنواره
ومن أخرى [من الوافر] :

وفاز بمجدك الشرف التليد
ويوم السلم يطربك الشيد^(٢)

لقد شرفت بسؤددك القوافي
فيوم الحرب تطربك المذاكي
ومن أخرى [من المتقارب] :

فأعطى الفتوة حق الفتاء
وجه يرقق ماء الحياء

ومقتبل السنّ سن الندى
بكفّ ترقق ماء الحياة
ومن أخرى [من الكامل] :

بعد الذبول وعاد نور ذباله^(٣)
أعلاله وفتحت من أقاله

أما السماح فقد تبسم نوره
أطلقت من أغلاله وشفيت من
ومن أخرى [من الكامل] :

كالصبح فيه ترفّع وضياء

نسب أضاء عموده في رفعة

(١) يلمّ : يجمع ، والشعث : التفرّق واللبس واللى : السمرة في الشفاه .

(٢) المذاكي : جياذ الخيل .

(٣) الذيال : الفتيل في السراج .

وشمائيل شهد العداة بفضلها والفضل ما شهدت به الأعداء

ومن أخرى [من البسيط] :

يريك من رقة الألفاظ منطقهُ درّ العقود غدت محلولة العقدِ
جعلته جنةً من كلّ نائبةٍ ورحت من جوده في جنة الخلد^(١)

* * *

المدح بالبأس ووصف الجيش والسلاح والحرب

قال من قصيدة [من البسيط] :

ناديك من مطر الإحسان ممطور والبيض ظلُّ عليك الدهر منتشرُ
والشرك قد هتكت أستار بيضته كم وقعة لك شبت في الضلال بها
ونهضة خرّ فسطاط الكفور لها وخوفاً وأذعن بالفسطاط كافور^(٢)

ومن أخرى [من البسيط] :

لله سيفٌ تمنى السيف شيمته ودولة حصدتها فخرها الدولُ
وعاشقٌ خيلاء الخيل مبتذلُ نفساً تصان المعالي حين تبتذلُ
أشم تبدي الحصون الشم طاعته خوفاً ويسلم من فيها ويرتحلُ
تشوقه ورماح الخط مشرعةً نجل الجراح بها لا الأعين النجل^(٣)

(١) الجنة : الدرع والستر .

(٢) النقع : الغبار ، ومزورور : مقفل .

(٣) الفسطاط : القبة تضرب للسلطان .

(٤) الخط : بلدٌ مشهورة بالرماح . والنجل : الواسعة .

كأنه وهجير الروع يلفحه
فالصافنات حشايه وإن قلقت
لما تمزقت الأغمداء عن شغل
أكرم بسيفك فيها صائلاً غزلاً
ومن أخرى [من الكامل] :

ولرب يوم لا تزال جياهه
معقودة غرر الجياد بنقعه
يلقاك من وضح الحديد موضعاً
أقدمت تفترس الفوارس جرأة
والندب من لقي الأسنة سافراً
ومن أخرى [من الوافر] :

وأغلب عامه في السلم يوم
يُهَجَّرُ والرماح عليه ظل
ولكن يومه في الحرب عام
ويسفر والعجاج له لثام

ومن أخرى [من الكامل] :

جيش إذا لاقى العدو صدوره
حجبت له شمس النهار وأشرقت
لم يلق للأعجاز منه لحوقاً
شمس الحديد بجانيه شروقا

(١) الأسل : الرماح .

(٢) الصافنات : كرام الخيل ، والسابغات : الدروع .

(٣) يفري : يقطع ، والشثون : مجاري الدمع وغربة المقل : أي دمعها الذي لا ينقطع .

(٤) الوشيح : شجر نضغ من أغصانه الرماح .

(٥) غرر الجياد : البياض الذي في وجوههن .

(٦) الرهج : الغبار . والسنايك : الأطراف . والأدهم : الأسود .

ومن أخرى [من الكامل] :

كم معركٍ عرك القنا أبطاله فسقاهمُ في النَّقْعِ سَمًّا ناقعا
هَبَّتْ رياحك في ذراه سماءما وغدت سماؤك تستهلُّ فجائعا
فتركتَ من حرِّ الحديد مصائفاً فيه ومن فيض الدماء مرباعا

ومن أخرى [من الرمل] :

والضحى أدهم بالنقع فإن ضحكت فيه الظبا كان أغرَّ
موقفٌ لو لم يكن ناراً إذن لم تكن رزقٌ عواليه شرر
ينظم الطعن كلِّ أعدائه وعقود الهام فيه تنثر

* * *

العتاب

قال من قصيدة [من المتقارب] :

إلى كم أحبُّ فيك المديح ويلقى سواي لديك الحبور
لهمَّتْ عرائسه أن تصدَّ وهمت كواكبه أن تغورا
أيسلمني بعد أن رحت لي على ثوب الدهر جاراً مجيرا
وأسفر حظِّي لما رآ ك بيني وبين الليالي سفيرا
سأهدي إليك نسيم العتاب وأضمر من حرِّ عتبٍ سعيرا

وقال في معناه [من الوافر] :

أبا الهيجاء أصبحت القوافي تخبُّ إليك حجاً واعتمارا^(١)
عتاباً كالنسيم جرى لعتبٍ يضرُّمُ في الحشى مني استعارا

(١) أبا الهيجاء : يعني سيف الدولة الحمداني .

وقال يعاتب صديقاً أفشى له سرّاً [من الطويل] :

رأيتك تبري للصديق نوافذاً
وتكشف أسرار الأخلاء مازحاً
سأحفظ ما بيني وبينك صائناً
وألقاك بالبشر الجميل مداهنأً
أنم بما استودعته من زجاجةٍ
عدوك من أمثالها الدهر آمنُ
ويا ربّ مزحٍ راح وهو ضغائن
عهدك إن الحرّ للعهد صائن
فلي منك خيلٌ ما عرفت مداهن
ترى الشيء فيها ظاهراً وهو باطن^(١)

وقال في مثل ذلك [من الوافر] :

تنتهي عنك فاستشعرت هجرأً
وأنت كلما استودعت سرّاً
خلال فيك لست لها براضٍ
أنم من النسيم على الرياض

وقال في مثل ذلك [من البسيط] :

لسانك السيف لا يخفى له أثرُ
سرّي لديك كأسرار الزجاجة لا
فاحذر من الشعر كسرأً لا انجبار له
وأنت كالصلّ لا تبقي ولا تذرُ
يخفى على العين منها الصفو والكدر
فللزجاجة كسرٌ ليس ينجبر

وقال في مثل ذلك [من البسيط] :

أروم منك ثماراً لست أجنيتها
أستودع الله خيلاً منك أوسعهُ
كأن سرّي في أحشائه لهبُ
قد كان صدرك للأسرار جندلةُ
فصار من بعد ما استودعت جوهرةُ
وأرتجي الحال قد حلت أواخيها
ودأً ويوسعني غشاً وتمويهها
فما تطيق له طيأً حواشيها
ضينةً بالذي تخفي نواحيها
رقيةً تستشف العين ما فيها

وقال من قصيدة [من الكامل] :

لا تأنفنّ من العتاب وقرصه
فالمسك يُسحق كي يزيد فضائله

(١) أنم : أدلّ .

ما أحرق العود الذي أشمته خطأ ولا غمّ البنفسج باطلاً^(١)

* * *

هذا مما أخرج له في الربيع وآثاره وأنواره وأزهاره

فمنه قوله من قصيدة [من البسيط] :

أما ترى الجوَّ يجلي في مُمَسَكَةٍ
إذا ألحَّ حسامُ البرق مؤتلقاً
والريح وسنى خلال الروض وانيةً
والأرض تختال في أبرادها القشب
في الومض جدّ خطيب الرعد في الخطب^(٢)
فما يراع لها مستيقظ الترب^(٣)

وقال من أخرى [من الرمل] :

شاقني مستشرف الدير وقد
أهواءُ رِقٍّ في أرجائه
أم خدودٌ سفرت عن وردها
مجلسٌ ينصرف الشرب وما
وكانَ الشمس فيه نثرت
بين غُدُرٍ تقع الطير بها
ونسيمٍ وكره الروض فإن
راح صوب المزن فيه وبكرُ
أم هوى راق فما فيه كدر
أم ربيع عن جنى الورد سفر^(٤)
طُوِيَتْ من بُسْطه تلك الحُبُر
ورقاً ما بين أوراق الشجر
فتراهن رياضاً في غُدُرٍ
طار في الصبح ارتديناه عطر

(١) غمّ : أخفي ، أو من الغمّ : الحزن .

(٢) الومض : البريق .

(٣) وسنى : ناعسة ذابلة .

(٤) سفرت : كشفت وأبدت .

(٥) الحبر : جمع حبرة ، وهو الثوب الموشى .

وثرى يشهد بالطيب له عقب خالف أطراف الأزر
وغيوم نشرت أعلامها فلها ظل علينا منتشر

ومن أخرى [من الكامل] :

وحقائق يسبك وشي برودها حتى تشبهها سائب عبقري^(١)
يجري النسيم خلالها وكأنما غمست فضول ردائه في العنبر
باتت قلوب المحل تخفق بينها بخفوق رايات السحاب الممطر
من كل نائي الحجرتين مؤلّع بالبرق داني الظلتين مشهر
تحدي بالسنة الرعود عشاره فيسير بين مغرر ومزجر^(٢)
طارت عقيقة برقه فكأنما صدعت ممسك غيمه بمعصر^(٣)

وقال في روض وغدير فيه طير الماء من أرجوزة [من الرجز] :

وضاحك الروض محلّى المنزل سبط هبوب الريح جعد المنهل
موشح بالنور أو مكلل مفروجة حلتته عن جدول
أقبل قد غصّ بمدّ مقبل والطير ينقض عليه من عل

* تساقط الوشي على المصنل *^(٤)

وقال في الورد [من السريع] :

لو رحت كأسٌ بذى زورقة لرحبت بالورد إذ زارها
جاء فخلناه خدوداً بدت مضرمةً من خجل نارها
وعطر الدنيا فطابه به لا عدمت دنياه عطّارها

(١) السائب : الطرق . عبقري : موضع زعم العرب أنه موطن للجن .

(٢) تحدي : تسوق .

(٣) العقيقة : واحدة العقيق ، وهو الخرز الأحمر .

(٤) المصنل : من الصندل وهو شجر هندي أبيض الزهر طيب الرائحة .

وقال في وصف الروض وقوس قزح [من مجزوء الرجز] :

إن عن لهوٍ أو سنحٍ	فاغدُ إلى الراح ورحُ
رضيت أن أحظى بعزٍّ	الكأس والحظ منح
وصاحبٍ يقدح لي	نار السرور بالقدح
في روضةٍ قد لبست	من لؤلؤِ الطلِّ سبح ^(١)
يألفني حمامها	مغتبقاً ومصطح ^(٢)
أوقظه بالعزف أو	يوقظني إذا صدح
والجوِّ في ممسكٍ	طرازه قوس قزح
يكي بلا حزنٍ كما	يضحك من غير فرح

وقال [من المتقارب] :

هفا طرباً في أوان الطرب	فأنخب أقداحه كالنخبُ
وغنى ارتياحاً إلى عارضٍ	يغني وعبرته تنسكب ^(٣)
غيومٌ تمسك أفق السماء	وبرقٌ يكتبُهُ بالذهب
وخضراء ينثر فيها الندى	فريد ندى ما له من ثقب
فأنوارها مثل نظم الحلّى	وأنهارها مثل بيضِ القضب ^(٤)
حللت بها مع ندامى سلوا	عن الجِدِّ واشتهروا باللعب
وأغتهم عن بديع السماع	بدائع ما ضمته الكتب
وأحسن شيء ربيع الحيا	أضيف إليه ربيع الأدب

(١) السبح : العقد .

(٢) الاغتياق : الشرب مساء والصبح : الشرب صباحاً .

(٣) العبرة : الدمعة . وتنسكب : تذرّف .

(٤) القضب : السيوف .

وقال في وصف البرد [من الكامل] :

يومٌ خلعتُ به عذارى	فعریتُ من حلل الوقارِ
وضحكتُ فيه إلى الصبا	والشيب يضحك في عذارى
متلونٌ بيدي لنا	طرفاً بأطراف النهار
فهواؤه سكب الردا	ء وغيمه جافى الإزار
ييكى فيجمد دمه	والبرق يكحله بنار

* * *

الشراب وما يتصل به

قال يصف باقي زجاجة الكأس من أعلاها إذا كانت ناقصة من الشراب [من الطويل] :

أعاذل إنَّ النَّائِبَاتِ بِمِرْصِدِ	وإنَّ سرور المرء غير مخلدٍ
إذا ما مضى يوم من العيش صالح	فصِلُهُ بيومٍ صالح العيش من غد
وحالية من حسننها وجمالها	وإنَّ برزت عطل الشوى والمقلد ^(١)
تعاطيك كأساً غير ملأى كأنما	فواقعها أحداق درعٍ مزرد ^(٢)
كأنَّ أعاليها بياض سوافر	يلوح على توريد جيب مورّد

وقال في مثل ذلك [من الطويل] :

وصفراء من ماء الكروم شربتها	على وجه صفراء الغلائل غضةً
تبدتُ وفضل الكأس يلمع فوقها	كأترجةٍ زيتُ بأكليل فضة ^(٣)

(١) العطل : عدم التزيّن بالحلي والشوى من الإنسان : أطرافه والمقلد : موضع القلادة .

(٢) الفواقع : حباب الخمر .

(٣) الأترجة : من الأترج ، وهو شجر وثمر من جنس الليمون تسميه العامة « الكباد » .

وقال في مثل ذلك [من المتقارب] :

دعانا إلى اللهوداعي السرور	فبتنا نبوح بما في الصدور
وطافت علينا بشمس الدنا	ن في غسق الليل شمس الخدور
كأن الكؤوس وقد كَلَّتْ	بفضلاتهن أكاليل نور
جيوبٌ من الوشي مزرورة	يلوح عليها بياض النحور ^(١)

وقال [من المنسرح] :

وفتية دارت السَّعود لهم	فدار للراح بينهم فلكٌ
بتنا وضوء الكؤوس يهتِك بالـ	إشراق ستر الدجى فينتهك
ترى الثريا والبدر في قرنٍ	كما يحيا بنرجسٍ ملك ^(٢)

وقال وقد شرب ليلة في زورق [من الطويل] :

ومعتدلٍ يسعى إليَّ بكأسه	وقد كاد ضوء الصبح بالليل يفتكُ
وقد حجب الغيم السماء كأنما	يزرَّ عليها منه ثوب ممسكُ
ظللنا نبث الوجد والكأس دائرُ	ونتهك أستار الهوى فتهتك ^(٣)
ومجلسنا في الماء يهوي ويرتقي	وابريقنا في الكأس يبكي ويضحك

وقال من قصيدة [من المتقارب] :

وساق يقابل إبريقه	كما قابل الطَّبي ظيأً ربيا
يطوف علينا بشمسيةٍ	نروع بها الشمس حتى تغيا

وقال من أخرى [من المتقارب] :

وملآن من عبرات الكروم	كأنَّ على فمه عصفرا
-----------------------	---------------------

(١) الوشي ؛ التفويف والتطريز ، ومزرورة : مغلقة .

(٢) القرن : القيد والعقد .

(٣) البث : النجوى .

إذا قربته أكفُ السَّقا
تروحه عذبات الفدام
وريم إذا رام حث الكؤو
وجرد من طرفه خنجراً
ترى ورد وجنته أحمرأ
من الكأس قهقه واستعبرا
برياً النسيم إذا ما جرى^(١)
س قطب للتيه واستكبرا
ومن نون طرته خنجراً^(٢)
وريحان شاربهُ أخضرا

وقال [من مجزوء الرجز] :

اشربُ فقد شردَ ضو
وانبسط النور على
كأنما أطلع ما
وصوبَ الإبريق في الـ
كأنه إذ مجَّها
ءُ الصبح عنا الظلما
وجه الثرى فابتسما
ء المزن فيه أنجما
كأس مداماً عندما^(٣)
مقهقه يكي دما

وقال يذكر ليلة سكر فيها بقطريل ويصف الشمع [من المتقارب] :

كستك الشبيبة ريعانها
فدم للنديم على عهده
فقد خلع الأفق ثوب الدجى
وساق يواجهني وجهه
يتوَّج بالكأس كفّ النديم
فطوراً يوشح ياقوتها
رميت بأفراسها حلبة
وأهدت لك الراح ريحانها
وغاد المدام وندمانها
كما نضت البيض أجفانها
فتجعلهُ العين بستانها
إذا نظم الماء تيجانها
وطوراً يرصع عقيانها^(٤)
من اللهو ترهج ميدانها

(١) الفدام : المصفاة توضع على الإبريق .

(٢) الطرة : خصلة الشعر في أعلى الجبين .

(٣) العندم : نبات يصنع به .

(٤) العقيان : الذهب الخالص .

فكدت أقبل صلبانها
بروح تحيف جثمانها^(١)
وسرج ذراها وألوانها
لهيباً يزين أفنانها
وقد أكلت فيه أبدانها
لهوت فغازلت غزلانها^(٢)
إليّ فأنكرت إحسانها

وديرا شغفت بغزلانه
فلما دجى الليل فرجته
بشمع أعير قدود الرماح
غصون من التبرقد أزهرت
فيا حسن أرواحها في الدجى
سكرت بقطربل ليلة
وأي ليالي الهوى أحسنت

وقال [من البسيط] :

واجمع بكأسك شمل اللهو والطرب
في الشرق ينشر أعلاماً من الذهب
كأنما البرق فيها قلب ذي رعب
وقابلتك سعود العيش عن كذب
بقهوة الفلج المعشوق والشنب^(٣)
ودعت طيب الشباب الغض لم يطب
وكيف أقصر والأيام في طلبي
فالكأس تاج يد المثري من الأدب

قم فانتصف من صروف الدهر والنوب
أما ترى الصبح قد قامت عساكره
والجو يختال في حجب ممسكة
وجانبك صروف الدهر فأنصرفت
فاخلع عذارك واشرب قهوة مزجت
فالعيش في ظل أيام الصبا فإذا
جريت في حلبة الأهواء مجتهداً
توج بكأسك قبل الحادثات يدي

وقال [من البسيط] :

والدهر منصرف والعيش منقرض
وفي المدامة من شمس الضحى عوض

خذوا من العيش فالأيام فانية
في حامل الكأس من بدر الدجى خلف

(١) تحيف : تظلم ، والجثمان : الجسد .

(٢) قطربل : إسم بلد .

(٣) الفلج : الذي تباعد ما بين أسنانه يقصد « الرضاب من الفم » . والشنب : البارد .

مبسوطةً بالعطايا ليس تنقبض
وللدجى عارضٌ في الجو معترض
كأنهنَّ عيونٌ حشوها مرض

كأنَّ نجم الثريا كفَّ ذي كرمٍ
دارت علينا كؤوس الراح مترعةً
حتى رأيت نجوم الليل غائرة

وقال يصف ظل كرم [من الطويل] :

ولا تخش إثمًا لست فيها بآثمٍ
يروح الفتى منها خضيب المعاصم^(١)
يغنيك في قطريه ورق الحمام
على الأرض إلا مثل نثر الدراهم

أدراها ففقد اللوم إحدى الغنائم
ولا عيش إلا في اعتصامٍ بقهوةٍ
ولا ظلٌّ إلا ظلَّ كرمٍ معرَّشٍ
سما غصونٍ تحجب الشمس أن ترى

وقال [من البسيط] :

ويستفيد من الهجران مهجورٌ
وما به عن تمام الحسن تقصير
فالصحو فيروزج والغيم سمور^(٢)

اليوم يعذب وردٌ فيه تكدير
حثَّ الكؤوس فذا يوم به قصرٌ
صحوٌ وغيمٌ يروق العين حسنها

وقال [من الطويل] :

فكانت لنا ورداً إلى ضحوة الغد^(٣)
توهَّمته يسعى بكمٍّ مورد

وبكرٍ شربناها على الورد بكرةً
إذا قام مبيضُ اللباس يديرها

* * *

(١) القهوة : الخمر .

(٢) السمور : حيوان يضع جلده فراءً .

(٣) الضحوة : ارتفاع الشمس أو النهار .

استهداء الشراب

كتب إلى أبي الحسن الشمشاطي [من المتقارب] :

أبا حسن إن وجه الربيع جميلٌ يزان بحسن العقار^(١)
فإن الربيع نهار السرو ر والراح شمس لذاك النهار
وإنك مشرقها إن أردت وإن لم ترد غربت في استتار
فأجر إليّ بحار العقار فمن فيض كفيك فيض البحار
وقد عبأ الهَم لي جيشه وليس له غير جيش الخمار

وكتب في يوم فصدّه إلى أبي إسحاق الصابي [من مجزوء الوافر] :

أبا إسحق يا جبلي ألوذ به ومعتصمي^(٢)
ويا سيفي أصول به ويا حليّ ويا حرمي
أرقت دمي وأعوزني سليل الكرم والكرم
وبين يديّ مخجلة سواد القار والظلم^(٣)
تري اللهوات تحجبها إذا وقعت حيال فمي
ولست أسيغها إلا كلون الورد والعنم
فشيئاً من دم العنقو د أجعله مكان دمي

وكتب إلى أبي الهيجاء الحمداني [من الطويل] :

تجنّبي حسن المدام وطيبها فقد ظمئت نفسي وطال شحوبها
وعندي ظروف لو تظرف دهرها لما بات مُعْرِىً بالكآبة كوبها
وشعث دنانِ خاوياتِ كأنها صدور رجال فارقتها قلوبها

(١) العقار : الخمرة .

(٢) ألوذ : أحتمي .

(٣) القار : القطران .

فسقياك لا سقيا السحاب فإنما
وكتب إلى صديق له [من البسيط] :

أبا الحسين دعت نفسي أمانها
تصرم الصوم عنا بعد ما ظمئت
فجد بعذراء مثل الشمس تعذرها
واعلم بأن ظروف الراح إن كبرت
وكتب إلى صديق له في وقت كثير الثلج شديد البرد من أبيات [من الطويل] :

طرقتك ممثاحاً وليس لطارق
جنوب تحت المزن حثاً وشمأل
وضوء حريق ألبس الأرض ثوبه
تثير الصبا في الجو منه عجاجة
وما انفل حد القر إلا بقهوة
إذا لبست أثوابها فعقيقة
تدور علينا كأسها في غلائل
فألبس منها جبّة حين أنتشي
وإني خليق من نذاك بمثلها
يرومك من وقع الضريب طريق^(٣)
تعبس منه الوجه وهو طليق^(٤)
يخاف على الإقدام منه حريق
كما انتشر الكافور وهو سحق
ترقرق في كاساتها فتروق
وإن نشرت أنفاسها فخلق^(٥)
رقاق ترد العيش وهو رقيق
وأخلعها بالكره حين أفيق
وأنت بما أملت منك خليق

* * *

(١) تصرم : مضى وانقضى .

(٢) الصدف : التكبر والعجب .

(٣) الممتاح : الطالب ، والضريب : الجليد .

(٤) الجنوب : الريح الجنوبية ، وتحت : تسوق وتسرع .

(٥) الخلق : الطيب أو نوع منه .

هذا ما أخرج له في الاستزارة ووصف آلتها

قال يدعو صديقاً له ، ويصف غرفة له بالموصل مشرفة على الرض الأسفل والنهر ، ويصف ما عنده من قدر وكنون ونار وشراب [من المتقارب] :

لنا غرفةً حسنت منظرًا	وطابت لساكنها مخبرا
ترى العين من تحتها روضةً	ومن فوقها عارضاً ممطرا
وينساب قدأماها جدولٌ	كما دُعر الأيْمُ أو نُفْرًا ^(١)
وراح كأن نسيم الصبا	يحمل من نشرها العنبرا
وعنديّ علقٌ قليل المكاس	وندمان صدق قليل المرا ^(٢)
ودهماء تهدر هدر الفنيق	إذا ما امتطت لهباً مسعرا ^(٣)
تجيش بأوصال وحشيّة	رعت زهرات الربا أشهرا
كأن على النار زنجيةً	تفرجُ ثوبا لها أصفرا
وذو أربع لا يطيق النهوض	ولا يآلف السير فيمن سرى
نحملّه سبجاً أسودا	فيجعله ذهباً أحمرّا
وقد بكر العبد من عندنا	يزفُ لك الطرف والممطرا
فشمّر إلى روضةٍ ترتضي	فإن أخوا الجِدَّ من شمرا

وقوله [من المنسرح] :

لم ألق ريحانةً ولا راحا	إلاّ تشني إليك مرتاحا
وعندنا ظبيةٌ مهفهفةٌ	ترأم ريماً يحنُّ صداحا ^(٤)

(١) الأيْم : الحية الذكر ، ونُفْر : أي دعر فغادر مكانه هرباً .

(٢) المكاس : الماكسة ، والمراء : المجادلة وقد قصره مضطراً .

(٣) الفنيق : الفحل المكرم .

(٤) ترأم : تحنُّ وتعطف .

تفسد قلبي إن أصلحته ولا
وفتية إن تذاكروا ذكروا
وقد أضاعت نجوم مجلسنا
إن جمدت راحنا غدت ذهباً
عصابةً إن شهدت مجلسهم
أغلق باب السرور دونهم
أرى لما أفسدته إصلاحاً
من الكلام المليح أرواحاً
حتى اكتسى غرةً وأوضاحاً
أو ذاب تفاحنا غدا راحاً
كنت شهاباً له ومصباحاً
فكن لباب السرور مفتاحاً

وقال يصف كانون نار ويدعو صديقاً [من المنسرح] :

يوم رذاذ ممسك الحجب
ومجلس أسبلت ستائرهُ
وقد جرت خيل راحنا خيباً
والتهبت نارنا فمنظرها
إذا ارتمت بالشرار واطردت
رأيت ياقوتة مشبكة
فصر إلى المجلس الذي ابتسمت
يضحك فيه السرور عن كذب
على شمس البهاء والحسب
في جريها أو هممّن بالخيب^(١)
يغنيك عن كل منظر عجب
على ذراها مطارد اللهب
تطير عنها قراضة الذهب^(٢)
فيه رياض الجمال والأدب

وقال [من الكامل] :

نفسى فداؤك كيف تصبر طائعاً
حنّت نفوسهم إليك فأعلنوا
وغدوا لراحهم وذكرك بينهم
فاذا جرت خيباً على أيديهم
عن فتية مثل البدور صباح
نفساً بغلّ مسالك الأرواح
أذكى وأطيب من نسيم الراح
جعلوه ريحاناً على الأقداح

(١) الخيب : نوع من العدو .

(٢) القراضة : النثار .

وقال [من الطويل] :

لنا روضةً في الدار صيغ لزهراها
يطوف بنا منها إذا ما تيسمت
وندمان صدق نثره ونظامه
وقد رقَّ ثوب الغيم حتى كأنما
فزر مجلساً قد شرف الله أهله
ولا تعدُّ أفعال الظريف ، فإنه
وقال [من الوافر] :

هواءٌ كالهوى حسناً وظرفاً
وختيانٌ كرامٌ باكره
فإن بادرتهم جعلوك بدرأ
وخيشٌ ليس يترك أن يجفأ^(١)
ونجمٌ صباحهم يبدو ويخفى
وإن خالفتهم جعلوك خلفاً

* * *

أوصاف شتى

قال في وصف الهلال [من الوافر] :

ألا عدلي بباطيةٍ وكاسٍ
وذاكرني بشعر أبي فراسٍ
وغيمٍ مرهفات البرق فيه
وقد سلَّت جيوش الفطر فيه
ورعٌ همِّي بايريق وطاسٍ^(٢)
على روضٍ كشعر أبي نواسٍ
عوارٍ ، والرياض به كواسي
على شهر الصيام سيوف باسٍ

(١) الشنوف : حليٌّ تعلَّق في الآذان .

(٢) الحلبتين : الغداة والعشي .

(٣) الخيش : نسيج من أردأ الكتان غليظ الخيوط .

(٤) الباطية : آنية الخمر .

ولاح لنا الهلال كشطر طوقٍ على لَبَات زرقاء اللباس^(١)
وقال [من المنسرح] :

جاءك شهر السرور شوال وغال شهر الصيام مغتالٌ
أما رأيت الهلال يرمقه قومٌ لهم إن رأوه إهلال
كانه قيد فضة حرج فضّ عن الصائمين فاختالوا
قال في وصف الريحان [من الكامل] :

وبساط ريحان كماء زبرجدٍ عبثٌ بصفحته الجنوبُ فأرعدا
يشتاقه الشَّرب الكرام فكَلِّمًا مرض النسيم سعوا إليه عودًا^(٢)
وقال في وصف طبل العزف [من الكامل] :

ومقيّد الطرفين يطرب عند تضيق القيود
ولقد يلطم خدّه في حال ترفيه الخدود
وكأنّما زأراته يحسبن زأرات الأسود
أنظر إليه مع المدا م ترى بروقاً مع رعود

وقال في وصف البراغيث [من الرجز] :

وليلة من نقمات الدهر قطعتها نزر الكرى والصبر
مكلم الظهر جريح الصدر مقسّما بين أعادٍ خزر^(٣)
كُمت إذا عاينتها وشقر كأنّها آثارها في الأرز^(٤)

(١) اللَّبَات : الصدور ، أو موضع القلادة منها .

(٢) عوداً : زائرين .

(٣) مكلم الظهر : جريحه . والخزر : الضيق في العين .

(٤) الكُمت : الخيل التي لونها يميل إلى الأحمر أو الأسود .

وصف المروحة [من الطويل] :

ومبثوثة في كلّ شرقٍ ومغربٍ
يحركُ أنفاسَ الرياحِ حراكها

وصف منثور [من الكامل] :

ومجرّد كالسيف أسلم نفسه
ثوبٌ تمزّقه الأنامل رقةً
فكانه لما استوى في خصره

وصف الديك [من الكامل] :

كشف الصباح قناعه فتألّقا
وعلا فلاح على الجدار موشحا
مرخٌ فضول التاج في لبّاته

وصف كلاب الصيد [من الطويل] :

غدوت بها مجنونةً في اغتدائها
لهن شياتٌ كالزوامج أصبحت
وأيدٍ إذا سلّت صوالج فضةً

وفي مثله [من الطويل] :

إذا ما دعونا لاحقا ومعانقا
وقيدٌ لدينا واثبٌ ومخالسٌ

(١) مرخ : مدّهنٌ بالطيب ، والمرخ : النبات الذي طالت عيدانه وطاب ورقه .

(٢) الحين : الهلاك والموت .

(٣) الشيات : جمع شية وهو اللون ، والزوامج : ربما كانت جمع زَمَج ، وهو طائرٌ دون العقاب يصاد به ، في قمته حمرة غالبة .

(٤) الصوالج : الفضّة الصافية .

فذلك يومٌ جانب السعد سربه
 كأن جلود الوحش بين كلابها
 مصندلة القمصان شقَّتْ جيوبها
 وقوبل بالنحس الطباء الكوانس^(١)
 وقد دميت أجيادها والمعاطس^(٢)
 ورقرق فيهن العير العرائس

وقال في وصف قدر [من مخلع البسيط] :

سوداء لم تنتسب لحام
 كأنما تحتها ثلاق
 يلعب في جسمها لهبٌ
 لها كلامٌ إذا تناهت
 وهي وإن لم تذق طعاماً
 لم يخل من رفدها نديمي
 ولى إذا الضيف عاد أخرى
 عظيمة إن غلت أذابت
 كأنما الجن ركبَّتها
 لها دخان تضل فيه
 كأنما النار ألبستها
 ولم يزل مالنا مباحاً
 نأخذ للقتل منه سهماً
 ولم ترم ساحة الكرام^(٣)
 مقترباتٌ من الحمام
 لعب سنا البرق في الظلام
 غير فصيح من الكلام
 مملوءة الجسم من طعام
 يوم خمارٍ ولا مدام
 مصرعٌ حولها سوامي^(٤)
 بغليها لابس العظام
 على ثلاثٍ من الأكام
 عجاجة الجحفل اللّهام^(٥)
 معصفراتٍ من الضّرام
 من غير ذلٍّ ولا اهتضام^(٦)
 وللندی سائر السهام

(١) الكوانس : الداخلات في أكستهن .

(٢) المعاطس : الأنوف .

(٣) حام : أبو السود .

(٤) السوام : الماشية .

(٥) اللّهام : الكثير العدد .

(٦) اهتضام : انتقاص .

وصف حمل مشوى [من الرجز] :

أُنعته معصفر البردين	أبيض صافي حمرة الجنين
خَلَفَ شهرين على الخلفين	ثم رعى بعدهما شهرين ^(١)
فجسمه شبران في شبرين	يا حسنه وهو صريع الحين ^(٢)
بين ذراعين مفصلين	كسارق حُدَّ من اليدين
وطرف يستوقف الطرفين	كمثل مرآة من اللجين
مُذهبة المقبض والوجهين	تعرفه مرفهة الحدين
بهكف طاه عطر الكفين	شق حشاه عن شقيقتين
أختين في القدَّ شيهتين	كما قرنت بين كمأتين

* أو كَرَّتِي مسك لطيفتين *

وقال يصف جام فالودج ويعبث بأبي بكر الخالدي ، ويشير إلى أنه يميل إلى

البرطيل^(٣) [من الطويل] :

إذا شئت أن تجتاح حقاً بياطل	وتغرق خصماً كان غير غريق
فسائل أبا بكر تجد منه سالكاً	إلى ظلمات الظلم كل طريق
ولأطفه بالشهد المخلوق وجهه	وإن كان بالألطف غير حقيق
بأحمر مبيض الزجاج كأنه	رداء عروس مُشرب بخلوق
له في الحشا برد الوصال وطيبه	وإن كان يلقاه بلون حريق
كأن بياض اللوز في جنباته	كواكب لاحت في سماء عقيق

(١) الخلفين : يقال شاة ذات خلفين : أي ولدت ستة ذكراً وستة أنثى .

(٢) الحين : الموت .

(٣) البرطيل : الرشوة .

وصف الفقاع [من المنسرح] :

لست بنافر خمّار مخمور
يطير عن رأسه الفقاع إذا
رامٍ بسهمٍ كأنّه خصرٌ
يميل أعلاه وهو منتصبٌ
إلّا بصافي الشراب مقرور^(١)
نفسـت عنه خناق مزرور^(٢)
وطيب نشرٍ نسيم كافور
كأنّه صولجان بلّور

وصف طبيب بارع [من السريع] :

برّز إبراهيم في علمه
أوضح نهج الطب في معشرٍ
كأنّه من لطف أفكاره
إن غضبت روحٌ على جسمها
فراح يدعى وارث العلم
ما زال فيهم دارس الرسم
يجول بين الدّم واللّحم
أصلح بين الروح والجسم

وفي مثل ذلك [من الكامل] :

هل للعليل سوى ابن قرة شافي
أحيا لنا زسم الفلاسفة الذي
فكأنه عيسى ابن مريم ناطقا
مثلت له قارورتي فرأى بها
يبدو له الداء الخفي كما بدا
بعد الآله وهل له من كافي
أودى وأوضح رسم طبّ عافي
يَهَبُ الحياة بأيسر الأوصاف
ما اكتنّ بين جوانحي وشغافي^(٣)
للعين رضرارض الغدير الصافي^(٤)

وصف مزين حاذق [من المتقارب] :

هل الحذق إلّا لعبد الكريم
إذا لمع البرق في كفه
حوى فضله حادثاً عن قديم
أفاض على الرأس ماء النعيم

(١) المقرور : البارود .

(٢) الفقاع : حباب الحمر ، ونفست : كسحت وكشطت .

(٣) اكتنّ : استتر ، والشغاف : حجاب القلب .

(٤) الرضرارض : الحصى الدفاق في مجاري الماء .

جهول الحسام ولكنه يروح ويغدو بكفي حليم
له راحة سيرها راحة تمر على الرأس مر النسيم
نعما بخدمته مذ نشا فنحن به في نعيم مقيم

* * *

١٠٧ - أبو بكر محمد ، وأبو عثمان سعيد ، ابنا هاشم الخالديان

إن هذان لساحران ، يغبان بما يجلبان ، ويدعان فيما يصنعان ، وكان ما
يجمعهما من أخوة الأدب ، مثل ما ينظمهما من أخوة النسب . فهما في الموافقة
والمساعدة ؛ يحييان بروح واحدة . ويشتركان في قرض الشعر وينفردان ، ولا
يكادان في الحضر والسفر يفترقان . وكانا في التساوي والتشابه . والتشاكل
والتشارك ، كما قال أبو تمام [من المتقارب] :

رضيعي لبان شريكي عنان عتيقي رهان حليفي صفاء

بل كما قال البحتري [من الكامل] :

كالفرقدين إذا تأمل ناظر لم يعمل موضع فرقدي عن فرقدي

بل كما قال أبو إسحاق الصابي فيهما [من الطويل] :

أرى الشاعرين الخالدين سيرا	قصائد يفني الدهر وهي تُخلد
جواهر من أكار لفظ وعونه	يقصر عنها راجز ومقصد
تنازع قوم فيهما وتناقضوا	ومر جدال بينهم يتردد
فظائفة قالت سعيد مقدم	وطائفة قالت لهم بل محمد
وصاروا إلى حكمي فأصلحت بينهم	وما قلت إلا بالتي هي أرشد
هما في اجتماع الفضل زوج مؤلف	ومعناهما من حيث يثبت مفرد
كذا فرقدا الظلماء لمّا تشاكلا	علا أشكلا هل ذاك أم ذاك أمجد ^(١)

(١) تشاكلا : تشابها .

فزوجهما ما مثله في اتفاقه وفردهما بين الكواكب أوجد
فقاموا على صلح وقال جميعهم رضينا وساوى فرقد الأرض فرقد^(١)

وما أعدل هذه الحكومة من أبي إسحاق ! فما منهما إلا محسن ينظم في
سلك الإبداع ما فاق وراق . ويكثر بمحاسنه وبدائعه الأفراد من شعراء الشام
والعراق . وقد ذكرت ما شجر بينهما وبين السري في شأن المصالحة والمشاركة ،
وما أقدم عليه السري من دس أحسن أشعارهما في شعر كشاجم ، وكان أفاضل
الشام والعراق إذ ذاك فرقتين : إحداهما - وهي في شق الرجحان - تتعصب عليه
لهما . لفضل ما رزقاه من قلوب الملوك والأكابر . والأخرى تتعصب له عليهما ،
وقد بدأت بملح شعر أبي بكر لأنه أكبر الأخوين :

* * *

هذه نبذ مما اتفق له فيه التوارد مع السري أو التسارق

قال أبو بكر [من مجزوء الرمل] :

قيام مثل الغصن الميَّاد في غصَّ الشباب^(٢)
يمزج الخمر لنا بالـصَّفْو من ماء الشراب
فكأنَّ الكأس لما ضحكت تحت الحجاب^(٣)
وجنة حمراء لاحت لك من تحت النقاب

وقال السري [من الكامل] :

وكان كأس مدامها لما ارتدت بحبابها

(١) الفرقد : النجم .

(٢) الميَّاد : المتمايل والمتنَّي . وغصَّ الشباب : الفتوة والنشاط .

(٣) الحجاب : ما يعلو الخمرة أثناء صبها في الكأس من فقاغ .

توريد وجتها إذا ما لاح تحت نقابها
وقال أبو بكر [من الطويل] :

ألا فاسقني والليل قد غاب نوره لغية بدرٍ في الغمام غريق
وقد فضح الظلماء برقُ كآته فؤاد مشوقٍ مولعٍ بخفوقٍ

وإنما سرقة من قول ابن المعتز [من الطويل] :

أمنك سرى يا سرّ طيفُ كآته فؤادُ مشوقٍ مولعٍ بخفوقٍ
رجع :

مداماً كأن الكف من طيب نشرها وصفرتها قد خلقتُ بخلوق^(١)
نعائنها نوراً جلاه تجسد ونشربها ناراً بغير حريق
كأنّ حباب الكأس في جنباتها كواكب درّ في سماء عقيق
وقد مر مثله للسري في وصف الفالودج .

وقال أبو بكر [من المنسرح] :

مطرب الصبح هيج الطربا لما قضى الليل نجه انتحبا
مغرّدٌ تابع الصباح فما ندري رضا كان ذاك أم غضبا
ما تنكر الطير أنه ملكٌ لها فبالتاج راح معتصبا^(٢)
طوى الظلام البنود منصرفاً حين رأى الفجر ينشر العذبا^(٣)
والليل من فتكة الصباح به كراهبٍ شقّ جيّه طرباً

(١) النشر : العبق الطيب ، والخلوق : الطيب .

(٢) معتصباً : متوجّحاً رأسه به .

(٣) العذبا : أي خيوطه الأولى ، وعذبة الشيء طرفه .

وللسري في مثله [من المنسرح] :

كراهبٍ حنّ للهوى طرباً فشقّ جلبابه من الطرب

قال أبو بكر [من المنسرح] :

فباكر الخمرة التي تركت كأنما صبّ في الزجاجه من
وليس نار الهموم خامدةً يظلّ زقّ المدام ممتهاً
بنان كفّ المدبر مختضبا لطفه ومن رقة نسيم صبا
إلاّ بنور الكؤوس ملتهبا^(١) سحبا وذيل المجون منسحبا^(٢)

ومنها في وصف كانون نار :

ومقعد لا حراك ينهضه مصفرّ محرق تنفسه
إذا نظمنا في جیده سبحاً وهو على أربع قد انتصبا
تخاله العين عاشقاً وصبا^(٣) صيره بعد ساعة ذهباً^(٤)

ومثله للسري [من المتقارب] :

وذو أربع لا يطيق النهوض ونحمله سبجاً أسوداً
ولا يآلف السير فيمن سرى فيجعله ذهباً أحمرأ

رجع :

فما خبت نارنا ولا وقفت وساحر الطرف لا نقاب له
خيول لهو جرت بنا خيباً^(٥) إذ كان بالجلنار منتقبا

(١) خامدة : منطفئة .

(٢) زقّ المدام : شربها .

(٣) الوصيب : المرض .

(٤) السج : الخرز الأسود .

(٥) الخبب : ضرب من العدو .

تقطف من ثغره ووجنته أنامل الطرف زهرةً عجا
شقائناً مذهباً يرى خجلاً وأقحواناً مفضضاً شنباً^(١)

ومثله للسري [من الطويل] :

سَقَرَنَ فلاح الأقحوانُ مفضضاً على القربِ منا والشقيق مذهباً
رجع :

حتى إذا ما انتشا ونشوته قد سهلت منه كل ما صعبا
غلبت صجبي عليه منفردا به وهل فاز غير من غلبا؟
أرشف ريقاً عذب اللمى خصرأ كأن فيه الضَّريب والضربا^(٢)

* * *

ما أخرج من شعره الذي ينسب في بعض النسخ إلى كشاجم
[غير] ما تقدم ذكره من ذلك

قال [من المنسرح] :

قامَرَ بالنفس في هوى قمر ونال وصل البدور بالبدر
وافترض أبكار لهوه طرباً إلى عشايا المدام والبكر^(٣)
مسرةً كيلها بلا حشفر ولذةً صفوها بلا كدر^(٤)
قد ضربت خيمة الغمام لنا ورش خيش النسيم بالمطر
وعندنا عاتقان حمراء كالشمس وأخرى صفراء كالقمر

(١) الشنب : الأبيض ، وهو صفاء الأسنان وبيضاضها .

(٢) الضريب : العسل الأبيض .

(٣) العشايا : جمع عشية ، والبكر : جمع بكرة .

(٤) الحشفر : أردأ التمر ، أو الفاسد منه ، أو هي الانقباض .

مدامةً كان من تقادماها عاصرها آدمُ أبو البشرِ
وبنت خدرٍ تريك صورتها بدر الدجى في ردائها العطر
حنتُ على عودها وقد تركت مدامنا جمرةً بلا شرر
يسعى علينا بها الوصائف قلّدن مجوناً قلائد الزهر^(١)
يا تاركاً طيب يومه لغد تبيع عين السرور بالأثر!
إن وترت قلبك الهموم فما مثل انتصارٍ بالناي والوتر^(٢)

وقوله [من الخفيف] :

رق ثوب الدجى وطاب الهواء وتدلت للمغرب الجوزاءُ
والصباح المنير قد نشرت منه على الأرض ربطةً بيضاء^(٣)
فاسقنيها حتى ترى الشمس في الغر ب عليها غلالة صفراء
قهوةً بابليةً كدم الشا دن بكرأ لكنها شمطاء^(٤)
قد كستها الدهور أردية الرقصة حتى جفا لديها الهواء
فهي في خدّ كأسها صفرة التبر وفي الخدّ وردة حمراء
عجبا ما رأيت من أعجب الأشياء تقدير من له الأشياء
سبح يستحيل منه عقيق وظلام ينسل منه ضياء

وقوله ، وهو مما ينسب أيضاً إلى المهلبى الوزير [من الطويل] :

خليلي إني للثريا لحاسد وإني على ريب الزمان لواجد
أبقى جميعاً شملها وهي سبعة وأفقد من أحبته وهو واحد
وقوله من قصيدة في مرثية الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما [من المشرح] :
إذا تفكرت في مصابهم أتعب زند الهموم قادحة

(١) الوصائف : ساقيات الخمر ، والقلائد : العقود .

(٢) وترت : أثقلت ، والوتر : الظلم في العداوة والانتقام .

(٣) الربطة : الملاة .

(٤) الشمطاء : التي خالط بياض شعرها سواده .

بعضهم قَرِبت مصارعه
 أظلم في كربلاء يومهم
 لا برح الغيث كلَّ شارقة
 على ثرى حلَّه ابن بنت رسو
 ذلَّ حماه وقلَّ ناصره
 عفرتُم بالثرى جبين فتى
 يظل ما بينكم دم ابن رسو
 سيَّان عند الأنام كلهم

وبعضهم بعدت مطارحه
 ثم تجلَّى وهم ذبائحه
 تهمني غواديه أو روائحه
 ل الله مجروحةً جوارحه
 ونال أقصى مناه كاشحه^(١)
 جبريل بعد النبي ماسحه !
 ل الله وابن السِّفاح سافحه !^(٢)
 خاذله منكم وذابحه

وقوله [من البسيط] :

محاسن الدير تسيحي ومسباحي
 أقمت فيه إلى أن صار هيكله
 منادماً في قلاليه رهابنة
 قد عدكوا ثقل أديانٍ ومعرفة
 ووشحوا غرر الآداب فلسفة
 في طب بقراط لحن الموصلِي وفي
 ومنشدٍ حين ييديه المزاج لنا
 وكم حننت إلى حاناته وغدا
 حتى تخمَّر خمَّاري بمعرفتي
 يا دير مران لا تعدم ضحىً ودجىً

وخره في الدَّجى صبحي ومصباحي^(٣)
 بيتي ومفتاحه للحسن مفتاحي
 راحت خلائقهم أصفى من الراح^(٤)
 فيهم بخفَّة أبدانٍ وأرواح
 وحكمة بعلوم ذات إيضاح
 نحو المبرد أشعار الطرمَّاح
 المَعُ برقٍ سرى أم ضوء مصباح
 شوقي يكائر أصواتاً بأفداح
 وحيرت ملَّحي في السُّكر ملاحِي
 سجال غيثٍ ملثَّ الودقِ سَحَّاح^(٥)

(١) الكاشح : المبغض .

(٢) ابن السفاح : ابن الزنى .

(٣) مسباحي : أي السبحة التي يحملها المرء للتسبيح أو للتسلية .

(٤) قلاليه : جمع قَلَّة وهي أعلى الرأس والجبل والراح الخمرة .

(٥) ملثَّ الودق : خفيف المطر عند التصبب وشحاح : كثير الصب .

إن تفن كأسك أكياسى فإن بها
وإن أقم سوق أطرابى فلا عجب

وقوله [من البسيط] :

يا نفس موتى فقد جدّ الأسى موتى
بكى إليّ غداة البين حين رأى
فدمعتى ذوب ياقوت على ذهب

وقوله [من البسيط] :

أنباك شاهد أمرى عن مغية
يا نازحاً نزحت دمعى قطيعته

وقوله من قصيدة [من البسيط] :

لا تطنبن بكاء النوء والطنب
ولا تجد بغمام للغميم ولا
ربع تعفى فأعفى من جوى وأسى
سيان بان خليط أو أقام به
أبهى وأجل من وصف الجمال ومن
مدّ البنان إلى كأس على سكر
حمراء حين جلتها الكأس نقطها
كانت لها أرجل الأعلاج واترة

يفلّ جيش همومى جيش أفراحي
هذا بذاك إذا ما قام نواحي

ما كنت أول صبّ غير مبخوت^(١)
دمعى يفيض وحالى حال مبهوت
ودمعه ذوب درّ فوق ياقوت

وجدّ جدّ الهوى بي فى تلعه
هب لي من الدمع ما أبكى عليك به

ولا تحي كئيب الحى من كئيب^(٢)
تسمح لسرب المها بالواكف السرب^(٣)
قلبي وكان إلى اللذات منقلبي
فإنما عامر البيداء كالخرب
إدمان ذكر هوى يهوى على قتب^(٤)
ورفع صوت بتطريب على طرب
مزاجها بدنائير من الحب
بالدوس فانتصفت من رؤس العرب^(٥)

(١) مبخوت : معطوظ .

(٢) تطنب : تكثر ، والنوء : المطر ، والنجم إذا مال للغروب . الكئيب : التل من الرمال .

(٣) الغميم : لبن يسخن حتى يغلظ ، والغميم هنا الغليظ . والواكف : السائل والدامع .

(٤) القتب : الرّجل .

(٥) الأعلاج : الكفّار ، واترة : ظالمة ومنتقمة .

يسقكها من بني الكفار بدر دجى الحاظه للمعاصي أوكد السبب
يومي إليك بأطراف مطرفة بها خضابان للعناب والعنب

* * *

هذا ما أخرج من سائر ملحه وغرره

قال من قصيدة مطلعها [من البسيط] :

ما زاره الطيف بعد البين معتمداً إلا ليديني له الشوق الذي بعدا
ومنها :

كأنما من ثناياها وريقتها أيدي الغمام سرقن البرد والبردا

وقال وهو في نهاية الحسن [من الكامل] :

لو أشرقت لك شمس ذاك الهودج لأرتك سالفتي غزال أدعج^(١)
ومنها :

أرعى النجوم كأنما في أفقها زهر الأقاحي في رياض بنفسج
والمشتري وسط الساء تخاله وسناه مثل الزئبق المترجج
مسار تبر أصفر ركبته في فص خاتم فضة فيروزج
وتمايل الجوزاء يحكي في الدجى ميلان شارب قهوة لم تمزج
وتنقبت بخفيف غيم أبيض هي فيه بين تحفر وتبرج
كتنفس الحسناء في المرأة إذ كملت محاسنها ولم تتزوج

وهذا تشبيه لم يسبق إليه ، وقال [من الخفيف] :

وسحاب يجر في الأرض ذيلي مطرف زرة على الأرض زراً^(٢)
برقه لمحة ولكن له رعد بطيء يكسو المسامع وقراً^(٣)

(١) الأدعج : واسع العين وأحورها .

(٢) المطرف : الشواح المقوف وهو من الحرير .

(٣) الوقر : الصمم .

كخلي منافقٍ للذي يهواه يبكي جهرًا ويضحك سرًا
وقال [من الوافر] :

ألست ترى الظلام وقد تولى وعنقود الثريا قد تدلى
فدونك قهوة لم يبق منها تقادم عهدا إلا الأقلاب
بزلنا دنها والليل داج فصيرت الدجى شمساً وظلاً^(١)
وقال [من الخفيف] :

يا معيري بالصد ثوب السقام أنت همي في يقظتي ومنامي
أنت أمنيّتي فإن رمت غمضاً سلمتك المنى إلى الأحلام
وقال [من الكامل] :

حورٌ شغلن قلوبنا بفراغٍ لرسائلٍ قصرت عن الإيلاج
ومنغن ورد خدودهن فلم نطق قطفاً له لعقارب الأصداغ^(٢)
وقال [من الكامل] :

روحي الفداء لظاعنين رحيلهم أنكى وأفسد في القلوب وعاثا
فليقض عدته السرور فإنني طلقت بعدهم السرور ثلاثا
أخذه من قول أبي تمام وزاد فيه ذكر العدة ، وهو قوله [من الكامل] :
بلد خلعت اللهو خلعي خاتمي فيه وطلقت السرور ثلاثا

وقال [من المنسرح] :
في كنف الله ظاعنٌ ظعنا أودع قلبي وداعه حزنا^(٣)
لا أبصرت مقلتي محاسنه إن كنت أبصرت بعده حسنا

(١) بزلنا دته : شققناه ليسيل الخمر منه .

(٢) لم نطق : لم نتحمل .

(٣) الظاعن : الراحل .

وقال [من البسيط] :

أهلاً بشمس مدام من يدي قمر
كأن خمرته إذ قام يمزجها
إذا سقتك من المزوج راحته
في وجهه كل ريحان تراح له
الترجس الغض عيناه ، وطرته

وقال [من الخفيف] :

قلت لما بدا الهلال لعين
يا هلال السماء لولا هلال الـ

وقال [من الطويل] :

وبدر دجى يمشي به غصن رطب
إذا ما بدا أغرى به كل ناظر

وقال [من البسيط] :

لا تحسبوا أنني باغ بكم بدلاً
قلبي رقيب على قلبي لكم أبداً

وقال [من البسيط] :

فديت من زرعت في القلب لحظته
لو أن قلبي وفاه محبته

وقال [من المنسرح] :

كأنما أنجم الثريا لمن

تكامل الحسن فيه فهو تياه^(١)
من خده اعتصرت أو من ثناياه
كأساً سقتك كؤوس الصرف عيناه
منا قلوب وأبصار وتهواه
بنفسج ، وجني الورد خداه

منعتها من الكرى عيناك
أرض ما بت ساهراً أركانك

دنا نوره لكن تناوله صعب
كأن قلوب الناس في حبه قلب

ولو تمكنت من صبري ومن جلدي^(٢)
والعين عين عليه آخر الأبد

صباية وسقى بالدمع ما زرعاً
أحبه بقلوب العالمين معاً

يرمقها والظلام منطبق

(١) تياه : كثير العجب .

(٢) باغ : طالب .

مال بخيل يظلّ يجمعه من كلّ وجهٍ وليس يفترق

وقال [من الخفيف] :

يا خليلي من عذيري من الدنيا ومن جورها عليّ وصبري
عجباً أنني أنافس في عمران أيامها وتخرب عمري !

وقال [من المتقارب] :

هو الفجر قابلنا بابتسام	لتصرف عنا عبوس الظلام
ولاح فحلّ كأس الشمو	ل صرفاً وحرّم كأس المنام
ظللنا على شمّ ورد الحدود	ومسك النحور ونقل اللثام
نعين الصباح على كشفه	قناع الظلام بضوء المدام

وقال [من السريع] :

إن خالك الدهر فكن عائداً	بالبیض والظلمات والعيس
ولا تكن عبد المنى فالمنى	رؤوس أموال المفاليس

وقال [من الكامل] :

حورٌ جعلن وقد رحلن وداعنا	بمدامعٍ نطقن وهنّ سكوتُ
فعيونها سبجٌ ونثر دموعها	درٌ وحرّة خدها ياقوت

وقال [من الكامل] :

ما عذرنا في حبسنا الأكوابا	سقط الندى وصفا الهواء وطابا
ودعابـ «حي على الصبوح» مغرداً	ديك الصباح فهيج الأطرابا
وكانما الصبح المنير وقد بدا	بازٌ أطار من الظلام غرابا
فأدم لذاذة عيشنا بمدامةٍ	زادت على هرم الزمان شبابا
سفرت فغار حبابها من لحظنا	فعلا محاسنها وصار نقابا

وقال من قصيدة [من الكامل] :

أشرفت ظلمتها بيدٍ مشرقٍ	فلأشكرنَ لديرٍ قنّا ليلةً
بالراح والوتر الفصيح المنطق	بتنا نُوقِي اللهو فيها حقّه
ثوباً يرشُ بطلّه المترق	والجو يسحب من عليل هوائه
هرماً وأثر فيه شيب المفرق	حتى رأينا الليل قوَسَ ظهره
سيفٌ حلاه من اللجين المحرق ^(١)	وكأنّ ضوء الفجر في باقي الدجى
قصرت فريع تجمع بتفرّق ^(٢)	يا طيها من ليلةٍ لو لم تكن

وقال ، وهو من إحسانه المشهور [من مجزوء الرمل] :

يا شبيه البدر حسناً	وضياءً ومثالا
وشبيه الغصن ليناً	وقواماً واعتدالا
أنت مثل الورد لوناً	ونسيماً وملالا
زارنا حتى إذا ما	سرّنا بالقرب زالا

وقال [من الخفيف] :

ربّ ليلٍ فضحته بضياء الـ	راح حتى تركته كالنهار
ذي سماءٍ كخرمٍ ونجومٍ	مشرقاتٍ كنرجسٍ وبهار ^(٣)
وهلالٌ يلوح في ساعد الغر	ب كدملوج فضّةٍ أو سوار ^(٤)
بتّ أجلو فيه شمسٌ وجو	حملت في الدجا شمسٌ عقار

(١) اللجين : الفضّة .

(٢) ريع : أخيف .

(٣) الخرم : نبات بنفسجي اللون .

(٤) الدملج : نوعٌ من الحليّ تلبسه المرأة في ساعدها .

وقال - وقد أمر الأمير بجمع المتكلمين ليتناظروا بحضرته في يوم دجن - [من مجزوء الخفيف] :

هو يومٌ كما ترا ه مليح الشمائل
هاج نوح الحمام في ه غناء البلابل
ولركب السحاب في الججو حق كباطل
مثلما فاه في المهتد بعض الصياقل
جليت شمسه لرقته في غلائل
وعمود الزمان معتدل غير مائل
حين ساوى حر هوا جر برد الأصائل
وغدا الروض في قلا ثده والخلائل
فمن العجز أن ترى فيه طوع العواذل
يا لهذا أبي الهذيل وتوصيل واصل
وملاحاة عاقل ومقاساة جاهل^(١)
وخصوم يكابرو ن وضوح الدلائل
انف كيد الجدال عنك بصيد الأجادل^(٢)
كل صلب العظام واللحم رطب المفاصل
وهو أهدي من الردى في طريق المقاتل
كم غدونا به لطير التلاع السوابل^(٣)
فانبرى أخرس الجنا ح صخوب الجلاجل^(٤)

(١) الملاحاة : اللوم .

(٢) الأجادل : جمع أجدل وهو الصقر .

(٣) التلاع : الأعالي . والسوابل : من الطرق : السلوك .

(٤) الجلاجل : الدوي والصوت .

وتعامى عن الشوى واهتدى للشواكل^(١)
بسكاكينه التي ثبتت في الأنامل
عقفت ثم أرهفت فهي مثل المناجل^(٢)
صاعد خلف صاعد نازل خلف نازل
فتردى رداء لهـو إلى الليل شامل
ثم انتنى جذلان بين القنا والقنابل^(٣)
نحو ربع من المكا رم والمجد آهل^(٤)
فترى الأنس في عبيدك عذب المناهل
من عقول قد بلبلتهمهن صفراء بابل
فاذا الليل كف كل رقيب وعاذل
صرت الفرش تحت قو م صرير المحامل^(٥)

وقال [من الطويل] :

وأغيد روته المدامة فانثنى كما ينثنى من ربه الغصن الغضُّ
دعوت إليها وهو في دعوة الكرى وقد أخذت في خلع أسودها الأرض^(٦)
فقام وفي أعطافه فضل سكرة وفي عينه من ورد وجنته بعض

وقال [من الكامل] :

ومدامة صفراء في قارورة زرقاء تحملها يد بيضاء

(١) الشوى : أطراف الجسم من اليدين والرجلين . والشواكل : الخواصر .

(٢) عقف السكين : لواها . وأرهفتها : سنّها فصارت ماضية .

(٣) القنابل : الجماعة من الناس أو الخيل .

(٤) آهل : عامر .

(٥) صرت : صوّت .

(٦) أسود الأرض : يعني الليل .

فالأراح شمسٌ والجباب كواكبٌ والكفُّ قطبٌ والإناء سماء

وقال [من المجتث] :

راحٌ كضوء الشهاب سلافة الأعناب
والمزج ماء غدير صافر كماء الشباب
لو لم يكن ماء مزني لكان لمع سراب
كأنه جسم درٍ عليه درعٌ حباب
يجري خلال حصيٍّ أبيض كقطر السحاب
كأنه الريق يجري على الثنايا العذاب

وقال في مخدة [من الكامل] :

بأبي التي كتمت محاسنها خوف العيون وليس تنكتمُ
لبست سواداً كي تعاب به والبدر ليس يشينه الظلم

وقال من قصيدة في المهلي الوزير استهلاها [من المتقارب] :

مهاةٌ توهّمها أم غزالا وشمساً تشبّٰها أم هلالا
منعمةٌ أطلقت لحظها فكان لعقل المعنى عقالا^(١)
وشمسٌ ترجّل في مجلسٍ لندمانها وتغنّى ارتجالا
ولا تعرف اللحن ألحانها إذا ما الخفاف تبعن الثقالا
شدت رملا في مديح الوزير فظللنا من السكر نحكي الرمالا^(٢)
وهل ثملٌ مفكرٌ بعد أن تكون له راحتاه ثمالا؟^(٣)

(١) المعنى : المتألم ، والعقال : الأسر .

(٢) الرمل : ضرب من أوزان الشعر . والشدو : الغناء .

(٣) الثمل : السكران ، والثمال : الغيث النافع .

ومنها في التهئة بعيد الفطر :

وهنيئاً مريئاً بأجرٍ أقام	وصومٍ ترحّل عنك ارتحالا
وفطرٍ تواصل إقباله	لأن له بالسعود اتصالا
رأى العيد فعلك عيداً له	وإن كان زاد عليه جمالا
وكبّر حين رآك الهلالُ	كفعلك حين رأيت الهلالا
رأى منك ما منه أبصرته	هلالاً أضاء ووجهاً تلالا
تولاك فيه إله السماء	بعزّ تعالى ويمنّ توالى ^(١)
ولقيت سعداً إذا العيد عاد	ولقيت رشداً إذا الحول حالاً ^(٢)
وإن رمضان أطاح الكؤوس	فشوّال يأذن في أن تشالا
فواصل يمين كؤوس الشمول	يميناً مقبلةً أو شمالا
ولا زلت عن رتبٍ نلتها	ومن ذا رأى جبلاً قطّ زالا ؟

وقال من قصيدة فيه أيضاً [من الكامل] :

أيدت ملك معزّ دولة هاشم	فزمانه عرسٌ من الأعراسِ
وتيقن الشعراء أن رجاءهم	في مأمنٍ بك من وقوع الباسِ
ما صحّ علم الكيمياء لغيرهم	فيمن عرفنا من جميع الناسِ
تعطيهم الأموال في بدرٍ إذا	حملوا الكلام إليك في قرطاسِ

وقد ألم في هذا المعنى بقول بكر بن النطاح لأبي ذلف [من الكامل] :

يا طالباً للكيمياء ونفعه	مدح ابن عيسى الكيمياء الأعظم
لو لم يكن في الأرض إلاّ درهمٌ	ومدحته لأتاك ذاك الدرهم

(١) اليمين : الخير ، وتوالى : تتابع .

(٢) الحول : العام ، وحالا : أي انتهى .

ولكنه لطفه وزاد فيه ، وقال [من الكامل] :

وأخ جفا ظلماً، وملّ، وطالما
فسلوت عنه وقلت ليس بمنكر
فالخمر وهي الراح ربّتما غدت
وقال في معناه أيضاً [من الطويل] :

وكم من عدو صار بعد عداوة
ولا غرو فالعنقود في عود كرمه
صديقاً مجلاً في المجالس مُعظماً
يرى عنباً من بعد ما كان حصرماً
وقال في استهداء نبذ ، وقد عزم على أخذ دواء [من البسيط] :

يا سيداً بالعلا والمجد منفردا
لهاك أوجدت الآمال ما فقدت
هذا زمان علاج يتّقي ضرر ال
فلست تبصر إلا شارباً قدحاً
وقد عصيت الهوى مذ أمس محتمياً
وروقوا لي رطلاً لست أذكره
مناكرٌ لطباعي غير أن له
وليس لي قهوة أطفئ بجمرتها
فامنن بدستيجة المشروب يومك ذا
وواحد الأرض لا مستثنياً أحدا
وقربت لمنى الراجين ما بعدا^(١)
أخلط فيه لأن الفصل قد وفدا
مرّاً وإلا نزيف الجسم مفتصدا^(٢)
لما عزمت على إصلاح ما فسدا
إلا عدمت لديه الصبر والجلدا^(٣)
عقبى تمازج محموداتها الجسدا
عن مهجتي شره الماء الذي بردا
فقد عزمت على شرب الدواء غدا^(٤)

(١) لهاك : عطايك .

(٢) المفتصد : من الفصاد وهو إخراج الدم من الجسد بآلة حادة .

(٣) الجلد : الصبر .

(٤) الدشيعة : آنية صغيرة .

وقال في العتاب [من الكامل] :

وأخ رخصتُ عليه حتّى ملّني
يا ليتهُ إذ باع ودّي باعه
ما في زمانك ما يعزّ وجوده
والشيء مملولٌ إذا ما يرخصُ
فيمن يزيد عليه لا من ينقص
إن رمته إلّا صديقٌ مخلص

وقال [من الكامل] :

يا من جفا في القرب ثم نأى
مهلاً فإنّك في فعالك ذي
« ترك الزيارة وهي ممكنة »
فشكا الهوى بالكتب والرّسل
مثل الذي قد قيل في المثل
وأذاك من مصرٍ على جمل !

وقال في وصف سيف [من الكامل] :

متوقّـدٌ، متفرّقٌ، عجباً له
وكأثما أبواه صرفا دهرنا
تجري مضاربه دماً يوم الوغى
نارٌ وماءٌ كيف يجتمعان ؟
أو كان يرضع درّة الحدثان
فكأثما حدّاه مفتصدان

وقال في هجاء شاعر [من المنسرح] :

لما تبدّى الكوفيّ ينشدنا
تجمع يا أحمق العباد لنا
قلنا له : طعنةٌ وطاعونا
شعرك في برده وكانونا ؟

وقال في مثل ذلك [من البسيط] :

لو أن في فمه جمرأً وأنشدنا
شعراً لما ضرّه من برد إنشاده

* * *

ما أخرج من شعر أبي عثمان
سعيد بن هاشم الخالدي

وهو منسوب في بعض النسخ إلى كشاجم للسبب الذي تقدم ذكره ، وما وقع

لأبي عثمان فيه التوارد مع السري أو التسارق .

قال أبو عثمان [من المنسرح] :

ادنُ من الدنّ بي فذاك أبي أما ترى الطلّ كيف يلمع في
عيون نورٍ تدعو إلى الطرب؟^(١) في كلّ عينٍ للطلّ لؤلؤة
كدمعةٍ في جفونٍ منتحب والصبح قد جرّدت صوارمه
والليل قد همّ منه بالهرب والجوّ في حلّةٍ ممسكةٍ

وللسري في مثله [من المنسرح] :

وبرق يكتّبها بالذهب^(٢) غيومٌ تمسّك أفق السماء
خدين في معجزٍ من الحب فهاتها كالعروس محمرة ال
عنبر لو لم تكن من العنب كادت تكون الهواء في أرج ال
غضبت في حبّه على الغضب من كفّ راضٍ عن الصدود وقد
رأيت شيئاً من أعجب العجب فلو ترى الكأس حين يمزجها
ماء ودرّ يدور في اللهب نارٌ حواها الزجاج يلهبها ال

وقال من قصيدة [من المنسرح] :

وليس للقرّ غير صافيةٍ تدفع ما ليس يدفع الدلق^(٣)
درياق أفعى الشتاء وهو إذا سلّ علينا سيوفه درق^(٤)

(١) النور : الزهر .

(٢) هكذا ، والبيت الأول لا يوافق بقية الأبيات في الوزن .

(٣) القرّ : البرد . والدلق : الفرو المستخرج من حيوانٍ كالحمر .

(٤) الدرياق : الترياق ، دواء السمّ ، وسلّ : شهر ، والدرق : الترس .

وقال يدعو صديقاً له في يوم شك [من الكامل] :

هو يومُ شكٍّ يا عليّ وشرّه مذ كان يحذرُ
والجوّ حلّته ممسّكةً ومطرفه معنبر^(١)
والماء عوديّ القميص وطيلسان الأرض أخضر^(٢)
ولنا فضيلاتٌ تكو ن ليومنا قوتاً مقدّراً
ومدامةً صفراء أد رك عمرها كسرى وقيصراً
وحديثنا ما قد علمت وشعرنا ما أنت أبصر
فانشط لنا لنحتّ من كاساتنا ما كان أكبر
أو لا فإنك جاهل إن قلت إنك سوف تعذر

وقال ، وهو مما ينسب إلى الوزير المهلبى [من المتقارب] :

فديتك ما شبت من كبره وهذي سنيّ وهذا الحساب
ولكن هجرت فحلّ المشيب ولو قد وصلت لعاد الشباب

وقال [من مجزوء الوافر] :

بليت بأحسن الثقلين إقبالاً ومنصرفاً^(٣)
فمثل الخشف ملتفتاً ومثل الغصن منعطفاً^(٤)
يسوّفني بنائله وقد أهدي لي الأسفا^(٥)
وآخذ وصله عِدّة ويأخذ مهجتي سلفاً

(١) ممسّك : من المسك ، ومعنبر : من العنبر .

(٢) عوديّ القميص : كناية عن جريانه الذي ينقطع .

(٣) الثقلين : الإنس والجن .

(٤) الخشف : ولد الغزال .

(٥) يسوّفني : يماطلني ، والنائل : العطاء .

وقال ، وهو مما ينسب أيضاً إلى المهلبى الوزير [من الوافر] :

دموعي فيك أنواء غزارٌ وقلبي ما يقرُّ له قرارٌ
وكل فتى علاه ثوب سقمٍ فذاك الثوب مني مستعار

وقال [من الخفيف] :

وقفتني ما بين همٍّ وبوس وثنت بعد ضحكةٍ بعبوسٍ
ورأتني مشطت عاجاً بعاجٍ وهي الأبنوسُ بالأبنوسِ
وللسري في معناه [من الوافر] :

رأت شيئاً يضاحكها فصدتُ وكان جزاؤه منها العبوسا
وقالت إذ رأت للمشط فيه سواداً لا يشاكله نفيسا
تلقَّ العاج منك بمشط عاجٍ ودعُ للأبنوسِ الأبنوسا
وأنشدني أبو سعيد بن دوست للصاحب في مثل ذلك [من الخفيف] :

هات مشطاً إلى وليك عاجاً فهو أدنى إلى مشيب الرءوس
وإذا ما مشطت عاجاً بعاجٍ فامشط الأبنوسِ بالأبنوسِ

* * *

ما أخرج من سائر غرر أبي عثمان وملحه

فمنها قوله [من المتقارب] :

كأنَّ الرعود خلال البرو ق والريح يكثر تحريضها
زنجٍ إذا خفقت بينها دبادبها جردت بيضها^(١)

(١) الدبادب : الصياح والضجة ، والبيض : السيوف .

وقوله [من الكامل] :

صدت مجانباً نواراً ونأى بجانبها ازوراراً
ورأت ثيابي قد غدت وكأنتها دمن قفاراً^(١)
يا هذه إن رحت في خلق فما في ذاك عار
هذي المدام هي الحيا ة قميصها خزف وقار

وقوله [من الخفيف] :

شعر عبد السلام فيه رديء ومحال وساقط وبديع
فهو مثل الزمان فيه مصيف وخريف وشتوة وربيع

وقوله [من البسيط] :

أما ترى الغيم يا من قلبه قاسي كأنه أنا مقياساً بمقياس
قطر كدمعي وبرق مثل نار جوى في القلب مني وريح مثل أنفاسي

وقوله [من مجزوء الرمل] :

يا نديمي أطلق الفجر فما للكأس حبس
قهوة تعطيكها قبل طلوع الشمس شمس
وهي كالمرّيخ لكن هي سعد وهو نحس

وقوله [من الخفيف] :

يا قضيباً يمس تحت هلال وهلالاً يرنو بعيني غزال
منك يا شمسنا تعلمت الشمس دنو السنأ وبعده المنال^(٢)

(١) الدمن : الأطلال والرسوم .

(٢) السنأ : الضياء .

سرقه من قول ابن الرومي [من مجزوء الرمل] :

يا شبيه البدر في الـ حسن وفي بعد المنال

وقوله في جارية سوداء يقال شغف [من المنسرح] :

إذا تغنّت بعودها شغفٌ جاء سرورٌ يفوق كلَّ منى
واحدة الحلق لا نظير لها كالمسك لونا وبهجةً وغنا

وقوله فيها [من الخفيف] :

تركنا بطيها إذ تغنّت شغفٌ بين أنّةٍ ونحيبٍ^(١)
طبةً بالغناء فهي لأسقا م الندامى لطافة كالطيب^(٢)
ألفتها القلوب لما رأتها صاغها الله من سواد القلوب

وإنما سرقه من قول ابن الرومي [من المنسرح] :

أكسبها الحبّ أنّها صبغت صبغة حبّ القلوب والحدق

ونقص أبو عثمان من المعنى إذ ترك ذكر الحدق .

وقال [من البسيط] :

يا راقداً عارياً من ثوب أسقامي هبّ الرقاد لعين جفّتها دامي
لا خلّص الله قلبي من يدي رشاً رؤيا رجائي له أضغاث أحلام

وقوله [من البسيط] :

يا حسناً نحن في لهوٍ وليلتنا بزهر أنجمها ترمي العفاريثُ
وقد تضايق في السكر العناق بنا كما تضايق في النّظم اليواقيت^(٣)

(١) الشغف : الحب والهوى .

(٢) طبةٌ : مداوية .

(٣) النّظم : من نظم العقد أي سلك حياته في سلك واحد .

وقوله [من الكامل] :

متبرّمٌ بعتابه مستعذبٌ لعذابه
هجر العמידَ تعمّداً فغدا وراح لما به
وكساه ثوب مشيه في عنفوان شبابه
فتراه يؤذن في أوا ن مجيئه بذهابه

وقوله [من الخفيف] :

هتف الصبح بالدّجى فاسقنيها قهوةً ترك الحليم سقيها
لست تدري لركةً وصفاء هي في كأسها أم الكأس فيها

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

ظالمٌ لي وليته الدهر يبقى ويظلمُ
وصله جنّةٌ ولكن جفاه جهنم^(١)
ورضاه وسخطه الـ دهر عرسٍ وماتمٌ

وقوله [من الخفيف] :

إنّ شهر الصيام إذ جاء في فصل ربيعٍ أودى بحسنٍ وطيبٍ
فكأنّ الورد المضعّف في الصو م حبيبٌ يمشي بجانب رقيبٍ

وقوله [من مجزوء الرجز] :

وليلةٍ ليلاء في اللون كلون المفرق
كأتما نجومها في مغربٍ ومشرق
دراهمٌ منشورةٌ على بساط أزرق

(١) الوصل : اللقاء والقرب ، والجفاء : البعد .

وقوله في معنى متداول [من الطويل] :

وأودعني الأحزان ساعة ودعا
قذى بين جفني أرمده ما توجعا

بنفسي حبيب بان صبري لبينه
وأنحلني بالهجر حتى لو أنني

وقوله من قصيدة [من المتقارب] :

وهل خاتم في سوى خنصر
وإن شئت فالح ولا تعذر

صغير صرفت إليه الهوى
فإن شئت فاعذر ولا تلحني

وقوله [من السريع] :

وهمه عود وطنبور^(١)
إلا مهى مثل الدمى حور
والعمر باللذات معمور
فيها دنان ودنانير
در وياقوت أزهير
ففي الزنانير زناير
أحسن أم تلك التصاوير^(٢)
بالسكر منا فهو مقمور^(٣)
من قبل أن يعصر معصور
فهو ظلام وهي النور
فيما وجب الصبح مزور
فهل لها عندك تفسير؟^(٤)

همته خمر وماخور
وليس دنياه ولا دينه
ذيل الصبا في الغي مجرور
وليلة الهيكل كم أنفدت
أقبلن كالروض تغشاه من
على خصور أرهفت دقة
فما درينا أوجوه الدمى
وعندنا صفراء من قامرت
سلاف أعناب فعنقودها
زاد على المصباح إشراقها
حتى إذا ما انحل جيب الدجى
جرت هنا لي أجملتها

(١) الماخور : مكان الشرب والمجون .

(٢) الدمى : يعني الفتيات القيان .

(٣) مقمور : مغلوب .

(٤) الهناة : الداهية .

وقوله من أبيات [من السريع] :

ريقته خمرٌ ، وأنفاسه
أخرجه رضوان من داره
يلومه الناس على تيهه
مسكٌ ، وذاك الثغر كافورٌ
مخافةً تفتتن الحور^(١)
والبدر إن تاه فمعذور

وقوله [من مجزوء الرجز] :

مكحلٌ بالدعج
معصفرُ التفاح في
خمّشه الشعر وما
وإنّما عارضه
منقّبٌ بالغنّج
خدٌ مليح الضّرّج^(٢)
ذاك لطول الحجج^(٣)
شّفه بالسبج^(٤)

وقوله [من البسيط] :

يا حسن دير سعيد إذ حللت به
فما ترى غصناً إلا وزهرته
وللحمائم ألحانٌ تذكّرنا
وللنسيم على الغدران رفرقةً
والخمر تجلى على خطّابها فترى
وكلّنا من أكاليل البهار على
ونحن في فلكِ اللهو المحيط بنا
ولست أنسى ندامى وسطه يكله
والأرض والروض في وشي وديباج
تجلوه في جبّة منها ودوّاج^(٥)
أحبابنا بين أرمال وأهزاج
يزورها فتلقاه بأمواج
عرائس الكرم قد زفّت لأزواج
رءوسنا كأنو شروان في التاج
كأننا في سماء ذات أبراج
حتى الصباح غزلاً طرفه ساجي^(٦)

(١) رضوان : خازن الجنان .

(٢) الضّرّج : ما يعلو الخدّ من حمرة .

(٣) خمّشه : ترك به آثاراً من المداعبة .

(٤) شّفه : زينه وحلاه ، والسبج : الخرز الأسود .

(٥) الدوّاج : اللّحاف الذي يلبس .

(٦) الساجي : الساكن والهادئ .

أهز عظميَّ قضيب البان معتقاً
وقولتي والتفاتي عند منصرفي
يا دير يا ليت داري في فنائك أو
وقوله [من الكامل] :

قمرٌ بدير الموصل الأعلى
لثم الصليب فقلت من حسدٍ
جد لي بإحداهن كي يحيا بها
فاحمر من خجلٍ وكم قطفت
ونكلت صبري عند فرقته
أنا عبده وهواه لي مولى
قبل الحبيب فمي بها أولى
قلبي فحبته على المقلَى^(١)
عيني شقائق وجنة خجلي
فعرفت كيف تحرق الثكلي

وقوله من قصيدة في المهلبى الوزير وقد عزم على الرجوع إلى وطنه [من البسيط] :

إنّا لنرحل والأهواء أجمعها
لهن من خلقك الروض الأريض ومن
لكن كل فقير يستفيد غنى
وكل غازٍ إذا جلت غنيمة
وقوله [من الطويل] :

وكننت أرى في النوم هجرك ساعة
وتأمرني بالصبر والقلب كلما
فأجفو لذيد النوم حولاً تطيراً
تقاضيته صبراً تقاضيت معسراً

(١) درّاج : إسم مكان ، أو درب عام أدرج إليه كل يوم .

(٢) جد لي : تكرم عليّ .

(٣) الأريض : المكان الكثير العشب .

(٤) القفل : الرجوع إلى دياره .

فلما رأيت الغدر من شأنك اغتدى
فوالله ما أهواك إلاّ تكلفاً
غدير التصافي بيننا متكدراً
ولا أشتكي الهجران إلا تخمراً

وقوله في إنسان قصير ضئيل تزوج طويلة ضخمة [من الكامل] :

يا من أحلّ به الرزية	وأعاد نعمته بليّة
حظّي الردى بك إذ غدت	لك بنت عمار حظيّة ^(١)
قل لي وكيف تنيكها	مع دلّ قامتك القميّة؟ ^(٢)
أنت البعوضة قلة	وكأنها جمل الضحيّة
نبئتها قالت وقد	بصرت بأيرك كالشظية!
من ليس تشعبه الهريد	سة كيف تشعبه القليه؟
فلو اطلّعت عليهما	عند ارتكابهما البليه
لذكرت في شخصيهما الـ	عنقاء قد خطفت صبيه!

وقوله [من الخفيف] :

قل لمن يشتهي المديح ولكن	دون معروفه مطالٌ ولي ^(٣)
سوف أهجوك بعد مدحٍ وتحريـ	لك وعتبٍ ، وآخر الداء كيـ

وقوله [من المنسرح] :

بغداد قد صار خيرها شرّاً	صيرها الله مثل سامراً
اطلب وفتش واحرص فليست ترى	في أهلها حرّة ولا حرّاً

وقوله من قصيدة [من البسيط] :

نيل المطالب بالهنديّة البتر	لا بالأمانى والتأميل للقدّر ^(٤)
-----------------------------	--

(١) الحظيّة : الزوجة والعاشقة .

(٢) القميّة : أقمى الرجل إذا سمن بعد هزال والقامية : الدليلة .

(٣) المطال : التسويف .

(٤) البتر : القاطعة .

فإن عفا طللٌ أو باد ساكنه
 في شمك المسك شغلٌ عن مذاقته
 لو لم أكن مشبهاً للناس في خلقي
 أو لم يكن ماء علمي قاهراً فكري
 تزيدني قسوة الأيام طيب ثناً
 ألفتُ من حادثات الدهر أكبرها
 لا شيء أعجب عندي في تباينه
 أرى ثياباً وفي أثائها بقرٌ
 قالت رقدت فقلت الهم أرقدني
 كم قد وقعت وقوع الطير في شركٍ
 أصفو وأكدر أحياناً لمختبري
 إني لأسيرُ في الأفاق من مثلٍ
 إذا تشككت فيما أنت مبصره
 وكيف يفرح إنسان بمقلته
 لقد فرحت بما عاينت من عدمٍ
 وربما ابتهج الأعمى بحالته
 ولست أبكي لشيبٍ قد منيت بهِ
 كن من صديقك لا من غيره حذراً
 ما أطمئن إلى خلقٍ فأخبره
 وقد نظرت إلى الدنيا بمقلتها

فلا تقف فيه بين البث والفكر
 وفي سنا الشمس ما يُغني عن القمر
 لقلت إنني من جيلٍ سوى البشر
 لأحرفني في نيرانها فكري
 كأنني المسك بين الفهر والحجر^(١)
 فما أعوج على أطفالها الأخر^(٢)
 إذا تأملتُه من هذه الصور
 بلا قرونٍ ، وذا عيبٌ على البقر!
 والهم يمنع أحياناً من السهر
 فضضعتُ ميتي منه قوى الممر
 وليس مستحسناً صفو بلا كدر
 فرد وأملأُ للأفاق من قمر
 فلا تقل إنني في الناس ذو بصر
 إذا نضاها فلم تصدقه في النظر!
 خوف القبيحين من كبرٍ ومن بطر^(٣)
 لأنه قد نجا من طيرة العور
 يبكي على الشيب من يأسٍ على العمر
 إن كان ينجيك منه شدة الحذر
 إلا تكشف لي عن لؤم مختبر
 فاستصغرتها جفوني غاية الصغر

(١) الفهر : حجرٌ رقيق تسحق به الأدوية .

(٢) أعوج : أميل وأتطلع .

(٣) البطر : التكبر من أثر النعمة .

وما شكرت زمانى وهو يصعدنى فكيف أشكره فى حالٍ منحدر
لا عار يلحقنى إنى بلا نسبٍ وأى عارٍ على عينٍ بلا حور^(١)
فإن بلغت الذى أهوى فعن قدرٍ وإن حرمت الذى أهوى فعن عذرٍ

* * *

١٠٨ - أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان المعروف بالخباز البلدى

هو من بلدة يقال لها « بلد » من بلاد الجزيرة التى فيها الموصل ، وأبو بكر
من حسناتها .

ومن عجيب شأنه أنه كان أمياً ، وشعره كله ملح وتحف ، وغرر وطرف ولا
تخلو مقطوعة له من معنى حسن أو مثل سائر ، وهو القائل [من السريع] :

بالغت فى شتمى وفى ذمى وما خشيت الشاعر الأمى
جربت فى نفسك سمّاً فما أحمدت تجريبك للسمّ

وكان حافظاً للقرآن مقتبساً منه فى شعره ، كقوله [من الطويل] :

ألا إن إخوانى الذين عهدتهم أفاعى رمالٍ لا تقصّر فى لسعي
ظننت بهم خيراً فلما بلوتهم نزلت بوادٍ منهم غير ذى زرع

وقوله [من الطويل] :

كأنّ يمينى حين حاولت بسطها لتوديع إلفى والهوى يذرف الدمعا
وقائلة هل تملك الصبر بعدهم فقلت لها لا والذى أخرج المرعى
يمين ابن عمرانٍ وقد حاول العصا وقد جعلت تلك العصا حية تسعى

(١) النسب : المال وغيره من النعم .

وقوله [من الخفيف] :

أترى الجيرة الذين تداعوا بكرةً للرحيل قبل الزوال
علموا أنني مقيمٌ وقلبي راحلٌ فيهمُ أمامَ الجمال
مثل صاع العزيز في أرحل القو م ولا يعلمون ما في الرحال^(١)

وقوله [من الكامل] :

سار الحبيب وخلفَ القلباً يُبدي العزاء ويضمّر الكربا
قد قلت إذ سار السفين بهم والشوق ينهب مهجتي نهبا
لو أن لي عزاً أصول به لأخذت كلَّ سفينة غصبا

وكان يتشيع ، ويتمثل في شعره بما يدل على مذهبه ، كقوله [من الكامل] :

وحمائِمِ نبّهتني والليل داجي المشرقين
شبّهتَنَ وقد بكى من وما ذرفن دموع عين
بنساء آل محمد لما بكين على الحسين

وكقوله [من الوافر] :

جحدتَ ولاءَ مولانا عليَّ وقدّمتَ الدعيَّ على الوصيِّ
متى ما قلت إنَّ السيفَ أمضى من اللحظات في قلب الشجيِّ
لقد فعلت جفونك في البرايا كفعل يزيد في آل النبيِّ

وكقوله [من مجزوء الرمل] :

أنا إن رمت سلواً عنك يا قرّة عيني
كنت في الإثم كمن شا رك في قتل الحسين

(١) صاع العزيز : وهو الصاع الذي وضعه يوسف في رحل إخوته عندما جاءوا يكتالون القمح .

لك صولاتٌ على قلبي بقدرُ كالرُدِّيْنِي^(١)
مثل صولاتٍ عليَّ يوم بدرٍ وحين

وكقوله [من الخفيف] :

أنا في قبضة الغرام رهين بين سيفين أرهفاً ورُدِّيْنِي
فكان الهوى فتىً علويَّ ظنَّ أني وليت قتل الحسين
وكأني يزيد بين يديه فهو يختار أوجع القتلتين

وكقوله [من البسيط] :

انظر إليَّ بعين الصفح عن زللي لا تتركِّي من ذنبي على وجل^(٢)
موتي وهجرك مقرونان في قرنٍ فكيف أهجر من في هجره أجلي
وليس لي أملٌ إلا وصالكم فكيف أقطع من في وصله أُملي
هذا فؤادي لم يملكه غيركم إلا الوصيُّ أمير المؤمنين علي

وكقوله [من الوافر] :

تظن بأنني أهوى حبيبا سواك على القطيعة والبعادِ
جحدت إذن موالاتي علياً وقلت بأنني مولى زياد

* * *

ما أخرج من سائر ملحه

فمنها قوله [من الوافر] :

إذا استقلت أو أبغضت خلقاً وسرَّك بعده حتى التنادي^(٣)

(١) الرديني : الرمح .

(٢) الزلل : الخطأ ، والوجل : الخوف .

(٣) التنادي : القيامة .

فشرده بقرض دريهما٢ فإن القرض داعية البعاد

وقوله [من الوافر] :

أقول لليلة فيها أتاني
أيا ليلي الذي ما كنت تفنى
أيأجوج إذا نحن التقينا
حبيب في مصارمتي لجوج^(١)
قصرت وكنت قدما ما تروج !
وأيام التهاجر أنت عوج^(٢)

وقوله [من الطويل] :

ذرى شجر للطير فيه تشاجر
كأن نسيم الروض في جنباته
كأن القمارى والبلايل حولها
شربنا على ذاك الترثم قهوة
كأن صنوف النور فيه جواهر
لخالخ فيما بيننا وزرائر^(٣)
قيان وأوراق الغصون ستائر^(٤)
كأن على حافات الدر دائر

وقوله ، وهو مما يتغنى به [من البسيط] :

وروضة بات ظل الغيث ينسجها
يكي عليها بكاء الصب فارقه
إذا تنفس فيها ريح نرجسها
أقول فيها لساقينا وفي يده
حتى إذا نجمت أضحى يدبجها^(٥)
إلف فيضحكها طيرا ويهجهها
ناغى جني خزامها بنفسجها
كأس كشعلة نار إذ يؤججها
تبخل بذاك قدمعي سوف يمزجها
لا تمزجها بغير الريق منك وإن

(١) المصارمة : المقاطعة والهجر ، واللجوج : الملح .

(٢) يأجوج : ورد ذكره في القرآن الكريم ، وعوج : من ولد آدم يقال إنه لفرط طوله كان يمشي في البحر ويشوي السمكة في أشعة الشمس .

(٣) لخالخ : من اللخلخة ، وهو طيب معروف .

(٤) القماري : من الطيور المغردة .

(٥) نجمت : طلعت .

أقل ما بي من حبيك أن يدي إذا دنت من فؤادي كاد ينضجها
وقوله [من مجزوء الرمل] :

ومدام كست الكأ س من النور وشاحا
ظهرت في جنح ليل فكأن الفجر لاحا
لم يكن وقت صباح فحسبناه صباحا
وقوله [من مجزوء الرمل] :

قلت والليل له الويد ل مقيم غير ساري
أعظم الخالق أجر ال خلق في شمس النهار
فلقد ماتت كما ما ت عزائي واصطباري

وقوله [من الخفيف] :

أنا أخفي من أن يحس بجسمي أحد حيث كنت لولا الأنين
فكأنني الهلال في ليلة الشك نحولاً فما تراني العيون
وقوله [من الخفيف] :

صدئي عن حلاوة التشيع اجتنابي مرارة التوديع
لم يقم أنس ذا بوحشة هذا فرأيت الصواب ترك الجميع
وقوله [من السريع] :

يا ذا الذي أصبح لا والد له على الأرض ولا والده
قد مات من قبلهما آدم فأني نفس بعده خالده
إن جئت أرضاً أهلها كلهم عور فغمض عينك الواحد
وقوله [من السريع] :

نكبت في شعري وثغري وما نفسي في صبري بمنكوبه

إذا دنتُ بيضاء مكروهة مني نأت بيضاء محبوبه
وقوله [من مجزوء الكامل] :

قالوا تكهّل من هوى عاينت من طلابه
وكذاك أصحاب الحديد ث نفاقهم عند الكبير

وقوله [من المتقارب] :

بكيت بدمع يفوق السحاب ولو لم أكن رجلاً سابحاً
غرقت وألزمت نفسي الجناحا

وقوله [من البسيط] :

ليل المحبين مطويّ جوانبه فأطلع الشمس من غيظ على القمر^(١)
ما ذاك إلا لأنّ الصبح نمّ بنا

وقوله [من مجزوء الوافر] :

بدائع خده ورد صوالج صدغه سيج
إذا اتّصلت محاسنه نقطع بينها المهج

وقوله ، وهو مما يستغفر منه [من البسيط] :

يا قاسم الرزق لم خانتني القسم ما أنت متّهم قل لي من أتّهم ؟
إن كان نجمي نحساً أنت خالقه فأنت في الحاليتين الخصم والحكم !

وقوله في أمرد التحى [من السريع] :

انظر إلى ميت ولكنه خلو من الأكفان والغاسل

(١) نمّ : وشى ودلّ .

قد كتب الدهر على خده بالشعر هذا آخر الباطل

وقوله [من الطويل] :

أهزك لا أني عرفتكَ ناسياً لوعدي ولا أني أردت تقاضياً
ولكن رأيت السيف من بعد سلّه إلى الهزّ محتاجاً وإن كان ماضياً^(١)

أحسن ، وأبلغ منه في معناه قول محمد بن أبي زرعة الدمشقي [من الخفيف] :

لا ملومٌ مستقصراً أنت في البرّ ولكن مستعطفٌ مستزادٌ
قد يهزّ الهندي وهو حسامٌ ويحثّ الجواد وهو جواد

* * *

١٠٩ - عبيد الله بن أحمد البلدي النحوي

لم أسمع ذكره وشعره إلا من أبي الحسن المصيصي الشاعر ، وكان قد
عاشره واستكثر منه ، فحكى لي أنه كان أعور ، فاعتلت عينه الصحيحة ، حتى
أشرف على العمى فقال وأستغفر الله من كتبه [من مخلع البسيط] :

إن قلت جوراً فلا تلمني بأن ربّ الوريّ المسيحُ
أراك تعمى وذاك يبري فهو إذاً عندي الصحيح

قال : وأنشدني عبيد الله لنفسه [من مخلع البسيط] :

للحسن في وجهه شهود تشهد أنا له عبيدٌ
كأنما خده وصالٌ وصدغه فوقه صدود
يا من جفاني بغير جرم أقصر فقد نلت ما تريد^(٢)

(١) الهزّ : التحريك ، وماضياً : قاطعاً .

(٢) أقصر : كفّ وامتنع .

إن كان قد رقَّ ثوب صبري عنك فثوب الهوى جديد

وقال : أنشدني لنفسه أيضاً [من مجزوء الكامل] :

يا ذا الذي في خدّه جيشان من زنجٍ وروم
هذا يغير على القلو ب وذا يغير على الجسوم
إنني وقفت من الهوى في موقفٍ صعبٍ عظيم
كوقوف عارضك الذي قد حار في ماء النعيم

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من مجزوء الكامل] :

هات المدامة يا شقيقي نشربُ على روض الشقيق
كأس العقيق نديرها ما بين أكناف العقيق^(١)

آخر القسم الأول من كتاب يتيمة الدهر حسب تقسيم المؤلف رحمه الله تعالى ويتلوه القسم الثاني ، وهو في « أخبار دولة آل بويه » .

(١) الأكناف : الجوانب .

القسم الثاني
من يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر
وهو في أخبار دولة آل بويه

بسم الله الرحمن الرحيم

أبدأ - بعد حمد الله تعالى ، والصلاة على محمد المصطفى وآله - بباب
مقصود على ملوك آل بويه الذين شعروا ورويت أشعارهم ، لما تقدم ذكره من
الانتساب إلى قائلها ، لا لكثرة طائلها ، والله الموفق للصواب .

الباب الأول

في ذكرهم ، وما أخرج من ملحم وأشعارهم

١١٠ - عضد الدولة أبو شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة

كان - على ما مكن له في الأرض ، وجعل إليه من أزمة البسط والقبض .
وخص به من رفعة الشان ، وأوتي من سعة السلطان - يتفرغ للأدب ، ويتشاغل
بالكتب ، ويؤثر مجالسة الأدباء ، على منادمة الأمراء ، ويقول شعراً كثيراً يخرج منه
ما هو من شرط هذا الكتاب من الملح والنكت ، وما أدري كم فصل بارع ،
ووصف رائع ، قرأته للصاحب في وصف عضد الدولة .

فمن ذلك : وأما قصيدة مولانا فقد جاءت ومعها عزة الملك ، وعليها رواء
الصدق ، وفيها سيما العلم ، وعندها لسان المجد ، ولها صيال الحق .

ومنه : لا غرو إذا فاض بحر العلم ، على لسان الشعر ، أن ينتج ما لا عين
وقعت على مثله ، ولا أذن سمعت بشبهه .

ومنه : لو استحق شعر أن يعبد لعذوبة مناهله ، وجلالة قائله ، لكانت
قصيدته هي . إلا أنني اتخذتها عند امتناع ذلك قبله ، أوجه إليها صلوات
التعظيم ، وأقف عليها طواف الإجلال والتكريم .

ومنه : شعر قد حبس خدمته على فكره ، ووقف كيف شاء على أمره ، فهو
يكتب في غرة الدهر ، ويشدخ جبهتي الشمس والبدر .

ثم من أراد أن ينظر في أخبار عضد الدولة ويقف على محاسن آثاره ،
فليتأمل الكتاب التاجي ، من تأليف أبي إسحاق الصابي ، لتجتمع له مع الإحاطة
بها بلاغة من قد تسهل له حزونها ، ولا ينته متونها ، وأطاعته عيونها .

حدثني أبو بكر الخوارزمي ، قال : كان ينادم عضد الدولة بعض الأدباء
الظرفاء ، ويحاضر بالأوصاف والتشبيهات ، ولا يحضر شيء من الطعام والشراب
وآلاتهما وغيرها ، إلا وأنشد فيه لنفسه أو لغيره شعراً حسناً ، فبينما هو ذات يوم معه
على المائدة ينشد كعادته إذ قدمت بهطة^(١) فنظر عضد الدولة كالأمر إياه بأن
يصفها ، فأرتج عليه ، وغلبه سكوت معه خجل ، فارتجل عضد الدولة وقال [من
السريع] :

بهطة تعجز عن وصفها يا مدعي الأوصاف بالزور^(٢)
كأنها في الجام مجلوة لآلئ في ماء كافور^(٣)

وأنشدني محمد بن عمر الزاهر قال : أنشدني أبو القاسم عبد العزيز بن
يوسف ، قال : أنشدني عضد الدولة لنفسه في أبي تغلب ، عند اعتذاره إليه من
معاودة بختيار عليه ، والتماسه كتاب الأمان منه [من الكامل] :

أفأق حين وطئت ضيق خناقه يبغي الأمان وكان يبغي صارما
فلأركبن عزيمة عضدية تاجية تدع الأنوف رواغما^(٤)

(١) البهطة : الأرز يطبخ باللبن والسمن .

(٢) الزور : الكذب .

(٣) الجام : إناء من فضة .

(٤) رواغماً : أي ممثلة ومذعنة .

ومما ينسب إليه ، وأنا أشك فيه ، أبيات يتداولها القوالون وهي [من الوافر] :
 طربت إلى الصبوح مع الصباح وشرب الراح والغرر الملاح
 وكان الثلج كالكاפור نثراً وناراً عند نارنجٍ وراح
 فمشمومٌ ومسروبٌ ونارٌ وصبحٌ والصبوح مع الصباح^(١)
 لهيبٌ في لهيبٍ في لهيبٍ صباحٌ في صباحٍ في صباح
 وأنشدني أبو سعيد نصر بن يعقوب أبياتاً لعضد الدولة ، اخترت منها قوله في

الخيرى [من البسيط] :

يا طيب رائحةٍ من نفحة الخيرى إذا تمزّق جلباب الدياجير^(٢)
 كأنما رشٌ بالماورد أو عبت فيه دواخن ندّاً عند تبخير
 كأنّ أوراقه في القدّ أجنحةٌ صفراً وحمراً ويضّ من دنانير
 واخترت من قصيدته التي فيها البيت الذي لم يفلح بعده أبداً قوله [من الرمل] :
 ليس شرب الكأس إلاّ في المطر وغناء من جوارٍ في السحر
 غانيات سالبات للنهى ناغمات في تضاعيف الوتر
 مبرزات الكأس من مطلعها ساقيات الراح من فاق البشر
 عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر
 سهّل الله له بغيته في ملوك الأرض ما دار القمر
 وأراه الخير في أولاده ليساس الملك منه بالغرر^(٣)
 فيحكى أنه لما احتضر لم ينطق لسانه إلا بتلاوة قوله تعالى ﴿ ما أغنى عني ماليه ،
 هلك عني سلطانيه ﴾^(٤) .

* * *

(١) المشموم : المسك . والمسروب : الخمر المتسرّب من الدن .

(٢) الخيرى : نوع من الورد الذكيّ الرائحة ، والدياجير : الظلمات .

(٣) ليساس : ليقاد . والغرر : الأفعال البيضاء .

(٤) الأيتان ٢٨ و ٢٩ من سورة الحاقة .

١١١ - عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة

لم أسمع له شعراً حتى ورد نيسابور هرون بن أحمد الصيمري ، ورأيت
متصلاً بالأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي ، فعرض على كتابه المترجم
بحديقة الحدق ، وفيه أنشدني بعض أخوالي قال : أنشدني القاضي أبو بكر بن
قريعة ، قال : أنشدني عن الدولة لنفسه [من المتقارب] :

فيا حبذا روضتنا نرجسٍ تحيٍ الندامى بريحانها
شربنا عليها كأحدافنا عقاراً بكأسٍ كأجفانها
ومسنا من السكر ما بيننا نجرر ريطاً كقضبانها^(١)

وبهذا الإسناد له [من الكامل] :

اشرب على قطر السماء القاطر في صحن دجلة واعص زجر الزاجر
مشمولةً أبدى المزاج بكأسها دراً نثيراً بين نظم جواهر
من كفّ أعيدَ يستيبك إذا مشى بدلال معشوقٍ ونخوة شاطر^(٢)
والماء ما بين الغصون مصفّقٌ مثل القيان رقصن حول الزامر

وأنشدني أبو سعيد^(٣) قال : أنشدني أبو جعفر الطبري طبيب آل بويه ،
قال : أنشدني بختيار لنفسه [من الوافر] :

وفأوك لازمٌ مكنون سري وجبك غايتي والشوق زادي
وخالك في عذارك في الليالي سوادٌ في سوادٍ في سوادٍ

* * *

(١) ماس : تمايل دلاً ، والريط : الملاء .

(٢) يستيبك : يسلب لبك ، ويستأسرك .

(٣) في إحدى نسخ ١ « سعد » محرفاً .

١١٢ - تاج الدولة أبو الحسين^(١) أحمد بن عضد الدولة

هو آدب آل بويه وأشعرهم وأكرمهم ، وكان يلي الأهواز ، فأدركته حرفة الأدب ، وتصرفت به أحوال أدت الى النكبة والحبس من جهة أخيه أبي الفوارس ، فلست أدري ما فعل به الدهر الآن .

أنشدني أبو سعيد بن دوست ، قال : أنشدني أبو الحسن محمد بن المظفر العلوي النيسابوري ، قال : أنشدني أبو العباس الملحي القوال بسوق الأهواز ، قال : أنشدني تاج الدولة أبو الحسين بن عضد الدولة لنفسه [من الطويل] :

سلامٌ على طيفرٍ ألمٍ فسلاً	وأبدى شعاع الشمس لما تكلماً ^(٢)
بدا فيدا من وجهه البدر طالعاً	لدى الروض يستعلي قضيباً منعماً
وقد أرسلت أيدي العذارى بخذه	عذاراً من الكافور والمسك أسحماً ^(٣)
وأحسب هاروتاً أطاف بطرفه	فعلّمه من سحره فتعلماً ^(٤)
ألم بنا في دامس الليل فانجلى	فلما انثنى عنا وودّع أظلماً

وأنشدني بديع الزمان له هذين البيتين [من الطويل] :

هب الدهر أرضاني وأعتب صرفه وأعقب بالحسنى من الحبس والأسر
فمن لي بأيام الشباب التي مضت ومن لي بما أنفقت في الحبس من عمري؟

ووجدت مجموعاً من شعر تاج الدولة أبي الحسين بخط أبي الحسن علي بن أحمد بن عبدان ، فاخترت منه قوله رحمه الله تعالى في أرجوزة [من مجزوء الرجز] :

ألا شفيت علّتي من العداة بالتي

(١) وفيها « أبو الحسن » .

(٢) ألم : حلّ وزار .

(٣) الأسحم : الأسود .

(٤) هاروت : ملك كان يبابل ورد ذكره في القرآن الكريم .

وصارم مهنّد ماضٍ رقيق الشفرة
 وليلةٍ أحييتها منوطةٍ بليلة
 كأنما نجمُ الثريّا في الدجى ومقلتي
 جوهرتا عقدٍ على نحر فتاةٍ طفلة
 أفكر في بني أبي وفعل بعض إخوتي
 تظنّ أنّي أحمل الضّميم فأين همتي
 تقنع بالأهواز لي وواسط والبصرة
 لست بتاج الدولة سليل تاج الملة
 إن لم تزر بغداد بي عمّا قليل كبتّي^(١)
 وعسكرٍ عرمرم يملك كلّ بلدة
 حشو الجبال والفلا مواكبٌ من غلمتي^(٢)
 نصرتهم منّي ومن ربّ السماء نصرتي

وقوله من قصيدة [من الرجز] :

أنا ابن تاج الملة المنصور تا ج الدولة الموجود ذو المناقب
 أسماؤنا في وجه كلّ درهمٍ فوق كلّ منبرٍ لخاطب

وقوله من قصيدة [من الوافر] :

أنا التاج المرصّع في جبين الممالك سالك سبل الصلاح
 كتائبنا يلوح النصر فيها برايات تطرّق بالنجاح
 تكاد ممالك الأفاق شرقاً تسير إلّيّ من كل النواحي
 ألا لله عرضٌ لي مصونٌ مقام المجد بالماء المباح

(١) الكبة : الحملة والدفعة في الحرب .

(٢) غلمتي : جنودي ، والمعنى أنّ جنوده يملأون الجبال والفلات .

وقوله من طردية [الرجز] :

مردفةً فوق متون القود	صرنا مع الصباح بالفهود
بالقطف والجلال واللبود ^(١)	قد وطئت توطئة المهود
قد ألبستُ وشياً على الجلود	فهي كقومٍ فوقها قعود
تبكي لشبلٍ ضائعٍ فقيد	يخالها الناظر كالأسود
فقابلت مرادها في اليد	بأدمعٍ على الخدود سود
تفوت لحظ الناظر الحديد ^(٢)	وقطعت حبال المسود
فكم بها من هالكٍ شهيد ^(٣)	ركضاً إلى اقتناص كلّ رود
بنحسها نطلّ في السعود	منعفر الخدّ على الصعيد
فكثرتُ ولائم الجنود	جدنا بها ، والجود بالموجود

* وشبّت النيران بالوقود *

واخترت منه قوله في الغزل سامحه الله تعالى وعفا عنه [من الهزج] :

وقد لاحت لي النّثره ^(٤)	سقاني سحراً خمرة
مليح الوجه والطّره	غزالُ فاتن الطرف
ت قلبي صاحب الوفرة ^(٥)	أنا ملكٌ وقد ملك
على أبهى من الزهره	وقد زرفن صدغيه
ض في أحمر في صفره	فمن أسود في أبيه
ل أو تبدو له نفره	إذا حاول أن يجهـ
عليه فأتى مكره	أعان الشيخ إبليسُ

(١) القطف : جمع قطيفة ، وهي دثار غمّل .

(٢) المسود : جمع مسد : وهو جبلٌ من ليف مضمفور . والناظر الحديد : أي القوي .

(٣) الرود : الفتاة الحسناء .

(٤) النثره : كوكبان متقاربان بهما بياض .

(٥) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس .

وله في النكبة^(١) [من البسيط] :

حتى متى نكبات الدهر تقصدي لا أستريح من الأحزان والفكر
إذا أقول مضى ما كنت أحذره من الزمان رمانى الدهر بالغير^(٢)
فحسبي الله في كل الأمور فقد بدلت بعد صفاء العيش بالكدر

* * *

١١٣ - أبو العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة رحمهم الله تعالى !

أنشدت له أبياتاً ، تدل على فضل مستكثر من مثله ، ولم يحضرني إلا هذه [من
مجزوء الرمل] :

أدر الكأس علينا أيها الساقى لنطرب
من شمول مثل شمس في فم الندمان تغرب
فحكّت حين تجلّت قمراً يلثم كوكب^(٣)
ورد خديه جنى لكن الناطور عقرب
فاذا ما لدغت فالـريق درياق مجرب

(١) هذه القطعة ليست في «ب» .

(٢) الغير : النوائب والصروف .

(٣) حكّت : شابهت .

الباب الثاني

١١٤ - في ذكر المهلبى الوزير وملح أخباره ،

ونصوص فصوله وأشعاره

هو أبو محمد الحسن بن محمد ، من ولد قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، كان من ارتفاع القدر ، واتساع الصدر ، ونبل الهمة ، وفيض الكف ، وكرم الشيمة : على ما هو مذكور مشهور ، وأيامه معروفة في وزارته لمعز الدولة ، وتدبيره أمور العراق ، وانبساطه في الأموال ، مع كونه غاية في الأدب والمحبة لأهله ، وكان يترسل ترسلأ مليحاً ، ويقول الشعر قولاً لطيفاً ، يضرب بحسنه المثل ، ولا يستحلي معه العسل ، يغذي الروح ، ويجلب الروح ، كما قال بعض أهل العصر [من الخفيف] :

بأبي من إذا أراد سراري عبرت لي أنفاسه عن عيبر
وسباني ثغر كدرٍ نظيمٍ تحته منطق كدرٍ نشير
وله طلعة كنيل الأمانى أو كشعر المهلبى الوزير

حدثني أبو بكر الخوارزمي وأبو نصر بن سهل بن المرزبان وأبو الحسن المصيصي ، فدخل حديث بعضهم في بعض فزاد ونقص ، قالوا : كانت حالة المهلبى الوزير قبل الاتصال بالسلطان حال ضعف وقلة ، وكان يقاسي منها قذى

عينه ، وشجى صدره ، فبينما هو ذات يوم في بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الجراب والمحراب ، إلا أنه من أهل الآداب ، إذ لقي في سفره نصباً ، واشتهى اللحم ، فلم يقدر على ثمنه ، فقال ارتجالاً [من الوافر] :

ألا موتٌ يباع فأشتريه فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا موتٌ لذيد الطعم يأتي يخلّصني من العيش الكريه
إذا أبصرت قبراً من بعيد وددت لو آتني ممّا يليه
ألا رحم المهيمن نفس حرّاً تصدّق بالوفاة على أخيه

فاشترى له رفيقه بدرهم واحد لحماً ، فأسكن به قرمه^(١) وتحفظ الأبيات وتفارقا ، وضرب الدهر ضرباته ، حتى ترقّت حالة المهلي إلى أعظم درجة من الوزارة فقال [من مجزوء الكامل] :

رقّ الزمان لفاقتي ورثى لطول تحرّقي
وأنالني ما أرتجي وأجار ممّا أتقي
فلأصفّحنّ عمّا أنا ه من الذنوب السبق
حتى جنايته بما فعل المشيب بمفرقي

وحصل الرفيق تحت كل كل من كلاكل الدهر ، ثقل عليه بركه^(٢) وهاضه عركه^(٣) فقصّد حضرته ، وتوصل إلى إيصال رقعة تتضمن أبياتاً منها [من الوافر] :

ألا قل للوزير فدتّه نفسي مقال مذكّر ما قد نسيه :
أتذكر إذ تقول لضنك عيشٍ ألا موتٌ يباع فأشتريه ؟
فلما نظرفيها تذكره ، وهزته أريحية الكرم ، للحنين إليه ، ورعاية حق

(١) القرم : شدة الشهوة إلى اللحم .

(٢) البرك : البروك وهو النزول .

(٣) عركه : عفاه دلكاً وحكاً وحمل عليه .

الصحة فيه ، والجري على حكم من قال [من البسيط] :

إنَّ الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن^(١)
وأمرله في عاجل الحال بسبعمئة درهم ، ووقع في رقعة ﴿ مثل الذين ينفقون
أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله
يضاعف لمن يشاء ﴾ ثم دعا به وخلع عليه وقلده عملاً يرتفق به ، ويرتزق منه .

ونظير البيتين قول بعضهم [من البسيط] :

قل للوزير أدام الله دولته أذكرتنا أدمنا ، والخبز خشكار^(٢)
إذ ليس في الباب بواب لدولتكم ولا حمار ولا في الشط طيار

وحكى أبو إسحاق الصابي في الكتاب التاجي قال : كان لمعز الدولة أبي
الحسين غلام تركي يدعى تكين الجامدار أمرد ، وضىء الوجه ، منهمك في الشرب
لا يعرف الصحو ، ولا يفارق اللعب واللهو ، ولفرط ميل معز الدولة إليه وشدة
إعجابه به ، جعله رئيس سرية جردها لحرب بعض بني حمدان ، وكان المهلبى
يستظرفه ويستحسن صورته ، ويرى أنه من عدد الهوى ، لا من عدد الوغى ، فمن
قوله فيه [من مجزوء الكامل] :

ظبي يرق الماء في وجناته ويرق عوده
ويكاد من شبه العذا رى فيه أن تبدو نهوده
ناطوا بمعقد خصره سيفاً ومنطقة تؤوده^(٣)
جعلوه قائد عسكري ضاع الرعيل ومن يقوده!^(٤)

(١) أسهلوا : أي أصابتهم النعمة .

(٢) الأدم : الطعام . والخشكار : صفة للخبز « فارسية » .

(٣) تؤوده : تثقله وتتعبه .

(٤) الرعيل : هنا الجيش .

فما كان بأسرع من أن كانت الدائرة على هذا القائد ، وخرج الأمر على ما أشار به المهلي .

ومما يستحسن في هذا المعنى قول ابن المعتز في وصف خادم [من الطويل] :

عجبت لتأمر الرجال مقرطاً ينوء بخصر في القباء هضيم^(١)
يذكر عزاب الجيوش إذا بدا بخد كعابٍ أو بمقلة ريم^(٢)

وذكر الصابي أن أبا عينة المهلي ، الذي استفرغ نسيبه في صاحبه دنيا من عمومة الوزير ، وكان المهلي يحفظ أكثر أشعاره ، ويتأسف على ما فاته من زمانه فمن قوله [من الكامل] :

إنني وصلت مفاخري بآبٍ حاز الفخار وطاول العليا
وأجاب داعيه وخلّفي وحديثه فكأنما يحيا
وتلوت عمي في تغزّكه وشربت رياء من هوى ريا^(٣)
فكأنني هو في صبابته وكأنه في حسنّها دنيا

وقوله لما تقلد الوزارة [من الطويل] :

لقد ظفرت والحمد لله منيتي بما كنت أهوى في الجهارة والنجوى^(٤)
وشارفت مجرى الشمس فيما ملكته من الأرض واستقررت في الرتبة العليا
وعاينت من شعر العينين حلّة تعاون فيها الطبع والمهجة الحرا

(١) المقرط : اللابس لنوع من الثياب يقال له « القرطق » .

(٢) العازب : من لا زوج له .

(٣) تلوت : خلفته وتبعته .

(٤) النجوى : الأسرار .

فحرّكني عرق الوشيجة والهوى لعمي وأطت بي إلى الرّحم القربى^(١)
فيا حسرتي أن فات وقتي وقته ويا حسرةً تمضي وتتبعها أخرى
ويا فوز نفسي لو بلغت زمانه وبغيته دنيا وفي يدي الدنيا
فمكنته من أهل دنيا وأرضها ففاز بما يهوى وفوق الذي يهوى

ما أخرج من كتاب الروزنامجة للصاحب إلى ابن العميد مما يتعلق بملح أخبار المهلبى

فصل : وردت أدام الله عز مولانا العراق ، فكان أول ما اتفق لي استدعاء
مولاي الأستاذ أبي محمد أيده الله ، وجمعه بين ندمائه من أهل الفضل وبينى .
وكان الذي كلمني منهم شيخ ظريف خفيف الروح أديب ، متقعر في كلامه لطيف
يعرف بالقاضي ابن فريجة فإنه جاراني في مسائل خفتها تمنع من ذكرها وافتضاها
إلا أنني استظرفت قوله في حشو كلامه هذا الذي أوردته الصافة عن الصافة ،
والكافة عن الكافة ، والحافة عن الحافة ، وله نوادر غريبة وملح عجيبة .

ومنها أن كهلاً تطايب بحضرة الأستاذ أبي محمد أيده الله سأله عن حد القفا
مريداً تخجيله ، فقال : هو ما اشتمل عليه جربانك ، ومازحك فيه إخوانك ،
وباسطك فيه غلمانك ، وأدبك عليه سلطانك ، فهذه حدود أربعة .

فانصرفت وقد ورد الخبر بمضي أبي الفضل صاحب البريد رضي الله عنه
ورحمه وأنساً أجّل مولانا ومد فيه ، فساعدت القوم على الجلوس للتعزية عنه لما
كان من الحال يعرف بيني وبينه [من الكامل] :

صلةٌ غدت في الناس وهي قطيعةٌ عجباً وبرٌّ راح وهو جفاءُ
فما تمكنت أن جاءني رسول الأستاذ أبي محمد أيده الله يستدعيني فعرفته

(١) الوشيجة : القرابة والصلة . وأطت : شدّت وحملت .

عذري وحسبته يعفيني ، فعاودني بمن استحضرنى فدخلت عليه وقد قعد للشرب
فأكرهني عليه ، ثم قال : أتعرف أحسن صنيعاً مني بك ، وقد نقلتك عن واحرباه
الى واطرباه ، وسمعت عنده خادمه المسمى سلفاً ، وهو يضرب بالطنبور ويجيد
ويغني ويحسن ، وفيه يقول وقد شربنا عنده سلفاً [من الخفيف] :

قد سمعنا وقد شربنا سلفاً وجمعنا بلطفه أوصافا
وشاهدت من حسن مجلسه وخفة روح أدبه وإنشاده للصنوبري وطبقته ما
طاب به الوقت ، وهشت له النفس ، وشاكل رقة ذلك الهوى ، وعذوبة ذلك
اللمى .

وكان فيما أنشدني لنفسه وقد عمله في بعض غلمانة [من الكامل] :

خططٌ مقومَةٌ ومفرق طُرٌّ فكأنَّ سنَّةَ وجهه محرابٌ^(١)
وريت في كشف الذي ألقى به فتعطل النَّمَام والمغتَاب^(٢)
فانصرفت عنه وجعلت ألقاه في دار الإمارة . وهو على جملة من البر
والتكرمه ، حتى عرفت خروجه إلى بستان بالياسرية لم ير أحسن منه ولا أطيّب من
يومه فيه لا أني حضرته ، ولكنني حدثت بما أرى له فكتبت إليه شعراً م [من
الكامل] :

قل للوزير أبي محمد الذي من دون محتده السُّهى والفرقد^(٣)
من إن سما هبط الزمان وريبه أو قام فالدهر المغالب يقعد
سقيّني مشمولٌ ذهبيّة كالنار في نور الزجاجة توقد
لما تخون صرف دهر عارض صبري وقلبي مستهامٌ مكمد

(١) الطرّة : الشعر الذي يعلو الجبين

(٢) ورّيت : من التورية وهي القول الذي يحتمل معنيين قريب وبعيد أو ظاهر وخفي .

(٣) المحتد : الأصل والنسب .

وفطمنتني من بعدها عنها فقد أصبحت ذا حزنٍ يقيم ويقعد^(١)
من أين لي مهما أردت الشرب عندك يا أخا العلياء صبر يوجد
فاستطاب هذا الشعر وأعجب به ، واستدعاني من غده ، فحضرت وأبناء
المنجم في مجلسه وقد أعدا قصيدتين في مدحه ، فمنعهما من النشيد لأحضره ،
فأنشدا وجودا ، وتمام هذه القصة في ذكر بني المنجم .

* * *

فصل من كتاب الروزنامجة أيضاً

قد حضرنا حجرة تعرف بحجرة الرياحان ، فيها حوض مستدير ينصب اليه
الماء من دجلة بالدواليب ، وقد مدت الستارة وفيها حسن العكبراوية فغنت [من
الوافر] :

سلام أيها الملكُ اليماني لقد غلبَ البعادُ على التداني

فطرب الأستاذ أبو محمد أيداه الله تعالى بغنائها ، واستعادها الصوت مراراً
وأبعثته أبياتاً وهي [من الكامل] :

تطوي المنازل عن حبيبك دائماً وتظل تبكيه بدمعٍ ساجمٍ
هلا أقمت ولو على جمر الغضا قلبت أو حدّ الحسام الصارم^(٢)

وتبعثها جارية ابن مقلّة ، ولا غناء أطيب وأطرب وأحسن من غنائها فغنت
بيتين للأستاذ وهما [من مجزوء الكامل] :

يا من له رتبٌ مم كنة القواعد في الفؤادِ

(١) فطمنتني : من الفطام ، وهو منع الطفل عن الرضاع .

(٢) الغضا : شجرٌ خطبه شديد التوهج .

أَيْحَلَّ أَخَذَ الْمَاءَ مِنْ مَتَلَهَبِ الْأَحْشَاءِ صَادِي^(١)

ففتنت الجميع ، ثم انبسطنا في الشرب . واشتغل في الشدو ، وارتفع الأمر
عن الضبط ، والأصوات عن الحفظ ، واتفقت في أثناء ذلك مذكرات ،
ومناشدات ومجاوبات ، وافترقنا .

* * *

فصل منه أيضاً

وعلى ذكر عكبنا حضرنا مع الأستاذ أبي محمد أيده الله تعالى بها فاستدعى
دنا للوقت ، وخماراً من الدير ، وريحاناً من الحانة ، واقترح غناء من الماخور ،
وأخذنا في فن من الانخلاع عجيب ، بطريق من الاسترسال رحيب . ورسم أن
يقول من حضر شيئاً في اليوم ، فاستنظروا وركبت فرسي ، فاتفقت أبيات لم تكن
عندي مستحقة لأن تكتب أو تسمع ، لكن رضاء القوم جمل لدي صورتها ، ولولا
حذري من توبيخ مولانا لطويتها وهي [من الطويل] :

تركت لسافي الريح بانه عرعرا	وزرت لسافي الراح حانة عكبنا ^(٢)
وقلت لعلج يعبد الخمر زفها	مشعشة قد شاهدت عصر قيصرنا ^(٣)
فناولنيها لو تفرق نورها	على الدهر نال الليل منها تحيرا
وأوسعني آسا وورداً ونرجساً	وأحضرني ناياً وطبلاً ومزهرنا
هنالك أعطيت البطالة حقها	وألقيت هتك السترمجداً ومفخرنا
كأني الصبا جرياً إلى حومة الصبا	أناغي صبياً من جلندا مزترنا ^(٤)
فعانقته والراح قد عقرت بنا	فكررت تقبيلاً وقد أقبل الكرى

(١) الصادي : الظامي .

(٢) الريح السافية : أي التي تهب فتسف الرمال .

(٣) العليج : الكافر .

(٤) الصبا : الريح الباردة . والجلندا : الفاجر والعاجز ، أو هي اسم بلدة .

وصدَّ عن المعنى النعاس وصادني إلى أن تصدَّى الصبح يلمع مسفراً
وهبت شمالاً نظمتُ شمل بغيتي فطارت بها عني الشمول تطيراً
فكان الذي لولا الحياء أذعته ولا خير في عيش الفتى إن تسترا

* * *

فصل أيضاً منه : وحضرت الأستاذ أبا محمد أيده الله تعالى في منظره له على
دجلة تفتح منها أبواب إلى بساتين ، فعمل بيتين صنعا في الوقت وغنى بهما ،
وهما [من المجث] :

لئن عرفت جريراً أو اعتمدت قطيعاً
فلا ظفرت بعاصٍ ولا أطعت المطيعاً

والبيت الأول يحتاج إلى تفسير ، فالمراد بالجريرة جريرة وبالقطيع قطيعة
وأنفذ الأستاذ أبو محمد أيده الله ليلة وقد مضى الثلث منها فاستدعاني ، وقاد دابة
نوبته كي لا أتأخر انتظاراً لدابتي ، فمضيت وألفيته قد انتهى من بستانه الكبير إلى
مصبتها من دجلة على ميادين ريحان نضرة ، فاستحسن الموضع وقعد فيه يشرب
مع خدمه : أبي الكأس ؛ وسلاف ، وأبي المدام ، وشراب ، وخندريس
وشمول ، وراح . وأمر فنصبت نحو مائة شمعة في أصول تلك الميادين صغيرة
وقعدت فغنى سلاف [من الرمل] :

يا شقيق النفس من حكمٍ نمتَ عن ليلي ولم أنمِ

فقال الأستاذ : بل غن [من الرمل] :

يا شقيق النفس من خدمي لم ينم ليلي ولم أنمِ
غنني من شعر ذي حكمٍ يا شقيق النفس من حكمٍ

ولم نزل نشرب الراح إلى أن باح الصبح بسرهِ ، وقام كل منا يتعثر في سكرهِ .

* * *

ما أخرج من شعره في وصف كتب ابن العميد

فمن ذلك قوله [من الكامل] :

ورد الكتاب مبشراً	قلبي بأضعاف السرور
ففضضته فوجدته	ليلاً على صفحات نور ^(١)
مثل السوالف والخدو	د البيض زينت بالشعور
بنظام لفظ كالثغو	ر وكالعقود على النحور
أنزلته في القلب منـزلة	القلوب من الصدور

وقوله [من الخفيف] :

طلع الفجر من كتابك عندي	فمتى للقاء يبدو الصباحُ
ذاك إن تمّ لي فقد عذب العيد	ش ونيل المنى وريش الجناح

وقوله [من الكامل] :

وصل الكتاب طليعة الوصل	بغرائب الإفضال والفضل
فشكرته شكر الفقير إذا	أغنائه ربّ المجد بالبذل
وحفظته حفظ الأسير وقد	ورد الأمان له من القتل

وقوله [من الكامل] :

ورد الكتاب فديته من وارد	فله قلبي من حياتي موردُ
فرأيت درأً عقده منتظماً	في كلّ فصلٍ منه فصلٌ مفرد

* * *

(١) فضضت الكتاب : فتحته .

ما أخرج من فصوله المردفة بأبيات الشعر

- فصل : رأيته فصيح الإشارة ، لطيف العبارة [من الطويل] :
إذا اختصر المعنى فشرية حائم وإن رام إسهاباً أتى الفيض بالمد^(١)
- فصل : قد نظرت فرأيت جسماً معتدلاً ، وفهماً مشتعلًا [من المتقارب] :
ونفساً تفيض كفيض الغمام وظرفاً يناسب صفو المدام
- فصل : قد عمهم بنعمه ، وغمرهم بشيمه [من الكامل] :
وغزاهم بسوابغ من فضله جعلت جماجمهم بطائن نعله^(٢)
- فصل : كأن قلبه عين ، وكأن جسمه سمع [من الكامل] :
وكان فطنته شهابٌ ثاقبٌ وكان نقد الحدس منه يقينٌ
- فصل : قد لاقت مناهجه ، وراقت مباهجه [من الطويل] :
وقصّر يوم الصيف عندي وليلة الـ شتاء سرورٌ منه رفرف طائره
- فصل : قد اغتيل كمينه ، واجتبح عرينه [من المتقارب] :
ودارت عليه رحي وقعة تظلّ الحجارة فيها طحيناً
- فصل : قد أدبته بزجرك ، وهذبت بهجرك [من الطويل] :
وإن لمست منه بعباد معاده وعصر جفاه الشرب أن يتعهداً
- فصل : قد ضيعه الجملة ، ومنعه المهلة [من المتقارب] :
وأصلاه حرّ جحيم الحديد يد تحت دخانٍ من القسطل^(٣)

(١) الخائم : الطالب المتعطش ، المخلّق والإسهاب : الإطالة .

(٢) السوابغ : النعم والعطايا . والسابعة : الدرع .

(٣) أصلاه : أذاقه الحرّ ، وأصل النار : أوقدها . والقسطل : الغبار الساطع في الحرب .

فصل : مضطرب اللسان ، منتقض البيان [من الطويل] :

قليل مجال الرأي فيما ينوبه نزولٌ على حكم النوى والتودّع

فصل : من تعرض للمصاعب ، فليثبت للمصائب [من الطويل] :

ومن خاف أن الهم يملك نفسه فأولى به ترك العلا والجسائم^(١)

فصل : وصلة متينة ، وقاعدة مكينة [من الطويل] :

وأرحام ودّ دونها الرحم التي تدانت وجلت أن يطول بها الظنّ

فصل : إنه جريح سيفك ، وطريح حيفك [من الطويل] :

ومن إن تلافاه رضاك أعاشه ومن موته إن دام سخطك حائن

فصل : قد كثرت فتوقه ، واتسعت خروقه [من الطويل] :

وفات مداواة التلافي فساده وأعيت دلالات الخبير بكاهله

فصل : قد خبا قبسه ، وكبا فرسه [من الكامل] :

وصبا ذووه إلى جناب عدوه وتقطّعت أقرانه وعلائقه

فصل : ربما وفي ضنين ، وهفا أمين [من الطويل] :

فللرجل الوافي جميل جزائه وللناصح الهافي جميل التجاوز^(٢)

فصل : قد حل بربع مأنوس ، وملك محروس [من المتقارب] :

يدبّره ملكٌ ماهرٌ بهضم القويّ وجبر الضعيفِ

(١) الجسائم : عظيم الأمور .

(٢) الهافي : المخطيء ، والتجاوز : العفو والصفح .

فصل : لئن فخر بعز لم يحضره ، وبيت لم يعمره [من المتقارب] :

فإنَّ عصير الثمار الثجير وإنَّ نفيَّ الحديد الخبث^(١)

فصل : قتل الإنسان ظلم ، وقتل قاتله حكم [من السريع] :

والسيف يبيد الجور في حالة ويذل الإنصاف في أخرى

فصل : استقر بساحة خضرة ، واستبد بعيشة نضرة [من الكامل] :

وغدا ابن دأية عندهم كمهاً وابتزَّ سوق صياحه خرس^(٢)

فصل : عادل المكيال ، وازن المئقال [من الطويل] :

يجير على سلطانه حكم دينه ويبعد في حق البعيد أقاربه

فصل : فاتهم بشدة تجهمهم وسرعة تهجمهم [من الكامل] :

تركوا المكيدة والكمين لجهرهم والنبل والأرماع للأسياف

فصل : قد علقت منه بحبل منهوك ، وستر مهتوك [من الطويل] :

وقلبٍ شديدٍ لا يلين لخلّةٍ ولا يتلافاه الرقى والتلطّف^(٣)

فصل : أوحشت عني إبعاداً لك ، وانعطافاً عنك [من البسيط] :

وهل يباعد عذب الماء ذو غصصٍ أو ينثني عن لذيد الزاد منهوم^(٤)

* * *

(١) الثجير : الثفل ، والنفيّ : الرديء .

(٢) ابن دأية : الغراب ، والكمه : الأعمى .

(٣) الخلّة : الصداقة ، أو المرأة الخليفة .

(٤) المنهوم : الجائع .

ما أخرج من فصوله المجردة من أبيات الشعر

وانخرط بعضه في سلك كتابي المترجم بسحر البلاغة

القلب لا يملك بالمخاتلة ، ولا يدرك بالمجادلة ، له أنعام كثيرة الشهود ،
وأفضال غزيرة المدود . لم يعلم في أي حنف تورط ، وأي شر تأبط ، محامد أقر
بها الراضي والغضبان ، وأوضحها الدليل والبرهان . كيس البيع رابح الشراء ،
حسن الأخذ والعطاء . يؤذي صدره ويمنعه من النفث ، ويجرح خاطره ويعوقه عن
العبث . لما أجاب أطاب . وتفسح في رحاب الصواب . قد ألنت عريكة الدهر
له ، وكففت غرب الزمان عنه . يفور غيظاً ، ويتميز حقداً ، ويتلظى غضباً ،
ويزيد حنقاً . قد قام بيني وبين وصلك حاجز من فعلك ، قد ابتذلت جديد وده ،
واستحللت حرام صده . من حنث في أيمانه ، وأخل بأمانته ، فإنما ينكث على
نفسه ، حلف يمين برشهد بها تصديقي ، واستيقنتها نفسي . قد ترامت به البلدان
والأسفار ، ونبت عنه الأوطان والأوطار ، وضاعت به الأعطان والأقطار . تركت قلبه
طافحاً بوجده ، ودמע سافحاً على خده [لو سالمه الأسد رام ظلمه ، أو خاشنه
الضر طلب سلمه]^(١) قد أمرته أن يجعل رأيك سراجيه ، ورسمك منهاجيه ، قد
شربت وشلا من وده ، ولبست سملاً من عهده . لاكشفنه لكل ليل بارد ، ونهار
واقد . اكفف عن لحم يكسبك بشما وفعل يعقبك ندما . مستثقل من كراه ، ثمل
من عناه [طرقي ثناء ما تتلقى شفتاي بذكره ، ولا يثبت بالي لخطره]^(٢) لست غفلا
عن الدهر فتنكر نوائبه ، ولا مطيقاً له فتدفع مصائبه . قد تناسخت الأيام قواه ،
وشذبت الحوادث هواه . تبدى وجه المطابق والموافق ، وتخفي نظر المسارق
والمنافق ، لو أن البرق فطنته ، والريح جنبته ، والسد سوره ، لتغشاها حسبي ،

(١) ما بين الحاصرتين ليس في «ب» .

(٢) ما بين الحاصرتين ليس في «ب» .

واستخرجه طلبى ، ولما خذلته أنصاره ، وقطعته أرحامه ، وقعدت عنه أشياعه ، أوليته من حمايتي عضداً . ومن عنايتي مدداً ، وجدته أمد يداً من باعه ، وأبسط قعوداً من قيامه ، مكن موضع رجلك قبل مشيك . وتأمل عاقبة فعلك قبل سعيك . عصارة لؤم في قرارة خبث ، غصن مهصور بالموت ، معصور بالتراب ، قد خفف همه بالشكوى ، وحل حزنه بالبكاء كما حذيت النعل بالنعل ، وقد الشراك على المثل ، يعدل عن النص إلى الخرص ، وعن الحس إلى الهجس . في حكمه ضارم فصل ، وفي يده خاتم عدل ، سديد المذاهب ، سعيد المناقب ، نجيح المطالب . دلاه في خطر ، وأسلمه إلى غرر . لا زلت في إقامة ممهدة الحشاي . وحركة وطيفة المطايا . دفعه إلى شفير ، وأطلعه على حقير . استدعى حضوري خالياً ، واستدنى مجلسي مكرماً ، واستوفى مقالتي مصغياً ، وأعطاني معروفه مسمحاً ، ونزل على مسألتي مسهلاً ، وقضى حاجتي مجملاً ، وصرفني بالنجاح عجلاً . طيب المغرس ، زاكي المنبت ، نضير المنشأ ، رفيع الفرع ، لذيد الثمر . متقلب بين استقبال شباب ، واستقلال حال . وشرخ قصف ، وفناء ظرف . وجدت فيه مصطنعاً ، وبه مستمتعاً ، قد وفر همه على مطعم يجوده . ومركد يمهد . أنا أذمم من استئصال مثلك ، وأهب جرمك لفضلك . من ضاف الأسد قراه أظفاره ، ومن حرك الدهر أراه اقتداره ، وجدت فيه مع علوسه ، وأخذ الأيام من جسمه بقية حسنة . ومتعة حلوة ، التصرف أسنى وأعلى ، والتسيم أعفى وأصفى ، ومهما اخترت من الأمرين أمراً فعنايتي تحرسك فيه ، ونظري يمكنك منه ، لو لم يكن في تهجين الرأي المفرد ، وتبيين عجز التدبير الأوحد ، إلا أن الاستلقاح - وهو أصل كل شيء - لا يكون إلا بين اثنين وأكثر الطيبات أقسام تجمع وأوصاف تؤلف .

* * *

ما أخرج من شعره في جاريته تجني

من ذلك قوله [من المنسرح] :

مرّت فلم تثن طرفها تيهـا
تلك تجنّي التي جنت بها
يحسدها الغصن في تشيها^(١)
أعاذني الله من تجنيها

وقوله [من الخفيف] :

ربّ ليلٍ لبست فيه التصابي
في محلّ يحلّه لذّة العـي
وخلعت العذار والعذل عني
ش ويجني سروره من تجني

وقوله [من الخفيف] :

لي صديق في ودّه لي صدوق
يا تجنّي كتمت ثم بدا لي
وبرعي الحقوق منّي حقيق
كلّما سرت من فراقك ميلاً
أنت ذاك الصديق لي والرفيق
فحياتي مصروفة في طريق
مال من مهجتي إليك فريق
للمنايا عليّ فيها طروق

وقوله [من الخفيف] :

منيّة سابت ورود البشير
يا عروساً زفّت إليّ فأهـدي
وموافٍ أوفى على التقدير
بالتملّي وبالرجا والسرور
ت إليّها رقى مكان المهور
قد لعمرى وفيت لي وسأجزي
يا حياتي والمنزل المعمور
ك وفاءً بالشرط بعد النذور

وقوله [من الطويل] :

لقد واظبت نفسي على الحب في الهوى
بإنسانة ترعى الهوى وتواظب

(١) تشيها : دلالها وتماييلها .

صفنا لي العيش والشيب شاملٌ كما كان يصفو والشباب مصاحب

* * *

ما أخرج من شعره في الغزل وغيره

فمن ذلك قوله [من الوافر] :

أراني الله وجهك كلَّ يومِ صباحاً للتيمن والسرور
وأمتع ناظري بصحيفتيه لأقرا الحسن من تلك السطور

وقوله [من مجزوء الرمل] :

يا منى نفسي ويا حسد بي من حسن وطيب
سابقني بالوصل موتي أو مشيبي ومغيبي
فهو للفتيان في الدن يا بمرصاد قريب

وله في غلام اسمه غريب [من الوافر] :

رعى الرحمن قوماً ملكوني رشا قصر بلغت به المراد
وسمّوه مع القربى غريباً كنور العين سمّوه سوادا

وقوله [من الخفيف] :

رب ليل قطعت فيه خماري بغزال كأنه مخمور
ومصاد سرحت فيه ونصر بازيازي مظفر منصور^(١)
بصقور مثل النجوم إذا انقضّت وعصفير كأنهن صقور^(٢)

(١) بازيازي : نوع من الطيور .

(٢) انقضّت : هوت على فريستها والعصف .

وقوله [من الكامل] :

الورد بين مضمخٍ ومضرجٍ	والزهر بين مكللٍ ومتوجٍ
والثلج يهبط كالنثار فقم بنا	نلتذُّ بابنة كرمة لم تمزج
طلع النهار ولاح نور شقائقٍ	وبدت سطور الورد تلو بنفسج ^(١)
فكانَ يومك في غلالة فضةٍ	والنبت من ذهبٍ على فيروزج

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يومٌ كأنَّ سماءه	شبه الحصان الأبرش
وكانَ زهرة روضه	فرشت بأحسن مفرش
فسماءه دكن الخزو	ز وأرضه خضر الوشي ^(٢)

كانه أخذه من قول ابن الرومي [من الخفيف] :

يومنا للنديم يوم سرورٍ	والتذاذٍ ونعمةٍ وابتهاجٍ
ذو سماء كأدكن الخزَّ قد غيـ	مت وأرض كأخضر الديباج

وقوله [من الخفيف] :

يا هلالاً يبدو فيزداد شوقي	وهزاراً يرنو فيزداد عشقي
زعم الناس أن رَقِّك ملكي	كذب الناس أنت مالك رقي

وقوله [من الطويل] :

ألا يا منى نفسي وإن كنت حتفها	ومعنای في سرِّي ومغزای في جهري
تصارمتِ الأجفان منذ صرمتني	فما تلتقي إلا على عبرة تجري

(١) البهار : الضوء والصباح .

(٢) الداكن : المائل الى السواد والخزوز : من الخزَّ، قماشٌ من الحرير .

وقوله [من السريع] :

يا شادناً جدّد حبّي له من بعد حبّ سالف ساجي^(١)
بلحية قد أوصلت جمّةً مثل اتصال الطوق بالتاج^(٢)

وله في غلام ناقه من علته [من مجزوء الكامل] :

نهض العليل فقلت حيان بدا كخصن مائل
طلع الهلال لليلة بضياء بدرٍ كامل

وقوله [من الخفيف] :

قال لي من أحب والبين قد بدّ د دمعني مواصلاً للشهيق :
ما الذي في الطريق تصنع بعدي ؟ قلت : أبكي عليك طول الطريق

وقوله [من مخلع البسيط] :

لولا تسليّ بارتكاضي في البعد والقرب والتلاقي^(٣)
ودفعيّ الهمّ بالأمانى فارقت روحي مع الفراق

وقوله [من السريع] :

ينأى فأشتط وأنوي له تنقّص الداني على النائي^(٤)
حتى إذا أبصرته ذبت في يديه ذوب الملح في الماء

وقوله [من المنسرح] :

ولي حبيبٌ ألوذ فيه بأو صافرٍ وفحواه فوق ما أصفُ

(١) السالف : الماضي ، والساجي : الساكن .

(٢) الجمّة : الشعر الذي يعلو الرأس .

(٣) الارتكاض : السفر من مكان إلى مكان .

(٤) ينأى : يتباعد ، واشتط : ابتعد .

كالبدر يعلو والشمس تشرق والـ غزال يعطو والغصن ينعطف^(١)
وقوله [من مجزوء الكامل] :

إن كنت أزمعت الرحيـ ل فإن عزمي في الرحيل
أو كنت قاطنة أقمـ ت وإن منعت لذيد سؤلي
كالنجم يصحب في المـ لا يزول لدى النزول

أخذه من قول أبي تمام [من الكامل] :

كالنجم إن سافرت كان مواكباً وإذا حططت الرحل كان جليسا
وقوله [من الكامل] :

عزمي وعزم عصابة ركّاضة موصولة الإلجام بالإسراج
كالنبل عامدة إلى أهدافها والطير قاصدة إلى الأبراج

وقوله [من الطويل] :

وذي حسد ولو حلّ بي ما يريده لأصبح مفجوعاً بفيض بناني
ولم أعطه جهلاً ولكن سحائي نعم ذوي الإخلاص والشنان^(٢)

وقوله لأبي إسحاق الصابي [من البسيط] :

برّد مصيفك وافرشه بميثرة فإتني لمقام الخلّ أرتحل^(٣)
الذّاكري وإن أضحي ويعجبني أن تستريح وأن تكتنك الظلّل^(٤)

(١) يعطو : أي يتناول بفيه الى الشجر ويمدّ عنقه ليأكل منه .

(٢) الشنان : البغض .

(٣) الميثرة : شيء كالخدة يجعل على السرج .

(٤) تكتنك : تسترك .

وقوله [من الطويل] :

أَوْفِّيْ كَلَا وَقْتِيْ قَسْطُ تَأْلُهُ وقسط هوى لا يستمر لمحرّم
ولذّة وجدي من لذّاة مطربي أسرّ إلى نفسي وأعذب في فمي

وقوله [من الكامل] :

يا عارفاً بالداء مطّـرح السّؤال عن الدّواء
العلم عندي كالغذا ء فهل تعيش بلا غداء ؟

وقوله [من الرمل] :

لو توسّطت إذا لم تترك وكففت القلب عن بعض الأرب
كان أرجى لك في العقبى من أن تملأ الدلو إلى عقد الكرب^(١)

وقوله [من المتقارب] :

هب البعث لم يأتنا نذره وجماحة النار لم تضر
أليس بكافرٍ لذي فكرة حياء المسيء من المنعم ؟!

وقوله [من الكامل] :

يا من يسرّ بلذّة الدنيا ويظنّها خلقت لما يهوى
لا تكذبنّ فإنّها خلقت لينال زاهدها بها الأخرى

وقوله [من الطويل] :

بعثتُ إلى ربّ البرايا رسالةً توصل لي منها دعاء مناصح
فجاء جوابي بالإجابة وانجلت بها كربٌ ضاقت بهنّ الجوانح

* * *

(١) عجز هذا البيت من قول المهلب :

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة من بيت العرب
من يساجلني يساجل ماجداً يملأ الدلو إلى عقد الكرب

الباب الثالث

١١٥ - في ذكر أبي إسحاق الصابي ، ومحاسن كلامه

هو إبراهيم بن هلال بن هرون الصابي الحراني .

أوحد العراق في البلاغة ، ومن به تنسّى الخناصر في الكتابة ، وتنفق الشهادات له ببلوغ الغاية ، من البارة والصناعة ، وكان قد خنق التسعين في خدمة الخلفاء ، وخلافة الوزراء ، وتقلد الأعمال الجلائل ، مع ديوان الرسائل ، وحلب الدهر أشطره ، وذاق حلوه ومره . ولا بس خيره ، ومارس شره ، ورأس ورأس ، وخدم وخدم ، ومدحه شعراء العراق في جملة الرؤساء وسار ذكره في الآفاق ، ودون له من الكلام البهي النقي ما تتناثر درره ، وتتكاثر غرره . وفيه يقول بعض أهل العصر [من الكامل] :

أصبحت مشتاقاً حليف صباية	برسائل الصابي أبي إسحاق
صوب البلاغة والحلاوة والحجى	ذوب البراعة سلوة العشاق ^(١)
طوراً كما رقّ النسيم وتارة	يحكي لنا الأطواق في الأعناق
لا يبلغ البلغاء شأو مبرز	كتبت بدائع على الأحداق

(١) الصوب : المطر ، والحجى : العقل والرأي .

ويقول بعض أهل العصر فيه أيضاً [من الكامل] :

يا بؤس من يمنى بدمعٍ ساجمٍ يهمني على حجب الفؤاد الواجم^(١)
لولا تغلّله بكأس مدامة ورسائل الصابي وشعر كشاجم^(٢)

ويحكى أن الخلفاء والملوك والوزراء أرادوه كثيراً على الإسلام ، وأداروه بكل حيلة ، وتمنية جليلة ، حتى إن عز الدولة بخيار عرض عليه الوزارة إن أسلم ، فلم يهده الله تعالى للإسلام ، كما هداه لمحاسن الكلام ، وكان يعاشر المسلمين أحسن عشرة ، ويخدم الأكابر أرفع خدمة ، ويساعدهم على صيام شهر رمضان ، ويحفظ القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه ، وسن قلمه ، وبرهان ذلك ما أوردته في كتاب الاقتباس من فصوله التي أحسن فيها كل الإحسان ، وحلاها بآي من القرآن .

سمعت أبا منصور سعيد بن أحمد البريدي ببخارى يقول : إن أبا إسحاق الصابي ، كان من نساك أهل دينه والمتشددين في ديانته ، وفي محاماته على مذهبه وتصونه عما يدعو إليه الهوى يقول [من الوافر] :

حمتني لذتي رتب المعالي وضنني بالمروءة والوقار
ودينٌ ضاق فيه مجال فتكي لخوف عقوبة وحذار نار
فوا شوقاً إلى خلع العذار وفعلي ما أريد بلا اعتذار
ويا لهفي على حلّ الأزار صريعاً بين سكرٍ أو خمار^(٣)

وحدثني أبو نصر سهل بن المرزبان ، قال : بلغني أن الصابي حضر يوماً مأددة المهلبى ، فامتنع عن الأكل ، لباقلاء كانت عليها ، لأنه محرم على الصابئة

(١) يمنى : يصاب ، والواجم : الحزين المطرق .

(٢) كشاجم : أحد الشعراء المشهورين عاش في بلاط سيف الدولة .

(٣) الخمار : أثر الخمرة في الرأس .

كيفما كان من السمك ولحم الخنزير ولحم الجمل و فراخ الحمام والجراد ، فقال له المهلبى : لا تبرد وكل معنا من هذه الباقلاء ، فقال : أيها الوزير لا أريد أن أعصي الله في مأكول ، فاستحسن ذلك منه .

وكان أبو إسحاق في أيام شبابه واقتباله أحسن حالاً ، وأرخى بالاً منه في أيام استكمالهِ وزمن اِكتهالهِ ، وأورى زنداً وأسعد جداً منه حين مسه الكبر ، وأخذ منه الهرم ، وفي ذلك يقول [من الكامل] :

عجباً لحظي إذ أراه مصالحي عصر الشباب ، وفي المشيب مغاضي
أمن الغواني كان ، حتى ملني شيخاً وكان على صباي مصاحبي ؟
أمع التضعع ملني متجنباً ومع الترعزع كان غير مجانبي
يا ليت صوته إلي تأخرت حتى تكون ذخيرة لعواقبي^(١)

من قصيدة في فنها فريدة كتب بها إلى الصاحب ، يشكو فيها بشه وحزنه ويستمطر سحابه ، بعد أن كان يخاطبه بالكاف ولا يرفعه عن رتبة الأكفاء .

وكان المهلبى لا يرى إلا به الدنيا ، ويحن إلى براعته وتقدم قدمه .
ويصطنعه لنفسه ، ويستدعيه في أوقات أنسه . فلما توفي المهلبى وأبو إسحاق يلي ديوان الرسائل والخلافة مع ديوان الوزارة ، اعتقل في جملة عمال المهلبى ، فمن قوله في ذلك الاعتقال من قصيدة [من الكامل] :

يا أيها الرؤساء ، دعوة خادمٍ أوفت رسائله على التعديد
أيجوز في حكم المروءة عندكم حسبي وطول تهددي ووعيدي ؟
قلدت ديوان الرسائل فانظروا : أعدلت في لفظي عن التسديد ؟
أعلي رفع حسام ما أنشأته فأقيم فيه أدلتي وشهودي ؟

(١) الصبوة : طيش الشباب . والعواقب : خواتم الأمور .

أنسيتم كتباً شحنت فصولها
ورسائل نفذت إلى أطرافكم
يهتز سامعهن من طرب كما
أنا بين إخوان لنا قد أوثقوا
وموكلين بنا نذل لعزهم
والله ما سمع الأنام ولا رأوا
من كل حرٍّ ماجدٍ صنيدي
قصرت خطاه خلاخل من قيده
يمشي الهوينا ذلة لا عزة
فتفضّلوا وتعطفوا وهبوا لنا
وتعلّموا أن الولاية عندكم

بفصول درّ عندكم منضود؟
عبد الحميد بهنّ غير حميد
هزّ النديم سماعُ ضرب العود
بسلاسل وجوامع وقيود
فكأننا لهم عبيد عبيد
نقدّاً توكل قبلهم بأسود
في كلّ وغد عاجزٍ رعديدي^(١)
فتراه فيها كالفتاة الرّود^(٢)
مشي النزيف الخائف المزءود^(٣)
عفوّاً قديم حفاظٍ وحقود^(٤)
عارية ليست بذات خلود^(٥)

وسأجعل لأخوات هذه الأبيات مما قاله في هذا الاعتقال وغيره فصلاً في
جملة الفصول ، من غرر شعره .

ولما خلى عنه وأعيد إلى عمله لم يزل يطير ويقع وينخفض ويرتفع إلى أن
دفع في أيام عضد الدولة إلى النكبة العظمى والطامة الكبرى . إذ كانت في صدره
حزازة كبيرة ، من إنشاءات له عن الخليفة الطائع في شأن عز الدولة بختيار نغمها
منه ، واحتقدتها عليه .

حدثني أبو منصور سعيد بن أحمد البريدي وأبو طاهر محمد بن عبد الصمد

(١) الرعديدي : الجبان .

(٢) الخلاخل : ما تضعه النساء في أرجلهن مفردة خلخال ، والفتاة الرود : أي الحسناء .

(٣) المزءود : الخائف .

(٤) الحفيظة : ما يكنه المرء في نفسه من حقد ويغض .

(٥) العارية : الدين والأمانة .

الكاتب ، قالوا : كان من أقوى أسباب تغير عضد الدولة لأبي إسحاق بعد ميله إليه
وضنه به فصل له من كتاب أنشأه عن الخليفة في شأن بختيار ، وهو :

وقد جدد له أمير المؤمنين مع هذه المساعي السوابق . والمعالي السوامق
التي تلزم كل دان وقاص ، وعام وخاص . أن يعرف له حق ما كرم به منها ويتزحزح
عن رتبة المماثلة فيها ، فإنه أنكر عليه هذه اللفظة أشد إنكار ؟ ولم يشك في
التعريض به ، وأسرها في نفسه إلى أن ملك بغداد ، وسائر بلاد العراق ، وأمر أبا
إسحاق بتأليف كتاب في أخبار الدولة الديلمية ، يشتمل على ذكر قديمه وحديثه ،
وشرح سيره وحروبه وفتوحه ، فامتثل أمره وافتتح كتابه المترجم بالتاجي الذي تقدم
ذكره ، فاشتغل في منزله به ، وأخذ يتأنق في تصنيفه وترصيفه ، وينفق من روحه
على تقيظه وتشنيفه ، فرفع إلى عضد الدولة أن صديقاً للصابي دخل عليه يوماً فرآه
في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبديل والتبيض ، فسأله عما يعمل من
ذلك فقال : أباطيل أنمقها ، وأكاذيب ألفقها ، فانضاف تأثير هذه الكلمة في قلب
عضد الدولة إلى ما كان في قلبه من أبي إسحاق . وحرك من ضغنه الساكن ، وأثار
من سخطه الكامن ، فأمر بأن يلقي تحت أرجل الفيلة . فأكب نصر بن هرون
ومطهر بن عبد الله وعبد العزيز بن يوسف على الأرض يقلبونها بين يديه ،
ويستشفعون إليه في أمره ، ويتلطفون في استيهاب دمه ، إلى أن أمر باستحيائه مع
القبض عليه وعلى أشياءه واستئصال أمواله ، فبقي في ذلك الاعتقال بضع سنين
إلى أن تخلص في آخر أيام عضد الدولة ، وقد رزحت حاله وتهتك ستره . وكان
الصاحب يحبه أشد حب ويتعصب له ويتعهده على بعد الدار بالمنح ، وأبو
إسحاق يخدم حضرته بالمدح .

وقرأت له فصلاً من كتاب في ذكر صلة وصلت منه إليه استظرفته جداً ،

وهو :

ورد - أطل الله تعالى بقاء سيدنا ومولانا - أبو العباس أحمد بن الحسين وأبو

محمد جعفر بن شعيب حاجين ، فعرجا إلى ملمين ، وعاجا على مسلمين ، فحين عرفتهما ، وقبل أن أرد السلام عليهما ، مددت اليد إليهما ، كما مدها حسان بن ثابت إلى رسول جيلة بن الأيهم ثقة مني بصلته ، وتشوقاً إلى تكريمته واعتياداً لإحسانه ، وإلفاً لموارد إنعامه ، وتيقناً أن تحطوري بباله ، مقرون بالنصيب من ماله ، وأن ذكره لي مشفوعة بجدواه ، وقمت عند ذلك قائماً ، وقبلت الأرض ساجداً ، وكررت الدعاء والثناء مجتهداً ، وسألت الله تعالى أن يطيل له البقاء ، كطول يده بالعطاء ، ويمد له في العمر ، كامتداد ظله على الحر . وأن يحرس هذا البدد ، القليل العدد ، من مشيخة الكتاب ، ومنتحلي الآداب ، ما كنتفهم به من ذراه ، وأفاء عليهم من نداء ، وأسامهم فيه من مراتعه ، وأعذبه لهم من شرائعه ، التي هم محلثون إلا عنها ، ومحرومون إلا منها .

وله رسائل وقصائد كثيرة إليه ، وقد أودعت هذا الكتاب شرطة منها .

وبلغني أن صاحب كان يتمنى انحيازه إلى جنبته ، وقدموه إلى حضرته ، ويضمن له الرغائب على ذلك إما تشوقاً أو تفوقاً ، وكان أبو إسحاق يحتمل ثقل الخلعة ، وسوء أثر العطلة ، ولا يتواضع للاتصال بجملته صاحب بعد كونه من نظرائه وتحليه بالرياسة في أيامه .

وأخبرني ثقات منهم أبو القاسم علي بن محمد الكرخي ، وكان شديد الاختصاص بالصاحب ، أنه كثيراً ما كان يقول : كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة : الأستاذ ابن العميد ، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، وأبو إسحاق الصابي ، ولو شئت لذكرت الرابع ، يعني نفسه ، وأما الترجيح بين هذين الصديقين - أعني الصاحب والصابي - في الكتابة فقد خاض فيه الخائضون . وأخب في المخبون ومن أشفي ما سمعته في ذلك أن الصاحب كان يكتب كما يريد وأبو إسحاق كان يكتب كما يؤمر ، وبين الحاليين بون بعيد . وكيف جرى الأمر فهما هما وقد وقف فلك البلاغة بعدهما .

وأنا كاتب أنموذجاً من فصوص فصول الصابي وفرائد قلائده ، ومقف على أثره بما فصلته من غرر أشعاره المشتملة على بدائع معانيه بمشيئة الله تعالى وإذنه .

فصل له من كتاب إلى عضد الدولة في التهنة بتحويل سنة

أسأل الله تعالى مبتهلاً لديه ، ماداً يدي إليه ، أن يحيل على مولانا هذه السنة وما يتلوها من أخواتها بالصالحات الباقيات ، وبالزائدات الغامرات ، ليكون كل دهر يستقبله وأمد يستأنفه موفياً على المتقدم له ، قاصراً عن المتأخر ، ويوفيه من العمر أطوله وأبعده ، ومن العيش أعذبه وأرغده ، عزيزاً منصوراً محمياً موفوراً باسطاً يده ، فلا يقبضها إلا على نواصي أعداء وحساد ، سامياً طرفه ، فلا يغضه إلا على لذة غمض ورقاد . مستريحة ركابه فلا يعملها إلا لاستضافة عز وملك فائزة قداحه فلا بجيلها إلا لحيازة مال وملك ، حتى ينال أقصى ما تتوجه إليه أمنيته جامحاً ، وتسموله همته طامحاً .

فصل من كتاب عن بختيار إلى مؤيد الدولة

لما قبض على أبي الفتح بن العميد ذي الكفایتين ، في الشفاعة له وهذا غلام أفسدته سجية ركن الدولة الشريفة في شدة الاحتمال ، والصبر على الإدلال ، واجتمع له إلى ذلك التقلب في نعمة حازها حيازة وارث لها ، لم يكدح في تأثيلها ، ولا مسه النصب في تثميرها ، ولا اهتدى إلى طريق استيفائها ، ولا تحزن من طرق دواعي انتقالها ، ومن ألزم اللوازم في حكم الرعاية أن نحفظه من سكر نعمة نحن سقيناه بكأسها ، وأن نعذره عند هفوة قد شاركناه في إيجاد أسبابها . وأن تكون نفسه محروسة والبقية من حاله يعد أخذ فضلها المفسد له متروكة ، وأن يتحدث الناس بأن سيدي الأمير أصاب غرض الحزم بالقبض عليه ، ثم طبق مفصل الكرم في التجاوز عنه .

فصل عنه إلى أبي تغلب ، في الشفاعة لأخ له

وقد يكون لعمرى من ذوي الأرحام الشابكة ، والقربابات الدانية ، من يتمادى في العقوق ، ويذهب عن حفظ الحقوق ، ولا يسع ترك تألفه حتى يرجع ، واستصلاحه حتى ينزع ، فإن تجشم الإعراض عنه لرياضة تقصد ، أو عاقبة نفع تحمد ، لم يبلغ به إلى قطع المعيشة ، ومنع المادة ، لأن قباحة ذلك بمن يستعمله أكثر من مضرتة بمن يعمل معه ، وقد قيل إن الملوك تؤدب بالهجران ، ولا تعاقب بالحرمان ، هذا في الاتباع والأصحاب ، فكيف في الأقران والأتراب ؟

فصل عن نفسه إلى عبد العزيز بن يوسف

كتب الأتباع محتاجة عند الملوك إلى قائد يطرق ويمهد لها . وسائق يشيع ويحدو بها ، وناصح يعضدها في متضمناتها ، ويشفع لها في ملتمساتها ، ويعتمد بعرضها في أوقات الفراغ والنشاط . وأحيان الخلوة والانبطاق .

فصل عن بختيار إلى أبي تغلب ، في ذكر فرس أهدها إليه

أما الفرس الذي سألت إيثارك به ، فقد تقدمنا بقوده إليك ، والله تعالى يبارك لك فيه ، ويجعل الخير معقد ناصيته ، والإقبال غرة وجهه . وإدراك المطالب تحجيل قوائمه ، ونيل الأمانى طلق شده ، وفتح الفتوح غاية شأوه . وسلامة العواقب مثنى عنانه .

فصل عن نفسه إلى صدق له منجم يسأله الحكم عن تحويل سنته

ما أحوج من حالي حاله إلى تفضل منك عائد بعد باد ، وتال بعد ماض ، وبالحكم على السنة المستقبلية التي تصل زايرجتها درج هذا الكتاب ، مستقصياً له

ومدققاً فيه ومتوفراً عليه ، ومتوصلاً الى استنباء دفينه واستثارة كمينه ، والافصاح بكلياته وجزئياته ، غير مغرق في تفخيم ما يلوح من السعادة سهلها الله تعالى .
كيلا أتوقع منها أكثر من حدها ، ولا مقتصرأً في الإنذار بالمنحسة صرفها الله تعالى ، لئلا أكون كالغافل الذاهل عنها . فإن ثمرة هذه الصناعة هي مقدمة المعرفة بما يكون ، والاستعداد له بما يمكن . ولا أقول إن ذلك يؤدي الى دفع مقدور نازل ، ولا معارضة محتوم حاصل ، ولكني أقول : ربما كان من سعادة السعيد أن يعلم هذا الأمر فيتصدى لحيازة ما يجب ، ويتوقى حلول ما يكره ، وربما كان من منحسة المنحوس أن يجهله فيكون كالمسلوب بصره وسمعه ، الذي لا يرى فيتحفظ ، ولا يسمع فيتيقظ . وكلا الأمرين لسابق قضاء الله تعالى موافق ، ولمتقدم علمه مطابق . وإنما ذكرت ذلك استظهاراً لنفسي إن تعداك كتابي إلى غيرك ، ممن لا يهتدى للجمع بين الأمرين ، والتعلق منهما بالعروتين ، فيظن أن المراعي لأحدهما مخل بالآخر ، وعندي أن الفاصل بينهما لا يخلو من أن يكون ناقص الحظوظ في أدبه ، أو ناقص اليقين في دينه . وأنت ولي ما تفضل به في ذلك معتمد تقديمه ، وترك تأخيريه ، إذ للنفس راحة في تيسير المنتظرات ، وعليها كلفة في أن تتمادى بها الأوقات ، على أن ظني بك الإيثار لما أثرت ، والتحرز مما حاذرت .

فصل من رسالة عن صديق له في الخطبة

ولو لم يكن للخطاب إلى المخطوب إليه سبب غير ابتدائه إياه بالثقة ، والتماس المشابكة ، ورضاه به شريكاً مفوضاً في الولد واللحمة والحال والنعمة لكفاه وأجزأه ، وأغناه عن كل ما سواه ، حتى إنه لو خطب إلى زاهد لوجب عليه أن يرغب أو إلى معتاص للزمه أن ينقاد ، لأن هذا المطلب إذا صدر عن الأحرار إلى الأحرار استهجن الرد عنه ، والمقابلة له بضده ، فكيف وقد انتظمت بيننا دواعي الإجابة ، وارتفعت عن المدافعة ؟ وبالله جهد المقسم أن والذي أيدهما الله تعالى يسومانني التأهل منذ سنين كثيرة ، فأحمل نفسي على التقاعس عما آثره مع ما

افترض على من طاعتها اشتطاطاً مني في شرائط أحببت أن تجتمع لي في الخبيثة التي أواصلها ، وقلما تتكامل إلا فيمن طهر الله أصله ، وجمل أمره وأظهر فضله . وقد دعاني بالدعاء إلى ذلك كثير من الرؤساء الأكابر وذوي الأخطار والأفاضل . بفارس والبصرة وبغداد ، فامتنعت من أجل شذوذ بعض شرائطي عليهم ، حتى إذا أوجدنيها الله في جهتك الجليلة ، وجمعها لي في منازل المصونة ، بعثني البواعث وحفزني الحوافز إلى أن يتألف بيننا الشمل ، ويتصل بنا الحبل ، فكتبت إليك هذه الرقعة خاطباً إليك كريمتك فلانة ، على أن أكون لها كالجفن الواقى لمقلته ، والصدر الحاوي لمهجته ، ولك كالولد المطيع لأبيه ، ولأخيها كالأخ المعاضد لأخيه ، فإن رأيت يا سيدي أن تتأمل ما كتبت به من هذه الجملة ، وتسمع من موصلها ما تجمله عني من تفصيلها ، وتتوخى بإجابتي إلى ما سألت تحقيق ظني ، وتصديق أمني ، فعلت إن شاء الله .

فصل من عهد للخليفة إلى قاض

وأمره أن يجلس للخصوم ، وقد نال من المطعم والمشرب طرفاً يقف به عند أول حد من الكفاية ، ولا يبلغ منه إلى آخر النهاية ، وأن يعرض نفسه على أسباب الحاجة كلها ، وعوارض البشرية بأسرها ، لئلا يلزم به من ذلك ملم ويطيف به طائف ، فيحيلانه عن رشد ، ويحولان بينه وبين سداه .

فصل في ذكر تقليد المطيع ابنه الطائع ما كان إليه من الخلافة

ولما صار في السن العليا ، والعلة العظمى ، بحيث يحرج أن تقيم معه على إمامة قد كل عن تحمل كلها ، وضعف عن النهوض بعثها وحملها ، خلع ذلك السربال على أمير المؤمنين الطائع لله ، خلع الناض إليه ، والمسلم عليه .

فصل عن بختيار إلى عضد الدولة في التأليف

وإن من أعظم محن^(١) هذا البيت ، أن تزول منابت فروعه عن منابت أصوله ، وأن تؤتي مراسي أوتاده من ذوائب عروشه^(٢) . وأن تدب بينهم عقارب المشاحنة ، وتسري إليهم أراقم المناقشة . وتنبث الدواهي فيهم من ذاتهم ، وقد كانت محسومة من أضدادهم وعداتهم .

فصل إلى صديق له ، في الشكوى والاستمache

ولما صارت صروف الدهر تنوء على بعد التطريف ، وتجحف بي بعد التحيف . وصادف ما يجدد علي في هذا الوقت منها أشلاء مني منهوكة ، وأعظماً مبرية ، وحشاشة مشفية ، وبقية مودية . جعلت اختبار الجهات ، واغتنام الجنبات ، لأنحو منها ما لا يعاب سائله إذا سأل ، ولا يخيب آمله إذا أمل . وكان سيدي أولها إذا عدت ، وأولها إذا اعتمدت . وكتبت كتابي هذا بيد يكاد وجهي يتظلم منها إذا تخطه ، إشفافاً على مائه مما يريقه ، لولا الثقة انه يحقن مياه الوجوه ويحميها ، ويجمها^(٣) ولا يقذيها .

فصل في مثله

ولما أناخت النكبة من حالي على طلل قفر ، وبلقع صفر ، وعون المغارم أثقل وطأة من أبكارها ، وأبغ تأثيراً في ثلمها وإضرارها . فقد اضطرني الى تجشم ما كنت أجمه من نداء ، والتعرض لما كنت أدخره من جدواه . وإنما تخرج الكرائم وتبذل النفائس من تزايد الضغطة ، وتضايق الخطة .

(١) المحن : المصائب .

(٢) الذوائب : خصل الشعر في أعلى الجبين .

(٣) ويجمها : يحفظها ويجمعها ، والقذى : ما يسقط في العين من وسخ وغيره .

فصل في ذكر الأقدار

لله تعالى أقدار ترد في أوقاتها ، وقضايا تجري إلى غاياتها ، لا يرد شيء منها عن شأوه ومداه ، ولا يصد دون مبلغه ومنحاه ، فهي كالسهم التي لا تثبت في الأغراض ، ولا ترجع بالاعتراض . والناس فيها بين غبطة يجب الشكر عليها ، ورزية يوثق بالعوض عنها .

فصل في ذكر الشكر والكفر

للنعم شروط من الشكر لا تريم ما وجد ، ولا تقيم ما قعد . وكثيراً ما تسكر الواردين حياضها ، وتغشى عيون المقتبسين إيماضها ، فيذهلون عن الامتراء لدرتها ، ويعمهمون عن الاستمتاع بنضرتها . ويكونون كمن أطار طائرهما لما وقع ، ونفر وحشيها لما أنس ، فلا يلبثون أن يتعروا من جلبابها ، وينسلخوا من إهابها ، ويتعوضوا منها الحسرة والغليل ، والأسف الطويل .

فصل عن بختيار إلى سبكتكين الغزني

ليت شعري بأي قدم تواقفنا وراياتنا خافقة على رأسك ومماليكنا عن يمينك وشمالك ، وخيلنا موسومة بأسمائنا تحتك ، وثيابنا المنسوجة في طرزنا على جسدك ، وسلاحنا المشحوذ لأعدائنا في يدك .

فصل له إليه أيضاً

لم يدر في خلده أن مثل إحسانه إليك يكفر ، ومثل متجره فيك يخسر وقد جذب بضبعك من مطارح الأرقاء العبيد ، إلى مراتب الأحرار الصيد .

فصل إليه أيضاً

تناولتك الألسن العاذلة ، وتناقلت حديثك الأندية الحافلة ، وقلدت نفسك عاراً لا يرحضه الاعتذار ، ولا يعفيه الليل والنهار .

فصل في ذكره

هو أرق ديناً وأمانة ، وأخفض قدراً ومكانة ، وأتم ذلاً ومهانة ، وأظهر عجزاً وزمانة^(١) ، من أن تستقل به قدم مطاولتنا^(٢) ، أو تطمئن له ضلوع على منابذتنا^(٣) . وهو في نشوزه^(٤) عنا وطلبنا إياه كالضالة المنشودة ، وفيما نرجوه من الظفر به كالظلامه المردودة .

فصل في مثله أيضاً

ولما بعد صيته بعد الخمول ، وطلع سعه بعد الأفول ، وجمعت عنده الأموال ، ووطئت عقبه الرجال ، وتضرمت بحسده جوانح الأكفاء ، وتقطعت لمنافسته أنفاس النظراء ، نزت به بطنته ، فأدركته شقوته . ونزغ به شيطانه ، وامتدت في الغي أشطانه .

فصل عن بختيار في ذكر عضد الدولة ،

وما جرى بينهما

والله عالم أني مع ما عودنيه الله من الإظهار ، وأوجدنيه من الاستظهار ، ومنحنيه من شرف المكان ، وظل السلطان وكثرة الأعوان ، لأجزع في مناضلة عضد الدولة من أن أصيب الغرض منه ، كما أجزع من أن يصيب الغرض مني ، وأكره أن أظفر به كما أكره أن يظفر بي ، وأشفق من أن أطرف عيني بيدي ، وأعض لحمي بنابي .

(١) الزمانة : المرض .

(٢) المطاوله : من التناول على مقامنا .

(٣) المنابذة : مفاخرتنا ومباهاتنا .

(٤) النشوز : النفور .

فصل في ذكره أيضاً

إن انتشار النظام إذا بدا والعياذ بالله تعالى لم يترك عند الحد الذي يقدر فلان أن يقف عنده ، ولم يخصص الجانب الذي يظن أنه يلحقه وحده ، بل يدب دبيب النار في الهشيم ، ويسري كما يسري النغل^(١) في الأديم ، وكثيراً ما تعدى الصحاح مبارك الجرب ، ويتخطى الأذى إلى المرتقى الصعب .

فصل في ذكره أيضاً

قد لحقني من مولانا ما يلحق الرجل تذوي يمينه ، وهو بين أن يقطعها ليسلم له ما بعدها . ويا لها من خطة ما أصعبها وأشقها ، وورطة ما أخرجها وأضيقها . وبين أن يغضي عليها فيرمي إلى ما هو أعظم من قطعها ، وأمض من فقدتها .

فصل في ذكر القواد

عادوا إلى الحضرة عود الأنياب إلى أفواهها ، والأظفار إلى براثنها . والنصال إلى أجفانها ، والسهام إلى كنانها .

فصل عن الخليفة في رعاية حقوق الآباء في الأبناء واصطناع أولاد الأولياء

وأمر المؤمنين يذهب على آثار الأئمة المهديين ، والولاء المجتهدين ، في إقرار ودائعهم عند المترشحين لحفظها ، والمضطلعين بحملها . من أولاد أوليائهم وذرية نصائحهم ، إذ كان لا بد للأسلاف أن تمضي ، وللأخلاف أن تنمو ، كالشجر الذي يغرس لدنا فيصير عظيماً ، والنبات الذي ينجم رطباً فيعود دهشماً ، فالمصيب من تخير الغرس من حيث استنجب الشجر ، واستحلى

(١) النغل : الفساد في الدباغ والأديم : الجلد .

الثمر ، وتعهد بالعرف من طاب عنه الخبر ، وحسن منه الأثر .

فصل من رسالة في وصف المتصيد والصيد

وخيلنا كالأمواج المتدفقة ، والأطواد الموثقة . متشوقة عاطية . مستبقة جارية . تشتااق الصيد وهي لا تطعمه ، وتحن إليه كأنه قضيم تقضمه ، وعلى أيدينا جوارح موللة المخالب والمناسر ، مدربة النصال والخناجر ، طامحة الألحاظ والمناظر . بعيدة المرامي والمطارح ، زكية القلوب والنفوس ، قليلة القطوب والعبوس ، سابقة الأذنان ، كريمة الأنساب . صلبة الأعواد . قوية الأوصال ، تزيد إذا طمعت شرهاً وقرماً^(١) . وتتضاعف إذا شبت كلباً ونهماً فيينا نحن سائرون . وفي الطلب ممعنون ، إذ وردنا ماء زرقا جمامه^(٢) ، طامية أرجاؤه يوح بأسراره صفاؤه ، ويلوح في قراره حصباؤه ، وأفانين الطير به محدقة ، وغرائب عليه واقعة . متغايرة الألوان والصفات ، مختلفة اللغات والأصوات . فمن صريح خلص وتهذب نوعه ، ومن مشوب تهجن عرقه ، فلما أوفينا عليها أرسلنا الجوارح إليها ، كأنها رسل المنايا ، أو سهام القضايا ، فلم نسمع إلا مسمياً ولم نر إلا مذكياً^(٣) ، وعدنا لشأننا دفعات ، وأطلقناها مرات .

فصل منها

ثم عدلنا عن مطارح الخيام ، إلى مسارح الآرام^(٤) ، نستقري ملاعبها ، ونؤم مجامعها ، حتى أفضينا إلى أسراب لاهية بأطلائها ، راتعة في أكلائها ، ومعنا فهود أخطف من البروق ، وألقف من الليوث ، وأمكر من الثعالب وأدب من

(١) الشَّرْه : حب الطعام . والقرم : القضم للحشيش واللحم وغيرها .

(٢) الجمام : الممتلئ والمجتمع .

(٣) مَسْمِياً : يقول بسم الله الرحمن الرحيم . ومذكياً : أي مكبراً على الذبح .

(٤) - الآرام : الغزلان .

العقارب ، وأنزل من الجنادب ، خمص الخصور قب البطون^(١) ، رقص
المتون ، حمر الآماق ، خزر الأحداق ، هرت الأشداق^(٢) ، عراض الجباه ،
غلب الرقاب ، كاشرة عن أنياب كالحراب .

فصل منها

وكم من قبرٍ أطلقنا عليه بازياً فخرج إلى السماء عروجاً ، ولجج في أثره
تلجيجاً ، فكأن ذلك يعتصم منه بالخالق ، وكان هذا يستطعمه من خالق . حتى
غابا عن النظر ، واحتجبا عن الأبصار ، وصارا كالغيب المرجم ، والظن
المتوهم ، ثم خطفه ووقع به وهما كهيئة الطائر الواحد ، فأعجبنا أمرهما ، وأطربنا
منظرهما .

فصل من رسالة في وصف الرمي عن قسي البندق

مآرب الناس منزلة بحسب قربها من هزل أو جد ، ومرتبة على قدر
استحقاقها من ذم أو حمد . وإذا وقع التأمل عليها والتدبر لها ، وجد أولاهها بأن
تعده الخاصة نزهة وملعباً ، والعامة حرفة ومكتسباً ، الصيد الذي فاتحته طلاب لذة
ونظر ، وخاتمته حصول مغنم وظفر . وقد اشتركت الملوك والسوقافي استجماله ،
واتفقت الشرائع المختلفة على استحلاله ، ونطقت الكتب المنزلة بالرخصة فيه ،
وبعثت المروءات على مزاولته وتعاطيه . وهو راض الأبدان ، وجامع شمل
الإخوان ، وداع الى اتصال العشرة منهم والصحة ، وموجب لاستحكام الألفة
بينهم والمحبة .

(١) قبّ البطون : ضامروها .

(٢) هرت الأشداق : أي فاتكة .

فصل إلى بعض الوزراء في إهداء دواة ومرفع

قد خدمت مجلس سيدنا حرسه الله تعالى وآتسه بدواة تداوي مرض عفاته ،
وتدوي قلوب عداته ، على مرفع يؤذن بدوام رفعته ، وارتفاع النواذب عن ساحته .

فصل من كتاب له إلى الصاحب

كتبت أطال الله بقاء الصاحب هذا الكتاب ، وأنا أود أن سواد عيني مداده ،
وبياضها طرسه ، شوقاً إلا لألاء غرته ، وقرماً إلى تقبيل أنامله ، وظماً إلى ارتشاف
بساطه .

فصل من هذا الكتاب

وما عسيت أن أبلغ في شكر سيدنا وحمده ، على ما أهلني له من بره
ورفده ، وجهدي يقصر عن عفوه ، وإسهابي يعجز عن وصفه . وهل أنا في ذلك لو
فعلته إلا كمن جرى الحصان بالأتان ، وواحه الغزالة بالذبالة ، وقارع الحسام
بالعصا ، وبارى الدر بالحصى .

* * *

ما أخرج من شعره في الغزل

فمن ذلك قوله [من الطويل] :

تورّد دمعي إذ جرى ومدامتي فمن مثل ما في الكأس عيني تسكبُ
فوالله ما أدري أبالخمر أسبلتُ جفوني أم من عبرتي كنت أشرب

وقوله في معناه [من الكامل] :

جرت الجفون دماً وكأسي في يدي شوقاً إلى من لجّ في هجراني
فتخالف الفعلان شارب قهوة يكي دماً وتشاكل اللونان

وكأن ما في الكأس من أجفاني

فكأن ما في الجفن من كأس جري

وقوله [من الخفيف] :

كلّ يوم يروني منه خطبٌ
وعذابي في مثل حبك عذب

لست أشكو هواك يا من هواه
مُرّ ما مرّ بي من أجلك حلو

وقوله [من الخفيف] :

لا تلمني فكثرة اللوم تغري
وأبان العذار في الحب عذري

أيها اللائم المضيّق صدري
قد أقام القوام حجة عشقي

وقوله [من الكامل] :

لما تبدّل بالنزاع نزوعا
أفلت من شرك الغرام وقوعا
أصغى إليه سامعاً ومطيعا
منها الضّرام تعلّقته سريعا^(١)

حذرت قلبي أن يعود إلى الهوى
فأجانبني لا تخش مني بعد ما
حتى إذا داع دعاه إلى الهوى
كذبالة أخدمتها فكما دنا

وقوله [من الوافر] :

بدا ما بي لإخواني الحضور
ولاذوا بالدعاء وبالندور
نعدك للمهم من الأمور
تضمنه حشاه من السّعير
ولكن ذاك رمان الصدور

مرضت من الهوى حتى إذا ما
تكتّني ذوو الإشفاق منهم
وقالوا للطبيب أشر فإنّا
فقال شفائه الرّمان ممّا
فقلت لهم أصاب بغير عمد

(١) الذبالة : الفتيلة .

وقوله [من الطويل] :

بجارية أمسى بها القلب يلهجُ
توهَّمْتُ أنَّ الروح بالروح تمزج
ووجدني ما بين الجوانح يلعب^(١)
بأنفاسها نفساً إلى الصدر تولج
فإنني إلى النفس الجديدة أحوج

إلى الله أشكو ما لقيت من الهوى
إذا امتزجت أنفاسنا بالتزامنا
كأنني وقد قبلتها بعد هجعة
أضفت إلى النفس التي بين أضلعي
فإن قيل لي اختر أيما شئت منهما

وقوله [من الكامل] :

فتلثمت من شدة استحيائها
وبحلة صبغت بلون سمائها
متخفراً في لازورد ردائها

أحشمتها بالعتب عند لقائها
واستكملت صفة البدور بطلعة
فبهت أنظر من لجين جبينها

وقوله [من المبحث] :

قد جمشته الرياح^(٢)
عليه مسكٌ وراح
كلُّ لكلٍّ وشاح
لي من حماها مباح
في الدهر إلا الصباح

هيفاء تحكي قضياً
تفتر عن سمط درٍ
جردتها واعتقنا
باتت وكلُّ مصونٍ
في ليلة لم يعها

وقوله [من المنسرح] :

لفاء كالدعص في كثافته^(٣)
فكانت البدر وسط هالته^(٤)

هيفاء كالغصن في رشاقتة
تبخترت والعثان يكنفها

(١) الهجعة : الرقاد ، وبلعج : يضطرم .

(٢) جمشته : داعبته .

(٣) لفاء : مكتنزة ، والدعص : الكثيب من الرمل .

(٤) العثان : الطيب والبخور ، أو الدخان ويكنفها : يحيط بها المتصاعد من النار .

وقوله [من الطويل] :

أقول وقد جرّدتها من ثيابها
لئن آلمت صدري لشدة ضمها
وعانقتها كالبدْر في ليلة التّم
لقد جبرت قلبي وإن أوهنت عظمي^(١)

وقوله [من البسيط] :

إن نحن قسناك بالغصن الرطيب فقد
الغصن أحسن ما نلقاه مكتسياً
خفنا عليك إذاً ظلماً وعدواناً
وأنت أحسن ما نلقاك عريانا

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يا من بدت عريانة
كانت ثيابك عورةً
فرأيت كل الحسن منها
فسترت بالتجريد عنها

وقوله [من السريع] :

يا قمرأً كالخشف في نظرته
خلتك صيداً صار في قبضتي
وكالقضب اللدن في خطرتة^(٢)
فصرت من صيدي في قبضته
فديتُ من لاحظني طرفها
من خيفة الناس بتسليمته
لما رأت بذر الدجا تائهاً
وغازها ذلك من شيمته
أزاحت البرقع عن وجهها
فردت البدر إلى قيمته

وقوله [من المنسرح] :

ما أنس لا أنس ليلة الأحد
قبلت منه فماً مجاجته
وبالدّر ضيفي وأمره بيدي
كان مجرى سواكه برّْد
تجمع بين المدام والشهد
وريقه ذوب ذلك البرد^(٣)

(١) جبرت قلبي : واسته .

(٢) خطرتة : مشيته ، واللدن الطري والخشف : ولد الغزال .

(٣) السواك : عود طيب الرائحة تخلل به الأسنان .

وقوله [من مجزوء الرمل] :

طيب عيشي في عناقك ووفاتي في فراقك
أنت لي بدرُ فلا عشت إلى يوم محاقك^(١)
فاسقني الصهباء صرفاً أو بمزجٍ من رياقك
لا أريد الماء إلاّ عند غسلي من عناقك

وقوله [من الكامل] :

للدين منه فيك أعدل شاهد ^(٢)	كلّ الورى من مسلمٍ ومعاهد
حور الجنان لدى النعيم الخالد	فاذا رآك المسلمون تيقنوا
تعطو بيدٍ فوق غصن مائدٍ	وإذا رأى منك النصارى ظبيةً
بك إذ جمعت ثلاثة في واحد	أثنوا على تثليثهم واستشهدوا
قالوا لدافع دينهم والجاحد	وإذا اليهود رأوا جبينك لامعاً
لكليمه موسى النبىّ العابد	هذا سنا الرحمن حين أبانه
مسودّ فرعٍ كالظلام الراكد ^(٣)	وترى المجوس ضياء وجهك فوقه
حججٌ أعدوها لكلّ معاند	فتقوم بين ظلام ذاك ونور ذا
من راعٍ عند الظلام وساجد	أصبحت شمسهم فكم لك فيهم
في الحسن إقراراً لفردٍ ماجد	والصابئون يرون أنّك مفرد
مسعودةً بالمشترى وعطارد	كالزهرة الزهراء أنت لديهم
في الدين من غاوى السبيل وراشد	فعلى يديك جميعهم مستبصر
من بينهم أسعى بدينٍ فاسد	أصلحتهم وفتنتني وتركتني

* * *

(١) المحاق : عدم ظهور القمر ، مغيبه .

(٢) المعاهد : أهل الذمة .

(٣) الفرع : الشعر الأسود .

ما أخرج من شعره في الخمر وما يضاف إليه

فمن ذلك قوله [من مجزوء الرمل] :

كوكب الإصباح لاحاً طالعاً والديك صاحاً
فاسقنيها قهوة تأسو من الهمّ جراحاً
ذات نشر كنسيم الـروض غبّ القطر فاحاً
يا غلامي ما أرى فيـها ولا فيك جناحاً
حرم الماء وأبعد هـ وإن كان مباحاً
أفراح أنا حتى أشرب الماء القراحاً

وقوله في نبذ تمر كدر يدور به ساق يشبهه بالعروس التي تجلى ، وتبرز أمامها سوداء قبيحة ، لتكون كالعوده لها ، وتكون محاسن العروس أظهر بإزاء مقابحها [من الوافر] :

بنفسي مقبلاً يهدي فنونا إلى الشرب الكرام بحسن قدّه
وفي يده من التمريّ كأسٌ كسوداء العروس أمام خدّه^(١)

وقوله [من المنسرح] :

صفراء كالتبر جامها يقق شعاعها كالذبال يأتلق^(٢)
كأنّ في كفّ من أتاك بها ضحى نهارٍ في وسطه شفق

وقوله من قصيدة شبه له فيها مجلس الأنس بالمعركة [من المتقارب] :

ألاقي هموميّ في جحفلٍ لها من مقاميّ فيه قرارٌ

(١) التمريّ : شراب التمر .

(٢) اليقق : الأبيض .

دبادبة من طوال القيا
ومجلسنا حومة أرهجت
كان فكاهاتهم إذ علت
كان الكؤوس بأيدي السقا
كان مناديل أكتافهم
كان رجوم تحاياهم
كان المجامر خيل جرت
كان السكارى رجال الوغى
وقد جدلثهم جروح بهم
كان تسكائها في الزجاج
فيا لك من ماقط لي به
ولما برزت إلى الهم فيه
جرى الضرب مختلفاً بيننا

ن والناي بوق له مستعار^(١)
لرحف الندامى إليها بدار
غماغم للحرب فيها شعار^(٢)
سيوف لها بالدماء احمرار
حمائلها إذ عليهم تدار
سهام على الجيش منها نثار
وقد ثار للند منها غبار^(٣)
وقد عقرثهم هناك العقار^(٤)
وجرح المدامة فيها جبار
حريق له من حباب شرار
بلاء وقول إليه يشار^(٥)
ولى بالسرور عليه اقتدار
فمات وعشت وقد نيل ثار

وقوله من قصيدة [من الخفيف] :

رب عذراء راوحتني من الرا
خندريس إذا المزاج علاها
تترك البال ناعماً وأخا الشجـو خـلياً وطائر اللهو سغدا
عبقنتي بكأسها ذات دل دل قلبي إلى الهوى فتعدى

(١) دبادبة : كثير الصياح والضجيج .

(٢) الغماغم : أصوات . والشعار : العلامة أو العبارة التي يتعارف بها القوم في الحرب .

(٣) المجامر : أوعية النار التي يوضع فيها الطيب لتفوح رائحته عند الاحتراق .

(٤) العقار : الخمرة .

(٥) الماقط : موضع القتال ، أو المضيق في الحرب .

(٦) الخندريس : الخمر .

وكتب إلى صديق له يستدعيه ويصف ما عنده من رءوس الحملان والشراب
والفستق للنقل والمطرب الممتع ، فقال [من مخلع البسيط] :

طباخنا صانع رءوسا	يسقط في طيها الخلاف
مبيضة كاللجين لونا	شهية كلها نظاف
وأخذها في الرقاق يحكي	صريع حمى له لحاف ^(١)
من بين عجل إلى خروف	تزهى بتنزيدها الصّحاف
مختلفات القدود لكن	لها بأسنانها ائتلاف
وكلها راضع صغير	له على ضرعها اعتكاف ^(٢)
قد أسمتهن أمهات	من طول إرضاعها عجاف ^(٣)
نسقي على ذاك روح دن	أرق أسمائها السّلاف
عروس دن صفت وطابت	لونا وطعماً فما تعاف
كأن إبريقها لدينا	ناكس رأس به رعاف ^(٤)
والنقل من فستق جني	رطب حديث به القطاف
لي فيه تشبيه فيلسوف	ألفاظه عذبة خفاف
زمرد زانه حرير	في حق عاج له غلاف ^(٥)
ومسمع مطرب مليح	يحرم عن مثله العفاف
يظلمني صاحياً ولكن	في سكره ما به انتصاف
فصر إلينا غداً بليل	أفديك من كل ما يخاف

(١) الرقاق : الخبز .

(٢) الضرع : الثدي في الحيوان اللبن واعتكاف : إقامة .

(٣) عجاف : هزيلة .

(٤) الناكس : المحني ، والرعاف : التزيف .

(٥) الحق : وعاء الطيب .

فأنت أصل السرور عندي وكلّ ما بعده مضاف

* * *

ما أخرج من شعره في الأوصاف والتشبيهات

من ذلك قوله في الورد [من الوافر] :

وزائرة لنا في كلّ حولٍ لها حظّان من حسنٍ وطيبٍ
تنال النفس حين تشمّ منها منال العين من وجه الحبيب
كأنّ زمانها نعتاض فيه إذا طلعت شباباً من مشيب

وقال من قصيدة [من البسيط] :

أما ترى الورد قد حيّك زائره بنفحةٍ فرّجت عن كلّ مصدور^(١)
كان أنفاسه أنفاس غانيةٍ معشوقةٍ خالطت أنفاس مخمور
تفتّحت وجناتٍ في جوانبه كأنما انتزعت من أوجه الحور

وقال في النرجس [من الخفيف] :

ربّ يومٍ نقعتُ فيه غليلي وهمومي بين الضّلوع كمون^(٢)
بوجوه مملوءة بعيونٍ وعيونٍ تخشى عليها العيون
تلك من نرجسٍ نضيرٍ وهذي من غوانٍ وجدي بهنّ جنون

وقال في وصف شمامة كافور [من مجزوء الرجز] :

كافورةٌ جعلتها لأسود العين غرضُ
حتّى وددت أنّها من أبيض العين عوضُ

(١) المصدور : مريض الصدر .

(٢) نقعت غليلي : برّدت ظمئي وكمون : كامنة ومستترة .

وقال فيها [من الطويل] :

وشمامة كالبدر عند اعتراضه وكالكوكب الدرّي عند انقضاضه
يودّ سواد العين من شغفٍ بها لو اعتاضها مستبدلاً من بياضه

وقال في النافجة [من مجزوء الكامل] :

وشميمة من نسل بطــــن لم تكن من ظهر فحل^(١)
أهدت إليك جنيها من غير تطريقٍ بحمل
بل باقتناص حباثلٍ بثّت لها وبرشق نبل
فغدت بضاعة تاجرٍ لا تشتري إلّا ببذل
فيها لنفسٍ قوتها لكن بشمّ لا بأكل
حلّت محلاً لا ترى إلّا لذي الخطر الأجلّ

وقال في عتيدة الطيب^(٢) [من الكامل] :

وعتيدة للطيب إن تستدّعها تبعثُ إليك أمامها بشيرها
يلقاك قبل عيانها أرجُ لها فكأنّه مستأذنٌ لحضورها
نفحاتها لم تدر من كافورها تأتيك أم من مسكها وعبيرها
مزجت ببعضٍ بعضها فتوحّدت عن أن تقاس بشكلها ونظيرها
لا عيب فيها غير أن نسيمها مثل اللسان يشيع سرّ ضميرها

وقال في مدخنة [من الطويل] :

ومكروبة الأحشاء يعلو زفيرها وتعصف ريح الطيب بين فروجها^(٣)
إذا روّحت عن نفسها بخروجها فللنفس مني راحةً في ولوجها^(٤)

(١) المشيمة : وعاء الجنين في بطن أمه .

(٢) العتيدة : الحفّة يكون فيها الطيب .

(٣) الفروج : الفتحات .

(٤) الولوج : الدخول .

وقال فيها [من الطويل] :

ومحرورة الأحشاء تحسب أنها
نناجيك نجوى يسمع الأنف وحيها
إذا استودعت سرّاً من الطيب مجملّاً
وإن حاولت إخفاءه في ضميرها
يحرق فيها العود عوداً وبدأةً
فتأخذه جسماً وتبعثه روحاً

وقال فيها [من مجزوء الرجز] :

ومجلس سماءه	من النجوم عائمة
في جوه سحابة	لها الأنوف شائمة ^(٣)
تتابه مدخنة	لحاصريه خادمه
داخلها مجمرة	مثل القطاة الجائمة
كأنها طارمة	فيها فتاة نائمة ^(٤)
تهدي لنا روائحا	من الجنان قادمة
لنا عليها خلع	من الذبول دائمة
لكنها عارية	تخرج منها راغسه

وقال عن لسان مدخنة محلاة وأمر بنقشها فيها [من مخلع البسيط] :

جمعت من حليتي وعرفي
أدخل في الذيل من محب
فكم ترددت بين هذا
وما بين حسن وبين طيب
طوراً وفي الكم من حبيب
وذا برغم من الرقيب

(١) التبريح : الألم واللوعة .

(٢) العرف : الرائحة .

(٣) شائمة : متطلعة .

(٤) الطارمة : بيت من خشب كالقبة .

وقال في الغالية [من خلج البسيط] :

غالية تنتمي لحام قد استعارت لباس قار^(١)
في قدح ينتمي لسام من سنة البدر مستعار
جامع ما بين ذا وهذا قد أولج الليل في النهار

وقال فيها [من السريع] :

غالية صرح عطّارها في عجنها عن خالص النية
تُعزى إلى تيت من مسكها وهي من العنبر شحريه
منشورة الطيب على أنها في قدح البلّور مطويه
كانها فيه وقد حازها رومية حبلى بزنجيه

وقال في غلام له أسود شهر برشد [من الكامل] :

أبصرت في رشد وقد أحبته رشدي ، ولم أحفل بمن قد ينكر
يا لائمي أعلى السواد تلومني من لونه وبه عليك المفخر
دع لي السواد وخذ بياضك إنني أدري بما آتي وما أتخير
مئوي البصيرة في الفؤاد سواده والعين بالسود منها تبصر
والدين أنت مناظر فيه بدا وكذاك في الدنيا بهذي تنظر
بسواد ذينك تستضيء ولوهما أبـيضاً تغشاك الظلام الأکدر
فغدا بياضك وهو ليل دامس وغدا سوادي وهو فجر أنور

وقال فيه [من الكامل] :

قد قال رشد وهو أسود للذي بياضه استعلى علو مباين
ما فخر خدك بالبياض وهل ترى أن قد أفدت به مزيد محاسن

(١) الغالية : أخلاط من الطيب وحام : أبو السود « الإنسان الأسود » وسام : أبو البيض « الإنسان الأبيض » .

ولو آن متي فيه خالاً زانه ولو آن منه في خالاً شاقني^(١)
وقال فيه يخاطبه [من الخفيف] :

لك وجه كأن يملك خطته بلفظ تملأه آمالي
فيه معنى من البدور ولكن نفضت صبغها عليه الليالي
لم يشنك السواد بل زدت حسناً إنما يلبسن السواد الموالي^(٢)
فبمالي أفديك إن لم تكن لي وبروحي أفديك إن كنت مالي

وقال في الشمعة [من البسيط] :

وليلة من محاق الشهر مدجنة كلفت نفسي بها الإدلاج متمطياً
إلى حبيب له في القلب منزلة ولا دليل سوى هيفاء مخطفة
غصن من الذهب الإبريز أثمر في تأتيك ليلاً كما يأتي المريب فإن
لا النجم يهدي السرى فيها ولا القمر عزماء هو الصارم الصمصامة الذكر
ما حلها قبله سمع ولا بصر تهدي الركاب وجنح الليل معتكر
أعلاه ياقوتة صفراء تستعر لاح الصباح طواها دونك الحذر

وقال في وصف القبجة وأرسلها إلى أبي الفرج البيغاء^(٣) [من الرجز] :

أنعت طارونية الثياب لابسة خزاً على الإهاب^(٤)
تصبغت تصبغ التصابي وأبرزت وجهاً بلا نقاب
ريان من محاسن الشباب مكحولة العينين كالكعب^(٥)
مغموسة الحاجب بالخضاب منقارها أحمر كالعناب
كأنما تسقى دم الرقاب محذورة محمية الجنب

(١) الخال : قرص صغير يظهر في الوجه ، وشاقني : أتعبني .

(٢) يشنك : يعبك .

(٣) القبجة : تقع على الذكر والأنثى من الحجل .

(٤) الطارونية : المنسوبة إلى الطاروني وهو ضرب من الخز .

(٥) الكعب : الجارية الناهدة .

لها على الأرجل والأعقاب
أففاصها كمحبس الحجاب
تسمعا منها وراء الباب
كأنما تقرأ من كتاب
فهقهة الإريق بالشراب
أهلاً بصياد لها جلاب
ربيعة الجبال والهضاب
لم تدر ما بادية الأعراب
دونك يا ذا المفخر اللباب
باكورة من ثمر الألباب
هدية الأتراب للأتراب
هل خلصت من هجنة وعاب
أم خلّتها أشبه بالصواب

وقال في الخطاطيف [من الطويل] :

وهندية الأوطان زنجية الخلق
كان بها حزناً وقد لبست له
إذا صرصرت صرّت بأخر صوتها
تصيف لدينا ثم تشتو بأرضها

وقال في البق والبراغيث والبيت الأخير أملح ما سمعت في معناه [من البسيط] :

وليلة لم أذق من حرّها وسناً
كان من جوها النيران تشتعل

(١) مكروزة : مخفية .

(٢) تحابي : تعدو الحق في قولك .

(٣) العلق : الدم .

(٤) صرصرت : صوتت . والوتر الحرق : الوتر الذي يخرج صوتاً حزيناً .

أحاط بي عسكرُ للبقّ ذو لجبٍ ما فيه إلاّ شجاع فاتكُ بطلٌ^(١)
من كلّ سائلةٍ الخرطوم طاعةٍ لا تحجب السّجف مسراها ولا الكلل^(٢)
طافوا علينا وحرّ الصيف يطبخنا حتى إذا طبخت أجسامنا أكلوا

* * *

ما أخرج مما قاله في البصرة

وكان خرج إليها في صباه ليستوفي مالاّ على ضامنّها ، من ذلك قوله [من
الخفيف] :

ليس يغنيك في الطهارة بالبص رة إن حانت الصلاة اجتهادُ
إن تطهّرت فالمياه سلاح أو تيمّمت فالصعيد سماء

وقال فيها [من الخفيف] :

لهف نفسي على المقام ببغدا د وشربي من ماء كوز بثلج
نحن بالبصرة الدميمة نسقي شرّ سقيا من مائها الأترجيّ
أصفر منكر ثقیلٌ غليظُ خائرٌ مثل حقنة القولنج^(٣)
كيف نرضى بشربه وبخير منه في كنف أرضنا نستنجي^(٤)

وقال في قصر روح بها [من الكامل] :

أحبّ إليّ بقصر روح منزلا شهدت بنيّته بفضل الباني
سور علا وتمنعت شرفاته وكأن إحداهن هضّب أبان

(١) اللجب : الكثرة .

(٢) السجف : السناثر . والكلل : التعب .

(٣) الخائر : التجمّد . والقولنج : مرض يصيب البطن مؤلم يصعب معه خروج الفضل .

(٤) نستنجي : نطلب النجاة .

وكأنما يشكو إلى زوّاره بين الخليط وفرقة الجيران^(١)
وكأنما يبدو لهم من نفسه إطراق محزون الحشى حرّان
وقال عند رحيله عنها [من الطويل] :
توليت عن أرض البصرة راحلاً وأفئدة الفتیان حشو حقائب
منازل تقري ضيفها كلّ ليلةٍ بأمثال غزلان الصّريم الربائب^(٢)
أقمت بها سوق الصبا والندى معاً لعاشقةٍ حرّى وحيّران لاعب
فما تظهر الأشواق إلّا صنائعي ولا تستر الجدران إلّا حبايبي

* * *

ما أخرج من شعره في والدته وأولاده

قال [من الخفيف] :

أسرة المرء والداه وفيما بين حضنيهما الحياة تطيبُ
فإذا ما طواهما الموت عنه فهو في الناس أجنبيٌّ غريب
وقال ، وقد عتب على بعض ولده [من البسيط] :

أرضى علىّ أبني إذا ما عقني حذراً عليه أن يغضب الرحمن من غضبي
ولست أدري بم استحقت من ولدي إقضاء عيني وقد أقررت عين أبي ؟
وله من رقعة يلتمس فيها من بعض الرؤساء إجراء الرزق لبعض ولده

[من الطويل] :

وما أنا إلا دوحه قد غرستها وسقيتها حتى تراخى بها المدى
فلما أقشعرّ الجلد منها وصوّحتُ أتتكَ بأغصان لها تطلب الندى^(٣)

(١) الخليط : المخالط والمقيم معاً في مكان واحد .

(٢) الصريم : القطعة العظيمة من الرمل والربائب : الحاضنة .

(٣) صوّحت : جفت ويست والندى : الكرم ، أو الطلّ .

وكتب إلي بعض الرؤساء قصيدة في إنفاذه ابنه إليه ليستخدمه ، فمنها [من الطويل] :

بعثت إليك آبني وبالله إنه لأحلى من النفس المقيمة في جنبي
وهل أنا إلا نسخة هي أصله وهل هو إلا كالمحرر في الكتب
وفي النسخة السوداء ما أنت عارف من المحور الإصلاحي والحلك والضرب

أخذ المعنى من قول ابن الرومي [من البسيط] :

فقال لا تلحيننا في تفاوتنا فإنا كتب آباؤنا نسخ

رجع :

وهذا الذي يرضك مرأى ومخبراً ويمضي مضاء السهم والصارم العضب
وشتان بين العود أيس وانحنى وبين النبات الغض والغصن الرطب
فدونك فاقبله وثق منه بالذي يراد من العبد المناصح للرب
وجرده من غمد التقبض باسطاً وجربه فالتجريب عن رشده يني^(١)

وقال وقد رأى ولدا لولده مترعراً ناشئاً [من المنسرح] :

أبو علي محسن كيدي وقد نشأ من فتاه لي خلب^(٢)
كان هذا وذاك إذ نبا مني سواد يضمه قلب
لا زلت ألقى الخطوب دونهما حتى كأني عليهما حجب

وقال يرثي أبا سعيد سناناً ابنه [من الخفيف] :

أسعداني بالدمعة الحمراء جل ما حل بي عن البيضاء
يؤلم القلب كل فقد ولا مثل افتقاد الآباء للأبناء

(١) يني : يخبر .

(٢) الخلب : استالة القلب .

هدّ ركني مشوى سنان وقد كا ن يهدّ الأركان من أعدائي
 عكست فيك دعوتي إذ أفديك برغمي فصرت أنت فدائي
 إنما كنت فلذة من فؤادي خطفتها المنون من أحشائي
 كنت منّي وكنت منك اتفاقاً والتثاماً مثل العصا واللحاء^(١)
 كنت في اليتيم في أجمل منّي فيك للشكل في أوان فنائي
 ولئن كان في أخيك وأولا دكما ما يغضُّ من برحائي
 فلعموي لربما هيجوا الشو ق فزادوا في لوعتي وبكائي

ألم فيه بقول ابن الرومي ، ولم يحسن بعض إحسانه [من الطويل] :

وإنّي - وإن متعت بابني بعده - لذاكره ما حنّت النّيب في نجد^(٢)
 وأولادنا مثل الجوارح أيما فقدناه كان الفاجع البين الفقد
 لكل مكان لا يسدّ اختلاله مكان أخيه من جزوع ومن جلد
 هل العين بعد السمع تكفي مكانه أم السمع بعد العين يهدي كما تهدي

وكتب إليه ولده أبو علي المحسن يسليه في إحدى نكباته [من البسيط] :

لا تأس للمال إن غالثته غائلة ففي حياتك من فقد اللّهي عوض^(٤)
 إذ أنت جوهرنا الأعلى وما جمعت يداك من تالذ أو طارف عرض^(٥)

فأجابه بهذه الأبيات [من البسيط] :

يادرة أنا من دون الردى صدف لها أقيها المنايا حين تعترض

(١) اللحاء : القشرة .

(٢) البرحاء : الألم .

(٣) النّيب : التّوق الهرمة .

(٤) اللّهي : العطايا والأموال .

(٥) التالذ : المال القديم الموروث والطارف : المال الحديث المكتسب .

قد قلت للدهر قولاً كان مصدره
دع المحسن يحيا فهو جوهرة
فالنفس لي عوض عما أصيب به
اتركه لي وأخاه ثم خذ سَلْبِي
عن نية لم يشب إخلاصها مرض^(١)
جواهر الأرض طراً عندها عرض^(٢)
وإن أصبت بنفسي فهو لي عوض
ومهجتي فهما مغزاي والغرض

ما أخرج من شعره في الفخر

قال [من السريع] :

أيسر جودي أنني كلما
ندمت في صحوي على كل ما
أسرفت في السكر ولا أدري
أبقيت من مالي في سكري

وقال في صباه [من المتقارب] :

لقد علمت خيل هذي الخيام
بأنني شفاء صدور الجميع
ونسوانها القاصرات الغواني
وأكرم من ضمّه الخافقان
أسرّ القرينة ليل العناق
وأفتك بالقرن يوم الطعان^(٣)
فبطن الحصان وظهر الحصان
علي بما قلته يشهدان

وقال من قصيدة [من الطويل] :

وقد علم السلطان أنني لسانه
أوازره فيما عرى وأمدّه
وكاتبه الكافي السديد الموفّق
برأي يريه الشمس والليل أغسق^(٤)
يجدد بي نهج الهدى وهو دارس
ويفتح بي باب النهى وهو مغلق

(١) لم يشب : لم يمازج أو يخالط .

(٢) عرض : لا قيمة لها بوجوده .

(٣) القرينة : الزوجة ، وهو يعني أنّه تام الفحولة . والقرن : البطل الذي ينزله .

(٤) أوازره : أساعده ، وعرى : ألمّ وحدث .

فيمنايَ يمناه ولفظيَ لفظه
ولي فقرُ تضحى الملوك فقيرة
أردُ بها رأس الجموح فيثني
فإن حاولتُ لطفاً فمأء مروقٍ
يسلم لي قسٌ وسحبان وائلٍ
فيغضي لشري خاطب وهو مصنّع
معال لو الأعشى رآهن لم يقلُ
وعيني له عينُ بها الدهرُ يرمق
إليها لدى أحداثها حين تطرق
وأجعلها سوط الحرون فيعنق^(١)
وإن حاولتُ عنفاً فنار تألق
ويرضى جريرٌ مذهبي والفرزدق^(٢)
ويعنو لنظمي شاعرٌ وهو مُفلق^(٣)
«وبات على النار الندى والمخلق»

وله من قصيدة قالها في الحبس [من الطويل] :

يعيرني بالحبس من لو يحله
وربّ طليقٍ أطلق الذلّ رقه
وإني لقرن الدهر يوماً تنوبني
ومن مد نحو النجم كيما يناله
ولا بدّ للساعي إلى نيل غاية
وإني وإن أودتُ بمالي نكبة
فما كنت كالقسطار يشري بكيسه
ولكن كليث الغاب إن رام ثروةً
بيت خميصاً طاويا ثم يغتدى
حلولي لطالت واشمخرتُ مراكبه^(٤)
ومعتقل عانٍ وقد عزّ جانبه^(٥)
سطاه ويوماً تنجلي بي نوائبه
يداً كيدي لاقتَه أيدٍ تجاذبه
من المجد من ساع تدبُّ عقاربه
نظيريَ فيها كل قرم أناسه
ويملق إن أنحى على الكيس سالبه^(٦)
حوثها له انيابُه ومخالبه
مباحاً له من كل طعم أطايه^(٧)

(١) الجموح : الشارد ، والحرون : المعاندة، فيعنق : يمشي ، وعنقه : ضربه .

(٢) أساء الخطباء وشعراء مشهورين .

(٣) يغضي : يطرق ، ومصنّع : مبرّز ، ومفلق : علق ومبدع .

(٤) اشمخرتُ : اشتدّت وارتفعت .

(٥) العاني : الأسير .

(٦) القسطار : متقد الدراهم ، والعارف بتمييز الجيد والرديء منها ويملق : يفتقر .

(٧) الخميص الطاوي : الجائع .

بها يدرك الربح الذي هو طالبه
بها إن تخطّته إليه مصائبه
فلا عار في الغضب الذي هو غاضبه
وفي فضل جاهي أن تفيض مذاهبه
قتيل يدي فضلي فمفنيه جالبه
غنى قلما يشكو الخصاصة صاحبه^(١)

كذلك مثلي نفسه رأس ماله
وللمال آفات يهنأ ربه
ومن يكن السلطان فيه خصيمه
وما ضرني إن غاض ما ملكت يدي
إذا كان مالي من طريف وتاليد
ولي بين أقلامي ولّبي ومنطقي

ما أخرج من شعره في المدح

قال في المهلب الوزير [من الكامل] :

قد أعجزت كلّ الورى أوصافه
ويسوغ في أذن الأديب سلافه
وكانما آذانا أصدافه

قل للوزير أبي محمد الذي
لك في المحافل منطق يشفي الجوى
فكان لفظك لؤلؤ متخلّ

وقال فيه من قصيدة [من الطويل] :

يد لك لا تسود إلا من النّفس^(٢)
تطرز بالظلماء أودية الشمس^(٣)

وكم من يد بيضاء حازت جمالها
إذا رقت بيض الصحائف خلتها

وله من قصيد فيه [من الخفيف] :

ت رئيساً مذ عدني في العبيد
ملك ركنا لعزّه الموطود

وتعلقت بالرئيس الذي صر
والوزير الذي غدا وزراء الـ

(١) الخصاصة : الفقر .

(٢) النّفس : الخبر .

(٣) رقت : زينت وكتبت .

أريحي مهلبي سعيد ال
 وإذا استنطق الأنامل جادت
 في سطور كأتما نشرت يم
 فقر لم يزل فقيراً إليها
 يغتدي البارع المفيد لديها
 بيان شافٍ ولفظٍ مصيبٍ
 جدّ صافي الجدوى كريم الجدود
 بيان كالجوهر المنضود
 ناه منها عصائباً من برود^(١)
 كل مبدي بلاغة ومعيد
 لاحقاً بالمقصد المستفيد
 واختصار كافٍ ومعنى سديد

وكتب إليه وهو بدجلة البصرة متوجهاً إلى عمان [من الطويل] :

لقد كنت منك السعود موقفاً
 كأنني بالبحر الذي خيف هوله
 يرى منك بحرأ زاحراً فوق متنه
 كأن عصا موسى بكفك فوقه
 ستغنوا لما تبغي ظهور صفائه
 فلا تخش من صرف النوائب نبوة
 إذا عادة الله التي أنت عارف
 مصادره محمودة والموارد
 وقد خاف حتى ماؤه فيه جامد
 قيصيح جاري موجه وهو راكد
 وقد خرّ إعظاماً لها وهو ساجد
 وتبلغ ما تهوى وجدك صاعد^(٢)
 فنصرك محتوم عليه شواهد^(٣)
 تذكّرتها هانت عليك الشدائد

وقال في فاصد من غير علة [من الطويل] :

تنبّع جود لا دم من يمينه
 وليس به أن يفصد العرق حاجة
 يسبب أسباب الندى لعفاته
 فأضحى لكي يعطي الأطباء فاصدا
 ولكنه ينحو المحامد قاصدا
 ويرقبها مستفرصاً ومراصدا^(٤)

(١) العصائب : الألوان .

(٢) الجدّ : الحظ .

(٣) النبوة : الجفوة .

(٤) العفاة : الطالبين الجدوى ومستفرصاً : أي متحيناً الفرص .

وقوله في معناه [من الكامل] :

أبدا يفيض على العفاة عطاء	لهجت يمينك بالندى فبنائها
كما تسبب للطبيب حياء	حتى فصدت وما بجسمك حاجة
حقنت بتدبير الأمور دماء	ولقد أرقت دماً زكياً من يدٍ
في عوده فهو اللباب صفاء	تجري العلافى عرقة جرّي الندى
جعلوا له حب القلوب وعاء	لو يقدر الأحرار حين أرقتة
تحبي الولي وتكبت الأعداء	فانعم وعش في صحة وسلامة

وكتب إلى عضد الدولة عند مقدمه من الزيارة بالكوفة قصيدة منها [من الكامل] :

أهلاً بأشرف أوبة وأجلها	لأجل ذي قدم يلاذ بنعلها ^(١)
فرشت لك التراب التي باشرتها	بشفاهها من كهلها أو طفلها
لم تخط فيها خطوة إلا وقد	وضعت لرجلك قبلة من قبلها
وإذا تذلت الرقاب تقرباً	منها إليك فعزها في ذلها

وله من قصيدة [من الكامل] :

لا تحسب الملك الذي أوتيته	يفضي وإن طال الزمان إلى مدى
كالدوْح في أفق السماء فروعه	وعروقه متولجات في الندى
في كل عام تستجد شبيبة	فيعود ماء العود فيه كما بدا
حتى كأنك دائر في حلقة	فلكية في منهاها المبتدا

وكتب إلى الوزير أبي عبد الله بن سعدان [من الطويل] :

ثنائي لو طوكته لك قاصر	وطولك لو قصرته لي باهر
فكيف نهوضي حين لا أبلغ المدى	بجهدي وعفو الجود لي منك غامر

(١) الأوبة : العودة .

وما زلت من قبل الوزارة جابري فكن رائشي إذ أنت ناهٍ وأمر^(١)
أمنت بك المحذور إذ كنت شافعاً فبلغني المأمول إذ أنت قادر
لعمري لقد نلت المنى بك كلها وطرفي إلى نيل المنى بك ناظر^(٢)

كأنه عكس قول محمد بن أبي يزيد المهلبى [من الطويل] :
بلغت الذي قد كنت أمله بكم وإن كنت لم أبلغ لكم ما أوْمَلُ
وكتب إلى الصاحب [من مجزوء الكامل] :

لما وضعت صحيفتي في بطن كف رسولها
قبلتها لتمسها يمينك عند وصولها
وتودّ عيني أنها قرنت ببعض فصولها
حتى ترى من وجهك الـ ميمون غاية سولها

وله من قصيدة [من الخفيف] :
نعم الله كالوحوش وماتاً لف إلا الأخير النساء^(٣)
نفرتها آثار قوم وصيرَّ ت لها البرّ والثقى أشراكا

وله في عبد العزيز بن يوسف [من الطويل] :
أبو قاسم العزيز بن يوسف عليه من العياء عينُ تراقبه
روى ورعى لما روى قول قائلٍ وشبّع الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبه
وقال لبعض الوزراء [من البسيط] :

أنت الوزير الذي الدنيا تناط به وأهلها تبعٌ من دونه خول^(٤)

(١) الجابر : المعين ، ورائشي : أي جاعلاً لي الريش الذي أستطيع به الحياة ، يعني : المال .
(٢) أحسبه : « وطرفي إلى نيل المنى لك ناظر » .
(٣) الأخير : أي الأخير الفضلاء .
(٤) تناظر به : توكل به ، والحول : العبيد .

تَظَلُّ بِالْعِزِّ مَلَأَ الْأَرْضَ أَجْمَعَهَا كَأَنَّكَ النَّصْلُ وَالْدُّنْيَا لَكَ الْحُلُلُ

* * *

ما أخرج من شعره في التهاني والتهادي

كتب إلى عضد الدولة قصيدة يهنيه بالفطر . منها [من الخفيف] :

لَمْ أَطَوِّلْ فِي دَعْوَتِي لِمَلِكٍ طَوَّلَ اللَّهُ فِي السَّلَامَةِ عَمْرَهُ
بَلْ تَلَطَّفْتُ بِاخْتِصَارٍ مُحِيطٍ بِالْمَعَانِي لِمَنْ تَأْمَلُ أَمْرَهُ
فَهِيَ مِثْلُ الْحُرُوفِ مِنْ عِدَدِ الْهِنْدِ قَلِيلٌ قَدْ انْطَوَتْ فِيهِ كَثْرُهُ
جَمَعَ اللَّهُ كُلِّي دَعْوَةٍ دَاعٍ مُسْتَجَابٌ دَعَاؤُهُ فِيكَ صَبْرُهُ
وَأَعَادَ الْعِيدَ الَّذِي زَارَهُ الْعَا مَ بِأَمْرِ يَحُوزُهُ مَسْرُهُ
وَأَرَاهُ الْأَمَالَ فِيهِ وَلَقَا هَ سَعَادَتُهُ وَوَفَاةُ أَجْرُهُ

وله من قصيدة يهنيه بالفطر . منها [من البسيط] :

يَا مَاجِدًا يَدُهُ بِالْجُودِ مَفْطَرَةٌ وَفَوْهُ مِنْ كُلِّ هَجَرٍ صَائِمٌ أَبَدًا
أَسْعَدَ بِصَوْمِكَ إِذْ قَضَيْتَ وَاجِبَهُ نَسَكًا وَوَقَّيْتَهُ مِنْ شَهْرِهِ الْعَدَدَا
وَأَسْحَبَ بِذَا الْعِيدِ أَذْيَالًا مَجْدَدَةً وَاسْتَقْبَلَ الْعَيْشَ فِي إِفْطَارِهِ رَغْدَا
وَأَنْعَمَ بِيَوْمِكَ مِنْ مَاضٍ قَرَّرْتَ بِهِ عَيْنًا وَمُنْتَظَرٍ يَفْضِي إِلَيْكَ غَدَا
وَفَزَّ بِعَمْرِكَ مَمْدُودًا وَمَلَكَكَ مَوْ طُودًا وَنَلَّ مِنْهُمَا الْحَدَّ الَّذِي بَعْدَا
حَتَّى تَرَى كُرَةَ الْأَرْضِ الْبَسِيطَةَ فِي يَمْنَاكَ مَمْلُوءَةً أَرْجَاؤَهَا رَشْدَا
وَحَوْلَكَ الْفَلَكَ الدَّوَارَ مُتَبِّعًا أَوَّارَ نَفْسِكَ لَا يَأْلُوكُ مَجْتَهِدَا^(١)

وله في الوزير المهلب قصيدة عيدية [من الطويل] :

أَسَيِّدُنَا هُنَّتْ نَعْمَاكَ بِالْفَطْرِ وَوَقَّيْتَ مَا تَخْشَاهُ مِنْ نُوبِ الدَّهْرِ^(٢)

(١) لا يألوك : لا يقصر عنك .

(٢) نوب الدهر : مصائبه .

مضى الصوم قد وفّيته حقّ نسكه
كلفت بذكر الله فيه فلا تزلْ
هجرت هجود الليل فيه تهجداً
فلو نطقت أيامنا باعتقادها
وللفطر رسمٌ للسرور وسنةٌ
ولابدّ فيه من سماعٍ وقهوةٍ
نواصل قصفاً بين يومٍ وليلةٍ
فمرّ بالذي نبغي وكن عند ظننا
وعاد إليك العيد حتى تملّه

أخذه من قول ابن الرومي [من مجزوء الرمل] :

وليطل عمرك مسرو راً بأيامٍ قصار

وله في بعض الوزراء [من الطويل] :

يصوم الوزير الدهر عن كل منكرٍ
ويفطر بالمعروف والجود والندى
فأكرم به من صائمٍ مفطرٍ معا

وله [من البسيط] :

إذا دعا الناس في ذا العيد بعضهم
فصير الله ما من فضله سألوا
حتى يكون دعائي قد احاط له

لبعضهم وتمادى القول واتسعا
فيه لسيدنا الأستاذ مجتمعا
بكلّ ذلك مرفوعاً ومستمعا

(١) السنة : العادة .

(٢) داركاً : لحاقاً .

(٣) الحظر : المنع .

وله في المطهر بن عبد الله [من الكامل] :

عيد إليك بما تحبّ يعود	بطوابعٍ أوقاتهنّ سعودٌ
متباركاتٌ كلّ طالع ساعةٍ	يوفي على ما قبله ويزيد
يأتيك من ثمر المنى بغرائبٍ	معدومها لك حاصلٌ موجود
قضيت شهر الصوم بالنسك الذي	هو منك معروف له معهود
أكثرت فيه من تهجد خاشع	ما يطمئن بمقلتيه هجود
فاشرب وسقّ عصابةً قد مسّها	عطشٌ وجهدٌ في الصيام جهيد ^(١)
أرويتها جوداً فروّ مشاشها	راحاً فمّنك الجود والناجود ^(٢)
وتملّ عيشك في سرور دائمٍ	سرباله أبداً عليك جديد

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يا سيّداً أضحى الزّما	ن بأسره منه ربيعا
أيام دهرك لم تزل	للناس اعياداً جميعا
حتى لأوشك بينها	عند الحقيقة أن يضيعا
فاسلم لنا ما أشرقتْ	شمسٌ على أفقٍ طلوعا
واسعد بعيدٍ ما يزا	ل إليك معتقداً رجوعا

وله من قصيدة في عضد الدولة [من الكامل] :

إسكّم ودم للرتبة العليا	وتملّ ملكك في أمدٍ بقاء
واستقبل العيد الجديد بغبطةٍ	ومسرّةٍ وزيادةٍ ونماء
وكفاك من نحر الأضاحي فيه ما	نحرت يمينك من طلا الأعداء ^(٣)

(١) الجهد : المضي .

(٢) المشاش : النفس . والناجود : الخمر .

(٣) طلا الأعداء : دماءهم .

بهم تغفرُ كالبهائم جمععتُ
 أشلاؤها في حومة الهيجاء^(١)
 حرمتُ مأكُلها علينا واغتدت
 حلاً لوحش الفقر والبيداء
 هذي مناسكك التي قضيتها
 بالسيف أو بالصعدة السمراء^(٢)
 ووراء ذلك للعفاة منائحُ
 هطلت هطول الديمة الوطفاء^(٣)
 ومواهبٌ ومناقبٌ ومفاخرُ
 ومائرٌ أوفت على الإحصاء

وقوله من أخرى [من الخفيف] :

صلِّ ياذا العلا لرَبِّك وانحرُ كلُّ ضدٍّ وشانئ لك أبتَرُ^(٤)
 أنت أعلى من [أن] تكون أضاحيك قروماً من الجمال تغفرُ
 بل قروماً من الملوك ذوي السؤدد تيجانها أمامك تشرُ
 كلما خرَّ ساجداً لك رأسٌ منهم قال سيفك الله أكبر

وكتب إلى الشريف الموسوي في الأضحى [من الهزج] :

مرجيك وصاييك بذا الأضحى يهنئكا
 ويدعو لك والله مجيبٌ مادعا فيكا
 وقد أوجز إذ قال مقالاً وهو يكفيكا
 أراني الله أعداءك في حال أضاحيكا

وكتب إلى صمصام الدولة يهنئه بالأضحى [من مخلع البسيط] :

يا سنّة البدر في الدياجي وغرّة الشمس في الصباح
 صمصام حربٍ وغيث سلمٍ ناهيك في البأس والسماح

(١) جمععت : صوّتت والهيجاء : الحرب .

(٢) الصعدة : القناة المستوية التي لا تحتاج إلى تقويم .

(٣) الوطفاء : المطرة التي أرخت أديالها .

(٤) الشانئ : الميغض . والأبتر : الأقطع الذي لا ولد له .

اسعد بفطرٍ مضى وأضحى وافاك باليمن والنجاح
وانحر أعادي بني بويه بالسيف في جملة الأضاحي
فالكلٌ منهم ذوو قرون يصلح للذبح والنطاح

وكتب في يوم مهرجان مع اضطراب أهده إلى عضد الدولة [من البسيط] :

أهدي إليك بنو الآمال واحتفلوا في مهرجانٍ جديدٍ أنت مبليه
لكنَّ عبدك إبراهيم حين رأى علوّ قدرك عن شيءٍ يدانيه
لم يرضَ بالأرض مهداةً إليك فقد أهدي لك الفلّك الأعلى بما فيه

وكتب إليه مع زيج أهده [من البسيط] :

أهديت محفلاً زيجاً جداوله مثل المكاييل يستوفي بها العمر^(١)
فقس به الفلك الدوار واجركما يجري بلا أجل يخشى وينتظر

وكتب إليه في يوم نيروز مع رسالة هندسية من استخراجِه [من الطويل] :

أيا ملك الأرض الذي ليس بينه وبين ملك العرض مثلٌ يقارنُهُ
رأيت ذوي الآمال أهدوا لك الذي تروق العيون الناظرات محاسنه
وحولك خزان يحوزونه وما له منك إلا لحظ طرف يعاينه
ولكنني أهديت علماً مهذباً يروق العقول الباحثات بواطنه
وخير هدايانا الذي إن قبلته فليس سوى تامور قلبك خازنه^(٢)

وكتب إليه من الحبس ، وقد أهدى إليه درهمين خسروانيين وكتاب المسالك
والممالك في دفترين [من مجزوء الكامل] :

(١) زيجاً : جدولاً يدلّ على حركة الكواكب ومنه يستخرج التقويم .

(٢) التامور : وعاء القلب والنفس .

أهدي إليك بحسب حا لي في الخصاصة درهمين^(١)
وبحسب قدرك دفترين هما جميع الخافقين
فإذا فتحتهما رأيت بيان ذاك بلحظ عين

وكتب إليه من الحبس مهرجانية مع درهم خسرواني وجزء من كتاب [من
الطويل] :

وأبشُرْ بخير واطَّرادِ سعودِ	تصبَّحْ بعزٍّ واعتلاءِ جدودِ
بطلعة بسَّامٍ أغرٍّ مجيدِ	وقل مرحباً بالمهرجانِ وحيه
كفيلاً بحظِّي سيدِ ومسودِ	له زورة في العام ما زال يومها
وتحظى بعمرٍ في مداهِ جديدِ	فيحظى بفخرٍ من علاكِ مجددِ
إليك وإن ولَّى فثنائى جيد ^(٢)	تراه إذا ما جاء طامح مقلِّدِ
على قدر المهدى وبين زهيدِ	أتك الهدايا فيه بين موفِّرِ
تكلف فياض اليدين مفيدِ	فبان على يمنالك حين مددتها
لها عادةٌ إلا ببسطة جودِ	تقاعس عن بسط القبول ولم تكن
مددت لها كفيك مدَّ رشيدِ	ولكن إذا أهدى لك الله نعمةً
بجرجانٍ ما محصولها بعيدِ	وقد نزلت منه إليك هديةً
ورود بشيرٍ فوق ظهر بريدِ	وما بيننا إلا المسافة فانتظرُ
تجاسرت واستفرغت جهد جهيدِ	ولما رأيت الله يهدي وخلقه
يطير من الأنفاس يوم ركودِ	فكان احتفالي في الهدية درهماً
وتقييده بالشكل مثل قيودي ^(٣)	وجزءاً لطيفاً ذرعه ذرع محبسي

(١) الخصاصة : الفقر والحاجة .

(٢) ثنى جيده : لوى عنقه .

(٣) ذرعه : مقداره .

أَلَا طِفُّ مَوْلَانَا وَكَالْمَاءِ طَبْعَهُ
زَلَالاً عَلَى الْمُسْتَغْطِفِينَ وَجَلْمِداً
تَسْلُسُلُ مِنَ عَذْبِ النَّطَاقِ بَرُوداً^(١)
عَلَى كُلِّ عَرِيضٍ أَلْدُ مَرِيداً^(٢)

وكتب إليه في يوم نيروز [من الطويل] :

تَهْنِ بِهَذَا الْيَوْمِ وَاحْظْ بِخَيْرِهِ
أَرَى النَّاسَ يَهْدُونَ الْهَدَايَا نَفِيسَةً
سِوَى سَكْرِ يَحْلُو لَكَ الْعِيشَ مِثْلَهُ
وَبَيْنَهُمَا مَنْ ضَرَبَ قَوْمَكَ دَرْهَمٌ
فَإِنْ كُنْتَ تَرْضَى مَابَهُ انْبَسَطَتْ يَدِي
وَكُنْ أَبْداً بِالْعُودِ مِنْهُ عَلَى وَعْدِ^(٣)
إِلَيْكَ وَلَمْ يَتْرِكْ لِي الدَّهْرَ مَا أَهْدِي
وَأَسِ أَخِي عَمْرَ كَعَمْرِكَ مَمْتَدّاً
وَأَبْيَاتَ شَعْرٍ مِنْ ثَنَائِي وَمِنْ حَمْدِي
وَتَقْبَلُهُ مِنِّي فَهَذَا الَّذِي عِنْدِي

وكتب إليه [من الطويل] :

تَعْذِرْ دِينَارِي عَلَيَّ وَدَرْهَمِي
وَكَمْ بَيْتَ شَعْرٍ زَادَ بِالشُّكْرِ قَدْرَهُ
فَلَا طِفْتُ مَوْلَانَا بِيَتَيْنِ مِنْ شَعْرِي
عَلَى بَيْتِ مَالٍ مِنْ لَجِينٍ وَمِنْ تَبْرِ

وكتب إلى صمصام الدولة [من السريع] :

دَامَتْ لِمَوْلَانَا سَعَادَتُهُ
وَنَالَ مَا أُمِّلُ مِنْ رَبِّهِ
وَزَادَهُ النِّيْرُوزُ فِي مَلِكِهِ
لَمَّا رَأَيْتَ النَّاسَ لَمْ يَتْرَكُوا
أَعْمَلْتَ فِكْرِي فِي دَعَاءٍ لَهُ
فَقُلْتَ بَيْتاً وَاحِداً كَافِياً
مَوْصُولَةً دَائِمَةً تَتَرَى^(٤)
فِي هَذِهِ الدَّارِ وَفِي الْآخَرِ
عِزّاً وَفِي دَوْلَتِهِ نَصْرَا
فِيمَا ادْعَاوْا نَظْماً وَلَا نَثْرَا
يَجْمَعُ مَا جَاءُوا بِهِ طُرّاً
لَمْ يَعْذُ فِي مَقْدَارِهِ سَطْرَا

(١) النطاف : جمع نطفة ، وهي الماء الصافي والبرود : البارد .
(٢) الزلال : الصافي . والعريض : الكثير المعارضة والعناد ، والألد : الشديد العداوة ، والمريد : الكثير التمرد .
(٣) العود : العطاء وغيره .
(٤) تترى : متابعة بعضها بعد بعض .

لا زالت الدنيا له منزلاً يأويه والدهر له عمراً

وكتب إليه مع اصطرباب أهدهاء [من الوافر]:

يعزُّ علي أن أهدي نحاساً إلى مَنْ فيضُ راحته نضاراً^(١)
ولكنَّ الزمان اجتاح حالي وأنت عليه لي إذ جارَ جار

تب إلى بعضهم مع فنجان صفر [من البسيط]:

تهدي النحاس إلى مولى أنامله	تهدي النضار إلى العافين متتها
وكان يلزمننا لولا التعذر أن	يكون إهداؤنا من عين ما وهبا
لكن بعدي عن جدواه أصفرني	من كل خير فصار الصفر لي نشبا ^(٢)
وسوف أظفر من أخلاط نائله	بالكيمياء فيضحى صفرنا ذهباً ^(٣)
فليسط الآن عذراً لست أسأله	في قابل إن أنسل من خدمة سببا
فقد جرى الماء في عودي بدولته	وكان من قبله مستيساً حطبا
وأقبلت نحوي الآمال آتية	من بعدما أزمعت من ساحتي هرباً ^(٤)

وكتب في يوم نيروز وقد أهدي بطيخة كافور [من الكامل]:

أسعد وزير الملك بالنيروز ما	سجعت مطوقة على أعوادها
وافى فأنجز وعد عام أول	بميامن سكر من ميعادها
تهدي إليك به هدايا كلها	من راحتك حقيقة استمدادها
فتمدّ كفاً نحوها نشأت على	إرفاد أيدي الناس لا استرفادها ^(٥)

(١) النضار: الذهب.

(٢) أصفرني: أخلاني، والصفر: النحاس والنشب: كل ما يملك الانسان.

(٣) أظفر: أفوز، وأخلاط نائله: مختلف عطاياه.

(٤) أزمعت: صممت وقررت وعزمت.

(٥) الإرفاد: الاعطاء، والاسترفاد: الاستعطاء.

عاداتها إعطاء ما قد أعطيت
ولقد طلبت فلم أجد شيئاً سوى
وبديع أبياتٍ إذا هي أنشدتُ
فالصباح من تلك ابيضاض أديمها
ولو أنني مكنت من عيني التي
لسكنت كافوري بشحم بياضها
أكرمُ بعادتها وبالمعتادها
كافورة لم آلُ في إعدادها^(١)
نفقت بضاعتها على نقادها
والليل من هذي اعتكار مدادها
هي بعض حقك يا معيد رقادها
وكتبت أبياتي بذوب سوادها

وكتب إلى المطهر بن عبد الله يهنئه باليوم الأجود [من السريع] :

نل المنى في يومك الأجود
وارق كمرقى زحلٍ صاعداً
وفض كفيض المشتري بالتدنى
وزد على المريخ سطواً بمن
واطلع كما تطلع شمس الضحى
وخذ من الزهرة أفعالها
وضاه بالأقلام في جريها
وباه بالمنظر بدر الدجى
واسلم على الدهر ولا تخش من
ذا مهجة آمنة لللاذي
مستنجهاً بالطالع الأسعد
إلى المعالي أشرف المصعد
إذا اعتلى في برجه الأبعد
عاداك من ذي نخوة أصيد^(٢)
كاسفةً للهندس الأسود^(٣)
في عيشك المقتبل الأرغد
عطارد الكاتب ذا السؤدد
وأفضله في بهجته وازدد
مكروهه الرائح والمعتدي
ما أمته مهجة الفرقد

وكتب إلى بعض الرؤساء يهنئه بخلعة سلطانية [من الكامل] :

قرمُ علته ملابس العلياء
فعلا على النظراء والأكفاء

(١) لم آل : لم أقصر .

(٢) الأصيد : السيد والملك .

(٣) الخندس : الظلام الشديد السواد .

أهدت إليّ سرورها مثل الذي أهدي مساءتها الى الأعداء
ومن العجائب أنني هئأته وأنا المهناً فيه بالنعماء
لا زال يفترع المراتب صاعداً حتى يجوز محلّة الجوزاء^(١)

وكتب إلى الوزير أبي نصر سابور بن أردشير يهنئه بالخروج من الاستار [من
الخفيف]:

صحّ أنّ الوزير بدرٌ منير إذ توارى كما توارى البدورُ
غاب لا غاب ثم عاد كما كان على الأفق طالعاً يستير
لا تسلني عن الوزير فقد نبئتُ بالوصف أنّه سابور^(٢)
لا خلا منه صدر دستٍ إذا ما قرّ فيه تقرُّ منه الصدور^(٣)

وكتب إليه وقد أعيد إلى الوزارة بعد أن صرف عنها [من الكامل]:

قد كنت طلقت الوزارة بعدما زلّت بها قدم وساء صنيعها
فعدت لغيرك تستحيل ضرورة كيما يحلّ إلى ذراك رجوعها
فالآن آلت ثم آلت حلقةً أن لا يبيت سواك وهو ضجيعها^(٤)

* * *

ما أخرج من شعره في الهجاء

قال [من المجتث]:

يا جامعاً لخلالٍ قبيحةٍ ليس تحصى

يفترع : يمتلك .

(٢) سابور : ملك ، معرب شاه بور .

(٣) اللدست : البيت .

(٤) آلت حلقةً : أقسمت قسماً وضجيعها : راقدٌ معها .

نقصت من كل فضلٍ فقد تكاملت نقصاً
لو أن للجهل شخصاً لكنت للجهل شخصاً

وقال [من الخفيف]:

أيها النابح الذي يتصدى بقيقٍ يقوله لجوابي
لا تؤمل أتي أقول لك احساً لست اسخو بها لكل الكلاب

وقال [من السريع]:

ياذا الذي صام عن الطعم ليتك قد صمت عن الظلم
هل ينفع الصوم امرأ ظالماً أحشأؤه ملأى من الإثم

وقال [من الهزج]:

أبو الفضل إذا يحصل فيما بينا فضلُ
وما نؤثر أن يدخل في شطرنجنا بغل

وقال في إنسان ساقط لبس عمامة سرية [من الكامل]:

يا من تعمّم فوق رأس فارغٍ بعمامة مروية بيضاء
حسنّت وقُبِح كل شيءٍ تحتها فكانها نورٌ على ظلماء
لما بدا فيها أطلت تعجبي من شرّ شيءٍ في أجلّ إناء
لو أنني مكنت ممّا أشتهي وأرى من الشهوات والآراء
لجعلت موضعها الثرى وجعلتها في رأس حرٍّ من ذوي العلياء

وقال [من الطويل]:

ألا قل لأهل الدولة النذلة التي ثوى داؤها فينا وأعيا دواؤها
لقد كبت الدنيا على أمّ وجهها فنحن لها أرضٌ وأنتم سماؤها
فلا تفرحوا بالحظّ منها فأنه قليلٌ على هذا المحال بقاؤها

وقال [من المجتث] :

وراكبِ فوق طرفٍ	كأنه فوق طرفي ^(١)
له قذالٌ عريض	يجلُّ عن كل وصف ^(٢)
يذوب شوقاً إليه	نعلي وخفي وكفي

وقال [من مخلع البسيط] :

قرنُ ابن هارون قد تمادى	علوه فالغيور غيره
فكاشفته البظراء جهراً	بفسقها حين قلَّ خير ^(٣)
خلت به للنكاح يوماً	فقام حرَّها ونام أيره ^(٤)

وقال [من الكامل] :

ييدي اللواط مغالطاً وعجانه	أبدأ لأعزاد الوري مستهدف ^(٥)
فكأنه ثعبان موسى إذ غدا	لحبالهم وعصيهم يتلقف

وقال [من الرجز المشطور] :

يارب علجِ علجِ أعلجِ	مثل البعير أهوج ^(٦)
ذي فيشة عظيمة	إن دخلت لم تخرج ^(٧)
رأيته مطَّلعاً	من خلف باب مرتج
وتحتته دنيّة	تذهب طوراً وتجي

(١) الطرف : الحصان الجيد .

(٢) القذال : القفا ، موضع الصفع .

(٣) البظراء : الطويلة البظر .

(٤) الحرّ : بضع المرأة .

(٥) العجان : الإست . الأعزاد : جمع عرد ، ويعني به القضيبي عند الإنسان .

(٦) العلج : الكافر .

(٧) الفيشة : رأس الذكر .

فقلت : فاضي أيدج ؟ فقال : قاضي أيدج

وقال في رئيس أمرد [من الطويل] :

وأرعن من سكر الحداثة ما صحا دفعنا إلى تعظيمه وهو ما التحى
له همةً لكنّها في حتاره فما يطلب العلياء إلا لينكحاً^(١)
فلو أن ما قاسى من الأير دبره يقاسيه من سير المعلم أفلحا

وقال في إنسان شريف الأصل وضيع النفس [من مجزوء الكامل] :

قل للشريف المتمي	للغرّ من سرواته
آبائه وجدوده	والزهر من أماته
وهو الوضيع بنفسه	وعيوبه وهناته
والظاهر السوءات في	أخلافه وصفاته
لا تجرّين من الفخا	ر إلى مدى لم تاته
شاد الألى لك منصباً	قوّضت من شرفاته ^(٢)
وأبوك متصل به	فحققتهم بيتاته ^(٣)
إنّ الشريف النفس ليـ	ست تلك من فعلاته
والعود ليس بأصله	لكنه بنباته
والماء يفسد إن خلط	ت أجاجه بفراته ^(٤)
وأحق من نكّسته	بالصفع من درجاته
من مجده من غيره	وسفاله من ذاته

(١) الحنّار : يعني الإست ، وهو الإطار المحيط بالغربال أو المنخل أو نحوهما .

(٢) قوّضت : هدمت وخربت .

(٣) بتّه : قطعه .

(٤) الأجاج : المالح ، والفراة : العذب .

وقال في هجاء أبخر [من البسيط]:

إنني بليت بقرنان يساررني سيّان عندي مجشّاه ومفسّاه^(١)
القبر نكهته ، والسّم ريقته والموت عشرته ، والبخرنجواه^(٢)
وفي المعنى [من مجزوء الرمل]:

في أبي الفضل من النقص ضروب وصنوف
رجل في وعده خلّف ، وفي فيه خلوف
قاذا قاوضك القو ل فقد فاض كنيف^(٣)

وقال [من مجزوء الخفيف]:

لم تر العين أبخراً كابن نصرٍ ولا ترى
مدخل الخبز منه أخبث من مخرج الخرى

وقال [من الكامل]:

قد أبصرت عيني العجائب كلّها ما أبصرت مثل ابن نصرٍ أبخر
ما شم نكهته أمرؤ متعطّر إلا استحال مخاطه منها خرى

وقال [من الكامل]:

نطق ابن نصرٍ فاستطارت جيفةً في الخافقين لتن فيه الفاسد
فكأن أهل الأرض كلّهم فسوا متواطئين على اتفاق واحد

وقوله [من الخفيف]:

يا ابن نصرٍ ته كيف ما شئت بالبحّرة إذ بلّغتك حالاً شريفه

(١) القران : الديوث المشارك في قرينته لزوجته ، المجش : ما يتجشأ منه ، وهو فمه .

(٢) البخر : الرائحة الكريهة من الفم .

(٣) الكنيف : المرحاض .

لك في الناس مثلٌ معجزة الخضر، وإن كنتُ منه بش الخليفة
لا يَشْمُون حين تجتاز طياً ويشمون حين تجتاز جيفة
وقال [من مجزوء الرجز]:

ما مرَّ بي في عُمري مثلُ سرارِ القنطري
مكَّته من أذني فبال فيها وخرى

وقال من قصيدة لأبي الفضل الشيرازي يوصيه بغلمانه ويعلمه بحالهم ويحذره من
شخص عرض به [من مجزوء الرمل]:

نَبُّ هذا التيس نباً وعلى الغلمان هباً^(١)
كلّما نادى غزلاً منهم للنيك لبي
ما رأينا قبل هذا رشاً طاع كلبا
ليس فيهم صغير وكبير يتأبى
وغدّت دار أبي الفضل ل لهذا التيس زربا
وهو يزداد على ذا ك به ضناً وعجبا
يا أبا الفضل استمع نصح امرئ يصفيك حباً
سرحُ غلمانك للسرح حان قد أصبح نهبا^(٢)

* * *

ما أخرج من شعره في الشعر

قال [من الوافر]:

أحبُّ الشعر يتدع ابتداءً وأكره منه مبتدلاً مشاعاً

(١) نَبَّ: صاح.

(٢) السَّرح: الأنعام التي تسرح للمرعى والسرحان: الذئب.

ولي رأيٌ غيورٌ في المعاني فما آتي بها إلا افتراءا
وقدماً كانت الأبيكار أحظى من العون التي انتهت شعاعاً^(١)
وقال [من الخفيف] :

رب شعرٍ أطاله طول معنا ه وإن قلّ لفظه حين يروي
وطويل فيه الكلام كثير فاذا ما استعدته كان لغوا^(٢)
عرض البحر وهو ماءٌ أجاجٌ وقليل المياه تلقاه حلوا
وقال [من الطويل] :

لقد شان شأن الشعر قومٌ كلامهم إذا نظموا شعراً من الثلج أبردُ
فياربَّ إن لم تهدم لصوابه فأضلُّلهم عن وزن ما لم يجودوا
وقال من قصيدة في الصاحب [من الخفيف] :

لو تراخيت عن مديحك لاستجـررت من كلِّ نعمةٍ لك هجوا
فتأمل وانظر إليه إذا ما طبق الخافقين حضراً وبدوا^(٣)
كيف تحدو به عفاتك حدواً ثم تشدو به قيانك شدوا

* * *

ما أخرج من شعره في العتاب

قال من قصيدة [من الوافر] :

وأيامٍ تعدّ عليّ عدّاً وحظّي من رغائبها يفوتُ
يظنّ الناس لي فيها ثراءً وحسبي من ظنون الناس قوت

(١) العون : المرأة صارت وخادمة مساعدة .

(٢) اللغو : الكلام الذي لا طائل وراءه .

(٣) الحضـر : سكان المدن ، والبدو : سكان الصحارى .

كأنني من تخاصمهم مكينٌ وحالي من خصاصتها تموت
ولم آل اجتهداً واحتفالاً ولكن أعيت الحيل البخوت
إذا رام الكريم شكاةً بثٌ فغايته التحمل والسكوت

وقال من قصيدة في عبد العزيز بن يوسف [من الطويل]:

كفاني علاءٌ حين أفخر أنني أضاف إلى عبد العزيز وأنسبُ
حتته عليّ الحانيات فصرت في كفالته كالابن وهو له أب
فها أنا كالأولاد والفرع أشمطُ وما هو كالآباء والفرع غيب^(١)
ومنها :

عممت جميع الناس حسناً لمحسنٍ وعفواً لذي جرمٍ فغيثوا واخصبوا
فما بال إبراهيم إذ ليس قبله وكليّ عراقيّ غداً وهو مجذب
مجلّهم في حلبة أرسلوا وسكيتهم في رتبة حين رتبوا
ومالك يا عيني البصيرة غمضت جفونك عني حين أبكي وأندب
وكيف استطبت العيش في ظلّ نعمة غلامك عنها بالعراء يعذب
أتضرب صفحاً وأدع الجأش ساكناً وجنبي على رمضائه يتضرب^(٢)
متى لم يكن ترياق جاهك ضامناً نجاتي إذا دبّت إلى الحال عقرب^(٣)
ومالي إذا لم أسق رياً من الحيا ولم ترومني غلة الروح أخصب
ولكنه التقويم إن كان طعمه أمرّ فعقباه الحميدة تعذب
ومن ذا الذي أهلتموه لنكبة تقومه إلاّ العذيق المرجّب^(٤)

(١) الأشمط : الذي خالط بياض شعره سواده . والغيب : الأسود المظلم .

(٢) الرمضاء : شدة الحرّ ، ويتضرب : يتقلب .

(٣) الترياق : دواء السم .

(٤) العذيق : اللبق الماهر والمرجّب : المعظم .

إذا منصلٌ بالغتُمُ في صفالِهِ
ولم تشحذوا حدّيه حيفاً وإنمّا
تجرّعت هذا الشرّ كالأرّي عالمّاً
ويا سوء حالي لو جريت لديكمُ
فصبراً على بؤسي قليلُ بقاؤها
لئن غمّني التأنيب فيكم وساءني
وعلمي باستحكام حقّي لديكمُ
وإنك للحرّ الذي لي عنده

وقال [من الطويل] :

صديقُ لكم يشكو إليكم جفاكمُ
تناسيتموه وهو للعهد ذاكرُ
يقول لكم والوجد بين ضلوعه
أكابرنا عطفاً علينا فإننا
وفي قلبه داء من الشوق قاتل
وللغيب مأمونٌ وللجبل واصل
مقيمٌ وقد جمّت عليه البلبل^(١)
بنا ظمأً برّح^(٢) وأنتم مناهل^(٣)

وقال [من الخفيف] :

ومن الظلم أن يكون الرضا سراً ويبدو الإنكار وسط النّادي
ومن العدل أن يشاع بهذا مثل ما شاع ذاك في الأشهاد
كي يسرّ الصديق بالعفو عني مثل ما سرّ بالنكير الأعادي

* * *

(١) الشرى : الحنظل ، أي الشراب المرّ . والأرّي : العسل .

(٢) جمّت : كثرت وتزاحمت والبلبل : الهموم .

(٣) برّح : مؤلم .

ما أخرج من شعره في الشكوى والحبس

قال [من البسيط]:

قد كنت أعجب من مالي وكثرته
حتى انثنت وهي كالغضبي تلاحظني
فاستيقنت أنها كانت على غلط
الضّب والنون قد يُرجى التقاؤهما
وكيف تغفل عنه حرفة الأدب
شزراً فلم تبق لي شيئاً من النشب^(١)
فاستدركته وأفضت بي الى الحرب^(٢)
وليس يرجى آلتقاء اللّب والذهب^(٣)

وقال أيضاً [من الوافر]:

كأنّ الدهر من صبري مغيظٌ
يحاول أن تلين له قناتي
ألاقي كلّ معضلة نادر
وأعتنق العظيمة إن عرتني
وبين جوارحي قلب كريم
تلوح نواجذي والكأس شربي
ف فوق السرّ لي جهراً ضحوكٌ
سأثبت إن يصادمني زماني
وأرقب ما تجيء به الليالي
فليس تغبّي منه الخطوب^(٤)
ويأبى ذلك العود الصليب
بوجه لا يغيّره القطوب^(٥)
كأنّ قد زارني منها حبيب
تعبّب من تماسكه القلوب
وأشربها كأنّي مستطيب^(٦)
وتحت الجهر لي سرّ كئيب
بركنيه كما ثبت النجيب
ففي أثنائه الفرج القريب

(١) شزراً غاضبةً .

(٢) الحرب : الهلاك .

(٣) النون : الحوت من السمك والضّب : حيوان معروف يشبه الهر .

(٤) تغبّي : تزورني .

(٥) النادر : الشديدة الوقوع .

(٦) النواجذ : الأضراس ، وهي أربعة .

وقال [من مجزوء الكامل] :

قاسيت من دهري سفيهاً	ما إن رأيت له شبيها
ثبتت نصال سهامه	في ثغرة لي تتحيها
فكأنني استقبلته	بمقاتلي إذ أتقيها

وقال [من الطويل] :

إذا لم يكن بدٌ من الموت للفتى	فأروحه الأوحى الذي هو أسرع ^(١)
وما طال عمرٌ قط إلا تطاولت	بصاحبه روعات ما يتوقع
فكن عرضاً بالعيش لا تغتبط به	فمحصوله خوفٌ وعقباه مصرع

وقال [من الطويل] :

إذا جمعت بين امرأين صناعةً	وأحببت أن تدري الذي هو أحقُّ
فلا تتفقَّدْ منهما غير ما جرت	به لهما الأرزاق حين تفرَّق
فحيث يكون النقص فالرزق واسعٌ	وحيث يكون الفضل فالرزق ضيقٌ

وقال [من المنسرح] :

عهدي بشعري وكلَّه غزلٌ	يضحك عنه السرور والجدلُ
أيام همِّي بحبةٍ بهم القلب عن	النائبات مشتغل
فالآن شعري في كلِّ داهيةٍ	نيرانها في الضلوع تشتعل
أخرج من نكبةٍ وأدخل في	أخرى فنحسي بهن متصل
كأنها سنةٌ مؤكدةٌ	لابدَّ من أن تقيهما الدول
فالعيش مرٌّ كأنه صبرٌ	والموت حلٌّ كأنه عسل

(١) الأوحى : الأسرع .

وقال في الاستتار من قصيدة [من الخفيف] :

ليس لي منجدٌ على ما أقاسي من كروبي سوى العليم السميع
دفترتي مؤنسي وفكري سميري ويدي خادمي وحلمي ضجيعي
ولساني سيفي وبطني فريضي ودواتي عيني ودرجي ربيعي
أتعاطى شجاعةً أدعيها في القوافي لقلبي المصدوع
بمقالٍ أعزَّ من ليث غابٍ وفعالٍ أذلَّ من يربوع^(١)
كلما هرَّ في جواري هرَّ كاد يقضي إلى فوادي المروع^(٢)
وإذا اجتاز في السطوح فمن قبل قبوع الجرذان منه قبوعي

وكتب من الحبس قصيدة منها [من الطويل] :

كتبتُ أليك السُّوءَ من محبسٍ ضنكٍ وعينُ عدوي رحمةً منه لي تبكي
وقد ملكتني كفٌّ فطٌّ مسلطٌ قليل التقي ضارٌّ على الفتك والإفك
صليت بنار الهم فازددت صفوة كذا الذهب الإبريز يصفو على السبك

وكتب إلى صديق له وهو محبوس [من الكامل] :

نفسي فداؤك غير معتدٍّ بها إذ قد مللت حياتها وبقاءها
ولو أن لي مالا سواها لم أكن أرضى لنفسك أن تكون إزاءها
لكن صفرت فلم أجد إلا التي قد آن لي أن أستطيل ذمها^(٣)
فإذا شكرت لمن فداك فإنني لك شاكرٌ أن قد قبلت فداها
وكأنني المفديُّ حين أرحمتني من ناثباتٍ ما أطيق لقاءها

(١) اليربوع : حيوان قاضم يشبه الفأر ، قصير اليدين ، وطويل الرجلين والذنب .

(٢) هرَّ : صَوَّت .

(٣) صفرت : خليت . والذماء : بقية الروح وقوة القلب .

وكتب وهو في الحبس الى أبي العلاء صاعد بن ثابت [من مجزوء الرمل] :

أيها السيد قد كنت إلى الوصل تسارعُ
وتراعيانا ببرّ موالٍ متابع
فلماذا قد تسربلت لنا سربال قاطع
نحن كالنسرَيْن في الصَّحبة لكنّي واقع^(١)
وعلى الطائر ان يغشى أخاه وبطالع^(٢)

وكتب إلى قاضي القضاة أبي محمد بن معروف ، وقد كان زاره في معتقله
رقعة هذه نسختها :

لقد قوي دخول سيدنا قاضي القضاة إلى نفسي ، وجدد أنسي . وأعزب
نحسي ، ووسع حبسي . فدعوت الله تعالى بما قد ارتفع إليه ، وسمعه له . فإن
لم أكن أهلاً لأن يستجاب مني ، فهو أيده الله أهل لأن يستجاب فيه ، وأقول مع
ذلك [من البسيط] :

دخلت حاكم حكّام الزمان على صنيعة لك رهن الحبس ممتحن
أخنتُ عليه خطوبُ جارَ جائرها حتى توفاه طول الهمّ والحزن^(٣)
فعاش من كلماتٍ منك كنّ له كالروح عائدة منه إلى البدن
وقال في مستخر مال كان يرفق به حال مصادرتة ويتشكر منه في تلك الحال
[من الكامل] :

لله درّ أبي محمد الذي ضمنّت إساءته بنا إحسانا
طويت جوانحه على خيريّة مكتومة تبدو لنا أحيانا

(١) النسرين : مثني نسر ، والواقع : اسير : أو الذي لا يستطيع التحليق .

(٢) يغشى : يؤم داره ويتفقّد أحواله .

(٣) أخنت : حلت .

حرّ تكلف غير ما في طبعه من قسوة تكسو العزيز هوانا
عكس النفاق لنا فأخفى باطناً حسناً وأظهر ضده إعلانا
وله خلال العسف رفقٌ ربما سغشى الضعيف الرازح الحيرانا^(١)
مستخرجٌ للمال مضطراً إلى اسـ استعمال ما يرضي به السلطانا
متلطفٌ في فقرنا ولو أنه وجد السبيل إلى الغنى أغنانا
يتطرق الأستار لا عن نيّةٍ ولو استطاع لها الصيانة صانا
متوعّر الجنبات في استخراجه وإذا تعطف للفتوة لانا
فتراه في ديوانه مستأسداً ليشاً وفي خلواته إنسانا
رجل يؤدّبنا ونحن مشايخُ مثل المعلم يضرب الصبيانا
عدنا وقد شبننا إلى حال الصبا في مكتب يستشهد الولدانا
نهواه علماً أنه خير لنا من غيره ان قلّد الديوانا
عجاً له إذ هذه آثاره فينا وهذا شكرنا وثنانا
فالله يحفظه علينا راضياً ويعيدنا من بأسه غضباناً

وقال أيضاً في الحبس [من الطويل]:

إذا لم يكن للمرء بدٌ من الردى فأسهله ما جاء والعيش أنكد
وأصعبه ما جاءه وهو رائعُ تُطيفُ به اللذات والحظ مسعد
فإن أك شرّ العيشتين أعيشها فإني إلى خير المماتين أقصد
وسيان يوماً شقوةً وسعادةً إذا كان غباً واحداً لهما الغد^(٢)

وكتب إلى عضد الدولة وقد خرج إلى الزيارة بالكوفة [من الطويل]:

توجّهت نحو المشهد العلم الفرد على اليمن والتوفيق والطائر السعد
نزور أمير المؤمنين فياله ويالك من مجدٍ مسيخٍ على مجد

(١) العسف : الظلم .

(٢) الغبّ : الذي يزور يوماً ويترك آخر .

فلم ير فوق الأرض مثلك زائراً
مددت إلى كوفانٍ عارضٍ نعمةً
وتابعت أهليها ندىً بمثوبةٍ
أمولاي مولاك الذي أنت ربّه
وهذي يدي مُدَّتْ إليك بقصةً
أتاني شتاءٌ ليس عندي دثاره
فلو أن يرد الجلد عاد إلى الحشا
أزيمت لنفسي علّتها فأعرضتُ
وداويتُ داءِي النَّقْضِينَ ذا بذا
ولكني أستبطن الحرَّ كربةً
وكم تثبت الحوباء في شبح به
أليّات وقع لو تكون يذبل
فلولا رجاءٌ ملء أرجاء أضلعي
وأن نسيم الانعطاف تهب لي
قضيت بإحداهن نحبي حسة
وهبني قد حملتها فأطقتها
فمن لي بصبرٍ عن جبينك لامعاً
براني برِيَّ القدح شوقٌ مبرحٌ

ولا تحتها مثلُ الزور إلى اللحد
بصوتٍ بلا يرقٍ يروع بلا رعد^(١)
فرحت إلى فوزٍ وراحوا إلى رفد^(٢)
إليك على جور النوائب تستعدي
أعيذك فيها من إباءٍ ومن ردّ
سوى لوعةٍ في الصدر مشبوبة الوقْد^(٣)
وفار الحشا الحران مني على الجلد
عن البثّ والشكوى إلى الشكر والحمد
أعدّل إفراطاً من الضّد بالضد
وأستظهر الضرّ الشديد من البرد
جروحٌ دوامٍ من مناحسة النكد^(٤)
تضعضع ركناه تضعضع منهّد^(٥)
وعلم يقين بالرعاية والعهد
هبوب نسيم النرجس الغضّ والورد
ولو كان لي قلب من الحجر الصلّد
إطاقة صلب العود مصطبر جلد
إذا شيم ما بين السّماطين من بعد^(٦)
إليه ووجد جلّ عن صفة الوجد^(٧)

(١) العارض : الغيم المطر .

(٢) الرفد : العطاء .

(٣) المشبوبة : المستعرة .

(٤) الحوباء : النفس أو الروح .

(٥) يذبل : إسم جبل .

(٦) شيم : أبصر ونظر إليه والسّماطين : الصّفّين ، والجانيين .

(٧) براني : أنحلني .

إذا أبصرت عيناى خدا معفراً
وإن سمعتُ أذنای عنك محدثاً
فذكراك جهري حين يطرق زائري
فلا تبعدني عنك من أجل عثرة
ولو كنت تنفي كل من جاء مخطئاً
ومن زل يوماً زلة فاستقالها
ولي عند مولانا وديعة حرمة
فإن عشت كانت عدتي وذخیرتي
توالت سني أربع ومدامعي
أحوم إلى رؤياك كما أناها
فيا أيها المولى الذي اشتاق عبده
فإن كان لم يبلغ إلى رتبة الرضا
ومر أمرك العالي بتغير حاله
لعلك ترضى عودة بعد بدأة
فقد يجبر العظم الكسير وربما
وقال [من الطويل] :

لديك نقلت الترب منه إلى خدي
لهجت بتكرير الحديث الذي يُبدي
ونجواك سري حين أخلو بها وحدي
فإن جياذ الخيل تعثر إذ تخدي^(١)
إذا لعممت الناس بالنقي والطرْد
فذاك حقيق بالهداية والرشد
وشكر أياديه وديعته عندي
وإن لم أعش فهي التراث لمن بعدي
لها أربع كالسلك سل من العقد
حيام العطاش الناظرات إلى الورد^(٢)
إليه أما تشاق يوماً إلى العبد ؟
فبلغه فيما قبلها رتبة الوعد
وتخفيف ما يلقي من البؤس والجهد
فيغدو بوجه أبيض بعد مسود
تزايد بعد الجبر شدة مشد

وواصلت كالوراق قارورة الحبر
يحدث عما مر في سالف الدهر
وطوراً يكون الموت مني على ذكر

هجرت دواتي بعد تصريف حلها
وعاشرت من دون الأخلاء دفترا
فطوراً يسليني التعلل بالمنى

* * *

(١) تخدي : تسير بسرعة وتعثر : تزل .

(٢) الورد : منهل الماء .

ما أخرج من شعره في الحكمة

قال [من مجزوء الرمل] :

جملةُ الإنسان جيفةٌ وهيولاه سخيْفه^(١)
فلماذا ليت شعري قيلَ للنفس شريفه ؟
إغما ذلك فيه صنعة الله اللطيفه

وقال أيضاً [من مجزوء الكامل] :

أتهاب في العزمات ظلما ربما وقيت عنه
وأمامك الموت الذي أيقنت أن لا بدّ منه
هذي سبيل الخائب الكابى . الزناد فلا تكنه^(٢)
الدهر خوآن ولكن كم سعيذر لم يخنه !
وشقيّ جدّ قد تحرّز بالتصوّف لم يصنه
فاحذر مراراً أن يخون مرة لك فأتمنه
واستبرّ لحظك بالتقلب في المطالب وامتحنه
وابسط رجاءً قد قبضت وثق بربك واستعنه

وقال أيضاً [من الطويل] :

ألا أيها الإنسان لأنك آيساً من الدهر ان تصفو عليك مشاربه
فإنّ له حتماً من الشر واجباً وحتماً من الخير الهنيّ عواقبه
وإن تلق من حتميّه ما كنت تبتغي فأولى بك الحتم الذي أنت طالبه
ستكسب ما ترجو ولو كنت كارهاً ككسيك ما تحشى وأنت مجانبه

(١) الهويلى : في الفلسفة ، المادة الأولى ، تنفعل وتحمل الصورة فتتولّد الموجودات .

(٢) الكابى الزناد : الذي لا يستعر ، كناية الحظ السيّء .

وقال [من الخفيف] :

قد تحابى الجواد نائبة الدهر وفيها على البخيل وقاحة
كم رأينا من نعمة قادها البخل وأخرى تذود عنها السباحه
ربما ضررها التشدد والضبط فأضحت من أصلها مجتاحه
فهى محمية إذا نيل منها وإذا عز نيلها مستباحه
وخصوم الشحيح يسعون فيما غص من طرفه وهاض جناحه^(١)
وبنات القلوب تصغي إلى من كان أسخى نفساً وأطلق راحه

* * *

ما اخرج من شعره في الشيب والكبر وذكر آخر أمره

قال [من الوافر] :

يقول الناس لي في الشيب عن يزيد به جلال المرء ضعفا
ولولا أنه ذلٌ وهون لما احتكم المزين فيه نتفا

أخذه من قول الأول [من البسيط] :

كفاك من ذلتي للشيب حين بدا أني توليت نتفي لحيتي بيدي

وقال [من المتقارب] :

لقد أخلقت جدتي الحادثات ومن عاش في ريبها يخلق^(٢)
وبدكنني صلعاً شاملاً من الشعر الفاحم الأغسق^(٣)
وقد كنت أصلع من عارضي فقد صرت أصلع من مفرقي

(١) الشحيح : البخيل . وهاض جناحه : جعله ضعيفاً .

(٢) أخلقت : أبلت ، وجدتي : فتوتي وشبابي .

(٣) الأغسق : الأسود .

وقال [من المنسرح] :

لما دهشتي السنون بالصَّلحِ وقل مالي وضاق متَّسعي
حاسبت عن لمتي مزيتها حسابَ شيخٍ للحزم متبع^(١)
قلت له اقنع عن قسط نابتها بالربَّع ممَّا به عملت معي
واعمل على أنها مزارعةٌ شكوت فيها شكاةً متَّضع
فاحطط خراج الذي أصبت به واستوف منِّي خراج مزدرع^(٢)

وقال [من مجزوء الكامل] :

وجعُ المفاصل وهو أيسر ما لقيت من الأذى
جعلَ الذي استحسنته واليأس من حظي كذا
والعمر مثل الكأس ير سب في أواخره القذى

وكتب إلى أبي الحسن النقيب الموسوي [من الخفيف] :

أَقَدَّتْنا زمانةٌ وزمان عائقٌ من قضاء حق الشريف^(٣)
فاقتصرنا فيما نؤدي من الفر ض على الكتب والرسول الحصيف^(٤)
والفتى ذو الشبَاب يسقط في التقصير عذر الشيخ العليل الضعيف
وكتب إليه يمدحه ويشكو إليه زمانته ، وسوء أثر السن عليه ، وحاجته إلى
الجلوس في المحفة إذا أراد التصرف في حوائجه . وذلك في رجب سنة أربع
وثمانين وثلاثمائة [من الطويل] :

إذا ما تعدَّت بي وسارت محفةٌ لها أرجلٌ يسعى بها رجلان^(٥)

(١) اللَّمة : الشعر الذي يعلو الرأس .

(٢) الخراج : الضريبة واحطط : خفَّف عني .

(٣) الزمانة : المرض الطويل .

(٤) الحصيف : العاقل .

(٥) المحفة : مركب كاهودج ، أو ما يشبه السرير يحمل عليه المسافر والمريض .

وما كنت من فرسانها غير أنها
 نزلت إليها عن سرة حصان
 فقد حملت مني ابن تسعين سالكاً
 كما حمل المهد الصبي وقبلها
 ولي بعدها أخرى تسمى جنازة
 تسير على أقدام أربعة إلى
 وإني على غيث الردى في جوانبي
 وإن لم يدع إلا فؤاداً مروّعا
 تلوم تحت الحجب ينفث حكمة
 لأعلم أني ميت عاق دفنه
 وإن فماً للأرض غرثان حائماً
 به شره عم الورى بفجائع
 غدا فاغراً يشكو الطوى وهو راتع
 فكيف وحدّ القوت منه فناؤنا
 إذا عاضنا بالنسل ممن يعوله
 إلى ذات يوم لا ترى الأرض وارثاً
 ألا أبلغنا فرعاً نمته عروقه
 محمداً المحمود من آل أحمد

وفت لي لما خانت القدمان
 بحكم مشي أو فراش حصان^(١)
 سيلاً عليها يسلك الثقلان
 ذعرت ليوث الغيل بالنزوان^(٢)
 جنيّة يومٍ للمنيّة داني
 ديار البلى معدودهنّ ثماني
 وما كفّ من خطوي ويطش بناني
 به غير باق من أذى الخفقان
 إلى أذن تصغي لنطق لسان
 ذمء قليل في غدٍ هو فاني^(٣)
 يراصد من أكلي حضور أوان^(٤)
 تركن فلاناً ثاكلاً لفلان
 فما تلتقي يوماً له الشفتان^(٥)
 وما دون ذاك الحدّ رد عنان
 تلا أولاً منه بمهلك ثاني
 سوى الله من إنسٍ يراه وجان
 إلى كلّ سامٍ للمفاخر باني^(٦)
 أبا كلّ بكرٍ في العلا وعوان^(٧)

(١) فراس حصان : فراش زوجة عفيفة .

(٢) الغيل : الغاب ، والنزوان : الوثب .

(٣) الذمء : بقيّة الروح .

(٤) الغرثان : الجائع .

(٥) الفاغر : الفاتح ، والطوى : الجوع .

(٦) الفرع : الأصل .

(٧) العوان : المرأة التي ليست بكراً .

أبا حسن قطعْتَ أحشاء حاسد
 يراك بحيث النجم تصدع قلبه
 جرى جاهداً والعفو منك يفوته
 وأنت سماء في الذؤابة صاعداً
 أقيك الرد إنني تنبّهت من كرى
 فأثبتُ شخصاً دانياً كان خافياً
 هو الأجل المحتوم لي جد جدّه
 له نذرٌ قد آذنتني بهجمةٍ
 ولا بدّ منه مهلاً أو معاجلاً
 هنالك فاحفظ في بنيّ أذمتي
 فإني أعتدّ المودة منك لي
 ذخرت لهم منك السجايا وإنّها
 وفاءٌ ومدّاً للجنّاح عليهم
 وحرمة أسلافٍ كرامٍ حقوقها
 وحظك منها حسب شأنك إنّه
 وقد ضمن الله الجزاء المحسن
 وهذا قريضي وهو همٌ بعثته
 فكنت كمن جارى جواداً بمفرق
 فإن لثمتني بالغبار سوابقاً

طواها على البغضاء والشنآن
 بحدّ لسان أو بحدّ سنان
 فكان هجيناً طالباً لهجان^(١)
 وذاك حضيضٌ في القرارة عاني^(٢)
 وسهوّ على طول المدى اعتوراني^(٣)
 على البعد حتى صار نصب عياني
 وكان يريني غفلة المتواني
 له لست منها آخذاً بأمان
 سيأتي فلا يشيه عنيّ ثاني
 وذدّ عنهم روعات كل زمان
 حساماً به يقضون في الحدثان
 لأنفع مما يذخر الأبوان
 وضناً بهم عن مس كل هوان^(٤)
 ديون على الخلين يصطحبان
 تعاظم قدراً أن يقاس بشأن
 وحسبك من وافرٍ وفّى بضمان
 إلى همّةٍ عذراء ذات بيان
 قوائمه مشكولة بحران^(٥)
 قوافيه من لفظٍ وحسن معاني

(١) الهجين : المتولد بين عربي وأمة .

(٢) الذؤابة : أعلى الرأس ، والحضيض : الأسفل .

(٣) اعتوراني : لازماني وداخلاني .

(٤) ضناً : حفظاً ومنعاً .

(٥) المشكولة : المشدودة بالشكّال ، وهو الحبل الذي تربط به الدابة .

فلا عار إن قصّرتُ دون مبرّر
وعذري إليه خاطرٌ كلّ بعدما
كذا الدهر إمّا عاد ينقض ما بنى
وإن أخرتني اليوم سنّ تقدّمتُ
ليالي طارت بي عقابٌ بلاعتي
أبائيل جابت دون إدراك غايتي
شأن الناس قبلي سعيه وشأني
ثوى وهو ماضي الشفرتين يمانى^(١)
وإمّا بنى ما ينقض الملوان^(٢)
فقد أسلفتني حوز كلّ رهان
وبذّت بغائثا ما استطاع يراني^(٣)
على أنّها لم تألّ في الطيران^(٤)

فأجابه أبو الحسن بقصيدة منها [من الطويل] :

ظماني إلى من لو أراد سقاني
ولو كان عندي معسراً لعذرته
رمى مقلتي واسترجع السهم دامياً
أأرجو شفائي منه وهو الذي جنى
أبيت فلم أستسق من كان غلّتي
فإن أسرّ فالعلياء همّي وإن أقم
وإن أمض أترك كلّ حيّ من العدى
أكرر في الإخوان عينا صحيحة
فلولا أبو إسحاق قل تشبّثي
هو اللافتي عن ذا الزمان وأهله
إخاءٌ تساوي فيه ودّاً وألفة
ودّيني على من لو يشاء قضاني
ولكنّه وهو المليّ لواني
غزالٌ بنجلاوين تتضلان^(٥)
على بدني داء الضنى وشجاني
ولم أسترش من كان قبل يراني^(٦)
فإني على بكر المكارم باني
يقول ألاّ الله نفسُ فلان
على أعين مرضى من الشنآن
بخلاً وضربي عنده بجران
بشيمة لا وإنّ ولا متواني
رديع صفاء لا رضيع لبان

(١) كلّ : ضعف .

(٢) الملوان : الليل والنهار .

(٣) بذّت : فاقت وتقدّمت والبغات : طائرٌ ضعيف .

(٤) أبائيل : يقال طيراً أبائيل : أي متجمّعة يتبع بعضها بعضاً ، قطعاً خلف قطع .

(٥) النجلاوين : العينين الواسعتين وتتضلان : أي تتبارى في رمي السهام .

(٦) الغلّة : الظمأ ، ولم أسترش : أطلب الريش كناية عن المال ، ويراني : أنحلني .

تمازج قلبانا تمازج إخوة
 وربّ قريبٍ بالعداوة ساخطُ
 وغيرك ينبو عنه طرفي مجانِباً
 لئن رام قبضاً سن بناتك حادث
 وإن بزّ من ذاك الجناح مطاره
 وإن أقعدتْكَ النَّائِبَات فطالما
 وإن هدمت منك الخطوب بمرّها
 مآثر تبقى ما رأى الشمس ناظرُ
 وموسومةً مقطوعة العقل لم تزل
 وما زلّ منك الرأي والحزم والحجى
 ولو أن لي يوماً على الدهر إمرةً
 خلعت على عطفك برد شبيتي
 وحملت ثقل الشيب عنك مفارقي
 وناب طويلاً عنك في كلّ عارضٍ
 على أنه ما انفلّ من كان دونه
 وما كلُّ من لم يعط نهضاً بعاجزٍ
 وإنك ما استرعيت مني سوى فتىً
 حفيّ إذا ما ضيع المرء قوله
 من الله أستهدي بقاءك وأن ترى
 وأسأله أن لا تزال مخلّداً

وكلّ طلوبي غاية أخوان
 وربّ بعيدٍ بالمودّة داني
 وإن كان مني الأقرب المتداني
 لقد عاضنا منك انبساط جنان
 قربّ مقالٍ منك ذي طيران
 سرى موقراً من مجدك الملوان
 فثمّ لسانٌ للمناقب باني
 وما سمعت من سامعٍ أذنان
 شواردُ قد بالغن في الجولان
 فتأسى إذا ما زلت القدمان
 وكانت لي العدوى على الحدثان^(١)
 جواداً بعمري واقتبال زماني
 وإن فلّ من غربي وغضّ عناني^(٢)
 وخط بخطوٍ أخمصي وبناني
 حميم يرامني عن يدٍ ولسان
 ولا كلّ ليثٍ خادرٍ بجبان^(٣)
 صبورٍ على رعي المودّة حاني
 وفي إذا ما خوّن العضدان
 محلاً لأيام العلا بمكان
 بملقى سماعٍ بيننا وعيان

(١) الحدثان : الليل والنهار .

(٢) الغرب : السهم ، وفلّ : قطع .

(٣) الخادر : المسترخي .

إذا ما رعاك الله يوماً فقد قضى مآرب قلبي كلها ورعاني
وكتب إليه أبو إسحاق أيضاً، وكان بين إنفاذه إليه هذه القصيدة وبين موته
اثنا عشر يوماً، ولعلها آخر شعره [من الطويل] :

أبا كل شيء قيل في وصفه حسن فوحدها للاختصار إشارة
تخولتها في خلقه وخليقه وما هي إلا كنية لك إرثها
ولو أن في تحريمها لي قدرة ألت لها بعد الموصي وآله
ولكن هذا الدهر جار عليكم يجاذبكم علياءكم كل حاسد
فيجري إلى غاياتكم طالباً لها مناقبكم حق بدت بيناته
لكم في الثريا خطة وهو في الثرى وقد تستوي الأشخاص في عين من رأى
وبين وسمات الوجوه تشابه وإن جلدة الوجه الوسيم تغضنت
توقلت في كل هضبة سودد إلى ذاك ينحو من كناك أبا الحسن
إلى جملة تفصيلها لك مرتين وإن لم تكن أنت الخلق بها فمن^(١)
وإن مسها من غير أربابها الدرن لما أصبحت في غير بيتك تمتهن
وأنتم اناس فيكم المجد قد قطن وبالغ حتى في الكنى لكم محن
به مرض بين الحيازم قد كمن^(٢) على غير منهاج وأنتم على السنن
ودعواه أضغاث يراهن في الوسن^(٣) فيا بعدها من أن يلزهما قرن^(٤)
وتفترق الأعيان في فهم من فطن فكن فاصلاً بين التهيج والسمن
فلا تحسبن تلك الغضون بها عكن^(٥) فأوفيت واستعليت منها على القنن^(٦)

(١) الخلق : الجديد .

(٢) الحيازم : الصدور ، وكمن : استتر .

(٣) الأضغاث : الأحلام ، والوسن : النوم والنعاس .

(٤) يلزهما : يجمعها ، وقرن : سلك .

(٥) تغضنت : تجمعت ، والعكن : السمنة في الجسد .

(٦) توقلت : صعدت ، والقنن : القمم .

تقسّم هذا الفضل بين طوائف
غداً لك كالأبغاض إذ أنت كلهم
تراهم إذا غابوا عن المنزل الذي
وإن غبت عنهم ظاعناً بأن فقرهم
وإما يباريك المباري بهيئة
ففي درعك الإنسان تمت صفاته
كتبت إلى ابن الموسوي رسالةً
بأنّي مذ بايعتني الودّ جاعلاً
فإن رمت من صادقٍ غير ماذقٍ
إذا اغتربت منك الموالاة عند من
صفت مثل ما تصفو المدام من القذى
ولم لا وأنت الماجد السيّد الذي
أقيك الردى ليس القلا عنك مقعدي
وغادرني حلف المضاجع راهناً
فإن تنأمنك الدار فالذكر ما نأى
وإن طال عهد الإلتقاء فدونه
وأيسر حذر يلزم النازح الفتى

وأقسامه مجموعة فيك تختزن
كمالاً عجيباً مثله قط لم يكن
تحلّ به كانوا حضوراً له إذن
إلى الواحد الفذّ الذي عنهم ظعن
وزيٍّ وملبوسٍ على جسمه حسن
وجمت معاليه وفي درعه الوثن
بلا دخّل يدنو إليها ولا دخن^(١)
سوادي من قلبٍ وعينٍ له ثمن
فدونك صدري مسكناً تحته شجن^(٢)
ينافق فيها فهي عندي في الوطن
وطابت كما طابت من الغبر الدخن
له مننٌ لم تستطع حملها المنن
ولكن دهانسي بالزمانة ذا الزمن^(٣)
على خلّة في الحال والنفس والبدن
وإن بان مني الشخص فالفكر لم بين
عهودٌ عليها من رعايتنا جنن^(٤)
من الحقّ بسط العذر للدّآلف اليفن^(٥)

وقال الشريف يجيئه عن هذه القصيدة ، وجعل الجواب على رويها
دون وزنها لأن ذلك الوزن المقيد لا يجيء الكلام فيه إلا متقلقلا ، ولا النظم

(١) الدخل : سوء النية ، والدخن : الحقد وغيره .

(٢) الماذق : المخادع الكاذب .

(٣) القلى : البغض ، والزمانة : المرض المزمن .

(٤) جنن : حفظٌ وستر .

(٥) الدّآلف : السائر بالحمل الثقيل واليفن : المسنّ ، والشيخ الكبير .

بزعمه إلا مختلا [من البسيط] :

غداً لدارهم^(١) واليوم للظعن^(٢)
بين الخليطين من شامٍ ومن يمن
أثقالها الشوق من بادٍ ومكتمن^(٣)
أنّ المطايا مطايا مضمري شجن
نواظرٌ بمجاري دمعها الهتن^(٤)
عن حنوق قلبٍ سليم السرّ والعلن^(٥)
منا العلائق، مجرى الماء في الغصن
تراضعا بدم الأحشاء لا اللبن^(٦)
نيل المحمر أطراف القنا اللدن
فما عدلت إلى الأقلام عن جبن
كالقائل القولة الغراء عن لسن
ليس الحظوظ على الأقدار والمهن
فزاد مابك في غيظي على الزمن
مثل القذى مانعاً عيني من الوسن
ما يوثق النفس في سرٍّ وفي علن
وحزت من نظمها دراً بلا ثمن
قود الجواد بلا جبلٍ ولا رسن
إلى الضمير حذاء الركب بالبدن

دع من دموعك بعد البين للدمن
هل وقفةً بلوى خبتٍ مؤلفةً
عجنا على الربع أنضاء محرمةً
موسومةً بالهوى تدري برؤيتها
ثم اثنيينا على بأسٍ وقد شرقت
من مبلغٍ لي أبا إسحاق مالكةً
جرى الوداد له مني ، وإن بعدت
لقد توامق قلبانا كأنهما
مسودّ قضبَ الأقلام نال بها
إن لم تكن تورد الأرماح موردها
والطاعن الطعنة النجلاء عن جلد
ما قدر فضلك ما أصبحت ترزقه
قد كنت قبلك من دهري على حقٍ
أنت الكرى مؤنساً عيني ، وبعضهم
قد جاءت النفثة الغراء ضامنةً
أنطت من حسنهما ماءً بلا نضبٍ
فاقتد إليك أبا إسحاق قافيةً
أنشدتها فحدا سمعي غرابتها

(١) الدّمن : الآثار والطلول والظعن : الرحيل .

(٢) عجنا : ملنا .

(٣) الهتن : المتنايع .

(٤) المالكة : الرسالة .

(٥) توامق : من الومق : وهو الحب والعشق .

كانت تقاعس لو ما كنت قائدها تقاعس البازل المحبوب في شطن^(١)
تستوقف الركب إن مرّت معارضه يهدي عقيلتها العذراء من لمن

* * *

ذكر وفاة أبي إسحاق وما رثاه به الموسوي

توفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة من شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة
وكانت سنوه إحدى وتسعين سنة قمرية . فرثاه ابو الحسن بهذه القصيدة الفريدة
التي أفصح بها عن بعد شأوه في الشعر . وعلو محله في كرم العهد ، وقد كتبها
كلها لحسن ديباجتها وكثرة رونقها ، وجودة ألفاظها ومعانيها ، واستهلالها [من
الكامل] :

أعلّمت من حمّلوا على الأعواد أرايت كيف خبا ضياء النّادي ؟
جبلٌ هوى لو خرّ في البحر اغتدى من وقعه متابع الإزباد
ما كنت أعلم قبل دفنك في الثرى أنّ الثرى يعلو على الأطواد^(٢)
بعداً ليومك في الزمان فإنه أقذى العيون وفّت في الأعضاء^(٣)
لا ينفد الدمع الذي يبكي به إن القلوب له من الأمداد
كيف انمحي ذاك الجنب وعطّلت تلك الفجاء وضلّ ذاك الهادي
طاحت بتلك المكرمات طوائح وعدت على ذاك الجلال عوادي^(٤)
قالوا أطاع وقيد في شطن الردى أيدي المنون ملكت اي قياد^(٥)
من مصعب لو لم يقده إلهه لقضائه ما كان بالمنقاد
هذا أبو إسحاق يغلق رهنه هل ذائد أو مانع أو فادي^(٦)

(١) البازل : الفتى من الإبل والشطن : الحبل الطويل ، أو الحبل مطلقا .

(٢) الأطواد : جمع طود وهو الجبل .

(٣) فت : الإضعاف والتوهين .

(٤) طاحت : قضت ، والعوادي : المصائب .

(٥) القياد : جبلٌ تقاد به ، والشطن : الحبال .

(٦) غلق الرهن : استحق ، يريد أنه مات .

لو كانت تُقْدَى لافتدتك فوارسٌ
 وإذا تَأَلَّقَ بَارِقَ لَوْقِيعَةٍ
 سَلَّوْا الدَّرُوعَ مِنَ الْعِيَابِ وَأَقْبَلُوا
 لَكِنْ رَمَاكَ مَجْبِنُ الشَّجْعَانِ عَنْ
 كَالِثِ يَهُونَ بِالتَّرَابِ وَيَمْتَلِي
 وَالدَّهْرُ تَدْخُلُ نَافِذَاتُ سِهَامِهِ
 أَلْقَى الْجِرَانَ عَلَى عَنَظَنَطِ حَمِيرٍ
 أَعَزَزَ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَاكَ وَقَدْ خَلْتُ
 أَعَزَزَ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَاكَ بِمَنْزِلٍ
 أَعَزَزَ عَلَيَّ بِأَنْ يَفَارِقَ نَاطِرِي
 فِي عَصْبَةٍ جَنَّبُوا إِلَى آجَالِهِمْ
 ضَرَبُوا بِمَدْرَجَةِ الْفَنَاءِ قَبَابِهِمْ
 رَكِبُوا أَنَاخُوا لَا يَرْجَى مِنْهُمْ
 كَرِهُوا النَّزُولَ فَأَنْزَلْتَهُمْ وَقَعَةً
 فَتَهَافَتُوا عَنْ رَجُلٍ كُلِّ مَذَلٍّ
 بَادُونَ فِي صُورِ الْجَمِيعِ وَإِنَّهُمْ
 مِمَّا يَطِيلُ الْهَمُّ أَنْ أَمَامَنَا
 عَمْرِي لَقَدْ أَغْمَدْتَ مِنْكَ مَهْنَدًا

مَطَرُوا بَعَارِضَ كُلِّ يَوْمٍ طَرَادًا^(١)
 وَالْخَيْلَ تَفْحَصُ بِالرِّجَالِ بَدَادًا^(٢)
 يَتَحَدَّثُونَ عَلَى الْقَنَا الْمِيَادَ^(٣)
 إِقْدَامُهُمْ وَمَضْعُوعُ الْأَنْجَادَ^(٤)
 غِيظًا عَلَى الْأَضْغَانِ وَالْأَحْقَادِ
 مَأْوَى الصَّلَالِ وَمَرِيضِ الْأَسَادِ
 فَمَضَى وَمَدَّ يَدًا لِأَحْمَرَ عَادَ^(٥)
 مِنْ جَانِبِكَ مَجَالِسُ الْعَوَادِ
 مُتَشَابِهَ الْأَمْجَادِ وَالْأَوْغَادِ
 لِمَعَانِ ذَاكَ الْكُوكَبِ الْوَقَادِ
 وَالدَّهْرُ يَعْجَلُهُمْ عَنِ الْإِرْوَادِ^(٦)
 مِنْ غَيْرِ أَطْنَابٍ وَلَا أَعْمَادِ
 قَصْدٌ لِاتِّهَامٍ وَلَا إِنْجَادَ^(٧)
 لِلدَّهْرِ نَازِلَةً بِكُلِّ مَقَادِ
 وَتَطَارَحُوا عَنْ سَرْجٍ كُلِّ جَوَادِ
 مُتَفَرِّدُونَ تَفَرَّدَ الْآحَادِ
 طَوَلَ الطَّرِيقَ وَقَلَّةَ الْأَزْوَادِ
 فِي التَّرْبِ كَانَ مَمَزَّقَ الْأَغْمَادِ

(١) مطروا : كثروا .

(٢) البداد : الدعوة للمبارزة .

(٣) العياب : الصدور والقلوب .

(٤) يعني بالذي رماه هنا « الموت » .

(٥) الجران : باطن عنق الجمل أو الفرس والعنظنت : الطويل .

(٦) جنبوا : مالوا . والإرواد : الإكتحال .

(٧) أناخوا : حلّوا ، والاتهام : قصد تهامة والإنجاد : قصد نجد .

قد كنت أهوى أن أشاطرك الردى
ولقد كبا طرف الرقاد بناظري
ثكلتك أرض لم تلد لك ثانياً
منّ للبلاغة والفصاحة إن همى
من للملوك يحزّ في أعناقها
من للممالك لا تزال تلمّها
من للمحافل يستزلّ رماحها
من للممارق تسترقّ قلوبها
وصحائفُ فيها الأرقام كمنّ
تدمي طوابعها إذا استعرضتها
حمرّ على نظر العدو كأنها
يقدمن إقدام الجيوش. وباطل
فقرّ بها تمسي الملوك فقيرة
وتكون سوطاً للحرّون إذا ونى
نزقي وتلدغ في القلوب، وإن تشا
أمّا الدموع عليك غير بخيلة
سوّدت ما بين الفضاء وناظري
ريّ الخدود من المدامع شاهد
ما كنت أخشى أن تضنّ بلفظةٍ

لكن أراد الله غير مرادي
منذ افتقدت فلاناً لرقادي^(١)
أتى ومثلك معوز الميلاد
ذاك الغمام وعبّ ذاك الوادي^(٢)
بظباً من القول البليغ حداد
سدّاد ثغري ضائع وسداد
ويردّ رعلتها بغير جلاد^(٣)
بزلازل الاپراق والارعاد^(٤)
مرهوبة الإصدار والاپراد
من شدة التحذير والاپعاد
بدمٍ تخطّ بهنّ لا بمداد
أن يهزمنّ هزائم الأجناد
أبدأ إلى مبدأ لها ومعاد
وعناق عنق الجامح المتماذي^(٥)
حط النجوم بها من الاپعاد
والقلب بالسلوان غير جواد
وغسلت من عينيّ كلّ سواد
أن القلوب من الغليل صوادي
لتقوم بعدك لى مقام الزاد

(١) كبا : سقط . فلاناً : دعاء على العائر يعني « لا أنعشه الله » .

(٢) العبّ : ارتفاع الماء ، وهمى الغمام : أمطر .

(٣) الرعلة : الجماعة التي تتقدم غيرها .

(٤) المارق : المخارج والكوى التي تنفذ منها الرّيح .

(٥) الحرّون : المعاند .

من بعد صولته على الأذواد^(١)
 من بعد سبقتة إلى الآماد
 وعدا على دمه وكان العادي
 لغنى عن التعديد بالتعداد
 كالسيف يغني عن مناط نجاد
 وأمر مشربها على الوراد^(٢)
 أن لا دوام لنضرة الأعواد
 أن لا بقاء لقبح كل زناد^(٣)
 ومضت هواه للرجال هواه^(٤)
 كم قنية جلبت أسى لفؤادي
 كفي الأسى بتفاقد الأولاد^(٥)
 ممّا يجر حرارة الأكباد
 يا ماجد الأعيان والأفراد
 نقصوا به عدداً من الأعداد^(٦)
 رجل الرجال وأوحد الأحاد
 فلمثله أعياء على المقتاد
 وبقيت بين تباين الأضداد
 أبداً ولا ماء الحيا بيراد

ماذا الذي منع الفنيق هديره
 ماذا الذي حبس الجواد عن المدى
 ماذا الذي منع الهمام بوثة
 قل للنواب عددي أيامه
 حمال ألوية العلاء بنجدة
 قلصت أظلة كل فضل بعده
 فقضي لسانك إذ ذوت ثمراته
 وقضى جنانك مذخبت وقداته
 بقيت أعيجان يضل تبعها
 ياليت أني ما اقتنيتك صاحباً
 من لم يسف إلى التناسل نفسه
 برد القلوب بمن تحب بقاءه
 ليس الفجائع بالذخائر مثلها
 ويقول من لم يدر كنهك إنهم
 هيهات أدرج بين برديك الردي
 لا تطلبي يا نفس خيلاً بعده
 فقدت ملاءمة الشكول لفقده
 ما مطعم الدنيا بحلو بعده

(١) الفنيق : الفحل من الإبل .

(٢) قلصت : أي تقلصت وصغرت .

(٣) خبت : انطفأت .

(٤) أعيجان : من العوج ، وهو الالتواء وعدم الاستقامة .

(٥) يسف : يركن إلى الشهوة .

(٦) الكنه : المعنى .

الفضل ناسب بيننا إذ لم يكن
 إن لا تكن من أسرتي وعشيرتي
 أو لا تكن عالي الأصول فقد وفي
 لادرّ دريُّ إن مطلّتك ذمّة
 إن الوفاء كما اقترحت فلو تكن
 ليس التنافس بيننا بمعاود
 ضاقت عليّ الأرض بعدك كلّها
 لك في الحشا قبرٌ وإن لم تأوه
 سلّوا من الأبراد جسمك فانشئ
 كم من طويل العمر بعد وفاته
 ما مات من جعل الزمان لسانه
 فاذهب كما ذهب الربيع وإثره
 لا تبعدنّ وأين قربك بعدها
 صفح الثرى عن حرّ وجهك إنّه
 وتماسكت تلك البنان فطالما
 وسقّاك فضلك إنه أروى حياً
 جدتُ على أن لا نبات بأرضه

شرفي مناسبة ولا ميلادي
 فلأنت أعلقهم يداً بودادي
 عظم الجدود بسؤدد الأجداد
 في باطن متغيّب أو بادي
 حياً إذا ما كنت بالمزداد
 أبداً وليس زماننا بمعاد
 وتركّت أضيقتها عليّ بلادي
 ومن الدموع روائح وغوادي
 جسمي يسلّ عليك في الأبراد
 بالذكر يصحب حاضراً أو بادي
 يتلو مناقب عودٍ وبوادي
 باقٍ بكلّ مهابطٍ ونجاد
 إنّ المنايا غاية الإبعاد
 مغرىً بطيٍّ محاسن الأمجاد^(١)
 عبث الردي بأنامل الأجواد
 من رائح متعرّض أو غادي^(٢)
 وقفت عليه مطالب الرواد

ومر يوماً بقبره وهو بالجنيّة من أرض كرخايا فقال [من الطويل] :

أيعلم قبر بالجنيّة أننا
 عطفنا فحيّنا مساعيه إنها
 أقمنا به نبغي الندى والمعاليا ؟
 عظام المساعي لا العظام البواليا

(١) مغري : مولع .

(٢) الحيا : المطر .

مررنا به فاستوقفتنا رسومه^(١) كما استوقف الروض الظباء الجوازي^(٢)
وما لاح ذاك الترب حتى تخيلت^(٣) من الدمع أو شال^(٤) ملأ^(٥) المآفيا^(٦)
نزلنا إليه عن ظهور جياننا نكف^(٧) بالأيدي الدموع الجواريا
ولما تجاهشنا البكاء ولم نطق^(٨) عن الوجد إقلاعا عذرنا البواكيا
أقول لركب رائحين تعرجوا أريكم به فرعاً من المجد ذاويا
ألموا عليه عاقرين فإتنا إذا لم نجد عقرراً عقرنا القوافيا
وحطوا به رحل المكارم والعلأ وكبوا الجفان عنده والمقاريا^(٩)
فلو أنصفوا شقوا عليه ضمائراً وجزوا رقاباً بالطبأ لا نواصيا
وقفنا فأرخصنا الدموع وربما تكون على سوم الغرام غواليا^(١٠)
ألا أيها القبر الذي ضم لحده قضياً على هام النوائب ماضيا^(١١)
هل ابن هلال منذ أودى كعهدها هلالاً على ضوء المطامع باقيا
وتلك البنان المورقات من الندى نواضب ماء أم بواق^(١٢) كما هيا؟
فإن نيل من ذاك اللسان مضأوه فإن به عضواً من المجد باليا
مجيب الدواعي حائداً أو مدافعا هناك مريم^(١٣) لا يجيب الداعيا^(١٤)
وما كنت أبى طول لبث بقبره لو أني إذا استعديته كان عاديا
صفائح تستسقي الدموع روائحاً على جانبيها والغمام غواديا
تري الكلم الغرآن من بعد موته نوافر ممن رامهن نوائيا^(١٥)

(١) الجوازي : من جاز الشيء : أي قطعه وسار فيه .

(٢) الأوشل : من الوشل وهو الماء القليل .

(٣) الجفان : القصع التي يوضع بها الطعام والمقاريا : من القرى ، أي الطعام .

(٤) السوم : المفاصلة في الشراء .

(٥) القضيب : السيف .

(٦) مرم : مقيم وماكث .

(٧) نوافر : شوارد ، ونوائياً : مبتعدة .

هو الخاضب الأقلام نال بها علأ
معيدُ ضرابٍ باللسان لوأنه
مرير القوى نال المعالي واثبأ
مضى لم يمانع عنه قلب مشيع
ولا المسندوه بالأكف إلى الحشى
ولا ردّ في صدر المنون براحة
خلا بعدك الوادي الذي كنت أنسه
أرحتَ علينا ثلّة الوجد ترتعى
ولولاك كان الصبر منا سجيةً
رضيت بحكم الدهر فيك ضرورةً
وطاوعت من رام انتزاعك من يدي
تطامنّت كيما يعبر الخطب جانبي
ملأت بمجّياك البلاد مساعياً
كما عمّ عالي ذكرك الخلق كلّهُ
رثيتك كي أسلوك فازددت لوعةً
وأعلم أن ليس البكاء بنافع

تقاصر عنها الخاضبون العوالي^(١)
يوم وغىّ فلّ الجراز اليمانيا^(٢)
إذا غيره نال المعالي حابيا^(٣)
إذا همّ لم يرجع عن الهمّ نائيا^(٤)
على جزعٍ والمفرشوه التراقيا
يرد بها سمر القنا والمواضيا
وأصبح تعروه النوائب واديا
ضمائرنا أيامها واللياليا
تراثاً ورثناه الجدود الأواليا
ومن ذا الذي يغذو بما ساء راضيا
ولو أجد الأعوان أصبحت عاصيا
فألقي على ظهري وجرّ زماميا
ويملاً مثواك البلاد مناعيا
كذاك أقمت العالمين نواعيا
لأن المراثي لا تسد المرازيا
عليك ولكني أمّني الأمانيا

(١) أي هو الذي نال بالقلم ما لم ينله غيره بالسيوف .

(٢) الجراز : السيوف القاطعة ، واليانيا : المنسوبة الى اليمن .

(٣) مرير القوى : شديدها .

(٤) همّ : قصد وأراد .

الباب الرابع

في ذكر ثلاثة من كتاب آل بويه يجرون مجرى الوزراء

١١٦ - أولهم أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف

أحد صدور المشرق ، وفسان المنطق ، وأفراد الكرم الكبار ، الحسان الآثار ، والأخبار ، وأعيان الممدحين المقدمين في الآداب والكتابة ، والبراعة والكفاية ، وجميع أدوات الرياسة . وكان مع تقلده ديوان الرسائل لعضد الدولة طول أيامه معدوداً في وزرائه ، وخواص ندمائه ، وتقلد الوزارة بعده دفعات لأولاده .

وأنا أورد من غرر نثره التي تعرب عن أدب فضفاض ، وخاطر بالإجادة والإحسان فياض . ومن لمع شعره التي هي أحسن من زهر الرياض ، وأسلس من الماء على الرضراض ، ما هو من شرط هذا الكتاب ، المشتمل على ملح الآداب .

* * *

ما أخرج من سلطانياته

فصل من كتاب عن الطائع لله ، إلى ركن الدولة ، لما ورد عضد الدولة

العراق :

فأنت وعضد الدولة كلاكما الله يدا أمير المؤمنين فيما يأخذ ويذر ، وناظره

فيما يقرب ويبعد . بكما افترش مهاد الملك بعد إقضاضه ، ورفع منار الدين بعد انخفاضه . فأبشرا من الله تعالى بالحسنى ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين .

ومن كتاب عنه إلى عضد الدولة

وراع الشرف الذي أفرعك أمير المؤمنين ذروته ، وعقد بك ذؤابته . وتوقل في فلك الفخر كيف أردت ، ومس في حلل المجد أنى شئت . واستدم النعمة عليك بالتقوى لله تعالى ، وبحسن الطاعة لأمر المؤمنين ، فإنهما جنتاك وعدتاك وذريعتاك المشفعتان عند الله تعالى في أولاك وأخراك . وأحسن كما أحسن الله إليك .

ومن كتاب عنه إلى أهل الشام

قد علمتم بشهادة الآثار ، وتظاهر الأخبار ، ما أعد الله لأمر المؤمنين بطاعته وليه المنصور ، وصفيه المبرور . وعضد الدولة ايده الله تعالى من حام حقيقته ، ساد خلته ، راع سدته ورعيته . لا يثنيه عن غاياته عارض الشام ، ولا يلهيه عن هماته راحة الحمام [من الطويل] :

مضاميره أَعْيَتْ عَلَى من يرومها وكلُّ مدى عن غايته قصيرُ
فهو عين أمير المؤمنين إذا نظر ، ولسانه إذا نطق ، ويده إذا لمس
فهو عين أمير المؤمنين إذا نظر ، ولسانه إذا نطق ، ويده إذا لمس ، ألانت أم أمضت . ووطأت أم أقضت .

ومن كتاب إلى عضد الدولة في فتح كرمان

وتآمروا على الوقوع إلى ناحية الجروم ، وأجنهم الليل فادرعوه مقتادين
بخزائم أنوفهم ، إلى مصارع حتوفهم .

ومن كتاب عنه في عود الطائع إلى بغداد والتقاءه معه

ولما ورد أمير المؤمنين النهروان . أنعم بالإذن لنا في تلقية على الماء فامثلناه وتقبلناه ، وتلقانا من عوائد كرمه ، ونفحات شيمه . والمخائل الواعدة بجميل آرائه ، وعواطف إنجائه ، ورعاية ما كنفنا يمنه ، وشابعنا عزه ، إلى أن وصلنا إلى حضرته البهية ، شرفها الله تعالى في الجديدة التي استقبلت منه بسليل النبوة وقعيد الخلافة ، وسيد الأنام ، والمستنزل بوجهه درر الغمام ، فتكفأت علينا ظلال نوره وبشره ، وغمرتنا جهات تفضله وفضله . وقرب علينا سنن خدمته ، وأنانا شرف القعود بين يديه ، على كرسي أمر بنصبه لنا عن يمينه ، وأمام دسته ، وأوسعنا من جميل لقيائه ، وكريم نجواه ، ما يسم بالعز أغفال النعم ، ويضمن الشرف في النفس والعقب ، ويكفل من الفوز في الدين والدنيا بغايات الأمل . وكانت لنا في الوصول إليه ، والقعود بين يديه ، في مواقع الحاظه ، وموارد ألفاظه ، مراتب لم يعطها أحد فيما سلف ولم تجد الأيام بمثلها لمن تقدم . وسرنا في خدمته على الهيئة التي ألقى شرفها علينا ، وحصل جمالها مدى الدهر لدينا ، إلى أن سار إلى سدة دار الخلافة والسعود تشايحه . والميامن توابكه . وطلائع الآمال تشرف عليه . وثغر الإسلام يتسم إليه . فعزم علينا بالانقلاب معه على ضروب من التشريف ، لامورد بعدها في جلال ، ولا موقف وراءها لمذهب في جمال . واجتلت الأعين من محاسن ذلك المنظر ، وتهادت الألسن من مناقب ذلك المشهد ، ما بهر بصر الناظر ، وعاد شمل الإسلام مجموعاً ، ورواق العز ممدوداً ، وصلاح الدهماء مأمولاً ، ونور الدين والدنيا مرقوباً .

ومن كتاب عنه إلى أخيه مؤيد الدولة لما فتح جرجان :

وصل كتاب مولاي بذكر الفتح الذي ألبسه الله جماله ، والنجح الذي قرب

الله عليه مناله . والنعمة التي نبت عن متعاطيها فانتقلت إليه ، والمملكة التي اضطربت بمالكها فقرت لديه .

ومن كتاب عنه إلى أخيه مؤيد الدولة أيضاً في ذكر علة نابته من الحمى .
ورد على الخبر بعارض من الحرارة ، وعك له سيدي مؤيد الدولة أيده الله تعالى ، بعقب دواء تناوله ، واتصال ذلك بمليلة أزعجته ، وحمى نابته . فتصرفت في الأفكار ، وملكني الإشفاق ، وخلص إلى قلبي - من ألم ما عراه وإلى نفسي من وجل ما شكاه - ما كاد يوحش جناب الأنس ، ويخل بشيمة الصبر ، لولا أن المعهود في مثل هذا العارض يعقب الاستفراغ أكثر الأمر ، ثم تفضي عقباه إلى استقبال الصحة والايلال والقوة ، حرس الله ساحته ، وحمى مهجته ، وأحسن الدفاع عنه !

ومن كتاب عنه في ذكر وفاة ركن الدولة :

وقد كانت المصيبة نفرت سرب النعم ، ورنقت شرب الأمل ، وأوحشت رباع المجد والكرم ، لولا ما عصم الله به ، وهدى له من تذكر النعمة في ثروة العدد ، والبقية الحسنى في الأخوة الولد ، ثم في العزة والقدرة والسلطان والبسطة ، وفيما شد به الأعضاء ، في إخوان الصفاء الذين سيدي أيده الله تعالى ناظم شمل محاسنهم ، وفائق سبق أفاضلهم .

ومن كتاب في ذكر أبي تغلب :

وقد كان الغضنفر بن حمدان ، حين نفضته المذاهب ، ولفظته المهارب . وأقلقته عن مجاثمة المكاييد والكثائب ، وتطوح إلى بلاد الشام ، يتنقل بين مصارع ، يحسبها مراتع . ومجاهل يعدها معالم ، يروم انتعاشاً والجد خاذله ، ويبغي انتعاشاً والبغي طالبه .

ومن كتاب إلى الأمير خلف بن حمدان :

وأما ما صحب فلاناً من أطفاف وأتحاف ، فقد وصل وكان البعض منه كافياً

في البر ، وافيأً بالحق . إلا أن سيدي يأبى إلا الإغراق في اللطف قائلاً وفاعلاً ، لا أعدمه الله شمية الفضل ، ولا أخلاني فيه من كلام العهد ، ومما أقف فيه موقف العذر في مخاطبة سيدي ان فلاناً ورد علي ، وقد ضاق الوقت عن توفيته واجب حقه لا استمرار العزائم في قصد نواحي العراق ، لإعادة ما نضب بها من ماء السياسة ، ومال في جنباتها من رواق الأمر والنهي ، بضعف المنن ، وانتكاث المرور . وكتبت كتابي هذا وقد استقل بي المسير ، مقدماً بعون الله كتائب الرعب مستصحباً مفاتيح النصر .

ومن كتاب في فتح ميا فارقين :

فأمرنا أبا الوفاء أن يلين مسه لأهل البلد ، إبقاء على ذلك الثغر من ان تصاب له ثغرة ، واتقاء لاراقة دم فيه شبهة .

ومن كتاب آخر :

ولما ضاق عن هذا المخذول حلمنا باتساع غوايته ، ووعر الطريق إلى استبقائه . استخرنا الله تعالى في استرجاع ما ألبسناه من النعم .

ومن كتاب عن نفسه إلى مؤيد الدولة :

وصل كتاب مولانا جواباً عما خدمت به حضرته المحروسة ، مهنشاً ، فحسبتي وقد تأملت عنوانه - مغلوطاً بي ، أو معنياً به غيري ، إعظاماً لتلك الأيادي الغر ، والنعم الزهر ، التي اعدتها في الشرف مناسب ، وإلى الأيام والليالي ذرائع .

ومن كتاب عن عضد الدولة :

وزيد الآن عادة الألفاف بدواب تستكرم مناسبتها ، وتحمد نجابتها . ويعرف عتقها في المنظر ، وسرها في المخبر ، نرضاها لركابنا ، ونعتمدها باختيارنا عائدة بإحمادنا واعتدادنا .

* * *

ما اخرج من إخوانياته

كتب الى الصاحب : كتابي أدام الله عز مولانا وحالي - فيما أعايته من تمثيل حضرته وتذكر خدمته ، والمواقف التي سعدت فيها برؤيته . وأفدت من مشاهدته حظها ومقابلة نعم الله عليه وعلى الأدب وحزبه ، والكرم وأهله فيه - حال امرئ هب وقد أوردته الأحلام مناهل أمله ، فهو يتلهف تذكراً . ويتلذذ تحييراً . ويناجي النفس تمثلاً ، ويراقب المني تعللاً . وأحمد الله تعالى على الأحوال كلها ، وأسأله قرب الإدالة ، والعقبي السارة ، وأقول [من الطويل] :

أقول وقلبي في ذراك مخيمٌ	وجسمي جنبٌ للصبا والجنائب ^(١)
يجاذب نحو الصاحب الشوق مقودي	وقد جاذبني عنه أيدي الشواذب ^(٢)
سقي الله ذاك العهد عهداً من الحيا	وتلك السجايا الغرغرة السحائب
تذكرت أيامي بقربك والمني	يقابلني بالعز من كل جانب
وفي ربك الدنيا تزف محاسناً	وتفتّر منك عن ثايا مناقب
وقد لحظت عياني من شخصك العلا	ومن فرعك الفينان أعلى المناسب
ومن لفظك الدر المصون ، ومن حيا	محيّاك ما لم تجره كف خاطب
وأخلاقك الغر التي لو تجسّمت	لكانت نجوماً للنجوم الثواقب
ففاضت على خدي سوابق عبرة	كما أسلمت عقدا انامل كاعب
سلام على تلك المكارم والعلا	تحية خل عن جنابك غائب
يكابد ما لو كان بالسيف ما مضى	وبالمزن لم تبلل لهاة لشارب ^(٣)
وإنني وإن روعت بالبين شائمٌ	طوالع عتبي من طلاع العواقب

(١) الجنب : المبعد ، والغريب . والجنائب : من الجنابة وهي النجاسة ، أو هي الريح التي تهب جنوباً .

(٢) الشواذب : الشاذب : المتخبي عن وطنه .

(٣) يكابد : يعاني ، والمزن : المطر . واللهاة : اللحمة المشرقة على الخلق في أقصى سقف الفم .

وما أنا بالناس صنائعك التي كتبت عليّ الرقّ ضربة لازب^(١)
 ابتدأت أطل الله بقاء مولاي صاحب بكتابي هذا . وفي نفسي إتمامه نثراً ،
 فمال طبعي إلى النظم ، وأملى خاطري على يدي منه ما كتبت ، ونعم المعرب عن
 الضمير مضمار القريض ، وقد اقتصرت عليه من الكتاب ناطقاً عني ، واثقاً بما
 عنده لي ، وأنا أسترعيه غيبه ، واستغطيه عيبه ، وكنت كتبت إلى حضرته من أول
 منزل أو ثانيه بذكر ما أودعه حر الفراق قلبي ، وأزالته أيدي الأشواق من عزائم
 صبري ، وتوقعت الجواب عنه فأبطأ ، وورد هذا الركابي خالياً من كتابه وكانت عادة
 كرمه جارية عندي بخلافه ، ولولا الثقة به وبما استفدته من اللقاء والخدمة ،
 وحرمة الوفاة والهجرة من أذمة عهده لأبديت ما أخفيت من قلق وانزعاج ،
 لاختلاف العادة على ، ومولادي ولي صوني عن موقف الظن والرجم بالغيب ،
 فإني مهتم في خدمته على حسب الضن بها ، ومنافسة كل احد عليها ، إن شاء الله
 تعالى .

ومن كتاب له إليه :

قد كان ورد لمولانا صاحب أدام الله عزه [من الطويل] :

كتابٌ لو أن الليل يرمي بمثله	لألقت يداً في حجرته ذكاء ^(٢)
تهادى بأبكار المعاني وعونها	وأعيان لفظ ما لهنّ كفاء
شوارد لولا أنهنّ أوالف	ضرائر إلا أنهنّ سواء
لبسنا بها نعمى وألبست الربا	خمائل روض جادهنّ سماء
بنان ابن عبادة تعلين نوءه	وما صوبه إلا حياً وحياء ^(٣)

(١) ضربة لازب : أي ضربة لازم .

(٢) ذكاء : الشمس .

(٣) النوء : المطر ، والنجم . والصوب : المطر والعطاء .

وثلاث كتب تناظرت في الحسن والإحسان ، وتقابلت في البر والإنعام . لا
زالت أياديه قلائد الأعناق ، ومرامية مضامير السباق . ولا انفكت عين الله حامية
له ، وكافلة به !

ومن كتاب له إليه :

وقف مولانا على ما كتبت به معرضاً بخدمته ، ومجلياً عن نيته ، فصدقه
وحققه ، وقال أدام الله سلطانه : إن لسان أثره في الفصاحة كلسان قلمه .
يتجاريان كفرسي رهان . وناهيك بالأول اشتهاراً ووضوحاً ، وبالثاني غوراً
وحجولاً . وكنا لمثل هذه الحال نعهده ونعتمده ، ونتجز عدات الفضل عنه ،
وحسبنا ما أفادتاه التجارب فيه كافلاً بالسعادة ، ودرك الإرادة ، وما زالت مخائله
وليداً وناشئاً . وشمائله صغيراً ويافعا ، نواطق بالحسنى عنه وضوامن النجح فيه ،
فقد أصبح الظن أيقانا ، والضمان عيانا ، والتقدير بياناً ، والاستدلال برهاناً ،
ونرجو أن الله بحسن الامتاع به ، والدفاع عنه ، كما أحسن الظن به وحقق الأمانى
فيه .

ومن كتاب :

وقفت على الأبيات التي أتحنني بها سيدي ، وتكلفت لجوابها ، على ظلع
في خاطري لطول السفار ، واتصال حالي بالحل والترحال ، ومولاي يأخذ العفو
ويرضى بالميسور ، ويعذر مستأنفاً على التقصير في جواب ما يأتيني من أمثاله ما
دمنا في ملكة الهواجر وتعب البكر والأصائل .

ومن كتاب له إلى الصاحب في فتح عمان وإبادة الزنوج بها ، وما وصل إلى
عضد الدولة من الغنائم .

وكانت لأولئك الكفرة عادة اشتهرت منهم في استباحة الناس وأكل
لحومهم ، وبلغ من كلبهم على ذلك أنهم كانوا يتنقلون بينهم إذا شربوا بأكف
الناس ، وسأل مولاي عن هذا النقل الغريب فحكى له عنهم أنه لا شيء في

الإنسان ألد من كفه وبنانه ، وكان في ذلك اليوم الذي شارف فيه طلائع العسكر المنصور باب عمان ثار من بعض المكامن طوائف من أولئك الكلاب فكبا ببعض الغلمان دابته فاختلسوه واقتسموه بينهم وأكلوه في الوقت ، وتعجب الناس من ضراوتهم وقساوتهم ، وقد أبادهم الله تعالى جده وطهر البر والبحر من عبثهم ومعرتهم ، فانقاد أهل جبال عمان باخعين بالطاعة ، معتصمين بذمة الجماعة ، وتمت نعمة الله على مولانا في هذا الفتح وكملت له مغنم الأجر ، ووصل أمس غنائم تلك الناحية وفيها فيل صغيره بقدر الفرس . ما عهد أطف ولا أظرف منه ، وفي الغنائم كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، والله تعالى يجني مولانا ثمار الأرض برا وبحرا ، سهلا ووعرا ، بمنه وكرمه آمين .

ومن كتاب له إلى ذي الكفایتین أبي الفتح :

فأما استبطاؤه لعبده في تراخي ما كان مستشرفاً من جهته ، لعلمه من أخبار حضرة مولانا الملك وما عليه حاله في مساورة الإشفاق ، ومسامرة الأفكار . إلى أن يعرف خبر الخيل المنصورة المصاحبة ركاب مولانا في سلامتها من وقدة تلك الهواجر ، ووعورة تلك المسالك ، وما تولى الله تعالى مولانا به من كفايته ، وأفاء عليه من ظل حفظه وحراسته ، فقد وقفت عليه وكنت طالعت حضرته بكتب جملة تقر بها العيون ، ويفاد بمثلها السكون . وانتظرت بالشرح حال الاستقرار ، واستجماع الدار . ليكون ما أطالع به ناهضاً بما أنحوه ، ومغنيا عما يتلوه ، من غير فكر في عوادي الأسفار ، وعواقب الحل والترحال ، إلى ما اعتمدته من التخفيف لتكافؤ الأحوال بنا وبه في المسير ، ومناصب الهجير . وأنا الآن أعود لعادتي في خدمته ، واستعمار عهدي من رأيه بمواصلة حضرته .

ومن كتاب له إلى أبي إسحاق الصابي :

علمت كيف تنتظم فرق البلاغة ، وتلتقي طرق الخطابة ، وتترأى أشخاص البيان ، وتتمايل اعطاف الحسن والإحسان . وقرأت لفظاً جلياً ، حوى معنى

خفيا ، وكلاما قريبا ، رمى غرضاً بعيداً وفصولاً متباعدة ، كساها الائتلاف صور
المشاكلة ، ومنحها الامتزاج صيغة المضارعة ، ولحمة الموافقة ، فصارت لدلالة
الأول منها على الثاني ، وتعلق العجز بالهادي ، فيها أولاد أرحام مبرورة ، وذوات
قربى موصولة ، تتعاطف عيونها ، وتتندصف أبكارها وعونها .

ومن كتاب له إليه :

وصل كتاب سيدي بكلام شرف في نفسه ، وكرم في جنسه ، فهو جوهر
الفضل والألفاظ اعراض ، وعنصر الأدب والمعاني أغراض . وفهمته فهم من
قعدت به الاستطالة عن موقف الشكر فاستسلم ، واكتنفه العجز فسلم وسلم ،
وأعيتة العبارة عن موجب البر فلاذ بأكناف العجز ، واعتزف بالقصور عن مفترض
الحق .

ومن كتاب له إليه :

وصل كتاب مولاي بما قرب الى جناه ، وبعد على مداه ، من محاسن لفظه
ونظمه ، ومبارة التي ما زال يؤثرني فيها بالرغائب ، ويصفيني منها بالعقائل . فوقفت
منه بين اعتبار واقتباس ، واعتذار واغتياب ، واستبصار في موضع الفضيلة . وشكر
لما جمع الله لي في وده من المنح الجزيلة ، ووجدت خطابه مفتتحاً بشكوى الأيام
في انحرافها ومكاره أحداثها ، فاستوحشت منها لاستيحاشه ، واستعدت عليها
لاستعدادها ، وشايعت المهجنين لآثارها ، والزارين على أحكامها ، لإعراضها
دون آماله ، وقدحها في أحواله . ولم يستبق الجمال لنفسه والفضل لأهله دهراناخ
على مولاي بصرفه ، واختزله دون واجب حقه ، وقد أجبت عن القصيدة وإن كنت
اعملت فيها خاطراً قدمته السفر ، وكده الحل والرحل ، وعلى مولاي المعول في
ضم نشره ، وتسديد مختله ، وحفظ غيبي فيه [من الطويل] :

وقيت أبا إسحاق من حافظ عهداً وراع لمن يمني بفرقه ودّاً

عليه المعالي فاستقلّ بها مجدا
سواءً فلا ذمّاً منحّت ولا حمدا
يكن صبحه ليلاً ومسعته كذاً
لأوفاهم عهداً وأصفاهم عقداً
وأنظّمهم في جيد مائثرة عقداً
عليه تساقينا على ظمإٍ برداً
فتحن معاً والدار نازحةً جداً^(١)
ولما تكن في نيل إحسانه الفرداً
لسيَّان من أجدى عليه ومن أكدى
يجرّعه سماً ويّسدي له شهداً
حمى الملك المدعو للدولة العضداً

ومنفرد بالمكرّمات تألّفت
بلوت أخلاء الزمان وكلّهم
ومن يبيغ صفو الودّ من كلّ صاحب
سواك أبا إسحاق إنك والندى
وأبعدهم في كل مكرمة مدى
تلاقت بنا الآداب في خير منسب
وألفن أرواح الصناعة بيننا
ضلالاً لدهر أنت من حسناته
لعاً إنه الدهر العثور وإنه
يميل على ذي الفضل للجهل ضلّةً
على أنه سلّم لمن حلّ بالحمى

* * *

ما أخرج من شعره في عضد الدولة

قال من قصيدة أولها [من البسط]:

واستودعّني مطايا الحلّ والرحل
ما في الضمائر من غشٍّ ومن دغل^(٢)
كرّمان من خولٍ عنها ومن فشل
ولصّها البطل وأهلها الهمل^(٣)
وكم نصبت على الأنصاب من مثل

ما للنوى وقفت دمعى على الطلل
ترمي بطرفك في أطرافها فترى
أريتنا النقص في رأي الأولى وضعوا
بمائها الوشل مع تمرها الدقل
وكم تركت بها للناس من مثلٍ

(١) النازحة : البعيدة .

(٢) لعاً : دعاء على العاثر « أي لا أنعشه الله » وأكدى : ضنّ وبخل .

(٣) الدغل : الفساد .

(٤) الوشل : القليل ، والدقل : أردأ أنواع التمر والبيت ليس بشيء .

ونحن نفديك بالأرواح والمقل
إلا إذا ثبتت في موضع الزكل
بين الخلائق كالأسلام في الملل
باليمن والعز والتأييد والجدل
في ظل عز مدى الأيام متصل

يفدي مقامك فيه الخلق قاطبة
وليس يثبت في فرع العلا قدم
خلائق هذبتهن العلا فعدت
اسعد بوافد نيروز تقابله
واستأنف العيش مسروراً بجدته

ومن قصيدة قال في آخرها [من الوافر]:

وتعجب كل مستمع ثناكا
وتطرب من أحبك أو قلاكاً^(١)
فدى لك من يقصر عن مداكا
وكل الناس زور ما خلاكا

وهاك تهز عطفها اختيلاً
تسير بها الرواة بكل أرض
نظيرة تربها لفظاً ومعنى
وكل الشعر زور ما خلاه

ومن أخرى فيه [من البسيط]:

وعاد شمل العلا والمجد ملتثما
لما غدا ببغاة الحق مدعماً
وشد من عقده ما كان منفصماً
إلى ذرى أمد نال السهى شمماً^(٢)
فيها ، وكل بما قد قلته علماً

الله أكبر والإسلام قد سلما
وظل ملك بني الغباس معتلياً
بأل بويه أعلى الله رايته
سادوا الملوك وشادوا المجد وابتدروا
هم قلادة عز أنت واسطة

ومنها في وصف السيوف [من البسيط]:

وحدها صافح الأعناق والقمما
حتى إذا اختلفت ضرباً بكين دما

بيض تصافح بالأيدي مقابضها
ضحكن من خلل الأغماد مصلته

(١) القل : البغض .

(٢) السهى : نجم في السماء .

حَتَّ خِرَاسَانُ شَوْقاً إِذْ حَنَّتْ لَهَا
 وَاهْتَزَّ مِنْبَرُهَا يَهْفُو إِلَيْكَ ، وَلَوْ
 رَفَعْتَ رَايَاتِكَ اللَّاتِي خَفَقْنَ عَلَى
 لَا تَنْتَحِي بِلَدّاً إِلَّا أَفْضَتْ بِهِ
 سَامَتْكَ أَبْنَاءُ سَامَانَ فَمَا بَلَّغُوا
 وَنَاضِلُوكَ عَنِ الْعُلَيَّا فَكُنْتَ بِهَا
 وَصَاوِلُوكَ فَكَانُوا فِي الْوَعَى نَقْدَا

حَتَّى كَأَنَّكُمْ نَازَعْتُمَا رَحِمَا
 أَطَاقَ لِاخْتِرَقَ الْقِيْعَانِ وَالْأَكْمَا
 أَسَدٍ نَقْلُنَ عَلَى أَكْنَافِهَا أَجْمَا^(١)
 عَدَلًا وَأَجْلَيْتَ عَنْهُ الظَّلْمَ وَالظَّلْمَا
 مَدَى مِنَ الْعِزِّ لَمْ تَرْفَعْ لَهُ عِلْمَا
 أَوْلَى وَأُثْبِتَ مِنْهُمْ فِي الْعِلَا قَدَمَا
 يَأْبَى الصَّالَ وَكُنْتَ الْبَازِلَ الْقَطْمَا^(٢)

ومن عضدية في وصف مجلس [من الطويل] :

فِي مَجْلِساً عَزَّ الْخِلَافَةُ مُحَدَّقُ
 وَقَدْ أَرَجَتْ أَرْجَاؤُهُ وَتَعَطَّرَتْ
 وَفَتَحَ فِيهِ النَّرْجِسُ الْغَضُّ أَعْيُنًا
 كَانَ الشَّمْعُ الْمَشْعَلَاتِ خِلَالَهُ
 إِذَا قَطَعْتَ مِنْهَا الرُّؤُوسَ تَضَاحَكَتْ
 أَلَا يَا أَمِيرَ الْمَشْرِقِينَ وَمَنْ بِهِ
 وَلَمْ تَخْلُقِ الدُّنْيَا لَغَيْرِكَ فَانْتَظِرْ

بَاقُطَارُهُ وَالنَّدَى وَالنُّورَ وَالْخُمْرُ
 بِسَاطِعِ نَشْرِ مَا يَقَاسُ بِهِ نَشْرُ
 مُحَاجَرِهَا بَيْضُ وَأَحْدَاقُهَا صَفَرُ
 ثَوَاكِلِ عِبْرِي مَا يَنْهِنُهَا الرِّجَرُ
 وَكَانَ عَلَى قَطْعِ الرُّؤُوسِ لَهَا بَشَرُ
 تَفَاخَرَتِ الدُّنْيَا وَكَانَ لَهُ الْفَخْرُ
 فَهَذَا هُوَ الْفَالُ الْمُحَقَّقُ لَا الرِّجَرُ

وقال من سذقية [من المنسرح] :

مَا لِي لَمَّا بِي مِنَ الْهَوَى رَمَقُ
 كَانَ نَارَ الْأَمِيرِ سَاطِعَةً
 فِي لَيْلَةٍ بَاتَتْ النُّجُومُ بِهَا

كَأَنَّمَا سَدَّ دُونِي الطَّرْقُ
 مِنْ نَارِ قَلْبِي اسْتَعَارَهَا السَّدَقُ^(٣)
 حَائِرَةً تَنْمَحِي وَتَنْمَحَقُ

(١) الأجم : الشجر الكثير الملتف .

(٢) الصيال : الموائبة والقتال ، والبازل : الجمل في سبته التاسعة ، والقطم : المتشهي للضراب .

(٣) السدق : ليلة الوقود .

ونخرط الليل في النهار فما يؤنس إلّا الصباح والشّفق
بكلّ منشورة ذوائبها محمّرة من شواظها الأفق^(١)

وقال في السكر المبني بشيراز، ويروي لغيره [من الهزج]:

شربنا ذهباً يجري بشاطيء فضّة تجري
وما زلنا على السّكر نداوي السّكر بالسّكر^(٢)
درينا كيف أصبحنا وأمسينا وما ندري
وفاض الماء فيض البحر منصّباً إلى بحر
كجدوي عضد الدو لة في نائله الغمر^(٣)

* * *

١١٧ - أبو أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي

روضة مجد وشرف ، وحديقة فضل وأدب ، وكان أحد أركان الدولة
الدبلوماسية ، يكتب لمعز الدولة أبي الحسين برسم المطيع لله ، ويتصرف بالعراق في
جلال الأعمال ، ويلاحظ بعين الإعظام والإجلال ، وكان آخذاً بطرفي النظم
والنثر . فمن مشهور شعره وجيده ما كتبه إلى القاضي التنوخي [من الكامل]:

شوقي إلى القاضي المنيف بمجده شوقٌ يفوت الوصف أيسر حده
وبحسب فرط الأنس كان بقربه قلقي لما قد ساءني من بعده
ولو أنّني مما أحبّ ممكّنٌ لم أعدُ إغذاذاً أسير لقصده^(٤)
ووصلت آصال السرى بغدوها وقرئت إرقال المطيِّ بوخده^(٥)

(١) الشواظ: لهبٌ لادخان معه .

(٢) السّكر: بالكسر - بناء من صخرٍ وحجاره .

(٣) الغمر: الكثير .

(٤) الإغذاذ: الإسراع في السير .

(٥) الإرقال والوخد: ضربان من سير الابل والمطي: جمع مطيّة ، وهي الدابة .

ولئن عدمت سعادتي بـلقائه فلقد أقمت على رعاية عهده
 وشكرت سالف برّه وأشعت محكم ودّه وقضيت واجب حمده
 وعلمت أني إن طلبت مشاكلأ لعلاه لم تظفر يداي بنده
 فقصرت إخلاصي عليه ممسكا بإخائه محظى بمطلع سعده
 من ذا يقاس إليه في آدابه أو علمه أو هزله أو جدّه
 والمكرمات بأسرها في حزبه والصالحات جميعها من عنده
 بجميل شاهده سالم غيبه وكريم صحبته وخالص وده
 أفديه من حرّ حليف مناقب لولا تكامل فضله لم أفده
 لم تجر أمجاد الرجال إلى مدى للسبق إلا حاز نيل أمدّه
 وكأنّ أضواء المحاسن كلّها مقدوحة نيرانها من زنده
 فالله يبقيه ويرغد عيشه ويعزّه ويعيدنا من فقدّه

فأجابه القاضي بقصيدته وهي قوله [من الكامل]:

روحي فداؤك والورى من بعده جرّدت سيف صيابتى من غمديه
 عين الإمام وكفّه اليمنى وحـدّ حسامه الماضى ووسطى عقده
 كلف بيذل المال يحسب غنمه في عزمه ونموّه في حصده
 وجه يجول البشر فيه برونق ماء السّماح يفيض من إفرنده^(١)
 متنقّب بـحيائه فكأنما شقّ الربيع شقيقه في خده
 ومقابل من فارس في دوحه أوفت على قحطانه ومعدّه
 هو شدّ من أزر المكارم والعلّا حدثاً ولم يبلغ أوان أشده^(٢)
 يفديه من نوب الزمان معاشر أحرارهم لا يلحقون بعبدّه
 أبدت مقابحهم محاسن فعله والضدّ يظهر حسنه في ضده

(١) الإفرند والفرند سواء : وهما ماء السيف ورونقه .

(٢) الأزر : القوة والمساعدة . والحدث : اليافع .

ما كنت أعرف قدر ما خولته
جاءت ألوكته إلي كأنها
فتحت حين فتحتها عن روضة
فقرأتها عوداً على بدء كما
يا جنة الخلد التي أنا نازل
لو أستطيع ركبت متن الريح أو
وهو الزمان فإن يساعد صرفه

حتى بليت بقربه من بعده
وصل الحبيب اعتضته من صده^(١)
متفتح حوذانها في ورده^(٢)
عاد المولي في قراءة عهده
ما بين كوثرها وطوبى خلده
أسريت نحو ذراك مسرى وفده
فجده يسعى الفتى لا كده

ولأبي أحمد المذكور في وصف سحابة أدركته فاكتسى بكساء حتى أقلعت

[من المنسرح] :

خرجت من عندكم فأدركني
غمامة كالعمامة انتلفت
تنالها كف من يزوالها
يختطف الأرض وقع صيها
فوقعه والكساء يدفعه
كأتما كل قطرة وقعت
لو أن ما ذاب منه يجمد لم
فيها من الرعد كالدياب والـ
واشتعل البرق في جوانبها

سحابة ذات منظر صلف
فوق رؤوس المشاة في السدف^(٣)
تقول للمرء ويك لا تقف
مثل اختطاف المخالب العقف^(٤)
وقع سهام الأتراك في الهدف
عليه در بدا من الصدف
يصلح لغير العقود والشنف^(٥)
إذا ما ضربن في شرف^(٦)
مثل السيوف انتضين من غلف

(١) الألوكة : الرسالة .

(٢) الحوذان : نبات .

(٣) السدف : الظلم .

(٤) الصيب : المطر ، والعقف : المعقوفة .

(٥) الشنف : الحلي والأقراط .

(٦) الدياب : الصياح والضجة .

قد جمعت حالتين في طلقٍ صوت عذولٍ ودمع ذي لهف
لو كان كلّي لسان ذي نصرٍ بوصفه واحتشدتُ لم أصف
وكتب إلى صاحب يشكو إليه علة النقرش وعلو السن ، فقال [من
المتقارب] :

إلى الله أشكو ضنى شفتيّ	وكم قبلة من ضنى قد شفاني
وسقماً ألحّ فما لي بما	أحاط برجلي منه يدان
تراني وقد كنت ثبت الجنان	إذا الليل جنّ سلب الجنان
أقطع آناه بالأين	وأرقب للصبح وقت الأذان
أنقل في موضع موضع	فحيث حللت نبا بي مكاني
أؤمل روحاً فيأتي النهار	بأضعاف ما بتّ فيه أعاني
أقول أقيل فلا استطيع	من ألمٍ ملحفٍ غير واني ^(١)
فمن ليلة أروناية	ويوم بما ساءني أروناي
أرجي تقضّي ما أشكيد	ه من مرضٍ بتقضّي الزمان
وإني قد جرت حدّ الكهول	وناهزت ما عمّر الوالدان
وجرمت ستين شمسيّة	فسدّت عليّ طريق الأمان
وأوهت عراي ، وهدت قواي ،	وليس لما يهدم الدهر باني
وإن كان لا يهتدي صرفه	إلى أجل منسأ غير داني ^(٢)
وكنت على ثقة أنه	إذا شاء أبرأني من براني
فيامن له الخلق والأمر من	بعافية منك تشفي ضماني
وجدّ لي نأي أجل أو دنا	بعفو وسعت به كل جاني

(١) الملحف : ملحٍ ومتجدّد .

(٢) أروناي : نسبة الى الأرونان ، وهو الصعب من الأيام ، والشديد في كل شيء .

(٣) المنسأ : المؤخّر .

وهبني لأحمد والمصطفى ن من آله أهل بيت الجنان
همُ عدتني وبهم أتقي ال عقاب وأرجو خلود الجنان

فكتب إليه صاحب مجيئاً [من المتقارب] :

عنانني من الهمّ ما قد عناني	فأعطيت صرف الليالي عناني
ألفتُ الدموع وعفّت الهجوع	فعيناي عيان نضاًختان ^(١)
لسقم الحُ على سيّد	بد قد غفرتُ ذنوب الزّمان
أحاط برجليه جوراً عليه	وأني ونعلاهما الفرقدان
وكيف سطا بهما واستطال	وأرض بساطهما النيران
وهلاً تجاوزه قاصداً	إلى عصبة عصبت بالهوان
إذا ما سعى لطلاب العلا	فكلُّ أوانٍ همُّ في توان
وسوف توافيه كفّ الشفاء	بما أنشأتُ باسمه من أمان
وتفقأ فيه عيون الزمان	عزيز المحل رفيع المكان
ويبقى جمالا لأقرانه	وقد قصرُوا عنه أَلْفِي قران
أتنتي بالأمس أبياته	تعلّل روعي برّوح الجنان
كبرد الشباب وبرد الشراب	وظل الأمان ونيل الأمان
وعهد الصّبى ونسيم الصّبّا	وصفو الدّنان ورجع القيان
فلو أن ألفاظها جسّمت	لكانت عقود نحور الغواني
فياليت عمري في عمره	يزاد ولو أنه حقبتان
فيامهجة قدمت دونه	بغانية عند ذكر الغواني
أجيب عن الشعر مسترسلاً	بطبع شجاعٍ وقلب جبان
فلولا سكوني إلى فضله	قبضت بناني بقبضي لساني

* * *

(١) عفت : ملّيت وتركت ونضاختان : دامتان فائرتان .

١١٨ - أبو القاسم علي بن القاسم القاشاني

بقية مشيخة الكتاب المتقدمين في البراعة ، المالكيين لأزمة البلاغة المتوقلين في هضاب المجد ، المترقلين في درجات الفضل . وقد أخرجت من نظمه ونثره ما هو ثمرة العقل . وعين القول الفصل .

فصل - كتابي أطال الله بقاء مولاي وأنا متردد بين جذل لتجدد بره في خطابه . وبين خجل من قوارع زجره وعتابه . فإذا خلّيت عنان انسى في رياض مباره ، فترعت جاذبيته لاجع الإشفاق . فلو كان سوء ظنه بي صادقاً لا اعترفت ، ولعدت منه بحقوي كريم لا يبهظه اغتفار الجرائم ، ولا يتعاضمه الصفح عن الجرائر .

فصل - علقت هذه المخاطبة والأشغال تكنفني ، وكد الخاطر بأسباب شتى تقتسمني . ووراء ذلك كلال الذهن ، بارتقاء السن ، ونقصان الخواطر ، بزيادة الشواغل . واستمرار البلادة ، لمفارقة العادة . وهو والله يعينه من سوء مستقبل الشباب ، زائد الأسباب ، مؤتلف المخايل ، إلى علم لا يدرك مضماره ، ولا يشق غباره . فإذا حملني على مساجلته . فقد عرضني للتكشف ، وإن عرضني على محنة التتبع ، فقد سلبني ثوب التجمل .

فصل - أظلني من مولاي عارض غيث أخلف ودقه ، وشامني منه لائح غوث كذب برقه ، فقل في حران ممحل أخطاه النوء . وحيران مظلم خذله الضوء .

فصل - وصل كتاب مولاي [من الطويل] :

فكم فرحة أدّى وكم غلة جلا وكم بهجة أولى وكم غمة سلى
وسألت الله واهب خصال الفضل له ، وجامع خلال النبل فيه ، وحائز جمال المروءة للزمان ببقائه ، ومانح كمال المزية للإخوان بمكانه ، أن يتولى حفظ النعم النفسية . ويديم حيطة المهج الخطيرة ، بصيانة تلك الشيم العلية ، حتى تستوفي

المكارم أعلى حظها في أيامه ، وتحوز الفضائل أقصى غايتها في مضماره [من الطويل] :

فينجح ذو فضلٍ ويكمد ناقصٌ ويهيج ذو ودٍّ ويكمد حاسدٌ
فصل - وما أرتضى نفسي لمخاطبة مولاي إذا كنت منفي الشواغل ، فارغ
الخواطر ، مخلى الجوارح ، مطلق الأسار ، سليم الأفكار . فكيف بي مع كلال
الجد ، وانغلاق الفهم ، واستبهام القريحة ، واستعجام الطبيعة ، والمعول على
النية ، وهي لمولاي بظهر الغيب مكشوفة . والمرجع الى العقيدة ، وهي بالولاء
المجض معروفة . فلا مجال للعتب بين هذه الأحوال ، كما لا مجال للعتذر وراء
هذا الخلال .

فصل - مراتع أهل الفضل موبئة . ووجوده مطالب النزاع مظلمة غير مضيئة ،
إلا في محل الشيخ الخصب ، وفنائ المألف الرحيب ، لا جرم أن الآمال عليه
موقوفة ، وأعنة الورد إليه معطوفة ، وداره مقصودة ، وحاله مكدودة ، والمنهل
العذب كثير الزحام .

فصل - إن كان أوداؤه في فضله مستهمين ، وأولياؤه في إحسانه فوضى
مشاركين . فلي بحمد الله عفو صنائعه ، وصفو شرائعه . لا أسبق إلى جمامها ،
ولا أنازع ثني زمامها ، فعلى حسب ذلك تصرفي وتجملي من أقسام ما يحدث عنده
ويعرض له ، هذا . وقد بلغني من تشريف الأمير المؤيد إياه بالعبادة ، وإطالته عنده
الإقامة ومعه المفاوضة ، ما أمكن في نفسي ، وقوى ثقتي وأنسى ، فإنه لم يكن إلا
سبباً لتجدد هذه النعمة ، وذريعة إلى لباس هذه الرتبة . فالله الذي قرن لمولاي
تيسير ما قد قاسى عظيم المجد الذي لا يوازي ، وعميم الفخر الذي لا يسامي ، ودل
بقليل ما مسه على كثير ما وعدت تباشير السعادة من مزيد الكرامة .

فصل - قد كان منزله مألف الأضياف ، ومأنس الأشراف ، ومنتجع الركب ،

ومقصد الوفد . فاستبدل بالأنس وحشة ، وبالنضارة غبرة ، وبالضياء ظلمة .
واعتاظ من تزاخم المواكب تلازم المآتم ، ومن ضجيج النداء والصهيل ، عجيج
البكاء والعويل .

وله من كتاب إلى صاحب أوله هذه الأبيات [من المنسرح] :

إذا الغيوم أرجفن باسقتها وحفَّ أرجاءها بوارقها^(١)
وغيّت للثرى كتائبها وانتضيت وسطها عقائقها
وجلجل الرعد بينها فحكى خفقَ طولٍ ألحَّ خافقها
وابتسمت فرحةً لوامعها واختلفت عبرةً حمالقها^(٢)
وقيل طوبى لبلدةٍ نتجت بحقٍ أكنافها فوارقها^(٣)
أية نعاء لا تجلّ بها وأيَّ بأساء لا تفارقها
فليسق غيث الندى أبا القاسم السقم وزير الأيام وادقها
تحكي سجاياء هزةً ونديَّ وأين من خلقه خلائقها
ولتهد ريح الصبا محمّلةً أنفاس طيب أمست تعانقها
في روضة لا النعيم سابقها ولا نسيم الرياض لاحقها
جاور حوذانها بنفسجها وزان ريحانها شقائقها^(٤)
هبت رخاء مريضة فشفت مرضي وشاق النفوس شائقها
لم تبق منه النوى سوى كبدٍ تدمي وعينٍ تجري سوابقها
إنني وإن غالب الهوى جلّدي صبراً لصادي الأحشاء خافقها
ذكرى لأيامنا التي غفلت عنها العوادي ونام رامقها^(٥)

(١) أرجفن : حركن ، والباسق : العالي .

(٢) الحمايق : العيون .

(٣) الفوارق : جمع فارقة ، وهي الناقة يأخذها المخاض .

(٤) الحوذان : نبات .

(٥) الرامق : المتطلع .

إذ النوى لا تروعنا وإذ ال أيام مأمونةً بوائقها^(١)
والله لو أن ما أكابده بهضب رضوى خرت شواهدقا

هذه أطال الله بقاء مولاي نتائج أريحية ، أثارها مخاطبات مولاي التي هي
انقع لغلتي من برد الشراب ، وأعذب إليّ من برد الشباب . فجاش الصدر بما أبرأ
إليه من عهده ، وأسكنه ظل أمانه وذمته ، ليسبل عليه ستر مودته ويتأمل بعين
محبه . نعم وقد محا الزمان آثار إساءته إليّ ، بما أسعفني به من إقبال مولاي
علي ، وتتابع بره في مخاطباته لدي . فكل ذنب لهذه النعمة مغفور ، وكل جناية
بهذا الإحسان معمر .

فأجاب صاحب بكتاب صدره هذه الأبيات [من المنسرح] :

بدت عذارى مدّت سُرادقها	وأقسم الحسنُ لا يفارقها
كواعبُ أخرسَتْ دمالجها	عنا وقد أنطقت مناطقها ^(٢)
خراعبُ حقّها وصائفُها	تشي بأبدانها قراطقها ^(٣)
صينت عن العطر أن يطيبها	إلا الذي حملت مخانقها
أم روضة أبرزت محاسنها	ومايني قطرها يعانقها
فأورد الورد غصنها بدعا	وشقّ عن أرضها شقائقها
وأعشت الناظرين حليتها	وشاق أحداقهم حدائقها ^(٤)
أم أشرقت فقرة بدائعها	حديقة زانها طرائقها ^(٥)
أتى بها بالكمال ناسجها	وزائها بالجمال ناسقها

(١) البوائق : المصائب والشدائد .

(٢) المناطق : من النطق ، أو جمع منطقة وهي ما يشدّ بها الوسط .

(٣) الخرجة : الحسناء في بياض وسمن وطراوة والقراطق ضرب من الثياب .

(٤) أعشت : أضعفت

(٥) الفقرة : نبات .

لله حلف العلا أبو حسن وقد جرت للعلا سوابقها
 فحاز خصل الرهان عن كذب وفرجتْ عنده مضايقتها
 لله تلك الألفاظ حاملةً غرَّ معانٍ تُعْيِي دقائقها
 يكاد إعجازها يشككها في سورٍ أنها توافقها
 أهدي سلاماً حكى السلامة من أسقام سوء يخاف طارقها^(١)
 كأته دارنا ولم يرها ناعبها للنوى وناعقها
 كأنها غفلة الرقيب وقد مكنتُ من نظرة أسارقها
 أهديت منه مالو تحمّله الـ أيام لم يستقلّ عاتقها^(٢)
 تحدو به صبوةً ركائبها راتكةً لا يميل سائقها^(٣)
 خذها وقد أحصدت وثائقها وألحقت بالسّهى سواها
 ناشدتك الله حين تنشدها وخلةً لا يخيل صادقها
 إلّا تعمّدت رفع رايتها ليملاً الخافقين خافقها
 نعم وعش في النعيم ما طلعت شمس نهارٍ وذُرَّ شارقها^(٤)

هذه أطال الله بقاء مولاي أبيات علقته والروية لم تعلقها ، واعتنقت فيها
 والفكرة لم تعتنقها ، لا ثقة بالنفس ووفائها ، وسكونا إلى القريحة وصفائها ، بل
 علماً بأنّي وإن أعطيت الجهد عنانه ، وفسحت للكد ميدانه . لم أدان ما ورد من
 ألفاظ أيسر ما أصفها به الامتناع عن الوصف ان يتقصاها . والبعد عن الإطناب ان
 يبلغ مداها ، ولقد قرع سمعي منها ما أراني العجز يخطر بين أفكاري ، والقصور
 يتبخر بين أقبالي وإدباري . إلى أن فكرت أن فضيلة المولى يشتمل عبده
 ويخيم ، وإن تصرفت عنده ، فثاب الى خاطر نظمت به ما إن طالعه صفحاً وجوداً

(١) الطارق : النازل ليلاً .

(٢) العاتق : ما بين المنكب والعنق .

(٣) رتك البعير : قارب بين الخطأ .

(٤) ذرَّ شارقها : ظهرت أشعتها .

رجوت ان يحظى بطائل القبول ، وأن يتبعه نقداً تراجع على أعقاب الخمول ، هذا
ولا عار على من سبقه سباق الزمان ، المستولي على قصب الرهان .

* * *

ومن مشهور شعر علي بن القاسم وجيده قوله [من الطويل] :

وإنني وإن قصرت عن غير بغضةٍ	لراعٍ لأسباب المودة حافظُ
وما زال يدعوني إلى الصدا ما أرى	وآبي فتثنيني إليك الحفاظ
وأنتظر العقبى وأغضي على القذى	ألاين طوراً في الهوى وأغالظ
وأستمطر الإقبال بالود منكمُ	وأصبر حتى أوجعتني المغايط
وجربت ما يسلي المحب عن الهوى	وأقصرت والتجريب للمرء واعظ

الباب الخامس

في ذكر شعراء البصرة ومحاسن كلامهم

١١٩ - القاضي التنوخي أبو القاسم علي

ابن محمد بن داود بن فهم

من أعيان أهل العلم والأدب وأفراد الكرم، وحسن التميم ، وكان كما قرأته في فصل للصاحب : إن أردت فإني سبعة ناسك ، أو أحببت فإني تفاحة فاتك . أو اقترحت فإني مدرعة راهب ، أو أثرت فإني نخبة شارب . وكان يتقلد قضاء البصرة والأهواز بضع سنين ، وحين صرف عنه ورد حضرة سيف الدولة زائراً ومادحاً ، فأكرم مثواه ، وأحسن قراه ، وكتب في معناه إلى الحضرة ببغداد ، حتى أعيد إلى عمله ، وزيد في رزقه ورتبته ، وكان المهلبى الوزير وغيره من وزراء العراق يميلون إليه جداً . ويتعصبون له ويعدون ربحانة الندماء ، وتاريخ الظرفاء . ويعاشرون منه من تطيب عشرته ، وتلين قشرته ، وتكرم أخلاقه ، وتحسن أخباره ، وتسير أشعاره ، ناظمة حاشيتي البر والبحر ، وناحيتي الشرق والغرب .

وبلغني أنه كان له غلام يسمى نسيماً ، في نهاية الملاحة واللباقة ، وكان يؤثره على سائر غلماناه ، ويختصه بتقريبه واستخدامه ، فكتب إليه بعض من يأنس به يقول [من الرمل] :

هل على من لامه مدغمٌ لاضطرار الشعر في ميم نسيم

فوقع تحته : نعم ولم لا ؟!

ويحكى أنه كان في جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبى ،
ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة ، والتبسط في القصف
والخلاعة . وهم ابن قريعة ، وابن معروف ، والقاضي التنوخي وغيرهم . وما منهم
إلا أبيض اللحية طويلها ، وكذلك كان الوزير المهلبى ، فإذا تكامل الأنس وطاب
المجلس ولد السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه ، وهبوا ثوب الوقار ، وتقلبوا في
أعطاف العيش ، بين الخفة والطيش ، ووضع في يد كل واحد منهم كأس ذهب من
ألف مثقال إلى دونها مملوء شراباً قطربلياً أو عكبرياً فيغمس لحيته فيه بل ينقعها
حتى تتشرب أكثره ، ويرش بها بعضهم على بعض ، ويرقصون أجمعهم ، وعليهم
المصبغات ومخانق البرم^(١) والمنثور ، ويقولون كلما يكثر شربهم هرهر . وإياهم
عنى السرى بقوله [من المنسرح] :

مجالسٌ ترقصُ القضاةُ بها إذا انتشوا في مخانق البرمِ
وصاحبٌ يخلطُ المجون لنا بشيمةً حلوةً من الشِّيمِ
تخضبُ بالراح شبيبةً عبثاً أناملُ مثل حمرة العنم^(٢)
حتى تخال العيون شيبته شيبةً فعلاًنَ ضرَّجتْ بدم

فإذا أصبحوا عادوا لعادتهم في التزمت والتوفر والتحفظ بأبهة القضاة
وحشمة المشايخ الكبراء .

وقد أخرجت من غرر شعر التنوخي ما هو من شرط الكتاب فمن ذلك وصف
الليل والنجوم بقوله [من الخفيف] :

ربَّ ليلٍ قطعته بصدود وفراقٍ ما كان فيه وداعُ

(١) البرم : نوع من الثياب .

(٢) العنم : شجرة صغيرة دائمة الخضرة لها ثمر أحمر تتخذ للصباغ .

موحشٍ كالثقلِ تقذى به العين وتأبى حديثه الأسماع
وكانَ النجوم بين دجاء سننٌ لاح بينهن ابتداء^(١)
مشرقاتٌ كأنهن حجاجٌ تقطع الخصم والظلام انقطاع
وكان السماء خيمة وشيٍ وكانَ الجوزاء فيها شرع
كان ليلاً فصيرتهُ نهارةً كتبُ تكبتُ العدى ورقاع^(٢)

وقوله [من السريع]:

كأتما المريخ والمشتري قدامه في شامخ الرفع
منصرف بالليل عن دعوة قد أسرجوا قدامه شمع^(٣)

وقوله (وعهدي بأبي بكر الخوارزمي يستظرفه) [من الرجز]:

وجاء لاجاء الدجى كأنه من طلعة الواشي ووجه المرتقب
وفعل الظلام بالضياء ما يفعل الحرف بأبناء الأدب

وقوله [من الطويل]:

كانَ النجوم الزهر في غلس الدجى سنا أوجه العافين في سنة الرد^(٤)
وقد أبطأت خيل الصباح كأنها بخيلٌ تباطا حين سيل عن الرد^(٥)

وقوله أيضاً [من الطويل]:

وليلة مشتاقٍ كانَ نجومها قد اغتصبتُ عين الكرى وهي نوم
كانَ عيون الساهرين لطولها إذا شخصت للأنجم الزهر أنجم^(٦)

(١) السنن : الشرائع والابتداع : من البدعة التي ليست من الشريعة .

(٢) تكتبهم : تحيرهم فلا يدرون جواباً .

(٣) أسرجوا : أوقدوا وأشعلوا وأناروا .

(٤) سنة الرد : سنة الدّخل والريع ، أي السنة المخصبة .

(٥) الرد : العطاء .

(٦) شخصت : نظرت وتطلعت .

كَأَنَّ سَوَادَ اللَّيْلِ وَالْفَجَرَ ضَاحِكٌ يَلُوحُ وَيَخْفِي أَسْوَدٌ يَتَبَسَّمُ

وَقَالَ فِي غُورِ الْكَوَاكِبِ عِنْدَ الصَّبَاحِ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

عَهْدِي بِهَا وَضِيَاءُ الصَّبْحِ يَطْفِئُهَا كَالشُّرْجِ تَطْفَأُ أَوْ كَالْأَعْيُنِ الْعُورِ
أَعْجَبَ بِهِ حِينَ وَافَى وَهِيَ نِيرَةٌ فَظَلَّ يَطْمَسُ مِنْهَا النُّورَ بِالنُّورِ

وَقَالَ مِنْ سَائِرِ الْأَوْصَافِ وَالتَّشْبِيهَاتِ [مِنْ مَجْزُوءِ الرَّمْلِ] :

بَاتَ يَسْقِينِي وَيَشْرَبُ ذَهَباً لِلْهِمِّ مَذْهَبٌ
شَادَنُ يَحْمِلُ مَاءً فِيهِ نَارٌ تَتَلَهَّبُ
وَرْدَةٌ ضَاحِكَةٌ عَنْ أَقْحَوَانٍ حِينَ يَقْطُبُ
لَوْ أَدْرِنَاهَا عَلَى مَيْتٍ لَكَانَ الْمَيْتُ يَطْرِبُ
لَيْتَ شَعْرِي أَسْرُوراً أَمْ مَدَاماً بَتُّ أَشْرَبُ
صَبَّ فِي الْكَاسَاتِ مِنْهَا كَالشَّهَابِ الْمَتَصَوِّبِ^(١)
فَرَأَيْتُ الرَّاحَ شَرْقاً وَرَأَيْتُ الْهِمَّ مَغْرِبَ
غُصْنٌ فَوْقَ كَثِيبٍ وَنَهَارٌ تَحْتَ غَيْهَبٍ
لَكَ مِنْهُ مَطْرَبٌ يَرْضِيكَ إِنْ شِئْتَ وَمَضْرَبُ
جَنَّةٍ عَذَّبْتَ فِيهَا بَتَجَنُّ وَتَجَنَّبُ^(٢)
هَلْ رَأَيْتُمْ أَحَداً قَبْلِي بِالْجَنَّةِ عُدْبٌ ؟
بَأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مِنْ بَعِيدٍ حِينَ تَقْرُبُ
لِي قَلْبٌ كَيْفَ مَا قَلَّبَهُ اللَّهُ يَقْلِبُ
وَجَفُونَ يُغْضِبُ الْغَمَضُ عَلَيْهَا حِينَ يَغْضِبُ
رَبٌّ لَيْلٍ كَتَجْنِيكَ مَقِيمٌ لَيْسَ يَذْهَبُ

(١) الْمَتَصَوِّبُ : الْهَابِطُ وَالْمُنْطَلِقُ .

(٢) التَّجَنَّبُ : الْهَجْرُ .

قد قطعناه بعزمٍ كالحريق المتلهَّب
وكأنَّ البرق لما لاح فيه يتنصَّب
كاتبٌ من فوق فرع السَّغيم بالعقيان يكتب
وكأنَّ الرعد حادٍ أو منادٍ أو مثوَّب
ونجومُ الليل وقفٌ كلالٍ لم تثقب
وبد البدر كسيفٍ في يد الجوزاء مُذهب

وقال ، وهو من قلائده [من المتقارب] :

وراح من الشمس مخلوقةٌ بدت لك في قدحٍ من نهارٍ
هواءٌ ولكنَّه ساكنٌ وماءٌ ولكنَّه غير جاري
إذا ما تأملتُها وهي فيه تأملتُ نوراً محيطاً بنارٍ
وما كان في الحق أن يجمعا لبعث التداني وفرط النَّفَّار^(١)
ولكن تجانس معناه السَّبيطان فاتفقا في الجوار
كانَ المدير لها باليمين إذا مال للسقي أو باليسار
تدرَّع ثوباً من الياسمين له فرد كمٍ من الجلنار^(٢)

وقال في وصف دجلة والقمر [من الكامل] :

لم أنس دجلة والدجى متصوَّب والبدر في أفق السماء معرَّبُ
فكانها فيه بساطٌ أزرقٌ وكأته فيها طرازٌ مُذهب

وقال أيضاً في الروض [من الخفيف] :

ورياضٍ حاكت لهنَّ الثريا حلاً كان غزلها للرعود
نثر الغيث درّ دمعٍ عليها فتحلَّت بمثل درّ العقود

(١) فرط النَّفَّار : كثرته .

(٢) تدرَّع : أي لبس .

أفحوانٌ معانقٌ لشقيقٍ
وعيونٌ من نرجس تترأى
وكانَ الشقيق حين تبدي
وكانَ الندى عليها دموعٌ

كثغور تعصّ ورد الخدود
كعيونٍ موصولة التسهيد
ظلمة الصدع في خدود الغيد
في جفونٍ مفجوعةٍ بفقيد

وقال في البرد [من البسيط] :

وليلة ترك البرد البلاد بها
فإن بسطت يداً لم تنبسط خصرأ
فنحن منه ولم نخرس ذوو خرس

كالقلب أشعر بأساً وهو مثلوجٌ
وإن تقلّ فقلّ لي فيه تثليج^(١)
ونحن منه ولم نفلج مفاليج^(٢)

وقال فيه أيضاً [من البسيط] :

أما ترى البرد قد وافت عساكره
والأرض تحت ضريب الثلج تحسبها
فانهض بنارٍ إلى فحمٍ كأنهما
جاءت ونحن كقلب الصبّ حين سلا

وعسكر الحركيف انصاع منطلقا
قد ألبست حبكاً أو غثّيت ورقاً^(٣)
في العين ظلمٌ وإنصافٌ قد اتفقا
برداً فصرنا كقلب الصّبّ إذ عشقا^(٤)

وقال من قصيدة كثيرة العيون ، وكان الصاحب يفضلها على سائر شعره ،
ويرى أنها من أمهات قلائده [من الكامل] :

أحبب إليّ بنهرٍ معقلٍ الذي
عذب إذا ما عبّ فيه ناهلٌ

فيه لقلبي من همومي معقلٌ^(٥)
فكأته في ريق حبّ ينهل^(٦)

(١) الخصر : البارد .

(٢) الفلج : من الفالج الذي يصاب به المرء وهو نوعٌ من الشلل .

(٣) الضريب : الصقيع ، والصنف .

(٤) الصّبّ : العاشق ، وسلا : نسي وتصبّر .

(٥) المعقل : من العقال وهو السجن والتقييد .

(٦) عبّ الماء : شربه بشوق .

متسلسلٌ وكأته لصفائه
 وإذا الرياح جريّن فوق متونه
 وكأنّ دجلة إذ يغطّط موجها
 وكأنها ياقوتةٌ أو أعين
 عذبتُ فما تدري أماءُ ماؤها
 ولها بمدّ بعد جزرٍ ذاهبٍ
 وإذا نظرت إلى الأبلّة خلّتها
 كم منزلٍ في نهرها آلى والسرو
 وكأنما تلك القصور عرائسُ
 غنّت قيان الطير في أرجائها
 وتعانقت تلك الغصون فأذكرت
 ربع الربيع به فحاكت كفه
 فمدبّجٌ وموشحٌ ومدنرٌ
 فتخال ذا عيناً وذا ثغراً وذا

دمعٌ بخديّ كاعبٍ يتسلسل
 فكأنه درعٌ جلاها صيقل
 مللٌ يُعظّم خيفةً ويبجل^(١)
 زرقٌ تلائم بينها وتوصل
 عند المذاقة أم رحيقٌ سلسل
 جيشان يدبر ذا وهذا يقبل
 من جنة الفردوس حين تخيل^(٢)
 ر بأنه في غيره لا ينزل
 والروض فيه حليٌّ خودٍ ترفل
 هزجاً يقل له الثقيل الأول
 يوم الوداع وغيرهم يترحل
 حلاً بها عقد الهموم تحلل^(٣)
 ومعمّدٌ ومحبرٌ ومهلّهل
 خدّاً يعضّضُ مرةً ويقبل

وكتب إلى الوزير المهلبى ، وقد منعه المطر من خدمته [من الطويل] :

سحابٌ أتى كالأمن بعد تخوُّفٍ
 أكبّ على الآفاق إكباب مطرقٍ
 ومدّ جناحيه على الأرض جانحاً
 غدا البرُّ بحرّاً زائحاً وانثنى الضّحى

له في الشرى فعل الشفاء بمدنف^(٤)
 يفكرٌ أو كالنّادم المتلهّف
 فراح عليها كالغراب المرفرف
 بظلمته في ثوب ليلٍ مسجّف^(٥)

(١) يغطّط : يموج ويضطرب .

(٢) الأبلّة : الشجر المثمر الذي تسقيه المياه وخلّتها : حسبها .

(٣) حاكت : نسجت .

(٤) المدنف : المريض المشرف على الهلاك .

(٥) السجفة : شدة الظلام .

يعبّس عن برقٍ به متبسّم عبّوس تحيل في تبسّم معنف
تحاول منه الشمس في الجوّ مخرجاً كما حاول المغلوب تجريد مرهف^(١)

أين هذا من قول ابن المعتز [من الوافر]:

تحاول فتق غيمٍ وهو يأبى كُعينٍ يريد نكاح بكرٍ^(٢)
رجع :

فاترع ماءً وارد حوضه أسلسال ماءٍ أم سلافة قرقف^(٣)
أتى رحمةً للناس غيري فإنه عليّ عذابٌ ماله من تكشّف
سحابٌ عداني عن سحابٍ وعارض سحابٌ عداني عن سحابٍ وعارض متكفّف

أخذه من قول الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك وهو [من الخفيف]:

لست أدري ماذا أذمّ وأشكو من سماءٍ تعوقني عن سماءٍ
غير أنني أدعو على تيك بالثكل وأدعو لهذه بالبقاء

الجواب من الوزير المذكور [من الطويل]:

أت رقةً القاضي الجليل فكشفتُ وساوس محزون الفؤاد ملهفٍ
فأهدت نظاماً من قريضٍ كأنه نظام لآلٍ أو كوشيٍ موقوفٍ^(٤)
تكامل فيه الظرف والشكل مثلما تكامل في مُهديه كلُّ التظرفِ
حوى منتهى الحسنى بأول خاطرٍ يكلفه في الشعر ترك التكلفِ

(١) المرهف : الماضي من السيوف .

(٢) العَيْن : العاجز في فحولته .

(٣) أترع : أشرب ، والقرقف : من أساء الخمر .

(٤) النظام : العقد ، والقريض : الشعر والموقوف : المزين والمنمّق .

قال في وصف قصيدة [من مجزوء الكامل] :

وقصيدة ألفاظها في النظم كالدرّ النثير
جاءت إليّ كأنها التوفيق في كلّ الأمور
بأرقّ من شكوى وأحسن من حياة في سرور
لو قابلت أعمى لأضحى وهو ذو طرف بصير
فكانّها أملٌ تحقّق بعد يأس في الصدور
أو كالفقيد إذا أتت بقدمه بشرى البشير
أو كالمنام لساھر أو كالأمان لمستجير
أو كالشفاء لمدنّف أو كالغني عند الفقير
وكأنّما هي من وصا لـ أو شبابٍ أو نشور^(١)
لفظٌ كأسر معانِد أو مثل إطلاق الأسير
وكأنه إذ لاح من فوق المهارق والسطور^(٢)
ورد الخدود إذا انتقلت به على درّ الثغور
غررٌ غدت وكأنّها من طلعة الطبيّ الغرير^(٣)
من كلّ معنى كالسلا مة أو كتيّس العسير
كتبت بحبر كالنوى أو كفر نعمى من كفور
في مثل أيام التوا صل أو كاعتاب الدهور
أهديتها ياخير من يختار في كرمٍ وخير

وقال في ثوف كتاب [من مجزوء الكامل] :

وافى كتابك مثلما وافى لمفقودٍ بشيرٍ

(١) النشور : البعث من جديد .

(٢) المهارق : جمع مهرق ، وهي الصحيفة .

(٣) الغرير : الجميل ، والخلق الحسن .

وكأَنَّهُ الإقبالُ جا ء أو الشفاء أو النشور
كأَنَّهُ شرخُ الشبا ب وعيشه الغضُّ النضير
وافى وغير الليل وا قفةُ الركائب لا تسير
فأضاء لي من كلِّ فجٍّ منه فجرٌ مستنير
وارتدُّ طرف الدهر عني وهو مطروفٌ حسير^(١)
ورأيت أفلاك السرو ر بكلِّ ما أهوى تدور
وفضضته فكأَنَّهُ أثواب وشيٍ أو حبير^(٢)
خطٌ وقرطاسٌ كأَنَّهما السوالف والثغور
وكأَنَّهُ ليلٌ يلو ح خلاله صبحٌ منير
ما بين خطٍ كالحياء إذا استتبَّ لها السرور
وبدائع تدع القلو ب تكاد من طربٍ تطير
في كل معنى للغني يحويه محتاج فقير
أو كالفكاك يناله من بعد ما يأسٍ أسير^(٣)
أو كالسعادة أو كما يتيسر الأمر العسير
فاسلم ودم ما دام ذو سلمٍ وما أرسى ثبير^(٤)

وكتب إلى أبي أحمد بن ورقاء قصيدة أولها مستحسن جداً وهو [من الطويل] :

أسيرٌ وقلبي في هواك أسير وحادي ركابي لوعةٌ وزفيرٌ
ولي أدمعٌ غررٌ تفيض كأنها جداً فاض في العافين منك غزيرٌ^(٥)

(١) الحسير : المنكفى الخائب .

(٢) الحبير : الناعم الجديد من الثياب .

(٣) الفكاك : التحرر من القيد وغيره .

(٤) ذو سلم : اسم مكان ، وثبير : إسم جبل .

(٥) الجداء : العطاء .

وطرفُ طريفُ بالسَّهاد كأنه لهاك وجيش الجود فيه مغير.
رياضكمُ خضرُ يرفُ نباتها ونوءكم رطبُ السحاب مطير
وجوهُ أكباد المحبين رقةً ولكنها يوم الهياج صخور

وكتب إلى بعض أصدقائه قصيدة منها [من الطويل] :

كتبت وليلي بالسَّهاد نهار وصدري لورّاد الهموم صداراً^(١)
ولي أدمعُ غزُرُ تفيض كأنها سحائب فاضت من يدك غزارُ
ولم أر مثل الدمع ماءً إذا جرى تلهّب منه في المدامع نار
رحلت وزادي لوعةً ومطيتي جوانح من حرّ الفراق حرار
مسيرُ دعاه الناس سيراً توسعاً ومعنى أسمه إن حقّقه إसार
إذا رمت أن أنسى الأسى ذكرت به ديارُ لها بين الضلوع ديار
لك الخير عن غير اختياري ترحلي وهل لي على صرف الزمان خيار
وهذا كتابي والجفون كأنما تحكّم في أشفاهنّ شفاراً^(٢)

الغزل من شعره

قال [من الكامل] :

حورُ بعينه أطال تحيري ترك الدموع كخده المتعصر
غصنُ تأود فوق دعص من نقا ليلُ تبلّج عن نهارٍ مسفر^(٣)
كالشمس إلا أنه متنفّسُ عن مسكة متبسّم عن جوهر
وأطال من ليلي وقصر ليلة أني سهرت وأنه لم يسهر

(١) الصدر : ثوب بلا كمّين يغطي الصدر فوق القميص الخارجي.

(٢) الشّفار : السيوف القاطعة ، أو كلّ حدّ قاطع .

(٣) التّأود : الميل والانعطاف .

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل] :

بأبي وجهك لو أشبهه منك الضيعُ
أنت بدرُ ماله في فلك الوصل طلوع

وقال أيضاً [من الطويل] :

رضاك شبابٌ لا يليه مشيب
كأنك من كلّ النفوس مركّبٌ
وقال في أمرد جسيم [من البسيط] :

قالوا عشقت عظيم الجسم قلت لهم
من أين أستر وجدي وهو منتهكٌ
وقال فيه [من الوافر] :

لبستُ نحافة الغصن النحيف
يحوريّ المحاسن والمعاني
له في كلّ عضوٍ دعصٌ رملٍ
أعشقت لا عشقت أخا نحولٍ
إذا لمسته كفى لم تلامس
وذبت سوى ذماءٍ في ضعيفٍ
وإنسيّ المخايل والأليف
ثقل الجسم ذو روحٍ خفيف
سوى أني أخو الخلق الظريف
سوى جلدٍ على عظمٍ نحيف

ومما أنشدت له ، ولم أجده في ديوانه [من السريع] :

قلت لأصحابي وقد مرّ بي
بالله يا أهل ودادي قفوا
منتقباً بعد الضياء بالظلم^(١)
كي تبصروا كيف تزول النعم

* * *

(١) المتيمّ : العاشق ، والدرك : من تدارك الشيء : تلافاه قبل وقوعه .

(٢) المنتقب : المستتر .

١٢٠ - ابنه أبو علي المحسن ابن القاضي [التنوخي]

هلال ذلك القمر ، وغصن هاتيك الشجر ، والشاهد العدل لمجد أبيه
وفضله ، والفرع المثل لأصله ، والنائب عنه في حياته . والقائم مقامه بعد
وفاته ، وفيه يقول أبو عبد الله بن الحجاج [من الوافر] :

إذا ذكر القضاة وهم شيوخ تخيّرت الشباب على الشيوخ
ومن لم يرضَ لم أصفعه إلا بحضرة سيدي القاضي التنوخي

وله كتاب الفرج بعد الشدة ، وناهيك بحسنه . وإمتاع فنه . وما جرى من
القال بيمينه ، لا جرم أنه أسير من الأمثال . وأسرى من الخيال .

أخبرني أبو نصر سهل بن المرزبان أنه رأى ديوان شعره ببغداد أكبر حجماً من
ديوان شعر أبيه ، وإن بعض العوائق حال بينه وبين تحصيله حتى فاته . واشتد
الأسف عليه ، ولو تقدر له استصحابه كسائر الدواوين البديعة لكنت اتفصح في
الانتخاب منه . ولكني الآن مقل من شعره . وسيقع لي ما أتكثر به وألحق المختار
منه بمكانه من هذا الباب بمشيئة الله تعالى وعونه ومما علق بحفظ أبي نصر المذكور
وأنشدنيه للقاضي أبي علي قوله ، وهو معنى ظريف ما أراه سبق إليه ، وهو [من
الطويل] :

خرجنا لنستسقي بين دعائه وقد كاد هذب الغيم أن يبلغ الأرضاً^(١)
فلما ابتدا يدعو تقشّعت السما فما تمّ إلا والغمام قد انفضاً^(٢)

(١) بين الدعاء : خيره وبركته .

(٢) تقشّعت : أي انكشفت وزال الغمام عنها وانفضّ المجلس : تفرّق بعد عقده .

وأنشدني غيره له ، وأنا مرتاب به لفرط جودته ، وارتفاعه عن طبقته ، [من الطويل] :

أقول لها والحيّ قد فطنوا بنا وما لي على أيدي المنون براح^(١)
لِما ساءني أن وحشتني سيوفهم وأنك لي دون الوشاح وشاح
ومما أنشده لنفسه في كتاب الفرج بعد الشدة [من الطويل] :

لئن أشمت الأعداء صرفي ورحلتي فما صرفوا فضلي ولا ارتحل المجد
مقامٌ وترحالٌ وقبضٌ وبسطةٌ كذا عادة الدنيا وأخلاقها النكد
كأنه نسج على منوال المتنبّي حيث قال [من الطويل] :

على ذا مضي الناس : اجتماعٌ وفرقةٌ وميتٌ ومولودٌ ، وقالٍ ووامق^(٢)
ومما ينسب إليه قوله لبعض الرؤساء في التهئة بشهر رمضان [من الخفيف] :

نلت في ذا الصيام ما ترتجيه ووقاك الآله ما تتقيّه
أنت في الناس مثل شهرك في الأشهر — بل مثل ليلة القدر فيه
وأنشدني له غير ثقة وهو متنازع [من الكامل] :

قلّ للمليحة في الخمار المذهبِ أفسدتِ نسكَ أخي التقي المترهب^(٣)
نور الخمار ونور وجهك تحته عجباً لوجهك كيف لم يتلهّب
وجمعت بين المذهبين فلم يكن للحسن عن ذهبيهما من مذهب
فاذا بدتْ عينٌ لتسرق نظرة قال الشعاع لها اذهبي لا تذهبي

* * *

(١) البراح : المتسع من الأرض ، أو الظهور والبيان .

(٢) القالي : المغضض ، والوامق ، المحبّ .

(٣) النسك : التعبّد والزهادة .

وأما ابنه أو القاسم علي فلم يبلغني بعد شعره ، وقد بلغني ذكره على لسان أبي الحسن علي بن موسى الكرخي . وقد أوردت ما أنشدنيه عنه لأبي المطاع ذي القرنين ابن ناصر الدولة أبي محمد في باب الأمراء من بني حمدان فليراجع .

* * *

١٢١ - ابن لنكك البصري ، أبو الحسن محمد بن محمد

فرد البصرة وصدر أدبائها وبدر ظرفائها في زمانه ، والمروع اليه في لطائف الأدب وظرائفه طول أيامه . وكانت حرفة الأدب تمسه وتجشمه ، ومحنة الفضل تدركه فتخذه ، ونفسه ترفعه ، ودهره يضعه ، واتفق في أيامه هبوب الريح للمتنبى^(١) ، وعلو رتبته ، وبعد صيته ، وارتفاع مقدار أبي ريش اليمامي ، وسمو نجمه ، ونفاق سوقه ، وفوزهما بالمراتب والحظوظونه وسعادهما من الأدب بما شقي به ، وحصل أبو الحسن على ثلبيهما ، والتشفي بذهمهما ، والقعود تحت المثل السائر « أوسعتهم ذما وأودوا بالآيل » وأكثر شعره ملح وظرف ، خفيفة الأرواح ، تأخذ من القلوب بمجامعها . وتقع من النفوس أحسن مواقعها . وجلها في شكوى الزمان وأهله ، وهجاء شعراء أهل عصره ، وما أشبه شعره في الملاحاة وقلة مجاوزة البيتين والثلاثة ، إلا بشعر كنية أبي الحسن بن فارس . وأقدر أنه في الجبال ، كهو في العراق ، وكان يقال في منصور الفقيه : إذا رمى بزوجه قتل ، وكذلك ابن لنكك إذا قال البيت والبيتين والثلاثة أغرب بما جلب ، وأبدع فيما صنع ، فأما إذا قصد القصيد فقلما يفلح وينجح ، وبلغني ان صاحب كتب على ظهر جزء من شعر ابن لنكك [من المجتث] :

شعر الظريف ابن لنكك مهذبٌ ومحككٌ^(٢)

(١) كناية عن الشهرة .

(٢) المحكك : المراجع والمتقن .

مَذْهَبٌ وَمَمْسَكٌ بِمِثْلِهِ يَتَمَسَّكَ

* * *

ما أخرج من شعره في الشكوى، وذم الزمان وأهله

قال [من مجزوء الرمل] :

يا زماناً ألبس الأحرار ذلاً ومهانةً
لست عندي بزمانٍ إنما أنت زمانه^(١)
كيف نرجو منك خيراً والعلا فيك مهانه
أجنونٌ ما نراه منك يبدو أم مجانه^(٢)

وقال أيضاً [من الطويل] :

زمانٌ رأينا فيه كلَّ العجائب وأصبحتِ الأذنان فوق الذوائبِ
لو أنَّ على الأفلاك ما في نفوسنا تهافتتِ الأفلاك من كلِّ جانبِ

وقال أيضاً [من الوافر] :

عجائب في زمانك شاهدات علب خرف من الفلك المحيطِ
يرى متيقظاً ما لا يراه إذا ما نام آكل قنبيط
لأن له خاصية في توليد السوداء، ويرى أحلاماً ردية .

وقال [من المنسرح] :

عجبت للدهر في تصرفه وكلَّ أفعال دهرنا عجبُ
يعاند الدهر كل ذي أدبٍ كأنما ناك أمه الأدب

(١) الزَّمانُ : المرض الزمن .

(٢) المجانة : من المجون، وهو العبث والتلهي .

وقال أيضاً [من الطويل] :

يقولون لي أصبحت في العلم واحداً
فقلت صدقتم أيها الناس إنني
وفي الشعر والآداب مالك ثاني
كذاك ولكن في حِرٍّ أم زمني

وقال أيضاً [من الوافر] :

مضى الأحرار وانقرضوا وبادوا
وقالوا قد لزمت البيت جداً
لمن ألقى إذا أبصرت فيهم
زمانٌ عزّ فيه الجود حتّى
وخلفني الزمان على علوج
فقلت لفقد فائدة الخروج
قروداً راكبين على السروج
تعالى الجود في أعلى البروج^(١)

وقال في المعنى [من البسيط] :

جار الزمان علينا في تصرفه
عندي من الدهر ما لو أن أيسره
وأَيُّ دهرٍ على الأحرار لم يجرِ
يلقي على الفلك الدوَّار لم يدرِ

وقال أيضاً [من الخفيف] :

نحن والله في زمانٍ غشوم
يصبح الناس فيه من سوء حالٍ
لو رأيناه في المنام فزغنا
حقّ من مات منهم أن يُهنّا

وقال أيضاً [من البسيط] :

لا مكّث الله دنيانا فقيمتها
دنيا تأبّت على الأحرار عاصيةً
ليست تفي عند ذي عقل بقيراط^(٢)
وطاوعت كلَّ صفعانٍ وضراطٍ

(١) عزّ : ندر .

(٢) لا مكّث : لا أبقى ، والقراط يختلف وزنه حسب البلاد ، في مكة ربع سدس الدينار ، وفي العراق .
نصف عشر .

وقال [من الوافر]:

زمانٌ قد تفرَّغ للفضول يسودُّ كلُّ ذي حمقٍ جهولٌ
فإنَّ أحبَّبتُمْ فيه ارتياحاً فكونوا جاهلين بلا عقولٍ
وقال أيضاً [من البسيط]:

إنَّ أصبحتُ هممي في الأفقِ عاليةً فإنَّ حظِّي ببطن الأرضِ ملتصقٌ
كم يفعل الدهرُ بي ما لا أسرُّ به وكُم يسيءُ زمانٌ جائرٌ حنقٌ
كم نفخةٌ لي على الأيامِ من ضجرٍ تكاد من حرِّها الأيامُ تحترقُ
وقال أيضاً [من المنسرح]:

نحن من الدهرِ في أعاجيب فنسألُ الله صبرَ أيوبِ
أفقرت الأرض من محاسنها فابكِ عليها بكاءً يعقوبِ
وقال أيضاً [من الكامل]:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف بلا أكنافٍ^(١)
بطيالسٍ وقلانسٍ محشوةٍ يتعاشرون بقلَّة الانصافِ^(٢)
ما شئت من حلٍّ وفرِّه مراكبٍ أبواب دورهم بلا أجوافِ^(٣)
وقال أيضاً [من المنسرح]:

لا تخذعنك اللَّحى ولا الصور تسعة أعشار من ترى بقرٍ
تراهم كالسحاب منتشرأً وليس فيه لطالبٍ مطرٍ
في شجر السَّرو منهم مثلٌ له رواءٌ وماله ثمرٌ^(٤)

(١) في خلف: أي في قوم.

(٢) الطيالس: الثياب التي تستر الجسم جمع طيلسان.

(٣) الأفرة: الجميل، والنشيط الخفيف.

(٤) الرواء: المظهر.

كأنه أخذه من قول ابن الرومي [من الخفيف] :
فعدا كالخلاف يورق للعـين ويأبى الإثمـار كلّ الأيـاء

وقال أيضاً [من الكامل] :

يا طالباً بالعلم حظاً مسعداً في ذا الزمان رأيت رأي مخرنق
إنفاق علمٍ في زمان جهالةٍ ترجو ودهر عَمَى وسخفٍ مطبق
كن ساعياً ومصافعاً ومضارطاً تلّ الرغائب في الزمان وتنفق
أو ما رأيت ملوك عصرك أصبحوا يتجمّلون بكل قاصرٍ أحرق
لا تلق أشباه الحمير بحكمةٍ موه عليهم ما قدرت ومخرق^(١)

وقال أيضاً [من المنسرح] :

لم يبق حرّ إليه يختلف بل كلّ ندلٍ عليه مختلف^(٢)
يا فلکاً دار بالندالة والجهـل إلى كم تدور يا خرف
فعاقلٌ ما يـلّ أنملةً وجاهلٌ باليدين يغترف^(٣)

وقال أيضاً [من الطويل] :

لعتـم جميعاً من جوو لبلدة تكتفهم جهل ولؤم فافرطاً
وإنّ زماناً أنتم رؤساؤه لأهل لأنّ يُخرى عليه ويضرطاً^(٤)
أراكم تعينون اللثام وإنني أراكم بطرق اللؤم أهدى من القطا
وقال أيضاً :

عدنا في زماننا عن طريق المكارم

(١) المخرقة : التلاعب والاحتيال .

(٢) الندل : الخادم ، والوسخ .

(٣) يـلّ أنملة : كناية عن الكسب ، أي أن العاقل فقيرٌ معدم ، والجاهل يغترف المال اغترافاً .

(٤) لأهل : أي مستحقٌ وجدير .

من كفى الناس شره فهو في جود حاتم

* * *

ما أخرج من شعره في الهجاء لأبي رياش

كان أبو رياش باقة في حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها ، غاية بل آية في هذا^(١) دواوينها وسرد أخبارها ، مع فصاحة وبيان ، وإعراب وإتقان ، ولكنه كان عديم المروءة ، وسخ اللبسة ، كثير التقشف ، قليل التنظف . وفيه يقول أبو عثمان الخالدي [من الرجز] :

كأتما قمل أبي رياش ما بين صئبان قفاه الفاشي^(٢)
وذا وذا قد لجّ في انتفاش شهدانج بُدّد في حشّحاش^(٣)
وكان مع ذلك شرها على الطعام ، رجيم شيطان المعدة ، حوتي الالتقام ،
وثعبان الالتهام ، سيء في المواكلة ، دعاه أبو يوسف اليزيدي والي البصرة الى
القصة ، فكان بعد ذلك إذا حضر مائدته أمر بأن يهيا له طبق ليأكل عليه وحده .

ودعاه يوماً الوزير المهلي الى طعامه ، فبينا هو يأكل معه إذ امتخط في
منديل الغمر ، وبزق فيه ، ثم أخذ زيتونة من قصعة فغمزها بعنف حتى طفرت
نواتها فأصاب وجه الوزير ، فتعجب من سوء شرهه ، واحتمله لفرط أدبه .

وفي شره أبي رياش يقول ابن لنكك ما هو في نهاية الملاحه وحسن
التعريض [من الوافر] :

يطير إلى الطعام أبو رياش مبادرةً ولو واره قبر^(٤)

(١) الهذ : هنا سرعة القراءة .

(٢) الصئبان : بيض القمل والبراغيث .

(٣) الشهدانج : حب القنب ينفع من الحمى والبرص .

(٤) واره : ستره وأخفاه .

أصابه من الحلواء صفرٌ ولكنَّ الأخادع منه حمراً^(١)

وأنشدني أبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمي . قال : أنشدني صاحب
لابن لنكك في أبي رياش وكان يطعن على أبي نواس وأبي تمام [من الطويل] :

يقول : ابن هاني أفسد الشعر ضلّةً وشعر أبي تمامكم هو أضيعُ
أبا الريش ، يا صفعان ، صفعات واجبٌ ولكن مضى من كان في الله يصفع

وقال أيضاً [من البسيط] :

أبو رياش بغى والبغي مهلكةٌ فشدّوا العين ترموه بآبدته^(٢)
عبدٌ ذليلٌ هجا للحين سيّدهُ تصحيف كنيته في صدغ والدته

وقال فيه أيضاً [من الكامل] :

أبا رياش يا قبيح المنظر يا منكرأ يُنمى إلى مستنكر
تصحيف كنيته التي كنيتهَا في است التي حملتك تسعة أشهر

وقال فيه أيضاً [من الكامل] :

نبئت أن أبا رياش قد حوى علم اللغات وفاق فيما يدعي
من مخبري عنه فإني سائلٌ من كان حنّكهُ بأير الأصمعي

وقال فيه أيضاً [من الوافر] :

على القبح الفظيع أبو رياشٍ يعاشرنا بأخلاقٍ ملاح
يبيح أكفنا أبداً قفاه فنصفعه على جهة المزاح

(١) الأخادع : عروق في العنق .

(٢) الأبدّة : الداهية ، والقافية الشاردة .

وقال فيه وقد وليّ عملاً بالبصرة [من الكامل] :

قل للموضيع أبي رياش لا تبلُ تَهْ كلُّ تَهْكَ بالولاية والعمل^(١)
ما ازددت حين وليتَ إلا خِسَةً كالكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل

* * *

ما أخرج من هجائه لجماعة من الأدباء والشعراء

أما هجاؤه للمتنبّي فقد أوردته في أخباره ، ولا وجه لإعادته . وقد كان ورد
البصرة من ديار ربيعة شاعر يكنى أبا الهيثام كلاب بن حمزة ، وكان ابن لنكك
يتولع به ويبدع في هجائه ، كقوله فيه [من البسيط] :

نفسى تقيك أبا الهيثام كلُّ أذى إنّي بكلّ الذي ترضاه لي راضي
ما بال جعسك مركوباً على ذكرى يا أكرم الناس من باقى ومن ماضى^(٢)
ما كان أيري فقيهاً إذ ظفرت به فكيف ألبسته دنيّةً القاضي؟^(٣)

وقال فيه أيضاً [من الوافر] :

حوي يوماً أبو الهيثام أيري وذاك بمثله أبداً حريّ
فبرّسَ رأسه بالجعس حتى تنكّر منه لي خلقٌ وزى^(٤)
فقلت هديت لم برّست أيري فقال لأن أيرك قرمطي

وقال أيضاً [من البسيط] :

أنت ابن كل البرايا لكن اقتصروا على اسم حمزة وصفيّاً غير تشميخ
كدار بطيخ تحوي كلّ فاكهة وما اسمها الدهر إلا دار بطيخ

(١) تَهْ : افتخر .

(٢) الجعس : الرجيع .

(٣) الدنيّة : الخسّة .

(٤) برّس : إي ألبسه البرنس ، وهو ثوب رأسه منه ملتصق به ، أو القلنسوة ، الطويلة .

وقال أيضاً [من الكامل] :

يا من تطيّب وهو من حرق استه
فشل الصيَال وما عهدنا دبره
وأراه في الكتب الجليّة زاهداً
قبّلتَه ولثمت فاه مسلماً
فدنا إليّ على المكان وقال لي
إن كنت تلثمني بحق فاسقني
قلقٌ يكابد كلّ داءٍ معضل
مذ كان يفشل عن صيَال الفيشل^(١)
لا يستجيد سوى كتاب المدخل
لثم الصديق فم الصديق المجمل
أفديك من متشوّقٍ متغزل
بلسان بطنك في فمي من اسفل

وقال في الرملي الشاعر [من الوافر] :

لأُمّ الشاعر الرمليّ صدغٌ
فرغت ولم تكن فرغتُ فرامتُ
فقلت لها فديتك لا تجوري
صبورٌ ما علمت على الدبّاغ
إدامة نيكها حتى الفراغ
فليس على الرسول سوى البلاغ

وقال فيه أيضاً [من الرجز] :

إن الرميليّ بليدٌ خاطرةٌ
يشعر ما دامت له دفاتره
* فالشعراء كلّهم خواطره *

وقال فيه أيضاً [من مجزوء الرمل] :

حلف الرمليّ فيما اقتص عني وحكاه
يدّعي يوم اصطلحنا أنني قبّلت فاه
لم أقبل فاه لكن قبّلت نعلي قفاه

(١) الصيَال : التواثب والقفز . والفيشل : الضخم الرأس يعني به الذكّر .

وقال في المبرمان النحوي [من الوافر] :

صداعٌ من كلامك يعترينا وما فيه لمستمع بيانٌ
مكابرةٌ ومخرقةٌ وبهتٌ لقد أبرمتنا يا مبرمان^(١)

* * *

ما أخرج من شعره في الغزل والشراب

قال [من الوافر] :

حبيبٌ جفوتي فرضٌ عليه مفريٌ في الهوى منه إليه
إذا لحظاته قتلتُ محباً تشحطُ منه في دم وجنتيه^(٢)

وقال أيضاً [من الوافر] :

أطمع أن تحبّ ولا جفونٌ مؤرقةٌ ولا قلبٌ جريحٌ
فأين هوىٌ تذوب به وتبلى أراك تظنُّ أنَّ الزمرريح^(٣)

وقال أيضاً [من الوافر] :

وروضٌ عبقيّ الوشى غضٌ يشاكل حين زخرف بالشقيق^(٤)
سماء زبرجدٍ خضراء فيها نجومٌ طالعاتٌ من عقيق
خليليّ اسقياني الراح صرفاً إذا وحريق قلبي بالرحيق
ذراني قبل أن ألقى حمامي أشوب بريق من أهواه ريق

(١) البهت : الزور والكذب ، والبرم : القرف والمثلل .

(٢) تشحطُ : تحبّط واضطرب .

(٣) الزمر : صوت المزمار .

(٤) الشقيق : زهرٌ أحمر .

وقال أيضاً [من الخفيف]:

قد شربنا على شقائق روضٍ شربت عبرة السحاب السكوبِ
صبغت من دم القلوب فما تبصر إلا تعلقت بالقلوب
وقال أيضاً [من المنسرح]:

أمرٌ غدٍ أنت منه في لبسٍ وأمس قد فات فاله عن أمسٍ
وإنما العيش عيش وقتك ذا فبادر الشمس بآبنة الشمس
وقال أيضاً [من الوافر]:

أقول لصاحبي والراح روحٌ لجسم الكأس في كفّ النديمِ
وقد حبس الدجى عنا بواكٍ تسيل نفوسها فوق الجسومِ
ونحن من المسرة في سماءٍ فمن سارى الضياء ومن مقيمِ
شموعك والكؤوس مع الندامى نجومٌ في نجومٍ في نجومِ
وقال في قلة شربه وسرعة سكره [من الوافر]:

فديتك لو علمت يبعث ما بي لما جرّعتني إلا بمسعط^(١)
فحسبك أن كرمًا في جوارى أمرّ ببابه فأكاد أسقط
وله في مثل ذلك [من المجث]:

لو أنني مسعيٌّ شربت ما شئت حيناً
لكنني عهدِي فاعرف حديثي يقينا
قرأت عهدة كرمٍ فكان سكري سنيـنا

(١) المسعط: الإنباء الذي يجعل فيه السعوط.

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل] :

أيها الشيخ الذي برّ	ز قدماً في السيادة
والذي أعطاه أهل الـ	أرض في السبق المقاده
وأقرّ الكلّ منهم	أنّه عين القلاده
أنا يكفيني من المشـ	روب ما يكفي جراحه
وحديثي طال فيه	مثل تفسير قتاده ^(١)
وهو إبرامٌ ونقضٌ	فاكفيني فيه الإِعادَه ^(٢)

* * *

ما أخرج من ملحه في سائر الفنون

قال [من الطويل] :

تولّى شبابٌ كنت فيه منعماً	تروح وتغدو دائم الفرحات
فلمست تلاقيه ولو سرت خلفه	كما سار ذو القرنين في الظلمات

وقال [من الطويل] :

فراقٌ أخلائي الذين عهدتهم	يوكلُّ قلبي بالهموم اللّوازم
وما ذا أرجي من حياةٍ تكدرتْ	ولو قد صفتْ كانت كأضغاث حالَم ^(٣)

وقال أيضاً [من الكامل] :

نكرتُ نحولي وهو من فرط الأسى	لفراقٍ إخوانٍ عليّ كرام
وتعجّبتُ للشيب ، لا تتعجّبي	هذا غبارٌ وقائع الأيام

(١) قتادة : أحدرجال الحديث والمفسرين .

(٢) الإبرام : العقد ، والنقض : التحلل منه .

(٣) الأضغاث : الأوهام .

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز [من الكامل]:

قالت كبرت وشبت قلت لها هذا غبار وقائع الدهر
وقال أيضاً [من الوافر]:

إذا خفق اللواء عليّ يوماً وقد حمل امرؤ القيس اللواء^(١)
رجوت الله لا أرجو سواه لعلّ الله يرحم من أساء
وقال أيضاً [من البسيط]:

إذا أخو الحُسن أضحى فعله سمجاً رأيت صورته من أقبح الصور^(٢)
وهبك كالشمس في حسنٍ ألم ترنا نفرٌ منها إذا مالت إلى الضرر
أخذه الصاحب فقال [من المتقارب]:

يقال تركت الذي حسنه يكاد يخجل شمس الضحى
فقلت وشمس الضحى تحتمي إذا بسطت في المصيف الأذى
وقال أيضاً [من مجزوء الرمل]:

نحن بالبصرة في لو نحن ما هبت شمال
نحن ما هبت جنوب فكأنّا في كيف
بين جنّاتٍ وريف

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل]:

ليس في البصرة حرٌّ لا ، ولا فيها جوادٌ

(١) خفق : أي ظلّله وعلاه ، وخفقت الأعلام : ارتفعت وتحركت بالهواء .

(٢) السمج : المكروه المستقل .

إنما البصرة أنشا ب ونخل وسماد^(١)

* * *

١٢٢ - ابنه أبو إسحاق إبراهيم

شاعر مجيد ، لم يتصل بي من شعره غير ما أنشدته له معارضاً قول أبيه [من السريع] :

وعصبة لما توسطتهم صارت علي الأرض كالخاتم
كأنهم من سوء أفهامهم لم يخرجوا بعد إلى العالم
يضحك إبليس إذا زارهم لأنهم عار على آدم

بقوله [من السريع] :

لا تصلح الأرض ولا تستوي إلا بكم يا بقر العالم
من قال للحرث خلقتم فلم يكذب عليكم لا ولم يائم
ما أنتم عار على آدم لأنكم غير بني آدم

وقال أيضاً [من السريع] :

وليلة أرقني طولها فبتها في حيرة الذاهل
كأنما اشتقت لإفراطها في طولها من أمل الجاهل

وقال أيضاً [من المنسرح] :

يا سفلاً أوقظوا بخستهم لكن عن الجود والندى ناموا
لا تكذبوا صح أنكم نعم عندكم للزمان أنعام^(٢)

* * *

(١) الأنشاب : جمع نشب ، وهو الحطب وشجر القسي .

(٢) النعم : الحيوانات الداجنة .

١٢٣ - أبو عبد الله الحسين بن علي النمري

صاحب أبي رياش وابن لنكك ، وكان من صدور البصرة في الأدب والشعر ، وقد جمع الحفظ الكثير الغزير ، والعلم القوي القويم ، والنظم الطريف المليح .

فما سار من ذلك قوله من قصيدة في ذي الكفایتين أبي الفتح ، وكان ورد عليه الري فأحسن إليه ووصله بصلة حسنة فيها دراهم في كل درهم منها خمسة دراهم وفيها أيضاً دينار كل دينار منها بخمسة دنانير ، واستهلالها [من الكامل] :

واهاً لأيام الصبابة واها	بل آه من تذكاهنّ وآها ^{(١)(٢)}
فالى الحرينة فالجينة فالربى	مغنى الأحبة حبذا مغناها ^{(٣)(٤)}
روض كلفت بنوره وبنوره	وربى ألفت هواءها وهواها
أصبو إلى أترابها وترابها	ومهاة عيشي في ظلال مهاها
فيهن شمس لا تروم عيوننا	حذر العيون سناءها وسناها
نمرية من دونها متمرّ	أخشى شباه تارة وشباها ^(٥)
ماذا على النمر الكرام عشيرتي	لو ضمّ بين فتاتها وفتاها
فتيان صدق كالشموس تعودت	قنص النفوس طباؤها وطباها
يا من لنفس شطرها في بلدة	بذرى العراق وشرها بسواها
ظمئي إلى حو الشفاء ، وإنما	حو الشفاء سقامها وشفائها ^(٦)
ظماً الهمام إلى المكارم والعلا	وقد ارتوى منها كما أرواها

(١) واهاً : كلمة تلهّف على مافات من الأيام الطيبة .

(٢) الحرينة والجريئة : موضعان .

(٣) المهاة الأولى : البلور الصافية ، والمهى الثانية : كناية عن النساء .

(٤) السبا : اشتعال النار ، أو الحدّ القاطع .

(٥) حو الشفاء : أي تميل الى السمر والسواد

وجلست في النادي الذي حاز الندى
 دارُ عرفت معانقة الكرى
 عاتبت مكرمة الزمان فأعبت
 ملكٌ أغرَّ وبركةٌ لجيةٌ
 يحبوك ذا المال الجزيل وهذه السماء
 روضٌ إذا جرت الرياح مريضةً
 وإذا تقابلت الندامى وسطه
 يتسلسل الماء الزلال خلاله
 تنسلُّ أو تنساب غير لواذعٍ
 وأخذت من أقماره وشموسه
 من أبيضٍ يققٍ وأصفرٍ فاقعٍ
 قد ضوعفت زنةً فزادت زينةً
 خيفت عليهن العيون فعوذت
 يا ابن العميد عميد دولته الذي
 ما أنت إلاَّ صحَّةٌ مكلوذةٌ
 فإذا مرضت ولا مرضت فإنَّه
 لم تنسِكَ الأمراض ذكر صنائعٍ
 فاسلم لدولتك التي وطَّدتها
 وله من قصيدة كتب بها إلي وبأختها التي تقدمتها أبو سعيد بن دوست كعادته.

(١) رقاها : صعودها .

(٢) الیقق : الشديد البياض ، والفاقع : الذي لا يخالطه لون آخر ، ومعن : ماضٍ مسند لنون النسوة ،

ماع يبيع : أي سال .

(٣) وطَّدتها : أرسيت دعائم ملكها .

المشكورة في مهاداتي بطرائف الآداب التي تصلح لهذا الكتاب [من مجزوء
الكامل]:

سرت النجائب بالنجائب ترمي الكواكب بالكواكب^(١)
ترمي اتجاهات المشا رق من اتجاهات المغارب
رغباً إلى ملك تحكّم في رغائبه الرغائب
ملك تبوّاً من علا ه في النواصي والذوائب
حيث السوابغ والسوا بق والنجائب والجنائب^(٢)
يهب المنعمة الكوا عب والمطهّمة السلاهب^(٣)

ومنها :

زرنأك من أرض البصيرة شاحبين على شواحب^(٤)
نرد المناهل كالمجا هل والسباسب كالسيائب^(٥)
لاريّ دون الريّ والبحر العظامطذي الغوارب^(٦)
بحرّ جواهره طوا في سواحله رواسب
لا دونها اللجج الكوا رب لا ولا اللجج الكواذب^(٧)
كم من طباء بالبصيرة في المقاصر والسباسب^(٨)
إنس ووحش يشتهن سوى الذوائب والحقائب

(١) النجائب : النوق ، والنجائب من القوم : السادة وقد جانس هنا جناساً تاماً .

(٢) السوابغ : الدروع .

(٣) المطهّمة : الخيول ، والسلاهب : الطويلة .

(٤) الشواحب : النوق الهزيلة .

(٥) السباسب : القفار .

(٦) الفطامط : كثير الأمواج وغزير الماء .

(٧) الكوارب : التي تحدث الغمّ والكرب .

(٨) المقاصر : الأخبية .

أدمٌ يقاسمن الأرا لك جناء والقضب الرطائب
فلا نسها أغصانه تجلو به برد السحاب
ولو حشها غضّ الجنى عبث المعازف والملاعب
نسطاد وحشياتها وتصيدنا الإنس الخراعب^(١)
يا ربّ يومٍ لي كظلك أو كظنك أو يقارب
رقت حواشيه وغضّت عين واشيه المراقب
قصرت لنا أطرافه قصر القناع عن الذوائب^(٢)
وتبرّجت لذاته للخاطبين وللخواطب^(٣)
نزلت به حاجاتنا بين المحاجر والحواجب
وكسونني حلاً صقل من خواطري صقل القواضب^(٤)
حلاً قديباج الخدود مطرّزات بالشوارب
فلتشكرنّ رياضنا جدوى سحائبك الصوائب
ولتنظمنّ لك القصا ثد كالقلائد للكواعب^(٥)

* * *

١٢٤ - المفجع البصري

هو أبو عبد الله الكاتب ، له مصنفات كثيرة ، وهو صاحب ابن دريد والقائم
مقامه بالبصرة في التأليف والإملاء ، وفيه قيل [من مجزوء الكامل] :
إن المفجع ويله شرُّ الأوائل والأواخر

(١) الخراعب : جمع خرعة ، وهي الشابة الحسنة الخلق البيضاء الجسيمة .

(٢) الذوائب : خصلات الشعر في أعلى الجبين .

(٣) تبرّجت : تزوّجت وأسفرت .

(٤) القواضب : السيوف القواطع .

(٥) القلائد : جمع قلادة ، وهي ما تضعه الفتاة في عنقها من عقد أو حلّ والكواعب الفتيات النواهد .

ومن النوادر أنه يملئ على الناس النوادر

كأنه من قول أبي تمام [من الوافر]:

ومالك بالغريب يد ولكن تعاطيك الغريب من الغريب

أو من قول الآخر [من مجزوء الكامل]:

ومن المظالم أن قعدت على المظالم يا فزارة

وأما شعره فقليل كثير الحلاوة. يكاد يقطر منه ماء الظرف ، حكى أبو بكر

الخوارزمي قال : قال لي اللحم : أنشدني المفجع لنفسه [من الخفيف]:

لي أيرأ أراحني الله منه صار همي به عريضاً طويلاً

نام إذ زارني الحبيب عناداً ولعهدي به ينيك الرسولا

حسبت زورة عليّ لحيني فافترقا وما شفينا غليلاً

فقلت فيه [من الكامل]:

إنّ المفجع فالعنوه مؤنث نغل يدين يبغض أهل البيت^(١)

يهوى العلوق وإنما يلقاهم بمؤخر حي وقبل ميت^(٢)

وأنشدني أبو الحسين الشهرزوري الحنظلي . قال : أنشدني المفجع

لنفسه في غلام له يكنى أبا سعد [من الخفيف]:

زفرا تعتادني عند ذكراك وذكراك ما يريم فؤادي

وسروري قد غاب عني مدغبت فهل كنتما على ميعاد

حاربتني الأيام فيك أبا سعد بسيف الهوى وسهم البعاد

(١) النغل : ابن الزنى .

(٢) العلوق : الأولاد .

ليس لي مفزع سوى عبراتٍ من جفونٍ مكحولةٍ بالسَّهاد
في سهادي لطول أنسي بذكرا لك اعتيَّسُ عن الكرى والرقاد^(١)
وبحسبي من المصائب أني في بلادٍ وأنتم في بلاد

وأنشدني أبو نصر الروذبادي الطوسي للمفجع [من الهزج] :

ألا يا جامع البصر ة لاخرَبَكَ اللهُ
وسقى صحنك المزن من الغيث فرواه
فكم من عاشق فيك يرى ما يتمناه
وكم ظبي من الإنس مليح فيك مرعاه
نصبنا الفخّ بالعلم له فيك فصدناه
بقرآنٍ قرأناه وتفسيرٍ رويناه
وكم من طالبٍ للشعر بالشعر طلبناه
فما زالت يد الأيا م حتى لان مثناه
وحتى ثبَّت السرج عليه فركبناه
ألا يا طالب الأمر د كذبُ ما ذكرناه
فلا يغررك ما قلنا فما بالجدّ قلناه
ولو كان من البعض برياً حين نلقاه
فرح بالدرهم الضرب إليه تتلاقاه
فبالدرهم يستنز ل ما في الجو مأواه

ومن ملحہ المشهورة قوله لإنسان أهدى إليه طبقاً فيه قصب السكر وأترج
ونارنج وأراه أبا سعد غلامه فقال [من مجزوء الرمل] :

إنّ شيطانك في الظر ف لشيطانٌ مرید^(٢)

(١) الكرى : النعاس .

(٢) المرید : الخبيث المتمرد الشرير .

فلهذا أنت فيه تبدي ثم تعيدُ
قد أتتنا تحفة منك على الحسن تزيدُ
طبقُ فيه قدودٌ وخدودٌ ونهود

وقوله في غلام مغن جدر فازداد حسناً [من السريع]:

يا قمراً جدر حين استوى فزاده حسناً وزادت همومُ
كأنما غنى لشمس الضحى فنقطته طرباً بالنجوم

وقوله أيضاً [من الخفيف]:

سيدي أنت إنَّ عبدك أمسى خافقاً قلبه خفوق الجناح
فاغتتم غفلة الرقيب وزره في رداء من الدجى ووشاح

وقال ، ويروي لابن لنكك [من السريع]:

لنا سراجٌ نوره ظلمةٌ ليس له ظلٌ على الأرض
كأنه شخص الإمام الذي تبغي الهدى منه أولو الرفض^(١)

ومن ظريف قوله في الهجاء [من السريع]:

فسا على قومٍ فقالوا له إن لم تقم من بيننا قمنا
فقال لا عدت فقالوا له من نتن فيه ذا كما كنا

ووجدت بخط أبي الحسين علي بن أحمد بن عبدان في مجموعة المسمى

حاطب ليل للمفجع البصري يقول [من الوافر]:

أداروها ولليل اعتكارُ فخلت الليل فاجأه النهارُ
فقلت لصاحبي والليل داجٍ ألاح الصبح أم بدت العقار

(١) أولو الرفض : أي الشيعة .

فقال هي العقار تداولوها مشعشةً يطير لها شرار
فلولا أنني أمتاح منها حلفت بأنها في الكأس نار^(١)

* * *

١٢٥ - نصر بن أحمد الخبز أرزي

كنت على طي شعره وذكره، إما لتقدم زمانه أو سفسفة كلامه ، ثم تذكرت
قرب عهده وتكلف ابن لنكك جمع ديوان شعره . فسنح لي أن أضمن هذا
الكتاب . لمعاقد علقت بحفظي منه ، والإعراض عن التصفح لباقي شعره وترك
الفحص عما يصلح للإلحاق بها من ملح ، وعلى ذكره . فقد بلغني من غير جهة
أنه كان أمياً لا يكتب ولا يتهجى ، وكانت حرفته خبز الأرز في دكانه بمربد البصرة ،
فكان يخبز وينشد أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه ،
ويتطرفون باستماع شعره ، ويتعجبون من حاله وأمره . وأحداث البصرة يتنافسون
في ميله إليهم وذكره لهم ، ويحفظون كلامه لقرب مأخذه وسهولته . وكان ابن
لنكك - على ارتفاع مقداره - يتتاب دكانه ويسمع شعره . فحضره يوماً وعليه ثياب
بيض فاخرة فتأذى بالدخان وساء أثره على ثيابه ، فانصرف وكتب إليه [من الوافر] :

لنصر في فؤادي فرط حبّ ينيف به على كلّ الصحاب^(٢)
أتيناه فبخرنا بخوراً من السّعف المدخن بالتهاب
فقمّت مبادراً وحسبت نصراً يريد بذاك طردي او ذهابي
فقال متى أراك أبا حسين فقلت له إذا اتّسخت ثيابي

فلما قرئت عليه الرقعة التي فيها هذه الأبيات ، أملى على من كتب له في

(١) أمتاح : أغرف .

(٢) ينيف : يزيّد .

ظهرها هذه الأبيات [من الوافر] :

منحت أبا الحسين صميم وديّ فداعبني بألفاظٍ عذابٍ
أتى وثيابه كالشيب لوناً فعُدّنْ له كريهان الشباب
وبغضٌ للشيب أعدّ عندي سواداً لونه لون الخضاب
فإن يكن التفزز فيه فخراً فلم يكنى الوصيُّ أبا تراب^(١)

ويحكى أنه ما كشف قناع الغربة قط لقصور همته على المذكردون المؤنث وشعره شاهد بذلك : فمن النوادر أن شاعراً يكنى بزعمه أبا طاهر انتمى إليه وورد نيسابور بأشعار تناسب دعوته، وانتحل كثيراً من محاسن السري والخالدين وغيرهم من المحسنين ، الذين لم تقع أشعارهم بعد إلى خراسان ، حتى تقشر فلسه ، وظهر عواره وخزيه ، وجرى أمره على ما قاله أحمد بن طاهر [من البسيط] :

أظنّ دعوته في الشعر جائزةً له عليّ كما جازت على النسبِ

وفيه يقول أبو بكر الخوارزمي [من المنسرح] :

يقول تصرّ أبي فقلت لهم عندي بهذا شهادة حسنة
نعم ولكنّ أمّه حملت من بعد ما مات شيخه بسنه

فمن ملح نصر قوله [من الطويل] :

خليليّ هل أبصرتما وسمعتما بأكرم من مولى تمشّى الى عبدٍ
أتى زائراً من غير وعدٍ وقال لي أصونك عن تعليق قلبك بالوعد
فما زال نجم الكأس بيني وبينه يدور بأفلاك السعادة والسعدِ

(١) التفزز : فززه وبززه : إذا غرته وغلبته . والوصي : الإمام علي عليه السلام ، وقد كناه الرسول ﷺ بهذا اللقب فكان أحبّ الألقاب إليه .

فطوراً على تقبيل نرجس ناظرٍ وطوراً على تعضيض تفاحة الخدّ
وقوله [من مجزوء الرمل] :

من يكن يهواه للخلق فإني عبد خلقه
إن حسن الخلق أبهى للفتى من حسن خلقه

وقوله [من البسيط] :

قالوا عشقت صغيراً قلت أرتع في ربيع حسنٍ دعاني لافتتاح هوى
روض المحاسن حتى يدرك الثمر^(١) لما تفتّح منه النور والزهر^(٢)
وقوله [من المنسرح] :

وددت أني بكفه قلمٌ يأخذني مرةً ويلثمني
أو أنني مدّة على قلمه إن علقت منه شعرة بفمه

وقوله [من البسيط] :

قد قلت إذ خان صبري من كلفت به إن كان شاركني في حبه وقحٌ
ولم يكن عنه لي صبرٌ ولا جلدٌ^(٣) فالنهر يشرب منه الكلب والأسد
وقوله [من الكامل] :

لا تعشقن ابن الربيع فإنه وجه كعبادان ليس وراءه
عند التجرد آية الآيات لمحبّه شيء سوى الخشبات^(٤)

(١) أرتع : أمرع وأتئم .

(٢) النور : الأكمام من الزهر .

(٣) كلفت به : عشقته .

(٤) عبادان : جزيرة ، والخشبات : موضع وراءها .

وقوله [من الخفيف] :

تتجنّى عليّ ذنباً وتعتلّ بأنّ قد رأيت منّي ذلّة
لعن الله قرّبةً ليس فيها لفتىً يطلب التعلّة علّه

وقوله [من الطويل] :

ألم يكفني ما نالني في هواكم إلى أن طفقتم بين لاءٍ وضاحك^(١)
شماّتكم بي فوق ما قد أصابني وما بي دخول النار بل طنز مالك^(٢)

وأنشدني أبو القاسم الحسين بن محمد بن حبيب المذكور، قال : أنشدني
عبد السميع بن محمد الهاشمي، قال : أنشدني نصر بن أحمد الخبز أرزي لنفسه
[من الخفيف] :

شاقني الأهل لم تشقني الديار والهوى صائرٌ إلى حيث صاروا
جيرةً فرقتهم غربة البيــــن وبين القلوب ذاك الجوار
كم أناسٍ رعوا لنا حين غابوا وأناسٍ جفوا وهم حضار^(٣)
عرضوا ثم أعرضوا، واستمالوا ثم مالوا، وأنصفوا ثم جاروا^(٤)
لا تلمهم على التجنّي فلولم يتجنّوا لم يحسن الاعتذار

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي الفقيه له من قصيدة [من البسيط] :

ورد الحدود ورمان النهود وأغــــــصان القدود تصيد السّادة الصّيّدا^(٥)

(١) طفقتم : ظفرتم وجعلتم .

(٢) الطنز : السخرية والاستهزاء .

(٣) رعوا المودة : وصلوها وحنّوا إليها .

(٤) أعرضوا : صدوا وأشاحوا .

(٥) الصيد : الكرام السادة .

شرطي إذا ما رأيت الخصر مختصراً والردف مرتدفاً والقَدَّ مقدوداً

* * *

١٢٦ - أبو عاصم البصري

أنشدني أبو سعيد نصر بن يعقوب لأبي عاصم في اقتران الهلال والثريا والزهرة
[من المتقارب] :

رأيت الهلال وقد أحدقته نجوم الثريا لكي تسبقه
فشبهته وهو في إثرها وبينهما الزهرة المشرقة
بقوسٍ لرامٍ رمى طائراً فأتبع في إثره بندقه^(١)
وله في اقتران الهلال والزهرة [من الخفيف] :

قارن الزهرة الهلال، وكانا في افتراقٍ ما بين صدٍّ وهجرة
فاذا ما تقارنا قلت طوقٌ من لجينٍ قد علقت فيه درة
وله في الغزل [من الرمل] :

يا بنفسي من إذا جمشته نثر الورد عليه ورقه^(٢)
وإذا مدت يدي طرته أفلتت مني وعادت حلقة^(٣)

* * *

١٢٧ - أبو الحسين الظاهر البصري

أنشدني أبو علي محمد بن عمر الزاهر . قال : أنشدني أبو الحسين الظاهر
البصري لنفسه قوله [من البسيط] :

نفسي الفداء لمن جاءت تودعني يوم الفراق بقلب خائفٍ وجلٍ

(١) البندق : رصاص صغير كروي الشكل يستعمل في بعض الفذائف للقتال والصيد .

(٢) جمشته : داعبته .

(٣) الطرة : الخصلة من الشعر التي تعلق الجبين .

(٤) الوجل : الخوف .

قد كنت فارقتُ روحي خوفَ فرقتها لكن حيت بطيب الضّم والقبل
وله من قصيدة في مفصود [من البسيط] :

كأنما دمه في الطست حين جرى صرفُ من الراح في قعبٍ من الذهب^(١)
حتى إذا رجعت في كفه يده كالشمس غابت عن الأبصار في الحجب
كانت كما قال في القرآن خالقنا واضمم جناحك يا موسى من الرهب

وله في وصف حية قتلها في بعض أسفاره [من الرجز] :

عرفت في الأسفار ما لم أعرف من كل موصوفٍ وما لم يوصفِ
آليت لا أنصف من لم ينصف ولا أفي دهري لخلٍّ لا يفي
سرت وصحبي وسط قاعٍ صفصف إذ أشرفت من فوق طودٍ مشرف^(٢)
رقشاء ترنو من قلبٍ أجوف تومي برأسٍ مثل رأس المجدف^(٣)
في ذنب مندمجٍ معقف حتى إذا أبصرتها لا تنكفي^(٤)
علوتها بحدٍّ سيفٍ مرهف فظل يجري دمها كالقرقف^(٥)

* أتلفتها لما أرادت تلفي *

(١) الصرف من الراح : الحمرة الصافية ، والقعب : الإباء .

(٢) الصفصف : المستوى المنخفض والطود : الجبل .

(٣) القلب : البئر .

(٤) تنكفي : تتراجع وتهرب .

(٥) المرهف : الحاد القاطع ، والقرقف : الحمرة .

الباب السادس

في ذكر نفر من شعراء العراق ونواحيها ، سوى بغداد
وسياق ملحمهم ولطائفهم

١٢٨ - ابن التمار الواسطي

شعره يتغنى بأكثره ملاحه ورشاقة ، وإنما كان يقوله تطرباً لا تكسبا ، وقد
بلغني به أبيات قلائل إلا أنها قلائد ، كقوله [من البسيط] :

أما ترى اليوم في أثوابه الجدد يحكيك يا غرة الأيام والأبد
فاشرب وسقّ الندامى من مشعشة كلون خدك لم تنقص ولم تزد
على غدير إذا هبّ النسيم به أبصرته من حبيك الريح كالزرد^(١)

وله [من الكامل] :

الخمير شمسٌ في غلالة لاذٍ تجري ومطلعها من الخرداذي^(٢)
فاشرب على طيب الزمان فيومنا يوم التذاذ قد أتى برذاذٍ
وانظر إلى لمع البروق كأنها يوم الضراب صفائحُ الفولاذ
وقوله عفا الله عنه [من البسيط] :

قم فانتصف من صروف الدهر والنوبِ واجمع بكأسك شمل اللهو والطربِ

(١) الحيك : النسخ .

(٢) اللاذ : حرير أحمر صيني والخرداذي : الخمر .

أما ترى الليل قد ولّت عساكره مهزومةً وجيوش الصبح في الطلب
والبدر في الجانب الغربيّ تحسبه قد مدّ جسراً على الشطّين من ذهب

* * *

١٢٩ - أبو طاهر الواسطي المعروف بسيدوك

شعره يروى حين يروي، ويحفظ حين يلحظ، وما لظرفه نهاية، ولا للطفه
غاية، ولا عيب فيه غير أن الذي وقع إليّ منه قليل يلتقي طرفاه، وتجتمع
حاشيتاه، وديوان شعره ضالتي المنشودة، ودرتي المفقودة، ولا بأس من حصوله،
أنشدني كل من أبي طاهر ميمون بن سهل الواسطي الفقيه وأبي الحسن المصيصي
ومحمد بن عمر الزاهر قال: أنشدني سيدوك لنفسه، وهو أحسن وأبلغ ما سمعته
في طول الليل [من البسيط]:

عهدي بنا ورداء الشمل يجمعنا والليل أطوله كاللّمح بالبصر
فالآن ليليّ مذ غابوا فديتهم ليل الضّرير فصبحي غير منتظر
وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان له [من الوافر]:

أراح الله نفسي من فؤاد أقام على اللجاجة والخلاف^(١)
ومن مملوكة ملك رقاها ذوي الألباب بالخدع اللّطاف
كان جوانحي شوقاً إليها بنات الماء ترقص في حقاف^(٢)

وأنشدني ميمون الواسطي، قال: أنشدني سيدوك لنفسه [من الوافر]:

أظن بليّة دهمت فؤادي وأحسبها غزال بني سليم
والآ لم يغبّ فتعتريني مذلة ضيمه من غير ضيم^(٣)

(١) اللجاجة: الإلحاح.

(٢) الحقاف: جمع حقف، وهو المعوج من الرمل.

(٣) يغبّ: يتعد.

ولي عينٌ إذا فقدته صارت كعين الشمس ملبسةً بغيم
وأنشدني له أيضاً [من مخلع البسيط] :

أنت من القلب في السواد وموضع السرّ من فؤادي
يا ساكناً في سواد عيني وبين جفني والرقاد
لم تنأ لما نأيت عني ولا تباعدت بالبعد
وأنشدني أيضاً له [من الطويل] :

جنت صبحه الأضحى عليّ فأذهبتُ فؤادي فلا ضريّ ملكت ولا نفعي
فيا يوم عيد النحر ما لك مهدياً لنحري سهم النحر نبت عن الشرع^(١)
وله من أبيات [من مجزوء الكامل] :

حذري عليك أشدّ من حذري على بصري وسمعي
إن كنت تنكر ما أقو ل فهاك سل سهري ودمعي

ووجدت منسوباً إليه في بعض التعليقات [من المتقارب] :
جعلت فداءك قد زارني أخلاء أعظم أقدارهم
وعزمي أكون لهم ساقياً فكن بأبي أنت خمارهم

* * *

١٣٠ - أبو عبد الله الحامدي

حامدة : من أعمال واسط ، ولم يبلغني ذكر هذا الرجل إلا مما أنشدني
ميمون الواسطي ، قال : أنشدني أبو عبد الله لنفسه بالحامدة [من البسيط] :

مشتاقه طرقت في النوم مشتاقا أهلاً بمن لم يخن في العهد ميثاقا

(١) نبت : جاوزت وأعرضت .

أهلاً بمن ساق لي طيف الأحبة من
يا زائراً زار من قربٍ على بعد
الله يعلم لو أنني استطعت لقد
يا ليل عرجٍ على إلفين قد جعلاً
ضاق العناق وضمّ الشوق بينهما
وأنشدني له أيضاً [من الكامل] :

قل للمليحة في الخمار المشمشي
يا من غدا قلبي كنرجس طرفها
هذا الربيع بصحن خذك قد بدا
فمتى أبيت معانقاً لبهاره
وأنشدني له أيضاً [من الطويل] :

سقاني وحياني وبات معانقي
ويا ليلةً باتت سواعدنا بها
نبثُّ من الشكوى حديثاً كأنه
وأنشدني له [من الكامل] :

يا راحلاً ترك البكاء مباحاً
إن اخلفتني فيك أسباب المني

أرض الأحبة ، بل أهلاً بمن شاقاً^(١)
آنست مستوحشاً لا ذقت ما ذاقا
أفرشت ممشاك احداقاً وآماقاً^(٢)
عقد السواعد للأعناق أطواقا
ضمّ القرينين أعناقاً فأعناقا

كم ذا الدلال عدمت كل محرّشٍ^(٣)
في الحبّ لا صاحٍ ولا هو منتشي
لمقبّلٍ ومعضّضٍ ومخمشٍ
ولورده المستأنس المستوحش^(٤)

فيا عطف معشوقٍ على ذلّ عاشقٍ
تدور على الأعناق دور المخانق
قلائد درّ في نحر العواتق^(٥)

مارحت أنت ، بل اضطباري راحا
وغدوت لي سقماً وكنت صلاحا

(١) شاق : أتعب .

(٢) الآماق : مجاري الدمع .

(٣) المحرّش : المفسد .

(٤) البهار : الضوء واليباض .

(٥) العواتق : الفتيات في أوّل نهادهن .

فلقد عهدتك مسعداً لي في الهوى وعهدت وجهك في الظلام صباحاً
وأنشدني له [من الكامل] :

ما الرأي عندك أيها البدر في عاشقٍ لك خانهُ الصبرُ
وَقَعَ برأيك فوق قصّته يا مَنْ إليه النهي والأمر
لو أنّ حسناً زاد في عمرٍ لازددت عمراً بعده عمر

* * *

١٣١ - أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم المعروف بالأنباري

بلغني له قصيدة فريدة تدل على أن صاحبها من أفراد الشعراء ، وهي في ابن
بقية لما قتل وصلب ، وقد أثبتتها كما هي [من الوافر] :

علوٌ في الحياة وفي الممات لحقٌ أنت إحدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا وفود نذاك أيام الصَّلَات^(١)
وأخذه من قول ابن المعتز [من الطويل] :

وصلُّوا عليه خاشعين كأنهم وفودٌ وقوفٌ للسلام عليه
رجع :

كأنك قائمٌ فيهم خطيباً وكلهم قيامٌ للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفالاً كمدَّهما إليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن يضمّ علاك من بعد الممات
أصاروا الجو قبرك واستنابوا عن الأكفان ثوب السافيات^(٢)

(١) الصَّلَات : المنح والعطايا .

(٢) السافيات : جمع سافية ، وهي الريح تحمل غباراً .

لعظمك في النفوس تبيت ترعى
وتشعل عندك النيران ليلاً
ركبت مطيةً من قبل زيدٍ
وتلك قضيةٌ فيها تأسٍ
ولم أر قبل جذعك قطُّ جذعاً
أسأت إلى النوائب فاستثارت
وكنت تجير من صرف الليالي
وصير دهرك الإحسان فيه
وكنت لمعشرٍ سعداً فلما
غليلٌ باطنٌ لك في فؤادي
أخذه من قول ابن الرومي [من مخلع البسيط]:

لم يظلم الدهر أن توالى
كنتم تجيرون من يعادي
فكم مصيباته دراكا
منه فعاداكم لذاكا
عاد :

ولو أنني قدرت على قيامي
ملأت الأرض من نظم القوافي
ولكنني أصبر عنك نفسي
ومالك تربةٌ فأقول تسقي
عليك تحيةً الرحمن ترى
بفرضك والحقوق الواجبات
ونحت بها خلاف الناثحات
مخافة أن أعدّ من الجناة
لأنك نصب هطل الهاطلات
برحمتٍ غواٍ راثحات^(٣)

* * *

(١) الجذع : الأرومة .

(٢) الترات : جمع ترة وهي الثار .

(٣) تترى : أي متتابعة بعضها بعد بعض .

١٣٢ - أبو الحسين محمد بن عمر الثغري الكاتب

أحد المقلين المحسنين ، ولم أسمع له إلا ملحاً نادرة ، كقوله في خط العذار ، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرتة [من الخفيف] :

لي حبيبٌ يزهى بحسنٍ عجيبٍ وبقدٍّ مثل القضيبي الرطيبِ
أحرقته بالسواد فضّةً خديّه فقد أحرقته سواد القلوب

وقوله في وصف التمر [من المجث] :

أما ترى التمر يحكي في الحسن للنظارِ
مخازناً من عقيقٍ قد قمّعت بنصار^(١)
كأنّما زعفران فيه مع الشهد جاري
يشفّ مثل كؤوسٍ مملوءة من عقار^(٢)

وقوله في الباقلاء الرطب [من الوافر] :

فصوص زبرجدٍ في غلف درّ بأقماعٍ حكتْ تقليم ظفرِ
وقد صاغ الإله ثياباً لها لونان من بيضٍ وخضر
ربيعٌ للقلوب بكلّ أرضٍ ونقلٍ ما يملّ لشربٍ خمر^(٣)

وله في الرمان [من الوافر] :

ورمان رقيق القشر يحكي ثديّ الغيب في أثوابٍ لاز^(٤)
إذا قشّرتّه طلعت علينا فصوصٌ من عقيقٍ أو بخاذ^(٥)

* * *

(١) قمّعت : زينت ، والقمع ، التصق بأسفل التمرة أو نحوها حول علاقتها .

(٢) يشفّ : يرقّ .

(٣) النقل : ما يؤكل مع الخمر من فستق وغيره .

(٤) اللاذ : الحرير الأحمر .

(٥) البخاذ : فارسية ، وهي من الجواهر التي لونها احمر .

١٣٣ - أبو محمد بن زريق الكوفي الكاتب

رحمه الله تعالى !

أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان ، قال : أنشدني أبو سليمان المنطقي
ببغداد ، قال : أنشدني ابن زريق لنفسه [من البسيط] :

سافرت أبغي لبغداد وساكنها مثلاً فحاولت شيئاً دونه الياسُ
هيئات بغداد الدنيا بأجمعها عندي . وسكان بغداد هم الناس
وأنشدني له غيره في شعر الصولي [من السريع] :

داري بلا خيشٍ ولكنني عقدت من خيشي طاقين^(١)
دار إذا ما اشتد حرُّ بها أنشدت للصولي بيتين

وله أيضاً في العيادة [من مجزوء الخفيف] :

يا مريضاً بسقمه مرض الحلم والوفا
لم يكن تركي العيا دة هجراً ولا جفا
لم أطق أن أراك - يا أكرم الناس - مدثفا
طال خوفي عليك فا لحمد الله إذا كفى

وقال في قينة تسمى دبسية حسنة المخبر قبيحة المنظر [من المجث] :

أبا سعيد أصخ لي يا سيدي ونديمي^(٢)
منيت أمس بأمرٍ من الأمور عظيم
حصلت عند صديقٍ حرٌّ ظريفٍ كريم

(١) الخيش : نسيج من الكتان الرديء .

(٢) أصخ لي : استمع وانتبه .

أسقي على شذو دسبة فتنفي همومي^(١)
فكنت حين تغني لدي جنان النعيم
وإن نظرت إليها ففي العذاب الأليم
وإن شربت بصوت فالراح بالتسليم^(٢)
وإن شربت بلحظ فالمهل بالزقوم^(٣)
فكان سمعي بخير ومقلتي في الجحيم

وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان لأبي محمد بن زريق ، يخاطب به أبا عبد الله الكوفي لما قلده مكان أبي جعفر بن شيرزاد ، وحصل في الدار التي كان أبو جعفر يناظر الناس فيها وعلى دسسته وفي مثل حاله . وقد كان حضره قبل ذلك فحجب [من البسيط] :

إننا رأينا حجاباً منك قد عرضاً فلا يكن ذلنا فيه لك الغرضاً
اسمع لنصحي ولا تغضب عليّ فما أبغي بقولي لا مالا ولا عرضاً
الشكر يبقى ويفنى ماسواه ، وكم سواك قد نال ملكاً فانقضى ومضى
في هذه الدار في هذا الرواق على هذا السرير رأينا الملك فانقرضاً

قال : فاعتذر إليه الكوفي ، وقال له : حسبنا ، وقضى حوائجه .

* * *

١٣٤ - أبو الورد

بلغني أنه كان من عجائب الدنيا في المطايبه والمحاكاة ، وكان يخدم

(١) الدبسية : المغنية .

(٢) التسليم : أي ترفع كؤوسها .

(٣) الزقوم : شجرة مرة كريهة الرائحة يأكل أهل النار في جهنم ثمرها .

مجلس المهلبى الوزير ، ويحكى شمائل الناس وألسنتهم ، فيؤديها كما هي ،
فيعجب الناظر والمسامع ويضحك الثكلان . وكان أبو إسحاق الصابى قد بلى به
حتى قال فيه [من الطويل] :

ومن عجب الأيام أن صروفها تسوء امرأ مثلى بمثل أبى الورد
فيا ليتها اختارت نظيراً وأنها رمتني بشنعاء الدّواهي على عمد^(١)
فكم بين معقور الكلاب وإن نجا ذليلاً ومقتول الضراغمة الأسد
وفيه يقول السرى حيث يذكر صفعه للملحي الشاعر [من الطويل] :

وما خلت صفعان العراق يسومني لأمثاله ذمّاً يسيرا ولا حمداً^(٢)
إذا ما أبو الورد انتحاه بكفه حسبت قفاه روضةً تنبت الورد
ولأبى الورد شعر لهو في الإضحاك مثل قوله [من مجزوء الرمل] :

أنا في كل سحير في مداراة لا يرى
دائباً يطلب وجهاً حسناً من بيت غيري
قلت نك يا أير من ير تع في خيرى وميري^(٣)
قال : لا أسطيع نيكاً لكسير وعوير

وقوله [من الوافر] :

طفيلي يؤمّ الخبز أني رآه ولو رآه على يفاع^(٤)
ولا يروي من الأخبار إلاّ أجبت ولو دعيت إلى كراع^(٥)

(١) الشنعاء : القبيحة ، والداهية : المصيبة .

(٢) يسومني : يكلفني ، وسامه الخسف : أذله .

(٣) المير : الخيرات من طعام وغيره .

(٤) الطفيلي : الحشري الذي يحضر المآذب دون دعوة واليفاع : المرتفع من الأرض .

(٥) يشير الى الحديث « ولو أني دعيت إلى كراع لأجبت والكراع بضم الكاف : ما دون الكعب من قواعد الدواب .

وقوله [من مجزوء الرمل] :

وصديق جاءني يسألني ماذا لديك
قلت : عندي بحر خمرٍ حوله آجام نيك^(١)

وقوله [من الطويل] :

ولي صاحب أفسى البرية كلها يشكّكني فيه إذا ما تنفسا
تحوّلت الأنفاس منه إلى أسّته فما أحدٌ يدري تنفس أم فسا

وقوله [من مجزوء الكامل] :

ليس اشتقاق أبي المظفر من أن يرى ظفراً فيظفر
لكن تطاول ظفّره فلذاك قيل أبو المظفر

(١) الأجام : جمع أجمة ، وهي الشجر الكثير الملتف .

الباب السابع

في ذكر قوم من شعراء بغداد ومحاسن أشعارهم

١٣٥ - ابن نباتة السعدي : أبو نصر عبد العزيز

ابن محمد بن نباتة

من فحول شعراء العصر وآحادهم ، وصدور مجيديهم . وأفرادهم الذين أخذوا برقاب القوافي ، وملكوا راق المعاني ، وشعره مع قرب لفظه بعيد المرام ، مستمر النظام ، يشتمل على غرر من حر الكلام ، كقطع الروض غب القطر ، وفقر كالغنى بعد الفقر . وبدائع أحسن من مطالع الأنوار . وعهد الشباب ، وأرق من نسيم الأسحار ، وشكوى الاحباب ، وأول ما وقع شعره إلى خراسان إنما وقع على يد أبي نصر سهل بن المرزبان ، فإنه استصحبه من بغداد في جملة ما حصله بها ، من ظرائف الدفاتر ولطائفها ، وذخائرها وأخايرها ، وأتحفني به وهو بغبار السفر ، وجعلني فيه ابا عذرة النظر . فحسبته والطرف معقود به ، شخص المحبوب بدا لعين محبه ، وباكورة الأشعار ، أرفع من باكورة الثمار ، فكم مرتع أنس فيه رعيت . وكم فص مختص منه وعيت . وأنا كاتب من عيونه ما يمتع الخواطر ، ويجلو النواظر ويصدق قوله ، وقد أحسن فيه كل الإحسان [من الوافر] :

وكم لليل عندي من نجوم جمعت الثمر منها في نظامي
عتاباً أو نسيماً أو مديحاً لخلٍّ أو حبيبٍ أو همام

تفيد بها العقول نهىً وصحواً وقد فعلتُ بها فعل المدام
لها في حلبة الآداب ركضٌ إلى حبِّ القلوب بلا احتشام
وقوله [من البسيط]:

خذها إذا أنشدت [في القوم] من طربِ صدورِها علمتُ فيها قوافيها
ينسى لها الراكب العجلان حاجته ويصبح الحاسد الغضبان يطربها^(١)
وقوله أيضاً [من الخفيف]:

فات عبد العزيز سابقة القو ل وإني لوصفه في لحاقِ
طلعتُ في القلوب ألفاظي الغرُّ طلوعَ النجوم في الآفاق
وقوله [من المنسرح]:

هذا الكلام الذي خصصت به أخصّ في الخالدات من أحدِ
قولُ هو الماء لذَّ مطعمه فكل قولٍ سواه كالزبد

* * *

ما أخرج من غرره في الغزل والنسيب

قال من قصيدة [من الطويل]:

وبدر تمامٍ بتُّ أَلثم رجله وأكبره عن أن أقبل خدَّه
تعشقت فيه كلَّ شيءٍ يودَّه من الجور حتى كدت أعشق صده^(٢)

البيت الأول كأنه مأخوذ من قول ابن طباطبا [من الرجز]:

وشادن روعي في يديه تبيت تهمني قبلي عليه^(٣)

* يؤثرن رجله على خديهِ *

(١) يطربها : يمدحها .

(٢) الصدّ : الهجر والامتناع .

(٣) تهمني : تسقط بغزارة .

والبيت الثاني فيه رائحة من قول منصور الفقيه [من المتقارب] :

سررت بهجرك لما علمت	بأنّ لقلبك فيه سرورا
ولولا سرورك ما سرّني	وما كنت يوماً عليه صبورا
لأنّي أرى كلّ ما ساءني	إذا كان يرضيك سهلاً يسيرا

وقال من أخرى [من الطويل] :

عجبت له يخفي سراه ، ووجهه	به تشرق الدنيا وبالشمس بعده ^(١)
ولا بدّ لي من جهلة في وصاله	فمن لي بخلّ أودع الحلم عنده

ومن أخرى [من البسيط] :

يا من أضرب بحسن الشمس والقمر	فلم يدع فيهما للناس من وطر ^(٢)
نفسي فداؤك من بدرٍ على غصنٍ	تكاد تأكله عيناى بالنظر
إذا تفكرت فيه عند رؤيته	صدقت قول الحلوليين في الصور ^(٣)

ومن أخرى [من الطويل] :

سقى الله أرضاً لا أبوح بذكرها	فتعرف أشجاني بها حين تذكرُ
سوى أنها مسكية التّرب ريحها	ترفّ وتندي والهواجر تزفر
نعمت بها يجلو عليّ كؤوسه	أغرّ الثنايا واضح البشر أحور ^(٤)
فوالله ما أدري أكانت مدامة	من البدر تجني أم من الشمس تعصر ؟

(١) سراه : مسيره .

(٢) الوطر : الحاجة والمأرب .

(٣) الحلويون : أي الذين يقولون بحلول الإله في الناس ، وهم من المتصوفة .

(٤) الأحور : من الحور ، وهو شدة سواد العين مع شدة بياضها .

إذا صبَّها جنح الظلام وعبَّها
ومن أخرى [من الكامل]:

دعهم وقلبي لا أريد رجوعه
لو يعلمون صلاح حالي بعدهم
ومن أخرى [من البسيط]:

إن كنت تمنع سعدي من مطالبها
لله نعمة أوتارٍ ومسمعة
وقهوة كشعاع الشمس طالعة
يا لذة بيمين الدهر أدفعها
لو كان يعلم أنني عنك أخدعه
فلمست تمنع سعدي من تمنِّيها
باتت تدل على شوقي أغانيها
أفنيتم بالمزج فيها ريق ساقها
في صدره وهو من أحشاي يدينها
ثنى أنامله لي حين أثنيها

* * *

الشكوى وذم الزمان

قال [من البسيط]:

في كل يوم لنا في الدهر معركة
حظي من العيش أكل كلَّه غصص
وقال [من الطويل]:

وكم من خليل قد تمنَّيت قربه
وما للفتى في حادث الدهر حيلة
فجربته حتى تمنَّيت بعده
إذا نحسه في الأمر قابل سعده

(١) الفلق : الشج .

(٢) والشرق : مشرق بالماء : أي غص به .

أرى همم المرء اكتئاباً وحسرةً عليه إذا لم يسعد الله جده^(١)
كأنه مأخوذ من قول المتنبي [من الطويل] :

وأتعِب خلق الله من زاد همّه وقصّر عما تشتهي النفس وجده
وقال من قصيدة [من الكامل] :

ما بال طعم العيش عند معاشرٍ حلّوْ، وعند معاشرٍ كالعلقمِ
من لي بعيش الأغبياء فإنّه لا عيش إلّا عيش من لم يعلم
هذا معنى متداول، ومن احسن ما قيل فيه قول ابن المعتز [من الكامل] :

وحلاوة الدنيا لجاهلها ومرارة الدنيا لمن عقلا

وقال من أخرى [من الكامل] :

يأبى مقامي في مكان واحدٍ ككفّ قسيك يا فراق فإنّه
دهرٌ بتفريق الأحبة مولعٌ لم يبق في قلبي لسهمك موضع
كأنه من قول المتنبي [من الوافر] :

رمانى الدهر بالآرزاء حتى فصرت إذا أصابتني سهامٌ
فؤادي في غشاء من نبالٍ تكسّرت النّصال على النّصال
وقال [من الوافر] :

برمت من الحياة، وأيّ عيشٍ ولو أتى أعدّ ذنوب دهري
يكون لمن مطاعمه الخبال^(٢) ؟
لضاع القطر فيها والرمال^(٣)

(١) الجدّ: الحظّ.

(٢) برمت: مللت، والخبال: الفساد.

(٣) القطر: يعني قطرات المطر.

وقال [من الوافر]:

سقامٌ ما يصاب له طبيبٌ وأيامٌ محاسنها عيوبٌ
ودهرٌ ليس يقبل من أديبٍ كما لا يقبل التأديب ذيبٌ
يحب على المصائب والرزايا فلا كان المحبّ ولا الحبيب

وقال [من الوافر]:

متى أرجو مسالمة الهموم وآمل صحة الجسم السقيم؟
وكرّ الحادثات عليّ تجني جنيات القروف على الكلوم^(١)

وقال [من الطويل]:

طلاب المعالي للمنون صديق وطول الأمانى للنفوس عشيقٌ
تسربل ثياب الموت أو حلّل الغنى تعشّ ماجداً أو تعتلّقك علوق
وما الفقر إلاّ للمذلة صاحبٌ وما الناس إلاّ للغنيّ صديق
وأصغر عيبٍ في زمانك أنّه به العلم جهلٌ والعفاف فسوق
وكيف يسرّ الحر فيه بمطلبٍ وما فيه شيءٌ بالسرور حقيق
إذا لم تكن هذي الحياة عزيزةً فماذا إلى طول الحياة تتوق
ألا إنّ خوف الموت مرٌّ كطعمه وخوف الفتى سيفٌ عليه ذلوق^(٢)
وإنك لو تستشعر العيش في الردى تحلّيت طعم الموت حين تذوق

وقال [من مجزوء الكامل]:

كيف السبيل إلى الغنى والبخل عند الناس فطنةٌ
خذ من زمانك كلّ شيءٍ لا يجرّ عليك منه

(١) الكلوم : الجراح .

(٢) الذلوق : القاطع .

ونبتُ بنا أرضَ العرا
غير الرحيل ، كفى البلا
ق فما مخناها بمحنة
د بنقلة الفضلاء هجته !

وقال رحمه الله [من الوافر] :

وتأخذ من جوانبنا الليالي
أما في أهلها رجلٌ لبيبٌ
أرى التشمير فيه كالتواني
ومن لبس التراب كمن علاه
وكيف يكدّ مهجته حريصٌ
كما أخذ المساء من الصباح
يحسّ فيشتكي ألم الجراح
وحرمان العطية كالنجاح^(١)
فلا تخضعك أنفاس الرياح
يرى الأرزاق في ضرب القداح^(٢)

وقال سامحه الله [من البسيط] :

أراحني الله من قلبٍ منيت به
أطلبُ لصدرك هماً بالمنى كلفاً
والمجد يطلب بالآفات طالبه
ما للزمان سوى أولاده درنٌ
يهوى القعود ويهوى أشرف الرتب
وخلّ صدري فما لي فيه من أرب
لم يحظ بالمجد من لم يحظ بالنكب
إن لم يكونوا بنيه فالزمان أبي^(٣)

* * *

الفخر والحماسة

قال [من الطويل] :

خليليّ قد لَجّ الزمان ولجّ بي
وأَيّ فتى غنّيتما وسقيتما
مرادٌ، وأحداث الزمان تعوقُ
فتىّ فيه نفث السحر ليس يحقيق^(٤)

(١) التشمير : الجدّ والعمل .

(٢) يكدّ : يتعب .

(٣) الدرن : الوسخ ، أو الإيلاء والافناء .

(٤) يحقيق : يؤثّر .

فتى تطرب الألحان من شرف به ويسكر منه الخمر وهو مفيق

كأنه نسجه على منوال قول القائل [من المنسرح] :

ريحان ريحانه إذا ورد الـروض ، ومنه تأدب الأدب
تشربه الكأس ليس يشربها يطرب من حسن وجهه الطرب

وبعد قوله «فتى تطرب الألحان» قوله :

ولو شئت علّمت المكارم شيمتي ولكنتي بالمكرمات رفيق
أخاف عليها أن تجود بنفسها إذا ما أتاها في الزمان مضيق

وقال أيضاً [من الوافر] :

ومغرورٍ يحاول نيل عرضي يعاين في المكارم فيض كفي
فقلت له : الكواكب لا تنال ويزعم أنه ذهب النوال
ويعجب أن حوت الفضل طفلاً ألا لله ثم لي الكمال
أحمل ضعف جسمي ثقل نفسي ونفسي ليس تحملها الجبال
وأسمع كل قول غير قولي فأعلم أنه خطل محال^(١)

وقال من قصيدة [من الطويل] :

رضينا وما ترضى السيوف القواضب نجاذبها عن هامكم وتجاذب^(٢)
فإياكم أن تكشفوا عن رؤوسكم ألا إن مغناطيسهن الذوائب
أقول لسعد والركاب مناخة أنت لأسباب المنية هائب
وهل خلق الله السرور فقال لا فقلت أثرها أنت لي اليوم صاحب
وخل فضول الطيلسان فإتما لباسك هذا للعلا لا يناسب

(١) الخطل : الفساد في الرأي .

(٢) القواضب : القواطع .

عمائم طلاب المعالي صوارمٌ
ولي عند أعناق الملوك مآربٌ
خلقنا باطرافِ القنا لظهورهم
أؤمل مأمولاً يغير صدورها
وله من قصيدة في صباه [من البسيط]:

وأثواب طلاب المعالي ثعالب
تقور سيوفي هن لي والكواثب^(١)
عيوناً لها وقع السيوف حواجب
فواخجلتا إنني إلى المجد تائب

تضائل الدهر حتى ضاع في هممي
فلو يكون سواد الشعر في ذممي
فالعيش من نعمي والموت من نقمي
والحزم والعزم في الأقوام من خلقي
لو يعلم الناس قدري في زمانهم
ما زلت اعطف أيامي وتمنحني
حتى تخوف صرف الدهر بادرتي
أذم كل خليل بات يحمدني
وليس سؤلي يا قلبي سوى رهج.

واستفحل المجد حتى صار من شيمي
ما كان للشيب سلطاناً على اللمم^(٢)
وحكمة الفلك الدوار من حكمي
كما الفصاحة في الأقوال من كلمي
صلّوا لوجهي واشتاقوا ثرى قدمي
نيلاً أدق من المعدوم في العدم
فرد كفّي وأوما أن يسدّ فمي^(٣)
أنا الذي ماله خل سوى الندم
تجوده من دم الفرسان بالديم^(٤)

وقال [من الطويل]:

وعتقني في موكب الموت معشرٌ
وإنني لأدري أنّ في العجز راحةً
ولو طلب الناس المكارم كلّهم

وقالوا يهوى الجذب من هو في الخصب
وأعلم أن السهل أوطأ من الصعب
لكان الغنى كالفقر والعبد كالرب

(١) الكواثب : الجموع ، والكثيب ، التلّ من الرمل .

(٢) اللمم : جمع لمة أي شعر الرأس .

(٣) أوما : أصله أوما بالهمز فسهل الهمزة بقلبها ألفا وهي بمعنى أشار .

(٤) الرّهج : الغبار .

ولكن أشخاص المعالي خفية
لقد زادني حرب الزمان تجارباً
ومن يك يعتاد الكروب فواده
وقال [من الكامل] :

وأنا البصير بكل علم غامض
والذل أثقل من جبال تهامة
وإذا رأيت مذلة فأننا العمي
عندي وأعذب منه سم الأرقم^(١)
وقال [من المتقارب] :

إذا استروح الغمر من همّة
وإني على شغفي بالمديح
وما ينقم الدهر شيئاً علي
هربت إلى الهم مستروحا
لست أسرّ بأن أمدحا
سوى أنفي منه أن أفرحا
وقال من قصيدة [من الطويل] :

وإني لأغضي الطرف عن كل منظر
وما ذاك من جهل به ، غير أنني
وقال من قصيدة [من الطويل] :

وآخذ عفو العيش لا أستكده
فإن كنت أرضى بالبشاشة منكم
فرب جواد قيد الفقر جوده
لحي الله غنماً يستفاد مع الغرم^(٢)
ويستر عذمي شيمتي وتكرمي
ومبتسم تعبسه في التسم

(١) الأرقم : الأفعى السامة .

(٢) الغمر : الجاهل .

(٣) أغضي : أطرق حياءً وأغض .

(٤) العيوف : التارك .

(٥) لحي : لمن ، والغنم : من الغنيمة ، والغرم : الذنب والائثم .

وله من أخرى [من الطويل] :

إذا كانت الأعراض غير حسان
فما كل مصقول الحديد يمانى^(١)

وهل ينفع الفتیان حسن جسامهم
فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى

وله من أخرى [من البسيط] :

وغيرنا يغلب الأيام بالفشل
في النائبات وسيفي بعده عذلي
لكم وصال الغواني والصبابة لي
كل الشجاعة والإقدام في الدول
ويحجمون وفي أيديهم نفلي^(٢)
إذا تطايرن فالتقصير من قبلي

حتى م نقدم والأيام تغلبنا
يا أهل بابل عزمي قبله فكري
وعندكم نعمٌ عندي مصائبها
قالوا حنيفة شجعانٌ فقلت لهم
مالي أغير على دهري فأسلبه
إن لم تسلني المواضي عن جماجمهم

* * *

غرر في المدح وما يتصل به

قال من قصيدة في سيف الدولة [من البسيط] :

ما دهرنا غير سيف الدولة البطل
وعزّه صير الأيام من خولي^(٣)
إلا قضيت للمح البرق بالكسل

يا أيها الدهر إن العي كالخطل
نواله جعل الأرزاق من قبلي
وما تمهل يوماً في ندى وردى

ومنها في ذم الروم والأسرى منهم :

فصرت تأسرهم بالخوف والوهل^(٤)

قد كنت تأسرهم بالسيف منصلتاً

(١) يمانى : السيف المنسوب إلى اليمن .

(٢) النقل : العطايا .

(٣) الخول : العيد .

(٤) الوهل : الخوف والرعب .

من يزرع الضرب يحصد طاعة عجباً
 كانت سحابك فيهم كلُّ بارقة
 فالיום سحبك فيهم كلُّ بارقة
 حتى تمنى ملك الروم حظهم
 ومن يربّي العلا يأمن من الشكل^(١)
 حمراء تهطل بالأيدي على القل^(٢)
 غراء تهطل بالأموال والحلل
 وأنه معهم في الأسر لم يزل
 كأنه أخذه من قول أبي دهب الجمحي في قوله [من المنسرح] :

ما زلت في العفو للذنوب وإطـلاق لعانٍ بجرمه غلق
 حتى تمنى البراء أنهم عندك أمسوا في القدّ والحلق^(٣)
 ومنها في شكر صنائعه :

وما أريد عطاء غير ودكم
 قد جدت لي باللهي حتى ضجرت بها
 إن كنت ترغب في بذل النوال لنا
 لم يبق جودك لي شيئاً أومله
 وبشركم ينجلي من جودكم بجلي
 وكدت من ضجرٍ أثني على البخل
 فاخلق لنا رغبةً ، أولاً فلا تنل
 تركتني أصحاب الدنيا بلا أمل
 وله أيضاً فيه [من الطويل] :

سيوفك أمضى في النفوس من الردى
 فتى يتحامى لذة النوم جفنه
 أطرفك شاكراً أم سهادك عاشق
 ومن سهرت في المكرمات جفونه
 وخوفك أمضى من سيوفك في العدى
 كأن لذيد النوم في جفنه قذي^(٤)
 يغار على عينيك من سنة الكرى
 رعى طرفه في جوها أنجم العلا
 ولا تغمد العينان والقلب منتضى^(٥)
 فليس ينام القلب والجفن ساهراً

(١) الشكل : الفقد .

(٢) القل : يعني الرؤوس .

(٣) القدّ والحلق : أي في القيود والزرد ، يعني الأسر .

(٤) القذى : ما يقع في العين من أذى .

(٥) منتضى : انتضى سيفه : شهره وسلّه .

ومن قصيدة في المهلبى الوزير [من الكامل] :

لا تأمنوا آراءه وظنونه إنَّ العيون لها من الأمداد^(١)
وتعوذوا بالله من أقلامه إن السيوف لها من الحساد

ومن أخرى في علي بن دوست بن المرزبان [من الطويل] :

أما لو تخيَّرتُ المنى لمنحته كمال عليٍّ أو سلوت عن الحب
ترى الشمس أمًّا والكواكب إخوةً وتنظر من بدر السماء إلى ترب^(٢)
غنيت عن الآمال حين رأيته فأصبح من بين الورى كلهم حسبي
فلم أطلب المعروف من غير كفة وهل تطلب الأمطار إلّا من السحب

ومن أخرى [من الوافر] :

فدتك بدائع الألفاظ طرّاً وأبكار القوافي والمعاني^(٣)
نزلت من المكارم والمعالي بمنزلة الشباب من الغواني
فلا زالت لياليك البواقي مواصلة بأيّام التهاني

وله من أخرى في المهلبى الوزير [من الطويل] :

وتطرق أفتال الغيوب بصارم من الرأي يخشى الغيب منه ويرهبُ
وتطعن في صدر الكتائب معلماً كأنك في صدر الدواوين تكتب^(٤)
ولست أرى كسب الدراهم نافعي إذا لم يكن لي في المكارم مكسب
ولي همّة لا تطلب المال للغنى ولكنها منك المودة تطلب

(١) الأمداد : الأعوان .

(٢) الترب : الرفيق من عمر واحد .

(٣) طرّاً : قاطبة .

(٤) المعلم : المكان الذي له خبرة في طعنه .

وقال لأبي العلاء صاعد بن ثابت يمدحه ويستهدي منه شراباً [من الخفيف] :

أيّ يومٍ من صاعدي لم أرح فيه بخيلٍ كثيرة الأسلابِ
من نوالٍ يسري بغير سؤالٍ وعطاء يهمل بغير طلاب
جثته زائراً وقد ركب الأفلاك والنجم تحته في التراب
بمعانٍ سرقناها من علاه فكأنّي قرأتها من كتاب
وأشارت ألاحظه بدنوي فكأنّي سمعت فصل الخطاب^(١)
ثم قبلت ظاهر الكفّ منه فكأنّي قبلت وجه السحاب
يا جواداً أرواحنا من عطايا ه وأفهامنا مع الأبواب
إن هذي الهموم تقدح فينا قدح كفيك في السّلام الصلاب^(٢)
فأسقنا صيّب المدام سقاك الله صوب الآمال والآراب
خندريساً كأنّها تتقي المز ج بدرعٍ مسرودةٍ من حباب^(٣)
خجلت من جلالكم فأتتنا في رداءٍ مؤزّرٍ ونقاب
تهب المال للفقير وتغزو شربها في عساكر الأطراب
سرقن حسن خلقها من سجايا ك وأخلاقك الكرام الرغاب
إنّها في السحاب وبُئل وفي الريح نسيمٌ ونشوةٌ في الشراب^(٤)
خلق الله صاعداً يوم خلق الناس للكأس والندى والضراب
ما سؤال الدنيا له وهي في عيـنيه أدنى من ودّها الكذاب
قد ظلمناه في السؤال لأنّا ما سألناه ردّ شرح الشباب^(٥)

(١) فصل الخطاب : الكلام الذي لا اعتراض عليه ولا جواب .

(٢) السّلام : بكسر السين : الحجارة .

(٣) الخندريس : يعني الخمر ، والمسرودة : المصنوعة والحجاب : ما يعلو الخمر من فقاع .

(٤) الوبل : المطر .

(٥) شرح الشباب : ما تقضى منه .

وقال من قصيدة لعضد الدولة [من المنسرح] :

يا عضد الدولة الذي قمعت دولته الدهر وهو جبار
أنت نهاراً والعالمون دجىً وأنت طرفاً والناس أعيار^(١)
ليس لنا في المديح محمداً فعلك غيث والقول نوار
وله من أخرى فيه [من المتقارب] :

سلمت على عثرات الزما ن يا عضد الدولة المنتخب
ولا زلت ترفع من دولة تواضعت فيها بهذا اللقب
قسمت زمانك بين الهمو م تنعم فيها وبين البدأ^(٢)
فيوماً تمر عفاة النسو ر ويوماً تمر عفاة الأدب^(٣)

وقال من قصيدة في عضد الدولة يصف فيها نار السدق [من الطويل] :

لعمرى لقد أذكى الهمام بأرضه مشهراً يتابها الفجر صالياً^(٤)
تغيب النجوم الزهر عند طلوعها وتحسد أيام الشهور اللياليا
هي الليلة الغراء في كل شتوة تغادر جيد الدهر أتلع حالياً^(٥)

وقال وقد كثر الإرجاف بعلّة عضد الدولة رحمه الله تعالى [من البسيط] :

إذا سمعت حديثاً عنك أحسبه يرتاع قلبي وما ألفي بمرتاع
تجلّد الحر لا ينسى حفيظته ولو رأى دمه يستنّ بالقاع
أرجوك أقرب ما قالوا به رموً وحين يؤيس منك المؤيس الناعي^(٦)

(١) الطرف : بكسر فسكون - الفرس ، والأعيار : جمع عير ، وهو الحمار .

(٢) الأدب : العمل والمثابرة .

(٣) تمر : من المير ، وهو الطعام وغيره .

(٤) أذكى : أوقد .

(٥) الجيد : العنق ، والأتلع : المنتصب .

(٦) الرمو : بقية الروح .

وَأَسْأَلُ الرِّكْبَ هَلْ أَحْسَسْتُمْ فِزْعاً لَوْ كَانَ مِيتاً لَضَاعَتْ ثَلَاثَةُ الرَّاعِي
أَرْضِي وَأَقْنَعْ بِالْأَطْمَاعِ كَاذِبَةً فَمَا يَضُرُّكَ لَوْ أَبْقَيْتَ أَطْمَاعِي
قَدْ كَادَ يَعْرِفُ وَجْهَ الذِّلِّ فِي نَظْرِي وَيُظْهِرُ الْعِجْزَ وَالتَّقْصِيرَ فِي بَاعِي^(١)

* * *

غُرَرُ الْأَوْصَافِ

قال في وصف فرس أدهم أغر محجل، حملة عليه سيف الدولة أبو الحسن [من الكامل]:

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي أَخْلَقَهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَرَوَّاهُ مِنْ رَأْيِهِ
قَدْ جَاءَنِي الطَّرْفُ الَّذِي أَهْدَيْتَهُ هَادِيَهُ يَعْقِدُ أَرْضَهُ بِسَمَائِهِ
أَوْلَايَةً وَلَيْتَنَا فَبَعَثْتَهُ
يَخْتَالُ مِنْهُ عَلَى أَغْرٍ مَحْجَلٍ مَاءَ الدِّيَاجِ قَطْرَةٌ مِنْ مَائِهِ
وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فَاقْتَصَرَ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ
مَتْمَهلاً وَالْبَرْقُ مِنْ أَسْمَائِهِ مَتَبَرِّقِئاً وَالْبَدْرُ مِنْ أَكْفَائِهِ
مَا كَانَتْ النَّيْرَانُ يَكْمُنُ حَرَّهَا لَوْ كَانَ لِلنَّيْرَانِ بَعْضُ ذِكَائِهِ
لَا تَعْلُقُ الْأَلْحَازُ فِي أَعْطَافِهِ إِلَّا إِذَا كَفَكَفَتْ مِنْ غُلَوَائِهِ^(٢)
لَا يَكْمُلُ الطَّرْفُ الْمَحَاسِنَ كُلِّهَا حَتَّى يَكُونَ الطَّرْفُ مِنْ أَسْرَائِهِ

وقال أيضاً في وصف هذا الفرس [من الوافر]:

وَأَدْهَمَ يَسْتَمِدُّ اللَّيْلَ مِنْهُ وَتَطْلُعُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الثَّرْيَا^(٣)
سَرَى خَلْفَ الصَّبَاحِ يَطِيرُ مَشِياً وَيَطْوِي خَلْفَهُ الْأَفْلَاكَ طَيًّا

(١) باعي : يعني الباع في الإنسان : الذراع والعضد .

(٢) السَّيِّبُ مِنَ الْفَرَسِ : شعر الذنب والعُرفُ والناصية .

(٣) غُلَوَائِهِ : يقصد شدَّةَ سرعته .

(٤) الأدهم : الأسود .

فلما خاف وشك الفت منه تشبّث بالقوائم والمحيا
وله في وصف سكين [من السريع] :

مرهفةٌ تعجز وصف اللسان للسيف معنى ولها معنيان
تخلفه في حده تارةً وتارةً تخلف حدّ السنان
ما أبصر الرءون من قبلها ماءً وناراً جمعاً في مكان

* * *

فقر وملح وأمثال وحكم

قال في ذم العراق [من الوافر] :

بلادٌ أنفس الاحرار فيها كضبّ القاع تروى بالنسيم
يجوز بها وينفق كل شيءٍ سوى الآداب طراً والعلوم

وقال يصف كمة الحرب [من الوافر] :

نسوا أحلامهم تحت العوالي ولا أحلام للقوم الغضاب
إذا كانت نحورهم دروعاً فما معنى السوابغ في العياب^(١)

وقال يصف طيب الهواء [من الوافر] :

ألا يا جذا طيب الغبوق وملبوسٌ من العيش الرقيق^(٢)
إذا ما الصبح أسفر نبهتي جنوبٌ مسّها مسّ الشفيق^(٣)

(١) السوابغ : الدروع .

(٢) الغبوق : الخمر يشرب مساءً .

(٣) الجنوب : الريح تهبّ من الجنوب .

ألم فيه بقول ابن المعتز [من البسيط] :

والريح تجذب أطراف الرداء كما أفضى الشقيق إلى تنبيه وسان
(رجع) :

وفتيان تهمهم هموم حديثهم ألد من الرحيق^(١)

وقال [من الطويل] :

وكنت إذا ما حاجة حال دونها نهاراً وليلٌ ليس يعتذران
حملت على حكم القضاء ملامها ولم ألزم الإخوان ذنب زماني
وقال من قصيدة في سيف الدولة [من الطويل] :

وأفلت نفقور يرقع جلده وفيه لآثار السلاح خروق^(٢)
يجرّ العوالي والسهام بجسمه كمحتطبٍ للحمل ليس يطيق
سرقه من قول عنترة [من المتقارب] :

وغادرن نضلة في معرك يجرّ الأسنة كالمحتطب

وقال [من الطويل] :

ألا فاخش ما يرجى وجدك هابط ولا تخش ما يخشى وجدك رافع
فلا نافع إلا مع النحس ضائر ولا ضائر إلا مع السعد نافع

سرقه من قول يزيد بن محمد المهلي [من الكامل] :

وإذا جددت فكل شيء نافع وإذا حدت فكل شيء ضائر

(١) الرحيق : الخمر .

(٢) نفقور : اسم امير من أمراء الروم .

وقال [من البسيط]:

سعى رجال فنالوا قدر سعيهم لم يأت رزقٌ بلا سعيٍ ولا طلبِ
حسن التأتّي مفاتيح الغنى ، وعلى قدر المطالب تلفى شدة التعب

وقال في نظم مثل من كتاب كيلة ودمنة [من المنسرح]:

أحسد قوماً عليك قد غلبوا وكلُّ من بادرَ المنى غلبا
وكنْتَ كالكرم في تكرمهِ تلتفَّ أوراقه بما قربا

وقال [من الوافر]:

وإني لا أزال ألوم نفسي على طول التجنّب والبعادِ
وما أعتاض بالأقوام منكم وهل يعتاض صدرٌ من فؤاد ؟^(١)

وقال [من الوافر]:

وما استبطأت كفك في نوالٍ على عُدواء نأي واقتراب^(٢)
ولو كان الحجاب لغير نفعٍ لما احتاج الفؤاد إلى حجاب

هذا أحسن ما قيل في الحجاب ، وأحسبه بعد قول أبي تمام [من البسيط]:

ليس الحجاب بمقصٍ عنك لي أملاً إنَّ السَّماء لترجي حين تحتجبُ

وقال [من الكامل]:

مثل خلعت على الزمان رواءه عوز الدراهم آفة الأجوادِ

وقال [من الكامل]:

من لم يذق غصص التفرّق لم يمت الموت رمحٌ والفراق سنائهُ

(١) اعتاض : اكتفى واستبدل .

(٢) العدواء : المركب الذي لا يطمئن من قعد عليه ، أو الأرض الصلبة غير المطمئنة ، والنأي : البعد .

وقال [من الكامل] :

يهوي الشاء مبرّزٌ ومقصرٌ حبّ الشاء طيعة الإنسان

وقال [من الوافر] :

نعللُ بالدواء إذا مرضنا وهل يشفي من الموت الدواء ؟
ونختار الطيب وهل طيبٌ يؤخّر ما يقدمه القضاء ؟
وما أنفاسنا إلاّ حسابٌ وما حركاتنا إلاّ فناء

وقال ، وهو من قلائده البديعة ، لشرف الدولة أبي الفوارس [من المتقارب] :

أسرّ إليك مقال النصيح ولست إلى النصيح بالمفتقر
عليك إذا ضاغتكَ الرجال بضرب الرؤوس وطعن الثغر^(١)
ولا تحقرنْ عدواً رماك وإن كان في ساعديه قصر
فإنّ الحسام يحزّ الرقاب ويعجز عما تنال الإبر
وينفع في الرّوع كيد الجبان كما لا يضرّ الشجاع الحذر
شبّ الرعب بالرهب وامزج لهم كما يفعل الدهر حلواً بمر^(٢)

* * *

١٣٦ - أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي

من أشعر أهل العراق ، قولاً بالإطلاق ، وشهادة بالاستحقاق . وعلى ما
أجريته من ذكره ، شاهد عدل من شعره والذي كتبت من محاسنه نزه العيون ، ورقى
القلوب ، ومنى النفوس .

(١) ضاغتكَ : من الضغينة أي إضمار الحقد والبغض .

(٢) شبّ : فعل أمر من شاب أي مزج .

ومن خبره أنه ولد في كرخ بغداد ، آخر نهار يوم الجمعة لست خلون من رجب سنة سنت وثلاثين وثلاثمائة ، ونسبته في بني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب ، وأمه شاعرة ، وقال الشعر وهو ابن عشر سنين ، فمن أول شعر قاله في المكتب قوله [من المنسرح] :

بدائع الحسن فيه مفترقة وأعين الناس فيه متفقه
سهام الحافظه مفوَّقة فكل من رام لحظه رشقه ^(١)
قد كتب الحسن فوق عارضه هذا مليح وحق من خلقه
وركب في صباه سمارية ولم يكن رأى دجلة قبل ذلك فقال [من الوافر] :

وميدان تجول به خيول تقود الدارعين ولا تقاد
ركبت به إلى اللذات طرِفاً له جسم وليس له فؤاد ^(٢)
جری فظننت أن الأرض وجهٌ ودجلة ناظرٌ وهو السواد

ورأى في يد غلام يميل إليه مرآة فقال [من المنسرح] :

رأيته والمرآة في يده كأنها شمسٌ على ملك
فقلت للصورة التي احتجبتُ من غير زهدٍ فينا ولا نُسك
يا أشبه الناس بالحبيب ألا تخبرنا عنك غير مؤتفك ^(٣)
قال أنا البدر زرت بدركم وهذه قطعة من الفلك
قلت فإني أرى بها صداً فقال هذا بقية الحبك ^(٤)

وخرج من مدينة السلام ، وورد الموصل وهو صبي حين راهق ، فوجد بها

(١) المفوَّقة : يقال فوق السَّهم : أي أراشه وأمدّه .

(٢) الطرف : الجيد من الخيل .

(٣) المؤتفك : من الإفك ، وهو رمي الإنسان بحديث كذب .

(٤) الحبك : الحياكة والنسج ، وجبك الشيء بالشيء : جمعه .

أبا عثمان الخالدي، وأبا الفرج البيغاء، وأبا الحسين التلعفري، وشيوخ الشعراء، فلما رأوه عجبوا منه واتهموه بأن الشعر ليس له، فقال الخالدي: أنا أكفيكم أمره، واتخذ دعوة جمع الشعراء فيها، وحصل السلامي معهم، فلما توسطوا الشرب أخذوا في ملاحاته، والتفتيش على قدر بضاعته، فلم يلبثوا أن جاء مطر شديد وبرد ستر الأرض، فألقى أبو عثمان نارنجا كان بين أيديهم على ذلك البرد، وقال: يا أصحابنا هل لكم في أن نصف هذا؟ فقال السلامي ارتجالاً [من مجزوء الكامل]:

الله در الخالديّ الأوحديّ التّدب الخطير
أهدى لماء المزن عنـد جموده نار السعير
حتى إذا صدر العتاب إليه عن حقّ الصّدور
بعثتْ إليه بعذره من خاطري أيدي السرور
لا تعذّلوه فإنّه أهدى الخدود إلى الثغور

فلما رأوا ذلك أمسكوا عنه. وكانوا يصفونه بالفضل، ويعترفون له بالحق إلا التلعفري فإنه أقام على قوله الأول حتى قال فيه السلامي [من الكامل]:

يا شاعراً بسقوطه لم يشعر
لو كنت تعرف والداً تسمو به
تاه ابن بائعة الفسوق على الوري
وبلادة في الشعر تشهد أنّه
يحلّو بأفواه الأنامل صفعه
وقال فيه أيضاً [من الوافر]:

سما التلعفريُّ الى وصالي ونفس الكلب تكبر عن وصالي

(١) القذال: القفا، والأبخر: من رائحة فمه كريهه.

ينافي خلقه خلقي فتأبى فعالى أن تضاف إلى فعاله
فصنعتي النفيسة في لساني وصنعتة الخسيسة في قذاله
فان أشعرُ فما هو من رجالي وإن يصفعُ فما أنا من رجاله

ودخل يوماً إلى أبي تغلب وبين يديه درع فقال : صفها ، فارتجل [من الكامل] :

يا ربّ سابغةً حبتني نعمةً كافأتها بالسوء غير مفنّد^(١)
أضحت تصون عن المنايا مهجتي وظللت أبذلها لكلّ مهنّد

وورد حضرة صاحب بأصبهان واستمطر منه بنوء غزير ، وسرى في ضوء قمر

منير ، ولقيه بقصيدة منها [من الوافر] :

رُقى العذال أم خدعُ الرقيب سقتُ وردَ الخدود من القلوب
وأباهُ الصبابة أم بنوها يروضون الشبيبة للمشيب^(٢)
وقفنا موقف التوديع نوطي نجوم الدمع آفاق الغروب
تعجب من عناقٍ جرّ دمعاً وتقبيلٍ يشيعُ بالنحيب
وقد ضاق العناق فلو فطناً دخلنا في المخانق والجيوب^(٣)
ونحن أولاك نطلب من بعيدٍ لعزتنا وندرك من قريب
تبسّطنا على الآثام لمّا رأينا العفو من ثمر الذنوب

هذا البيت من إحسانه المشهور ، ولعله امير شعره .

ولولا الصاحبُ اخترع القوافي لما سهل الخلاصُ من النسيب
ومن يثني الى ليثٍ هصورٍ لوحظه عن الرشاء الربيب^(٤)

(١) مفنّد: من التفنيد وهو الكذب .

(٢) يروضون : راض الشيء : ساسه وكبح حماحه .

(٣) المخانق : القلادة والعقد .

(٤) الليث المصور : الأسد المفترس ، والرشأ : ولد الغزال .

وكيف يمسّ حد السيف طوعاً وشبهها فكنت أبا نواسٍ
ومن يك مثل عبّادِ أبوه
أحرز الخائف الجاني، وكثر الـمقلّ المعفى ، وأخا الغريب^(١)
أمالك غير بأسك من عتادٍ
ترؤض مصاعب الأيام قهراً
وتبذل دون تاج الملك نفساً
وجربت الملوك فما أصابت
فمن غصب الإمارة إذ حواها
توارثها الكفاة وتقتضيها
تمائمكم مناطكم إذا ما
دعيتم في المهود بها وعدت
ولو صدقتك جنّ الليل عني
مع القرنين من قلمٍ وطرسٍ
أشقّ الفكر عن لفظٍ بديعٍ

قريب الكفّ من غصن رطيب
ولكن جلّ عن قدر الخصيب
يعشّ بين الأنام بلا ضريب
ولا غير العظام من ركوب
وتحملها على عودٍ صليب
متيّمه بتنفيس الكروب
لداء الملك غيرك من طيب
فما تحوي الوزارة بالغصوب
مناسب معرقٍ فيها نسيب^(٢)
جفت بحضور شبّان وشيب
لكم قبل التصدّر والركوب
شغفت بفنّ إنسيّ عجيب
أو العبدین من طاسٍ وكوب^(٣)
فيقدم بي على معنّى غريب

ولقي مؤيد الدولة بقصيدة أولها [من الكامل] :

وصل الخيال ومنك رمت وصالا
زار الخيال فلا تزرني في الكرى
قد كنت فيك شككت يا بدر الدجى
وهواك علّمني القريض فزاد في

هذي الزيارة لا تعدّ نوالا
حاشا لحسنك أن يكون خيالا
حتى رأيتك في اللثام هلالا
حيّك أني منه أكسب مالا

(١) الحرز : الأمان والملجأ ، والمعفى : الفقير .

(٢) المعرق : الأصيل في النسب .

(٣) الطرس : الكتاب ، والصحيقة .

هو منهضي نحو الأمير وهمّة حملت إليه صلاته آمالاً^(١)
 ووتيرة الشعراء في مدح وفي منح فتجمع مفخراً ونوالاً
 ضربوا لك الأمثال في أشعارهم لكنني بك أضرب الأمثال

ولقي الصاحب بأرجوزة حسنة ، منها [من الرجز] :

يا راقداً لولا الخيال ما رقداً هل لك في عارية لا تسترد^(٢)
 موشي أثواب الجمال بالغيد وفر حظ جيده من الجيد
 لو لم يفض ماء الشباب لا تقدر قد استدار صدغه حتى انعقد
 وصين ورد خده عمن ورد إن أبا القاسم كالسيف الفرند^(٣)
 ذو بدعات لم تخلد في خلد أغرّ ميمون به الملك اعتضد
 فما تحل الوزراء ما عقد بجهدهم ما قاله وما اجتهد
 شتان ما بين الأسود والنقد هل يستوى البحر الخضم والثمند^(٤)
 أمني من كل خير مستعد أن يسلم الصاحب لي طول الأبد
 حتى يقال لم يطل عمر لبد فما أبو ألف رئيس معتمد^(٥)
 كل غلام منهم رب بلد يا سعدة من والد بما ولد
 وشم بروق سيفه إذا وقد وانساب ماء المزن فيه واطرد
 كالروح لا تكمن إلا في جسد يحمله عبل الشوى عبل الكبد^(٦)
 ينجده وهو عريق في النجد وإن جرى كانت له الريح مدد

(١) الصلات : العطايا .

(٢) العارية : الأمانة والقرض .

(٣) الفرند : السيف بالفارسية .

(٤) الثمد : القليل من الماء .

(٥) لبد : من كنى النسر ، وهو يعمر طويلاً .

(٦) العبل : الضخم ، والشوى .

خاض الدماء وتحلى بالزبد كأنه إنسان عين في رمد^(١)
يا مجري الفكر إلى أقصى أمد اسمع فقد انجز حرماً وعد
عذار لم يقرع بها سمع أحد لو عرضت على أبي النجم سجد
وخل من عاندني وما اعتقد فليس للحاسد إلا ما حسد

وكتب من أصفهان إلى ذي الكفایتین ابی الفتح بن العمید وهو بالري قصيدة
منها [من الكامل] :

عَبَرَ الجِوَادِ بِي الْفِرَاتِ وَدَجَلَةً وَآتَى نِدَاكَ فَلَيْسَ يَعْرِفُ مَعْبَرَا
فَالآنَ يَرْجِعُ يَا عَلِيُّ الْقَهْقَرَى لَمْ يَسْتَطِعْ مُتَقَدِّمًا فَتَأَخَّرَا
وَأَعِيذُهَا مِنْ أَنْ يِعَارِضَ مِثْلَهَا بَادٍ هَوَاكَ صَبَرْتَ أَمْ لَمْ تَصْبِرَا
قَالَتْ وَقَدْ بَعَثَ الْمُلُوكُ بِمَهْرَهَا مَهْرِي سِوَاكَ فَكُنْ لَغَيْرِي جَوْهَرَا
مَا ضَرَّهَا إِلَّا تَوَاطَوْ طِيءٍ فِيهَا عَلَى نَحْتِ الْمَعَانِي بِحْتِرَا^(٢)
جَمَلٌ غَدَا عَنْهَا جَمِيلٌ مَفْحَمًا وَكَثُرْنَ فِي تَفْصِيلِهِنَّ كَثِيرَا^(٣)

وكان بحضرة صاحب شيخ يكنى بأبي دلف مسعر بن مهلهل النبطي يشعر
ويتطب ويتنجم ، ويحسد السلامي على منزلته ، فيتعرض له ويولع به . حتى
ألقمه السلامي الحجر بأن قال له يوماً [من الخفيف] :

قَالَ يَوْمًا لَنَا أَبُو دَلْفٍ أَبْرَدُ مِنْ تَطَرَّقِ الْهَمُومِ فَوَادَةً
لِي شَعَرَ كَالْمَاءِ قَلَّتْ أَصَابُ الشَّيْخِ لَكِنْ لَفْظُهُ بَرَادَةٌ
أَنْتَ شَيْخُ الْمُنْجَمِينَ وَلَكِنْ لَسْتُ فِي حَكْمِهِمْ تَنَالُ السَّعَادَةَ
وَطِيبٌ مَجْرَبٌ مَالُهُ بِالْمَنْجَحِ فِي كُلِّ مَا يَجْرِبُ عَادَةٌ

(١) إنسان العين : ناظرها .

(٢) بحترا : يعني البحري الشاعر العباسي المشهور .

(٣) جميل : يعني جميل بشية ، وكثير : يعني كثير عزة ، وهما من شعراء الغزل والنسب في العصر

الأموي .

مرّ يوماً إلى عليلٍ فقلنا قرّ عيناً فقد رزقت الشهادة^(١)

ولم يزل السلامي بحضرة الصاحب بين خير مستفيض، وجاه عريض، ونعم بيض، إلى أن أثر قصد حضرة عضد الدولة بشيراز، فجهزه الصاحب إليها، وزوده كتاباً بخطه إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف نسخته :

قد علم مولاي أطال الله بقاءه أن باعة الشعر أكثر من عدد الشعر، ومن يوثق بأن حليه التي يهديها من صوغ طبعه، وحلله التي يؤديها من نسج فكره. أقل من ذلك. وممن خبرته بالامتحان فأحمدته، وقررت بالاختيار فاخترته. أبو الحسن محمد بن عبد الله المخزومي السلامي أيدته الله تعالى، وله بديهة قوية توفي على الروية، ومذهب في الإجابة يهش السمع لوعيه، كما يرتاح الطرف لرعيه، وقد امتطى أمله، وخير له إلى الحضرة الجليلة رجاء أن يحصل في سواد أمثاله، ويظهر معهم بياض حاله. فجهزت منه أمير الشعر في موكبه، وحليت فرس البلاغة بمركبه، وكتابي هذا رائده إلى القطر، بل مشرعه إلى البحر. فإن رأى مولاي أن يراعي كلامي في بابه، ويجعل ذلك ذرائع إيجابه، فعل إن شاء الله تعالى.

فلما وردها تكفل به أبو القاسم، وأفضل عليه، وأوصله إلى عضد الدولة، حتى أنشده قصيدته التي منها [من الطويل]:

إليك طوى عرض البسيطة جاعل قصارى المطايا أن يلوح لها القصرُ
فكنت وعزمي في الظلام وصارمي ثلاثة أشباه كما اجتمع النسر
فبشّرت آمالي بملك هو الوري ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

فاشتمل عليه جناح القبول، ودفع إليه مفتاح المأمول. واختص بخدمة عضد الدولة في مقامه. وطمعته إلى العراق، وتوفر حظه من صلاته وخلعه، واللهم تفتح اللهم، وسير فيه قصائد كتبت عيون غررها، وكان عضد الدولة يقول: إذا

(١) قرّ عيناً: هدأ وسكن.

رأيت السلامي في مجلس ظننت أن عطارداً نزل من الفلك الي ، ووقف بين يدي .
ولما توفي عضد الدولة تراجع طبع السلامي ، ورقت حاله ، ثم ما زالت تتماسك
مرة وتنداعى أخرى حتى انتقل الى جوار ربه ، في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة .

* * *

ما أخرج من غرره في النسيب والغزل

قال [من الوافر] :

مُنيتُ بمن إذا مُنيتُ أفضت منايَ إلى بنفسج عارضيه
وفاضت رحمةً لي حين ولّى مدامعُ كاتبِي وكاتبِيه

وقال أيضاً [من المتقارب] :

ومختصر الخصر من بعده هربت فألقيت في صدّه
وقابلني وجهه مقبلاً بحدّ الحسام وإفرنده
فما زلت أعصر من خدّه وأقطف من مجتنى ورده
أشمّ بنفسج أصداغه وزهراً تعصفر في خدّه
وأظما فأرشف من ريقه فياحرّ صدري من برده
وما للحاظ سوى وجهه وما للعناق سوى قدّه

وقال أيضاً سامحه الله تعالى [من الطويل] :

وفيهن سكرى للحظ سكرى من الصبا تعاتب حلو اللفظ حلو الشمائل
أدارت علينا من سلافٍ حديثها كؤوساً وغنّتنا بصوت الخلاخل

وقال من قصيدة شبب فيها بغلام بدوي كان معه [من المتقارب] :

تعلّقته بدوي اللسا ن والوجه والزي ثبت الجنان^(١)

(١) ثبت الجنان : ثبت العقل وراجحه .

أعانق من قده صعدةً
أدار اللثام على ثغره
ومسك ذوائبه سائلٌ
يذوب اشتياقاً لنبح الكلاب
أحييه بالورد والياسمين
ويشتاق فينا عواء الذئاب
فيا بدويُّ سهام الجفون
فإن كان دينك رعيَ الذمام
تري اللحظ منها مكان السنان^(١)
فأهدى الشقيق إلى الأقحوان
على آس دياجه الخسرواني^(٢)
إذا هاجنا طرب الغطرفان^(٣)
فيصبو إلى الشّيح والأيهقان^(٤)
إذا هاجنا طرب العتران^(٥)
صر عن ضيوفك حول الجفان
فقل أنت من ذمتي في أمان

ومن قصيدة شبب فيها بغلام عيار من الشطار [من المنسرح]:

يا مرهفاً في لحاظه مرهفٌ
من أودع الورد وجنتيك ومن
ومال هذا الصدغ المشوش قد
أطلع أفق العجاج لي قمراً
يقطر ماء الجمال منه وير
ومسرف الحسن لا يلام إذا
عقّف كلابه وأرهفه
ومخطف القدّ سهمه مخطفٌ
نقش طرز العذار أو غلفٌ
عارض طرق التقبيل واستهدف
بين نجوم تجول أو تزحف^(٦)
تجّ إذا ارتج ردفه المردف
جار على عاشقيه أو أسرف^(٧)
فقلت يكفيك صدغك الأعقف^(٨)

(١) الصعدة : القناة المستوية .

(٢) الآس : الریحان ، نبات ذو ثمار كروية بيضاء وسوداء ، ورقه عطر .

(٣) الغطرفان : الغطريف السيد الشريف ، والسّخي السّري ، والغطرفة : الخيلاء والتكبر .

(٤) الأيهقان : عشبٌ يطول وله وردةٌ حمراء ، وورقه عريض ، ويؤكل .

(٥) العتران : الدّيك .

(٦) العجاج : الغبار والدخان .

(٧) أسرف : جاوز الحد .

(٨) الكلاب : حديدة عقفاء يعلّق، وأرهفه : جعله ماضياً عليها .

تغنيك عن سهمك اللحاظ وعن صارمك العضب قدك الأهيف
ومال كفي على سوائفه والموت من دون لمسها يسلف
فمرّ مرّ السحاب يسحب فضـل الكـم عجباً وفاضل المطرف^(١)
وقال والورد قد تعصفر في خديه غيظاً وآن أن يقطف
مثلك يلقي يداً عليّ أما يخاف من ناظري أن يتلف
لو مر بي الليث مات خوفاً ولو أبصر طيفي في النوم لم يطرف
أنا العذاب المذاب والأسد الأ أشطر منّي فتىً إذا وقعت
إذا شربنا بنت الكروم فبالبيض نحيا وبالقنا نتحف
لولا توقيّ أو مراقبتي أنّي عزيزٌ وأنت مستضعف^(٢)
نحرت حتى السماء واقعةً فوقي والأرض تحتنا تخسف
فقلت مهلاً فليست أول من أخطأ جهلاً من قبل ان يعرف
البدر لا ينسخ الظلام على دياجته والبحر لا ينزف
عزمت ان أدعي عليك فلا تصغ إلى من لحا ومن عنف
ولا تكلني إلى اليمين فلو شئت أكلت الزبور والمصحف^(٣)
فافتّر عن لؤلؤ وأسفر عن ورد وقبّله فما استنكف^(٤)
وقال ما تشتهي فقلت له نقصف حسادنا بأن نقصف
فمال بي والظلام شملته وفجره في يمينه مرهف
إلى رياض يغازل القطر ما دبّج من زهرها وما فوّف^(٥)

(١) العجب : التيه .

(٢) المقرّف : الوجه القبيح ، أو المرض الممرض .

(٣) توقّي : احتراسي .

(٤) الزبور : كتاب داود عليه السلام .

(٥) استنكف : اعترض وأشاح .

(٦) فوّف : زين وأبدع .

ما بين فتیان لذق عرفوا العيش فنالوا نعيمه الألف
 هذا يحيي وذا يغار وذا يلثم كرهاً وذاك يستعطف
 برد الثرى بردنا وقد زرّ البدر علينا دواجه المحصف^(١)
 وبيننا خمرتان من ريقة الكرم وريق أشهى من القرقف
 ولطف الله لي بمدرجة أمثالها عند مثلي تطف
 أنشدته شعر مكشّف فأتى يلثم تلك السطور والأحرف
 ومات سكرًا فمتّ من فرح وكاد ستر الغرام أن يكشف
 وله في غلام عباسي التحى فازداد حسناً [من المنسرح]:

لما التحى أصبحت عمامته السوداء تجلي مخضرة الحبك
 وصار يختال أن يلين بخلق الخرز عن ردفه أو الفتك
 في كل يوم تراه مؤتزراً بالروض بين الحياض والبرك
 وما علمنا بآته قمر حتى اكتسى قطعة من الفلك
 وقال من أرجوزة [من الرجز]:

وليلة كأنها على حذر	ممرها أسرع من لمح البصر
من قبلها لم أر ليلاً مختصر	ولا زماناً لم يبن من القصر
والليل لا يكرب إلا في غرر	إذا وفي أحبابنا فيه غدر
زار وما اسودّ الدجى ولا اعتكر	أبيض إلا المقلتين والشعر
أغر أوقاتى إذا زار غرر	فلم يكن إلا السلام والنظر ^(٢)
أو قبلة خالستها على خطر	حتى انتضى الصبح حساماً مشتهر
وانفل من أهواه في جيش البكر	فبت محزوناً كأنّي لم أزر

* واحسرتنا لليلنا كيف انحسر *

(١) المحصف : المحكم ، أو المبعد .

(٢) زار غرر : أي على حين غفلة .

وقال [من المتقارب] :

عذارك جادت عليه الرياض بأجفانها وبأماقها
وطال غرام الغواني به فقد طرّزته بأحداقها

وقال [من الخفيف] :

فاض ماء الجمال في الأقطار كلّ بدرٍ مطرّزٌ بعذارٍ
قد أرانا عقارب الشعر من خدّ به تأوي مكامن الجلنار

وقال من قصيدة [من المتقارب] :

يفضُّ الغزال جفون الغزل وقد فضح الكحل فيها الكحل^(١)
ولا وجني الورد في وجنتيه ما أوجب اللثم ذاك الخجل

وقال من أخرى [من الكامل] :

ما تسرع الألحاظ تخطف وردةً من خدّه إلا عثرن بخاله
مذ نقّبوه وزرّفنوا أصداغه ختموا بغاليةٍ على أقفاله^(٢)

وقال [من الرجز] :

تعرّض الشعر لعارضيه وأطلق العشاق من يديه
كأن الصبا يهتزّ في عطفه والحسن تجري خيله إليه^(٣)
حتى إذا أبصر وجنتيه حجبنا بمثل حاجبيه
جاد عذاريه بعبرتيه كأنما يغسل من خديّه

* صحيفة قد كتبت عليه *

(١) يفض : يفت .

(٢) الزرّفين : حلقة للباب ، والغالية : وعاء الطيب .

(٣) عطفية : جانبه .

وقال من قصيدة شبب فيها بغلام تركي [من الكامل] :

عَلَقْتُ مَفْتَرَسَ الضَّرَاغِمِ فَارْساً	رَحِبَ الْمَدَى وَالصَّدْرَ وَالْمِيدَانَ
قَمَرٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ تَشْهَدُ أَنَّهُ	الْخُودُ الْحَصَانُ عَلَى أَقْبَ حَصَانٍ ^(١)
الْبَدْرُ فِي ظِلِّ الْغَمَامَةِ وَالنَّقَا	فِي سَرْجِهِ وَالْغَصْنُ فِي الْخَفْتَانِ
أَلْفَتْ طَرْتَهُ وَغَرْتَهُ وَمَا	كَانَ الدَّجَى وَالصَّبْحُ يَأْتِلِفَانِ
وَرَمَى بِلَحْظِيهِ الْقُلُوبَ وَسَهْمَهُ	فَعَجِبْتُ كَيْفَ تَشَابَهَ السَّهْمَانِ
بَطْلٌ حَمَائِلُهُ كَعَارِضِهِ وَحَا	جِبَهُ الْأَزْجِ كَقَوْسِهِ الْمَرْنَانِ ^(٢)
حَيَّتَهُ فِدْنَا وَأَمْطَرَ رَاحَتِي	قَبْلاً فَلَيْتَ فَمَيَّ مَكَانَ بَنَانِي
وَخَدَعْتَهُ بِالْكَأْسِ حَتَّى ارْتَضَى لِي	وَدَرَأْتُ عَنِّي الْحَدَّ بِالْكَتْمَانِ ^(٣)
وَالْمَرْءَ مَا شَغَلْتَهُ فَرَصَةٌ لَذَّةٌ	نَاسِي الْعَوَاقِبَ آمِنَ الْحَدَثَانِ

وقال من قصيدة [من البسيط] :

وَأَعْرَضْتُ إِذْ رَأْتُ فِي عَارِضِي دُرّاً	مَنْظُومَةً مَعَهَا الْأَحْزَانُ تَنْتَظِمُ
وَلِلصَّبَابَةِ قَوْمٌ لَا يَسْرَهُمْ	أَنْ يَلْبَسُوا الْوَشْيَ إِلَّا تَحْتَهُ سَقَمُ
أَشْتَاقُ أَهْلِي لَطْبِي بَيْنَ أَرْحَلِهِمْ	وَالْحُبُّ يُوْصِلُ إِذْ لَا تُوْصِلُ الرَّحِمُ

ومن أخرى [من البسيط] :

مَا ضَنَّ عَنْكَ بِمَوْجُودٍ وَلَا بَخْلًا	أَعَزَّ مَا عِنْدَهُ النَّفْسُ الَّتِي بَذَلَا
يُحْكِي الْمَطَايَا حَنِيناً وَالْهَجِيرَ جَوًى	وَالْمَزْنَ دُمْعاً وَأَطْلَالَ الدِّيَارِ بَلَى

(١) الخود الحصان : المرأة الجميلة العفيفة . والحصان الأقب : الضامر البطن الدقيق الخصر .

(٢) الأزج : الرقيق في الطول . والمرنان هنا : ذات الصوت ، ويقال على القوس ، تسمى بذلك الرنين صوتها .

(٣) درأت : منعت وتوقيت .

ومن أخرى [من البسيط]:

الحبّ كالدهر يعطينا ويرتجع	لا اليأس يصدقنا عنه ولا الطمعُ
صحيّتهُ والصّبأ يغري الصبابة بي	والوصل طفلٌ غريّرٌ والهوى يفع ^(١)
أيام لا النوم في أجفاننا خلّسُ	ولا الزيارة من أحبابنا لمع
وليلة لا ينال الفكر آخرها	كأنما طرفاها الصبر والجزع
إذ الشبيبة سيفي والهوى فرسي	ورايتي اللهو واللذات لي شيع ^(٢)
أحييتها ونديمي في الدحا أملُ	رحب الذرى وسميري خاطر صنع ^(٣)
حتى تبسم إعجاباً بزيتته	لفظٌ بديع ومعنى فيك مخترع

ومن أخرى [من الطويل]:

رسولي إذا لم يغشهنّ رسول	صبأً وقبولٌ بل صبأً وقبولُ
وقلبٌ سوى قلب الكتيبة باسلُ	وحدّ سوى حد الحسام صقيل
وما حسن صبر ما ترين ولا رضا	بنأيٍ ولكن المحبّ حمول

كأنه ألم فيه بقول المتنبي [من الطويل]:

وما عشت من بعد الأحبة سلوةً	ولكنّني للنائبات حمول
-----------------------------	-----------------------

ومن أخرى [من الخفيف]:

أنوارُ وأين دار نُوار	أظلم الناس في أشطّ الديارِ
ذات صدغٍ من البنفسج قدما	ل على وجنةٍ من الجلنار

(١) اليفع : الناشئ الحدث

(٢) شيع : أتباع.

(٣) الدحا : السعة ، والدفع ، والبسط .

ومن أخرى [من الوافر] :

ويغريني بذكر الربع غيدُ به صيدُ وحوور فيه عينُ
سَلَلْنَ من الحداق السود بيضاً فما ندري قيانُ أم قيون^(١)

* * *

الخمريات وما يتعلق بها من سائر الأوصاف والتشبيهات

كتب إلى صديق له يصف النارج [من الوافر] :

أَتَنَشِطُ للصُّبُوحِ أبَا عليٍّ على حكم المني ورضا الصديق^(٢)
بنهر للرياح عليه درع تَذَهَّبُ بالغروب وبالشروق
إذا اصْفَرَّتْ عليه الشمس صَبَّتْ على أمواجه ماء الخلق^(٣)
وقفت به فكم خدٌ رقيقٍ يغازلني على قدٍ رشيق
وجمر شبٍّ في الأغصان حتى أضاع الماء في وهج الحريق^(٤)
فذهُم الخيل في ميدان تبرٍ يصاغ لها كراتٌ من عقيق
فهل لك في ختام المسك فضتُ نوافجه ومختوم الرحيق^(٥)

وكتب إليه في وصف الجلنار [من الوافر] :

أَحْنُ إلى لقاء أبي عليٍّ ويأبى أن يحنَّ إلى جوارِي
وقد جلبتُ علينا الراح حتى مللنا جلوة البيض العذاري
وصفَّرَ أوجهَ العذالِ يومٌ وجوه شموسة تحكي اصفرارِي

(١) القيون : الحدادين والصناع .

(٢) الصُّبُوح : شرب الخمرة صباحاً .

(٣) الخلق : الطيب .

(٤) شبٍّ : اتقد واضطرم .

(٥) النوافج : أوعية الطيب .

ونهرٌ تمرح الأمواج فيه مراح الخيل في رهج الغبار
إذا اصفرت عليه الشمس خلنا نمير الماء يمزج بالعقار^(١)
كأن الماء أرض من لجين مغشاة صفائح من نضار
وأشجارٌ محملةٌ كؤوساً تضاحك في احمرار واخضرار
إذا أبصرن في نهرٍ سماءً وهبن له نجوم الجلنار
فزرننا إن نار الراح تكفي السندامى خيفتي عارٍ ونارٍ
وقال في الدير الذي بقنطرة النوبندجان ، وقد شربوا هناك ولبسوا أكاليل الزهر
ورموا البنادق [من الطويل] :

أقنطرة النوبندجان وديرها وحوور مهى لا تألف الحور غيرها
شربنا بها والروض يخلع زهره على الشرب والأشجار تشرطيرها
كتب يستهدي الشراب [من البسيط] :

أرسلت أشكو إليكم غدوة ظمئي وما شككت بأنني سوف أغتبق^(٢)
فقد كتبت إلى أن خانني قلبي وقد ترددت حتى ملّني الطرقُ
أنت امرؤٌ جوده غمرٌ ونائله همزٌ ووبل نداه مسبلٌ غدق^(٣)
فابعث إليّ بصفو الراح يشبهه منّي قريضٌ ومنك العرف والخلق
وكتب إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف [من الوافر] :

أظنُّ اليوم يهطل بالمدام فإن الأفق محمرّ الغمام
وما عودت حمل الكأس إلّا على سكر الكروم او الكرام
وعهد سماء جودك بالعطايا كعهد دم الأعادي بالحسام

(١) النمير : العذب الزلال .

(٢) أغتبق : أشرب الخمرة مساءً .

(٣) غمرٌ : كثير ، وهمزٌ : متابع .

إذا طلعت شمس الراح فينا وهبنا كل مسرجة اللجام
أبحر الجود في بحر الأماني وبدر الملك في بدر التمام
ومن عبد ابن يوسف صير اسمي وصيرَه الندى مولى السلامي
إذا ركبت أناملنا كميثاً من الحجب المفضض في لجام^(١)
تحيينا بذكرك وانتقلنا بمدحك دون سادات الأنام
طربت فما أبالي ما ورائي ونار الراح مشعلةً أمامي
جفون المزن مذ عدمت بوائك لرحمتنا وخذّ الورد دامي
فأخني بها فتى أحلى مناه تقدّم من فداك إلى الحمام

وكتب إلى صديق يستدعيه أبياتا منها [من الكامل] :

يوماً لبست به الخلاعة حلّة وسحبها فسحبت خير لباس
في مجلس زجل الغناء متوجّج الكاسات فيه مهذب الجلاس^(٢) لو أنها فظنت لشرب الكاس
والطير قد طربت بحسن غنائها أن لا تكون كغرة العباس
والشمس من حسد تغير لونها إما حضرت فأنت كل الناس
أنا لا أبالي من فقدت من الوري

وقال من قصيدة [من البسيط] :

وظبية من بنات الإنس في يدها ووجهها للصبا والحسن خاتام^(٣)
قد حللت لؤلؤ الأزرار عن درر لهنّ في ثغرها الفضّي أتوام^(٤)
وزارت الروض منها مقلتان لها وحشيتان وعذب الريق بسّام
والكأس للمسكر التبري صائغة والماء للحب الدري نظام

(١) الكميّ : الحصان الذي يميل لونه الى الحمرة مع السواد .

(٢) الرجل : الذي يرفع صوته بالغناء والطرب .

(٣) الخاتام : لغة في الخاتم ، وقال الراجز . يا هال ذات الجورب المشقّ أخذت خاتامي بغير حقّ .

(٤) الأتوام : جمع تومة وهي الكبيرة من اللؤلؤ .

بتنا نكفكف بالكاسات أدمعنا كأننا في حجور الروض أيتام^(١)
هذا البيت من إحسانه المشهور في ابتداع الاستعارة .

وقال من أخرى [من المتقارب] :

نفرغ أكياسنا في الكؤوس نبيع العقار ونشري العقارا^(٢)
حمدنا الهوى ونسينا الفراق ومن يشرب الخمر ينس الخمارا
ومن أخرى [من الخفيف] :

اشربا واسقيا فتىً يصحب الأيام نفساً كثيرة الأوطار^(٣)
والنفوس الكبار تأنف للسا دة أن يشربوا بغير الكبار
في جوار الصبا نحلّ بيوتاً عمرت بالغصون والأقمار
ونصلّي على أذان الطنابير ونصغي لنغمة الأوتار
بين قومٍ إمامهم ساجدٌ للكأس أو راکعٌ على المزمار
ومن أخرى [من الكامل] :

نسب الرياض إلى الغمام شريف	ومحلّها عند النسيم لطيفٌ
فاشرب وثقلْ وزن جامك إنّه	يومٌ على قلب الزمان خفيف ^(٤)
أو ما ترى طرز البروق وتوسّطتْ	أفقاً كأن المزن فيه شفوف
واليوم من خجل الشقيق مضرجٌ	خجلٌ، ومن مرض النسيم ضعيف
والأرض طرسٌ والرياض سطوره	والزهر شكلٌ بينها وحروف
وكأنّما الدولاب ضلّ طريقه	فتراه ليس يزول وهو يطوف

(١) الحجور : جمع حجر وهو الحوض والمأوى .

(٢) العقار الأول : بفتح أوله هو المال الثابت كالدور، والعقار الثاني بضمّ أوله : وهو الخمر .

(٣) الأوطار : الحاجات .

(٤) الجام : الكأس من الفضة .

ومن أخرى [من الطويل] :

ولباسه حلى الشباب لعوبة بطرق الهوى عقادة للزمائم
غزال صريم في رجوم صوارم وبدر تمام في نجوم تائم^(١)
وكان رقادي بين كأس وروضة فصار سهادي بين طرف وصارم
ولولا نسب مطرب من قصائدي لما احتال طيف في زيارة نائم

ومن أخرى [من الكامل] :

أنسيم هل للصلح عندك موضع فيزور طيف أو تهب نسيم
والشيب دونك وهو موت مضمّر والهجر وهو تفرّق مكتوم
بينني وبين الراح مثل حبابها دمع على وجناتها منظوم

ومن أخرى [من الطويل] :

وقد خالط الفجر الظلام كما التقى على روضة خضراء وردّ وأدهم
وعهدي بها والليل ساق ووصلنا عقار وفوها الكأس أو كأسها فم
إلى أن بدرنا بالنجوم وغربها يفضّ عقود الدرّ والشرق ينظم^(٢)
ونبّهت فتیان الصبوح للذّة فلبّوا وما فيهم سوى الليل محرم
وفي كلّ كأس للندامى بقيّة تلوح كدينار يغطّيه درهم

* * *

سائر الأوصاف

نزل عضد الدولة شعب بوان والسلامي معه متوجّهاً إلى العراق، فقال له :
قل في الشعب، فقد سمعت ما قال المتنبّي، فعاد إلى خيمته وكتب [من البسيط] :

(١) العريم : بفتح الصاد - القطعة العظيمة من الرمل .

(٢) بدرنا : أسرعنا وعجلنا .

اشرب على الشَّعب واحلل روضة أنفا
 إذ ألبس الهيف من أغصانه حلاًلاً
 وأثمرت حسن الأغصان ثمرةً
 والماء يثني على أعطافه أزرا
 والشمس تخرق من أشجارها طرفاً
 من قائلٍ نسجت درعاً مفضضةً
 ظلت نزفٌ له الدنيا محاسنها
 من عارضٍ وكفا ، أو طائرٍ هتفا ،
 هذا مما قاله بديهاً وليس بمستحسن في الوزن إلا أن ابا تمام قال [من

الطويل] :

يقول فيسمع ، ويمشي فيسرع ،
 ويضرب في ذات الإله فيوجع

رجع :

ولست أحصي حصى الياقوت فيه ولا
 يظنّ من وقفت فيه الشجون به
 تعسف الشوق فيه كلّ ذي شجنٍ
 فاحلل عرى الهم واشربها مشعشةً
 ماذا يقول لك المداح ؟ قد نفدت
 لم يبق لي حيلة إلا الدعاء فإن

دراً أصادفه في مائه صدفا
 أن الصبابة شابت والهوى خرفا
 والشوق أطفه ما كان معتسفا^(١)
 رقّ النسيم مبارأة لها وصفا
 فيك المعاني وبحر اللفظ قد نزفا^(٢)
 يسمع ظللت عليه الدهر معتكفا

(١) الشغف : الحبّ والميل .

(٢) الشئف : الحليّ تلبس في الأذان .

(٣) وكف : هطل .

(٤) العسف : الظلم والشجن : الحزن .

(٥) نزف : أي لم يبق منه شيء .

وقال من قصيدة سدقية في أبي الفوارس وأبي دلف [من البسيط] :

ما زلت أشتاق ناراً أوقدتُ لهما حتى ظننت عذاب النار قد عذبا
يعلو الدخان بسودٍ من ذوائبها قد عطّ فيها قناع التبر واستلبا^(١)
قد كللتُ عنبراً بالمسك ممترجاً وطوقت جلناراً واكتست ذهباً
فالنور يعلب في أطرافها مرحاً والخمر يرعد في أكنافها رهبا
وطار عنها شرارٌ لو جرى معه برقٌ دنا أو تلقى كوكبا لكبا^(٢)
لو كان وقت نثارٍ خلته درراً أو كان وقت انتصارٍ خلته شهابا^(٣)
والليل عريان فيه من ملابسه نشوان قد شقّ أثواب الدجى طربا
أقسمت بالطّرف لو أشرفت حين خبتُ جعلت أنفـس أعضائي لها حطبا

وقال من قصيدة أخرى [من الخفيف] :

فسمونلوالفجر يضحك بي الشر ق إلينا مبشراً بالصباح
والثريا كراية أو كجامٍ أو بنان أو طائر أو وشاح
وكان النجوم في يد ساقٍ تهاوى تهاوى الأقداح
وجمعنا بين اللواحظ والرا ح وبين الخدود والتفاح
وشممنا بنفسج الصدغ حتى طالعنا من الثغور الأقاح
زمن فات بين بهو وشربٍ وغناء وراحة وارتياح
معقلي نهر معقل فإن ارتحلت إلى منزل فدير نجاح ار مصروفة أو الملاح
وحياتي بما حوّته إلى الخمـ ن ويحكيهما نديمي وراحي^(٤)
مركبي مثل لمّتي أدهم جو

(١) عطّ : شقّ .

(٢) كبا : سقط وتعثر .

(٣) النثار : ما ينثر من الذهب .

(٤) الجون : من الأضداد وهو للأسود والأبيض .

مركبة السفينة والزورق وهما أسودان ، ولمته سوداء لأنه شاب ، ونديمه اسود
لأنه عربي ، ونبيذه نبيذ التمر وهو أسود .

وقال ، وكتب بها إلى الشريف الرضي ، وكان خرج من داره في المطر فأعطاه كساء
استتر به [من الكامل] :

ما زال بي مهر الشبيبة جامحاً	حتى حملت على المشيب الكابي ^(١)
فسمعت أقبح ما سمعت نداءها	ما بال هذا الأشب المتصابي
إنني حلفت بربٍّ أشرف كعبةٍ	في مشهد النشوات والأطراب
وبكل مخلوع العذار مجررٍ	فضل الإزار مسح سحاب
وبمصرع الدن الجريح وحرمة الـ	وتر الفصيح وذمة المضراب
ومتى حلفت بمثلها متأولاً	فصدقت بالأزلام والأنصاب ^(٢)
وأنا دعي في البلاغة ملصق	في الشعر منسلخ عن الآداب
ويباع في الأكراد شعري إنّه	يغلو إذا ما بيع في الأعراب
لقد ارتقت تبغي أبا الحسن العلي	يطمحن منه إلى الأبى الآبي
الموسوي الناصري أبوة	وخولة علوية الأنساب
في حيث أرثت النبوة نارها	فخبا لنور الحق كل شهاب ^(٣)
لا أدعي لك ، إنما بك أدعي	أتى وصلت إلى أعز جناب
زاد الإله بكم قريشا رفعة	وأقر عين قصيها بن كلاب
متناسلين وأنت كنت مرادهم	مترددن إليك في الأصلاب
حتى ولدت فأغفلوا أنسابهم	وغدا وجودك أشرف الأنساب
ألسان هاشم الذي بغروبه	تفري وناظر غالب الغلاب

(١) الجامح : الشرود ، والكابي : الذي يحد من نزوة الشباب وجهوه ، وكبا الفرس سقط .

(٢) الأزلام والأنصاب : ما كان يعبد في الجاهلية .

(٣) خبا : ضعف وانطفأ .

أشكو إليك عشيّة لم نفترق
ما كنت إلاّ جنّةً فارقتها
ودّعت دارك والسماء تجودني
ما زلت أركض في الوحول مبارياً
فجريت والعكاز أخصر شكّتي
ورأيت غالية الطريق ومسكه
وحمى كساؤك لا عدمت معيره
فوليت يا بحر السماحة كسوتي
غيثان هذا ابن الذي من أجله
فوصلت أشكو ذا وأشكر ذا وبالـ
وخريدة عذراء رحت أزفها
جاءتك يحملها الجمال، وربّما
أهديتها خجلاً إلى متغلغل الـ
لأبي القريض ابن المعاني بل أخي الـ
ضمن الحسين له وموسى رتبةً
انظر بعين رضا إلى ما صغته
وتجاوز الخطأ الشنيع وأخفه
واجهر إذا أنشدتها في محفلٍ
وقال من قصيدة عضدية في يوم صب الماء [من مجزوء الكامل]:

فيها على مللٍ ولا استعتاب
كرهاً فصبّ عليّ سوط عذاب
بيد الغمام فلا أرى بك ما بي
فيها الخيول لواحق الأقرب^(١)
قصرأً ولكّني أعزّ ركابي^(٢)
طيناً معداً لي على الأثواب^(٣)
درّاعتي وعمامتي وجبابي
وولي أخوك الغيث بلّ ثيابي
خلق السحاب وذا سليل سحاب
غشين ما بهما من التسكاب
ما بين ألفاظ شرفن عذاب
وقف الجباء بها دوّين الباب
أفكار محصد مرة الآداب^(٤)
إعراب حين بفوه والإغراب
في الفضل نافرة عن الخطّاب
وأعره سمع مسامح وهّاب
عن ناظر المتفهيّق المغتاب^(٥)
فعثرت بين عيوبها بصواب

(١) مبارياً : مسابقاً .

(٢) الأخصر : الأوجز والشكّة : السلاح .

(٣) الغالية : أخلّط الطيب .

(٤) المزة : القتل والإحكام في الصنع .

(٥) المتفهيّق : المتكبر المتوسّع في تأويل الكلام .

عدل الحبيب فمن يجور ودنا فأين بنا يسيرُ
عَوَضْتُ من عيسٍ تدو ر بي الفلا كأساً تدور^(١)
وشربت ما وسع الصغير وزدت ما حمل الكبير
نَبَّهْتُ ندماني وقد عبرتُ بنا الشعري العبور
والبدر في أفق السما ء كروضةٍ فيها غدير
هَبَّوْا فقد عَيَّ الرقيب ونام وانتبه السرور
وأشار إبليسُ فقلنا كلُّنا نَعْمَ المشير
صرعى بمعركةٍ تعفَّ الوحش عنها والنسور
نَوَّارَ روضتنا خدو د والغصون بها خصور
والعيش أستر ما يكو ن إذا تَهَتَّكت الستور
هَبَّوْا إلى شرب المدا م فائِماً الدنيا غرور
طاف السقاة بها كما أهدت لك الصيِّد الصقور
عذراء يكتمها المزا ج كأنها فيه ضمير
وتظنَّ تحت حبابها خدأً تقبَّله ثغور
حتى سجدنا والإِما م أماننا مثني وزير^(٢)
وإذا صحونا فاللسا ن للعذب والفكر الغزير
نفتضَّ معنىً أو يولِّد بيننا مثلٌ يسير
أو يمدح الملك الجليل السيِّد الفرد الخطير
ما عزه شيءٌ بغا ه فكيف أعوزه النظير^(٣)

ومنها :

(١) العيس : النوق .

(٢) مثني وزير : من أوتار العود .

(٣) النظير : المثل .

وغداة أنسٍ بشرتـك بها المعازف والخمور
 إذا ماء غشنا والأرض تربتها عبير
 تغري بصبّ الماء يا ملكاً أنامله بحور
 ويقول سيبك هكذا صبت على العافي البدور^(١)
 ويقول سيفك هكذا تجري ، إذا غضب ، النحور
 هيهات تبسم الثغو ر ولم تسدّ بك الثغور
 قد أذعنت أرض العد و وجاء بالنصر البشير
 هذي الأماني لي عبيدٌ والسرور معي أجير
 لا قيته فغضضت طر في إذا بدا القمر المنير
 وجررت أذيالي بمجلسة وقلت فمن جرير
 وكان عاماً عشته في ظلّه يومٌ قصير

وقال يصف الفقاعة ، وألقاها على طريق الإلغاز [من الوافر]:

شغفت بداية لي أشتهيها وما فيها عن الوصل امتناعُ
 ياردة المجسّ وما اقشعرتُ معصبةٌ وليس بها صداع^(٢)
 تمنع أو تحل ذؤابتها ويحسر عن مفارقتها القناع
 وقال يصف سوداء [من البسيط]:

يا رب غانية بيضاء تصحبنى من العتاب كؤوساً ليس تنساغُ
 أشتاق طرّتها أم صدغها ومعى من كلها طررٌ سودٌ وأصداغ
 كأننا لا أتاح الله فرقنا يا لعبة المسك بازٍ تحته زاغ^(٣)

(١) السيب: العطاء، والعافي: الفقير.

(٢) المجسّ: التحسّس باليد.

(٣) الزاغ: غراب صغير إلى البياض.

وأمره عضدة الدولة أن يعمل أربعة أبيات تكتب على خواتيم النساء فكتب [من
الكامل] :

مرقومة الجنبات بالبدع التي لم يهدا قط الربيع لروضة
كتمت روائحها فلما عذبتُ بالنار فاح نسيمها فأقرتُ
وكأتما الملك الأجل السيد المنصور عضد الملك تاج الدولة
أذكي مجامرها بنار ذكائه وغدا الدخان على علو الهمة^(١)
وقال من قصيدة عضدية سذقية [من الطويل] :

ألست ترى الأوضح في دهمة الدجى ومنشؤها بالناظرين رفيقُ
دخاناً سخامي الصفات شراره بروق وعقد الريح فيه وثيق^(٢)
وليلاً كيوم الوصل أمّا رياضه فزهراً وأما مسكه ففتيق^(٣)
وبغداد بحرٌ ساحلاه جواهرٌ ودجلة روضٌ طرّاه شقيق
وقد صار ياقوتاً حصاهها وعنبراً ثراها وأمسى الماء وهو رحيق
وقال من أخرى [من المتقارب] :

ولم نر بحراً جرى بالعقار ولا ذهباً صيغ منه جبلُ
إلى أن جرت دجلة في الشعاع وطُنب بالنور أعلى القلل^(٤)
سحاب الدخان وبرق الشرار ورعد الملاهي وغيث الجدل
وما زال يعلو عجاج الدخا ن حتى تلوّن منه زحل
فكنا نرى الموج من فضة فذهب النور حتى اشتعل

(١) المجامر : المواقد التي يوضع فيها الطيب والبخور .

(٢) السخام : السواد .

(٣) الفتيق : المشرق .

(٤) طُنب : أضيء بأشعة النور التي هي كالجبال ، والقلل : أعالي الجبال .

وقال من أخرى يستهدي مهراً ويصفه [من الطويل] :

إليك بعثناها شوارد ضمنت	معاني لولاها لما شرف الشعر
عروساً ولكن زوجت بنت ليلة	مخدرة لكن فكري لها خدر ^(١)
إذا قال جسمي تستحل بحلة	تقول له رجلاي بل مهرها مهر
فمن لي به لا الدهم فازت بلونه	ولا البرش خازت بردته ولا الصفر
كميت تذا ل الشهب والبلق إن بدا	وتسمو بما نالته من شبهه الشقر
يخوض إذا لاقى دماً لونه	ولا ماء إلا ماء رونقه الغمر ^(٢)
فغرته مبيضة وحجوله	ولكن أريقت فوق سائره الخمر ^(٣)
وأسبق من عاف إليك وشاعر	قوافيه أفراد محجلة غر
فلو شامه في أرض فارس فارس	لما أمسيا إلا ومصر له مصر ^(٤)
نتاج فتى في الحرب تنتج خيله	وبالدم تسقى والنزال لها ضمير

وقال من أخرى في وصف السكر المبنى بشيراز [من الطويل] :

على نهر سل في دجى الليل من رأى	كواكبه زهراً تأمل أم زهرا
إذا طلعت فيه النجوم فما ترى	به العين إلا الثلج مستودعاً جمرا
ثري قد أعاد الليل مسكاً عبيره	وماء أعاد البدر فضته تبرأ

ومن أبيات يصف فيها ارتطامه في الوحل وتلوث ثيابه [من المنسرح] :

جملة أمري أني ركبت إلى دارك - لما أتيتها - الخطرا
لبست درأعتي وعمتي الخ - فصارا كما ترى حبرا

(١) الخدر : الستار .

(٢) الغمر : الكثير .

(٣) الحجول : بياض الوجه .

(٤) شامه : أبصره وتطلع إليه .

أصبحت في الطين عققاً بلقاً وإن تعرّيت خلّتي نمراً^(١)

ومن أخرى في وصف عمامة [من البسيط] :

حسناء صافيةً بيضاء ضافية كأنّ رونقها في صارمٍ ذكر^(٢)
يزين أطرافها طرزٌ كما رقمت على المجرة طرز الأنجم الزهر

وقال في وصف زنبور [من الطويل] :

ولابس لوننٍ واحد وهو طائر أغرّ محشيّ الطيلسان مُدبَّجٌ
ملوّنة أبراده وهو واقعٌ إذا حك أعلى رأسه فكأنما
وسود المنايا في حشاه ودائع يسالفتيه من يديه جوامع
ويخفي على الأقران ما هو صانع يخاف إذا ولّى ويؤمن مقبلاً
عليه فباء زيتته الوشائع بدا فارسيّ الزيّ يعقد خصره
ومثّره التبريّ أصفر فاقع^(٣) فمعجّره الورديّ أحمر ناصعٌ
ويسقي كؤوساً ملؤها السم نافع^(٤) يرجّع ألحان الغريض ومعبّد

* * *

غرر من محدّاحه العضدية وما يتصل بها

قال من قصيدة [من البسيط] :

يزور نائلك العافي وصارمك العاصي فتحويهما أيدي وأعناقُ
في كلّ يوم لبيت المجد منك غنىً وثروة، وليت المال إملاق^(٥)

(١) العقق : طائر كالغراب ذولونين أبيض وأسود طويل الذنب . والبلق : ما كان في لونه سوادٌ وبياض .

(٢) الضافية : الطويلة . والذكر : القاطع .

(٣) المعجر : الرداء والثوب .

(٤) الغريض ومعبّد : من كبار المغنّين ، والناقع : القتال .

(٥) الإملاق : الفقر والعفاء .

كم خضت في لجة كالبحر زاحرة
 في فتية من ليوث الحرب قد حفظت
 من كل بعل حياة لا يعاقدها
 أمام كل خميس كل يوم وغى
 رم أين شئت من الدنيا تنله فما
 من شك أنك مخلوق لتملكه
 فللسماء سماء من علاك وللآفاق من ذكرك المحمود آفاق

ومن أخرى [من البسيط]:

يا أهل لست بمشتاق إلى وطني
 أضحي يهنأ في الأضحى بمنزلة
 أصغر بأضحية في غير يوم وغى
 وإنما أنت لطف الله جسمه
 عدلت حتى هممنا أن نجور، وكم
 إن المسيح وقد بانته دلالة
 في كل ناحية لم ترعها أمم
 إن البلاد ومن فيها مروعة
 وما تبالي إذا ما كنت شاهدا
 عدها بنصرك أو قل سوف أدركها

حتى أرى خيل فناخسر بينكم
 لا العرب نالت مراقيها ولا العجم
 فما أضحيك إلا الخيل والبهم
 لنا وفي يدك الأرزاق والقسم
 من شاكراً نعماً في ضمنها نقم
 لولا هداه لما ضللت به الأمم
 الهدى منها يبعد والأذى أمم^(١)
 بها إليك وإن ما طلتها قرم^(٢)
 إن غاب معتضد عنها ومعتصم
 فإن قولك في أمثالها قسم

(١) أرماق : أرواح .

(٢) الخميس : الجيش من خمس فرق .

(٣) أمم : قريب .

(٤) القرم : الشهوة والشغف .

ومن أخرى [من الطويل] :

يشبهه المداح في البأس والندى لمن لو رآه كان أصغر خادماً
ففي جيشه خمسون ألفاً كعتير وأمضي وفي خزّانه ألف حاتم

ومن أخرى [من البسيط] :

ومدح غيرك ذنب لا يقال، وما نصوغه فيك تهليلٌ وتحميدٌ

فعش أعش في ذري رجب ودم تدم السـخيرات لي وابق يبق المجد والجود
وقال من أخرى يصف بها قصراً بني على دجلة ونقشت في حيطانه أشعاره
[من الكامل] :

فألروض عَقَّتِ الصِّبَا أَصْدَاغَهُ والموج صَفَّقَتِ الشِّمَالُ طَرَارَهُ^(١)
وأظنّ دجلة أسلمت ، أو ما رأيت الجسر يقطع وسطها زناره
وحكى بناء المجد فيها غارسٌ غرس الصنائع حولها أشجاره
قد صوّر الفلك المدار كأنّه أنشاه قبل كيانه وأداره
وبنى على شرف الثريا قصره وطحا على فلك النعائم داره^(٢)
فالشَّيد يصقل صانعوه لجينه والسَّاج ينقش مخلصوه نضاره^(٣)
شغلت خواطرنّا ولحظ عيوننا مذ صار يجعل طرزه أشعاره
أوسعُ مثلاً إنْ خطرت بباله ونلّ السماء إذا بلغت دياره
ينسى العمالق واصفٌ أخباره ويهين مصرَ معدّدٌ أمصاره

(١) الطرار : جمع طره بضم الطاء ، وهو شفير النهر .

(٢) طحا : بسط ، والنعائم : من منازل القمر .

(٣) الشيد : ما تطلّى به الحائط من جصّ ونحوه والسَّاج : شجر عظيم طويل عريض صلب الخشب وأسوده .

ومن أخرى في وصف الحرب ، وهو أحسن ما قيل فيها [من الكامل] :

يا سيف دين الله ما أرضى العدى	لو أن سيفك مثل عدلك يعدل
ما إن سننت لهم سناناً في الوغى	إلا أطلّ عليه منهم أيطل ^(١)
فألروض من زهر النجوم مضرج	والماء من ماء الترائب أشكل
والنقع ثوبٌ بالنسور مطير	والأرض فرشٌ بالجياد مخيل ^(٢)
يهفو العقاب على العقاب ويلتقي	بين الفوارس أجدلٌ ومجدل ^(٣)
وسطور خيلك إنما ألفاتها	سمرٌ تنقُط بالدماء وتشكل ^(٤)

ومن أخرى في وصف يوم الفصح وإقامة رسمه [من الكامل] :

لولا اشتياق الماء كفك لم يكن	قلب الندى وحشي السحاب تنزل
ولقد نثرت على الهوا أمثاله	ذا سجسجٍ صافرٍ وهذا سلسل ^(٥)
وكأنما ذهبيٌّ زَرَافَاتنا	ترمي بأسهم فضة تتسلسل ^(٦)
من فوق كلِّ ذؤابتين سحابةٌ	أو بين كلِّ اثنين منّا جدول
فأرقت حتى ماء وجهي إنّه	مع غير ماء الورد لا يتبدّل ^(٧)
فاترك لنا ماء الشباب ولا ترق	ماء الصوارم فهو فيها أجمل

ومن أخرى وقد دخل عضد الدولة إصبهان والتقى مع أبيه ركن الدولة وأخويه [من البسيط] :

(١) الأيطل : الخاصرة، قال الشاعر : « له أيطلا ظبي » .

(٢) النقع : الغبار .

(٣) الأجدل : الصقر ، ومجدل : قتيل .

(٤) السمر : الرماح .

(٥) السجسج : المعتدل الطيّب .

(٦) الزَرَافَات : هي المنازف التي ينزف بها الماء للزرع وما أشبه ذلك .

(٧) أرقت : سكبت .

لم يدرك حيٌ وقد جاء البشير به
فزارها ليث غابِ فرسٌ
لما تطلّع والرايات تكتمه
أعدى بإقباله من أهلها نفراً
فليهنها منه روض زهره درر
لاحظ أباك فهذي مصر معرضة
لكنهم ما نوا غدرًا ولا نقضوا
أيا أخا الجود وابن المجد لا بلدٌ
فدى لجودك آمالي وسابقها
فالقائلون بطاءً عن مداي ، وإن
هم إذا خلطوا شعري بشعرهم

إنّ الزمان لما نرجوه متسعٌ
وبدر تمّ عليه التاج والخلع
في ظلها وشعاع الشمس مرتفع
لم يعلموا أن درّ السعد يرتفع
فتن العقود ومزن قطره دفع
وأنت يوسف والأسباط قد جمعوا
عهداً ولا أضمروا غلاً ولا ابتدعوا^(١)
إلاّ بذرك أو بالسيف يفتزع^(٢)
ومطمعٌ من بحار الشعر ممتنع
أبدعت معنى فهم في أخذه سرع
كالطير يهزون أو يحكون ما سمعوا

ومن أخرى يذكر فيها التقاه بالطائع لله بعد أن رده إلى مدينة السلام وكان
فارقها وهو شاب وعاد وهو أشيب [من الكامل] :

واشتاق طلعتك الخليفة مظهراً
ودعا الملوك فلم يلبّ دعاءه
عظمت أمر الله في تعظيمه
وافاك في برد النبي محمداً
يشكو إلى الإسلام وخط مشيه
حتى بدا عضد الهدى وكأتما
حتى إذا أبدى الإمام أمامه

لك شوقه المطويّ في أسرارهِ
إلاّ أحقهم بدار قراره
وأقمت دين الله في استحضاره
بهدي النبي وسمته ووقاره^(٣)
ما كلفته الترك من أسفاره
كان الخضاب أحال شيب عذاره
ملكاً كبدر التّم في أنواره

(١) الغلّ : الحقد .

(٢) يفتزع : يفتح .

(٣) برد النبي : عباءته .

خلنا على الكرسي ليشاً غابه سمر القنا نبتت بفيض بحاره
 وغداة ظلت مساير الإقبال في خلع الإمام وطوقه وسواره
 متسوراً بأهلاً متطوقاً بالشمس أو بالبدر أو بإطاره
 في خلعة صبغ الشباب بلونها فالخلق قد جبلوا على إثاره
 هذا من أملح ما مدح به اللباس الأسود، وقد سبق إلى ذلك

* * *

غرر من سائر مدحه وما يتصل بها

قال من قصيدة في أبي الوفاء طاهر بن محمد [من الوافر]:
 ركوب الهول أركبك المذاكي ولبس الدرع ألبسك الغلائل^(١)
 ويومك ضامن لغد علواً وعامك ملحق بشري بقابل
 وله في عبد العزيز بن يوسف يذكر قدومه على الخليفة الطائع لله رسولاً من
 عضد الدولة وبلاغته فيما تحمله [من المتقارب]:

ولما وقفت أمام الإلمم تأخر خلصانه والشيعة^(٢)
 دنوت إلى تاجه والسرير فهذا تعالى وذاك اتسع
 وضاحك برد النبي القضيـب أنساً بخوضك فيما شرع
 سمرت فتيمة ما رأى وقلت فأطربه ما سمع
 وأثنت فضائلك الباهرات على ملك الدهر فيما اصطنع
 طلعت فكنت كنجم الصبا ح دل على الشمس لما طلع
 ومن كلف الدهر أمثالكم فقد كلف الدهر ما لم يسع^(٣)

(١) المذاكي : جياذ الخيل .

(٢) الخلصان : الأصدقاء المخلصون .

(٣) يسع : يستطع ويقدر .

ما أحسنها في دلالة الرسول على المرسل !

ومن أخرى له فيه [من الوافر] :

كرمّت وسدت فالجدوى انتهاب إذا زرناك والمدح اقتضابُ
أخزّانٌ وما أبقيت مالا؟ وأبوابٌ وقد رفع الحجاب؟

ومن عيدة [من الخفيف] :

وإذا هنىء الملوك فصبّحت من العيد أسعد التهئات
وفداك المحل فالنحر في أر ض منى والمهل في عرفات
وتعجّلت أجر من خلع الإحرام عنه الأظمار في الميقات^(١)
وأجاب الإله فيك دعائي غافر الذنب سامع الأصوات
زرتة والغنى مني ويدي قد أتعب الناس عهدا بالصّلات
فكأنني ملكة ناصية الدهر فصرّفتها على شهواتي^(٢)

ومن قصيدة أخرى [من الكامل] :

إن كان بالكرم الخلود فما أرى في العالمين سوى سعيدٍ يسلمُ
وله من الحسن البديع برافعٌ وعليه من بشر السماحة ميسم^(٣)
عبقٌ به مسك الثناء تكاد في النّادي نوافج ذكره تتكلم^(٤)

ومن أخرى [من الكامل] :

قد قلت حين أفاض أحمد سيبه يا شقوة المتشبهين بأحمدٍ
يشرون مثل جياده وعبيده أفيقدرون على ابتياع السؤدد^(٥)

(١) الأظمار : جمع طمر وهو الثوب .

(٢) الناصية : أعلى الشيء ، وهنا يريد أنه ملّك قياده .

(٣) الميسم : العلامة والطابع .

(٤) النوافج : أوعية الطيب .

(٥) السؤدد : المجد والرفعة .

ومن أخرى [من الخفيف] :

هو بحرٌ من مائة ذائب التبر وأدنى أحجاره الياقوتُ
لي طعامٌ من داره وشرابٌ ومقيلٌ في ظله ومبيت^(١)

ومن أخرى [من البسيط] :

أقبلُ عليَّ وقلُ ضيفي ومتبَّعي وشاعري قاصدي راجيَ ممثاري^(٢)
أنت الإمام فمن أدعو وحضرتك الدنيا فأين أفضيَ بعض أوطاري

ومن أخرى [من المتقارب] :

أفارق بغداد لا عن قلىَّ وأسري إلى البين لا عن كرمُ
أروح وأغدو ولي قائدنا ن عزَّ الإياء وذلُّ العدم^(٣)
وأرجو فتىً مكرم للندى كما رجَّت الأرض صوبُ الديم

ومن أخرى [من البسيط] :

ليس الوزارة إلاَّ عندكم ولكم ولا مغارسها إلا بدوركمُ
لو أنصفت كلَّ أرضٍ في منابتها لكان في أرض قمَّ نبت الكرم

* * *

الشكوى والعتاب

قال [من الكامل] :

أفلا أجاز ولي ثلاثة أشهرٍ لا تعلمون بما أقيم تجملي^(٤)

(١) المقيـل : حيث القيلولة وقت الظهر

(٢) ممثاري : قاصدٌ خيرى وطعامي .

(٣) العدم : الفقر.

(٤) التجمـل : التصبر والتحمل .

قد بعث حتى بعث طرفاً قائماً
ورهننت حتى قد رهننت منادمي
فرأيت حالة حاسديك كحالي
ومن أخرى [من الوافر]:

تحت القدور على ثلاثة أرجل
ومناشدي ومذكري ومعللي
ورأيت منزل حاسيدي كمنزلي

لبست العدم حتى صار ذيلي
وكادحت المطالب بعد ضرر
فقد أوقدت صندوقي ثيابي
فهل في الناس يا للناس حر
أريد أخي إذا مائل عرشي
فأما حين يصلح بعض حالي
ومن أخرى [من الوافر]:

يضيق تقلبي فيه كزريقي^(١)
ودارأت المعيشة بعد ضيق^(٢)
وصب الماء في حبّ الدقيق
بيّض وجهه ممتحن مضيق؟
وصرت إلى المعيشة في مضيق
فإنّ الناس كلّهم صديقي

قطعتكم برغم المجد شهراً
وكيف أزوركم والمزن تبكي
وكانت منزلاً طلق المحيا
وبحرراً من عجائبه خلوصي
بناتي كالضفادع في ثراها
أنادي كلما ارتفعت سحاب
حوالينا بذاك ولا علينا
تهافت ركع الجدران فيها

أشدّ عليّ من شهر الصيام
على داري بأربعة سجام
فصارت وادياً صعب المرام
إليكم ظامئاً والبحر طامي^(٣)
وأهلي في الروازن كالحمام^(٤)
فأبكتنا البوارق بابتسام
كفانا الله شرك من غمام
سجوداً للرعود بلا إمام

(١) الزيق : من القميص ، ما أحاط منه بالعنق .

(٢) كادحت : من الكدح وهو العمل والجد . ودارأت : من أدارأ الشيء أي توقّاه وتلافاه .

(٣) الطامي : المتلاطم الآخر .

(٤) الروازن : جمع روزنة ، وهي الكوة .

كأنّ مصون ما أحرزت فيها على أبواب مشرعة الخيام
 فلا بابٌ يردّ ولا جدارٌ يرد الطّرف عن وجهٍ حرام
 وكانت جنّة الفردوس عادت ملاعب جنّة ووكور هام^(١)
 ومن أخرى [من الخفيف]:

زرت حتى حجت وانتقب النّاس نقابين طرّزا باحتشام
 إن بوابك القصير طويل السّباع في سوء عشرتي واهتضامي
 هو تعويذ ملكك البارع الحسن وشيطان عبدك المستضام^(٢)
 سمح الوجه لو غدا حاجب البيت كفرنا بالحجّ والإحرام^(٣)
 ومن أخرى في سابور الوزير يشكو حاله وسقطه في سكره [من الطويل]:

محاسن غصّت ناظري من تعتبا وفضلٌ نهاني وصفه أن أشبّيا
 ترى كبرياء الملك فوق جبينه فتقرأ سطرأ بالمهانة معربا
 وليس الذي آباؤه وجدوده المملوك كمصنوع إذا ما تنسّبا
 فيا ناظر الإسلام هل أنت ناظرٌ إلى خادمٍ أثنى عليك وأطنبا
 إلى شاعر نادى وقد فغر الردى له فاه سابورٍ معي فتهيّا^(٤)
 ألم يخبر الشّرب النشاوي بقصتي ولم يتغنّ الركب بي حين أهدبا^(٥)
 ولم تتحدث في الخدور بسقطتي عذارى يقلّبن البنان المخضبا
 فدى الشعراء الشامتون بقصتي فتى في سماء الشعر يطلع كوكبا
 فتى لم يسر إلا الذي صاغ أو روى وإن قعقع المغرور منهم وأجلبا

(١) الوكور: جمع وكر، وهو الخباء.

(٢) المستضام: المظلوم والمتقصّص حقه.

(٣) البيت: يعني الكعبة المشرفة.

(٤) فغر: فتح. وتهيب: فزع وارتاع.

(٥) الأهداب: ضرب من سير الخيل فيه جدّ.

أظنوا بأنني إن سقطت تكسرتُ
توهنَ جسمي فاشمتوا أو تجملوا
وكم سار شعراً قاعداً عنه ربّه
سلوا الموت عني كيف فللت غربه
شربنا وكان الشرب بعد سفورنا
ودجلة تجلوفي المصنديل شاطئاً
وكانت لنا في جبهة الدهر ليلةً
عفا الدهر عنها بعدما كان ساخطاً
فيا فرحتا لو كنت أصبحت سالما
إذا لم أعربد في أواخر نشوتي
وصبراً على خير الخمار وشره
أروح وصبغ الراح يخضب راحتي
فلو بصرت عين الوزير بشاعري
رأى اللهو ميتاً والمجون ممدداً
وباكرني أشياخ قومي فأكثروا السـ
يقولون لي تبّ لا تعود لمثلها
وكم قبلها قد متّ بالسكر مرةً
كذا أبداً إما تراني مجررا
ولكنّ على الأحرار حمل مؤونتي

فوافي أو عاودت فكري وقد أبى
ولكنّ غضباً بين فكيّ ما نبا^(١)
ودون قول من سطّيح وصوباً^(٢)
ونازعته نفسي وقد كرّ مغضبا
على نرجسٍ قبل الشبية شيّبا
يرقّ وطياراً يحفّ وربرباً^(٣)
كهّمك لان العيش فيها وأخصبا
وأحسن فيها بعدما كان مذنباً
ويا سوءتا إنّ مركبي زلّ أو كبا
فلا عار إن خطبّ عليّ توثبا
بما قلت أهلاً للكؤوس ومرحبا^(٤)
وأغدو بعضوٍ من دمي قد تخضباً
على مركب قد شأنه الله مركبا
صريعاً وجثمان السرور معذباً
فضول لعمرى والأذى والتعجباً
وهيهات ضاع الوعظ عندي وخيباً
وعدت فكان العود أحلى وأطيبا
ذيوليّ سكرأً أو كسيرا مشعباً
إذا ذهبتُ بي نبوة الدهر مذهبا^(٥)

(١) النّاب : النّيف . ونبا : فارق ، ويريد بالعضب هنا لسانه .

(٢) دون سجّل ، وسطّيح : أحد الكهنة في الجاهلية .

(٣) المصنديل : من الصندل وهو شجرٌ طيب الرائحة والربرب : القطيع من بقر الوحش أو الغزلان .

(٤) الخمار : أثر الخمرة في الرأس .

(٥) النبوة : الجفوة .

ولما جفانا من ألفنا وصاله
 رهنا وصرفنا وبعنا منادلا
 رأيت ابنتي قد أحرزت بعض حليها
 تجول خلاخيل النساء ولا أرى
 سلبت الجواري حليهن فلم تدع
 فقلت لها ظل الوزير يبيحنا
 إذا كان بدر الملك سابور طالعا
 وأخلف عام كان يرجى وأجدبا
 وحليا ومذخورا إلينا محببا
 فأنشدت تعريضاً لها وتشبها
 لرملة خلخالاً فقالت هيا أبا
 سواراً ولا طوقاً على النحر مذهبا
 جناباً إذا رضنا به الدهر أعتبا
 فلست أبالي بعده من تغياً

* * *

ما أخرج في وصف شعره

قال من قصيدة في أبي الريان [من الخفيف]:

لي فيك التي ترى البحتري أمـتار في نظمها أبا تمام
 فهي لفظ سهل ومعنى بديع غرة الفكر درة [في] النظام
 كلما أنشدت شهدت بأن الشهر أمر مسلم للسلامي

ومن أخرى [من الكامل]:

وأزور دارك وهي آنس جنة
 وأقول فيك فلا تفاخر طيء
 فيفيض حولي من نداك الكوثر
 إلا وتسجد لي وتركع بحتري

ومن أخرى [من الطويل]:

وهنيئته وحياً من الشعر لم يلق
 صحيفته قلبي إذا ما كتبه
 بألفاظ غيري عند غيرك درسه
 وأقلامه الأفكار والطبع نفسه^(١)

(١) النفس : الحبر.

ومن أخرى [من المتقارب] :

وقافية منك أوضاحها ولكن لفظي فيها لمع
عراقية اللفظ شامية المحاسن علوية المصطنع
فيا واحد المجد صنفا فمن سوى واحد الشعر ما تسمع
مدحتك حتى بلغت المشيب وكنت بيابك دون اليقع^(١)

وقال من أخرى [من الطويل] :

وأعطيت طبع البحري وشعره فمن بالي بمال البحري وعمره

وقال من أخرى [من المتقارب] :

ومضمومة تحت حزن الدجى مقبلة بشفاه الأماني
تروق زهيرا أزهيرها ويعشو إلى ضوءها الأعشيان

ومن أخرى [من الوافر] :

وقد زعمت رواة الشعر أنني ملكت عنان أبلقه العقوق^(٢)

* * *

قد تمت - بحول الله تعالى وتيسيره - مراجعة الجزء الثاني من كتاب «يتيمة الدهر» ، في محاسن أهل العصر» لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري . ويليه - إن شاء الله تعالى - الجزء الثالث مفتتحا بترجمة «ابن سكرة الهاشمي» نسأل الله - جلت قدرته - أن يعين على إكماله ، بمئه وفضله ، آمين .

(١) دون اليقع : دون الشباب .

(٢) الأبلق العقوق : مثل يضرب لما لا يكون ولا يوجد قال رجل لمعاوية : افرض لي ولولدي ، قال : لا ،

قال : ولعشيرتي فمثل معاوية :

طلب الأبلق العقوق فلما لم يجده أراد بيض الأنوق

فهرس

الجزء الثاني من كتاب « يتيمة الدهر » في محاسن أهل العصر ،

لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري

٣	الوزير أبو مروان عبد الملك بن جمهور
٦	أحمد بن عبد ربه الأندلسي
١١	عبد الملك بن سعيد المرادي
١٢	الوزير أبو عثمان عبد الله بن يحيى بن إدريس
١٣	يوسف بن هرون البطليوسي
١٤	عبد الله بن إسماعيل بن بدر
١٤	سعيد بن محمد بن فرح
١٥	يحيى بن عبد الملك بن هذيل
١٧	قاسم بن عبد الرحمن العجلي
١٧	محمد بن هشام بن سعد الخير
١٧	عبد الله بن حارث
١٨	عباس بن قرماس
١٨	أحمد بن محمد بن فرح
١٩	أبو الصخر عبد الله بن محمد
٢٠	زكريا بن يحيى المعروف بابن الطنجية
٢١	فاتك الشهواجي
٢٢	أبو بكر إسماعيل بن بدر
٢٣	مؤمن بن سعيد بن إبراهيم
٢٤	الوزير أبو وهب عهد الوهاب بن محمد
٢٥	عبد الله بن محمد بن حسين بن طلحة العبسي

٢٦	محمد بن مطرق بن شخيص
٢٦	علي بن حتفان بن أخت النظام
٢٧	محمد بن عبيدس الجناني
٢٧	أحمد بن أبي صفوان بن العباس بن عبدالله بن عمر بن مروان
٢٧	أغلب بن شعيب
٢٨	محمد بن سليمان الفاني الأكبر
٢٩	حسن بن محمد بن ربيع الفاني
٢٩	عبدالله بن بكر
٣٠	محمد بن حفص بن فرح
٣١	عبدالله بن محمد بن فرح الأندلسي
٣٢	محمد بن أحمد بن قادم
٣٤	محمد بن عبد العزيز العتيبي
٣٥	محمد بن مروان بن حرب
٣٥	المكفوف محمد بن محمود بن أيوب الغنوي
٣٥	مازن بن عمرو بن مروان بن محمد بن عاصم
٣٦	أحمد بن عبدالله بن عبدالعزيز ابن أمية بن الإمام الحكم
٣٧	محمد بن عبدالله بن عبد الواحد ، المعروف بعرجون
٣٧	عيسى بن أبي جرثومة
٣٧	أحمد بن عبد الملك ابن مروان
٣٨	عيسى بن جوشن
٣٩	عبدالله بن سعيد الكاتب ، المعروف بأبن الأخرس
٣٩	عبدالله بن حسين بن عاصم بن طاهر
٤٠	الوزير أبو الحزم جهور بن عبدالله
٤٠	عيسى بن عبد الملك بن قزمان
٤١	محمد بن عبد الجبار النظام
٤١	الوزير عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد
٥٨	غسان بن سعيد
٥٨	محمد بن يحيى النحوي ، المعروف بقلقاط
٥٨	شهيد بن المفضل
٥٩	منصور بن أبي الهول

٥٩	غريب بن سعيد
٦٠	إدريس بن الهيثم بن براق الكلاعي
٦١	محمد بن سعيد بن مخارق الأسدي
٦٢	قاضي الجماعة محمد بن يحيى بن يحيى
٦٢	أحمد بن نعيم
٦٢	سعيد بن محمد بن العاص المرواني
٦٣	عبدالله بن حمد بن عبيد الله بن حسان
٦٣	سعيد بن عباس
٦٤	عمر بن يوسف الحنطي
٦٤	يحيى بن عباد البصري
٦٤	الغزال بن الحكم
٦٥	يحيى بن زكريا بن شماس
٦٥	الوزير أبو المظفر عبد الرحمن بن بدر
٦٥	الديك الندي مطرق بن محمود
٦٦	أحمد بن إبراهيم بن قلزم
٦٦	يربوع بن أسد المالقي
٦٦	الوزير أبو محمد غنائم المالقي
٦٧	غالب بن عبدالله بن عطية
٦٧	محمد بن أبي الحسن العروضي
٦٧	إسماعيل بن إسحاق المنادي
٦٨	محمد بن وافد
٦٨	خلف بن أيوب
٦٨	علي بن أحمد الأندلسي
٦٩	يحيى بن الفضل
٦٩	أبو بطلال
٧٠	القرشي المعروف بالفرح
٧٠	إدريس بن عبدالله بن عباد الليزي
٧١	عثمان إبراهيم بن النضر
٧١	المنصور بن أبي عامر
٧٢	الوليد بن الحكم
٧٢	القاضي محمد بن عبدالله بن أيوب بن أبي عيسى

٧٣	محمد بن فطيس
٧٣	أحمد بن عبدالله بن أحمد اللؤلؤي
٧٤	أبو عثمان سعيد بن أحمد بن عبد ربه
٧٤	الحسن بن محمد بن بابل
٧٥	عبد النصر بن أحمد
٧٥	محمد بن أحمد العطار
٧٦	موسى بن أحمد ، المعروف بالوتد
٧٧	حبيب بن أحمد الشاعر
٧٧	أبو علي بن حسان الأسنجي
٧٨	أبو محمد الباجي
٧٨	عبد الرحمن بن عمرو الحجري
٧٨	عبد الملك بن خزيمه
٧٩	أبو العباس المرداوي
٧٩	محمد بن وهيب البدسمي
٨٠	أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي اللغوي
٨٢	محمد بن يحيى بن يعقوب
٨٢	الفقيه محمد بن عبدالله بن أبي رعين
٨٣	أحمد بن محمد بن عفيف
٨٤	محمد بن عمر بن عبدالله بن عبد العزيز ، المعروف بابن القوطية
٨٥	أحمد بن محمد بن عبد ربه
١١٤	أبو عمرو يوسف بن هرون ، المعروف بأبي سبيح
١١٧	عبد الملك بن إدريس المعروف بالخريري
١١٩	أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج الأندلسي ، المعروف بالقسطلبي

الباب العاشر

في ذكر شعراء الموصل ، وغرر أشعارهم

١٣٧	السري بن أحمد الكندي ، المعروف بالرفاء
٢١٤	أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ، ابنا هاشم الخالديان

- ٢٤٤ أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان ، المعروف بالخباز البلدي
- ٢٥٠ عبيد الله بن أحمد البلدي النحوي

القسم الثاني

في ملوك آل بويه ، وشعرائهم

الباب الأول : في الملوك الشعراء منهم

- ٢٥٧ عضد الدولة أبو شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة
- ٢٦٠ عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة
- ٢٦١ تاج الدولة أبو الحسين أحمد بن عضد الدولة
- ٢٦٤ أبو العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة

الباب الثاني

- ٢٦٥ في ذكر المهلبى الوزير ، وملح أخباره ، ونصوص فصوله وأشعاره

الباب الثالث

- ٢٨٧ في ذكر أبي إسحاق الصايي ، ومحاسن كلامه

الباب الرابع

في ذكر ثلاثة من كتاب آل بويه يجرون مجرى الوزراء

- ٣٦٩ أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف
- ٣٨٢ أبو أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي
- ٣٨٧ أبو القاسم علي بن القاسم القاشاني

الباب الخامس

في ذكر شعراء البصرة ، ومحاسن كلامهم

٣٩٣ القاضي التنوخي أبو القاسم علي ابن محمد بن داود بن فهم
٤٠٥ ابنه أبو علي المحسن بن القاضي [التنوخي]
٤٠٧ ابن لتكك البصري أبو الحسن محمد بن محمد
٤٢٠ ابنه أبو إسحاق إبراهيم
٤٢١ أبو عبدالله الحسين بن علي النمري
٤٢٤ المفجع البصري
٤٢٨ نصر بن أحمد الخيز أرزي
٤٣٢ أبو عاصم البصري
٤٣٢ أبو الحسين الظاهر البصري

الباب السادس

في ذكر نفر من شعراء العراق ونواحيها ، سوى بغداد

٤٣٥ ابن التار الواسطي
٤٣٦ أبو طاهر الواسطي ، المعروف بسيدوك
٤٣٧ أبو عبدالله الحامدي
٤٣٩ أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم ، المعروف بالأنباري
٤٤١ أبو الحسين محمد بن عمر الثغري الكاتب
٤٤٢ أبو محمد بن زريق الكوفي الكاتب
٤٤٣ أبو الورد

الباب السابع

في ذكر قوم من شعراء بغداد

٤٤٧ ابن نباتة السعدي : أبو نصر عبد العزيز ابن محمد بن نباتة
٤٦٦ أبو الحسن محمد بن عبدالله السلامي

يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ

فِي مُحَاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ

تَأَلَّفَ

أَبِي مَنْصُورٍ عَبْدِ الْمَلِكِ الشَّعَالِيِّ النَّيْسَابُورِيَّ
الْمُتَوَفَّى ٤٢٩ هَجْرِيَّةً

شَرَحَ وَتَحَقَّقَ

الدُّكْتُورُ مُفِيدٌ مُحَمَّدٌ قَمِيحَةٌ

الْجُزْءُ الثَّالِثُ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

يطلب من: دار الكتب العلمية - ص ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
نيو ملكارت سنتر - الرملة البيضاء - قرب محلات سبينيز
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٠٨٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - ابن سكرة الهاشمي

أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد

شاعر متمتع الباع ، في أنواع الإبداع . فائق في قول الملح والظرف ، أحد الفحول الأفراد ، جار في ميدان المجون والسخف ما أراد^(١) . وكان يقال ببغداد : إن زماناً جاد بابن سكرة وابن الحجاج لسخيٍّ جداً . وما أشبههما إلا بجرير والفرزدق في عصريهما ، فيقال : إن ديوان ابن سكرة يربى على خمسين ألف بيت ، منها في قينة سوداء يقال لها خمرة أكثر من عشرة آلاف بيت ، وكانت عرضة نواذره وملحه ، كطيلسان بن حرب ، وهن أبي حكيمة ، وحمار طباب ، وضربة وهب .

وحكى أبو طاهر ميمون بن سهل الواسطي أن ابن سكرة حلف بطلاق امرأته - وهي ابنة عمه - أنه لا يخلى بياض يوم من سواد شعره في هجاء خمرة ، ولما شعرت امرأته بالقصة كانت كل يوم إذا انفتل^(٢) زوجها من صلاة الصبح تجيئه بالدواة والقرطاس وتلزم مصلاه لزوم الغريم غير الكريم ، فلا تفارقه ما لم يقرض ولو بيتاً في ذكرها وهجائها ، وقد أخرجت من عيون ملحه ما يجمع الحجول والغرر^(٣) ، ويمتع السمع والبصر .

* * *

(١) جار : أي جرى معه ما أراد .

(٢) انفتل : عاد إلى منزله بعد الانتهاء . (٣) الحجول والغرر : أي الناصع الجميل من شعره .

الغزل والنسيب

قال في غلام بيده غصن لوز قد نور^(١) [من الخفيف] :

غصنُ بانٍ بدا وفي اليد منه غصنُ فيه لؤلؤ منظومُ
فتحيَّرتُ بين غصنين في ذا قمرٌ طالعٌ وفي ذا نجوم

وقال [من الخفيف] :

وغزالٍ لولا تميمة شعرٍ ذكَّرتَه لقلت بعض الجواري^(٢)
شاربٌ أشرب الصبابة قلبي وعذارُ خلعت فيه عذاري^(٣)

وقال [من الوافر] :

ويومٍ لا يقاس إليه يومٌ يلوحُ ضيأؤه من غير نارٍ
أقمنا فيه للذاتِ سوقاً نبيع العقلَ فيها بالعقار^(٤)

وقال [من الخفيف] :

من عذيري من شادنٍ لا يراني وهو روعي أهلاً لردِّ السلامِ ؟
أنا من خدِّه وعينه والثغر ومن ريقه البعيد المرامِ
بين وردٍ ونرجسٍ وتلالي أقحوانٍ وبابليٍّ مدام

وقال [من السريع] :

الغصن منسوبٌ إلى قدِّه والورد منشورٌ على خدِّه
بدرٌ يودُّ البدر في حسنه بأنَّه يُعزى إلى عبده^(٥)

(١) نور : أزهر .

(٢) التميمة : خرزة أو نحوها تعلّق في العنق دفعاً للعين وهنا « الضفيرة » .

(٣) الصبابة : الوجد والحب ، والعذار : الخدّ .

(٤) العقار : الخمرة .

(٥) يعزى : ينسب .

سألته في صحوة قبله فردني والموت في رده
حتى إذا السكر لوى رأسه قبلته ألفاً بلا حمده

وقال في غلام يهواه وهو سمي [من الوافر] :

إذا باسمي دعيتُ حننتُ شوقاً وذكرني به الداعي حبيبي
فليت كما اتفقنا بالأسامي وألفتها اتفقنا بالقلوب

وقال [من الخفيف] :

الليالي تسوء ثم تسرُ وصروف الزمان ما تستقرُ
غير أنني عن الحوادث راضٍ بعد سخطٍ والعيش حلٌّ ومُرُ
كنت صَباً بواحد ثم ثَنَيْتُ فلي بالجميع وصلٌ وهجرُ
من كمثلي وعن يميني شمسٌ تتجلَّى وعن شمالي بدرُ
ذا على خدِّه من المسك سطرُ وعلى طرف ذا من الغنج سطرُ
بتٌ يجري عليّ من ريق هذين وكأسي شهدٌ ومسكٌ وخمرُ
لي من ريق ذا ومقلّة هذا معَ كأسِي سكرٌ وسكرٌ وسكرُ

وقال [من المنسرح] :

حذار من وصل من بليت به فقد لقيت الردى بجفوته^(١)
دنوت منه كيما أقبله فلم تدعني نيرانُ وجنته

وقال [من البسيط] :

قالوا التحى وستسلو عنه قلتُ لهمْ هل يحسن الروض ما لم يطلع الزهرُ
هل التحى طرفه الساجي فأهجره أم هل ترحزح عن الحاظه الحورُ^(٢)

(١) الوصل : اللقاء ، والردى : الموت .

(٢) الساجي : الساكن . والحور : شدة بياض العين وشدة سوادها .

وقال [من المنسرح] :

يا ضاحكاً يستهلُّ مضحكهُ
عن بردٍ واضحٍ وعن شنب^(١)
أعطيتني قبلةً رشفت بها الـ شـهد مشوباً بعبرة العنبِ
كأنني إذ لثمتُ فاك بها لثمت تفاحةً من الذهب

وقال [من المتقارب] :

فديتُ من الناس من لحظه	بلا خنجرٍ كاد أن يجرحا
كتمت هواه زمان الصبا	وصرحت بالحب لما التحى
وقيل محا الشعر لما بدا	محاسنه منه واستقبحا
فقلت لهم ما محا حسنه	ولكن صبري عنه محا
بنفسي عذارُ بدا طالعا	على ناضر الورد ما أملحا
فصير في رزة أصبعي	وأوثق كفي تحت الرحي ^(٢)

وقال [من الوافر] :

أشبههُ وحاشيةٌ لديه	ثقلاً كلهم رخمٌ وبوم ^(٣)
ببدر التمُّ إشراقاً وحسناً	وقد سترت محاسنه الغيوم
عهدت البدر تكنفه نجومٌ	وذا بدرٌ تطيف به رجوم ^(٤)

وقال [من مixel البسيط] :

عابوا وقالوا تسلَّ عنه	فقلتُ هذا أوان حبي
إن الذي عبتموه منه	هو الذي يشتهيه قلبي

(١) الشنب : صفاء الأسنان وبيضاضها .

(٢) الرزة : حديدة يدخل فيها القفل ، والرَّحَى : الطاحون .

(٣) الرخم : طائر من الجوارح يشبه النسر .

(٤) الرجوم : شهب تظهر في السماء وكأنها نجوم تتساقط .

وكلّما عبتموه عندي زاد جنوني به وعجبي
وقال [من السريع] :

أحببت بدراناً ما له مشبهٌ
أحورٌ في مقلته حجةٌ
وفي ارتجاج الردف داعٍ إلى
سأله الوصل فلم يحتشمُ
وقال [من مجزوء الكامل] :

يا سيدي ومؤملي قد شفني شوقي إلكا^(١)
دمعي عليك موردٌ فكأنه من وجنتيكا

وقال في غلام أعرج [من الكامل] :

قالوا بليت بأعرج فأجبتهم
ماذا عليّ إذا استجدت شمائلًا
إنّي أحبُّ جلوسه وأريده
في كلّ عضوٍ منه حسنٌ كاملٌ
وله [من الخفيف] :

ليس شرب المدام للمستهام مُذهباً ما به من الأسقام
كلّما دبّت المدامة في الأعضاء دبّ اشتياقه في العظام
وقال في غلام رش عليه ماء الورد [من الخفيف] :

ليت شعري عن ماء وردك هذا هو من وجنتيك أم شفتيكا

(١) الردف : المؤخرة .

(٢) شفني : أمرضني وأحلني .

(٣) الكتبان : الرمل المرتفع .

رَقَّ حسناً وطاب عرفاً فقد د ل بأوصافه الظَّراف عليكاً^(١)
وقال [من الخفيف] :

بات سكران لا يحيرُ جواباً عن كلامي وبتُ أَلثمُ فاهُ^(٢)
وأَتاني إبليس يأمر بالسو ء فما كان ذاك لا وهواه
شيمة الظَّرف أن أصون حبيبي عن قبيح يراه أو لا يراه
أي فرق بين الحبيب إذا نيك ولم يحتشم وبين سواه
وقال [من المنسرح] :

في وجه إنسانة كلفتُ بها أربعة ما اجتمعن في أحد^(٣)
الخدُّ وردُّ، والصدغُ غاليةُ والرِّيقُ خمرٌ، والثغر من برد^(٤)
لكلُّ جزءٍ من حسنِها بدعُ تودع قلبي بدائع الكمد^(٥)
وقال [من الرمل] :

يا نظيرَ البدر في صورته وشبيهَ الغصن في قامتهِ
والذي يتسبب الورد إلى روضةٍ تضحك في وجنتهِ
ما ترى في عاشقٍ مكتئبٍ دمعهُ وقفٌ على مقلتهِ
واقفٌ بالباب يشكو ما به فمتى تنظر في قصتهِ
وقال [من الخفيف] :

بأبي الأسمر الذي فزتُ منه بهلالٍ يبين للناظرينا
قد سقانا فما شفانا مداماً وشربنا من ريقه فروينا

(١) العرف : الرائحة الطيبة .

(٢) لا يحير جواباً : لا يدري .

(٣) كلفت : همت وعشقت .

(٤) الغالية : أخلط من الطيب .

(٥) الكمد : الحزن .

وقال [من المتقارب] :

غزالٌ فؤادي إليه صباً وهشٌ ولولاه لم يهش
أجلٌ نظراً في نقا خده وفي خديّ الأصفر الأنمش^(١)
تجد صحن خديه تفاحةً وخديّ من أجله مشمشي
وقال [من الخفيف] :

خذٌ من الدهر ما صفا لك منه ودع الفكر في بنات الطريق
أيُّ شيءٍ يكون أطيب من كَأ س رحيقٍ شيئتُ بريقٍ عشيق^(٢)
وقال [من المجتث] :

تظنُّ أنّي أسلو كلاً وربُّ البنيّه
الآن تيمّ قلبي بالliche السجيّه^(٣)
الخدُّ حمرة فضلٍ على الخدود النقيّه
فيه بقية حسنٍ لم تبق منّي بقيّه
وله [من مجزوء الخفيف] :

أنا والله تالفٌ آيسٌ من سلامتي
أو أرى القامة التي قد أقامت قيامتي
وقال [من المنسرح] :

وشادن ما رأيت غرّته الغراء إلا شككت في القمر
قد قلت لما رأيت صورته تبارك الله خالق الصّور

(١) الأنمش : من النمش ، وهي بقع صفار في الجلد تخالف لونه .

(٢) شيئت : مزجت .

(٣) السبحية : السوداء ، والسبح خرز أسود .

وقال في غلام زطي زامر [من السريع] :

ظبيُّ من الزطُّ تعلَّقه فصار معشوقي ومولايَ
أحسن والإحسان لم يجمعا في حسنٍ إلَّا لبلاويَ
إذا نأت روعي عن جسمها ردَّ لي النَّأي بالنأي

وقال في غلام يعرف بابن برغوث من مشاهير الملاح [من الوافر] :

بليت ولا أقول بمنْ لأئي متى ما قلت من هو يعشقه
حبيبٌ قد نفا عني رقادي فإن غمضتُ أيقظني أبوه

وقال [من المديد] :

مستهامٌ ضاق مذهبه في هوى من عزَّ مطلبه^(١)
كلُّ أمري في الهوى عجبٌ وخلاصي منه أعجبه
لي حبيبٌ كلُّه حسنٌ فعيون الناس تنهيه
صيغ من ماءٍ ولي نظرٌ ليس يُروى حين يشربه
ضاع من عيني فمقلتها في بحار الدمع تطلبه
منعتني من مقبله حين أدنومنه عقربه^(٢)
واستدارت فهي تحرسه من فمي بخلاً وترقبه

وقال [من البسيط] :

أهلاً وسهلاً بمن زارت بلا عذو تحت الظلام ولم تحذر من الحرس
تسترت بالدجى عمداً فما استترت وناب إشراقها ليلاً عن القبس
ولو طواها الدجى عتاً لأظهرها برق الثنايا وعطر النحر والنفس

(١) مذهبه : طريقه وحيلته .

(٢) العقرب : حشرة معروفة لسعها شديد الألم « ويشبه الصدغ بها » .

المجون وما يجري مجراه

قال [من السريع] :

قد قلتُ لما مرَّ بي معرضاً كالبدْر تحت الغسق الداجي^(١)
يهتزُّ في حشيتِه مُتعباً من كفلٍ كالـموج رجراج^(٢)
ويلي على حلٍّ سراويله فإنَّه شدَّ على عاج

وقال في غلام تركي شرب معه [من مجزوء الرمل] :

أيُّها التركيُّ ما عندك للصَّبِّ النحيلِ
هل إلى ما يستر القُرَّ طق عني من سبيل؟
أشتهي ذاك وأخشى صولة اللَّيث الثَّقیلِ

وقال [من المجتث] :

يا ليلةً ليس فيها إلى الفقاح سبيل^(٣)
طالت على ذي احتياجٍ له قمدٌ طويل^(٤)
مسكُرجٌ تتوالى دموعه وتسيل^(٥)
رقاده في الدياجي حتى ينك قليل
موتِرٌ مستقيمٌ عليه رأسٌ ثقیل
أنزلته خان سوءٍ عنه يطيب الرحيل

(١) معرضاً : صاداً غير مكترث ، والغسق : الظلام .

(٢) الكفل : الردف ، ورجراج : متحرك متموج .

(٣) القرطق : كجندب ، لبسٌ ، معرب كرتة وقرطقة : ألبسته .

(٤) الفقاح : جمع فقحة ، وهي حلقة الدبر .

(٥) القمد : الطويل الضخم العنق .

(٦) مسكُرجٌ : من صفات القضيبي « والسكرجة » الإناث الصغير .

وقال [من المجث] :

قل للكويكب عني بأيّ أير تنيك؟
والأير منك صغير نضو ضعيف ريك^(١)
شارك بأيرك أيري ونك فنعم الشريك

وقال [من الكامل] :

إنّي بليت بشادن غنج
يغنى الدراهم وهي معوزة
مستعجم الألفاظ أجهل ما
وإذا مدحت فليس يفهمه
فبحق ما بيني وبينك من
امنن عليّ بقربه فعسى
الجود منك سجيّة أبداً
حسن الشمائل وافر الكفل
عندي فحلي غير متصل
ييدي ويجهل فهمه غزلي
والفارسية ليس من عملي
ودّ بلا زيغ ولا ميل^(٢)
أحيا بزورته ويسمح لي
والمدح والتقريظ من قبلي

وقال [من الطويل] :

إذا لم يكن للأير بخت تعذرت
حرمتم الغزال الواسطي لشقوتي
وفاز به كل البرايا ، وربّما
أقول لأيري وهو يرقب فتكة
عزاء فقد خاس الرجال بسيدي
عليه جهات النيك من كل ناحية
قدمعة أيري فوق خصيه جاريه
غدت عقدي في خدعة المرد واهيه^(٣)
به خبت يا أيري وغالتك داهيه^(٤)
عليّ ولاذوا بالدعي معاويه^(٥)

(١) نضو: الضعيف المهزول .

(٢) الزيغ : الابتعاد .

(٣) عقدي : حيلي والأعبي ، وطّرقي واهية : ضعيفة .

(٤) غالتك داهيه : أصابتك مصيبة قضت عليك .

(٥) خاس : أخلف وغدر ، وفسد .

وقال [من الكامل] :

وتأملت شمطاً يلوح بعارضي^(١)
بمدوٍ من تمر عمرك حامض
تبغي النكاح بغير أيرٍ ناهض
كلّ الرضى كسرت ضلوع الرائض

لما رأّت كلفي بها وصبايتي
قالت أكلت جناك ثم أتيتنا
أفحين نام الأير منك وصلتنا
لا تعرضنّ لمهرقٍ إن لم تُرضُ

وقال [من الطويل] :

وما عندها من لذة القصف ما عندي^(٢)
لعمري ولكن لست أنشط للرشد
بطيء عن العذال في زمن الورد

وجاهلة هبت سفاهاً تلومني
توبّخني بالشيب والشيب مرشد
فقلت لها كفي ملامك إنني

وقال [من السريع] :

من أكرم الناس ذوي الفضل
كأنما أُملي له ويستملي

وبات في السطح معي واحد
أفسو فيفسو وهو لي مسعد

وقال [من المنسرح] :

قلبي بالحسن كلّ منعطف
لولا سفاهي والبدع من حرفي
عن لؤلؤ ما اعتزى إلى صدف^(٣)
أيري على بيضه من الأسفر^(٤)
وهو كثيف المجس كالهدف

عشقت للحين قينة عطف
ورمت نيكاً لها فكيف به
قلت ارفقي بالشريف فابتسمت
عجباً وأبدت كالقعب غض له
وصفقت فوقه تحسّرني

(١) الشمط : اختلاط بياض الشعر بسواده .

(٢) القصف : الخلاعة والمجون .

(٣) اعتزى : غمي ونسب .

(٤) القعب : النقرة « يريد بضع المرأة » .

وطال حتى علا على كتفي
تولج في ذا بالشعر والشرف
ولا بفخر فانسلاً أو فففـ
أملك سلواً ولجاً بي كلـفي
بيتاً ويكي بأدمع ذرف^(١)
فمن حذار الرقيب لم أقف

حتى إذا ما رنا له ذكري
قالت بحقي عليك تطمع أن
تالله لا نكتني بقافية
وأسبلت ثوبها عليه فلم
فعجت عنها والأير ينشدني
قال لي الشوق قف لتلثمه

وقال [من مجزوء الوافر] :

أيا من كلُّهُ قمرُ
لقد طالت عداتك لي
متى في البرج تحصل كي
وتنشر بيننا قبلُ
وكلُّ لحاظه حورُ
وأيامي بها قصر
تزيّف ويهدر الذكر^(٢)
يطير لنارها شرر

وقال [من المتقارب] :

وسوداء بورك في بضعها
نزوت عليها ولا علم لي
وكدت من الحرّ أن أشتوي
وألفيت من جسدينا معاً
فإن أخذشت قرطستُ بالمنى
ولا نال بؤساً فما أضيّقاً^(٣)
بأن لها كعثناً محرقاً^(٤)
ومن شدة الضيق أن أخنقا
لمبصرنا شبحاً أبلقاً
وإن تَمَّت ولدتُ عققاً^(٥)

(١) عجت : ملت عنها .

(٢) تزيّف : تتبختر، والذكر : عضو التناسل .

(٣) البضع : الفرج .

(٤) الكعثن : « الفرج » .

(٥) قرطست : أصابت الغرض ، وعقق : طائر كالغراب ذو لونين أبيض وأسود .

وقال [من المتقارب] :

لخمرةً عندي حديثٌ يطول رأني أبول فكادت تبولُ
فلما نهضت أتاني الكتاب وجاء الهدايا ووافى الرسول
وقالت تقولُ بنا يا فتى فقلت وأنعظت لم لا أقول^(١)
وقال [من السريع] :

وأجر غلماني في واسطٍ جوادوا بما كنت ضنيناً به
جاءوا مما يناكونا كنت من الإثراء قارونا^(٢)

* * *

ملح من أهاجيه لخمرة

قال [من البسيط] :

غشت خميرة يوم العرس حاجبها بريقها وأتني وهي مختضبة
فقلت للزوج لا تغرك حُمرتها فإنها القفل موضوعٌ على خربة
وقال [من السريع] :

يا سائلي عن ليلةٍ لي مضتُ وطيبها عند أبي الجيشِ
وكيف غنت خمرةً لا تسلُ غنت فأغنتنا عن الخيش^(٣)
كفٌ على الطبل لايقاعها وكفُّها الأخرى على الفيش^(٤)
وربما مرت لها فسوةٌ من فمها عفتُ على العيش

(١) أنعظ الذكر : أي قام وانتصب .

(٢) قارون : أحد الكفرة الأغنياء في زمن موسى عليه السلام وردت قصته في القرآن الكريم .

(٣) الخيش : ثياب في نسجها رقة وخيوطها غلاظ .

(٤) الفيش : رأس الذكر .

وقال [من السريع] :

سليقة اللون سلوكيه	رب عجوز مستعنيه
أبدت ثنايا آبنوسيه	عاجية الشعر إذا استضحكت
كمقرب في وسط برّيه ^(١)	ذات حرّ عنبله بارز
كالودع في عقصة كرده	وشعرة بالقمل منظومة
كقنفذ عضّ على ريه ^(٢)	يفترّ ذاك الصدغ عن بظرها
فهى على العاهة لوطيه ^(٣)	مُسِنَّة تصبو إلى أمرد

وقال [من الوافر] :

أقامت مع مؤاجرها زمانا ^(٤)	عجبت لخمرة البخراء أتى
ينيكُ به فيردفه لسانا ^(٥)	وليس لأيره طولٌ ولكن
لساناً ربّما درس القرانا	لحاه الله كيف يدس فيها

وقال [من السريع] :

مرجة ما مثلها تجره	هل لك يا خمرة في تجرة
ربك بالنكهة في البصره	صيري إلى البصرة واسترقي
لابتيعت التفلة بالبدرة ^(٦)	فلو عرضت الريق في سوقها
غير أوان الحمرة البسره ^(٧)	تزكو بها النخل وتحمر في

(١) الحرّ : الفرج .

(٢) ريه : يعني على شفته حيث يبدأ الارتواء .

(٣) لوطية : من اللواط وهو الاتيان من دُبر .

(٤) البخراء : أي أن رائحة فمها كريهة .

(٥) يردفه : يضم إليه .

(٦) البدره : كيس توضع فيه كمية من الدراهم .

(٧) البُسْر : ثمر النخل الذي لَوْن ولم ينضج .

وقال [من المنسرح] :

لا تسمعوا خمرة فقد هرمت
رثٌ غناها ورثٌ كعثنها
وانكسرتُ تلکم القواريرُ
وكلُّ بازٍ يمسُّهُ هرمٌ
والخلق المسترثُ مهجور^(١)
تخرى على رأسه العصافير

وقال [من الطويل] :

وقد كنت قبل الشيب أعشق خمرةً
إلى أن عفا حرّها ودبّب منعظي
وتفرطُ في عشقي وتضرطُ من حيي
وصارت قفا نبك وصرت ألا هيّ^(٢)

وقال [من البسيط] :

حسبي سواك وبسّي من وصالك لي
لا تعذّليني على ما كان من مللٍ
شغلّتُ عنك بمن أهواه فاشتغلي^(٣)
هرمت حتى تناسيت اللحون معاً
من ذا يراك فلا يصبو إلى الملل
إن كنت أبصرت أسي منك في بصري
وصرت مفرغةً الألحاظ والمقل
البحر أنت وأيري ليس من سمكٍ
فلا بلغت الذي أهواه من أمني
وليس بيني وبين البحر من عمل

وحصل معها في دعوة فغنت . فقال ابن سكرة [من السريع] :

ذنبي عظيمٌ ما أرى يُغفرُ
فالحمد لله على حكمه
في وصل من نكتهها مبعر^(٤)
قد قلت لما لاح لي ثغرها
وانثر السوسن من صدغها
هذا دليلٌ أنني مدبر
ولاح منه الخنزف الأخضر
وثار منها نفس أبخر

(١) رثٌ : بلي ، والكعثن : الفرج .

(٢) عفا : انمحى ، ودبّب منعظي : أي ضعف الذكر منّي .

(٣) بسّي : ابتعدي وتنحّي .

(٤) المبعر : المخرج .

وشفَّ قلبي نتن أباطها يا معشر الناس قفوا فانظروا^(١)

* * *

ما أخرج من سائر أهاجيه

قال [من مخلع البسيط] :

تهت علينا ولست فينا	وليَّ عهدٍ ولا خليفه
فيه وزد ما عليَّ جارٍ	يقطع عني ولا وظيفه ^(٢)
ولا تقل ليس فيَّ عيبٌ	قد تقذف الحرّة العفيفه
الشعر نارٌ بلا دخانٍ	وللقوافي رقيٌّ لطيفه ^(٣)
كم من ثقل المحل سامٍ	هوت به أحرفٌ خفيفه
لو هجى المسك وهو أهلٌ	لكلِّ مدحٍ لصار جيفه

وقال [من البسيط] :

أمّا الصيام فشيءٌ لست أعدمه	مدى الزمان وإن بيّتُ إفطارا
أغشى أناساً فأغشى في منازلهم	جوعاً عليّ ولا أغشى لهم ناراً
قد أجموا القمل أن ترزأ دماءهم	وأجموا في الكوى الجرذان والفارا ^(٤)

قال [من الوافر] :

وهنوا بالصيام فقلت مهلاً	فأنّي طول دهري في صيام
وهل فطر لمن يمسي ويضحى	يؤمّل فضل أقوات اللثام

(١) التّن : الرائحة الكريهة والأباط : جمع إبط .

(٢) ما عليّ جارٍ : أي رزقٌ أو مالٌ شهري .

(٣) الرقيّ : النفث .

(٤) الكوى : الخرق في الحائط .

وقال [من السريع] :

أكره أن أدنو إلى داركم لأنني أخشى على نفسي
ضرسي طحونٌ وعلى خبزكم من أكل مثلي آية الكرسي
وهو الذي أقعدني عنكم فكيف آتي ومعني ضرسي ؟
وقال [من الوافر] :

عليلٌ لا يعاد من الخساسة له نفس تحيد عن النفاسة^(١)
دخلت أعوده فازورٌ عني كآني جئته لأدقّ راسه^(٢)
وقال [من السريع] :

قام إلى كلبٍ له مثله فلم يزل يعلوه بالسيفِ
فقلت ما ذنب أخيك الذي يقنع من زادك بالطفِ
فقال لي لا عفوَ عن ذنبه حاف علينا أيّما حيف^(٣)
صانعه الضيف بعظمٍ له فنحن في ريبٍ من الضيف
وقال [من الكامل] :

كلُّ العجائب قد سمعت وما أرى أني سمعت لشاعرٍ قرنان
قرن يحكُّ به السماء ومثله ذنبٌ يزور الحوت في الأزمان
وإذا تحدّث أحدثت لهوائه فترى الأنوف تلوذ بالأردان^(٤)
وترى أخادعه تعطُّ كأرنبٍ عكفت عليه مناسر العقبان^(٥)

(١) الخساسة : الضعة ، والنفاسة : من النفيس وهو الثمين الغالي .

(٢) ازورّ : أشاح مغضباً .

(٣) الحيف : الانتقاص والظلم .

(٤) أحدثت : من الحدث وهو الريح والغائط من الانسان ، والأردان : أطراف الأكام .

(٥) تعطُّ : تشنّى ، وعطّ الثوب : شقّه .

وقال [من السريع] :

لا قدّستُ أرضُ أقمنا بها قريبةٌ من طبرستان
ليست خراسان ولكنّها تقرب من أرض خراسان
لا سقيت جرجان من وابلٍ قطراً ولا ساكن جرجان
قومٌ إذا حلَّ غريبٌ بهم مات من الشوق إلى البان^(١)

وقال [من السريع] :

لا وصل الروح إلى تربةٍ تضمّنت روح أبي روح
والضرطُ والفسو على قبره أولى من التأبين والنوح

وقال [من الخفيف] :

يا جوّ أمرد يا حليف البلاده لك في الفسق عادةٌ أي عادة^(٢)
أنت لا تعرف الصلاة فقل لي لم تأنّقت في شرا سجّاده

وقال [من الكامل] :

يا شاعراً جمّت مصائب دبره وتكاثفت لوداقه أوجاعه^(٣)
طلب التطبّع في القريض بجهد فجرت طبيعته وقام طباعه^(٤)

وقال [من البسيط] :

علامة النحس والخذلان والشوم إغراض وجهك عن صقرٍ إلى بوم
كراغبٍ في بنات الزنج من أفنٍ وزاهدٍ في بنات الترك والروم^(٥)

(١) ألبان : شجر لين ورقه طويل ، أبيض الزهر، وبان : بعد ، وانفصل .

(٢) كذا وقع صدر هذا البيت .

(٣) جمّت : كثرت .

(٤) القريض : الشعر .

(٥) الأفن : الحمق والجهل .

وقال [من المتقارب] :

تجشَّأتُ في وجه بوابه	ليعرف شعبي فلا أُمْنَعُ
وقلت له إنَّ بي تخمَّةٌ	فهل من دواءٍ لها ينفع ؟
فقال لقد غرَّني معشرُ	بهذا الحديث الذي أسمع
فلما نذرت بهم صاحبي	ولاحت موائده أوجعوا
فراحوا بطاناً ذوي كظَّةٍ	وأقبلت من أجلهم أصفع ^(١)

وقال [من الوافر] :

يطيل المكث في الإِصْطبل حتَّى	يرى أير الحمار إذا آسْطَرَّ ^(٢)
فيمرسه ويكثرُ قولَ طوبى	لغمْدٍ ضمَّ هذا النصل شهراً ^(٣)

وقال [من الوافر] :

لنا شيخ يصلي من قعودٍ	وينكح حين ينكح من قيامٍ
صموت فمٍ أخو عيٍّ ولكنْ	له دبرٌ يطفَلُ بالكلام ^(٤)

وقال لكاتب وعده كاغداً فلم ينجز [من المنسرح] :

كددنتي أن سألتك الورقا	فكيف حالي إن قاسمتك الورقا ^(٥)
يا كاتباً برزت كتابته	فصار فيها مقدماً لبقا
أسلم في مكتب المروءة والظرف	وكسب العلا فما حذقا

(١) البطان : كثرة الأكل : والكظَّة : امتلاء البطن حتى لا يطبق التنفُّس .

(٢) اسطَرَّ : ظهر وانتصب .

(٣) يمرسه : يعركه بيديه أو يلوكه .

(٤) العيَّ : صعوبة النطق : يطفَلُ : يتدبَّر .

(٥) كددنتي : أتعتيتي وبخلت عليّ والورق الأول يقرأ بفتح الواو والراء جميعاً وهو ما يكتب فيه والورق الثاني يقرأ بفتح الواو وكسر الراء وهو الفضة .

حتى إذا أسلموه في مكتب اللؤم جرى كيف شاء وانطلقا

* * *

ما أخرج من خمرياته ، وما يتصل بها من الأوصاف

قال [من البسيط] :

إشربُ فلليوم فضلٌ لو علمتَ به بادرتَ باللهو واستعجلتَ بالطرب
ورد الخدود وورد الروض قد جمعا والغيم مبتسمٌ والشمس في الحجب
لا تحبس الكأس واشربها مشعشةً حتى تموت بها موتاً بلا سبب

وقال ، وقد شرب في الغمر بواسطة [من مجزوء الرمل] :

ليأتي في الغمر دهري أو يقضي العمر عمري
مرّ لي في العمر يومٌ لا أجازيه بشكر
بين غزلان النصارى أمزج الريق بخمر

وقال ، وقد شرب عند الأمير أحمد بن ورقاء [من مجزوء الخفيف] :

لأمير الجليل لا حطّ من نبل قدره
قهوةً أشبهت سجا ياه في كلّ أمره
ذات صفو كودّه ونسيم كنشره
قد حصلنا بمجلسٍ فيه ريحان ذكره
فشربنا بحمده وانتقلنا بشكره
وسمعنا غرائباً من أفانين شعره
فكأنّا في الخلد نر تع في طيب زهره

وقال [من مجزوء الكامل] :

قم يا غزال من الكرى روحي فداؤك من غزال

هذا الصبح وأنت أنت وهذه بكر الحجال
لا تخذعن عن الشمو ل يشوبها ماء الشمال
وقال سامحه الله تعالى [من الخفيف] :

قد بدا الصبح مؤذناً بسفور وفرى الفجر حلة الديجور^(١)
فاسقني قهوة تترجم بالرقة عن دمع عاشق مهجور
وقال [من المنسرح] :

يا ساهر الطرف قد بدا السحر
ورق جلاب لينا ودعا
فما ترى في اصطباح صافية
رقت فراقت وفات ملمسها
فهي لمن شم ريحها أثر
ترى الثريا والغرب يجذبها
كف عروس لاحت خواتمها
في روضة راضها الربيع وما
حيث نأى الناي بالعقول وقد
وجمشتنا بنشرها الزهر^(٢)
إلى الصبح الصباح والقمر
بكر حناها في الحانة الكبر
ولم يفتنا النسيم والنظر
وهي لمن رام لمسها خبر
والبدر يهوى والفجر ينفجر
أو عقد در في الجو ينثر
قصّر في وشي بردها المطر^(٣)
أبلغ في نيل وتره الوتر

وقال ، وكتب بها إلى يحيى بن فheid يستهديه نبذاً [من المجتث] :

رسالة من مكداً وشاعر وشريف
إلى فتى مستبداً بكل فعل ظريف
إليك يحيى اشتكائي صحوي بيوم طريف

(١) السفور : الوضوح ، وفري : شق .

(٢) جمش : داعب .

(٣) راضها : حل بها وقادها .

ولست مضمّر نسك ولو أسام بديني
لبعته برغيف^(١) موت الوزير دعاني
إلى التماس طفيف ولم أزل وهو حي
يا ذا المحلّ المنيف^(٢) وأنت منه اعتياضي
أجل وكهفي وغوثي على الزّمان العنيف
وفي النيذ سلو عن الغرام المطيف
فامنن عليّ بضخم من الدنان كثيف
مستودع ذات لون ومطعم حرّيف^(٣)
كأنّها وهم حسّ أتى بحدس لطيف
فقد تبدّد شملي وأنت للتأليف

وقال [من مجزوء الكامل] :

يا من ثناه وذكره بين الوري مسك وعنبر
إني كتبت وزائري ظبي مليح الدلّ أحور^(٤)
متمنّع في الصحو يسمح بالبضاعة حين يسكر
وأرى تعذّر أمره في الكفّ إن سكر تعذّر
فامنن عليّ بقهوة أنف الحبيب بها يغفر
فأنال منه أنا المنى وتحوز أنت ثناً وتؤجر

وقال [من مجزوء الكامل] :

إن كنت تشط للمديح وللشاء عليك مني

(١) أسام : من السوم وهو المفاصلة عند البيع والشراء .

(٢) المنيف : الشامخ المشرف .

(٣) الحرّيف : الحاد الطعم ، الذي يلذع الفم واللسان .

(٤) الدلّ : الجرأة في تطف ، الغنج .

فابعث إليّ مع الرسو ل إذا أتاك بملء دَنٍّ^(١)
ومتى رضيت بأن أقطّع أو أهجّن أو أزنّي^(٢)
فاصرف رسولي خائباً وادفع بقبحك حسن ظنيّ

وقال [من مجزوء الرمل] :

يا فتى الجصاص قد أعدمتني الإحسان دفعة
ولزمت الشحّ بالراح فما تسخو بجرعه
قد أتى العيد وصحوي فيه يا مولاي بدعه
أملني فيك قريبٌ ليس فيه لي منعه
شربةٌ من خمرك الصا في ومن ندك قطعه^(٣)
ينبذ الحبّ فيستنفده الشعر برقه

وقال [من المجتث] :

لنا على النار قدرٌ بخاتم النار بكرُ
وعندنا من بقايا صيحة العيد خمر
وقد دعونا غلاماً كالغصن أعلاه بدر
فاطلع علينا وساعدُ أو لا فما لك عذر

وقال [من مخلع البسيط] :

على الأثافي لنا قدورٌ ساكنةُ النَّبْضِ لا تفور^(٣)
قامتْ على سوقها لأكلٍ ونحن من حولها ندورُ
وعندنا من شراب عمرو دنٌ رحيبُ الحشى كبيرُ

(١) أهجّن : أعاب .

(٢) النّدّ : عود طيب الرائحة يُتخَرَّبُ به .

(٣) الأثافي : الحجارة التي توضع عليها القدر ، واحدتها أثفية « الموقد » .

لما فضضناه فاح منه نسيم مسكٍ ولاح نور
فكن لنا مسعداً وبادر يكملُ بك الحسن والسرور
واغنم من الدهر صفو يومٍ فهو بتكديره جدير

وقال يستهدي نبذاً في ذكره^(١) [من الطويل] :

وزنجيةٍ لم تعرف الزنج طفلةٍ خميسة بطنٍ مسهاً عندك العطشُ
فجاءتك تستسقي من الخمر ريثها فترجع كالحبلى من النسوة الحبشُ
فكم من هزيلٍ مثلها في ضمورها غيت به حتى تضلّع وانتعشُ

وقال [من المجث] :

للورد عندي محلٌّ لأنّه لا يملُ
كلُّ السرياحين جندٌ وهو الأمير الأجلُ
إن غاب عزّوا وباهوا حتى إذا عاد ذلّوا

وقال من قصيدة^(٢) [من الوافر] :

ويومٍ لا يقاس إليه يومٌ يلوح ضياؤه من غير نار
أقمنا فيه للذات سوقاً نبيع العقل فيه بالعقار

* * *

الشكوى والتفجع

وقال [من الوافر] :

أرى حلاً وديباجاً حسناً فألحظها بطرفٍ المستريب^(٣)

(١) الذكرة : الكتاب .

(٢) تقدم ذكر هذين البيتين « انظر ص ٤ من هذا الجزء » .

(٣) الطرف : العين ، والمستريب : الشاك .

وأعرف قصّتي وأردُّ طرفي وفي قلبي أحرُّ من اللهب
 جنى نسبي عليّ وصدّ رزقي وأثكلني من الدنيا نصبي
 فوا أسفاً على كستيح قس ويا لهفاً على قوس الصليب^(١)
 وقال [من مجزوء الخفيف] :

قد أتى العيد لا أتى فلقد أنهج المهج^(٢)
 ليس فيه لهاشميَّ سرورٌ ولا فرج
 إنّه عيد أهل قمّ وقاشان والكرج^(٣)
 يتلاقى بياضهم بقلوبٍ من السبج^(٤)

وقال يتأسف على أيام المهلي الوزير [من الكامل] :

يا صاحبيّ قفا أثبُكما ما قد منيت به من النوبِ
 وافى الربيع وقد ألفت به درر السقاة بدائر النخب
 في روضةٍ صبغ الربيع بها ورد الخدود بعصفر العنب^(٥)
 وإذا الغلام أدار في يده صفراء بعد المزج كالذهب
 حمراء يضحك فوق مفرقها ثغر الحباب كثغر ذي شنب^(٦)
 أسجدت فوق الخدّ منه فمي شكراً لما أوليت من طرب^(٧)
 هذا حديثٌ كان لي ومضى كالأمس ولّى ثمّ لم يشب^(٨)

(١) الكستيح : خيط غليظ يشده الذمي فوق ثيابه تحت الزنار .

(٢) انهج المهج : أبلاها .

(٣) قم وقاشان والكرج : أسماء بلاد في إيران .

(٤) السبج : الخرز الأسود .

(٥) العصفر : نبات يصيغ به وصبغه أصفر .

(٦) الشنب : عذوبة ورقة في الأسنان .

(٧) أسجدت : طأطأت وانحنيت .

(٨) لم يشب : يعود من جديد .

أيام كنت من المهالب في
فمن أعوذ اليوم من كمل
والورد قد وافى بنضرته
طلّقتُ لذاتي الثلاث فما
فاذا بصرت بوردة قنعتُ
فعلى السرور وكلُّ فائدة
وقال [من الطويل] :

مضى ملكٌ عمّ البرية جوده
سكرت بنعماء وجود وزيره
وقال [من البسيط] :

لا عذب الله ميتاً كان ينعشني
طواه موتٌ طوى منّي مكارمه
وقال لبعض الوزراء [من المنسرح] :

يا سيدي أنت إن لي خيراً
هاك حديثي فإن نشطت له
مستأنس زارني وحسبك بال
باكرني جائعاً فهتكني
وهو على البخت ناقة فمتى
لم يبق في روح برمتي رمقاً

(١) راع : أخاف .

(٢) الحدقة : سواد العين .

(٣) الفقحة الشبقة : النقحة : حلقة الدبر والشبقة : من الشبق ، أي حب الجنس .

(٤) البخت : الحظ . والفرت : ما يكون في الكرش .

وعاث في سفرتي كمشيلة
 قلعاً وبلعاً بلا مراقبة
 قل للرئيس الذي أنامله
 حلت لي الميتة التي حرمت
 وقال [من البسيط] :

يا سيداً ظلّ فرداً في سيادته
 الشوق يُنهضني والعدم^(٣) يُقعديني
 وقال [من السريع] :

جملة أمري أنثي مفلسٌ
 وكلُّ ذي عيشٍ بلا درهمٍ
 وقال [من مجزوء الرمل] :

قيل ما أعددت للبر
 قلتُ درأعةً عري
 وقال [من البسيط] :

وجاهلٍ قال لي : لا بدّ من فرجٍ
 فقال من بعد حينٍ قلتُ يا عجباً
 لو كان ما قلتُ حقّاً لم أكن رجلاً
 فقلتُ للغيط : لم لا بدّ من فرجٍ ؟
 من يضمن العمر لي يا بارد الحجج
 مُقسّمُ العمر في الروحات والدكج

(١) المشيلة : المسبعة . وغرثى : جائعة .

(٢) منخرقه : متكرّمة متلطفة .

(٣) الجلل : العظيم .

(٤) العدم : الفقر : شناك : أبغضك .

أَسْعَى لِأَدْرِكَ حَظًّا لَوْ حَظَّيْتُ بِهِ مَا كُنْتُ أَوَّلَ مُحْظُوظٍ مِنَ الْهَمَجِ
 ذَنْبِي إِلَى الدَّهْرِ أَنِّي أَبْطَحِيُّ أَبٍ وَلَسْتُ أَعْزَى إِلَى قَمٍّ وَلَا كَرَجٍ^(١)
 وقال [من البسيط] :

أَمْسَى يَسْأَلُ عَنْ حَالِي لِيُخْبِرَهَا وَكَيْفَ أَمْسَيْتُ فِي أَهْلِي وَفِي بَلَدِي
 فَقُلْتُ حَالِي بِحَالٍ مِنْ رِثَائِهَا وَعَلَّةُ الْحَالِ تُنْسِي عَلَّةَ الْجَسَدِ

* * *

المدائح وما يقترن بها

قال من قصيدة في الفرج [من السريع] :

وَقَائِلٍ لَمْ غَبَتْ عَنْ لَحْظِهِ وَأَنْتَ مِنْ أَصْغَرِ غُلَمَانِهِ
 فَقُلْتُ مَا أَجْهَلُ فَخْرِي بَمَنْ تَسْمُو بِهِ سَادَاتُ أَزْمَانِهِ
 هَيْبَتُهُ تَمْنَعُ مِنْ قُرْبِهِ وَحُبُّهُ يَغْرِي بَغْشِيَانَهُ^(٢)
 وَقَدْ تَبَلَّدْتُ فَهَلْ حِيلَةٌ تَبْسُطُ أَنْسِي عِنْدَ لَقْيَانِهِ

وقال لابن لوزة ، وقد أهدى إليه دواة [من البسيط] :

أَخٍ مَزَجْتَ بِرُوحِي رُوحَهُ جَرَى مَنِّي كَمَجْرَى دَمِي فِي الْجِسْمِ أَفْدِيهِ
 ثُمَّ اتَّفَقْنَا عَلَى الْقَابِ سَالِفْنَا فَصُرْتُ فِي كُلِّ حَالٍ مَا أَضَاهِيهِ
 أَهْدَى إِلَيَّ دَوَاةً لَوْ كَتَبْتَ بِهَا دَهْرِي أَيَادِيهِ لَمْ تَنْفُدْ أَيَادِيهِ

وقال في أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيى [من الوافر] :

لَقَدْ أَمْسَكَتَ مِنْ عَمْرِ بْنِ يَحْيَى بِجَبَلٍ لَا أَخَافُ لَهُ انْبِتَاتًا^(٣)

(١) أعزى : أنسب .

(٢) غشيانه : إتيانه وقصده .

(٣) انبتاتاً : انقطاعاً .

جبانى فى الحىة ورمّ حالى وأوصى بى أبا حسنٍ وماتا^(١)
فكنت مجاوراً للبحر منه فلما مات جاورت الفراتا
وقال يهنى بالعيد [من الوافر] :

عماد الدين قابلك السعود وعشت كما تريد لمن تريد
وأظهرك الإله على الأعادي ومات بدائه فيك الحسود
أتاك العيد مقبلاً جديداً وجدك فيه مقبلاً سعيد^(٢)
يُهني الناس بالأعياد فينا وأنت لنا برغم العيد عيد
وقال [من الخفيف] :

ولعمر الإله لولا أياديك لماتت خواطر الشعراء
عشت تطوي الأعياد طي الأعادي في سرورٍ ونعمةٍ ورخاءٍ

* * *

سائر الملح والنوادر

قال [من الوافر] :

أقرّ الله عينك يا جفوني فقد أعتقت من رقّ السُّهاد
ويا عيني لك البشرى فنامي وتهنيك السلامة يا فؤادي
نزعت عن الهوى وبرئت منه إليك وكنت دهري في جهاد^(٣)

وقال [من مجزوء الكامل] :

يا شاعراً نمتار من أفكاره الفقر الدقاق^(٤)

(١) رمّ حاله : أصلحه وأقامه .

(٢) الجدّ : الخطّ .

(٣) نزعت عن الهوى : تخلّيت وفارقت .

(٤) نمتار : نشترى ونستخلص ، والفقر : القطع من القصائد .

شعرُ لو أنَّ الشَّهْدَ قيس به وجدناه زعاقاً^(١)

وقال يصف رمكة شقراء^(٢) [من المنسرح] :

شقراء إلاَّ حبولٌ مؤخرها فهي مدامٌ ورسغُها الزَّبْدُ
تعطيك مجهودها فراهتها في السير فالحضر عندها وتد^(٣)

وقال [من مجزوء الرمل] :

قلت للنَّزلة حُلِّيْ وانزلي غير لهاتي
واتركي حلقي بحقي فهو دهليز حياتي

وقال في غلام له كبر فأخرجه [من مجزوء الرمل] :

ما تركناه وفيه لمحِبٌّ من طباخ
هدر الطير ومن عا داتنا أكل الفراخ

وقال [من السريع] :

وهامةٍ نيطت بها لحيَةٌ يظلم من قد قاسها باللَّحَى
قد نصل الخضب إلى نصفها فهي كمثل النمل إذ أجنحنا^(٤)

وقال [من المتقارب] :

فإن كنت من هاشمٍ في الذرى فقد ينبت الشوك وسط الأَقاحي

وقال [من الطويل] :

هو البحر إلاَّ أنَّه عذب مورِدٍ ومن عجبٍ أنَّ العذوبة في البحر

(١) الزعاق : الماء المرّ الغليظ الذي لا يطاق شربه .

(٢) الرمكة : المهرة أو الفرس .

(٣) الحضر والاحضار : ارتفاع الفرس عند العدو .

(٤) الخضب : من الخضاب وهو الصباغ ، ونصل أي ذهب قسمٌ منه .

وقال [من الكامل] :

الجوع يطرد بالرغيف اليابس الموت أنصف حين عدلّ قسمةً
فعلام تكثُرُ حسرتي ووساوسي بين الخليفة والفقير البائس

وقال [من السريع] :

كنتُ فقيراً ثم أغنيتني كمثل من بخّره أهله
وعدتُ في الفقر من الراس وهو على مجمره فاسي^(١)
وله [من السريع] :

أما ترى الروضة قد نورّت كأنما الأرض سماءً لنا
وظاهر الروضة قد أعشبا نطف منها كوكباً كوكبا
وقال [من المنسرح] :

أطعمني في خروفكم خرّفي غدوت أرجو طرافه فغدتُ
فجئت مستعجلاً ولم أقفِ في طرفٍ والسّمّاك في طرفٍ
وقال [من الوافر] :

لقد بان الشباب وكان غضاً وكان البعض منك فاعلمُ
له ثمرٌ وأوراقٌ تظللُك^(٢) متى ما مات بعضك مات كلُّك
أخذه من قول الخريمي [من الوافر] :
إذا ما مات بعضك فابك بعضاً فبعض الشيء من بعضٍ قريبُ

(١) المجرم : ما يوضع فيه الجرم مع البخور .

(٢) بان : مضى وذوى .

وقال في الزهد يخاطب نفسه [من الطويل] :

محمدٌ ، ما أعددت للقبر والبلى	وللملكين الواقفين على القبر؟
وأنت مصرٌّ لا تراجع توبةً	ولا ترعوي عمًّا يذمُّ من الأمر
تبيت على خمرٍ تعاقر دنُّها	وتصبح مخموراً مريضاً من الخمر
سيأتيك يومٌ لا تحاول دفعه	فقدّم له زاداً إلى البعث والحشر

* * *

الباب السابع

٢ - نذكر فيه محاسن أبي عبد الله الحسن بن أحمد بن الحجاج
وغرائب

هو وإن كان في أكثر شعره لا يستتر من العقل بسجف^(١) ، ولا يبيّن رجل قوله إلا على سخف . فإنه من سحرة الشعر ، وعجائب العصر . وقد اتفق من رأيتهم وسمعت به من أهل البصيرة في الأدب وحسن المعرفة بالشعر على أنه فرد زمانه في فنه الذي شهر به ، وأنه لم يسبق إلى طريقته ، ولم يلحق شأوه في نمطه ، ولم ير كاقتراده على ما يرده من المعاني التي تقع في طرزه ، مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها ، وانتظامها في سلك الملاحاة والبلاغة . وإن كانت مفصحة عن السخافة ، مشوبة بلغات الخلديين والمكدين وأهل الشطارة^(٢) . ولولا أن جد الأدب جد وهزله هزل كما قال إبراهيم بن المهدي لصنت كتابي هذا عن كثير من كلام من يمد يد المجون فيعرك بها أذن الحرم . ويفتح جراب السخف فيصفع بها قفا العقل . ولكنه على علته تنفكه الفضلاء بشار شعره ، وتستملح الكبراء بينات طبعه ، وتستخف الأدباء أرواح نظمه ، ويحتمل المحتشمون فرط رفته وقذعه^(٣) . ومنهم من يغلو في الميل إلى ما يضحك ويمتع من نوادره ، ولقد مدح الملوك

(١) السجف : الستار .

(٢) مشوبة : ممزوجة ، والمكدين : الذين يستعطون الناس .

(٣) الرفث والقذع : أي فحشه وإساءته .

والأمراء ، والوزراء والرؤساء ، فلم يخل قصيدة فيهم من سفاتج هزله^(١) ، ونتائج فحشه ، وهو عندهم مقبول الجملة غالى مهر الكلام ، موفور الحظ من الإكرام والإنعام ، مجاب إلى مقترحه من الصلات الجسام ، والأعمال المجدية التي ينقلب منها إلى خير حال ، وكان طول عمره يتحكم على وزراء الوقت ورؤساء العصر ، تحكم الصبي على أهله ، ويعيش في أكنافهم عيشة راضية ، ويستثمر نعمة صافية ضافية . وديوان شعره أسير في الأفاق من الأمثال ، وأسرى من الخيال . وقد أخرجت من ملحہ الخالية من الفحش المفرط ، الحالية بأحسن المقرط ، ونوادره التي تسر النفس ، وتعيد الأنس .

ما يستغرق وصف ابن الرومي [من الكامل] :

شرك العقول ونزهة ما مثلها للمطمئن وعقله المستوفز^(٢)
 إن طال لم يملل وإن هي أوجزت ودَّ المحدث أنها لم توجز

فمن ذلك وصفه لشعره ولسخفه كقوله [من المجث] :

فإن شعري ظريف من بابة الظرفاء
 ألدُّ معنى وأشهى من استماع الغناء

وقوله [من مجزوء الكامل] :

قرم إذا أنشدته شعري البديع تهلاً^(٣)
 فحسبت أن أبا عبا دة يمدح المتوكلا

(١) السفاتج : هي أن تعطي رجلاً مالاً فيعطيك وثيقة تستردُّ بها مالك من عميل له في بلد آخر أنت قاصده « من السفتجة » .

(٢) شرك العقول : نظمها وحبكها . والمستوفز : المتيقظ الوافر .

(٣) القرم : السيد القوي .

وقوله [من المجتث] :

إن عاب ثعلب شعري أو عاب خفة روعي^(١)
خریت فی باب أفعلت من كتاب الفصیح

وقال [من السريع] :

یا سیدی هذی القوافی التي وجوها مثل الدنانیر
خفیفۃ من نضجها هشة كأنها خبز الأباذیر

ومن أخرى يصف فيها نفسه [من الخفيف] :

حدث السن لم يزل يتلهى علمه بالمشايخ الكبراء^(٢)
خاطر يصفع الفرزدق في الشعر ونحو ينك أم الكسائي
غير أنني أصبحت أضيع في القوم من البدر في ليالي الشتاء
ومن جملتها :

رجل يدعي النبوة في السخف ومن ذا يشك في الأنبياء
جاء بالمعجزات يدعو إليها فأجيبوا يا معشر السخفاء
وقال [من مخلع البسيط] :

بالله يا أحمد بن عمرو تعرف الناس مثل شعري
شعر يفيض الكنيف منه من جانبي خاطري ونحري^(٣)
نسيمه منتن المعاني كأنه فلتة بجحر
لو جد شعري رأيت فيه كواكب الليل كيف تسري

(١) ثعلب : أحد النحاة المشهورين .

(٢) حدث السن : صغيره .

(٣) الكنيف : المرحاض .

وإنما هزله مجونٌ يمشي به في المعاش أمري
وقال من قصيدة [من المجتث] :

ألست تعلم أنني في غيتي وحضوري
ما زلت فيك بمدحي أنيك أم جرير
ومن أخرى [من الخفيف] :

ويدٌ تخرج العرائس في مد حك بين الأقلام والأدراج
فاستمعها مني ألدٌ وأشهى من سماع الأرمال والأهزاج
بمعانٍ بخورها لك طيبٌ وفساها في لحية الزَّجَّاج^(١)
حلقت في الطوال ذقن جرير والأراجيز لحية العجَّاج
وكتب إليه بعض الرؤساء [من مجزوء الرمل] :

يا أبا عبد الإله بك أصبحت أباهي
غير أن السخف في شعرك قد جاز التناهي
ولقد أعطيت من ذا ك ملاحات الملاهي
أقدم الآن على القو ل ولا تصغ لناهي

فأجابه [من مجزوء الرمل] :

سيدي شكرك عندي مثل شكري لإلهي
سيدي سخفي الذي قد صار يأتي بالدواهي
أنت تدري أنه يد فعن مالي وجاهي
ليت من عاداك عندي وهوساهي الذقن لاهي

(١) الزَّجَّاج : أحد النحويين .

فترى لحيته في استي إلى الصدغ كما هي^(١)

وقال [من الوافر] :

وشعري سخفه لا بدّ منه فقد طبنا وزال الاحتشامُ
وهل دارٌ تكون بلا كنيفٍ فيمكن عاقلاً فيها المقام

وقال [من الوافر] :

تراني ساكناً حانوت عطري فإن أنشدت ثار لك الكنيفُ

وقال [من مجزوء الكامل] :

شعري الذي أصبحت فيه فضيحةٌ بين الملا
لا يستجيب لخاطري إلّا إذا دخل الخلا^(٢)

ومن أخرى [من الطويل] :

ألا أيّها الأستاذ دعوة شاعرٍ طريقته في الشعر لا تتبهرج
إذا أنت وظّفت القوافي فخيرها وإن قلّ ما يرجو وما يتروّج
ومن كان يحوي العطر دكان شعره فإني كنّاسٌ وشعري له مخرج^(٣)

وقال من قصيدة في بعض الوزراء خالية من السخف [من المتقارب] :

وهذي القصيدة مثل العروس موشحةٌ بالمعاني الملاح
بلا نفحة من فسا عارضٍ ولا وزن خردلةٍ من سلاح
فلو أنّها جعلت خطبةً لكانت تحلّ عقود النكاح
بعثت بها عنبراً في الشتاء وفي الصيف كافور خرطرياحي^(٤)

(١) الإبت : فتحة المؤخّرة .

(٢) الخلا : أي المرحاض .

(٣) الكنّاس : بيت الغزال في الشجر .

(٤) الخرط : اللبن المتعقّد ومعه ماء أصفر من داء .

فما مسحت خفشلنج الخصى ولا حنكت بلعوق الفقاح^(١)
وشعري لا بدّ من سخفه ولا بدّ للدار من مستراح^(٢)

ولما غلب على شعره هذا الفن من ذكر المقاذر ، وما ينضاف إليها ، سئل يوماً ابن سكرة عن قيمة ديوان شعره ، فقال « قيمته بربخ »^(٣) أي لكثرة ما يشتمل عليه مما يقع فيه ، وبلغني أن كثيراً ما بيع ديوان شعره بخمسين ديناراً إلى سبعين ، وأنا كاسر فصلاً على ذكر ما أشرت إليه ، والحديث شجون .

* * *

قطعة من نوادره في ذلك

كتب إلى أبي أحمد بن ثوبة ، وقد شرب دواء مسهلاً [من الخفيف] :

يا أبا أحمد بنفسي أفديـك وأهلي من سائر الأسواء
كيف كان انحطاط جعسك في طاعة شرب الدواء يوم الدواء^(٤)
كيف أمسى سبال مبعرك النذل عريقاً في المرة الصفراء
يا أبا أحمد ونصحك عندي واجب في الإخاء فاحفظ إخائي
ربّ ريح يوم الدواء دبورٌ شوشت في عصاعص الأغبياء^(٥)
قدروها فساً وقد كمن الجعس لهم في مهب ذاك الفساء
فاذا الفرش في خليج سلاح ذائب في قوام جسم الماء
فاتق الله أن تغرّك ريحٌ عصفت في جوانب الأحشاء

(١) خفشلنج : « يريد المني » ، ولعوق انعقاع : يريد الغائط .

(٢) المستراح : المرحاض .

(٣) البربخ : منفذ الماء ومجره ، والبالوعة من الخزف .

(٤) الجعس : اسم الموضع الذي يقع فيه الجعموس وهو القصير الدميم .

(٥) الدبور : الريح الغربية والعصاعص : جمع عُصَص : عظم الذنب أو المؤخرة في الإنسان .

لا تنفسُ خناقَ سَرمك عنه أو تخلي سبيله في الخلاء^(١)
والغذاء الغذاء فاحذر بأن تفسو فوق الفراش بعد الغذاء
احترس إنها نصيحة شيخ حنكته تجارب الآراء
وأهدى إليه صديق له نبذاً وكتب له [من السريع] :

مدامةً تمريةً صافية تلبس من يشربها العافيه
زففتها طوعاً إلى شاعرٍ ما وقفت قطُّ له قافيه
فصادف وصول النبذ خلفه عرضت له فكتب إليه [من السريع] :

مولاي قد أحسستُ لما أتى شعرك بالعافية الشافيه
لكنني في صورةٍ للخرا جملتها مقنعةٌ كافيه
قد كتبت سطرًا على عصعصي هذا لسلطان الخرا ضافيه
وقال يهجو [من مجزوء الكامل] :

ولقد عهدتك تشتهي قربي وتستدعي حضوري
وأرى الجفا بعد الوفا مثل الفسا بعد البخور
يا خرية العدس الصحيح النيء والخبز الفطير
في جوف منحلّ الطبيعة والقوى شيخ كبير
يخرى فيخرج سَرمه شبرين من وجع الزحير^(٢)
يا فسوةً بعد العشا بالبيض واللبن الكثير
وفطائرٍ عجنّت بلا الملح الجريش ولا الخمير
يا ضرطة الشيخ المبجل بين حساءٍ حضور

(١) السُرم : عنق المخرج .

(٢) الزحير : مرض يستطلق معه البطن فيخرج منه دم ومخاط مع ألم .

يا ربح سرقين البغا ل يداف في بول الحمير^(١)
 يا نتن رائحة الطيخ إذا تغير في القدور
 يا عش بيض القمل فرّخ في السوالف والشعور
 يا بول صبيان الفطا م ويا خراهم في الحجور
 يا بغض تدخين الجشا في الصوم من تخم السحور^(٢)
 يا حرّ قولنج البطون وبرد أعصاب الظهور
 يا ذلّة المظلوم أصبح وهو معدوم النصير
 يا سوء عاقبة التعقّد عند تمشية الأمور
 يا كلّ شيء متعب متعقّد صعب عسير
 يا حيرة الشيخ الأصم وحسرة الحدث الضرير
 يا قعدة في دجلة والريح تلعب بالجسور
 يا قرحة السّل التي هدّت شراسيف الصدور^(٣)
 يا أربعاء لا تدور به محاقات الشهور^(٤)
 يا هدة الحيطان تنقض بالمعاول والمروور
 يا قرحة في ناظر غلطوا عليها بالذرور^(٥)
 فتسلّخت مع ما يليها في الجفون من البثور
 يا خيبة الأمل الذي أمسى يُعلّل بالغرور
 يا غلمة المتخدرا ت وراء أبواب القصور
 يا ملتقى سعف الأيو ر على عراجين البطور
 يا وحشة الموتى إذا صاروا إلى ظلم القبور

(١) سرقين البغال : زبلها . ويداف : يخلط .

(٢) الجشا : الصوت الذي يخرج من الفم عند الشبع وامتلاء المعدة .

(٣) الشراسيف : جمع شرسوف ، وهو طرف الضلع اللّين المشرف على البطن .

(٤) المحاقات : الأوقات التي يكون فيها القمر محتجباً .

(٥) الذرور : ما يذرّ في العين من دواء يابس .

يا ضجرة المحموم بالـغدوات من ماء الشعير
يا شؤم إقبال الشتا ء أضرّ بالشيخ الفقير
يا دولة الحزن التي خسفت بأيّام السرور
يا ضجّة الصخب المصدّ ع ذي التنازع والسرور
يا عثرة القلم المرشّش بين أثناء السطور
يا ليلة العريان غـبّ عشية اليوم المطير^(١)
يا نومةً في شمس آ ب على التراب بلا حصير
يا فجأة المكروه في الـيوم العبوس القمطير^(٢)
يا نهشة الكلب العقو ر ونكهة الليث الهصور^(٣)
يا عيش عانٍ موثقٍ في القيد مغلولٍ أسير^(٤)
يا حدة الرمد الذي لا يستفيق من القطور
يا حيرة العطشان وقت الظهر في وسط الهجير
من لي بأن تلقاك خيلُ بني كلاب بلا خفير
وأرى بعيني لحمك المطبوخ في نار السعير
في الأرض ما بين السبا ع وفي السما بين النسور

وقال في المهلي الوزير [من الخفيف] :

قيل إنّ الوزير قد قال شعراً يجمع الجهل شملهُ ويعمّه
ثم أخفاه فهو كالهَرَّ يخرا في زوايا البيوت ثم يطمّه
ليتني كنت حاضراً حين يرويه فأفسو في راحتي وأشمّه

(١) غبّ : بعد وعقب .

(٢) القمطير : الشديد .

(٣) العقور : الذي يعضّ .

(٤) العاني : الفقير الموضع .

وقال [من المتقارب] :

وذي همّة في حضيض الكنيف وقرنين في فلك المشتري
دخلت عليه انتصاف النهار على غفلة حين لم يشعر
وبين يديه رغيفان مع سكرجة كان فيها مري^(١)
فلما قعدت فسا فسوة فلم تخط عصفتها منخري
وأقبل يضطر في إثرها فقلت أقوم وإلاّ خري

وقال في شيخ بني بعجوز [من مخلع البسيط] :

أفصح ودعني من الرموز قد دخل الشيخ بالعجوز
من لي بها حين ضاجعته في ذلك الموضع الحرير
فكنت أخرا على زليخا وهي إلى جانب العزيز

وقال وقد ركب إلى قوم فوجد بعضهم نائماً وبعضهم شارب دواء [من مجزوء
الرجز] :

قد أصبحوا كما ترى ما بين نوم وخر
قوم برئت منهم لأنّهم مني برا
ما إن أرى مثلاً لهم ولا أرى أني أرى

وقال وقد عاتب إنساناً على زلة فجاء بأكبر منها [من مجزوء الخفيف] :

لي صديقٌ جنى عليّ مراراً فأكثر
ثم لما عتبه غسل البول بالخر

وقال [من مجزوء الرجز] :

فقدت بختي إنّه ما زال بختاً قدرا

(١) السكرجة : الإناء الصغير يؤكل فيه الشيء .

لو كان شيئاً ناطقاً لكان شيخاً أبخراً
من حيث ما درتُ به لَطَخَ وجهي بالخرا

وقال [من السريع] :

يقول قومٌ أبصروني وقد تلفتُ ما بينهم سِكرًا
قم بالحق الظهر ولو ركعةً فالناس قد صلّوا بنا العصرا
فقلت ما أحسن ما قُلتُمُ أقوم حتى ألحق الظهر
أقوم والركعة من عند من نعم وإن قمت فمن يقرأ
قالوا فلا تسكر فلسنا نرى لعاقِلٍ في سكره عذرا
والله لولا السكر يا سادتي ما ذقت مطبوخاً ولا خمرا
قالوا فهذا السكر ما حدهُ فقلت حدُّ السكر أن أخرا

وقال [من المنسرح] :

قومي تنحّي فلست من شاني قومي اذهبي لا يراك شيطاني
لا كان دهرٌ عليك حصّلي ولا زمانٌ إليك ألجاني
قعدت تفسين فوق طنفتي ما بين راحي وبين ريحاني
فما عدنا من الكنيف إذا حضرت إلاّ بنات وردان^(١)

سمعت ميمون بن سهل الواسطي يقول : حضرت مجلس صاحب ليلة
بجرجان في جماعة من الفقهاء والمتكلمين كالعادة كانت عنده في أكثر ليالي
الأسبوع ، فلما امتد المجلس وخالط النعاس بعض الأعين وجد صاحب راحة
تأذى بها وتأفف منها ، فأنشد هذه الأبيات المتقدمة :

* قومي تنحي فلست من شاني *

(١) بنات وردان : دواب .

وجاء الفراشون بالندّ فتلافوا تلك الفرطة ، وتقوَّض المجلس .

وقال في شهر رمضان وقد جاء في آب [من مخلع البسيط] :

شهرٌ أراه يلجُ مع منْ يغتاط من طولهِ ويدردُ^(١)
فالبول قد جفَّ من حماء في الجوف والجعس قد تقدَّدُ^(٢)

وكان ضمن فرائض الصدقات بسقي الفرات ، واستخلف على نواحي فم النيل .
خليفة فكتب إليه [من السريع] :

والله أهل الحمد والشكر	الحمد لله وشكراً له
خليفة ينظر في أمري	يا أيها الذئب الذي اخترته
يوصي أبو جعدة بالشر ^(٣)	أوصيك بالأغنام شراً وهل
فاحملُ عليها حملة البر	امش إليها مشية الليث أو
إلا بقايا الصوف والبر	ولا تدع في النيل من إثرها
أو مرَّ مجتازاً على القدر ^(٤)	أنظر إلى السكاج من شمِّها
من حيلةٍ في أمرها تجري	فاقبض على لحيته واحترزْ
وكلَّ ما فيها من الشعر	أريد أن تحصي طاقاتها
مستظهِراً فيه كما تدري	اعمل بها لي عملاً جامعاً
أن ينقص الكيل عن الحزر ^(٥)	واحذر إذا وفيتها في غدٍ
بذلك الإحصاء إلى جحري	حتى إذا جئتكَ سلِّمتها
عقدته في السرِّ والجهر	أوصيك في القوم بهذا الذي

(١) يدرد : يغتاط ويجرد .

(٢) الجعس : القصير الدميم « يعني قضيبه » .

(٣) أبو جعدة : من كنى الذئب .

(٤) السكاج : مرق يتخذ من اللحم والخل .

(٥) الحزر : التقدير والتخمين .

وكيف لا أوصي بهذا وقد بليت منهم بيني البطر
واضطرنني جور زمانني إلى معيشة تزري على الحرّ
والدهر قد صارت به هيضة فحن غرقى في خرا الدهر^(١)

وقال في ابن سكرة [من مجزوء الخفيف] :

سلحة بعد قرقره من سلاح المزوره^(٢)
باتت الليل كله جوف بطني مخمره
ثم رامت تخلّصاً فاغتدت ذات طرطره
ثم سارت كأسهم عن قسيّ موثره
فأصابت بوثة جوف ذقن ابن سكره

وقال لأبي الفضل الشيرازي لما تقلد الوزارة، وعرض بأبي الفرج بن فسابخس
[من مخلع البسيط] :

سعدك للحاسدين نحسّ وهم ظلام وأنت شمس
ارفق عليهم فلن يعودوا إليك حتى يعود أمس
فأنت تحت الظلام تسعى وذاك تحت اللحاف يفسو

وكان يوماً جالساً بجانب الدست في دار أبي الفرج فسابخس ، فعرضت له حاجة
إلى الخلاء فبادر ورجع ، فسئل عن مبادرته فقال [من مجزوء الرجز] :

يا سائلي عن خبري زاحم جوفي قذري
فكدت أن أخرى على دست الرئيس الطبري
فقممت أعدو حافياً وقد تغشّى بصري
حتى خريت خربة مثل الخبيص الجزري

(١) الهیضة : انطلاق البطن .

(٢) المزوره : المؤخرة .

كأنَّها من عَظْمِها روثة كرشٍ بقري
وقال [من المجتث] :

أبا الحسين بن نصر أبشر بعزٍّ ونصر
فأنت في الصدر أحلى من المنى جوف صدري
وليت لحيَةً من لا يهواك في جوف حجري
من أين مثلي حرٌّ أو سفلةٌ غيرُ حرٍّ
خراي عند القوافي وذقن غيري بشعري
ومن تكلف في الشعر نظم سبحة درٍّ^(١)
نظمت من مثل طبعي الخسيس سبحة بعر
وجملة القول أني إحدى عجائب دهري
قد درّ ضرعي على ما ترى فلله دري^(٢)

وقال في إنسان طبري مات بالقولنج [من مجزوء الرجز] :

يا غصّة الموت افغري فاك لروح الطبري^(٣)
حتّى تمجّيها على علاّتها في سقر
يا أيّها الثاوي الذي أفلح لو كان خري
لمثل ذا اليوم يقا ل من خري فقد بُري

وقال يستميح شراباً [من الوافر] :

ألا يا إخوتي وذوي ودادي دعاءً فتى إجابته مناهُ
زيادة دجلة والورد غضُّ قد استولى على قلبي هواهُ

(١) السبحة : عقد من الخرز أو غيره يحمل في اليد للتسليّة أو للتسبيح « المسبحة » .

(٢) درّ ضرعي : الدرّ : خروج اللبن ، والضرع : في الحيوانات حيث يجتمع الدرّ « الثدي » .

(٣) افغري : افتحي .

فهذي ليس يفتنني سواها وهذا ليس يسبيني سواه
أما فيكم فتى يرثي لصحوي فيسقينني المشوم ولو خراه^(١)
وقال [من السريع] :

يا عيني السفلى لحي سادتي قد شهدت بالزور فاستعبري
أبكي عليها كلما سرحت في استي بدمعٍ سلسٍ أصفر
واتخذ دعوة كبيرة في أيام عز الدولة ، ودعا إليها أقواماً شتى من رجال الدولة وقال
[من مجزوء الرجز] :

قل للأمير المرتجى	من جاءني فقد نجا
ومن أبى فذقنه	في عصصني قد لججا
يسبح في بحر خرا	إذا جرى تموجا
وها هنا حكمٌ إذا	كوى لحاهم أنضجا
من لم يجيء فذقنه	في است الذي استدعي فجا
فقل لمن لجج في	جوابه أو مجمجا ^(٢)
سبالك المحفوف قد	حرّك مني مخرجا ^(٣)
مؤزراً بالجعس في	حافاته مصهرجا
فيه خراً معتقٌ	كالبن حين كرجا ^(٤)
تدفعه مقعدتي	بعد العشا ملهوجا ^(٥)
من قبل أن تطبخه	طبيعتي فينضجا

(١) المشوم : الشراب .

(٢) لجج : تردّد في الكلام ، ومجمج الحديث : لم يبيته .

(٣) سبالك : الشارب « ما فوق الشفة العليا من الشعر » .

(٤) كرجا : فسّل وعلته خضرة .

(٥) ملهوجا : مخلوطاً ، أو لم ينضج .

من كلٍّ من سرمي إلى لحيته قد التجا
عاشرت باستي ذقنه فامتزجا وازدوجا
وصعدا ونزلا ودخلا وخرجا
ولن ترى أحسن من ذقنٍ تواخى شرجا^(١)

وقال من أخرى [من السريع] :

أنظر لهرون وقد جاءني يطمع أن يبتزني ضيعتي
جذبت قوس استي في وجهه فقرطست لحيته ضرطتي^(٢)

ومن أخرى في قائد من الأتراك أراد أخذ داره [من الخفيف] :

إن أطفالي الذين تراهم حول ناري في الليل مثل الفراش
أترى ما شملت ريح فسامهم حين باكرتني وهم في الفراش
وجعيساتهم خلال الزوايا مثل ذرق الفراخ في الأعشاش^(٣)
لا ترمهم واقبل نصيحة رأيي لك واحذر مغبة العُشَّاش

وقال من أبيات وقد دخل على رجل اسمه عمرو والمزين يحفى شاربه [من الخفيف] :

قد لعمرى فارت طبيعة حجري منذ أحفى المقراض شارب عمر
كلما قصَّ شعرةً صرَّ منها عصعصي النذل أو تفرقع ظهري

وقال من قصيدة في الوزير وقد أراده على الخروج معه لقتال أهل البطيحة [من المنسرح] :

يا سائلي عن بكاي حين رأى دموع عيني تسابق المطرا

(١) الشرج : غرج الغائط .

(٢) قرطست : أصابت .

(٣) ذرق الفراخ : سلحها .

ساعة قيل الوزير منحدرٌ
وقلت يا نفس تصبرين وهلْ
شاورتَه والهوى يفتِّه
أهوى انحداري والحزم يكرهه
لأنَّني عاقلٌ ويعجبني
الخيـش نصف النهار يعجبني
والشرب في روشني أقول به
ولا أقود الخيل العتاق بلى
من كلِّ جاموسة لعنبلها
قد نفخ الشَّحم جوفها فغدا
لما أتتني بالليل مقبلةً
تركض مثل الحصان نافرةً
مدَّ ذراعي في سـرمها لـبياً
أحسن في الحرب من صفوفكم
وأنتف الشعر من جبين حرٍّ
أو مـبـعـرٍ جعسه يطالعني
هيهات أن أحضر القتال وأن
بل الذي لا يزال يعجبني الـدبيب بالليل خائفاً حذرا

(١) الغـرا : الجهل .

(٢) الخيش : الشراب البارد ، والخصر : البارد .

(٣) الروشن : الكوة .

(٤) العنبل : البظر الطويل .

(٥) العُشراء : الحامل من النوق التي مضى على حملها عشرة أشهر .

(٦) اللَّبب : ما يشدُّ من سيور السرج في صدر الداية ليمنع تأخر السرج أو الرَّحل .

(٧) زحرا : أخرج صوته أو نفسه مع أنين .

أنا إلى تلك وهي نائمة
وضجّة النيك كلّما ضرطت
وقول بعض المميّزين وقد
في جعس هذا فطورة وأرى
الدفء يوم الصبوح دبديتي
وخريتي كلما رميت بها
هذا اعتقادي وهكذا أبداً

وذا إلى ذاك بعد ما سكرنا
واحدة تحت واحد نخرا
شمّ فسانا بأنفه سحرا
أنّ خرا تلك بعد ما اختمرا
وبوقي الناي كلّما زمرا
مقتل ذقن خضبتها بخرا
أرى لنفسي فأنت كيف ترى

وقال [من المجتث] :

إذا تغنّى سليم عاق المسرة عني
وافى بذقن سخيف المغني وجئت ببطني
فلحية التيس منه وسلحة الفيل سني

* * *

ملح مما يتمثل به من أحوال السلف

قال من قصيدة في أبي الفضل الشيرازي [من مخلع البسيط] :

الناس يفدونك اضطراراً منهم وأفديك باختياري
وبعضهم في جوار بعض وأنت حتى أموت جاري
فعش لخبزي وعش لمائي وعش لداري وأهل داري
يا من بإحسانه بلغت السّماء في العزّ واليسار
فالיום قارون في غناه عبدي وكسرى ركاب داري

وقال [من السريع] :

يا من يدي من خيره فارغه ملّيت لبس النعمة السابغة^(١)

(١) السابغة : الوافية الفضفاضة ويقال : درع سابغة .

قد هُشمتُ رأسي بأحجارها
فيا أبا قابوس في ملكه
وقال [من السريع] :

إنَّك إنسانٌ له موقعٌ
فكيف تخشى هجو من مدحه
ومن له في شعره مذهبٌ
تمضي ليليه وأيامه
ولست ممن يخلط الكفر في
قلٍّ للذي جهَّز في السعي بي
لا تغترَّر أتك من فارسٍ
لو حدثتُ كسرى بذا نفسه
وقال في بختيار [من المنسرح] :

فديت وجه الأمير من قمرٍ
فديت من وجهه يشككني
إن زليخا لو أبصرتك لما
ولم تقسُ يوسفاً إليك كما
وكان يا سيدي قباك إذا
بل وحياتي لو كنت يوسفها
لأنني عالمٌ بأنك لو
سبقتها وانزبقت تتبعها

ألفاظك الهاشمة الدامغة
رفقاً أبيت اللعن بالنابغة

من ناظري في جوف إنسانه^(١)
فيك يرى أول ديوانه
ذكرك فيه نورُ بستانه
وسره فيك كإعلانه
شكر أياديك بإيمانه
بضاعة عادت بخسرانه
في معدن الملك وأوطانه
صفعته في وسط إيوانه

يجلو القذى نوره عن البصر
في أنه من سلالة البشر
ملئت إلى الحشر لذة النظر
نجم السهى لا يقاس بالقمر
هربت منها ينقذ من دُبرٍ^(٢)
لم تك من تهمة العزيز بري
شمت رياً نسيمها العطر
ما بين تلك البيوت والحجر^(٣)

(١) إنسان العين : البؤى .

(٢) قباك : ثوبك .

(٣) انزبقت : دخلت .

ولم تزل بالكدين تقصرها من قبل وقت العشا إلى السحر^(١)
وقد علمنا بأن سيدنا ال أمير ممّن يقول بالبطر
ولم تكن تلك تشتكي أبداً ما كان من يوسف من الحذر
طبعك كالماء في سهولته لكن أبو الزبرقان من حجر
إن الملوك الشباب ما خلقوا إلا صلاب الفياش والكم^(٢)
وقال [من السريع] :

إن بني برمك لو شاهدوا فعلك بالغائب والشاهد
ما اعترف الفضل بيحي أباً ولا انتمى يحيى إلى خالد
وقال [من المنسرح] :

وكاتبٍ بارعٍ بلاغتهُ تجلو علينا كلام سحبان
وخطُّه والكتاب في يده ينثر درأً أمام مرجان
لو كان عند المأمون جوهرة أهده أو بعضه لبوران^(٣)

وقال في رجل سقطت امرأته من السطح فماتت [من الطويل] :

عفا الله عنها إنها يوم ودّعت أجلّ فقيده في التراب مغيب
ولو أنها اعتلتْ لكان مصائبها أخفّ على قلب الحزين المعذب
ولكن رأيت في الأرض أفعى مجدلاً على قدر غرمول الحمار المشغّب^(٤)
فظنته أيراً والظنون كواذبُ إذا أخبرت عن عام ما في المغيب
وأهوت إليه من يفاعٍ ودونه ثمانون باعاً في علو مصوّب^(٥)

(١) الكدين : من الكِدْن ، الشحم واللحم ، والكَدَن : ثوب للخدر ومركب للنساء .

(٢) الفياش : الذكور . والكم : العقدة التي في الذكر .

(٣) بوران : زوجة المأمون وابنة الحسن بن سهل وزيره .

(٤) غرمول الحمار : ذكره .

(٥) اليفاع : التلّ وما ارتفع من الأرض .

فصارت حديثاً شاع بين مصدقٍ تحقّقه علماً وبين مكذبٍ
سعى الطمع المردي إليها بحتفها ومن يمثل أمر المطامع يعطب
فأعظم يا هذا لك الله ربها وربك أجر الثكل في شاة أشعب

قيل لأشعب : هل رأيت أطمع منك ؟ قال : نعم ، شاة كانت لي على
سطح فنظرت إلى قوس قزح فظنته حبل قت ^(١) ، فأهوت إليه واثبة ، فسقطت من
السطح فاندقت عنقها .

وسأل الهنكري مغني سيف الدولة ابن حجاج أن يصنع شعراً يغني به بين
يدي صاحبه فقال [من المتقارب] :

أميري يا من ندى كفه يزيد على العارض الممطر
أرى يومنا يوم كأسٍ تدو ر من يد ذي دعجٍ أحور ^(٢)
وأبيض يحدوك سكر الغرام على لثم شاربه الأخضر
بحمرة وجنته تستدلُّ على أنه من بني الأصفر ^(٣)
وأنتك من دونه قد ضربت هامة ذي لبدٍ قسور
وشعر ابن حجاج يا سيدي يغني به عبدك الهنكري
غناءً وشعرٌ لنا يجمعان ما بين زلزل والبحتري
وقال [من البسيط] :

غداً أراه على عبل الشوى مرجٍ والخيل من حوله مثل الحصى عدداً
في خلعةٍ لو رآها يوم يلبسها نمرود قبّل وجه الأرض أو سجداً

(١) القت : الفصفصة اليابسة ، أو القتات وهو نوع من النبات .

(٢) الدعج في العين : سعتها مع اشتداد سوادها وبياضها .

(٣) بني الأصفر : الروم .

وقال [من المنسرح] :

يا من إذا ما اختللتُ أيديني ومن إذا ما ضعفت قوّاني
ابق لي اليوم ضعف ما بقيتُ أمس نسور الحكيم لقمان

وقال [من السريع] :

يا درّة الملك ويا غرّة في وجه هذا الزمن الأدهم^(١)
تراب نعليك على ناظري أعزُّ من عيسى على مريم

وقال [من السريع] :

فتى له عزمٌ إذا كلّت السيوف مثل المرهف الصارم
وراحةٌ لو صفعت حاتماً تعلّم الجود قفا حاتم

ومن أخرى [من المنسرح] :

هذا حديثي تنمي عجائبه بكثرة القول فيه والقليل
أعجزني دفته فشاع كما أعجز قابيل دفن هابيل^(٢)

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

وأبرص من بني الزواني ملمّع أبلق اليدين^(٣)
قلت وقد لجّ بي أذاه وزاد ما بينه وبينه
يا معشر الشيعة الحقوني قد ظفر الشمر بالحسين

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

كلٌ خفيف الرجلين ثقلٌ خفةً رجله بالحديد

(١) الأدهم : الأسود .

(٢) قابيل وهابيل : إبن آدم عليه السلام .

(٣) الأبلق : ما كان في لونه سواد وبياض .

أَذَقَهُ مِنْ غَبٍّ مَا جَنَاهُ مَا ذَاقَ يَحْيَى مِنَ الرَّشِيدِ
وَمِنْ أُخْرَى [مَنِ السَّرِيعِ] :

وَاسْتَوْفَ عَمَرَ الدَّهْرِ فِي نِعْمَةٍ دُونَ مَدَاهَا مَوْقِفَ الْحَشْرِ
مُصِيبَةُ الْحَاسِدِ فِي مَكْتَهَا مُصِيبَةُ الْخَنَسَاءِ فِي صَخْرِ
وَمِنْ أُخْرَى [مَنِ الْبَسِيطِ] :

يَا مَنْ يَعَادِي الْهَوَى جَهْلًا بِمَوْقِعِهِ وَلَا يَزَالُ يَعَادِي الْمَرْءَ مَا جَهْلًا
أَمَّا رَأَيْتَ الْهَوَى اسْتَوْلَى بِفِتْنَتِهِ عَلَى النَّبِيِّينَ وَاسْتَعْوَى بِهَا الرِّسْلَا
فَإِنْ شَكَّكَتْ فَسَلُّ زَيْدًا بِقِصَّتِهِ وَأُورِيَاءَ يَقُولَا الْحَقَّ إِنْ سَثَلَا^(١)
لَمْ يَبْتَ هَذَا طَلَاقًا حَبْلَ زَوْجَتِهِ وَذَاكَ فِي رَقْعَةِ التَّابُوتِ لَمْ قَتَلَا
وَمِنْ أُخْرَى [مَنِ السَّرِيعِ] :

مَوْلَايَ يَا مَنْ كُلُّ شَيْءٍ سِوَى نَظِيرِهِ فِي الْحَسَنِ مَوْجُودُ
إِنْ كُنْتُ أَذْنَبْتُ بِجَهْلِي فَقَدْ أَذْنَبَ وَاسْتَغْفَرَ دَاوُدُ
وَمِنْ أُخْرَى [مَنِ الرَّمْلِ] :

مَلِكٌ لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ مَلِكِهِ غَيْرِ دَارٍ وَشَّحَتْ بِالنَّعَمِ
لَوْ رَمَى شِدَادٌ فِيهَا طَرَفَهُ زَهَّدَتْهُ بَعْدَهَا فِي إِرْمِ
وَلَهُ ، وَقَدْ خَرَجَ هَارِبًا مِنْ غَرَمَائِهِ [مَنِ الْمُنْشَرَحِ] :

هَرَبْتُ مِنْ مَوْطِنِي إِلَى بَلَدٍ قَدْ صَفَّرَ الْجُوعُ فِيهِ مَنَاقِرِي
يَقُولُ قَوْمٌ فَرَّ الْخَسِيسُ وَلَوْ كَانَ فَتًى كَانَ غَيْرَ فَرَّارِ
لَا عَيْبَ لَا عَيْبَ فِي الْفِرَارِ فَقَدْ فَرَّ نَبِيُّ الْهَدْيِ إِلَى الْغَارِ

(١) يزعم القصاصون أن أوريا جندي من جند داود عليه السلام ، وأن داود فتن بامرأته ، وأنه طلبها لنفسه ، واحتال لذلك فبعثه في قتال ليموت فيه .

ملح من سائر أمثاله في الجدل والهزل الواقعة في فنون نواذره

قال [من مجزوء الرجز] :

جميع ما لي صدقة	لأكسرن	فستقه
فبسن كم تهذين يا	سندية	مطلقه ^(١)
لا بد للسندان أن	يصبر تحت المطرقة	
وفيشتي لا بد أن	أسبكه في البوتقة	
لا بد أن أظعن بال	مردي صميم الدرقه	
وأن أمر الميل في	جوف سواد الحدقه	
تريد مني أترك الد	حم وأحسو المرقه !	
ليس الثريد بابتي	بسي من الملبقه ^(٢)	
أريد من لحم است من	أعشقها مدققه	
أح! ب أن لا تشفقي	عدمت هذي الشفقه	
وكل شاة في غد	برجلها معلقه	
لا بد من أن يقع ال	زرفين جوف الحلقة ^(٣)	

وقال [من المنسرح] :

أخشى على حسبتي العدو وفي الناس لمثلي أصادق وعدي
هر يراني وفي فمي غد و الهر بالطبع يألف الغدا
وإن تغافلت عنه غافصني واستلب الكرش من يدي وغدا^(٤)

(١) بس : صوت للزجر .

(٢) الثريد : طعام من خبز مفتت مبلول بمرق ، وبابتي : الغاية والشرط والصنف .

(٣) الزرفين : حلقة للباب .

(٤) غافصني : فاجأني على حين غرة .

وقال [من السريع] :

قد وقع الصلح على غلتي فاقسموها كارةً كاره^(١)
لا يدبر البقال إلا إذا تصالح السّور والفاره

وقال ، وقد سأل صديق عن حاله والعمال يصادرونه [من الرمل] :

أيّها السائل عن حا لي أنا المضروب زيدُ
وأنا المحبوس لكنّ ليس في رجلي قيدُ

وقال [من المجتث] :

وقائل هو رأس ال عمال بين الناس
والرأس يصلح إن لم ينفعك للرواس
هذا هو الحقّ والحقّ ما به من باس

وقال [من السريع] :

فقرّ وذلّ وخمولٌ معاً أحسنت يا جامع سفيان^(٢)

وقال [من المنسرح] :

الحمد لله إنّ لي أملاً أنا إلى الخصّ منه أستند^(٣)

وقال [من الكامل] :

إن كنت تحتقر العتاب تكبراً فالفيل يعمل فيه قرصُ البرغش^(٤)

(١) الكارة : حل معلوم الوزن والمقدار من الطعام .

(٢) جامع سفيان : مثل يضرب لكثرة الاحاطة .

(٣) الخصّ : العناية والفضل ، والخصّ بالضم : البيت من القصب .

(٤) البرغش : البعوض .

وقال [من المتقارب] :

وما الشيء للمرء يحتاله ولكنّه للفتى يرزقه

وقال [من الوافر] :

دعوت نذاك من ظمئي إليه فعنّاني بقيعتك السراب^(١)
سرابٌ لاح يلمع في سباحٍ فلا ماءٌ لديه ولا شراب^(٢)
وليس الليث من جوعٍ بغادٍ على جيفٍ تحيط بها كلاب
وقال [من الخفيف] :

مستحيل المعنى يصلّي إلى الحشر ويجرى في جانب المحراب

* * *

أنصاف أبيات له وأبيات في الأمثال

قال [من الطويل] :

* وربّ كلامٍ تستثار به الحرب * *

وقال [من السريع] :

* حتّى متى ترقص في زورقي ؟ *

وقال [من الكامل] :

* خودٌ تزفُ إلى ضريرٍ مقعدٍ *

(١) عنّاني بقيعتك السراب : أي أتعبني الأمل الكاذب .

(٢) السباح : من الأرض : ما لم يفلح ولم يعمر الملوحة .

وقال [من الكامل] :

* أصبحت أخلقُ منك بالزبدِ *

وقال [من المنسرح] :

* تفور من نصف خوصةٍ قَدري *

وقال [من الرجز] :

* فقلتُ من يفسو على الكنيف *

وقال [من الوافر] :

عجبت من الزمان وأيَّ شيءٍ عجيبٍ لا أراه من الزمان
أأخذ قوت جردانٍ عجافٍ فتجعله لأوعالٍ سمانٍ^(١)

وقال [من الوافر] :

وقد غمزوا مع العيدان عودي ليختبروا الصحيح من المريب^(٢)
فلان الخروج الخوار منّا وبان تكرمُ النبع الصليب^(٣)

وقال في بوابِ أعور حجه عن رئيس [من السريع] :

سمعت فيمن مات أو من بقي بمقبلٍ بوابه أعورُ
واللوزة المرة يا سيدي يفسد في الطعم بها السكر

وقال [من المنسرح] :

ولي شفيعٌ إليك شرفني إيجابه لي وزاد في قدري

(١) عجاف : هزال .

(٢) غمزوا : جسّوا وعصروا .

(٣) النبع : شجرٌ تصنع منه القسي ، والصليب : الذي لا يسهل كسره .

نَبَّهْتُ مِنْهُ لِحَاجَتِي عَمراً وَلَمْ أَعُولَ فِيهَا عَلَى عَمْرٍو
يريد قول بشار [من المتقارب] :

إِذَا أَيْقَظْتُكَ حُرُوبَ الْعَدَا فَنَبَّهَ لَهَا عَمراً ثُمَّ نَمَّ
وللآخر [من البسيط] :

الْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ^(١)
وقال [من الوافر] :

عَذَرْتُ الْأَسَدَ أَنْ صَلَّيْتُ بِنَارِي مَخَاطِرَةً فَمَا بَالُ الْكَلَابِ
وَأَزْوَاجِ الْحَرَائِرِ لَمْ يَجَابُوا لَدَيَّ فَكَيْفَ أَزْوَاجُ الْقَحَابِ؟
وقال - وقد قال له بعض الرؤساء : ما أشبهك في الإبرام إلا بابن أبي رافع - [من
السريع] :

ضَرَبْتُ فِي الْإِبْرَامِ يَا سَيِّدِي لِي مِثْلًا بِابْنِ أَبِي رَافِعٍ^(٢)
فَقُلْتُ فِي ذَلِكَ : لَا تَعْجَبُوا مِنْ مِتَخَمٍ يَفْسُو عَلَى جَائِعٍ
وقال [من البسيط] :

إِنِّي بَلِيتُ بِأَقْوَامٍ مُوَاعِدُهُمْ تَزِيدُنِي فَوْقَ مَا أَلْقَاهُ مِنْ مَحَنٍ^(٣)
وَمَنْ يَذُقْ لِسْعَةَ الْأَفْعَى وَإِنْ سَلِمْتُ مِنْهَا حَشَاشَتَهُ يَفْزَعُ مِنَ الرِّسَنِ

* * *

(١) الرَّمْضَاءُ : الْحَرُّ الشَّدِيدُ .

(٢) الْإِبْرَامُ : الْعَقْدُ .

(٣) الْحَشَاشَةُ : الرُّوحُ وَالنَّفْسُ .

الشكوى ووصف سوء الحال

قال في ابن العميد [من الوافر] :

فداؤك نفس عبد أنت مولى له يرجوك يا خير الموالى
حديثي منذ عهدك بي طويل فهل لك في الأحاديث الطوال
وجملة ما يعبره مقالتي حصول استي على حرّ المقالتي
وأني بين قوم ليس فيهم فتىً ينهى إلى الملك اختلالي
فلحمي ليس تطبخه قدوري وحوتي ليس تقلبه المقالتي
ومائي قد خلت منه جبابي وخبزي قد خلت منه سلالي
وكيسي الفارغ المطروح خلفي بعيد العهد بالقطع الحلال
أفكر في مقامي وهو صعب وأصعب منه عن وطني ارتحالي
فبي مرضان مختلفان حالي السـعليلة منهما تمسي بحال
إذا عالجت هذا جفّ كبدي وإن عالجت ذاك ربا طحالي^(١)

وكان يكتب في حديثه لرئيس ، فتأخر عنه ، فكتب يسأله عن حاله في تأخره فكتب إليه [من السريع] :

سألت يا مولاي عن قصتي وما اقتضى بالرسم إخلالي^(٢)
ليست بجسمي علّة تشكي وإنما العلّة في حالي
وذاك داء لم تزل ضامناً من سقمه برئي وإيلالي^(٣)

وقال [من المتقارب] :

خليلي قد اتسعت محتتي عليّ وضاقَتْ بها حيلتي

(١) ربا : انتفخ وازداد .

(٢) الرسم : الايضاح والتبيان ، والإخلال : عدم الوفاء بالعهد .

(٣) إيلالي : شفائي .

عذرت عذارى في شبيه
إلى كم يخاسنني دائماً
تحيفني ظالماً غاشماً
وكنْتُ تماسكتُ فيما مضى
إلى منزلٍ لا يوارى إذا
مقيماً أروح إلى منزلٍ
إذا ما ألمَّ صديقي به
فرشت له فيه بسط الحديد — ث من باب بيتي إلى صفتي^(١)
ومعدته في خلال الكلا
وقد فت في عضدي ما به
وأغدو غدواً ملياً بأن
فأيةً دارٍ تيمّمها
وإن أنا زاحمتُ حتّى أموت
فيرفعني الناس عند الوصول
وإن نهضوا بعد للانصرا
وإن قدّموا خيلهم للركوب
وفي جمل الناس غلمانهم
ولا لي غلامٌ فأدعو به
ركنت مليحاً أروق العيو
يعرق خدي جفاف الهزال

وما لمت أن شمطت لمتي
زمانى المقبح في عشتي
وكدرٌ بعد الصفا عشتي
فقد خانني الدهر في مسكتي
تحصّلت فيه سوى سوائتي
كقبري وما حضرت ميتي
على رغبة منه في زورتي
ث من باب بيتي إلى صفتي^(١)
م تشكو خواها إلى معدتي^(٢)
ولكنّ عليه غلبت علتي
يزيد به الله في شقوتي
تيمّم بوابها حجتني
دخلتُ وقد خرجتُ مهجتني
إليهم وقد سقطت عمّتي^(٣)
ف أسرع في إثرهم نهضتي
خرجت فقدمت لي ركبتني
وليس سوائتي في جملتي
سوى من أبوه أخو عمّتي
ن أيضاً فقد قبّحت خلقتني
وحاف الشناج على وجنتي^(٤)

(١) الصفة : الاستراحة أمام البيت .

(٢) الخواء : الفراغ والجوع .

(٣) العمّة : أي العمامة توضع على الرأس .

(٤) الشناج : تقبض الجلد .

فصرتُ كأني أبو جدتي
 تكسِرُ أمشاطهُ طرّتي^(١)
 فقد صرت أصلع من فيشتي^(٢)
 ب كانت تحنُّ إلى وصلتي^(٣)
 مشيبي وتغضب من صلعتي
 وقد أمضت العزم في هجرتي
 فإن جمالي ورا تكتّي^(٤)
 طويلٌ عريضٌ على دقتي

وقوّسني الهمُّ حتى انطويت
 وكان المزيّنُ فيما مضى
 وكنت برأسٍ كلون الغداف
 ويا ربّ بيضاء رود الشبا
 فصارت تصدُّ إذا أبصرتُ
 على أنني قلت يوماً لها
 دعي عنك ما فوقه عمّي
 هنالك أبرُّ يسرُّ العيون
 ومنها :

ه في شغله بالأسى عطّلي
 فغلّت بأجمعها غلتي
 تعدّت فأنضت إلى حنّطي
 أزال بحيلته نعمتي

سوى أنّ قلبي قد صرفت
 وكانت بتكرّيت لي غلّة
 أغاروا على سسمي غارة
 فلا أزال في نقمة كلٍّ من
 وقال [من الخفيف] :

أنا من شدّة الخوى في السّياقِ
 هم ولو كان من فسا مرّاقِ

قد قنعنا فهات خبزاً بلحمٍ
 فرجي أن أشمّ رائحة اللح
 وقال [من السريع] :

أرفقُ منه المسجد الجامعُ

ما حال من يأوي إلى منزلٍ

(١) الطرّة : الشعر أو مقدمه الذي فوق الجبين .

(٢) الغداف : الغراب والشعر الأسود الطويل على سبيل الاستعارة .

(٣) رود الشباب : أي الشابة الحسناء .

(٤) التّكّة : رباط السراويل .

لا يرتوى العطشان فيه ، ولا يلحق ما يقتاته الجائع
وسوقه كاسدة بينكم لا مشتر فيها ولا بائع

وقال [من الخفيف] :

أتعشى بغير خبز ، وهذا خبري منذ مدة في غدائي
فأنا اليوم من ملائكة الدو لة وحدي أحيا بغير غذاء
آية لم تكن لموسى بن عمرا ن ولا غيره من الأنبياء

* * *

نبذ من لطائف نوادره في أنواع الكدية

قال [من المجتث] :

هذا وأيام أكلي عند الملوك الكبار
ما كنت أفطر إلا على كبود القماري
مشوية وقلايا فاليوم سنور داري
إذا أرادت تعشى تنغصت لي بفار

وقال بواسط ، وقد باع ثيابه [من المجتث] :

يا سادتي قول ميت في مثل صورة حي
لم يبق في الخرج شيء أأذنون بشيء ؟

وقال ، وقد تولى أقطاعاً وخرج إليها فوجدها خربة [من السريع] :

سيدي عبدك في الزيت فر من الموت إلى الموت
حالي وأقطاعي خراب فقد فررت من بيتي إلى بيتي

وقال [من البسيط] :

مالي أرى بيت ما لي حلّه زحلّ وحسبه من بعيد أن يرى زحلا^(١)
فما ترى لا رأيت السوء في رجلٍ قد شبّ تحت خطوب الدهر واكتهلا

وقال ، وقد رأى كلاب عز الدولة بختيار تطعم لحوم الجدا [من الوافر] :

رأيتُ كلابَ مولانا وقوفاً وربضةً على ظهر الطريق
فمن ورد له ذنبٌ طويلٌ يعقّفه وملهوبٌ خلوقي^(٢)
تغذى بالجداء فوددت أني وحقّ الله خرکوش سلوقي
فيا مولاي رافقني بكلبٍ لأكل كلّ يومٍ مع رفيقي
أرى القصاب قد أضحى عدوي لشؤم البخت والملحي صديقي^(٣)
فلو أني اقتصدت لما وجدت من سوى الحلتيت داخل باسليقي^(٤)
جفاني اللحم وهو شقيق روعي فمن يعدي على ذاك الشقيق
كأنّ اللحم في صوم النصارى توهمني ابن عمّ الجائليق
وأحسن ما رآه الناس لحمٌ جرايته تضاف إلى الدقيق

وله في مثل ذلك [من المنسرح] :

يا سيّد الناس عشت في نعمٍ تأوي إليها ممالك العجم
بديهتي في الخصام حاضرها أشهر في الفيلقين من علم
والخطّ خطي كما تراه ولا الـ زهرة بين القرطاس والقلم
هذا وخبزي حافٍ بلا مرقٍ فكيف لو ذقت ثرّة الدسم^(٥)

(١) الرّحل : التعب أو الجفاء والبعد وزحل : أحد الكواكب السيارة .

(٢) المهلوب : المنتوف .

(٣) الملحي : اللاتم .

(٤) الحلتيت : الصمغ . والباسليق : ويرد يمتدّ في الذراع .

(٥) اثرّة الدسم : من الثريد وهو الخبز المقتت المزوج بالمرق .

ما لي وللحم إنَّ شهوتهُ
وما لحلقي والخبز يجرحه
قد تركتني لحماً على وضم^(١)
بالملاح يشكو حزونة اللقم^(٢)
وله في مثل ذلك [من المنسرح] :

يا من رأى البدر حسن صورته
نحن سنانيِرُ أهل دولتكم
فإن في البدر موضعُ الحسدِ
فأنصفونا من صاحب الغددِ
والله لولاك لم تبت مرق الد
ولم يحوّر لي الدقيق ولا
وكتب لبعض الوزراء ، وقد أراد عمارة مسناة داره [من السريع] :

خفّي فما أنت بمعذوره
أذاك كم يصدع قلبي به
ولا على نصحك مشكوره
وإنما قلبي قاروره
في كل شيء أنت يا هذه
مغمومةٌ بي غير مسروره
حتى مسنّاتي التي أصبحت
هي خرابٌ غير معموره
أيتها المرأة لا تقلقي
من قبل أن تستعملي الصورة
لي سيدٌ أضحت عناياته
على مسنّاتي موفوره^(٣)
ناهدته فيها على أنّها
تجعل بالصاروج كافوره^(٤)
منّي أنا لا شيء ومن سيدي ال
آجر والصنّاع والنّوره^(٥)

وكتب إلى بعض الرؤساء يلتبس منه عمامة [من مخلع البسيط] :

يا من له معجزات جودٍ
توجب عندي له الإمامه

(١) الوضم : الطاولة التي يضع اللحام عليها قطع اللحم .

(٢) الحزونة : الصعوبة .

(٣) المسناة : أحباس للمياه .

(٤) الصاروج : النورة وأخلاطها .

(٥) النّورة : حجر الكلس .

ما لي إذا ما الشمال هبّت قامت على رأسي القيامة
ودميت في القفا عيونٌ بالطول في موضع الحجامه
أظنُّ هذا من أجل أنني في البرد أمشي بلا عمامه

وقال لبختيار حين عاود الحضرة بعد هزيمة الأتراك والحجاج معه [من
المنسرح] :

الحمد لله جاءت النعمُ وانصرفت مع مجيئها النقمُ
واطلع البدر بعد غيبته فانكشفت عن وجوهنا الظلم
فأيُّ شيءٍ تريد تعمل بي فأنسي منك لست أحتشم ؟!
أريد مما أفتتحته عملاً يثرد في دغاجه اللقم^(١)

وقال لسهل بن بشر يعرض بطلب مركوب [من الخفيف] :

يا ابن بشرٍ يا سيدي يا ابن بشرٍ يا معيني على ملّات دهري
خلق الله ذقن من يتشّنّا ك وألقاه في غيابة حجر^(٢)
أيُّ شيءٍ تريد تعمل بي اليو م فهذا أنا وأنت وشعري ؟!
أنا في واسطٍ أروح وأغدو بين مدٍّ من الظنون وجزر
تارةً يسبح الغنى لي فأرجو ه ، وطوراً أرى دلائل فقري
راجلاً أعزباً فرجلي وأيري بين بطنٍ قد أعوزاني وظهر
غير أنني أرى عميرة بالليل يمشي بجلدها بعض أمري
وكعابي التي يرضّضها المشي على من أحيلها ليت شعري^(٣)
أنت تدري وحسب عبدك فيما يرتجي منك قوله أنت تدري

(١) الدغاج : النعم والأكل .

(٢) يتشّنّاك : يبعضك ، وغيابة حجر : قعر سجن .

(٣) يرضّضها : أي يترك بها رضوض وأوجاع .

وكتب إلى ابن قرة يقتضي مركوباً وعد به وهو على جناح السفر [من السريع] :

يا سيدي دعوة ذي رحلة	مقصّر في الجري مسبوق
والقوم قد صحّ بهم عزمهم	وضربوا بالطبل والبوق
وضمّروا للسير أفراسهم	وفرسي الأشهب في زريقي ^(١)
بل لي كميّة ما رئي مثله	يا سيدي قطّ لمخلوق
كأنني في منته راكب	دالية في رأس زرنوق ^(٢)
ما في فضل لا ولا فيه لي	لأنني وهو على الريق

وقال يتنجز رداء شرب [من الخفيف] :

ويحك اسكت فضحتني يا راسي	أنت بالضدّ من رءوس الناس
أنت والله فارغ القحف إلّا	من كنوز الخباط والإفلاس ^(٣)
بسك اقطع فقي ضماني الرداء الـ	شرب الأميري عن أبي العباس ^(٤)
أبيض الغزل فيه خطّ سواد	مثل خطّ الرئيس في القرطاس

وقال يتنجز دراهم [من المنسرح] :

يا قمرأ في تمامه طلعا	هذا رسولي إليك قد رجعا
في غاية الحسن والدمائة والـ	نعمة والظرف والجمال معاً
عن طيب معناه في لطافته	كأنه في الكنيف قد وقعا
وهو يحب الصرار يفتقها	ويشتهي أن يجمّش القطعا ^(٥)
فاحسم بختم القرطاس مقطعه	وامنع يديه عليه أن تقعا

(١) الزيّق : ما أحاط بالعنق من رباط .

(٢) الزنوق : منارتان تبنيان على جانبي رأس البئر .

(٣) الخباط : الزكام ، أو مرض كالجنون .

(٤) كذا ورد هذا البيت .

(٥) الصرار : جمع صُرّة ، ما تجمع فيه الدراهم أو غيرها وتشدّ .

واردده من همة بختمكه كاته بالفلوس قد صفعا

وقال يتنجز شعيراً لدابته [من المنسرح] :

كميتي أصهل واضرط فقال نعم بالسمع يا سيدي وبالطاعة
نعم ولكن أين الشعير ترى فقلت هو ذا يجيهم الساعه
قال فممن فقلت من رجل قد صار في الجود حاتم الباعه

وقال وقد بعثه إليه [من مجزوء الخفيف] :

كال لي ابن المعدل بالقفيز المعدل^(١)
من شعير بلا ترا ب نقي مغربل
ما أرى مثله فلا ن قضيماً لدلدل^(٢)

وقال يطلب خيشا [من السريع] :

يا أحرص الناس على مبعر يدق مستجاء بالفيش
حتى متى تتركني في لظى حر حزين بلا خيش

وقال يستعين بأبي قرة على تطهير ابنه [من السريع] :

يا سيدي دعوة من لم تزل تعديه بالجود على دهره
إن لي ابناً أمس خلّفته في منزلي كالفرخ في وكره
يبكي إذا ما عن ذكرى له وفي فؤادي النار من ذكره
والعزم بي قد جدّ يا سيدي في شهرنا الأدنى على طهره
فقوئي إنّي ضعيف القوى على الذي أنويه في أمره
فأنت ستر الله في وجه من أصبح ذاك الطفل في ستره

(١) القفيز : المكيال .

(٢) لدلدل : بغلة شهباء كانت للنبي ﷺ .

وقال لبعض بني حمدان [من السريع] :

فتى يُغَيِّر المَدَح في داره على صناديقٍ وأكياس
ذقت ندى راحته مرّةً فطعمه في جوف أضراسي

وقال لرجل دعاه إلى عرس ثم بداله [من المنسرح] :

يا وقح الوجه جيّدَ الحَدَقه خست بوعدِي وكنت غير ثَقَّة^(١)
أين نصيبي من الطعام وما طمعت في لعقةٍ من المرقه
أشفقت مني وكان يقنعني عندك ما ليس يوجب الشَّقَّة
قطعة لحمٍ في وزن خردلةٍ على رغيفٍ كأنه ورقه^(٢)

وقال يطلب مشروباً [من مخلع البسيط] :

يا سيدي عشت لي وبعدي وأرضُ نعليك صحن خدِّي
عندك يا سيدي نبيذٌ وليس لي منه رطل دردي^(٣)
تروى وأظماً وذاك بين الـ أحرار ضربٌ من التَّعدِّي
وقد تناهى أمري إلى أن بكّرت من منزلي أكدي^(٤)

وقال في مثل ذلك [من المنسرح] :

أبا الحسين الزمان ذو دولٍ أسبابها عند علّة العللِ
والعيش كالصّاب في مرارته طوراً، وطوراً أحلى من العسلِ^(٥)
ودار هذي الحياة مذ بنيت لم تخل من ساكنٍ ومنتقلِ

(١) خست بالوعد : لم تف به .

(٢) الخردلة : حبة صغيرة سوداء تستعمل في التوابل وفي الطب .

(٣) الدُردي : من الزيت ونحوه : ما يبقى راسباً في أسفل الإناء من الكدر .

(٤) أكدي : أطلب واستعطي .

(٥) الصاب : نبات شديد المرورة .

والنّاس في طيهم ونتيهم
 وهم مليحٌ وآخرٌ وحشٌ
 فوجه هذا للسيف وحشته
 وليس هذا وقت الخطاب على
 الوقت وقت الأرطال تعملها
 وقبحة تبلع القضب ولا
 فابعث بقفصية تحدثنا
 غزيرة الورد إن بي ظمًا
 ولا تجادل أخاك معذراً

وقال في مثل ذلك [من الخفيف] :

يا نديمي قد خلوت بحرٌ
 اسقنيها وحدي سروراً بديرٍ
 يا ابن يحيى الذي أموت وأحيا
 في موالاته وبين يديه
 منك هذا النيذ والخبز واللحم الذي يشرب النيذ عليه

وقال في مثل ذلك [من الخفيف] :

استمع شرح قصة أنا منها
 لي وعدٌ على غزالٍ غريبٍ
 ومغنٌ يحيط بالحال علماً
 وعليك انتهاء سكرهما اليو

بين وصلٍ ممّن أحبٌ وهجرٍ
 ينجز الوعد كل غرة شهر^(٤)
 فهو يأتي ولا يقول بحذر
 م إلى غاية المراد وسكري

(١) الرامشة : الطاقة من الريحان ونحوه ، والجعل : الدميم الأسود .

(٢) القفصية : إناء يجعل فيه الخمر .

(٣) الوشل : الماء القليل .

(٤) غرة شهر : مطلعته .

فأرحني من الهموم براح تصدر الهم عن موارد صدري^(١)
وابق حياً يضاف قسماً إلى عمرك طول الحياة من كل عمر

* * *

ما أخرج من خمرياته وما ينضاف إليها

قال [من الوافر] :

وليس العيش إلا شرب راح إليّ بشربها الساقى يشيرُ
وكأس يعدل الساقون فيها ولكن حكم سورتها يجورُ
وشدو صغيرة كالخشف يحدي بصوت غنائها الرطل الكبير

ومن أخرى [من الخفيف] :

أسقني بالكبار إمّا بطاسٍ أو بكأسٍ محرورة أو بجام^(٢)
لا تكلني إلى الصغار التي تحكي قوارير جونة الحجام^(٣)
وتقلد ديوان عشرتي اليو م بلا مشرفٍ وغير زمام

ومن أخرى [من المنسرح] :

الشرب لا الحرب عادتني ومعى ستة رهط جند صناديدُ
الذن والرطل والمشمّة والنّ قل وطبلُ التكريع والعود^(٤)

(١) الراح : الخمر ، وتصدر الهم : تبعده .

(٢) الجام : الإناء الكبير .

(٣) القوارير : إناء مستطيل من زجاج يجعل فيه الشراب والطيب .

والجونة : سلّة صغيرة مستديرة مغطاة بالجلد تكون مع العطارين ويوضع فيها الطيب .

(٤) الثقل : ما يؤكل على الشراب من فاكهة أو فستق وما إلى ذلك .

ومن أخرى [من مجزوء الخفيف] :

سيدي ما أظنه	بعد يدري بما جرى
ما درى أن عبده	فلسه قد تقشرا
عند قوم معروفهم	في قد صار منكرا
كنت كالمسك مرة	بالدنابير أشتري
فأنا اليوم بعد ما	صرت شيخاً كما ترى
عبد من عنده نيب	ذ إذا كان أحمر
خمرة دنها يض	من مسكاً وعنبراً ^(١)
كم فم ذاقها فطا	ب وقد كان أبخراً ^(٢)
وغلام بكأسها	راح يسعى وبكراً
هو فينا بريحها	عبق قد تعطراً
ظل يفسو وعندنا	أنه قد تبخرا

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

أيلول والعيد واعتدال الهواء في الليل والنهار
وشهر شوال في تكافي ساعات أيامه القصار
أربعة تقتضيك دين السماع واللهو والعقار
فاشرب لها بالكبير إن الكبير للسادة الكبار

ومن أخرى [من البسيط] :

والكأس تسلبني عقلي ، وأهون ما
حمراء يمسي بناني وهو فوق يدي
لهوت عن ذكره عقلي إذا سلبا
منها بمثل شعاع الشمس مختضباً

(١) الدن : الزق أو وعاء الخمرة .

(٢) الأبخر : ذو الرائحة الكريهة .

ابتعتها غير مغبون ولو طلب الخمار روي بها أعطيت ما طلبا
وأربح الناس عندي في تجارته محصلٌ يشتري بالفضة الذهباً
ومن أخرى [من الكامل] :

يا صاحبي استيقظا من رقدة
هذي المجرة والنجوم كأنها
وأرى الصبا قد غسلت بنسيمها
قوما اسقياني قهوة رومية
تزي عقل الليب الأكيس
نهر تدفق في حديقة نرجس
فعلام شربي الراح غير مغلس^(١)
مذ عهد قيصر دنها لم يمّس
موت العقول إلى حياة الأنفس^(٢)
صرفاً تضيف إذا تسلط حكمها

ومن أخرى [من الخفيف] :

من شروط الصبح في المهرجان
وحضور الطعام قبل طلوع الشمس مذ أمس بارد الألوان
والعروس التي ترف إلى الأر
رسموا طين دنها وهو رطب
وترى سوسن الكؤوس عليها
ثم خفق الطبول بين الأغاني
والسماع الذي يمل على الأسماع ما تشتهي بلا ترجمان
كل صوت من اقتراحات إسحا ق التي زينت كتاب الأغاني
لا أعد الصبح إلا غبوقاً إن جعلت الصبح بعد الأذان^(٣)
يا خليلي قد عطشت وفي الخمرة ري للحائم العطشان

(١) غير مغلسة : أي غير قديمة العهد .

(٢) صرفاً : صافية غير ممزوجة .

(٣) الصبح والغبوق : شرب الخمرة صباحاً ومساءً .

فاسقياني محض التي نطق الوحشي بتحريمها من القرآن
والتي ليس للتأول فيها مذهبٌ غير طاعة الشيطان
واعدلا بي عن التي هدت النا ر قواها وحنقت بالدخان
إنني خشيةً من النار أخشى كلُّ شيءٍ يُمسُّ بالنيران^(١)
لا تخافا عليّ دقة كشحي لاتكال الرجال بالقفزان^(٢)
فاسقياني بين الدنان إلى أن ترياني كبعض تلك الدنان
مقعداً بعد خفتي في نهوضي أخرساً بعد كثرة الهذيان
سكرةً بعد سكرةٍ تثبت اسمي في المفاليج أو مع العميان
اسقياني فقد رأيت بعيني ن لخمسٍ بقين من رمضان
أنا حوادة وذهنِي صديدٌ في قرار الجحيم أين مكاني
كلُّ شيءٍ قدّمته لي فيه تحت خصي فرعون أو هامان^(٣)
غير حبّي أهل الحواميم والحشر وطه وسورة الرحمن^(٤)
خمسَةٌ حبّهم إذا اشتدّ خوفي ثقتي عند خالقي وأماني
قد تيقنت أنهم ينقلوني من يدي مالكٍ إلى رضوان
بهمٌ قد أمنت خوف معادي وبهذا الوزير خوف زماني
يا أبا طاهرٍ ولولاك ما كا ن لبدر السماء في الأرض ثاني
لك يا سيدي دعا الفطر والأضحى ويوم النيروز والمهرجان
ومن أخرى في بختيار يهنئه بالأضحى [من السريع] :

قد صخبَ البمُّ مع الزيرِ فقم قليلاً غير مأمور

(١) خشية النار : خوفها .

(٢) الكشح : ما بين الخاصرة والصرة ووسط الظهر من الحسم . والقفزان : جمع قفيز وهو المكيال .

(٣) حوادة : أي العنيد .

(٤) أهل الحواميم : أهل الكساء « الرسول وآل بيته » .

قم هاتها أصفى إذا رقرقتُ
 من يدٍ عذراء لها وجنةٌ
 تحدثت فانتشر الدرُّ من
 وعبرت أنفاسها نكهةً
 الليل والعشر يقولان لي
 أمسلمٌ قلت نعم ظاهري
 من أجل هذا أنا مذُجَّتْما
 فاسعد بيوم العيد واجلس له
 وضحٌ فيه بالدنان التي
 من كلِّ دنٍّ دمٌ أوداجه
 واستحضر العود ووجه به
 الركعة الأولى سريجية
 وهي صلاة العيد لا يستوي
 والله لو كنت لها حاضراً
 فاشربُ على ملكٍ تملّيته
 في قدحٍ أزرقٍ أو ساذجٍ
 واستجل مع ذاك وذا أوجهاً
 كأنما عينك ما بينهمُ

في الكاس من دمعةٍ مهجور
 تحار فيها أعينُ الحور
 مشمّةُ التّرجس والخيري^(١)
 تبسم عن نفحة كافور
 مذ أمس قولاً غير مستور
 وباطني في الخمرنسطوري^(٢)
 ما بين سكرانٍ ومخمور
 في خلوةٍ جلسة مسرور
 تخرُّ بين البمِّ والزير
 أحلُّ من لحم الخنازير
 حتى نصلي بالطناير^(٣)
 وركعة التسليم ماخوري^(٤)
 تجوزي فيها وتقصيري
 لحير العالم تكيري
 موشحٍ بالعزّ منصور
 أبيض مثل الثلج بلّور
 صبيحةً مثل الدنانير
 تدور في زهرة منشور

ومن أخرى في أبي الفتح بن العميد ، وكان قد هجر النبيذ بعد القبض على

(١) الخيري : زهر المشور الأصفر .

(٢) نسطوري : من السّاطرة طائفة من النصارى .

(٣) الطناير : من الطنبور آلة موسيقية .

(٤) سريجية : نسبة إلى سريج أحد المغنّين . وماخوري : من الماخور : وهو بيت الرّيبة .

بختيار . وكان ابن بقية الوزير قد شرب وابن الحجاج إذ ذاك يتولى الحسبة ببغداد
[من الكامل] :

حقّي على الأستاذ قد وجبا	فإليه قد أصبحت منتسبا
مولاي ترك الشرب ينكره	من كان في بغداد محتسبا
إن كان من غمّ الأمير فلمْ	وزيره بالأمس قد شربا
إنّ الملوك إذا همّ اقتتلوا	أصبحتُ فيهم كلب من غلبا
فلذاك أسكر غير مكترث	وألفُ مع خيشومي الذنبا
يا سادتي قد جاءنا رجبُ	فتفضّلوا واستقبلوا رجبا
بمدامةٍ لولا أبوتها	ما كنت قطّ أشرفُ العنبا
حمراء مثل النار موقدة	لم تلق لا ناراً ولا حطبا
من قال إن المسك يشبهها	ريحاً فلا والله ما كذبا

ومن أخرى في بعض الوزراء [من السريع] :

فُديتَ بي يا سيدي وحدي	وعشت ألفي سنة بعدي
قد رحل النرجس فاشربْ على	محاسن المشور والورد
من لي بها عندك مشمولةٌ	قد أصبحت معدومةً عندي
يمزجها لي رشاً أغيدُ	بريقة أحلى من الشهد ^(١)
نهاية الحرّ مجسُّ استه	وريقه في غاية البرد ^(٢)
جنى من البستان لي وردةٌ	أحسن من إنجازهِ وعدي
وقال والوردة في كفِّهِ	مع قدحٍ أذكى من الندّ
اشرب هنيئاً لك يا عاشقي	ريقي من كفّي على خديّ

(١) الرشأ : الغزال .

(٢) مجسُّ استه : أي وضع اليد عليها .

ومن أخرى [من المنسرح] :

يا من حقوق النيروز تلزمه رسمك يوم النيروز مشهور
فاسكر من الليل واصطبج سحراً غداً تراني وأنت مخمور
واستنطق الزير إنني رجل يعجبني ما يقوله الزير^(١)

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

قم فاسقني الراح أو تراني مبلبل العقل واللسان
إذا تكلمت لم يُفسر قلتي إلا بترجمان

وله يهنئ نصرانياً بفصحته [من السريع] :

أوجع دماغ القرع بالسلق اليوم يوم القطع والبلق^(٢)
اليوم يوم الراح يا سيدي فاشرب من الراح كما تسقي
كل سيدي واشرب ونك إنما الحياة بين الشرب والفسق
وافطر من الصوم على فقحة زبدتها في طرف الزق^(٣)
وابق سليماً ودع الموت لا يجنو على الخلق ولا يبقي

* * *

ما أخرج من خرافاته في مجونه ومفاحشاته

قال [من الوافر] :

سرى متعرضاً طيف الخيال فسوف لا محالة بالمحال^(٤)

(١) الزير : وتر العود .

(٢) البلق : الفتح ، بلق الباب فتحه .

(٣) الفقحة : الحسنة الخلق ، أو حلقة المؤخرة .

(٤) سوف : أدخل وماطل .

ولكنني انتهت فكان حزني على ما فاتني أسوأ لحالي
وما خلق النساء البظر إلا وبالأحس حيث كن على الرجال
عذيري في الزنا من كل تيسر عتيق قد تمرّد في الضلال
يحسن لي الحلال فنحن طول السهر إذا اجتمعنا في جدال
وليس سوى الزنا همّي ورأيت فيكار الخصى نيك العيال
وفي النيك الحرام خزعبلات قليلاً ما تراها في الحلال
وسرم مرّ مجتازاً بأيري كما صلى العشا والدرب خالي
فقال له إلى كم تزدريني وتكشف بالقبيح إليّ بالي
ولم تختار وصل الحرّ دوني وتكرهني وتعرض عن وصالِي
ألم تر أنّ شكل البدر شكلي وأنّ الحرّ معكوس الهلال
تأمل تكتي فوقّي وأين السهر وهاد من الروابي والتلال
فكس رأسه أيري طويلاً وفكر في الجواب عن السؤال
وفكر ثم قال له إذا لم توفّق للصواب فما احتيالي
أبا الدراق ما للحرّ ذنب إذا فكرت في عذري ولالي
ولكنني رأيت الحرّ فينا يسام الخسف حالاً بعد حال^(١)
فيقطع أنفه طفلاً وينشو كبيراً وهو منتوف السبال
ويلكم شذقه في كلّ وقت بغير خصومة وبلا قتال
وأنت فسيء الأخلاق جداً كما تدري قليل الإحتمال
بأول خاطر من غير فكر تشرّس من لقيت ولا تبالي
ومدخلة لها ردف سمين وخصر كالهلال من الهزال
يؤذن في استها أيري أذان الضحى ويقيم في وقت الزوال
وتعصف ريح عصعصها شمالاً وهل ريح أرق من الشمالي

(١) يسام الخسف : يصيبه النقصان والاحجاف .

وقد بادلتها فمبالها لي بمشورة استها ولها قذالي^(١)
 كما لابن العميد جميع شكري ودنيا ابن العميد جميعها لي
 ومن أخرى [من السريع] :

فحمية السرم ولكنها البظراء شيرازية المفرق
 قالت لأيري بعد ما صبّ في دواتها أكثر من دورق^(٢)
 أوحشت عشّ استي فقل لي متى تؤنسه يا عنق اللقلق
 فقال هيهات وهل يرجع اللصّ إذا فرّ من المطبق
 ومن أخرى في حسبه [من السريع] :

يا معشر الناس اسمعوا دعوة دخالةً بالنصح خراجه
 من منكم طار على حسبي قطعت بالدرّة أوداجه^(٣)
 لأنه أقرنّ ليست له بعدي في زوجته حاجه
 كأنّ أيري في آستها زمجّ يطلب بين الشوك درّاجه^(٤)

ومن أخرى [من السريع] :

جارية أرض نبات استها رقيقة التربة خواره
 تسبح في جانب مفساتها عين خرا بالعرض خواره
 كأنّ لي منها على عاتقي كراع شاة فوق قنّاره^(٥)

(١) القذال : يعني ذكره .

(٢) الدروق : مكيال للشراب .

(٣) الحسبة : منصب كان يتولاه مسؤول عن مراقبة الأسعار .

(٤) الرّمج : الغضب ، وزمج على القوم دخل بغير إذن منهم .

(٥) القناره : القنور : الضخم الرأس ، والطويل .

ومن أخرى [من المنسرح] :

وقينة كل من يعاشرها
مبرودة الرِّيق بعد هجعتها
كان تنورها الشديد حمى
تشم ريح استها الزناة كما
فجوفها قربة وفي حرها

مغتبط بالسماع مسرور
وجوفها في الفراش محرور
بقرب عهد الشباب مسجور^(١)
تشم ريح اللحم السنائر
خندق بول وبظرها سور

ومن أخرى [من السريع] :

ولم أزل وهي إلى جانبي
أنب مثل التيس فوق استها

كظية عفراء وحشية
وهي بحال النيك تيسه

ومن أخرى [من الوافر] :

صمدت لها وجنح الليل داج
وأولع بالمباعر من قراذ

بأخطف للطريدة من عقاب
وأوقع في المقاذر من ذباب

ومن أخرى [من الوافر] :

فتاة ما عرفنا قط منها
فما تهوى سوى أيار شهرا

بحمد الله إلا كل خير
وليس إمامها غير الزبير

ومن أخرى [من السريع] :

قالوا رأيناك بما فيك من
تحبو إلى باب آستها مثل ما

هشاشة الفطنة والكيس
يحبو ابن عامين إلى الديس^(٢)

فأي شيء كان قلت الذي
يكون بين العنز والتيس

(١) مسجور : موقد .

(٢) الديس : الغابة المتلبدة « أو الوطه والجماع » .

وقال [من مخلع البسيط] :

يا سادتي ما استرق ديني	شيء كمثل الحر السمين
لما أراه يزول عقلي	عني ويعتادني جنوني
وأشتهي أن أغوص فيه	من مشط رجلي إلى جيني
وكلما شلت منه رأسي	رزقت قوماً يغوصوني
أغيب شهراً فلا تراني	العيون والناس يطلبوني
حتى إذا كان بعد شهر	دل على موضعي أنيني
فديته كالعروس يجلى	في دست ورد وياسمين
جبينه الصلت من حديد	وشدقه الرخو من عجين
وخير ما يقتنيه أيري	صلابة بطنت بلين

وله [من مجزوء الرجز] :

يا صاح فاشرب واسقني	من الشراب العكبري ^(١)
مع أمرٍ عصصه	يجيد بلع الكمر
أوقينة طنبورها	المحفوف صلب الوتر
حورية قد شربت	بالرطل ماء الكوثر
من الجنان وجهها	وسرمها من سقر ^(٢)
لها حر كأنه	وجه غلام خزري ^(٣)
ذو شعرة أطرافها	شبه رءوس الإبر
أصبح في نيكي لها	تقدمي تأخري

(١) العكبري : من العكبر : شيء يجيء به النحل على أفخاذها وأعضادها فتجعله في الشهد مكان العسل .

(٢) سقر : جهنم .

(٣) الخزر : جماعة من التتار .

أحسنَت لي هم، هكذا مُدِّي وشدِّي واعصري
العيش ما أطيب ذا يا مهجتي يا بصري
لمثل ذا الوقت انتفي أو احلّقي أو نورّي

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

صبيّةٌ بظرها بجنبي بيت مثل الصبيّ المخضّبُ
مفعول باب استها بأيري الـ فاعل فوق الفراش ينصبُ
وسرمها كان أمس غراً لم يتفقّه ولا تأدّبُ
فاليوم قد صار منذُ قاسي أمور أهل الزّنا وجربُ
إذا رأى الأير من بعيدٍ بوق في وجهه ودبدبُ

ومن أخرى [من البسيط] :

تبول من شّدق مهزولٍ به عجفٌ وقد تفقّا عليه بظرها سمنا^(١)
ترغي وتزبد شّدقاه إذا اختلفا كأنّه شّدق مفلوجٍ حسی لبنا^(٢)

ومن أخرى [من الخفيف] :

ذات حمٍ يسقي الفراغات صرفاً من عصير الخصي بغير مزاج
بات دكشاب فيشتي في خراها يخلط الدوغباج بالزيرباج^(٣)

وقال [من مجزوء الرجز] :

لو أنّ سرمأ كان في يديه ملكُ اليمن

(١) تفقّا : تشقّق .

(٢) حسی : شرب .

(٣) الدكشاب : رأس الذّكر ، والدوغباج والزيرباج : لغة فارسية . الدوغباج : تعني : المنّي والمخيطي ، والزيرباج : المختّر الذي في أمعائها .

لَكَانَ أَوَّلَى مِنْهُ بِي
قَطْعَةً بَظَرٍ عَفْنٍ
وَقَالَ [مِنْ مَخْلَعِ الْبَسِيطِ] :

عَمْرُكَ اللَّهُ يَا ابْنَ عَمْرٍو
وَجْهَكَ عِنْدَ الصَّبَاحِ شَمْسِي
مَوْلَايَ ذَا الْيَوْمِ يَوْمَ سَعْدِي
نَذَرْتُ فِيهِ إِذَا التَّقِينَا
مَعَ قِينَةٍ لَا تَرِيدُ غَيْرِي
أُيرِي عَلَى أَنَّهُ طَوِيلٌ
لِصُوفِ شَعْرِ اسْتَهَا مَدَادٌ
فَأَيُّ شَيْءٍ تَقُولُ هُوَ ذَا
وَقَالَ [مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ] :

ضَرَطْتُ وَنَحْنُ بَعَكِبْرَا
وَفَسْتُ عَلَى رِيحِ الشَّمَا
وَمَسَحْتُ مَبْقَلَةً اسْتَهَا
جَاءَتْ إِلَيَّ وَجُوفُهَا
فَسَلَقْتُ بِيضِي فِي آسْتَهَا
فَتَشَوَّشْتُ سَفْنَ الْغُرُوبِ
لِ فَالْحَقَّتْهَا بِالْجَنُوبِ
فَوَجَدْتُهَا أَلْفِي جَرِيبِ
يَغْلِي وَلَا قَدْرُ الزَّيْبِ
وَشَوَيْتُ فِي حَرْهَا عَسِيْبِي^(١)

وَمِنْ أُخْرَى [مِنَ الْمَنْسَرَحِ] :

وَكَمْ حَدِيثٍ كَأَنَّهُ سَمْرٌ
وَافِرَةٌ الرَّدْفُ فَهُوَ يَثْقُلُهَا
طَعْمُ خَرَاهَا مَعَ طَعْمِ فَيْشَلْتِي
قَدْ مَرَّ لِي فِي الزَّوْنَا مَعَ السَّمْرِ
لَطِيفَةُ الْكُشْحِ نَضْوَةُ الْخَصْرِ^(٢)
يَشْبَهُ طَعْمَ اللَّبَا مَعَ التَّمْرِ

(١) العسيب : عظم الذنب « ويعني به قضيبه » .

(٢) نضوة الخصر : هزيلته .

لو لم أَشَبَّ بشعر عانتها ما طاب للناس كلهم شعري^(١)
 قيل لأيري وقد رأوه ولا الهارب بعد الحصول في الأسر
 يشتدُّ بعد العشا إلى حرِّها عدواً بلا حشمة ولا فكر
 ما لك هوذا تطير قال لهم أطيّر مستعجلاً إلى وكري
 ولي خصي لو خرجت أعرضه اشتراه مني بروحه دري
 ايري عليه كأنه وتدٌ قد علقت فيه دبة البزر^(٢)

ومن أخرى [من مجزوء الكامل] :

يا ويحكم واللحم يعرض والبزاة على الكنادر^(٣)
 قوموا بنا نحشو البظو ر بفيشنا حشو المساور
 نبدا بكراعاتهم ونعود نعثر بالزوامر
 ثم الحوافظ إنهنَّ عجائزُ شمطٌ عواهر
 أحرّاهم بيض العنا فق واللحي سود المباعر^(٤)
 كشيوخ أصحاب الحديث إذا تمشّوا بالمحابر

ومن أخرى [من السريع] :

أنا ابن حجاج إليه أبي ينمي وقلبي من بني عذره
 لم يخل جسمي في الهوى من ضني قطّ ولا عيني من عبره
 حائبٌ مثل حصي عكبرا والرقبا مثل نوى البصره
 حامضة البول ولكن لها مستنَعِظٌ أحلى من التمره^(٥)

(١) العانة : الشعر الذي ينبت حول الفرج .

(٢) دبة البزر : ظرفٌ للبزر والزيت .

(٣) الكنادر : مجثم البازي .

(٤) الأحرّاح : جمع حر ، والعناقق : شعرات صغار بين الشفة السفلى والذقن .

(٥) المستنَعِظ : يعني به « بضع المرأة » .

لها حرٌّ درّته جرّة ومبعرٌ روثنه صخره
فما تلاحظنا سوى مرّة حتى أتى الشيخ أبو مرّة^(١)

* * *

نبذ من ملحه القصار من أخباره

كان قد دعا مغنية ، فلما دارت الكؤوس تساکرت عليه وتناومت وهو جالس ، فقال [من مجزوء الرمل] :

غَطَّتِ البظراءُ لَمَّا عَايَنْتِ مفتاحَ ديري
ورجتِ مِنِّي خيراً قلت لا ترجين خيري
أقعدني عندي وهذا فافعليه عند غيري
أنت في دعوة أذني لست في دعوة أيري

وحصلت عنده مغنية كان يتعاشق لها . ونام ابن حجاج ، ففرقع ظهره فغضبت وانصرفت ، فقال [من السريع] :

قد غضبت ستي وقد أنكرت قرعةً تظهر في ظهري
وليس لي ذنبٌ ولكنني أضرت بالليل ولا أدري
فليت شعري وهي غضبانة من حجرها أضرت أم حجري

وأنا أستظرف كنايةته بالفرقة عن الضراط .

ودعا مغنية ، فخلا بها ، فهجمت عليه صديقه له ، فتضاربتا وتجارحتا وطال بينهما الشر . فقال [من الخفيف] :

رحم الله من أتاني بموسى فتقصى بحدّه جبّ أيري^(٢)

(١). أبو مرّة : هو إبليس ، وكُنِيَ بمجيئه على حصول ما يغضب الله .

(٢) جبّ : قطع .

كلُّ يومٍ أغضي له عن جنايا تِ كأنَّ الحديثَ فيها لغيري
ولعمري كم من صباحٍ بشرٍ كان لولاه قد جرى لي بخير
ووردت عليه رقعة صديقين له يدعوانه للشرب وابنه قد جدر وملح فكتب
إليهما [من المنسرح] :

يا سيدي النيذ موجود وبابُ شرب النيذ مسدودُ
قد ملَّح ابني فكيف يشربُ مَنْ أمسى ولحم ابنه تمكسود^(١)
وعرض له صداع ، فانفرد إخوانه بالشرب مع مغنية كان قد اشترطها ، فكتب
إليهم [من الوافر] :

حصلت أنا الشقيُّ على الصداع وأنتم بالتمثُّع والسُّماعِ
خلوتُم بالتي قلبي إليها شديدُ الشوق مشهور النَّزاعِ^(٢)
فتاةٌ أصبح الإجماع فيها يقرُّ بأنَّها شرطُ الجماعِ^(٣)
وحصل مع رجل يكنى أبا الحسين في دار رجل بخيل ، فالتمس أبو
الحسين العشاء بعد الغداء ، فقال ابن حجاج [من مخلع البسيط] :

يا سيدي يا أبا الحسين أنت رفيعُ بنقطتينِ
يا كلب الضَّرْس ما يداوي ضرسك إلَّا بكلبتينِ
ويلك قل لي جنت حتَّى نلتمس الخبز مرتينِ
في دار من خبزه عليه ألف رقيبٍ بألف عينِ

وحضر في دعوة ، وآخر الطعام ، فقال [من الكامل] :

يا صاحبَ البيت الذي أضيفه ماتوا جميعا

(١) كذا ، ولم يتجه لي عجزه .

(٢) النزاع : الميل .

(٣) شرط الجماع : أي صالحة للمعاشرة .

حصّلتنا حتى نمو ت بدائنا عطشاً وجوعاً
مالي أرى فلك الرغيف لديك مشرفاً ربيعاً^(١)
كالبدر لا نرجو إلى وقت المساء له طلوعاً

ونظر إليه يذهب ويجيء في داره ، فقال [من السريع] :

يا ذاهباً في داره جائياً بغير معنى وبلا فائده
قد جنّ أضيافك من جوعهم فاقراً عليهم سورة المائدة
وكان بعض أصحاب الدواوين يطالبه بحساب ناحية وليها ، فكتب إليه [من
الوافر] :

أيا من وجهه قمرٌ منيرٌ يضيء لنا وراحته السحابُ
إذا حضر الحساب أعدت ذكرى وتنساني إذا حضر الشرابُ
أجبنني بالقناني والمثاني ووجهك إنّه نعم الجواب
وكلّني في الحساب إلى إلهٍ يسامحني إذا وضع الحساب^(٢)

وركب إلى بعض الرؤساء يهته بعيد النحر ، فلم يصادفه ، فكتب إليه [من
الوافر] :

أيا من وجهه كالشمس توفي فيمحق نوره بدرُ التمام
لعيد النحر أيامٌ قصارٌ تلمُ بنا اجتيازاً كلَّ عامٍ
أمرنا كلنا بالنيك فيها وأكل الطيات وبالمدام
فقبل لنا اشربوا وكلوا ونيكوا حلالاً أو على وجه الحرام
وما قيل اقطعوها بالتهاني وتكرار التحايا والسلام

(١) المشتrof : أي المشرف العالي .

(٢) كلني : دعني ووكل بي .

فيا طوبى لمن صلّوا قعوداً وناكوا في الكواشل من قيام^(١)
وقد بكرتُ أمس على كميّة يقصّر خطوه طول المقام^(٢)
جريح الجنب من ضغط الحزام قريح الفك من مضغ اللجام
فإن أنا لم أعد فالله أولى بعذري ثم أنت بلا كلام

ووردت رقعة رجل على بعض الرؤساء وهو جالس يعرض عليه جارية رباها
ويصف حسننها . فأمره بالإجابة فقال [من السريع] :

يا إذا الذي جاء بحرّ له في السرّ يهديه إلى أيري
عليّ شغلّ بالمهمّ الذي تراه فاطلب نايكاً غيري
وكان له صديق ولذلك الصديق ابن يكنى أبا جعفر ، وكان مستهتراً بالقحاب
فسأله أن يعاتبه ويشير عليه بالتزوج ، فقال [من السريع] :

إيّاك والعفة إيّاك إيّاك أن تفسد معناكا
أنت بخير يا أبا جعفر ما دمت صلب الأير نيّاكا
فنيك ولو أمك واصفع ولو أباك إن لامك في ذاكا

وكان الوزير أبو الفضل والوزير أبو الفرج قد خلوا في الديوان لعقوبة
أصحاب المهلي عقب موته ، وأمر أن تلوث ثياب الناس بالنفط إن قربوا من
الباب ، وقد كان المهلي فعل مثل هذا ، فحضر ابن الحجاج فحجب وخاف النفط
فانصرف فقال [من مخلع البسيط] :

الصفح بالنفط في الثياب ما لم يكن قطّ في حسابي
ليس يقوم الوصول عندي مقام خيطين من ثيابي
يا ربّ من كان سنّ هذا فزده ضعفاً من العذاب

(١) الكواشل : الفياشل الضخمة ، وكاش جاريته : جامعها .

(٢) الكميّة : من الخيل الذي بين الأسود والأحمر .

في قعر حمراء ليس فيها غير بني البظر والقحاب
تفعل في لحمه المهري ما يفعل الجمر بالكباب
فالقرد عندي يجلُّ عمَّن يسنُّ هذا على الكلاب

ووردت عليه رقعة خصم له بما يسوءه فكتب على ظهرها أبياتاً منها [من
الكامل] :

إنِّي جعلت إجابتي في ظهرها عمداً ليتمكن فضُّها في المجلس^(١)
كانت كنيفاً فائضاً فزرعت في ظهر الكنيف حديقةً من نرجس

وكان ابن شيراز قد صارع السبع فقتله ، ثم عاد لمثله ، فكتب إليه ابن
حجاج [من مخلع البسيط] :

يا من إلى مجده انقطاعي ومن به أخصبت رباعي
قد زاد خوفي عليك جداً وعظَّم الأمر في ارتياعي
في كلِّ يومٍ سبعٌ جديدٌ ينفر من ذكره استماعي
تغدو إليه بلا احتشامٍ ولا انقباضٍ ولا امتناع
وليس قتل السباع ممَّا يدرك بالختل والخداع^(٢)
فلا تظر بعدها لسبعٍ مراسه غير مستطاع
إن صارع السباع عندي حاشاك ضربٌ من الصَّداع
أعدلُ إلى الكأس والندامى والأكل والشُّرب والسَّماع
وأمرِدُ جامِعٌ لشرط العناق والبوس والجماع
بلى أجمع لي السباع واطرح خصمي في بركة السباع
فإنَّ عيشي في أنْ أراه بين سباع الرُّبى الجياع

(١) فضُّها : فتحها .

(٢) الختل : الخداع والتستر .

وكان سأل بعض الرؤساء أن يتكلم في أمر كان له فوعده ثم أمسك وسكت فقال [من السريع] :

يا صنماً يعبده شعري بلا ثوابٍ وبلا أجر
إن لم تكن ديباً فخطبهم بلفظة تسمع في أمري
انطق بنفسٍ قبل أن يحسبوا أنك من طين وآجر^(١)
وقال وقد عرضت له علة صعبة ، ثم صلح بعد اليأس ، فكتب إلى بختيار
[من مخلع البسيط] :

يا سيدي عشت في نعيمٍ حلو الجنى دائم المسرة
عبدك يشكو إليك حمى قد سبكته الصفراء نقره
حمى لتنورها وقودٌ يزيد في اليوم ألف سجره^(٢)
قد حفرت تربةً لصيدي فكدت منها أصير صبره
علة سوء كانت تريني نفسي فوق الفراش حسره
طالعي الموت من زوايا برسامها ألف ألف مره^(٣)
قد نصب الفخ لي ولكن أفلت من فخه بشعره
وقوله [من السريع] :

يا سيدي دعوة من قلبه من خوفٍ ما مرّ به يخفق
قد نصب الفخ لصيدي أبو يحيى ولكن أفلت العقق^(٤)
وقلده الوزير ناحية ، فخرج إليها يوم الخميس ، وتبعه كتاب الصرف يوم

(١) الأجر : القرميد .

(٢) سجره : من سجر النار أي زادها وقوداً .

(٣) البرسام : علة يهذى فيها .

(٤) العقق : طائر كالغراب ذو لونين أسود وأبيض طويل الذنب .

الأحد ، فقال [من مجزوء الكامل] :

يا مَنْ إذا نظر الهلا
وإذا رآته الشمس كا
يوم الخميس بعثني
والناس قد غنّوا عليّ
ما قام عمرو في الولا
ل إلى محاسنه سجد
دت أن تموت من الحسد
وصرفتني يوم الأحد
كما رجعت إلى البلد
ية ساعة حتى قعد

وقال في مثل ذلك [من المنسرح] :

يا مالك الصدر ما خلوت من ال
قلّدتني ليلةً وباكرني
فقد بختي فكيف درت به
إيراد ما عشت فيه والصدر^(١)
كتاب صرفي المشوم في السحر^(٢)
دور لي جانب استه وخري

وقال ، وقد حجه بواب لبعض الرؤساء مرات فكتب إليه [من السريع] :

قولا لمن إحسانه لم يزل
بي علّة تقطع أسبابها
أخفيت ما بي اليوم منها فما
وليس يشفيني سوى نهشة
تبيت فيها وهي مشبوبة
فأمنن بأن تذبح لي واحداً
فنقطة من دمّ أوداجه
شفاء علّاتي وأوصابي^(٣)
من راحة الصّحة أسبابي
تطلّع الناس على ما بي
من قطعة من كبد بواب
بالنار أضراسي وأنيابي^(٤)
بالنعل في دوارة الباب
أنفع لي من رطل جلاب

* * *

(١) الايراد : ورود الماء للارتواء ، والصدر : العودة عنه بعد الارتواء .

(٢) المشوم : أي المشؤوم الملعون .

(٣) الأوصاب : الأمراض .

(٤) مشبوبة : متّقدة .

ملح من نوادره في ذكر الصفع

قال [من السريع] :

يا سخن العين التي لم تزل تعيش في الناس بلا عقل
إن لم تزن نفسك مستأنفاً والخوف بين القول والفعل
حلّ بيافوخك منّي الذي يحلّ يوم العيد بالطبل
لا تجهل اليوم على من له معرفةً بالعقل والجهل
فتى وإن زلت به نعله أصفع خلق الله بالنعل

وقال [من الرمل] :

هاربٌ منّي وقد خاف العمى بقفا للنعل بادي المقتل
وبكفّي شمشكٌ متعلٌ والقفا حبر الشمشك المنعل^(١)

وقال [من المنسرح] :

في البيت لي درّةٌ يحدثُ عنْ أفعالها الموغلون في الشارع
تأكل لحم القفا السمين كما يأكل رز البهطة الجائع^(٢)

وقال [من الخفيف] :

ربّ مستصفعٍ نسخت بنعلي بين أجفانه شروط القوافي
كلُّ نهب الطلى مباح حمى الرأ س حريب الأذان والأكتاف^(٣)
فاتق الله في غطاريف أذنيك وأعصاب أخدعك الضعاف^(٤)

(١) الشمشك : نوعٌ من الأحذية .

(٢) البهطة : الأرز يطبخ باللبن والسمن معرّب من الهندية .

(٣) الطلى : الخمر ، والحريب : المسلوب .

(٤) الغطاريف : الغطرفة : الخيلاء والعبث ، والأخدع : عرق في العنق .

وقال [من السريع] :

قل لابن حسنون وما زال من
أما ترى رخَّ يدي جائلاً
تعجرفٍ يصغو ويستعفي
وشاه أذنيك على الكشف^(١)

وقال [من المنسرح] :

قد وقع المنع والحجاب معاً
وافيته طامعاً لأدخله
فكلُّ من رام بابكم صُفعا
ولم أكن قط أحمد الطمعا
فواثبوني جهلاً بمرتبتني
في حيث أشكو الصَّداع والصلعا
لا تطلبوا بعدها مواصلي
فإنَّ حبل الوصال قد قُطعا

وقال وقد صرف عن عمل كان إليه [من المنسرح] :

قال وأجفان مقلتيه تكفُّ
أعمالنا هذه التي كثر الـ
وجسمه ظاهر السقام دنف
إرجاف فيها بنا فليس تقف^(٢)
قد صرفونا عنها فقلت لهم
نعم وصادف عين واو نون ألف

وقال [من مخلع البسيط] :

قلت وقد جاء حرّ شاذاً
قالوا لصفع العباد حتّى
لأي معنى قد جاء هذا
يجعل أقفاءهم جذاذاً^(٣)
فقمّت وابناي يتبعاني
نسل من بينهم لواذا^(٤)

* * *

(١) الرخ والشاه : من أدوات الشطرنج .

(٢) الإرجاف : الخوض في الأخبار السيئة والفتن .

(٣) الجذاذ : المقطّع المكسر .

(٤) لواذاً : إحتماءً .

نبذ من ذكر سرقاته

من ذلك قوله [من المنسرح] :

شيخُ فتى والشَّبَابُ أكثرهم قد علم الله غير فتیان

من قول كثير [من البسيط] :

يا عزُّ هل لك في شيخٍ فتىً أبداً وقد يكون شَبَابٌ غير فتیان

وقوله [من الوافر] :

وأولاد الحرائر لم يجابوا لديّ فكيف أولاد القحَابِ

من قول دعبل [من الكامل] :

إنني لأهجو من يجود بماله أتظنني أدع اللثيم الواضعا

وقوله [من الوافر] :

على أني أظنك سوف تنجو بعرضك من يدي منجى الذئَابِ

من قول أبي الزيات [من المتقارب] :

نجا بك لؤمك منجى الذئَابِ حمته مقاذره أن ينالا

وقوله [من الوافر] :

وأحسن ما رأينا قطُّ راحاً إذا كانت مطيَّةً كأس راحِ

من قول أبي تمام [من الكامل] :

راحٌ إذا الرّاح كنَّ مطيَّها كانت مطايا الشوق في الأحشاء

وقوله [من الوافر] :

سُتِرتُ بظُلِّهِ من ريبِ دهري فعزَّ على النوائب أن تراني

من قول أبي نواس [من الطويل] :

تستّرت من دهري بظلّ جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني
وقوله [من الكامل] :

أمشي بقلبي ، لا برجلي ، إنّما تمشي بحسب هوى القلوب الأرجلُ
من قول اللجلاج [من الطويل] :

وما زرتكم عمداً ولكنّ ذا الهوى إلى حيث يهوى القلب تهوي به الرجلُ
وقوله [من الوافر] :

وخمّارٍ أعدّ الكأس ظمّراً لطارقه فلم يرضعه غيلاً^(١)
أوفّيه خلاص التبر وزناً فيسبكه ويعطينه كيلاً

من قول ابن المعتز [من المتقارب] :

وخمّارة من بنات المجوس ترى الزقّ في بيتها سائلاً^(٢)
وزناً لها ذهباً جامداً فكالت لنا ذهباً سائلاً

وقوله [من الوافر] :

فتاةٌ كالمهاة تروق عيني مشاهدها وتفتنّ من رآها
تكاد تردّ للمحبوب أيراً وتحدث للفتى العنين باها^(٣)

من قول جحظة [من مجزوء الكامل] :

لو مرّ بالأعمى لأبصر أو بعينٍ لأنعظ^(٤)

(١) الظئر : الموضع غير الأم . والغيل : اللبن الذي ترضعه المرأة وهي حامل .

(٢) السائل : أي الذي ارتفعت قوائمه عند الملء أو النفخ ، يريد هنا ان الزق ممتلئ .

(٣) المحبوب : المقطوع الذكر . والعنين : العاجز جنسياً . وبهاً : نكاحاً .

(٤) أنعظ : انتصب وقام .

نبذ مما تكرر من معانيه

قال [من السريع] :

وفي فمي سكرة حلوة قد نغصتها لوزة مرّة

وله [من السريع] :

واللوزة المرّة يا سيدي يفسد في الطعم بها السكر

وله [من السريع] :

كأنّه وهو إلى جنبها سكرة مع لوزة مرّة

وله [من المنسرح] :

نبّهت منه لحاجتي عمراً ولم أعول منه على عمرو

وله [من المنسرح] :

فما استجارت بعمره مظلمة
فالشعر قد صار فيها وأتى
بل حين جاءتك أنت يا عمر
مع ذا بتفصيل ذلك الخبر

وله في عكس المعنى [من السريع] :

ولم تنبه عمراً حاجتي بل وقعت منك على عمرو

وله [من المنسرح] :

خير الستور التي نعلّقها
والقدر إن لم يكن لها طبق
ستر خصي مسبل على حجر
لم يتهرّ العصيب في القدر^(١)

(١) العصيب : الصلب الكثير العصب من اللحم .

وله [من المنسرح] :

ولم تر العين قط أحسن من ستر خصي مسبل على حجر
وله [من الخفيف] :

كتبت رقعةً إليّ وقد عبّست بسطرٍ مقرمٍ خلف سطر
يا فتى سترُ باب سرمي خصاهُ هات قل لي متى تعلقُ بستري
وله [من الوافر] :

أحنُّ إذا رأيت الحرَّ ليلاً بجنبي وهو متوفٍ نظيفُ
ولا أباه إن هو جاء يوماً وفي رأس الكلاجق منه ليف^(١)
وله [من مخلع البسيط] :

فاستأذنيه غداً وعودي إليّ متوفٍ نظيفه
فقد تبّينت فوق رأس الحرّ ذي الزوزك ليفه^(٢)

وله [من المنسرح] :

بيضاء وهجُ استها يفور حمى وريقها العذب باردُ خصرُ
وله [من السريع] :

بريقة كالثلج مبرودة ومبعر كالنار محرور^(٣)

وله [من السريع] :

نهاية الحر مجسّ استها وريقها في غاية البرد

(١) الكلاجق : ما يحيط بالفرج .

(٢) الزوزك : القصير « البظر » .

(٣) البريقة : البيضاء المتألثة أو الحسناء من النساء .

وله [من مخلع البسيط] :

للبرد في ريقه كزازٌ وللحمى في آسته حريقٌ

وله [من مخلع البسيط] :

يا زوج من ريقها حميمٌ وريق مفسائها صقيعٌ^(١)

وله [من الخفيف] :

وغلامٌ شطّى بكرفس مفسا ه قديماً أسنةُ الأقلام^(٢)

وله [من الخفيف] :

لا ترى كرفسا على باب مفسا ه يشطّي بصوفه الأقلاما

وله [من الخفيف] :

ودواة استها بصوفٍ ولا اللَّيفُ يُشَطّي أسنةُ الأقلام

وله [من الرمل] :

كلّما استمددت من سرمها شعب ستي قلّمي الكرفسُ

وله [من السريع] :

فديت من لقّبي مثلما لقّبتَه والحق لا يغضبُ

إن قلت يا عرقوب أطمعتني قال فلم نفسك يا أشعبُ

وله [من السريع] :

وعدتني وعداً وحاشاك أنْ تروغ منه روعة الذيب^(٣)

(١) الحميم : المستعر ، والجار .

(٢) شطّى : قطع وشقّق ، والكرفس : القطن . وتكرفس الرجل : انضم ودخل بعضه في بعض .

(٣) تروغ : تهرب .

ما كنت إذ أطمعتني أشعباً فيه ولا أنت بعرقوب^(١)

* * *

ما جاء له في التضمين

قال ، وقد كان غاب عن الحضرة مع الوزير ثم عاد فلما قرب توقف عن الدخول
[من الوافر] :

أيا مولاي دعوة مستغيثٍ قد التهبتُ جوانحه بنارِ
أغشنا بالرحيل غداً فإنّا من الشوق المبرح في حصارِ
وأبرحُ ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الديار من الديارِ

وقال [من] البسيط :

قد قلت لما غدا مدحي فما شكروا وراح ذمّي فما بالوا ولا شعروا
عليّ تحت القوافي من معادنها وما عليّ إذا لم تفهم البقر

وقال [من الوافر] :

ولم أطرب إلى عذراء روّد بها عن وصل عاشقها نفارُ
ولا غرثي الوشاح كأنّ ورد الحياء بوجنتيها الجلنار^(٢)
بنفسي كلُّ مهضومٍ حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصارُ
ولكنّي طربت إلى خليلٍ سمحت ببذله ولي الخيار
فلمّا أن مضى في حفظ من لا يضيّعه وشطّ به المزارُ
ندمت ندامة الكسعي لمّا غدت منه مطلقةً نوارُ
فعيني ما تجفُّ لها دموعُ وقلبي ما يقرُّ له قرار

(١) أشعب : رجلٌ مشهور بحبّ الطعام ، وعرقوب : هو ابن صخر ، أو ابن معبد بن أسد من العالقة ،
أكذب أهل زمانه ، وأصبح يضرب به المثل في عدم الوفاء بالمواعيد فيقال : كمواعيد عرقوب .
(٢) غرثي الوشاح : دقيقة الخصر .

وقال [من الخفيف] :

سيدي إن أقمت بعدك بالصعد فقلبي عليّ غير مقيم
غير أنني أقول بالرغم مني فلعلّي أكفّ بأس همومي
من يكن يكره الفراق فإني أشتهي لوقفة التسليم
وله يخاطب ابن بقية ، وقد حجب عنه وهو على الشراب [من مخلع البسيط] :

بحقّ رأس الأمير مثلي يظماً في دولة الأمير
فما لكم تشربون دوني ولست في جملة الحضور
قد قلت لما حجبتموني فاشتدّ من بابكم نفوري
إن دام هجرانكم على ذا طويت من بينكم حصيري

وقال [من الخفيف] :

صاح أيري ورمحه فوق خصيه ولا رمح ضمرة بن هلال
قرباً مربوط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال
ثم أهوى بطعنة بات منها سرم ستي ذاك الشقيّ بحال
فتولّى يقول وهو طعينٌ دمه مع خراه مثل البزال^(١)
لم أكن من جناتها علم الله وإني بحرّها اليوم صالي

وقال [من الخفيف] :

أسفر الصبح فاسقياني وقد كا ن من الليل وجهه في نقاب
وانظر اليوم كيف قد ضحكك الزهر إلى الروض من بكاء السحاب
إنّ صحوي وماء دجلة يجري تحت غيمٍ يصوبُ غير صواب^(٢)

(١) البزال : يقال بزل الإناء شقّه أو وثقه .

(٢) يصوب : يمطر .

اتركاني ومن يعيرُ بالشييب وينعي إليَّ عهد الشباب
فبياض البازيُّ أصدق حسناً إن تأملت من سواد الغراب

وقال في ابن العميد يودعه ويصف الفرس ويذمه [من الخفيف] :

أيُّها السيّد الذي طاب في المجد فروعاً كريماً وأصولاً
لو مشى بي الشّيخ الفرق لسابقتك سيراً إلى الوداع ذميلاً^(١)
فتجاوزت خانقين وخلفست ورائي على الطريق جلولا
لكن الشيخ كان جذعاً من الخيل طريّاً فصار جذعاً طويلاً^(٢)
كلّما سار سال دمع مآقيـه ومن حقّ دمعـه أن يسيل
مستغيثاً يصيح تحتي ضراطاً مزوجاً في طريقه وصهيلاً
أبصر القتّ وهو يجري فغنى بعد ما كاد عقله أن يزولا^(٣)
أزجر العين أن تبكي الطلولا إنّ في القلب من كليبٍ غليلاً

وقال يصف ضعف فرسه [من البسيط] :

يسومني المشي مضطراً وليس له — مسكين بالمشي شبراً واحداً جلدُ
ما كلّف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجود يدُ إلاّ بما تجدُ

وقال ، وقد حجب مع جماعة من الكتاب [من الكامل] :

قد قلت لما أن رجعت مولياً ومعـي مدابيرٌ من الكتابِ
نحن الذين لهم يقال وكلّنا فلّ العصا وطريدة الحجاب
قومٌ إذا قصدوا الملوك لمطلبٍ تُفتت شواربهم على الأبواب

(١) الذميل : السير السريع اللّين .

(٢) الجذع : من الحيوانات : صغيرها .

(٣) القتّ : نوع من النبات ، أوحبّ بري يؤكل أحياناً بعد دقّه وطبخه .

وقال [من المنسرح] :

يا ربربُ اعبرُ بنا إلى ملكِ تَوَجَّهْ اللهُ بالمهاباتِ
يقول للريح كلَّما عصفتُ هل لك يا ريح في مباراتي

وقال [من مجزوء الكامل] :

قالت وقد كشف الوداع قناع حزنٍ قد علنُ
وأذلُّ بالجزع الفراق ق قوى عزاءٍ ممتن
يا من مُحنت بفقدته حوشيتُ فيك من المحن
خلَّفتني والحزن بعـدك يا قريني في قرن^(١)
فاذا صبرت ضرورةً صبر الوقيد على الوسن^(٢)
فترى يطيق الصَّبر عنك أو السَّلو أبو الحسن
طفلُ نشأ وفؤاده بك يا أباه مرتهن
كالفرخ يضعف قلبه عن أن يودَّع بالحزن
فأجبتها وهي التي اسـتولت عليّ بلا ثمن
طلبُ المعاش مفرِّقُ بين الأحبة والوطن
يا ربَّ فازدُدْ سالماً سكناً يحنُّ إلى سكن

وكتب إلى رئيس يستهديه مشروباً وهو مع بعض أصدقائه وعندهم مغنية فلم يفعل
[من البسيط] :

يا سيدي جودك المشهور ما فعلا أبيع بالرخص يا هذا أم ابتدلا ؟
واسوأنا من أناسٍ ظلت أطمعهم أن الذي التمسوه منك قد حصلا
حتى إذا عاد من أرسلته بيلٍ صفرٍ وما كان عندي أنَّه وصلا

(١) القرن : الشَّرك أو الأغلال .

(٢) الوقيد : الشديد المرض المشرف على الفناء .

قالوا لقينتهم غنيّ عليه لنا صوتاً ضربنا له في شعره مثلاً
ما زلت أسمع كم من واثقٍ خجلٍ حتى بليت فكنت الواثق الخجلاً

* * *

ما أخرج له في التخلص

قال في أبي تغلب ، وقد توجه من الموصل إلى بغداد [من الخفيف] :

افضُضِ الدنَّ واسقني يا نديمي اسقني من رحيقه المختوم
اسقني الخمرة التي نزلت فيها على القوم آية التحريم
اسقنيها فأني أنا والقاسُ جميعاً نبولها في الجحيم
اسقنيها ولا تكلني إلى النقل عليها ولا إلى المشموم^(١)
بادر الصبح بالصبيحة وجهاً فابنة الكرم شرط كلِّ كريم
ثم قلّ للشمال من أين يا ريح تحمّلت روح هذا النسيم
أترى الخضر مرّ لي فيك أم جزت برضوان في جنان النعيم
أم تقدّمت والأمير أبو تغلب قد صحّ عزمه في القدم

وقال في فتح قلعة أردمشت من قصيدة [من الوافر] :

سقاني كأسه سحراً بوقت وكان صبوحناً في يوم سبت
غلامٌ أعجميٌّ فيه ظرفٌ وحذقٌ بالتلفّظ والتأني
سقاني دو وسا وازددت منها على سكري وصبحني بهفت^(٢)
فلما نمت قام وقال برّوا لمن حولي خوى خاني بجفت^(٣)

(١) تكلني : تدعني وتركني . والنقل : ما يؤكل مع الشراب ، والمشموم : من فاكهة وفستق وغيره .

(٢) دو وسا وهفت : من الأعداد الفارسية أي اثنين وثلاثة وثمانية .

(٣) جفت : إجتفت المال : اجترفه أجمع .

وفي باب آسته زغبٌ لطافٌ
ولكن كان لا يقوى لشؤمي
فشدقت الصَّبِيَّ فدته نفسي
وكان من آسته كالبنت بكراً
كما فتحتُ وحدَّ السيف يدمي
من الأعناق قلعة اردمشت
ملاحٌ مثل ورد الزاد رخت^(١)
وخذلاني به سواد بختي
بدوديكي وتيمردم درست
مخدرة الخرا ففتحت بتي

وقال في مدح صاعد [من مجزوء الخفيف] :

ومهاقٌ غريرة غضة الحسن ناهد
فتنتني بمعصم وبكفٌ وساعد
وبشغرٍ منضدٍ شنب الرِّيق بارد^(٢)
ونسيم كأنه اشـتقَّ من نشرِ صاعد^(٣)
فهو طيباً كذكره في الثنا والمحامد
همةٌ في العلا اقتدت بالسَّهى والفرائد
وندىً بخلت به كفٌ يحيى بن خالد

وقال [من مجزوء الرجز] :

كأنما باب استها
بين سطور كاتب
يصكُّ لي بين يدي
باللحم والخبز الذي
يا من به قد فتحت
شكلة كافٍ مطلقه
حروفه محققه
سيدنا في ورقه
روحي به معلقه
أبواب رزقي المغلقه

(١) رخت : الرُّخ : نباتٌ هشّ .

(٢) الشنب : البارد .

(٣) النشر : العبق الطيب .

وَقَعْ لِمَنْ عَلَّمَهُ جُودَكَ حَذَقَ الْعَقِيقَةَ^(١)

* * *

هذه نبذ من ملح ملحہ الرائقة ، وما يتصل بها

قال [من الوافر] :

حلفتُ لقد بلغت مدى المعالي وأنت على تجاوزه قديرُ
فبحرك درّ لجتہ ثمينٌ وغيشك ماء مزنته طهورُ
وقال لبعض الرؤساء في يوم كان المظر يجيء فيه ساعة ثم ينجلي الغيم ، وتطلع
الشمس ثم يعود [من الكامل] :

يا سيدي تفديك مهجة خادم
يفديك مَنْ جَلَّيتْ أَوَّلَ كَرِيَةٍ
انظر إلى اليوم الذي أشبهته
يحكي نذاك بغيشه فإذا انجلى
لكنّ فضلت عليه أنّك دائماً
وقال [من المتقارب] :

هو الشيخ لما صفا جوهر الـ فضائل منه ولم يكدر
أضاف الزمان إليه ابنه كما اقترن البدر بالمشتري

وقال لرئيس اختلف ابنه إلى الكتاب [من السريع] :

يا عارضاً يروي الثرى غيثة ومنهلاً يشفي الصدى مرده^(٢)

(١) العقيقة : النصويت : والعقيق طائر كالغراب .

(٢) العارض : الغيم المطر .

أَقْعَدْتُ فِي الْكِتَابِ مَنْ لَمْ يَكُنْ
أَنْتَ أَبُوهُ فَهُوَ يُنْمِي إِلَى
إِنْ شِئْتَ عَلَّمَهُ وَإِنْ شِئْتَ لَا
وَقَالَ [مِنْ السَّرِيعِ] :

لَا زِلْتُ يَا عُمَرَ أَبِي عَمْرٍو
فَتَى إِذَا مَا جَاءَ لِي بِحَرَّةٍ
وَإِنْ بَدَأَ لِي وَجْهَهُ طَالَعًا
وَلَهُ [مِنْ السَّرِيعِ] :

فَدَيْتُ عِزَّ الدَّوْلَةِ الْمُرْتَجَى
وَمَنْ أَنَا فِي عَيْلَةٍ إِحْسَانِهِ
ثِيَابِهِ فِي سَفْطِي بَيْتِهَا
جَرَايَةُ أَصْبَحْتُ فِي رِزْقِهَا
وَكُنَّ جَوْفِي بِالْخَوَى مَاتِمًا
وَقَالَ [مِنَ الْخَفِيفِ] :

سَيِّدِي وَالَّذِي يَقِيكَ مِنَ السَّوْءِ
لَا جَحَدْتُ النِّعْمَى لِأَكْفَرِ إِحْسَانِهِ
أَنَا فِي نَزْهَةٍ مِنَ الْعَيْشِ فِي ظِلِّكَ
ذَاتَ زَهْرٍ فِيهِ الْبِنْفَسَجُ وَالزَّرَّ
جَالِسٌ فِي تَبْظُرٍ تَرَكَ الْحَا
سَيِّدِي وَالَّذِي يَقِيكَ مِنَ السَّوْءِ
لَا جَحَدْتُ النِّعْمَى لِأَكْفَرِ إِحْسَانِهِ
أَنَا فِي نَزْهَةٍ مِنَ الْعَيْشِ فِي ظِلِّكَ
ذَاتَ زَهْرٍ فِيهِ الْبِنْفَسَجُ وَالزَّرَّ
جَالِسٌ فِي تَبْظُرٍ تَرَكَ الْحَا

(١) المحتد : الأصل .

(٢) سَفْطِي : من السَّفَاطَةِ : أي متاع البيت .

(٣) أَوَكَّدَ الْإِيمَانَ : أَكْثَرَهَا إِصْرَارًا وَعِزْمًا .

(٤) تَبْظُرٌ : إِذَا كَانَ أَحَقُّ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ فَيَتَكَلَّمُ وَيُشِيرُ بِهِ فِي وَجْهِ النَّاسِ .

وله في شارب دواء [من المجتث] :

يا من به تتباهى مجالسُ الخلفاءِ
ومن تقصّرُ عنه مدائحُ الشعراءِ
يا سيدي كيف أصبحت بعد شرب الدواءِ
خرجت منه تضاهي في الحسن بدر السماءِ
في ثوب صحة جسمٍ مطرّزٍ بالشقاءِ

وقال من أبيات في الصاحب [من مخلع البسيط] :

يا أيها السيّد الجليل — مرجوٌ للحادث الجليل
كلُّ مديحٍ أجملت فيه يقصر عن فعلك الجميل

وقال في ابن بقية [من مجزوء الكامل] :

يا بدر يا بدر التمام بك أشرقت خلع الإمام
يا من له الأسماء العظا م بحرمة الأسماء العظام
هب لي بقا ابن بقية هبةً تجدد كل عام
أنت الكريم فهب لنا هذا الكريم من الكرام
فلقد علمت بدعوتي أتني على خبزي أحمي

* * *

قطعة من ملحه في نواتره في سائر الفنون

وقال [من الوافر] :

أعصرَ شبيبتي قف لي قليلا أناشدك المودة أن تحولا^(١)

(١) أن تحول : أن تفارق وتتغير .

فديتك يا شبابي أنت ما لي
تولّى حسنك المفقود عني
وقالوا الشيب يكسبه جلالاً
وقال [من الوافر] :

أراك مكلّكلاً نضواً عليلاً^(١)
وحولّ رحله إلّا قليلاً
معاذ الله بل خطباً جليلاً

بياض الشيب تكرهه الغواني
وشيبٌ لحى الزناة فدتك نفسي
وقال [من مخلع البسيط] :

ويعجبها سوادٌ في الشباب
ضراطٌ في اللحي عند القحاب

طاقة آسٍ جنيت منها
أرضاه مولىً وليس يرضى
وقال [من السريع] :

بلحظتي نرجساً ووردا
مولاي بي في هواه عبدا

فديت إنساناً على هجره
لما احتوى الورد على خده
مزجت كأسي من جنى ريقه
وقال في أرمَد [من البسيط] :

ووصله تحسّدي الناسُ
ودبّ في عارضه الأسُ
بمثل ما دارت به الكأسُ

أنا الفداء لعينٍ بعض أسهمها
فيها سقامٌ فتورٍ لا خفاء به
كانت تعلّ فؤادي وهي سالمة

مشكوكَةٌ بين أحشائي وفي كبدي
تُجدّد السقم في قلبي وفي جسدي^(٢)
فكيف بي وهو يشكو علة الرمد؟؟^(٣)

(١) مكلّكلاً : مهموماً . نضواً : هزلاً .

(٢) الفتور : الضعف والانكسار .

(٣) تعلّ : تمرّض .

وقال [من المنسرح] :

فدیت من مرّ في الرصافة بي
واصفراً غيظاً عليّ وامتزجتُ
فقلت : يا سيدي، فلم يُجب
صفرةً ذاك اللّجين بالذهب

وقال في أبي تغلب يستهديه فرساً [من الرمل] :

اسمع المدح الذي لو قيل في
جاء يستهديك مهراً أدهماً
أحد غيرك قالوا سرقا
يركب الفارس منه غسقا^(١)
كالدجى تبصر من غرته
فوق أطباق دجاء فلقا^(٢)
جلّ أن يلحق مطلوباً ومن
طلب الرّيح عليه لحقا
فتراه واقفاً في سرجه
يتلظى من ذكاه قلقا^(٣)
فاذا طار به المشي مضى
وهو كالريّح يشقّ الطرقا
كالسحاب الجون إلاّ أنّه
ليس يسقي الأرض إلاّ عرقا
جمع الأمرين يعدو المرطى
في مدى السبق ويمشي العنقا^(٤)

وقال يصف الفرس الذي أهده له أبو تغلب [من المجتث] :

اليوم	يوم	سروري	بالموصليّ الذنوب
من	عند	قرمٍ كريمٍ	جزل العطاء لبيب
آدابه	جعلته	يُعنى بكلّ أديب	
ركبت فيه	القوافي	فجاد	بالمركوب
ذو	غرّو	يتلالا	في حالك غريب ^(٥)

(١) الأدهم : الأسود . والغسق : الظلام .

(٢) الفلق : الصباح .

(٣) يتلظى : يتحرّق .

(٤) المرطى بفتحات : نوع من العدو ، والعنق : السير السريع .

(٥) الغريب : الشديد السواد .

لون الشباب عليه مع غرّة كالمشيب
صهيله جوف إذني ولا غناء غريب
وروثه المسك طيباً بين اللحي والجيوب
لولا اضطراري إليه نزّهته عن ركوبي

وقال في خصم له أعمى [من الوافر] :

سمعت قطّ أعجب من ضريرٍ ولو شاء الوزير- ولم يزل لي
لألزمه العصا يمشي عليها وعلمّزه القران على القبور

وفيه [من المنسرح] :

إن كان هذا الضرير يعتني فوقع السوس في عصاه ولا
بحجة مثل عينه غلقه^(١) بورك في قسطه من الصدقة

وقال [من السريع] :

لا يحسن الإشراف من مقعدٍ كأته زرقه فرّوج^(٢)
أقصر من يأجوج في قدّه وقرنه أطول من عوج^(٣)

وقال [من مجزوء الخفيف] :

أزجر العين أن ترى أزرق العين أشقرا
ما أرى البوم وجهه قطّ إلّا تطيراً

(١) يعتني : يكرهني لزوم ما يصعب عليّ أدائه واحتماله ، غلقه : مقفله .

(٢) زرقه فرّوج : سلحته .

(٣) يأجوج ومأجوج ، ورد ذكرهما في القرآن الكريم ، قوم من الأقوام .

وعوج : هو عوج بن عوق : رجل ولد في منزل آدم فعاش إلى زمن موسى وذكر من عظم خلقه شناعة .

وقال [من الخفيف] :

سيدي حشمتي عليك حرامٌ وبحكم الكريم تقضي الكرامُ
وأرى مذ ملكتني أن مثلي أبداً لا تفيدك الأيامُ
خادمٌ ناصحٌ، وعبدٌ محبٌ وصديقٌ، وصاحبٌ، وغلامٌ
خمسة قد جمعتهم لك وحدي لمعاني اختصاصهم والسلامُ

وقال يتشوق رئيسا ويصف رواقه [من الكامل] :

لا والذي يا سيدي يفني الأنام وأنت باقي
ما للخليفة مثل صحنك والتدلي والرواق^(١)
دارٌ غدت شرفاتها توفي على السبع الطباق
فقبابها وكواكب الجوزاء تسمو باتفاق
ولها حصونٌ تشتكي حيطانها بعد الفراق
ويضيع فيها الخضر وهو يسير في ظهر البراق
لما دخلت أطوفها ومشيت في طول الرواق
دارٌ بها يا سيدي ما بي إليك من اشتياق

وقال يناقض ابن المعتز في قوله [من المجث] :

لا تدعني لصباحٍ إن الغبوق حبيبي
الليل لون شبابي والصباح لون مشيبي

وقال [من مخلع البسيط] :

الصباح مثل البصير نورا والليل في صورة الضير
فليت شعري بأي رأي يختار أعمى على بصير

(١) الصحن : الدار أو البهو المتسع فيه .

وقال [من مخلع البسيط] :

كم من صديقٍ يروق عيني بالشكل والحسن واللباقة
ليس له في الجميل رأيٌ ولا بفعل القبيح طاقة^(١)
كأنه في القميص يمشي فالودج السوق في رقاقه^(٢)

وقال يصف بغلة [من السريع] :

تعرف لي أحسن من بغلة جددت في البر بها عهدي
تنساب كالماء على حافر كأنه من حجرٍ صلد
نابت عن الأشهب لما مضى نيابة الكلب عن الفهد^(٣)

حاشية من قصيدة لابن حجاج [من الوافر] :

فأقسم لا ييسين وطه ولا بالذاريات ولا الحديد^(٤)
ولكن بالوجوه البيض مثل الـ أهلة تحت أغصان القدود
وشرب الري من خمر الثنايا وشم المسك من ورد الخدود
وتطفيتي حرار الوجه يوم الفراق بمص رمّان النهود
وبالخمير التي كانت لعادٍ ولكن بعد محتهم بهود
مدام في قديم الدهر كانت تعدُّ لكل جبارٍ عنيد
مدام ليس لي فيها إمامٌ أصلي خلفه غير الوليد

* * *

(١) طاقه : قدره .

(٢) الفالودج : نوع من الحلواء تعمل من الطحين والماء والعسل . والرقاق : نوع من الخبز .

(٣) الأشهب : ما كان لونه الشبهة وهي بياض غلب على السواد .

(٤) يسين وطه والذاريات والحديد : سور من القرآن الكريم .

فصل

ملح ابن حجاج لا تنتهي حتى ينتهي عنها ، وفيما أوردته منها كفاية ، على أنها غيض من فيضها ، وقراضة من تبرها^(١) ، ولكن الكتاب لا يتسع لأكثر من ذلك ، والله أسأل العفو والمغفرة .

* * *

أبو القاسم علي بن جلبات

أحد أفراد الدهر في الشعر ، وكنت أنشدت له لمعاً أوردتها في النسخة الأولى ثم وجدتها منسوبة إلى غيره ، كقوله [من الكامل] :

برزت لنا تحت القناع الأزرق ليلاً فعاد لنا كصبحٍ مشرقٍ
الوجه بدرٌ والقناعُ سماؤه والشعر بينهما كليلٍ مُطبقٍ

ثم وقع إلي من شعره الصحيح قصائد في الخليفة القادر بالله والوزير أبي النصر سابور بن أردشير ، فأخرجت غررها ، وهي سوى ما يقع من شعره في مجموع أشعار أهل العراق في الوزير سابور ، وإذا سقت ذلك أكرر ذكر ابن جلبات في جملتهم .

قال أبو القاسم من قصيدة في الخليفة القادر بالله [من الطويل] :

وفي الدهر عن مطلٍ بما هو واعدٌ فساخطه راضٍ ، وشاكبه حامدٌ
وأدركت الرِّيَّ الخلافة بعدما تجهّمها عن موقف الحقّ ذائدٌ^(٢)
رأت قادراً بالله لم يعدْ قدره مدى العفو عمّا رام باغٍ وحاسدٌ
رأينا به العباس معنىً وصورةً فما عدَّ عنا غائباً فهو شاهدٌ

(١) القراضة : القطع الصغيرة ، والتبر : الذهب .

(٢) تجهّم : استقبلها ، وذائد : مانع .

تَقَبَّلَهُ فَضْلاً أَشَادَ بِذِكْرِهِ
كَذَاكَ الْأَصُولُ الزَّاكِيَاتِ ذَوَاهِبُ
وَمَنْ يَكُ اللَّهُ الْمَهِيْمَنُ سَعِيهِ
وَمِنْهَا :

فَلِلَّهِ مَا تَأْتِي وَلِلَّهِ مَا تَرَى
وَمَلَيْتُ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ فَوَائِدُ
فَوَاللَّهِ مَا نَدْرِي أَلَيْثُ ضَبَارِمٍ
كَذَا الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْأُولَى مَضُوا
فَلَا عَوَّكْتُ إِلَّا عَلَى مَجْدِكَ الْعَلَا
وَقَالَ فِي الْوَزِيرِ سَابُورِ بْنِ أَرْدَشِيرَ [مَنْ الْوَافِرُ] :

رَوَيْدِكَ قَدْ تَعَالَيْتَ أَطْلَاعاً
وَنَفْسِكَ لَا تَرَى بِلُغُوجٍ مَجْدٍ
إِذَا مَا خَطَّةٌ ضَاقَتْ عَلَيْهِ
بِرَأْيٍ مَا رَأَتْهُ الشَّمْسُ إِلَّا
وَأَذَلَّ بَعْزُهُ صَرْفَ اللَّيَالِي
نَدَى وَبَسَالَةً عِلْماً يَقِيناً
تَكْفُلُ ذَا نَدَاكَ وَمَا رَأَيْنَا
وَدُونَكَ كُلَّ بَكْرٍ لَمْ تَمْلِكْ
رَأَتْ حَسَنَ اخْتِرَاعِكَ لِلْمَعَالِي
وَهَا أَنَا ذَا أَرَى لَكَ كُلَّ وَقْتٍ

عَلَى الْعُلِيَاءِ هَمّاً وَارْتِفَاعاً^(١)
- وَإِنْ أَوْفَى عَلَى النُّجْمِ - اقْتِنَاعاً
أَشْرَتْ لَهَا فَأَمَعْنَتْ اتِّسَاعاً
تَمَنَّتْ أَنْ تَكُونَ لَهُ شِعَاعاً
وَرَامَ عَصِيَّهَا حَتَّى أَطَاعَا
بَأَنَّهُمَا بِهِ فِي الْخَلْقِ ذَاعَا
جَوَاداً كَامِلاً إِلَّا شَجَاعَا
سَوَاكَ لَهَا مِنَ الْأَنْفِ افْتِرَاعاً^(٢)
فَبَارَتْهَا مَعَانِيهَا اخْتِرَاعَا
يَبْدَعُ مِنْ مَكَارِمِكَ ابْتِدَاعَا

(١) الضبارم : الأسد ، والرجل الجريء على الأعداء ، على سبيل الاستعارة .

(٢) أطّلاعا : رفعة وإشرافاً .

(٣) الأنف : الشم والكبرياء ، واقتراعاً : من اقترع البكارة أي افترضها .

تراعي أمرَ ذا وتريش هذا فما لي لا أراش ولا أراعي؟^(١)
 فلا زالت لك الدنيا فناءً ولا حلّ الفناء لها رباعاً
 فقد أضحى افتراق المجد فيمن حوته من الورى فيك اجتماعاً
 وله من أخرى فيه [من المتقارب] :

فدمُ يا وزير العلا والنهى تنال المنى وتوقى الحذارا
 وراعِ اختلالي سرّاً ولا تراعِ رباءِ اختلالي جهاراً^(٢)
 ولا تستمع خبراً طارئاً عن المرء أو تبتليه اختباراً
 ولا تحسبن كلَّ عودٍ يريـك ما أنت مورٍ من القدح ناراً^(٣)
 فما كلُّ وحشٍ يرى ضيغماً ولا كلَّ عودٍ يسمّى غفاراً^(٤)
 وقال فيه [من الوافر] :

أبا نصرٍ وأنت البحر طامٍ على العافين جيّاش العباب^(٥)
 يقيم مقام جيشٍ من ليوثٍ بفضل نهاه سطرّاً من كتاب
 ومنها :

راكٍ لقصده أهلاً، وأنى يرجّى الغيث من غير السحاب؟
 وقد أظمأه ورد سواك إلاّ الـ أقلّ، وأيّ وردٍ من سراب؟
 وقال من أخرى [من الطويل] :

ويستبشر الإسلام أنّك سالمٌ وأنّ بقاء الملك باسمك دائمٌ

(١) تریش : تغني وتجعل له ما يساعده على الحياة .
 (٢) اختلالي : تُكسي وسوى حالتي، والرباء : المنة والفضل .
 (٣) مورٍ : مشعل وموقد .
 (٤) الضيغم : الأسد .
 (٥) طامٍ : غامرٍ وفائض .

وَأَنّْ المعالي ما بنى لك ذو العلا
أنا الشمس إن لم تستبن عين ناظرٍ
وما دمت بعد الله لي عنه رازقاً
وقال من أخرى [من البسيط] :

وأنت فرع زكاء الأصل منه ، ولا
وأنت بحر النهى ما للعقول إلى
وأنت بيت الندى طافت بكعبته
وقد عُرِفَتْ ولم تحددْ بمنزلةٍ
كالشمس تدركها الأبصار ظاهرةً
والملك من بعد طول الكدِّ في دعةٍ
إليك جاب الفلا عزمٌ تمثّل في
في كلِّ طاميةٍ بالآل ظاميةٍ
إذا الركايب من أشباهها لعبتْ
أبثُّها فيك آمالي فما انتظرتْ
حتى إذا هي حلّت من ذراك حمىً
ألست لي يا أبا نصرٍ مدى أملي
فمر زماني لا ينتابني بأذىً

وليس لما تبني يد الله هادمٌ
ضيائي فإنّ الذنب للعين لازمٌ
فما أظنني أنّه لي حارمٌ^(١)

يطيب إلا بطيب المنبت الثمرُ
سواه مورد صفوٍ ما له كدرُ
حجّاجه ، ونداك الركن والحجر
والشيء يجهل علماً وهو مشتهر^(٢)
وحدٌ منزلها بالغيب مستر
كالعين أغفت وقد أعيأ بها السهر^(٣)
تحقيقه منك قبل المورد الصّدْرُ
تصدى بها النفس ما يُروى به النّظر
بعد المقيّل تولّى حثّها الأشر^(٤)
لفرط ما طويت ما كنت أنتظر
قالت : إلى منتهى المجد انتهى السّفر
وأنتني بك في اللاواء منتصر^(٥)
فأنّه لك فيما شئت مؤتمر

* * *

(١) أظنني : أشك ، وحارم : مانع .

(٢) تحدد : أي تقدّر بمكان .

(٣) الكدّ : الجهد والعمل .

(٤) الحث : السوق والاسراع ، والأشر : الشيط .

(٥) اللاواء : الشدة .

٣ - محمد بن الحسين الحاتمي

حسن التصرف في الشعر ، موف على كثير من شعراء العصر ، وأبوه أبو علي شاعر كاتب يجمع بين البلاغة في النثر والبراعة في النظم ، وله الرسالة المعروفة في وقعة الأدهم ، وليس يحضرني من شعره إلا بيتان هما عنوان محاسنه ، وهما [من الخفيف] :

لي حبيبٌ لو قيل لي ما تمنى ما تعدّيته ولو بالمنون
أشتهي أن أحلّ في كلّ جسمٍ فأراه بلحظ كلّ العيون

* * *

ومما اخترته لابنه قوله من قصيدة في الخليفة القادر بالله أمير المؤمنين استهلالها [من الخفيف] :

حيّ رسم الغميم تحيي الغميما إن فقدت الهوى فحيّ الرّسوما^(١)
واستمح مقلّة الغمام على أطلاله ديمةً أبت أن تدوما^(٢)
نشرت عقد دمعها فغدا النور بأعطاف روضها منظوما
هو مأوى الطّباء إنساً ووحشاً ومحلّ الأسود خلقاً وخيما^(٣)
كلّ ريمٍ يعطو فيصطاد ليثاً عند ليثٍ يسطو فيصطاد ريما
كم رعيّنا من البطاح وكأس السّراح والأوجه الملاح نجومنا
حين رضنا من التّصابي جموحاً وبعثنا من الوصال ريمنا^(٤)
ودعّتنا المنى إلى مرح الفتك ولكنّا أجبنا الحلوما

(١) الغميم : إسم مكان ، والغميم : واد بين الحرمين على مرحلتين من مكان . والرسوم : الآثار .

(٢) الديمة : السحابة المطرة .

(٣) الخيم : يكسر الخاء المعجمة - السجّة والطبع .

(٤) الجموح : فتوة الشباب وجهله ، والريم : البالي .

حين صرف الزمان كان اعتذاراً ورياح الخطوب كانت نسима
 قد وقفنا على الطلول طولاً ومثلنا على الرسوم رسوما
 وخلعنا على البكاء عيوناً ونزفنا من الدموع جموما^(١)
 ومتى يجشم الظليم مداها في سراها فقد ظلمنا الظليما^(٢)
 وهي تبدي منها نجاراً ومن سير الدجى مخلفاً ومني كريما
 وإلى القادر الإمام قريت البيد حرفاً أنضى بها الديموما^(٣)
 الإمام الماضي العزيم الذي را ح وأضحى على المعالي زعيما
 وهو من أسرة هم رسموا الدهر ذرى المجد والمعالي قديما
 وهم كالبحار جوداً وكالأنجم هدياً وكالسيوف عزيما
 ومنها :

أنت أيدت بالخلافة ركن الشرع فارتدَّ نهجه مستقيما
 وذبيت العدو عنه ولولا ك بلا مريّة لعطَّ أديما^(٤)
 أنت أنكحتني الرجاء فقد أضلحى ولوداً وكان قبل عقيما
 دُم تدم دولة المفاخر والمجد وحسن الزمان في أن تدوما
 والبس المهرجان ما ابتسم الفجر وأهدى من الرياض نسима
 وقال [من الطويل] :

منزلهم لا شافهتك النوازل وأطلالهم حيّاك ظلّ ووابل
 كأن الرّبا لم تلبس الأرض حالياً ولا أخلت بالنور تلك الخمائل^(٥)

(١) الجموم : الكثير والغزير « من الجم » .

(٢) الظليم : ذكر النعام .

(٣) الحرف : الناقة العظيمة ، أو المهزولة ، والديموم والديمومة : الفلاة الواسعة .

(٤) عطّ : تشقق .

(٥) الخمائل : الجنائن الزهرة .

كما استنكرت سقم المحبِّ العواذل
وسرح الكرى عن جفن عيني هامل
بها راقصٌ من سورة الكأس مائل
مختمةً بالدرِّ منها الأنامل
ملوكيةٍ لم تعلقها حمائل^(١)
يوافي بها في قبة الأفق نائل^(٢)
خلاصاً ، وأحداث الليالي غوافل^(٣)
وماء الصبا في ورد خديّ جائل
حلي الربا حتى انشئ وهو عاطل
وصبغ الدجى عن مفرق الفجر ناصل^(٤)
شمولاً فتمت عن هواه الشمائل^(٥)
بماء الصِّبا أردافه والخلاخل
واذ زبرج الدنيا خليلٌ مواصل^(٦)
بأبيض وشئ صفحته الصياقل^(٧)
بنات الفلا والمقربات الصواهل
ومن سيفه في مفرق الدهر سائل^(٨)
تشقُّ جيوب القطر فيها الأنامل

تعرفتها واستنكر الطرف أنها
وكم قطع ليلٍ بعد ليلٍ قطعته
وقد مالت الجوزاء حتى كأنما
وخلت الثريا كف عذراء طفلة
تخيّلها في الأفق طرّة جعبة
كأنّ نبالاً ستّة من لآلئ
وعيش كنوار الرياض استرقته
لماماً وأغصان الشبيبة رطبة
ويومٍ كحلي الغانيات سلبته
سبقت إليه الصبح والشمس غضة
ونشوان من خمر الدلال سقيته
شكاظماً منه الموشحُ ، وارتوت
إذ العيش مخضّر الأصائل ناعم
وليلٍ موشى بالنجوم صدعته
إليك ، أمير المؤمنين ، ارتمت بنا
إلى من له في جبهة الدهر ميسم
تشيم الحيا من كفّه وهي لجة

(١) الحمائل : ما يعلّق به السيف .

(٢) النائل : العطاء .

(٣) خلاصاً : أي خلسة في غفلة من عين الزمن .

(٤) ناصل : خارج .

(٥) تمت : دلت وأظهرت ، والشمائل : الصفات .

(٦) الزبرج : الزينة من وشي أو جوهر أو نحوهما ، وهنا يعني إقبال الدنيا عليه بمباهجها .

(٧) وشئ : طرّز وزين : والصياقل : الذين يصفلون السيوف .

(٨) الميسم : العلامة والأثر .

(٩) تشيم : تنظر وتتطلع .

ومن عودته المكرّماتُ شمائلًا
وإن راسل الأعداء فالجرد رسله
بيومٍ عقيمٍ يلقيح البيض بأسه
إذا ما أسرّ النقع أنوارُ شمسهِ
فيا بدرُ لا تغرب ، ويا بحرُ لا تفضُ
عظمتُ فهذا الدهر دونك همّةً
فليس له عنها ، ولو شاء ، ناقل
إليهم ، وأطراف العوالي الرسائل^(١)
ولود المنايا وهو أشمطُ ثاكل^(٢)
أذاعت بأسرار الحمام المناصل^(٣)
ويا نوءُ لا تخلف حيّاً منك هاطل^(٤)
وجدت فهذا القطر عندك باخل^(٥)

وقال في الأمير شمس المعالي [من الخفيف] :

كم قلوبٍ تحمّلت بالحمول ودموعٍ طلّت بتلك الطلول
واضطبارٍ أضيع ما بين إضيا ع المطايا وفي المحلّ المحيل^(٥)

ومنها :

وبنفسٍ بدرٍ يعود ضياء الـبدر من نور وجهه بالأفول
أثمرت وجنتاه روضاً جنى الـورد يفتر عن غديرِ شمول
وإلى مسرح المكارم قابو س أراح الندى سوام العقول^(٦)
فارسُ الكتب والكتائب والمنـبر والخيـل واليراع النحيل
تعبُ البيض والسلاهب والأر ماح والوفر والندى والعذول^(٧)
وكهولٌ أوهت كواهلها السمـر تهادى إلى ابتغاء الدخول
يتعاطون بالصوارم كاسا ت المنايا على غناء الصّهيل

(١) الجرد : الخيل الأصيلة ، والعوالي : الرماح .

(٢) الأشمط : الذي خالط سواد شعره البياض .

(٣) النقع : الغبار ، والحمام : الموت .

(٤) النوء : المطر وشدة الريح .

(٥) المحيل : الماحل المجذب .

(٦) سوام العقول : طلبها والتفكير بها .

(٧) السلاهب : من الخيل ما عظم وطال عظامه . ، والعذول : الكثير العذل واللوم .

كم يد للخطوب طالت على الأحـرار قصّرتها بياع طويل
فابق ما استعبر الغمام وما علّـل صبا نسيم روض عليل^(١)

* * *

(١) استعبر : سال ماؤه واستعبرت العين : جرى دمعها .

الباب الثامن

في تفاريق قطع من ملح المقلّين

من أهل بغداد ونواحيها ، والطارئين عليها من الآفاق ، والمقيمين بها .

٤ - القاضي ابن معروف

هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن معروف ، وكان - كما قرأته في فصل للمصاحب - شجرة فضل ، عودها أدب ، وأغصانها علم ، وثمرتها عقل ، وعروقها شرف ، تسقيها سماء الحرية ، وتغذيها أرض المروءة ، وقد تقدم بعض ذكره في منادمة المهلبى وغيره من الوزراء ، وجمعه بين جد العلم وهزل الظرف ، وخشونة الحكم . ولين قشرة العشرة ، وكان - على تقلده قضاء القضاة دفعات بالحضرة واشتغاله بحلائل الأعمال من أمور المملكة - يقول شعراً لطيفاً في الغزل ، يتعاوره القوالون والقيان ملحناً^(١) .

وقرأت لأبي إسحاق الصابي فصلاً من كتاب عن الوزير ابن بقية إلى ابن معروف ، واستحسنه جداً في وصف نظمه ونثره وهو :

وصل كتاب قاضي القضاة ، بالألفاظ التي لو مازجت البحر لأعذبت ، والمعاني التي لو واجهت دجى الليل لأزاحت وأذهبت ، ولم أدر بأي مذهبها فيها

(١) يتعاوره : يتداوله .

أعجب ، ولا من أيها أتعجب ، أمن قريض عقوده منظومة ، أم من ألفاظ لآلئها
 منثورة ، أم من ولوجها الأسماع سائغة ، أم من شفائها العلة نافعة ؟ وأما الأبيات
 التي رسم التقدم بتلحينها ، وقال بمذهب أهل الحجاز فيها ، فما أعرف كفوًّا
 لمثلها ملحنًا ، ولو كان إسحاق الموصلي ، ولا مجيباً ولو كان امرأ القيس
 الكندي ، ولا أرضى لها مهراً إلا حبات القلوب ، ولا مجالاً إلا أرجاء الصدور ،
 وقد جعل الله فيها من الفضل ما يشغلنا حفظه عن تعاطي الإجابة عنه ، وقرن بها
 من الأطراب ما يكفيننا تأمله عن صياغة الألحان له .

ولأبي إسحاق شعر كثير فيه ، فمن ذلك قوله في افتتاح قصيدة [من
 البسيط] :

أقسمت بالله ما يُرجى لمعروفٍ في الحادثات سوى القاضي ابن معروفٍ
 ولا بن حجاج في بعض من كان يناوىء ابن معروف من الحكام [من مخلع
 البسيط] :

يا أيُّها الحاكم الرقيق	ذقك في سلحتي نقيعُ
إن ابن معروف في محلٍّ	مرامه متعبٌ منيعُ
فضله الله واجتبه	للأمر واختاره المطيع
هذا له وحده فقل لي	من أنت في الناس يا وضع

وقد أوردت ما حضرت به من مشهور ما هو من شرط الكتاب من غره ،
 فمنها قوله من قصيدة [من الطويل] :

ولم تُسلني الأيام عنك بمرّها	بلى زادني بعد اللقاء تتيماً
وقد كنت لا أرضى من النيل بالرضا	وأخذ ما فوق الرضا متلوّماً
فلما تفرّقنا وشطّت بنا النوى	رضيت بطيفٍ منك يأتي مسلماً ^(١)

(١) شطّت : باعدت .

وقال [من الكامل] :

لو كنت تدري ما الذي صنع الهوى والشوقَ بالجسد النحيل البالي
لهجرتَ هجري واجتنبتَ تجنُّبي ووصلتَ من بعد الصدود وصالي

وقال [من الطويل] :

وما سرَّ قلبي منذ شطَّتْ بك النَّوى نعيمٌ ولا كأسٌ ولا متصرِّفٌ
وما ذقتَ طعم الماء إلاَّ وجدته سوى ذلك الماء الذي كنتَ أعرفُ
ولم أشهد اللذات إلاَّ تكلفاً وأيُّ نعيمٍ يقتضيه التكلفُ^(١) ؟

وقال [من مجزوء الكامل] :

احذر عدوك مرةً واحذر صديقك ألفَ مرَّةً
فلربَّما انقلب الصَّدِيقُ فكان أعرفَ بالمضرةِ

* * *

٥ - أبو الفرج الأصبهاني

علي بن الحسين الأموي الأصبهاني الأصل ، البغدادي المنشأ ، وكان من أعيان أدبائها وأفراد مصنفيهها ، وله شعر يجمع إتقان العلماء ، وإحسان ظرفاء الشعراء ، والذي رأيته من كتبه : كتاب القيان ، وكتاب الأغاني ، وكتاب الإماء الشواعر ، وكتاب الديارات ، وكتاب دعوة النجار ، وكتاب مجرد الأغاني ، وكتاب أخبار جحظة البرمكي ، وما أشك في أن له غيرها ، وكان منقطعاً إلى المهلي الوزير ، وكثير المدح ، مختصاً به ، فمن ذلك قوله فيه من قصيدة [من الطويل] :

(١) التكلف : التصنع ، وتحمل الشيء على غير عادة .

ولما انتجعنا لائذين بظله أعان وما عنى ومن وما مناً^(١)
ورَدْنَا عليه مقترين فراشنا ورَدْنَا نداه مجديين فأخصبنا^(٢)

وله من قصيدة يهنئه بمولود له من سرية رومية [من الكامل] :

أسعدُ بمولودِ أُنَّاكَ مباركاً كالبدر أشرق جنح ليلٍ مقمرٍ
سعدُ لوقت سعادةٍ جاءت به أمٌ حصانٌ من بنات الأصفر
متبجَّحٌ في ذروتِي شرف الذرى بين المهلب منتماه وقصر
شمس الضحى قرنت إلى بدر الدجى حتى إذا اجتمعا أتت بالمشتري

أخذه من مصراع ابن الرومي [من السريع] :

* شمسٌ وبدرٌ ولدا كوكبا *

وقال من قصيدة فيه عيدية [من الطويل] :

إذا ما علا في الصّدر للنهي والأمر وبثّهما في النفع منه وفي الضرّ
وأجرى ظبى أعلامه وتدفقتُ بديته كالمستمدّ من البحر^(٣)
رأيت نظام الدرّ في نظم قوله ومنشوره الرقراق في ذلك النثر
ويأتي بما تحوي الطوامير في سطر^(٤) وقابل هلال الفطر في ليلة الفطر^(٥)
بأيمن إقبالٍ وأسعد طائرٍ وأفضل ما ترجوه في أفسح العمر
مضى عنك شهر الصوم يشهد صادقاً بطهرك فيه واجتنبك للوزر
فأكرم بما خطّ الحفيضان منهما وأثنى به المشني وأطرى به المطري

(١) عنى : حبس معونته ، ومن : تكرم ، وما منّا : أي لم يعدد ما فعله له من الخير وفخر به .

(٢) مقترين : معدمين ، فقراء .

(٣) الظبى : جمع ظبّة ، حدّ السيف والسنان والسكين ونحوها ، ويعني بها رؤوس الأعلام لأنها مستنة .

(٤) الطوامير : الصُّحف .

(٥) إئتف الشيء : أخذ فيه وابتدأه .

وزكَّتْكَ أوراقُ المصاحف وانتهى
وقبضك كفّ البطش عن كلِّ مجرمٍ
وقد جاء شوال فشالت نعامه ———
وضجّت حبيس الدنّ من طول حبسها
وأبرزها من قعر أسودّ مظلمٍ
إذا ضمّها والورد فوه وكفّه
وتحسبه إذ سلسل الكأس ناظماً
وقال يهنئه بالعافية [من البسيط] :

أبا محمّد المحمود يا حسن الـ
حاشاك من عود عوّادٍ إليك ومن
وقال فيه [من المتقارب] :

تأوّب عيني طيفٌ ألمّ
تخيّل منها خيالٌ سرى
فما أنس لا أنس إقبالها
وقد بدرت مثل بدر الدجى
على رأسها معجراً أزرق
لظالمّة طرقت في الظلم^(١)
فيسلب حلمي بذاك الحلم
تميسُ بغصنٍ سقّته الدّيم^(٢)
سما في السماء علواً وتمّ
وفي جيدها سبحة من برم^(٣)

(١) العرف : الكرم والمعروف .

(٢) شالت : ارتفعت .

(٣) النشر : الرائحة الطيبة .

(٤) السمط : العقد .

(٥) الطامي : الفيّاض الغامر .

(٦) تأوّب : وجع وألم .

(٧) تميس : تمشي بغنج ودلال .

(٨) المعجر : الغطاء ، والبرم : كل ما فيه لونان مختلطان وحبلٌ للمرأة مزينٌ بجوهر .

ولم ترتقب لطلوع الرقيب
لقد سؤتني يا نظام السرور
أهذا المزار أم الازورار
ويومٍ كمثّل رداء العرو
خلعت عذارى ولم أعتذر
وقابلتُ فيه صفاء الشمال
فداؤك نفسي هذا الشتاء
ولم يبق من نشبي درهمٌ
يؤثر فيها نسيم الهواء
وأنت العماد ونحن العفاة

وله فيه [من المتقارب] :

فداؤك نفسي من الحادثات
فعالك تكبر عن موعدٍ
وكفك تهمني على المعنفين
إذا عاقك الشغل عني ولم
تسكعتُ في حيرة لا أجو
رهنّت ثيابي وحال القضا
وهذا الشتاء عسوفٌ علي
يغادي بصراً من العاصفا

وريب الردى وحلول الحذر
ووعدك يسبق أن ينتظر
بفيضٍ عفا وصفا من كدر
أذكرك نفسي خوف الضجر
ز منها إلى عضدٍ أو وزر
ء دون القضاء وصدّ القدر
كما قد تراه قبيح الأثر^(١)
ت أو دمعٍ مثل وخز الإبر^(٢)

(١) في الأصول : « وإلّا لمكن بنا ألم أم لم » ولا يستقيم به الوزن .

(٢) النشب : المال القديم الموروث ، والرمم : البالي .

(٣) العفاة : المحتاجين .

(٤) عسوفٌ : قاسٍ وظالم .

(٥) الصرّ : صوت الريح وعصفها .

وسكان داري ممّن أعو ل يلقين من برده كلّ شرّ
فهذي تحنّ، وهذي تثنّ وأدمع هاتيك تجري درر
إذا ما تململن تحت الظلام تعلّـن منك بحسن النظر
ولاحظن ربّك كالممحليــــن شاموا البروق رجاء المطر^(١)
يؤمّـلن عودى بما ينتظرن كما يرتجى آيبٌ من سفر
فأنعمْ بإنجازٍ ما قد وعدت فما غيرك اليوم من ينتظر
وعشّ لي وبعدي فأنت الحيا ة والسمع من جسدي والبصر

وقال من أخرى فيه [من البسيط] :

يا فرجةَ الهمّ بعد اليأس والوجلّ يا فرحة الأمن بعد الروع والوهل
اسلمْ ودمْ وابقْ واملِكْ وانمُ واسمُ وزدْ واعطِ وامنع وضرّ وانفع وصلْ وصلْ

وقال في وصف الخمر من قصيدة [من الخفيف] :

وسلافٍ كالتبر أذكى من المسك وأصفى صبغاً من الزعفران
وكأنّ اليد التي تحتويها من صبيب العقيان في دستبان^(٢)

وقريب منه قوله [من الطويل] :

وبكرٍ شربناها على الورد بكرةً فكانت لنا ورداً إلى ضحوة الغدِ
إذا قام مبيّضُ اللباس يديرها توهّمته يسعى بكمّ مورّد

والأصل فيه قول أبي الشيص [من الطويل] :

سقاني بها والليل قد شاب رأسه غزالٌ بحنّاء الغزالة مختضبٌ

(١) شاموا : نظروا وترقّبوا .

(٢) الدستبان : نوعٌ من الآنية .

وقال في أبي سعيد السيرافي [من الخفيف] :

لست صدراً ولا قرأت على صد ر ولا علمك البكي بكافي^(١)
لعن الله كل شعر ونحو وعروض يجيء من سيراف
وقال في القاضي الأيدجي ، وكان التمس منه عكازة فلم يعطه إياها [من البسيط] :

اسمع حديثي تسمع قصّة عجبا لا شيء أعجب منها تبهر القصصا
طلبت عكازة للوحد تحملني ورمزتها عند من يخبي العصا فعصى
وكنت أحسبه يهوي عصا عصب ولم أخل أنّه صب بكل عصا
وكتب إلى القاضي التنوخي يلتمس منه خيرا [من الرجز] :

يا أيها القاضي السني الذكر ومن علا على قضاة العصر
قد اجتمعنا في محلّ وعر ومنزل ضنك ومشوى قفر
خال من الخير كثير الشر نلقى زمانى ألم وضر
من ليل بق ونهار حر فقد فقدت جلدي وصبري
وليس لي عند مجيء فكري سوى تشكّي فادحات أمري
بقلم يخطها في سطر إلى فتى ذي أدب وقدر
فاسمع لشكواي وجدّ بعذر قد صفرت محبرتي من حبر
ولم أجده مشترى فأشري فجد حباك الله طول العمر
بمثلها حبرا وفز بشكري من بين نظم حسن ونثر
وربّ مجلد باسق وفخر نالهما الحر بيذل النزر^(٢)

* * *

(١) البكي: القليل العطاء ، ومن الآبار : القليلة الماء .

(٢) الباسق : الشامخ الرفيع ، والنزر : القليل من الجهد .

٦ - أبو الحسن بن مقلة

من أبناء الوزراء وبقية بني مقلة ، يقول [من الخفيف] :

لستُ ذا ذلّةٍ إذا عَضّني الدّهر — ولا شامخاً إذا واتاني
أنا نارٌ في مرتقى نفس الحا سد ماءً جارٍ مع الإخوان
وقال من قصيدة [من الكامل] :

وإذا رأيتُ فتىً بأعلى رتبةٍ في شامخٍ من عزّه المترفّع
قالتُ لي النفس العروف بفضلها : ما كان أولاني بهذا الموضع
وقال [من الكامل] :

الدّهرُ يلعب بالفتى فيهيضهُ طوراً ، ويجبر عظمه فيُراش^(١)
وكذا رأينا الدّهر في إعراضه ينحى وفي إقباله ينتاش^(٢)
وقال [من المتقارب] :

أدلّ فيا حبذا من مدلّ ومن ظالمٍ لدمي مستحلّ
إذا ما تعزّز قابله بذلّ ، وذلك جهد المقلّ
وقال [من الرمل] :

أنت يا ذا الخال في الوجنة ممّا بيّ خالٍ
لا تبالي بي ولا تخـطـرنـي منك ببالٍ
لا ولا تفكر في حا لي وقد تعرف حالي
أنا في الناس إمامي وفي حبّك غالي^(٣)

* * *

(١) يهيض : يكسره ، كناية عن الفقر ، ويراش : أي يجعل له ريشاً كناية عن الغنى .

(٢) ينتاش : يطلب وينتقد .

(٣) غالي : أي مغالي من الغلو .

٧ - أبو الحسن علي بن هرون بن المنجم

ذو نسب عريق في ظرفاء الأدباء ، وندماء الخلفاء والوزراء ، وفي أسرته يقول صاحب [من الكامل] :

لبنّي المنجّم فطنةٌ لهيبه ومحاسنٌ عجميةٌ عربية^(١)
ما زلت أمدحهم وأنشر فضلهم حتى عُرِفَتْ بشدّةِ العصبية
ولذكرهم في القسم الثالث من هذا الكتاب مكان في أصحاب صاحب
وشعرائه .

* * *

فأما أبو الحسن ، الذي هو كبيرهم ، فقد اقتصرت من ذكره واقتصاص أمره على نبذ حكاها صاحب في كتابه المعروف بالروزنامه ، مما اتفق له مع أبي محمد الوزير المهلب حين ورد صاحب بغداد ، وقد أرسل يحكيها لأستاذه ابن العميد ، ثم أوردت ما علق بحفظي من ملحه .

فصل

استدعاني الأستاذ أبو محمد فحضرت وأبناء المنجم في مجلسه ، وقد أعدا قصيدتين في مدحه فمنعهما من النشيد لأحضره فأنشدا قعوداً وجوداً بعد تشبيب طويل ، وحديث كثير : فإن لأبي الحسن رسماً أخشى تكذيب سيدنا إن شرحته ، وعتابه إن طويته ، ولأن أحصل عنده في صورة متزيد ، أحب إلى من أن أحصل عنده في رتبة مقصر ، يبتدىء فيقول ببيعة عجيبة ، بعد إرسال دموعه ، وتردد الزفرات في حلقة ، واستدعائه من جوذر غلامه منديل عبراته ، والله والله ، وإلا فأيمان البيعة تلزمه بحلها وحرامها ، وطلاقها وعتاقها ، وما ينقلب إليه حرام وعبيده

(١) فطنه لهيبه : أي متوقّده دليل على الذكاء .

أحرار لوجه الله تعالى ، إن كان هذا الشعر في استطاعة أحد مثله ، أو اتفق من عهد أبي ذؤاد الإيادي إلى زمان ابن الرومي لأحد شكله ، بل عيبه أن محاسنه تتابعت ، وبدائعه ترادفت ، فقد كان في الحق أن يكون كل بيت منه في ديوان يجمله ويسود به شاعره ، ثم ينشد ، فإذا بلغ بيتاً يعجب ويتعجب من نفسه فيه قال : أيها الوزير من يستطيع هذا إلا عبدك علي بن هرون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم جليس الخلفاء وأنيس الوزراء ، ثم ينشد الابن والأب يعوده^(١) ويهتزل له ، ويقول أبو عبد الله استودعه الله ولي عهدي وخليفتي من بعدي ، ولو اشتجر^(٢) اثنان من مصر وخراسان لما رضيت لفصل ما بينهما سواء ، أمتعنا الله به ورعاه ، وحديثه عجب ، وإن استوفيته ضاع الغرض الذي قصدته ، على أنه أيد الله مولانا من سعة النفس والخلق ووفور الأدب والفضل وتمام المروءة والظرف بحال أعجز عن وصفها ، وأدل على جملتها أنه مع كثرة عياله واختلال أحواله طلب سيف الدولة جاريته المغنية بعشرين ألف درهم أحضرها صاحبها ، فامتنع من بيعها ، وأعتقها وتزوج بها .

فصل

وسمعت عنده أبا الحسن بن طرخان ، وقد نمي إلى سيدنا خبر ابنه وحذفه والفتى يبرز عليه مع التمسك بمذهبه ، وليس بالعراق ولا شيء من الآفاق طنبري يشاكله أو يقاربه ، ومما يغنى به من شعر أبي الحسن ويحلف على الرسم أن لا مداني له فيه [من الكامل] :

بيني وبين الدهر فيك عتابٌ	سيطول إن لم يمحه الإعتابُ
يا غائباً بوصاله وكتابه	هل يرتجى من غيبتيك إيابُ
وإذا بعدت فليس لي متعللٌ	إلا رسولُ بالرّضا وعتاب

(١) يعوده : يدعو له بالحفظ .

(٢) اشتجر : تخاصم .

وإذا دعوت مساعداً فهو المنى سعد المحبُّ وساعدَ الأحبابُ
لولا التعلُّل بالرجاء تقطعتْ نفسُ عليك شعارها الأوصاب^(١)
لا يأس من روح الإله فربما يصل القطوع وتحضر الغياب^(٢)
إلى ههنا من كتاب الروزنامجه .

وقرأت للصابي فصلاً يشتمل على ذكره وبيتين من شعره ، وهو : قد شغل
قلبي أيد الله سيدنا ما بلغني من تألمه من قدمه ، وأضر بي وبالأحرار انقطاعه بذلك
عن مساعي كرمه . وأقول له ، ما أنشدني علي بن هرون بن المنجم لنفسه من
قصيدة كتب بها إلى أبي الحواري ، وقد وثبت رجله من عشرة لحقته [من
الخفيف] :

كيف نال العثار من لم يزل منه مقيلاً من كل خطبٍ جسيم
أو ترقى الأذى إلى قدم لم تخطُ إلا إلى مقامٍ كريم
وقال في قدح أصفر [من الرجز] :

وقدحٍ مورس السربال من نقشه قبل المدام حال^(٣)

* تحسبه ملآن وهو خال *

أخذ معنى قوله * من نقشه قبل المدام حالي * قريبه أبو محمد بن المنجم
فقال من قصيدة في وصف دار الصاحب [من الطويل] :
وأبوابها أثوابها من نقوشها فلا ظلم إلا حين ترخي ستورها
ولقد أحسن السرقة وجود اللفظ وزاد في المعنى .

* * *

(١) الأوصاب : الأمراض والآلام .

(٢) القطوع : المهجور .

(٣) مورس : من الورس ، وهو نبات كالسمسم تغطي ثمره غدد حمراء ، يصنع به .

٨ - الأحنف العكبري أبو الحسن عقيل بن محمد العكبري

شاعر المكديين^(١) وظيفهم ، ومليح الجملة والتفصيل منهم . وقرأت
للصاحب فصلاً في ذكره فأوردته ، وهو : لو أنشدتك ما أنشدني الأحنف العكبري
لنفسه ، وهو فرد بني ساسان اليوم بمدينة السلام ، وحسن الطريقة في الشعر ،
لامتلات عجباً من ظرفه ، وإعجاباً بنظمه ، ولا أقل من إيراد موضع افتخاره فإنه
يقول [من الهزج] :

على أني بحمد الله في بيت من المجد
بإخواني بني ساسا ن أهل الجد والحد^(٢)
لهم أرض خراسان فقاشان إلى الهند
إلى الروم إلى الزنج إلى البلغار والسند
إذا ما أعوز الطرق على الطراق والجند
حذاراً من أعاديهم من الأعراب والكرد
قطعنا ذلك النهج بلا سيف ولا غمد
ومن خاف أعاديه بنا في الرّوع يستعدي

ولهذا البيت الأخير معنى بديع ، وتفسيره : يريد أن ذوي الثورة وأهل
الفضل والمروءة إذا وقع أحدهم في أيدي قطاع الطريق وأحب التخلص ، قال :
أنا مكدي ، فانظر كيف غاص ، وأبرز هذا المعنى المعتاص . إلى ههنا كلام
الصاحب .

وفي هذه القصيدة !

وقالوا قد سلا عنك وقد حال عن العهد

(١) المكديين : المتكسّين .

(٢) الحد : الفطنة .

ولا والله ما أسلو ولكن قلّ ما عندي

وأنشدني علي بن مأمون المصيبي قال : أنشدني الأحنف لنفسه [من
الخفيف] :

عشتُ في ذلّةٍ وقلّةٍ مالٍ واغترابٍ في معشر أندال^(١)
بالأمانِي أقول لا بالمعاني فغذائي حلاوة الآمال
لي رزقٌ يقول بالوقف في الرأْي ورَجُلٌ تقول بالاعتزال
وقال [من البسيط] :

رأيت في النّوم دنيانا مزخرفةً مثل العروس تراءت في المقاصير^(٢)
فقلت جودي فقالت لي على عجلٍ إذا تخلّصت من أيدي الخنازير
وقال [من البسيط] :

العنكبوت بنت بيتاً على وهنٍ تأوي إليه وما لي مثله وطنٌ
والخنفساء لها من جنسها سكنٌ وليس لي مثلها إلفٌ ولا سكنٌ
وقال [من البسيط] :

قد قسّم الله رزقي في البلاد فما يكاد يُدرك إلّا بالتفريق
ولست مكتسباً رزقاً بفلسفةٍ ولا بشعر ولكن بالمخاريق^(٣)
والناس قد عملوا أني أخو حيلٍ فلست أنفق إلّا في الرساتيق^(٤)

(١) الأندال : مفردھا النّدل وهو الوسيخ .

(٢) المقاصير : الحجرات التي تقيم فيها والمقاصير : العشيّات .

(٣) بالمخاريق : الألاعيب والنمويه القائم على الكذب والاختلاق .

(٤) الرساتيق : الرستاق : الرزداق .

وقال [من الخفيف] :

قال رؤيا المنام عندك حقٌ قلت هيهات كلُّ ذاك بخارٌ
ليت يقظانهم يصحُّ له الأُمـر فكيف المغطُّ والنَّخار^(١)

وقال [من الهزج] :

سريـرٌ	بِتْ	بماخورٍ	على	دَفٌّ	وطنبور
وصوت	الطبل	كردَمْ	طعْ	وصوت	الناي
فصرنا	من حمى	البيت	كأنا	وسط	تنور
وصرنا	من أذى	الصفع	كمثل	العمى	والعور
لقد	أصبحت	مخموراً	ولكنْ	أيّ	مخمورٍ

وقال من قصيدة [من الوافر] :

ترى العقيان كالذهب المصفى تركب فوق أُنْفار الدواب^(٢)
وكيسي منه خلوّ مثل كفيّ أما هذا من العجب العجاب

وقال [من مجزوء الرمل] :

قام للشقوة أيري وجرى بالنحس طيري
وولّى حلّ سراويلك يا مولاي غيري
وتقرأت علينا كسعيد بن جبير
أترى قد عقر الناقة يا مولاي أيري
ليس لي منك سوى صبٍّ حك الله بخير

* * *

(١) المغطّ والنَّخار : أي النائم المستغرق في نومه ، والذي يسمع له صوت أثناء نومه « شخير » .

(٢) الأُنْفار : جمع ثُفْر ، وهو سِرٌّ في مؤخر السرج يشدّ تحت ذنب الدابة .

٩ - ابن العصب الملحي

قد أجريت ذكره عند ذكر السري الرفاء ، وكان يتطايب في المداخلة
والمعاشرة ، ويقول شعراً خفيف الروح .

كتب إليه ابن سكرة [من الخفيف] :

يا صديقاً أفادنيه زمانٌ فيه ضنُّ بالأصدقاء وشحٌ
بين شخصي وبين شخصك بعدُ غير أن الخيال بالوصل سمح
إنما يمنع التآلف منا أنني سكرٌ وأتاك ملحٌ

فأجابه من أبيات منها [من الخفيف] :

هل يقول الإخوان يوماً لخلٌ شاب منه محض المودة قدحٌ^(١)
بيننا سكرٌ فلا تفسدنه أو يقولون بيننا ويك ملحٌ

وقال في قاض [من الهزج] :

لنا قاض له وجهٌ على أخذ الرشأ عابسٌ^(٢)
ولكن له أيراً يدقُّ الرطب واليابس

وقال [من مجزوء الرمل] .

ذرفت عين الغمام فاستهلت بسجام^(٣)
وبكى الإبريق في الكأس بدمعٍ من مدام
فاسقني دمعاً بدمعٍ من مدام وغمام
واعصر من لامك فيه ليس ذا وقت الملام

* * *

(١) شاب : مزج ، ومحض المودة : خالصها ، والقدح : الدم .

(٢) الرشأ : أي الرشوة .

(٣) السجام : الدمع السائل .

١٠ - أبو علي الحسن بن علي الخالغ

شاعر مفلق من شعراء الوزير أبي نصر سابور بن أردشير ، ولذكرو موضع آخر في الباب التاسع . ومن ملح شعره قوله من أبيات [من الخفيف] :

اسقنا من شرابك الصِّرف نمزجه بماءٍ من الثنايا زلال^(١)
بنت كرمٍ كأنها خجلةُ الخـدِّ تبدَّت في حلَّةٍ من دلال^(٢)

وقال [من مجزوء الكامل] :

هو معلمٌ لهواك فاعلمْ وهي الرسوم كما ترسم^(٣)
قف مطلق العبرات محـتسب الصبابة يا متيم
حتى ترى ديباج خدِّك من دموعك فيه معلم
واذكر زمان خلاعةٍ لك في مغانيه تقدّم
إذ أنت في مجموع شمل الغانيات به مقسم
يثني عناقك من سعادٍ ساعداً عبلاً ومعصم^(٤)
وتصير من نغمٍ إليك معاطف الغصن المنعم
أرعى أَلحاضي بمو شي الرّبي خضلٍ موشم^(٥)
متضوّع الأرجاء من نفس الشمال إذا تنسم^(٦)
ألقت بكلِّ قرارةٍ فيه يد الأنواء درهم
والأقحوان الغضُّ من خجل الشقائق قد تبسم

(١) الصرف : الخالص ، الصافي .

(٢) بنت كرم : أي بنت العنب .

(٣) معلم : دليل .

(٤) العبل : الضخم .

(٥) خضلٍ موشم : النديّ المعلم من النبات .

(٦) متضوّع : أي يفوح طيبه .

فكأنما رِيَّاه أخلاق الوزير وقد تَكْرَمَ
يا من إليه مقاليد السُّلطان عن حقِّ تسلُّم
مات السَّماح فكنت في إحيائه عيسى ابن مريم

* * *

١١ - الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد النامي الخوارزمي

أنا أختم هذا الباب بذكر من هو للعلم مجمع ، وللدب مفرع . وإليه
الرحلة اليوم ببغداد في تدريس كتب الشافعي رحمه الله ، مع الشيخ أبي حامد
الإسفرائيني أيدته الله ، وله لسان يستوفي أقسام الفصاحة ، ويجمع بين العذوبة
وحسن العبارة والبراعة ، وشعر يشرف بصاحبه ، ويأخذ من القلب بمجامعه كقوله
[من الطويل] :

أيا زائر البيت العتيق وتاركي قتيل الهوى لو زرتني كان أجdra
تحجُّ احتساباً ثم تقتلُ عاشقاً فديتك لا تحججُ ولا تقتلُ الورى
وكقوله ، وكتب به إلى أبي سعيد بن أبي بكر الإسماعيلي [من الخفيف] :

حاش لله أن أزول عن العهد وإن زاد سيدي في الجفاء
أنا ذاك الذي عرفت قديماً لابسٌ للصديق ثوب الوفاء
وأنشدني أبو الحسن الكرخي ، قال : أنشدني الشيخ أبو محمد لنفسه [من
الكامل] :

يا عينُ منكِ شكائتي وبلائي أنت التي أسلمتني لشقائي
لما نظرت إلى محاسن وجهه أشعلت نار الشوق في أحشائي
ثم اعتبرت لتخدعيني بالبكا فكشفت ذاك السرَّ للأعداء
فتأملني ماذا جنيتِ وأمسكي بالله عنا معشر الغرباء

وقال : أنشدني أيضاً لنفسه [من المنسرح] :

عجبت من معجبٍ بصورته وكان من قبل نقطةً مذرهِ^(١)
وفي غدٍ بعد حسن صورته يصير في الأرض جيفةً قدره
وهو على عجبه ونخوته ما بين ثوبيه يحمل العذرهِ^(٢)

وقال : أنشدني أبو محمد الحامدي له بيتين في سابور استملحتهما جداً ، وهما
[من مجزوء الكامل] :

سابور ، ويحك ! ما أخسَّك ! بل أخصَّك بالعيوب !
وجهٌ قبيحٌ في التبسُّم كيف يحسن في القطوب

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي الفقيه ، قال : أنشدني أبو يعلى الواسطي ،
قال : أنشدني النامي لنفسه [من البسيط] :

قالتُ له ورأى في وجهها أثراً فازورَّ عنه كئيب القلب مدهوشاً
ما حسن ديباجة الخدِّ المليح إذا لم يحك في حسنه الديباج منقوشاً

قال : وأنشدني أبو علي الكندي ، قال : أنشدني النامي لنفسه ، وقد أهدى هدية
مهرجانية إلى بعض الرؤساء [من المنسرح] :

هديةُ المهرجان واجبة على السلاطين لا على الفقها
وإن جرى عبدكم على سننٍ من التهادي فما أتى سفها
حملٌ على أُنْني لكم قلمٌ قطَّ برأسين يكشف الشبها

* * *

(١) مذرهِ : قدره وقيحه .

(٢) العذرهِ : الأقدار كالعائط وغيره .

الباب التاسع

فيما أخرج من مجموع أشعار أهل العراق وغيرهم

١٢ - في الوزير أبي نصر سابور بن أردشير

منهم من تقدم ذكره ومنهم من تأخر ، ومنهم من لا يجري له ذكر فيما سواه .
قال للسلامي من قصيدة فيه وقد أعيد إلى الوزارة وخلع عليه [من

البيسط] :

وأوضحت فلقَ الملك التباشير ^(١)	اليوم طَبَّقَ أفقَ الدولة النورُ
وكلُّ قلبٍ بما خوَّلت مسرورُ	فكلُّ عينٍ إليك اليوم طامحةٌ
ذيلُ على أنجم الجوزاء مجرور	أقبلت في خلع السلطان زينها
غيثُ فرونقها بالحسن مغمور	كأنما نسجتها في الرياض يداً
والجود في سرجه والمجد والخير	ورحت فوق جوادٍ كالعقاب جرى

محمد بن أحمد الحمدوني من قصيدة له فيه [من البيسط] :

يخطو بأعطاف نشوان الخطا ثمل ^(٢)	وفي الطعائن مهضومُ الحشى غنجُ
مشي اللواحظ من عينيه في أجلي	ظبي مشى الورد من لحظي بوجنته

(١) الفلق : الاشراف والنور .

(٢) الطعائن : النساء في الهودج ، و ثمل : نشوان يتأيل غنجاً ودلالاً .

ومتترف الترب مجّاج الندى عطر
قد شام جدوله فيها مهنّدة
إذا نسيم الصبّا باحت سرائره
والروض تسحب فيه السحب أردية
يا مؤنس الملك والأيام موحشة
ما لي وللأرض لم أوطن بها وطناً
لو أنصف الدهر أو لانت معاطفه
لله لؤلؤ ألفاظ أساقطها
ومن عيون معانٍ لو كحلت بها
سحرٌ من الفكر لو دارت سلافته

أبو الفرج البيغاء [من البسيط] :

لمت الزمان على تأخير مطلبي
فقلت لو شئت ما فات الغنى أمني
عذّ بالوزير أبي نصر وسلّ شططاً
وقد تقبّلتُ هذا النصّح من زمني
وما لطرف رجائي عنك منصرفٌ

مفوّف النور موسوم الثرى خضل^(١)
فاهتزّ مثل اهتزاز الخائف الوجل
أصغى إليهنّ سمع الغصن بالميل
مظاهراتٍ عليها أظهر الحلل
ورابط الجأش والآجال في وجل
كأنّني بكرٌ معنىً سار في المثل
أصبحت عندك ذا خيلٍ وذا خول^(٢)
لو كنّ للغيد ما استأنسن بالعطل^(٣)
نجل العيون لأغناها عن الكحل^(٤)
على الزمان تمشّى مشية الثمل^(٥)

فقال ما وجه لومي وهو محظورٌ
فقال أخطأت بل لو شاء سابورٌ
أسرف فأنّك في الإسراف معذور^(٦)
والنصّح حتى من الأعداء مشكورٌ
وهل يفارق جرم المشتري النور^(٧)

(١) ومتترف الترب : أي أنه يعيش حياةً راغبة في سعة وبجوبة .

(٢) الخول : الخدم والعبيد .

(٣) العطل : يقال جيدٌ عطل : أي خالٍ من الحليّ .

(٤) النجل : الواسعة .

(٥) السلاقة : الحمرة .

(٦) غد : أي احتمي ، والشطط : مجاوزة الحدّ .

(٧) الجرم : الكوكب ، والمشتري : أحد الكواكب .

ابن بابك من قصيدة [من الخفيف] :

شمت برقَ الوزير فانهلَّ حتّى
وكأنّي وقد تقاصر باعي
مستفيض الندى كريم السّجايا
كذب الزاعمون أنّ المعالي
إنّما المجد والندى والمساعي

لم أجد مهرباً إلى الإعدام
خائضٌ في عباب أخضر طامي
عاجل العفو أجل الانتقام
في صدور المثقّفات الدوامي
والرّدى في أسنّة الأقالام^(١)

ابن لؤلؤ من قصيدة [من المتقارب] :

خصال العلا كلّها من خصالي
خلقتُ كما شاءتِ المكرماتُ
تنزّهني عن دنايا الأمور
فلبأس طول يدي والحسام
وحرفٍ تعرّس فيها الرياح
أجرتُ تعوّج مثل القسسيّ
ومجنوبة في حواشي المطّبيّ
ينفضن أعرافها كالسّعالِي
طلبن الوزير فتى أردشـير
صنو الندى وحليف المعالي
بعيد مدى الجود لا يتقى
أغرُّ يرى لك ما لا تراه
ويهتزُّ من طربٍ للسما

وصوب الحيا قطرةً من شمالي
بعيدُ النظير فقيد المثال
ر نفسي وتندبني للمعالي
وللمجد والحمد جاهي ومالي
إذا ما صغت للوني والكلال^(٢)
يُحملن ركباً كمثّل النّبال^(٣)
مؤمّله بكريه المطال^(٤)
لديه ويعطيك قبل السؤال
ح هزّ الصّبّا للرماح الطوال

(١) المثقّفات : أي السيوف والرماح الصقيلة .

(٢) الحرف : النوق ، وتعرّس : تستريح ، والوني والكلال : التعب والارهاق .

(٣) أجرت : تركت وشأنها .

(٤) المطال : من المطل وهو التسويف والمأطلة .

الخليع النامي من قصيدة [من الكامل] :

وبأي منطق عاذل لم أعذل ^(١)	في أي منزل صبوقة لم أنزل
أن يستضام بوقفة المستعجل	ما حق هذا الربع إذ فيه الهوى
فالدمع أفصح من سؤال المنزل ^(٢)	كل إن حضرت إلى الدموع سؤاله
فعدى وإن لم تجملني فتجملني	يا هذه إن لم يكن لك نائل
إحسان من هذا الوزير المفضل	جودي فإن لم تحسني فتعلمي الـ
سمناه أن يهب الصبا لم يبخل	أعدى الزمان ندا أبي نصر فلو
بكفايتي قلم وقائم منصل ^(٣)	أرضى الديانة والصيانة حكمه
صادي سوى قطر الحيا من موئل ^(٤)	يا موئل الراجي وهل للحائم الـ
بك شخص سعد ليس بالمترحل	أسعد بإقبال وعيد قابل
وتبو عزك فهو أمنع معقل ^(٥)	وتمل فضلك فهو أفخر ملبس
لك نية المصفي من المتجمل	وأخبرمتي ما شئت إخلاصي تب
تحصيل رأيك قد رغبت فهبه لي	ما قلت قط لمنعم هب لي وفي
بسعادتي في الأصل لا بتوصلي	فالآن قد أوفى النجاح على المنى
إقبال أني عذت منك بمقبل	وعلمت أني مقبل وعلامة الـ

الحاتمي من أرجوزة [من مجزوء الرجز] :

أولى بعفو من قدر لا عفو عن جانٍ أصر^(٦)

(١) الصبوة : جهل الفتوة ولهوها .

(٢) كل : أي دع .

(٣) المنصل : السيف .

(٤) الصادي : الظمان .

(٥) تبو : أي تبوأ وارتقي ، والمعقل : الحصن .

(٦) الجاني : الآثم المذنب .

لم يجن ذنباً من أقرّ الصّبر عنوان الظفر
 أولى بفوزٍ من صبرٍ المجد في خوض الخطر
 كفي العيان المختبر أولى بعرفٍ من شكر
 شكر الرياض للمطر إن يطوٍ معروفٌ نشر
 الحمد خيرٌ مدّخر إن ساءك الزّمان سرّ
 ما كسر الدهر جبرٌ من زجر الهوى انزجر
 بادر من العيش الغرر ما العيش إلا المبتدر^(١)
 لهفي لعصرٍ مدّكر إذ غصن عيشي مهتصر^(٢)
 أصاله مثل البكر لم تفتزع منه العذر^(٣)
 مرّ كلمحٍ بالبصر وأرجُ النّشر عطر
 غصنٌ ودعصٌ وقمر تحت ظلامٍ من شعر^(٤)
 ذي ريقةٍ تشكو الخصر شييت بمسكٍ وسكر^(٥)
 محييةٌ ميت الوطر وسابحٍ سامي النظر
 أسرع من وشك القدر وخاطر الوهم خطر
 وسائلٍ من منحدر وقبلّةٍ على حذر

ومنها :

أوفى على كل البشر سابور مجدداً وأثر
 وإثما العصب الذكّر أعاره ما لم يعر^(٦)

(١) الغرر : الفرص ، والمبتدر : المبادر الذي لا يؤجل .

(٢) مهتصر : مقصّف ومعتصر .

(٣) تفتزع : تفتض ، والعذر : من العذراء وهي البكر التي لم تمسّ .

(٤) الدعص : الكثيب من الرمل كناية عن الأرداف .

(٥) الخصر : البارء .

(٦) في الأصول : «إن ما العصب الذكّر» ولا يتم الوزن، والعصب : السيف، والذكّر : القاطع .

رأياً كمحتوم القدر	فانصاع كالتجم انكدر
يحمد إن ذمّ المطر	تهفو الرواسي إن زفر
في كفه نفع وضرّ	ولحظه خير وشرّ
والدهر طوعاً ما أمر	يجري بما ساء وسرّ
ذو خلق سهل يسر	كمثل نوار الزهر
وشبه أنواء المطر	يحيي أفانين الثمر
من بالغٍ ومنتظر	كالأمن من بعد الحذر
والخير في أعقاب شر	وكالكري غبّ السهر ^(١)
عمّرت ما شاء الوطر	فأنت للملك وزر ^(٢)
دونك عذراء الفقر	تُتلى كما تتلى السور

الخالع من قصيدة [من البسيط] :

أفي غلائلها غصنٌ من البان	يهتزُّ في نعمة أم قدّ إنسان
هيفاءُ مرهفة الأعطاف إن خطرتُ	أهدت نشاط الهوى من خطو كسلان
تبسمت فظنّنا أنّ مبسمها	فيه من اللؤلؤ المجلّو سمطان ^(٣)
وأوماتُ بيمينٍ لو دنت لقمي	لأفسدت صالحاً من نسك إيماني
مقسّم العيش في تحصيل مأثرو	سيارة يتقاضاها لباسان
فللدروع عليه يوم ملحمة	وللدرائع منه يوم ديوان
طرز الطلاقة في دياج غرته	للبشر فيها إشاراتٌ بألوان
كأنّ ماء الحياء الغمر منسكباً	فيها يفيض على نوار بستان ^(٤)

(١) الكري : النعاس، وغبّ السهر : بعده .

(٢) الوطر : الحاجة والمأرب والبقية ، وزر : مساعد وحام .

(٣) السمط : العقد .

(٤) الغمر : الكثير .

محمد بن بلبل من قصيدة [من الكامل] :

أضحى الرجاء لبرق جودك شائماً
سميت نفسي إذ رجوتك واثقاً
فمتى أقوم بشكر نعمتك التي
لا زال جدك للعدو مزاحماً
وارتدّ روض الحمد وحفاً ناعماً^(١)
ودعوتها لك مذ مدحتك خادماً
عقدت عليّ من الخطوب تماثماً^(٢)
يعلو وأنف حاسديك رواغماً^(٣)
واسعد بعيد قد حبتك سعوده
عزاً يكون مع السعادة قادماً

أحمد بن علي المنجم من قصيدة [من الخفيف] :

أيهذا الوزير محّصت بالإحسان جور الدنيا ووزر الزمان
فاشرب الراح راحة القلب أخت الروح روح المكروب أنس الأمان
وابق ما شئت في نعيم تراه لك أنموذجاً لعيش الجنان

السفياني من قصيدة [من الكامل] :

روض المنى بك عاد غضاً مونقاً
وابيض وجه الدهر بعد سخومه
فُتّ الأنام فما يجاريك امرؤ
ولو اغتدى ظهر المجرة راكباً
وأجرى فكان مسبقاً وصفاً فكا
وشأى فكان محدقاً وهمي فكا
واهتزّ غصن المجد فيه وأورقا
وارتدّ بعد ظلامه فتألقاً^(٤)
في حلبة الفخر المنيع المرتقى
وغدا بأذيال السهى متعلقاً
ن مروّفاً وسطاً فكان محققاً
ن مطبقاً وعفا فكان موفقاً^(٥)

(١) الوحف : الغزير من النبات والشعر .

(٢) التائم : جمع تيمة وهي عوذة يعلقها الانسان تحبباً لشر من الشرور ودفعاً له .

(٣) جدك : حظك ونجمك .

(٤) السخوم : السواد .

(٥) شأى : تطلع بنظر حاد .

أحمد بن المغلس من قصيدة [من الخفيف] :

أبروقٌ تَلَأَلَتْ أمْ ثغورُ وليالٍ دجت لنا أم شعورُ
وغصونٌ تَأَوَّدَتْ أمْ قدودُ حاملاتُ رَمَانِهِن الصدورُ^(١)
طالعاتُ من السجوف على الركـب بدورُ أبرزتِهِنَّ الخدورُ^(٢)
مثقلاتُ أردافُهُنَّ ولكن مرهفاتُ من فوقهِنَّ الخصورُ
مطمعاتُ في وصلهِنَّ ودون الوصل إن رمته دمَاءُ تمورُ^(٣)
عزٌّ منهِنَّ ما يرام كما عزَّ جنابُ يحتلُّ فيه الوزير
نصر المجد حافظاً حرمة المجدد أبو نصر الرضا سابور
مفردٌ في الزمان ليس يدانيه من الناس مشبهٌ أو نظير
إنَّ يواجه فطود حلمٍ ركينٌ أو يفاوض فبحر علمٍ غزيرُ^(٤)
أو يجد واهباً فغيثٌ مطيرٌ أو يصل واثباً فليثٌ هصورُ

سعد بن محمد الأزدي من قصيدة [من الطويل] :

أجفو الهوى في ربعه لا أخاطبه وأمضي ولم تلعب بدمعي ملاعبه ؟
ومنها في وصف السحاب :

وأقمر منشور الجناح مرفرفٍ تحلَّى بعقيان البروق ترائبه^(٥)
وخلف غمام الخدر بدرٌ مضمخٌ بحسن بديعٍ والحلي كواكبه
أرجى أبا نصرٍ لعصرٍ كأتما من النار عيناه فمن ذا يغاضبه

(١) تَأَوَّدَتْ : تمايلت .

(٢) السجف : الفرجة بين السترين .

(٣) تمور : تجري .

(٤) الطود الركين : الجبل العالي الثابت الأركان ، والرزين .

(٥) الترائب : جمع تريبة ، وهي موضع القلادة من النحر .

على عيلةٍ لو حُمِّل الدهر ثقلها لزلت به رجلاه وانقضَّ غاربه^(١)
إذا ما رآه الناس قالوا تعجباً تبارك مختار الكمال وواهبه

الحسن بن محمد العضدي [من الكامل] :

يلقاك إن لاقاك دهرك كالحاً متبسماً كالعارض المتبسّم^(٢)
وإذا سما نحو العلا لم يتخذ
سيّان عزمك والحسام المتنضي
كم منّة لك لم يكدر صفوها
أتراك تحرمني لطيف عناية
وأنا ابن أنعمك القديمة فليصل
وندى يديك وصوب نوء المرزم^(٣)
من وكم نعمى شفعت بأنعم ؟
وبك الغداة من الزمان تحرمي
منك السماح مؤخراً بمقدم

عون بن علي العنبري [من مخلع البسيط] :

لست على العتب بالمنيب ولا للوم بمستجيب^(٤)
جلّ غرامي وزاد سقمي
غير عجيب نحول جسمي
تلهّبُ الوجنتين منه
يا دهر أغربت في التعدي
شوبك لي فرقة بشوق
حسبي أبو نصر المرجى
إن ضاق دهر بنا أوينا
وذبت شوقاً إلى مذيبي
شوقاً إلى حسنه العجيب
غادر قلبي على لهيب
والجور ظلماً على الغريب
أطلع من لمتي مشيبي^(٥)
عوناً على الدهر والخطوب
منه إلى صدره الرحيب

(١) الغارب : الكاهل .

(٢) الكالْح : المتجهّم الوجه .

(٣) نوء المرزم : نوء الشتاء البارد .

(٤) المنيب : التائب والراجع .

(٥) شوبك : من الشوب - بفتح فسكون - مصدر بمعنى الخلط والمزج ، تقول : شاب كذا بكذا يشوبه شوباً .

الباب العاشر

١٣ - في ذكر الشريف أبي الحسن الرضى الموسوي النقيب وغرر شعره

هو أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، ومولده ببغداد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، وابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز العشر سنين بقليل ، وهو اليوم أبدع أبناء الزمان ، وأنجب سادة العراق ، يتحلّى مع محتده الشريف ، ومفخره المنيف ، بأدب ظاهر وفضل باهر ، وحظ من جميع المحاسن وافر ، ثم هو أشعر الطالبين ، من مضى منهم ومن غير^(١) على كثرة شعرائهم المفلقين ، كالجماني وابن طباطبا وابن الناصر وغيرهم ، ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق ، وسيشهد بما أجره من ذكره شاهد عدل من شعره العالي القدح ، الممتنع عن القدح ، الذي يجمع إلى السلاسة متانة ، وإلى السهولة رصانة ، ويشتمل على معان يقرب جناها ، ويبعد مداها ، فأما أبوه أبو أحمد فمنظور علوية العراق مع أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيى ، وكان قديماً يتولى نقابة الطالبين والحكم فيهم أجمعين ، والنظر في المظالم والحج بالناس ، ثم ردت هذه الأعمال كلها إلى ولده أبي الحسن هذا ، وذلك في سنة ثمانين وثلاثمائة ، فقال أبو الحسن قصيدة يهنئ بها أباه ، ويشكره على تفويضه أكثر هذه

(١) غير : تقدّم في الزمان .

الأعمال إليه [من الكامل] :

انظرُ إلى الأيام كيف تعودُ
وإلى الزمان نبا وعاود عطفه
قد عاود الأيام ماء شبابها
إقبال عزٌّ كالأسنة مقبل
وعلاً لأبلج من ذؤابة هاشم
قد فات مطلوباً وأدرك طالباً
ما السؤدد المطلوب إلاً دون ما
فاذا هما اتفقا تكسّرت القنا

وإلى المعالي الغرّ كيف تزيدُ
فارتاح ظمآنٌ وأورق عودُ^(١)
فالعيش غرضٌ والليالي عيد
يمضي وجدٌ في العلاء جديدُ
يثني عليه السؤدد المعقود^(٢)
ومقارعوه على الأمور قعود
يرمي إليه السؤدد المولود
إن غالباً وتضعع الجلمود^(٣)

وله من قصيدة في أبيه ، ويذكر حجه بالناس [من الوافر] :

دعيني أطلب الدنيا فأنّي
ومن أبقي لأجله حديثاً
وما المغبون إلاً من دهره
ونصل السيّف تسلّم شفرتاه
وأيامٌ تجوز عليك بيضٌ
وكم يومٍ كيومك قدت فيه
إلى البلد الأمين مقوماتٌ

أرى المسعود من رزق الطلابا
ومن عانى لعاجله اكتسابا
فلا مجدداً ولا جدةً أصابا^(٤)
وتخلق كلّ أيامٍ قرابا^(٥)
وقد فتحت من الإقبال بابا
على الغرر المقانِب والركابا^(٦)
تماطلها التعجّل والإيابا^(٧)

(١) نبا : فارق وابتعد ولم يستقر على ما كان عليه .

(٢) الأبلج : المنير ، والنؤابة : ذروة النسب .

(٣) الجلمود : الصخر .

(٤) المغبون : الخاسر الذي انتقص حقه ، والجدة : العطاء والغنى والترف .

(٥) القراب بالضم ، بزنة غراب - غمد السيّف وجفنه .

(٦) المقانِب : جمع مقنّب بزنة منبر : وهو الجيش .

(٧) الإياب : العودة .

بحيث تفرّغ الكوم المطايا حقائبها وتحقّب الثوابا^(١)
معالم إنّ أجال الطرف فيها مسيء القوم أقلع أو أنابا^(٢)

وقال في الطائع لله أمير المؤمنين من قصيدة [من الكامل] :

لله ثمّ لك المحلّ الأعظمُ وإليك ينتسب العلاء الأقدّمُ
ولك التراث من النبي محمّدٍ والبيت والحجر العظيمُ وزمزمُ
تمضي الملوك وأنت طودٌ ثابتٌ ينجاب عنك متوجّ ومعمّم^(٣)
لله أيّ مقام دينٍ قمتهُ والأمر من دون القضية مبهم
فكأنّما كنت النبيّ مناجزاً بالقول أو بلسانه تتكلم^(٤)
أيام طلقها المطيع وأوحشت مذ زال عن ذا الغاب ذاك الضيغمُ
فمضى وأعقب بعده مستيقظاً سجلاه بؤسي في الرجال وأنعم^(٥)
كالغيث يخلفه الربيع وبعضهم كالنار يخلفه الرماد المظلم

ينظر معنى المصراع الأول إلى بيت المتنبي ، وهو أحسن ما قيل فيه ، وهو قوله
[من الطويل] :

* فأئك ماء الورد إنّ ذهب الورد *

ومعنى المصراع الثاني من قول الشاعر [من الوافر] :

وبعضهم يكون أبوه منه مكان النار يخلفها الرماد

(١) تحقّب : تكتسب وتحصل .

(٢) أقلع : صلّح وابتعد عن فعل السوء وأناب : تاب .

(٣) ينجاب : يتزاح وينكشف .

(٤) مناجزاً : مدافعاً وقاضياً وموفياً .

(٥) سجلاه : حكمه ورأيه .

ومنها في وصف النوق :

هَنَّ القسيَّ من النحول فإنَّ سما طلبُ فهنَّ من النجاء الأسهم
ما أحسن ما جمع بين القسي والأسهم في هذين الوصفين ! وما أراه سبق إليه على
هذا الترتيب .

ومنها :

وعظمت قدراً أن يروقك مغنمٌ
هي راحةٌ ما تستفيق من الندى
ما كان يومي دون مدحك أنني
أنت العلا فلقصدها ما أقتني
ما حقُّ مثلي أنْ يضاعَ وقوله
وأنا القريب قرابةً معلومةً
إنني لأرجو منك أنْ سيكون لي
وأنا عندك رتبةً مصقولةً
إنني وإنْ ضرب الحجاب بطوده
لأراك في مرآة جودك مثل ما
يا دهر دونك قد تماثل مدنفٌ
إنني عليك إذا امتلأت حميةً

أو أن يصلَّ على بنانك درهمٌ^(١)
أبد الزمان وبدرةً لا تختم^(٢)
صبُّ بغير جلال وجهك مغرم
من جوهرٍ ولمدحها ما أنظم
باقي العماد على الزمان مخيمٌ
والعرق يضرب والقرائب تلحم
يومٌ أغىظ به الأعادي أيوم^(٣)
إنْ عاين الأعداء رونقها عموا
أو حال دونك يذبل ويللم^(٤)
يلقى العيان الناظر المتوسمُ
واققص مهتضمٌ وأورق معدم^(٥)
بندى أمير المؤمنين محرمٌ

(١) يصلَّ : يرنّ ويسمع له صوت .

(٢) البدرة : كيس توضع فيه كمية من الدراهم .

(٣) يوم أيوم : أي شديد كقولهم : ليلٌ أليل وليلة ليلاء وشعر شاعر ، كأنهم لم يجدوا شيئاً يصفونه به إلا أن يشفقوا الوصف منه .

(٤) يذبل : جبل ، ويللم : ميقات اليمن ، مكان على مرحلتين من مكة .

(٥) اققص مهتضمٌ : أي نال حقه بعد انتقاص .

ومذ ادرعت فناءه وعطاءه أرمى ويرميني الزمان فأسلم

وقال من قصيدة لما خلع الطائع يذكر فيها أيامه ويرثيها ويتوجع مما لحقه وذلك في شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة [من مجزوء الكامل] :

إن كان ذاك الطود خـرّ فبعـدا استعلـى طويـلا
موفـرٍ علـى القـلل الذوا هـب في العـلا عـرضاً وطولاً^(١)
قـرمٌ يـسدّد لحظـه فيرى القـروم لا مثـولا
ويُرى عـزیزاً حـيـث حـلّ ولا يـرى إلّا ذليـلا
كـاليت إلّا أنّـه اتـخذ العـلا والعـزّ غيـلا^(٢)
وعـلا علـى الأقـران لا مثـلاً يـعدّ ولا عـديلا
مـن معـشـرٍ ركـبوا العـلا فـأبوا عـن الكـرم التـزولا
كـرموا فـروعاً بـعد ما طـابوا وقـد عـجموا أصـولا^(٣)
نـسبٌ غـدا رـوآده يـستـخبـون لـه الفـحولـا
يا نـاصـر الدّين الذـي رـجع الزـمان بـه كـليـلا
يا صـارم المـجد الذـي ملـئت مـضاربـه فـلولا
يا كـوكـب الإحـسان أعـجـلك الدُّجـى عـنا أفـولا
يا مـصـعب العـلياء قـا دتـك العـدى نـقضاً ذـلولا
لـهـفي علـى مـاضٍ قـضى أن لا يـرى مـنـه بـديلا
وزوال مـلكٍ لـم يـكن يـوماً يـقدّر أن يـزولا
ومـنازلٍ سـطر الزـما ن علـى مـغانـيها الحـؤولا
مـن يـزجـر الدّهر الغـشو م ويـكـشف الخـطب الجـليلا ؟

(١) موفر : مشرف ومرتفع .

(٢) الغيل : مسكن الأسود .

(٣) عجموا : جربوا واختبروا .

وتراه يمنع دوننا وادي النوائب أن يسبلا
 عقّاد ألوية الملو ك على العدى جيلاً فجيلاً
 صانعت يوم فراقه قلباً قد اعتنق الغليلا^(١)
 ظعن الغنى عني وحوّل رحله إلّا قليلاً^(٢)
 إن عاد يوماً عاد وجّه الدهر مقتبلاً جميلاً
 ولئن غدا طوع المنو ن ميمماً تلك السبلا
 فلقد يخلف مجده عبثاً على الدنيا ثقيلًا
 واستذرت الأيام من نفحاته ظلاً ظليلاً^(٣)

وله من قصيدة يذكر فيها الحال يوم القبض على الطائع لله ، ويصف خروجه من
 الدار سليماً ، وقد سلبت ثياب أكثر الأشراف والقضاة ، وانتهبوا وامتنحوا ، فأخذ
 هو بالحزم ساعة ، ووقف على الصورة ، وبادر إلى نزول دجلة ، وكان أول
 خارج من الدار ، وتلوم من تلوم حتى جرى عليه ما جرى ، ويذكر غرضاً آخر في
 نفسه ويشكو الزمان ، ويذم عمل السلطان [من البسيط] :

لواعج الشوق تخطيهم وتصميني واللوم في الحبّ ينهاهم ويغريني^(٤)
 سلا عن الوجد إنّي كلّ شارقة تريشني الشيب والأيام تبريني^(٥)
 من لي ببلغة عيشٍ غير فاضلة تكفّني عن أذى الدنيا وتكفيني
 أخي من باع دنياه وزخرفها بصونه كان عندي غير مغبون
 قالوا أتقنع بالدون الخسيس وما قنعت بالدون بل قنعت بالدون^(٦)

(١) الغليل : الظمأ .

(٢) ظعن : رحل .

(٣) استذرت : استظلت .

(٤) تصميني : تقتلني .

(٥) سلا : نسي ، وطابت نفسه بعد الفراق .

(٦) الدون : الوضع القليل .

إذا ظننا وقدّرنا جرى قدرُ
أعجبَ بمسكة نفسي بعد ما رميتُ
ومن نجاتي يوم الدار حين هوى
مرقت فيها مروق النجم منكدرًا
وكنت أول طلاعٍ ثنيتها
من بعد ما كان ربّ الملك مبتسمًا
أمسيت أرحم من قد كنت أغبطه
ومنظرٍ كان بالسّراء يضحكني
هيهات أغترُّ بالسلطان ثانيةً
بنازلٍ غير موهوم ومظنون
من النوائب بالأبكار والعون^(١)
غيري ولم أخل من حزمٍ ينجيني
وقد تلاقت مصاريع الردى دوني^(٢)
ومن ورائي شرٌّ غير مأمون^(٣)
إليّ أدنيه في النجوى ويدنيني
لقد تقارب بين العزّ والهون
يا قرب ما عاد بالضراء يبكينني
قد ضلّ ولاجُ أبواب السلاطين

وقال في القادر بالله أبي العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر عند استقراره في دار
الخلافة سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة [من الكامل] :

شرف الخلافة يا بني العباسِ اليوم جدّهُ أبو العباسِ
وافى لحفظ فروعها وكنيّه كان المثير مواضع الأعراس^(٤)
هذا الذي رفعت يدها ببناءها السّـعـالي وذاك موطدُ الأساس

كأنه ألم فيه بقول ابن الرومي في المعتضد بالله [من الطويل] :

كما بأبي العباس أنشئ ملككم كذا بأبي العباس منكم يُجدد
رجع :

ذا الطود بقّاه الزمان ذخيرةً من ذلك الجبل العظيم الراسي
فالآن قرّ العزّ في سكناته ثلجَ الضمائر باردَ الأنفاس

(١) العون : يقصد النوائب الشديدة .

(٢) المروق : الخروج والنفاذ من جانب إلى آخر .

(٣) الثنية : منعطف الوادي .

(٤) كنيّه : أي بيت الخلافة والكنّ ، وقاء كل شيء وستره .

وقفت أخامص طالبيه ورقّعت
واحتلّ غاربه وليّ خلافة
سبق الرّجال إلى ذراها ناجياً
يقظانُ يجرح في الخطوب وينثني
ويرقُّ أحياناً وبين ضلوعه
تغدو طُبى البيض الرقاق بقلبه
فكأنّ حمل السيف يقطر غربه
أحسود ذي الغرر الشواذخ إنّها
لا تحسّدن قوماً إذا فاضلتهم
مجدُّ أمير المؤمنين أعدته
وبعثت في قلب الخلافة فرحةً
أورقُ أمين الله عودي إنّما
واملك على من كان قبلك سلوةً

أيدٍ نقضن معاهد الأحلاس^(١)
ما كان يلبسها على اللباس
من نابٍ كلّ مجاذبٍ نهّاس^(٢)
ولهاه للكلم الرغب أواسي^(٣)
قلبٌ على المال المثمّر قاسي
أحلى وأعذب من طباء كناس^(٤)
أنسى يمين يديه حمل الكاس
حرمٌ على الأعيار لا الأفراس^(٥)
فضلوك في الأخلاق والأجناس
غضاً كنوز المورق الميأس
دخلت على الخلفاء في الأرماس^(٦)
أغرّاث مثلك في العلا أغراسي^(٧)
في فرط تقريبي وفي إيناسي

وله فيه من أخرى يصف فيها جلسة جلسها فأوصل إلى حضرته الحجيج وغيرهم
وحضر الشريف ذلك المجلس ، وعليه السواد في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة منها
[من الكامل] :

لمن الحدوج تهزهنّ الأنيق والركب يطفو في السراب ويغرق^(٨)

(١) الأخامص : أطراف الأقدام ، والأحلاس : أي العهود والمواثيق .

(٢) النهّاس : النهاش والذي يعضّ .

(٣) ولهاه : مواساته ، والكلم : الجرح ، والرغب : الواسع .

(٤) الطُّبى : الحدّ من السيف وغيره ، والكناس : بيت الطي .

(٥) الشواذخ : الظاهرة المثرة والأعيار : جمع غير كل قافلة من الجمال والبغال والحمير .

(٦) الرمس : القبر .

(٧) أغرّاث : تجويع .

(٨) الحدوج : جمع حدج بكسر الحاء وسكون الدال ، وهو مركب للنساء كالمحفة .

أتني اهتديت؟ فلا اهتديت ! وبيننا
 ومطلّحون لهم بكلّ ثنية
 أبغاة هذا المجد ، إنّ مرامه
 لا تخرجوا هذي البحار فربّما
 ودعوا مجاذبة الخلافة إنّها
 وأبوكم العباس ما استسقى به
 بعج الغمام بدعوة مسموعة
 لله يوم أطلعتك به العلا
 لما سمت بك غرة مرموقة
 وبرزت في برد النبي وللهدى
 وعلى السحاب الجون ليث معظماً
 وكأنّ دارك جنة حصاؤها الـ
 في موقف تغضي العيون جلاله
 والناس إمّا شاخص متعجب
 مالوا إليك محبة فتجمعوا
 وطعنت في غرر الكلام بفصيل
 وأنا القريب إليك فيه ، ودونه
 عطفاً أمير المؤمنين فإنّنا

سورّ عليّ من الظلام وخذق
 ملقى وسادته الثرى والمرفق
 دحض يزلّ بطاليه ويزلق^(١)
 كان الذي يروي المعاطش يغرق
 أرجّ بغير ثيابهم لا يعبق
 بعد القنوط قبائل إلاّ سقوا^(٢)
 فأجابه شرق البوارق مغرق^(٣)
 علماً يزاول بالعيون ويرشق
 كالشمس تبهر بالضياء وترمق
 نور على أسرار وجهك مشرق^(٤)
 ذاك الرّداء وزرّ ذاك اليلمق^(٥)
 جادي أو أنماطها الإستبرق^(٦)
 فيه ويعثر بالكلام المنطق
 ممّا يرى أو ناظر متشوّق
 ورأوا عليك مهابة فتفرّقوا
 لا يستقلّ به السّنان الأزرق
 لندي عدوك طود عزّ أعبق
 في دوحة العلياء لا نتفرّق

(١) الدحض : الباطل والزّلل .

(٢) القنوط : اليأس .

(٣) بعج : شقّه وجعل ماءه يسيل .

(٤) برد النبي : عباءته أو لباسه .

(٥) اليلمق : بزنة جعفر : قباء فارسي .

(٦) الجادي : الزعفران .

ما بيننا يوم الفخار تفاوتُ أبدأً كلانا في المعالي معرق^(١)
 إلاّ الخلافة ميزتك فأنني أنا عاطلٌ منها وأنت مطوّق^(٢)
 هذه طريقة لم يسبق إليها ، وما أحسنها في جمع أطراف الاستعطاف والمدح ! وله
 من أخرى يذم الزمان ، ويفتخر [من المنسرح] :

توقّعي أن يقال قدّ ظعنا ما أنت لي منزلاً ولا وطننا
 يا دار قلّ الصديق فيك فما أحسّ ودّاً ولا أرى سكنا
 كيف يخاف الزمان منصلتُ مذ خاف غدر الزمان ما أمنا^(٣)
 لم يلبس الثوب من توقّعه للأمر إلاّ وطنه كفنا
 لي مهجة لا أرى لها عوضاً غير بلوغ العلا ولا ثمننا
 ما ضرنا أننا بلا جدّة والبيت والركن والمقام لنا^(٤)
 سوف ترى أنّ نيل آخرنا من العلا فوق نيل أولنا
 وأنّ ما بُزّ من مقادمنّا يخلفه الله في أواخرنا^(٥)
 وورد عليه أمر أهمه وأقلقه فرأى شيئاً في رأسه وسنه ثلاث وعشرون سنة .

فقال [من السريع] :

عجّلت يا شيبُ على مفريقي وأيُّ عذرٍ لك أن تعجّلا؟
 فكيف أقدمت على عارضٍ ما استغرق الشعر ولا استكملا
 كنت أرى العشرين لي جنّة من طارقات الشيب إنّ أقبلا^(٦)
 فالآن سيان ابن أمّ الصبا ومن تسدّى العمر الأطولا^(٧)

(١) معرق : أصيل .

(٢) عاطل منها : أي أنها ليست من نصيبي بل هي من نصيبك ، والجيد العطل : الخالي من الحلي .

(٣) منصلت : مسرّع وسابق .

(٤) الجدة : الغنى والمال .

(٥) بزّ : سلب وأخذ بالقوة .

(٦) الجنّة : الستر والدرع .

(٧) تسدّى : امتدّ به العمر .

يا زائراً ما جاء حتى مضى
وما رأى الراؤون من قبلنا
ليت بياضاً جاءني آخراً
وليت صباحاً ساءني ضوؤه
يا ذابلاً صَوَّحَ فينانه
خطَّ برأسي يققاً أبيضاً
هذا ولم أعدْ مجال الصبا
من خوفه كنت أهاب السرى
فليتني كنت تسربلته
قالوا دع القاعد يزري به
قل لعدولي اليوم عدْ صامتاً
طبت به نفساً ومن لم يجد

وعارضاً ما جاد حتى انجلى
زرعاً ذوى من قبل أن يسبلاً^(١)
فدى بياضٍ كان لي أولاً
زال وأبقى ليله الأليلاً
قد آن للذابل أن يختلى^(٢)
كأنما خطَّ به منصلاً^(٣)
فكيف من جاوز أو من علا
شحاً على وجهي أن يبذلاً^(٤)
في طلب العزِّ ونيل العلا
من قطع الليل وجاب الفلا
فقد كفاني الشيب أنْ أعزلاً
إلا الردى أذعنْ واستقتلاً

وقال في الوزير أبي القاسم علي بن أحمد يستصوب رأيه في الاستتار لأمر أوجهه
[من مجزوء الكامل] :

تأبى الليالي أن تديما
والمراء بالإقبال يبلغ
وينال بغيته وما
فاذا انقضى إقباله

بؤساً بخلقٍ أو نعيما
وداعاً خطراً عظيما
أنضى الذميل ولا الرسيما^(٥)
رجع الشفيع له خصيما

(١) ذوى : ذبل ، وأسبل : بدت سنابله .

(٢) صَوَّحَ : ييس وتشقق .

(٣) البقق : يعني به الشيب .

(٤) السرى : المسير ليلاً .

(٥) الذميل : المسرع في لين والرسيم : أثر السير في الأرض .

وهو الزمان إذا نبا سلب الذي أعطى قديما
 كالريح ترجع عاصفاً من بعد ما بدأت نسima
 ذاك الوزير وكان لي وزراً أحزبه الخصوما^(١)
 فالآن أغدو للعدى ونبالها غرضاً رجima^(٢)
 سدّي العلا وأنار لا فضّ اللقاء ولا ملوما
 حتى إذا لم يبق إلا أن يلام وأن يليما
 طرح العناء على اللثام مجانباً ومضى كريما
 لم يعتلقه الحبس ممتهاً ولم يعزل ذميما
 أفنى العدى وقضى المنى وبنى العلا ونجا سليما
 وجه كآن البدر شا طره الضياء أو النجوما
 لو قابل الليل البهيم لمزق الليل البهيمما
 يجلو الهموم ورب وجه إن بدا جلب الهموما
 كان العظيم ، وغير بد ع منه أن ركب العظيما
 والحر من حذر الهوا ن وحاول الأمر الجسيما
 بعثوا سواك لها وكا ن مبلداً عنها مليما^(٣)
 والعاجز المأفون أقعد ما يكون إذا أقيما^(٤)
 فسقى بلادك حيث كنت المزن منبعقا هزيما^(٥)
 فلقد سقى خدي ذكرك دمع عيني السجوما
 وقال [من الطويل] :

عذيري من العشرين يغمزن صعدي ومن نوب الأيام يقرعن مروتني^(٦)

(١) وزراً : مساعداً ومؤازراً .

(٢) رجماً : المرجوم بالحجارة ، والملعون .

(٣) المبلد : العاجز الرأي والضعيف .

(٤) المأفون : الضعيف الرأي .

(٥) المنبثق : المفاجيء المندفع ، والهزيم : المندفع بقوة .

(٦) المروة - بفتح فسكون - الحجر الأبيض الوراق الذي يوري ناراً .

ألا لا أعد العيش عيشاً مع الأذى
تخوفني بالموت والموت راحة
وكم بين ذي أنفٍ حميٍّ وحاملٍ
وقال [من الطويل] :

أكابرنا والسابقون إلى العلا
وإنَّ أسوداً كنت شبلاً لبعضها
وقال [من الطويل] :

حذفت فضول العيش حتى رددتها
وأملت أن أجري خفيفاً إلى العلا
حلفت بربِّ البدن تدمى نحورها
لأبتذلنَّ النفس حتى أصونها
فقد طالما ضيَّعت في العيش فرصةً
وإنَّ قوافي الشعر ما لم أكن لها
أنا الفارس الوثَّاب في صهواتها
وقال [من الطويل] :

بنو هاشمٍ عيْنٌ ، ونحن سوادها
وأعجب ما يأتي به الدهر أنكم

لأن رفيق الذل حيٍّ كميت
لمن سلَّ عزمي قلبه مثل همتي
موارن قد عودن حمل الأحشة^(١)

ألا تلك آسادٌ ونحن شبولها
لمحقوقةً أن لا يذلَّ قبيلها

إلى دون ما يرضى به المتعففُ
إذا شئتُم أن تلحقوا فتخففوا
وبالنفر الأطوار لبوا وعرفوا^(٢)
وغيري في قيدٍ من الذلِّ يرسفُ
وهل ينفع الملهوف ما يتلهف
مسفسفةً فيها عتيقٌ ومقرف^(٣)
وكلَّ مجيدٍ جاء بعدي مردف

على رغم من يأبى ، وأنتم قذاتها^(٤)
طلبتم عللاً ما فيكم أدواتها

(١) الموارن : جمع مارن ، وهو من الأنف أرنبته .

(٢) البدن : النوق ، والأطوار : أصحاب العلم والمعرفة .

(٣) العتيق : الأصيل : والمقرف : قريب من المهجين إلا أن الأقراف يكون من قبل الذكر والمهجنة تكون من قبل الأنثى .

(٤) قذاتها : القذى ما يقع في العين من وسخٍ وغيره .

وأملتُم أن تدركوها طوالاً دعوها سيسعى للمعالي ساعاتها
غرست غروساً كنت أرجو لقاحها وآمل يوماً أن تطيب جناتها
فإن أثمرت لي غير ما كنت آملاً فلا ذنب لي إن حنظلتُ نخلاتها^(١)

وقال يرثي أبا منصور أحمد بن عبيد الله بن المرزبان الكاتب الشيرازي [من
المنسرح] :

أي دموعٍ عليك لم تصبِ وأي قلبٍ عليك لم يجب^(٢)
مالي وما للزمان يسلبي في كلِّ يومٍ غرائب السلبِ
أما فتىً ناضر الصبا كأخي عندي أو زائد المدى كأبي
وإتني للشقاء أحسبني ألعب بالدهر وهو يلعب بي
ما نمت عنه إلا وأيقظني من الرزايا بفيلقٍ لجب^(٣)
في كلِّ دارٍ تغدو المنون، ومن كلِّ الثنايا مطالع النوب
يفوز بالراحة الفقيد وللـ فاقد طول العناء والتعب
أحمد، كم لي عليك من كمدٍ باقٍ؟ ومن جود أدمعٍ سرب
ولوعةٍ تحطم الضلوع إذا ذكرت قرب اللقاء عن كذب
إن قطع الموت حبلنا فلقد عشنا وما حبلنا بمنقضب^(٤)
كم مجلسٍ صبحته ألسنا نفضن فيه لطائم الأدب
من أثرٍ يونق الفتى حسنٍ أو خبرٍ يبسط المنى عجب
أو عرضٍ أصبحت خواطرنَا تساقط الدرّ منه في الكتب
كالبارد العذب روّقه صبا الفجر أو الظلم زين بالشنب^(٥)

(١) الحنظل : نبات ثمره شديد المرارة .

(٢) لم تصب : لم تنهزم المأ ، والوجيب : الخفقان والاضطراب .

(٣) اللجب : الكثير ذو الضجة الشديدة .

(٤) منقضب : منقطع .

(٥) الظلم : ماء الأسنان وبريقها ، والشنب : البارد ، أو صفاء الأسنان وبياضها .

غاض غدير الكلام ما بقي الدهر وقرت شقائق الخطب^(١)
يا علم المجد لم هويت وقد كنت أمين العماد والطنب؟
يا مقول الدهر لم صمت وقد كنت زماناً أمضى من الشهب؟
يا ناظر الفضل لم غضضت وما كنت قديماً تغضي على الريب؟
كنت قريني ولست لي لدة كنت نسيبي ولست من نسي^(٢)
مما يقوي العزاء عنك وإن شرد قلبي العزاء بالكرب
أنك أحرزتها وإن رغم الدهر ثمانين طلقة الحقب
فإن دموعي جرين نهنها علمي أن قد ظفرت بالأرب^(٣)
فليت عشرين بت أحسبها باعدن بين الورود والقرب
إنني أظماً إلى المشيب ، ومن ينح قليلاً من الردى يشب
إن سرتي طالع البياض أقل يا ليت ليل الشباب لم يغب
مر على ذلك التراب من المزن خفوق الأعلام والعذب^(٤)
فثم بشر أصفى من الغدق العذب وجود أندى من السحب
لا تحسبن الخلود بعدك لي إن المنايا أعدى من الجرب
إن أنج منها وقد شربت بها فإن خيل المنون في طلي
ولست أدري في شعراء العصر أحسن تصرفاً في المراثي منه . ولما رثي أبا
منصور الشيرازي بهذه القصيدة في سنة ثلاث وثمانين رثي أبا إسحاق الصابي في
سنة أربع وثمانين بالقصيدة التي أوردتها في بابه ، ثم لما حال الحول وتوفي
الصاحب في سنة خمس وثمانين وتعجب الناس من انقراض بلغاء العصر الثلاثة
على نسق في ثلاث سنين ، رثاه أيضاً بقصيدة سأورد غررها في مراثي الصاحب .

(١) الشقائق : الفصيح من الخطب .

(٢) اللدة : وهو الذي ولد معك أو تربى .

(٣) نهنها : منعها وكفها .

(٤) العذب : أعالي الرماح ، وطرق الفن من الشجر .

وله من قصيدة رثى بها أبا محمد بن أبي سعيد السيرافي ، وكان من الأعيان
الأعلام في العربية وما يتعلق بها ، وتوفي بعيد الصباح [من الكامل] :

لم ينسنا كافي الكفاة مصابه حتى دهانا فيك خطبٌ مضلّع^(١)
قرحٌ على قرحٍ تقارب عهده إنَّ القروح على القروح لأوجع
وتلاحقُ الفضلاء أعدل شاهدٍ أنَّ الحمام بكلِّ علقٍ مولع^(٢)

وقال من أخرى [من البسيط] :

يا مصعباً بخست أيدي المنون به فقيد قودٍ ذليل الظَّهر مطواع^(٣)
يسقي أسنَّته حتى تفيض دماً ويهدم العيس من شدٍّ وأيضاع^(٤)

وقال [من الكامل] :

هيهات أصبح سمعه وعبانه في الترب قد حجبتهما أقداؤه^(٥)
يمسي ولين مهاده حصاؤه فيه ومؤنس ليله ظلماؤه
قد قلبت أعيانه ، وتنكرتُ أعلامه ، وتكسفت أضواؤه
مغفر وليس للذِّقِ إغفاؤه مغضٍ وليس لفكرةٍ إغضاؤه
وجهٌ كلمع البرق غاض وميضة قلبٌ كصدر العضب قلّ مضائه^(٦)
حكم البلى فيه فلو يلقى به أعداءه لرثى له أعداؤه
إنَّ الذي كان النعيم ظلالة أمسى يطنّب بالعراء خباؤه^(٧)

(١) المضلّع : القوي ذو الثقل .

(٢) العلق : النفيس الغالي .

(٣) القود : يعني الخيل التي تقاد .

(٤) العيس : النوق ، والشدُّ والايضاع : الحلّ والترحال .

(٥) العبان : الجسم الغليظ الخشن .

(٦) غاض وميضة : غاب واختفى بريقه ، والعضب السيف ، وفلّ مضائه : تقطّع حدّه القاطع .

(٧) يطنّب : أي يقيم خيائه والطنب الأعمدة .

أبدأ ، وعن ذاك الحمى ضوضاؤه
يجلو جمال روائهن رواؤه
خفراؤه ، وجياده ندمائه
بين الصوارم والعجاج رداؤه^(١)
بيد المنون ، بل العجيب بقاؤه
فليسكن طريقهم أبناؤه

قد خفّ عن ذاك الرواق حضوره
كانت سوابقه طراز فنائه
ورماحه سفراؤه ، وسيوفه
ما زال يعدو والركاب حذائه
لا تعجبنّ فما العجيب فناؤه
من طاح في سبل الردى آباؤه

ومن قصيدة رثى بها والدته [من الكامل] :

وأقول لو ذهب المقال بدائي^(٢)
لو كان في الصبر الجميل عزائي
آوي إلى أكرومتى وحيائي^(٣)
وسترتها متجملاً بردائي
بتلملي لقد آشتى أعدائي
ونسيت فيك تعززي وإبائي
أتمتها بتنفس الصّعاء
ملكّت عليّ جلاستي وعنائي
مما ألمّ فكنت أنت فدائي
في قلب آمالي وعكس رجائي
صعبٌ فكيف تفرّق القرباء
ييلى الرشاء تطاوح الأرجاء^(٤)
أثرٌ لفضلك خالدٌ بإزائي

أبكىك لو نفع الغليل بكائي
وأعوذ بالصبر الجميل تعزياً
طوراً تكأثرني الدموع ، وتارةً
كم عبرة موّتها بأناملي
أبدى التجلّد للعدو ، ولودرى
فارقيت فيك تمسّكي وتجملي
كم زفرة ضعفت فصارت أنّةً
لهفان أنزو في حبال كربةٍ
قد كنت أرجو أن أكون لك الفدا
وجرى الزمان على عوائد كيده
وتفرّق البعداء بعد مودّةٍ
وتداول الأيام ييلينا ، كما
كيف السلو وكلّ موقع لحظةٍ

(١) العجاج : الغبار .

(٢) نفع الغليل : رواه .

(٣) الأكرومة : الفعل الكريم .

(٤) الرشاء : الخبل .

وقال [من الكامل] :

قلْ للليالي قد ملكت فأسجحي
إنَّ ساءَ فعلك في فراقٍ أحبَّتي
ضوءٌ تشعشع في سوادِ ذوابتي
ولغيرك الخلق الكريم الأسجح^(١)
فلسوء فعلك في عذارى أقبح
لا أستضيء به ولا أستصبح

ومنها :

والذلُّ بين الأقربين مضاضةٌ
وإذا رمتك من الرجال قوارصُ
لو لم يكن لي في القلوب مهابةٌ
والذلُّ ما بين الأبعاد أروح^(٢)
فسهام ذي القربى أشدُّ وأجرح
لم يطعن الأعداء فيَّ ويقدحوا

وقال [من المتقارب] :

أنا ابن الأناجب من هاشمٍ
ثلاثُ برودهم بالرماح
عتاق الوجوه ، وعتق الجيا
يشفَّ الوضاء خلال الشحو
إذا لم تكن نُجُبٌ من نجبٍ
وتلوى عمائمهم بالشهب^(٣)
د في الضمر تعرفه والقيب^(٤)
ب منها وخلف الدخان اللهبُ

وقال [من السريع] :

السراح والراحة ذلُّ الفتى
ما أطيب الأمر ولو أنه
والعزُّ في شرب ضريب اللقاح^(٥)
على رزايا نعم في المراح

(١) اسجحي : يسري وسهلي ، والخلق الأسجح : اللين السهل .

(٢) المضاضة : الألم والمصيبة .

(٣) ثلاث : تلتطخ وتصاب .

(٤) عتاق الوجوه : كرامها ، والقيب : خمر البطن ودقة الخصر .

(٥) الضريب : اللبن الذي يحلب بعضه فوق بعض .

وقال وأجاد [من الرجز] :

ستعلمون ما يكون منّي إن مدّ من ضبعي طول سنّي^(١)
أدع الدنيا ولم تدعني وسعت أيامي ولم تسعني
* أفضل عنها ونضيق عني *

وقال من أخرى [من الوافر] :

تجاذبني يد الأيام نفسي نهضت وقد قعدن بي الليالي
وما ذنبي إذا اتفقت خطوبُ وبعض العدم مأثرة وفخرُ
وبعض المال منقصة وعاب^(٢) بناني والعنان إذا نبت بي
سواء من أقلّ الترب منّا ومن أرى معالمه التراب
كأنه من قول ابن نباتة [من الوافر] :

* ومن لبس التراب كمن علاه *

رجع :

وإنّ مزايل العيش اختصاراً مساوٍ للذين بقوا فشابوا^(٣)
وأوكلنا العناء إذا طلعتنا إلى الدنيا، وآخرنا الذهب
وإنّ مقام مثلي في الأعادي مقام البدر تنبّه الكلاب
رموني بالعيوب ملفقاتٍ وقد علموا بأنّي لا أعاب

(١) الضبع : ما بين الإبط ، إلى نصف العضد .

(٢) العدم : الفقر ، والعب : من العيب .

(٣) نبت : جفت ولم توافق .

(٤) مزايل : مفارق .

وَأَنِّي لَا تَرَوُّعُنِي السَّبَابُ
كَسُونِي مِنْ عِيُوبِهِمْ وَعَابُوا

وقال [من الطويل] :

إِذَا قَامَتِ الْحَرْبُ الْعَوَانُ عَلَى رَجُلٍ^(١)
وَلَكِنْ رَأَيْتَ الْجَبِينَ ضَرْباً مِنَ الْبُخْلِ
بِأَشْجَعِ مَمَّنْ يَكْرَهُ الْمَالَ بِالْبَذْلِ

سَأَبْذِلُ دُونَ الْعِزِّ أَكْرَمَ مَهْجَةٍ
وَمَا ذَاكَ أَنَّ النَّفْسَ غَيْرَ نَفِيسَةٍ
وَمَا الْمَكْرَهُونَ السَّمْهَرِيَّةَ فِي الطَّلَى

وقال في ذم بعض الناس [من البسيط] :

وَلَوْ تَنَاهَيْتَ لِي فِي الْبِرِّ وَاللِّطْفِ
مِنْ الْحَقُودِ وَعَنْوَانُ^(٢) مِنَ السَّرْفِ

اللَّهُ يَعْلَمُ مِثْلِي عَنْ جَنَابِكُمْ
فَكَيْفَ بِي وَعَلَى عَيْنِكَ تَرْجُمَةٌ

أَخْذَهُ مِنْ قَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ [من الوافر] :

تَدُلُّ عَلَى الضَّغَائِنِ وَالْحَقُودِ

وَفِي عَيْنِكَ تَرْجُمَةٌ أَرَاهَا

رجع :

إِلَى الْمَنَاجِي وَعِطْفٍ غَيْرِ مَنَعُطٍ
وَلَا أَزُورُكَ مِنْ وَجْدٍ وَلَا شَغَفٍ^(٣)
كَيْدِ الْبَغَالِ وَحَقْدِ الْخُلْدِ وَالسَّرْفِ
إِلَّا بِأَغْبَرِ نَارِيٍّ الذَّرَى قَصَفَ

أَطُوفُ مِنْكَ بِوَجْهِ غَيْرِ مَلْتَفٍ
فَمَا أَغْبُوكَ مِنْ عَذْرِ وَلَا شَغْلٍ
لَا قَدَسَ اللَّهُ نَفْساً مِنْكَ جَامِعَةً
وَلَا سَقَى الْغَيْثُ دَاراً أَنْتَ سَاكِنُهَا

وقال [من المنسرح] :

بَالٍ فَمَنْ عَاذَرِي مِنْ الطَّلَلِ

زَلَلْتُ مِنْ مَوْقِفِي عَلَى طَلَلٍ

(١) العوان : الشديدة .

(٢) الغب : الزيارة فترة بعد فترة .

لَمَّا تَأَمَّلْتَ قُبْحَ صُورَتِهِ رَجَعْتَ أَبْكَى دَمْعاً عَلَى أَمْلِي
وَجْهَهُ كَظْهِرِ الْمَجْنُونِ مُسْتَرْقِ الْحَسَنِ وَأَنْفُ كَغَارِبِ الْجَمَلِ^(١)

وقال في الخليفة القادر بالله [من الوافر] :

تَخْطِينَا الصَّفُوفَ إِلَى رَوَاقٍ تَحْجُبُ بِالصَّوَارِمِ وَالرَّمَاكِ
وَحِينًا عَظِيماً مِنْ قَرِيشٍ كَأَنَّ جَبِينَهُ فَلَقَ الصَّبَاحَ
عَلَيْهِ سَيْمَاءُ الْمَجْدِ يَبْدُو وَعِنْوَانُ الشَّجَاعَةِ وَالسَّمَاكِ^(٢)

وقال في أبي الحسن النصيح ، وقد لآمه في تأخره عنه [من مجزوء الوافر] :

أَكَا فِينَا النَّصِيحُ بَقِيَّتْ فِينَا دَائِماً أَبَدَا
تَحْتُ إِلَى الْعَلَا قَدِماً وَتَبَسُّطُ بِالنَّوَالِ يَدَا
لِئِنْ حَرَقْتَنِي عَذْلاً لَقَدْ نَوَّهْتَ بِي صَعْدَا
عَلِيَّ طُرُوقِ دَارِكُمْ وَلَيْسَ عَلَيَّ أَنْ أَرْدَا^(٣)

أخذه من قول منصور :

عَلِيَّ أَنْ أَزُورَكُمْ وَلَيْسَ عَلَيَّ أَنْ أَصْلَا

وقال [من المتقارب] :

أَبِيعَكَ بَيْعَ الْأَدِيمِ النَّغْلِ وَأَطْوِي وَدَادَكَ طِيَّ السَّجَلِ^(٤)
وَأَنْفَضَ ثَقْلَكَ عَنْ عَاتِقِي فَقَدْ طَالَمَا أَذَيْتَنِي يَا جَبِلُ
قَوَارِصَ لَفْظٍ كَحَزِّ الْمَدَى وَشِذْرَاتٍ لِحَظِّ كَوَقْعِ الْأَسْلِ^(٥)

(١) المجنّ: الدرع ، والغارب : السنام في الجمل لأنه أعلاه .

(٢) سيمياء : آثار وعلامات .

(٣) أرد : من الورد وهو الشراب ويعني الحصول على الصلة .

(٤) نغل الأديم : أي فسد في دبعه .

(٥) شذرات لحظ : أي نظرات مغضبة ، والأسل : الرماح .

وإنَّ أذلَّ الأذليْن منْ يروم بيضع النساءِ الدول^(١)
وقال [من مجزوء الكامل] :

يا ليلةَ كرمِ الزما ن بها لو آن اللَّيل باقى
كان اتفاقاً بيننا جارٍ على غير اتفاق
فاستروح المشتاق من زفرات همٍّ واشتياق
واقتصّر للحقْب الموا ضي بل تسلف للبواقي
حتى إذا نسمت ريا ح الصبح تؤذن بالفراق
برد السّوار لها فأحـميت القلادة بالعناق

وله في وزير بذل مالا كثيراً حتى يقلد الوزارة فاستصوب رأيه في ذلك [من مجزوء
الرمْل] :

اشترِ العزَّ بما بيع فما العزُّ بغال
بالقصار الصفر إن شئت وبالسّم الطوال
ليس بالمغبون حظاً مشتري عزّاً بمال
إنّما يدخر المال لحاجات الرجال
والفتى من جعل الأموال أثمان المعالي

وقال [من السريع] :

يا عذبة المبسم بلّى الجوى بنهلة من ريقك البارد^(٢)
أرى غديراً شبماً ماؤه باءٍ فهل للماء من وارد^(٣)
من لي بذاك العسل الذائب الجاري خلال البرد الجامد

(١) بضع النساء : فروجهن .

(٢) الجوى : شدة الوجد والاحتراق من العشق .

(٣) الشبم : البارد .

وقال [من الطويل] :

وسالمتُ لما طالت الحرب بيننا إذا لم تظفرُ في الحروب فسالم

وقال [من الطويل] :

لنا الدوحة العليا التي نزعَتْ لها إذا كان في جوِّ السماء عروقتها
إلى المجد أغصان الجدود الأطايب فأين عواليها وأين الذوائب؟

وله في غلام أعجمي [من الطويل] :

حببي ما أزرى بحبك في الحشا بنفسي من يستدرج اللفظ عجمةً
ولا غضّ عندي منك أتك أعجمُ كما يمضغ الطبي الأراك ويغم^(١)

وقال [من البسيط] :

كم المقام على جيلٍ سواسية تشاغل الناس باستدفاع شرهمُ
ترجو الندى من إناءٍ قطماً رشحا عن أن تسومهمُ الإِطاء والمنحاح

وقال [من الكامل] :

واهأ على عهد الشباب وطيبه واهأ له ما كان غير دجّةٍ
والغضّ من ورق الشباب الناصرِ قلصت صبابتها كظل الطائر^(٢)
وأرى المنايا إن رأت بك شيةً جعلتك مرمى نبلها المتواتر
لو يفتدي ذاك السواد فديته بسواد عيني بل سواد ضمائري
أبياض رأسٍ واسوداد مطالبٍ؟ صبراً على حكم الزمان الجائر!

وكان عمل قصيدة في بهاء الدولة وأنفذها إليه ، فنسبه بعض الحساد إلى

الترفع عن إنشادها ، فقال [من الطويل] :

(١) بغمت الظبية : صاحت إلى ولدها بأرحم ما يكون من صوتها ، تعطف عليه .

(٢) دجّة : الظلمة ، أو الغيم الكثير المظلم .

جناني شجاعٌ إن مدحت ، وإنما
وما ضرَّ قوَّالاً أطاع جنانه
وربَّ حَيٍّ في السَّلام وقلبه
وربَّ وقاح الوجه تحمل كفه
وفخر الفتى بالقول لا بنشيد
ولساني إن نسيم التَّشيد جبانٌ
إذا خانه عند الملوك لسان
وقاحٌ إذا لفَّ الجياد طعانٌ^(١)
أنامل لم يعرق بهنَّ عنان
ويروي فلانٌ مرَّةً وفلان

وورد عليه أمر أشغل قلبه فقال [من السريع] :

إن أنشب الخطب فلا روعةً أو عظم الأمر فصبرٌ جميل
فليهن المرء بأيامه أنَّ مقام المرء فيها قليل
إنَّا إلى الله وإنَّا له وحسبنا الله ونعم الوكيل

بعونه تعالى قد تم طبع القسم الثاني من يتيمة الدهر ، حسب تقسيم المؤلف
رحمه الله تعالى ، ويتلوه - إن شاء الله تعالى - القسم الثالث ، ويشتمل على ملح
أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان .

نسأل الذي بيده الحول والطول أن يعين على إكماله ، بمنه وفضله .

(١) الوقاح : الصلب والجريء .

القسم الثالث

من يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر
وهو يشتمل على ملح أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله على آلائه ، وأسأله شكر نعمائه ، وأصلي على محمد المصطفى المختار ، وآله وصحبه الأطهار .

وبعد ، فلما تم القسم الثاني من يتيمة الدهر أتبعته بالقسم الثالث منها ، وهو يشتمل على ملح أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان من وزراء الدولة الديلمية وكتابها وقضاتها وشعرائها ، وسائر فضلائها وغربائها ، وما يضاف إليها من أخبارهم ، وغرر ألفاظهم .

الباب الأول

١٤ - في ذكر ابن العميد ، وإيراد لمع من أوصافه وأخباره وغرره
من نثره ونظمه

هو أبو الفضل محمد بن الحسين ، عين المشرق ولسان الجبل وعماد ملك
آل بويه وصدر وزرائهم وأوجد العصر في الكتابة ، وجميع أدوات الرياسة ، وآلات
الوزارة ، والضارب في الآداب بالسهام الفائزة ، والآخذ من العلوم بالأطراف
القوية ، يدعى الجاحظ الأخير ، والأستاذ ، والرئيس ، يضرب به المثل في
البلاغة ، وينتهي إليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة ، مع حسن الترسل وجزالة
الألفاظ وسلاستها ، إلى براعة المعاني ونفاستها . وما أحسن وأصدق ما قال له
الصاحب - وقد سأله عن بغداد عند منصرفه عنها - بغداد في البلاد ، كالأستاذ في
العباد . وكان يقال : بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد . وقد
أجرى ذكرهما معاً مثلاً أبو محمد عبد الله بن أحمد الخازن الأصبهاني في قصيدة
فريدة مدح بها الصاحب ، فلما انتهى إلى وصف بلاغته قال وأحسن ما شاء [من
البيسط] :

دعوا الأقاصيص والأنباء ناحية	فما على ظهرها غير ابن عباد
والي بيان متى يطلق أعتته	يدع لسان إياد رهن أقياد
ومورد كلمات عطلت زهراً	على رياض ودرأ فوق أجياد
وتارك أولاً عبد الحميد بها	وابن العميد أخيراً في أبي جاد

ولم يرث ابن العميد الكتابة عن كلاله ، بل كان كما قال ذو الرمة في وصف صياد حاذق [من البسيط] :

ألفى أباه بذاك الكسب يكتسب

لأن أباه أبا عبد الله الحسين بن محمد المعروف بكَلَّة^(١) في الرتبة الكبرى من الكتابة ورسائله مدونة بخراسان .

وذكر أبو إسحاق الصابي في الكتاب التاجي أن رسائل أبي عبد الله لا تقصر في البلاغة عن رسائل ابنه أبي الفضل ، وعندي أن هذا الحكم من أبي إسحاق فيه حيفٌ شديد على ابن العميد ، والقاص لا يحب القاص .

ومن خبر أبي عبد الله أن أصله من قم ، وكان يكتب لما كان بن كاكي ، فلما قتل ما كان في المعركة واستبيح عسكره ، وحمل قواده وخواصه مقرنين في الأصفاذ إلى الحضرة ببخارى ، وفي جملتهم أبو عبد الله نفعت شفاعته فضله ونبله . فأطلق عنه وأكرم ورتب في الدار السلطانية . ولما تقلد ديوان الرسائل للملك نوح بن نصر . ولقب الشيخ كالعادة فيمن يلي ذلك الديوان حسده أبو جعفر محمد بن العباس بن الحسين الوزير ، فقال فيه [من الطويل] :

تظلم ديوان الرسائل كله إلى الملك القرم الهمام وحق له من أبيات أنسانيتها تطاول المدة بها ، واستعجم علي مكانها ، وكان إذ ذاك أبو القاسم علي بن محمد النيسابوري الإسكافي يكتب في ديوانه ، ويرى نفسه أحق برتبته ومكانه ، ويتمنى زوال أمره ليقوم مقامه ، ويقعد مقعده . وله فيه أبيات تستعطف وتستملح ، فمنها قوله [من مجزوء الرجز] :

وقائل ماذا الذي من كَلَّةٍ تطلبه

(١) الكَلَّة : الصوفة الحمراء في رأس الهودج وهي كنية تدل على شهرته .

قلت له أطلب أن يقلب منه لقبه

وقوله فيه ، وكان يحضر الديوان في محفة لسوء أثر النقرس^(١) على قدمه [من مجزوء الكامل] :

يا ذا الذي ركب المحفة جامعاً فيها جهازه
أترى الإله يعيشني حتى يرينها جنازة

وقوله فيه ، وقد استوزر والديوان برسمه [من الطويل] :

أقول وقد سرنا وراء محفة وفيها أبو عبد الإله كسيرا
شقاؤك من شكاوك ثم شقاؤنا من أيام سوء قدمك وزيرا
ترقيك من هذي المحفة حية إلى النعش محمولاً تصر صريرا^(٢)

ولم تطل الأيام حتى أتت على أبي عبد الله منيته ، ووافت أبا القاسم أمنيته ،
وتولى ديوان الرسائل فسبق من قبله وأتعب من بعده ، ولم يزل أبو الفضل في حياة
أبيه وبعد وفاته بالري وكور الجبل وفارس . يتدرج إلى المعالي ويزداد على الأيام
فضلاً وبراعة ، حتى بلغ ما بلغ ، واستقر في الذورة العليا من وزارة ركن الدولة ،
ورئاسة الجبل ، وخدمه الكبراء ، وانتجعه الشعراء ، وورد عليه أبو الطيب
المتنبي عند صدوره من حضرة كافور الإخشيدي ، فمدحه بتلك القصائد
المشهورة السائرة التي منها [من الكامل] :

من مبلغ الأعراب أنني بعدهم شاهدت رسطاليس والإسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه متملكاً متبدياً متحضراً
ولقيت كل الفاضلين كأنما ردّ الإله نفوسهم والأعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرأ

(١) النقرس : مرض يصيب المفاصل ويترك فيه آثاراً وتقلصات .

(٢) ترقيك : تلدغك ، تصر : تصوت .

بأبي وأمي ناطقٌ في لفظه ثمنٌ تباع به القلوب وتشتري
قطف الرجال القول وقت نباته وقطفت أنت القول لما نوراً

ومدحه الصاحب بمدح كثيرة استفرغ فيها جهده ، وألقى حميته ، فمن
عيون شعره فيه قوله من قصيدة [من الخفيف] :

من لقلبٍ يهيم في كلِّ وادٍ وقتيلٌ للحبِّ من غير وادٍ
إنّما أذكر الغواني والمقصد سعدي مكثراً للسّواد
وإذا ما صدقت فهي مرامي ومناثي وروضتي ومرادي
وندى ابن العميد إنّي عميدٌ من هواها أليّة الأمجاد^(١)
لو درى الدهر أنّه من بنيه لازدرى قدر سائر الأولاد
أو رأى الناس كيف يهتزّ للجو د لما عدّوه في الأطواد^(٢)
أيّها الأملون حطّوا سريعاً برفيع العماد واري الزناد
فهو إنّ جاد ضنّ حاتم طيٍّ وهو إنّ قال قلّ قسّ إِياد
وإذا ما ارتأى فأين زياد من علاه وأين آل زياد
أقبل العيد يستعير حلاه من علاه العزيزة الأنداد
سيضحّي فيه لمن لا يواليه ويبقى بقيّة الأعياد
ومديحي إنّ لم يكن طال أيبا تاً فقد طال في مجالي الجياد
إن خير المداح من مدحته شعراء البلاد في كلِّ ناد

ما أحسن ما أدمج الافتخار في أثناء المدح ! وإنّما ألم فيه بقول يزيد بن
محمد المهلب لابن المدبر [من الخفيف] :

إن أكن مهدياً لك الشعر إنّي لابن بيت تهدي له الأشعار

(١) الأليّة : القسم .

(٢) الأطواد : جمع طود وهو الجبل الثابت .

ومن مختار شعر الصاحب قوله فيه وقد قدم إصبهان [من الكامل] :

قدم الرئيس مقدماً في سبقه وكأنما الدنيا جرت في طرقه
فجبالها من حلمه ، وبحارها من جوده ، ورياضها من خلقه
وكانما الأفلاك طوع يمينه كالعبء منقاداً لمالك رقه
قد قاسمته نجومها : فنحوسها لعدوه ، وسعودها في أفقه
ما زلت مشتاقاً لنور جبينه شوق الرياض إلى السحاب وودقه^(١)
حتى بدا من فوق أجرد سابحٍ إن قال فتُ الريح فاه بصدقه
يحكي السحاب طلوعه فضيله من رعده ومسيره من برقه
فنظمت مدحاً لا وفاء بمثله وسجدت شكراً لا نهوض بحقه

وقوله [من مجزوء الكامل] :

قالوا : ربيعك قد قدم فلك البشارة بالنعيم
قلت : الربيع أخو الشتاء أم الربيع أخو الكرم ؟
قالوا : الذي بنواله يغني المقل عن العدم
قلت : الرئيس ابن العميد مد إذاً ؟ فقالوا لي : نعم !

وقوله [من المنسرح] :

أما ترى اليوم كيف جادلنا بمستهلّ الشؤبوب منسجمه^(٢)
يحكي أبا الفضل في تفضله هيهات أن يعتزى إلى شيمه^(٣)
كم حاسدٍ لي وكنت أحسده يقول من غيظه ومن ألمه :
نال ابن عباد المنى كمالاً إذ عدّه ابن العميد من خدمه

(١) الودق : المطر المنهمر بهدوء .

(٢) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، أو شدتها .

(٣) الشيم : الصفات الحميدة ، والسجيا .

وقوله في توديعه [من المتقارب] :

أودّع حضرتك العالية	ونفسي لا دمعتي هاميه
ومن ذا يودّع هذا الجنب	فتهنؤه بعده العافيه
جنباً رعيت به جنة	قطوف مكارمها دانيه ^(١)
رأيت به فائضات العلا	وعلمت ما للهمم العاليه
كأنني بغداد في شوقها	إليك وأدمعها الجاريه
وأنت المرجى لأظفارها	بآمالها وبآماليه
ولو كنت تأذن لي في المسير	إذا سرت في جملة الحاشيه
سبقت جوادك مدّ الطريق	وسرت وفي يدي الغاشيه ^(٢)

ولابن خلاد القاضي فيه مدح تشوبها ملح ، كقوله [من الوافر] :

بأسعد طالع عيّدت يا من	بطلعته سعادة كلّ عيد
فعشّ ما شئت كيف تشاء والبسّ	جديد العمر في زمنٍ جديد
فقد شهدت عقول الخلق طراً	وحسبك بالبصائر من شهود
بأنّ محاسن الدنيا جميعاً	بأفنية الرئيس ابن العميد

ولأبي الحسن البديهي فيه من قصيدة [من المتقارب] :

إذا اعتمدتني خطوب الزمان	وكان اعتمادي على ابن العميد
تذكرت قربي من قلبه	فيمّمته من مكانٍ بعيد
تجاوز في الجود حدّ المزيّد	وجلّ نذاه عن المستزيد
وفات الأنام ، وفاق الكرام	برأيٍ سديدٍ ، وبأسٍ شديد

ومما يستبدع فيه ويستحسن معناه قول أبي علي [بن] مسكويه له عند

(١) دانيه : أي مذلة سهلة الجناء .

(٢) الغاشية : سورة من القرآن الكريم ، والغاشية الغطاء ، وغلاف القلب .

انتقاله إلى قصر جديد بناه [من البسيط] :

لا يعجبنيك حسن القصر تنزله فضيلة الشمس ليست في منازلها
لو زيدت الشمس في أبراجها مائة ما زاد ذلك شيئاً في فضائلها
وأنشده ابن أبي الشباب^(١) في يوم مهرجان قصيدة في مدحه أولها [من الطويل] :
أقبر لنا طَلَّت ثراك يد الطلِّ وحيًا الحيا المسكوب ذلك من ثلٍّ^(٢)

فتطير من الافتتاح بذكر القبر ، وتنغص باليوم والشعر ، وفي هذه القصيدة :
نعيمٌ فقدناه فما نرتجي له معاودةً إلا بفضل أبي الفضل
ودخل أبو بشر الفارسي الحافظ - وكان متقدماً في علم العربية ، متأخراً في
قول الشعر - عليه يوماً ، وقد هاج به النقرس فأنشده [من الهزج] :

شكى النقرس نقريسٌ أخو علمٍ ونطيس
فما دام لكم قوسٌ فنفسى لكم جوس^(٣)

فقال له : يا أبا بشر ، هذه رقية النقرس .

ولا غنى لهذا الشعر عن التفسير ، النقريس : الداهية ، والحاذق من
الادلاء ، والنطيس : الفطن بالأمر العالم بها ، وأنشد [من الرجز] :

وقد أكون مرةً نطيساً طباً بأدواء النساء نقريسا

والقوس : صومعة الراهب ، والجوس : جمع جايس ، والجوسان : التردد ،
وفي القرآن (فجاسوا خلال الديار) .

(١) في نسخة « ب » « ابن أبي الشباب » .

(٢) ورد صدر هذا البيت هكذا « أقبورنا طَلَّت ثراك يد الطلِّ » وهو غير مستقيم الوزن ، والنل : الغيم المتصّبب .

(٣) الجوس : الجوع أو شدة النظر وتتابعه .

ومن أمثل شعر أبي بشر قوله [من المتقارب] :

وأني لا أكره من شيمتي زيارة حيّ بلا منفعه
ولا أحمد القول من قائلٍ إذا لم يكن منه فعلٌ معه
ومن ضاق ذرعاً بإكرامنا فلسنا نضيّق بأنْ نقطعه

وكان كل من أبي العلاء السروي ، وأبي الحسن العلوي العباسي ، وابن خلاد القاضي ، وابن سمكة القمي ، وأبي الحسين بن فارس ، وأبي محمد بن هندو، يختص به ويدخله ويناديه حاضراً ، ويكاتبه ويجاويه ويهاديه نثراً ونظماً ، ويقال : إن أحسن رسائله الإخوانيات وما كاتب به أبا العلاء ، لصدوره عن صدر مائل إليه محب له مناسب بالأدب إياه .

* * *

فصل من رسالة له إليه في شهر رمضان وهو مما لم يسبق إليه

كتابي - جعلني الله فداك - وأنا في كدٍّ وتعب ، منذ فارقت شعبان وفي جهد ونصب من شهر رمضان ، وفي العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر من ألم الجوع ووقع الصوم . ومرتهن بتضاعف حرور^(١) لو أن اللحم يصلّي ببعضها غريضاً^(٢) أتى أصحابه وهو منضج ، وممتحن بهواجر يكاد أوارها يذيب دماغ الضبّ ويصرف وجه الحرباء عن التحنّق ، ويزويه عن التبصر ، يقبض يده عن إمساك ساق وإرسال ساق [من البسيط] :

ويترك الجباب في شغلٍ عن الحقب ويقدح النار بين الجلد والعصب^(٣)

(١) الحرور : شدة اللهب .

(٢) الغريض : الطازج .

(٣) الجاب : حمار الوحش .

ويغادر الوحش وقد مالت هواديها [من الطويل] :

سجوداً لدى الأرضى كأنّ رؤوسها علاها صداغٌ أو فواقٌ يصورها^(١)

وكما قال الفرزدق [من الطويل] :

ليومٍ أتت دون الظلال شموسه تظلُّ المها صوراً جماجمها تغلي

وكما قال مسكين الدارمي [من الطويل] :

وهاجرةً ظلت كأنّ طباءها إذا ما اتقتها بالقرون سجودٌ
تلوذ بشؤبوبٍ من الشمس فوقها كما لاذ من وخز السنّان طريد

وممنوّ بأيام تحاكي ظل الرمح طولاً ، وليال كإيهام القطاة قصراً ، ونوم كلا
ولا قلة ، وكسحو الطائر من ماء الثماد دقة^(٢) ، وكتصفية الطائر المستحرّ خفة [من
الطويل] :

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامةً فلما رجوها أقشعت وتجلّت
وكنقر العصافير وهي خائفةً من النواطير يانع الرطب^(٣)

وأحمد الله على كل حال ، وأسجله أن يعرفني فضل بركته ، ويلقيني الخير
في باقي أيامه وخاتمته ، وأرغب إليه في أن يقرب على القمر دوره ، ويقصر سيره ،
ويخفف حركته ، ويعجل نهضته . وينقض مسافة فلكه ودائرته ، ويزيل بركة
الطول من ساعاته ، ويرد عليّ غرة شوال فهي أسر الغرر عندي وأقرّها لعيني ،

(١) الأرضى : شجر له ثمر كالعناب ، والفواق : الميل والانكسار في الفوق ، وهو موقع الوتر من رأس
السهم ، ويصورها : يلويها .

(٢) الثماد : الماء القليل .

(٣) البيت من المنسرح ، والكاف ليست منه ، وإنما اجتلبها للتشبيه .

ويسمعي النعرة^(١) في قفا شهر رمضان ويعرض على هلاله أخفى من السر ، وأظلم من الكفر ، وأنحف من مجنون بني عامر ، وأضنى من قيس بن ذريح ، وأبلى من أسير الهجر ، ويسلط عليه الحور بعد الكور^(٢) ، ويرسل على رفاقته التي يغشى العيون ضوءها . ويحط من الأجسام نوءها^(٣) ، كلفا يغمرها ، وكسوفاً يسترها ، ويرينيه مغمور النور ، مقمور الظهور ، قد جمعه والشمس برج واحد ودرجة مشتركة . وينقص من أطرافه كما تنقص النيرات من طرف الزند ، ويبعث عليه الأربعة ، ويهدي إليه السوس ، ويغري به الدود ، ويبلية بالفار ويخرمه بالجراد ، ويبده بالنمل ، ويجتحمه بالذر ، ويجعله من نجوم الرجم . ويرمي به مسترق السمع . ويخلصنا من معاودته ، ويريحنا من دورته ، ويعذبه كما عذب عباده وخلقه ، ويفعل به فعله بالكتان ويصنع به صنعه بالألوان ، ويقابله بما تقتضيه دعوة السارق إذا افتضح بضوئه وتهتك بطلوعه (ويرحم الله عبداً قال آميناً)^(٤) وأستغفر الله جل وجهه بما قلته إن كرهه ، وأستغفیه من توفيقی لما يذمه ، وأسأله صفحاً يفيضه ، وعفواً يسيغه ، وحالي بعد ما شكوته صالحة ، وعلى ما تحب وتهوى جارية ، والله الحمد تقدست أسماؤه والشكر .

وقد أجمع أهل البصيرة في الترسل على أن رسالته التي كتبها إلى ابن بلكا ونداد خورشيد عند استعصائه على ركن الدولة غرة كلامه ، وواسطة عقده وما ظنك بأجود كلام ، لأبلغ إمام ؟

* * *

(١) النعرة : الأمر الذي يهيم به .

(٢) الكور : موضع الزناير ، وهي من الذباب الأليم اللسع .

(٣) النوء : الاضطراب والشدة .

(٤) هذا عجز بيت من البسيط ينسب لمجنون ليل وصدره « يارب لا تسلبني حبها أبدا » .

فصل من أولها

كتابي وأنا مترجّح بين طمع فيك ، ويأس منك ، وإقبال عليك ، وإعراض عنك ، فإنّك تدلّ بسابق حرمة ، وتمتّ بسالف خدمة ، أيسرهما يوجب رعاية ، ويقتضي محافظة وعناية ، ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة^(١) ، وتتبعهما بأنف خلاف ومعصية . وأدنى ذلك يحبط أعمالك ، ويمحق كل ما يرمى لك ، لا جرم أني وقفت بين ميل إليك ، وميل عليك : أقدم رجلاً لصدمك . وأؤخر أخرى عن قصدك ، وأبسط يداً لاصطلامك واجتياحك^(٢) ، وأثني ثانية لاستبقائك واستصلاحك ، وأتوقف عن امثال بعض المأمور فيك ، ضناً بالنعمة عندك ، ومنافسة في الصنعة لديك ، وتأميلاً لفيتتك وانصرافك ، ورجاء لمراجعتك وانعطافك ، فقد يغرب العقل ثم يؤوب ، ويعزب اللب ثم يثوب ، ويذهب الحزم ثم يعود ، ويفسد العزم ثم يصلح ، ويضاع الرأي ثم يستدرك ، ويسكر المرء ثم يصحو ، ويكدر الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة إلى رخاء ، وكل غمرة فإلى انجلاء^(٣) . وكما أنك أتيت من إساءتك بما لم تحتسبه أوليائك ، فلا بدع أن تأتي من إحسانك . بما لا ترتقبه أعداؤك ، وكما استمرت بك الغفلة حتى ركبت ما ركبت ، واخترت ما اخترت . فلا عجب أن تنتبه انتباهة تبصر فيها قبح ما صنعت ، وسوء ما آثرت . وسأقيم على رسمي في الإبقاء والمماطلة ما صلح ، وعلى الاستيناء والمطاوله ما أمكن^(٤) ، طمعاً في إنابتك^(٥) ، وتحكماً لحسن الظن بك ، فلست أعدم فيما أظاھرہ من أعذار ، وأرادفه من إنذار ، احتجاجاً عليك

(١) الغلول : الحقد والغش .

(٢) الاصطلام : الاقتطاع من الأصل .

(٣) يعزب : يبعد ويغيب .

(٤) الغمرة : الشدة .

(٥) الاستيناء : التمهّل .

(٦) الإنابة : العودة والتوبة .

واستدرجاً لك ، فإن يشأ الله يرشدك ، ويأخذ بك إلى حظك ويسدّدك ، فإنه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير .

* * *

فصل منها

وزعمت أنك في طرف من الطاعة ، بعد أن كنت متوسطها ، وإذا كنت كذلك فقد عرفت حالها ، وحلبت شطريها . فنشدتك الله لما صدقت عما سألتك . كيف وجدت ما زلت عنه ؟ وكيف تجد ما صرت إليه ؟ ألم تكن من الأول في ظلّ ظليل ، ونسيم عليل ، وريح بليل ، وهواء عذى^(١) وماء روي ، ومهاد وطني ، وكنّ كنين^(٢) ، ومكان مكين ، وحصن حصين . يقيك المتالف^(٣) ، ويؤمنك المخاوف . ويكنفك من نوائب الزمان ، ويحفظك من طوارق الحدّثان ، عززت به بعد الذلة ، وكثرت بعد القلة ، وارتفعت بعد الضعة ، وأيسرت بعد العسرة ، وأثريت بعد المتربة^(٤) ، واتسعت بعد الضيقة ، وظفرت بالولايات ، وخفقت فوقك الرايات ، ووطىء عقبك الرجال ، وتعلّقت بك الآمال ، وصرت تكاثر ويكاثر بك ، وتشير ويشار إليك ، ويذكر على المنابر اسمك ، وفي المحاضر ذكرك . فقيم الآن أنت من الأمر ؟ وما العوض عما عددت ، والخلف مما وصفت ؟ وما استفدت حين أخرجت من الطاعة نفسك ، ونفضت منها كفّك ، وغمست في خلافتها يدك ؟ وما الذي أظلك بعد انحسار ظلّها عنك ؟ أظلّ ذو ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغني من اللهب ؟ قل نعم ! كذلك ،

(١) العذى : الهواء الخالص .

(٢) الكنّ : الحصن والستر .

(٣) المتالف : الأذى والضّرر .

(٤) المتربة : الفقر .

فهو والله أكثف ظلالك في العاجلة ، وأروحها في الآجلة ، إن أقمت على المحايدة والعنود^(١) ، ووقفت على المشاقة والجحود .

ومنها - تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابي ، فستكرها ، والمس جسدك ، وانظر هل يحس ؟ واجسس عرقك هل ينبض ؟ وفتش ما حنا عليك هل تجد في عرضها قلبك ؟ وهل حلى بصدرك أن تظفر بفوت سريح ، أو موت مريح ؟ ثم قس غائب أمرك بشاهده ، وآخر شأنك بأوله .

قال مؤلف هذا الكتاب :

بلغني عن بلكا - وكان أدب أمثاله - أنه كان يقول : والله ما كانت لي حال عند قراءة هذا الفصل إلا كما أشار إليه الأستاذ الرئيس ، ولقد ناب كتابه عن الكتاب في عرك أديمي واستصلاحي ، وردى إلى طاعة صاحبه .

أقرأني أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي - وقد اجتمعنا بإسفرائين عند زعيمها أبي العباس . الفضل بن علي - فصلاً من كتاب لابن العميد إلى عضد الدولة ، وكنت مررت عليه وأنا عنه غافل ، فنبهني على شرفه في جنسه ، وحرك مني ساكناً معجباً بحسنه متعجباً من نفاسة معناه ، وبراعة لفظه ، وهو : قد يعد أهل التحصيل في أسباب انقراض العلوم وانقباض مددها . وانتقاض مررها . والأحوال الداعية الى ارتفاع جل الموجود منها ، وعدم الزيادة فيها : الطوفان بالنار والماء ، والموتان العارض من عموم الأوباء ، وتسلب المخالفين في المذاهب والآراء ، فإن كل ذلك يخترم العلوم احتراماً . وينتهكها انتهاكاً ، ويجتث أصولها اجتثاثاً ، وليس عندي الخطب في جميع ذلك يقارب ما يولده تسلط ملك جاهل تطول مدته ، وتوسع قدرته . فإن البلاء به لا يعدله بلاء ، وبحسب عظم المحنة بمن هذه صفته ، والبلوى بمن هذه صورته ، تعظم النعمة

(١) العنود : الميل عن القصد .

في تملك سلطان عالم عادل ، كالأمير الجليل الذي أحله الله من الفضائل بملتقى طرقها ، ومجتمع فرقها ، وهي نور ، نوافر ممن لاقت حتى تصوير إليه ، وشرذ نوازع حيث حلت حتى تقع عليه . تتلفت إليه تلفت الواثق^(١) وتشوف^(٢) نحوه تشوف الصب العاشق . قد ملكتها وحشة المضاع ، وحيرة المرتاع :

فإن تغش قوماً بعده أو تزورهم فكالوحش يدينها من الأنس المحل

* * *

وهذه فصول قصار له تجري مجرى الأمثال

وقد أخرجتها مما أخرجه الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي ، من غرره وفقره ، وكفاني شغلاً شاغلاً ، وقادني منه شكره ، وليست تنكر أياديه عندي .

فمنها : من أسر داءه ، وستر ظمأه بعد عليه أن يبل من غلله ويبل من عله^(٣) * متى خلصت للدهر حال من اعتوار أذى^(٤) ، وصفا فيه شرب من اعتراض قذى * خير القول ما أغناك جده ، وألهاك هزله * الرتب لا تبلغ إلا بتدرج وتدرج ، ولا تدرك إلا بتجشّم كلفة وتصعب^(٥) * المرء أشبه شيء بزمانه ، وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه * قد يبذل المرء ماله في إصلاح أعدائه ، فكيف يذهل العاقل عن حفظ أوليائه * هل السيد إلا من تهابه إذا حضر ، وتغتابه إذا أدبر * اجتنب سلطان الهوى ، وشيطان الميل ، وغلبة الإرادة * المزح والهزل بابان إذا

(١) الواثق : المحب والعاشق .

(٢) تشوف : تترين وتتطلع .

(٣) يبل : يرتوي ، ويبل من عله : يشفى .

(٤) الاعتوار : التداول .

(٥) تجشّم : كابد وعانى .

فتحا لم يغلقا إلا بعد العسر ، وفحلان إذا ألقحا لم ينتجا غير الشر .

* * *

ما أخرج من المكاتبات بالشعر التي دارت بينه وبين ابن جلاّد القاضي

أهدى ابن خلاد إلى ابن العميد شيئاً من الأطعمة ، وكتب إليه في وصفها ،
وابن العميد إذ ذاك في عقب مرض عرض له ، فكتب إلى ابن خلاد قصيدة أولها
[من البسيط] :

قل لابن خلاد المفضى إلى أمد في الفضل برز فيه أي تبريز
يعدى اهتزازك للعلياء كل فتى مؤخر عن مدى الغايات محجوز
ماذا أردت إلى منهوض نائبة مدفع عن حمى اللذات ملهوز^(١)
هزرت بالوصف في أحشائه قرماً ما زال يهتز فيها غير مهزوز^(٢)
لم يترك فيه فحوى ما وصفت له من الأطايب عضواً غير محفوظ^(٣)
أهديت نبرمة أهدت لآكلها كرب المطامير في آب وتموز^(٤)
(نبرمة) هكذا في النسخة ، ولست أعرفها ، وأظن أنها شيء يجمع من
الحبوب ، ويدق ويعجن بحلاوة .

ما كنت لولا فساد الحسن تأمل في جنس من السمن في دوشاب شهريز^(٥)
هل غير شتى حبوب قد تعاورها جيش المهاريس أو نخز المناخيز
رمت الحلاوة فيها ثم جئت بها تحذى اللسان بطعم جد ممزوز

(١) الملهوز : المدفوع الممنوع .

(٢) القرم : الطعام .

(٣) المحفوظ : المطعون .

(٤) المطامير : جمع مطمورة وهي الحفرة في جوف الأرض .

(٥) الشهريز والسهريز ، وبالضم والكسر : نوع من التمر يذكر صاحب القاموس أنه معروف .

لو ساعدتك بنو حواء قاطبةً
أوقعت للشعر في أوصافها شغلاً
لا أحمد المرء أقصى ما يجود به
ما متعة العين من خدٍّ تورده
مستغرب الحسن في توشيع وجنته
يوفي على القمر الموفى إذا اتصلت
أشهى إليك من الشيراز قد وضحت
وقد جرى الزيت في مثنى أسرتها
ماذا السماح بتقريظ وتزكية
ومنها :

لا غرو إن لم ترح للجود راحته فالبخل مستحسنٌ في شيمة الخوزي^(٥)
هكذا في النسخة ، وأظن أنه * لم ترح للجود رائحة * .

فأجابه ابن خلاد بقصيدة منها [من البسيط] :

يا أيها السيد السامي بدوحتي تاج الأكاسر من كسرى وفيروز
أتى قريضك يزهى في محاسنه زهو الربى باشرت أنفاس نيز
يا حسنه لو كفينا حين يبهجنا خطب النبارم فيه والشواريز
أقررت بالعجز والألباب قد حكمت به عليّ فقدك اليوم تعجيزي

(١) الملموز : المعيب المطعون فيه .

(٢) الشواريز : جمع شيراز وهو اللبن الرائب المستخرج ملاؤه .

(٣) التوشيع : التزين ، والتسليم : التخطيط وهما أيضاً ضربان من ضروب البديع .

(٤) خيلان شونيز : الخيلان جمع خال وهو علامة في الوجه ، وشونيز : إسم بلد .

(٥) الخوزي : نسبة إلى خوزستان .

جَوْز قريضي في بحر القريض فكم
 إن عدت في حلبة تجري بها طمعاً
 إنّا لمن معشرٍ حطّوا رحالهم
 لا نعرف الكسم والطرذين يوم قرى
 من قائلٍ عدّ قوالاً بتجويز
 إنّي لأشجع من عمرو بن جرموز
 لما استببروا على أسطمة الخوز^(١)
 ولا الغبوق على لحمٍ وخاميز^(٢)
 وأهدى ابن خلاد إليه كتاباً في الأطعمة . وابن العميد ناقه من علة كانت به ،
 فكتب إلى ابن خلاد قصيدة منها [من المتقارب] :

فهمت كتابك في الأطعمة وما كان نولي أن أفهمه
 فكم هاج من قرمٍ ساكنٍ وأوضح من شهوةٍ مبهمه^(٣)
 وأرث في كبدي غلةً من الجوع نيرانها مضره
 فكيف عمدت به ناقهاً جوانحه للطوى مسلمه^(٤)
 خفوق الحشى إن تصخ تستمع من الجوع في صدره هممه
 تتيح له شرهاً موجعاً وتغري به نهمه مؤلمه
 فأين الإخاء وما يقتضيه منك بأسابنا المبرمه
 وأين تكرمك المستفيض فينا إذا غاضت المكرمه
 وهلا أضفت إلى ما وصفـت شيئاً نهش لأن نطعمه
 يمدُّ الصديق إليه يداً إذا ما رآه ويشجى فمه
 وأين شواريزك المرتضاة إذا ما تفاضلت الأطعمة
 وأين كواميخك المجتباة دون الأطايب بالتركمه

(١) استببروا : أهلكوا ، والأسطمة : أوساط القوم وأشرافهم ، والخوز : إسم يطلق على بلاد خوزستان .

(٢) الكسم والطرذين : من الأطعمة ، والخاميز : مرق السكباغ المبرد المصفى من الدهن .

(٣) القرم : الطعام والشوق إليه .

(٤) الناقه : من يفهم الحديث ونحوه ، والطوى : الجوع .

وهل أنت راضٍ بقولي إذا
 إذا المرء أكرم شيرازه
 وكيف ارتقابي بقياً امرئ
 فإن كان يجذبك نعت الطعام
 إذا جعت فاعمد لمسموطة
 متى قستها بالمنى جاءتا
 وبزّ السراويل عن أفرخ
 تهبّ النفوس إلى نيّها
 فلا الفم إن ذاقه مجّه
 ودونك وسطاً أجاد الصنا
 وعالي على دقّه هيدبا
 سدىً من نتائف نيرت بهنّ
 فمن صدر فائقة قد ثوت
 ودثّر بالجوز أجوازه
 وقاني بزيتونها والجبن
 فمن أسطرٍ فيه مشكولة
 وفوفٍ بالبقل أعطافه
 موشى تخال به مطرفاً
 إذا ضاحكتك تباشيره

ذكرت : دعوه فما ألّمه !
 فلا أكرم الله من أكرمه
 إذا ليم أعتب بالنبرمه^(١)
 إذا الجوع ناب أذاه فمه^(٢)
 بجوذابة الموز مستفرمه
 سواءً كما جاءت الأبلمه^(٣)
 تخال بها فلذ الأسنمه
 كأنّ النفوس بها مغرمه
 ولا الطبع إن زاره استوخمه
 ع تلفيق شطريه بالهندمه
 كثيفاً كما تحمل المقرمه^(٤)
 فأضحت نسائجها ملحمه^(٥)
 ومن عجز ناهضة ملقمه
 ودرهم باللوز ما درهمه
 صفائح من بيضة مدعّمه
 ومن أسطرٍ كتبت معجمه
 فوافى كحاشية معلمه^(٦)
 بديع التفاويف والنّمنه
 أضاءت له المعدة المظلمه

(١) ليم : من اللوم .

(٢) يجذبك : يجلو لك ، مه : اسم فعل مبني على السكون بمعنى « كف » .

(٣) الأبلمة : يقال : المال بيننا شقّ الأبلمة ، أي نصفين .

(٤) الهيدبا : الشعر الكثير ، والمقرمه : محبش الفراش .

(٥) السدى من الثوب : ما مدّ من ، ونيرت : أي جعل خيوطه طويلاً ، لها نير ، وهو جمع الخيوط الى القصب .

(٦) فوف : طرز وزين ، ومعلمه : مزينه ومخططه .

وهالك خبيصاً إذا ما اقترحت
 إذا سار في ثغرة سدها
 فإن شئت فادخل به مفرداً
 وإياك تهدم ما قد بنا
 فإن لم تجد ذاك يجدي عليك
 تعد من الجود وصف الطعام
 وتحظر ما قد أحل الإله
 فهل نزلت في الذي قد شرعت
 وهل سنة فيه مأثورة
 وقلت تواصوا بصبر جميل
 ومن عجب حاكم ظالم
 على العبد إنعامه أنعمه
 أو انساب في خلل لأمه
 وإن شئت فادع إليه لمه^(١)
 ه هدماً وتنقض ما أبرمه
 إذا ما سغبت فقل لي لمه
 ولست تقول بأن تطعمه
 ضراراً وتطلق ما حرّمه^(٢)
 على أحد آية محكمه
 رواها لأشياحكم علقمه
 فأين ذهبت عن المرحمه
 يرجى ليحكم في مظلمه

فأجابه ابن خلاد بقصيدة منها [من المتقارب] :

هلمّ الصحيفة والمقلمه
 لأكتب ما جاش في خاطري
 وعجل عليّ بهذي وذوي
 ألا حبذا ثم يا حبذا
 كفانا به الله ما راعنا
 أطاب الحديث له في الطعام
 وعاد بأوصافه للغذاء
 ومن يشكر الله يعط المزيّد
 أيا ذا الندى والحجى والعلّا
 وأدن المحيرة المفعمه
 فقد عظم الخوض في النبرمه
 فإني من الخوض في ملحمة
 كتابي المصنف في الأطمعه
 بعلة سيدنا المؤلمه
 ففتق شهوته المبهمه
 وطاب لنا شكر من سلّمه
 كما قال الأعمش عن خيثمه
 ومن أوجب الدين أن نعظمه

(١) اللمه : الجماعة من الناس والأصحاب .

(٢) ضراراً : تضييقاً .

لئن كان نبرمتي أفسدت	ولم تأت صنعتها محكمه
فسوف يزورك شيرازنا	فنقسم بالله أن تكرمه
يميس بشونيزه كالعرو	س يخطر في الحلة المسهمه
ويبطل وسط مسموطه	وجوذايه عندها محكمه ^(١)
ويزهى الخوان بتقديمه	عليه ويحمد من قدمه ^(٢)
ويرمز إخواننا دونه	كأن تحاورهم زمزمه ^(٣)

* * *

ما أخرج من إخوانياته

وكتب إلى أبي الحسن العباسي هذه الأبيات ، وهي من مشهور شعره وجيده [من البسيط] :

أشكو إليك زماناً ظلّ يعركني	عرك الأديم ومن يعدى على الزمن
وصاحباً كنت مغبوطاً بصحبته	دهراً فغادرني فرداً بلا سكن
هبت له ريح إقبالٍ فطار بها	نحو السرور وألجاني إلى الحزن
نأى بجانبه عني وصيرني	من الأسى ودواعي الشوق في قرن ^(٤)
وباع صفو ودادٍ كنت أقصره	عليه مجتهداً في السر والعلن
وكان غالى به حيناً فأرخصه	يا من رأى صفو ودّ بيع بالغبن
كأنه كان مطوياً على إحنٍ	ولم يكن في ضروب الشعر أنشدني ^(٥)

-
- (١) الجوزاب : طعام يتخذ من سكرٍ وأرز ولحم .
(٢) الخوان : ما يوضع عليه الطعام .
(٣) الزمزمه : الدوي ، والصوت الذي يسمع من بعيد .
(٤) في قرن : في شركه وقيد .
(٥) الإحن : الحقد .

« إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يالفهم في المنزل الخشن »
 وكتب إلى بعض إخوانه هذه القصيدة ، ليعرضها على أبي الحسن
 العباسي ، وهي سائرة في الآفاق ، وكأنه قد جمع فيها أكثر إحسانه ، فقال [من
 الكامل] :

قد ذبت غير حشاشة وذماء لا أستفيق من الغرام ولا أرى
 وصروف أيام أقمن قيامتي ومثير هيج لا يشق غباره
 وجفاء خل كنت أحسب أنه ثبت العزيمة في العقوق وودّه
 ذي ملّة يأتيك أثبت عهده أبكي ويضحكه الفراق ولن ترى
 نفسي فداؤك يا محمد من فتى كأس من الشيم التي في ضمنها
 عذب الخلائق قد أحطت بخبره وبلوت حاله معاً فوجدته
 أبلغ رسالتي الشريف وقل له أنت الذي شئت شمل مسرتي
 وجمعت بين مساءتي ومسرتي ونبذت حقّي عشرتي ومودتي

ما بين حرّ هوى وحرّ هواء^(١) خلواً من الأشجان والبرحاء
 بنوى الخليط وفرقة القراء فيما خباه مهيج الهيجاء
 عوني على السراء والضراء متنقل كنتقل الأفياء
 كالخط يرقم في بسيط الماء عجباً كحاضر ضحكه وبكائي
 نشوان من أكرومة وحياء درك العلا عارٍ من العوراء^(٢)
 وبلوته في شدّة ورخاء في العود أكرم منه في الإبداء
 (قدك اتّب أربيت في الغلواء)^(٣) وقدحت نار الشوق في أحشائي
 وقرنت بين مبرّتي وجفائي وهرقت مائي خلّتي وإخائي

(١) اللّماء : بقية الروح .

(٢) درك العلا : نيلها .

(٣) هذا الشطر صدر بيت هو مطلع قصيدة لأبي تمام ونغامة : « كم تعذلون وأنتم سجرائي » .

ورددت خائبةً وفود رجائي
 راجي السراب بقفرٍ بيدا
 ممّن يباعُ وداده ب لقاء
 منّي ، فهلاًّ بعثني بغلاء
 علقتُ يداك بدمّة الأُمراء
 قد أوهمتكَ غنىً عن الوزراء
 أرضاً ولا أرضٌ بغير سماء
 أهلاً ، وجئت بغدرة الشوها
 طرفٌ ولم ترزق من الإصغاء
 فتراجعت تمشي على استحياء
 كبدٍ ، ولم تمنحْ جوانب داء^(٢)
 أثرتْ جوانحه من الأدواء
 من يستكفّ النار بالحلفاء^(٣)
 كالعين تغضيها على الأعداء^(٤)
 يوماً أفيك بها من الأسواء
 في العين لم يمنع من الإعفاء

من السّقم ما غيّرت من خطّ كاتب

ووجدت في نفسي نسيم عزاء
 ولأثرنّ عليك سوء ثناء

وثبتت آمالي على أدراجها
 فرجعت عنك بما يؤوب بمثله
 وعرضت ودّي بالحقير ولم أكنْ
 ورضيت بالثمن اليسير معوضةً
 وزعمت أنّك لست تفكر بعدما
 هيهات لم تصدقك فكرتك التي
 لم تغن عن أحدٍ سماءً لم تجدْ
 وسألتك العتبي فلم ترني لها
 ورَدَتْ مموّهة ولم يرفع لها
 وأعار منطقها التذمّ سكتةً
 لم تشف من كمدٍ ، ولم تبرّد على
 من يُشف من داءٍ بآخر مثله
 داوت جوىً بجوى ، وليس بحازمٍ
 لا تغتشمُ إغضاءتي فلعلّها
 واستبق بعض حشاشتي فلعلني
 فلو أنّ ما أبقيت من جسمي قذًى
 نظيره قول المتنبي [من الطويل] :

ولو قلمٌ ألقيت في شقٍّ رأسه
 رجع :

فلئن أرحت إليّ غارب سلوتي
 لأجهزنّ إليك قبح تشكّر

(١) الكمد : الحزن والغیظ .

(٢) يستكفّ : يمتنع . والحلفاء :

(٣) الاغضاء : خفض الطرف حياءً وأذىً .

ولأكسونك كلَّ يومٍ حلَّةً
ولأعضلنَّ مودَّتِي من بعدها
متروعةً من حيَّةٍ رشاء
حتى أزوجهَا من الأكفاء^(١)
وكتب إلى العلوي [من المجتث] :

يا من تخلى وولى	وصدَّ عني وملاً
وأوسع العهد نكثاً	وأتبع العقد حلاً
ما كان عهدك إلا	عهد الشيبة ولى
أو طائفاً من خيال	ألم ثم تولّى
أو عارضاً لاح حتى	إذا دنى فتدلّى
ألوت به نسمات	من الصبا فتجلّى
أهلاً بما ترتضيه	في كلِّ حالٍ وسهلاً
ليجزينك ودي	بمثل فعلك فعلاً
إن شئت هجراً فهجراً	أو شئت وصلاً فوصلاً
صبرت عني فانظر	ظفرت بالصبر أم لا
إنّي إذا الخلّ ولى	وليته ما تولّى

وكتب إلى أبي محمد بن هندو ، وقد أهدى له مداداً ارتضاه [من المجتث] :

يا سيدي وعمادي	أمددتني بمداد
كمسكنيك جميعاً	من ناظري وفؤادي
أو كالليالي اللواتي	رميننا بالبعاد

وكتب إلى أخيه أبي الحسن بن هندو صبيحة عرسه [من مجزوء الكامل] :

أنعم أبا حسن صباحاً وازدد
بزوجتك ارتياحاً

(١) أعضلن : أضيق وأمسك .

قد رضى طرفك خالياً فهل استلنت له جماحا؟^(١)
وقدحت زندك جاهداً فهل استبنت له انقداحا؟
وطرقت منغلقاً فهل سنّى الإلّه له انفتاحا؟
قد كنت أرسلت العيو ن صباح يومك والرواحا
وبعثت مصغيةً تبسّيت لديدك ترتقب النجاحا
فغدت عليّ بجملّة لم تولني إلّا افتضاحا
وشكت إليّ خلاخلاً خرساً وأوشحةً فصاحا
منعت وساوسها المسا مع أن تحسّ لكم صياحا

وهذه الأبيات بديعة في فنّها ، ولم أسمع أملح منها في معناها ، إلا قول
الصاحب وهو أقرب من التصريح وأظرف ، وأبيات ابن العميد أجزل وأخفى ،
وأدخل في باب الكناية والتعريض [من السريع] :

قلبي على الجمرة يا أبا العلا فهل فتحت الموضع المقفلا
وهل فككت الختم عن كيسه وهل كحلت الناظر الأكحلا
إنّك إنّ قلتَ نعم صادقاً أبعث نثاراً يملأ المنزل^(٢)
وإنّ تجبني من حياءٍ بلا أبعث إليك القطن والمغزلا

* * *

هذا ما أخرج من مقارضاته

اجتمع عنده يوماً أبو محمد بن هندو ، وأبو القاسم بن أبي الحسين بن
سعد ، وأبو الحسين بن فارس ، وأبو عبد الله الطبري ، وأبو الحسن البديهي .

(١) راض : قاد وأسلس ، والجماح : التمرّد .

(٢) النثر : الذهب .

فحياء بعض الزائرين بآترجة حسنة ، فقال لهم : تعالوا نتجاذب أهداب وصفها ، فقالوا : إن رأى سيدنا أن يبتدىء فعل ، فابتدأ وقال [من الطويل] :

* وأترجة فيها طبائع أربع *

فقال أبو محمد :

* وفيها فنون اللهو للشرب أجمع *

فقال أبو القاسم :

* يشبهها الرائي سبيكة عسجد *

فقال أبو الحسين بن فارس :

* على أنها من فأرة المسك أضوع *

فقال أبو عبد الله الطبري :

* وما اصفر منها اللون للعشق والهوى *

فقال أبو الحسن البديهي :

* ولكن أراها للمحبين تجمع *

وسئل بعض حاضري مجلسه عن قصة له ، فقال ولم يقصد وزناً [من

مجزوء الخفيف] :

أي جهل لقيته وشقاء شقيته ؟

فقال الأستاذ : قولوا على هذا الوزن شعراً ، وفي المجلس أبو الحسن

العباسي ، وابن خلاد القاضي ، فقال أبو الحسن :

بي غزالٌ مقرطقٌ شَفَنِي إذ هويته^(١)
أحرز السحر طرفه وحوى الغنَج ليته^(٢)
زاد في الكبر عامداً إذ رآني وليته
حسبي الله والرئيس لما قد دهيتُهُ

وقال ابن خلاد :

يا خليلي ساعدا ني على ما دهيتُهُ
انظرا أيّ معذلٍ بقضاءٍ أتيته
سامني السيد الرئيس محالا شنيته
ظلّ مستعدياً على رشاً قد هويته
عجباً أن يكون لي والياً من وليته
ما خشيت فيه الحروب فيهِ ولكن خشيته
فاز روحي لو أتني في منامي أريته

وقال الأستاذ :

أيُّ جهدٍ لقيته وشقاءٍ شقيته
من نصيحٍ أودّ من نصحه لي سكوته
قال صبراً وما درى أنّ صبري رزيته
قلت عنك الملام ما باختياري هويته
لم أكنُ أجشم البلاء لو آني كفيته
ربّ ثوبٍ من المذلّة فيه كسيته
ضلّ عندي تجلّدي فكأني نسيته
في فؤادي هوّى يحرقني لو طويته

(١) مقرطق : مترين يليس الأقراط في أذنيه أي الحليّ .

(٢) الليت : صفحة العنق .

يا ابن خلاد الذي شاع في الناس صيته
أنصف الهائم الذي يتجافى مبيته
قل لمن أشبه المها مقلته وليته^(١)
ثغره قد أشت^(٢) شمل اصطباري شتيته^(٣)
ليس يحيى المتيم الصّـب إلّا مميتُهُ
أنت قوتي وما بقا ء امرئ بان قوته
أي ذنب سوى المذلة في الحب جيته
ما أسىغ السلو عنك لو أني سقيته
كيف يرجو البقاء إن باين الماء حوته
ما أشاء السلو عنك فإن شئت شيته
كل شيء رضىته من غرامي رضىته

* * *

ما أخرج من شعره في الغزل

قال من قصيدة [من الطويل] :

هل البثُ إلّا ما تحملنيه أم البرح إلّا ما تكلفينه
متى علقت نفسي حبباً تعلقت به غيرُ الأيام تسلبينه
شفيعي إذا استشفعت غير مشفع ووجهي إذا وجهت غير وجهه

وقال [من الكامل] :

ظلت تظللني من الشمس نفس أعزّ عليّ من نفسي

(١) الليت - بكسر أوله : العنق .

(٢) أشت : فرّق وباعد، والشيت : المتفرق .

فأقول واعجباً ومن عجبٍ شمسٌ تظللُنني من الشمس

وقال في الفصد لمعشوقه [من البسيط] :

ويح الطبيب الذي جسّت يداه يدك ما كان أجهله فيما قد اعتمدك^(١)
بأي شيءٍ تُراه كان معتذراً من مسّه بحديدٍ مؤلمٍ جسّدك
لو أنّ ألاحظه كانت مباضعه ثم انتحاك بها من رقةٍ فصدك^(٢)

* * *

ما أخرج من شعره في سائر الفنون

قال من قصيدته الهريّة عارض فيها ابن العلاف [من المنسرح] :

يا هرُّ فارقتنا مفارقةً عمّت جميع النفوس بالثكل
لو كان بالحدائث لي قبلٌ إذاً أتاك الصريخ من قبلي
يا مثلاً سائراً إذا ذكر الحسن تركت الحسان كالمثل
وقيل هل تفتديه إنّ قبل الد هر فداءً فقلت حيّهل^(٣)
أفديه بالصفوة الكرام من ال إخوان دون الأخدان والخلل^(٤)
بل بمحل الكرى ومعتلج الففكر وحبّ القلوب والمقل
بل بسكون الوجيب يجلبه ال أسن إلى قلب خائفٍ وجل^(٥)
بل بحلول الشفاء يجنبه الصّحة بعد الأوصاب والعلل^(٦)

(١) جسّت : لامست وتفحصت .

(٢) المباحض : جمع مبضع وهو ما يستعمل في الجراحة للبضع .

(٣) حيّهل : كلمة منحوتة بمعنى أجل .

(٤) الأخدان : الأصدقاء .

(٥) الوجيب : الاضطراب والخفتان ، والوجل : الخوف .

(٦) الأوصاب : المرض .

بل ببلوغ المنى وقاصية السبغية عفواً ونهبة الأمل

وقال في المغني القرشي [من الوافر] :

إذا غَنَانِي القرشيُّ يوماً وعَنَانِي برؤيته وضربه
وددت لو آن أذني مثل عيني هناك وأنّ عيني مثل قلبه

وللمهلي في هذا المعنى [من مجزوء الوافر] :

إذا غَنَانِي القرشي دعوت الله بالطرش
وإن أبصرت طلعتة فوالهفي على العمش

وقال فيه أيضاً [من مجزوء الوافر] :

إذا غَنَى لنا أمماً حشوت مسامعي صمماً^(١)
وإن أبصرت طلعتة كحلت نواظري بعمى

وقال [من مجزوء الكامل] :

آخ الرجال من الأبا عد ، والأقارب لا تقارب
إنّ الأقارب كالعقا رب ، بل أضرُّ من العقارب

وقال [من الطويل] :

وللرأي زلّاتٌ يظلُّ بها الفتى مركّبةً فوق الثنايا أنامله

* * *

(١) أمماً : قليلاً .

هذا ما أخرج من شعره في المعمي

قال في السفرجل [من المتقارب] :

يقولون خطبٌ من البين جلاً ولم أر سير الخليط استقلاً
وقد لقبوه نوى غربه ولم أر أقرب منه محلاً
وبزّت سرايله عنوةً فألفي لما تعرّى تحلى
وأفرد من بين أترابه فما غصّ من حسنه أن تخلى
وزلّ فقلنا لعاً ناعشاً لعالٍ إذا ما تعلّى تدلى^(١)
تزيد مكاسره لذةً إذا ما الغمام عليه استهلاً
إذا نال منه السليم استقلّ وإن نال منه السقيم استبلاً
إذا ما امرؤ ملّ روح الحياة فحاشا لذلك من أن يملاً

وقال في ماء الورد [من مجزوء الكامل] :

قل للأديب أبي الحسين أتتك صماءً الغير
نكراء في حالاتها لذوي البصائر معتبر
دهياء يعترف الضمير بها وينكرها البصر
ماذا ترى في درهمٍ قد مسّه قدّ الإبر
وتحفة من بعده تباشراً طرفاً وزر^(٢)
أزرى به وسط الردى وهو الحياة المشتهر
فاكشف لنا عن سرّه بلطيف حدسك والنظر

وقال في الشمس [من البسيط] :

ماذا ترى يا أبا العباس في عجبٍ تشابهت منه أولاه وأخراه

(١) لعاً لك : وهو دعاء للعائر يعني « أنعشك الله ونجوت » .

(٢) كذا ورد في الأصل .

ترى مقمّه شروى مؤخره حسناً ، ويمناه في تمثال يسراه^(١)
من حيث واجهته أرضاك منظره وكيف قابلته أغناك مغناه
يهوى المباعده منه قرب منزله حتى إذا ما تغشاه تحاماه

* * *

(١) الشروى : - بفتح فسكون - المثل والنظير .

الباب الثاني

١٥ - في ذكر ابنه أبي الفتح ذي الكفایتین والأخذ بطرف من طرف أخباره ، وملح بنات أفكاره

هو علي بن محمد ، ثمرة تلك الشجرة ، وشبل ذلك القسورة (وحق
على ابن الصقر أن يشبه الصقرا) وما أصدق ما قال الشاعر [من الكامل] :
إنَّ السريَّ إذا سرى فبنفسه وابن السريَّ إذا سرى أسراهما
وكان نجيباً ذكياً ، لطيفاً سخياً ، رفيع الهمّة ، كامل المروءة ، ظريف
التفصيل والجملة ، قد تأتق أبوه في تأديبه وتهذيبه ، وجالس به أدباء عصره ،
وفضلاء وقته ، حتى تخرج وخرج حسن الترسل ، متقدم القدم في النظم ، آخذاً
من محاسن الآداب بأوفر الحظ ، ولما قام مقام أبيه قبل الاستكمال ، وعلى مدى
بعيد من الاكتهال . وجمع تدبير السيف والقلم لركن الدولة ، لقب بذی
الكفایتین ، وعلا شأنه ، وارتفع قدره ، وبعد صيته ، وطاب ذكره ، وجرى أمره
أحسن مجرى ، إلى أن توفي ركن الدولة وأفضت حال أبي الفتح إلى ما سيأتي ذكره
آخر الباب بمشيئة الله وعونه .

ومن طرف أخباره ما حدثني أبو جعفر الكاتب ، وكان أبو بكر الخوارزمي
يدعوه القمغدي لكونه قمي المولد بغدادی المنشأ ، وكان أبو جعفر هذا من حاشية
أبي الفتح فترامت به بعده الحوادث إلى نيسابور ، قال : كان الأستاذ الرئيس قد
قبض جماعة من ثقاته في السر يشرفون على الأستاذ أبي الفتح في منزله ومكتبه

ويشاهدون أحواله ويعدون أنفاسه وينهون إليه جميع ما يأتيه ويذره ويقول له
ويفعله . . فرفع إليه بعضهم أن أبا الفتح اشتغل ليلة بما يشتغل به الأحداث
المترفون ، من عقد مجلس الأنس واتخاذ الندماء ، وتعاطي ما يجمع شمل
اللهو ، في خفية شديدة ، واحتياط تام ، وأنه كتب في تلك الحالة رقعة إلى من
سماه لي أبو جعفر ، ونسيت اسمه ، في استهزاء الشراب ، فحمل إليه ما
يصلحهم من المسموم والمشروب والنقل . فدرس الأستاذ الرئيس إلى ذلك
الإنسان من أتاه برقعة أبي الفتح الصادرة إليه ، فإذا فيها بخطه :

بسم الله الرحمن الرحيم . قد اغتنمت الليلة - أطال الله بقاءك يا سيدي
ومولاي ! - رقعة من عين الدهر ، وانتهزت فيها فرصة من فرص العمر ، وانتظمت
مع أصحابي في سمط الثريا ، فإن لم تحفظ علينا النظام ، بإهداء المدام ، عدنا
كبنات نعش^(١) ، والسلام .

فاستطير الأستاذ فرحاً وإعجاباً ، بهذه الرقعة البديعة ، وقال : الآن ظهر لي
أثر براعته ، ووثقت بجريه في طريقي ، ونيابته منابي ، ووقع له بألفي دينار .

وحكى أبو الحسين بن فارس ، قال : كنت عند الأستاذ أبي الفتح في يوم
شديد الحر فرمت الشمس بجمرات الهاجرة ، فقال لي : ما قول الشيخ في قلبه ؟
فلم أخرج جواباً لأنني لم أفطن لما أراد ، فلما كان بعد هنية أقبل رسول والده الأستاذ
الرئيس يستدعيني إلى مجلسه فقممت إليه ، فلما مثلت بين يديه تبسم ضاحكاً إلي
وقال : ما قول الشيخ في قلبه ؟ فبهت وسكت ، وما زلت أفكر حتى تنبعت على
أنهما أرادا الخيش ، فكأن من كان يشرف على أبي الفتح من جهة أبيه الأستاذ أتاه
بتلك اللفظة في تلك الساعة ، ولفرط اهتزازها لها أراد مجاراتي ، وقرأت صحيفة
السرور من وجهه إعجاباً بها ، ثم أخذت أتخفه بنكت نثره ، وملح نظمه .

(١) بنات نعش : مجموعة من الكواكب متقاربة تبدو ليلاً وكأنها مجتمعة .

وكان مما أعجب به ، وتعجب منه ، واستضحك له ، حكايتي رقعة له
وردت علي ، وصدرها : رقعة الشيخ أصغر من عنفة بقعة^(١) ، وأقصر من أنملة
نملة .

قال أبو الحسين : وجرى في بعض أيامنا ذكر أبيات استحسنت الأستاذ
الرئيس وزنها ، واستحلى رونقها ، وأنشد جماعة ممن حضر ما حضرهم على ذلك
الروى ، وهو قول القائل [من المجتث] :

لئن كفت وإلا شقت منك ثيابي

فأصغى إلينا الأستاذ أبو الفتح ، ثم أنشدني في الوقت [من المجتث] :

يا مولعاً بعذابي أما رحمت شبابي
تركت قلبي قريحاً نهب الأسى والتصابي
إن كنت تنكر ما بي من ذلتي واكتسابي
فارفع قليلاً قليلاً عن العظام ثيابي

قال : فتأمل هذه الطريقة ، وانظر إلى هذا الطبع ، فإنه أتى بمثل ما أنشده
في رشاقته وخفته ، ولم يعد الجنس ، ولم يقصر دونه . وبذلك تعرف قدرة القادر
على الخطابة والبلاغة .

قال : ومن شعره وهو في المكتب قوله من قصيدة في أبيه أولها [من
الهج] :

أليلٌ هو أم شعُرٌ وبرقٌ هو أم ثغر
وحرُّ الصدر ما ضَمَّنت الأحشاء أم جمر؟
ويهماء كمثل البحر يرتاع لها السَّقَر^(٢)

(١) العنفة : الشعرات التي تلي الشفة السفلى .

(٢) اليهماء : الأرض الواسعة التي لا يتهدى فيها إلى الطرق .

تَعَسَّتْ عَلَى هَوْلِ وَتَحْتِي بَازِلُ جَسْرٍ^(١)
إِلَى مَنْ وَجْهَهُ بَدْرٌ وَمَنْ رَاحَتَهُ بَحْرٌ
وَمَنْ جَدَوَاهُ مَدُّ لُـلُـوْرِي لَيْسَ لَهُ جَزْرٌ
هُوَ الْغَيْثُ هُوَ اللَّيْثُ هُوَ الْفَخْرُ هُوَ الذَّخْرُ
لَأَمْرِ مَظْلَمٍ يَخْشَى وَخُطْبٍ فَادِحٍ يَعْرِوُ

وقوله من نيروزيه فيه [من الكامل] :

أَبْشُرْ بَنِيْرُوزٍ أَتَاكَ مَبْشَرًا
وَاشْرَبْ فَقَدْ حَلَّ الرَّبِيعُ نَقَابَهُ
وَهْدَيْتِي شَعْرٌ عَجِيبٌ نَظْمُهُ
فَاقْبَلْهُ وَاقْبَلْ عَذْرَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ
بِسَعَادَةٍ وَزِيَادَةٍ وَدَوَامٍ
عَنْ مَنَظَرٍ مُتَهَلِّلٍ بِسَامٍ
وَمَدِيحِهِ يَبْقَى عَلَى الْآيَامِ
إِهْدَاءٍ غَيْرِ نَتِيجَةِ الْأَفْهَامِ

ومن إحساناته المشهورة قوله من قصيدة [من الكامل] :

عُودِي وَمَاءَ شَبِيتِي فِي عُودِي لَا تَعْمَدِي لِمَقَاتِلِ الْمَعْمُودِ
وَصَلِيهِ مَا دَامَتْ أَصَايِلُ عَيْشِهِ تَوَوِيهِ فِي فِيءٍ لَهَا مَمْدُودِ
مَا دَامَ مِنْ لَيْلِ الصَّبَا فِي فَاحِمٍ رَجُلَ الذَّرَى قَيْنَانِ كَالْعَنْقُودِ
قَبْلَ الْمَشِيبِ فَطَارِقَاتِ جُنُودِهِ يَبْدُلْنَهُ يَقْقَأُ بِسَحْمٍ سَوْدٍ^(٢)

وقوله لما تقلد الوزارة بعد أبيه [من المتقارب] :

دَعُوتُ الْغَنَى وَدَعُوتُ الْمَنَى فَلَمَّا أَجَابَا دَعُوتَ الْقَدْحِ
إِذَا بَلَغَ الْمَرْءُ أَمَالَهُ فَلَيْسَ لَهُ بَعْدَهَا مَقْتَرَحٌ

(١) البازل : الذي طلعت نابه من الإبل . والجسر : القوي الصلب .

(٢) اليقق : البياض ، والسحم : الشديدة السواد .

وقال [من الطويل] :

إذا أنا بلغت الذي كنتُ أشتهي وأضعافه ألفاً فكلني إلى الخمر
وقل لنديمي قم إلى الدهر فاقترح عليه الذي تهوي ودعني مع الدهر
وله [من الخفيف] :

أين لي من يفي بشكر الليالي إذ أضافت خيالها وخيالي
لم يكن لي على الزمان اقتراحٌ غيرها منيةً فجاد بها لي

وقوله في أترجة أهداها إلى والده الأستاذ الرئيس [من البسيط] :

أتتك صفراء تحكي لون ذي مقّة وريح راح حشاها شادنٌ خنثٌ^(١)
زففتها حين زفّت لي على أملٍ إني غلامك لا مينٌ ولا عبثٌ^(٢)

وقوله من قصيدة أخرى في عضد الدولة ، أولها [من الطويل] :

عتبت على الأيام لو عرفتُ عتباً وعاتبتها لو أعقتُ ذنبها عتبي
قضت بيننا أحكامها البين كلما طلعت بنا شرقاً غربن بها غربا
تحجّب عني الشمس من نور وجهها وتمنح رياها الركائب والركبا
ومنها :

وتنت أظن الحبّ قبلُ خلافةً فها هو ذا يغري بمخلبه الخلبا^(٣)
تدور السقاة بالأباريق بيننا فنحسبها سرباً يزجي لنا سربا

(١) الخنث : من فيه انحناء أي تكسر وتثنّ .

(٢) المين : الكذب .

(٣) الخلافة : الخديعة بالحديث الرقيق ، والخلبا : حجاب الكبد أو حجاب القلب .

ومنها :

وقد نظمت شمل العصابة روضةً منورةً النوار تحسبها عَصَباً^(١)

ومنها في وصف النجائب :

متى لم أنل أقصى المنى بنجائها فلا نهضت نجباً تسير بنا نجبا
ولا رحلت نحو العفاة رحالها ولا كان لي ما بين آمالها نهبا
ولا كنت عبداً للذي الدهر عبده أعد النجوم بعد صحبته حصبا

وقوله من قصيدة أخرى فيه ، أولها [من الطويل] :

أفضت عقود أم أفيضت مدامع وهذي دموع أم نفوس هوامع ؟^(٢)
على الملك قوامٌ وللدين حافظٌ وللمال وهابٌ وللجار مانع
أسودٌ ولكن الحراب عرينها شمسٌ ولكن الصفوف مطالع
أشاحوا وما شحّوا ونابوا وما نبوا وكان لهم تحت المنايا مناقع^(٣)

ومنها في ذل الأعداء :

أذالهم ذلّ الهزيمة فانحنت قناة الظهور واستقام الأخادع^(٤)
وكان لهم لبس المعصفر عادةً فخاطت لهم منه السيوف القواطع

ومنها :

بطرتم فطرتم والعصا زجر من عصى وتقويم عبد الهون بالهون نافع^(٥)

(١) العُصْب : شجر اللبلاب .

(٢) الهوامع : السائلة .

(٣) نبوا : فارقوا وابتعدوا . والمناقع : من النقع وهو الغبار الذي تثيره الحرب .

(٤) أذال : أهان ، والأخادع : الرقاب ، والأخدع عرق في الرقبة .

(٥) البطر : الكبرياء عند حلول النعمة ، والهون : الخزي والذلّ .

ومنها :

تبسمت والخيل العتاق عوابس^١ وأقدمت والبيض الرقاق هوالع
صدعت بصبح النصر ليل جموعهم وكيف بقاء الليل والصبح صادع
فما الصبح مناد^٢ ولا الليل خاذل^٣ ولا النصل خوآن^٤ ولا السهم طالع^(١)

ومنها في وصف الشعر :

ومقترحات في القوافي بداءة بدائع للإحسان فيها ودائع
كلام شكور^٥ أطلقت من عنانه صنائع تخجلن النهار نواضع
خدمت بقولي ذا ومن قبل قوله خدمت وغى والقول للفعل شافع

وقال من أخرى ، وقد ذكر الشعر [من الطويل] :

فإن كان مسخوطاً فقل شعر كاتب^٦ وإن كان مرضياً فقل شعر كاتبي

* * *

ذكر آخر أمره

حدثني أبو منصور سعيد بن أحمد البريدي ، قال : لما توفي ركن الدولة ،
وقام مقامه مؤيد الدولة خليفة لأخيه عضد الدولة ، أقبل من أصبهان إلى الري ،
ومعه صاحب أبو القاسم ، وخلع على أبي الفتح خلعة الوزارة ، وألقى إليه مقاليد
المملكة ، والصاحب على جملته في الكتابة لمؤيد الدولة والاختصاص به ،
وشدة الحظوة لديه ، فكره أبو الفتح مكانه ، وأساء الظن به ، فبعث الجند على أن
يشغبوا عليه ، وهموا بما لم ينالوا منه ، فأمره مؤيد الدولة بمعاودة أصبهان وأسرفي
نفسه الموجدة على أبي الفتح لهذا الشأن وغيره ، وانضاف ذلك إلى تغير عضد

(١) مناد : منحن ومثن ، والأود : الإعوجاج .

الدولة واحتقاده عليه لأشياء كثيرة في أيام أبيه وبعدها ، منها مما يئته بختيار ، ومنها ميل القواد إليه ، بل غلوهم في موالاته ومحبته ، ومنها ترفعه عن التواضع له في مكاتباته ، واجتمعت آراء الأخوين على اعتقاله ، وأخذ أمواله . ولما اعتقل في بعض القلاع بدرت منه كلمات نمت إلى عضد الدولة ، فزادت في استيحاظه منه ، وأنهض من حضرته من طالبه بالأموال ، وعذبه ومثل به ، ويقال : إنه سمل إحدى عينيه ، وقطع أنفه ، وجزل حيته ، ففي تلك الحال يقول أبو الفتح وقد يش من نفسه ، واستأذن في صلاة ركعتين ، فصلاهما ودعا بدواة وقرطاس وكتب [من السريع] :

بدل من صورتي المنظر لكنّه ما غير المخبر
ولست ذا حزنٍ على فائٍ لكنّ على من لي يستعبر
وواله القلب لما مسني مستخبرٌ عني ولا يخبر
فقل لمن سرّ بما ساءنا لا بد أن يسلك ذا المعبر

وأخبرني أبو جعفر الذي قدمت ذكره ، وكان مختصاً به . قال : كان أبو الفتح قبيل النكبة التي أتت على نفسه . قد أغرى بإنشاد هذين البيتين ، لا يجف لسانه من ترديدهما في أكثر أوقاته وأحواله ، ولست أدري أهماله أم لغيره [من الرمل] :

دخل الدنيا أناسٌ قبلنا رحلوا عنها وخلوها لنا
فنزّلناها كما قد نزلوا ونخلّوها لقوم بعدنا

فلما حصل في الاعتقال ، واستيقن أن القوم يريدون دمه لا محالة ، وأنه لا ينجو منهم وإن بذل ماله ، مد يده إلى جيب جبة عليه ففتقه عن رقعة فيها ثبت ما لا يحصى من ودائعه وكنوز أبيه وذخائره ، فألقاها في كانون نار بين يديه ، وقال للقائد الموكل به المأمور بقتله بعد مطالبته : اصنع ما أنت صانع فوالله لا يصل من أموالي المستورة إلى صاحبك دينار واحد ، فما زال يعرضه على العذاب ، ويمثل

به ، حتى تلف رحمه الله تعالى ، وفيه يقول بعض أصحابه [من الكامل] :

آل العميد وآل برمك ما لكم قلّ المعين لكم وذلّ الناصر!
كان الزمان يحبّكم فبداله إنَّ الزمان هو المحبُّ الغادر

ولأبي بكر الخوارزمي في مرثيته من قصيدة [من الكامل] :

يا دهر إنك بالرجال بصيرٌ فلذاك ما تجتاحهم وتبیر^(١)

وهي تذكر في موضعها من شعره ، إن شاء الله سبحانه وتعالى .

* * *

(١) تبير : تفنى .

الباب الثالث

١٦ - في ذكر الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد

وايراد لمع من أخباره ، وغرر نظمه ونثره

ليست تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب وجلالة شأنه في الجود والكرم . وتفرد به غايات المحاسن ، وجمعه أشتات المفاهر ، لأن همة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه ، وجهد وصفي يقصر عن أيسر فواضله ومسايعه ، ولكني أقول : هو صدر المشرق ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان ، وينبوع العدل والإحسان ، ومن لا حرج في مدحه بكل ما يمدح به مخلوق ، ولولاه ما قامت للفضل في دهرنا سوق ، وكانت أيامه للعلوية والعلماء ، والأدباء والشعراء ، وحضرته محط رحالهم ، وموسم فضلائهم . ومترع آمالهم . وأمواله مصروفة إليهم ، وصنائعه مقصورة عليهم ، وهمته في مجد يشيده ، وإنعام يحدده . وفاضل يصطنعه ، وكلام حسن يصنعه أو يسمعه . ولما كان نادرة عطارده في البلاغة ، وواسطة عقد الدهر في السماحة ، جلب إليه من الآفاق وأقاصي البلاد كل خطاب جزل ، وقول فصل . وصارت حضرته مشرعاً لروائع الكلام ، وبدائع الأنفهام . وثمار الخواطر ، ومجلسه مجمعاً لصوب العقول . وذوب العلوم ودرر القرائح . فبلغ من البلاغة ما يعد في السحر ، ويكاد يدخل في حد الإعجاز ، وسار كلامه مسير الشمس ، ونظم ناحيتي الشرق والغرب ، واحتف به من نجوم الأرض ، وأفراد العصر ، وأبناء الفضل ، وفرسان الشعر ، من يربى عددهم على شعراء الرشيد ، ولا يقصرون عنهم في الأخذ برقاب

القوافي وملك رق المعاني ، فإنه لم يجتمع بباب أحد من الخلفاء والملوك مثل ما اجتمع بباب الرشيد من فحولة الشعراء المذكورين ، كأبي نواس ، وأبي العتاهية ، والعتابي ، والنمري ومسلم بن الوليد ، وأبي الشيص ، ومروان بن أبي حفصة ، ومحمد بن مناذر ، وجمعت حضرة الصاحب بأصبهان ، والري وجرجان ، مثل أبي الحسين السلامي ، وأبي بكر الخوارزمي ، وأبي طالب المأموني ، وأبي الحسن البديهي ، وأبي سعد الرستمي ، وأبي القاسم الزعفراني ، وأبي العباس الضبي ، وأبي الحسن بن عبد العزيز الجرجاني ، وأبي القاسم بن أبي العلاء ، وأبي محمد الخازن وأبي هاشم العلوي ، وأبي الحسن الجوهري ، وبني المنجم ، وابن بابك ، وابن القاشاني ، وأبي الفضل الهمذاني ، وإسماعيل الشاشي ، وأبي العلاء الأسدي ، وأبي الحسن الغويري ، وأبي دلف الخزرجي ، وأبي حفص الشهزوري ، وأبي معمر الإسماعيلي ، وأبي الفياض الطبري ، وغيرهم ممن لم يبلغني ذكرهم أو ذهب عني اسمه ، ومدحه مكاتبة الشريف الموسوي الرضى ، وأبو إسحاق الصابي ، وابن حجاج ، وابن سكرة ، وابن نباتة ، ولذكر كل من هؤلاء مكان من هذا الكتاب ، إما متقدم أو متأخر ، وما أحسن وأصدق قول الصاحب [من الخفيف] :

إن خير المداح من مدحته شعراء البلاد في كل نادي

* * *

لمع من أخبار محاسنه ، وملح من نوادر توقيعاته

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : إن مولانا الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها ، ودب ودرج في وكرها ، ورضع أفأويق درها^(١) ، وورثها من أبيه كما قال

(١) الأفأويق : ما اجتمع من الماء في السحاب فهو يطر ساعة بعد ساعة وهو يريد ما اجتمع من اللبن .

أبوسعيد الرستمي [من الكامل] :

ورث الوزارة كابراً عن كابر موصولة الإسناد بالإسناد
يروى عن العباس عباداً وزا رته وإسماعيل عن عباد

قال : ولما ملك فخر الدولة واستعفى صاحب من الوزارة قال له : لك في
هذه الدولة من إرث الوزارة ، ما لنا فيها من إرث الإمارة ، فسيل كل منا أن يحتفظ
بحقه .

وحدثني عون بن الحسين الهمداني التميمي ، قال : كنت يوماً في خزانة
الخلع للصاحب ، فرأيت في ثبث حسابات كاتبها - وكان صديقي - مبلغ عمائم
الخز التي صارت تلك الشتوة في خلع الخدم والحاشية ، ثمانمائة وعشرين قال :
وكان يعجبه الخز ويأمر بالاستكثار منه في داره ، فنظر أبو القاسم الزعفراني يوماً
إلى جميع من فيها من الخدم والحاشية عليهم الخزوز الفاخرة الملونة ، فاعتزل
ناحية وأخذ يكتب شيئاً ، فسأل صاحب عنه : فقيل : إنه في مجلس كذا
يكتب ، فقال : علي به ، فاستمهل الزعفراني ريثما يكمل مكتوبه ، فأعجله
الصاحب ، وأمر بأن يؤخذ ما في يده من الدرج ، فقام الزعفراني إليه ، وقال : أيد
الله الصاحب [من الكامل] :

اسمعه ممّن قاله تزدّد به عجباً فحسن الورد في أغصانه

قال : هات يا أبا القاسم ، فأنشده أبياتاً منها [من المتقارب] :

سواك يعد الغنى ما اقتنى	ويأمره الحرص أن يخزنا
وأنت ابن عباد المرتجى	تعدّ نوالك نيل المنى
وخيرك - من باسط كفه	وممن ثناها - قريب الجنى
غمرت الورى بصنوف الندى	فأصغر ما ملّكوه الغنى

وغادرت أشعرهم مفحماً وأشكرهم عاجزاً ألكنا^(١)
أيا من عطاياه تهدي الغنى إلى راحتي من نأى أو دنا
كسوت المقيمين والزائرين كسى لم يخل مثلها ممكنا
وحاشية الدار يمشون في ضروب من الخز إلا أنا
ولست أذكر لي جارياً على العهد يحسن أن يحسنا

فقال الصاحب : قرأت في أخبار معن بن زائدة ، أن رجلاً قال له : احملني أيها الأمير ، فأمر له بناقة وفرس وبغلة وحمار وجارية ، ثم قال له : لو علمت أن الله تعالى خلق مركوباً غير هذه لحملتك عليه ، وقد أمرنا لك من الخز بجبة وقميص ودراعة وسراويل وعمامة ومنديل ومطرف ورداء وجورب ، ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخز لأعطيناكه ، ثم أمر بإدخاله الخزانة ، وصب تلك الخلع عليه وتسليم ما فضل عن لبسه في الوقت إلى غلامه .

وحدثني أبو عبد الله محمد بن حامد الحامدي ، قال : عهدي بأبي محمد الخازن مائلاً بين يدي الصاحب ينشده قصيدة له فيه ، أولها [من البسيط] :

هذا فؤادك نهى بين أهواء وذاك رأيك شوى بين آراء
هواك بين العيون النجل مقتسم داءً لعمرك ما أبلاه من داء
لا تستقر بأرض أو تسير إلى أخرى بشخص قريب عزمه نائي
يوماً بحزوى ويوماً بالعقيق وبالعذيب يوماً ويوماً بالخليصاء
وتارة تنتحي نجداً وآونة شعب العقيق وطوراً قصر تيماء

قال : فرأيت الصاحب مقبلاً عليه بمجامعه حسن الإصغاء إلى إنشاده ، مستعيداً أكثر أبياته ، مظهراً من الإعجاب به ، والاهتزاز له ، ما يعجب الحاضرين فلما بلغ قوله :

(١) الألكن : من ثقل لسانه ، أو كان به عجمة .

أدعى بأسماء نبزاً في قبائلها كأن أسماء أضحت بعض أسمائي^(١)
أطلعت شعري وألقت شعرها طرباً فألفا بين إصباح وإمساء

زحف عن دسسته طرباً ، فلما بلغ قوله في المدح :

لو أن سحبان باراه لأسحبه على خطابته أذيال فأفاء^(٢)
أرى الأقاليم قد ألفت مقالدها إليه مستبقات أي إلقاء
فساس سبعتها منه بأربعة أمر ونهي وتثبيت وإمضاء
كذاك توحيده ألوى بأربعة كفر وجبر وتشبيه وإرجاء

جعل يحرك رأس مستحسن ، فلما أنشد :

نعم تجنب « لا » يوم العطاء كما تجنب ابن عطاء لثغة الرء^(٣)

استعاده وصفق بيديه ، ولما ختمها بهذه الأبيات :

أطرى وأطرب بالأشعار أنشدها أحسن ببهجة إطرابي وإطرائي
ومن منائح مولانا مدائحه لأن من زنده قدحي وإيرائي^(٤)
فخذ إليك ابن عباد محبرة لا البحتري يدانيها ولا الطائي

قال : أحسنت أحسنت ، والله أنت ، وتناول النسخة وتشاغل بإعارتها
نظره ، ثم أمر له بخلعة وحملان وصلة .

وسمعت أبا عبد الله أيضاً يقول : أهدي إلى الصاحب هدية أهدي منها إلى

(١) النبز : اللثيم في حسبه وأخلاقه ، والنبز : العيب واللقب

(٢) الفأفأه : كثرة ترديد الفاء في الكلام .

(٣) ابن عطاء : أحد كبار المعتزلة إسمه واصل بن عطاء وقد تجنب حلقة الحسن البصري وتبعه جمع سموا بالمعتزلة .

(٤) منائح : الأعطيات والمنح ، وأورى النار : أوقدها .

شيخ الدولتين أبي سعيد الشيباني ، وكتب معها رقعة مصدرة بهذا البيت [من البسيط] :

رويت في السنّة المشهورة البركة أن الهدية في الإخوان مشتركة

وحدثني أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي ، قال : سمعت
الصاحب يقول : أنفذ إلى أبو العباس تاش الحاجب رقعة في السر بخط صاحبه
نوح بن منصور ملك خراسان يريدني فيها على الانحياز إلى حضرته ، ليلقى إلى
مقاليد مملكته ، ويعتمدني لوزارته ، ويحكمني في ثمرات بلاده . فكان فيما
اعتذرت به من تركي امثال أمره والصدر عن رأيه ، ذكر طول ذيلي وكثرة حاشيتي
وضممتي وحاجتي لنقل كتبي خاصة إلى أربعمائة جمل ، فما الظن بما يليق بها من
تحمل مثلي !

وحدثني أيضاً ، قال : سمعت الصاحب يقول : حضرت مجلس ابن
العميد عشية من عشايا شهر رمضان ، وقد حضره الفقهاء والمتكلمون للمناظرة ،
وأنا إذ ذاك في ريعان شبابي ، فلما تقوض المجلس ، وانصرف القوم ، وقد حل
الإفطار نكرت ذلك فيما بيني وبين نفسي ، واستقبحت إغفاله الأمر بتفطير
الحاضرين مع وفور رياسته ، واتساع حاله ، واعتقدت ألا أخل بما أخل به إذا
قمت يوماً بمقامه ، قال : فكان الصاحب لا يدخل عليه في شهر رمضان بعد العصر
أحد كائناً من كان فيخرج من داره إلا بعد الإفطار عنده ، وكانت داره لا تخلو في
كل ليلة من ليالي شهر رمضان من ألف نفس مفطرة فيها ، وكانت صلاته وصدقاته
وقرباته في هذا الشهر تبلغ مبلغ ما يطلق منها في جميع شهور السنة .

وحدثني بديع الزمان أبو الفضل الهمداني ، قال : لما أدخلني والدي إلى
الصاحب ووصلت إلى مجلسه ، واصلت الخدمة بتقبيل الأرض ، فقال لي : يا
بني اقعد ، كم تسجد ؟ كأنك هدهد !

قال : وقد قال يوماً لبعض من تأخر عن مجلسه لعله وجدها : ما الذي كنت تشكّيه ؟ قال « الحما » قال « قه » يعني « الحماقة » فقال « وه » يعني « القهوة » .
قال : واستأذن عليه الحاجب يوماً لأنسان طرسوسي فقال « الطر » في لحيته ، و « السوس » في حنطته .

وسمعت الأمير أبا الفضل الميكالي يقول : سمعت بعض ندماء الصاحب يقول : كنت يوماً بين يدي الصاحب فقدم البطيخ فقلت « لا مترك » فقال « بالعجلة لمرتك » (?) وكنت أريد أن أقول لا مترك للبطيخ فسبقني إلى التنادر بهذا التجنيس .

حدثني أبو منصور البيع قال : دخلت يوماً على الصاحب فطاولته الحديث فلما أردت القيام قلت : لعلّي طوّكت فقال : لا بل تطوّكت .

وحدثني أبو منصور اللجيمي الدينوري ، قال أهدي العميري قاضي قزوین إلى الصاحب كتاباً وكتب معها [من الخفيف] :

العميري عبد كافي الكفاة ومن اعتدّ في وجوه القضاة
خدم المجلس الرفيع بكتب مفعمات من حسناتها مترعات

فوقع تحتها [من الخفيف] :

قد قبلنا من الجميع كتاباً ورددنا لوقتها الباقيات
لست أستغنم الكثير فطبعي قول خذ ، ليس مذهبي قول هات

قال : وكتب إليه بعض العلوية يخبر بأنه رزق مولوداً ، ويسأله أن يسميه . ويكنيه فوقه في رقعة .

أسعدك الله بالفارس الجديد ، والطالع السعيد ، فقد والله ملأ العين قرة ،
والنفس مسرة مستقرة . والاسم عليّ ليعليّ الله ذكره ، والكنية أبو الحسن ليحسين

الله أمره . فإني أرجو له فضل جده ، وسعادة جده ، وقد بعثت لتعويذه ديناراً من
مائة مثقال ، قصدت به مقصد الفال ، رجاء أن يعيش مائة عام ، ويخلص خلاص
الذهب الإبريز من نوب الأيام ، والسلام .

قال : وكتب إليه أبو منصور الجرجاني [من مجزوء الرجز] :

قل للوزير المرتجى كافي الكفاة الملتجى
إني رزقت ولداً كالصبح إذ تبلجاً
لا زال في ظلك ظلُّ المكرمات والحجى
فسمه وكنه مشرفاً متوجاً

فوقع تحتها [من مجزوء الرجز] :

هنثته هنثته شمس الضحى بدر الدجى
فسمه محسناً وكنه أبا الرجا

وعرض على بعض الإصبهانيين رقعة لأبي حفص الوراق الإصبهاني ، قد
أخذ منها البلى ، وفيها توقيع صاحب ، وهذه نسخة الرقعة :

لولا أن الذكرى - أطال الله بقاء مولانا صاحب الجليل ! - تنفع المؤمنين ،
وهزة الصمصام تعين المصلتين ، لما ذكرت ذاكرة ، ولا هزرت ماضياً . ولكن ذا
الحاجة لضرورته يستعجل النجح ، ويكد الجواد السمح . وحال عبد مولانا - أدام
الله تأييده ! - في الحنطة مختلفه ، وجرذان داره عنها منصرفه . فإن رأى أن يخلط
عبد به بمن أخصب رحله ، ولم يشد رحله ، فعل إن شاء الله تعالى . . . وهذه
نسخة التوقيع :

أحسنت أبا حفص قولاً ، وسنحسن فعلاً ، فبشر جرذان دارك بالخصب ،
وأمنها من الجذب ، فالحنطة تأتيك في الأسبوع ، ولست عن غيرها من النفقة
بممنوع ، إن شاء الله تعالى .

وسمعت أبا النصر محمد بن عبد الجبار العتبي ، يقول : كتب بعض أصحاب الصاحب رقعة إليه في حاجة فوقع فيها ، ولما ردت إليه لم ير فيها توقيعاً ، وقد تواترت الأخبار بوقوع التوقيع فيها ، فعرضها على أبي العباس النضبي ، فما زال يتصفحها ، حتى عثر بالتوقيع وهو ألف واحدة وكان في الرقعة : فإن رأى مولانا أن ينعم بكذا فعل ، فأثبت الصاحب أمام « فعل » ألفاً يعني « أفعل » .

وسمعت الأمير أبا الفضل الميكالي ، يقول : كتب بعض العمال رقعة إلى الصاحب في التماس شغل ، وفي الرقعة : إن رأى مولانا أن يأمر بإشغالي ببعض أشغاله ، فوقع تحتها : من كتب إشغالي ، لا يصلح لأشغالي .

وحدثني أبو الحسن علي بن محمد الحميري ، قال : رفع الضرابون من دار الضرب قصة إلى الصاحب في ظلامة لهم مترجمة بالضرايين ، فوقع تحتها « في حديد بارد » .

وحدثني أبو سعد نصر بن يعقوب ، قال : كان الصاحب يقول بالليالي لجلسائه إذا أراد أن يبسطهم ويؤنسهم : نحن بالنهار سلطان ، وبالليل إخوان .

وحدثني أيضاً قال : قال الصاحب : ما أفحمني أحد كالبديهي ، فإنه كان عندي يوماً ، وأتينا بفاكهة ومشمش فأمعن فيه ، فاتفق أنني قلت : إن المشمش يلطخ المعدة ، فقال : لا يعجبني الميزبان إذا تطيب .

وسمعت أبا نصر سهل بن المرزبان يقول : كان الصاحب إذا شرب ماء بثلج أنشد على أثره [من الرجز] :

قعقة الثلج بماء عذب تستخرج الحمد من اقصى القلب
ثم يقول : اللهم جدد اللعن على يزيد .

وحدثني أبو الحسن الدلفي المصيصي ، قال : انتحل فلان (يعني أحد

المتشاعرين) بحضرة صاحب شعراً له ، وبلغه ذلك ، فقال : أبلغوه عني
[من المجتث] :

سرت شعري ، وغيري يضام فيه . ويخدع
فسوف أجزيك صفعاً يكدُّ رأساً وأخدع
فسارق المال يقطع وسارق الشعر يصفع

قال : فاتخذ الليل جملاً ، وهرب من الري .

وحدثني غيره قال : كتب إنسان إلى صاحب رقعة وقد أغار فيها على
رسائله وسرق جملة من ألفاظه ، فوقع فيها (هذه بضاعتنا ردت إلينا) .

ووقع في رقعة استحسناها (أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون ؟) .
ووقع في كتاب بعض مخالفه (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما
يكسبون) .

ووقع في رقعة أبي محمد الخازن وكان ذهب مغاضباً ثم كتب إليه يستأذنه
في معاودة حضرته (ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك
التي فعلت) .

وعرض على أبو الحسن الشقيقي البلخي توقيع صاحب إليه في رقعة : من
نظر لدينه نظرنا لدنياه ، فإن أثرت العدل والتوحيد ، بسطنا لك الفضل والتمهيد ،
وإن أقمت على الجبر ، فليس لكسرك من جبر .

ووقع في رقعة بعض خطاب الأعمال : التصرف لا يلتبس بالتكفف إن
احتجنا إليك صرفناك ، وإلا صرفناك .

ورفع إليه بعض منهبي الأخبار : أن رجلاً ممن ينطوي له على غير الجميل
يدخل داره في الناس ، ثم يتلوّم على استراق السمع ، فوقع : دارنا هذه خان ،
يدخلها من وفي ومن خان .

وحدثني أبو الحسين النحوي قال : كان مكي المنشد قد انتاب صاحب بجرجان ، وكان قديم الخدمة له ، فأساء أدبه غير مرة ، فأمر صاحب بحبسه ، فحبس في دار الضرب وهي بجواره بجرجان ، فاتفق أنه صعد يوماً سطح داره لحاجة في نفسه وأشرف على دار الضرب ، فلما رآه مكي نادى بأعلى صوته : (فاطلع فرآه في سواء الجحيم) فضحك صاحب وقال (اخسئوا فيها ولا تكلمون) ثم أمر بإطلاقه .

وحدثني أبو النصر العتيبي قال : سمعت أبا جعفر دهقان بن ذي القرنين يقول : قدمت إلى صاحب هدية أصحابيها الأمير أبو علي محمد بن محمد برسمه واعتذرت إليه بأن قلت : إنها إذا نقلت إلى حضرته من خراسان كانت كالتمر ينقل إلى كرمان . فقال : قد ينقل التمر من المدينة إلى البصرة على جهة التبرك وهذه سبيل ما يصحبك .

وحدثني الهمداني قال : كان واحد من الفقهاء يعرف بابن الخضيري ، يحضر مجلس النظر للمصاحب بالليالي ، فغلبته عيناه مرة وخرج منه ريح لها صوت ، فخجل وانقطع عن المجلس ، فقال صاحب : أبلغوه عني [من البسيط] :

يا ابن الخضيري لا تذهب على خجل
لحادث منك مثل الناي والعود
فإنها الريح لا تستطيع حبسها
اذ أنت لست سليمان بن داود
وحكي أن مثل هذا الأمر وقع للهمداني في مجلس صاحب فخجل ، وقال : صرير التخت ، فقال صاحب : أخشى أن يكون صرير التخت ، فيقال إن هذه الخجلة كانت سبب مفارقتها لتلك الحضرة وخروجه إلى خراسان .

وحدثني أبو نصر النمري بجرجان قال : سمعت القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز يقول : انصرفت يوماً من دار صاحب ، وذلك قبيل العيد ، فجاءني

رسول بعطر الفطر ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان [من الكامل] :

يا أيُّها القاضي الذي نفسي له مع قرب عهد لقائه مشتاقه
أهديت عطراً مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه

وقال : وسمعته يقول : إن صاحب يقسم لي من إقباله وإكرامه بجرجان
أكثر مما يتلقاني به في سائر البلاد ، وقد استعفيت يوماً من فرط تحفيّ بي أو توضّعه
لي ، فأنشدني [من الكامل] :

أكرم أخاك بأرض مولده وأمدّه من فعلك الحسن
فالعزُّ مطلوبٌ وملتمسٌ وأعزه ما نيل في الوطن

ثم قال لي : قد فرغت من هذا المعنى في العينية ، فقلت : لعل مولانا يريد قولي
[من الطويل] :

وشيّدت مجدي بين قومي فلم أقلّ ألا ليت قومي يعلمون صنيعي
فقال : ما أردت غيره ، والأصل فيه قول الله تعالى (يا ليت قومي يعلمون
بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) .

وحدثني أبو حنيفة الدهشتاني ، قال : كتب صاحب إلى أبي هاشم العلوي
وقد أهدى إليه في طبق فضة عطراً [من الكامل] :

العبد زارك نازلاً برواقا يستنبط الإشراق من إشراقا
فاقبل من الطيب الذي أهديته ما يسرق العطار من أخلاقا
والظرف يوجب أخذه مع ظرفه فأضف به طبقاً إلى أطباقا^(١)

وحدثني عون بن الحسين الهمداني ، قال : سمعت أبا عيسى بن المنجم

(١) الظرف : اللطافة والكياسة ، ومع ظرفه : أي غلافه .

يقول : سمعت صاحب يقول : ما استأذن لي على فخر الدولة وهو في مجلس الأنس إلا انتقل إلى مجلس الحشمة ، فيأذن لي فيه ، وما أذكر أنه تبدل بين يدي ومازحني قطّ إلا مرة واحدة ، فإنه قال لي في شجون الحديث ، بلغني أنك تقول المذهب مذهب الاعتزال ، والنيك نيك الرجال . فأظهرت الكراهة لانبساطه وقلت بنا من الجدم لا نفرغ معه للهزل ، ونهضت كالمغاضب ، فما زال يعتذر إليّ مراسلة ، حتى عاودت مجلسه ، ولم يعد بعدها لما يجري مجرى الهزل والمدح .

وسمعت أبا الحسن العلوي الهمداني الوصي ، قال : لما توجهت تلقاء الري في سفارتي إليها من جهة السلطان ، فكرت في كلام ألقى به صاحب . فلم يحضرني ما أَرْضاه ، وحين استقبلني في العسكر ، وأفضى عناني إلى عنانه ، جرى على لساني (ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم) فقال (إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) ثم قال : مرحباً بالرسول ابن الرسول ، الوصي ابن الوصي .

وحدثني أبو الحسين النحوي قال : كان صاحب منحرفاً عن أبي الحسين ابن فارس لانتسابه إلى خدمة ابن العميد ، وتعصبه له ، فأنفذ إليه من همدان كتاب الحجر من تأليفه ، فقال صاحب : رد الحجر من حيث جاءك ، ثم لم تطب نفسه بتركه ، فنظر فيه وأمر له بصله .

وسمعت أبا القاسم الكرخي يقول : دخل أبو سعيد الرستمي يوماً دار صاحب فنظر إلى الخلع والأحذية السلطانية المحمولة برسم صاحب والناس يقيمون رسم التثار لها ، فارتجل قصيدة أولها [من البسيط] :

ميلوا إلى هذه النعمى نحيها ودار ليلي فخلّوها لأهلها

وسمعت أبا جعفر الطبري الطبيب المعروف بالبلاذري ، يقول : إن للصاحب رسالة في الطب لو علمها ابن قرّة وابن زكرياء لما زادوا عليها . فسأله أن

يعيرنيها إن كانت عنده ، فذكر أنها في جملة ما غاب عنه من كتبه ، فاستغربت واستبعدت ما حكاه من تطيب الصاحب ونسبته في نفسي إلى التزيد والتكثر ، إلى أن ظفرت في نسخة الرسائل المؤلفة المبوبة للصاحب برسالة قدرتها تلك التي ذكرها أبو جعفر ، ووجدتها تجمع إلى ملاحاة البلاغة ، ورشاقة العبارة ، حسن التصرف في لطائف الطب وخصائصه ، وتدلل على التبحر في علمه وقوة المعرفة بدقائقه ، وهذه نسختها ، وأكثر ظني أنه قد كتبها إليّ أبو العباس الضبي .

قد عرفت ما شرحه مولاي من أمره ، وأنبأ عنه من أحوال جسمه ، فدلّني جملته على بقايا في البدن يحتاج معها إلى الصبر على التنقية ، والرفق بالتصفية ، فأما الذي يشكوه من ضعف معدته وقلة شهوته فلا مريم : أحدهما أن الجسم كما قلت آنفاً لم ينق فتفتق الشهوة الصادقة وترجع العادة السابقة . والآخر أن المعدة إذا دامت عليها المطفئات ولزت^(١) بها المبردات قلت الشهوة وضعف الهضم ، ومع ذلك فلا بد مما يطفئ ويغذي . ثم يمكن من بعد أن يتدارك ضعف المدة بما يقوى منها ويزيل العارض المكتسب عنها ، كما يقول الفاضل جالينوس : قدم علاج الأهم ثم عد وأصلح ما أفسدت . والأقراص في آخر الحميات خير ما نقيت به المعدة ، وأصلحت به العروق . وقوي به الطحال ، ليتمكن من جذب العكر لا سيما والذي وجدته مولاي ليس الذنب فيه للحميات التي وجدها والبلدة التي وردّها ، فلو صادف الهواء المتغير جسداً نقيّاً من الفضول لما أثر هذا التأثير . ولا طول هذا التطويل . وإنما اغتر مولاي بأيام السلامة فكان يتبسّط في أنواع الطعام ويسرف في تناول الشراب ، فامتلاً الجسم من تلك الكيموسات الرديئة ، وورد بلداً شديداً التحليل مضطرب الأهوية فوجدت النفس عوناً على حل ما انعقد . ونقض ما اجتمع . وسيتفضل الله بالسلامة فتطول صحبتها وتتصل مدتها لأن الجسد يخلص خلاص الإبريز ، إذا زال عنه الخبث ، وسبك ففارقه الدرن . وأما الرعشة التي

(١) لزّت : لصقت ولزمت .

يتألم مولاي منها ، ويضيق صدرها بها ، فليست والحمد لله محذورة العاقبة ، وإنها لتزول بإقبال العافية . فالرعدة التي تتخوف هي التي تعرض من ضعف القوة الحيوانية كما تعرض للمشايخ ، وتؤدي لمشاركتها الدماغ كثيراً من العظام ، فأما هذه التي تعتاد عقيب الحمى فهي على ما قال جالينوس من أن حدوثها يكون إذا شاركت العروق التي تحدث فيها علة العصب ، وتزول عنه بزوال الفضل . وعجب مولاي من تكرهه شم الفواكه ، ولا غرو إذا عرف السبب ، فإن العفونة التي في العروق قد طبقت روائحها آلات الشم ، فما يصل إليها من الروائح الزكية ، يرد على النفس مغموراً بتلك الروائح الخبيثة فتكرهها ولا تقبلها . وتأبأها ولا تؤثرها .

ألا يرى مولاي أن الأشياء الحلوة توجد في فم ذي الصفراء بطعم الأشياء المرة ، لامتلاء المرارة المضادة للحلاوة على آلات الذوق والمضغ والإدارة وهذا راجع إلى مثل ما حكمنا به أولاً من أن هناك فضلاً لا يمكن الهجوم على تحليله ، لما يخشى من سقوط القوة ، وإن كان مما لم يخرج لم يوثق بوفور الصحة ، وأنا أحمد الله إذ ليست شهوة سيدي متزايدة ، فالشهوة الغالبة مع الأخلاط الفاسدة تغري صاحبها بالأكل الزائد ، وتعرض للمزاج الفاسد . إلا أن التغذية لا يجوز إهماله دفعة والتبرم به ضربة . فإن البدن إذا احتاج إليه وجب للعليل أن يتناوله تناول الدواء الذي يصبر عليه . وذلك أن في دقة الحمية وترك الرجوع أول فأول إلى عادة الصحة إماتة للشهوة ، وخيانة للقوة .

وجالينوس يشترط في العلاجات أجمع استحفاظ القوى ، لأن الذي يفعله الضعف لا يتداركه أمر ، إلا أن ذلك بإزاء ما قال الحكيم الأول بقراط في البدن السقيم : إنك متى ما زدت غذاء زدت شراً ، وهو في نفسه يقول : إن الحمية التي في غاية الدقة ليست بمحمودة ، فالطرفان من الإسراف والإجحاف مذمومان ، والواسطة أسلم ، أغنى الله مولاي عن الطب والأطباء بالسلامة والشفاء .

وسمعت عوناً الهمداني يقول : أتى صاحب بغلام مثاقف^(١) ، فلعب بين يديه ، فاستحسن صورته . وأعجب بمثاقفته ، فقال لأصحابه : قولوا في وصفه ، فلم يصنعوا شيئاً ، فقال صاحب [من السريع] :

مثاقفٌ في غاية الحذق فاق حسان الغرب والشرق
شبهته والسيف في كفه بالبدر إذ يلعب بالبرق

وأشدني أبو سعيد بن دوست الفقيه ، قال : أنشدني أبو علي العراقي العوامي الرازي ، قال : أنشدني صاحب نفسه [من السريع] :

كم نعمةً عندك موفورةٌ لله فاشكرُ يا ابن عباد
قم فالتمس زادك وهو التقى لن تسلك الطريق بلا زاد

* * *

جری الشعراء بحضرة صاحب

في ميدان اقتراحه الديارات

أقرأني أبو بكر الخوارزمي كتاباً لأبي محمد الخازن ورد عليه في ذكر الدار التي بناها صاحب بإصبهان وانتقل إليها ، واقتراح على أصحابه وصفها ، وهذه نسخته بعد الصدر .

نعم الله عند مولانا صاحب أدام الله تأييده مترادفة ، وأياديه لديه متضاعفة ، وأرى أولياء النعم كبت الله أعداءهم تتظاهر كل يوم حسناً في إعظامه وبصائرهم تتراعى قوة في إكرامه ، والوفود على بابهِ المعمور ، كرجل الجراد ، وانتقل إلى البناء المعمور بالفأل المسعود فرأينا يوماً مشهوداً ، وعيداً يجنب عيداً ، واجتمع المادحون ، وقال القائلون ، ولو حضرني القصائد لأنفذتها إلا أنني علقت

(١) المثاقف : الذي يحسن استعمال الرمح والسيف .

من كل واحدة ما علق بحفظي . والشيخ مولاي يعرف ملك النسيان لرقى ، فقصيدة
الأستاذ أبي العباس الضبي أولها [من البسيط] :

دار الوزارة ممدودُ سرادقها	ولا حقٌ بذرى الجوزاء لاحقها
والأرض قد واصلت غيظ السماء بها	فقطرها أدمعُ تجري سوابقها
بودّها أنها من أرض عرصتها	وأنّ أنجمها فيها طوابقها ^(١)
فمن مجالس يخلفن الطواوس قد	أبرزن في حللٍ شانت شقائقها
ومن كنائس يحكين العرائس قد	ألبنن مجسدة راقّت طرائقها ^(٢)
تفرّعت شرفاتٌ في مناكبها	يرتدّ عنها كليل العين رامقها ^(٣)
مثل العذارى وقد شدّت مناطقها	وتوجّت بأكاليلٍ مفارقها
كلّ امرئٍ سوّغته الحجب رؤيتها	وأشرقت في محيّا مشارقها
مخلّفٌ قلبه فيها وناظره	إذا تجلّت لعينه حقائقها
والدهر حاجبها يحمي مواردها	عن الخطوب إذا صالت طوارقها ^(٤)
مواردٌ كلما همّ العفاة بها	عادت مفاتح للنعمى مغالقها
دار الأمير التي هذي وزارتها	أهدت لها وشحاً راقّت نمارقها
هذي المعالي التي اغتصّ الزمان بها	وافتك منسوقةً والله ناسقها
إنّ الغنائم قد آلت معاهدةً	لا زایلتها ولا زالت تعانقها ^(٥)
لأرضها كلّما جادت مواهبها	وفي ديار معاديبها صواعقها

ومن قصيدة الشيخ أبي الحسن صاحب البريد وهو ابن عمّة الصاحب [من
البسيط] :

(١) العرصة : الساحة .

(٢) الكنائس : الظباء .

(٣) الرامق : المتطلع ، وكليل العين : حسيها .

(٤) الطوارق : الأحداث .

(٥) آلت : أقسمت ، وزایل : فارق .

دارٌ على العزِّ والتأييد مبناهُ
دارٌ، تباهى بها الدنيا وساكنها
فاليمن أصبح مقروناً بيمينها
من فوقها شرفاتٍ طال أداها
كأنها غلمةٌ مصطفةٌ لبستُ
انظر إلى القبة الخضراء مذهبةً
تلك الكنائس قد أصبحن رائقةً
فالربع بالمجد لا بالصحن متسعٌ
لما بنى الناس في دنياك دورهمُ
فلو رضيت مكان البُسْط أعيننا
وهذه وزراء الملك قاطبةً
فأنت أرفعها مجداً وأسعدها
وأنت آدبها بل أنت أكتبها
كسوتني من لباس العزِّ أشرفه
ولست أقرب إلاً بالولاء وإنَّ

وللمكارم والعلياء مغناها
طراً، وكم كانت الدنيا تمنّاها
واليسر أصبح مقروناً بيسراها
يد الثريا فقل لي كيف أقصاها
بيض الغلائل أمثالاً وأشباها
كأنما الشمس أعطتها محيّاها
مثل الأوانس تلقانا وتلقاها
والبهولا بالحلى بل بالعلا باهى
بنيت في دارك الغراء دنياها
لم تبق عينٌ لنا إلاً فرشناها
بيادق، لم تزل ما بيننا شاهاً^(١)
جداً وأجودها كفّاً وأكفاها
وأنت سيدها بل أنت مولاهُ
المال والعز والسلطان والجاها
كانت لنفسى من عليك قرباها

ومن قصيدة مولاي أبي الطيب الكاتب [من الطويل] :

ودارٍ ترى الدنيا عليها مدارها
بناها ابن عبادٍ ليعرض همّةً
يردُّ على الدنيا بها كلَّ غدرٍ
وإن قيل بهتاً قد حكّت تلك هذه

تحوز السماء أرضها وديارها
على هممٍ إسرافهنّ آقتصارها
إذا ما تبارت داره وديارها
فقد يتوارى ليلها ونهارها^(٢)

(١) البيدق والشاه : من حجارة الشطرنج .

(٢) بهتاً : زوراً .

فإن لم يكن في صحن دارك بعض ما أصدر فالدنيا يصحّ اعتذارها
ومن قصيدة أبي سعيد الرستمي [من الطويل] :

نصبن لحبات القلوب حباثلا	عشيّة حلّ الحاجبات حباثلا
نشدن عقولاً يوم برقة منشد	ضلّلن فطالبنا بهنّ العقائلا ^(١)
عقائل من أحياء بكرٍ ووائل	يحببن للعشّاق بكرّاً ووائلا
عيونٌ تكلن الحسن منذ فقدنها	ومن ذا رأى قبلي عيوناً ثواكلا
جعلت ضنى جسمي لديها ذرائعاً	وسائل دمعِي عندهنّ وسائل
وركب سراً حتّى حسبت بأنهم	لسرعتهم عدّوا إليك المراحلا
إذا نزلوا أرضاً رأوني نازلاً	وإنّ رحلوا عنها رأوني راحلا
وإنّ أخذوا في جانبٍ ملت آخذاً	وإنّ عدلوا عن جانبٍ ملت عادلا
وإنّ وردوا ماءً وردت وإن طوا	طويت وإن قالوا تحوّكت قائلا
وإنّ نصبوا للحرّ حرّاً وجوههم	تمثّلت حرباءً على الجذّل ماثلا ^(٢)
وإنّ عرفوا أعلام أرضٍ عرفتها	وإنّ أنكروا أنكرت منها المجاهلا
وإنّ عزموا سيراً شدت رحالهم	وإنّ عزموا حلاً حللت الرحائلا
وإنّ وردوا ماءً حملت سقاءهم	أو انتجعوا غيشاً حدوت الزواملا ^(٣)
أو استنفدت خوص الركائب منها	أعدت لهم من فيض دمعِي مناهلا ^(٤)
يظنّون أنّي سائلٌ فضل زادهم	ولولا الهوى ما ظنّني الركب سائلا
وأقسمت بالبيت الجديد بناؤه	يحيّي ومن يحفي إليه المراقلا ^(٥)
هي الدار أبناء الندى من حجيجها	نوازل في ساحاتها وقوافلا

(١) العقائل : النساء المصونات الشريفات .

(٢) الجذّل : أصل الشجرة الباقي بعد ذهاب الفرع أو عددٌ ينصب لتحتك به الجمال الجري .

(٣) الزوامل : النوق .

(٤) الخوص : النوق .

(٥) المراقل : النوق السريعة .

يزرنك بالآمال مشىً وموحداً
قواعد إسماعيل يرفع سمكها
فكم أنفسي تأوي إليها مغدّة
وسامية الأعلام تلحظ دونها
نسخت بها إيوان كسرى بن هرمز
فلو أبصرت دار العماد عمادها
ولو لحظت جنّات تدمر حسنّها
يناطح قرن الشمس من شرفاتها
وعولٌ بأطراف الجبال تقابلتُ
كأشكال طير الماء مدّت جناحها
وردّت شعاع الشمس فارتدّ راجعاً
إذا ما ابن عباد مشى فوق أرضها
كنائس ناظت بالنجوم كواهاً
وفيحاء لو مرّت صبا الريح بينها
متى ترها خلت السماء سرادقاً

ويصدرن بالأموال دثراً وجاملاً^(١)
لنا كيف لا نعتدّهنّ معاقلاً
وأفئدة تهوي إليها حوافلاً^(٢)
سنا النجم في آفاقها متضائلاً
فأصبح في أرض المدائن عاطلاً
لأُمست أعاليها حياءً أسافلاً
درت كيف تبنى بعدهنّ المجادلاً^(٣)
صفوف طباءٍ فوقهنّ موائلاً
ومدّت قروناً للّطّاح موائلاً
وأشخصن أعناقاً لها وحواصلاً
وسدّت هبوب الريح فارتدّ ناكلاً^(٤)
مشى الزهو في أكنافها متمائلاً
وعادت فألقت بالنجوم كلاكلاً
لضلّت فظلّت تستنير الدلائلاً
عليها وأعلام النجوم تمائلاً

ومنها في وصف الماء الجاري ، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرتّه :

هواءٌ كأيام الهوى فرط رقة
وماءٌ على الرضراض يجري كأنّه
كأنّ بها من شدّة الجري جنّة
وقد فقد العشاق فيها العواذلاً
صفائح تبرقّب سبكن جدّاولاً^(٥)
فقد البستهنّ الرياح سلاسلًا

(١) الدثر : الكثير من كلّ شيء كالمال وغيره .

(٢) مغدّة : طلباً للغذاء .

(٣) المجادل : الأبنية المحكمة والمتقنة .

(٤) الناكل : الضعيف الجبان .

(٥) الرضراض : الحصى الرقاق في مجاري الماء .

ولو أصبحت داراً لك الأرض كلها
ولو كنت تبنيها على قدر همة
عقدت على الدنيا جداراً فحزتها
وأغنى الورى عن منزلٍ من بنتٍ له
ولا غرو أن يستحدث الليث بالسرى
ولم يعتمد داراً سوى حومة الوغى
ولا حاجباً إلا حساماً مهتداً
ووالله ما أرضى لك الدهر خادماً
ولا الفلك الدوار داراً ولا الورى
أخذت بضبع الأرض حتى رفعتها
فإنّ الذي بينه مثلك خالدٌ

لضاقت بمن يتتاب دارك آملاً
سمت بك واستسرت إليك المراسلاً
جميعاً ، ولم تترك لغيرك طائلاً
معاليه فوق الشعرين منازل^(١)
عريئاً ، وأن يستطرف البحر ساحلاً
ولا خدماً إلا القنا والقنابلاً^(٢)
ولا عاملاً إلا سناناً وعاملاً
ولا البدر متتاباً ولا البحر نائلاً
عييداً ولا زهر النجوم قبائلاً
إلى غاية أمسى بها النجم جاهلاً^(٣)
وسائر ما يبنى الأنام إلى بلى

ومن قصيدة أبي الحسن الجرجاني [من الطويل] :

ليهن ويسعد من به سعد الفضل
تولى له تقديرها رجب صدره
بنية مجدٍ تشهد الأرض أنها
تكلف أحداق العيون تخاوصاً
مناراً لأبصار الرواة ، وربّها
سحابٌ علا فوق السحاب مصاعداً
وقد أسبل الخيري كمي مفاخرٍ

بدارٍ هي الدنيا ، وسائرها فضل^(٤)
على قدره ، والشكل يعجبه الشكل
ستطوى وما حاذى السماء لها مثل
إليه كأنّ الناس كلّهم قبل^(٥)
مناراً لآمال العفاة إذا ضلّوا
وأحرى بأن يعلو وأنت له وبلى
بصحنٍ به للملك يجتمع الشمل

(١) الشعري : نجم في السماء .

(٢) القنابلا : الجماعة من الناس والخيول .

(٣) ضبع الأرض : ابطيها .

(٤) وسائرها فضل : أي كلّها بقية له .

(٥) التخواص : من الخوص وهو صغر العين يريد أن المتطلّع إليها يخفض بصره .

كما طلع النسر المنير مصفّقاً
 بنيت على هام العداة بنيةً
 ولو كنت ترضى هامهم شرفاً لها
 ولكن أراها لو هممت برفعها
 تحجّ لها الآمال من كلّ جهةٍ
 وما ضرّها ألاّ تقابل دجلةً
 تجلّى لأطراف العراق سعوها
 كذا السعد قد ألقى عليها شعاعه
 وقالوا تعدّى خلقه في بنائها
 فقلت إذا لم يلهه ذاك عن ندى
 إذا النصل لم يذمّ نجاراً وشيمةً
 تملّ على رغم الحواسد والعدى

جناحيه لولا أنّ مطلعاه عقل
 تمكّن منها في قلوبهم الغلّ
 أتوك بها جهد المقلّ ولم يألوا^(١)
 أبى الله أن تعلو عليك فلم تعلو
 وينحر في حافاتها البخل والمحل
 وفي حافتيها يلتقي الفيض والهطل
 فعاد إليها الملك والأمن والعدل
 فليس لنحسٍ في مطارحها فعل
 وكان وما غير النّوال به شغل
 فماذا على العلياء إنّ كان لا يخلو
 تأتّق في غمدٍ يصان به النّصل^(٢)
 علاك ، وعش للجود ما قبح البخل

ومن قصيدة أبي القاسم الزعفراني [من الخفيف] :

سرّك الله بالبناء الجديد
 هذه الدار جنة الخلد في الدنيا
 أمة زينت لسيدها الما
 حليها حسنهما فقد غنيت عن
 إرم المسلمين لا ذكر شداً
 ما تشكّكت أن رضوان قد خا
 كلّ مستخدمٍ فداء وزيرٍ

تلك حال الشكور لا المستزيد
 يا فصلها وأختها بالخلود
 لك لا زينة الفتاة الرود^(٣)
 كل مستطرفٍ بلبس التليد
 د بن عادٍ فيها ولا اسم شديد
 ن وإلاّ لم مثلها في الصعيد ؟
 خدمته الرجال بعد الأسود

(١) يألوا : يقصّروا .

(٢) النجار : الأصل .

(٣) الفتاة الرود : الفتاة الحسناء الفتية .

أَلْزَمَ الْإِنْسَ كُلَّ جَافٍ شَدِيدٍ عَمَلَ الْجَنِّ كُلَّ جَافٍ مَرِيدٍ
فَابْتَنَوْا مَا لَوْ أَنَّ هَامَانَ يَدْنُو مِنْهُ لَمْ يَرْضَ صَرْحَهُ لِلصُّعُودِ
قَدْ تَوَلَّى الْإِقْبَالَ خِدْمَتَهُ فِيهِ عَلَى رَسْمِهِ كَبْعُضُ الْجُنُودِ
وَدَرَى أَنَّهُ يَزِيدُ مَعِينًا مِثْلَهُ فَاسْتَعَانَ بِالتَّسْمِيدِ^(١)
قَالَ لِلْجَصِّ كُنْ رِصَاصًا وَلَا جَرِّ لَمَّا عَلَاهُ كُنْ مِنْ حَدِيدِ
فَتَنَاهَى الْبَنِيَانَ وَارْتَفَعَ الْإِسْوَانَ حَتَّى أَنْفَ بِالْتَّشْدِيدِ
وَتَبَدَّتْ مِنْ فَوْقِهِ شَرَفَاتُ كُنُسَاءٍ أَشْرَفْنَ فِي يَوْمِ عِيدِ
قَسَمًا لَا مَدَحْتَ بَعْدَ ابْنِ عِبَا دَ مَنِيلِ الشَّبَابِ وَالتَّخْلِيدِ
لَا لَقِيتَ الزَّمَانَ إِلَّا بِوَجْهِهِ مَاؤُهُ لَا يَجُولُ فِي جَلْمُودِ
وَيَدٍ مَا حَسَرْتَ رَدْنِي عَنْهَا فَهِيَ سَيْفٌ يَصَانُ عَنْ تَجْرِيدِ
أَجْمَعَ النَّاسَ أَنَّهُ أَفْضَلُ النَّاسِ سَاضْطِرَارًا أَغْنَى عَنِ التَّقْلِيدِ
فَلِهَذَا أَعَدَّ قَرِيبِي مِنْهُ نِعْمَةً لَيْسَ فَوْقَهَا مِنْ مَزِيدِ
لَا ذَكَرْتَ الْعِرَاقَ مَا عَشْتُ إِلَّا أَنْ أَرَاهُ يَوْمَهُ فِي الْجُنُودِ

ومن قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء [من الكامل] :

دَارُ تَمَكَّنْتَ الْمَنَاهَجَ فِيهَا نَطَقْتَ سَعُودَ الْعَالَمِينَ بِفِيهَا

ومن قصيدة أبي محمد بن المنجم [من الطويل] :

هَجَرْتَ وَلَمْ أَنْوَ الصَّدُودَ وَلَا الْهَجْرَا وَلَا أَضْمَرْتَ نَفْسِي الصُّرُوفَ وَلَا الْغَدْرَا
وَكَيْفَ وَفَى الْأَحْشَاءَ نَارَ صِبَابَةٍ تَشَبَّبَ لِي فِي كُلِّ جَارِحَةٍ جَمْرَا^(٢)
تَقُولُ لِي الْأَفْكَارَ لَمَّا دَعَوْتَهَا لَتَنْظُمَ فِي مَعْمُورِ بَنِيَانِهِ شِعْرَا
بَنَى مَسْكَنًا بَانِي الْمَفَاخِرِ أَمْ فَخْرَا وَجِئْتَنَا الْأُولَى بَدَتْ أَمْ هِيَ الْآخَرَى ؟

(١) التسميد : أي جعل فيها السَّاد .

(٢) تشَبَّبَ : توفد .

أم الدار قد أجرى الوزير سعوها
وتبدو صحنون كالظنون فسيحة
وفي القبة العليا زهر كواكب
إذا ما سما الطرف المخلق نحوها
فلم تجردار في الثرى ذلك المجرى
تقدّرهما حلماً فتنعتها حزرا^(١)
من الضرب المضروب والذهب المجرى^(٢)
رأها سماءً صحف أنجمها تقرا

ومن قصيدة أبي عيسى بن المنجم [من الطويل] :

هي الدار قد عمّ الأقاليم نورها
ولو خبّرت دار الخلافة بادرت
ولو قد تبقت سر من را بحالها
لتسعد فيها يوم حان حضورها
فما حلمت عين الزمان بمثلها
يقول الأولى قد فوجئوا بدخولها
أفي كل قطر غادة وحليها
وأبوابها أثوابها من نفوسها
معظمة إلا إذا قيس سمكها
هي الهمة الطولى أجالت بفكرها
فجاء بدار دار بالسعد نجمها
وقال لها - الله الوفي ضمانه
أهنيك بال عمران والعمر دائم
وقد أسجل الإقبال عهدة ملكها
ولو قدرت بغداد كانت تزورها
إليها وفيها تاجها وسريرها
لسار إليها دورها وقصورها
وتشهد دنياً لا يخاف غرورها
وحاشا لها من أن يحسن نظيرها
وحيرهم تحيرها وحيرها^(٣)
وفي كل بيت روضة وغديرها
فلا ظلم إلا حين ترخي ستورها
بهمّة بانيها فتلك نظيرها
مباني تكسوها العلا ويعيرها
وجنبت المحذور ليس يطورها^(٤)
سأحميك ما ضمّ الليالي كرورها
لبانيك ما أفنى الدهور مروورها
وخطت بأقلام السعود سطورها

(١) حزرا : تقديراً وتخميناً .

(٢) الضرب : الدراهم .

(٣) التحير : التوشية والتزيين ، والحير : من الثياب : الناعم الجديد الملوّن .

(٤) يطورها : يقرها .

ودارت لها الأفلاك كيف أدرتها ودانت إلى أن قيل أنت مديرها
وهاك ابنة الفكر التي قد خطبتها وقدم من قبل الزفاف مهورها
فإن كان للدار التي قد بنيتها نظير فقي عرض القريض نظيرها
والآ جررت الذيل في ساحة العلا وقلت القوافي قد أعيد جريرها

ومن قصيدة أبي القاسم عبيد الله بن محمد بن المعلى ، أبوه يكتب لأبي
دلف سهلان بن مسافر ، وقد ورد الباب منذ أشهر ، وهو ممن يفهم ويدري ، وله
بديهة ومعرفة حسنة [من البسيط] :

بي من هواها وإن أظهرت لي جلدا وجد يذيب وشوق يصدع الكبد
رمت بأسهم هجر لا تقوم لها خيل العزاء وإن ألبتها زردا
من مبلغ عني الماهات مألكة تحي الصديق وتردي كل من حسدا^(١)
أنني ترحلت عن قومي بها قنصاً فإن رجعت إليهم أبصروا أسدا
قل للوزير ابن عباد بنيت علأ أم منزلاً أم كلا هذين أم بلدا
فمن رأى دار مولانا وزينتها رأى بها كوكباً في أفقه فردا

رأى الربيع رأى الروض المريع رأى الـطود المنيع رأى ثهلان قد ركد^(٢)
ومن قصيدة أبي العلاء الأسدي [من الكامل] :

أسعد بدارك إنها الخلد والعيش فيها ناعم رغد
دار ولكن أرضها شرف ربع ولكن سقفه مجد
قد أثمرته همّة صعد هي قبل والدنيا لها بعد
هي للعفاة وللندی قبل صلى إليها الشكر والحمد^(٣)

(١) الماهات : جمع مها وهي البقرة الوحشية ويريد بها « الفتيات » ، والمألكة : الرسالة .

(٢) ثهلان : جبل .

(٣) قبل : جمع قبله أي مقصد .

إيوان كسرى في مدائنه منذ ابتليت دموعه سرد
ولمارد هم يعانقه وكذاك يشجي الأبلق الفرد
والجعفرية لأقوام لها وصفا البديع وولول القرد
أحييت عباداً وأسرته فضلاً ولم يشقق لهم لحد
والحي من حييت مناقبه بابن يؤرخ باسمه المجد
هذي العقيلة من بني أسد تجلى وتحذر صولها الأسد
بكر فلم يعرض لها بشر قبلي ولم يقدح لها زند
زفت إليك وجليها أدب وزكت لديك ومهرها نقد

ومن قصيدة أبي الحسن الغويري [من مجزوء الكامل] :

دار غدت للفضل داره أفلاك أسعده مداره
منها المحامد مستقا والمحاسن مستعاره
شرفاتها هيفُ الخصو ر لها تحاسين وشاره
فلكل طرف نحوها ولكل جارحة إشاره
وعلى جميع الدور في الدنيا تقلدت الإماره
فترابها مسكٌ سحيق شق برد الليل فاره^(١)
لا تهتدي لنعوت أد ناه الفحول بنو عماره

ومن قصيدة لبعض الشبان من أهل البلد [من الخفيف] :

هي دنياً بنيتها أم دار فجميع الأفلاك فيها تدار
ولبعض الشعراء من الغرباء من قصيدة أولها [من الهزج] :

رأينا طلعة الدار شموساً مع أقمار

(١) الفار : وعاء المسك والطيب .

ولي مسألة بعد فعاجلني بأخبار
بنيت الدار في دنيا ك أم دنياك في الدار

أخذ هذا المعنى من حيث أخذه أبو الحسن بن أبي الحسن البريدي [من
البسيط] :

* لما بنى الناس في دنياك دورهم *

وهما أخذه من قول أبي العيناء حين قال له المتوكل : كيف ترى دارنا
هذه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، عهدي بالناس بينون الدور في هذه الدنيا وأنت
بنيت الدنيا في دارك هذه .

ولبعضهم قصيدة أولها [من السريع] :

إنَّ الوزير قد بنى دارا والسعد في أكنافها دارا
ومن قصيدة أخرى [من الكامل] :

هتَّت جنتك التي تبنيها وبقيت غضاً ناضراً تبليها

ومن قصيدة هزلية لابن عطية الشاعر [من الكامل] :

الملك ملكٌ والأمير أميرٌ والدار دارٌ والوزير وزير

ومنها وقد جد :

تزهى الملوك بدورها ولأنت من تزهى به الدنيا فكيف الدور
لا يعدم الأمراء منك سياسةً لولا سعادتها وهي التدبير^(١)
وكان في جملة الطارئین شیخ أنطاکی فی زی الكتاب حسن البیان ظریف

(١) وهي : ضعف .

اللهجة قد أنافت سنوه على الثمانين وخنقت التسعين ، فقال قصيدة أولها [من
المنسرح] :

ما أنصف الدار واقفٌ فيها	يثني على غيرها ويطريها
فقفٌ بها ناشراً محاسنها	وانح به ما حوت نواحيها
ووفّها النعت غير مختصرٍ	فليس نزر الشاء يكفيها
يكاد يجري السّفين سافلها	يكاد يعلو النجوم عاليها
لم يبق في الناس من إذا ذكرت	بوحدة الكون لم يقل إليها
فعجّ بها الصّحب واقض واجبها	وقف بها وقفة المهنيها
إنّ أغدّ ذا نعمة فواهبها	أنت فداك الورى ومنشيها
وما تراه عليّ من حللٍ	فأنت كاسٍ بها ومعطيها
وكلّ ما ضمّ منزلي ويدي	من نعمة لي فأنت موليتها
لا نسي الله حسن فعلك بلّ	أسأله في الحياة ينسيها

قال مؤلف الكتاب : وأنشدني أبو بكر الخوارزمي لنفسه قصيدة في دار
الصاحب عارض بها قصيدة الرستمي في الوزن والقافية إذ هي أجود القصائد فمنها
[من الطويل] :

أكلٌ بناءٌ أنت بانيه معجزٌ	بنيت المعالي أم بنيت المنازل
فلا الإنس تبني مثلهنّ معالماً	ولا الجنّ تبني مثلهنّ معاقلاً
كنائس أضحت للغمام عمائماً	علواً وأمست في الظلام قنادلاً
رحابٌ كأنّ قد شاكلت صدر ربّها	وبيضٌ كأنّ قد نازعته الشمائل
وبهوٌ تباهي الأرض منه سماءها	بأوسع منها آخراً وأوائلاً
وصحنٌ يسير الطرف فيه ولم يكن	ليقطعه بالسّير إلّا مراحل
تلوح نقوش الجصّ في جدرانها	كما زينّ الوشم الدقيق الأنامل
وماءٌ إذا أبصرت منه صفاءه	حسبت نجوم الليل ذابت سوائلاً

رأيت سيوفاً قد سللن على الثرى
وروضٌ كعيش السائليك نضارةً
أصائله للنور أضحت هواجراً
هي الدار أمست مطرح العلم فاغتنى
إذا ما انتحاهما الركب لم يتطلبوا
وأنت امرؤ أعطيت ما لو سألته
وإني وإلزاميك بالشعر بعدما
كملزم ربّ الدار أجرة داره
وأنشدني أيضاً لنفسه فيها [من مجزوء الوافر] :

بنيت الدار عاليةً كمثل بنائك الشرفا
فلا زالت رءوس عداك في حيطانها شرفا

* * *

ذكر البرذونيات

لما نفق برذون أبي عيسى بن المنجم بأصبهان وكان أصداً^(١) قد حمله
الصاحب عليه وطالت صحبته له أوعز الصاحب إلى الندماء المقيمين في جملته أن
يعزوا أبا عيسى ويرثوا أصداءه فقال كل منهم قصيدة فريدة، فمن قصيدة أبي القاسم
الزعفراني [من الخفيف] :

كنّ مدى الدهر في حمى النعماء مستهيناً بحادث الأرزاء
ينشئ الخطب حين يلقاك عن طود شديد الثبات للنكباء

(١) انتحى : قصد وتوجه ناحيتها .

(٢) الأصداً : ما كان لونه الشقرة إلى السواد، أو السواد المشرب بالحمرة .

بك يا أحمد بن موسى التسلي والتعزي عن سائر الأشياء
ومعزيك لا يزيدك خبراً بالذي قد عرفته بالعزاء
قد سخا طرفك المفارق بالنفس وطرفي من بعده بالماء
يا له جمره ونجماً وشؤبو باً وبرقاً وطائراً في الرواء^(١)
راكب الليل خائض السيل عَيْن الخيل عانته أعين الأعداء^(٢)
فقد الوحش منه أول قطاً عِ إليها المدى أمام الضراء^(٣)
واستراحت من نغمة مقلّة الشمس ومن لطمه حدود الفضاء
ما بدا والصباح قد لاح إلّا جاءنا من قتامة المساء
وترى الطود حين يمثل مجمو عاً على ضمير القنا في الهواء
كم ركبت البراق منه أبا عيسى وإن لم تكن من الأنبياء
فرسٌ لو علاه ذو الزهد عمرو بسن عبيدٍ لتاه في الخيلاء
عدّة الفارس الذي خانّه الصبر قرّامى بصدّره في اللقاء
قد تملّيته وإن كنت ما شا هدت في ظهره وغى الهيجاء
فترى ما يراه غيرك في الحر ب وتقلّى طريقة الندماء^(٤)
كلُّ بؤسي أتتك من قبل الله فسلم فيها لجاري القضاء
سوف تعاض من خصيكَ فحلاً لم يشنه بيطاره بالخصاء
من لهى سيدٍ سخيٍّ سريٍّ يشتري بالغلاء كلّ العلاء^(٥)
أي رزءٍ وأيّ وزرٍ على من يتقوى بأنّهض الوزراء
أيّها الصاحب الجليل أتمّ الله نعماك عندنا بالنماء

(١) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، والرواء : حسن المنظر .

(٢) عَيْن الخيل : نموذجاً لها ، عانته : حسدته .

(٣) الضراء : الشجر الملتف الذي تستتر به .

(٤) تقلّى : تكرر وتهجر .

(٥) اللهى : العطايا وأوسعها .

كم كرعنا من بحر عرفك في كَفِّكَ أصفى ماءً بأوفى إناء
سنةً سنّها فتى لا يريد الوصل بين البيضاء والصفراء
جمع الله شمل معتصمٍ منك بحبلي مودةً وولاء
ومن قصيدة أبي الحسن بن عبد العزيز الجرجاني [من الخفيف] :

جلّ والله ما دهاك وعزاً فعزاً إنّ الكريم معزى
والحفيف الكريم من إن أصابت نكبةً بعد ما يعزّ يعزى
هي ما قد علمت أحداث دهرٍ لم تدع عدّةً تصان وكزاً
قصدت دولة الخلافة جهراً فأبادت عمادها والمعزاً
وقديماً أفنت جديساً وطمساً حفزتهم إلى المقابر حفزاً^(١)
اصغِ والحظّ ديارهم هل ترى منْ أحدٍ منهم وتسمع ركزاً^(٢)
ذهب الطرف فاحتسب وتصبّر للرزايا فالحرُّ من يتعزى
فعلى مثله استطير فؤاد الحازم الندب حسرةً واستفزاً
لم يكن يسمع القياد على الهوى ولا كان نافراً مشمراً
ربّ يومٍ رأيتَه بين جردٍ تتقفاه وهو يجمز جمزاً^(٣)
وكأنّ الأبصار تعلق منه بحسامٍ يهزّ في الشمس هزاً
وتراه يلعب العين حتّى تحسب العين أنّه يتهزّ
وسواءً عليه هجر أو أسرى أو انحطّ أو تسنم نشزاً^(٤)
وكأنّ المضمار يبرز منه متنٌ حسّي ينزّ بالماء نزاً^(٥)

(١) جديساً وطمساً : من القبائل البائدة .

(٢) الركز : البقية ، والحسّ .

(٣) الجرد : الخيل الأصيلة ، وتجمز : تثب وتقفز .

(٤) النشز : المرتفع .

(٥) الحسّي : السهل من الأرض يستتقع فيه الماء ، وينز : يتحلّب ويسيل منه الماء .

استراحت منه الوحوش وقد كا
 كم غزالٍ أنحى عليه وغير
 نال منه وكم تصيّد فزا^(١)
 وصروف الزمان تقصد فيما
 يستفيد الفتى الأعزّ الأعزّا
 فإذا ما وجدت من جزع النكبة في القلب والجوانح وخزا
 فتذكرّ سوابقاً كان ذا الطر
 ف إليهنّ حين يمدحُ يُعزى
 أين شقٌّ وداحسٌ وصيبٌ
 غمزتها حوادث الدهر غمزا^(٢)
 غلن ذا اللّمة الجواد ولزّت
 طرباً واللّزاز والسلب لزّا^(٣)
 ولقد بزّت الوجيه ومكتو
 ما بني أعصرٍ وأعوج بزّا
 وتصدّت للاحقٍ فرمته
 وغرابٍ وزهدمٍ فاستفزا
 فاحمد الله إن أهون ما تُر
 زأ ما كنت أنت فيه المعزّى
 قد رثينا ولم نقصر وبالغـنا وفي البعض ما كفاه وأجزى
 ومن العدل أن ثاب أبا عيسى على قدر ما فعلنا ونجزى
 ومن قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء [من الطويل] :

عزاءً وإن كان المصاب جليلاً
 وخفض أبا عيسى عليك ولا تفضّ
 وراجع حجاك الثبت لا يغلب الأسى
 ولا تستفزّك الهموم وبرحها
 وإن نفق الطرف الذي لو بكيته
 أقبُّ يروق العين حسناً ومنظراً
 وصبراً وإن لم يغن عنك فتيلاً
 دموعاً وإن كان البكاء جميلاً
 أساك وإن حمّلت منه ثقيلاً
 فحملك قبل اليوم كان أصيلاً
 دماً كان في حكم الوفاء قليلاً
 ويرجعها يوم الحضار كليلاً^(٤)

(١) الفرّ : الظبي الفزع .

(٢) شق وداحس وصيب وغيرها من الأسماء في الأبيات التالية كذي اللّمة واللّزاز والسلب والوجيه ومكتوم

وأعطر وأعوج ولاحق وغراب وزهدم كلّها أسماء أفراسٍ سوابق للعرب .

(٣) لزّ : التصق .

(٤) أقبّ : ضامر البطن دقيق الخصر .

إذا ما بدا أبدى لعطفك هزّة
 كلمع الشهاب خفةً وتوقداً
 إذا قلت قفْ أبصرته الماء جامداً
 خلت قصبات السبق منه وأيقنتُ
 بكتبه جلال الخز وانتحبت له
 أقام عليه آل أعوج مأتماً
 ففي كلِّ إصطبل أنينٌ وزفرةٌ
 ولو وفّت الجرد الجياد حقوقه
 وقد أنصفته الخيل ما ذقن بعده
 فقدت أبا عيسى بطرفك مركباً
 عتادك في الجلى وكهفك في الوغى
 تفرقتما لا عن تقالٍ وكنتما
 وهبت لعقبان الفلاة لحومه
 ووزعتها بين النسور غنيمةً
 وأعزّزته دهرأً فلما سطا به الردى
 على أنها الأيام شتى صروفها
 ونفسك إعجاباً به وقبولا
 وجذع الحضار هادياً ودليلاً^(١)
 وإن قلت سرّ ماءً أصاب مسيلاً
 رياح الصبّا أن لا يجدن رسيلاً^(٢)
 مخالي حريرٍ رحن منه عطولاً^(٣)
 وأعلى له آل الوجيه عويلاً
 تردّد فيه بكرةً وأصيلاً
 لما رجعت حتى الممات صهيلاً
 شعيراً ولا تنبأ ومتن غليلاً^(٤)
 جليلاً وخلاً ما علمت نيلاً
 وعونك يوماً إن أردت رحيلاً^(٥)
 لفرط التّصافي مالكاً وعقيلاً
 وكنت بها لولا القضاء بخيلاً
 صفايا ومرباعاً لها وفضولاً^(٦)
 لم تجد بداً فصرت مذيلاً^(٧)
 تذلُّ عزيزاً أو تعزُّ ذليلاً

(١) الحضار : العدو والوثب .

(٢) الرسيل : الفرس الذي يرسل مع آخر في السباق .

(٣) الجلال : البرذعة للفرس .

(٤) الغليل : الظمأ .

(٥) الجلى : الأمر العظيم .

(٦) الصفايا : جمع صفى ، وهو ما كان يأخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنيمة قبل قسمها ، والمرباع : هو ربع كان يختص به الملك من الغنيمة في الجاهلية وقال شاعرهم :

لك المرباع وحدك والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول

(٧) مذيلاً : قلنا ضجورا .

ومن قصيدة أبي الحسن السلامي [من الوافر] :

فدى لك بعد رزئك من ينام	ومن يصبو إذا سجع الحمام
ونفسي بالفداء عنيت لا من	ينام عن الحقوق ولا يلام
ألا نفق الجواد فلا عجاج	تقوم به الحروب ولا ضرام
وكان إذا طغت حرب عوان	جری ورسيله الموت الزؤام ^(١)
إذا رميت به الغابات صلت	صفوف الخيل وهو لها إمام
تمهر في الوقائع وهو مهر	ولا سرج عليه ولا لجام
فلما لم يدع في الأرض قرناً	تخوته فعاجله الحمام
وعود عافيات الطير طعماً	وشرب دم إذا حرم المدام
فلما لم يطق نهضاً أته	فقال لها أنا ذاك الطعام
وجاد بنفسه إذا لم يجد ما	يجود به ، كذا الخيل الكرام
وكنت البدر عارضه كسوف	بنحس حين تم له التمام
فلا تبعد وإن أبعدت عنا	فهذا العيش ليس له انتظام
إذا لم تكشف الأصدا همومي	فليت الخيل أصداه وهام ^(٢)
طوى الحدثان طرفك يا ابن يحيى	فطرفي ما يعاوده المنام
ولم أحضره يوم قضى فيشكو	تحمحمه الذي صنع السقام
ولا خبرت ليلة جرّ جسم	زكت عندي له نعمّ جسام
ألم أقسم عليك لتخبرني	أمحمول على النعش الهمام ^(٣)

(١) الموت الزؤام : الموت المحتّم .

(٢) الأصداء : جمع صدى ، وهي صوت طائر يصير بالليل تزعم الجاهلية أنه يخرج من رأس المقتول ،
واهام ومثله الهامة : الطائر الذي يخرج من رأس القتيل ، وقال ذو الاصبع العدواني :
يا عمرو إلا تدع شمي ومنقصتي أضربك حيث تقول الهامة اسقوني
أي على رأسه .

(٣) هذا البيت للناطقة الذبياني يخاطب به صاحب النعمان بن المنذر واسمه عصام .

مضوا يتناقلون به خفافاً عليه من الضباع له قيام
فبزوه وما عرّوه درعاً نبت عنه الصّوارم والسّهام
أيقّله الحمام أشدّ قرنٍ وأكرمه وتسلبه اللّثام
أبا عيسى تعزّ فدتك نفسي فإنّ الموت قرنٌ لا يضام
أقم في ظلّ إسماعيل تضمنُ لك الدّرك السّلامة والدوام^(١)
إذا بقي الوزير لنا وفيها فقل للدّهر يهلك والأنام
وعظت بها أخاً ورثت مالا وأديت الأمانة والسلام

ومن قصيدة أبي محمد الخازن [من المنسرح] :

لو سامح الدّهر أعصماً صدعا أو كاسراً فوق مربأ وقعا^(٢)
أو صاحباً ساقه نواهضه أو سبعاً في عرينه شبعاً
أبقى لنا ذلك الجواد ولم يغدو لصفو الهبات منتزعا
لست أقيل الزمان عثرته فليس يدري الزمان ما صنعا
آه على ذلك الجواد فقد جرّع قلبي من كأسه جرعا
آه عليه من أصدأ جزع طاع دهرأ أودى به جزعا
آه عليه وقد سرى لمعا فراح غيضاً كبارق لمعا
لم يكب في جريه إذا كنت الخيل ولا قال راكبوه لعا^(٣)
صفا أديماً وحافراً وقحاً والعين والساعدين والسفعا^(٤)
عريض زورٍ وبلدة وصلأ رحيب صدرٍ ومنخرٍ ومعا^(٥)

(١) الدّرك : إدراك الحاجة .

(٢) الأعصم : عن الغزلان ونحوها : ما في ذراعيه سواد وسائر أسود أو آخر . والمربأ : المكان الذي يتقف فيه المراقب .

(٣) اللعي : كلمة للدعاء يقال للدّعي تعثّر في سيره وتعني « أنعشك الله ونجوت » .

(٤) السفع ، من الخيل : مواضع الوسم .

(٥) البلدة : الصدر ، والصلأ : وسط الظهر ، والمعا : هي الأمعاء .

إذا هوى فالعقاب منخفضاً وإن رقى فالسحاب مرتفعاً
 كأنه بالسّمك متعلّ فليس يشكو في وقعه وقعا
 أوجعك الله يا زمان فقد رحت حزيناً بفقده وجعا
 قد لان للموت أخدعاه ومن خادعه الدهر عاد منخدعا
 كم قلت للنفس وهي مزعجة أيتها النفس أجملّي جزعا^(١)
 قد شرّع القائلون باباً إلى الصّبر عليه فأصبحوا شرعا^(٢)
 لا تصحب الهمّ في الجواد أبا عيسى ودعه ولا تكن جزعا
 فنائل الصاحب الجليل أبي القاسم إسماعيل الحيا همعا
 وانظر إليه كأنه قمرٌ أزهرٌ من ثنيّ دسّته طلعا
 ولا تضق بالذي فقدت يداً إنّ لنا في نداءه مسّعا
 فاسمع قريضاً من موجهٍ جزعٍ ويرحم الله صاحباً سمعا
 ومن قصيدة أبي سعيد الرستمي [من المنسرح] :

لو أعتب الدهر من يعاتبه	ولان للعاذلين جانبُهُ
أو كان يصغي إلى شكاة شجٍ	صبّت على قلبه مصائبه
أحسنت عنك المناب في حرقٍ	تشعلها في الحشى نوائبه
ولم أزل عن شكاته أبداً	ولم أزل دائباً أعاتبه
لهفي على ذلك الجواد وهلْ	يفكّ رهن المنون نادبه
لو كان غير الممات حاوله	لفلّلت دونه مخالفه
أو كان غير المنون يخطبه	رمل أنفُ أبداه خاطبه ^(٣)

(١) العجز صدر مرثية لأوس بن حجر وعجزه « إنّ الذي تحذرين قد وقعا » .

(٢) شرعاً : سواء .

(٣) أخذ هذا من قول المهلهل وقد أكره على تزويج ابنته .

لو بأبائين جاء يخطبها رمل ما أنف خاطب بدم

أو حارب الدهر مشفقٌ حذبٌ
من لجوى حلّ بي عساكره
فلست أرجو انقلاعه أبداً
يرتدّ بين الضلوع لي نفسٌ
لهفي على ذلك الجواد مضى
لو عرف الخيل من نعت لها
أو علم القفر من نعت له
تباشر الوحش في الفلاة له
فنام ملء الجفون شارد
تبكي لتقريبه الرّياح معاً
عهدي به والجنوب تجنبه
والهوج في حضره تحاذره
يا حسنه والعيون ترمقه
ترخى عليه العنان في عنقٍ
إن سار في السّهل هاج ساكنه
يوسعه إن رآه حاسده

لقمت في وجهه أحاربه
وحطّ بين الحشى مضاربه
أو يجلب الصّبر لي جوالبه
من ذكره ضاق بي مساربه^(١)
في سفرٍ لا يؤوب غائبه
ضاقت بها في السّرى مذهبه
لانسدّ للسالكين لاجبه^(٢)
فقد صفت بعده مشاربه
وسام ملء البطون ساربه^(٣)
فهنّ في جريها أقاربه
إذا جرى والصّبّا تجانبه
والنّكب في سيره تناكبه
وأنت يوم الرهان راكبه
حتى إذا ما التوى تجاذبه
أو سار في الحزن صاح صاحبه^(٤)
مدحاً ويشني عليه جاذبه

أخذه من قول أبي تمام :

* عوذه الحاسد بخلأ به *

رجع :

(١) مساربه : ممّراته .

(٢) اللّاحب : الطريق الواضح .

(٣) سام : طلب .

(٤) الحزن : الأرض الصعبة المسالك .

أصداً يحكي الظلام ، غرته البدر ، وتحجيله كواكبُهُ^(١)
أعاره الروض وشي زهرته فعاد في لونه يناسبه
وطالب لا يفوز هاربه وهارب لا ينال طالبه
كم موكب سار في جوانبه فاهتز زهواً به كتائبه
وعسكر زانه تحمحمه فارتج من صوته مواكبه
ومجهل راح وهو جائبه لولاه لم تطوه نجائبه
صبراً جميلاً وإن سلبت أبا عيسى جليلاً فالموت سالبه
والموت إن جار في الحكومة أو أنصف فالمرء لا يغالبه
في صاحب المرتجى لنا خلف من كل ماض خفت ركائبه
إن نَفَقَ الطَّرَف أو أصبت به ما نفقت عندنا مواهبه^(٢)
لم يود طرف وإن فقدت به علقاً نفيساً ما عاش واهبه
دام لنا في النعيم ما طلعت شمسٌ وجلّى الظلام ثاقبه

ومن قصيدة أبي العباس الضبي [من الطويل] :

دعا ناظري لذيد اغتماضه وقلبي يستعزُّ أليم ارتماضه^(٣)
فقد جاد سباق الجياد بنفسه فلا ظهر منها لم يملّ لانهاضه^(٤)
أبيد فما للبيد طرفٌ وطرفه صحيحٌ ولم يقرحه حرّ ارفضاضه^(٥)
نفوسٌ عتاق الخيل فيضي لفقده وأعينها فيضي لوشك انقراضه
وأظهرها حطّ السروج تفجعاً له وردي ماء الردى من حياضه

(١) ألّتحجيل : الذي في قوائمه بياض .

(٢) الطَّرَف : الحصان الجيد .

(٣) الارتماض : الاحتراق من الحرّ أو الحزن .

(٤) الانهاض : الإنكسار .

(٥) ارفضاضه : زواله ، ورفض الجرح : سال قيحه .

لقد كان وفق الجو عند ارتفاعه
لو أن حدود الورد أرض لأرضه
يريك نحول السهم عند اقتباله
وقور إذا خلّيته وطباعه
ويخفى اصطفاق الرعد رجع صهيله
تعزّ أبا عيسى وليك ثابت
ومن عرف الدنيا استهان بخطبها
ولوقبل الدهر الخؤون ذخائري
ولكنه يبقى الذي لا نوده
وهذا الذي بي لو غدا زاد مرضع
سقا الأصدأ الكدري ما نفع الصدا
وفي بعض حملان الوزير معوضة
فسرّ كيفما آثرت فوق جياده

نشاطاً وملء الأرض عند انخفاضه
لما مسّها منه أذى بارتكاضه^(١)
وييدي مثول الطود عند اعتراضه
وإن هزهز الأرضين فرط انتفاضه
ويخفت صوت الليث بين غياضه
وجل التسلي لم يرع بانتفاضه
ولا سيّما من طال عهد ارتياضه
لقدمتها عنه رضى باعتياضه
ويردي الذي نهوى بصرف غضاضه^(٢)
لشيب فوديه اشتعال بياضه
غمام حداه الرعد عند ائتماضه^(٣)
وسلوان قلب مسلم لانقضاضه
ومسّ كيفما أحبيت بين رياضه^(٤)

ومن أرجوزة أبي دلف الخزرجي [من الكامل] :

دهرٌ على أبنائه وثاب
فما لهم من كيده حجاب
أصبح لا يردعه العتاب
تعجمهم أنياه الصلاب^(٥)
يا لك دهرأ كلّ عقاب
إن المنايا ولها أسباب

(١) ارتكاضه : تحرّكه واضطرابه .

(٢) غضاضه : نقصه وعييه .

(٣) إئتماضه : يريد سماع صوته ، وحدوثه .

(٤) مسّ : تمايل زهواً ونشوة .

(٥) تعجمهم : تختبر صلابتهم وتعصّهم .

تصيدنا والصَّيدُ مستطابُ
لكلِّ قلبٍ بعده اكتئابُ
أصدأ بادي الحسن لا يعابُ
وهذبت أخلاقه العذابُ
ذو نسبٍ تحسده الأنسابُ
كأنما غرته شهابُ
كأنما حجوله سرابُ
للصخر عند وقعه التهابُ
إنَّ القرارات له انصبابُ
للريح في مذهبه ذهابُ
دماؤها لنحره خضابُ
لا خبرٌ منك ولا كتابُ
مستأنساً تألفك الرحابُ
ترتج كال موج له عبابُ
تجزع من أمثالها الأحبابُ
يخفُّ في مصرعك المصابُ
ولا صحا من حبك الأصحابُ
يا حزناً إذ ضمَّك الخرابُ
كصارمٍ أسلمه القرابُ
وامتار منه النحل والذبابُ

واهاً لناءٍ ماله إيابُ
مسوِّمٍ تعنو له الأسرابُ
قد كملت في طبعه الآدابُ
أقبُ ممّا ولّد الأعرابُ^(١)
وميعه ينزو بها الشبابُ^(٢)
كأنما لبّاته محرابُ
كأنما حافره مجوابُ
إذا تدانى فهو الحجابُ
وإنّ علا فالصقر والعقابُ
فالوحش ما يلقاه والهرابُ
يا غائباً طال به الإيابُ
ما كنت إلّا روضة تتابُ
تعشقك العيون والألبابُ
تناوبتك للردى أنيابُ
وكنّت لو طالت بك الأوصابُ
ما طاب عن أضرابك الإضرابُ
وأنت فردٌ ماله أترابُ
وأغلقت من دونك الأبوابُ
وقد جرى من فمك اللعابُ
واعتورتك الفئة الغضابُ^(٣)

(١) أقبُ : ضامر البطن دقيق الخصر .

(٢) الميعة : أوّل الجري وأنشطه، وينزو : يطمح ويتولّع بها .

(٣) امتار النحل والذباب : جنى الزهر .

وفيك أطراف المدى تنساب
هل هو إلاً هكذا العذاب
بيكيك والسائس والبواب
قل لأبي عيسى وما الإسهاب
والرأي في دفع الردى صواب
شيمته السخاء والإيجاب
آلاؤه ليس بها ارتياب
لا زال والدعاء يستجاب

حتى نضى عن جسمك الإهاب
وقد غدا الإصطبل والجناب
والسرج واللجمام والركاب
بنافع تم لك الثواب
فاسكن فهذا صاحب الوهاب
في جوده وفضله مناب
يضل في إحصائها الحساب^(١)
يبقى لنا ما بقي التراب

ومن قصيدة أبي محمد محمود [من الطويل] :

بكاءً على الطرف الذي يسبق الطرفا
وقف مدد الأحزان وقفاً مؤبداً
على أصدأ زان الحلبي إذا اغتدت
على أصدأ جاراه ألف مشهراً
على فرس جارى الرياح على حفاً
جواب الذي ينعى إليه أيا لهفاً
أقام بمشواه الجياد مناحةً
وآل الغراب والوجيه ولاحقاً
فكم أقرحت خدأً وكم ألهمت حشاً

على ذلك الإلف الذي فارق الإلفا
عليه وخل الدمع يجري له وكفا^(٢)
عليه وزان البيض والبيض والزغفا^(٣)
عتيق فوافانا وقد سبق الألفا
فغادرها حسرى وخلفها ضعفى^(٤)
على ذلك الأصداء وقل له لهفى
كما عقدت وحش الفلاة به قصفا^(٥)
أدامت عويلاً لا أطيع له وصفا
وكم أوجعت قلباً وكم أدمعت طرفاً

(١) الآلاء : النعم .

(٢) الوكف : السيلان .

(٣) البيض : السيوف ، والبيض جمع بيضة ، وهي غطاء الراس في الحرب ، والزغف : الدروع اللينة الواسعة المحكمة الرقيقة .

(٤) الحفا : رقة القدم والخف .

(٥) قصفا : خلاعة ومجوناً ، أي فرحت لموته لأنه كان أسبق الخيل إليها .

ولو عرفت حسناء داود حقّه
فكم قد حماها يوم حربٍ و غارِقٍ
يطير على وجه الصعيد إذا جرى
ويعطيك عفواً من أفانين ركضه
له ذنبٌ ضافٍ يجرّ على الثرى
له غرّةٌ مثل السراج ضياؤها
سقى الغيث رهواً مشبهاً ذلك الكتفا
يواجه وجه الوحش إن سار خلفها
ويرجع مخضوب البنان كأنّه
وإن خاف من عين النواظر أهله
إذا ما غزا الغازي عليه قبيلةٌ
يراه كميّةٍ وهو لهفان واله
ولو أنّه قد كان حقق موته
وما أنا ممّن يظهر الشجواً ممناً
ولولا وفاءٍ فيه كنت أقوده
كراهيةً من أن يقوم مقامه
وأعفّيته أنّ الوزير معوّضٌ
فعول أبا عيسى عليه فإنّه

لما ضفّرت شعراً ولا خضّبت كفّاً
وكم نرعت من خوفها القلب والشفّا^(١)
فما إن يمسّ الأرض من أرضه حرفاً
إذا سمته التقريب أو سمته القطفّا^(٢)
طويلٌ كأذيال العرائس بل أضفى^(٣)
وأىُّ سراجٍ بالنوائب لا يطفأ
وطوداً منيفاً حاكياً ذلك الردفا^(٤)
فيجعلها من حيث لم يحتسب خطفاً
عروسٌ وقد زفّت إلى خدرها زفاً
عليه فمدّوا دون مربطه سجفاً^(٥)
فلا حافراً أبقى عليه ولا خفاً
لميتته يطوي الظلام وما أغفى
لجزّ عليه للأسى الشعر الوحفا^(٦)
وإنّ عظيمات المصائب لا تخفى
إليك بلا منٍّ ولكنّه استعفى
حفاظاً وبعض الخيل يستعمل الظرفا
ومن ذا الذي يرجو نداه ولا يكفى
سيكفيك خطب الدهر وهو به أكفى

(١) القلب بضمّ القاف : سوار المرأة، والشف : حلية تلبسها في أعلى الأذن .

(٢) التقريب : ضرب من العدو ، أو أن يرفع رجله معاً ويضعها معاً .

(٣) الأضفى : السابغ الكثير .

(٤) الرهو : المطر الساكن .

(٥) السجف : الستائر .

(٦) الوحف : الشعر الكثير الأسود .

لقال له رفقاً وقال له وقفا
 فإن شاءها بعثاً وإن شاءها صرفاً
 فغرقاً من البحر الذي زرتة غرقاً
 عطاءً جزيلاً لا بكيئاً ولا نشفاً^(١)
 ألان له عطفاً وأبدى له عطفاً^(٢)
 فعاد لنا كهفاً وصار لنا لطفاً
 وعاد هُدًى للهِو والطيب والعرفا
 تسير قوافي الشعر من خلفها خلفاً

ولو لم يرد تعويضه لك عاجلاً
 فإن صروف الدهر تحت يمينه
 هو البحر يغني الناس من كل جانب
 هو الغيث يعطي كل غامٍ ورائح
 كريم إذا ما جاءه ابن حظية
 أقام مناراً للندى والهدى معاً
 تعز أبا عيسى وإن أعوز الأسى
 وهاك كأمثال الرياض سوابقاً

ومن قصيدة أبي عيسى [من الطويل] :

وأبدت لي اللذات من بعده صدأً
 من الحزن ما لو نال يذبل لانهداً^(٣)
 ولي مهجة تستشعر الحزن والوجد
 بنفسي وأهلي فهو أهل لأن يفدى
 ويا ليت له لما دعاه الردى ردأً
 وألهب في الأحشاء من حرقٍ وقداً
 فعادت عيون الخيل من بعده رمداً
 فتركه كرهاً وقد بدكت جهداً
 تجاوز في أعجازها الوصف والحدأً
 وترهبه ريح الشمال إذا جدأً

لقد عظمت عندي المصيبة في الأصداء
 وأهدي إلى قلبي المصاب بفقده
 وأصبحت مشغول المدامع بالبكا
 ولو كان يغنيني الفداء فديته
 ولكنّه لبى المنون مبادراً
 مضى الطرف واستولى على الطرف دمه
 مضى الفرس السباق في حلبة الوغى
 يبید الرياح كلّها في حضاره
 مواقفه عند الطراد شهيرة
 نسيم الصبا يحكيه في هزل سيره

(١) البكاء : القليل وكذلك النشف .

(٢) العطف : الجانب كناية عن التواضع .

(٣) يذبل : إسم جبل .

غدا سيّداً فيها وراح لها عبداً
 وكنّ حازماً شهماً وكنّ بازلاً جلداً^(١)
 وقد شمت الحساد مذ فقد الأصداء
 فمن قارع سنّاً ومن لا طمّ خدّاً
 فهيمني وجداً وذكرني نجداً
 جوادٌ ومن يعدى عليه إذا استعدى
 ومن كفّه من صيبٍ خضلٍ أندى^(٢)
 فحصل منّا الشكر والنشر والحمداء
 تعلّم من يرجوه أن يطلب الرّفداً

فقد صار نهبي بين وحشٍ وطائرٍ
 تسلّ أبا عيسى ولا تقرب الأسي
 فقد كمد الاخوان من فرط حزنهم
 وأصبح أبناء الشّجاعة حسراً
 وقد هاج لي حزناً عليه تحسّري
 جوادٌ عزيزٌ أن يوجد بمثله
 سوى الصّاحب المأمول للوجود والنّدى
 أتاح لنا الإحسان من كلّ جانب
 له همّة فوق السّماء مقيمة

ومن قصيدة لبعض أهل نيسابور قالها على لسان أحد الندماء [من مخلع

البسيط] :

كلّ قريبٍ إلى بعادٍ	كلّ نعيمٍ إلى نفاذٍ
كلّ نفاقٍ إلى كسادٍ	كلّ هبوبٍ إلى ركودٍ
وكلّ كونٍ إلى فسادٍ	وكلّ ملكٍ إلى زوالٍ
والسمع بابٌ إلى الفؤادٍ	وصادقٍ من يقول فاسمع
لا بد للزرع من حصادٍ	قد بلغ الزرع منتهاه
من هبة الصّالح الجوادٍ	لهفي على أصداء جوادٍ
وغرة الطرف والتّلاذ	منقطع المثل في البلاد
قد كان ماءً وأنت صادي	لهفي على أصداء مسيحٍ
فمنتهاها إلى الرّماد	وكان ناراً وكلّ نارٍ

(١) البازل : الرجل المجربّ الكامل التجربة .

(٢) الصيب : السحاب ذو المطر .

كان من العين والمؤاد
لو شرب الصافنات راحاً
عهدي به شاهقاً منيفاً
أسرع من لحظة وأحلى
أجراً من ضيغم وأجرى
سليل ريح أخو شهاب
عدة سار عتاد غاد
أسير ممّا يقال فيه
كأنما خلقه سداد
كأنه ساحر عليم
عين أصابته لا رأت من
نفذت يا دهر شرّ سهم
لو كان يغنى الدفاع عنه
فاصبر لحكم الإله وانقذ
هوّن عليك الملمّ يا أبا
أنت من صاحب المرجى

في العين من مركز السّواد
لكان ريحانة الجياد^(١)
يمرّ مرّاً إلى صعاد
في العين من طارق الرقاد
من سيل ليل بقعر وادي
طود جمال هلال نادي
قعدة قار عماد بادي^(٢)
والشعر جوابة البلاد
قد صبّ في قالب السّداد^(٣)
من راكب الطرف بالمراد
تهوي لقاه إلى التّنادي
أتى على خيرٍ مستفاد
جعلت ترساً له فؤادي
للحقّ يا فاقد الجواد
عيسى وكنّ ثابت العماد^(٤)
ما عشت في نائل معاد

* * *

ذكر الفيليات

لما حصل صاحب في رقعة جرجان على الفيل الذي كان في عسكر

(١) الصافنات : الصافن من الخيل : الفرس القائم على ثلاث قوائم .

(٢) قعدة قار : أي سكن فيها ولم يتحرك .

(٣) السداد : الاستقامة والرشاد .

(٤) الملمّ : المصاب .

خراسان ، أمر من بحضرته من الشعراء أن يصفوه في تشييب قصيدة على وزن قافية قول عمرو بن معدي كرب [من مجزوء الكامل] :

أعددت للحدثان سا بغة وعداءً علندي^(١)

فمن قصيدة أبي القاسم عبد الصمد بن بابك [من مجزوء الكامل] :

قسماً لقد نشر الحيا بمناكب العلمين بردا
وتنفست يمنية تستضحك الزهر المندى
وجريحة اللبات تنشر من سقيط الدمع عقدا
نازعتها حلب الشثو ن وقلما استعبرت وجدا^(٢)
ومساجل لي قد شققت لدائه في في لحدا
لا ترم بي فأنا الذي صيرت حرّ الشعر عبدا
بشوارب شمس القيا د يزدن عند القرب بعدا
وممسك البردين في شبه النقا شية وقدأ^(٣)
فكأنما نسجت عليه يد الغمام الجون جلدا
وإذا لوتك صفاته أعطاك مسّ الروع فقدا
فكأن معصم غادة في ماضيه إذا تصدى
وكأن عوداً عاطلاً في صفحته إذا تبدى
يحدو قوائم أربعاً يتركن بالتلعات وهذا^(٤)
جاء المطرف قد تفرّ د بالفراة واستبدا^(٥)

(١) السابعة : الدرع ، والعلندي : الغليظ من كل شيء وأراد به الفرس .

(٢) الشثون : مجاري الدمع .

(٣) النقا : الكثيب من الرمل ، وشية : اللون الذي يخالف سائر لوان الشيء .

(٤) التلعات : ما ارتفع من الأرض ، والوهد : الأرض المنخفضة .

(٥) الفراة : النشاط والخفة .

وإذا تخلل هضبة فكأن ظلّ الليل مدّاً
 وإذا هوى فكأن ركناً من عماية قد تردى
 وإذا استقلّ رأيت في أعطافه هزلاً وجداً
 متقرّطاً أذنأ تعي زجر العسوف إذا تعدّى
 خرقاء لا يجد السرا ر إذا تولّجها مرداً^(١)
 أوطأته مرعى نسيبي واجتنبت وصال سعدي
 ملك رأى الإحسان من عدد العواقب فاستعداً
 كافي الكفة إذا انثنت مقل القنا الخطي رمداً
 تكسوه نشر العرف كفف من جفون الطل أندى
 لا زلت يا أمل العفاة لفارط الآمال وردا
 والو الليالي لابساً عيشاً برود الظل رعدا

ومن قصيدة أبي الحسن الجوهري [من مجزوء الكامل] :

قل للوزير وقد تبدى يستعرض الكرم المعداً
 أفنيت أسباب العلا حتى أبت أن تستجداً
 لو مسّ راحتك السحا ب لأمطرت كرمأ ومجداً
 لم ترض بالخيّل التي شدّت إلى العلياء شدّاً
 وصرائم الرأي التي كانت على الأعداء جندا^(٢)
 حتى دعوت إلى العدى من لا يلام إذا تعدّى
 متقصياً تيه العلو ج وفطنة أعيت معداً^(٣)
 فيلاً كرضوى حين يلبس من رفاق الغيم بردا

(١) خرقاء : الأرض الواسعة التي يشند فيها هبوب الريح . والسرار : من الأرض : أوسطها .

(٢) صرائم الرأي : الخزم والقطع في الأمور .

(٣) العلو ج : حمار الوحش القوي السمين .

مثل الغمامة ملئت أكنافها برقاً ورعداً
 رأسٌ كقلّة شاهقٍ كسيت من الخيلاء جلداً
 فتراه من فرط الدلالة مصعراً للناس خداً^(١)
 يزهى بخرطوم كمثل الصولجان يردّ رداً
 متمرداً كالأفعوا ن تمده الرمضاء مداً
 أو كم راقصة تشيـربه إلى الندمان وجداً
 وكأنه بوق تحرّكه لتنفخ فيه جدّاً
 يسطو بساريتي لجيـن يحطمان الصخر هداً
 أذناه مروحتان أسـندتا إلى الفودين عقداً
 عيناه غائرتان ضيـقتا لجمع الضوء عمداً
 قاسوه باسطرلاب يجمع ثقبه ما لن يحداً
 تلقاه من بعد فتحـسبه غماماً قد تبدى
 متناً كبنان الخور نق ما يلاقي الدهر كداً
 ردفاً كدكة عنبر متمایل الأوراك نهداً
 ذنباً كمثل السوط يضرب حوله ساقاً وزندا
 يخطو على أمثال أعـمدة الخباء إذا تصدى
 أو مثل أميالٍ نضد ن من الصخور الصمّ نضداً
 متورّد حوض المنية حيث لا يشـتاق وردا
 متلفعاً بالكبرياء كأنه ملك مفدى
 أدنى إلى الشيء البعيد يراد من وهم وأهدى
 أذكى من الإنسان حتّى لورأى خللاً لسداً
 لو أنّه ذو لهجة وفى كتاب الله سردا

(١) مصعراً : نائهاً متكبّراً .

قلّ للوزير عبت حتى قد أتاكَ الفيل عبدا
سبحان من جمع المحاسن عنده قرناً وبعدا
لو مسّ أعطاف النجوم جرين في التريبع سعدا
أو سار في أفق السما ء لأنبتت زهراً ووردا

ومن قصيدة أبي محمد الخازن [من مجزوء الكامل] :

حازوا سعود ديار سعدى ورعوا جناب العيش رغدا
وقضوا مآرباً للصبا مذ أبدلوا بالغور نجدا
سكنوا محلاً بالدمى أضحى محلاً مستجداً
عظفت عليّ ظباؤه ما شئت سالفةً وقدأ
وشفيت حرّ الوجد من برد سقى الأكباد بردا
عجباً أشيم لثغرها برقاً ولست أحسّ رعدا
وغدوت أجني من غصو ن البان تفاحاً ووردا
وبنفسى القمر الذي لمعاً تصدى ثم صدأ
يا هذه أهدي الوصا ل تكرمأ إن كان يهدى
وتذكري عهد الصبا في بيت عاتكة المفدى^(١)
لا تنكري شيئاً ألم بفوده وفداً فوفدا
وتعلمي أنّ الشبا ب وإن وفى قرضاً يؤدى
وإذا أعير فأنه لا بدّ من أن يستردأ
كم ليلة ساورتها وقضيتها حسناً وجداً
وأرى النجوم لآثاً في الجو تجلو اللازوردا
حتى تحوّل أدهم الظلماء في الأفقين وردا

(١) العاتكة : المرأة المحمّرة من الطيب .

وبدا الصباح يحلُّ من جيب الدجى ما كان شُداً
وقريت همِّي أعنساً تذر الربى بالوخد وهذا^(١)
فوردن أفنية العلا معمورة فحمدن وردا
حيث الفضائل والفوا ضل فتن إحصاء وعداً
حيث الوغى مشوبة نيرانها وهجاً ووقدا
ومهابة كادت لها صمُّ الجبال تخرُّ هذا
أفياله يقدحن في ظلم الوغى زنداً فزندا
تسري كسُحم سحائب بجانب تُرجى وتحدى^(٢)
ولبسن دكن ملابسٍ غرباً معاطفهن ربدا^(٣)
ورمقن عن أجفان مضمرة على الأعداء حقدا
وفغرن أفواهاً كأفواه المزداد تروغ دردا^(٤)
وكشرن عن أنيابها مثل الحراب شياً وحداً^(٥)
من كلِّ جهمٍ خلته يوم الوغى غولاً تصدى
كبنية من عنبرٍ دعمت سوارى السَّاج نضداً^(٦)
وعليه طارونية يزهى بها حراً وبردا
لولا انقلاب لسانه لرأيته خصماً ألدّاً
متولياً أمراً ونهياً مالكاً حلاً وعقدا
وكأتما خرطومهم راووق خمير مدّ مدّاً

(١) الأعنُسُ : النوق الصلبة القوية، والوخد : ضربٌ من السير .

(٢) السُحم : السواد ، والجناثب : النوق .

(٣) الدكن : جمع الأدكن ، وهو المائل إلى السواد ، والربد : جمع أريد ، وهو الذي لونه إلى الغبرة .

(٤) فغرفاه : فتحه ، وتروغ : تطلب ، والدرد : جمع أدرد ، وهو الذهب ، الأسنان .

(٥) شياً : حداً ، وشبا السيف : المكان القاطع فيه .

(٦) السَّاج : شجرٌ عظيم طويل عريض صلب الخشب أسوده .

أو مثل كمّ مسبلٍ أرخته للتوديع سعدى
 وإذا التوى فكأنّه الثعبان من جبلٍ تردى
 وكأثما انقلبت عصا موسى غداة بها تحدّى
 متعطّفاً كالصولجا ن بساحة الميدان يحدى
 يكسى الحداد وتارةً يكسى نسيج الدرع سردا
 وكأثما هو خاضبٌ بالاثمد الجاريّ جلدًا^(١)
 لونٌ حكى إظلامه لون المشبه ليس يهدى
 مستيقظٌ أبداً ويكـبر أن يعير العين رقدا
 كفّل تموج كالكثيب تهيله صوباً وصعدا^(٢)
 قد ساد كلّ بهيمة كيساً ومعرفةً وجداً
 فكأنّه يوم الوغى يكسى من الخيلاء بردا
 وإذا انثنى من حربه يسعى فيرقص دستبندا^(٣)
 أودى بمن عادى الوزير وعمّهم حصراً وحصدا
 من عزمه كالعضب قدّ وعلمه كالبحر مدّا^(٤)
 مستوحشٌ بالسلم لم تألف ظباه قطّ غمدا^(٥)
 كالغيث يهطل سائحا والليث يبرز مستبداً
 وزر الملوك ونابها الـ أعلى وساعدها الأشداً
 أيّ اسم فخرٍ لم يحز هـ وأيّ مجدٍ لم يعدّا؟

(١) الخضاب : الصباغ ، والاثمد : الكحل .

(٢) صوباً وصعدا : انخفاضاً وعلواً .

(٣) دستبندا : فارسية الأصل .

(٤) العضب : السيف القاطع .

(٥) الطّوى : الحدّ من السيف والسهم والسنان .

أم أيُّ ثغر لم يفت ه ولم يشد، ولم يسداً ؟
 كافي الكفاة المرتجى والسيد الهادي المفدى
 ما الحرّ إلا من غدا للصاحب المأمول عبدا
 ولئن أجدت مديحه فلطالما أغنى وأجدى
 وقربت منه فالتفتت إلى الزمان وقلت بعدا
 واعتضت غير مخيب من مستمر النحس سعدا
 وكفيت ثمداً ناضباً وسقيت ماء العيش رغدا^(١)
 ومنحت إنصافاً بعو ن الله من دهرٍ تعدى
 خذها إليك شواهداً في ألسن الراوين شهدا
 هذبتها وجلوتها في الحسن خاتمةً ومبدا
 قد كان يكدي خاطري لكن بهدحك قد أمدأ^(٢)
 أعددت للحدثان جو لك دون عداء علندي^(٣)
 وعلمت أنك واحدٌ في العالمين خلقت فردا
 تذر الوعيد نسيئة كرماً وتحبو الوعد تمدا^(٤)
 ويفوح خنقك عن عبيدٍ حوله زهر مندى
 أنا غرسك انزاكي بكفك مثمراً أدباً ووداً
 فسأمل الدنيا بما استملت من جدواك حمدا
 هي طاعتي حتى أرى متبوءاً في الترب لحدا
 تفديك نفسي من عوا دي كلّ مكروه ومردى

ولم يحضرني الآن من الفيليات أكثر من هذه الثلاث ، وإذا وجدت من

(١) التمد : الماء القليل .

(٢) يكدي : يقصر ويمنع .

(٣) للحدثان : الليل والنهار ، أي الزمن ، والعلندي : الغليظ من الأفراس .

(٤) النسيئة : التأخير في دفع الثمن .

أخواتها ما يصلح للإلحاق بها ألحقته بمشيئة الله تعالى وإذنه ، والحمد لله أولاً
وآخرأ ، وظاهراً وباطناً .

* * *

خبر سبطه الشريف أبي الحسن عباد بن علي الحسيني

لما أتت صاحب البشارة بسبطه أبي الحسن عباد أنشأ يقول [من مجزوء
الرمل] :

أحمد الله لشرى	أقبلت عند العشي
إذ حبانى الله سبطاً	هو سبط للنبي
مرحباً ثمة أهلاً	بغلام هاشمي
نبوي علوي	حسني صاحبي

ثم قال [من البسيط] :

الحمد لله حمداً دائماً دائماً أبداً إذ صار سبط رسول الله لي ولداً

فقال أبو محمد الخازن على وزنه ورويه قصيدة أولها [من البسيط] :

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا	وكوكب المجد في أفق العلا صعدا
وقد تفرّع في أرض الوزارة عن	دوح الرسالة غصن مورك رشدا
للّٰه آية شمسٍ للعلا ولدت	نجماً وغابة عزّ أطلعت أسدا
وعنصر من رسول الله واشجة	كريم عنصر إسماعيل فاتحدا ^(١)
وبضعة من أمير المؤمنين زكت	أصلاً وفرعاً وصحت لحمه وسدى
ومثل هذي السعادات القويّة لا	يحوزها غيره دامت له أبدا

(١) واشجة : متشابكة ومتصلة .

يا دهره حقّ أن تزهى بمولده
تعجبوا من هلال العيد يطلع في
فمن موالٍ يوالي الحمد مبتهلاً
وكادت الغادة الهيفاء من طربٍ
فلا رعى الله نفساً لم تسرّ به
وذي ضغائن طارت روحه شفقاً
علماً بأنّ الحسام الصاحبى غدا
وأنه آنسد شعبٌ كان منصدعاً
فأرفعُ المجد أعياناً وأسمقهُ
فليهنأ الصاحب المولود ولترد الـ
لم يتخذ ولداً إلاّ مبالغةً
ما أشرف معنى هذا البيت وأبدعه وأبرعه !

ومنها :

وخذ إليك عروساً بنت ليلتها
أهديتها عفوطبعي وانتحيت بها
وازنت ما قلته شكراً لربّك إذ
الحمد لله شكراً دائماً أبداً
من خادمٍ مخلصٍ ودّاً ومعتقداً
سحراً وإنّ كنت لم أنفث له عقداً
جاء المبشّر بيتاً سار واطردا
إذ صار سبط رسول الله لي ولداً

وقال أبو الحسن الجوهري في التهنتة قصيدته التي منها [من البسيط] :

كافي الكفاة بقصدٍ من صرائمه
حامي الحماة بحصدٍ من مناصله^(٤)

(١) الإرهاف : الرقة والبداية .

(٢) قدداً : قطعاً .

(٣) أسمقه : أعلاه .

(٤) الصرائم : العزائم ، والمفاصل : السيوف والرماح وغيرها .

ما زال يخطب منه الدين مجتهداً قربى توطّد من عليا وسائله
 وكان بعد رسول الله كافله فصار جدّ بينه بعد كافله
 هلّم للخبر المأثور مسنده في الطالقان فقرّت عين ناقله
 فذلك الكنز عبّادٌ وقد وضحت عنه الإمامة في أولى مخايله

لما روت الشيعة أن الطالقان كنزاً من ولد فاطمة يملأ الله به الأرض عدلاً
 كما ملئت جوراً ، والصاحب من قرية الطالقان من قرى أصبهان ، ورزق سبطاً
 فاطمياً ، تأوّلوا له هذا الخبر ، وأنا بريء من عهده .

الصاحبى نجاراً في مطالعه والطلبى غراراً في مقاتله
 يهني الوزير طباً في وجه صارمه من صارمٍ وشباً في حدّ عامله

وقال عبد الصمد بن بابك قصيدة منها [من الوافر] :

كساك الصوم أعمارُ الليالي وأعقبك الغنيمة في المآب
 فلا زالت سعودك في خلود تبارى بالمدى يوم الحساب
 أتاك العز يسحب برديته على ميثاء حالية التراب^(١)
 بيدرٍ من بني الزهراء سارٍ تعرّى عنه جلباب السحاب
 تفرّع في النبوة ثم ألقى بضبعيه إلى خير الصحاب^(٢)
 تلاقت لابن عبّادٍ فروع النبوّة والوزارة في نصاب
 فلا تفرّر برقدته الليالي ولا تشحذ له الهمم النوابي
 فمن خضعت له الأسد الضواري ترفع عن مراوغة الذئاب

وكان الصاحب إذا ذكر عبّاداً أنشد وقال [من البسيط] :

يا ربّ لا تخلني من صنعك الحسن يا ربّ حطّني في عبّادٍ الحسنى

(١) الميثاء : الأرض السهلة ، وتجمع على ميث كهيف .

(٢) تفرّع : أي هو فرع منها ، وضبعيه : إبطيه وعضديه .

ولما فطم قال [من الطويل] :

فطمت أبا عباد يا ابن الفواطم فقال لك السادات من آل هاشم
لئن فطموه عن رضاع لبانه لما فطموه عن رضاع المكارم
ولما أملك عباد بكريمة بعض أقرباء فخر الدولة أبي الحسن قال أبو إبراهيم
إسماعيل بن أحمد الشاشي قصيدة منها [من البسيط] :

المجد ما حرست أولاه أخراه والفخر ما التفّ أقصاه بأدناه
والسعي أجلبه للحمد أصعبه والذكر أعلاه في الأسماع أغلاه
والفرع أذهبه في الجو أنضره والأصل أرسخه في الأرض أنقاه
اليوم أنجزت الآمال ما وعدت وأدرك المجد أقصى ما تمنّاه
اليوم أسفر وجه الملك مبتسماً وأقبلت ببريد السعد بشراه
اليوم ردّت على الدنيا بشاشتها وأرضيَ الملك والإسلام والله
والملك شدّت عراه بالنبوة فار تزّت دعائمه واشتدّ ركناه^(١)
وصار يعزى بنو ساسان في مضرٍ صنعاً من الله أسداه فأسناه
قد زفّ من جده كافي الكفاة إلى من خاله ملك الدنيا شهنشاه^(٢)
سبطان سدّى رسول الله سلكما فألحم الله ما قد كان سداه^(٣)
أولاد أحمد ریحان الزمان ومو لانا الوزير من الریحان ریاہ
أولاد أحمد منه لا يميّزهم عنه ولاءٌ ولا مالٌ ولا جاه
متى ابتنى واحدٌ منهم بواحدةٍ فإنّما صافحت يمناه يسراه

قال مؤلف الكتاب : كنت عزمت على إيراد غرر مما مدح به صاحب في
هذا المكان ، فاقصرت على ما سيمر منها عند ذكر شعرائه ، وسياقة البدائع من

(١) ارتز : ثبت .

(٢) شهنشاه : لقب فارسي معناه ملك الملوك وروي عن سفيان الثوري تحريمه .

(٣) سدّى : أصلح وقوّم .

محاسنهم ، والوسائط من قلائد هم ، بإذن الله سبحانه وتعالى ومشيتته وإرادته .

* * *

وهذه غرر من فقر ألفاظ الصاحب تجري مجرى الأمثال

وقد جمعت فيها بين ما أخرجه الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد منها في كتابه « ملح الخواطر ، وسبح الجواهر » ، وبين ما أخرجه أنا ساكلاً سبيله ، ومحتدياً تمثيله .

من استمّاح البحر العذب ، استخرج اللؤلؤ الرطب * من طالت يده بالمواهب ، امتدت إليه ألسنة المطالب * من كفر النعمة ، استوجب النقمة * من نبت لحمه على الحرام ، لم يحصده غير الحسام * من غرّته أيام السلامة ، حدثته ألسن الندامة .

* من لم يهزه يسير الإشارة ، لم ينفعه كثير العبارة * رب لطائف أقوال ، تنوب عن وظائف أموال * الصدر يطفح بما جمعه ، وكل إناء مؤد ما أودعه * اللبيب تكفيه اللمحة ، وتغنيه اللحظة عن اللفظة ، * الشمس قد تغيب ثم تشرق والروض قد يذبل ثم يورق ، والبدر يأفل ثم يطلع ، * العلم بالتذاكر ، والجهل بالتناكر * إذا تكرر الكلام على السمع تقرر في القلب * الصمائر الصالح ، أبلغ من الألسنة الفصاح * الشيء يحسن في إبانة كما أن الثمر يستطاب في أوانه * الآمال ممدودة ، والعواري مردودة ^(١) * الذكرى ناجعة ، وكما قال الله تعالى نافعة * متن السيف لين ، ولكن حده خشن ، ومتن الحية أليّن ، ونابها أخشن * عقد المنن في الرقاب ، لا يبلغ إلا بركوب الصعاب * بعض الحلم

(١) العواري : الأمانات والقروض .

مذلة ، وبعض الاستقامة مزلة * كتاب المرء عنوان عقله ، بل عيار قدره ولسان فضله ، بل ميزان علمه * إنجاز الوعد ، من دلائل المجد ، واعتراض المطل ، من امارات البخل ، وتأخير الإسعاف ، من قرائن الإخلاف^(١) * خير البر ما صفا وضفا ، وشره ما تأخر وتكدر * فراسة الكريم لا تبطي ، وقياة الشر لا تخطي^(٢) * قد ينبح الكلب القمر ، فليلقم النابح الحجر * كم متورط في عثار ، رجاء أن يدرك بثار * بعض الوعد كنقع الشراب ، وبعضه كلمع السراب * قد يبلغ الكلام ، حيث تقصر السهام * ربما كان الإقرار بالقصور ، أنطق من لسان الشكور * ربما كان الإمساك عن الإطالة ، أوضح في الإبانة والدلالة * لكل امرئ أمل ، ولكل وقت عمل * إن نفع القول الجميل ، وإلا نفع السيف الصقيل * شجاع ولا كعمرو ، ومندوب ولا كصخر * لا يذهبن عليك تفاوت ما بين الشيوخ ، والأحداث ، والنسور والبغاث^(٣) * كفران النعم ، عنوان النقم * جحد الصنائع ، داعية القوارع * تلقى الإحسان بالجحود ، تعريض النعم للشرود * قد يقوى الضعيف ، ويصحو النزيف ويستقيم المائد ، ويستيقظ الهاجد * للصدر نفثة إذا أخرج ، وللمرء بثة إذا أخرج * ما كل امرئ يستجيب للمراد ، ويطيع يد الارتياذ * قد يصلى البري بالسقيم ، ويؤخذ البر بالأثيم * ما كل طالب حق يعطاه ، ولا كل شائم مزن يسقاه^(٤) * إن الأحداث لا رياضة لهم بتدبير الحوادث * إن السنين تغير السنن^(٥) * من ثقلت عليه النعمة ، خف وزنه . ومن استمرت به الغرة طال حزنه^(٦) * أطع سلطان النهي ، دون شيطان الهوى .

* * *

(١) الإخلاف : عدم الوفاء .

(٢) القياة : تتبّع الأثر .

(٣) البغاث : طائر أغبر طويل العنق بطيء الطيران .

(٤) شائم : مترقب ومتطّلع وناظر .

(٥) السنن : الأعراف والتقاليد .

(٦) الغرة : الجهل .

ملح وظرف من ألفاظه

أخبرني عن سفرتك ، وعما حصل بها في سفرتك * وجدت حرّاً يشبه قلب
الصب ، ويذيب دماغ الضب * أنوب فيه نيابة الوكيل المكتري ، بل المملوك
المشتري * قد تحملت مع يسير الفرقة ، عظيم الحرقة . ومع قليل البعد ، كثير
الوجد * عليّ أن أقول ، وما عليّ القبول * لا أعترض بين الشمس والقمر ،
والروض والمطر * أكره أن أمل ، وقد قصدت أن أجل ، وأن أعق ، وقد قصدت
أن أقضي بالحق * مرحباً بزائر لباسه حرير ، وأنفاسه عبير * زائر وجهه وسيم ،
وريشه نسيم ، وفضله جسيم * بستان رق نزره النظير ، وراق ورقة النضير * فلان
بين سكرى الشباب والشراب * غصن طلعه نضير ، وليس له نظير * خط أحسن من
عطفات الأصداء ، وبلاغة كالأمل آذن بالبلاغ * فقر كما جادت الرياض ،
وفصول كما تغازلت المقل المراض * ألفاظ كما نورت الأشجار ، ومعان كما
تنفست الأسحار * نثر كنثر الورد ، ونظم كنظم العقد * كتابك رقية القلب
السليم ، وغرة العيش البهيم * كلام يدخل على الأذن ، بلا إذن * فلان كريم ملء
لباسه موفق مدّ أنفاسه ، ذوجدّ كعلو الجدّ ، وهز كحديقة الورد ، عشرته ألطف من
نسيم الشمال ، على أديم الماء الزلال ، وألصق بالقلب ، من علائق الحب *
شكره شكر الأسير لمن أطلقه ، والمملوك لمن أعتقه * أثنى عليه ثناء العطشان
الوارد ، على الزلال البارد * قلب نغل ، وصدر دغل^(١) * وعده برق خلب ،
وروغان ثعلب * فلان يتعلق بأذيال المعاذير ، ويحيل على ذنوب المقادير .

* * *

(١) النغل : الفاسد : والدغل : الحاقد .

فصول له ورقاع في الملاطفة والمداعبة

فصل من كتاب له إلى أبي العلاء الأسدي

ذكرت أن أدهمك قطع الدهر رباطه ، أو قطع الموت نياطه^(١) . ووصفت الحمار الذي استعضته ، فلا أدري أقرطته ، أم عضدته ؟ وقد كتبت بابتياح مركوب لك يعبوب ، أو يعسوب ، أو مرجوب^(٢) بل رمست أن يقاد إليك في كيس أعجر^(٣) ، فإن شئت فاتركه عندك أشهب ، وإلا فابتع به أدهم أو أشقر ، والتوقيع درج كتابي فليوصل ، والنقد عند الحافر ، وبه يملك الخف والحافر ، ويجنب الأعر السائل ، والأقرح النادر .

* * *

فصل من كتاب في الغضائري

الغضائري ، وما أدراك ما الغضائري . استزاد إلى الجمال جمالاً ، وعاد بديراً وكان هلالاً ، فإن شئت فالغصن ميالاً ، وإن شئت فالدعص منهالا [من الطويل] :

كأنّ جميع الناس يلقون وجهه بناظرك المفتون ، والحبّ شامل
رويدك إن أحبيت فالغصن مائل وإنّ تصبّ بعد الدعص فالدعص هائل^(٤)

وهو يهدي إليك سلاماً كرقعة خده ، ونسيم عرفه ، وغزارة دمعك من بعده [من الطويل] :

(١) نياطه : عروقه .

(٢) اليعبوب : الفرس السريع الطويل ، أو الجواد السهل في عدوه ، والبعيد القدر في الجري ، واليعسوب : النحل وفرس للنبي ﷺ ، والمرجوب : المهاب والمعظم .

(٣) الأعجر : الممتليء .

(٤) الدّعص : الكثيب من الرمل .

سلاماً كما رَقَّ النسيم على الصَّبَا وجاء رسول الورد في زمن الورد

تأبى أيها العبد الصالح ، إلا أن تغمسنا معك في مزح المازح [من الطويل] :

ألا ربّ ذي مزحٍ يحرك حبله رَجُلُ التُّقَى من قلبه محصدٌ شزر^(١)

* فصل - وما الشأن إلا في أنك تنتقل في الهوى تنقل الأفياء ، وتتميل في الحب كشارب الصهباء . فمرة الغضائري ، حتى إذا حسبتك قد صرت له وصار لك ، وعلق بك أمله وأملك . بعث قديماً بحديث ، وتليداً بطريف ، واستهوتك حباثل القمي^(٢) فقمّت تقتل في حبله ، وتحرص على وصله ، ثم تطمع أن تضم ضداً إلى ضد ، وتجمع سيفين في غمد . وهيهات ! إن الغضائري قد أبلغه ذلك فازورّ وتنمر ، وغار وتنكر ، وقد كان له عزم في المسير إلى أصبهان ، ففتر بفتور صبوتك ، وخف بظهور نبوتك [من الكامل] :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحبُّ إلا للحبيب الأول
وقد جعله بعض الشعراء للحبيب الآخر ، وأما نحن فننشد لكثيراً [من الطويل] :

إذا ما أرادت خلّة أن تزيلنا أبينا وقلنا الحاجية أول
والله يسقي عهدك صوب العهد ، ويعيدنا وإياك على البعاد .

* * *

(١) الشزر : المفتل ، أو على غير استواء .

(٢) القمي : الموافقة .

رقعة استزارة

هذا اليوم يا سيدي طاروني^(١) يعجبني نوؤه الفاختي^(٢) ، وإذ قد غابت شمس السماء عنا . فلا بد أن تدنو شمس الأرض منا . فإن نشطت للحضور ، شاركتنا في السرور . وإلا فلا إكراه ولا إجبار ، ولك متى شئت الاختيار .

* * *

وفي مثلها

غداً يا سيدي ينحسر الصيام ، وتطيب المدام . فلا بد من أن نقيم أسواق الأنس نافقة^(٣) ، وننشر أعلام السرور خافقة ، فبالفتوة فإنها قسم للطراف ، يفرض حسن الإسعاف ، لما بادرتها ولو على جناح الرياح ، إن شاء الله تعالى .

أخرى - نحن يا سيدي في مجلسٍ غنيٍّ إلا عنك ، شاكراً إلا منك . قد تفتحت فيه عيون النرجس ، وتوردت فيه حدود البنفسج ، وفاحت مجامر الأترج^(٤) ، وفتقت فارات النارج^(٥) ، وأنطقت السنة العيدان ، وقام خطباء الأوتار ، وهبت رياح الأقداح ، ونفقت سوق الأنس ، وقام منادي الطرب ، وطلعت كواكب الندماء ، وامتدت سماء الند ، فبحياتي لما حضرت ، لنحصل بك في جنة الخلد ، وتتصل الواسطة بالعقد .

في مثلها - نحن وحياتك في مجلس راحه ياقوت ، ونوره در ، ونارنج

(١) الطاروني : ضرب من الخز ونسبة اليوم إليه من باب المجاز ، كأنما كان لباسهم شتاء .

(٢) والفاختي : نسبة إلى الفاخنة ، وهي طائر أسود .

(٣) النافق : الرائج ، الذي يرغب فيه الناس .

(٤) مجامر الأترج : الأترج شجرٌ من جنس الليمون تسميه العامة « الكباد » والمجامر حيث يوضع البخور أو الطيب ليحرق .

(٥) فارات النارج : ظروفها الموضوعة فيها .

ذهب ، ونرجسه دينار ودرهم ، ويحملها زبرجد ، والسنة العيدان تخاطب
الظراف ، بهلم إلى الأقداح ، لكنا بغيبتك كعقد غيبت واسطته ، وشباب أخذت
جدته ، فأحب أن تكون إلينا أسرع من الماء في انحداره ، والقمر في مداره .

في مثلها - مجلسنا يا سيدي مفتقر إليك ، معول في إغنائه عليك ، وقد أبت
راحه أن تصفو إلا أن تتناولها يمينك ، وأقسم غناؤه لا طاب أو تعيه أذنك ، فأما
حدود نارنجه فقد احمرت خجلاً لا بطائك ، وعيون نرجسه فقد حذفت تأملاً
للقائك ، فبحياتي عليك لما تعجلت ، لئلا يخبث من يومي ما طاب ، ويعود من
همي ما طار .

في مثلها - صرنا أيد الله مولانا في بستان كأنه من خلقه خلق ، ومن خلقه
سرق ، فرأينا أشجاراً تميل فتذكر تبريح الأحباب ، وقد تداولتهم أيدي الشراب ،
وأنهاراً كأنها من يد مولانا تسيل ، أو من راحته تفيض ، وحضرنا فلان فعلاً
نجمنا ، وحمد أمرنا ، وتسهل طريق الخير لنا ، فلما دبت الكؤوس فيهم دبيب
البرء في السقم ، والنار في الفحم . رأى أن نجعل أنسنا غداً عنده فقلت سمعا ،
ولم أستجز لأمره دفعا ، والتمس أن أخلفه في تجشيم مولاي إلى المجمع ، ليقرب
علينا متناول البدر بمشاهدته ، ولمس الشمس بمطالعتة ، فإن رأى أن يشفعني
أسعفني إن شاء الله تعالى .

فصل - أنا على طرف بستان أذكرني ورده المفتوح بخلقك ، وجدوله السابح
بطبعك ، وزهره الجنى بقربك .

* * *

فصل من كتاب آخر

علقت هذه الأحرف ، وأنا على حافة حوض ذي ماء أزرق كصفاء ودي

لك ، ورقة قولِي في عتابك ، ولو رأيته لأنسيت أحواض مأرب ومشارب أم
غالب ، وقد قابلتني شقائق كالزنوج تجارحت فسالَت دماؤها وضعفت فبقي
دماؤها^(١) ، وسامتني أشجار كأن الحور أعارتها أثوابها ، وكستها أبرادها ،
وحضرتني نارنجات ككرات من سفن ذهب ، أو ثدي أبكار خلقت ، وقد تبرم بي
الحاضرون لطول الكتاب فوقفت وكففت ، وصدفت عن كثير مما له تشوف^(٢) .

ومن رقعة - مضيت وشاهدت أحسن منظر : فالأرض زمردة ، والأشجار
وشي ، والماء سيوف ، والطير قيان .

* * *

رقعة في الاعتذار من هفوة الكأس

سيدي أعرف بأحكام المروءة من أن يهدى إليها ، وأحرص على عمارة سبل
الفتوة من أن يحض عليها ، وقديماً حملت أوزار السكر على ظهور الخمر ،
وطوي بساط الشراب ، على ما فيه من خطأ وصواب ، وكنت البارحة بعقب شكاة
أضعفتني ونقلتني عن عادتي ، واستعفيت السقاة غير دفعة فأبوا إلا إلحاحاً عليّ
وإتراعاً إليّ^(٣) ، وكرهت الامتناع خشية أن أوقع الكساد في سوق الأنس وتفاديا من
أن يعقد على خنصر الثقليل ، فلما بلغت الحد ، الذي يوجب الحد^(٤) بدر مني ما
يبدر ممن لا يصحبه لَبّ ، ولا يساعده عقله وقلبه . ولا غرو فموالاة الأبطال ، تدع
الشيوخ كالأطفال . فإن رأى أن يقبل عذري ، فيما جناه سكري ، ويهب جرمي

(١) الذماء : بقية النفس والقلب .

(٢) تشوّفت : تطلعت ورغبت .

(٣) أتراعاً : إغداقاً .

(٤) الحدّ الأولي : المقدار ، والحدّ الثاني : إقامة وتطبيق الشريعة .

لمعرفته نيتي في صحوي ، وإن أبي إلا معاقبتي جعلها قسمين بين المدام وبينني ،
فعل إن شاء الله تعالى .

* * *

في تنوير باكورة خلاف قد نور

لتنوير الخلاف فضائل لا تحصى ، ومحاسن تطول أن تستقصى ، منها أنه
أول ثغر يسم عنه الربيع ويضحك ، ودر يعقد على القضبان ويسبك ، ولتمايله
أدكار بقدود الأحباب ، وتهيج لسواكن الأطراب ، وحمل إلى قضيب منه ورداته
متعادلة ، ولذاته متقابلة . فأنفذته مع رقعتي هذه إليك ، وسألت الله أن يعيده ألف
حول عليك ، وقلت [من الخفيف] :

وقضيب من الخلاف بديع مستخص بأحسن الترصيع
قد نعى شدة الشتاء علينا وسعى في جلاء وجه الربيع
وحكى من أحب عرفاً وظرفاً واهتزازاً يثير ماء ضلوعي
رقّة ما نظمت نحو بديع المجد حاكى الربيع حسن صنيعي

في إهداء أترجة

ما زلت يا سيدي أفكر في تحفة تجمع أوصاف معشوق وعاشق ، وتنظم
نعوت مشوق وشائق . حتى ظفرت بأترجة كأن لونها لوني ، وقد منيت ببعذك ،
وبليت بصدك . وكأن عرفها مستعار من عرفك ، وظرفها مشتق من ظرفك ، فكأنها
بعض من لا أسميه ، وأنا أفديه ، فأنفذتها وقلت [من السريع] :

مولاي قد جاءتك أترجة من بعض أخلاقك مخلوقة

ألبسها صانعها حلّة من سرق أصفر مسروقه^(١)

في إهداء أقلام

قد خدمت دواة مولاي بأقلام تتخفف بأنامله ، وتحمل نفحات فواضله ،
وتأنقت في بريها فأتت كمناقير الحمام ، واعتدال السهام ، خمسة منها مصرية
مقومة . عليها حلل مسهمة ، وعشرة منها بيض كأيديه ، وأيام مؤمليه ، والله يديم
له مواد نعمته ، ويوفقني لشرائط خدمته .

تهنئة بينت

أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء ، وأم الأبناء ، وجالية الأصهار ، والأولاد
الأطهار ، والمبشرة بإخوة يتناسقون ، نجباء يتلاحقون [من الوافر] :

فلو كان النساء كمثل هذي لفضّلت النساء على الرجال^(٢)
وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكير فخرٌ للهِلال

فادّرع يا سيدي اغتباطاً ، واستأنف نشاطاً ، فالدنيا مؤنثة والرجال
يخدمونها ، والذكور يعبدونها ، والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت
الذرية ، والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب ، وحليت بالنجم الثاقب ، والنفس
مؤنثة وبها قوام الأبدان ، وملاك الحيوان . والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف
الأجسام ، ولا عرف الأنام . والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون ، ولها بعث
المرسلون . فهنيئاً هنيئاً ما أوليت ، وأوزعك الله شكر ما أعطيت ، وأطال بقاءك ما
عرف النسل والولد ، وما بقي الأمد ، وكما عمّر لبد^(٣) .

(١) السرق : هو الحرير .

(٢) البيتان لأبي الطيّب المتنبي في رثاء ، شقيقة سيف الدولة الحمداني .

(٣) ليد : أي النسر .

رقعة مداعبة

خبر سيدي عندي وإن كتبه عني ، واستأثر به دوني ، وقد عرفت خبره البارحة في شربه وأنسه . وغناء الضيف الطارق وعرسه * وكان ما كان مما لست أذكره *^(١) وجرى ما جرى مما لست أنشره ، وأقول : إن مولاي امتطى الأشهب فكيف وجد ظهره ؟ وركب الطيار فكيف شاهد جريه ؟ وهل سلم على حزونة الطريق ؟ وكيف تصرف أفي سعة أم ضيق ؟ وهل أفرد الحج أم تمتع بالعمرة ؟ وقال في الحملة بالكرة . ليتفضل بتعريفي الخبر فما ينفعه الإنكار ، ولا يغني عنه إلا الإقرار ، وأرجو أن يساعدنا الشيخ أبو مرة^(٢) . كما ساعده مره ، فنصلي للقبلة التي صلى إليها ، ونتمكن من الدرجة التي خطب عليها ، هذا وله فضل سبق إلى ذلك الميدان ، لكثير الفرسان .

ومن أخرى

انفردت يا سيدي بتلك انفراد من يحسب مطلع الشمس من وجهها ، ومنبت الدر من فمها . وملقط الورد من خدها ، ومنبع السحر من طرفها ، وحقاق العاج من ثديها ، ومبادئ الليل من شعرها ، ومغرس الغصن في قدها ، ومهيل الرمل في ردفها ، وكلا فإنها شوهاء . ورهاء خرقاء خلقاء^(٣) ، كأنما محياها أيام المصائب ، وليالي النوائب ، وكأنما قربها فقد الحباب ، وسوء العواقب ، وكأنما وصلها عدم الحياة ، وموت الفجأة ، وكأنما هجرها قوة المنّة . وكأنما فقدتها ريح الجنة .

(١) هذا صدر بيت وعجزه : « فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر » .

(٢) أبو مرة : من كنى إبليس اللعين .

(٣) الورهاء : الكثيرة الشحم ، والخلقاء : البالية الرثة ، والخرقاء : الحمقاء .

ومن كتاب مداعبة

الله الله في أخيك ، لا تظهر كتابه فيحكم عليه بالماليخوليا^(١) وبالتخايل الفاسدة ، فقد ذكر جالينوس أن قوماً يبلغ بهم سوء التخيل ، أن يقدرُوا أجسامهم زجاجاً فيجتنبوا ملامسة الحيطان خشية أن يتكسروا . وحكى أن قوماً يظنون أنفسهم طيوراً فلا يغتذون إلا القرطم^(٢) ، والحظ كتابي دفعة ثم مزقه ، فلا طائل فيه ولا عائد له ولا فرج عنده ، وعلى ذكر الفرج فقد كانت بهمدان شاعرة مجيدة تعرف بالحنظلية وخطبها أبو علي كاتب بكر ، فما ألح عليها وألحف كتبت إليه [من مجزوء الرجز] :

أيرك أيرُّ ما له عند حرِّي هذا فرج^(٣)
فاصرفه عن باب حرِّي وأدخله من حيث خرج

هذه والله في هذين البيتين أشعر من كبشة أم عمرو ، والخنساء أخت صخر ، ومن كعوب الهذلية ، وليلى الأخيلية^(٤) .

ومن فقر رسائله من سائر الفنون

رسالة كتبها إلى أبي علي الحسن بن أحمد في شأن أبي عبد الله محمد بن حامد ، وسمعت الأمير أبا الفضل عبيد الله بن أحمد يسردها ، فزادني جريها على لسانه وصدورها عن فمه إعجاباً بها ، وهي :

كتابي هذا وقد أرخى الليل سدوله ، وسحب الظلام ذيوله ، ونحن على الرحيل غدا إن شاء الله إذا مد الصباح غره ، قبل أن يسبغ حجوله . ولولا ذاك

(١) الماليخوليا : أحد الأمراض العصبية .

(٢) القرطم : نبات يتخذ منه صبغ أحمر .

(٣) الحرّ : بضع المرأة .

(٤) كعوب الهذلية وليلى الأخيلية : من النساء الشاعرات .

لأطلته كوقوف الحجيج على المشاعر . ولم أقتصر منه على زاد المسافر . فإن
المتحمل له وسيع الحقوق لدي ، حقيق أن أعب له خاطري ويدي ، وهو أبو عبد
الله الحامدي أعزه الله تعالى ، كان وافانا مع ذلك الشيخ الشهيد ، أبي سعيد
الشيبني السعيد ، رفع الله منازلهم . وقتل قاتله ، يكتب له فأنسنا بفضلهم ، وأنسنا
الخير من عقله ، فلما فجع بتلك الصحبة ، وبما كان له فيها من القرية ، لم يرض
غير بابي مشرعاً ، وغير جنابي مرتعاً ، وقطع إليّ الطريق الشاق مؤكداً حقاً لا يشق
غباره ، ولا ينسى على الزمان ذمارة^(١) . وكنت على جناح النهضة التي لم يستقر
نواها ، ولم تبين حصباها ، ولم تلق عصاها ، فأمرج الحر المبتدأ الأمر ، القريب
العهد بوطاة الدهر ، حامل عليه بالمركب الوعر ، فرددته إليك يا سيدي لتسهل عليه
حجابك ، وتمهد له جنابك ، وترصد له عملاً خفيف الثقل ، ندى الظل ، فإذا
اتفق عرضته عليه ، ثم فوضته إليه ، وهو إلى أن يتفق ذاك ضيفي وعليك قراه ،
وعندك مربعه ومشتهاه ، ويريد اشتغالاً بالعلم ليزيده في الاستقلال ، إلى أن يأتيه
إن شاء الله خبرنا في الاستقرار ثم له الخيار إن شاء أقام على ما وليته ، وإن شاء
لحق بنا ناشراً ما أوليته ، وقد وقعت له إلى فلان بما يعينه على بعض الانتظار ، إلى
أن تختار له أيدك الله كل الاختيار ، فأوعز إليّ بتعجيله ، واكفني شغل القلب بهذا
الحر الذي أفردني بتأميله ، إن شاء الله تعالى .

* * *

رقعة له إلى القاضي أبي بشر الفضل بن محمد الجرجاني عند وروده باب
الري وافداً عليه :

تحدثت الركاب بسير أروى إلى بلدٍ حططتُ به خيامي^(٢)

(١) الذمار : ما يجمي ويدافع عنه كالشرف والحرم والملك .

(٢) البيتان من الوافر .

فكدتُ أطير من شوقي إليها بقادمة كقادمة الحمام^(١)
أفحق ما قيل أمر القادم ؟ أم ظن كأمني الحالم ؟ لا والله بل هو درك العيان ،
وإنه ونيل المنى سيان ، فمرحباً أيها القاضي براحتك ورحلك . بل أهلاً بك
وبكافة أهلك . ويا سرعة ما فاح نسيم مسراك ، ووجدنا ريح يوسف من ريك ،
فحث المطى تزل غلتي بسقياك ، وتزح علتي بليقياك ، ونص على يوم الوصول
لنجعل عيداً مشرفاً . ونتخذة موسماً ومعرفاً . ورد الغلام أسرع من رجع الكلام ،
فقد أمرته أن يطير على جناح نسر ، وأن يترك الصبا في عقال وأسر .

سقى الله داراتٍ مررت بأرضها فأدَّتكَ نحوي يا زياد بن عامر^(٢)
أصائل قربٍ أرتجي أن أنالها بليقياك قد زحزن حرُّ الهواجر

رقعة في ذكر مصحف أهدي إليه

البرُّ أدام الله الشيخ أنواع ، تطول به أبواع^(٣) ، وتقصر عنه أبواع ، فإن يكن
فيها ما هو أكرم منصباً ، وأشرف منسباً . فتحفة الشيخ إذ أهدي ما لا تشاكلة
النعم ، ولا تعادله القيم ، كتاب الله وبيانه ، وكلامه وفرقانه ، ووحيه وتنزيله ،
وهده وسبيله . ومعجز رسول الله ﷺ ودليله ، طبع دون معارضته على الشفاه ،
وختم على الخواطر والأفواه . فقصر عنه الثقلان ، وبقي ما بقي الملوان^(٤) ، لائحٌ
سراج ، واضح منهاجه ، منير دليله ، عميق تأويله ، يقصم كل شيطان مريد ،
ويذل كل جبار عنيد ، وفضائل القرآن ، لا تحصى في ألف قران ، فأصِفُ الخط
الذي بهر الطرف ، وفاق الوصف ، وجمع صحة الأقسام ، وزاد في نخوة الأقلام ،

(١) القادمة : ريش مقدّمة الجناح جمعها القوادم .

(٢) البيتان من الطويل .

(٣) أبواع : جمع باع أي الذراع أو عظم يلي إبهام الرجل .

(٤) الملوان : من الملأ ، وهما الجن والإنس .

بل أصفه بترك الوصف فأخباره آثاره ، وعينه فراره ^(١) ، وحقاً أقول إنني لا أحسب أحداً ما خلا الملوك جمع من المصاحف ما جمعت ، وابتدع في استكتابها ما ابتدعت ، وإن هذا المصحف لزائد على جميعها زيادة القرعة على الغرة ، بل زيادة الحج على العمرة .

لقد أهديته علقاً نفيساً وما يهدي النفيس سوى النفيس ^(٢)

فصل من كتاب له إلى ابن العميد صدر جواباً عن كتابه إليه في وصف البحر ، وكان أبو بكر الخوارزمي يحفظه ، وكثيراً ما كان يقرؤه ويعجب السامعون من فصاحته ، ولم أره يحفظ من الرسائل غيره :

وصل كتاب الأستاذ الرئيس صادراً عن شط البحر بوصف ما شاهد من عجائبه ، وعاین من مراکبه ، ورآه من طاعة آلاته للرياح كيف أرادتھا ، واستجابة أدواتها لها متى نادتها . وركوب الناس أشباحها والخوف بمرأى ومسمع ، والمنون بمرقب ومطلع ، والدهر بين أخذ وترك ، والأرواح بين نجاة وهلك ، إذا أفكروا في المكاسب الخطيرة هان عليهم الخطر ، وإذا لاح لهم غرر المطالب الكثيرة ، حجب إليهم الغرر ^(٣) ، وعرفت ما قاله من تمنيه كوني عند ذلك بحضرته وحصولي على مساعدته ، ومن رأى بحر الأستاذ كيف يزخر بالفضل وتلاطم فيه أمواج الأدب والعلم لم يعتب على الدهر فيما يفتيه من منظر البحر ، ولا فضيلة له عندي أعظم من إكبار الأستاذ لأحواله ، واستعظامه لأهواله ، كما لا شيء أبلغ في مفاخره وأنفس في جواهره ، من وصف الأستاذ له فإني قرأت منه الماء السلسال . لا الزلال ، والسحر الحرام ، لا الحلال ، وقد علم أنه كتب ولما أخطر بفكره سعة

(١) هذه الفقرة من قولهم في مثل « إن الجواد عينه فراره » .

(٢) البيت من الوافر ، والعلق : النفيس الثمين .

(٣) الغرر : الخطر والمهالك .

صدره ، فلو فعل ذلك لرأى البحر وشلاً لا يفضل عن التبرص^(١) ، وثنماً لا يكثر عن الترشف^(٢) .

وكم من جبالٍ جبت تشهد أنك الـجبال ويحبر شاهد أنك البحر^(٣)

* * *

ومحاسن فقر الصاحب تستغرق الدفاتر ، وتستنزف في الانتخاب منها
الخواطر ، وليس يتسع هذا الكتاب لغيض من فيضها وقطرة من سيحها^(٤) .

* * *

هذا ما اخترته من ملح شعره
في الغزل ، وما يتعلق به

قال [من الوافر] :

تسحبُ ما أردت على الصباح	فهمُ ليلٍ وأنت أخو الصباح ^(٥)
لقد أولاك ربُّك كلَّ حسنٍ	وقد ولأك مملكة الملاح
وبعد فليس يحضرني شرابٌ	فأنعمُ من رضاك لي براح
وليس لديّ نقلٌ فارتھني	بنقلٍ من ثناياك الوضاح ^(٦)

وقال [من الخفيف] :

لا ترجو إصلاح قلبي بلومٍ حلف الجفن لا استقلَّ بنومٍ

(١) الوشل : القليل من الماء ، والتبرص : التبلى بالقليل .

(٢) الترشف : من رشف الماء أي شربه .

(٣) البيت من الطويل .

(٤) السيج : المطر .

(٥) تسحبُ : أي تفاخر زهواً .

(٦) النقل : ما يؤكل من فاكهة وفستق وغيره مع الشراب .

وهواه لئن تأخر عني طول يومي إني سيحضر يومي

وقال [من الوافر] :

عليّ كالغزال وكالغزاله رأيت به هلالاً في غلاله^(١)
كأنّ بياض غرته رشاد كأنّ سواد طرته ضلاله
كأنّ الله أرسله نبياً وصيرّ حسنه أقوى دلاله
إذا ما زدت وصلاً زدت خبلاً كأنّ جبال وصلك لي خباله^(٢)

وقال [من البسيط] :

هذا عليّ عليّ في محاسنه كائماً وصفه أن يبلغ الأملا
وكم أقول وقد أبصرت طلعتة هذا الذي في طراز الله قد عملا

وقال [من السريع] :

وشادن أصبح فوق الصّفة قد ظلم الصّبّ وما أنصفه
كم قلت إذ قبل كفيّ وقد تيمني : يا ليت كفيّ شفه

وقال في معناه [من السريع] :

أبا شجاع يا شجاع الوري ومن غدا في حسنه قبله
قبل فمي إن كنت لي مؤثراً فاليد لا تعرف القبلة^(٣)

وقال في معناه [من مجزوء الرجز] :

وشادن جماله تقصر عنه صفتي

(١) الغلالة : الثوب الرقيق .

(٢) الخبل : الفساد والعناء .

(٣) كذا ، ولعله : « فاليد ليست تعرف القبلة » ليستقيم الوزن .

أهوى لتقيل يدي فقلت : لا ، بل شفتي^(١)

وقال [من السريع] :

قل لأبي القاسم إن جئته هنيئاً ما أعطيت هنيئاً
كلُّ جمالٍ فائقٍ رائقٍ أنت برغم البدر أوتيتهُ

وقال [من مخلع البسيط] :

قل لأبي القاسم الحسيني يا نار قلبي ونور عيني
البدر زين السماء حسناً وأنت زين لكل زين

وقال من باب الاقتباس من الحديث [من الكامل] :

ومهفهف يغني عن القمر قمر الفؤاد بفاتن النظر^(٢)
خالسته تفاح وجنته من غير إبقاء ولا حذر
فأخافني قومٌ فقلت لهم لا قطع في ثمر ولا كثر^(٣)

وقال في مثله [من مجزوء الرمل] :

قال لي إن رقيب سيء الخلق فداره
قلت دعني وجهك الـجـنة حُفَّت بالمكاره

وقال في مثله [من الوافر] :

أقول وقد رأيت له سحاباً من الهجران مقبلةً إلينا
وقد سحّت غزالتها بهطلٍ حوالينا الصّدود ولا علينا

(١) أهوى : انحنى .

(٢) قمر الفؤاد : أسره .

(٣) الكثر : المال ، وثمار النخل أو طلعتها .

وقال [من المنسرح] :

الحبُّ سكرٌ خماره التلف يحسن فيه الذبول والدفن^(١)
عابوه إذ لجَّ في تصلُّفه والحسن ثوبٌ طرازه الصِّلَف^(٢)

وقال [من السريع] :

وشادنٍ يكثر من قول لا أوقع قلبي في ضروب البلا
قلت وقد تيمني طرفه هذا هو السحر وإلا فلا
وقال رحمه الله [من مجزوء الرجز] :

وشادنٍ ذي غنجٍ طاوي الحشى معتدل^(٣)
أنشدته شعراً بديعاً حسناً من عملي
فقال فيمنٌ ولمنٌ فقلت هذا فيك لي
فطار في وجنته شعاع نار الخجل

وقال [من الكامل] :

قد قلت لما مرَّ يخطر ماشياً والناس بين معوِّذٍ أو عاشق^(٤)
لم يكفٍ ما صنعت شقائق خده حتى تلبس حلَّةً بشقائق

وقال [من المتقارب] :

دعني عيناك نحو الصِّبا دعاءً يكرَّر في كلِّ ساعه
ولولا تقادم عهد الصِّبا لقلت لعينيك سمعاً وطاعه

(١) الخمار : أثر السكر ومفعوله ، والدفن : المرض والهلاك .

(٢) الصِّلَف : التكبر .

(٣) طاوي الحشى : أي ضامر الخصر .

(٤) يخطر : يمشي بزهو ودلال ومعوِّذ : أي يقول أعوذ بالله .

وقال [من الرجز] :

شتمتُ من تيمّني مغالطاً لأصرف العاذل عن لجاجته^(١)
فقال لما وقع البزاز في الثوب علمنا أنه من حاجته^(٢)

وقال [من المنسرح] :

أتاني البدر باكياً خجلاً فقلت ماذا دهاك يا قمرُ
قال غزالُ أتى ليعزلني بحسنه فالفؤاد منفطر
فقلت قبلُ ترابه عجلاً واسجدُ له قال كلُّ ذا غرر^(٣)
قد بايعت أنجم السماء له فليس لي مفزعٌ ولا وزرُ

وقال [من الرجز] :

يا قمرأ عارضني على وجلٍ وصاله يشبه تأخير الأجلِ
وقال : تبغي قبلةً على عجلٍ ؟ قلت : أجلٌ ، ثم أجلٌ ، ثم أجلٌ

وقال [من الرجز] :

وشادنٍ في الحسن كالطاووس أخلاقه كليلة العروس
قد نال باللحظ من النفوس ما لم تنله الروم من طرسوس

وقال [من الرجز] :

بدا لنا كالبدر في شروقه يشكو غزلاً لجّ في عقوقه
يا عجباً والدمر في طروقه من عاشقٍ أحسن من معشوقه

سمعت أبا بكر الخوارزمي ، يقول : أشدني صاحب هذه القوافي ليلة ،

(١) اللجاجة : الإلحاف .

(٢) البزاز : النزاع .

(٣) غرر : جهل .

وقال : هل تعرفون نظيراً لمعناها في شعر المحدثين ؟ فقلت : لا أعرف إلا قول
البحثري [من المتقارب] :

ومن عجب الدهر أن الأمير أصبح أكتب من كاتبه
فقال : جودت وأحسنت ، وهكذا فليكن الحفظ ، وقال [من المتقارب] :

عزمت على الفصد يا سيدي لفضل دمٍ كظني مؤلم^(١)
فلما تأخرت عن مجلسي أرقى لغير افتصادٍ دمي

وقال [من مجزوء الكامل] :

ومهفهفٍ شكل المجون أضنى فؤادي بالفتون
فنسيمه ملء الأنو ف ، وحسنه ملء العيون

وقال [من المتقارب] :

فمن كان يقطف ورد الجنان فقطفي مذ كنت ورد الخدود
وهمي مذ كنت در الثغور إذا اهتم غيري بدر العقود

وقال [من الرجز] :

كنا وأسباب الهوى متفقه نبتاً من الورد معاً في ورقة
فالآن إذ أسبابه مفترقه قد صارت الأرض علينا حلقة

وقال [من السريع] :

يا خاطراً يخطر في تيه ذكرك موقوفاً على خاطري
إن لم تكن أثر من ناظري عندي فلا تمتع بالناظر

(١) الفصد : إخراج الدم بالحجامة ، وكظ : ضاق بالشيء من كثرتة أو أثقله واشتد عليه .

وقال [من الطويل] :

تأخّرت عني والغرام غريم
وأوهمتني سقماً وأنت مصحّح
ولو شئت لم تخلط وصلاً بهجرة
ففي الدهر كافر أن يفرّق إنّه
وقال ، ويروي لغيره [من الكامل] :

رشأ غدا وجدي عليه كرفه
وكأنّ يوم وصاله من وجهه
إنّ ذقت خمراً خلّتها من ريقه
وإذا تكبّر واستطال بحسنه
وغدا اصطباري في هواه كخصره
وكأنّ ليلة هجره من شعره
أو رمت مسكاً نلته من نشره
فعذار عارضه يقوم بعذره

* * *

ملح من شعره في الصدغ والخط والعدار

قال [من السريع] :

يا شادناً في صدغه عقرب
يسلم خداه على لدغها
ما يستجيب الدهر للراقي
ولدغها في كبدي باقي^(٢)

وقال [من الوافر] :

وعهدي بالعقارب حين تشتو
فما بال الشتاء أتني وهذي
تخفّف لدغها وتقلّ ضرّاً
عقارب صدغه تزداد شرّاً

(١) الحميم : الحار .

(٢) اللدغ : اللسع .

وقال [من الطويل] :

رأيت علياً في لباس جماله
ولما تبدى لي امتداد عذاره
فشاهدت منه الروض ثاني مزنه
رأيت طراز الله في ثوب حسنه

وقال [من البسيط] :

إن كنت تنكره فالشمس تعرفه
ما جاءه الشعر كي يمحو محاسنه
أو كنت تظلمه فالحسن ينصفه
وإنما جاءه عمداً يغلفه

وقال [من السريع] :

لما بدا العارض في الخد
وقلت للعدال يا من رأى
زاد الذي ألقى من الوجد
بنفسجاً يطلع من ورد

وقال [من البسيط] :

دب العذار على ميدان وجنته
كأنه كاتب عز المداد له
حتى إذا كاد أن يسعى به وقفا
أراد يكتب لاماً فابتدا ألفا

وقال [من الوافر] :

عذار كالطراز على الطراز
تبدى عارضاه فعارضاني
وشمس في الحقيقة لا المجاز
وقالا لا تمر بلا جواز
فقلت القلب عندكم مقيم
وما حسن الثياب بلا طراز

وقال [من مجزوء الكامل] :

أنظر إليه كأنه شمس وبدر حين أشرف
والحظ محاسن خده تعذر دموعي حين تذرف
فكأنها الواوات حين يخطها قلم محرف

وقال [من الهزج] :

أبو نصر بن بكران مليح الحظُّ والخطُّ
فهذا النمل في العاج وذاك الدرُّ في السمط^(١)

وقال [من الخفيف] :

إنَّ لبس السواد أقوى دليلُ لأمرٍ يلي أمور العبادِ
وأمر الملاح يأتيه عزلُ حين تلقاه لابساً للسّوادِ

وقال [من الطويل] :

وخطَّ كأنَّ الله قال لحسنه تشبَّه بمن قد خطَّك اليوم فأتمرُّ
وهيهات أين الخطُّ من حسن وجهه وأين ظلام الليل من صفحة القمرُ

وقال في صباح الحاجب [من المنسرح] :

خداه وردُّ وصدغه سبجُ ومقلته الغناء والراح^(٢)
إن هزَّ أطرافه على نغمٍ شُقَّتْ جيوبُ وطاح أرواح
وجملة القول في محاسنه أنَّ أمير الصِّباح صباح

وقال [من الكامل] :

رقَّ الزجاج ورقت الخمر فتشابهها فتشاكل الأمرُ
فكأنَّما خمرٌ ولا قدحُ وكأنَّما قدحٌ ولا خمر^(٣)

وقال [من الرجز] :

وقهوة قد حضرت بختمها فقلت للندمان عند شمِّها

(١) السمط : السلك والعقد .

(٢) السِّج : الأسود .

(٣) هذان البيتان ينسبان لأبي نواس .

فحسبها ما شربت من كرمها

لا تقبضن بالماء روح جسمها

وقال [من المتكامل] :

متشاكلُ أشباحها أرواحُ
فالراح والمصباح والتفاحُ
من أيّ هذي تملأ الأقداح

متغايراتُ قد جُمعن وكلّها
وإذا أردت مصرّحاً تفسيرها
لو يعلم الساقى وقد جُمعن لي

وقال [من الطويل] :

دعوت بكأسي وهي ملأى من الشفقِ
خدود عذارى قد جُعِلن على طبقِ

ولما بدا التفاح أحمرَ مشرقاً
وقلت لساقِها أدرها فإنّها

وقال من قصيدة [من الطويل] :

أهلُ لخدود الغانيات عصيرُ؟
وقد يطرب الإنسان وهو كبيرُ

وكأسٍ تقول العين عند جلائها
تحاميتها إلاّ تعلّل واصفٍ

ومن قصيدة [من الطويل] :

لرقتها إلاّ على المتوهمِ
إلى الكرم أم هاتا إلى الكرم ينتمي

وصفراءُ أو حمراءُ فهي نحيلةُ
تشكّكنا في الكرم أنّ انتماءه

ومنها [من الطويل] :

وحظّي منها أن أقول ألا انعمي
بغير يدي وارضي بما قاله فمي^(١)

تمتّع ندمانُ بها وأحبةُ
لك الوصف دون القصف متّي فخيمي

أراد أنه جلس مع الشرب من غير شرب .

(١) القصف : أي الاحتساء والخلاعة .

وقال [من السريع] :

وشادنٍ قلت له ما اسمكا فقال لي بالغنج عبّاثُ
فصرت من لثغته ألثغاً فقلت أين الكاث والطاث^(١)

* * *

ملح في الأوصاف والتشبيهات

قال [من الخفيف] :

أقبل الثلج فانبسط للسرور ولشرب الكبير بعد الصغير
أقبل الجوّ في غلائل نورٍ وتهادى بلؤلؤٍ مشور
فكأنّ السّماء صاهرت الأر ض فصار النّشار من كافور^(٢)

أخذه من قول ابن المعتز [من الخفيف] :

وكأنّ الربيع يجلو عروساً وكأنّا من قطره في نثار

وقال فيه [من الكامل] :

هات المدامة يا غلام معجلاً فالنفس في قيد الهوى مأسوره
أو ما ترى كانون ينثر ورده وكأتما الدّنيا به كافوره

وقال فيه [من الكامل] :

هات المدامة يا غلام مصيراً نقلي عليها قبة أو عضه
أو ما ترى كانون ينثر ورده وكأتما الدّنيا سبيكة فضّه

(١) الألتغ : الذي يلفظ السين ثاء .

(٢) النّشار : ما ينثر في العرس من ذهب وغيره .

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول عند إنشاد هذه الثلجيات : كل هذه
الثلجيات عيال على قول الصنوبري [من مجزوء الكامل] :

ذَهَبٌ كَوْوَسْكَ يَا غَلا م فَائِهَ يَوْمَ مَفْضُضْ

فقلت : قد أخذه منه من لم يزد على معناه ، فقال [من البسيط] :

جاد الغمام بدمعٍ كاللجين جرى فجدُّ لنا بالتي في اللون كالذهب
وقال الصاحب في النارج [من الطويل] :

بعثنا من النارج ما طاب عُرْفُهُ فليل على الأغصان منه نوافج^(١)
كراتٌ من العقيان أحكم خرطها وأيدي الندامى حولهنَّ صوالج
وقال في الند [من الكامل] :

ندُّ لفخر الدولة استعماله قد زاد عرفاً من نسيم يديه^(٢)
فكأنما عجنوه من أخلاقه وكأنَّه طيب الشاء عليه
وقال في حبة عنب [من مجزوء الرجز] :

وحبةٌ من عنبٍ من المنى متَّخذةٌ
كأنَّها لؤلؤةٌ في وسطها زمرُّده

وقال فيه [من الرجز] :

وحبةٌ من عنبٍ قطفتها تحسدها العقود في الترائب^(٣)
كأنَّها من بعد تمييزي لها لؤلؤةٌ قد ثقت من جانبٍ

(١) النوافج : أوعية المسك ، أو رذاذ المطر العالق لأن النافجة تعني : السحابة الممطرة .

(٢) الند : عودٌ طيب الرائحة .

(٣) الترائب : موضع العقد في العنق والصدر .

وقال في الشمع [من مخلع البسيط] :

ورائق القدّ مستحبّ
صفرة لونٍ وسكب دمعٍ
يجمع أوصاف كلّ صبّ
وذوب جسمٍ وحرّ قلبٍ

وقال في التين [من الكامل] :

تينٌ يزينُ رواؤه مخبوره
عسل اللعاب لديه ممّا يجتوي
متخيرٌ في وصفه يتخير
وجنى النحيل لديه مرٌّ ممقر^(١)
وكأنّما هو في ذرى أغصانه
ويقول ذائقه لطيب مذاقه
قطع النضار أدارهنّ مدور
الله أكبر والخليفة جعفر

وقال في الخط واللفظ [من البسيط] :

بالله قل لي أقرطاسٌ تخطُّ به
بالله لفظك هذا سال من عسل
من حلّةٍ هو أمّ ألبسته حلا
أمّ قد صبيت على أفواهنا عسلا

وقال في الوحل [من البسيط] :

إنّني ركبت وكفّ الأرض كاتبة
والأرض محبرةٌ والحبر من لثقي
على ثيابي سطوراً ليس تنكتم
والطرّس ثوبي ويمني الأشهب القلم^(٢)

* * *

من ملح إخوانياته

كتب إلى أبي الفضل بن شعيب [من الخفيف] :

يا أبا الفضل لم تأخّرت عنا
فأسأنا بحسن عهدك ظناً

(١) ممقر : أي صار مرّاً أو حامضاً .

(٢) اللثق : اللزج من الطين ، أو الندى .

كم تَمَنَّتْ نفسي صديقاً صدوقاً فإذا أنت ذلك المَتمَنَّى
فبغصن الشباب لما تثنَّى وبعهد الصِّبا وإن بان مَنَّا^(١)
كن جوابي إذا قرأت كتابي لا تقل للرسول كان وكنا

وكتب إلى أبي الحسين الطيب [من الرجز] :

إنا دعوناك على انبساطٍ والجوع قد أثر في الأخلاط
فإن عسى ملّت إلى التباطي صفعت بالنعل قفا بقراط

وكتب إلى أبي بكر الخوارزمي [من الرجز] :

أسعدك الله بيوم الفصح وعشت ما شئت بيومٍ سمح
يا رأس مالي في الورى وربحي وظفّري ونصرتي ونجحي
شرباً ولا تصغ لأهل النصح فالحزم أن تسكر قبل تصحي

* سكر النصارى في غداة الفصح *

وكتب إلى أبي القاسم القاشاني [من مجزوء الرمل] :

يا أبا القاسم قلّ لي قل لماذا لا تزورُ
كنت قد قدمت وعداً فإذا وعدك زورُ
وبذرت الورد بالقو ل فلم تزكُ البذور
ونحرت الودّ بالهجر كما يهدى الجزور
إنّ أمّ الصّدق في الودّ لمقلّة نزور^(٢)

وكتب إليه أيضاً [من مجزوء الكامل] :

مولاي لمّ لمّ تدعُ عبدك عند إحضار المدام

(١) بان مَنَّا : أي فقدناه وابتعد عنا .

(٢) لمقلّة : من القلى ، وهو البغص ، والنزور : من النزر ، وهو القليل .

أعرفته من بينهم متبسّطاً وقت الطعام
أم قيل عريد ذات يوم حين صار إلى المدام
أم لم يساعد حين ملت إلى الغلامه والغلام
إن كنت تبخل بالطعام فكيف تبخل بالكلام
لسنا نحاول دعوة فاسمح علينا بالسلام

وقال رحمه الله [من السريع] :

و فتشوا قلبي رأوا وسطه سطرين قد خطأ بلا كاتب
حبّ عليّ بن أبي طالبٍ وحبّ مولاي أبي طالب

وقال [من الخفيف] :

يا ابن يعقوب يا نقيب البدور كن شفيعي إلى فتىٍ مسرور
قل له إنّ للجمال زكاة فتصدّق بها على المهجور

وكتب إلى أبي العلاء الأسدي [من البسيط] :

أبا العلاء يا هلال الهزل والجدّ كيف النجوم التي تطلعن في الجلد
وباطن الجسم غرّ مثل ظاهره وأنت تعلم ممّا قلته قصدي

سمعت أبا الفتح علي بن محمد البستي يقول : لم أسمع في إنفاذ الحلواء
إلى الأصدقاء أحسن من قول صاحب [من المتقارب] :

حلاوة حبّك يا سيدي تسوغ بعثي إليك الحلاوة

فقلت له : وأنا لم أسمع في النثار للرؤساء أحسن من قولك [من المتقارب] :

ولو كنت أنثر ما تستحقّ نثرت عليك سعود الفلك

ثم تذاكرنا في أحسن ما نحفظه في كل باب ، فجرت نكت كثيرة فسألني أن

أؤلف كتاباً في الأحاسن ، وأورد فيه أحسن ما سمعته في كل فن ، فأجبت به إلى ذلك ، وحين ابتدأته عرضت موانع وقواطع عن استتمامه ، أقواها غيبته عن خراسان ، ثم وفاته رحمه الله تعالى .

وقال الصاحب [من مخلع البسيط] :

قولوا لإخواننا جميعاً من كلهم سيّد مرزاً^(١)
من لم يعدنا إذا مرضنا إن مات لم نشهد المعزى

وقال لمحمود التاجر [من السريع] :

طويت محموداً على جفوته مخلصاً نفسي من خلته
قدرته يقلق من علتي مثل انزعاجي كان من علته
لم يطر ما بي لا ولا مرّ بي كأن سقمي كان من شهوته^(٢)
من لم يطالعني على علة إن مات لم أمض إلى تربته

وقال للقاضي أبي بشر الجرجاني [من الوافر] :

يصدّ الفضل عنا أي صدّ وقال تأخري عن ضعف معدّه
فقلت له جعلت العين واواً فإنّ الضعف أجمع في المودّه

وقال [من الطويل] :

بعدتَ فطعم العيش عندي علقمُ وجه حياتي مذ تغيّيت أرقمُ
فما لك قد أدغمت قربك في النوى وودك في غير النداء مرخمُ

* * *

(١) مرزا : من الرزء ، وهو المصاب .

(٢) لم يطر : لم يستفسر ، ولم يزر اطمئناناً عليه ، وأطراه : أنثى عليه .

ملح من مدائحه

قال من قصيدة في عضد الدولة [من الطويل] :

همامٌ رأى الدنيا سواماً فحاطها ليالي في غير الزمان وقور^(١)
ولم يخطب الدنيا احتفالاً بقدرها فموقعها من راحتيه يسير
ولكن له طبعٌ إلى الخير سابقٌ ورأيٌ بأبناء الرجال بصيرٌ
وإن لم يلاحظهم بعين حميةٍ فتلك أمورٌ لا تزال تمور

ومن أخرى [من الطويل] :

سعودٌ يحار المشتري في طريقها ولا تتأتى في حساب المنجم
وكم عالمٌ أحيت من بعد عالمٍ على حين صاروا كالهشيم المحطم
فوالله لولا الله قال لك الورى مقال النصارى في المسيح ابن مريم
محامد لو فضت ففاضت على الورى لما أبصرت عيناك وجه مذمم
وكلأ ولكن لو حظوا بركاتها لما سمعت أذنك ذكر ملوم^(٢)
ولو قلت إن الله لم يخلق الورى لغيرك لم أخرج ولم أتائم

ومن أخرى [من الكامل] :

يا أيها الملك الذي كل الورى قسمان بين رجائه وحذاره
فمناصحٌ قد فاز سهم طلابه ومداهنٌ قد جال قدح بواره^(٣)
هذي بخارى تشتكي ألم الصدى وتقول قولاً نيتٌ في أخباره^(٤)
ماذا عليه لو يهم بعرصتي فأكون بعض بلاده ودياره

(١) السّوام : الماشية التي ترسل لترعى .

(٢) تمور : تموج وتضطرب .

(٣) الملوم : اللائم والعاتب .

(٤) المداهن : المتزلف والمحابي ، وبواره : هلاكه .

(٥) الصدى : العطش والظما ، ونيت : كلفت عنهم من « ناب ينوب » .

ومن عميدية ذكر فيها نقرسا نال يميناه [من الطويل] :

أبو الفضل من أجرى إلى الفضل يافعاً	فضل به يدعى وصار به يكنى
سلامته شمسُ المعالي وسقمه	كسوفُ المعالي لا كسفن ولا بناً
ولم يأتِه ورد السقام لغير ما	عرفنا فخذ معنى تألمه منا
وما راده إلا ليشغل عن ندى	وإلا فلم قد خص بالألم اليمنى
وما يحجز البحر الخضم عن الندى	ولا السيد الأستاذ عن جوده يُثنى

وكتب إلى مؤيد الدولة أبي منصور [من الرجز] :

سعادة ما نالها قط أحد	يحوزها المولى الهمام المعتمد
مؤيد الدولة وابن ركنها	وابن أخي معزها أخو العضد

وقال في فخر الدولة وقد افتصد [من البسيط] :

يا أيها الشمس إلا أن طلعتها	فوق السماء وهذا حين يقتصد
لما افتصدت قضينا للعلا عجباً	وما حسبت ذراع الشمس يفتصد

وقال فيه لما بنى قصره بجرجان [من السريع] :

يا بانياً للقصر بل للعلا	همك والفرقد سيان
لم تبن هذا القصر بل صغته	تاجاً على مفرق جرجان ^(١)
وقصرك المبني من قبله	ملكك ، والله هو الباني
فاقبل نثار العبد بل نظمه	فإنه والدُّر مثلان
واسمع مقالاً لم يُقل مثله	مذ كانت الدنيا للإنسان
لو كان للخلق إلهان	لكان فخر الدولة الثاني

* * *

(١) المفرق : مكان الفرق في الرأس .

ملح من شعره في الهجاء والمجون

قال في ابن متويه [من مجزوء الرمل] :

يا فتى متويّ رفقاُ لستَ من ينكر أصله
إنّما ينكر منه من جنونٍ فيه ثقله
أنت نذلٌ من كرامٍ أنت في الطاووس رجله

كأنه مقلوب بيت المتنبي [من الوافر] :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

وقال في معناه [من الوافر] :

أبوك أبو عليّ ذو علاء وإنّ أباك إذ تُعزى إليه
إذا عدّ الكرام وأنت نجله لكالطاووس يقبح من رجله^(١)

وقال فيه [من السريع] :

أحمد هذا سبطُ متويّة والشأن في أنّي على بغضه
في موته بعد غدٍ تهنّيه أحْتَاج أنْ أقعدَ للتعزّيه

وقال فيه [من السريع] :

قال ابن متويه لأصحابه لئن شكرتم لأزيدنكم
وقد حشوه بأبور العبيد وإن كفرتم فعذابي شديد

وقال فيه [من الكامل] :

أبصرت في كفّ ابن متوي عصاً فسألته عنها ليوضح عذرا

(١). تعزى : تسب .

فأجابني إني بها مشايخٌ هذا ، ولي فيها مآرب أخرى
وقال فيه [من الخفيف] :

سبط متويٌّ إنَّ دارك دار قد عرفتَ الإِدبار إذ تبنيها
لا تكثُر تزويقها وترفقُ عن قليلٍ يكون قبرك فيها
وقال فيه [من مجزوء الرمل] :

كلّما زدتَ عتاباً زدتُ في هجوك بيتا
أو ترى طبعي غيضاً أو أرى جسمك ميتا
وقال فيه [من الرمل] :

سبط متويّ رقيقٌ سفلهُ أبداً ييذل فينا أسفلهُ
اعتزلنا نيكه في دبره فلهذا يلعن المعتزلهُ
وقال فيه [من المجتث] :

رام ابن متويّ أيري وبرجه فيه طيرُ
فقلت تطلب أيري هذا وفي استك أير
فقال لي لا تحمقُ زيادة الخير خير
وقال فيه [من السريع] :

عندي سرٌّ لابن متويّه وعزمي السّاعة أن أفشي
أخبرني بعضي عن بعضه بأنّه أوسع من يمشي
وقال في الغويري [من السريع] :

إنّ الغويري له نكهةٌ تنتها أربتُ على الكنف^(١)

(١) أربت : زادت ، والكُنف : جمع كنيف وهو المرحاض .

يا ليتَه كان بلا نكهةٍ أو ليتني كنت بلا أنفٍ
وقال في رجل يتعصب للعجم على العرب ويعيب العرب بأكل الحيات [من
السريع] :

يا عائب الأعراب من جهلهٍ لأكلها الحيّات في الطعم
فالعجم طول الليل حيّاتهم تنساب في الأخت وفي الأم
وقال فيمن زوج أمه [من مجزوء الكامل] :

زوَّجْتَ أمَّكَ يا فتى وكسوتني ثوب القلق
والحرُّ لا يهدي الحرا م إلى الرجال على طبق
وقال [من الرجز] :

لم أر مثل جعفر مخلوقا يشبه طبلًا ويحب بوقا
وقال [من الرجز] :

يا بركة ملأى من الشبوط قفاك بغاء وكفّي لوطي^(١)
وقال [من الهزج] :

لنا قاضٍ له رأسٌ من الخفة مملوء
وفي أسفله داءٌ بعيدٌ منكم السوء

وقال [من مجزوء الرمل] :

إنّ قاضينا لأعمى أم على عمدٍ تعامى
سرق العبد كأنّ السَّعبد من مال اليتامى

(١) الشبوط : بضم الشين وفتحها ، نوع من السمك دقيق الذنب عريض الوسط، لَيْنُ الْمَسِّ ، صغير الرأس كأنّه يربط أي عود .

وقال [من المجتث] :

يا قاضياً بات أعمى عن الهلال السعيد
أفطرت في رمضان وصمت في يوم عيد

وقال [من الهزج] :

إذا ما لاح للعين أبو بكرٍ فتى القاضي
وقد زاد من التيه على القاهر والراضي
فواجهه بإمضاضٍ وقابله بإغضاض
وقالوا في حرٍّ أملكُ قمدُ الحاكم الماضي^(١)

وقال [من الطويل] :

رأيت لبعض الناس فضلاً إذا انتمى يقصّر عنه فضل عيسى ابن مريم
عزوه إلى تسع وتسعين والداً وليس لعيسى والدٌ حين ينتمي

وقال [من الطويل] :

سيأتيك برقٌ من هجائي خلَّبٌ إذا كنت ذا برق من الودّ خلَّب^(٢)
وأنشد إذ أصبحت تغلب قدرتي بعجزك لم يغلبك مثل مغلَّب^(٣)

وقال [من السريع] :

مطفلٌ أطفل من أشعبٍ ما زال محروماً ومذموماً
لو أنّه جاء إلى مالكٍ لقال أطعمني زقوماً^(٤)

(١) القمد : الغليظ يعني به عضو الحاكم .

(٢) الخَلْب : السحاب الذي يلمع برقه ولا مطرفيه .

(٣) يشير إلى قول الشاعر :

فإنك لم يفخر عليك كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يغلبك مثل المغلَّب

(٤) الزقوم : شجرة مرة كريهة الرائحة يأكل أهل النار في جهنم ثمرها .

وقال [من السريع] :

انظرُ إلى وجه أبي زيد أوحش من حبسٍ ومن قيد
وحوشه ترتع في ثوبه وظفره يركب للصيّد

وقال في رجل كثير الشرب بطيء السكر [من الطويل] :

يقال لماذا ليس يسكر بعدما توالى عليه من نداماه قرقفُ
فقلت سبيل الخمر أن تنقص الحجى فإن لم تجد عقلاً فماذا تحيفُ^(١)

وقال [من السريع] :

هذا ابن متويٍّ له آية يتلع الأير وأقصى الخصى
يكفر بالرسل جميعاً سوى موسى بن عمران لأجل العصا

وقال [من الخفيف] :

أنت تيسٌ لا كالتّيس لأنّ التّيس ينزو وأنت يُنزي عليك^(٢)

وقال [من الوافر] :

أبو العباس تحضره جموعُ من الفقهاء لجّوا في العواء
كأنّهم إذا اجتمعوا عليه ذبابٌ يجتمعن على جراء

وقال [من الوافر] :

أبو العباس قد أضحى فقيهاً يتيهُ بفقهِهِ في النَّاسِ تيهَا
وذلك أنّ لحيته أتتني تناظر فقحتني فخريت فيها^(٣)

(١) الحجى : العقل : وتحيف : تنقص .

(٢) ينزو : أي يمارس الشهوة .

(٣) الفقحة : فتحة المؤخرة .

وقال [من الهزج] :

أبو العباس في الأيسر ينساب انسياب الأيم^(١)
فتى يأذن بالفقحة للأسياف بالشيم^(٢)

وقال [من البسيط] :

هذا الأديب الذي وافى يفاخرنا
فما يفارق طوماراً يعالجه
كأتما هو حرباء بيضته
أضحى إلى كمر السودان مشتاقاً
إلاً بأخر يمضي فيه إعناقاً^(٣)
لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقاً

وأنشدني له الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي [من الكامل] :

نبئت أنك منشد ما قلته
والكلب لا يخزى إذا أخسأته
في سبّ عرضك لا تخاف وعيدي
والقار لا يخشى من التسويد^(٤)

وأنشدني له أيضاً [من السريع] :

شرط الشروطي فتى أير
أبغى من الإبرة لكنه
وما سواه غير مشروط
يوهم قوماً أنه لوطي

وأنشدني له غيره [من المتقارب] :

تزلزلت الأرض زلزالها
مشى ذا الثقل على ظهرها
فقالوا بأجمعهم مالها
فأخرجت الأرض أثقالها

(١) الأيم : الحية الذكر .

(٢) بالشيم : بالدخول والنظر .

(٣) الطومار : الصحيفة ويعني به « عضو الرجل » .

(٤) القار : القطان .

وقال [من مجزوء الكامل] :

قد طال قرنك يا أخي فكأنه شعر الكميت

* * *

ما أخرج له رحمه الله في سائر الفنون

قال [من المتقارب] :

تصدُّ أُميمةٌ لَمَّا رأتُ مشياً على عارضي قد فرشُ
فقلت لها الشيب نقش الشبابِ فقالت ألا ليتَه ما نقشُ

وقال [من الطويل] :

ولما تناءت بالأحبة دارهمُ وصرنا جميعاً من عيانٍ إلى وهم
تمكَّن منِّي الشوق غير مسامحٍ كمعتليٍّ قد تمكَّن من خصم

وقال [من الخفيف] :

كنت دهرأ أقول بالاستطاعة وأرى الجبر ضلَّةً وشناعة
ففقدت استطاعتي في هوى ظبيٍ فسمعاً للمجبرين وطاعة

وقال [من المتقارب] :

لقد قلتُ لما أتوا بالطيبِ وصادفني في أحرَّ اللهبِ
وداوي فلمُ أنفع بالدواءِ دعوني فإنَّ طيبي حبيبي
ولست أريد طيب الجسم ولكن أريد طيب القلوب
وليس يزيل سقامي سوى حضور الحبيب وبعد الرقيب

وقال [من الخفيف] :

لك خير الأعمام والأخوال^(١)
قلت خالي لكن من الخير خال

ناصرُ قال لي معاويةُ خا
فهو خالُ للمؤمنين جميعاً

وقال [من السريع] :

هو الذي يهدي إلى الجنة
فلعنة الله على السنه

حبُّ عليّ بن أبي طالبٍ
إن كان تفضيلي له بدعة

وقال في شهر رمضان [من الخفيف] :

حُرِّمَ الصَّبُّ فيه حسنُ العوائدُ
كان مستيقظاً أتمَّ الفوائدُ
 واجتماعُ بالليل عند المساجدُ

قد تعدّوا على الصيام وقالوا
كذبوا في الصيام للمرء مهما
موقفٌ بالنهار غير مرب

وقال [من الكامل] :

فأجابني أو لست في رمضان؟
أتصوم عن برٍّ وعن إحسان^(٢)
عن أن تكدّ الصبّ بالهجران
واحسبه يوماً مرّ في شعبان

راسلت من أهواه أطلب زورةً
فأجبتّه والقلب يخفق صبرةً
صمّ إن أردت تحرّجاً وتعفّفاً
أولاً فزرنّي والظلام مجلّلاً

وقال في مرض علوي [من الكامل] :

بالنفس والولد الأعزُّ وبالأب
وقد اشتكى عضوً من أعضاء النبيّ

يا سيّداً أفديه عند شكائِهِ
لم لا أبيت على الفراش مسهّداً

(١) الناصب : الذي يضر العدا لآل البيت .

(٢) الصبرة : الميل والحنان والشوق .

وقال يرثي أبا الحسن السلمي [من الطويل] :

إذا ما نعى الناعون أهل مودتي بكيث عليهم بل بكيث على نفسي
نعوا مهجة السلمي وهي سلامة غلبت عليها فالسلام على الأنس

وقال يرثي أبا منصور كثير بن أحمد [من الطويل] :

يقولون لي أودي كثير بن أحمد وذلك رزء في الأنام جليل
فقلت دعوني والعلا نبكه معاً فمثل كثير في الرجال قليل

وقال [من الكامل] :

يا أهل سارية السلام عليكم قد قل في أرضيكم الخطباء
حتى غدا الفأفاء يخطب فيكم ومن العجائب خاطب فأفاء^(١)

وقال في أخوين صبيح وقيح [من السريع] :

يحيا حكي المحيا ولكن له أخ حكي وجه أبي يحيى

وقال [من الطويل] :

لقد صدقوا والراقصات إلى منى بأن مودات العدى ليس تنفع
ولو أنني داريت عمري حية إذا مكنت يوماً من اللسع تلسع

وقال [من الوافر] :

إذا أدناك سلطان فزده من التعظيم واحذره وراقب
فما السلطان إلا البحر عظماً وقرب البحر محذور العواقب

وقال [من المتقارب] :

وقائلة لم عرتك الهموم وأمرك ممثّل في الأمم؟

(١) الفأفاء : التي يكثر من حرف الفاء في كلامه .

فقلت دعيني على غصتي فإن الهموم بقدر الهمم

* * *

نبذ من ذكر سرقاته

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : قال بعض ندماء الصاحب له يوماً : أرى مولانا قد أغار في قوله [من الطويل] :

لبسن برود الوشي لا لتجملٍ ولكن لصون الحسن بين برود
على قول المتنبي [من الوافر] :

لبسن الوشي لا متجملاتٍ ولكن كي يصنَّ به الجمالا
فقال : كما أغار هو بقوله [من المنسرح] :

ما بال هذي النجوم حائرةٌ كأنها العمى ما لها قائدُ
على العباس بن الأحنف في قوله [من الكامل] :

والنجم في كبد السماء كأنه أعمى تحير ما لديه قائدُ
وسمعت أيضاً أبا بكر يقول : أنشدني الصاحب نثفة له منها هذا البيت [من
الطويل] :

لئن هو لم يكفف عقارب صدغِهِ فقولوا له يسمع بترياق ريقه
فاستحسنه جداً حتى حممت من حسدي له عليه ، ووددت لو أنه لي بألف
بيت من شعري .

قال مؤلف الكتاب : فأنشدت الأمير أبا الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي
هذا البيت ، وحكى له هذه الحكاية في المذاكرة ، فقال لي : أتعرف من أين

سرق صاحب معني هذا البيت ؟ فقلت : لا والله ، قال : إنما سرقه من قول القائل ، ونقل ذكر العين إلى ذكر الصدغ [من مجزوء الرمل] :

لدغت عينك قلبي إنما عينك عقرب
لكن المصّة من ريقك ترياق مجرب

فقلت : لله در مولانا الأمير ! فقد أوتي حظاً كثيراً من التخصص ، بمعرفة التلصّص .

قلت : ومعني قول صاحب في الثلج [من الخفيف] :

وكان السماء صاهرت الأر ض فكان الشار من كافور
ينظر إلى قول ابن المعتز [من الخفيف] :

وكان الربيع يجلو عروساً وكأننا من قطره في نثار

وقول صاحب [من الطويل] :

يقولون لي كم عهد عينك بالكرى
ولو تلتقي عين على غير دمة
فقلت لهم منذ غاب بدر دجاها
لصارمتها حتى يقال نفاها^(١)

مأخوذ لفظ البيت الثاني من قول المهلي الوزير [من الطويل] :

تصارمت الأجفان منذ صرمتي فما تلتقي إلا على عبرة تجري

وقول صاحب [من الخفيف] :

هات مشطاً إلى وليك عاجاً
وإذا ما مشطت عاجاً بعاج
فهو أدنى إلى مشيب الرؤوس
فامشط الأبنوس بالأبنوس

(١) صارمتها : جفتها وقاطعتها .

مأخوذ من قول أبي عثمان الخالدي [من الخفيف] :

ورأتني مشطت عاجاً بعاجٍ فامشط الأبنوس بالآبنوس

وأخذ قوله [من مجزوء الرجز] :

فمُ الغويري إذا فثَّته أنتن فمُ
كم قلت إذ كَلَمَني وأسفى على الخشم^(١)

من قول المهلي الوزير [من مجزوء الوافر] :

وإن أبصرت طلعتة فوالهفي على العمش^(٢)

وأخذ قوله في ابن العميد [من الطويل] :

إلى سيدٍ لولاه كان زماننا وأبناؤه لفظاً عرياً عن المعنى
من قول المتنبي [من المنسرح] :

*والدهر لفظٌ وأنت معناه *

وقوله في القافية الأخيرة [من الرجز] :

وناصحٍ أسرف في النكير يقول لي سدت بلا نظير
فكيف صغت الهجو في حقيرٍ مقداره أقل من نقير^(٣)
فقلت لا تنكر وكن عذيري كم صارمٍ جربٍ في خنزير

من قول الحمدوني [من الطويل] :

*هبوني امرأ جربت سيفي على كلب *

(١) الخشم : الأنف تغيرت رائحته من داء فيه فهو أخشم ، وخشم أنفه : اتسع .

(٢) العمش : ضعف البصر مع سيلان دمع العين .

(٣) النكير : القليل ، والنكتة في ظهر النواة .

وقوله في البيت الأخير من هذه الأبيات [من الكامل] :

ومهفهف حسن الشمائل أهيف تردى النفوس بفتري عينه^(١)
ما زال يبعدني ويؤثر هجرتي فجذبت قلبي من إसार يديه
قالوا تراجعهُ فقلت بديهةً قولاً أقيم مع الروي عليه
والله لا راجعته ولو أنه كالشمس أو كالبدر أو كبويه

مأخوذ من قول ابن المعتز [من الكامل] :

والله لا كلمته ولو أنه كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفي

* * *

نبد مما هجي به الصاحب

* ما زالت الأملاك تهجى وتمدح *

قال أبو العلاء الأسدي [من البسيط] :

إذا رأيت مسجىً في مرقعة يأوي المساجد حراً ضره بادي^(٢)
فاعلم بأن الفتى المسكين قد قذفت به الخطوب إلى لؤم ابن عباد

وقال أبو الحسن الغويري [من السريع] :

إن كان إسماعيل لم يدعني لأن أكل الخبز صعباً لديه
فإنني آكل في منزلي إذا دعاني ثم أمضي إليه

(١) فترتي عينه : ذبول أطرافهما .

(٢) مسجى : ممدد .

وقال السّلامي [من مجزوء الرمل] :

يا ابن عبّادَ بن عبا سَ بن عبد الله حرها^(١)
تنكر الخير وأخرجت إلى العالم كرها

وقال أبو بكر الخوارزمي [من السريع] :

صاحبنا أحواله عاليه لكنّما غرفته خاليه
وإن عرفت السرّ من دائه لم تسأل الله سوى العافيه

* * *

ذكر آخر أمره

لما بلغت سنوه الستين اعترته آفة الكمال ، وانتابته أمراض الكبر ، جعل
ينشد قوله [من الوافر] :

أناخ الشيب ضيفاً لم أردُهُ ولكن لا أطيق له مردّاً
رداءً للردى فيه دليلُ تردّي من به يوماً تردّي^(٢)

ولما كنى المنجمون عما يعرض له في سنة موته قال [من الرجز] :

يا مالك الأرواح والأجسام	وخالق النجوم والأحكام
مدبّر الضياء والظلام	لا المشتري أرجوه للإنعام
ولا أخاف الضرّ من بهرام	وإنّما النجوم كالأعلام
والعلم عند الملك العلام	يا رب فاحفظني من الأسقام
ووقني حوادث الأيام	وهجنة الأوزار والآثام

(١) حرها : أحراه الزمان أنقصه ، وتحراها : تعمّده وطلبه .

(٢) الردى : الموت ، وتردّي الأولى بمعنى مات وتردّي الثانية بمعنى ارتدى أي لبس .

هَبْنِي لِحَبِّ الْمَصْطَفَى الْمُعْتَمَمِ وَصَنُوهُ وَآلَهُ الْكَرَامِ^(١)

وكتب بخطه على تحويل السنة التي دلت على انقضاء عمره [من الطويل] :

أرى سنتي قد ضمنت بعجائب	وربِّي يكفيني جميع النوائب
ويدفع عني ما أخاف بمنه	ويؤمن ما قد خوفوا من عواقب
إذا كان من أجرى الكواب أمره	معيني فما أخشى صروف الكواكب
عليك أيا رب السماء توكلني	فحطني من شر الخطوب الحوارب
وكم سنة حذرتها فتزحزت	بخير وإقبال وجد مصاحب
ومن أضمر اللهم سوءاً لمهجتي	فردّ عليه الكيد أخيب خائب
فلمست أريد السوء بالناس إنما	أريد بهم خيراً مريع الجوانب ^(٢)
وأدفع عن أموالهم ونفوسهم	بجدي وجهدي باذلاً للمواهب
ومن لم يسعه ذاك متي فأنني	سأكفاه إن الله أغلب غالب

وبلغته عن بعض أصحابه شماتة فقال [من الطويل] :

وكم شامت بي بعد موتي جاهلاً	بظلمي يسلُّ السيف بعد وفاتي
ولو علم المسكين ماذا يناله	من الظلم بعدي مات قبل مماتي

ووجد في بعض أيام مرضته التي توفي فيها خفة ، فأذن للناس ، وحل وعقد وأمر ونهى ، وأملى كتباً تعجب الحاضرون من حسنها ، وفرط بلاغتها ، وقال [من مجزوء الرجز] :

كلامنا من غرر	وعيشنا من غرر
إني وحق خالقي	على جناح السفر

(١) المعتام : أفضل الخلق .

(٢) المريع : الهنيء الناعم الخصب .

ثم لما كانت ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين
وثلاثمائة انتقل إلى جوار ربه ومحل عفوه وكرامته ، ومضى من الدنيا بمضيه
رونق حسنهما وتاريخ فضلها ، رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه
بمنه وكرمه !! .

* * *

أنموذج من مراثيه

من قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء الإصبهاني تغمّده الله برحمته ، وأسكنه
بحبوبة جنته ! [من البسيط] :

يا كافيَ الملك ما وقّيتُ حظّك منْ	وصفٍ وإن طال تمجيدٌ وتأبينُ
فتَ الصفات فما يرثيك من أحدٍ	إلاّ وتزيينه إياك تهجينُ
ما متّ وحدك لكنّ مات من ولدتُ	حواء طراً ، بل الدنيا ، بل الدّينُ
هذي نواعي العلا مذ متّ نادبةٌ	من بعد ما ندبتك الخردّ العين ^(١)
تبكي عليك العطايا والصّلات كما	تبكي عليك الرعايا والسّلاطين
قام السّعاة وكان الخوف أقعدهم	فاستيقظوا بعد ما متّ الملاعين
لا يعجب الناس منهم إن همّ انتشروا	مضى سليمان وانحلّ الشياطين

ما أحسن هذا المثل ، وأمكن موقعه !!

ومن قصيدة أبي الفرّح بن ميسرة [من الوافر] :

ولو قبلَ الفداء لكان يفدى	وإنّ جلّ المصاب على التّفادي
ولكنّ المنون لها عيونُ	تكدّ لحاظها في الانتقاد
فقلّ للدهر أنت أصبت فالبسّ	برغمك دوننا ثوبيّ حداد
إذا قدّمت خاتمة الرزايا	فقد عرّضت سوقك للكساد

(١) الخردّ : العذراوات .

ومن قصيدة أبي سعيد الرستمي [من الطويل] :

أبعد ابن عباس يهش إلى السرى أخو أملٍ أو يستماح جواد^(١)
أبى الله إلا أن يموتا بموته فما لهما حتى المعاد معاد

ومن قصيدة أبي الفياض سعيد بن أحمد الطبري [من الوافر] :

خليلي كيف يقبلك المقليل ودهرك لا يُقبل ولا يُقيل^(٢)
ينادي كل يوم في بنيه ألا هبوا فقد جدّ الرحيلُ
وهم رجالان منتظرُ غفول ومبتدرُ إذا يدعى عجل
كأنّ مثال من يفنى ويبقى رجيلُ سوف يتلوه رجيل
فهم ركبٌ وليس لهم ركابُ وهم سفرٌ وليس لهم قفول
تدور عليهم كأس المنايا كما دارت على الشرب الشمول^(٣)
ويحدوهم إلى الميعاد حادٍ ولكن ليس يقدمهم دليل
ألم تر من مضى من أولينا وغالتهم من الأيام غول
قد احتالوا فما دفع الحويلُ وأعولنا فما نفع العويل
كذاك الدهر أعمارُ تزول وأحوالُ تحول ولا تؤول
لنا منه وإن عفنا وخفنا رسولُ لا يصاب لديه سول
وقد وضح السيل فما لخلقٍ إلى تبديله أبداً سبيل
لعمرك إنّهُ أمدٌ قصيرُ ولكنّ دونه أمدٌ طويل
أرى الإسلام أسلمه بنوه وأسلمهم إلى وله يهول
أرى شمس النهار تكاد تخبو كأنّ شعاعها طرفٌ كليل

(١) السرى: المسير ليلًا ، ويستباح : يطلب جوده وسباحه .

(٢) يُقبل : يريح ، ويُقيل : يُقيل ويميل .

(٣) المنايا : الموت ، والشمول : الخمرة .

أرى القمر المنير بدا ضئيلاً
أرى زهر النجوم محدقاتٍ
أرى وجه الزمان وكلّ وجهٍ
أرى شمّ الجبال لها وجيبٌ
وهذا الجوُّ أكلفُ مقشعراً
وهذي الريح أطيبها سمومٌ
وللسحب الغزار بكلّ فجٍ
نعى الناعي إلى الدنيا فتاها
نعى كافي الكفاة فكلُّ حرٍّ
نعى كهف العفاة فكلُّ عينٍ
كأنّ نسيم تربته سحيراً
إذا وافى أنوف الركب قالوا
أيا قمر المكارم والمعالى
أبْنُ لي كيف هالك ما يهول
ويا من ساسَ أشتات البرايا
أدلت على اللّياالي من شكاها
بكاك الدّين والدّنيا جميعاً
بكتك البيض والسمر المواضي

بلا نورٍ فأضناه النّحول
كأنّ سراتها عورٌ وحول^(١)
به ممّا يكابده فلول
تكاد تذوب منه أو تزول^(٢)
كأنّ الجوُّ من كمدٍ عليل^(٣)
إذا هبّت وأعذبها بليل
دموعٌ لا يذاد بها المحول
أمين الله فالدنيا ثكول
عزيزٌ بعد مصرعه ذليلٌ
بما تقذى العيون به كحيل^(٤)
نسيم الروض تقبله القبول
سحيق المسك أم تربٌ مهيل
أبْنُ لي كيف عاجلك الأفول
وغالك بعد عزّك ما يغول
والجَم من يقول ومن يصول
وقد جارت عليك فمن يديل^(٥)
وأهلها كما يُكى الحمل^(٦)
وكنت تعولها فيمن تعول

(١) زهر النجوم : بيضهنّ ، ومحدقات : ناظرات .

(٢) الوجيب : الخفقان والاضطراب .

(٣) أكلفُ : تغيّر لونه وتكدر .

(٤) القذى : ما يقع في العين من وسخٍ وغيره .

(٥) أدلت : أظفرت ، ويديل يعين .

(٦) الحمل : الميت الذي يحمل .

بكتك الخيل معولةً ولكن
قلوب العالمين عليك قلبٌ
ولي قلبٌ لصاحبه وفي
إذا نظمت يدي في الطرس بيتاً
فإن يك ركٌ شعري من ذهولي
كتبت بما بكيت لأن دمعِي
وكنت أعدّ من روحي فداءً
أحيا بعده وأقرّ عيناً
حياتي بعده موتٌ وحيٌ
عليك صلاة ربك كل حين

بكاها حين تندبك الصهيل
وحظك من بكائهم قليل
يسيل وتحتة روحٌ تسيل
مجاه منه منتظمٌ هطول
فذلك بعض ما يجني الدهول^(١)
عليك الدهر فياضٌ همول^(٢)
لروحك إن أريد لها بديل
حياتي بعده هدرٌ غلول
وعيشي بعده سمٌ قتول^(٣)
تهبُّ بها من الخلد القبول

ومن قصيدة الشريف أبي الحسن الرضي الموسوي النقيب [من الكامل] :

أكذا المنون يقطر الأبطالا
أكذا تصاب الأسد وهي مدلة
أكذا تقام عن الفرائس بعدما
أكذا تحطّ الزاهرات عن العلا
أكذا تكبّ البزل وهي مصاعب
أكذا تغاض الزاخرات وقد طغت
يا طالب المعروف حلق نجمه

أكذا الزمان يضعضع الأجبالا
تحمي الشبول وتمنع الأغبالا
ملأت هماهمها الورى أوجالا^(٤)
من بعد ما شاق العيون متالا
تطوي البعيد وتحمل الأثقالا
لججاً وأوردت الظماء زلالا^(٥)
حطّ الحمول وعطّل الأجمالا

(١) ركٌ : من الركاة أي ضعف .

(٢) همول : مطر .

(٣) موت وحيٌ : بفتح الواو وتشديد الياء أي سريع .

(٤) هماهما : زئيرها وأصواتها ، وأوجالاً : خوفاً .

(٥) الزلال : الماء البارد المنعش .

كان الأنام على نداء عيالا
والنقص فضلاً والرجاء نوالا
يوم الوغى ويشجع السؤال
عنا وقلص ذلك السربالا
قبل اليقين وأسلف البلبالا
صدع القلوب وأسقط الأحمالا
يا ليت شكّي فيه دام وطالا
حتى إذا ملأ الأقالم زالا
ألقى بجانبك الردى زلزالا^(١)
وسما إلى نظرائه فتعالى^(٢)
ونزعت عنك قميصها الأسمالا^(٣)
وصل الدموع وقطع الأوصالا
من بعد يومك قطع الأمالا
أو ما وقاك جلالك الآجالا
يا من إذا عثر الزمان أقالا^(٤)
تستوهق الأعيان والأردالا^(٥)
بين النبات كما برين الضالا^(٦)
ذات البعول تبدل الأبدالا

وأقم على يأس فقد ذهب الذي
من كان يقري الجهل علماً ثاقباً
ويجبُّ الشجعان دون لقائه
خلع الردى ذاك الرداء نفاسةً
خبر تمخض بالأجنة ذكره
حتى إذا جلى الظنون يقينه
الشك أبرد للحشى في مثله
جبل تسنمت البلاد هضابه
يا طود كيف وأنت عادى الذرى
ما كنت أول كوكب ترك الدنا
أنفاً من الدنيا تبت حبالها
لا رزء أعظم من مصابك إنه
إن قطع الأمال منك فإنه
يا أمر الأقدار كيف أطعتها
هلاً أقالتك الليالي عشرة
وأرى الليالي طارحات حبالها
يسرين عود النبع غير فوارق
لا تأمن الدنيا عليك فإنها

(١) الطود : الجبل : وعادى الذرى : قديمها ومنيعها .

(٢) نظرائه : أشباهه .

(٣) تبت : تقطع ، والأسمال : الثياب البالية .

(٤) أقال : حمى ومنع .

(٥) الوهق : محركة ويسكن : الحبل يرمى في أنشودة فتؤخذ به الدابة والانسان ، واستوهق : صنع الوهق ، وأراد هنا معنى اصطاد .

(٦) النبع شجر ، والضالا : الضلل : الماء الجاري تحت الشجر .

كم حجة في الدين خضت غمارها
 بسنان رمحك أو لسانك موسعاً
 إن نكس الإسلام بعدك رأسه
 واهأ على الأقالام بعدك إنها
 أفقدن منك شجاع كل بلاغة
 من لو يشاطعن العدى براءوسها
 سلطان ملك كنت أنت تعزّه
 إن المشمر ذيله لك خيفة
 طلبوا التراث فلم يروا من بعده
 هيهات فاتهم تراث مخاطر
 قد كان أعرف بالزمان وصرفه
 مفتاح كل ندى، ورب معاشر
 كان الغريبة في الزمان فأصبحوا
 من فاعل من بعده كفعله
 سمع يرفع للسؤال سجوفه
 يا طالباً من ذا الزمان شبيهه
 إن الزمان أضن بعد وفاته
 وأرى الكمال جنى عليه لأنه
 صلى الإله عليك من متوسد
 كسف البلى ذاك الهلال المجتلى

هدر الفنيق تخمطاً وصيالا^(١)
 طعنأ يشق على العدى وجدالا
 فلقد رزى بك موئلاً ومآلا
 لم ترض بعد بنان كفك آلا
 إن قال جلّى في المقال وجالا
 وأثار من جريانها قسطالا^(٢)
 ولرب سلطان أعز رجالا
 أرخى وجرر بعدك الأذيالا^(٣)
 إلّا علأ وفضائلأ وجلالا
 جمع الثناء وضيع الأموالا
 من أن يشمر أو يجمع مالا
 كانوا على أموالهم أقفالا
 من بعد غارب نجمه أمثالا
 أو قائل من بعده ما قالأ
 ويحجب الأهزاج والأرمالا^(٤)
 هيهات كلّفت الزمان محالا
 من أن يعيد لمثله أشكالا
 غرض النوائب من أعير كمالا
 بعد المهاد جنادلاً ورمالا
 وأجر، ذاك المقول الجوالا

(١) التخمط : الهدير، والصيال : المصاولة .

(٢) القسطل : غبار الجيش الكثيف .

(٣) جرر الأذيال : تاه زهواً وعجباً .

(٤) السجوف : الستائر ، والأهزاج والأرمال من الهزج والرمل - وهما وزن من أوزان الشعر .

من بعد يومك بالزّمام عقلا
 حول الخيام تنازع الأطوال^(١)
 مربوطةً ومن السروج جلالاً^(٢)
 أعناقها ويحصن الأكفالا
 لما رأوك تسير أو إجلالا
 من ميلّ الجبل العظيم فمالا
 عضّ الأنامل يمنة وشمالاً^(٣)
 إلّا أنامل نلن منك سجلاً^(٤)
 ومعولاً لمؤمّل وثمالا
 وأطال عظم مصابك الأشغالا
 بعد التهلّل عندك استهللاً
 حشدت عليه فلا تحير مقالا^(٥)
 فضلاً إذا غيري جنى أفضالا
 وتفيدني أيامك الإقبالا
 تشني جنود خطوبه فلا^(٦)
 وأعاد أعلام العلا أغغالا
 لأغرّ حفّزه الردى إعجالا
 وسقاه من أسقى به الأمالا
 أمسى مهاباً للورى ومهالا

ورأيت كلّ مطية قد بدّلت
 لمن الضوامر عريت أمطاؤها
 بدّلن من لبس الشكيم مقاوداً
 فجعت بمنصلت يعرّض للقنا
 طرح الرجال لك العمائم حسرةً
 قالوا وقد فجئوا بنعشك سائراً
 وتبادروا عطّ الجيوب وعاجلوا
 ما شققوا إلّا كسك وآلما
 من ذا يكون معوضاً ما مزقوا
 فرغت أكفّ من نوالك بعدها
 أعزز عليّ بأنّ يبدّل زائر
 أو أن يناديك الصريخ لكربة
 قد كنت آمل أن أراك فأجتنى
 وأفيد سمعك منطقي وفضائلي
 وأعدّ منك لريب دهري جنةً
 فطواك دهرك طيٍّ غير صيانة
 قبرّ بأعلى الريّ شقّ ضريحه
 فرعاه من أرعى البرية سبيه
 إنّ يمس موعظة الأنام فطالما

(١) الأطوال : أي الحبال المربوطة بها .

(٢) الشكيم : جمع شكيمة ، وهي حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس .

(٣) عطّ الثوب : شقّه .

(٤) سجلاً : عطاءً وكرماً .

(٥) الصريخ : المستغيث .

(٦) الجنة : الدرع ، وفلاً : منهزمين ، وفلّ السيف : تصدع وتشقق .

لنُسَلِّي الدنيا عليه فإنَّها نَزَعَتْ به الإحسان والإجمالا
ولأبي العباس الضبي وقد مر باب صاحب [من الخفيف] :

أيها الباب لم علاك اكتئابُ أين ذاك الحجابُ والحجابُ؟
أين من كان يَفْزَعُ الدهر منه فهو اليوم في التراب تراب؟!
ولبعض بني المنجم لما استوزر أبو العباس الضبي ولقب بالرئيس وضم إليه
أبو علي ولقب بالجليل بعد موت صاحب تغمده الله برحمته آمين [من البسيط] :
والله والله لا أفلحْتُمُ أبداً بعد الوزير ابن عباد بن عباس
إن جاء منكمُ جليلٌ فاجلبوا أجلي أو جاء منكمُ رئيسٌ فاقطعوا راسي
وأنشدني أبو العباس العلوي الهمداني الوصي لنفسه في مِثْيةِ صاحب [من
مجزوء الكامل] :

مات الموالى والمحِبُّ لأهل بيت أبي ترابٍ
قد كان كالجبل المنيع لهم فصار مع الترابِ

وأنشدني أيضاً فيه لنفسه [من الكامل] :

نومُ العيون على الجفون حرام	ودموعهنَّ مع الدماء سجام ^(١)
تبكي الوزير سليل عباد العُلا	والدين والقرآن والإسلام ^(٢)
تبكيه مكة والمشاعرُ كلُّها	وحجيجها والنُّسك والإحرام
تبكيه طيبة والرسول ومن بها	وعقيقها والسهل والأعلام ^(٣)
كافي الكفاة قضى حميداً نحبه	ذاك الإمام السيد الضرغام

(١) سجام : من سجم الدمع أي ذرفه .

(٢) العلاء : فاعل تبكي ، وحذف التنوين من « عباد » لإقامة الوزن .

(٣) طيبة : المدينة المنورة .

مات المعالي والعلوم بموته فعلى المعالي والعلوم سلام
ولبعض أهل نيسابور من قصيدة [من الهزج] :

ألا يا غرة العليأ ألا يا نكبة الدنيا
وشمس الأرض فرد الدهر عين السؤدد اليمنى
أما استحيا أبو يحيى لفض المهجة الكبرى
لئن ختمت بك الدنيا لقد فتحت بك الأخرى

* * *

الباب الرابع

١٧ - في ذكر أبي العباس أحمد بن إبراهيم الضبي

وملح من نثره ونظمه

هو جذوة من نار صاحب أبي القاسم ، ونهر من بحر ، وخليفته النائب
منابه في حياته ، القائم مقامه بعد وفاته ، وكان صاحب استصحبه منذ الصبا ،
 واجتمع له الرأي والهوى ، فاصطنعه لنفسه ، وأدبه بآدابه ، وقدمه بفضله
الاختصاص على سائر صنائعه وندمائه ، وخرج به صدرأ يملأ الصدور كمالا ،
 ويجري في طريقه ترسماً وترسلاً ، وفي ذرى المعالي توقلا ، وتحقق قول أبي
محمد الخازن فيه من قصيدة [من المنسرح] :

تزهى بأتربها كما زهيتُ	ضبة بالماجدين ماجدها
سماؤها شمسها غمامتها	هلالها بدرها عطاردها
يروى كتاب الفخار أجمع عن	كافي كفاة الورى وواحدها

وقوله فيه من أخرى [من البسيط] :

نماه ضبة في أزكى مناصبه	فخراً وأوطاه الشعرى وأمطاه ^(١)
يعطي ويخفي ولا يبغي الثناء به	حتى كأن الذي أعطاه غطاءه
يسير يوم الوغى والدهر يقدمه	كأنما الدهر أيضاً من سراياه

(١) غاه : أي أنه ينتمي إلى أعرق بيت في ضبة ، وأوطاه : أي جعله يظاً ، وأمطاه جعله يمتطي صهوة الشرف فيها .

وإن بدا أحيت الآمال طلعت
ومن يوالي ابن عباد مخالصة
حتى تقدّر محياها محيا
يحزّ سعادة دنياه وأخراه
فما الصنائع إلا ما تخيره
وما الودائع إلا ما تولاه
فاسلمّ ودم أيها الأستاذ مبتهجاً
وخذ من العيش أصفاه وأصفاه
فقد ثقّلت في الجدوى معالمه
كما توخّيت في الجلى قضاياه^(١)

وقد كانت بلاغة العصر بعد الصباح والصابي ، بقيت متماسكة بأبي
العباس وأشرفت على التهافت بموته ، وكادت تشيب بعده لمم الأقلام ، وتجف
غدر محاسن الكلام^(٢) ، لولا أن الله تعالى سد بقاء الأمير أبي الفضل عبيد الله بن
أحمد ثلم الأدب والكتابة^(٣) ، وداوى بالدفاع عن نفسه كلم البلاغة والبراعة .
وجعله فرد الزمان ، ولسان خراسان ، وكافل يتم الفضل ، ومنفق سوق النثر
والنظم . وسيمر بك في القسم الرابع من هذا الكتاب إن شاء الله من نثره الذي هو
نثر الورد ، ونظمه الذي هو نظم العقد ، ما ينير به الليل المظلم ، وينصف به
الدهر الظالم .

* * *

لمع من نثر أبي العباس

فصل من كتاب له في الصباح في ذكر أحمد بن عضد الدولة

وكنّت أستحضر كاتبه ، بل كاذبه ، وأحذره سراً ، وأبصره جهراً ، وهو
يروغ روغان الثعالب ، ويتفادى تفادي الموارب ، وقد كنت منعت المستأمنة

(١) ثقّلت : تيّبت ، والجلّى : العظيم من الأمور .

(٢) غدر : جمع غدير حيث يجتمع الماء .

(٣) الثلم : النقص والعيب .

والمنهزمة أول مورده ، من تكثير عدده ، علماً بأنهم مؤن بلا منن ، وعناء بلا غنى .

فصل له من كتاب إلى أبي سعيد الشيبى

وقد أتاني كتاب شيخ الدولتين فكان في الحسن ، روضة حزن ، بل جنة عدن ، في شرح النفس ، وبسط الأنس ، برد الأكباد والقلوب ، وقميص يوسف في أجفان يعقوب .

وبعد ، فإن المنازعين للأمير حسام الدولة نسور ، قد اقتنصتها العصور ودولته حرسها الله في إبان شبابها واعتدالها ، وريعان إقبالها واقتبالها . قد أسست على صلاح وسداد ، وعمارة دنيا ومعاد . فهي مؤذنة بالدوام ، في ظل أساورة الإسلام .

(ومنها) فبينما نحن في تجهيز الخيول ليوصل إلى إيثاره ، ويؤخذ له بثاره إذ جنّ . فقلب لنا المجن^(١) ، ثم لم يقنعه العصيان والكفران حتى أراد الاستيلاء على البلد ، والجناية على النفوس والأهل والولد ، ونظر إليّ فقال : كاتب ، لا منازع ومحارب ، نعم وقال من يشجع من الديلم لهز الزانة في صدري^(٢) وتجريد السيف في وجهي ، ولم يدر أن دولة مولانا لو أنكرت الفلك لكفته عن مجراه ، وأن تدبير الصاحب لو رصد النجم لصدّه عن مسراه ، وأنه مصطنعي ، فلم يعتمدني لأعظم الأمور ، وأهم الثغور ، إلا وقد زرع في أرض تريع ، ووكل السرح إلى من لا يضيع .

(١) المجن : الترس .

(٢) لهز الزانة : اللهز : الطعن ، والزانة : من الزان وهو شجر طويل مستقيم الجذع ، ويقصد بها « الرمح » .

فصل من كتاب له إلى أبي علي وأبي القاسم العلويين

في التعزية عن أبيهما أبي الحسين بن أبي محمد رضي الله تعالى عنهم !

كتابي - أطال الله بقاء الشريفيين - والدهر ينعي مهجته ، والمجد يندب بهجته ، والشرف محصور في قبضة حينه ، والفضل مفجوع بناظر عينه ، والذكر الجميل مجدّل لمصرعه ، والخلق الوسيط موسّد في مضجعه ، ورسم المحاسن دائر عاف ، وشخص المكارم حاسر حاف . ومهابط الوحي والرسالة تحني ظهرها أسفاً ، ومعادن الوصية والإمامة تذري دمعها لهفاً . وبقاع الحرمين متسلية على نجمها الآفل ، ولابسة ثوب الحداد لركنها المائل ، ويد المواساة مقبوضة عن معونة العاني الذليل^(١) ، ولسان الجود معتذر إلى ابن السبيل ، وطوائف العفاة تبكي العيش الرطيب والربيع الرحيب . والمشارع المعصومة من درن الضنّ ، والموارد المحروسة من كدر المنّ ، وذوو الحاجات في حشرات مجددة ، وزفرات مرددة ، قد أقامت منهم حانية الضلوع ، وأطارت عنهم قلوباً دامية الصدوع . وبنو الآمال عابسة وجوههم ، منكسة رءوسهم « يقولون حصنّ ثم تأبى نفوسهم » ذلك لأن حادث قضاء الله - جل وجهه - استأثر بفرع النبوة ، وعنصر الدين والمروة ، وعصرة العدد الجم^(٢) ، ونجدة أهل العلم والفهم ، فالدموع واكفة^(٣) ، والصدور راجفة ، والهم وارد ، والأنس شارد ، والناس مأتمهم عليه واحد ، ومعاقد الصبر الجميل بعده منقوضة ، وقواعد البر والخير مخفوضة . فلولا أن الدهر مشحون بطوارق الغيّر ، مشوب صفو أيامه بالكدر ، ممزوج صابها بالعسل^(٤) ، موصول

(١) العاني : المحتاج والمعدم .

(٢) وعصرة العدد الجمّ : أي الزّبد المستخرج من الكثير بعد غماض واعتال كناية عن الشرف وعدم المائلة والشبه .

(٣) واكفة : هاطلة .

(٤) الصاب : المرّ .

حبال الأمل فيها بأسباب الأجل يفظم أمام تكامل الرضاع ، ويفرق قبل الإمتاع بحسن الاجتماع . فمن اعتصم بتوفيق الله عز اسمه ، ورضي بما نفذ به حكمه . لبس في وجوه الحوادث جنة ، لا تنضوها الشدائد ، وأكد في مصابرة النوائب منة ، لا تنقضها الخطوب الأوباد . وأخذ في الصدمة الأولى بالحزم ، وذخيرة العزم ، ففاز بالغنم الأكبر ، والحظ الأشرف الأوفر ، ومن اتبع هواه ، وأرتع دينه لدنياه ، فتهالك في القلق المذموم ، وتقاعس عن الرضى بالقدر المحتوم ، ظهر في شعار المستكبرين على الله ، والمنكرين التأدب بأدب الله فعظم مصابه ، وعدم ثوابه ، وكان إلى الصبر بعد اقتران الوزر مآله ومآبه ، لأريت المحققين برعاية المعهود ، وتأيين الحبيب المفقود ، كيف تتحمل الأرزاء ، ويحرم العزاء ، ويطاع داعي الوله ، ويراع جانب القلب المرفه .

(ومنها) وعرف كل من ورد وصدر ، وبدأ وحضر ، أن من قبض فاستوحش الأنس بمفارقتة ، واستبشرت الملائكة لمرافقتة ، وكان مثل الشريفين ريحانة روضه ، والبارد العذب من فيضه ، والثمر الحلو من دوحته ، والورق النضر من نبعته ، والشاهد العدل لمآثره ، والمشيد الندب لمناقبه ومفاخره ، فهو في حكم الخالد وإن أصبح فانياً ، والمقيم في أهله وإن أضحى بالعراء ناوياً ، عزيز الشريفين أدام الله تعالى عزهما ، عما ألم بساحتهما من الخطب ، ولسان جزعي أنطق ، وعرضت لهما بواجب السلو ، وحاجتي إلى من يصرح لي به أصدق ، ولكنني جريت على سنة للدين محمودة ، وعادة بين الأحباب معهودة ، تركت أفراد كل من الأشراف سادتي إخوة الشريفين ، حرس الله عليهم ما خولهم من كرم محض ، وخلق غضاً ، وأحسن متاع بعضهم ببعض ، بالمخاطبة فيما اقتضاه حكم الحادثة ، إذ كانت فروعهم بإذن الله متشابكة ، ونفوسهم في السراء والضراء متشاركة ، وقلوبهم على الصفاء متعاقدة ، ومهجاتهم - لا زالت مصونة - مهجة واحدة .

* * *

ملح من نظمه

قال [من الوافر] :

ترَفَّقَ أَيْهَا المولى بَعْدِي فقد فتنْتُ لَوَاحِظَكَ النُّفُوسَا
وَأَسْكَرْتَ العُقُولَ فَلَيْسَ نَدْرِي أَسْحَرَا مَا تَسْقَى أَمْ كَوْوَسَا

وقال وهو مما يتغنى به [من الوافر] :

أَلَا يَا لَيْتَ شَعْرِي مَا مَرَادُكَ فقلبي قد أَضَرَّ بِهِ بَعَادُكَ
وَأَيُّ مُحَاسِنٍ لَكَ قَدْ سَبَّانِي جَمَالُكَ أَمْ كَمَالُكَ أَمْ وَدَادُكَ
وَأَيُّ ثَلَاثَةٍ أَوْفَى سَوَادَا أَخَالُكَ أَمْ عَذَارُكَ أَمْ فَوَادُكَ

وقال [من مجزوء الكامل] :

لَا تَرْكَنْنَ إِلَى الْفَرَا قِ فَإِنَّهُ مَرُّ الْمَذَاقِ
الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا تَصْفَرُّ مِنْ فَرْقِ الْفِرَاقِ^(١)

وكتب إلى صاحب [من الطويل] :

أَكَا فِي كِفَاةِ الْأَرْضِ مَلِكُكَ خَالِدُ وَعِزُّكَ مَوْصُولُ فَأَعْظِمُ بِهَا نُعْمِي
نَثَرْتُ عَلَى الْقِرْطَاسِ دِرَّأً مَبْدَدَا وَآخِرُ نَظْمَا قَدْ فَرَعْتَ بِهِ النُّجْمَا^(٢)
جَوَاهِرُ لَوْ كَانَتْ جَوَاهِرُ نَظْمَتِ وَلَكِنَّهَا الْأَعْرَاضُ لَا تَقْبَلُ النُّظْمَا

وقال في وصف الدجاج وهو المسمى بالفارسية سنكين سر [من المتقارب] :

وَطِيرِينَ قَدْ أَلْفَا مَرْقَدِي نَدِيمِينَ لِي فِيهِ حَتَّى الصَّبَاحِ

(١) الفرق : الخوف .

(٢) فرعت : ثقت و سلكت النجوم في سلكه .

أرى من وشائع متنيهما وسرّي عندهما لا يذيع
ولا خوف واشٍ ولا خوف لاح خفيفين عند انتشار الجناح
يسّراني بصفيريهما صفيرٌ يعيد شريد الرقاد
وشجويحثٌ على شرب راح سقاء من المزن غمر السماح
ولا زال وكراهما عامرين بنسلٍ مباحٍ وخيرٍ متاح

ومما قرأته بخطه في الأوصاف والتشبيهات من شعره ، وكان أنفذه إلى أبي سعيد نصر بن يعقوب ، ليضمنه كتابه « روائع التوجيهات ، في بدائع التشبيهات » ، قوله في الثريا ، وهو مسبوق إليه قديماً [من مجزوء الرجز] :

خِلْتُ الثريّا إذ بدتْ طالعةً في الحندس^(١)
سنبلةً من لؤلؤ أو باقةً من نرجس

وقوله فيها [من مجزوء الرجز] :

إذا الثريّا اعترضتْ عند طلوع الفجر
حسبتها لامعةً سنبلةً من درّ

وقوله في قصر الليل [من مجزوء الرجز] :

وليلةٍ أقصر من فكري في مقدارها
بدت لعيني وانجلتْ عذراء من قرارها

وقوله في طول الليل [من مجزوء الخفيف] :

ربّ ليلٍ سهرته مفكراً في امتداده

(١) الوشائع : جمع وشيعة ، وهي الأعلام والنقوش .

(٢) الحندس : الظلام .

كلّما زدت رعيه زادني من سواده
فتبيّنت أنّه تائه في رقاده
أو تفانت نجومه فبدا في حداده

وقوله في الأترج [من الكامل] :

أو ما ترى الأترج منضوداً لنا
وكأنّما أجسادها وجسادها
سطراً كأشخاصٍ جثون على الركب
صور السلاحف قد صنعن من الذهب

وقوله في النمام [من السريع] :

قلت لمن أحضرني زهرةً ومجلسي بالأنس بسامٌ
وقرة العيين نيل المنى عندي ولا سامٌ ولا حام
تجنّب النمام لا تجنه فإنما النمام نمّام^(١)
أخشى علينا العين من أعين يبعثها بالسوء أقوام

وقوله في الشيب [من مجزوء الكامل] :

قالوا اكنهلت فقلت ليـلٌ لابسٌ بردي نهار
هل حسن كافورٍ كمسـكٍ في حكومة ذي اعتبار
وشهوبةٌ في عنبرٍ كشيبة في لون قار^(٢)
وفضيلةٌ للشيب أخرى وهي أبهة الوقار

أين هذا من قول البحري [من الخفيف] :

وبياض البازيٍّ أصدق حسناً إن تأملت من سواد الغراب

(١) النّام : نوع من الزّهر، والنّام : الواشي .

(٢) الشهوبة : البياض الذي غلب عليه ، والقار : الأسود السواد .

وكتب إلى أبي مسلم محمد بن الحسن [من الخفيف] :

يا أبا مسلم سلمت على الدهر خدين العلا أمين الجليس^(١)
بعض إخواننا تشهى علينا كرمًا منه مستطاب الهريس
وقديد السكاج بالأكبر العذ ب ومغمومة مني للجليس
واتخذنا الجميع وهي كما تذ كر نعم الفراش للخندريس^(٢)
وإذا شئت أن تساعد فيها كنت فينا الرئيس وابن الرئيس

* * *

(١) الخدين : الصديق .

(٢) الخندريس : الخمر مشتق من الخدرسة ، وحنطة خندريس : أي قديمة .

الباب الخامس

في محاسن أشعار أهل العصر من إصبهان

لم تزل إصبهان مخصصة من بين البلدان بإخراج فضلاء الأدباء ، وفحولة الكتاب والشعراء ، فلما أخرجت الصاحب أبا القاسم وكثيراً من أصحابه وصنائه . وصارت مركز عزه ، ومجمع ندمائه ، ومطرح زواره ، استحقت أن تدعى مثابة الفضل ، وموسم الأدب ، وإذا تصفحت كتاب إصبهان لأبي عبد الله حمزة بن الحسين الإصبهاني وانتهيت إلى ما أورد فيه من ذكر شعرائها وشعراء الكرخ المقطعة عنها ، وسياقة عيون أشعارهم ، وملح أخبارهم ، كمنصور بن باذان ، وأبي دلف العجلي ، وأخيه معقل بن عيسى ، وبكر بن عبد العزيز ، وأحمد بن علويه ، والنضر بن مالك ، وعلي بن المهلب ، وأبي نجدة ، وأحمد ابن القاسم الديمرتي ، وأبي عبد الله تاج الكاتب ، وسهلان بن كوفي ، وصالح ابن أبي صالح ، وأحمد بن واضح ، ومحمد بن عبد الله بن كثير ، وعبد الرحمن ابن مندويه ، وأبي بكر بن بشرويه ، وابن زرويه ، وأبي الهدد ، وأبي قتيبة ، ومحمد بن غالب ، والحسن بن إسحاق بن محارب ، وأبي بكر الزبيري ، وأبي علي بن رستم ، وأبي مسلم بن بحر ، وأبي الحسين بن طباطبا ، وابن كره ، والنوشجان بن عبد المسيح ، وعلي بن حمزة بن عمارة ، وإبراهيم بن سيارة الكادوسي ، وأبي جعفر بن أبي الأسود ، وأبي سعد بن نوفة ، وأبي العباس بن أحمد بن معمر ، وأبي عمرو همام ، وأبي سواده ، وأبي القاسم بن أبي سعد ،

وغيرهم ، ثم تأملت هذا الباب من كتابي هذا ، وقرأت ما ينطق به من ذكر شعرائها
العصريين وغرر كلامهم ، كعبدان الإصبهاني المعروف بالخوزي ، وأبي سعيد
الرستمي ، وأبي القاسم بن أبي العلاء ، وأبي محمد الخازن ، وأبي العلاء
الأسدي ، وأبي الحسن الغويري - حكمت لها بوفور الحظ من أعيان الفضل ،
وأفراد الدهر ، وساعدتني على ما أقدره من حسن آثار طيب هوائها ، وصحة
ترتبتها ، وعذوبة مائها ، في طباع أهلها ، وعقول أنشائها ، وأرجع إلى المتن فقد
طال الإسناد ، ولا يكاد الكلام ينتهي حتى ينتهي عنه .

* * *

١٨ - عبدان الإصبهاني ، المعروف بالخوزي

هو على سياقة المولدين^(١) ، وفي مقدمة العصريين ، خفيف روح الشعر ،
ظريف الجملة والتفصيل ، كثير الملح والظرف ، يقول في الخضاب ما لم أسمع
أحسن منه ، ولا أظرف ، ولا أعذب منه ، ولا أخف [من الخفيف] :

ففي مشيبي شماتة لعداتي	وهو ناعٍ منعصٌ لحياتي
ويعيب الخضاب قومٌ وفيه	لي أنسٌ إلى حضور وفاتي
لا ومن يعلم السرائر مني	ما به رمت خلّة الغانيات
إنما رمت أن أُغيبُ عني	ما ترينيه كلَّ يومٍ مراتي ^(٢)
فهو ناعٍ إليّ نفسي ومن ذا	سرّه أن يرى وجوه النعاة

وكان خفيف الحال ، متخلف المعيشة ، قاعداً تحت قول أبي الشيص

[من الكامل] :

(١) المولدين : مبتكري المعاني من الشعراء .

(٢) يريد مرأتي .

لا تنكري صدي ولا إعراضي ليس المقل عن الزمان براضي

وهو القائل [من الخفيف] :

قلت للدهر من فضولي قولاً وحَدَّاني عليه طيبُ الأمانِي
أتراني بخلعة أنا أحيا ذات يومٍ وفاخر الحملان
قال هيهات أنت والنحس تربا ن وقد كنتمَا رضيعي لبان^(١)
لا تؤمل ركوب متني سوى النعش ولا خلعة سوى الأكفان
وله من أبيات [من الوافر] :

تكلفني التصبر والتسلي وهل يسطاع إلا المستطاع
وقالوا قسمة نزلت بعدل فقلنا ليته جور مشاع

وقال أيضاً [من الوافر] :

تعب الغانيات علي شبي وقال لي العذول تعز عنها
وتخفي شبيها عني المقانع والأفانظرن ما أنت صانع
فقلت له متى قدمت خيراً وأيراً بعده ليست تمنع

وله من كلمة [من السريع] :

هيهات نجمي آفل شارد ولئى فما يخرق أبراجه
أظل أخفي حججاً أدبرت والسبع والسبعون محتاجه
وشر أيام الفتى آخر فيه يسمي للشقاء خواجه^(٢)

وله :

(١) الترب : الرفيق من عمر واحد ، واللبن أي الصدر أولبن الصدر .

(٢) كذا ، وعجزه غير مستقيم الوزن مع باقي الأبيات .

أَللَّشَيْبُ تَخْشَى مِنْ مَلَالِ خَرَائِدِ وَهَنْ لَعَلَّاتِ الْفَوَادِ مَرَاهِمُ^(١)
إِذَا كُنْتَ ذَا مَالٍ فَأَنْتَ مُحِبُّ إِلَيْهِنَّ ، صِيدُ الْغَانِيَاتِ الدَّرَاهِمُ

وله في كلمة وصف هنه [من الطويل] :

وَلِي صَاحِبٌ مَا حَالٍ عَنْ حَسَنِ عَهْدِهِ وَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِنْهُ أَوْفَى وَأَكْرَمَا
يَسَاعِدُنِي دُونَ الْأَخْلَاءِ فِي الدَّجَا إِذَا نَامَ مِنْ قَدْ كَانَ شَوْقًا تَنْجَمًا^(٢)
فَأَهْدَا وَلَا يَهْدِي وَإِنْ نَمْتُ لَمْ يَنْمِ وَيَغْرِي بِذِكْرَاكِ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا
يُنَادِي عَلَى لَحْفِي وَصَحْبِي نَوْمٌ وَإِنْ هُوَ لَمْ يَفْضُضْ بِنَطْقٍ لَهُ فَمَا
أَشْبَهَهُ وَالْقَطَرُ بَادٍ وَلَمْ يَبْنِ بِمَنْقَارِ فَرْخٍ قَدْ تَلَقَّطَ قَرْطَمًا^(٣)

وله [من الطويل] :

تَرَكْنَا لَخُوفِ الْخَيْلِ وَالتَّرِكَ دُورَنَا فَلَلَّهُ صَرْفَ الدَّهْرِ كَيْفَ تَرَدَّدَا
دِهَالِيزِنَا ضَاقَتْ لَخُوفِ نَزُولِهِمْ كَأَنَّا يَهُودٌ نَدْخُلُ الْبَابَ سَجْدًا
وَأَنْشَدَنِي أَبُو بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيُّ لِعَبْدَانَ [من الكامل] :

إِنْ كُنْتَ تَنْشِطُ لِلْغُبُوقِ فَلَيْلُنَا خَلْفَ النَّهَارِ بَغْرَةٌ غَرَاءُ^(٤)
وَإِذَا صَفَا لَكَ مِثْلُنَا فِي دِهْرِنَا فَاذْكُرْ عَوَاقِبَ لَيْلَةٍ كَدْرَاءِ
وَكَانَ أَبُو الْعَلَاءِ الْأَسَدِيُّ عَرْضَةً لِأَهَاجِي عَبْدِانَ ، فَمِنْ مَلَحٍ قَوْلِهِ فِيهِ [من السريع] :

أَبَا الْعَلَاءِ أَسَكْتَ وَلَا تَوْذُنَا بِشَيْنِ هَذَا النَّسَبِ الْبَارِدِ^(٥)

(١) الخرائد : الفتيات العذراوات ، والعلاآت : الأمراض .

(٢) تنجماً : أي حدق في النجوم متأملاً لها علّه يغفو ويرقد .

(٣) القرطم : نبات يتخذ منه صيغ أحمر وحبّه غذاء للطائر .

(٤) الغبوق : شرب الخمرة مساءً .

(٥) الشين : العيب والنقص .

وتدّعي في أسدٍ نسبةً لا تثبتُ الدّعى بلا شاهدٍ
أقم لنا والدّةً أولاً وأنت في حلٍّ من الوالد

وقوله [من الكامل] :

قابل هديت أبا العلاء نصيحتي بقبولها وبواجب الشُّكر
لا تهجونَّ أسنَّ منك فربّما تهجو أباك وأنت لا تدري

وقوله [من مجزوء الرجز] :

أبو العلاء زاعمٌ بأنّه من العربُ
ويدّعي في أسدٍ أبوةً بلا سببٍ
أقسم أنّي مُقترٌ عليه في هذا النسبِ
فائمٌ ألصقه خوف الغضبِ
لكنّي

وقوله [من الكامل] :

أضحى الملوّم أبو العلاء يسبّني وأنا أبوه يعقّني ويعادي
والمتّمون إليه من أولاده والله يعلم أنّهم أولادي
ولو أنّه يسخو عليّ بواحدٍ عند التّكاثر زينةً للنّادي
ألصقته بي واقتديت بمن رأى بأبيه إلصاق الدّعيّ زياد^(١)

وقوله [من السريع] :

حمقٌ بهذا الأسدِيّ الَّذي قد كان منّي آمنُ السّرْبِ^(٢)
وإنّما جرّبتُ هجوي به تجربة السيّف على الكلبِ

(١) يريد اقتدى بمعاوية الذي ألحق زياد ابن أبيه ، بأبي سفيان .

(٢) آمن السرب : أمن الطريق أو الفريق أو القلب .

وقوله في غيره [من المتقارب] :

رغيفك في الأمن يا سيدي يحلّ محلّ حمام الحرم
فله درك من سيد حرام الرغيف حلال الحرم

وقال من أبيات [من البسيط] :

يعلو ويعلّى وكلّ من سجيته يعلو الكنيف ويعلّى بالگراميل^(١)

وقال في رجل ارتفع قدره وكان أبوه حلاجاً [من الطويل] :

أقول وقد قالوا ابن مأسدة غدا على مركب لا من حمير أبيه
ولا الصوت محلاج ولا السرج لوحه ولا حبّ قطن كالشّعير بفيه
مقال الوليد البحتري فانه قد أنبأنا عن مثله وذويه^(٢)
متى أرت الدنيا نباهة حامل فلا ترتقب إلاّ خمول نبيه

وقال في قينة [من الطويل] :

لنا قينة تحمي من الشرب شربنا فقد أمّنوا سكرًا وخوف حمار^(٣)
تكشّر عن أنيابها في غنائها فتحكي حماراً شمّ بول حمار

وقال في شاعر [من مجزوء الرجز] :

ما قال بيتاً مرّة ولا يقول ما بقي
وكلّ شعير قاله فائمه في عنقي

(١) الغراميل : جمع غرمول وهو الذّكر ، أو الضخم الرخو قبل أن تقطع غرلته .

(٢) عجز هذا البيت غير مستقيم الوزن .

(٣) الخمار : أثر الحمرة في الرأس .

وقال في علوي [من المنسرح] :

كم غاصبٍ حقّكم ليهزلكم^(١) وقد تفقّا من شدة السّمن^(٢)
واحرباً إن قضيت لم أر ما آمله فيكم وواحزني^(٣)
وقال [من البسيط] :

أقسمت حقاً بما أوتيت من كرمٍ فأثّه بعد ربّي غاية القسم
أنّ لو وليت أمور الناس مقتدراً ما خاف راعٍ على شاءٍ ولا نعم
وظلّلت العصم للآساد ألفةً واستأنست طلس الذّوبان بالغنم^(٣)
مواهبٌ خصّك الله العزيز بها وليس يرضى لك الحساد بالقسم
هذا الثناء وهذاك الدعاء وما لي غير ذين وما ديني بمتهم
وقال [من الطويل] :

سقيت وفي كفّ الحبيبة وردةً وأترجةً تغري النفوس بصونها
مداماً فلمّا قابلتني بوجهها شربت فحيّتي بلوني ولونها

* * *

١٩ - أبو سعيد الرستمي

محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن رستم

من أبناء إصبهان وأهل بيوتاتها ، ومن يقول الشعر في الرتبة العليا ، ومن

شعراء العصر في الطبقة الكبرى ، وهو القائل [من الطويل] :

(١) تفقّا : تشقّق .

(٢) الحرّب : الأسف والحزن .

(٣) العصم : من الغزلان أو نحوها ما في ذراعيه أو في إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر . والطلّس : أي أنّ لونها أغبر يميل إلى السواد .

إذا نسبوني كنتُ من آل رستمٍ ولكنَّ شعري من لؤيِّ بنِ غالب
ومن نظر في شعره المستوفي أقسام الحسن والبراعة ، المستكمل فصاحة
البداءة وحلاوة الحضارة ، أقبلت عليه الملح تتراحم ، والفقر تتراكم ، والدرر
تتناثر ، والغرر تتكاثر [من الكامل] :

كلمُ هي الأمثال بين الناس إلاَّ أنَّها أضحتُ بلا أمثال
وكان الصاحب يقول مرة : هو أشعر أهل عصره ، وتارة : هو أشعر أهل
عصره ، ويقدمه على أكثر ندمائه وصنائه ، وينظمه في عقد المختصين به ، وفيه
يقول مداعباً [من مخلع البسيط] :

أبو سعيدٍ فتىً ظريفٌ يبذل في الظرف فوق وسعه
ينيك بالشعر كلَّ ظبيٍ فأيره في عيال طبعه

وكان يسد ثلثة حاله ، ويدره حلوبة ماله^(١) ، ويسوغه خراج ضياعه ، ولا
يخليه من مواد إنعامه وإفضاله ، وبلغني أن أبا سعيد لما أسفر له صبح المشيب
وعلته أبهة الكبر ، أقلَّ من قول الشعر : إما لترفع نفسه ، وإما لتراجع طبعه .
فقرأت فصلاً للصاحب أظنه إلى أبي العباس الضبي في ذكره ، واستزادة
شعره ، وهذه نسخته :

كان يعد في جمع أصدقائنا بإصبهان رجل ليس بشديد الاعتدال في خلقه ،
ولا ببارع الجمال في وجهه ، بل كان يروع بمحاسن شعره ، وسلامة وده ، أما
الشعر فقد غاض حتى غاظ ، وأما الود ففاض أو فاظ^(٢) ، فإن تذكره مولاي بوصفه
وإلا فليسأل عن خاله وعمه ، أما العمومة ففي آل رستم ، وثم الذروة والغارب^(٣) ،

(١) يدره : يدفع .

(٢) فاظ : مات .

(٣) الغارب : السنام وأعلا كل شيء .

ولواء العجم وغالب ، وأما الخؤولة ففي آل جنيد ، كما قال شاعرهم في سعد وسعيد ، وقد سألت عن خبره وفد نجران ، والركب بجبلى نعمان ، فلم يذكرُوا إلا أنه مشغول بخطبة سبطه أبي القاسم بن بحر رحمه الله تعالى لفتاه أعزه الله ، وليس في ذلك ما يوجب أن يطوينا طي الرداء ، ويلقى عهدنا إلقاء الحذاء ، وقد يعود الصلاح فساداً ، ويرجع النفاق كساداً [من الكامل] :

فلعلَّ تيماً أن تلاقي خطةً فتروم نصراً من بني العوام

* * *

وهذا ما أخرجته من محاسن شعره

وما محاسن شيء كله حسن !!

من قصيدة له فريدة في مؤيد الدولة [من الطويل] :

فعداد عذولي في الهوى وهو عاذرُ	بدتْ يوم حزوى من كواها المحاجرُ
وأبرزن ما التفت عليه المعاجرُ ^(١)	فكيف وقد أبدين ما في قناعها
فلم تدرِ حزوى أيهنَّ الجاذرُ	مررنَ بحزوى والجاذرُ ترتعي
أهنَّ النقا أم ما تضمُّ المآزرُ ^(٢)	ومالتْ على الأنقاء فاشتبهت بها
فأزرت بحيات الغدير الغدائرُ ^(٣)	وأرستْ على الأعجاز سود فروعها
لهنَّ نقابٌ فالوجوه سوافرُ	بدورُ زهتهنَّ الملاحه أن يرى
	سرقه من قول القائل [من الطويل] :

ولما تنازعنا الحديث وأسفرت وجوهُ زهاها الحسن أن تتقنعا

(١) المعاجر : جمع معجر وهو ثوب تشده المرأة على رأسها .

(٢) النقا : الكتيب من الرمل ، والمآزر : جمع مئزر وهو ما تضعه المرأة في وسطها مؤثرة به .

(٣) الفروع : جمع فرع وهو الشعر الأسود .

رجع :

على ورد خدّ لؤلؤ متناثر
إلينا وهل يقضي الاياب المسافر
وأمنتها والعيس ممّا تحاذر^(١)
وسائر ما تحويه في الرّيح سائر
سيغنيك عن سيري القوافي السوائر
صباح كضوء البدر والنجم باهر
يصوب ومن أخلاقه الروض زاهر
به فلك بالخير والشرّ دائر
وناب إذا ما ناب الخطب كاشر
ويغشى الوغى من بأسه وهو حاسر^(٢)
وبحرك مورود وروضك ناضر

وودّعني من نرجس بجفونها
وسائلة عبري متى أنت آيب
حططت لها رحلي وسييت ناقتي
نصبي من الدنيا رضى أم معمر
وقلت اربطي جأشاً عليك فإنّه
سيكفيك سيري في الدّجى إن كرهته
أمير كأن الغيث من نفحاته
إذا ما علا صدر السرير جرى لنا
يد لأمر المؤمنين طويلة
ينافي الكرى من حزمه وهو دارع
إلى أي أرض أرحل العيس صادياً

ومنها :

يُزار ولا في الأرض غيري شاعر
وظلك ممدود وبابك عامر
ويقفونداك البحر والبحر زاهر
كما يتوالى في العقود جواهر

فأقسمت ما في الأرض غيرك ماجد
بقيت مدى الدّنيا وملكك راسخ
يردّ سناك البدر والبدر زاهر
وهئت أعياداً توالى سعودها

وله من أخرى فيه أيضاً [من الطويل] :

أباطح من أجفاننا ومسايل

مررنا بأكناف العقيق فأعشبت

(١) سيّيت : تركتها تمشي حيث شاءت ، أطلقها .

(٢) دارع : أي يلبس درعه ، وحاسر : أي كاشف الرأس .

وكادت تناجينا الذيار صباةً
فمن واقفٍ في جفنه الدمع واقفٌ
تأسٌ بيأسٍ أو تعزٌ بسلوةٍ
ألم تر أيام الربيع تبسّمتُ
كأنَّ غصون النرجس الغضُّ بينها
كأنَّ شقيق الأبرين كواعبُ
وقد حملت سوسانها في حجورها
وضمّر خيل الضيمران كأنّها
ونورَ قضبان الخلاف فأبرزتُ
تخال أزاهير الرياض خلالها
وقد شربت ماء الغمامة فانشئتُ
فمن أقحوانٍ ثغره متبسّمٌ
وقد ماج وادي الزندروز بفيضه
كأنَّ نعاج الرمل في جنباته
كأنَّ هدير الموج فوق متونه
سرى بين أحشاء السرى فتشابعتُ
إذا ماج فوق الأرض أوهاج خلته
أيا ملكاً فاق الملوك وبذّهم

وتبكي كما نبكي عليها المنازلُ
ومن سائلٍ في خدّه الدمع سائل
فمالك في أطلال عزّة طائل
أجارع من أنوارها وخمائل^(١)
نشاوى كرى أعناقهنّ موائل
عليهنّ من صبغ الجساد غلائل^(٢)
رواضع إلاّ أنهنّ حوامل
مرازب فوق الهام منها أكال^(٣)
أصابع لم تخلق لهنّ أنامل
مصايح ليلٍ ما لهنّ فتائل
كما يشئى الشارب المتمايل
وورد على أكنافه الطلّ جائل
كما ماج للريح النقا المتهائل
يناطح بعضٌ بعضها ويقاثل
هدير قرومٍ هاجهنّ الشوائل^(٤)
أحيّاته تسري بها أم جداول
خيولك في الهيجا وهنّ صواهل
فراح سناناً والملوك عوامل^(٥)

(١) الأجارع : رمل يرتفع وسطه وترقّ نواحيه .

(٢) الأبرقين : نوعٌ من الورد ، وكواعب : جمع كاعب وهي الفتاة في أول صباها .

(٣) المرازب : جمع مرزبة وهي عصاً صغيرة من حديد .

(٤) الهدير : صوت البعير ، والقروم : جمع قرم وهو الفحل من النوق : والشوائل : النوق التي آن وقت لقاحها .

(٥) بذّهم : تجاوزهم ، والعوامل : جمع عامل : وهو من الرمح أعلاه الذي يلي السنان .

إذا نحن أثينا عليه تبادرت
ينير الدجى من وجهه وهو حالك
وذو لحظات كلهن فواضل
دهاء لديه رأي أكثم فائل
وحلم لديه ركن يذبل ذابل
فأنت كما نشي القنا والقنابل
ويندى الثرى من كفه وهو ماحل
وذو حركات كلهن فضائل
وجود لديه حاتم الجود باخل^(١)
وعزم لديه فارس الخطب راجل^(٢)

ومنها في مسألة إخراج ضيعة له من الإقطاع [من الطويل] :

ضياعي نهبي قد تفرق شملها
فكم ضيعة مالت لأبواب مالها
فحظي من الحظين هم وحسرة
ألا ليت شعري هل أرى لي جماعة
تقاربها الأنموذجات كأنها
وهل أرني يوماً وكيل حاضري
ويخرج باسمي في الأدراج كاتب
على عدل مولانا الأمير توكلي
فما في يدي منهن إلا الأنامل
قناتي وغيري منه نشوان مائل
وحاصلها أتى على الهم حاصل
تمد بها فوق الشطور الحواصل
إذا هي صروها الشدي الحوافل^(٣)
أناقشه طوراً وطوراً أساهل
حساباً ويستأدي خراجي عامل
فإحسانه في الشرق والغرب شامل

ومن أخرى فيه أيضاً ، أولها [من الطويل] :

عذيري لدى الواشين حسن عذاره
بنفسي خبيب زار بعد ازوراره
وأشنب معشوق الدلال منعّم
إذا ما استعار الجلنار بخده
سل البيض عن عاداته في عداته
وعذري لدى اللاحين حسن اعتذاره
وعاودني بالأنس بعد نفاذه
معقرب صدغ كالهلال مداره
أعار الحشى من خده جل ناره
وسمر القنا عن نهبه ومغاره

(١) فائل : ضعيف .

(٢) يذبل : إسم جبل ، وراجل : أي الفارس يمشي على رجله .

(٣) الأنموذجات ، وصروها : حلبوها واستخرجوا لبنها ، والحوافل : الملائى .

وقائع نال النصر غاية سؤله بهنً ونال النصر غاية ثاره
ومن قصيدة في صاحب ، أولها [من الخفيف] :

عقني بالعقيق ذاك الحبيبُ فالحشى حشوه الجوى والنحيبُ
وإذا جفت الشؤون وخفتُ ندبتها من الضلوع الندوب
لست أدري أأدعي أم جمان ————— عقد ينسل أم عقيق يذوب
حبذا حبذا ونعمٌ وسعدي ونصيبي من وصلهن نصيب
إذ زمانني غرٌ وغصني رطيبٌ وشبابي غضٌ وبردي قشيب^(١)
إذ بوادي العقيق عيشي أنيقٌ وبوادي الجنوب ريحي جنوب
كم شجاني بطن رامة ريمٌ وبظبي الكثيب ظبي ريب
أيها الرمل كم مضى فيك عيشٌ لي مهةٌ ومرتعٌ لي خصيب^(٢)
وألفاي فيك رياً وأروي وحلفاي فيك زقٌ وكوب
وبقلب الحسود متاً ندوبٌ وبطرف العذول عناً نكوب^(٣)
وعفا الله عن ذنوبٍ تقضتُ لي بها حين تستتاب الذنوب
حيث لا لوم أن يزور محبٌ هاجه الشوق ، أو يزار حبيب
حيث لا ينكر الغرام ولا يخشى ملامٌ ، ولا يخاف رقيب
ما يذمُّ الشباب عندي بشيءٍ غير أن المشيب منه قريب
غلب الصاحب الجواد بني الجو د كما يغلب الشباب المشيب
بذهم في الندى وغطى علاهم بعلاه فالمكرمات ذنوب
وإذا ما سعى لإحداث مجلدٍ فمساءعهم عليهم ذنوب

(١) زمني غرٌ : أي ضاحك مبتسم ، ورطيب منعمٌ وغضٌ : في أوج حيويته ونشاطه ، وقشيب : ملونٌ مفوف .

(٢) المهاه : طراوة العيش وحسنه .

(٣) الندوب : الجراح أو آثارها ، والنكوب : الانحسار والابتعاد . واجدٌ : هائمٌ وعاشق .

واجدٌ بالعلّا وبالمجد وجداً لم يجده بيوسف يعقوب^(١)
 وإذا ما أتاه طالب جدوى راحتيه فالطالب المطلوبُ
 قل لباعي الندى خف الله لا تسأله عمراً فإنه موهوب
 من قول أبي تمام [من الطويل] :

ولو لم يكن في كفّه غير روحه لجاد بها فليترك الله سائله
 رجع :

إنما حاتمٌ وأوسٌ وكعبٌ مثلٌ في الندى له مضروبُ
 يا حساماً مهنداً وغماماً ديمتاه الترغيب والترهيب
 فيك ما يكمد الحسود وما فيك سوى الجود والندى ما يعيب
 راحةً ثرةً ، ووجهٌ طليقٌ ولسانٌ غضبٌ ، وصدرٌ رحيبٌ
 وبيانٌ غضٌ تلددٌ فيه حين خاطبته الألدُّ الخطيب^(٢)
 وإذا ما وخذت في طلب المجد فذو المجد وخذته تقريب^(٣)
 عزماتٌ يرضٌ منهنّ رضوي ويكادُ الوليد منها يشيب
 فلشمس النهار منها وجوبٌ ولقلب الزمان منها وجيب^(٤)
 ومنها :

وإذا ما دعوت شعري فيه طرب المدح واستهلّ النسيب
 مدحٌ كالنسيب رقة ألفا ظ وما للنسيب منه نصيب
 محكماتٌ محكماتٌ إذا أنشدن نال المنى بهنّ الأديب

(١) واجدٌ : هائمٌ وعاشق .

(٢) تلددٌ : احتار .

(٣) وخذت : سرت في طلب المجد ، والوخذ ضرب من السير ، والتقريب ضرب من السير ، أو أن يرفع
 رجله معاً ويضعها معاً .

(٤) الوجوب : الاختفاء والمغيب ، ووجبت الشمس : أي غابت .

رفعت من أعنة الرفع حتى ذلّ منها المخفوض والمنصوب

ومنها :

أنا من قد عرفت سرّاً وجهراً أعجميُّ نما به التعريب
ليت شعري إذا دعيت ، شعاري نسبي واضحٌ وعودي صليب
لست من أمدح الملوك ولا أنــــــضي المطايا ولا الفلاة أجوب^(١)
أنا للصاحب الجليل أبي القا سم مولىً وخادمٌ وريبٌ

ومن أخرى أيضاً [من الكامل] :

غِيْضَن عَبرْتَهْنَ يَومَ الوادي غِيْضَن عَبرْتَهْنَ يَومَ الوادي
فَجَنِين بِالْأَسْمَاعِ نَورَ حَدِيثِنَا فَجَنِين بِالْأَسْمَاعِ نَورَ حَدِيثِنَا
وَوَصَفْنَ سَقَمَ قُلُوبِنَا بِعَيُونِهَا وَوَصَفْنَ سَقَمَ قُلُوبِنَا بِعَيُونِهَا
لَا غَرَوُ أَنْ يَجْنِينَ مِنْ ثَمَرِ الْهُوَى لَا غَرَوُ أَنْ يَجْنِينَ مِنْ ثَمَرِ الْهُوَى
فَلَطَالَمَا أَسْهَرْنِي جَنَحَ الدَّجَا فَلَطَالَمَا أَسْهَرْنِي جَنَحَ الدَّجَا
لَا وَالَّذِي جَعَلَ الْجَفُونَ عَلِيلَةً لَا وَالَّذِي جَعَلَ الْجَفُونَ عَلِيلَةً
إِنِّي لِأَرْحَمَ مِنْ أَسْرَنَ فُؤَادِهِ إِنِّي لِأَرْحَمَ مِنْ أَسْرَنَ فُؤَادِهِ
وَأَذُمُّ أَيَّامَ الْفِرَاقِ فَإِنَّهَا وَأَذُمُّ أَيَّامَ الْفِرَاقِ فَإِنَّهَا
قُلْ لِلزَّمَانِ إِذَا تَنَمَّرَ سَاخِطاً قُلْ لِلزَّمَانِ إِذَا تَنَمَّرَ سَاخِطاً
أَبْرَقَ وَأَرْعَدُ لَيْسَ يَرْتَعِدُ الْحَشَى أَبْرَقَ وَأَرْعَدُ لَيْسَ يَرْتَعِدُ الْحَشَى
الصَّاحِبَ الْعَالِي الصَّنَائِعِ صَاحِبِي الصَّاحِبَ الْعَالِي الصَّنَائِعِ صَاحِبِي
وَرِثَ الْوِزَارَةَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ وَرِثَ الْوِزَارَةَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ
يُرَوِّي عَنْ الْعَبَّاسِ عَبَّادٍ وَزَا يُرَوِّي عَنْ الْعَبَّاسِ عَبَّادٍ وَزَا

(١) غِيْضَن : كَفَفَن وَجَسَن ، وَالْعَازِب : الْبَعِيدُ الْغَائِبُ ، وَالْأَرْضُ الَّتِي لَيْسَ بِهَا أَحَدٌ .

شرفٌ كعقد الدرّ واصل بعضه
وعلاً كأيام السنين ترادفت
لا كالذين إذا سموا لكريمةٍ
أعلى المكارم ما تقادم عهده
لا والذي جعل المكارم كلّها
ورآك أهلاً للرشاد وللهدى
لو كان غير الله يعبد ما انثنت
بعضاً كأنبوب القنا المناد^(١)
آياتها بمكرٍ ومعاد
ضحكت جدودهم من الأجداد
والمجد موروثٌ عن الأمجاد
لك والعلا في مبدأٍ ومعاد
وكساك آيات الإمام الهادي
إلا إليك أعنة العباد

هذا معنى قد أكثر الناس فيه ، وأظن السابق إليه ابن أبي البغل ، حيث قال
في الرشيد [من السريع] :

لو عبد الناس سوى ربهم
أصبحت دون الله معبودا
رجع :

هذا الربيع وأنت أكرم مجتنى
زارتك في حلل الرياض وفوده
ورأت صنائعك التي أزرّت بها
وحكاك وادي الزندروز فأقبلت
مثل الرمال تناطحت أوعالها
يرمي السواحل مدّه فكأنّه
يهدي المدينة واديان تجاورا
مدّان هذا ليس ينفذ فيضه
روضٌ يرفّ ، ومزنةٌ تهمي عزا
فكأنّ ذا يثني ، وذا يدعو ، وذا
منه وأعجبه إلى المرتاد
وكأنهنّ يمسّن في الأبراد
فغدت تدمّ إليك صوب الغادي
أمواجه يقذفن بالأزباد
فأعانهنّ العين بالإمداد
ملكٌ يهزّ الأفق بالإبعاد
وكأنّما وردا على ميعاد
أبدأ وهذا فيضه لنفاد
ليها ، وطيرٌ في الغصون ينادي
بيدي الرضا ويوح بالاحماد

(١) المناد : المعوج .

فأسعد بدنياً قد نظمت أمورها
ورعية أصلحتها بتألف
داويت من سقم النفاق قلوبها
فنصبت للإسلام أكرم راية
وأفضت عدلك في البلاد وأهلها
وضربت دون الظلم بالأسداد

ومنها في الإذكار والاستعانة والاستزادة وشكوى الخراج ، ومسألة التسويغ ، وما منها إلا ما لا غبار عليه ، ولا شوب فيه ، ولا مزيد على حسنه :

يا خير من يدعى لخطب فادح
عمت فواضلك البرية واغدت
ووسائلني ما قد علمت ولاية
ومنقبات في البلاد غريبة
تروى ولم يسمع لهنّ بقائل
من كل رائق المحاسن حلوة
لم يكسها الإكفاء في أكفائها
هذا وحرمة خدمة مرعية
ما زلت من أبرادها متوحشاً
يا حلية الوزراء حل قصائدي
ما لي ظمئت وبحر جودك زاهر
وريت زناد السائلين بسيله

ويحلّ عقد الحادث المناد^(١)
طوع العنان لحاضر أو بادي
مذ كنت أعهد لها وصفو وداد
وصلت سرى الاتهام بالإنجاد
تعزى إليه سوى حذاء الحادي
رياً الرواية غصة الإنشاد
عباً ولا أزرى بها لسناد^(٢)
للأبعدين قديمة الميلاد
بمفوّق يزهى على الأبراد
بمحاسن الإرفاد والإصفاد
سهلّ مشارعه على الوراد
وبفيضه وخصصت بالإصلاح^(٣)

(١) الجبر : الكفر .

(٢) الحادث : المصاب ، والمناد : المعقد .

(٣) الأكفاء والسناد : من عيوب القوافي في الشعر .

(٤) وريت : اشتعلت من قبه ، والإصلاح : يقال : أصلد الزند : أي صوت ولم يوره يعني أنه منع العطاء أو أن عطاءه أمسك .

ما كان أجمل في التجمّل لبسي
 لولا زمانٌ أزمّنت حالي له
 وأذى فراخٍ ضاق بي أوكارها
 وأذى خراجٍ لو سرى لأدائه
 أبدت نجوم الليل سود نجومه
 حصّة حصّت مني جوانب هامتي
 ووفود سوء يألّفون زيارتي
 ورجالة مترادفون كأنّما
 من كل متنفّش الشّوارب مسمع
 صهب اللحى سود الوجوه كأنّما
 ما غاب عني واحدٌ إلّا ويق
 هذا يواجه شاربي متهدّداً
 ففرائصي من خوفهم مملوءة
 وإذا أصدر غدوة لم يرتفع
 ما في يد النّقّاد من ضربتي سوى
 يا حلية الوزراء حقّي واجبٌ
 وقّع بتسويغي خراجي كلّهُ

وأعفّ في ظلّ القنّاعة زادي
 نوبٌ تراوح تارةً وتغادي
 وكذا البغاث كثيرة الأولاد^(١)
 غرر الليالي عدن وهي دادي^(٢)
 في مفرقي فأنار بعد سواد
 صفعاً أوافقه من المستادي^(٣)
 من صادرٍ أو رائحٍ أو غادي
 غصّت مدارجهم برجل جرّاد
 عبّر لال ربيعة أو عاد
 خضبوا الرّؤوس بيانع الفرصاد^(٤)
 فو إثره ثانٍ وآخر بادي
 ويقوم هذا من وراء العادي
 أبداً من الإخفاق والإرعاد
 عند المساء سواي في الأوراد
 ضربتي ودقّ الجيد دون جياذ^(٥)
 ونذاك صوبا أنعم وأيادي
 أو لا فعاودني على الإيراد^(٦)

(١) البغاث : طائرٌ أغبر ، وشرار الطير .

(٢) دادي : شديدة الظلمة .

(٣) الحص : حلق الشعر ، والحصّة : من الحصى ، والمستادي : طالب الأداء ، وأصله المستادي بالهمز .

(٤) الفرصاد : التوت ، واليانع : الأحمر من كلّ شيء ، والصهب : جمع أصهب ، وهو الذي لونه الصهبه وهي حمرة أو شقرة في الشعر .

(٥) الجيد : العنق ، أو موضع القلادة ، والجياذ : جمع جواد .

(٦) التسويغ : تجويز من السلطان بمنحة أو عطاء وهي مولدة .

وامننْ عليّ بفضلِ جودك واكفني دار الخراج وجهمة الحدّاد^(١)

وله من أخرى [من المنسرح] :

قولوا لو سنانَ نام عن أرقى فيه وحاشا جفونه الأرقُ
ارث لمن قد رثي لمقلته الـدَمع ورقت لقلبه الحرقُ
لم يبق من جسمه سوى رمقٍ ينتظر الموت ذلك الرمقُ
يا أبّي منه طرّةٌ سبجٌ إذا تبدّت وغرةٌ يقق^(٢)
ولؤلؤٌ من لسانه بردٌ ولؤلؤٌ في لبّاته نسق
وجهٌ به الجَلَنار مبتسمٌ يفتّرُ والأقحوان متّسق
شعلة نارٍ ملاحّةٌ وسناً يكاد منه الجليس يأتلق
غنى فجلى الظلام غرته عنا وغصّت بشدوه الأفق
فودّت العين أنّها أذنٌ تسمع والأذن أنّها حدق

زاد على من قال [من المنسرح] :

غنّت فلم يبق في جارحةٍ إلاّ تمنّت بأنّها أذن
رجع :

والله لو كانت الأزاهر والـ أوتار ناساً وأبصروا عشقوا
شأنى أيامه يذوب شجىً من كملٍ والحسود يزدھق^(٣)
كذلك النّار حين أعوزها ما أحرقت تبيت تحترق

سرقه من قول ابن المعتز حيث قال [من مجزوء الكامل] :

كالنّار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

(١) الجهمة : التقطيب والعبوس .

(٢) السّج : الأسود ، واليقق : الشديد البياض .

(٣) الشأنى : المبغض ، وزهق وازدهق سواء : ومعناه : اضمحلّاه وخروج روحه .

رجع :

وإن ذكرنا اسمه لطيبته
والناس لولا سناه ما رمقوا
إسعدُ بشهرٍ وافتك مقبلةً
ثلاثةً قد قرَنَ في قرنٍ
مقدماتٍ من الربيع غدتُ
أما ترى المزن حلَّ حبوته
فنوره من سناك مقتبسُ
فاعمرُ لدنياً لولاك ما خلقتُ
وعدُ جديداً على الزمان كما
ما صحبتك الأيام دمتَ لها
يبقى بأفواهنا له عقبُ
والناس لولا نداه ما رزقوا
أعياده بالسعود تستبق
خوةً روزٍ والنضحُ والسدق^(١)
وفودها من صبايةً سبقوا
في الروض فالروض زاهرُ أنق^(٢)
ونوءه من نذاك مسترق
وأهل دنياً لولاك ما خلقوا
عاد جديداً في عوده الورق
فليس في صفو عيشنا رنق^(٣)

وله من قصيدة في نهاية الحسن وكثرة الملح والنكت ، أولها [من الطويل] :

عزيزُ علينا أن تشطَّ منازلَه
ولا زال حاديه دميثاً فجاجه
يحلَّ عزالي الغيث حيث يحلّه
ومهجورةً خافت عليها يد النوى
سوى كحل عينٍ ما اكتحلت بنظرةٍ
وقفتُ فأما دمع عيني فسائلُ
سقته الغوادي من عزيزٍ تزايله
وقمراً لياليه وصفواً مناهله^(٤)
ويغشى كما يغشى الربيع منازلَه^(٥)
فلم تبق في حافاتها ما أسأله
إلى جفنه إلا شجنتني مكاحله
عليه ، وأما وجد قلبي فسأله

(١) السدق : ليلة الوقود الشديدة البرد، وقرف: أمسكن وغدون، وقرن : شرك أو عقد أو سيلك ، والنضح : رشاش الماء ونحوه .

(٢) الحبوة : الخطوة والعطية ، أو ما يشتمل عليه .

(٣) الرنق : المتكدر .

(٤) الدمث : السهل اللين .

(٥) العزالي : جمع عزلاء ، وهي مصب الماء .

أقلب قلباً ما يخفُّ غرامه
 لعليّ أرى من أهل رياً وإن نأتُ
 فأصبحْتُ قد ودعت رياً ووصلها
 بكرهي زال الحيُّ من بطن عازبٍ
 وقلبٍ إذا ما قلت خفُّ غرامه
 دعاه الهوى فاهتزَّ يهوي كما دعا
 وهاجرةً من نار قلبي شبيبتهَا
 صليت بها والآل يجري كما جرى
 ومنها :

إذا لم يكن أحلى من العرف بأذله
 ولا السَّمَح إلا ما تبرّع نائله
 لديه ، وأنوار الربيع فضائله
 وهان عليه ما يقول عواذله
 ولاح كما لاح البروق شمائله
 فيلقى ابتذال الوجه للبذل سائله
 وسائله عند الرجاء وسائله^(٤)
 كأني ورياً ماله وأنامله

وبعض مذاق العرف مرٌّ وإن حلا
 وما الجود إلّا ما تطوَّع أهله
 وأروع أنواء الربيع صنائعُ
 أهان مصونات الذخائر كُفّه
 وفاح كما فاح الرياض فعالة
 يسيل على العافين عفوا نواله
 شفيح الذي يرجوه حسن صنيعه
 ولم يجتمع كُفاه والمال ساعة

(١) الطرف: العين ، والهوامل : الدموع .
 (٢) عازب الأول : اسم جبل والثانية إسم فاعل من عزب بمعنى غاب .
 (٣) صليت بها : احترقت ، والآل : السراب أو ما أشرف عليه البعير ، وقيل إنّه خاص بما يكون أول النهار .
 (٤) وسائله الأولى : مؤلّفه من واو العطف وسائل بمعنى الطالب المستجدي ، وأما الثانية فهي جمع وسيلة والواو فاء الكلمة .

هذا البيت من إحسانه المشهور السائر ، ومنها :

أصبح مثلي في جنابك صادياً
ولولا فراخُ زعزع الدهر وكرها
أعرت ظلال الحرّ نفس ابن حرّة
فخذني من أنياب دهري بعاجلٍ
بقيت مدى الدنيا لمجدٍ تشيده
وهاتيك أمثال النجوم جلوتها
قريضُ كساه المزن أثواب روضةٍ
تطيب على الأيام رياء نشيده

وله من أخرى [من الطويل] :

وحسنا لم تأخذ من الشمس شيمةً
وإني لأهوى الشيب من أجل لونه
وأروع يستحيي الحيا من يمينه
أقام قنا الأيام بعد اعوجاجها
عزائم لو ألقى على الأرض ثقلها
وجود بنانٍ سبّح الغيث عندها
يدٌ كلّ ما تحوي يدٌ من نوالها
تأملُ فما لاحظته من هباتها
من النفر العالين في السلم والوغى
إذا نزلوا اخضرّ الثرى من نزولها

سوى قربِ مسراها وبعدِ منالها
وإن نفرتُ عنّي الدّمى من فعالها
فيرتدّ فوق الأفق حيران والها
وحاط ذرى الإسلام بعد ابتذالها^(١)
شكتُ منه ما لم تشكه من جبالها
وهلل صوب البحر عند انهلالها
وبيضُ أياديها وغزُرُ سجالتها
لدينا وما لاحظته من عيالها
وأهل العوالي والمعالي وآلها^(٢)
وإن نازلوا احمرّ الثرى من نزالها

(١) القريض : الشعر .

(٢) أقام : أصلح وسوّى ، وحاط : حمى وحرس .

(٣) العوالي : الرماح .

بيضٍ كأنَّ الملح فوق متونها ودهمٍ كأنَّ الزَّنج تحت جلالها
انظر الى حسن هذا التصرف وشرف هذا الكلام :

مساميح كلِّ الغيث بعض نوالها
سمتُ فوق آفاق السماء فأصبحتُ
إليك ابن عباد بن عباسٍ إنثنتُ
بك افتترُ ثغر الملك واهتزَّ عِظفه
تشكى الثرى إظلامها ومحولها
وكلُّ المعالي خلَّةٌ من خلالها
ثراها الثرى والسُّهى من نعالها
أعنتُ شكر الدهر بعد انفتالها^(١)
وجرتُ بك الدنيا ذبول اختيالها
فأغنيتهما عن مزنها وهلالها

وله من قصيدة كأنه جمع محاسنه ولطائفه فيها ، أولها [من الطويل] :

سلامٌ على رمل الحمى عدد الرَّمَلِ
وقفت وقوف الغيث بين طولوه
وما رمت حتى خالني الرِّيم رِمَّةٌ
خليليَّ قد عذبتُماني ملامَّةٌ
ومما شجاني والعواذل وَقَفٌ
ظباءُ سرت بالأبطحين عواطلاً
تبدلكن أسماءٌ سوى ما عرفتها
تشابهن أحداقاً وطول سوافٍ
ومكحولة الأجفان مخضوبة الشوى
ذكرت بها من لست أنسى ذنوبها
وقل له التسليم من عاشقٍ مثلي
بمنسكبٍ سحٍّ ومنسجمٍ وبل^(٢)
وأذرف آجال الحمى الدمع من أجلي^(٣)
كأن لم يقف في دمنةٍ أحدٌ قبلي^(٤)
ولي أذن صممت هناك عن العذل
وكنتُ أراها في الرعاث وفي الحجل^(٥)
لهنَّ ، فلا تدعي بسعدي ولا جمل
وخصَّ الغواني بالملاحه والدلَّ
ولم تدر ما لون الخضاب من الكحل
وإنَّ بعدتُ والشَّيء يذكرُ بالمثل

(١) انفتالها : اجتماعها ، والأعنة : الأزمة .

(٢) الوبل : المطر الشديد ، والسحَّ : الصب السائل ، والمنسجم : القطر المتوالي .

(٣) رمت : انصرفت ، والرِّمة : البالي من العظم وغيره ، والآجال : قطعان النعام والإبل .

(٤) الدمنة : الموضع القريب من الدار .

(٥) الرعاث : جمع رعثة بضمّ الراء ، القرط .

سواجمُ تغني جانبيه عن الوبل
 بدمعٍ على تلك المناهل منهل
 ومأوى الموالي والعشيرة والأهل
 ولا شجرات الأبرقين بلا ظل
 ولكنتني أمسي بغير الهوى شغلي
 كما هاج ليث الغاب وعوعة الشبل^(١)
 فلما بكت سعدي حططت لها رحلي
 قرى عندها غير النزول بلا نزل
 ولست بأهلٍ للذي سامني أهلي
 فما لي أسعى منه في مدرج النمل
 لمن عزمه عزمي ومن فضله فضلي
 وأطوي الدجاحتى أرى صباحها المجلي^(٢)
 ولم يخلُ من أفضاله كفٌ ذي فضل
 فأعطاك لم يعتدَّ ذاك من البذل
 إليه وخلى كاهل الشكر ذا ثقل
 ونقدٍ بلا وعدٍ ووعدٍ بلا مظل^(٣)
 يميلون زهواً غير ميلٍ ولا عزل^(٤)
 إذا افتخروا لاراضة الشاء والابل
 وعالمهم موفٍ على العالم الكلّي

سقى الدمع مغنى الوابلية بالحمى
 ولا برحت عيني تنوب عن الحيا
 مغاني الغواني والشبيبة والصبا
 ليالي لا روض الكثيب بلا ندى
 وما كان يخلو أبرق الحزن من هوى
 فراخٍ نباني وكرهنٍ وهاجني
 وكم قد رحلت العيس في طلب العلا
 نزلت على الأيام ضيفاً فلم أجد
 وقد سامني أهلي المقام بذلة
 سبيل الغنى رحبٌ على كلِّ سالك
 أينكر نصُّ العيس والبيد والدجا
 دعوني أصل إرقالها بذيملها
 حياً لم يفت منا ولياً وليه
 ومبتدئه الجدوى إذا ما سألته
 فتى حاز رقَّ المجد من كلِّ جانبٍ
 بعفوٍ بلا كدٍّ وصفوٍ بلا قذى
 من النفر الأعلين في حومة الوغى
 هم راضة الدنيا وساسة أهلها
 محلهم عالٍ على السبعة العلا

(١) نباني : ابتعد عني ، وعوعة الشبل : تصويته .

(٢) الإرقال : ضرب من المشي السريع ، والذميل سير آخر في لين وتؤدة .

(٣) المظل : من الماطلة ، وهو التسويف وعدم الوفاء بالوعد في حينه .

(٤) غير ميلٍ ولا عزل : أي أنهم مكتملون خلقة وقوة فالميل : من كان في خلقته ميل ، والعزل : الضعف .

إذا أنت رتبت الملوك وجدتهم
مساميح عند العسر واليسر ، لاتني
ولم يغلقوا أبوابهم دون ضيفهم
ولا شدّوا دون العفاة حجابهم
لتهن ابن عبادٍ قوافٍ كأنها
أبى لي حسناً أن أبالي بعده
وقل له ما قال في هرم الندى
وما كنت لولا طيب ذكرك شاعراً
ولكنني أقضي به حقّ نعمة
إذا لم تكن لي أنت عوناً ومعدياً
من الناس من يعطي المزيد على الغنى
كما ألحقت واوٍ بعمرٍ زيادةً
أعر من ورائي من عبيدك لحظةً
فما لي رجاء في سواك ولا يرى
وهل بارقٌ يشتام إلا من الحيا
وقاك بنو الدنيا جميعاً صروفها

وله من أخرى [من الكامل] :

كفتك عن عدلي الدموع الوكفُ
لله عيشٌ بالمدينة فاتني

همُ الاسم والباقون من حيز الفعل
مراجلهم في كلّ أحوالهم تغلي
ولا شتموا خدامهم ساعة الأكل
وقالوا لباعي الخير نحن على شغل
جنى لؤلؤٍ رطبٍ من العقد منسلٌ
بشعرٍ ولو أنشدت للنمر العكلي^(١)
زهيرٌ وأعشى قيس في هودة الذهلي
ولا منشداً بين السماطين في حفل
سرت مثلاً لما وسمت به عقلي
على الزمن العادي عليّ فقل من لي^(٢)
ويحرم ما دون الغنى شاعرٌ مثلي
وضويق بسم الله في ألف الوصل
بعين العلا واجمعُ على شكرها شملي
يمرّ قريضي عند غيرك أو يحلي
وهل عسلٌ يشتار إلا من النحل^(٣)
جميعاً فإنّ الجفن من خدم النّصل^(٤)

ونهتك عن عتبي الضلوع الرجفُ
أيام لي قصر المغيرة مألّفُ

(١) النمر العكلي : هو النمر بن ثولب بن زهير بن أقيش العكلي شاعر مخضرم ، من المعمر بن الأجواد .

(٢) العادي : الجائر .

(٣) يشتام ، يرى ، ويشتار : يستخرج ويحني .

(٤) الجفن : الغمد .

حَجَّيْ إِلَى الْبَابِ الْجَدِيدِ وَكَعْبَتِي الْبَابَ الْعَتِيقَ وَبِالْمَصَلَّى الْمَوْقِفُ
 وَاللَّهُ لَوْ عَرَفَ الْحَجِيجَ مَكَانَنَا مِنْ زَنْدَرُوزَ وَجَسْرِهِ مَا عَرَفُوا
 أَوْ شَاهَدُوا زَمْنَ الرِّبْعِ طَوَافَنَا بِالْخَنْدَقِينَ عَيْشَةً مَا طَوَّفُوا
 زَارَ الْحَجِيجَ مَنْى وَزَارَ ذُووُ الْهَوَى وَرَأَوْا ظُبَاءَ الْخَيْفِ فِي جَنْبَاتِهِ
 أَرْضُ حَصَاهَا جَوْهَرٌ وَتَرَابُهَا مَا لِي وَلِلْوَاشِينَ لَا يَهْنِيهِمْ
 أَعْيَاهُمْ سَبَبُ التَّهَاجِرِ بَيْنَنَا فَتَفَاءَلُوا لِي بِالْفِرَاقِ وَأَرْجَفُوا
 لَا وَاعْتَلَا قِي بِالْوَزِيرِ وَحَبْلِهِ مَا أَحْسَنُوا مَا أَجْمَلُوا مَا أَنْصَفُوا
 مَا لِلْوَزِيرِ عَنِ الْمَعَالِي مَصْرَفٌ أَبَدًا وَلَا لِي عَنْ هَوَاهُ مَصْرَفٌ
 يَا مَنْ نَعُوذُ مِنَ الْمَكَارِمِ بِاسْمِهِ وَنَعَزَهُ وَهُوَ الْأَعَزُّ الْأَشْرَفُ
 وَنَجَلَ عَنْ خَطَرِ الْيَمِينِ حَيَاتِهِ فَبِفَضْلِ نِعْمَتِهِ عَلَيْنَا نَحْلِفُ
 وَعَظِيمٍ مَا أَوْلَيْتَنِي مِنْ نِعْمَةٍ مَا لِلسَّمَاكِ سِوَاكَ رَبُّ يَعْرِفُ
 يَا ابْنَ الْذِينَ إِذَا بَنَوْا شَادُوا وَإِنْ أَنْصَفُوا لَمْ يَنْدَمُوا
 إِنْ حَارَبُوا لَمْ يَحْجَمُوا ، أَوْ قَارَبُوا لَمْ يَشْتَفُوا
 وَمَتَى اسْتَجِيرُوا أَسْعَفُوا وَمَتَى اسْتَنِيلُوا أَسْرَفُوا وَمَتَى اسْتَعِيدُوا أَضْعَفُوا
 إِنْ عَاهَدُوا لَمْ يَخْفَرُوا ، أَوْ عَاقَدُوا لَمْ يَغْدُرُوا ، أَوْ مَلَكَوْا لَمْ يَعْسَفُوا^(١)

ومنها التهئة بالخلعة :

تَهْنِى ابْنَ عِبَادِ بْنِ عَبَّاسٍ عَبْدَ اللَّهِ نَعْمَى بِالْكَرَامَةِ تَرْدُفُ
 يَهْنِيهِ زَائِدُ نِعْمَةٍ مُتَجَدِّدٌ أَبَدًا وَحَادِثُ نِعْمَةٍ يَسْتَرْفُ

(١) خَيْفٌ : نَزْلٌ مَنْزِلًا ، وَالْمُرَادُ بِهِ هَهُنَا مَسْجِدُ الْخَيْفِ . ، وَالْجَمَارُ : الرَّجْمُ .

(٢) لَمْ يَخْفَرُوا : أَي لَمْ يَخْلَوْا بِمَا عَاهَدُوا عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَعْسَفُوا : أَي لَمْ يَظْلَمُوا أَحَدًا .

خلعُ كأنوار الربيع مديحُ
 بهرتُ عيون الناظرين وأبرزتُ
 لو نالت الشمس المنيرة حسنُها
 ولئن كبرت عن الملابس والحلى
 فالبيت يكسى وهو أشرف بقعةٍ
 ألمٌ فيه بقول من قال [من الكامل] :
 تزهى بك الخلعة الميمون طائرُها
 رجع :

كالشَّمس حَفَّت بالسعود وحوله
 وكأنَّ مجلسه عروسٌ تجتلى
 ما تشتهي الأذان تسمعه وما
 أو ما ترى حسن الزمان وطيبه
 عاد الربيع إليك في كانونهِ
 شمسٌ محجَّبةٌ وظلٌّ سجسج
 وعلى الجبال من الثلوج أكاليلُ
 نبأً تباشرت القلوب لذكره
 فلكلِّ عينٍ قرَّةٌ ومسرَّةٌ
 خدمُ كأمثال الكواكب وقَفُ
 والمادحون به قيانُ تعزف
 تهوى العيون من المناظر تطرف
 والجو صافٍ والجنان تزخرف
 فشتاؤه للحسن صيفٌ صيْفُ
 وغمامةٌ سحٌّ وروضٌ رفرف^(١)
 وعلى السماء من السحاب مطرُف^(٢)
 أذكى من المسك الذكيُّ وأعرف
 ولكلِّ نفسٍ عزَّةٌ وتغطف^(٣)
 وكاشمٌ ومنمنمٌ ومقوْفُ^(٤)
 حسناً يكاد البرق منه يخطف
 ما كانت الشمس المنيرة تكسف
 وبك الملابس والحلى تشرف
 في كلِّ عامٍ مرَّةً ويسجفُ^(٥)

(١) خلع : عطاء ، وثوبٌ ، ومقوْفٌ : موشى ومزَيْن .

(٢) يسجفُ : من سجد البيت : أي أرسل عليه السجف ، وهو الستر ، أو الستران المقرونان . بينهما فرجة ، والمراد بالبيت : الكعبة الشريفة .

(٣) السجسج : الذي لا حرَّفيه ولا برد .

(٤) المطرُف : الرداء من الحرير ذي الأعلام .

(٥) التغطف : العجب والخيلاء .

وله من قصيدة في علي بن أبي القاسم [من المتقارب] :

معانٍ نظمت بهنّ الصبا	كما نظم الغانيات العقود
بياب الجديد لنا موقفٌ	لبسنا به العيش غصّاً جديداً
وكم بالمحصب من ليلةٍ	شفعنا إلى الصبح أن لا يعودا
ويومٍ قصيرٍ بتلك القصو	ر تحسبه الغيد للحسن عيدا
تراه عبيراً وحصباءه	عقيقاً وأشجار واديه عودا
عليّ بن أبي القاسم أرفق بنا	فقد عاقنا الشكر أن نستريدا
لئن لم تملّ ندىً أن تفيد	لقد ملّ راجيك أن يستفيدا
وقالوا انتجعت حياً نازحاً	وهل عاق بعد الحيا أن يجودا ^(١)
سنا البدر يغشى الثرى والورى	جميعاً وإن كان منهم بعيدا
قوافٍ إذا ما رآها المشو	ق هزت لها الغانيات القدودا
كسّون عبيداً ثياب العبيد	وأمسى لبيد لديها بليدا ^(٢)
ولو لم أكن محسناً نظمهنّ	لحسن قصدي إليك القصيدا
عرفنا بعرفك كيف الطريق	وجودك علّمنا أن نجيدا

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي من نتفه [من الرمل] :

ثُقلاءُ الأرض عندي خمسةٌ صالح والابن منهم أربعة

ومن نتفه [من الوافر] :

تركت الشّعر للشعراء ، إنّي رأيت الشعر من سقط المتاع

وأنشدني له في أبي الحسن الغويري [من مجزوء الرمل] :

في حرٍّ أمّ الشّعر أيري لست أعني أير غيري

(١) انتجعت : قصدت ، والحيا : المطر .

(٢) عبيد : يريد عبيد بن الأبرص ، وليبد : يريد : لبيد بن ربيعة ، وبليدا : مستقلا .

إنّما يرفع قول الشعر أمثال الغويري

* * *

٢٠ - أبو القاسم غانم بن أبي العلاء الإصبهاني

شاعر ملء ثوبه ، محسن ملء فمه ، مرغوب في ديباجة كلامه ، متنافس في
سحر شعره ، ولم يقع إلى ديوانه بعد ، وإنما حصلت من أفواه الرواة على قطرة من
سيح غرره ، وغيض من فيض ملحه ، ولا يأس من وجدان ضالتي المنشودة من
مجموع شعره ، وقد مرت في الصاحبيات أبيات له قلائل إلا أنها قلائد ، وهذا
مكان ما أحضر به من أخواتها الرائقة الفائقة الشائقة .

أنشدني المعروف بالقاضي الإمام الأصبهاني قال : أنشدني أبو القاسم بن
أبي العلاء لنفسه [من مجزوء الرجز] :

أصبحت صبّاً دنفاً بين عناءٍ وكمد
أعوذ من شرّ الهوى بقلّ هو الله أحد

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني أبو القاسم لنفسه [من الكامل] :

المستغاثُ من الهوى بالله من شادنٍ فتن الورى تيّاه
ما كنت أعلم قبله حرّ الهوى والوجد ما هو والصبّابة ماهي
حتى بليت أغنّ مدلاً كالريم يعصي في هواه الناهي
فمدا معي عبري وقلبي واله وجوانحي حرّى وصبري واهي

وله [من الخفيف] :

أيها الخشف كم أودّ وأجفى وأسام الهوان صنفاً فصنفاً
لو كشفت الغطاء عن سرّ قلبي لقرأت الأحزان حرفاً فحرفاً

إنَّ نفسي موقوفةٌ بين شيئين — رجائي عليهما بات وقفا
بين أن ينصف الزمان وأعطى أملِي فيك أو أموت فأكفي

ومن قصيدة [من الكامل] :

الطفُ بطرفك ما أردت ودارِهِ لا يفضحُكَ إنْ مررت بداره
وأنشدني له في نفسه [من المجث] :

رجلي وأيري وبيضي في إست أم القويضي
لما أراد هجائي وفيضه دون غيضي^(١)
ورام تدنيس عرضي فصار خرقة حيض^(٢)

وأنشدني أبو القاسم علي بن الكرخي له فقال [من الطويل] :

وقائلةٍ قالت فلانة طَلَّقْتُ فقلت ونفسي أطلقت بانطلاقها
تزوِّج قلبي الهمَّ يوم تزوَّجت وطلَّق قلبي الهمَّ يوم طلاقها

وأنشدني الأمير أبو الفضل له من قصيدة يعاتب فيها صاحب ويستبطئه [من
الطويل] :

فإن قيل لي صبراً فلا صبر للذي غدا بيد الأيام تقتله صبرا
وإن قيل لي عذراً فوالله ما أرى لمن ملك الدنيا إذا لم يجد عذرا

وأنشدني أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتيبي له من قصيدة [من الكامل] :

وَرَدَ البشير بما أقرّ الأعينا وشفى النفوس فنلن غايات المنى
وتقاسم الناس المسرة بينهم قسماً فكان أجلُّهم حظاً أنا

* * *

(١) دون غيضي : أي أقل ممّا يحبسه وغاض الماء : ذهب في الأرض وغاب .

(٢) خرقة حيض : أي خرقة تستعملها المرأة أوان الحيض أي العادة الشهرية .

٢١ - أبو محمد عبد الله بن أحمد الخازن

من حسنات أصبهان وأعيان أهلها في الفضل ، ونجوم أرضها وأفرادها في الشعر . ومن خراسان صاحب ومشاهير صنائعه ، وذوي السابقة في مداخلته وخدمته . وكان في اقتبال شبابه وريعان عمره ، يتولى خزانة كتبه وينخرط في سلك ندمائه ، ويقتبس من نور آدابه ، ويستضيء بشعاع سعادته فتصرف من الخدمة فيما قصر أثره فيه ، عن الحد الذي يحمده صاحب ويرتضيه كالعادة في هفوات الشبيبة وسقطات الحداثة . فلما كان ذلك يعود بتأديبه إياه وعزله ، ذهب مغاضباً أو هارباً ! وترامت به بلدان العراق والشام والحجاز في بضع سنين ، ثم أفضت حاله في معاودة حضرة صاحب بجرجان إلى ما يقتضيه ويحكيه في كتاب كتبه إلى أبي بكر الخوارزمي ، وذكر فيه عجزه وبجره^(١) ، وقد كتبت تبييناً على بلاغته وبراعة كلامه ، واختصاراً للطريق إلى معرفة قصته ، وهذه نسخته :

كتابي أطال الله بقاء الأستاذ سيدي ومولاي من الحضرة التي نرحل عنها اختياراً ، ونرجع إليها اضطراباً ، ونسير عن أفيائها إذا أبطرتنا النعمة^(٢) ، ثم نعود إلى أرجائها إذا أدبتنا الغربة ، ومن لم تهذب الإقالة هذبه العثار ، ومن لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار . وما الشأن في هذا ، ولكن الشأن في عشر سنين فانت بين علم ينسى وغم لا يحصى ، وإنفاق بلا ارتفاق ، وأسفار لم تسفر عن طائل ، ولم تغن عني ريش طائر ، وبعد عن الوطن ، على غير بلوغ الوطر . ورجعت يشهد الله صفر اليدين من البيض والصفر^(٣) ، أتلو « والعصر إن الإنسان لفي خسر » ، وأنا بين الرجاء في أن أقال العثار ، والخوف من أن يقال زار الليث فلا قرار ، إلا أنني كنت قدمت تطهير نفسي فلججت حتى حججت ، وعدت بغبار

(١) عجزه وبجره : ما يديه ويخفيه من أحواله .

(٢) أبطرتنا : من البطر .

(٣) البيض والصفر : الدراهم والدنانير أو الفضة والذهب .

الإحرام ، وبركة الشهر الحرام ، وحين خيّم بأصبهان أنهى سيدنا الأستاذ
الفاضل أبو العباس أدام الله تمكينه خبري إلى الحضرة العالية ، حرس الله بهاءها
وسناءها ، والناس ينظرون هل أقبل فيتلقوني بأكبر الرتب ، أم أسخط فيتحاموني
كالبعير الأجرب ، فورد توقيع مولانا الصاحب الجليل ، كافي الكفاة أدام الله
مدته ، وكبت أعداءه وحسدته ، بعالي خطّه ، وقد نسخته على لفظه ، ليعلم مولانا
الأستاذ أدام الله عزه أن الكرم صاحبي لا برمكي ، وعبادي لا حاتمي ، وأنا نتجرّم ثم
نتندّم ، ونميل على جانب الإدلال ، ثم لا نروى من الماء الزلال ، والتوقيع .

ذكر مولاي أدام الله عزه عود أبي محمد الخازن أيده الله للفناء الذي فيه
درج ، والوكر الذي منه خرج . وقد علم الله أن إشفاعي عليه في اغترابه ، لم يكن
بأقل منه عند إياه ، فإن أحب أن يقيم مديدة يقضي فيها وطر الغائب ، ويضع معها
أوزار الآيب . فليكن في ظلّ من مولانا ظليل . ورأي منه جميل ، وبرّ من ديواننا
جزيل . وإن حفزه الشوق فمرحباً بمن قربته التربية لدينا ، فأفسدته الغرة علينا^(١) ،
وردته التجربة إلينا . وسيله أن يرفد بما يزيل شغل قلبه بعياله ، ويعنيه على كل
ارتحاله ، إن شاء الله تعالى .

هذه نسخة التوقيع الوارد على سيدنا الأستاذ أبي العباس ، أدام الله عزه في
معناني ، فلا جرم أني أخذت مالا ، وأغنيت عيالا ، وقلت ليس إلا الجمّازة
والمفازة^(٢) ، فصبحت جرجان مسى عاشرة أهدي من القطا الكدرى ، كأنني
دعميص الرمل أستاف أخلاف الطرق^(٣) ، وأنا مع ذلك أحسب العفوعني حلماً ،
ولا أقدر ما جنيت يعقب حلماً ، فكأنّي ما خطوت إلا في التماس قربه ، وما
أخطأت إلا لتأثيل حرمه^(٤) ، وكأنني لم أفارق الظل الظليل ، وأخذ في بقول الله

(١) الغرة : الجهل .

(٢) الجمّازة : الإسراع في الأرض ، والمفازة : الأرض الكثيرة الهلكة .

(٣) الدعميص : التلّ والكثيب الصغير ، وأستاف : أضرب بعضها ببعض .

(٤) تأثيل : تمجيد ، والأثيل : الأصيل .

تعالى فاصفح الصفح الجميل ، فقد روى في التفسير أنه عفو من غير عتب ، وعدنا للقرب في المجلس ، وكرم اللقاء والمشهد ، وراجعت أيدينا ثقل الصرر ، وجلودنا لين الحبر^(١) . وركبنا صهوات الخيل ، وسبحنا الى دورنا بفضلات الخير . وأقبلنا على العلم ، وصافحنا يد النثر والنظم . وراجع الطبع شيئاً كان يدعي الشعر ، كذلك آدم أسكن الجنة بمنّ الله وفضله ، ثم خرج عنها بما كان من جرمه . وهو عائد إليها بفضل الله وطوله ، هذا خبري ، وأما كتاب سيدي الأستاذ أدام الله عزه فورد وذكرت قول سلم الخاسر * طيفٌ أَلَمَ بذي سلم * لأنه حل محل الخيال ، وورد بأخصر المقال ، وما تركت السؤال عن خبره ساعة وردت . فعرفت من سلامته ما بشرت به فاستبشرت . وعلمت كيف كانت النكبة ، وكيف انحسرت المحنة ، وكيف اتفق الخروج إلى بخار المزن من المزني صاب ، بعد أن أصابه الدهر بما أصاب ، وشوقي إلى سيدي الأستاذ الشوق الذي كنت أصلى بناره ، وداري إزاء داره . ولم أستطع في التقريب أكثر من أن خرجت عن الموصل إلى جرجان ، وشارفت أدنى خراسان ، ولله اللطائف التي تخلصتني من الموصل ، فإنني كنت في وقعة باد أباده الله وعراني ممّا ملكت ، وهتكني فتهتكت ، وخرجت على مذهب مشايخنا في ضرب الحراب ، على صفحة المحراب . وهذا حديث طويل ، والكثير منه قليل . ذكر الأستاذ سيدي أن الشيخ أبا الفتح الحسن بن إبراهيم أخرّ عنه نسخة الرسائل مع خروج الأمر الناجز ، وقد عجبت من ذلك ، فإن أوامر الحضرة أقدار جارية ، وسيوف ماضية . وأنا أجري حديثاً ، وأنتجز كتاباً جديداً . فأما شعري فليس يروى إلا في ديوان باد ، منذ فارقت آل عباد ، وفجعت بكتبي جملة ، وضرب عليها أولئك اللصوص ضربة . بل عملت في تهنئة مولانا أدام الله سلطانه ، وحرس مكانه ، حين رزق سبطا نبويّاً علويّاً فأشرق الأرض ، ودعت السماء ، وأمنت الكواكب ، وقال الشعراء . وذلك أنه لما سمع الخبر قال [من البسيط] :

(١) الحبر : جمع حبرة وهي الثوب الناعم الجديد الموشى .

الحمد لله حمداً دائماً أبداً إذ صار سبط رسول الله لي ولدا

فعملت على ذلك ما قد أثبتته ، فإن يكن ليس بالمسخوط فمن بركة الحضرة والخدمة ، وإن يكن ممقوتاً فمن بقايا الغربية . ومن خبري أن لي ضيعة بأصبهان مقطعة ، وقد برقت لي في حلّها بارقة مطمعة^(١) ، لأن مولانا أدام الله مدته أمرني أن أعمل في السلطان العظيم ، أطال الله بقاءه مدحاً نيروزياً أشقّ بسموطه السماطين^(٢) ، هذا ولو كنت عاملاً لكنت اليوم في مرموق الدرجات ، فقد وردت ورأيت جماعة لم أكن يومئذ دونها ، وقد صارت في منازل أحتاج إلى خافية العقاب حتى ألحق بها ، زادهم الله ولا نقصني ، وهنامهم ولا نغصني . ومنهم شيخنا أبو القاسم الزعفراني أيدته الله ، وما أقول إنه ليس بأهل لأضعاف ما خوّل وتخوّل به وموّل . إذ قد تفضل الله عليه بما أعلم أنه لو حكم بما تحكم فيه وقد قرنت بالقصيدة في المولود المسعود أخرى عيدية أبقى الله مولانا ما عاد عيد ، وطلع نجم جديد ، وسقى الله سيدي الأستاذ العهاد ، والرذاذ ، والطل ، والوبل ، والديمة ، والتهتان^(٣) ، وجميع ما في كتاب المطر للنضر بن شميل ، فما رأيت أتمّ منه ، وحسبي الله ، وصلواته على محمد وآله الطاهرين .

فهذا كلام كما تراه يجمع بين الجزالة والحلاوة ، وحسن التصرف في لطائف الصنعة ، ويملك رق الاتقان ، والإيداع والإحسان ، ويعرب عما وراءه من أدب كثير ، وحفظ غزير ، وطبع غير طبع ، وقريحة غير قريحة . فأما شعره فجار مجرى عقد السحر ، مرتفع الحسن عن الوصف ، وما أصدق قوله [من البسيط] :

لا يحسن الشعر ما لم يسترقّ له حرّ الكلام وتستخدم له الفكر

(١) برقت : ظهرت وخطرت .

(٢) السماطين : السباط : الصفّ ، وسباط الطريق جانبه .

(٣) العهاد والرذاذ والطل والوبل والديمة والتهتان جميعها من صفات هطول المطر .

انظرُ تجد صور الأشعار واحدةً وإنّما لمعانٌ تعشق الصّور
والمقدمون من الإبداع قد كثروا وهم قليلون إنّ عدّوا وإنّ حصروا
قومٌ لو أنّهم آرتاضوا لما قرضوا أو أنّهم شعروا بالنقص ما شعروا
وكان أبو بكر الخوارزمي أنشدني لمعاً يسيرة من شعر أبي محمد ، كقوله في
وصف غبار الركب ، وذكر أنه لم يسمع في معناه أملح منه . وأجمع لأقسام الحسن
والظرف ، وهو [من الخفيف] :

إنّ هذا الغبار ألبس عظميَّ سواداً ودينِي التّوحيد
وكسا عارضيَّ ثوب مشيبٍ ورداءُ الشّباب غضٌ جديد
وقال في الغزل [من الكامل] :

حَثَّ المطيَّ فهذه نجدُ بلغ المدى وتزايد الوجد
يا حبّذا نجدُ وساكنها لو كان ينفع حبّذا نجد
وبمنحني الوادي لنا رشاً قد ضلّ حيث الضال والرند^(١)
هندُ ترى بسيفٍ مقلتها ما لا ترى بسيفها الهند

وأعطاني نسختي القصيدتين اللتين ذكرهما في الكتاب الصادر ، فشوقني
إلى سائر شعره ، وبقيت أسأل الرياح عنه ، إلى أن أتحنني أبو عبد الله محمد بن
حامد الحامدي في جملة ما لا يزال يهديه إليّ من ثمرات أرضه ، ولطائف بلده
بالعقيلة الكريمة ، والدرّة اليّيمة ، من مجموع شعر أبي محمد ، وقد كانت حضرة
الصاحب جمعتهما ، ومناسبة الأدب ألّفت بينهما ، فأوجب من الاعتداد ، وفر
الأعداد ، وجمعت يدي منه على العلق النفيس ، فرتعت في روضته الأنيقة فيينا أنا
أباهي به ، وأهتز لحصوله ، إذ أصابه بعض آفات الكتب ، وامتدت إليه يد بعض
الخونة [من الطويل] :

(١) الرشأ : الغزال ، والضال ، والرند : من الأشجار الطيبة الرائحة .

وسهم الرزايا بالذخائر مولعٌ وأيُّ نعيمٍ لا يكدره الدهرُ
فصنع الله تعالى في القوارع من إخراج ما يصلح لكتابي هذا منه ، فمن ذلك
قوله من قصيدة في الاستعطاف والاعتذار عند تغير الصاحب عليه واستمرار الأسفار
بأبي محمد [من الوافر] :

<p>أيا من عفوه داني السحابِ مديدُ الظلِّ معقود الأواخي فكيف حجبت عنك وأنت شمسٌ أيرتج باب عفوك دون ذنبي وإعراض الوزير أشدُّ مساً ثنى غربي وفلّ شبا شبابي ولم تبق الليالي في بُقياً فهب لزيارتي خطئي ، وعمدي فما في الأرض إلّا من يراني كأنّي قد أثرتُ بهم ذئاباً حصلت وكنت ضيفك في الثريّا أعدني للقري واجعل جوابي وجُدْ برضاك فهو العيش غضاً ولو زعت الحسام العضب سخطاً</p>	<p>صديق البرق ثقاب الشهابِ على الجانين مضروب القباب تجلُّ عن التستر بالحجاب وعفوك لم يشن برتاج باب^(١) على الأحرار من ضرب الرقاب وصبّ عليّ أسواط العذاب^(٢) لعتب منك فضلاً عن عقابي لقصدي ، واغتراري لاغترابي بعين المحنق الضرم الضباب^(٣) أو استنفرت منهم أسد غاب وصرت ولست ضيفك في التراب وإيجابي جفاناً كالجوابي^(٤) وكلاً فهو ريعان الشباب لذاب ذبابه بين القراب^(٥)</p>
---	--

(١) يرتج : يقفل ، ويشن : يعاب .

(٢) الغرب : الحدة والنشاط ، وفلّ : قطع .

(٣) الضرم : الغضب ، والضباب : العابس .

(٤) الجفان : القصع ، أو ما يسكب فيه الطعام من الآنية ، والجوابي الجران : الواسعة التي تسقى منها الحيوانات .

(٥) الذباب من السيف : طرفه الذي يضرب به .

أعيزك أن تصيخ إلى عدوي وسمعتك عن هنات القول نابي^(١)
على أنني أتوب إليك ممّا كرهت فرقاً لي وأقبل متابي
وإن لم تغف عن ذنبي سريعاً فها إنني وحقّ أبي لمابي
سألتهم من ثراك الروض غصّاً ومن يملك منهلاً السحاب
أصبت بخاطري فأتى بشعرٍ عليلٍ مسّه ألم المصاب
وما لي غير مدحٍ أم ثناء مشيدٍ أم دعاءٍ مستجاب

وقوله من قصيدة في معناها هي أحسن عندي من اعتذارات النابغة إلى
النعمان وإبراهيم بن المهدي إلى المأمون وعلي بن الجهم إلى المتوكل [من
الوافر] :

لنار الهمّ في قلبي لهيبٌ فغفواً أيها الملك المهيّبُ
فقد جاز العقاب عقاب ذنبي وضجّ الشعر واستعدى النسيب
وفاضت عبرة مهجُ القوافي وغصصها التذلل والنحيب
وقد قصمت عراها واعتراها بسخطك بعد نضرتها شحوب
وقالت ما لعفوك ليس يندى لنا وسماء مجدك لا تصوب
ومن يك شوط همته بعيداً فمثنى عطفه سهل قريب
تجاوزت العقوبة منتهاها فهبّ ذنبي لعفوك يا وهوب
وأحسن إنني أحسنت ظني وأرجو أن ظني لا يخيب
أترضى أن أكون لقي مقيماً على خسفٍ أذوب ولا تثوب^(٢)
أبيت ومقلتي أبقُ كراها وفي الحاظها صابٌ صيب^(٣)
وقيداً لا يلائمني طعامي ولا ينساع لي الماء الشروب^(٤)

(١) تصيخ : تستمع ، وهنات القول : أي القول المعيب .

(٢) اللقي - كفتى - المطروح ، وجمعه ألقاء .

(٣) أبقُ : هارب ، والصاب : عصارة شجر الصاب الشديد المرارة .

(٤) الوقيد : المريض .

صَبِيتَ عَلَيَّ سَوْطاً مِنْ عَذَابٍ
وَأَرْهَقْنِي نَكِيرَكَ لِي صَعُوداً
وَمَا عَوْنِي عَلَى بِلَوَايَ إِلَّا
فَإِنْ تَعَطَّفَ عَلَى رَجُلٍ غَرِيبٍ
عَلَيْكَ أَنْيَخَ آمَالِي فَرَحَبُ
وَأَخْطَرُ مَا يَرِيبُ إِذَا دَهَنِي
فَأَيَّةَ طَرَبَةٍ لِلْعَفْوِ إِنَّ الْكَرِيمَ
فَإِنِّي نَشْرُءُ دَارَكَ وَالْمَغْذَى
وَأُبْتُ إِلَيْكَ مِنْ عَفْوٍ مَدْلَأُ
وَلَذْتُ بِيَابِكَ الْمَعْمُورَ عِلْمًا
وَأَنْ شَعَابَهُ أَنْدَى شَعَابٍ
وَسَقَتِ بَنَاتِ آمَالِي إِلَيْهَا
فَبِوَثْنِي اخْتِصَاصَكَ حَيْثُ تَجْنِي
وَلَكِنْ كَادَنِي خَبٌ حَقُودُ
وَمَا لَجْمُوحِ أَلْفَتِهِ جَنِيبُ
وَلَا يَشْفِيهِ مَنِّي لَوْ رَأَنِي
بَلُوتِ النَّاسِ مِنْ نَاءٍ وَدَانٍ
فَكُلُّ عِنْدَ مَغْمَزِهِ رَكِيكُ
فَجَدُّ لِي بِالرُّضَا وَاقْبَلْ مَتَابِي

يَذُلُّ لِبَاسِهِ الدَّهْرَ الْغُلُوبُ
مِنْ الْأَشْجَانِ لَيْسَ لَهُ صَبُوبُ
رَجَائِي فِيكَ وَالْدَّمْعُ السَّكُوبُ
فَإِنِّي ذَلِكَ الرَّجُلَ الْغَرِيبُ
بِهَاءٍ، وَإِلَيْكَ مِنْ ذَنْبِي أَتُوبُ
غَوَامِضُهُ إِلَى مَا لَا يَرِيبُ
وَأَنْتَ مَعْنَاهُ طُرُوبُ
بَسِيكَ وَالصَّنِيعَةُ وَالرَّيْبُ
بِمَا يَقْضِي عِلَاقَ لِمَنْ يُؤُوبُ^(١)
بَأَنَّ ذَرَاكَ لِي مَرْعَى خَصِيبُ
إِلَيْهَا يَلْجَأُ الرَّجُلُ الْأَدِيبُ
وَقَدْ حَفِيتُ وَأَنْضَاهَا الدَّءُوبُ^(٢)
ثَمَارَ الْعِزِّ وَالْعِيشَ الرَطِيبُ
لِعَقْرِبِ كِيدِهِ نَحْوِي دَيْبُ^(٣)
وَمَا لَشِمَالِ فَرْقَتِهِ جَنُوبُ^(٤)
وَقَدْ أَخَذَتْ بِحَلْقُومِي شَعُوبُ^(٥)
وَخَالِطَنِي الْقَبَائِلَ وَالشُّعُوبُ
وَكُلُّ عِنْدَ مَشْرَبِهِ مَشُوبُ^(٦)
وَعَذْرِي، إِنَّنِي أَسِفٌ كَثِيبُ

(١) أبت : عدت .

(٢) أنضاهها : عرّاهها .

(٣) الخب : المخادع .

(٤) جنيب : مرافق وجنوب : الريح التي تهب جنوباً .

(٥) الشعوب : الموت والهلكة .

(٦) المغمز : التجربة والاختبار ، ومشوب : ممزوج .

طريحٌ في فنائك مستضامٌ
أأمنعُ من بوادي العلم منعاً
وأحرمُ من كلامك كلَّ بدعٍ
فلم لا ينتهي ويكفَّ عني
وغاية ما يصير إليه شعراً
ومن سقيا سحابك جاد طبعي
غريبٌ لا يكلمني غريب
كأني ليس لي فيها نصيب
تناهيه النواظر والقلوب
عقابك بعد ما انتهت الذنوب
إذا استعطفست أو مدحُ مصيبُ
ولولا الغيث لم ينبع قلب^(١)

وكتب إلى أبي العلاء بن سهلويه وقد ورد بغداد رسولاً وأبو محمد بها قصيدة منها
[من الكامل] :

أبأ العلاء وردت أكرم موردٍ
وحويت في الحاليين شأوَ مبرِّزٍ
وخدمت شاهنشاه أحسن خدمةٍ
أبلغ رسالتي الوزير وقلْ له
ويضيءُ آفاقي ويمرع مرتعي
بحياته قسم الكرام وعهدهم
واذكر موالاتي الصريحة إنها
وكفاك علمك بي وودِّي شاهداً
خذها إليك شذور طبعٍ لاعبٍ
وكأنه في حسنه وروائه
أهديت من حلواء باب الطلق ما
وأشدَّ منه حلاوة شعري الذي

وله من أبيات عملها بديهة لينشد صاحب [من المتقارب] :

(١) القلب : البئر .

أبيتُ قديتك إلا الغضبُ
وأمرضت شعري وأحرضته
بل اشتكت الغرر السائراتُ
وحال الجريض دوين القريض
وقد كان شعري قضى نجه
وأنتك تحنو على سرحه
وتوقد من ناره ما خبا
بكى غزلي حسن ورد الخدود
وأعرض منخزلاً بعد ما
فلا توحش المهرجان الذي
وأنظم باسمك عقد العلا
فهب لي ذنبي فأنت الشفيـع لا غير والمرء مع من أحب
وردٌ إليّ نعيم الرضا
وما لي ذنبٌ فإن كان لي
متى يرض عني كافي الكفاة

على أخويك الندى والأدبُ
وشيّت تشييبَةَ المقتضب^(١)
وصاحت دواوين شعر العرب
وضرب العاسيب دون الضرب^(٢)
فامسكه عفوك المرتقب
وتغزر من مائه ما نصبُ
وتطلع من نجمه ما غرب
وضرب بين اللَّمى والشنب^(٣)
تألق من حسنه والتهب
بنظمي يرى السامعين العجب
وأنشر عنك نضار الحسب
فهب لي ذنبي فأنت الشفيـع لا غير والمرء مع من أحب
ولا تصلني بجحيم الغضب
فذنـب حـقيرٍ قصير الذنب
بلغت المراد ونلت الأرب

وله من صاحبية ذكر فيها براءه من مرض عرض له [من الكامل] :

كذبت سعود المشتري فلو أنها
ما مسّه ألمٌ ولكن هزّة

حرمتُ سعادة جدّه لم تنجح^(٤)
ما هزّ إفرنـد الحسام المصفح

(١) الخرض : الهلاك .

(٢) الجريض : الغصة ، من الخرض وهو الريق يغصّ به ، والقريض : الشعر ، و « حال الجريض دون القريض » مثل يضرب للأمر يقدر عليه أخيراً حين لا ينفع ، وأوّل من قاله : عبيد بن الأبرص قاله للنعمان . وقد ورد عليه في يوم يؤسه .

(٣) اللَّمى : سمرة في الشفة ، والشنب : عذوبة الأسنان .

(٤) الجدّ : الحظ .

نفض الأذى عن جسمه والروض قد
ما بحث عنه سوى قذى والعين لا
عادت سلامته وأظهر دهره
ومن أخرى [من الكامل] :

ما زلت أعتسفُ المهامه والفلا
حتى نأيت عن الحواضر ملقياً
فاذا بسعدي وهي بدرٌ طالع
وطرقتها وعداتها رقباًوها
فحللت منها حيث كان وشاحها
وجناؤها حصني وساحر طرفها
وعقاصها الموصول زهرة روضتي
حيث الصبا عبق الحواشي موقنٌ
والروض أحوى والحمائم هتفٌ
ولها ديارٌ غير شرقيّ الحمى
دارٌ بذى الأرطى ودارٌ بالغضا
لو فاخرت ذات العماد بيوتها
لا تكذبين فما لها دارٌ إذا

ينفي الهشائم وهو غير مصوح^(١)
تصفو من الأقداء ما لم تضرح^(٢)
ندم المنيب وتوبة المستصفح

وأواصل الأغوار بالأنجاد^(٣)
رحلي بوادٍ في تخوم بوادي
من فوق غصنٍ في نقاً منهاد^(٤)
في صورة المرتاب لا المرتاد
درعي وساعدها الوثير وسادي
سيفي وفاحمها الأثيث نجادي^(٥)
ورضاها المعسول صوب عهادي^(٦)
ترهى بناعم غصنها المياد
والظلُّ ألقى والقيان شوادي^(٧)
شحطت وشطّت عن لقاء أعادي
أخرى ودارٌ باللوى المنقاد
عادتُ مقوَّضةً بغير عماد
أنصفتني إلا صميم فؤادي

(١) مصوح : محطّم .

(٢) تضرح : تنحى وتبعد .

(٣) المهامه : الصحاري ، والأغوار والأنجاد : أي المنخفضات والأعالي .

(٤) منهاد : أي ناهد وهي المرأة التي ارتفع ثديها .

(٥) الفاحم : الشعر الأسود ، والأثيث : المتداخل والنجاد : ما يعلّق به السيف .

(٦) العقاص : خصلات الشعر المصفورة .

(٧) أحوى : من كانت به حوة وهي لون صدأ الحديد سمرة إلى حمرة . وألقى : من كان في شفته سمرة مائلة

إلى السواد .

فلذا لا تسقي السحاب أرضها إلا بردن حرارة الأكباد
 ما أبدع هذا المعنى وأبرع هذا اللفظ !! وقد سبق إلى معنى البيتين ولكنه
 أبدع في الجمع بينهما وأحسن ما شاء .
 ومنها :

ولرب ليلٍ لم أنمهُ، ومقلتي	مطروفةً مطروقةً بسهاد
شوقاً إلى نادٍ جنى ريحانه	لمع القريض ونغمة الإنشاد
نادٍ تجلّى عن مقرّ سريريه	قمر أناف على البسيطة بادي
كافي الكفاة المستجار بظله	والمستضاء بعزمه الوقاد
ملكٌ محبته سلافة مزنة	ملكٌ مع الأرواح في الأجساد
ملكٌ يقال له حماد إذا التقت	قحم السنين ولا يقال جماد

وهي طويلة ، وما من أبياتها إلا غرة أودرة .
 ومن أخرى [من الطويل] :

ولما تنسّمنا صبا صاحبة	تعيد عجاج الجو وهو عبير
تركنا لظى الرمضاء وهي حديقة	ندى وحصى المعزاء وهي شذور ^(١)
ونلنا هشيم النبت وهو منور	وردنا قتاد الأيك وهو حرير ^(٢)

ومنها :

وزيرٌ ومما يعجب المجد أنه	وزيرٌ عليه للسّماح أمير
ويخطب من فوق الثريا بفخره	فلا تعجبوا إنّ الخطيب خطير

(١) الرمضاء: شدة الحرّ، والمعزاء : الأرض الكثيرة الحصى . وشذور : القطع من الذهب تلتقط من معدنه .

(٢) القتاد : الشوك .

لوى الراسيات الشمَّ أيسر سخطه ويكفي من السمِّ النقيع نقيراً^(١)
وذلل أعناق الليالي بهمةٍ لها مرقبٌ فوق الأثير وثيراً
وخمّر رأياً لم يشطَّ ثباته فطورٌ ورأي الأكثرين فطيراً^(٢)
له القاضيات الماضيات مهتدٌ مبيرٌ وعزمٌ كالشهاب منيراً^(٣)
وما كان للجوزاء لولا جوازه مجازٌ وللشعري العبور عبور
تساعده الأقدار فيما يريده وتسعده الأفلاك كيف تدور
أواري بكرٌ أبداً صفٌ صعداته وقد عقدت منها عليك حبور
وصفٌ بأسه إذ ظلَّ يصدم وحده ثلاثين ألفاً والجسور جسور

سبحان الله ! ما أشرف هذا الكلام وأعلاه وأجله !!

ومنها :

وألوية النصر المبين خوافقُ تطيح بأشتات العدا وتطير
وقد كشرت عن نابها أم قشعمٍ وللموت في وجه الكمّي هرير^(٤)
وفي يده اليمنى ثوابٌ وجنةٌ وفي يده اليسرى ردىٌ وسعير
ولي مدحٌ فيه غوادٍ روائحُ أشيد مدى عمري بها وأشير
ووصف نسيبٍ لو أعير كثيراً لوفّي تعظيماً وقيل كثير

وله من قصيدة في فخر الدولة [من الطويل] :

سقى الله أياماً بشرقي منبجٍ إلى العلم الأقصى بغربي منعجٍ
إلى الحيرة الغناء مطمح ناظري ومسرح آمالي ومسرى تفرّجي

(١) النقيع : القليل .

(٢) يشطّ : يتوه ويفارق ، فطورٌ : خالقٌ .

(٣) مبير : مهلك .

(٤) أم قشعم : الضبع ، والهرير : صوت القوس والكلب دون النباح .

لما اهتزَّ غصنٌ في نقا مترجرج^(١)
ولا راع سحرَّت تحت أكحل أدعج
على صفحتي تَفَاح خدٌ مضرَّج
محاسنها أعطاف جذعٍ مدبَّج
حدا طرباً والليل غضبان مدَّجي
هوى عامرٍ ما بين حجلٍ ودملج^(٢)
وفاحت غوالي روضها المتأرج
ويا سابقي عرَّج ويا صاحبي عرج
ويا شيبتي احتجي ويا صبوتي ادرجي
بخطٌ على فوديٍّ غير مسبَّج^(٣)
لقد صرت في طمرٍ من الشيب منهج^(٤)
تحاط بأطراف الوشيح المزجَّج^(٥)
وتزري بأنواع الربيع المثجَّج^(٦)
بكابٍ ولا باب العطاء بمرتج

منازل لو لم تخطُ سعدي بأرضها
ولا راق درٌ فوق أشنب واضح
ولم يتحدَّرَ ظلٌ نرجسٍ مقلَّة
عشية هزَّت للوداع فأودعت
فكم غرَّدَ لَمَّا استقلَّ ركابها
وكم ثملٍ من نشوة الحب يرتعي
أقول وقد لاحت عوالي خيامها
أيا طارقي أحججٌ ويا رائدي ابتهج
ويا عبرتي كَفَّي ويا ناقتي قفي
فقد كتبت أيدي المشيب مواعظاً
لئن كنت في بردٍ من العيش مبهج
ولذت من الدهر العسوف بحضرة
هي الحضرة الغناء تهتزُّ نضرة
هنالك لا زند الرجاء لمرتج

هكذا فلتمدح الملوك ، وأبيات هذه القصيدة فرائد كلها ، وقد كتبت
أنموذجاً منها .

وله من أخرى في وصف الربيع [من الكامل] :

-
- (١) النقا المترجرج : الكتيب المتموج .
(٢) الحجل والدملج : أي الخلاخيل والأساور .
(٣) غير مسبَّج : أي بخط أبيض لأن السَّبَّج هو السواد .
(٤) الطمر : الثوب البالي ، والمنهج : الرث .
(٥) الوشيح المزجج : أي الرماح .
(٦) المثجج : الذي تسقيه الأمطار الغزيرة .

نعم السماء وأبدئي وأعيدي
 بلسان كل مطوق غريد
 طويت لها أبراد آل يزيد
 في ظلها إلاّ بورد حدود
 أحسن بنظرة عائِد ومعود
 من مزنة حثت بجيش رعود
 تركت عبداً وهو بعض عبيدي
 زهراً طوالع في سماء قصيدي
 يتناثر العقيان حول نشيدي
 وليضرع الراقود للناجود^(١)
 فوق الحدود طلائع التوريد
 عليها مفرقها بتاج خلود

طلع الربيع فقال للأرض أشكري
 فغدت حدائقها تواصل شكرها
 روض إذا نشرت طرائف وشيه
 ريان لم يعثر نسيم صبايتي
 واعتل نرجسه فعادته الصبا
 وبيل مسكي الصّعيد معنبر
 وزففت حرة مدحة فخرية
 وأنا الذي أجلو معاني مدحه
 يتنافس السحر الحلال ، وتارة
 فليفترع أبكار لذات المنى
 راحاً إذا كمنت جلت من حجها
 ولتجل دولته عروساً كللت
 وله من أخرى [من الكامل] :

وتميس بين ربائب أو ررب
 شمس الضحى وتردّها في مغرب
 في موكب الفتیان أعجب موكب
 لم ينتطق خصر السماء بكوكب
 مغروسة في أرض عاج مذهب
 لتغيّر فقد انشئ لتغيّب^(٢)
 رجل متى أصف المعالي أطيب^(٣)

سمراء تخطر في الوشاح المذهب
 هيفاء تعذل كل يوم مرة
 عقدت لواء الحسن ليلة أقلت
 في ليلة لو لم تجد بتسم
 خجلت وقد وجلت فهك شقائقاً
 وأرى الشباب إذا تطامن شرخه
 ولئن أطلت فقد أطبت وإنني

(١) يفترع : يفتض ، والراقود : إناء كبير عميق والناجود : الإناء الذي يجعل فيه الشراب .

(٢) شطا من شرخه : انخفضت قوته وحدته .

(٣) أطيب : أطيل .

أطري وأطرب منشداً فليستمع شاهانشاه نشيداً مطرباً^(١)

* * *

٢٢ - أبو العلاء الأسدي

قديم الصحبة للصاحب ، شديد الاختصاص به . ممتد الغرة والتحجيل في شعرائه وصنائه وندمائه . وكان يحبه ويأنس به . ويكاتبه نثراً ونظماً كقوله له [من السريع] :

قلبي على الجمرة يا أبا العلاء فهل فتحت الموضع المقفلا
واياه يعني بقوله [من البسيط] :

أبا العلاء هلال الهزل والجد كم النجوم التي يطلعن للجد
وإليه كتب « أبا العلاء شيخي ، أين ذلك الميعاد ؟ وأين تلك العهود سقتها
العهاد ؟ وأين ليالينا بحزوى ، وتصابينا على أروى ؟ بل أين الصبا وما ملك ؟
وأين الشباب وأية سلك ؟ وإذ قد غاب جميع ذلك مغيب الخيال الطارق ،
والضيف المفارق ، فأين كتبك التي هي ألد من انتهاء النفس إلى رجائها ، وابتداء
العين في إغفائها » من كتاب غير قصير .

فأما شعر أبي العلاء فليس بالمحل العالي ، لا سيما في المدح ، وقلة عيونه
تمنع من إيراد بعد قلائد ولديه أبي سعيد وأبي محمد ، ولما كان بعيد الصيت في
أصحاب الصاحب لم أجد بداً من ذكره وكتابة ملح من أملح شعره .

أنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني أبو العلاء لنفسه ، قال : وأراه
عرّض بالصاحب [من الطويل] :

(١) مطرب : أي مداح .

وربَّ كريمٍ تعتريه كرازةٌ كما قد رأيت الشوك في أكرم الشجرِ
وربَّ جوادٍ يمسك الله جوده كما يمسك الله السحاب عن المطرِ

وأنشدني غيره له [من الوافر] :

سيسألني صديقي عنك فيما يدور من المسائل والحكاية
فأطرقُ إن سئلت لغير شكوى وإطراقِي أشدَّ من الشكاية

وله أيضاً ، وهو ما يتغنى به [من الخفيف] :

لا لعمري ما أنصفوا حين بانوا حلفوا لي أن لا يخونوا فخانوا
شتتوا بالفراق شملي ولكن جمعَ الله شملهم أين كانوا

وله في المجون [من الخفيف] :

أنا والله أشتهيك فكن عــــــنــــتراً أن شئت أو كعمرو بن معدي
وتفارسٌ إن شئت أو فتراجلُ ليس هذا مما يضرُّك عندي

* * *

٢٣ - أبو الحسين الغويري

هو في الاختصاص بالصاحب ، والاشتهار في أصحابه ، كأبي العلاء ،
وكان كثير الشعر ، قليل الملح ، وكانت في خزانة الأمير أبي الفضل عبيد الله بن
أحمد مجلدة ضخمة الحجم من شعر الغويري بخطه ، فاستعرتها واجتمعت أنا
وأبو نصر سهل بن المرزبان على إخراج ما هو شرط كتابي هذا منها ، فما أقل ما
حصلنا عليه من ذلك . ولم نجد له خيراً من الأبيات الدارية التي مرت في
أخواتها ، ومن أشف ما وقعت العلامة عليه من ذلك قوله في الاعتذار من هفوة
السكر [من المجتث]

بالله ربّ السماء	بخاتم الأنبياء
بسيّد الأوصياء	بزوجته الزهراء
بالييت والبطحاء	بالقبر في كربلاء
حلفت ما لي ذنبٌ	الذّنب للصهباء
وليس لي من شفيعٍ	إليك غير رجائي
فكنّ محقّق ظنّي	يا غرّة الوزراء
فجرح سكري جبارٌ	كالجرح من عجماء ^(١)

وقوله في الصاحب والبيت الأخير مضمن [من الكامل] :

قل للوزير مقالةً عن واجدٍ	يا من نداه كالفرات الزائد
ما لي حرمت من الأمير نواله	وسوي يكرع في الزلّال البارد
ما ضاقت الدنيا عليّ بأسرها	حتى تراني راغباً في زاهد

وقوله من قصيدة ربيعية [من الخفيف] :

أيّها الصاحب الربيع تجلّى	في رياضٍ تحارّ فيها العقول
نرجسٌ ناضرٌ وأحمر وردٍ	وشقيقٌ يزينه التكهيل
وغصونٌ تجرّ أذيال نورٍ	في حواشي جداولٍ وتميل
للزرازير في خلال الأزهير صفيرٌ وللحمام هديل	
فأقيمُ رسمنا صبيحة نيرو	ز به ربع أنسنا مأهول
بكؤوسٍ مملوءةٍ من مدامٍ	أنت فيها لمن حساها عذول
واجتنبُ جلسة الثقل إليها	فعلى الشرب لا يخفّ الثقل

وله من مهرجانية [من مجزوء الرمل] :

(١) الجبار : سدّ الحاجة ، وإصلاحها ، والعجماء : البهيمة أو الرّملة التي لا شجر فيها .

أسيوفُ الهند سلَّتْ أمَ ظبا أجفان هند^(١)
يا لأيام الصِّبا والعيش في أكناف نجد
ربَّ حَسَناءِ رداحٍ ألصقت خدًّا بخدٍّ^(٢)
أطبقتُ صفرة دينا رٍ على حمرة ورد
أيُّها الصاحب عليا ك على الأيام تعدي
وعلى جدواك قد عوّلت في حلِّي وعقدي
مهرجانٌ ثغره يفتترُّ عن يمنٍ وسعد
ورده وردُّ جسادٍ فاح عن مسكٍ وندٍّ
فابق ما شئت كما شئت لتنويلٍ ورفد

وله [من مجزوء الكامل] :

يا أيُّها الشيخ الذي هو مشتكاي من البشرُ
أصبحت أختار العمى في ناظريَّ على البصر
أسفأ على عمرٍ يكـدُّه لقاء أبي عمرٍ

* * *

(١) سلَّتْ : شهرت ، والظُّبا : الحدّ من السيف والرمح والسهم .

(٢) رداح : الضخمة الثقيلة الأوراك .

الباب السادس

في ذكر الشعراء الطارئین علی حضرة الصاحب من الآفاق

سوى من يقع ذكره منهم في أهل خراسان وطبرستان فإن لهم باباً مفرداً في هذا الربع الثالث ، وسوى أبي طالب المأموني ، وأبي بكر الخوارزمي ، وبديع الزمان أبي الفضل الهمداني ، فإن لذكر كل منهم مكاناً في الربع الرابع .

٢٤ - أبو الحسن علي بن محمد البديهي

من شهرزور كثير الشعر ، نابه الذكر ، خليفة الخضر^(١) . سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : وقد جرى ذكره بين يديه ، إنه كان لا يرجع من البديهة التي انتسب إليها وتلقب بها إلا إلى لفظة الدعوى ، دون حقيقة المعنى ، وفي ذلك يقول له الصاحب [من الوافر] :

تقول البيت في خمسين عاماً فلم لُقبْتَ نفسك بالبديهي
ثم أقبل عليّ وقال : أنا أقول في البديهي ما قاله الجاحظ في عمرو
القصافي زعم أنه قال الشعر ستين سنة فلم يسر له إلا هذا البيت الواحد [من
البسيط] :

(١) خليفة الخضر : أي كثير الترحال والمعمّر طويلاً .

خوصٌ نواجٍ إذا جدَّ الحداة بها رأيت أرجلها قدَّامَ أيديها^(١)
وكذلك البديهي قال شعراً كثير العدة ، في زمان طويل المدة ، فلم يستملح
له إلا هذا البيت [من الخفيف] :

أتمنى على الزمان محالاً أن ترى مقتلتي طلعة حرّاً
وهذا الحكم منه فيه حيف شديد على البديهي ، فليس شعره في سلامة
المتون وقلة العيون على ما ذكره ، والبيت الذي أشار إليه من أبيات بديعة أولها
[من الخفيف] :

ربّ ليلٍ قطعتَه باجتماعٍ معَ بيضٍ من الأخلاءِ غرّاً
وكأنّ الكؤوسَ زهرُ نجومٍ والثريّا كأنّها عقد درّاً
مرّ من كنت أصطفيه وللدهر صروفٌ تشوب حلواً بمرّاً^(٢)
ومن سائر شعر البديهي قوله [من البسيط] :

يا شهرزور سقيت الغيث من بلدٍ نوذٍ - وجداً به - أنا نقابلُهُ
طال الفراق فلا وافٍ يرسلنا على العباد ولا آتٍ نسائلُهُ
وله من قصيدة صاحبة وكان صاحب أخذه معه من بغداد إلى أصبهان أولها [من
الخفيف] :

قد أطعتُ الغرام فاعصِ العذولا ما عسى عائبُ الهوى أن يقولَا
وصحبناه في فيافٍ قفارٍ كاد فيها الخليل يجفو الخيلا^(٣)
فبلونا منه دماثة أخلا قِ أعادت تلك الحزون سهولا^(٤)

(١) الخوص : النوق ، والنواجي : السراع .

(٢) الصروف : الأحداث والغير، وتشوب : تمزج .

(٣) الفيافي : الفلوات ، والخليل : الصاحب .

(٤) بلونا : وجدنا واختبرنا ، والدمائة : اللين والسهولة ، والحزون : الأرض الصعبة المسالك .

وأوينّا إلى رحابِ رحابٍ لم نجد للعفاة عنها عدولا

وله من تشبيب قصيدة [من الطويل] :

ولم أرَ لي يومَ الرحيل مساعداً على الوجد حتّى أقبل الدّمع مسعدا
وكان دماً فابيضٌ منه احمراره بنار التّصابي حين فاض مصعدا

أخذه من قول من قال [من الطويل] :

أرابك دمعي إذ جرى فحملتني من الضّرّ والبلوى على مركبٍ صعب
فلا تنكرنّ تلك الدموع فإنّما يبيّضها تصعيدها من دم القلب
وللمعروفي بالفارسية في معناه .

خون سيّد بارم بردورخان زردم آرى سيّد باشد خودل معد

وله من قصيدة أخرى ذكر فيها حسن أيامه [من الخفيف] :

كيف تقضي ليّ الليالي قضاءً يشبه العدل والليالي خصومي
ربّ ليلٍ قطعته في هوى الشعر كأنّ الشعرى العبور نديمي
فتأمّل فلست في الخلق والخلق المرادين بالذمّيم الذمّيم
أنا من آلة الندى فلو أحضرتني لم يعب نداماك خيمي^(١)
يرتضى مشهدي ويؤمن غيبي وأرى في الملمّ غير مليم
ومن نوادر شعره قوله [من الكامل] :

لمّا أتيتك زائراً ومسلماً خرج الغلام وقال إنّك نائمٌ
فأجبتّه أبلا لحافٍ نائمٌ هذا المحال وأنت عندي ظالمٌ

(١) الخيم بكسر الخاء : السجية والطبع .

أنت اللّحاف فكيف تطعم عينه طعم الرّقاد وأنت عنه قائم
فتضحك الرשא الغرير وقال لي أو أنت أيضاً بالفضيحة عالم
والله ما أفلتت منه ساعة حتى حلفت له بأنّي صائم

وما يتغنى به من شعره قوله [من الطويل] :

ذريني أوصل لذتي قبل فوتها وشيكاً لتوديع الشباب المفارق^(١)
فما العيش إلّا صحةً وشيبةً وكأسٌ وقربٌ من حبيبٍ موافق
ومن عرف الأيام لم يغترّر بها وبادرَ باللذات قبل العوائق^(٢)

* * *

٢٥ - أبو القاسم الزعفراني عمر بن إبراهيم

من أهل العراق ، شيخ شعراء العصر ، وبقية ممن تقدمهم ، واسطة عقد ندماء الصاحب ، وما هم إلا نجوم الفضل وهذا منهم كالبدر ، وكانت له في صحبته وخدمته هجرة قديمة ، وله حرمة وكيدة ، وحاله عنده كما قرأت في كتاب له وأما شيخنا أبو القاسم الزعفراني أيده الله فصورته لدى صورة الأخ ، أو وده أرسخ . ومحلّه محل العم ، أو اشتراكه أعم .

وكان - مع حسن ديباجة شعره ، وكثرة رونق كلامه ، واختلاط ما ينظمه بأجزاء النفس لنفاسته - لين قشرة العشرة ، ممتع المؤانسة ، حلو المذاكرة ، جامعاً آداب المنادمة . عارفاً بشروط المعاقرة ، حاذقاً بلعب الشطرنج ، متقدم القدم فيه ، وحين سرى في طريق الرشد بمصباح الشيب ، وساعد الصاحب على رفض الشراب ، ونفض تلك الأسباب ، أراداه فخر الدولة على مجالسته وأخذاه بنفض

(١) الوشيك : السريع العاجل .

(٢) بادر : بدأ وياشر ، والعوائق : الموانع .

ختام توبته ، ودرت عليه بحسن رأي صاحب سحائب إنعامه ، وأجنت له ثمرات
إكرامه ، ففي ذلك يقول من قصيدة [من الخفيف] :

هاتها لا عدمت مثلي نديما قهوة تنتج السرور العقيما
قد أطعت الأمير إذ سامني الشر ب ولم أعص أمره المحتوما
وتخطيت توبتي في هواه فوصلت التي هجرت قديما
قرقفاً تنتمي إلى الشمس لا تعرف في جنسها الكرى والكروما
خالفت دنها الغليظ فرقت واستفادت من السموم نسيما^(١)
كُرمت عنصراً فلو مت فيها أبخل الناس غادرته كريما^(٢)
وكأني لما رجعت إليها كنت من كل لذة محروما
كم عقارٍ صليت منها بنارٍ فحكيت الخليل إبراهيم
وكؤوسٍ شربت منها سروراً كاد يهوي والجلد ينمي هموما
قد وجدت الروض الأريض حميماً ووجدت الخسيف عاد حموما^(٣)
شافهت بي مناي بالقرم فخر الدولة اليوم جنة ونعيما^(٤)
وبلغت الذي تمنيت واستخدمت فاخترت مجلساً مخدوما
ورآني الأمير أيده الله ليباً فقال كن لي نديما
جهل الرزق موضعي ورأى آ ثار شاهنشاه فصار عليما
أرشدته إلي كفو كريم ألزمته أن لا يكون لثيما

وكان قد نادى أخاه عضد الدولة ، وله فيه القصيدة الشطرنجية التي لم يسبق

إلى مثلها ، وهي نهاية في الحسن والظرف ، فمنها [من الخفيف] :

(١) السموم : الريح التي تهب صيفاً وهي شديدة الحرارة .

(٢) مت : مدّ ووصل بها .

(٣) الحميم : الماء الحار : والخسيف : البثر التي تحفر في مكان متحجّر فتنبع بماء كثير .

(٤) شافهت : أوجدت وحصلت ، والقرم : السيد .

لي فؤادٌ لو أنَّه لي غريمٌ كان عذري لديه أتي عديم
 وأنا مبتلىٌ بقلبي الذي أقعد فيما يسومني وأقوم
 ليس يدري لجهله وهو يقضي أن كَلِّي بما جناه زعيم
 غصبتني عليه خودٌ وقالت أنا من قد عرفت واسمي ظلومٌ
 هو ثأرُ نالته يمناي فاطلبه بحربٍ يشيب فيها الفطيم^(١)
 وانثنت بي إلى مجالٍ فسيحٍ تدمنُ الرُكُض فيه زنجٌ وروم
 فأقمنا صدور فرسان حربٍ خلف رجالة لها لا تريم^(٢)
 وإذا استقدمتُ تقدمت الخيل وطاب الطراد والتصميم
 فالتقى العسكران في حومة النقع أسودٌ على أسودٍ تحوم
 كلُّ فيلٍ نُجَّت من الصلَم أذنا ه وأودى ناباه والخرطوم^(٣)
 وطمراً إذا علت العوالي غاب فيها وعاد وهو سليم
 فاختلفنا وجال في الحرب فرزا ني وقال الكميُّ من لا يخيم^(٤)
 ثم نادى شاهي برخيه كراً ليس بعد الوقوف إلا الهجوم
 فأحاطا بشاهنا في مضيقٍ ضاق ذرعاً بمثله المكظوم
 ثم أزعجته بفيلي فولَّى مستكيناً كما يولي اللثيم
 وكشفت العراء عن وجه رخي فعراه الحمام وهو ملیم
 فتخفت من الحياء وغطت ورد خدَّ كأنه ملطوم
 ثم قالت خذِ الفؤاد سليماً إن حبس المرهون عارٌ ولوم
 ولشتان بين خيلي في الغيِّ وخيل صراطها مستقيم
 قارع الدهر فوقها عضد الدو لة حتى انتهى إلى ما يروم

-
- (١) الفطيم : الطفل الذي فصل عن الرضاع .
 (٢) لا تريم : لا تفارق ولا تبعد أي تثبت في المواجهة .
 (٣) نُجَّت : نزعت وسلخت ، والصلَم : القطع .
 (٤) الفرزان : من حجارة الشطرنج ، ويخيم : يتراجع .

فأباد العدا وقام به الدين وركن الخلافة المهذوم
 وستقرت به زلازل بغدا د وعاد الخليفة المظلوم
 ومن غرر قصائده في فخر الدولة [من الكامل] :

لو عاينتُ عيناك بركةَ زلزلٍ ونزلت من عرصاتِها في منزلٍ^(١)
 عمرتَ دورَ قيانها بك جامعاً بين الغزالة والغزال الأكحلِ
 وبسطتَ كفيَّ باذلٍ متخرِّقٍ فأقمت غير محلىءٍ عن منهلٍ^(٢)
 وسمعت ما يدعو النفوس إلى الهوى طرباً ويفتح كلَّ قلبٍ مقفلٍ
 وشربت صافيةً كأنَّ شعاعها لهبُ الحريق من الرحيق السلسلِ
 وغدوت مخموراً جنب هوىً إلى جِجَرِ الجواري غدوة المتغزلِ^(٣)
 فسرحت بين قدودها وخدودها ونهودها طرف الشَّجي المتأملِ
 وملكت منهنَّ التي لو أنَّها طيفٌ لفزت بقربه المتخيِّلِ
 وثويت في قفرٍ بشاطيء دجلةٍ ما بين مزمارٍ وعودٍ معملٍ^(٤)
 متنقلاً من روضةٍ مهضوبةٍ حلَّت إلى الروض الذي لم يحلِ
 ورقدت بالنَّجميَّ رقدة شاربٍ تحت الغصون وحملها المتهدِّلِ^(٥)
 وسباك صوت خريـر ماءٍ سائحٍ وشجاك تغريدُ الحمام المهدِّلِ
 وسعيت سعيّاً في البطالة والصبا لم يدر دمعك في محلٍ محولِ
 ولقلت وأسفاً على القصف الذي لم أجنه بالقفص أو قطربُلٍ^(٦)
 لا أتبعُ الأعراب إنَّهم قوَّضوا من مجهلٍ حتى أخطَّ بمجهلِ

(١) العرصات : الساحات .

(٢) المتخرِّق : المتلف ، ومحلَّى : حابس ومانع .

(٣) المتغزل : المشبَّب والمتودَّد .

(٤) معمل : أي يضرب عليه .

(٥) المتهدِّل : اليانع المتدلي .

(٦) القفص وقطربُل : إسمان لمكانين .

وصرير أرجاء السرير بمسمعي
 فالكرخ دارُ اللهو أعذبُ مشرعاً
 لا درُّ درُّ العيش في مترجٍ
 خفضُ عليك وكلُّ خفضٍ إنما
 والعيش عندي ما حبيت بدره
 قد ألفت الدنيا أزمتهَا إلى
 فاطربُ سروراً بالزمان وحسنه
 وأحلى بقلبي من صريرِ المحمل^(١)
 من مشرعٍ يختصُّ دارةً جلجل^(٢)
 بمخيمٍ بين الدخول فحومل
 أوقاته فرصٌ تعنُّ لمعجل
 في ظلِّ مغشيِّ الجنب مؤمل
 ملكِ الملوك عليّ بنِ أبي علي
 واشرب على إقبال دولة مقبل

وقوله من نيروزية [من الخفيف] :

بي سكرٌ ما ولَّدتهُ العقار
 أنا من غادرته أيدي المطايا
 أيها الليل عَقَّهم بدياجيك وهيهات ذاك فيهم نوار
 عادةً ما دجا عليها ظلامٌ
 يا ربيع الربيع للعيش من بعد اصفرارٍ براحتيك اخضرارُ
 لا يحول الذي بكفك يسقي بل يحول الذي سقاه القطار^(٣)
 فهنيئاً بطيب فصلٍ ويومٍ زار فيه نيروزك الزوارُ
 يخصب المجد في ذراك وتخصُّرُ الأيادي وتورق الأخبار
 وتغنِّيك في النديّ طيورُ أنا وحدي من بينهن الهزار^(٤)
 ومن غرر قصائده صاحبة قوله من قصيدة [من الطويل] :

(١) الصرير : الصوت .

(٢) دارة جلجل : أي تلك التي ذكرها امرؤ القيس في شعره .

(٣) حال : تغيّر وزال ، والقطار : جمع قطر ، وهو المطر .

(٤) النديّ : مجتمع القوم ، والهزار : وهو طائر العندليب ، وفارسيته : هزارستان ، وله أسماء أخرى بالفارسية .

وليلٍ دعاني فجره فلقيته
إذا شئت خضنا في حديث منمنمٍ
يردّ شبابي وهو عني شاسعٌ
ومنها في المدح [من الطويل] :

لقد أعتقتني نعمةً لك أطلقتُ
فإنّ أنتسب كان انتسابي إلى أبي
ومن أخرى [من الطويل] :

وصرت إلى الباب الذي ليس دونه
فما شمت إلّا بارقاً كان صادقاً
وقوله من أخرى [من البسيط] :

مُسَدَّدٌ ضربت أيام دولته
هدى إلى الحقّ وانهلّت يده ندىً
لي عند جرجان ثارٌ سوف أطلبه
حتى أراه فأستغني برؤيته
وقوله فيه ، وقد أزمع الورود عليه والطريق مخيفة [من مجزوء الكامل] :

يا شوقٌ قد قَرَّبَ السفر
وغداً بإذن الله أو
ويسير بي التيسير في
ودنا الرحيل المنتظر
تاليه يظهر ما استترُ
زمرٍ بأيديهم زبر^(٤)

(١) عِمْنَا : تنعمنا وشربنا، وإلّالرحيق : الخمر، والمعنّى : القديم .

(٢) القد : أصله الجلد الذي تحصف به النعال ، وأراد هنا ما تغلّ به اليد .

(٣) المعنّى : المحرّر .

(٤) الزبر : جمع زبرة وهي القطعة العظيمة من الحديد .

سيراً يشتر بالسعا دة والسّلامة والظفر
 سنيف بي الفرس الأغـر غداً على الملك الأغـر^(١)
 يا حاديي تيقنا أني أفارق من فتر^(٢)
 وينال رفدي منكما ماضٍ يقهقه إن عثر
 لا يقشعر إذا دنا منه الغصنفر أو زار
 وردي ووردكما سري ينسيكما ذكر الصدر^(٣)
 إن جال في عيني الكرى رفقا فاعقبها العور^(٤)
 لا زلت أبدع في السرى فعلاً تعاضمه القدر^(٥)
 وأشق قلب الليل عن ولدٍ يقال له السحر
 حتى يقول الحزن لي والسّهل لست من البشر
 وتقول خوص تجائي لا خاب سعيك يا عمر
 إن الجليل من الثوا ب لمن يدق في النّظر
 سأغض عن زهر الكوا كب أو يعن لي القمر
 إني أخف إلى البحو ر ولا أسف إلى المطر^(٦)
 وإذا لقيت الصاحب المأمون أدركت الوطر
 وإذا جلست علوت ديباجاً وسائده بدر^(٧)
 وإذا ركبت مشى عبيدي في المناطق والحبر^(٨)

(١) نيف : يشرف .

(٢) فتر : ضعف وسكن .

(٣) الورد : الاشراف على الماء ، والصدر : الرجوع عنه .

(٤) رفقا : أي من أجل رفقي بنفسي .

(٥) السرى : المسير ليلاً .

(٦) أسف : أطلب وأقصد ، وأسف الرجل : أي طلب الأمور الدنيئة .

(٧) بدر : أكياس من المال .

(٨) المناطق : جمع منطقة وهو ما يشدّ به الوسط من الثياب ، والحبر : الأثوب الناعمة الجديدة المفوظة .

وأقيم مبتسماً إقاً مة من يزداد إذا شكر
 في نعمة تصفو عليّ به وأخرى تنتظر
 ذكروا فساد طريقنا واستشعروا منه الحذر
 قلتُ أركبوه على الذي فيه وإن عظم الخطر
 فالله خير حافظاً واسمُ الوزير لنا وزر^(١)
 إن كان غاب فخوفه في كلِّ قلبٍ قد حضر
 ملكٌ تخرُّ له الملو ك الصيّد من مدِّ البصر
 فالطيب فوق لحاهمُ وجباههم تحت العفر^(٢)
 وأجلّهم من جدٍّ منـه إليه في وقت النّظر
 جرجان ما نصبي ولا دأبي إليك على غرر^(٣)
 فيك الذي من ماله لحمي وجلديّ الشّعـر
 لولا ابنُ عبادٍ رأيت الصّبر أفضل مدّخر
 وسلكت في زهدٍ عن الـ دنّيا سبيلُ من انزجر

واعتل قبل ورده فقال ووصله بهذه القصيدة [من مجزوء الكامل] :

قد كنت أحسب أن عيني سوف تظفر بالنظر
 وفي سبيلهم أحمصيك وما وطئت من العفر^(٤)
 وإذا بلغتك سالماً في النفس أدركت الوطر
 حتّى منيت بعائقٍ ينهى العليل عن السّقر
 حمى يعاضدها السّعا ل وما برجلي من خدر
 ولعلّ سيدنا إذا عرف المعوّق لي عذر

(١) وزر : عونٌ وحى .

(٢) العفر : ظاهر التراب .

(٣) النصب : التعب والجهد .

(٤) الأخص : ما لم يصب الأرض من باطن القدم .

وقوله من أخرى في فخر الدولة [من الطويل] :

حبيبٌ عليه من سناء رقيبٌ يضدُّ الدُّجى عن وجهه فيغيبُ
تيمِّمني والليل في طرقاته فلمَّا تبدَّى حال عنه مريبٌ^(١)
تحمِّل لوم الشمس فيه وجاءني هلالٌ عن البدر المنير ينوب
فكان لراحي وارتياحي ومجلسي وكلِّي بطيبِ الوقت منه نصيب
وساعدني ليلي وأرعى سدوله وهبٌ نسيمٌ للحياة نسيب
وأنعمتَ حتى ليس يشاق عاشقٌ حبيباً ولا ينوي الإياب غريب

ومنها في المدح [من الطويل] :

ومزمعٍ حجٍّ ينشني عنك ماضياً ويذكر ما أوليته فيؤوب^(٢)
عممت الورى بالبرحى كأنما يردُّ عليهم من لهاك غصوب^(٣)
وعرَّفهم طرق الثناء فكلُّهم على طبقاتٍ شاعرٌ وخطيب
رأى المزن ما تعطي فضمَّ على الأسى فؤاداً كأنَّ البرق فيه طيب
وكم لاح برقٌ وابتسمت لشائمٍ فكنت صدوق الوبل وهو كذوب

وقوله من أخرى فيه [من المنسرح] :

يا سامع الزُّور فيَّ لي ذِمٌّ منها الضنى في هواك والسَّقمُ
أنت الذي دنت بالسَّجود له حتَّى لقد قيل ربُّه صنمٌ^(٤)
ولي فؤادٌ غدوت ماله بلا شريكٍ فليس ينقسم
حتَّى إذا صرت في ذرى فلك الـ أمة حيت التقت به الأمم

(١) تيمَّم : قصد نحوي ، وتبدَّى : ظهر .

(٢) المزمع : إسم الفاعل من أزمع ، وهو المجمع على الأمر الثابت عليه .

(٣) اللهى : العطايا أو أفضلها وأجزؤها .

(٤) دنت : خضعت واعتقدت .

خِيَّمْتُ فِي دَوْلَةٍ مُجَدَّدَةٍ خِيَمَ فِيهَا الْوَفَاءُ وَالكَرَمُ
وَقَلْتُ لِلسَّقَرِ قَدْ وَصَلْتُ إِلَى مَنَاسِكِ ، رَحَلِي ، وَنَاقَتِي لَكُمْ
أَكْرَمَ بِحَظِّي لَقَدْ أَتَى فَمَحَا مَا خَطَّهُ فِي جِئِنِي الْعَدَمُ
وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي الصَّاحِبِ يَصِفُ فِيهَا عِلَّتَهُ بِجَرَجَانٍ وَتَأْذِيَهُ بِهَوَائِهَا وَبِرَاغِيثِهَا
وَبَقِهَا وَيَسْتَأْذِنُهُ لِلْعُودِ إِلَى أَصْفَهَانَ [مِنْ الْوَافِرِ] :

أَلَا يَا حَيُّ جَادَتِكَ الْغَوَادِي مَجْلَلَةَ الْعِزَالِي وَالْمَزَادِ^(١)
وَلَا زَالَتْ رَبَّاكَ تَفُوحُ مَسْكَاً يَضُوعُ نَسِيمُهُ فِي كُلِّ نَادِي
فَاتَّكَ جَنَّةُ الدُّنْيَا لثَاوٍ أَقَامَ بِخَيْرِ أَمْصَارِ الْبِلَادِ
وَأُمٌّ لِلْغَرِيبِ فَكُلُّ آتٍ نَظِيرُ بَنِيكَ عِنْدَكَ فِي الْوِلَادِ
فَوَاسَفِي عَلَى زَمَنِ جَنَى لِي وَدَادَكَ وَاجْتَنَى لَكَ مِنْ وَدَادِي
كَذَا الْمَلِكِ ابْنَ عِبَادٍ عِمَادِ الْهَدَى وَرَدَى الْعِدَا وَحَيَا الْعِبَادِ
وَمَنْ بَرَقَاهُ دُونَ ظَبَاهِ أُسْرَى فَأُصْلِحَ بَيْنَ غِيْكَ وَالرَّشَادِ
وَجَادَ فَكَانَ أَجْرِي مِنْ سَحَابٍ سَقَى زَهْرَ الرُّوَابِي وَالْوَهَادِ
وَقَدْ أَصْبَحْتُ بَعْدَكَ فِي بَلِيدٍ دَرِيَّةٌ كُلٌّ دَاهِيَةٌ نَادِي^(٢)
وَلَوْلَا أَنْ سَيِّدَنَا بِهِ لَمْ تَكُنْ جَرَجَانُ تَشْنَى مِنْ قِيَادِي
أَقَمْتُ بِهَا أَعَالِجَ كُلِّ بَوْسٍ مِنْ الْأَعْلَالِ لَا الْعِيشِ الْمَهَادِ
تَحَدَّثْنِي بِحَمَى لَوْ تَبَدَّتْ بِخَيْرِ الْحَقَّتْهَا بِالْبُودِي
مَلَاذِمَةٌ إِذَا لَسَعْتَ شَقِيّاً فَكُلُّ زَمَانِهَا وَقْتُ الْعِدَادِ^(٣)
تَعَاوَنَهَا عَلَيَّ سَمُومَ صَيْفٍ بَلْفَحٍ مِنْ لَظَاهُ وَاتَّقَادِ
وَذَبَّانُ أَشْرَدَهَا فَتَابِي وَتَرْجَعُ كَالْمِرَاغِمِ ذِي الْكِيَادِ

(١) جادتك : حلّت بديارك ، والغوادي : السحاب الممطر ، والعزالي : جمع عزلاء وهي مصب الماء .

(٢) الدريّة : على زنة فعيلة - ما يتعلم عليه الطعن ، والنّادي : النازلة .

(٣) وقت العداد : وقت الموت ، أو وقت احتياج الألم .

أفرق بين ذي سغب وزاد^(١)
فأني حين يطرق في جهاد
يطل عليّ إطلال الجراد
براغثه وخمشي في طراد
فعال النار في يس القتاد^(٢)
بعوج كالمباضع في الفصاد
عليّ وهنّ كالهيم الصوادي^(٣)
دمى فأنال ثاراً من أعادي^(٤)
وتجمع بين جفني والسّهاد
لحالت بين طرفي والرقاد
وعطف الردن وهو لهنّ بادي
بوجه مجدر قلق الوساد
فيحسبني جربت ذوو عنادي
بما ضاقت به حيلي وآدي^(٥)
ولا ليل يقيني منه فادي
وعبدي لا يجب إذا أنادي
فأذكر ضيق لحدي وانفرادي
أزود بها وما يغني ذيادي^(٦)

كأني حين أطردها وتأبى
ويا ويلي من الليل الموافي
له جيشاً براغيث وبق
ولي فرش هي الميدان فيه
وبق فعله في كل عضو
عصائب ينتحين على عروقي
فتروى ثم ترجع عاطفات
وأنقف بعضهنّ وفي حشاها
تفرق بين جنبي والحشايا
ولو أتي ثملت وملت سكرأ
وأستر دونها وجهي بكفي
وأظهر في صباحي كل يوم
وأدمن حكّ ما تركت بجسمي
وقد وقف الوزير وزير على بلائي
وإنّي لا نهار أقرّ فيه
صديقي في دجا ليلي عدوي
وأترك في ظلام دجاه وحدي
وفي يمناي مروحة فطوراً

(١) السغب : الجوع .

(٢) القتاد : شجر صلب شوكة كالإبر .

(٣) الهيم : الابل العطاش .

(٤) النقف : كسر الهامة عن الدماغ ، والمراد : أخذها وإماتها .

(٥) الآد : الصلب والقوة .

(٦) الذیاد : الدفع والطرء ، كالذود .

وطوراً أستريح إلى انتصابي وطوراً أنثني ويدي اعتمادي
وعلمني البعوض بلطم خدي خلّاق لسنّ من شيمي وعادي^(١)
فهل للصاحب المأمول عطفٌ على عجزني عن الكرب الشّداد
بإذنٍ لست أسأله اختباراً ولكنّ اضطراري في ازدياد
شقاءٌ لا يعاقبه رخاءٌ وبلوى تستنيم إلى التّماذي
وسيدنا أدقّ الناس حدساً وأعرفهم بدخلة من يصادي^(٢)
وحسبي ما بلّاه في اختياري وشاهد من ولائي واعتقادي
وأنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني الزعفراني لنفسه [من الخفيف] :

لي لسانٌ كأنّه لي مُعادي ليس ينبي عن كنه ما في فؤادي^(٣)
حكم الله لي عليه فلو أنصف قلبي عرفت قدر ودادي
وأنشدني له من قصيدة فصلية هذين البيتين ، وأظهر إعجاباً شديداً بهما ، [من
الوافر] :

وفصلٍ فيه للأرض اختيالٌ لأنّ جميع ما لبست حرير
وللأغصان من طربٍ ثنٌّ إذا جعلت تغنيها الطيور

* * *

٢٦ - أبو دلف الخزر جي الينبوعي

مسعر بن مهلهل

شاعر كثير الملح والظرف ، مشحوذ المدية في الجدية ، خنق التسعين في

(١) الخلّاق : أي أخلاق ، وشيمي : صفاتي .

(٢) الحدس : قوة التوقع ، والدخلة : الإضرار والبطوة ، يصادي : يداري .

(٣) ينبي : يخبر ، وكنه : معنى ونية .

الإطراب والاعتراب ، وركوب الأسفار الصعاب ، وضرب صفحة المحراب
بالجرب . في خدمة العلوم والآداب . وفي تدويخه البلاد يقول من أبيات أنشدنيها
أبو الفضل الهمداني [من الهزج] :

وقد صارت بلاد الله في ظعني وفي حلّي
تغايرن بلبشي و تحاسدن على رحلي^(١)
فما أنزلها إلّا على أنسٍ من الأهل

وكان يتتاب حضرة صاحب ، ويكثر المقام عنده ، ويكثر سواد غاشيته
وحاشيته ، ويرتفق بخدمته ، ويرتزق في جملته ، ويتزود كتبه في أسفاره ،
فتجري مجرى السفاتج في قضاء أوطاره^(٢) ، وكان صاحب يحفظ مناكاة^(٣) بني
ساسان حفظاً عجيباً ، ويعجبه من أبي دلف وفور حظه منها ، وكانا يتجاذبان
أهدابها ويجريان فيما لا يفطن له حاضرهما ، ولما أتخفه أبو دلف بقصيدته التي
عارض بها دالية الأحنف العكبري في المناكاة وذكر المكدين والتنبيه على فنون
حرفهم وأنواع رسومهم وتنادر بإدخال الخليفة المطيع لله في جملتهم وقد فسرهما
تفسيراً شافياً كافياً اهتز ونشط لها وتبجّع بها وتحفظ كلها وأجزل صلته عليها ، وقد
كتبت معظمها بأخرة ، وكان السلامي هجاه بالأبيات التي أولها [من الخفيف] :

قال يوماً لنا أبو دلفٍ أـــــــبرّد من تطرّق الهموم فؤادَه
لي شعراً كالماء قلت أصاب الـــــــشيخ لكن لفظه برّاده
أنت شيخ المنجمين ولكنّ لست في حكمهم تنال السّعادة
وطبيب مجربٍ ما له بالـــــــحذق في كلّ من يجربُ عادة

(١) اللبث : الإقامة ، والتغاير : التحاسد من الغيرة .

(٢) السفاتج : من السفنجة ، وهي أن تعطي مالا لشخص ما على أن تسترده من عميل له في بلد أنت
تقصده .

(٣) يحفظ مناكاة : أي القصيدة التي تجمع حيلهم وألاعيبهم .

مرَّ يوماً إلى مريضٍ فقلنا قرَّ عيناً فقد رزقت الشَّهادة
فقال له أبودلف [من البسيط] :

ظلَّ السَّلاميُّ يهجوني فقلت له حيت قلبي ومعشوقي وأستاذي
إن لم تكن ذاكرًا بالريِّ صحبتنا فاذكر ضراطك من تحتي ببغداد

وأنشدني عون بن الحسين الهمداني ، قال : أنشدني أبودلف الخزرجي
الينبوعي لنفسه في أبي عبد الله العلوي [من مجزوء الكامل] :

لولا النبيُّ محمدٌ ووصيُّه ثمَّ البتول^(١)
لعلمت أتي شاعرٌ أسمُ الرِّجال بما أقول^(٢)
لكنني أعرضت عن ذاك الحديث وفيه طولُ
وتركت للخمر الخما ر ، وجبَّذا تلك الشمول

وأنشدني أبو علي محمد بن عمر البلخي ، قال : أنشدني أبودلف
الخرزجي لنفسه في إنسان كاتب بالدينور يقال له المشقاع [من الكامل] :

يا من يسألني عن المشقاعِ قد ضاق شعري عنده ورقاعي
كاتبته في حاجةٍ عرضتُ لنا فكأنتي كاتبٌ وحش القاع
نعم الفتى لو لم تكن أخلاقه ممزوجةً بتوابل الفقاع^(٣)
أنا مثله في جنسه من طرزه إن لم أضرَّطه على الإيقاع

وأنشدني بديع الزمان لأبي دلف ، ونسبه في بعض المقامات إلى أبي الفتح
الإسكندري [من مخلع البسيط] :

ويحك هذا الزمان زورٌ فلا يغرتك الغرورُ

(١) البتول : أي فاطمة الزهراء عليها السلام .

(٢) أسم : أصف وأنعت .

(٣) الفقاع : التوابل الفاسدة الخبيثة .

زَوْقٌ وَمَخْرِقٌ وَكُلٌّ وَأَطْبَقٌ وَاسْرِقْ وَطَلَبِقْ لِمَنْ يَزُورُ^(١)
لا تلتزم حالةً ولكنْ درُ بالليالي كما تدورُ

* * *

وهذا ما اخترته من قصيدته الساسانية^(٢) التي أولها [من الهزج] :

جفونٌ دمعها يجري لطول الصدِّ والهجرِ
وقلبٌ ترك الوجد به جمراً على جمرٍ
لقد ذقت الهوى طعمين من حلوٍّ ومن مرٍّ
ومن كان منَ الأحرار يسلو سلوة الحرِّ
ولا سيما وفي الغربة أودى أكثر العمر
تعريت كغصن البان بين الورق والخضر
وشاهدت أعاجيباً وألواناً من الدهر
فطابت بالنوى نفسي على الإمساك والفطر
على أني من القوم السبهايل بنى الغر^(٣)
بنى ساسان والهامي السحمي في سالف العصر
تغرّينا إلى أنا تناءينا إلى شهر
فظلّ البينُ يرمينا نوى بطناً إلى ظهر
كما قد تفعل الريح بكُثبِ الرمل في البر^(٤)

(١) طلبق : كذّب واختلق .

(٢) نوساسان قومٌ من العيارين والشطار لهم حيلٌ ونوادر ، وقد وضعوا لهم اصطلاحات وألفاظاً اخترعوها
تجدها منثورة في هذه القصيدة ، ولصفي الدين الحلّي قصيدة أخرى أسماها القصيدة الساسانية في خمسة
وأربعين ومائة بيت ، وفي مقامات بديع الزمان الهمذاني مقامة اسمها « المقامة الساسانية » فيها كثير
من حيلهم .

(٣) السبهايل : السادة الكرام .

(٤) الكُثب : جمع كتيب ، وهو التلّ من الرمل .

فطبنا نأخذ الأوقا ت في العسر وفي اليسر
فما نفكك من صمّي وما نفترّ من متر
فأحلى ما وجدنا العيش بين الكمد والخمر
الصمّي : الشرب ، والمتر ، والكمد : هو النيك .

فنحن الناس كلّ الناس في البرّ وفي البحر
أخذنا جزية الخلق من الصّين إلى مصر
إلى طنجة بل في كلّ أرض خيلنا تسري
إذا ضاق بنا قطرٌ نزلُ عنه إلى قطر
لنا الدنيا بما فيها من الإسلام والكفر
فنصطاف على الثلج ونشتو بلد التمر
فنحن الميزقانيون لا ندفع عن كبر^(١)
همّ شتّى فسلني عنهم ينبيك ذو خبر
فمنا كل كماء اللبوسات مع الهر
ومنا كل صلاح بكيدٍ وافرٍ نكر

الكماد : النيك ، واللبوسات : الأحراح ، والهر : الدبر ، والصلاح :
الذي يصلح أي يجلد عميرة ، والكيد : الأير .

قد استكفى بكفّيه عن الثيّب والبكر
فلا يخشى من الإثم ولا يؤخذ بالمهر
ولا يحذر من حيضٍ ولا حملٍ على طهر
ومنا الكاغ والكاغاة والشيشق في النحر^(٢)

الكاغ والكاغاة : المتجانن والمتجاننة ، والشيشق : الحداثد والتعاويد

(١) الميزقانيون : هم أصحاب الكدية ، وميزق : كدى .

(٢) قال الجاحظ : الكاغ الذي يتجنن ويزيد حتى لا يشك أنه مجنون لا دواء له ، لشدة ما ينزل بنفسه ،
وحتى يتعجب من بقاء مثله على مثل حالته .

التي يلقونها على أنفسهم .

وأشكالٌ وأغلالٌ من الجلد أو الصُّفَر

ومن دروز أو حر زأو كوز بالدغر

دروز : إذا دار على السكك والدروب وسخر بالنساء ، حرز : إذا كتب التعاويذ والأحراز ، كوز : إذا أقام في المجلس ، والمكوز : هو الذي يقوم في مجالس القصاص فيأمر القاص أصحابه بإعطائه ثم إذا تفرقوا تقاسموا ما أعطوه . والدغر : المقاسمة .

ومن درّع أو قشّع أو دمع في القرّ

درع : إذا جاء الهراس وطلب قصعة من الهريسة فإذا أعطاه إياها لحسها ، قشع : إذا مشى وعينه إلى الأرض لطلب القطع ، دمع : إذا بكى في الأسواق عند البرد حتى يعطى .

ومن رعس أو كبّس أو غلّس في الفجر

رعس : إذا طاف على حوانيت الباعة فأخذ من هنا جوزة ومن هنا ثمرة وتينة ، كبس : إذا دار فإذا نظر إلى رجل قد حل سفتجته كبسه وأخذ منه قطعة ، غلس : إذا خرج إلى الكدية بغلس .

وحاجورٌ وكذابا ت أهل الأوجه الصفر

الحاجور : الذي يثقب بيضة ويجعلها في حجره وهي تسيل ماء أصفر ، الكذابات : العصابات يشدونها على جباههم فيوهمون أنهم مرضى .

ومن شطّب أو ركب للضربات والعقر

شطب : إذا عقر نفسه بالموسى وجعل يكذب على الأعراب والأكراد واللصوص ، ركب : إذا طلى جسمه بالشيرج حتى يسود جلده وأوهم أنه جلد أو لطمته الجن ليلاً .

ومن مَيَسَّرَ أو مَخْطَرٌ واستنَغَرَ للشَّغَرِ

ميسر : إذا كدى على أنه من الثَّغَرِ، ويقال له : الميسراني . مخطر : إذا بلغ لسانه وأوهم أن الروم قطعوه .

ومن ناكذ في القينو ن من جوف أبي شمر

المناكذة : أن يتقاسموا ما يأخذونه من الثياب والسلاح بعلة الغزو .
والقينون : موضع القسمة . أبو شمر : أول من كدى بعلة الغزاة .

ومن رشّ وذو المكوى ومن درمك بالعطر

رش : إذا كدى بعلة ماء الورد يرشه على الناس . ذو المكوى : الذي يبخر الناس . درمك : إذا باع العطر على الطريق .

ومن دكك أو فكك أو بلغك بالحر

المدكك : الذي يخرج اللوى من العصيان ويحتال على من به وجع الضرس حتى يجعل دود الجبن فيما بين أسنانه ثم يخرجهم ويوهم أنه أخرجه بالرقية ، فكك : إذا فك السلاسل على الطرق . بلغك : إذا جر الخواتيم بالإبريسم الرقيق .

ومن قصّ لإسرائيـل أو شبراً على شبر

من قص : هو الذي يروي الحديث عن الأنبياء والحكايات القصار ويقال لها الشبريات .

ومن بشرك أو نوّ ذك أو أشرك بالهبر

بشرك : تزيا بزي الرهبان تزهداً . نوّك : إذا كدى على أنه من الحجاج ، أشرك بالهبر : إذا قاسم شركاءه ما يأخذه .

ومن قدّس أو نَمّس أو شولس بالشعر

قدس : إذا أكل الكبد المطحونة المجففة في شهر رمضان خاصة وأوهم أنه يطوي ولا يفطر في الشهر إلا مرة أو مرتين . نمس : من الناموس . شولس : من الشالوسة ، وهم الزهاد يكدون بلباس الشعر .

ومنا العشيريون بنو الحملة والكرّ

العشيريون : الذين يتشاققون على دوابهم كالغزاة يكدون .

ومنا المصطبانو ن من ميزق بالأسر

المصطبانو ن : قوم يزعمون أنهم خرجوا من الروم وتركوا أهاليهم رهائن عندهم فطافوا البلاد ليجمعوا ما يفكونهم به ، وتكون معهم شعورهم ويقال لذلك الشعر : المصطبان ، ميزق : كدى .

ومنا كلّ زمكدان غدا محدودب الظهر

ومنا كلّ مطراش من المكلوذة البتر

المطراش : الذي معه يده يكدى عليها ، ويقال اليد المقطوعة : المكلوذة .

وفي المدرجة الغبرا ء منا سادة الغبر

المدرجة : هؤلاء قوم يقعدون وينامون في السكك والأسواق على طريق المارة ومدرجة الرياح فتعلوهم غبرة التراب حتى يرحموا ويعطوا .

ومنا كلّ قنّاء على الإنجيل والذكر

القنّاء : الذي يقرأ التوراة والإنجيل ويوهم أنه كان يهودياً أو نصرانياً فأسلم .

ومن ساق الولا بالما ء أو قوس أبي حجر

ومن ساق : هؤلاء قوم يسقون الناس الماء ، والولا : أن يقف فيقول : أنا المولى الأبطحي ، ومنهم من يكون معه قوس عربية ، وأول من فعل ذلك في الحضر أبو حجر .

ومن طفشَل أو زَنَكَل أو سَطَل في السر

طفشل : إذا علق لسانه وتشبه بالأعراب ، زنكل : إذا احتال في سلبهم ، سطل : إذا تعامى وهو بصير ، يقال للأعمى : الأسطيل .

ومن زقى الشغاثات غداءات وبالعصر

زقى : صلى . والشغاثات : المساجد ، واحدها شغائة ، يكدون فيها إذا صلى الناس .

ومن دشش أو رشش أو قشش يستدري

دشش : إذا جعل في استه شبه حشو كحقنة وينام على الطريق ويخرج من استه كالدهيشة ، رشش : إذا كانت معه مبولة مع خصاه فإذا جاءه البول رششه على الناس ، ويقال له : المرشش ، قشش : إذا فسا في المساجد فيتأذى به المصلون فيعطونه حتى يخرج .

ومن يزنق أو يخنق أو يذلُق بالدبر

يزنق : يثقب في بدنه ثقبه وينفخ فيها حتى يتورم بدنه ، يخنق : يصنع المنديل في رقبة نفسه ويفتله حتى ينتفخ رأسه ووجهه ، يذلُق : يمشي عريان الاست .

ومنّا كلّ مستعشٍ من النّعارة الكدر

مستعش : قوم يدورون على أبواب الدور فيما بين العشاءين ويقولون :

رحم الله من عشى الغريب الجائع ، وينعرون بذلك حتى يأخذوا من كل دار كسرة ويرجعوا بها .

ومن شدد في القول ومن رمّد في القصر

ومن شدد : قوم يكون معهم دفاتر حديث يروونها ويشددون على الناس في اللواط وشرب الخمر ، القصر : هو الأتون يدخله الواحد من القوم فيطرح نفسه في الرماد ثم يخرج وعليه غبرة الرماد ، ويوهم أنه أوى إليه من شدة البرد وعدم الملبوس .

ومن يزرع في الهادو ر تكسيحاً من البذر

ومن يزرع في الهادور : قوم ينظرون في الفال والزجر والنجوم ويعطون قوماً دارهم حتى يأتوهم ويسألوهم عن نجمهم وعما هم فيه فينظروا لهم ثم يردون الدراهم عليهم وربما أخذوها وقالوا لا نأخذها لأن نجمك ما خرج كما تريده . الهادور : كلام الحلقة التي يجتمع الناس عليها ، والتكسيح : الممانعة .

إلى أن يقع التنبل في محصدة الجزر

التنبل : هو الأبله الذي يقبل المخاريق على نفسه ، ويغتر بما يورد المنجم عليه ، فيخرج هو أيضاً دراهمه طمعاً في ردها فيأخذها منه ويسخر به .

ومن قنّون أو بنّو ن أو طيّن بالشعر

وقنّون : من المقنون ، وهو الذي يقول : كان أبي نصرانياً وأمي يهودية وإن النبي ﷺ جاءني في النوم وقال : لا تغتر بدين أبويك واتبع ملتي ، فأسلمت . بنون : إذا انتسب إلى البانونية وهم الشطار وقال : كنت محبوساً فاحتلت بكذا حتى خرجت ، طين : إذا طين وجهه وساعديه بطين الحمرة وروى الأشعار على رءوس الأشهاد في الأسواق .

ومنا منفذ الطين وأصحاب اللّحي الحمر

منفذ الطين : قوم يخضبون لحاهم بالحناء ، ويدعون أنهم شيعة ويحملون السبح والألواح من الطين ويزعمون أنها من قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما فيتحفون بها الشيعة .

ومن شقّف بالماء ومن شقّف بالجمر

والمشقّف : هو الذي يأخذ ماء النوشادر فيكتب بها الرقاع ويتركها بين يديه فإذا مر به الأبله قال له جرب بختك وخذ رقعة من هذه فيأخذها ثم يعطيه إياها فيقذفها في النار فيظهر المكتوب أسود ، وقد يعمل هذا الجنس بماء العفص فإذا غمس في ماء الزاج خرج أسود ، ويقال للرقعة : الشقيقة .

ومن كدى على كيسا ن في السرّ وفي الجهر

كيسان : قوم عرفوا قوماً من الكيسانية والغلاة فيجيبونهم ، ويكدون عليهم بالمذهب .

ومنا النائح المبكي ومنا المنشد المطري

والناائح المبكي : قوم ينوحون على الحسين بن علي ، ويروون الأشعار في فضائله ومراثيه ، رضي الله عنه ! .

ومن ضرب في حبّ عليّ وأبي بكر

ومن ضرب في حبّ : قوم يحضرون الأسواق فيقف واحد جانباً ويروي فضائل أبي بكر رضي الله عنه ، ويقف الآخر جانباً ويروي فضائل علي رضي الله عنه ، فلا يفوتهما درهم الناصبي والشيعي ، ثم يتقاسمان الدراهم .

ومن يروي الأسانيد وحشو كلّ قمطر

ومن يروي الأسانيد : هؤلاء قوم يروون الأحاديث على قوارع الطرق .

ومنا كلّ ممرورٍ غدا غيظ بني البظر

كل ممرور : قوم يلبسون الثياب المخرقة ويحلّقون لحاهم ويوهمون أنهم
موسوسون وأن المرار غلب عليهم فيروون ما يريدون من فضائل أهل البيت
وينسبهم العامة إلى الجنون فلا يؤاخذونهم بما يقولون ويأخذون من الشيعة ما
يريدون .

ومن يكحل من مستعرضٍ دمعته تجري

ومن يكحل : هو الذي معه قطنة مغموسة في الزيت يمرها على عينيه لتدمع
ويأخذ في شكاية حاله واستعراض الناس في مسألته وذكر قصته ، وأنه قطع عليه
الطريق أو غصب على ماله ، والمستعرضون أمهر القوم .

وفي الموقف منا كلّ جبارٍ أخى الصبر

كل جبار : هو الذي يقف في المقام قائماً أو قاعداً ولا يبرح أو يأخذ ما
يريد .

متى يحفّ [يقل] بشبا شة الخشنى في خصر

البشاشة : اللحية ، والخشنى : الذي لا يكدي ، وهو عندهم عيب كبير .

وقرّاع أبي موسى لديه دبة البزر

وقرّاع رأس أبي موسى : هو الخشنى ، يقول : إن رأس هذه السفلة عنده
أهون من دبة البزر استخفافاً به وبجفائه .

ولا ينطسُ أو يلحنن ما يطلب بالقسر

وجرار عيالاتٍ عليهم أثر الضرّ

ولا ينطس : لا يذهب ، أو يلحن : يعطي . وجرار عيالات : هو الذي
يكثري الصبيان والنساء ويكدي عليهم .

ومن ينفذ سبحاتٍ وحلوى وأبا شكر

ومن ينفذ سبحات : هو الذي يطرح على أبواب الحوانيت السبحات وأقراص الحلوى ، فمنهم من يعطي ويرد عليه ، ومنهم من يلقي الملح ، ويقال للملح : أبوشكر .

ومنّا حافر الطرس بلا خرط ولا جهر

حافر الطرس : هو الذي يحفر القوالب للتعاويد فيشترها منه قوم أميون لا يكتبون وقد يحفظ البائع النقش الذي عليه فينفذ التعاويد إلى الناس ويوهم أنه كتبها ، ويقال للقالب : الطرس .

وبركوشٌ وبركك ومعطى هالك الجزر

بركوش : هو الذي يتصامم ويقول للإنسان تكلم على هذا الخاتم باسمك واسم أبيك فيسمع ما يقول وينبئه به ، وبركك : هو الذي يقلع الأضراس ويداوي منها ، والهالك : الدواء ، والجزر : البصر ، ويقال للعين : الجزارة .

ومن قرمطٌ أو سرمطٌ أو خطط في سفر

قرمط : هو الذي يكتب التعاويد بالدقيق والجليل من الخط ، وسرمط : كتب ، والسرماط : الكتاب .

وحراقٍ وبزاقٍ بني الشَّخير والنشر

ومن ذكّر والقوم الزكوريون في الصدر

الحراق : الذي تكون معه مرآة تشعل منها النار وتسمى حراقة . والبزاق :

الذي يرقى المجانين وأصحاب العاهات ويتفل عليهم ، ذكر : كدى على الأبواب ، وهو من أجلائهم .

ومن دهشم بالكرش ويستبرد في النهر

ومن دهشم : مخرق وموه بأنه صائم . والكرش الصوم والجوع أيضاً
ويكون قد أكل في منزله فإذا عطش نزل في النهر بركة الاستبراد وشرب ما أراد .

ومن يعطي الضمانات من الزنكلة العفر

الزنكلة والعفر : واحد ، وهم المعافرون يأخذون الحجيج ويضمنون
الجنة .

ويشري عش رضوان بنذر الثمن النزر

ويشري عش رضوان : يعني أنه يقول : إن لم أحج عنك فحظي من الجنة
وقف عليك اللهم اشهد بشراء البيع ، والعش : البيت ، يريد به الجنة .

ومن حنن كفيه وحف الطست كالحر

حنن : هو الذي يخضب كفيه بالحناء ، وحف شاربه فيتركه كالطست
المجلوة وكالحر المنتوف ، فيدعى أنه من الصوفية العلماء الزهاد فيتشبه به
لذلك .

ومنا الشيخ هفصويه ويحيى وأبو زكر

هفصويه : هؤلاء الذين سماهم قوم نبط وعجم ، يكدون ولا يتكلمون
العربية .

ومن كان على رأي ابن سيرين من العبر

ومن كان على رأي ابن سيرين : هؤلاء من البصراء يعبرون الرؤيا ويكدون
من هذه الجهة .

وشكالك وحكالك ومعطى بلح الأجر

الشكاك : الذي يبيع دواء الفار واسمه الشك ، والحكاك : الذي يكون معه

حجارة محمولة من دربند يظهر فيها الحديد من الدراهم والدنانير ، يقال للواحد منها المحك ، بلح الأجر : هو السبح التي تحمل من الجبل يقال لها دموع داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام .

وسمقون عليه السر مل الكحل وذو الغزر

سمقون : الصبي الذي يأخذ بيد الضرير يوهم أنه ابنه ، والسرمل : القميص المخرق .

ومن ربى ومن فتى وأجرى عقد الزرّ

ومن ربى : هؤلاء قوم شطار يقولون بالصاحب والغلام فيربون الصبيان .

ومنا قافة الرزق وأهل الفال والزجر

وقافة الرزق : قوم يتعاطون التنجيم .

ومن يعمل بالزيج وبالتنور والجفر

الجفر : الذي يكون بين أيديهم على هيئة الفلك يدور .

ومنا البشتداریو ن تحت الرّحل كالحر

والبشتداریون : قوم يستأجرهم المكدون الذين يخرجون إلى القرى

فيحملون رحالاتهم وما يجمعون بها من الحب والصوف وغيره .

ومن مرّق في مصطبة الفتیان في قدر

ومن مرق : يطبخون المرق في دار القوم فيبيعونها من المرضى والضعفاء

منهم .

ومنا كلّ مراسٍ جورٍ جاهلٍ هزر

المراس : الحواء معه سلال فيها حيات .

يرى الخشّ فيأتيه بلا خوفٍ ولا دعر
الخش : الأفعى .

فيستل الذي يخشا ه من شصوصة الخزر
الشوص : الأنياب بقلعها ويترك واحدة .

ويبقى منه ما يصلح للمحنة والسّبر
فقد أنزل فيه ملك الموت على قبر
فهذا هالكٌ لسعاً وهذا كفّه ييري
وقد يلتمس الخبز بمكروء من الأمر
ومنّا كلٌ نطّاسٍ على البزرك مستجري

النطاس : القوي القلب من الدستكارين تراهم على الدواب ومعهم
الكلايب والمباضع يداوون الرمدي وغيرهم من الأعلال ، والبزرك : المواضع .

ومنّا كلٌ من شرشر بالهلاب والكسر

الشرشرة : القمار ، والهلاب : الثياب ، والكسر : الدرهم والمرجان
والدينار .

إذا حاف عليه بخته سقّف بالنّحر

وحاف عليه : يعني أنه إذا قمر فانقلب الفص عليه رفع طرفه إلى السقف
ونحر نحو السماء وتكلم بالكفر .

ومنّا كلٌ إسّطيلٍ نقيّ الذهن والفكر

الإسّطيل : الأعمى .

ومنّا كلٌ سبّاعٍ عظيم اللّيث والبير

ومن قرّد أو دبّاب من كلّ فتي غمر

ومن قرد أو دب : هم الذين يكدون على الدبة والسباع والقردة :

وسمّانٍ ووسنانٍ ومن قتّت كالكبر

والسمان : الذي يعطي النساء دواء السمن ، والسنان : الذي يعطي دواء الأسنان ، وقتت : أكل القت بين أيدي الناس كالجمل .

ودكّاك السفوفات لريح الجوف والخصر

الدكاك : الذي يرقى من القولنج ، ويكون معه حب مصنوع يحتال حتى يبلعه العليل فيزعم أنه انحل بالرقية .

ومنا ذو الوفا الحرّ المدلّج ذو الكرّ

والمدلج : الذي يأخذ حاجته من البقال والجبان ويحصل عليه أجرة الشهر لبيته فيهرب ليلاً ويفوز بما يلزمه أدائه .

ومنا شعراء الأر ض أهل البدو والحضر

ومنا سائر الأنصار والأشراف من فھر

ومنا قيّم الدين السّـمطيع الشائع الذكر

يكدى من معزّ الدو لة الخبز على قدر

ومن يطحن ما يطحن بالشّدة والكسر

ومن يطحن : هم الذين يطحنون النوى والحديد والزجاج بأيديهم

وأضراسهم .

ومطليّ دم الأخّ مع المصموغ كالبشر

ومطليّ دم الأخ : هم الذين يضربون دم الأخوين والكثيراء والصموغ

وينفخونها على أجسادهم فتخرج بهم بثور يمرضون منها فيكدون .

ومنا كلّ مشقاعٍ من الفتيان كاللغر

المشقاع : الأرعن الذي يكتري الثياب البيض ويلبسها . واللغر : هم
السفل من الناس .

يلذ الشورز الوجدا ن بالخبّ وبالمكر
الشورز : الأمرد . ويلذ : يدور به العرب من المكدين فيؤدبه ، ويقول :
هذه الفتوة ، ولا يجوز أن تكون وحدك ، فإما أن تصير غلاماً لأحدنا وإما أن تخرج
من دار الفتیان ، فإذا صار مع أحدهم طبخ له قدر الدسكرة ، ويقال للقدر بما
فيها : الخشوب .

إلى أن يأكل الخشبو ب كرساً أكل مضطر
وما في البيت غير البست أو بارية القفر
وما للشورز سوء سوى الغيلة والغدر
وأن يصميه حتى تراه طافح السكر
يصميه : يسقيه الصمى ، وهو الخمر .

فتجري فيه كيزات البهاليل ولا يدري
الكيزات : الأيور : البهاليل : رؤساء المكدين .

ومنا سعة الريح لضرب الكلب والهـرّ
وسعة الريح : قوم يرددون رعدة شديدة تهتز لها مفاصلهم وتضطك
أسنانهم ، ويقول أحدهم : إنه قتل سنوراً أو كلباً فلطمته الجن .

وذو القصعة والمسرا د والمكناس والعشر
وذو القصعة والمسراد : هؤلاء قوم ينخلون التراب في الطرق ويعلقون على
أنفسهم القصاع ويغسلون الأسواق بالماء ويخرجون إلى البيادر فليقطن القصرى
وهو ما بقي في السنبل من الحب [بعد أن يداس] .

وفي الأسواق والأنها ر والييدر والقصر
ومن يقرأ بالسبع وإدغام أبي عمر [و]
وأصحاب المقالات من الفاجر والبر
ومن علفة ركب الباز مع الصقر

ومن علفة : هذه امرأة تتزوج بمن يحسن أن يكدي فيشد يدها مجموعة
الأصابع ويدعى أنها مقطوعة ويسمى الباز ، وربما عوجها كأنها مفلوجة ،
والصقر : هو أن يشد عينيها ويقول : إنها رمدي أو عوراء ويقال لها أيضاً النعلة .

ومن الكابليون ومن يلعب بالجر
ومن يمشي على الحبل ومن يصعد بالبكر
ومن الزنج والزط سوى الكباجة السمر
والكباجة : اللصوص ، كبح إذا سرق .

ومن صما يوماً فقد هرب في المصر
ومن صما : يقول إن من شرب منا الخمر وعرف به فقد أفسد على نفسه
البلد ، والشيء الرديء الفاسد يقال له الهريب ، والشيء الجيد يقال له الكسيح .

ومن كل ذي سمت خشوع القن كالحبر
يرقي وتراه با كياً دمعته تجري
فإن كبن في السر فبالمذقان يستذري

كبن : خري ، والكبن الاسم منه ، يقول : إنه يظهر الورع والزهد فإذا خلا
المسجد وأخذ البطن يخري تحت السارية أو خلف المنارة ويمسح استه بالمذقان
وهو المحراب .

وإن كرس لا والله لا تم إلى الظهر
ومن صاح بأمين من المزلق والذعر

من المزلق : يريد هؤلاء العراة ، الواحد مزلق ، يصيحون بآمين من
الأسواق .

سخام القصّ قد نقّـعهم مثل بني النّمر
سخام القصي : سواد الأتون .

فذا بقالنا سطلٌ وذا استأذنا خري
فذا بقالنا سطل : يقول إذا صاحوا بآمين دعوا على أصحاب الحوانيت ذا
بقالنا أعمه يارب .

وذا فصابنا عسمٌ وذا البزاز لا تبري
وعسم : من العسوم وهو المفلوج .

ومن ردّهم غُلّف من غالبه الحجر
ومنّا كل من يمرح في الإسّطيل كالمهر
ومن كدّة بهلولٍ تخطّى ثمّ كالحجر
الإسّطيل : الجامع ، والكدة : المرأة التي تسأل الناس ومعها زوجها في
الجامع .

ومن يخرج باليابـس يوم الفطر والنحر
من يخرج باليابس : قوم يخرجون في أيام الأعياد إلى المصلّى عراة حفاة
يكدون .

ومنّا من تمشّى يـمـسح البلدان كالنّسر
ومن يأوي المصاطيب مع المذلّة الضّمـر
ومن يأوي الشغائات مع العقّة في السّتر
وأصحاب التجافيف من الثامولة الصبر

أصحاب التجافيف : قوم يأوون المساجد عليهم مرقعات كالتجافيف
بعضها مركبة فوق بعض ، يقال لهم الثامولة الصبر لصبرهم على شدة فقرهم .

وأصحاب الشقاعات من المشاطح العكر

الشقاعات : جمع شقاع ، وهو الوطاء إذا كان من ألوان أو لون واحد يكون
مع جنس منهم ، فيدورون في المواضع ويبسطون الشقاع ويصلون عليها ولا
يأوون إلى موضع فلهذا يقال لهم : المشاطح ، لأن المشطح هو الذي يطوف دائماً
لا يفتقر .

بنو التضريب والتدريب والتقيق والأطر

بنو التضريب والتدريب : قوم ليس لهم عمل إلا جمع الخرق معهم فهم
أبداء في رتق أو فتق .

ترى للقميل في كل شقاع مائتي وكر
ومن دمّج في الثلج وفي الوحل بلا طمر
دمج : إذا قام في البرد .

ولا ينظر إلا كما لحاً ذا نظير شزر
فلا يبرح أو يأخذ ما يأخذ بالصقر
وفي الغمّيز منافية من رغل قدر
هم بيت المشاميل مع القنابر الحفر

المشاميل : الرغفان ، واحدها مشمول ، والقنابر : جمع قنبرة ، وهو الكسرة
من الخبز .

غدوا مثل الشياطين عليهم أثر الفقر
فيأتون ببربازا ر كالفيا من المجري
بربازار : لأنه ذو ألوان ، والقفيا : هو خبز السبيل الذي يجريه الأعداء على

الفقراء والضعفاء فيكون لهم رجل مجرى .

وعبّوه أنابير من الزغبل والبر

وعبوه أنابير : يعني أنهم إذا جمعوا الخبز جعلوه كالأنبارات بين أيديهم من ألوان وكل ما خالف الخنطة فهو الزغبل ، ثم يتقاسمون ما يجتمع لهم منها .

كما يقتسم اليد ر بالقفزان والكسر
وظلّوا يفتنون على مالك بالعسر
وخصوه بجوازات ونصف فجلة قمري

وخصوه بجوازات : يعني أن ما يبقى من المأكول يجعلونه لصاحب الموضع ، وإن كانوا في أتون جعلوه للوقاد .

سقى الله بني ساسا ن غيثاً دائم القطر
ترى العريان منهم ظا هر السُّمرة والخطر
كنمرود بن كنعان قوي الصدر والأزر
رجال فطنوا للثقل والأغلال والإصر
خلنجيون ما حاضوا ولا باتوا على طهر

الخلنجي : الذي يخرى ولا يغسل استه ، ما حاضوا : أي ما تطهروا .

رأوا من حكمة خراط القلادات مع العذر
يقولون لمن رقى تحوّل فينا تزري
وراحوا خارج الدار بوارية مع الحصر
فحيثما أكثروا قالوا من الخشني لا نكري
إذا ما سمّروا القشقا ش ذا العشون والزجر

سمّروا القشقاش : أي رأوه وهو الشيخ الطويل اللحية ، ذو الزجر : العالم المتكشف الورع .

لقوه بنثاراتٍ من البندق والبسر
وحيّوه بآلافٍ من القنادر الفطر

يعني أنهم إذا رأوا شيخاً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر اضطربوا عليه ،
والقنادر : الضراط ، والفطر : الذي لم ينضج بعد ، من الفطير ، ويصيح الواحد
إلى الآخر بندقه بسرة ويضطرب .

وكم بين الغرايب وبين البيغ والقمر
ألا إني حلبت الدهر من شطرٍ إلى شطر
وجبت الأرض حتى صرت في التطواف كالحضر
وللغربة في الحرّ فعالٌ النار في التبر
وما عيش الفتى إلا كحال المدّ والجزر
فبعضٌ منه للخير وبعضٌ منه للشرّ
فإن لمت على الغربية مثلي فاسمعنْ عذري
أمالي أسوةً في غرّ بتي بالسّادة الطّهر
همُ آل الحواميم هم الموفون بالندر^(١)
هم آل رسول الله أهل الفضل والفخر
بكوفان وطيّ كرّ بلاكُم ثمّ من قبر
وبغداد وسامرا وباخري على السكر
وفي طوس مناخ الركب في شعبان في العشر
وسلمان وعمارٌ غريبٌ وأبو ذرّ
قبورٌ في الأقاليم كمثل الأنجم الزهر
فإن أظفر بأمالي شفيتُ غلّة الصدر

(١) آل الحواميم : آل الكساء الخمسة .

وَأَلَمْتُ بِأَوْطَانٍ قَوِيَّ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ
 وَقَدْ تَخَفَّقَ فَوْقِي عِزَّةُ أَلْوِيَةِ النَّصْرِ
 وَإِمَّا تَكُنِ الْآخِرَى وَعِزُّ جَائِزِ الْكُسْرِ
 فَلَا أُبْتُ مَعَ السَّقَرِ غَدَاةَ أَوْبَةِ السَّقَرِ^(١)
 وَلَا عَدْتُ مَتَى عَدْتُ بِلَا عِزٍّ وَلَا وَفَرِ
 وَحَسْبِيَ الْقَصَبُ الْمَطْحُورُ فِيهِ وَرَقُ السِّدْرِ
 وَأَثْوَابُ تَوَارِينِي مِنَ الْإِيْذَاءِ وَالْأَزْرِ

* * *

٢٧ - أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ بَابِكٍ

شاعر شعاره إحسان السبك ، وإحكام الرصف ، وإبداع الوصف ، يشبه
 كلامه مرة في الجزالة والفصاحة كلام المفلّحين ، من الشعراء المتقدمين ، ويناسب تارة
 في الرشاقة والملاحة قول المجيدين ، من المحدثين والمولدين ، وهو القائل في وصف
 شعره [من الوافر] :

أَزْرَتِكَ يَا ابْنَ عِبَادٍ ثَنَاءً كَأَنَّ نَسِيمَهُ شَرْقُ بَرَاكِ
 وَلَفْظاً نَاهَبَ الْحَلِيَّ الْغَوَانِي وَأَهْدَى السَّحَرَ لِلْحَدَقِ الْمَلَاكِ
 وَلَهُ فِي اسْتِعْطَافِ الصَّاحِبِ [مِنَ الْخَفِيفِ] :

أَيَّ جَرَمٍ لَوَائِقٍ بِكَ رَاجِي خَبَطَتُهُ غَوَارِبُ الْأَمْوَاجِ
 وَطَنِي أَنْتَ وَالْمَكَارِمُ زَادِي فَلَمَنْ أَزْجَرَ الْقَلَاصِ النَّوَاجِي^(٢)
 فَارَعٌ يَا كَافِيَ الْكَفَاةِ ثَنَاءً نَفَثَ السَّحَرِ فِي الْعَيُونِ السَّوَاجِي^(٣)

(١) أبت : عدت .

(٢) القلاص النواجي : النوق السريعة .

(٣) السّواجي : الساكنة .

لو أزرْتَ الحرابَ ملعب طوقي لارتشفن الشاء من أوداجي^(١)
أنا مذْ حرَّقتْ سمومك ظلي جمرَةً في شواطك الوهاج
لا تقابل زيارتي بازورارٍ ومجاجةً عسلته بأجاج
ليس في الشرط جنس حظي فوق في عيون الحساد بالإخراج

وكان أيامَ الصاحب يشتي بحضرته ويصيف بوطنه ، كما قال من قصيدة
جرجانية يتسحب فيها على كرم الصاحب ويقرع باب استبطائه ويستأذنه للعود إلى
بلده [من الوافر] :

ألا يا أيها الملك الرؤوف إلى كم يعصى بالنفس اللهيف^(٢)
أأسحب في ذراك فضول ذيلي ويسحب ذيل نعمتك الضيوف
فإن يملك سواي عنانَ حظي ولي من دونه اللَّفظ الشريف
فكلُّ مطرَقٍ مالٌ، ولكن تعود بها إلى القيم الصروف
لواني عن طريق اليأس أني على ثقةٍ بأنك لا تحيفُ
فجزْ إرث الزمان وعشْ حميداً يُناخ ببابك الهمُّ العكوف^(٢)
وحادثٌ بالسَّراح أخا اشتياقٍ يلاعب ظلّه جسدٌ نحيف
له بالريف من جرجان مشى وبالنَّخلات من غمّي مصيف

وقرأت للصاحب فصلاً في ذكره واستملحته ، وهو : وأما ابن بابك ، وكثرة
غشيانه بابك . فإنما تغشى منازل الكرام ، والمنهل العذب كثير الزحام .

قال مؤلف الكتاب : وقد كانت تبلغني لمع يسيرة من شعره فتروقني وتشوقني
إلى أخواتها ، حتى استدعى أبو نصر سهل بن المرزبان من بغداد مجموع شعره
كعادته في استنساخ الظرف واستجلاب الغرر ، وبذل النفائس في استحداث

(١) الأوداج : عروق في العنق .

(٢) العكوف : المقبل الملازم ، وعكف في المكان : أقام فيه .

الملح ، فأهدى إليه ابن بابك مجلدة من شعره بخطه يسحب ذيلها على الروض المطور . والوشي المنشور . واللؤلؤ المنشور ، فلم أدر الدفتر أملح أم الخط أحسن أم الشكل أصبح أم اللفظ أبرع أم المعنى أبدع ، وجمعت يدي منها على الضالة المنشودة ، والغريبة الموجودة ، فأخرجت منها غرراً ما هي إلا أنس المقيم وزاد المسافر ومنية الكاتب وتحفة الشاعر ، كقوله في وصف الشراب من قصيدة [من الطويل] :

عقارٌ عليها من دم الصبّ نفضةٌ ومن عبرات المستهام فواقعٌ
معوّدةٌ غصب العقول كأنما لها عند أرباب الرجال ودائعٌ
تحيرٌ دمع المزن في كأسها كما تحيرٌ في ورد الحدود المدامع
وقوله من أخرى في وصف إضرام النار في بعض غياض طريقه إلى صاحب [من البسيط] :

ومقلّة في مجرّ الشمس مسحها أرعيتها في شباب السدقة الشها^(١)
حتّى أرتني وعين النجم فاترةٌ وجه الصباح بذيل الليل منتقبا
وليلةٌ بت أشكو لهم أولها وعدت آخرها أستنجد الطربا
في غيضةٍ من غياض الحزن دانيةٍ مدّ الظلام على أرواقها طنبا
يهدى إليها مجاج الخمر ساكنها فكلّما دبّ فيها أثمرت لها
حتى إذا النار طاشت في ذوائبها عاد الزمرّد من عيدانها ذهباً
ومنها :

مرّقتُ منها وثغر الصبح مبتسمٌ إلى أغرّ يرى المذخور ما وهبا
ذو غرّةٍ كجبين الشمس لو برقتُ في صفحة الليل للحرباء لانتصبا
يا أغزر الناس أنواءً ومحتلباً وأشرف الناس أعراقاً ومتسببا

(١) شباب السدقة : أي أوان النشاط والفتوة .

أصبحت ذائقةً بالوفر منك وإن
إنّ المنى ضمنت عنك الغنى فأجب
فحسن ظني قد استوفي مدى أمني
ومن أخرى [من الوافر] :

حجبت وما حجبت عن الصّباح
وبات السقم يكمن في عظامي
وليل الصّبّ مطول البراح^(١)
كمون الموت في حدّ الصفاح^(٢)
ومنها [من الوافر] :

كسوت الحمد ذا عرض مصون
مزوح اللفظ مجذوع العطايا
يتمّع في حمى مالٍ مباح
جموح العزم مجنون السّاح
إذا اشتجرت على الملك العوالي
يريق على الطُّبا ريق المنايا
وهزرت أصمّ موثى الجناح^(٣)
ويكحل بالردى مقل الرماح
وقوله من أخرى يمدح ويعاتب ويستبطن : [من الوافر] :

أرى الأيام تسرف في عقابي
ألا يا عامر الآمال مالي
ودون رياضتي شيب الغراب
أسير الطرف في أملٍ خراب
أفوت مطارح الأمل انتظاراً
أراعُ ولا أراعي والأمانى
لقى بين اكتئابٍ وارتيابٍ
على نحر الدّعاء المستجاب
وكم كسرٍ جبرّت فكان طوقاً

(١) البراح : الزوال والانتهاه والمفارقة .

(٢) حدّ الصفاح : أي حدّ السيوف .

(٣) اشتجرت : كثرت وتشابكت وتخاصمت .

وقوله من أخرى [من الطويل] :

لقد نشر النيروز وشياً على الربا من النور لم تظفر به كف راقم
كأن ابن عباد سقى المزن نشره فجاد برشاش من الوبل ساجم^(١)

ومن أخرى يهنئه بالأضحى [من الطويل] :

ليهنك عيدٌ لو تناجت سعوده لما اقترحت إلا سماءك مطلعاً
فضح بمن ماطلته عدة الردى فما اكن صدر السيف إلا ليقطعا^(٢)

وله من قصيدة يذكر خلعة أمرله صاحب بها [من المنسرح] :

وخلعة فاجأت بلا عدة من منعم في عطائه سرف
غلّت لسانى عن الثناء فما يجري ولكن لشأنها يصف

ومن أخرى [من الكامل] :

أقبلت في شرف اللباس فأبلسوا نظر البغاث إلى انقضاض الجارح^(٣)
إشتق من خلع الفخار عمامة ورفاء تهزأ بالكئيب البارح
ومزنى الأردن ناقلنى الضنا وافتر عن سمطي شتيت واضح
كالزبرقان تهافت أنواره ليلاً بمضطرب الخليج السابح
ومهلهل النهدين نازع عطفه علم كمنعطف العذار الجامح
لأنلتني شرف المقام، ورعت بي قلب الزمان، وصنت وجه مدائحي
لله منزلنا التي من شأنها جرّ الرماح على السماك الرامح^(٤)

(١) النشر : العبق والطيب ، والويل : المطر، والساجم : الهاطل .

(٢) اكن : ستر ، أو ابيض من الصقل .

(٣) أبلسوا : احتاروا ولم يستطيعوا جواباً أو قراراً .

(٤) السماك : نجم في السماء .

ومن قصيدة في فخر الدولة [من السريع] :

موقر الجأش جموح الجنان	خلقت يقظان مروح العنان
وعشت من أحداثه في أمان	لا أظلم الدهر فقد سرّني
فشأن أيامي البواقي وشاني	فإن تكن أيام دهري خلت
وصمّ عن طاعتي العاذلان	لقد تفيأت ظلال الصبا
وانتهبت عقلي حضور الدنان	واستوقفت طرفي في حضور الدمي
والصبح كالنار خلال الدخان	أفتق جلد الليل عن ضوئها
أغنّ معقود حواشي اللسان	يسعى بها في سقطات الندى
مؤثّ الدلّ مريض البنان	مروّع المقلّة طاوي الحشى
عن موجة يجذبها غصن بان ^(١)	مقرطق تنفر أذياله
كأثما زرّ على خيزران	مزئّر يقلق سرباله
ترفّل في ملحفتي أرجوان	في يده شمطاء مقتولة
عن شررٍ وابتسمت عن جمان	إذا استدارت فرقا صرحت
طلاً على أرض من الزعفران	إذا طغا لؤلؤه خلته
والليل والصبح طليقا رهان	تذكرني أنفاسها سحرة
أدرك ما شاء برغم الزمان	نشوة أنفاس الأمير الذي

لم يحسن في تشبيه طيب رائحة الشراب بنفس الممدوح وهو ملك معظم
لأنه إنما يشبه بنفس المعشوق ، وقد مر مثل هذا النقد في شعر المتنبي ، وكان
ينبغي أن يقول :

نسيم أفعال الأمير الذي أدرك ما شاء برغم الزمان
رجع :

(١) مقرطق : يلبس الأفرات أي الحلي ، ويجذبها : يحركها ويمسكها ، والموجة : يقصد بها حركة الردف .

تهوى فقد دان لك المشرفان
كفاه إلا للندى والطعان
والمال والسيف له جنتان
فارقم حواشي جامك الخسرواني^(١)
باللهو والقصف وعزف القيان
تبسم عن مثل وجوه الغواني
واسكن مدى الأيام ظلّ التهاني

يا فلك الأمة درُ بالذي
مقبل الراحة ما صوّرت
فالحزم والعزم له عدة
قد رقم النيروز وشي الرّبا
واقبل اللّذات واستدعها
واجتل وجه الرّاح في روضة
وارع رياض العزّ في غبطة

ومن أخرى في مهرجانية [من الوافر] :

بتجديد البشائر والتهاني
سبوت الدهر سبت المهرجان^(٢)
فعاتبها بقهقهة القناني
بها خصر المرافف والبنان^(٣)
يصفق بالرحيق الخسرواني

أيا شاهانشاه صل الأماني
فقد جرت السعود وجاء يحدو
وإن طغت المثالب والمثاني
فقد برد النسيم وجاء يسعى
فلا عدمت يداك سقيط مزن

ومن أخرى يصف مجلس إملاك نثرت فيه الدنانير [من الوافر] :

كأن قد أشربت حلب العصير
شيت الورق كالورق النّير
جلوت الشمس في يوم مطير
لقد أذكرتنا عام الهرير^(٤)

وهزّ العقد متن الأرض حتّى
وأرسلت السماء رشاش تبر
لقد أمطرتها ذهباً ولكن
كواكب زرن وجه الأرض حتّى

(١) رقم : خططوسطرّ ، والجام : الإناء من فضة .

(٢) سبوت الدهر : سكونه وإقباله .

(٣) الخصر : البارد .

(٤) الهرير : البرد القارص .

ومن أخرى [من البسيط] :

يا ساقِيَّ قضيبُ الرّندِ رِيَّانُ
وللصبا عثراتٌ لا تقال، وفي
فغالباً نفثتي بالراح واختلسا
واسترجعا لَمَتي واستفدا طربي
وعرّضاً بهوى لبني فلي ولها
اليأس وردي إذا سحبُ المنى هطلتُ
ها إنَّ حلبة أرض الله شوط فتى
لله ثم لشاهنشاه خلفتها
إنَّ كان للفلك العلويّ مرتكضُ

والبدر ملتحفٌ والصبح عريانُ
سجع الحمايم ترجيعُ وإرنان
عقلي فقد نفح النسرين والبان
قبل الشروق فللأطراب أوطان
وللزجاجة إن عرّضتما شان
والصبر زادي إذا أهل الحمى بانوا
في بسطتي يده بطشٌ وإحسانُ
ما طلّ في رملات القاع حوذان^(١)
فيها للفلك الأرضي سلطانُ

ومن أخرى في أبي علي الحسن بن أحمد لما تقلد الوزارة هو وأبو العباس الضبي
على سبيل المشاركة والمشاطرة [من الكامل] :

برَقَ الثّناء وشقَّ ذاك القسطل
ورآكَ للتشريف أهلاً فاجتبي
فأعرت شطر الملك ثوب كماله
وجرى عنانك والسّمّاك الأعزلُ
بوفائه ملكٌ يقول ويفعلُ
والبدرُ في شطر المسافة يكملُ

أنظر إلى حسن وصفه لوزارته المشتركة ، وتدييره نصف المملكة لفخر الدولة .

ومن أخرى [من البسيط] :

ذنبِي إلى الدّهر أنّي ما خضعت له
قد كنت أوقِفُ من عنسٍ على طللٍ
ولا طويت له ثوبي على درنٍ
فصرت أسرع من عدلٍ على أذن^(٢)

(١) الحوذان : نبات عشبي له زهر أحمر في أصله صفرة .

(٢) العنس : النوق ، والعدل : اللوم .

هذي بقيَّةُ نفسٍ فارقتِ وطناً
نقلتِ عن عقر دارٍ كنتِ آلفها
حتَّى ترنَّحتُ في أفياءِ دولتها
فالآن قصَّرتُ باعي وانتهى طربي

وفرقة النفس تتلو فرقة الوطن
إلف القرارة صوب العارض الهتن^(١)
ترنُّح الظلِّ بين الماء والغصن
وشمَّرتُ في عقابي سطوة الزمن

وقوله من أخرى [من الخفيف] :

ربَّ ليلٍ مرقتُ من فحمتيه
ورقادٍ كخفقة النبض يغشى
واستهلَّت لمصرع الليل ورُقَّ
فتضاحكُ شامتاً وكأنَّ الـ

أنا والعيس والقنا والبروق
مقلَّة راعها الخيال الطروق
ثاكلاتُ حدادها التطويق^(٢)
صَّبح جيبٍ على الدُّجا مشقوق

سبك الشرق منه تبراً مذاباً
وتمشَّت على الرياض النعامي
فكأنَّ التراب مسكُ فريكُ
ليس إلَّا تطرُف العيش حتَّى

لفرند الشَّعاع فيه بريق
وثنى قدَّه القضيبي الرشيقُ
وكانَّ الأصيل صبحُ فتيق
يتوشَّى لك المراد الأنيق

إنَّما العيش رنةٌ من حمامٍ
ومهبٌ من الشُّمال عليلُ
وملاءٌ من الشَّباب جديدُ
وجمالُ من الرِّذاذ نثيرُ

لا ترد مشرَع الصَّباة فالياً
شافه الهمَّ إنَّ طغى بحريقٍ

وسلافُ يشجَّه معشوق^(٣)
ووشاحُ من الرياض أنيق
ورداءُ من النسيم رقيق
في مروجٍ ترابهنَّ خلوق

س رفیق إذا استقلَّ الفريقُ
سلَّه من زناده الراووق^(٤)

(١) القرارة: القاع المستدير الذي يجتمع فيه ماء المطر ، والعارض الهتن : السحاب المطر .

(٢) الورق : الحثائم ، والتطويق : أي إلباسها الطوق .

(٣) يشجَّه : يفضُّ ختمه .

(٤) الراووق : المصفاة ، الكأس أو الإناء يروِّق فيه الشراب .

صَفَّقْتَهُ يَدٌ كَأَنَّ عَلَيْهَا صَدْفًا فِيهِ لَوْلُؤٌ وَعَقِيقٌ
وَلَهُ أَيْضًا [من السريع] :

لَمْ أَرْضَ بِالْيَأْسِ وَلَكِنِّي أَسُوِّفُ الْخُسْرَانَ بِالرَّيْحِ
تَأَلَّفْتَنِي خَطَرَاتُ الْمَنَى تَأَلَّفَ الْمَسْبَارُ فِي الْجَرَحِ^(١)

وَمِنْ أَيْبَاتٍ فِي غِلَامٍ يَشْتَكِي مِنْ قُرُوحٍ بِهِ [من البسيط] :

يَا أَيُّهَا الرِّشَاءُ الْمُوفِي عَلَى شَرَفٍ مَاذَا دَعَاكَ وَلَمْ أَذْنَبْ إِلَى تَلْفِي
لَا تَشْكُونُ قُرُوحًا أَلَمْتُكَ فَقَدْ سَرَقْتَهَا مِنْ فَوَادِي الْهَائِمِ الدَّفْنِ
أَحَبُّ مِنْكَ وَإِنْ لَجَّ الْعَوَاذِلُ فِي لُومِي دِلَالِ الرِّضَا فِي نَخْوَةِ الصَّلَفِ

وَمِنْ أَيْبَاتٍ فِي الْإِعْتِذَارِ مِنْ تَرْكِ التَّوْدِيْعِ [من السريع] :

إِنْ لَمْ أُوَدِّعْكَ فَعَنْ عَذْرَةٍ فَائِنِ إِلَيْهَا أَذْنًا وَاعِيهِ
قَرَرْتُ بِكَ الْعَيْنَ فَنَزَّهْتَهَا عَنْ نَظَرَةٍ لَيْسَ لَهَا ثَانِيهِ

* * *

٢٨ - أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الشَّاشِي الْعَامِرِي

قَدْ كَانَ يَقَعُ التَّعَجُّبُ مِنْ إِخْرَاجِ الشَّاشِ مِثْلَ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمَطْرَانِي فِي حَسَنِ
شِعْرِهِ وَبِرَاعَةِ كَلَامِهِ ، فَلَمَّا أُخْرِجَتْ مِنْ إِسْمَاعِيلَ مِنَ الْقَى إِلَيْهِ الْقَوْلُ الْفَصْلُ زَمَامِهِ ،
وَمَلَكَهُ الْمَعْنَى الْبَدِيعُ عَنَانُهُ ، كَانَ كَمَا قِيلَ : « جَرَى الْوَادِي فَطَمَّ عَلَى الْقَرَى »^(٢)
وَهُوَ أَحَدُ الْأَفْرَادِ بِحَضْرَةِ الصَّاحِبِ ، وَمِمَّنْ رَفَعْتَهُمْ سُدَّتُهُ ، وَشَرَفْتَهُمْ خِدْمَتُهُ .
وَلَوْلَا أَنَّ الْفَالَجَ أَبْطَلَهُ الْآنَ ، لَكَانَ قَدْ بَلَغَ مِنَ التَّبَرُّيزِ أَعْلَى مَكَانٍ . وَلَكِنَّهُ بِالرِّي
لَقَى ، وَفِي طَرِيقِ الْمَنِيَةِ لَقِيَ . وَعِنْدَهُ بَقِيَّةٌ مِمَّا اسْتَفَادَهُ فِي أَيَّامِ الصَّاحِبِ تَتِمَّاسَكَ

(١) الْمَسْبَارُ : مَا يَسِيرُ بِهِ الْجَرَحُ ، أَيْ يَمْتَحِنُ عَمَقَهُ .

(٢) طَمَّ : غَمَرَ .

معها حال معيشته . وتنزاح بها علل نفسه . وهذا أنموذج من شعره قال في
 صاحب من قصيدة شبب فيها بشكاية الإخوان وذكر مرضاً عرض للصاحب [من
 الطويل] :

سرينا إلى العليا فقليل كواكبُ وثرنا إلى الجلى فقليل قواضب^(١)
 وفاضت لنا فوق السنين نوافلُ فما شكُّ محلُّ أنهنَّ سحائبُ
 خلقنا أشدَّاء القلوب على الهوى فما تزدهينا الأنساتُ الرِّبائبُ
 فمن دأبه مئاً نحولُ ودقَّةُ فممّا جنى أحبابنا لا الحبابُ
 أبيت أنادي الدهر جدلي بصاحبِ وجلُّ طلاب الدهر ما أنا طالبُ
 فما جاد لي منه بغير مجانبِ وآخرُ خيرٍ منه ذاك المجانبُ
 خليلُ تحامته الأبعاد والتوتُ على مهج الأدين منه العقاربُ
 عقارب لا يجرحن غير مودِّ فهنَّ لحيات القلوب لواسب^(٢)
 وما كان ظنّي أن تبين شبيتي وإن بان جيرانُ وشطَّت أقاربُ
 فمذُّ راعني شرخ الشباب بفرقةِ تيقنْتُ أن لا يستدام مصاحبُ
 أخلاي أمثال الكواكب كثرةً وما كلُّ ما يرمي به الأفق ثاقب^(٣)
 بلى كلُّهم مثلُ الزمان تلوناً إذا سرَّ منهم جانبٌ ساء جانبُ
 مضى الودّ والانصاف والعهد منهمُ فما بقيت إلّا الظنون الكواذبُ
 وكنت أرى أن التجارب عدَّةُ فحانت ثقات الناس حتّى التجاربُ
 تدرُّعُ لإخوان الزمان مفاضةً ولا تلقهم إلّا وأنت محارب^(٤)
 إذا لم تكن مندوحةً من مصاحبِ فسيفٌ ورمحٌ والفلا والركائبُ

(١) الجلى : العظيم من الأمور ، القواضب : السيوف القواطع .

(٢) اللواسب : جمع لاسبة من اللسب وهو اللدغ إلّا أنه عام في الحية وغيرها .

(٣) الثاقب : المرتفع على النجوم ، أو اسم زحل .

(٤) المفاضة : الدرع الواسعة .

فهنَّ إلى وفد الخطوب كتائبُ
إلى ملكٍ مذ أشرقت شمس جوده
إلى من حمى عود العلا فهو ناضِرُ
إلى من رعى بالجد سرب نعيمه
وكلُّ نعيمٍ لم يعودْ بشاكِرٍ
لعمري بني عبادِ المجد راسياً
زرارة لم يحلُّ بواديه مفخرُ
وحلَّت قريشُ في اليفاع بهاشم
فديناك يا كهف البرية ما الذي
عليها من الإشفاق ثوبُ كآبةٍ
وفي كلِّ دارٍ للأرامل ضجَّةٌ
ولو شئت تأديب الليالي فعلته
ولم تقرب الحمى حماك ، ولم يكنْ
وحوشيت أن تضري بجسمك علةٌ
ولاعج تدبيرٍ وجائش همّةٍ
فلا تعذروها أن رأت أشرف الورى
لقد كانت الأيام حجَّبَ شمسها

وهنَّ إلى كافي الكفاة صواحب
تبسّم في وجه الرجاء المطالبُ
وردُّ إليه ماءه وهو ناضب
فلا تتمطى في ذراه النواثب^(١)
تفننَ فيه للذهاب مذهب
ولكن لإسماعيل منه المناكب^(٢)
ولكن حوى غرّ المفاجر جانب
وإن كان سباقاً إلى المجد غالب^(٣)
أعار المعالي سقمك المتناوب
وخطبُ يدانيه الضنى متقاربُ
بأدعية ضوضاؤها متجاوب
فلم ير منها في جنابك خارب^(٤)
لسورتها في سورة المجد سارب^(٥)
ألا إنَّها تلك الغروم الثواقب^(٦)
سرى منهما بين الجوانح لاهبُ
وحلَّت به فالحرّ في الشمس ناشب^(٧)
دياجي هموم دجنها متراكب^(٨)

(١) السرب : الطريق .

(٢) المناكب : كبار الريش في مقدّمة الجناح أو المكان الأرفع .

(٣) اليفاع : المرتفع والذروة .

(٤) الخارب : اللص .

(٥) السورة : عضبها ، وسارب : ممرّ .

(٦) تضري : تغرى وأضرّاه : أغراه وبشه عليه . والغروم : الأثقال ، والمغرم : المولع بالشيء والدّين .

(٧) ناشب : مقيم وحالّ .

(٨) الدجن : ظلامها .

فلما انتضاك البرء عادت كأنها
نظرت إلى دنياك نظرة قادرٍ
سواي فإنني سائلٌ أن تغبَّ لي
فما في لساني شكر ما أنت منعمٌ
أنلني بقدري لا بقدرك ، إنما

وقال من أخرى [من البسيط] :

مستوقفي بين ذلَّ الصدِّ والملل
أرضي بطيفك بل أرضى بذكرك أن
لا ترحلنَّ فما أبقيت من جلدي
ولا من الغمض ما أقري الخيال به
نعم لي العزمة الغراء إن وخذت
تحوي مرادي على رغم العواذل منْ
قد زدت يا ليلة التوديع في حزني
وأنت يا جسداً لجَّ القضاء به
كيف احتملت الضنا في الظاعنين ضحىً
عجبت أنى يحلُّ السَّقم في بدنٍ
لم يبق منه سوى قلبٍ يقلُّبه
مقسَّم قلبه في كلِّ مرحلةٍ

غياهب بأسٍ قشعتها مواهب
فلم يبق فيها سائلٌ ومغالب
سحائب نعمى كلهن ربائب^(١)
ولا في بناني حصرٌ ما أنت واهب
تجود على قدر الأتني المذائب^(٢)

لاحظ لي منك إلا لذة الأمل
يتلى وذاكراي مقرونين في الغزل
ما أستطيع به توديع مرتحلٍ
ولا من الدمع ما أبكي على طلل
لم تحتفل بوجيف الخيل والابل^(٣)
ربَّ الأكاليل لا من ربَّة الكلل
ولم تزل يا صباح الوصل في جذل^(٤)
حتى برته يدُ الأوجاع والعلل
وكنيت للشوق فيهم غير محتمل
لو شاء جاز الردى سراً من الأجل
في مطلب العزِّ بين البيض والأسل
شوقاً إلى العزِّ لا شوقاً إلى الغزل

(١) تغبَّ : تمطر تعقب .

(٢) الأتني : السيل .

(٣) الوجيف : الخفقان والاضطراب .

(٤) وفي نسخة « ولم تزد يا صباح الوصل في جذل » .

للأعين الخزر لا للأعين النجل^(١)
على الحوادث والأسقام والوجل^(٢)
ويقرع الخطب مني صفحة الجبل
ويحمل الدرع مسلوباً عن البطل
كادت تؤلف أعلاماً على السبل
سير الجنوب بصوب العارض الهطل
فيشهد المجد أن المدح فيه ولي
راسلت طبعي ومن إحسانه رسلي
في مقلة الريم أعلى بغية الكحل
الشمس تكبر عن حلي وعن حلل
بالجود فهو يروم البذل بالحيل^(٣)
بخلاً به فوجدنا الجود في البخل
يغني ويقني ولم يورث ولم يسـل
إن لم يبت والليالي منه في وجل
يوم القراع ويلقى القرن في الفضل^(٤)
ومن يصيد البزاة الشهب بالحجل
ولا يفرق غير الملك في الثقل
فما ورودك ظمناً على وشل^(٥)

نفسى الفداء إذا ما الرّوع صبّحني
لله جسمي فما أبقى حشاشته
يعدو سقامي على مثل الخيال ضنى
ولا يرى في فراشي عائدي شبحاً
أنا المقيم وأشعاري على سفر
سارت شوارد أوصاف الوزير بها
يروى القريض ولما يسم قائله
إذا سهرت لتحبير المديح له
ما بعده لشذور القول مدّخر
وما به حاجة في المدح تنظمه
لكنّه ملك هامت عزائمه
ما قال «لا» قطّ مذ حلت توائمه
أولى الملوك بتدبير الممالك من
ومن يبيت من الأيام في خجل
ومن يطبق وجهه الأرض عسكره
ومن يقود الأسود السود بالوعل
ومن يهّم فلا يغزو سوى ملك
يا راحلاً عنه إنّ البحر معترض

(١) الخزر : ضيق العين وصغرها أو حول إحدى العينين ، والنجل : سعة العين .

(٢) الحشاشة : الروح والنفس ، والوجل : الخوف .

(٣) يروم البذل : يبغيه ، وبالحيل : أي يمتال لبذله بكثير من الأسباب .

(٤) الفضل : البقية من الشيء ، أو الثوب الذي يتخذ في العمل أو يلبس أثناء النوم وهذا دليل على شجاعته وثقته بنفسه .

(٥) الوشل : الماء القليل .

وتطلب النصر عند الجفن والخلل^(١)
وأرجف الأرض بالغارات والغيل
ومن دمائهم يرحضن في وحل^(٢)
ومن ذوائبهم يقمصن في شكل^(٣)
من طول ما حملت سبياً على الكفل^(٤)
تكاد تعثر أخراهم على الأول
غزون بالبحر لم يعلقن بالبلل
لمفرد الرأي أمرٌ ليس بالجلل
حاشا لما أنت راعيه من الخلل
فاخلق برأيك أجفاناً على المقل

لا تترك السيف مشحوداً مضاربه
قد وقر الدهر بالتدبير هيته
تجري الجياد من القتلى على جبل
ومن جماجمهم يصعدن في نشز
تحملت صهوة أخرى شواكلها
قومٌ إذا ابتدروا يوم الوغى فرقاً
قومٌ أعفَاء عن غير العدو فلو
إنَّ التحكُّم في الدنيا بأجمعها
يا من دعته ملوك الأرض راعيها
إنَّ الملوك على أيّامنا مقلٌ

ومن أخرى [من الطويل] :

يرى كلُّ ما يبقى من المال مغرماً^(٥)
ونقضُ عقباناً ، ونطلع أنجماً
وتركز أعلام العلا حيث خيماً

رأيت على أكوارنا كلَّ ماجدٍ
ندومُ أسيفاً ، ونعلو عوالياً
إلى من يسير الدهر تحت لوائه

ومن أخرى في فخر الدولة [من البسيط] :

فقد حمدنا ولم نذمم شبا القلم
أسوسها والخطوب الربد من خدمي^(٦)

أمّا شبا السيِّف مسلولاً على القمم
لا أشتكى الدهر والأيام من حولي

(١) الجفن : الغمد .

(٢) الرحض : الغسل .

(٣) النشز : المرتفع من الأرض ، ويقمصن في شكل : يقفزن ويثبن في قيودهن .

(٤) الكفل : الردف .

(٥) مغرماً : غرامة أو ديناً .

(٦) الربد : جمع ربداء وهي هنا المنكرة .

فلو رماني بعد النوم ناظرها
 فالآن أورد ذودي غير محتشم
 ولا أواخذ أيامي بما صنعت
 فإن برتني غواديها فلا عجب
 ما زلت منغمس الآمال في عدم
 حتى طلعت وعين السعد ترمقني
 آوي إلى ظل شاهنشاه من زمي
 زرت الملوك لتدنيني إليه كما
 خلقتهم وهم خطاب خدمته
 يرون بي حشرات في قلوبهم
 وكم نصحت لمن بغداد موطنه
 فكان ذا رمد لج الآساء به
 هي القرابة من لم يرع حرمتها
 له تطاع ملوك الأرض قاطبة
 حاشا له أن أسمي غيره ملكاً
 كل يدل بأشباح يسوسهم
 ما قام من سوق أهل الفضل لم يقم
 أعطى فأحيا موات الجود نائله

برية أطبقت أجفانها قدمي
 وأنزع الغرب ريانا إلى الودم^(١)
 في نعمة البرء ما يعفو عن السقم
 على النفوس جنايات من الهمم
 أو في وجود يداني رتبة العدم
 كالصبح منبلجاً عن حالك الظلم
 كما أوى الصيد مذعوراً إلى الحرم
 يبغي إلى الله زلفى عابد الصنم^(٢)
 ومثل ما بي من وجد بها بهم
 لكنما ثمرات السعي بالقسم
 والنصح من أجلب الأشياء للثم^(٣)
 وما آهتدوا أن يداووا عينه فعمي
 فالسيف أولى به وصلاً من الرحم
 وللشباب تراعي حرمة الكتم
 وأن أقر بفضل الباز للرخم^(٤)
 وما سواه رعاة البهم لا البهم
 لو أن ما دام من نعماء لم يدم
 فالخصب من فعله والاسم للديم

ومنها في ذكر تطهير ابنه [من البسيط] :

-
- (١) الذود : ثلاثة أبعة إلى العشرة ، أو خمس عشرة أو عشرين إلى ثلاثين ، والغرب : الدلو العظيمة ،
 والودم : أذائها .
 (٢) زلفى : قربي .
 (٣) في نسخة « للبهم » ولعل ما ذكر أصح .
 (٤) الرخم : طائر من الجوارح يشبه النسر كثير الريش ، أبيض اللون مبقع بسواد .

أُمسست شبلِك في حقّ الهدى المأَّ
جلوت سيفاً ليرتاح الشَّجاع له
وله من أخرى [من المتقارب] :

بلوت الليالي فلم يترنَّ
فلا تحمدنها على وصلها
وأُنشدت له [من مجزوء الوافر] :

تنكَّبُ حدَّةُ الأحد ولا تركنُ إلى أحدٍ^(١)
فما بالريِّ من أحدٍ يؤهل لاسم لا أحد

* * *

٢٩ - أبو حفص الشهرزوري

من ظرفاء الأدباء والشعراء ، ولشعره وحلاوة ، وعليه طلاوة ، ولا عيب فيه إلا قلة ما وقع لي منه ، وكان في بصره سوء فلما ورد حضرة صاحب قدمه إليه بعض كتابه فجاراه صاحب في مسائل لم يحمد أثره فيه . فقال له مداعباً [من مخلع البسيط] :

وكاتبٍ جاءنا بأعمى لم يحوِ علماً ولا نفاذا
فقلت للحاضرين كفوا فقلب هذا كعين هذا

ثم استنشدته من ملحه ، فأنشدته أبياتاً أعجب بها ، فلما أنشدته [من المتقارب] :

دعوت على ثغره بالقلح^(٢) وفي شعر طرته بالجلح^(٣)

(١) تنكَّب : إعدل وملَّ .

(٢) القلح : صفرة الأسنان ، والجلح : الصلع .

لعلَّ غرامي به أن يقل فقد برّحتُ بي تلك الملح

قال : نسجت على منوال جميل في قوله [من الطويل] :

رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغرّ نم أنيابها بالقوادح^(١)

وما أحسنت بعض إحسان ابن المعتز في قوله [من البسيط] :

يا ربُّ إن لم يكن في وصله طمعٌ وليس لي فرجٌ من طول هجرته
فاشف السقام الذي في جفن مقلته واستر ملاحه خديّه بلحيته

ثم أنشده قوله [من الرجز] :

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف بما جناه وانتهى عما اقترف
لقوله قل للذين كفروا ﴿إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾

فأمر أن يكتب في سفينة الملح مع ما أنشده إياه .

ومن قوله في غلام مختط [من البسيط] :

الآن أحسن ممّا كان بستانه طابت فواكه فيه وريحانه
فيه من الورد محمراً جوانبه ونرجسٌ كحلت بالغنج أجفانه
غطت عناقيداً أصداغ مهذلة تفاح حسن به قد زين بستانه
خاف القطاف على بستان وجنته فشوكت حذر السراق حيطانه

وقوله [من مجزوء الكامل] :

حكّت السماء ندى يديك فلم أطق سعيّاً إليك^(٢)

وحكيّتها يا سيدي بالدمع من أسفي عليك

* * *

(١) بالقوادح : جمع قذح ، وهو مرض يأكل الأسنان .

(٢) حكّت السماء : ماثلت وشابهت ، وندى يدك : كرمك .

٣٠ - بنو المنجم

قد تقدم ذكر بعضهم في أهل العراق ، وهذا مكان من يحضرني شعره
منهم ، وما منهم إلا أغرنجيب ، ولهم وراثة قديمة في منادمة الملوك والرؤساء ،
واختصاص شديد بالصاحب ، وفيهم يقول [من الكامل] :

لبنى المنجم فطنةً لهيةً ومحاسنٌ عجميةً عربية
ما زلت أمدحهم وأنشر فضلهم حتى اتهمت بشدة العصبية

وضرب السلامي المثل في السماع بأحدهم في قوله لعضد الدولة [من الكامل] :
عبدٌ رمى يفعاً إليك مقشعاً فالآن قد وخط المشيب عذاره
ولطالما أثني عليك فظنَّ أنَّ بني المنجم منطقٌ أوتاره

* * *

أنشدت لهبة الله بن المنجم [من مجزوء الرجز] :

شكى إليك ما وجد من خانه فيك الجلد^(١)
حيران لو شئت اهتدى ظمآن لو شئت ورد
يا أيها الطَّبِيُّ الذي الحاظه تُردى الأسد
أما لأسراك فدى أما لقتلاك قود
الراح في إبريقها أحسن روح في جسد
فهاها نصلح بها من الزمان ما فسد

* * *

ولأبي عيسى بن المنجم [من الخفيف] :

(١) الجلد : الصبر .

آخر من شئت ثم رم منه شيئاً تلف من دون ما تروم الثرياً^(١)
وسمعت أبا الفتح علي بن محمد البستي ، يقول : أنشدت لأبي عيسى
[من الوافر] :

رغيف أبي علي حلّ خوفاً من الأسنان ميدان السماك
إذا كسروا رغيف أبي علي بكى يبكي فهو باكي
فبنيت عليه قولي لبعض من أطايه [من الوافر] :

لنا شيخ بفقحته يواسي ويخلق شاربيه بالمواسي^(٢)
إذا بأيته في جوف بيت فسا يفسو فساً فهو فاسي
ولأبي عيسى [من مجزوء الكامل] :

لوم النديم منغص طيب المجالس والتدام
وسماحة الحرّ الكريم تزيد في طيب المدام
فإذا شربت الراح فاشربها مع النفر الكرام
وتنكبن ما اسطعت أخلاق اللثام بني اللثام

* * *

ولأبي الفتح بن المنجم [من الخفيف] :

كنت أدعو عليه بالشعر حتى زاده الشعر في الأنام جمالا
وإذا كان هكذا كان خذلا ني دقيقاً وكان شؤمي جلالا
وأضر الأشياء أن عذولي في هواه أشد مني خبالا^(٣)

* * *

(١) رم : ابتع واطلب ، تلف : تجد .

(٢) الفقحة : حلقة الدبر .

(٣) عذولي : لاثمي ، وخبالاً : أي فساداً وعناء .

ولأبي محمد بن المنجم [من المتقارب] :

إذا لم تنل همم الأكرمين وسعيهم وادعاً فاغترب
فكم دعة أتعبت أهلها وكم راحة نتجت من تعب

* * *

ولأبي الحسن بن المنجم [من الطويل] :

هو الدهر لم تبدع عليّ صروفه ولم يأت شيئاً لم أكن أتخيله
وما راعني المكروه إذ هو عادتي لديه ، ولكن راع قلبي تعجّله
تعجل حتى كاد آخر فعله يجيء ولما ينقطع بعد أوله

وعمى ابن بابك على أبي الحسن بن المنجم بيتاً ، هو [من مجزوء الكامل] :

بكرُ العواذل في الصبا ح يلمن من فرط اصطباحي

فأخرجه أبو الحسن وكتب إليه [من مجزوء الكامل] :

بأبي وأمي أنت من خلّ أعزّ أخي سماح
عميت لي بيتاً وجدّ ثك فيه عفت بكور لاهي^(١)
فنقرته نقرأ فطنّ ولاح من كلّ النواحي
ووجدته من قول مغرّ بالخلاعة والمزاح
بكرُ العواذل في الصبا ح يلمن من فرط اصطباحي
فانشط وأبهّم غيره ليجوب ظلمته صباحي
ويصحّ عندك في الحجى أنّ المعلّى من قداحي^(٢)

فأجابه ابن بابك [من مجزوء الكامل] :

(١) اللاحي : اللاتم .

(٢) المعلّى : سابع سهام القهار .

بأبي محاسنَ زرتني وبديعةٍ سلّت مزاحي
 وخلّاقٍ كالنورِ با ح بسرّه نفس الصباح
 وخلّاقٍ لو صوّرتُ سكنتُ أنابيبُ الرّماح
 كشفت ضباب حديقتي وأجابها مزن اقتراحي
 فأنت تخايل في نظا م هزّ أعطاف ارتياحي

* * *

٣١ - أبو طاهر بن أبي الربيع

هو عمرو بن ثابت بن سعد بن علي الذي ذكره صاحب في كتاب له وقال
 « وأما قصيدة أبي طاهر بن أبي الربيع ، فأحسن من الربيع ، ومن قطعة الربيع ،
 وإنها لوثيقة الجزالة ، أنيقة الأصالة . تنطق عن أدب مهيد الأسر . شديد الأزر .
 وله عندنا أسلاف برأرجو أن لا تبقى في ذمتنا حتى نقضيها ، فوعد الكريم ألزم من
 دين الغريم » . وأول قصيدته التي وصفها صاحب [من الطويل] :

أما لصحابي بالعذيب معرّجُ على دمنٍ أكنافها تتأرجُ
 وصهباء بكرٍ يرسب الدرُّ قعرها ومطفاه أعلى كأسها حين تمزجُ
 سلامٌ على عهد التصابي فإني إلى الرتبة العليا بظلك أحوجُ
 إليك ابن عبادٍ شددنا غروضها وضوء النهار في دجا الليل يولجُ
 وعبر عن مكنون ما في ضمائري خلوص ولائي والثناء المديجُ

وقوله من قصيدة [من الكامل] :

سحبتُ دلالتها على الغبراء سحبٌ تشجُّ ودائع الأنواء

والشمس تلحظ من خروق حجابها
وكأنَّما هتك الحجاب متيِّمٌ
وكانَّ موليَّ الرياض ضرائرُ
قد أبرزت زهراتها وازيَّنتُ
والنور منحسر القناع كما بدتُ
والنبت ريان المهزَّة مائلُ
مسحت بأجنحة الصِّبا أعرافه
فترى الظِّباء إذا وردن حيالها
أخذه من قول ابن المعتز [من الكامل] :

وترى الرياح إذا مسحن غديره
ما إنَّ يزال عليه ظبيُّ كارعُ
صفينيه ونقين كلَّ قذاةٍ
كتطلَّع الحسناء في المرآة

* * *

٣٢ - أبو الفرج الساوي

أشهر كتاب صاحب بحسن الخط ، مع أخذه من البلاغة بأوفر الحظ ،
وكان صاحب يقول : خط أبي الفرج يبهز الطرف . ويفوت الوصف ، ويجمع
صحة الأقسام ، ويزيد في نخوة الأقلام . وأما شعره فمن أمثل شعر الكتاب
كقوله ، في مرثية فخر الدولة [من الوافر] :

هي الدنيا تقول بملء فيها
فلا يغركمُ حسن ابتسامي
حذار حذار من بطشي وفتكي
فقولي مضحكٌ والفعل مبكي
أخذت الملك منه سيف هلك
بفخر الدولة اعتبروا فإني

وقد كان استطال على البرايا
فلو شمس الضحى جاءته يوماً
ولو زهر النجوم أبت رضاه
فأمسى بعد ما قرع البرايا
أقدر أنه لو عاد يوماً
دعي يا نفس فكرك في ملوك
فلا يغني هلاك اللث شيئاً
هي الدنيا أشبهها بشهد
هي الدنيا كمثل الطفل، بينا
ألا يا قومنا انتبهوا فإننا

ونظم جمعهم في سلك ملك^(١)
لقال لها عتواً ألفاً منك
تأبى أن يقول رضيت عنك
أسير القبر في ضيق وضنك
إلى الدنيا تسربل ثوب نسك^(٢)
مضوا بل لانقراضك ويك فابكي
عن الطّبي السليب قميص مسك
يسمّ، وجيفة طليت بمسك
يقهقه إذ بكى من بعد ضحك
نحاسب في القيامة غير شك

وأنشدت له في وصف البرغوث [من السريع] :

وأصهبَ في قدّ شونيزةَ أقفز من فهدٍ على خشف^(٣)
يسهرني تخمشه دائباً وعشه يعمل في حتفي

* * *

٣٣ - أبو الفرج بن هندو

وهو الحسين بن محمد بن هندو ، من أصحاب الصاحب ، وممن تخرجوا
بمجاورته وصحبته ، فظهر عليهم حسن أثر الدخول في خدمته ، أنشدني أبو
حفص عمرو بن علي المطوعي ، قال : أنشدني أبو الفرج لنفسه بالري [من
البيط] :

(١) السلك : العقد .

(٢) تسربل : لبس .

(٣) الأصهب ، من كان في شعره حمرة أو شقرة ، والشونيزة : الحبة السوداء ، والخشف : ولد الغزال .

لا يوحشَنك من مجدٍ تباعده
إن القناة التي شاهدت رفعتها
وأنشدني أيضاً له [من الطويل] :

يسرّ زمانِي أن أناط بأهله
ويعجبني أن أخرتني صروفه
فإنّا رأينا قائم السيف كلّما
وله أيضاً في الغزل [من المنسرح] :

تقول لو كان عاشقاً دنفاً
لا تنكره فإنّ صفرته
إذا بدت صفرةً بخديه
غطّت عليها دماء عينيه
وله [من مخلع البسيط] :

عابوه لما التحى فقلنا
هذا غزالٌ وما عجيبٌ
عبتم وغبتم عن الجمال
تولّد المسك في الغزال

وقال [من مخلع البسيط] :

كم من ملحٍّ على أذاه
صبّ قذى القول في صماخي
يسلّ من فكّه حساماً
فصار حلمي له فداماً^(٢)

قال مؤلف الكتاب : قد كان اتفق لي في أيام صباي معنى بديع لم أقدر أني سبقت
إليه ، ولا ظننت أني شوركت فيه ، وهو قولِي في آخر هذه الأبيات الأربعة [من
مجزوء الرجز] :

(١) أناط : أقرن .

(٢) الصّباح : خرق الأذن الباطن الذي يؤدّي إلى الرأس ، والقدم : المصفاة التي تجعل على فم الابريق
ليصفى بها ما فيه .

قلبي جداً مشتعل على الهموم مشتمل
وقد كستني في الهوى ملابس الصبّ الغزل
إنسانةً فتانةً بدر الدجى منها حجل^(١)
إذا زنت عيني بها فبالدموع تغتسل

وأشدني أبو حفص من قصيدة لأبي الفرج [من الطويل] :

يقولون لي ما بال عينك مذ رأيت محاسن هذا الطبي أدمعها مطل
فقلت زنت عيني بطلعة وجهه فكان لها من صوب أدمعها غسل
فصح عندي تشارك الخواطر وتواردها في المعاني ، إذ لم يكن مجال للظن
في سرقة أحدنا من الآخر ، والله أعلم بحقيقة الحال .

ومن غرر صاحبياته قصيدته التي أولها [من الطويل] :

لها من ضلوعي أن يشب وقودها ومن عبراتي أن تفضّ عقودها
بذلت لها الدّمع المصون وإن غدّت تمانعني في نظرة أستفيدها
سلامٌ عليها حيث حلّت فإنني عدمت فؤادي منذ عزّ وجودها
وكم ليلة زارت وقد لان أهلها وسامح واشيها ، وغاب حسودها
فحلّت بتضييق العناق عقودها وحلّي من درّ المدامع جيدها
وركب أطار والنوم عنهم وأجّجوا من العزم ناراً مستتيراً وقودها
على كل هوجاء النّجاة كأنّها تطير فما يؤذي الصخور وخودها^(٢)
تؤم بهم بحر الفضائل والعلّا ولا سفنٌ إلّا رحلها وقودها
يجوزون أجواز السبابس باسمه فيصفرّ داجيها ويدرج بيدها^(٣)

(١) حجل : غار واختفى .

(٢) الوخد : ضرب من السير .

(٣) السبابس : الفلوات والقفار ، ويدرج : يقطع .

فقد ملكوا العليا إذ عبدوا السرى
إليك تحملنا أمانى أجذبت
ولن يملك العليا إلا عبيدها
على ثقة أن النجاح وجودها
ومنها في وصف الجيش والحرب :

وشهباء يثني الشهب كمتاً نجيعها
تبدت لنا في روضة تنبت القنا
بماء الطلى أغوارها ونجودها
أدارت سقاة البيض والسمر بيننا
كؤوس المنايا حين غنى حديدنا
شفيت غليل الطير منها موسعاً
قراها وهامات الكماة سهودها
غمائم إيماض السيوف بروقها
لديها وإرزام الخيول رعودها^(١)
ولا غيث إلا أن يصب على العدا
بنوء الظبا حمر المنايا وسودها
يشرك النيروز باليمن مطلعاً
عليك نجوماً ما تغيب سعودها
فدم تدفع الجلى وتفتزع العلا
وتبدأ أفعال الندى وتعيدها
كسونا بك الأشعار فخراً وزينة
فخيم بين الشعريين قصيدها
وسار بها الركبان في كل بلدة
ولولاك ما جاز اللهة نشيدها^(٢)

وملح أبي الفرج كثيرة ، ولا يسع هذا الباب إلا هذا الأنموذج منها :

* * *

(١) الكمت : الخيل ، لونها أحمر إلى اسود ، والكديد : الأرض الغليظة .

(٢) إرزام : صهيلها وقد شبهه بصوت الرعد .

الباب السابع

في ذكر سائر شعراء الجبل والطارئين عليه من العراق وغيرها
وملح أخبارهم وأشعارهم

٣٤ - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المقيم

كان بهمدان من أعيان العلم وأفراد الدهر ، يجمع إتقان العلماء ، وظرف الكتاب والشعراء ، وهو بالجبل كابن لنكك بالعراق وابن خالويه بالشام وابن العلاف بفارس وأبي بكر الخوارزمي بخراسان ، وله كتب بديعة ، ورسائل مفيدة ، وأشعار مليحة ، وتلامذة كثيرة ، منهم بديع الزمان ، وأنا أكتب من رسالة لأبي الحسين كتبها لأبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب فصلاً في نهاية الملاحه يناسب كتابي هذا في محاسن أهل العصر ، ويتضمن أنموذجاً من ملح شعراء الجبل وغيرها من العصرين وظرف أخبارهم ، كأبي محمد القزويني وابن الرياشي والهمداني المقيم بشيراز وابن المناوي ، وأبي عبد الله المغلسي المراغي وغيرهم ، ثم أورد ما وقع إلي من ملح أبي الحسين ، إن شاء الله تعالى .

الفصل من الرسالة المذكورة

ألهمك الله الرشاد ، وأصحبك السداد ، وجنبك الخلاف ، وجبب إليك الانصاف . وسبب دعائي بهذا لك إنكارك على أبي الحسن محمد بن علي العجلي تأليفه كتاباً في الحماسة وإعظامك ذلك ، ولعله لو فعل حتى يصيب الغرض الذي يريده ، ويرد المنهل الذي يؤمه ، لاستدرك من جيد الشعر ونقيه ومختاره ورضيه كثيراً مما فات المؤلف الأول ، فماذا الإنكار ؟ ولمه هذا

الاعتراض ؟ ومن ذا خطر على المتأخر مضادة المتقدم ؟ ولمه تأخذ بقول من قال :
 ما ترك الأول للآخر شيئاً ، وتدع قول الآخر : كم ترك الأول للآخر ؟ وهل الدنيا
 إلا أزمان ولكل زمان منها رجال ؟ وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة إلا خطرات
 الأوهام ونتائج العقول ؟ ومن قصر الآداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت
 محدود ؟ ولمه لا ينظر الآخر مثل ما نظر الأول حتى يؤلف مثل تأليفه ويجمع مثل
 جمعه ، ويرى في كل ذلك مثل رأيه ؟ وما تقول لفقهاء زماننا إذا نزلت بهم من
 نواذر الأحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم ؟ أو ما علمت أن لكل قلب
 خاطراً ولكل خاطر نتيجة ؟ ولمه جاز أن يقال بعد أبي تمام مثل شعره ولم يجر أن
 يؤلف مثل تأليفه ؟ ولمه حجرت واسعاً ، وحظرت مباحاً ، وحرمت حلالاً ،
 وسددت طريقاً مسلوكة ؟ وهل حبيب إلا واحد من المسلمين له ما لهم وعليه ما
 عليهم ؟ ولم جاز أن يعارض الفقهاء في مؤلفاتهم ، وأهل النحو في مصنفاتهم ،
 والنظار في موضوعاتهم ، وأرباب الصناعات في جميع صناعاتهم ، ولم يجر
 معارضة أبي تمام في كتاب شذ عنه في الأبواب التي شرعها فيه أمر لا يدرك ولا
 يدري قدره ؟ ولو اقصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ، ولذهب أدب
 غزير ، ولضلت أفهام ثاقبة ، ولكلت ألسن لسنة ، ولما توشى أحد الخطابة ، ولا
 سلك شعباً من شعاب البلاغة^(١) ، ولمجت الأسماع كل مردّد مكرّر^(٢) ، وللفظت
 مقلوب كل مرجع ممضغ ، وحتام لا يسأم .

* لو كنت من زمان لم تستبح إبلي^(٣) *

والى متى

* صفحنا عن بني ذهل^(٤) *

(١) الشعب : الطريق .

(٢) مجت : استثقلت وكهرت .

(٣) تنمة البيت « بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا » .

(٤) تنمة هذا قوله : « وقلنا القوم إخوان » .

ولمه أنكرت على العجلي معروفاً ، واعترفت لحمزة بن الحسين ما أنكره
على أبي تمام في زعمه أن في كتابه تكريراً وتصحيفاً وإبطاء وإقواء ونقلًا لأبيات عن
أبوابها إلى أبواب لا تليق بها ولا تصلح لها إلى ما سوى ذلك من روايات مدخولة ،
وأمر عليلة ، ولمه رضى لنا بغير الرضى ؟ وهلا حسبت على إثارة ما غيبته
الدهور ، وتجديد ما أخلقته الأيام ، وتدوين ما نتجت خواطر هذا الدهر ، وأفكار
هذا العصر ، على أن ذلك لو رآه رائي لأتعبه ، ولو فعله لقرأت ما لم ينحط عن
درجة من قبله ، من جد يروعك ، وهزل يروك ، واستنباط يعجبك ، ومزاج
يلهيك !

وكان يقزوين رجل معروف بأبي محمد الضرير القزويني حضر طعاماً وإلى
جنبه رجل أكل فأحس أبو حامد بجودة أكله ، فقال [من الرجز] :

وصاحب لي بطنه كالهوايه كأن في أمعائه معاويه

فانظر إلى وجازة هذا اللفظ ، وجودة وقوع الأمعاء الى جنب معاوية ، وهل
ضر ذلك أن لم يقله حماد عجرد وأبو الشمقمق ؟ وهل في إثبات ذلك عار على
مبته ؟ أو في تدوينه وصمة على مدونه ؟

وبقزوين رجل يعرف بابن الرياشي القزويني ، نظر إلى حاكم من حكامها
من أهل طبرستان مقبلاً عليه عمامة سوداء وطيلسان أزرق وقميص شديد البياض
وخفه أحمر ، وهو مع ذلك كله قصير ، على برذون أبلق^(١) هزيل الخلق طويل
الحلق ، فقال حين نظر إليه [من السريع] :

وحاكم جاء على أبلق كعقعق جاء على لقلق^(٢)

فلو شاهدت هذا الحاكم على فرسه لشهدت للشاعر بصحة التشبيه وجودة

(١) أبلق : الذي في لونه بياض وسواد .

(٢) العقعق : طائر يشبه الغراب ، والقلق : طائر بحجم الإوزة طويل العنق والساقين « البجع » .

التمثيل ، ولعلمت أنه لم يقصر عن قول بشار [من الطويل] :

كأنّ مشار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

فما تقول لهذا ؟ وهل يحسن ظلمه في إنكار إحسانه وجحود تجويده ؟

وأنشدني الأستاذ أبو علي محمد بن أحمد بن الفضل لرجل بشيراز يعرف بالهمذاني ، وهو اليوم حي يرزق ، وقد عاب بعض كتابها على حضوره طعاماً مرض منه [من المتقارب] :

وفيت الردى وصروف العلل ولا عرفت قدماك الزلزل
شكا المرض المجد لما مرضت فلما نهضت سليماً أبل^(١)
لك الذنب لا عتب إلاّ عليك لماذا أكلت طعام السفل
طعامٌ يسوي يتبع النبيذ ويصلح من حذر ذاك العمل^(٢)

وأنشدني له في شاعر هو اليوم هناك يعرف بابن عمرو الأسدي ، وقد رأيته فرأيت صفة وافقت الموصوف [من المنسرح] :

وأصفر الليون أزرق الحدقه في كلّ ما يدّعيه غير ثقّه
كأته مالك الحزين إذا همّ برزق وقد لوى عنقه
إن قمت في هجوه بقافية فكلّ شعير أقوله صدقه

وأنشدني عبد الله بن شاذان القاري ليوسف بن حمويه من أهل قزوين ويعرف بابن المنادى [من الوافر] :

إذا ما جئت أحمد مستميحاً فلا يغرك منظره الأنيق
له لطفٌ وليس لديه عرفٌ كبارقة تروق ولا تريق

(١) أبل : شفي وتعافى .

(٢) البتع : صنع العسل من النبيذ .

فما يخشى العدو له وعيداً كما بالوعد لا يثق الصديق
وليوسف محاسن كثيرة ، وهو القائل ، ولعلك سمعت به [من الخفيف] :

حجٌ مثلي زيارة الخمار واقتنائي العقار شرب العقار
ووقاري إذا توقّر ذو الشيعة وسط الندى ترك الوقار
ما أبالي إذا المدامة دامت عذل ناه ولا شناعة جاري
ربّ ليل كأنه فرع ليلي ما به كوكبٌ يلوح لساري
قد طويناه فوق خشف كحيل أحور الطرف فاتر سحار
وعكفنا على المدامة فيه فرأينا النهار في الظهر جاري

وهي مليحة كما ترى ، وفي ذكرها كلها تطويل ، والإيجاز أمثل ، وما
أحسبك ترى بتدوين هذا وما أشبهه بأساً .

ومدح رجل بعض أمراء البصرة ثم قال بعد ذلك وقد رأى توانيا في أمره
قصيدة يقول فيها كأنه يجيب سائلاً [من مجزوء الكامل] :

جوّدت شعرك في الأمير فكيف أمرك قلت فاتر

فكيف تقول لهذا ؟ ومن أي وجه تأتي فتظلمه ؟ وبأي شيء تعانده فتدفعه
عن الإيجاز والدلالة على المراد بأقصر لفظ وأوجز كلام ؟ وأنت الذي أنشدتني
[من مجزوء الكامل] :

سدّ الطريق على الزمان وقام في وجه القطوب

كما أنشدتني لبعض شعراء الموصل [من المتقارب] :

فديتك ما شبت عن كبري وهذي سني وهذا الحساب^(١)
ولكن هجرت فحل المشيب ولو قد وُصّلت لعاد الشباب

(١) كبرة : تقدّم في السن .

فلم لم تخاصم هذين الرجلين في مزاحمتها فحولة الشعراء وشياطين الإنس ومردة العالم في الشعر؟

وأنشدني عبد الله المغلسي المراغي لنفسه [من الطويل] :

غداة تولّت عيسهم فترحلوا بكيت على ترحالهم فعميتُ
فلا مقلتي أدّت حقوق ودادهم ولا أنا عن عيني بذاك رضيت
وأنشدني أحمد بن بندار لهذا الذي قدمت ذكره ، وهو اليوم حتى يرزق [من
الخفيف] :

زارني في الدُّجى فمّمّ عليه طيب أردانه لدى الرُّبَاءِ^(١)
والثَّريّاً كأنّها كفٌّ خودٍ أبرزتُ من غلالةٍ زرقاء
وسمعت أبا الحسين السروجي يقول : كان عندنا طبيب يسمى النعمان
ويكنى أبا المنذر ، فقال فيه صديق لي [من الطويل] :

أقول لنعمان وقد ساق طبهُ نفوساً إلى باطن الأرضِ
أبا منذرٍ أفنيت فاستبقِ بعضنا حنانيك بعض الشُّرّاهون من بعضِ

* * *

وهذه ملح من شعر أبي الحسين بن فارس ، منها قوله في الشكوى [من
الطويل] :

سقى همذان الغيث لست بقائلٍ سوى ذا ، وفي الأحشاء نارُ تضرّمُ
وما لي لا أصفى الدعاء لبلدٍ أفدت بها نسيان ما كنت أعلمُ
نسيت الذي أحسته غير أنّي مدينٌ ، وما في جوف بيتي درهم

(١) نمّ عليه : دلّ وأشار .

وله [من الوافر] :

وقالوا كيف حالك قلت خيراً
إذا ازدحمت هموم الصدر قلنا
نديمي هرتي وأنيس نفسي
دفاتر لي ومعشوقي الشراب
وقوله [من مجزوء الرمل] :

كلُّ يومٍ لي من سَلَمَى عتابٍ وسبابٍ
وبأدنى ما أَلَقِي منهما يودي الشبابُ

وقوله [من البسيط] :

يا ليت لي ألف دينارٍ موجهٍ
قالوا : فما لك منها؟ قلت : يخدمني
وأنَّ حظِّي منها فلس إفلاسٍ
لها ومن أجلها الحمقى من الناس
وقوله [من السريع] :

مرّت بنا هيفاءُ مقدودةً
ترنو بطرفٍ فاترٍ فاتنٍ
تركيّةٌ تُنمي إلى التركِ
أضعف من حجةٍ نحوي

وقوله [من المنسرح] :

قالوا لي اخترتُ فقلت ذا هيفٍ
بدرٌ مليح القوام معتدلٌ
بي عن وصالٍ وصدهُ برحٍ
قفاه وجهٌ ووجهه ربحٌ
وقوله [من مجزوء الكامل] :

اسمع مقالة ناصحٍ جمع النصيحة والمِقة^(١)
إيّاك واحذر أن تبـيـت من الثقات على ثقـه

(١) المقة : المحبة .

وقوله [من المتقارب] :

إذا كان يؤذيك حرّ المصنّف
ويلهيك حسن زمان الربيع

وكرب الخريف وبرد الشتا
فأخذك للعلم قل لي : متى ؟

وقوله [من البسيط] :

صاحب لي أتانِي يستشير وقد
قلت أطلب أي شيء شئت واسع ورد

أدار في جنبات الأرض مضطربا
عند الموارد إلا العلم والأدبا

وقوله [من المتقارب] :

إذا كنت في حاجة مرسلأ
فأرسل حكيمأ ولا توصه

وأنت بها كلف مغرم
وذاك الحكيم هو الدرهم !

وقوله [من الطويل] :

عتبت عليه حين ساء صنيعه
فلما خبرت الناس خبر مجرب

وآليت لا أمسيت طوع يديه^(١)
ولم أر خيراً منه عدت إليه

أخذه من قول القائل [من الطويل] :

عتبت على سلم فلما هجرته
وجربت أقواماً رجعت إلى سلم

وقوله [من المتقارب] :

تلبس لباس الرضا بالقضا
تقدر أنت وجاري القضا

وخل الأمور لمن يملك
مما تقدّره يضحك

* * *

(١) آليت : أقسمت .

٣٥ - براكويه الزنجاني المعروف بالثلول

كل ما سمعت من شعره ملح وظرف ، ونكت لا يسقط منها بيت ، أنشدني
بديع الزمان له [من الوافر] :

مضى العمر الذي لا يستعادُ ولمّا يقض من ليلي مرادُ
بليت وذكرها عندي جديدُ وشاب الرأس واسودّ الفؤادُ
تواصى للرحيل بنو أبيها فقلت لغير رأيكم السّداد

وأنشدني أبو نصر المغلسي قال : أنشدني براكويه لنفسه في غلامه يوسف [من
الطويل] :

مضى يوسف عنا بتسعين درهماً وعاد وثلت المال في كفّ يوسف
وكيف يرجّى بعد هذا صلاحه وقد ضاع ثلثا ماله في التصرف ؟

وأنشدني غيره له [من الوافر] :

وأهيفَ نالت الأيام منه غداة أظللّ عارضه السواد
تعرّض لي ومرّض مقلتيه فما ورّيت له عندي زناد
وقلت ارجع وراءك وابغِ نوراً أجئت الآن إذ ظهر الفساد
فغيرك من يصيد بمقلتيه وغنجهما وغيري من يصاد

وقوله [من البسيط] :

أقسم زمانك بين الورد والآس واطلب سرورك بين الكيس والكاس
واجعل طبيبك ذا ، واجعل أنيسك ذا واخطب إلى الناس ودّ الناس بالياس
وقد مضى الناس فانظر ما الذي صنعوا ولا تكن لرسوم الناس بالناسي^(١)

(١) رسوم الناس : آثارهم .

وقوله [من الوافر] :

خرجت مباركاً من باب داري أحاول حاجةً فإذا زهيرُ
فلم أثن العنان وقلت أمضي فوجهك يا زهير خراً وخيرُ
وقوله [من الطويل] :

هلمَّ إلينا يا أخا الفضل والحجى فإنَّ لدينا من صنوف الأطيابِ
أطيابٍ لهوٍ من سرورٍ ولذَّةٍ ومن طيِّبات الرزق قدرٌ لطالبِ
مطيَّبةٌ بكرٌ بخاتم نارها وخطابها يأتون من كلِّ جانبِ
وأنت لها أولاهم بافتضاها فحيَّ عليها الآن يا خير صاحبِ

* * *

٣٦ - أبو الحسن علي بن محمد بن مأمون الأبهري

أنشدني عون بن الحسين الهمداني ، قال : أنشدني ابن مأمون الأبهري
لنفسه [من المتقارب] :

ألا يعجب الناس ممّا دعو ت ، يا للأنام لفقد الكرمِ
تيمّمت أحمد في حاجةٍ فقابلني بحجابٍ أصمّ
وإنّ الفتى لحقيقٌ بأن يهان إذا خفّ منه القدم
ومستخبرٍ كنه ما بيننا من الحال قلت أخُ وابن عم
كلانا إلى منسبٍ نعتزي وتجمعنا آصرات الرحم^(١)
ولكنّ له الفضل في أنّه يصول بقرنٍ وأنّي أجم^(٢)

وأنشدني أيضاً له [من الطويل] :

(١) آصرات الرحم : روابط القرى .
(٢) أجمّ : الذي لا قرن له والرجل بلا رمح في الحرب .

خليليّ ماذا أرتجي من غدٍ امرئٍ
وإن امرءاً قد ضنّ عنك بمنطقٍ
طوى الكشح عنيّ اليوم وهو مكين^(١)
يسدّ به فقرُ امرئٍ لضنينٍ
وله [من المنسرح] :

ما كلّ من جدّد الزمان له
إن كنت يا سيدي ويا أُملي
حسبك أني من طول هجرِكَ لا
أدري نهاري أم ليلتي أطولُ
وله [من الهزج] :

متى ترغب إلى النَّاسِ	تكنُ للنَّاسِ مملوكا
وإن أنت تخفّفت	على النَّاسِ أحبوكا
وإن ثقلت عافوك	وملّوكُ وسبّوكا
إذا ما شئت أن تعصي	فمرُ من ليس يرجوكا
وسلُ من ليس يخشاك	فيدمي عندها فوكا

* * *

٣٧ - أبو علي الحسن بن محمد الضبيعي

من بعض كور الجبل ، يقول في وصف مجمرة ومدخنة [من الطويل] :

ومنحوتةٍ من جنس قلبك قسوةٌ
حوت جمرةً في لون خدك حمرةً
يذكرني ما فاح من عرف ندها
برزت بها في مثل قدك لنا
وفي حرّ أحشائي هوىً وحنينا
شهوراً مضت في وصلنا وسنينا
وله في وصف المجمرة [من الطويل] :

(١) طوى الكشح عن الأمر : أي أخفاه، والكشح : ما بين الخاصرة والسرة ووسط الظهر من الجسم .

ومبرقة والبر تنوي وما نوت
 لها قسطل في كل نادٍ تثيره
 أتت حاملاً شمساً توقد في دجاً
 كأن دخان الند من فوق جمرها

وله [من الطويل] :

ولما عدتني عنه بادرة النوى
 فسرت وقد خلقت قلبي عنده

وله في غلام تركي [من البسيط] :

أضيغم أم غزال ذاك أم بشر
 لقد تحير وصفي في حقيقته

وله [من مجزوء الرمل] :

أنا مملوك لملوك وللدهر صروف
 أيها السائل عن مو لاي مولاي وصيف
 يا غزلاً لحظ عينه منايأ وحتوف
 ما الذي ورد خديك ربيع أم خريف

* * *

٣٨ - أبو الحسين علي بن الحسين الحسني الهمداني

من عليّة العلوية ، ومحاسن الحسينية ، وكان صاحب صاهره بكريمته التي

(١) البرّ: المعروف والخير ، والعقوق : نكران الجميل .

(٢) ابناء حام : الزنوج شبه به الفحم ، لسواده .

(٣) الحور : شدة بياض العين وشدة سوادها .

هي واحده ، فرزق منها عباد بن علي الذي تقدم ذكره ، ولما قال صاحب قصيدته المعرة من الألف التي هي أكثر الحروف دخولاً في المنظوم والمثور وأولها [من المجتث] :

قد ظلَّ يجرح صدري من ليس يعدوه فكري
وهي في مدح أهل البيت ، تبلغ سبعين بيتاً - تعجب الناس منها ، وتداولتها الرواة [من الطويل] :

فسارت مسير الشمس في كل بلدة وهبت هبوب الريح في البر والبحر
فاستمر صاحب على تلك المطية ، وعمل قصائد كل واحدة خالية من حرف من حروف الهجاء ، وبقيت عليه واحدة تكون معرة من الواو، فانبرى أبو الحسين لعملها ، وقال قصيدة فريدة ليس فيها واو ، ومدح صاحب في عرضها ، أولها [من مجزوء الكامل] :

برقُ ذكرت به الحبايب	لما بدا فالدمع ساكبُ
أمدامعي منهلةُ	هاتيك أم غزر السحابُ
نثرت لآلي أدمعٍ	لم يفتزعها كفٌ ثاقبُ
يا ليلةً قد بثُّها	بمضاجعٍ فيها عقاربُ
لما سرت ليلى تخبُّ	لنأيها عنا الركائبُ ^(١)
جعلتُ قسيَّ سهامها	إن ناضلته عقد حاجبُ
لم يخط سهمٌ أرسلته	، إن سهم اللحظ صائبُ
تسقيك ريقاً سكره	إن قسته للخمر غالبُ
كم قد تشكى خصرها	من ضعفه ثقل الحقايبُ
كم أخجلت بصفائري	أبدت لنا ظلم الغياهبُ

(١) الخبب : ضرب من العدو .

إخجال كفّ الصاحب الـ	قمر المرجى للسحاب
ملكٌ تلاًّ من معا	قد عزّه شرف المناصب
نشأت سحاب رفته	في الخلق تمطر بالرغائب
خذها إليك فإنني	نقحتها من كلّ عائب
أفيت ما لاقيت من	إلقائه إحدى المصاعب
حرفاً يعلل كلّ حر	فـ حلّ من لفظ المخاطب
هاذاك ترب الهاء إنّ	لم أبدّه فالتّهج لاحب ^(١)
لكنّ له تمثال قا	فـ خطّه في السطر كاتب
أني اغترفت خليجها	من بحرك العذب المشارب
فانعم بملكٍ دائماً	ما حجّ بيت الله راكب

وله في دار بعض الملوك [من الكامل] :

دار علت دار الملوك بهمة	كعلو صاحبها على الأملاك
فكانّها من حسنّها وبهائها	بنيت قواعدها على الأفلاك

* * *

٣٩ - أبو سعد علي بن محمد بن خلف الهمداني

أحد أفراد الزمان الذين ملكوا القلوب بفضلهم ، وعمرؤا الصدور بودهم يرجع إلى أدب غزير ، وفضل كثير ، ويقول شعراً بارعاً كأنما أوحى بالتوفيق إلى صدره ، وحبس الصواب بين طبعه وفكره ، وكان الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي جاز به عند منصرفه من الحج ، فخدمه أبو سعد بنفسه ونظمه ونثره . وانعقدت بينهما معاقدة المشالكة ، وصداقة المناسبة . ولما أنشده الأمير

(١) اللاحب : الطريق الواضح .

أبياتاً لأبي الفتح علي بن محمد البستي مشابهة القوافي ، قال أبو سعد أبياتاً فيه ،
على سبيل أبي الفتح فيها نهج ، وعلى منواله نسج ، فمنها قوله [من السريع] :

ما سرُّ مولاي نبيُّ الهدى	بوحى جبريل وميكال
إلا قريباً من سروري بما	رزقت من ود ابن ميكال
لكن نواه قد أطاشت دمي	فالله فيه لدمي كالي ^(١)

وقوله [من الطويل] :

أبي الفضل أن يحظى به غير أهله	من الناس فاخصَّ الأمير أبا الفضل
وإني وإن أصبحت حرّاً فإنني	عبيد عبيد الله ذي المن والفضل
هل الفضل إلا ما حوته خلالة	وما بعده فضلٌ يعدُّ من الفضل

ومما وقع إلي بعد ذلك من غرر شعره التي رضي فيها عن طبعه قوله [من
الطويل] :

أصرّح بالشكوى ولا أتأول	إذا أنت لم تجمل فلم أتجمل ؟
أفي كل يوم من هواك تحامل	عليّ ومنّي كل يوم تحمل ؟
وإني على ما كان منك لصابر	وإن كان من أدناه يذبل يذبل
وما أدعي أنني جليدٌ، وإنما	هي النفس ما حملتها تتحمل

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي له [من مجزوء الرجز] :

زاد غرامي لها	فطر غمام سكباً
فعاقني عن قصدكم	كما تعوق الرقباً
وكان عهدي قبل ذا	بالماء يطفئ اللهبا
فكيف قد فارق لي	طباعه وانقلباً

(١) أطاش السهم : أمال عن الهدف ، أطاش الدم : أخرجه وبدّده ، وكالي : حافظ وواقي .

وهكذا الدهر يُرى في كلِّ يومٍ عجباً

* * *

٤٠ - أبو علي الحسين بن أبي القاسم القاشاني

شاعر حسن الشعر ، كثير الملح والنكت ، أنشدني غير واحد له [من المنسرح] :

عينيَّ مذ شطَّتِ الدِّيارَ بكمْ تحكي سماءً والدَّمعُ أنجمها
كأنَّ في وجنتي أبالسةٌ تسترق السَّمعَ وهي ترجمها

وأنشدني أبو منصور اللجيمي الدينوري ، قال : أنشدني أبو عليُّ لنفسه في العنب
[من الطويل] :

نهاني عدولي بل لحاني إذ رأى ولوعي بالأعناب أكثر قضمها^(١)
فقلت له الصهباء كانت عشيقتي فقد ألزمتني رقةً الحال صرمها^(٢)
فعللت بالأعناب نفسي كمنعظٍ نأت عرسه عنه فواقع أمها^(٣)

وأنشدني أيضاً ، قال : أنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

يا ليلةً جمعه ربي والمدام ومن أهواه في روضةٍ تحكي الجنان لنا
لأشكرنك ما ناحت مطوقةً على الغصون كما طوقتني مِتْنًا

وأنشدني غيره لأبي علي [من الطويل] :

أليس عجيباً أنَّ جسمي ناحلٌ نحول خلالٍ بل نحول هلالٍ
وأحمل ثقلًا في الهوى لا تقله متون جمالٍ بل متون جبال^(٤)

(١) قضمها : أكلها والتهامها .

(٢) صرمها : جفائها وقطعها .

(٣) المنعظ : « يريد الواقعة » واقع : جامع ، وأنعظ : انتصب وقام .

(٤) المتون : الظهور .

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي ، قال : أنشدت بالري لأبي علي [من
المنسرح] :

قل للذي يظهر التبرُّم بي وبالرقاع التي أسطرَّها
حاجة مثلي إليك عارفةٌ عندك بالله لست تشكرها

* * *

٤١ - أبو القاسم عمر بن عبد الله الهرندي

أنشدني الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي له [من مجزوء الكامل] :

الريحُ تحسدني عليك ولم أخلها في العدا
لما هممت بقبلةٍ ردت على الوجه الرِّدا

وأنشدني له [من الوافر] :

وقالوا أيُّ شيءٍ منه أحلى فقلت المقلتان المقلتان
نعم والطرتان هما اللتان على عمر الهرندي ففتتان

وأنشدني هرون بن جعفر الصيمري ، قال : أنشدني عمر الهرندي لنفسه [من
الخفيف] :

لا أحبُّ المدام إلا العتيقا ويكون المزاج من فيك ريقا
إنَّ بين الضلوع منِّي نارا تتلظى فكيف لي أن أطيقا
بحياتي عليك يا من سقاني أرحيقاً سقيتني أم حريقا

وعلى ذكر الحريق والرحيق فقد قال بعض أهل نيسابور [من مجزوء الرمل] :

وعقارٍ عيشٍ من عا قرها عيشٌ رشيقٌ
فهي للأنس نظامٌ وإلى اللهو طريق

وهي للأرواح في أبداننا نعم الصديق
قلت لما لاح لي منها شعاع وبريق
أشقيق أم عقيق أم رحيق أم حريق؟

وأنشدت له في ذم المتصوفة [من مجزوء الرجز] :

تَبَّأْ لِقَوْمٍ جَعَلُوا دِيناً لَدُنْيَا مَأْكَلَهُ
تَسْتَرُوا بِأَنَّهُمْ صُوفِيَةٌ مُحِبُّهُ
وَمَا يَسَاوِي نَسْكُهُمْ قِمَامَةٌ مِنْ مَزْبَلِهِ
إِتَّخَذُوا شَبَاكُهُمْ إِحْفَاءَهُمْ لِلْأَسْبَلِهِ^(١)

وله من قصيدة في أبي الفتح بشر بن علي [من الكامل] :

رؤياك في أمري روية حازم ذي حكمة فأقول قولاً مبرماً
إن تقصني أمسيت مضغة ضيغم أو تدنني أصبحت ذاك الضيغما
وله فيه من قصيدة وقد كتبت به دابته في نهر عميق فهلكت وسلم أبو الفتح من
المتقارب] :

بنحس أعاديك دار الفلك وما دار يوماً بسعدٍ فَلَكَ^(٢)
وإن همَّ دهرٌ بما لا أقول فنفسى الفدا وعليَّ الدَّرَكُ^(٣)
بقيت جواداً فلا تحزنُ لفقد الجواد الذي قد هلك
فإنْ أذنب الدهر في أخذه فخيرٌ من الطرف ما قد ترك

* * *

(١) إحفاءهم الأسبلة : إزالتهن للشوارب ، والسبال : الشعر الذي ينبت فوق الشفة العليا .

(٢) الفلك : الفضاء ونجومه وفلك : الثانية مؤلفة من الفاء ولك ، أي أن السعد لك .

(٣) الدَّرَك : أي تبعة العمل .

٤٢ - أبو عبد الله المغلسي المراغي

قد تقدم له ذكر في الفصل من رسالة أبي الحسين بن فارس ، وهو القائل في
محك الذهب [من الطويل] :

ومشتمل من صبغة الليل بردة يفوف طوراً بالنضار ويطلس^(١)
إذا سألوه عن عويص ومشكل أجاب بما أعايا الوري وهو أخرس^١
وله في اللواء [من الطويل] :

ومرتفع للناظرين محارب ترى رأسه في بسطة الباع مائلا
حكى ثملاً أصغى إلى البين فاعتدى يشق عن الأذيال منه الغلائلا
وأخبرني أبو الحسين النحوي أن له في الأوصاف وما يجري مجرى العويص
شيئاً كثيراً ، وإذا وقع إلي منه ما يصلح للإلحاق بهذا الفصل ألحقته ، إن شاء الله
تعالى .

* * *

٤٣ - القاضي أبو بكر الأسي

من أهل الري ، بلغتني له أبيات يسيرة في نهاية خفة الروح ، كقوله [من
مجزوء الرمل] :

يا غزلاً هو للحسد من مقرر ومحط
لم تكن أنت بهذا الحسن والبهجة قط
مذ بدا في عاج خديك من العنبر خط

وقوله [من المنسرح] :

وزائر زار حائفاً رصداً لم أرج منه زيارة أبداً

(١) النضار : الذهب الخالص : ويطلس : يحجو ، ويطلس الكتاب : يحاه .

لو جاز أن يعبد امرؤُ أحدًا من دون ربِّ الورى إذا عبدا
 قمت لإكرامه فباس يدي أكرم بها في الهوى عليّ يدا
 يا قبله أصبحت لها شفتي تموت من غيظ راحتي كمدا

* * *

فصل

في ذكر نفر من الطارئين على بلاد الجبل

٤٤ - أبو عبد الله البطحاوي

قال [من مجزوء الرمل] :

يا حمامي وجمي وگرامي وغريمي
 وسقيم الودّ والعهد لذي جسمٍ سقيم
 لم يزل ذكرك مذفا رقت ندماني نديمي
 وجهك الزاهر لي رو ضُ وريّاك نسيمي
 غير أنّي أشتكي منك إلى غير رحيم
 معرض عن وجه إقبا لي خليّ عن همومي

* * *

٤٥ - ابن حماد البصري

قال [من البسيط] :

إن كان لا بدّ من أهلٍ ومن وطنٍ فحيث آمنُ من ألقى ويأمني
 يا ليتني منكرٌ من كنت أعرفه فليست أخشى إذا من ليس يعرفني
 لا أشتكي زمني هذا فاظلمه وإنما أشتكي من أهل ذا الزمن

قد كان لي كنزٌ صبرٌ فافتقرتُ إلى إنفاقه في مزاراتي لهمْ وقتي
وقد سمعتُ أفانينَ الحديثِ فهلْ سمعتُ قطْ بحرٌ غيرَ ممتحنِ

* * *

٤٦ - شمسويه البصري

قال في غلام يبيع الفراني [من الخفيف] :

قلت للقلب ما دهاك : أجيني قال لي : بائع الفراني فراني^(١)
ناظراه فيما جنى ناظراه أو دعاني أمت بما أو دعاني

* * *

٤٧ - أبو الفضل النهر عاسي

قال [من الكامل] :

لولا تعاليل النفوس وأنها مخدوعةٌ ما سرَّها محبوبُ
خاب امرؤٌ محضُ النصيحة نفسه كلُّ يشوبُ لنفسه ويروب^(٢)

* * *

٤٨ - أحمد بن بندار

قال [من الطويل] :

وقالوا يعود الماء في النهر بعد ما عفتْ منه آثارٌ وجفتْ مشارعةٌ

(١) الفراني : جمع فرني أو فرينة ، وهو نوع من الحلوى تحبب في الأفران، وفراني الثانية : شقني أو جرحني .

(٢) يشوب : يمزج ، ويروب : يخلط عقله ورأيه ، ورأب اللبن : ثخن واشتد ، والروب : الكذب .

فقلتُ إلى أن يرجع الماء عائدًا ويعشب شطّاه تموت ضفادعه

* * *

٤٩ - أبو عبد الله الروزباري

قال في وصف الثلج [من البسيط]

فهاتها قهوة فرلجة - الكرب	ما لابن همّ سوى شرب ابنة العنب
على الغيوم فقد جاءتك بالطرب ^(١)	أدهق كؤوسك منها واسقني طرباً
يما نثرن عليها وهي لم تشب	أما ترى الأرض قد شابت مفارقها
فاشرب على منظر مستحسن عجب	نثار غيث حكى لون الجمال لنا
فجد لنا بالتي في اللون كالذهب	جاد الغمام بدمع كاللجين جرى

* * *

الباب الثامن

في ذكر من هم شرط الكتاب من أهل فارس والأهواز
سوى من تقدم ذكرهم في ساكني العراق

كعبد العزيز بن يوسف وأبي أحمد الشيرازي ، وسوى من يتأخر ذكرهم في
الطائفتين على خراسان كأبي إسحاق المتصفح كان ببخارى وأبي الحسن محمد بن
الحسين النجوي المقيم الآن بإسفرائين من نيسابور وأبي الحسين الأهوازي
صاحب كتاب القلائد والفرائد المقيم كان بالصغانيات

* * *

٥٠ - أبو بكر هبة الله بن الحسين الشيرازي

المعروف بابن العلاف

كان بفارس للأدب مجمعا ، وللشعر مفزعا ، مع التصرف في مدارج
الأحكام ، والمعرفة بشعب الحلال والحرام ، والقبول التام ، عند الخاص
والعام ، حق التسعين ولم تبيض له شعرة ، وهو القائل في التبرم بشباهه من قصيدة
[من الوافر] :

إلامَ وفيهم يظلمني شباي ويلس لمّتي حلل الغراب
وآمل شعرة بيضاء تبدو بدو البدر من خلل السحاب
وأدعى الشيخ ممتكئا شبايا كذي ظمأ يعلل بالسراب

فيا هللكي هنا لك من مشيبي ويا خجلتي هنا لك واكتشائي
 ألا يا خاضب الشيب المعنى أعني في الشَّباب على الخضاب
 فكافور المشيب أجلُّ عندي وفي فودي من مسك الشَّباب
 وأين من الصباح ظلامٌ ليل وأين من الرِّباب دجى ضباب^(١)
 ألا من يشتري مني شيباً بشيبٍ واسوداداً باشهباً^(٢)

ومما يستحسن من شعره في عضد الدولة قوله [من السريع] :

يا عَلمَ العالم في الجود مثلك جوداً غير موجود
 بيّضت من وجه الندى بالندى ما اسودَّ في أيامه السّود
 كم لك في كسبك للحمد من سعي على الأيام محمود
 بين مطيع لك أصفده^(٣) وبين عاصٍ لك مصفود^(٤)
 بك استوى الجود على خدمة كما استوى الفُلك على الجودي^(٥)
 كم مورد منك ندى أو ردى بين الرضا والسخط مورد
 وسؤدد منك بعزّ العلا يا عضد الدولة معضود
 والدهر طوع لك في كلّ ما تحده من كلّ محدود
 وكلّ جارٍ لك من جوره في ظلّ أمنٍ بك ممدود
 فعشّ وعيداً سالماً آمناً ما عاد لطف الماء في العود
 واسعد يد الدهر بما شئت من ملكٍ لأبنائك موطود

ومما يستجاد من شعره قوله في الغزل [من البسيط] :

خدّاك للخنّس السّبع العلا فلك ومقلّتك لشّرّاد الهوى شرك^(٦)

(١) الرِّباب : السحاب الأبيض ، يعني به الشيب .

(٢) اشهب : وهو السواد الذي خالطه البياض .

(٣) الاصفاد : العطاء ، وأصفده : أعطاه ، والمصفود : المقيد المشدود .

(٤) الجودي : جبل في العراق رست عليه سفينة نوح عليه السلام .

(٥) الخنّس : الكواكب ، والشرك : حبال يعضده من وقع فيها .

وفيك نفعٌ وضرٌّ يجريان كما
فالضرُّ أجمعٌ مخصوصٌ به بدني
وقوله [من الطويل] :

أبعدَ دنو الدار من داركم أجفى
وكنت إذا سلسلت في كأس ذي هوى
فقيم يخون العهد من صنت عهده
وقوله في الزهد [من المنسرح] :

ما عذر من جرَّ غاويًا رسةً
أكلما طالَّت الحياة به
قل لي إذا متُ كيف تنقص من
ما عذره بعد أربعين سنة
أطال عن أخذِ حذره وسنه
سيئةٍ أو تزيد في حسنه

* * *

٥١ - أبو بكر بن شاذبة الفارسي

وجدت في سفينة بخط الشيخ الرئيس أبي محمد عبد الله بن إسماعيل
الميكالي لأبي بكر بن شاذبة الفارسي [من الطويل] :

إذا لم يكن مَن يؤوب هديةً
وإن يهدِ أقلاماً ونقشاً وكاغداً
وإن يهدِ يرداً أو ردةً محبراً
فلا لقيته بالسعادة دارةً
فلا قرَّ يوماً بالمقام قراره^(١)
فلا زال عنا ظله وجواره
وله [من الخفيف] :

(١) الصرف : الخالص الصافي .

(٢) النفس : الحبر ، والكاغد : الورق .

طال شوقي فما ترى في التلاقي
إن هذا الربيع ليس ببقاء
وكسوف المحب يوم الفراق

يا صماني على الربيع وشرطي
استرني بحرمتي ، أو قزني
آفة البدر ما علمت كسوف

وله [من الكامل] :

يوم أتاك به الزمان جديد
وأتى الخريف ووقته المحمود
فبقاء عمرك كل يوم عيد
بسماع أهيف في يديه عود

أنعم بيوم المهرجان فإنه
ومضى المصيف وحره وعجابه
إن كان هذا اليوم عيداً للورى
والراح طيبة إذا ما عللت

وله [من السريع] :

أوسع من نعمة إخوانه
يبدلها في بعض أحيانه
مشرف شيد بأركانه^(١)
على أدانيه وخلانه

أكل من كان له نعمة
أم كل من كانت له كسرة
أم كل من كان له جوسق
يرى بها مستكبراً تائهاً

* * *

٥٢ - أحمد بن الفضل الشيرازي

كان يهوى فتى من أولاد الأغنياء المشرفين بشيراز ، فقال فيه [من الكامل] :

علقت واحد أمه وأبيه
يتلقطان كلامه من فيه
من نخوة مشتقة من تيه

ومن البلية والعطائم أنني
فهما ذوا حذر عليه تراهما
قد دللاه وأورثاه رعونة

* * *

(١) الجوسق : القصر .

٥٣ - المعروف المنبسط الشيرازي

سمعت أبا نصر سهل بن المزربان يقول : أضاف المنبسط بعض إخوانه ثم
خرج وخلاه في منزله ، فكتب إليه [من البسيط] :
يا خالي الجيب من عقل ومن أدب وإن تحليت من خال ومن نسب
تركتني ومعني في البيت واحدة وأنت تعلم ما يجري به لقي

* * *

٥٤ - أبو رجاء أحمد بن عفو الله الكاتب الشيرازي

قال [من البسيط] :

غضبت من قبله بالكوه جئت بها فهذا فمي لك فاقتصيه أضعافا
لم يأمر الله إلا بالقصاص فلا تستجوري ما يراه الله إنصافا

* * *

٥٥ - أبو عبد الله الخوزي

قال [من السريع] :

ويل لمن عدله القاضي والله عنه ليس بالراضي
تمضي القضايا بشهادته وهو إلى النار غداً ماض

* * *

٥٦ - أبو الحسن بن أبي سهل الأرجاني

قال [من المتقارب] :

مدحت ابن كلثوم صهر الوصي فأنزلني بالمحل القصي

فأطعمه الله سلح الخصى وكلل يافوخه بالعصي^(١)

* * *

٥٧ - أبو علي بن غيلان السيرافي

قال [من مجزوء الكامل] :

قد كنت ألتمس الشرا ب فقد بدا لي في الشراب
وأهمني خبز الشعير ولم يكن ذا في حسابي

* * *

٥٨ - ابن خلاد القاضي الراهمزمري

هو أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد .

من أنياب الكلام ، وفرسان الأدب ، وأعيان الفضل ، وأفراد الدهر ، وجملة
القضاة الموسومين بمدخله الوزراء والرؤساء ، وكان مختصاً بابن العميد
تجمعهما كلمة الأدب ولحمة العلم ، وتجري بينهما مكاتبات بالثر والنظم ، كما
تقدم ذكر صدر منهما ، وهكذا كانت حاله مع المهلي الوزير ، وهو الكاتب إليه
لما استوزر [من البسيط] :

الآن حين تعاطى القوس باريتها وأبصر السمت في الظلماء ساريتها^(٢)
الآن عاد إلى الدنيا مهلبها سيف الوزارة بل مصباح داجيتها
تضحى الوزارة تزهى في مواكبها زهو الرياض إذا جادت غواديها^(٣)

(١) السلح : الغائط ، واليافوخ : الرأس .

(٢) السمت : الطريق .

(٣) جادت غواديها : هطلت أمطارها .

تاهت علينا بميمون نقيته قلت لمقداره الدنيا وما فيها
معز دولتها هنتها فلقد أبدتها بوثق ممقن رواسيها
فأجابه المهلب بهذه الأبيات [من السبط] :

مواهب الله عندي ما يدانيها سعي ومجهود وسعي لا يوازيها
والله أسأل توفيقاً لطاعته حتى يوافق فعلي أمره فيها
وقد أتتني أبيات مهذبة طريقة جزلة رقت حواشيها
ضممتها حسن إبداع وتهنئة أنت المهنأ بياديهما وتاليها
فثقت بنيل المنى في كل منزلة أصبحت نعمرها مني وتبنيها
فأنت أول موثوق بنيتي وأقرب الناس من حال ترجيها
ومن ملح ابن خلاد قوله في نفسه [من السريع] :

قل لابن خلاد إذا جته مستنداً في المسجد الجامع
هذا زمان ليس يحظى به حدتنا الأعمش عن نافع

وقوله وقد طولب بالخراج [من الرجز] :

يا أيها المكثرفينا الزمجره ناموسه دفتره والمحبه^(١)
قد أبطل الديوان كتب السحرة والجامعين وكتاب الجمهوره
هيهات لن يعبر تلك القنطرة نحو الكسائي وشعر عترة
ودغفل وابن لسان الحمرة ليس سوى المنقوشة المدوره^(٢)

وقوله [من الطويل] :

غنة قليل مالك ومحمد إذا اختلفت سمر القنا في المعارك

(١) ناموسه : شريعته .

(٢) ابن لسان الحمرة : خطيب بليغ نسابة ، اسمه عبد بن حصين ، ويقال : ورقه بن الأشعر .

تَجَمَّلُ بِمَالٍ وَاعْدُ غَيْرَ مَذْمُومٍ بِمَشْرَاطِ حِجَامٍ وَمُنَوَالِ حَائِكٍ
وما يتغنى به من شعره قوله في غلام من أبناء الديلم [من مجزوء الرجز] :

يا مَنْ لَصَبٌ قَلَقٌ بات يراعي الفلكا
جار به مَسْلُطٌ يجور فيمن ملكا
يهزأ من عاشقه يضحك منه إن بكى
مر بنا يخطر في سريحة دلُّكا
كشادنٍ ريع من الشَّيْءِ صَيَّادُ أَبْدَى شَرِكَا^(١)
فقلت يا أحسن من تبصر عيني من لكا
فقال لي بغنة إليك لا أجرحكا
تبأ لقاضٍ يبتغي من المعاصي دركا^(٢)
فقلت والله الذي صيرني عبداً لكا
ما إن أردتُ ربيعة ولم أَرِدْ سوءاً بكا
وأنت في قولك ذا أثمٌ ممَّنْ أشركا

وقوله من قصيدة في عضد الدولة أبي شجاع رحمه الله تعالى [من الكامل] :

جِادِيْ عِرَاصِكُ مَزْنَةٌ يَا دَارُ وكَيْسَاكَ بَعْدَ قَطْنِكَ النُّوَارُ^(٣)
فَلَيْكُمُ أَرْقَتْ بِعَقْبَتَيْكَ صَيَابَةٌ ماء المدامع والجوانح نار^(٤)
ولقد أدبيل من الجهالة والصبا زمنٌ على زينة العقول عيار^(٥)

ومنها في المدح :

(١) الشادن : الغزال ، وريع : خاف ، والشرك : المصيدة .

(٢) تبأ : قطعاً وهلاكاً ، دركا : نيلاً .

(٣) العراص : الساحات ، والقطن : الساكن .

(٤) العقوة : شجر ، أو ما حول الدار والمحلة .

(٥) أدبيل : غلب ، وأدال الشيء : تداوله .

فعلت به لذوي الحجي أقدارُ
ودنا من الكرم البعيد مزارُ
ظهراً وناضل عنهما أنصارُ
تبني القوافي يعربُ ونزارُ
والقائلين بفضلِه أبصارُ
والأعشيان وأقبل المرارُ
وكثيرُ ومزردُ وضرارُ
يعزى الصليب إليه والزنارُ^(١)
والآخرون يقودهم بشارُ
والأصمعي ولم يغبُ عمارُ
كالأرض ناشرة لها الأمطارُ
فما القريض وعاشت الأشعارُ

كرَّ الفرار بيمنه وسعوده
عمرت من الأدب الفقيده
والفقه والنظر المعظم شأنه
عادت إلى الدنيا بنوها واغتدت
وسمت إلى فصل الخطاب وأهله
آب الحصين وعترُ ومهللُ
والنابغان وجرولُ ومرقشُ
وسما جريرُ والفرزدق والذبي
وغدا حبيبُ والوليد ومسلمُ
وأتى الخليل وسيبويه ومعمُرُ
نشرت بفنا خسرو أربابها
أحيا الأمير أبو شجاع ذكرهم

ولما توفي ابن خلاد رثاه صديق له بقصيدة في نهاية الحسن ، أولها [من
الكامل] :

وسرور أبناء الزمان غمومُ
أقصى المنى حتفٌ عليه يخومُ
مترٌ وعقد وفائها مذمومُ
جذبُ ، وناضع عيشها مسمومُ^(٢)
يفنى ، ولا فيها النعيم مقيمُ^(٣)

همم النفوس قصارهن همومُ
ومصير ذي الأمل الطويل وإن حوى
وسعادة الإنسان على استحلائها
وهتيحها برحُ ، وخصب ربيعها
لا سعادها يبقى ، ولا لأواؤها

(١) يعزى الصليب إليه : ينسب إليه وضع الصليب في صدره ، وهو الأخطل الكبير ثالث المثلث الأموي المشهور .

(٢) السنيح والبارح : السنيح : الطائر الذي يمر من يسار الرائي إلى يمينه ، والبارح : الطائر الذي يمر من اليمين إلى اليسار « رمزان للتشاؤم والتفاؤل » عند العرب .

(٣) اللأواء : الشدة .

محسودها مرحومها، ورئيسها
 وبقلوها سبب الفناء، ووعدها
 أما الصحيح فإنه من خوف ما
 وسلمها طي السلامة دائماً
 وغنيها حذر الحوادث والردي
 سيان في حكم الحمام وريه
 أودي ابن خلاد قريح زمانه
 لو كان يعرف فضله صرف الردي
 عظمت فوائد علمه في دهره
 إقليم بابل لم يكن إلا به
 أنى اهتدى ريب المنون لسائر
 ظلم الزمان فبر عنه كماله
 لا تعجب من الزمان وغدره
 لو كان ينجو ماجد لتقية
 لكنه أمر الإله وحكمه
 روض من الآداب غص زهره
 وحديقة لما تزل ثمراتها
 شماعة الوزراء حلو حديثه
 ريحانة الكتاب من ألفاظه
 أما العزاء فما يحل بساحتي

مرعوسها، ووجودها معدوم
 إيعادها، وودادها مصروم
 يعتاده من سقمه لسقيم
 يرنو إلى الآفات وهو سليم
 في ظل أكناف اليسار عديم
 عند التناهي جاهل وعليم
 بحر العلوم وروضها المرهوم^(١)
 لانحاز عنه ونابه مثلوم
 فمصابه في العالمين عظيم
 فالיום ليس لبابل إقليم
 فوق النجوم محلّه المرسوم
 ومن العجائب ظالم مظلوم^(٢)
 فحديث غدرات الزمان قديم
 نجى ابن خلاد الثقى والخيم^(٣)
 وفضلوه في خلقه المحتوم
 ركذ الهجير عليه فهو هشيم
 تحف الملوك أصابهن سموم^(٤)
 تحف لهم دون النديم نديم
 يتعلم المشور والمنظوم
 والصبر عنك كما علمت ذميم

(١) المرهوم : الذي يسقيه المطر الدائم .

(٢) يز : سلب .

(٣) الخيم : السجاي والصفات .

(٤) السموم : الرياح الحارة التي تهب صيفا .

وإذا أردت تسلياً فكأنني فيما أدت من السلو مليم
فعليك ما غنى الحمام تحية ومع التحية نضرة ونعيم

٥٩ - محمد بن عبد العزيز السوسي

أحد شياطين الإنس ، يقول قصيدة تروى على أربعمائة بيت في وصف حاله وتنقله
في الأديان والمذاهب والصناعات ، أولها [من المنسرح] :

الحمد لله ليس لي بخت	ولا ثياب يضمها تخت
سيان بيتي لمن تأمله	والمهمة الصحصان والمريت ^(١)
أمنت في بيتي اللصوص فما	للص فيه فوق ولا تحت
فمنزلي مطبق بلا حرس	صفر من الصفر حيثما درت
إبريقي الكوز إن غسلت يدي	والطين سعدي وداري الطست
وعاجل الشيب حين صيرني	فرزدقي المشيب إذ شبت
سلكت في مسلك التصوف تـ	ميساً فكم للذبول قصرت
سويت سجادة بيوم وأحـ	صفت سبالاً قد كنت طولت
وفي مقام الخليل قمت كما	قام لأنني به تبركت
وقلت إنني أحرمت من بلدي	وفي حرامي إن كنت أحرمت
ثم كتبت العطوف حتى بتد	بيري بين الرءوس ألفت
حتى إذا رمت عطف بعلى على	عرس عكست المنى وطلقت
حرفي منقى من التراب فكم	ذريتُهُ مرةً وغربلت
يا ليت شعري مالي حرمت ولا	أعطي من إن رأيتُه اغتظت
بل ليت شعري لما بدا يقسم الـ	أرزاق في أي مطبق كنت

(١) المهمة : القفر ، والصحراء الواسعة التي لا ماء فيها ، والصحصان : الأرض الجرداء ، والمريت :
الأرض بلا نبات .

والحمد لله قاسم الرزق في المخلقي كما اختار لا كما اخترت

٦٠ - أبو محمد السوسي

قال [من المجتث] : ٢٢٥

بناكرٌ عليٌّ ببيكرٍ حمراء من كفٍّ بكوٍ
وأحي بالقفص قصفي وأفن في العمر عمري^(١)
روحٌ براحك روحي وحيزٌ بسكري شكري^(٢)
فساعة لم أعشها في القصف تقصف ظهري

* * *

٦١ - أبو الحسن بن غسان

سمعت أبا الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي يقول : ورد أبو الحسن بن غسان البصري الشاعر الطيب على أبي مضر عامل الأهواز في جملة شعراء امتدحوه ، ومرض في أثناء ذلك ، فعالجه أبو الحسن حتى برىء من مرضه ، وكتب للشعراء ولأبي الحسن خطوطاً بصلات ، فأخرت رويجها فكتب إليه [من الوافر] :

هب الشعراء تعطيهم رقاعاً مزورةً كلاماً من كلام
فلم صلة الطيب تكون زوراً وقد أهدى الشفاء من السقام ؟

(١) القصف : الشراب والمجون .

(٢) الراح : الخمر ، وحز : من حاز : أي حصل .

قد تمت - بحمد الله تعالى وحسن توفيقه - مراجعة الجزء الثالث من كتاب
« يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر » لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن
إسماعيل الشعالي النيسابوري ، ويليه - إن شاء الله تعالى - الجزء الرابع مفتتحاً
بالباب التاسع في ذكر من هم شرط الكتاب من أهل جرجان وطبرستان ، نسأل الله -
جلت قدرته - أن يعين على إكماله ، بمنه وفضله .

فهرس الجزء الثالث

من كتاب « يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر »
للإمام أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري
المتوفى سنة ٤٢٩ من الهجرة

1870. 1871. 1872. 1873. 1874.

1875. 1876. 1877. 1878. 1879.
1880. 1881. 1882. 1883. 1884.
1885. 1886. 1887. 1888. 1889.

فهرس

الموضوع	٣
ابن سكرة الهاشمي أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد	٣
توطئة فيها بعض خبره	٣
الغزل والنسيب من شعره	٤
المجنون وما يجري مجراه	١١
أهاجيه في جاريته «خمرة» خاصة	١٤
المختار من سائر أهاجيه	١٨
خمرياته	٢٢
الشكوى والتفجع	٢٦
المدائح	٣٠
اللمح والنوادر	٣١

الكتاب السابع

أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن الحاج	٣٥
تهيد في أنه مستهتر بالمجون	٣٥
وصفه لشعره ، وما يشتمل عليه من السخف	٣٦
قطعة من نوادره	٤٠

الموضوع	ص
مقادر شعره وأهاجيه	٤٠
ملح مما يتمثل به من أحوال السلف	٥٢
ملح من سائر أمثاله جداً وهزلاً	٥٨
أمثاله في أنصاف أبيات ، وفي أبيات	٦٠
الشكوى وسوء الحال	٦٣
نبذ من نواتره في أنواع الكدية	٦٦
خمرياته وما ينضاف إليها	٧٤
خرافات ومفاحشات	٨٠
ملحه القصار	٨٨
نواتره في ذكر الصقع	٩٥
سرقاته	٩٧
مكرر معانيه	٩٩
ما وقع في شعره من التضمين	١٠٢
ما أخرج له في التخلص	١٠٦
نبذ من ملحه	١٠٨
نواتره في سائر فنون	٢١٠
أبو القاسم علي بن جلبات	١١٦
محمد بن الحسين الحاقمي	١٢٠

الباب الثامن

في ملح المقلين من أهل بغداد

القاضي ابن معروف	١٢٥
أبو الفرج الأصبهاني	١٢٧
أبو الحسن بن مقلة	١٣٣

الموضوع	ص
أبو الحسن علي بن هرون المنجم	١٣٤
أبو الحسن الأخنف العكبري	١٣٧
ابن العصب الملحي	١٤٠
أبو علي الحسن بن علي الخالغ	١٤١
أبو محمد عبد الله بن محمد النامي الخوارزمي	١٤٢

الباب التاسع

فيما أخرج من مجموع أشعار أهل العراق وغيرهم
في الوزير أبي نصر سابور بن أردشير

قصيدة السلامي	١٤٥
قصيدة الحمدوني	١٤٥
قصيدة أبي الفرج البيضاء	١٤٦
قصيدة ابن بابك	١٤٧
قصيدة ابن لؤلؤة	١٤٧
قصيدة الخليل النامي	١٤٨
قصيدة الخاقي	١٤٨
قصيدة الخالغ	١٥٠
قصيدة محمد بن بلبل	١٥١
قصيدة أحمد بن علي المنجم	١٥١
قصيدة السفاني	١٥١
قصيدة أحمد بن المغلس	١٥٢
قصيدة سعيد بن محمد الأزدي	١٥٢
قصيدة الحسن بن محمد بن العضيدي	١٥٣
قصيدة عون بن علي العنبري	١٥٣

الباب العاشر

في ذكر الشريف أبي الحسن الرضي الموسوي ١٥٥

القسم الثالث من كتاب « يتيمة الدهر » حسب تقسيم المؤلف

الباب الأول

في ذكر ابن العميد ، وإيراد لمع من أوصافه وأخباره

توطئة في منزلته ١٨٣

رسائله ١٩٠

فصول له قصار تجري مجرى الأمثال ١٩٦

مكاتبات بالشعر جرت بينه وبين ابن خلاد القاضي ١٩٧

إخوانياته ٢٠٢

مقارضاته ٢٠٦

شعره في الغزل ٢٠٩

شعره في سائر الفنون ٢١٠

شعره في المعنى ٢١٢

الباب الثاني

أبو الفتح ذو الكفائتين ابن ابن العميد ٢١٥

الباب الثالث

في ذكر الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد

تمهيد في بيان منزلته ٢٢٥

لمع من أخباره ونوادر توقيعاته ٢٢٦

القصائد الداريات ٢٤٠

الموضوع

ص

٢٤١	قصيدة أبي العباس الضبي
٢٤١	قصيدة أبي الحسن صاحب البريد
٢٤٢	قصيدة أبي الطيب الكاتب
٢٤٣	من قصيدة أبي سعيد الرستمي
٢٤٥	قصيدة أبي الحسن الجرجاني
٢٤٦	قصيدة أبي القاسم الزعفراني
٢٤٧	قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء
٢٤٧	من قصيدة أبي محمد بن المنجم
٢٤٨	من قصيدة أبي عيسى بن المنجم
٢٤٨	قصيدة عبيد الله بن محمد بن المعلى
٢٤٩	قصيدة أبي العلاء الأسدي
٢٥٠	من قصيدة أبي الحسن الغويري
٢٥٢	قصيدة أبي بكر الخوارزمي
٢٥٣	البرذونيات
٢٥٣	قصيدة أبي القاسم الزعفراني
٢٥٥	قصيدة أبي الحسن بن عبد العزيز الجرجاني
٢٥٦	قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء
٢٥٨	قصيدة أبي الحسن السلامي
٢٥٩	قصيدة أبي محمد الخازن
٢٦٠	قصيدة أبي سعيد الرستمي
٢٦٢	قصيدة أبي العباس الضبي
٢٦٥	قصيدة أبي محمد محمود
٢٦٧	قصيدة أبي عيسى بن المنجم
٢٦٩	الفيليات

الموضوع

ص

٢٧٠	قصيدة أبي القاسم عبد الصمد بن بابك
٢٧١	قصيدة أبي الحسن الجوهري
٢٧٣	قصيدة أبي محمد الخازن
٢٧٧	خبر أبي الحسن عباد بن علي الحسيني سبط إسماعيل بن عباد
٢٨١	غرر من فقر ألفاظ صاحب
٢٨٣	ملح وظرف من ألفاظه
٢٨٤	فصول له ورقاع
٢٩٦	ملح شعره في الغزل وما يتعلق به
٣٠٢	ملح شعره في الصدغ والخط والعدار
٣٠٦	ملح من شعره في الأوصاف والتشبيهات
٣٠٨	ملح من إخوانياته
٣١٢	ملح من مدائجه
٣١٤	ملح من أهاجيه ومجونه
٣٢٠	ما أخرج له من سائر الفنون
٣٢٣	سرقاته
٣٢٦	ما هجى به صاحب
٣٢٧	آخر أمره
٣٢٩	مراثي الشعراء له
٣٢٩	مرثية أبي القاسم بن أبي العلاء الأصبهاني
٣٢٩	من مرثية أبي الفرج بن ميسرة
٣٣٠	من مرثية أبي سعيد الرستمي
٣٣٠	من مرثية أبي الفياض الطبري
٣٣٢	من مرثية الشريف الرضي
٣٣٦	من مرثية أبي العباس الضبي

الباب الرابع

في ذكر أبي العباس أحمد بن إبراهيم الضبي

٣٣٩	تمهيد في بيان منزلته
٣٤٠	لمع من نثره
٣٤٤	ملح من نظمه

الباب الخامس

في محاسن أهل العصر من إصبهان

٣٤٩	توطئة
٣٥٠	عبدان الأصبهاني ، المعروف بالخوزي
٣٥٥	أبو سعيد الرستمي
٣٧٧	أبو القاسم غانم بن أبي العلاء
٣٧٩	أبو محمد عبد الله بن أحمد الخازن
٣٩٤	أبو العلاء الأسدي
٣٩٥	أبو الحسين الغوري

الباب السادس

في ذكر الشعراء الطائرين على صاحب من الآفاق

٣٩٩	أبو الحسن علي بن محمد البديهي
٤٠٢	أبو القاسم الزعفراني ، عمر بن إبراهيم
٤١٣	أبو دلف الخزرجي اليبوسي ، مسعر بن مهلهل
٤١٦	المختار من قصيدته الساسانية
٤٣٦	أبو القاسم عبد الصمد بن بابك

الموضوع

ص

- ٤٤٥ أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد الشاشي العامري
- ٤٥٢ أبو حفص الشهرزوري
- ٤٥٤ بنو المنجم
- ٤٥٧ أبو ظاهر بن أبي الربيع
- ٤٥٨ أبو الفرج الساوي
- ٤٥٩ أبو الفرج بن هندو

الباب السابع

في ذكر سائر شعراء الجبل

- ٤٦٣ أبو الحسين أحمد بن فارس
- ٤٧١ بزاكويه الزنجاني المعروف بالثلول
- ٤٧٢ أبو الحسن علي بن محمد بن مأمون الأهري
- ٤٧٣ أبو علي الحسن بن محمد الضبيعي
- ٤٧٤ أبو الحسين علي بن الحسين الحسني الهمداني
- ٤٧٦ أبو سعد علي بن محمد بن خلف الهمداني
- ٤٧٨ أبو علي الحسين بن أبي القاسم القاشاني
- ٤٧٩ أبو القاسم عمر بن عبد الله الهرندي
- ٤٨١ أبو عبد الله المغلسي المراغي
- ٤٨١ القاضي أبو بكر الأسدي
- ٤٨١ فصل في ذكر نفر من الطائرين على بلاد الجبل
- ٤٨٢ أبو عبد الله البطحاوي
- ٤٨٢ ابن حماد البصري
- ٤٨٣ شمسويه البصري
- ٤٨٣ أبو الفضل النهرعاسي

الموضوع	ص
أحمد بن بندار	٤٨٣
أبو عبد الله الروزباري	٤٨٤

الباب الثامن

في شعراء فارس والأهواز

سوى من تقدم منهم في ساكني العراق

أبو بكر هبة الله بن الحسين الشيرازي ، المعروف بابن العلاف	٤٨٥
أبو بكر بن شاذبة الفارسي	٤٨٧
أحمد بن الفضل الشيرازي	٤٨٨
المعروف المنبسط الشيرازي	٤٨٩
أبورجاء أحمد بن عفو الله الكاتب الشيرازي	٤٨٩
أبو عبد الله الخوزي	٤٨٩
أبو الحسن بن أبي سهل الأرجاني	٤٨٩
أبو علي بن غيلان السيرافي	٤٩٠
ابن خلاد القاضي الرامهرمزي	٤٩٠
محمد بن عبد العزيز السوسي	٤٩٥
أبو محمد السوسي	٤٩٦
أبو الحسن بن غسان	٤٩٦
خاتمة الجزء الثالث	٤٩٩

تمت فهرس الجزء الثالث من « يتيمة الدهر »

والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلواته على سيدنا محمد وآله

بَيْمَاتُ الدَّهْرِ

فِي مُحَاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ

تَأَلَّفَ

أَبِي مَنْصُورٍ عَبْدِ الْمَلِكِ الشَّعَالِيِّ النِّسَابُورِيِّ
الْمُتَوَفَّى ٤٢٩ هَجْرِيَّةً

شَرَحَ وَتَحَقَّقَ

الدُّكْتُورُ مُضَيِّدُ مُحَمَّدٍ قَمِيحَةَ

الْجُزْءُ الرَّابِعُ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

يطلب من: دار الكتب العلمية - ص ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

نيو ملكارت ستر - الرملة البيضاء - قرب محلات سبينيز

هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٠٨٤٢

الباب التاسع

ذكر من هم شرط الكتاب من أهل جرجان وطبرستان
١ - القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز

حسنة جرجان ، وفرد الزمان ، ونادرة الفلك ، وإنسان حدقة العلم ، ودرة تاج الأدب ، وفارس عسكر الشعر ، يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ونظم البحري ، وينظم عقد الاتقان والإحسان في كل ما يتعاطاه ، وله يقول صاحب [من الطويل] :

إذا نحن سلّمنا لك العلم كلّهُ فدعْ هذه الألفاظ ننظّمْ شذورها^(١)
وكان في صباه خلف الخضر^(٢) في قطع عرض الأرض ، وتدوين بلاد العراق والشام وغيرها ، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلوم علما وفي الكلام عالما ، ثم عرج على حضرة صاحب وألقى بها عصا المسافر ، فاشتد اختصاصه به ، وحل منه محلاً بعيداً في رفعتة ، قريباً في أسرته ، وسير فيه قصائد أخلصت على قصد ، وفرائد أتت من فرد ، وما منها إلا صوب العقل^(٣) ، وذوب الفضل ، وتقلّد قضاء جرجان من يده ، ثم تصرفت به أحوال في حياة صاحب وبعد وفاته ، بين الولاية والعطلة ، وأفضى محله إلى قضاء القضاة ، فلم يعزله عنه إلا موته رحمه الله .

(١) شذورها : قطعها ومتفرّقها النفيس والشّدْر ، قطع من الذهب .

(٢) خلف الخضر : يعني النبي الذي ورد ذكره في القرآن مع النبي موسى ، كناية عن كثرة تجواله .

(٣) صوب العقل : عطاؤه وفيضه .

وعرض عليّ أبو نصر المصعبي كتاباً للصاحب بخطه إلى حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب في معنى القاضي أبي الحسن ، وهذه نسخته بعد الصدر والتشبيب :

« قد تقدم وصفني للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز أدام الله تعالى عزه فيما سبق إلى حضرة الأمير الجليل صاحب الجيش أدام الله تعالى علوه من كتبي ما أعلم أنني لم أؤد فيه بعض الحق ، وإن كنت دللته على جملة تنطق بلسان الفضل وتكشف عن أنه من أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، فأما موقعه مني فالموقع تخطبه هذه المحاسن وتوجيه هذه المناقب ، وعادته معي أن لا يفارقني مقيماً وظاعناً^(١) ومسافراً وقاطناً ، واحتاج الآن إلى مطالعة جرجان بعد أن شرطت عليه تصيير المقام كالإمام ، فطالبني مكاتبتني بتعريف الأمير مصدره ومورده ، فإن عنّ له ما يحتاج إلى عرضه وجد من شرف إسعافه ما هو المعتاد ليستعجل انكفاء إليّ بما يرسم أدام الله أيامه من مظاهرتة على ما يقدم الرحيل ويفسح السبيل من بدرقة^(٢) إن أحتاج إليها وإلى الاستظهار بها ، ومخاطبة لبعض من في الطريق بتصرف النجح فيها ، فإن رأى الأمير أن يجعل من حظوظي الجسيمة عند تعهد القاضي أبي الحسن بما يعجل رده ، فإني ما غاب كالمضل الناشد ، وإذا عاد كالغانم الواجد ، فعل أن إن شاء الله تعالى .

ولما عمل الصاحب رسالته المعروفة في إظهار مساوئ المتنبي عمل القاضي أبو الحسن كتاب (الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره » فأحسن وأبدع وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب^(٣) ، واستولى على الأمد في فصل الخطاب ، وأعرب عن تبحره في الأدب ، وعلم العرب ، وتمكنه من جودة الحفظ

(١) ظاعناً : من الظعن وهو الارتحال .

(٢) البدرقة أو البدرقة : الحفارة ، أو الجماعة التي تتقدم القافلة لحراستها .

(٣) شاكلة الصواب : مذهب الحق وطريقه .

وقوة النقد ، فسار الكتاب مسير الرياح ، وطار في البلاد بغير جناح ، وقال فيه بعض العصريين من أهل نيسابور [من المتقارب] :

أيا قاضياً قد دنت كتبه وإن أصبحت دائرة شاحطة^(١)
كتاب الوساطة في حسنه لعقد معاليك كالواسطة

فصل من هذا الكتاب المذكور^(٢)

ومتى سمعتني أختار للمحدث هذا الاختيار ، وأبعثه على الطبع ، وأحسن له في التسهيل ، فلا تظنن أنني أريد بالسهل السمع الضعيف الركيك ، ولا باللطيف الرشيق الخنث المؤنث ، بل أريد النمط الأوسط ، وما ارتفع عن الساقط السوقي وانحط على البدوي الوحشي ، وما جاوز سفسفة نصر ونظرائه ، ولم يبلغ تعجرف هميان بن قحافة وأضرابه ، نعم ولا أمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرى واحداً ، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه ، بل أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني ، فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديحك كوعيدك ، ولا هجاءك كاستبطائك ، ولا هزلك بمنزلة جدك ، ولا تعريضك مثل تصريحك ، بل ترتب كلاً مرتبته وتوفيه حقه ، فتلطف إذا تغزلت ، وتفخم إذا افتخرت ، وتتصرف للمديح تصرف مواقعه ، فإن المدح بالشجاعة والبأس ، يتميز عن المديح باللباقة والظرف ، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام ، ولكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به ، وطريق لا يشاركه الآخر فيه ، وليس ما رسمته لك في هذا الباب بمقصود على الشعر دون الكتابة ، ولا بمختص بالنظم دون النثر ،

(١) شاحطة : بعيدة .

(٢) انظر (ص ٢٣ من كتاب الوساطة للجرجاني طبع دار احياء الكتب العربية) ففيه بعض الاختلاف اليسير .

بل يجب أن يكون كتابك في الفتح أو الوعد أو الوعيد أو الإعذار ، خلاف كتابك في الشوق أو التهنتة أو اقتضاء المواصلة ، وخطابك إذا حذرت وزجرت أفخم منه إذا وعدت ومنيت ، فأما الهجو فأبلغه ما جرى مجرى التهكم والتهافت وما اعترض بين التعريض والتصريح ، وما قربت معانيه ، وسهل حفظه ، وسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس ، فأما القذف والإفحاش فسبابٌ محض وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم .

فصل آخر منه

وكانت العرب ومن تبعها من سلف هذه الأمة تجري على عادة في تفخيم اللفظ وجزالة المنطق لم تألف غيره ولا عرفت تشبيهاً سواه ، وكان الشعر أحد أقسام منطقها ، ومن حقه أن يخص بتهذيب ويفرد بزيادة عناية ، فإذا اجتمعت تلك العادة والطبيعة وانضاف إليها العمل والصنعة خرج كما تراه فخماً جزلاً وقوياً متيناً ، وقد كان القوم أيضاً يختلفون في ذلك وتباين فيه أحوالهم فيرق شعر الرجل ويصلب شعر الآخر ، ويدمث^(١) منطق هذا ويتوعر منطق غيره .

وإنما ذلك بحسب اختلاف الطباع وتركيب الخلق . فإن سلاسة اللفظ تتبع سلاسة الطبع ، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة ، وأنت تجد ذلك ظاهراً في أهل عصرك وأبناء زمانك وترى الجافي الجلف منهم كراً للألفاظ^(٢) جهم الكلام^(٣) وعمر الخطاب ، حتى إنك ربما وجدت الغضاضة^(٤) في صوته ونغمته وفي حديثه ولهجته ، ومن شأن البداوة أن تظهر بعض ذلك ، ومن أجله قال النبي صلى الله عليه وسلم « من بدا جفا » .

(١) الدمث : اللين السهل

(٢) كَرَّ الألفاظ : جافي الألفاظ وقبيحها .

(٣) جهم الكلام : كرهه ومستقله .

(٤) الغضاضة : الذلة والمنقصة .

ولذلك تجد شعر عدي بن زيد وهو جاهلي أسلس من شعر الفرزدق وجريير وهما إسلاميان ، لملازمة عدي الحاضرة ، وإيطانه الريف وبعده عن جلافة البدو وجفاء الأعراب ، وترى رقة الشعر أكثر ما تأتيك من قبل العاشق المتيّم ، والغزل المتهالك . وإذا اتفقت الدمائية والصبابة وانضاف الطبع إلى الغزل ، فقد جمعت لك الرقة من أطرافها .

ولما ضرب الإسلام بجرانة^(١) واتسعت ممالك العرب وكثرت الحواضر ونزعت البوادي إلى القرى ، وفشا التأدب والتظرف^(٢) ، اختار الناس من الكلام أليّنه وأسهله ، وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء فاستعملوا أحسنها مسمعا ، وألطفها من القلب موقعا ، وإلى ما للعرب فيه لغات فاقتصروا على أسلسها وأرشقها كما رأيتهم فعلوا في صفات الطويل ، فإنهم وجدوا للعرب نحواً من ستين لفظاً أكثرها بشع شنع ، فنبذوا جميع ذلك وأهملوه ، واكتفوا بالطويل لخفته على اللسان وقلة نبوّ السمع عنه في البيان^(٣) .

قال مؤلف الكتاب : وأنا أكتب من خطبة كتاب القاضي في تهذيب التاريخ فصلين ، بعد أن أقول : إنه تاريخ في بلاغة الألفاظ وصحة الرواية وحسن التصرف في الانتقادات ، وأجريتّهما وما تقدمهما من كتاب الوساطة مجرى الأنموذج من نثر كلامه ، ثم أقفّي على أثره بلُمعٍ من غرر أشعاره ، إن شاء الله تعالى .

فصل - ولولا التاريخ ، لما تميز ناسخ من منسوخ ، ومتقدم من متأخر وما استقر من الشرائع وثبت مما أزيل ورفع ، ولا عرف ما كان أسبابها وكيف مست الحاجة إليها ، وحصلت وجوه المصلحة فيها ، ولا عرفت مغازي رسول الله صلى

(١) الجران : أصله مقدم عنق البعير من مذبحة إلى منحرة ، ويريد هنا انتشار الاسلام .

(٢) فشا : انتشر وذاع .

(٣) نبوّ السمع : نفوره .

الله عليه وسلم وحروبه وسراياه وبعوثه ، ومتى قارب ولاين وسارر وخافت ، وفي أي وقت جاهر وكاشف ونبذ أعداءه وحارب ، وكيف دبر أمر الله الذي ابتعثه له ، وقام بأعباء الحق الذي طوّقه ثقله^(١) ، وأي ذلك قدم وأيها آخر ، وبأيها بدأ وبأيها ثنى وثلث ، وإن الولد البر ليتفقد من آثار والده ، والصاحب الشفيق ليغني بمثله من شأن صاحبه ، حتى يعد إن أغفله مستهيناً به مستوجباً لعتبه ، فكيف لمن هو رحمة الله المهداة إلينا ونعمته المفاضة علينا ، ومن به أقام الله ديانا وديننا وجعله السفير بينه وبيننا ؟ وأي أمر أشنع وحاله أقبح من أن يحل الرجل محل المشار إليه المأخوذ عنه ثم يسأل عن الغزوتين المشهورتين من مشهور غزواته والأثرين من مستفيض آثاره ، فلا يعرف الأول من الثاني ، ولا يفرق بين البادي والتالي .

فصل آخر

وهذا كتاب قصدت به غرضي دين ودنيا : أما الدين فان اقتديته^(٢) من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخباره ومعارف أحواله وأيامه ، وذكر ما طمس الله من معالم الشرك وأوضح معارف الحق ، وما خفض بعلو كلمته وعلى أيدي أنصاره وشيعته ، من رايات كانت عالية على الأبد ، مكنوفة بحصافة العدد ،^(٣) وكثافة العدد ، ما يعلم به العاقل المتوسم أن تلك الفئة القليلة والعدة اليسيرة - على قلة الأهبة ، وقصور العدة وخول الذكر وضعف الأيدي وعلو أيدي الأعداء وشدة شوكة الأقران - لا تستمر لها ولا تتفق بها مغالبة الأمم جمعا . ومقاومة الشعوب طرا ، وقهر الجنود الجمة ، والجموع الضخمة ، وإزالة الممالك الممهدة والولايات الموطدة . في الدهر الطويل والزمن المديد - مع وفور العدة وانبساط القدرة . واستقرار الهيبة - إلا بالنصرة الإلهية . والمعونة السماوية وإلا بتأييد لا يخص الله

(١) طوّقه ثقله : أي سلّم إليه مقادير أموره والقيام بأمره .

(٢) اقتديته : أتعلّمه وأتبعه .

(٣) مكنوفة بحصافة العدد : محاطة ومحروسة بالرأي والعدة معا .

به إلاّ الأنبياء ، ولا ينتخب له إلاّ الأولياء . وإن اختص فيه من معاناة أنصاره وأتباعه ، والقائمين بإظهار دينه في حياته ، وعمارة سبيله بعد وفاته ، من مصابرة اللأواء^(١) ، ومعالجة البأساء . وبذل النفوس والأموال وأخطار المهج والأرواح ، ما يزيد القلوب للإسلام تفخيماً . وبحقه تعريفاً . ولما عساها تستكبر من أفعالها تصغيراً . وفي الإزدیاد منه ترغيباً ، ما أجره في خلال ذلك من تذكير بآلاء الله ، وتنبيه على نعم الله ، بما أقتص من أنباء الأولين ، وأبث من أخبار الآخرين ، وأبين من الآيات التي أمر الله بالمسير في الأرض لأجلها ، وبعث على الاعتبار بها وبأهلها . فقال ﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ فيحرص العاقل على استبقاء نعمة الله عنده بالشكر الذي ضيعه من سلبه الله تلك النعم ، ويتحرّز^(٢) من غوائل الكفر^(٣) الذي أحل بهم تلك النقم .

وأما غرض الدنيا فأن أقيم بفناء الصاحب الجليل أدام الله بهاء العلم بدوام أيامه من يخلفني في تجديد ذكرى بحضرته ، وتكرير اسمي في مجلسه ، ومن ينوب عني في مزاحمة خدمته ، على الاعتراف بحق نعمته ، وعلمت أني لا أستخلف من هو أفس به رحماً ، وأقرب منه نسباً ، وهو أرفع عنده موضعاً ، وألطف منه موقعاً ، وأخص به مدخلا ومخرجا ، وأشرف بحضرته مقاما وموقفاً ، من العلم الذي يزكو عنده غراسا ، فيضعف ريعا ويحلو طعما . ويطيب عرفا ويحسن إسما . فاخترت لذلك هذا الكتاب ثقة بوجاهته ، وعلماً بقرب منزلته ، وكيف لا يكون عنده وجيهاً مكيناً ، ومقبولاً قريناً^(٤) . وإنما هونتاج تهذيبه ، وثمره تقويمه ، وجناء تمثيله ، وريع تحريكه ؟ فلولا عنايته لما صدقت النية ، ولولا إرشاده لما نفذت الفطنة . ولولا معونته لما استجمعت الآلة ، وما يبعد به عن إثار

(١) اللأواء : الشدة في العيش .

(٢) يتحرّز : يحترس ويتجنب ، ومنها الحرز الذي يحتمي به المرء ويتعوذ .

(٣) غوائل الكفر : دواهي ومهالكه .

(٤) القرين : الصاحب .

العلوم وتعظيمها ، وعن تقديمها وتقريبها ، وهو الذي نصبه الله لها مثالا ، وأقامه عليها مناراً ، وجعله لها سنداً ، ولاحياتها سبباً .

ملح من شعره في الغزل والتشبيب وسائر الفنون

قال [من السريع] :

أفدي الذي قال وفي كفّه مثل الذي أشرب من فيه
الورد قد أئعن في وجنتي قلتُ فمي باللثم يجنيه

وقال [من المنسرح] :

بالله فضّ العقيق عن بردٍ يروي أقاحيه من مدام فمه
وامسحْ غوالي العذار عن قمري نقط بالورد خدّ ملتثمه

وقال [من المنسرح] :

قلّ للسقام الذي بناظره دعه وأشرك حشاي في سقمه
كلّ غرامٍ تخاف فتنته فبين الحاظه ومبتمه

وقال [من السريع] :

أنثر على خديّ من وردك أودع فمي يقطف من خدك
ارحم قضيب البان وارفق به قد خفت أن ينقذ من قدك^(١)
وقلّ لعينيك بنفسي هما يخففان السقم عن عبدك

(١) البان : شجر لين الاعطاف ، وينقذ : ينقطع وينكسر .

وقال [من السريع] :

قد برّح الشوق بمشتاقك
لا تجفُّه وارِعَ له حقُّه
فأوَّلهُ أحسنَ أخلاقك^(١)
فإنه خاتم عشَّاقك

وقال في الفصد [من المنسرح] :

يا ليت عيني تحمَّلت ألمك
وليت كفَّ الطيب إذ فصدت
أعرتَه صبغَ وجنتيك كما
طرفك أمضى من حدٍّ مبضعه
بل ليت نفسي تقسَّمت سقمك
عِرْقَكَ أجرت من ناظري دمك^(٢)
تعيَّره إن لثمت من لثمك
فالحظُّ به العرق وارتجز ألمك

وله [من الطويل] :

وفارقتُ حتى ما أسرُّ بمن دنا
وقد جعلتُ نفسي تقول لمقلتي
فليس قريباً من يخافُ بُعاده
مخافةً نأى أو حذارَ صدود
وقد قربوا خوف التباعد جودي
ولا من يرجى قربه ببعيد

وله [من السريع] :

من ذا الغزالُ الفاتنُ الطرفِ
ما بال عينيهِ وألحاظِهِ
واهياً لذاك الورد في خدِّه
أشكو إلى قلبك يا سيدي
الكامل البهجة والظُرفِ
دائبةً تعمل في حنفي^(٣)
لو لم يكن مُمتنعَ القطف
ما يشتكي قلبي من طرفي

وله [من الكامل] :

هذا الهلالُ شبيههُ في حسنه
وبهائه كلاً وفترة جفنيه

(١) برّح : من البرح وهو الألم .

(٢) الفصد : الشق .

(٣) الحنف : الهلاك والموت .

هَبْكَ ادْعَيْتَ بهاءً وضياءً كيف احتيالكَ في تأوُّدِ غصنه^(١)
لو لاحظتكَ جفونه بفتورها أقسمتَ أنَّكَ ما رأيتَ كحسنه
وقال [من المنسرح] :

يا قبلَةَ نلتها على دهشٍ من ذي دلالٍ مهفهفٍ غنجٍ
قد حَيَّرَ الخشفُ غنجَ مقتله والوردُ توريدَ خدِّه الضرج^(٢)
إذا تثنَّى أو قام معتدلاً قال له الغصنُ أنتَ في حرجٍ
قد قسَّم الحسن مقلتيك أبا القاسم بين الفتور والدَّعج^(٣)
قل لهما يرفقا بقلب فتىً طويتَ أحشاءه على وهجٍ
فمنهما لا عدمتُ ظلمهما سقمُ فؤادي ومنهما فرجي
وله ساعده الله [من السريع] :

وغنجُ عينيكَ وما أودعت أجفانها قلب شجٍ وامق^(٤)
ما خلق الرحمن تفاحتيً خديكَ إلاَّ لفم العاشق
لكنني أُمْنَعُ منها فما حظِّي إلاَّ خلصةُ السارق
وله أيضاً [من السريع] :

من عاذري مِن زمنٍ ظالمٍ ليس بمستحي ولا راحمٍ
تفعل بالأحرار أحداثه فَعُـلَّ الهوى بالدنفِ الهائم
كأنَّما أصبح يرميهمُ عن جفن مولاي أبي القاسم
وله أيضاً [من المنسرح] :

ولو تراني وقد ظفرتُ به ليلاً وستر الظلام منسدلاً

(١) التأوُّد : الانثناء والميل .

(٢) الخشف : ولد الغزال ، الضرج : المدمى أو المحمر بلون الدماء .

(٣) الفتور : الذبول ، والدَّعج سعة العين .

(٤) شجٍ وامق : أي محبٌ متشوق .

وللكرى في الجفون داعيةٌ
وحوصت أعين الوشاة كما
فذاك مغفٍ وذاك مختلطٌ
وقلت يا سيدي بدا علم الـ
ثم انثى يتغي وسادي إذ
فبات يشكو وبت أعذره
لخلتنا ثمة شعبتى غصن
يا طيها ليلة نعمت بها

وقد حداها حادٍ له عجلٌ
جش معشوقه الفتى الغزل^(١)
يهذي وهذا كأنه ثمل
صبح وكاد الظلام يرتحل
أيقن أن الوشاة قد غفلوا
وليس إلا العتاب والعلل
يوم صبا نلتوي ونعتدل^(٢)
غراء أدنى نعيمها القبل

وله ساعحه الله تعالى [من الخفيف] :

يا نسيم الجنوب بالله بلغ
قل لأحابه فداكم فؤادٌ
بنتم فالسهاد عندي مقيمٌ
فعلى الكرخ فالقطيعة فالشـ

ما يقول المقيم المستهام
ليس يسلو ومقلة لا تنام
مذ نأيتم والعيش عندي هام^(٣)
ط فباب الشعير منى السلام^(٤)

يا ديار السرور لا زال يبكي
رب عيش صحبتك غصن
في ليال كأنهن أمان
وكان الأوقات فيها كؤوس

بك في مضحك الرياض غمام
وجفون الخطوب عنا نيام
من زمان كأنه أحلام
دائرات وأنسهن مدام

ومنى تستلذها الأوهام
قبل لقياكم علي حرام
كل أنس ولذة وسرور

- (١) حوصت : من الحوص وهو ضيق في العين ، وجش : من التجميش وهو الملاعبة والمداعبة .
(٢) الخلّة : الصداقة ، والمحبة ، والصبا الريح مهبها من الشرق ، وهي ريح كان العربي يأنس إليها ويتمناها لأنها منعشة .
(٣) بنتم : هجرتم وابتعدتم ، والسهاد : الأرق ، والحمام : الموت .
(٤) باب الشعير وما قبلها : أماكن في بغداد .

وله [من الطويل] :

سقى جانبي بغداد إخلاف مزنة
فلي فيها قلبٌ شجاني اشتياقه
سأغفر للأيام كلَّ عزيمة
لئن قرّبت بعد البعاد مزارها

وله من قصيدة يتشوق فيها بغداد ، ويصف موضعه بناحية رامهرمز ، ويمدح
صديقاً له من أهلها [من الطويل] :

أراجعةً تلك الليالي كعهدها
وصحبة أقوامٍ لبستُ لفقدهم
إذا لاح لي من نحو بغداد بارقٌ
وإن أخلفتها الغاديات رعوها
سقى جانبي بغداد كلَّ غمامةٍ
معاهد من غزلان أنسٍ تحالفت
بها تسكن النفس النفور ويغتدي
يحن إليها كل قلب كأنما
فكلُّ ليالي عيشها زمن الصبا
وما زلت طوع الحادثات تقودني
ومنها :

فلما حللت القصرَ قصرَ مسرتي
بدارٍ لها يسلى المشوق اشتياقه
تفرّقن عني آيساتُ جموعها
ويأمنُ ريب الحادثات مروعها^(٥)

(١) إخلاف مزنة : أي غيم مطر ، وصوبها : انهمارها بالمطر .

(٢) استطير هجوعها : أي فارقها الرقاد .

(٣) هموعها : مطرها وسيلها .

(٤) نزيعها : النزيع : الذي يحن إلى وطنه وأهله .

(٥) يسلى : من السلوان وهو التبر والاستئناس في الإقامة ، وريب الحادثات : أي مصائب الدهر
ومروعها : من الروع وهو الخوف .

بها مسرحٌ للعين فيها يروقهـا
يرى كلُّ قلبٍ بينها ما يسرهـُ
كأنَّ خرير الماء في جنباتها
إذا ضربتها الريح وانبسطت لها
رأيت سيوفاً بين أثناء أدرع
فمن صنعة البدر المنير نصوها
صفا عيشنا فيها وكادت لطبيها
وله من قصيدة [من البسيط] :

ومستروحٌ للنفس ممَّا يروعهـا
إذا زهَّرت أشجارها وزروعها
رعودٌ تلتق مزنةٌ تستريحها
ملءة بدرٍ فصلتها وشيعها^(١)
مذهبةٌ يغشى العيون لميعها
ومن نسج أنفاس الرياح دروعها
تمازجها الأرواح لو تستطيعها

من أين للعارضى السارق تلهبهُ
هل استعان جفوني فهي تُجده
بجانب الكرخ من بغداد لي سكنُ
وصاحب ما صحبت الصبر مذ بعدت
في كلِّ يومٍ لعيني ما يؤرقُها
ما زال يبعدني عنه وأتبعهُ
حتى لوت لي النوى من طول جفوته
وما البعاد دهاني بل خلائقه

وكيف طبَّق وجه الأرض صيبهُ؟
أم استعار فؤادي فهو يلهبهُ؟
لولا التجمل ما أنفك أندبهُ
ديارهُ، وأراني لست أصبحه
من ذكره، ولقلبي ما يعذبهُ
ويستمرُّ على ظلمي وأعتبهُ^(٢)
وسهَّلت لي سيلا كنتُ أرهبه
ولا الفراق شجاني بل تحبُّبه

لمع من شعره في حسن التخلص

قال من قصيدة في الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد [من المتكامل] :

أوما انثيتَ عن الوداع بلوعةٍ ملأتُ حشاكَ صباةً وغليلا
ومدامع تجري فيحسب أن في آماقهنَّ بنانُ إسماعِلا

(١) وشيعها : من الوشيع وهو علم الثوب أو رسمه .

(٢) أعتبهُ : ألومه وأصفح عنه .

ومن قصيدة في أبي مضر محمد بن منصور [من الطويل]:

إذا استشرفتُ عيناك جانب تلعة ^(١)	جلت لك أخرى من رُباها جوانبا ^(٢)
يضاحِكُنَا - نوَّارها فكأنما	نغازلُ بين الروض منها حبا ^(٣)
تبسُّم فيها الأقحوانُ فخلتُهُ	تلقاك مرتاحاً إليك مداعبا
وحلَّ نقابُ الورد فاهتزَّ يدَّعي	بواديه في ورد الخدود مناسبا
أقول وما في الأرض غير قرارة	تصافحُ روضاً حولها متقاربا
أباتت يد الأستاذ بين رياضها	تدْفُقُ أم أهدت إليها سحائبا
ألْبَسها أخلاقه الغرَّ فاغتدت	كواكبها تجلو علينا كواكبا
أوشَّت حواشيها خواطر فكره	فأبدت من الزهر الأنيق غرائبا
أهزَّ الصِّبا قضبانها كاهتزازه	إذا لمست كفيه كفك طالبا ^(٤)
أخالته يصبو نحوها فتزَّينت	تؤمِّل أن يختار منها ملاعبا

ومن قصيدة في دلير من بشكروز [من البسيط]:

وما أقيم بدارٍ لا أعزُّ بها	ولا يقرُّ قراري حيث أبتذل ^(٥)
وقد كفاني انتجاعُ الغيث معرفتي	بأن دلير لي من سبيه بدل ^(٥)
تجنَّبتُ نشواتُ الخمر همته	وأعلمتنا العطايا أنه ثمل

ومن قصيدة في شیرزاد بن سرخاب [من الطويل]:

ألم تر أنواء الربيع كأنما	نشرن على الأفاق وشياً مذهباً
فمن شجرٍ أظهرن فيه طلاقاً	وكان عبوساً قبلهنَّ مقطباً

(١) استشرفت: تطلعت وتفحصت، والتلعة: المرتفع من الأرض.

(٢) نوَّارها: أزهارها.

(٣) الصبا: الريح الشمالية.

(٤) أبتذل: أرخص وأهان.

(٥) انتجاع الغيث: مطلبه وورود أماكنه والغيث: المطر وهو هنا كناية عن الممدوح، وسبيه: عطاؤه.

ومن روضة قضى الشتاء حدادها فوشحن عظفيها ملاءً مُطيباً
سقاها سلاف الغيث ريثاً فأصبحت تمايل سكرأً كلّما هبت الصبا
كأنّ سجايا شيرزاد تمدّها فقد أمنت من أن تحول وتشجبا^(١)

ومن قصيدة في الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير [من الطويل]:

ولما تداعت للغروب شمسهم وقمنا لتوديع الفريق المغرب
تلقين أطراف السجوف بمشرق لهنّ وأعطاف الخدور بمغرب
فما سرن إلا بين دمع مضيع ولا قمن إلا فوق قلب معذب
كأنّ فؤادى قرن قابوس راعه تلاعبه بالفيلق المتأشب^(٢)

ومن قصيدة له فيه أيضاً [من الخفيف]:

ليلة للعيون فيها وللأسماع ما للقلوب والآمال
نظمت للندام فيها الأمانى مثل نظم الأمير شمس المعالي

ومن قصيدة في الصاحب [من الطويل]:

وما بال هذا الدهر يطوي جوانحي على نفس محزون وقلب كئيب
تقسمني الأيام قسمة جائر على نضرة من حالها وشحوب
كأنّي في كف الوزير رغبة تقسم في جدوي أغر وهوب

ومن أخرى فيه وصف الإبل [من الطويل]:

يقربن طلاب العلا من سمائها ويهدين رواد الندى لجوادها
فلاقين مولانا وقد صنع السرى بهنّ صنيع كفّه بتلادها

(١) سجايا : طباع وصفات ، وتحول أي تتحول .

(٢) المتأشب : المجتمع والمختلط .

غرر من شعره في المدح ، وما يتصل به

قال من قصيدة في الصاحب [من الكامل]:

يا أيها القرم الذي بعلوّه نال العلاء من الزمان السولا^(١)
قسمت يداك على الوري أرزاقها فكثّوك قاسم رزقها المستولا
ومن أخرى فيه [من الطويل]:

فتىّ كيف ما ملنا رأينا له يداً بعيدة رمى الشكر مطلبها سهل^٢
خفيف على الأعيان محمل منها ولكن على الأفكار من عدّها ثقل^(٣)
ووالله ما أفضى من المال مانسا إلى كفّه إلاّ العنان أو النصل^(٣)
ومن أخرى فيه [من مجزوء الكامل]:

يا من إذا نظر الزما	ن إليه أكثر عَجَبُهُ
رحل المصيف فلا تزل	أبدأً تودّع ركه
وبدا الخريف فحيّ خا	لصة الزمان ولبه
زمن كخلفك ناصر	إن كان خلقك يشبه
رقّ الهواء فما ترى	نفساً يعالج كربه
وصفا وإن لاحظت	أبعده ظننتك قربه
فلو استحال مدامة	ما كنت أحظر شربه
فتهنه يا فردة	وتملّهُ يا قطبه

(١) القرم : السّيد .

(٢) منها : من المنّ : الانعام والعطاء .

(٣) ما نشا : ما رجع وامتك ، والعنان : جمع أعنة وهو زمام الخيل وغيرها ، والنّصل : حديدة الرمح والسهم والسيف .

ومن أخرى فيه [من الطويل]:

إذا احتشدت لم تنتفع باحتشادها
خواطرك الألفاظ بعد شرادها
حصلنا على مسروقها ومعادها

ولا ذنب للأفكار أنت تركتها
سبقت بأفراد المعاني وألفت
فإن نحن حاولنا اختراع بديعة

ومن أخرى فيه [من البسيط]:

في المال والقرن عن صفين والجمل
حجر المكارم مفطوم عن البخل
تغشاه إن مال مضطر إلى العلل^(١)

أغرر أروع تلهينا وقائعه
مسترضع بشدي المجد مفترش
أمضى من السيف لفظاً غير لجلجة

ومنها [من البسيط]:

تفصيلها مستحيل فارض بالجمل
عرفت حرفهما فانظر ولا تسل

وسائل لي عن نعماك قلت له
هذي صباية ما أبقت يداي وقد

ومن أخرى فيه [من المنسرح]:

عن وجنات تذيبها القبل^(٢)
تعيث فيها القدود والمقل
آخر ميقات يومه الأجل

لا وجفون يغضها العذل
ومهجة للهوى معرضة
ما عاش من غاب عن ذراك وإن

ومن قصيدة عيادة له [من الطويل]:

فنورهما من فضل نعمائه عندي
فإن أنا لم أقبل فما لي سوى جهدي
وما خلت أن الشكو بُعدي على البعد

بعيني ما يخفي الوزير وما يدي
سأجهد أن أفدي مواطيء نعله
لأعدي تشكيك البلاد وأهلها

(١) اللجلجة: التردد في الكلام، والعلل: أي التعلل بالأسباب.

(٢) يغضها العذل: أي ينجلها اللوم فتطرق حياة.

ولم أدر بالشكوى التي عرضت له
وما أحسب الحمى وإن جل قدرها
وما هي إلا من تلهب ذهنه
ليفدك من نعماك مالك رقة
وما زالت الأحرار تفدي عبيدها
ونعماء حتى أقبل المجد يستعدي
لتجسر أن تدنو إلى منبع المجد
توقد حتى فاض من شدة الوجد
فكل الورى بل كل ذي مهجة يفدي
لتكفيها ما تتقي مهجة العبد

ومن أخرى في التهنة بالبرء [من الطويل]:

بك الدهر يندي ظلّه ويطيب
ونحمد آثار الزمان وربما
أفي كل يوم للمكارم روعة
تقسمت العلياء جسمك كله
إذا أملت نفس الأمير تألمت
ويقلع عما ساءنا ويتوب
ظللنا وأوقات الزمان ذنوب
لها في قلوب المكرمات وجيب^(١)
فمن أين فيه للسقام نصيب
لها أنفس تحيا بها وقلوب

ومنها:

ووالله لا لاحظت وجهاً أحبه
وليس شحوباً ما أراه بوجهه
فلا تجزعن تلك السماء تغيمت
تهلل وجه المجد وابتسم الندى
فلا زالت الدنيا بملكك طلقة
حياتي وفي وجه الوزير شحوب
ولكنه في المكرمات ندوب^(٢)
فعماً قليل تبدي فتصوب
وأصبح غصن الفضل وهو رطيب
لا زال فيها من ظلالك طيب

ومن قصيدة في أبي مضر محمد بن منصور [من الكامل]:

هذا أبو مضر كفتنا كفه
هذا الجسيم مواهباً هذا الشريف
شكوى اللثام فما ندّم لثيماً
مناصباً هذا المهذب خيماً^(٣)

(١) الوجيب: الخفق والارتجاف.

(٢) ندوب: علامات.

(٣) خيماً: أصلاً وطبعاً وجوهراً.

سمكت كهمته السماء ومثلت فيها خلائقهُ الشراف نجوما
نشوانٌ قد جعل المحامد والعلا دون المدامة ساقياً ونديما
أعدى الأنام طباعه فتكروما لو جاز أن يدعى سواه كريما

ومن قصيدة في دلير بن بشكروز [من الطويل]:

كريمٌ يرى أن الرجاء مواعدٌ وأن انتظار السائلين من المطل^(١)
وخيرُ الموالي من إذا ما مدحته مدحتُ به نفسي وأخبرتُ عن فضلي

ومن أخرى [من البسيط]:

قل للأمير الذي فخر الزمان به ما الدهر لولاك إلا منطقٌ خطلٌ^(٢)
كفتك آثار كفيك التي ابتدعت في المجد ما شاده آباؤك الأولُ
ما زال في الناس أشباهٌ وأمثلة حتى ظهرت فغاب الشّكل والمثُلُ

درر من شعره في وصف الشعر

قال من قصيدة [من الطويل]:

وما الشعر إلا ما استفزَّ ممدحاً وأطرب مشتاقاً وأرضى مغاضبا
أطاع فلم توجد قوافيه نفراً ولم تأته الألفاظ حسرى لواغبا^(٣)
وفي الناس أتابع القوافي تراهم يثّون في آثارهنّ المقانبا^(٤)
إذا لحظوا حرف الروي تبادروا وقد تركوا المعنى مع اللفظ جانبا .

(١) المطل : من المماثلة أي التسوية .

(٢) الخطل : الفساد .

(٣) اللواغب : الضعاف .

(٤) المقانبا : جمع مقناب وهو ظفر الأسد أو غطّؤه ، أو الوعاء الذي يجعل فيه الصائد ما يصيده .

حواشيه فاجتاحوا الضعيف المقاربا
يثنّ بألباب الرجال لواعبا
وتكسبُ حفاظ الرجال المراتبا
ولوعاً وإمّا مستعيراً وغاصبا
على حسبي إن لم أصنها المعاييا
سمحت بها مستشرفات كواعبا^(١)
مكارمك اللاتي أتين خواطبا

وإن منعوا حرّ الكلام تطرّفوا
ولكنّي أرمي بكلّ بديعة
تسير ولم ترحل وتدنو وقد نأت
تري الناس إمّا مستهماً بذكرها
أذود لثام الناس عنها وأتقي
وأعضلها حتى إذا جاء كفؤها
وأيّ غيورٍ لا بجيب وقد رأى
ومن أخرى [من الطويل] :

ثناءً يسدّي أو مديحاً ينظّم
تكاد إذا ما أنشدت تتبسّم^(٢)
يقال أبايات تراها أو أنجم

ووفاك وفد الشكر من كلّ وجهة
يزفّ إلى الأسماع كلّ خريدة
أطافت بها الأفكار حتى تركنها
ومن أخرى [من الكامل] :

تكسو الحسود كآبةً وذبولاً
منها وشائع نسجها تفصيلاً^(٣)
والبحتري دماءةً وقبولاً

أهدنّ لمجدك حلّة موشية
أحيت حبيباً والوليد ففصيلاً
فأفادها الطائي دقة فكرة
ومن أخرى [من الكامل] :

ما انقباد نحوك خاطري مزموماً
يهدي إليك لبابةً المكتوماً
قطعت إليك مقاصداً وعزوماً^(٤)

لو لم أشرفّ بامتداحك منطقي
لكن رأى شرف المصاهر فاغتدى
فحبّاك من نسج العقول بغادة

(١) أعضلها: أضيق عليها وأحبسها، والكاعب: الفتاة الناهد.

(٢) الخريدة: الفتاة العذراء، ويقصد هنا القصائد البكر التي لم يسبق إليها.

(٣) وشائع: الوشيع: علم الثوب أو رسمه ويريد بالحبيب والوليد: أبا تمام والبحتري.

(٤) حبّاك: أعطاك ومنحك.

لما تبَيَّنَت الكفاءةُ أقسمت
لا تبغها مهراً فقد أمهرتها
ألزمتُ شكرك منطقي وأنا ملي
من أخرى [من الطويل]:

أن لا تغرَّب بعدها وتقيما
نعماك عندي حادثاً وقديما
وأقمتُ فكري بالوفاء زعيما

تنشُر عن علمٍ وتطوي على سحر
وتشغل بالمرأى اللطيف عن السر^(١)
وأحسن من نعمي تقابل بالشكر
وأشبه نظاماً متقناً منه بالشر
تباهى معانيه بألفاظه الغرَّ
ومالت مع الأعراض في حيزٍ تجري
لآليءٍ نورٍ في حدائقها الزهر^(٢)
كما امتزجت بنتُ الغمامة بالخمَر
وأحوج من فعلٍ جميلٍ إلى نشر
وفاءك في عقد السماحة والفرح^(٣)
ثناياك في ألفاظها بهجة البشر
وأمننا تهذيها هفوة السكر

أتنا العذارى الغيدُ في حللِ النهى
تلاعبُ بالأذهان روعةً نشرها
ألذُّ من البشري أت بعد غيبةٍ
فلم أر عقداً كان أبهى تألقاً
ترى كل بيتٍ مستقلاً بنفسه
تحلَّت بوصف الجسم ثم تنكرتُ
أرئتُ سحاب الفكر فيها فأبرزت
فجاءت ومعناها ممازجُ لفظها
أشدُّ إليه نسبةً من حروفه
نظمتها عقداً كما نظم الحجي
كأنك إذ مرَّت على فيك أفرغت
كفتنا حمياً الخمر رقةً لفظها

وكتب إليه بعض أهل رامهرمز أبياتاً يمتدحه فيها ، وقد كان بلغه عنه أبيات
يشكو فيها أهل ناحيته ، فقال : هلا انتقل ، واتصل ذلك بقائلها فضمن أبياته
اعتذاراً من المقام لتعذر النقلة . فكتب إليه مجيباً له قصيدة منها [من الطويل] : .

بدأت فأسلفت التفضُّلَ والبرا وأوليت إنعاماً ملكت به الشكرا

(١) السير : الكشف ، والنشر : الرائحة الطيبة .

(٢) أرئت : من الإرناء ، أو من الإرناء وهو إدامة النظر مع سكون الطرف ، والنور : الزهر الأبيض .

(٣) الحجي : العقل .

تقصّر بالتالي وإن بلغ العذرا
لتوسعنا علماً وتلبسنا فخراً^(١)
وقلن كذا من قال فليقل الشعرا
لحق فتى أهدى بهنّ لنا ذكرا
خواطر ينقاد البديع لها قسرا
وإن نشرت فاحت مجالسنا عطرا
فأعطيت كلاً من محاسنها شطرا
وألقت فكري بين ألفاظها الدرّاً
تأملت منها لفظةً خلّتها شعرا
وبكر من الألفاظ قدزّوجت بكراً^(٢)
وتمسي ظنوني دون غايتها حسرى^(٣)
وحقّ لها في العدل أن تظهر الكبرا
وقد صحبت تلك الشمائل والنجرا^(٤)
ومليت في خفض أبا عمر العمرا^(٥)
إذا خلصت لم تذكر الوصل والهجرة
والبستني أوصافك الزهر الغرّاً
لمغرّز فيض منك قد غمر البحرا
أنفت بها للفضل أن يألّف الصغرا
على ماجدٍ فليسكن البلد القفرا

وللسابق البادي من الفضل رتبة
أتنا عذاراك اللواتي بعثتها
فأفصحن عن عذري وطوّفن منّة
فأوليّتها حسن القبول معظماً
تناهي النهى فيها وأبدع نظمها
إذا لحظت زادت نواظرنّا ضياً
تنازعها قلبي مليّاً وناظري
فنزّهت طرفي في وشي رياضها
تضاحكنا فيها المعاني فكلّما
فمن ثيب لم تُفترع غير خلصة
يظل اجتهادي بينهن مقصراً
إذا رمت أن أدنو إليها تمنّعت
وقد صدرت عن معدن الفضل والعلا
فتمت لك النعمى وساعدك المنى
كفتنا وإياك المعاذير نيةً
مدحت فعددت الذي فيك من علّاً
وما أنا إلا شعبة مستمدة
وقد كان ما بلغته من مقالة
إذا البلد المعمور ضاق برجه

(١) عذاراك : أي أبياتك العذراء التي لم يسبق إليها في المعنى .

(٢) الثيب : المرأة التي ليست بكر ، وتفترع : أي افتضت بكارتها .

(٣) حسرى : ضعيفة متعبة خائبة .

(٤) النجر : الأصل الكريم .

(٥) الخفض : السعة في العيش ولينه .

وكم ماجد لم يرض بالخسف فانبرى
ومن علقت نيل الأمانى همومه
فلا تشك أحداث الزمان فإني
وهل نصرت من قبل شكواك فاضلاً
وما غلب الأيام مثل مجرب
يقارع عن هماته البيض والسمرا^(١)
تجشم في آثارها المطلب الوعرا
أراه بمن يشكو حوادثه مغرى
لتأمل منهنّ المعونة والنصرا
إذا غلبته غاية غلب الصبرا

فقر له من كل فن

قال من قصيدة [من الطويل]:

يقولون لي فيك انقباض وإنما
وما زلت منحازاً بعرضي جانباً
إذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى
ولم أقض حق العلم إن كان كلما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلةً
وقال من أخرى [من الطويل]:

وقالوا اضطرب في الأرض فالرزق واسع
إذا لم يكن في الأرض حرّاً يعينني
ومن أخرى [من الطويل]:

على مهجتي تجني الحوادث والدهر
فأما اضطباري فهو ممتنع وعز

(١) الخسف : النقصان والظلم ، والبيض : السمرة : السيوف والرماح .

(٢) أحجماً : ابتعد وتجنب وتمنع .

(٣) اعتدّ الصيانة مغناً : أي أحسب وأعدّ صون النفس والعرض مغناً .

بذنْبٍ ، وما ذنبِي سوى أنْني حرٌّ
أضيقُ به ذرعاً فعندي له الصبرُ^(١)
وما علموا أنَّ الخضوعَ هو الفقر
على الغنى : نفسي الأبيَّةُ ، والدهر

كأنَّني ألاقِي كلَّ يومٍ ينوبني
فإن لم يكن عند الزمان سوى الذي
وقالوا توصل بالخضوع إلى الغنى
وبيني وبين المال بابان حرماً
ومنها :

مواقفَ خيرٍ من وقوفي بها العسرُ
بنفسٍ فقيرٍ كلُّ أخلاقه وفر
مطامعه في كفٍّ من حصل التبر

إذا قال هذا اليسرُ أبصرتُ دونهُ
إذا قدّموا بالوفر أقدمت قبلهمُ
وماذا على مثلي إذا خضعت له
وكتب على لسان غيره [من الطويل] :

رجتك لما يُرجى له الماجدُ الحرُّ
يحلُّ لهم عن وعدك الموثق الأسر
وحاربهم فيك اختيارك والدهر
فعوضهمُ راحاً يزول بها الفكر
وإن فاته الخلُّ المساعد فالخمر
وإلا فلا تغضب إذا غضب الشعر

أبا حسنٍ طال انتظارُ عصابةٍ
وقد حان بل قد هان لولا المطالُ أن
وقد فاتهم من قربك الأنس والمنى
فإن كنتَ عوّضت عنهمُ بغيرهمُ
فأنس الفتى في الدهر خلُّ مساعدُ
فأما رسولُ بالنبيذ مبادرُ

وقال من قصيدة كتبها إلى أخوين له من انقباضه عنهما وإغيباه زيارتهما

[من الطويل] :

ودمٌ لي ، وإن دام البعاد ، على الودِّ
يفوتني حظي ويمنعني رُشدي
تعدُّ جفاءً والوفاء لهم وكدي^(٢)

أيها معهدُ الأحباب ذكرهم عهدي
ولي خلقٌ لا أستطيع فراقه
نفورٌ عن الإخوان من غير ريبةٍ

(١) ذرعاً : من ذرع المكان ذهاباً وإياباً برماً منه .

(٢) الوكد : الجهد والسعي .

تأبى وأغرّنتني به ألفة المهد^(١)
 فأعيا كما أن تمنعا كفّ مستجدي
 وأبلغ أقصى غاية القرب في بعدي
 وأبلغ في رعي الذّمّام لهم جهدي
 وألزمتاني فيه أكثر من وجدي
 يرى لكما حق الموالي على العبد

غذيتُ به طفلاً فإن رمت هجره
 كما ألفت كفّاً كما البذل والندی
 على أنّني أقضي الحقوق بنيتي
 ويخدمهم قلبي وودّي ومنطقي
 فإن أنتم لم تقبلا لي عذرةً
 فقولاً لطبعي أن يزول فإنّه

وقال [من الوافر] :

وما تنفكُ تُشمت بي حسودي
 فإنّي قد وهبتك للصدود^(٢)
 وحسبك أن أزورك كل عيد

جفاؤك كلّ يومٍ في مزيدٍ
 فإن يكن الصدود رضاك فاذهبُ
 فحسبي منك أن يهواك قلبي

وأهدى إلي صديق له بعض إخوانه تحفة وفيها أفرّاح وباقلاء وباذنجان فقال

على لسانه يذكر ذلك [من الطويل] :

والآ وصالاً دائماً وتعطفاً
 تحرّج من ظلمي فتاب وأسعفاً^(٣)
 تقصّف عاراً أن أسمىه أهيفاً
 يعرّج عن قصد الطريق تخوفاً^(٤)
 من الأرض إلاّ أورثاه تصلّفاً^(٥)
 تساقط فوق الأرض ورداً مقطفاً

أبى سيد السادات إلاّ نظرفاً
 وساعدني فيه الزمان فخلته
 وأهيفاً لو للغصن بعض قوامه
 تحيّن غفلات الوشاة فزارنا
 فما باشرت نعلاه موضع خطوة
 وتلحظ خديّه العيون فتشني

(١) تأبى : امتنع .

(٢) الصدود : الإعراض .

(٣) تحرّج : تأنّم .

(٤) تحيّن : أي ترقّب ، يعرّج : يميل .

(٥) التصلّف : التكبر والادعاء بما ليس فيه .

فقلت أحلم أم خواطر صبوة
وفيم تجلّى البدر والشمس لم تغب
أما خشيت عيناك عيناً تصيبها
ولم يحذر الواشين من لحظاته
فقال اشتياقاً جئتكم وصبابةً
وليس الفتى من كان ينصف حاضراً
ومرّ فلم أعلم لفرط تحيري
فيازورة لم تشف قلباً متيمّاً
فلما تمثلنا الهدية خلته
ولما مددنا نحوهنّ أناملاً
إلى باقلاء خيف أن لا تقله
حملنا بأطراف البنان ولم نكد
وسوداً تروّت بالدهان وبدغت
كافواه زنج تبصر الجلد أسوداً
كخلق حبيب خاف إكثار حاسد
ومنتزع من وكر أم شايقة
يغذى غذاء الطفل طال سقامه
فلما بدت أطراف ريش كأنه
تكلفه من يرتجي عظم نفعه

تصوره أم أنشر الله يوسف
أحاول منها أن تحول وتكسفا
وغصنك ذا إذ مال أن يتقصفا
تقلب سيفاً بين جفنيه مرهفا
إليكم وإكراماً لكم وتشوقاً
أخاه ، ولكن من إذا غاب أنصفا
أطير سروراً أم أموت تأسفا
ولكنّها زادت غرامي فأضعفا
تمثل فيها بهجة وتظرفاً
براهما الضنى في حبه فتحيّفاً^(١)
يداي لما بي من هواه فنصففا
بنائاً زهاها الحسن أن تتظرفاً
بتوريدها لوناً من النار أكلفا
وتبصر إن فرّت لجيناً مؤلفاً^(٢)
فأظهر صرماً وهو يعتقد الوفا^(٣)
يعزّ عليها أن يصاد فيعسفاً^(٤)
فحنّ عليه والداه ورفرفا
مبادي نبات غبّ قطرٍ تشرفاً^(٥)
فكان به أحفى وأحنى وأرأفا

(١) يراها الضنى : أي أنحللتها الأوجاع فتحيّفاً : أي تظلم ، والحيف هو الظلم .

(٢) أكلفا : الكلف هنا لون بين الحمرة والسواد .

(٣) اللجين : الفضة ، وفرّت : افترت وكشفت .

(٤) الصرم : القطيعة والمهجران .

(٥) يعسفا : من العسف وهو الظلم .

(٦) غبّ قطرٍ : بعد ماء .

يزقُ بما يهوي ويعلف ما اشتهى
فلما تراءته العيون تعجباً
أراق دماً قد كان قبلُ يصونه
تضربُ حتى خلت أن جناحه
فجىء به مثل الأسير تمكنت
له أخواتُ مثله ألفت ثنى
وقال لي الفأل المصيب مبشراً
فيا لك من أكلٍ على ذكر من به
ولم أر قبل اليوم تحفة بعده

ويمنع بعد الشبع أن يتصرفاً
وقيل تناهى بل تعدى وأسرفاً
كدمعة مضنى القلب روعه الجفا
فؤادي حيناً ثم عوجل وانظفا
أعاديهِ منه بعد حربٍ فكُتفا
على مثل ما كانا زماناً تألفا
كذا أبداً ما عشتما فتألفا
تطيب لنا الدنيا تعطف أم جفا
ومن عاشر الحرَّ الظريف نظرفاً

* * *

٢ - أبو الحسن علي بن أحمد الجوهري

نجم جرجان في صنائع صاحب وندمائه وشعرائه ، فسكن دورة صناعة
الشعر في ريعان عمره ، وعنقوان أمره ، وتناول المرمى البعيد بقريب سعيه ، وكان
في إعطاء المحاسن إياه زمامها كما قيل « جذع بين على المذاكي القرح »^(١) .

وكان صاحب يعجب أشد الإعجاب بتناسب وجهه وشعره حسناً ، وتشابه
روحه وشمائله خفة وظرفاً ، ويصطنعه لنفسه ، ويصرفه في الأعمال والسفارات ،
وعهدي به وقد ورد نيسابور رسولاً إلى الأمير أبي الحسن في سنة سبع وسبعين
وثلاثمائة يملأ العيون جمالاً ، والقلوب كمالاً ، وحين انكفاً إلى حضرة صاحب
وجهه إلى أبي العباس الضبي بأصبهان ، وزوده كتاباً بخطه ينطق بحقائق أوصافه
وأخباره ، وهذه نسخته بعد الصدر .

(١) الجذع : الحدث ، والقرح : جمع قارح وهو ما كملت أسنانه ، والمذاكي : ما أتى عليها سنة أو اثنتان
بعد قروحها .

أوصافي لمولاي - أدام الله تعالى عزه ! - تودع الشوق إليه حبات القلوب كما تملأ له بالمحبة أوساط الصدور . فلا تغادر ذا قدح فائز في الفضل وخصل سابق في خصال العلم ، إلا ونار الحنين حشوثابه أو يرحل إليه ، وينىخ ركائب السير لديه ، لا جرم أن جلّ من يحضرني يطالبني بالإذن له في قصده ، ويهتبل ^(١) غرة الزمان في الخطوة بقربه ، نعم وذوو التحصيل إذا حظوا لدي بزلفة ، وأحصفوا عروة خدمة ، واعتقدوا أنهم إن لم يعتمدوا ظله ، ولم يعتلقوا حبله ، كانوا كمن حج ولم يعتمر ، ودخل ظفار ولم يحمر ^(٢) ، إلا أن جميعهم إذا دفعته اندفع ، وإذا خدعته انخدع ، غير واحد ملط ملحف مشطاً ^(٣) يغريه الرد بالمراجعة ، ويغويه المنع للمعاودة ، ويقول بملء لسانه إلى أن يسأم ، ويقتضي طول زمانه حتى يسأم ، وكـم جررته على شوك المظل ، ونقلته من حزن إلى سهل . وصرفته على إنجاز وعد بوعد ، ودفعته من استقبال شهر إلى انسلاخ شهر ، ثم خوفته كلب الشتاء أجعل الربيع موعداً ، وحذرته وهج المصيف أعطيه للخريف موثقاً . وكـم شغلته بعمالة بعد عمالة ، ووفادة بعد وفادة ، أريد في كل أن أصدفه عن وجهته ^(٤) ، وأصدّه عن عزمته ، ليس لغرض أكثر من أن السؤال منه والدفاع مني تساجلا ، والالتماس منه والامتناع من جهتي تقابلا ، فلما خشيت صوابته بأصبهان أن يردّها ، بل بخدمة مولاي أن يعتقدها ، تجنّى على قلبه ، أو يتحيف بمس من الجنون ثابت عقله ، ألقيت حبله على غاربه ^(٥) ، وبردت بالإذن جمرات

(١) يهتبل : يغتنم .

(٢) ظفار : بوزن قطام مدينة بالقرب من صنعاء ، وأصل هذا من قول بعض ملوكهم : « من دخل ظفار حمر » أي تكلم بالخميرية .

(٣) المِلْط : الرجل الخبيث الذي يسرق كل ما يقع نظره عليه ويستحلّه . الملحف : الكثير الإلحاح في سؤاله المشط : أي يجاوز الحدّ في أموره .

(٤) أصدقه عن وجهته : أصرفه عنها .

(٥) ألقيت حبله على غاربه : أي جعلته يتحمّل نتائج أعماله : والغارب : الكاهل ، وأعلى كل شيء .

جوانحه^(١) ، فإن يقل مولاي من ذا الذي هذا خطبه وهذه خطته ؟ أقل من فضله برهان حق ، وشعره لسان صدق . ومن أطبق أهل جلده ، على أنه معجزة بلدته . فلا يعد لجرجان بعيداً ولا قريباً أو لأختها طبرستان قديماً ولا حديثاً مثله ، ومن أخذ برقاب النظم أخذه . وملك رق القوافي ملكه ، ذاك على اقتبال شبابه وريعان عمره ، وقبل أن تحدثه الآداب ، وقيل جري المذكيات غلاب ، أبو الحسن الجوهري أيده الله وبنائه عند مولاي منذ حين ، وخصوصه بي كالصبح المبين ، إلا أن لمشاهدة الحاضر ، ومعاينة الناظر ، مزية لا يستقصيها الخبر ، وإن امتد نفسه ، وطال رعانه ومرسه^(٢) ، وقد ألف إلى هذه الفضيلة التي فرع بنيتها^(٣) ، وأوفى على ذوي التجربة والتقدمة فيها ، نفاذاً في أدب الخدمة ، ومعرفة بحق الندام والعشرة ، وقبولاً يملأ به مجلس الحفلة ، إنصاتا للمتبوع إلا إذا وجب القول ، وإعظاماً للمخدوم إلا إذا خرج الأمر ، وظرفاً يشحن مجلس الخلوة ، وحديثاً يسكت به العنادب ويطول البلايل ، فإن اتفق أن يفسح له في الفارسية نظماً ونثراً طفح آذيه . وسال أتيه ، فآلسنة أهل مصره إلا الأفراد بروق إذا وطئوا أعقاب العجم ، وقيود إذا تعاطوا لغات العرب ، حتى إن الأديب منهم المقدم ، والعليم المسوم^(٤) ، يتلثم إذا حاضر بمنطقة كأنه لم يدر من عدنان ، ولم يسمع من قحطان ، ومن فضول أختينا أو فضله أنه يدعى الكتابة ويدارس البلاغة ، ويمارس الإنشاء ، ويهذي فيه ما شاء ، وكنت أخرجته إلى ناصر الدولة أبي الحسن محمد بن إبراهيم فوق التوفيق كله صيانة لنفسه ، وأمانة في ودائع لسانه ويده ، وإظهاراً لنسك لم أعهد في مسكه . حتى خرج وسلم على نقده ، وإن نقده لشديد لمثله . ومولاي يجريه بحضرته مجراه بحضرتي ، قطعاه ومنامه وعوده وقيامه .

(١) الجوانح : أوائل الأضلاع مما يلي الصدر .

(٢) الرعان : الشدة ، ومرسه : أي تمرسه واحتكاكه .

(٣) فرع بنيتها : أي علاهم شرفاً وجاهاً .

(٤) المسوم : سومه الأمر : كلّفه إياه ، وسومه في ماله : أي حكمه فيه .

إما بين يدي ، أو بأقرب المجالس لدي . ولا يقولن هذا أديب وشاعر ، أو وافد وزائر . بل يحسبه قد تخفف بين يديه أعواماً وأحقاباً ، وقضى في التصرف لديه صباً وشباباً . وهذا إنما يحتاج إلى وسيط وشفيع ما لم ينشر بزه^(١) ، ولم يظهر طرزه . وإلا فيسكون بعد شفيع من سواه . ووسيط من عداه . فهناك بحمد الله درقه وحدقه^(٢) ووجنة مطرفه ، وما أكثر ما يفاخرنا بمناظر جرجان وصحاريها . ورفارفها وحواشيها ، فليملأ مولاي عينه من منتزهات أصبهان ، فعسى طماحه أن يخفف ، وجماحه أن يقل .

وشريطة أخرى في بابه : وهي أنه ليس موضعاً لماله ، فسبيل ما يرزأه^(٣) أن يكون ما أقام في حجره ، وإن أذن له مولاي في العود داخلاً في حظر . فما أكثر ما يباري البرامكة تبرماً بجانب الجمع ، وتخرفاً^(٤) في مذاهب البذل . ونسبة للرياح الى الإمساك والبخل . فبينما تراه والثروة أقرب وصفيه ، حتى تلقاه والحاجة أحد خصميه ، وكم تداركت امره فما ازداد الخرق إلا وسعاً لا يقبل رتقاً ، وتهاوناً لا يسع تلافياً ، وما كنت مع إبرامه لأفسح له في الخروج وأمد له طول النهوض مع أنسي الشديد بحضوره ، واستمتاع النفس بعقله وجنونه ، غير أنني أزرت من ينظر بعيني . ويسمع بأذني ، ومن إذا ارتاح للأمر فقد ارتحت ، وإذا انشرح صدره فقد انشرفت .

ونكتة أخرى : وهي واسطة التاج ، وفاتحة الرتاج . مولاي سمح بماله ، مقرب لمناله ، بخيل بجاهه ، ضنين بكلامه . وأبو الحسن لا يقبل العذر ، أو يصدق النذر ، فيجعل جوده بلسانه ، أبلغ من جوده بيناته ، وحقاً أخبر أن قصده الأكثر الارتفاع ، لا الانتفاع ، غير أنني أنبأت عن سره . وعن سن بكره ، وانقضت

(١) البز : الأثواب .

(٢) الدرق : الصلب من كل شيء ، ومنها الدرفة وهي الترس ، وحدقه : أي نظره وإحاطته .

(٣) يرزأه : من الرزء وهو المصاب .

(٤) تخرفاً : جهلاً .

الخطبة ، والسلام .

ولما انقلب من أصبهان إلى جرجان ، مسروراً لم تطل به الأيام حتى أصبح مقبوراً .

* * *

ملح من مقطوعاته في كل فن

قال [من الكامل] :

ومغلفٌ بالمسك في خديهِ سطراً يشوق العاشقين إليه
ما جاءه أحدٌ ليخطف نظرةً إلاَّ تصدَّق بالفؤاد عليه

وقال [من السريع] :

مَنْ عاصمي يا ابن أبي عاصم من لحظك المقتدر الظالم
يا خاتم الحسن أغث مدنفاً صارت عليه الأرض كالخاتم^(١)

وقال [من السريع] :

يا ليل أفدي أختك البارحة ما كان أذكى ريحها الفاتحة
كانت لها خاتمةٌ لو درت وجدي بها كانت هي الفاتحة

وقوله [من المتقارب] :

عشقت وكم من كريمٍ عشق وخفت وكم من حسيوٍ فرق^(٢)
لقد سرق اللحظ منك الفؤاد خلاصاً ، وكم مثل قلبي سرق ؟

(١) المدنف : المريض .

(٢) الفرق : الخوف .

وقال [من المنسرح] :

يا حبذا الكأس من يديّ قمرٍ يخطر في معرضٍ من الشَّقِّق^(١)
بدا وعين الدجى محمّرةً أجفانها من سلافة الفلق^(٢)

وقال يصف حب الرمان [من الطويل] :

وجباتُ رمانٍ لطافٍ كأنّها شوارد ياقوتٍ لطفن عن الثقب
أشبهها في لونها وصفائها بقطرات دمعٍ ورّدت من دم القلب

وقال يصف الباذنجان [من الوافر] :

وباذنجانةٍ حشيت حشاها صغار الدرّ باللبن الحليب
تقمّصت البنفسج واستقلت من الأس الرطيب على قضيب

ولابن الرومي [من المنسرح] :

إذا أجاد الذي يشبهه وأحكم الوصف فيه بالنعث
قال كرات الأديم قد حشيت بسمسم قمعت بكيمنت

وقال في ليلة راكدة الهواء هب فيها نسيم طيب [من الرمل] :

بادِرِ الصهباء فالدهر فرصُ ولقد طاب نسيماً وخلصُ
أهدت الريح إلينا نسماً جمّش الأرواح منّا وقرص^(٣)
قكأنّ الكأس لما جليت طرب الجوُّ عليها فرقصُ
وإذا خُصَّ زمانٌ بمنى فزمان الورد باللّهُو أخصُ

(١) يخطر : يتختر في مشيته .

(٢) السلافة : الخمر ، والفلق : الصبح .

(٣) التجميش : المداعبة .

وقال [من المنسرح] :

وعارض كالبفسج الغض
سألت عنه فقيل ذا قمر
نظرت فيه فصدّ معتدياً
يزهي على صحن سوسن فضّي^(١)
درّع ثوب الظلام للعرض^(٢)
وكاد بعضي يصدّ عن بعضي

وقال يستدعي صديقاً له [من الطويل] :

عفا الدهر عنا واستقلت بنا المنى
وضمت أكف الراح شمل عصابة
فإن زرتني شوقاً وإلاّ فإنني
وحتّ بنا ربع من الانس عامر
وجوههم للزهرات ضرائر
إذا جدّ جدّ السكر والشوق زائر

وقال في معنى لم يسبق إليه [من الوافر] :

ألا يا أيها الملك المعلّى
لعبدك حرمة والذكر فحش
أنلني من عطايك الجزيله
فلا تحوج إلى ذكر الوسيله

وقال يهجو [من الرجز] :

انظر إلى أمرٍ عجيب قد حدث
أبو تميم وهو شيخ لا حدث^(٣)
قد يحبس الأصلع في بيت الحدث^(٤)

وقال في أبي نصر الكاتب النيسابوري [من البسيط] :

إنّي قصدت أبا نصر بمسألة
فقلّ يرعّد خوفاً من مكالمتي
فقلت نفسك إنّي وفد مكرمة
يقلّ وصفّي إيّاه عن الكلم
وكاد يسقط قرناه على القدم
واذهب فإنك في حلّ من الكرم

(١) العارض : صفحة الحدّ ، والغض الطوي والنضر .

(٢) درّع : لبس .

(٣) شيخ لا حدث : أي ليس صغير السن .

(٤) بيت الحدث : بيت الخلاء .

وقال فيه [من الهزج] :

حكوا لي عن أبي نصر وقد أورد من حَقَّقْ
بأنَّ الشيخ يستدخل أيرين إذا استحلَّقْ
فما صدقت حتى قلت للشيخ وقد أطرق
أيحوي الغمد سيفين فقال الشيخ يا أحمقْ
وما تنكر أن يعمل ملاحان في زورقْ

وقال فيه [من الهزج] :

أبو النصر قد أبدع في إبنته بدعه
حكوا لي أنه ييلع عرض الأير في دفعه
وذا من كاتب شيخ عميد مثله شنه
ولولا أنه شيخ تركنا عذله فظعه
وخليناه يستدخل خمساً شاء جو سبعة
ومن يحسد طست الشمع يا قوم على الشمعة

* * *

غرر من قصائده

قال من قصيدة [من الخفيف] :

يا سقيط الندى على الأقحوان
أنت أذكرتني دموعي وقد صوّ
إن يكن للخليج فيك أوان
شجر مدنف وجو عليل
صاح إن الزمان أقصر عمراً
شأنك الآن في الصبوح وشاني
بن بين العتاب والهجران
بتقضّي المنى فهذا أوابي
وصباحٌ يميل كالنشوان
أن يراع المنى بصرف الزمان

رقّ عني ملاحف الليل فانهض برقيقٍ من صوب تلك الدنان^(١)
 قهوةً عقّها النواظر لما حسبته عصاره العقيان^(٢)
 كعصير الخدود في يقق الأو جه أو كالدموع في الأجفان^(٣)
 ومن قصيدة في الصاحب يمدحه ويعتذر من خروجه حاجاً من غير إذنه
 ويعرض بقوم أساءوا المحضر له بجرجان [من الطويل] :

قليلٌ لمثلي أن يقال تغيراً وفارق مخضلاً من العيش أخضرا^(٤)
 زمانٌ كعتبي من حبيبٍ نودّه إذا مرّ منه أدهرٌ كنّ أشهراً
 يقولون بغداد الذي اشتقت برههً دساكرها والعبقريّ المقيراً^(٥)
 إذا فُضّ عنه الختم فاح بنفسجاً وأشرق مصباحاً ونورٌ عصفاً^(٦)
 ودجلتها الغناء والزو نافضاً جناحيه يحكي الطائر المتحدراً
 إذا رفع الملاح جنبيه خلته تشقّق من غيظٍ على الماء معجراً^(٧)
 وقمرة روضٍ حسنها وحديثها إذا الليل من بدر الزجاجة أقمرا
 إذا رقّصت حول المثنائي بنائها ترى كلّ جزءٍ من فؤادك مزهرا
 وليلٍ على النجمي شطت نجومه عن العين حتى قيل لن يتصورا
 تغورُ ويديها الظلام كأنّها عيونٌ سكارى منتشين من الكرا
 عكفنا على صهباء لو مرّت الصبا بها لاكتست ثوباً من الحسن أحمرا

-
- (١) صوب الدنان : أي خمرها ، الصوب المطر ، والدنان : جمع دن : وهو زقّ الخمر وآتيته .
 (٢) القهوة : من أساء الخمر ، والعقيان : الذهب الخالص .
 (٣) يقق الأوجه : أي بيض الأوجه ، واليقيق : هو القطن .
 (٤) مخضلاً من العيش : أي عيشاً ناعماً هائلاً .
 (٥) دساكرها : الدسكرة : القرية ، والبناء الضخم الذي يكون حوله بيوت فيها الشراب والملاهي .
 والعبقري المقيراً : العبقري من الشراب : أي المتميّز المبرّز الذي لا يفوقه شيء ، والمقيراً أي الموضوع في الزق المطلي بالزفت .
 (٦) العصف : صباغ أصفر يستخرج من الثياب .
 (٧) معجراً : مسرعاً - ملتقاً .

فإن عزموا يوماً على البين أنكرا
نداماك فيها الغول والقهوة السرى^(١)
لطال على العذال أن أتستراً
أرض بمرور الثعلبية عنبراً
جواداً إلى العلياء لن يتغيراً
فلست أرى شيئاً سواه ولا أرى
وقد كنت عنواناً عليها مسطراً
بجرجان أبدت دهشةً وتحيراً
وكنت بحجتي ذلك الباب أعذراً
فطيرني من قبل أن أتخيراً^(٢)
فأعمينني من قبل أن أتبصراً
بخلت بنفسي أن تملّ وتهجراً
وسلتُ فكنت الماء ينصبُّ في الثرا
وكنت على قتلي بسيفك أقدرأ
لأورق بالودّ الصريح وأثمراً^(٣)
وكم مقبلٍ تلقاه بالودّ مدبراً
ومن قصيدة كتبها من دهستان إلى صاحب وهو على بعض ضياعها يصف
تبرمه بها وخراب مستغله بجرجان [من الكامل] :

ندامى كأن الدهر يعشق شملهم
أذلك خيرٌ أم بساطٌ تنوفة
فقلت أما والله لولا تقاته
دعوني ومرو الثعلبية إنني
رعى الله مولانا الوزير ورأيه
يمثل ديناً بين قلبي وناظري
لقد طويتُ عن خطبتي صحف الندى
تحيرٌ عيشي بالعراق وهمتي
حججتُ لعمر الله مكةً معذراً
رأى الدهر أنني ناهضٌ بقوادمي
وأبصر أيامي تفتح ناظري
رويدك لم أهجر علاك وإنما
وقدتُ فكنتُ النارَ تأكل نفسها
قدرتُ على قتلي فاقصد
وأقسم لو رويتُ سيفك من دمي
فكم مدبرٍ بالودّ تلقاه مقبلاً

يا ليلةً قصُرتُ فطابتُ وانقضتُ
حميتُ بأنفاسي نجومك فانشئتُ
أيديّ ضعفتُ عن الأعنة فاقنعي

(١) الغول : الصداق الناشئ عن شرب الخمر أو السكر ، والقهوة السرى : أي الخمرة برائحتها المنتشرة .

(٢) القوادم : ريش مقدمة الجناح عند الطائر .

(٣) الودّ الصريح : الحب الخالص الصافي .

لم أرض إلاَّ الفرقيدين حذاءً
قد كان يسبق عدوه النكباء
مثل الأثافي ما يرمن فناء^(١)
حسرى تخال أمامهنَّ وراءَ
كفُّ الوزير توزَّع النعماءُ
يستعرض الشعراءُ والندماءُ
ضحَّوا بأكوابٍ وعَفَّوا الشاءَ^(٢)
فيزفُّها في كأسها حمراءُ
بيد السحاب غلالةً دكناةً
فيه الغيوم فأشبهه الغبراءُ
حتى تراه في الإناءِ إناءً^(٣)
أعلاه ليس يكفكف الأنداءُ
نملُ هوت من أصلهنَّ هباءُ
غرفاتها عن أهلهنَّ خلاةً
أبدأ وأحذر فوقها الأنواءُ
أنَّ القريضَ يهجنُ الرؤساءَ^(٤)
أو نافس العمَّال والضمناةُ
أعمالها عن حملي الأعباءُ
إنني خدمت ببعضها الوزراءُ
وخدمت تلك الحضرة الغراءُ

لو لم تخن قدمي مقاصد همتي
نكبتني الأيامُ في مستحضرٍ
أبقى الحفا منه ثلاث قوائمٍ
ولطالما ترك الرياحُ هبوبة
هذا وقد أخذت بأفاق المدى
وقد استقل سريزه بعلائه
عيدُ أنو شروان قال لعظمه
يتقربُ الدهقان فيه بينته
نسج الزمان من الندى لثنائه
واغبرَّ وجه الجوِّ ممَّا رفرت
وسجا أديم الأرض من برد الضحى
ونعى الشتاء إليَّ بيتي إذ رأى
وسوارياً لو دبُّ فوق متونها
وعليَّة بليت بلاي وأصبحتُ
أخشى الرياح إذا جرت من حولها
قولا لمن ذمَّ القوافي وادَّعى
ويقول بغياً هل تصرفُ شاعرُ
سائلُ دهستان العتود بمن يلي
هيهات لا تحقر عيون قصائدي
وبها وصلت إلى ابن عبَّاد العلا

(١) الأثافي : جمع أثفية وهي الحجر التي توضع عليه القدر .

(٢) عَفَّوا الشاء : أي أكثروا من ذبحها .

(٣) سجا أديم الأرض : غطى وجه الأرض .

(٤) يهجنُ : يعيب ويقبح ، والقريض الشعر .

ومتى لثمت يديه أو أنشدته
فارقته بطحاء المكارم عنده
مغنى اللصوص ومنبع الشر الذي
قومٌ إذا شبقوا أتوا أنعامهم
مثلُ الثعالب ينبعثن فإن عوى
كانوا ذوي ثقتي فصرت كأني
وولايتي عزلٌ إذا لم أعتق

لم أقتنعُ بالمشرقيين حباء^(١)
ونزلت أرضاً بعده شنعاء
أفنى الرجال وجشَّم الأُمراء
أو أعدموا باعوا البنات إماء^(٢)
ذئبٌ دخلن الأيكة العوصاء^(٣)
عينٌ تقلَّب منهم الأقذاء^(٤)
باب الوزير وتلكم الآلاء^(٥)

ومن أخرى يصف فيها ضيق ذات يده ، وخراب حجرته ، وكثرة عياله ،
ويهنئ الصاحب ببنائه الجديد بجرجان [من الطويل] :

أهشُّ لأنواء الربيع إذا انبرتُ
تظلُّ جفوني كُلَّما مرَّ بارقُ
حذاراً على خاوي الجوانب مائلٍ
لدى عرصاتٍ أصبحت غرفاتها
أساطين حكتها السنون كأنها
رثى لي أعدائي بها وتطيَّرت
يقولون هلاً تستجدُّ مرمّةً

وأكره أبواء الربيع وأنكرُ^(٦)
تطول إلى خيط السماء وتقصرُ
يكاد بأنفاسي عليه يقطرُ
مناخل أمطارٍ تروح وتبكرُ^(٧)
قيامٌ تشَّت للركوع تكبرُ
برؤيتها العين التي لا تطيرُ
وحالي منها بالمرمة أجدرُ^(٨)

(١) حباء : عطاء .

(٢) شبقوا أتوا أنعامهم : أي أنهم في حالة الشبق والتهيج لا يتورعون عن مجاعة حيواناتهم ، وأعدموا : أي افتقروا .

(٣) الأيكة العوصاء : أي المكان الكثير الشجر والشديد الصعوبة .

(٤) الأقذاء : جمع قذى وهو ما يقع في العين من وسخ وغيره .

(٥) الآلاء : النعم .

(٦) أبواء الربيع : إخلافه وعدم سقوط الغيث فيه .

(٧) عرصات : ساحات .

(٨) المرمّة : متاع البيت .

وأظهرت الحال التي أنا مضمّر
 وكلُّ لباسٍ للتهتُّك مئزرٌ
 على أنه من صوب طبعي أنزر^(١)
 وتفتح أفواه السباع وتفر^(٢)
 أناملهم نحو الندى تشمر^(٣)
 يحدث عن آلائه ويخبر
 هي الجنة العليا وأنت المعمر
 تعثر فيها فكرتي وتحير
 تربّع في صحن العلا وتدور
 وهل سودد إلا بربعك يعمر

إذا كشف الأيام وجهه تجملي
 فكلُّ مكانٍ للتبذل موقف
 ثمانية يرجون صوب قصائدي
 يمدّون أعناق النعام إلى يدي
 إذا رحت عن دار الوزير تبسّط
 يرون خطيباً ملء بردي ومطرفي
 بنيت إلى دنياك دنياً جديدة
 معارج مجدٍ واحدٍ فوق واحدٍ
 طرائح عزّ لينة فوق لينة
 بنيت لعمرى سودداً لا بنية

ومن أخرى [من الطويل] :

ييثُ جوى من قلبه المتشوّف^(٣)
 توقّد من حرّ الغرام وتنظفي
 أجرٌ إليها شملة المتظرف
 سلاله مجدٍ في غلالة مدنف

تشى إلى برد النسيم المرفرف
 تنسم أنفاس الضحى بحشاشة
 تجافيت إلا عن محاسن قهوة
 دعوا رمقي يستنصر الراح إنها

ومن أخرى [من البسيط] :

ومدّت الريح منها واهي الطنب^(٤)
 ينفضن أجنحة من عنبر الزغب

زرّ الصباح علينا شملة السحب
 صكّ النسيم فراخ فانزعجت

(١) أنزر : أقل ، وأبطأ .

(٢) تفر : تتسع وتفتح .

(٣) المتشوّف : المتطلّع إلى من يحبّ المتشوق إليه .

(٤) الطنب : العمد .

لو لم يقل إلا هذا البيت لكان أشعر الناس !

تسعى الجنوب بطرفٍ حولها ثملٍ من الندى وفؤادٍ نحوها طربٍ ومنها :

كفى العواذلُ أنِّي لا أرى قدحاً إلا شققتُ عليه جلدة الطرب
إن قيل تاب يقول الغيُّ لم يتب أو قيل شاب يقول اللهو لم يشب

ومن أخرى [من البسيط] :

لو ثار ما اقتدحته النفسُ من هممي لو أن ساعديَ اليمنى تساعدني
يا مسرجاً صهوات الريح متجعاً لا تركب البحر إلا بحر مكرمة
سكنتُ روعة حالي بعدما أدّرت فصرت منك أقوى بالغنى سبياً
لصكّ ناصية الجوزاء ملتها على سوى الجود صغت الأرض لي ذهاباً
قربُ خطاك فإن الجود قد قربا يسقي الفرات ولا يودي بمن ركبا^(١)
من اعتراض عوادي فقرها رعباً وأدعى لمحلي في العلا سبياً

ومن أخرى في فخر الدولة [من الطويل] :

سريرٌ بأحداق النجوم مسمرٌ تقود صروف الدهر في عرصاته
جواداً بسلطان السياسة تلجمٌ يزُمُ بفخر الدولة الدهر مذعناً
ويملك أعناق الخطوب ويخزم^(٢) مكارمه في جهة الدهر غرةً
وسؤده في غرة الدهر ميسم^(٤)

(١) يودي : يذهب ويهلك .

(٢) معممٌ : من العمامة كناية عن رفعة ملكه وشموخته .

(٣) يزُمُ : ينقاد ، ويخزم : يذلّ .

(٤) ميسم : علامة ، أو حسناً وجمالاً .

ومن أخرى [من الكامل] :

الصبحُ يرمقُ عن جفونٍ مخمَّرِ
والجوُّ في حجبِ النسيمِ كأنَّما
ريحُ تمايلٍ بين أنفاسِ الضحى
ملك تهيبه النجوم إذا بدا
يكفي القوافي أنها بعنايتي
لو أنها شعرت بعُظم مقامها
ما زال يأمل أن يعود إلى المنى
فبعثت منه جوهرياتٍ أبتُ
والليل يرفع من ذيول مشمَّرِ
تسعى إليه يد الشمال بمجمَرِ^(١)
بممسِّك من ثوبها ومعنبرٍ
وتحار بين مهللٍ ومكبرٍ
تختال بين سريره والمنبرِ
لم تقتنعْ بعمومةٍ في بحرٍ^(٢)
شعري بتشريفٍ عليه مزرَّرِ
أن لا تكون ضرائراً للجوهرِ

ومن أخرى في أبي العباس الضبي بأصبهان [من البسيط] :

إنِّي ملكت عنان الرأى من زمنٍ
إنِّي أهينُ جُمانَ الدمعِ منشراً
أفدي بوجهٍ هرند زندروزٍ وإنْ
تركت فيه على الجسرين دسكرةً
محلَّةً ما طرقتُ الدهر جانبها
أنِّي أحجُّ بطاحِ اللهو آونة
لم تتنني لمعُ للشيب في لممي
إذا سعت لمجدٍ كان لي قدما
إذا رأيت جمان العزِّ منتظما^(٣)
شربت ماء حياتي عندها شبما^(٤)
يشدو بذكرى فيشجي طيرها نغما^(٥)
إلا عزمتُ على دهري كما عزما
إذا رأيت محلِّي عندها حرما
عن أن أَلُمَّ بأطرافِ المنى لهما^(٦)

(١) المجرم : البخور .

(٢) بحرٍ : زي الشاعر البحرى .

(٣) الجمان : الفضة .

(٤) شبما : بارداً .

(٥) دسكرة : بيت ضخم حوله الملاهي والحانات .

(٦) لمع : تنف ، واللَّمة : الشعر الذي يتجاوز شحمة الأذن ، واللَّمَم : مقاربة الذنب من غير أن يقع .

وإنما قدم التوفيق تحمّلني إلى فتى ملء حيزوم العلا ههما^(١)
ومن أخرى [من الطويل] :

إذا ما أدلّ السابقون فإنني
وربّ مصلاً سابق بوفائه
سأخدمه عمري ويخدم بابه
أدلّ بعهد الخدمة المتقادم
وكم قاعد في نصحه ألف قائم
إذا متّ عني خادم بعد خادم

ومن أخرى [من البسيط] :

قد كان أمسك وحي الشعر مذ قطعتُ
فما نظمت لمعنى عقد قافية
وهذه لليالٍ قد سهرت لها
وقلتُ حين رأيت الطبع ينسجها
عسى خطرتُ ببالٍ فاتسقتُ
يد الحوادث عن نعمائه علقي^(٢)
إلا نثرت له عقداً من العرق
أروي معالي مولانا على نسق
نسج الربيع حواشي روضه العبق
له فرائد نظمي كلّ متسق

ومن أخرى في يوم ميلاده وتحويل سنه [من مجزوء الكامل] :

يومٌ تبرّجت العلا فيه ومزّقت الحجب^(٣)
يوم أتاه المشتري بشهاب سعدٍ ملتهب
بسلالة المجد الفصيح وصفوة المجد الزرب^(٤)
ملكٌ إذا أدّرع العلا فالدهر مسلوب السلب
وإذا تنمّر في الخطو ب فيا لنارٍ في حطب
وإذا تبسّم للندى مطرتُ سحائبه الذهب

(١) الحيزوم : الصدر ، المرتفع من الأرض .

(٢) العلق : النفيس من كلّ شيء .

(٣) التبرّج : التزيّن والسفور .

(٤) الزرب : السائل .

يا غرة الحسب الكريم وأين مثلك في الحسب
 هذا صباحٌ حُلِّيتَ بسعوده عطل الحقب^(١)
 ميلادك الميمون فيه وهو ميلاد الأدب
 عرَّجٌ عليه بمجلسٍ رِيَّانٍ من ماء العنب
 واضرب عليه سرادقاً للأنس ممتدُّ الطنب
 فرَّخٌ وعشَّش في المسرَّة منه واستأنس وطب

ومن أخرى [من البسيط] :

بشعلة الرأي تُذكي شعلة الباس
 ما كُلُّ ما احمرُّ للعينين منظره
 ليت الجهول بطرق المجد يتركه
 لا تنفع المرء في الهيجاء شكته
 كل يشنَّج عند السيف جبهته
 الحقُّ أبلجُ بادٍ لا خفاء به
 وليس كُلُّ ابتسامٍ من أخِي كرمٍ
 ولذة المجد تُنسي لذة الكاس
 وردُّ، ولا كُلُّ ما يخضرُّ بالأس
 ما كُلُّ غصنٍ له ماءٌ بمياس
 حتى يشدُّ إليها شَكَّةُ الباس^(٢)
 ولا هواده عند السيف للراس^(٣)
 والملك أشوس لا يعنوا أنكاس^(٤)
 بشراً، ولا كُلُّ تقربٍ بائناس
 ومن أخرى في الأستاذ أبي الحسن محمد بن علي بن القاسم العارض يستدعي منه

الشراب [من البسيط] :

الدهرُ مخبرُهُ مسكٌ ومنظره والسروض مطرفه وردٌ ومعجزه^(٥)

(١) عطل الحقب : الحقب جمع حقبة وهي مدة من الزمن ، وعطل : يقال جيدٌ عطل : أي جيدٌ تنقصه الحلي .

(٢) الشكَّة : السلاح .

(٣) يشنَّج : من شَنَج الشيء : أي قبَّضه وقلَّصه .

(٤) الأبلج : المشرق المنير ، وأشوسن : شديد ومنيع . ويعنو : يخضع ، والأنكاس : مفرداها : النكس وهو الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه .

(٥) المطرف : الرداء أو الشال : والمعجز : ثوب النساء .

والجوُّ يفتح جفنًا في محاسنه
يسعى الشمال بندٌ في جوانبه
طاب الصبوح وكأسي جدٌ فارغٌ
أشواقه ونسيم الورد يعذلني
ومن أخرى في الحسن الحسنى [من البسيط] :

لا عُتِبَ إنْ بذلتُ عيني بما أجدُ
لو أن لي جسدًا يقوى لطفْتُ به
تبعثهم بدماءٍ كان يمسكه
يا ليلةً غمضت عني كواكبها
أهوى الصباح وما لي فيه منتصفُ
لو أن لي أمدًا في الشوق أبلغه
بكيت بعد دموعي في الهوى جلدي
تذوب نار فؤادي في الهوى بردًا
قالوا : ألفت رُبًا جي ، فقلت لهم :
أنسى محاسن جي أنه بلد
إذا استحَبَّ بلاد للمعاش بها
وللمكارم قومٌ لا خفاء بهم
لله معشر صدقٍ كلُّما ثلثت
ذريةً أبهرت طه بجدهم
وإن تصنَّع شعراً في ذوي كرمٍ
أصبت فيك رشادي غير مجتهدٍ

فقد بكى لي عوادي لما عهدوا^(١)
على العزاء ولكن ليس لي جسدُ
تعلُّلي بخيالٍ كلُّما بعدوا^(٢)
ترَفَّقِي بجفونٍ غمضُها رمد
من الظلام ولكن طالما أجد
صبرتُ عنك ، ولكن ليس لي أمد
وهل سمعت ببالٍ دمعته جلد
وهل سمعت بنارٍ ذوبها برد
الحب أهل ، وإدراك المنى ولد^(٣)
طلق النهار ، ولكن ليله نكدُ
فحيثما نعمت حالي به بلدُ
هم يعرفون بسيماهم إذا شهدوا
على الورى سورةً من مجدهم سجدوا
وهل أتى بأبيهم حين ينتقد
يا ابن النبي فشعري فيك مقتصد
وليس كلُّ مصيبٍ فيك مجتهد

(١) أجدُ : من الوجد وهو الحب الشديد ، والعواد : الزوَّار .

(٢) الدماء : بقية الروح .

(٣) جي : لقب أصبهان قديماً ، أو اسم قرية بها .

بسطت عرض فناء الدهر مكرمة طرائق الحمد في حافاتها قد
ومن أخرى يصف فيها سقامه وكربه ويشكو تأخر إخوانه عن عيادته
ويخاطب بها أبا الفتح محمد بن صالح ليعرضها في مجلس الصاحب [من
الخفيف]:

قلت لما تأخر العوَادُ	أي سقم عليه لا يعادُ ^(١)
ما لكم إخوة الرجاء وما لي	كل أيامكم نوى وبعاد
قد صددتم عني صدود التعالي	لسقامي كأن سقمي وداد
إن تجنبتم العدوى فلم لم	أعذكم بالهوى وسقمي سهاد
ملني مضجعي وعاف نديمي	مجلسي واجتوى جفوني الرقاد ^(٢)
طرز السقم ما كسانيه	بالعز فهذا حتف وهذا حداد
لي وشاح من الضنا ونجاد	ووساد من الأسى ومهاد ^(٣)
قلمي يتقي بناني ، وسيفي	وعناني ، ويتقيني الجواد
وتناست يدي مناولة الكأ	س وسمعي ما ينفر العوَاد
لو سوى العز نالني مرصتي	خدمة دونها الشباب المفاد ^(٤)
قد لوانني عن جنة العز سقمي	ويح نفسي كأن سقمي ارتداد
روضة نورها العلا وغدير	كل أكنافه ندى معتاد ^(٥)
باعد العر بين عيشي وبينني	فبياض الزمان عندي سواد
يا أبا الفتح قد تفردت عني	بمنى لا تخصها الأعداد

(١) السقم المرض ، يعاد : يزار أثناء المرض .

(٢) اجتوى : كره المقام ، فارق .

(٣) الضنا : الألم ، والنجاد : اللحاف ومنه التَّجَاد : الذي ينجد الفرش والوسائد والمهاد : السرير والفرش .

(٤) العر : الجرب ، أو مرض اعتراه .

(٥) الأكناف : الجوانب ، وكنف الانسان حضنه .

بَلِّغِ الْمَجْلِسَ الرَّفِيعَ سَلَامِي
 وَاجْتَهِدْ أَنْ تَقْبَلَ الْأَرْضَ عَنِّي
 حَيْثُ يَبْدُو الْوَزِيرُ فِي مَعْرَضٍ
 وَتَغْنَمُ خَيْرَ التَّبَسُّمِ فِيهِ
 ثُمَّ قُلْ إِنَّ حَالَ خَادِمِ مَوْلَا
 سَقَمٌ مَجْهَفٌ وَعَرٌّ كَرِيهِ
 كُلُّ عَضْوِي مَنِّي لَهُ حَسْرَاتٌ
 وَاشْتِيَاقِي وَقُلْ سَقَاكَ الْعَهَادُ^(١)
 حَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُهُ الْقَوَادُ
 الْفَضْلُ وَيَهْتَزُّ غَصْنُهُ الْمِيَادُ
 إِنَّ بَشَرَ السُّلْطَانِ غَنَمٌ مَفَادُ
 نَا لِحَالٍ يَمْلُهَا الْعَوَادُ
 وَاخْتِصَاصُ بَكْرِيَّةٍ وَانْفِرَادُ
 وَاشْتِيَاقُ كَأَنَّ كُلِّي فَوَادُ

ومن أخرى [من الكامل] :

قَوْلَا لِعَاذَلْتِي جَمَحْتَ فَلَمْ أَزِدْ
 جَنَحَ الظَّلَامِ فَبَادِرِي بِمَدَامَةٍ
 صَهْبَاءُ لَوْ طَافَتْ بِهَا قَمْرِيَّةٌ
 رَعَتْ الزَّمَانَ رُبِيعَهُ وَخَرِيفَهُ
 إِلَّا لَجَاجًا فِي الْهَوَى وَجَمَاحًا^(٢)
 بَسَطْتَ إِلَيْكَ مِنَ الْعَقِيقِ جَنَاحَا
 أَذَكْتَ عَلَيْهَا رِيَشَهَا مَصْبَاحَا
 فَأَتَتْ تَبْتُ الْوَرْدِ وَالتَّفَاحَا

* * *

٣ - أَبُو مَعْمَرِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْإِسْمَاعِيلِي

جَمَعَ شَرَفَ النَّفْسِ إِلَى شَرَفِ الطَّبْعِ ، وَكَرَمَ الْأَدَبِ إِلَى كَرَمِ النَّسَبِ
 وَاسْتَوْلَى عَلَى أَمَدِ الْفَقْهِ فِي اقْتِبَالِ الْعُمُرِ ، وَحَسَنَ تَصَرُّفَهُ فِي الشَّعْرِ ، حَتَّى كَتَبَ
 الصَّاحِبُ فِي وَصْفِ قَصِيدَةٍ نَفَذَتْ مِنْهُ فَصْلًا مِنْ كِتَابِ طَوِيلٍ إِلَى أَبِيهِ أَبِي سَعِيدٍ ،
 وَهَذِهِ نَسْخَةُ الْفَصْلِ .

« وَبَعْدَ » فَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْإِعْجَابِ مِنَّا ، وَقَدْ طَلَعْتَ مِنْ أَرْضِكَ فَقِرَّةُ

(١) العهد : أول المطر .

(٢) جمحت : تمردت وشردت، وجمحت المرأة خرجت غاضبة، اللجاجة : الإلحاح .

الفقر ، وغرة الغرر ، وحديقة الزهر ، وخليفة المطر ، تلك حسنة انتشرت عن ضوئك ، وغمامة نشأت بنوئك . ونار قدحت بزندك . وصفيحة فضل طبعت على نقدك ، وإنها لقصيدة ولدنا أبي معمر ، عمره الله تعالى ما اختار ، وعمر به الرباع والديار . خطت بأقدام الإجادة ، وقطعت مسافة الإصابة ، وسعت إلى كعبة القبول ، وحلت حرم الأمن خير الحلول . تلبي وقد تعرت من لباس العمل ، وتجردت عن عطايف التبذك . فلم تدع منسكا من البر إلا قضته ، ولا مشعراً من الفضل إلا عمرته . ولا معرفاً من العلم إلى شهادته ، ولا محصباً من الفهم إلا حضرته . واجتمعنا حولها وإنا لأعداد جمّة ، وفينا واحد يقال إنه أمه ، كأنا عديد الموسم يعظمون الشعائر . ويعلقون الستائر . ويحتضنون الملتزم ، ويلثمون المستلم . وهذا الكتاب يرد عليكم بالخبر أسرع من اللّمع البارق ، نعم ومن اللّمع الخاطف ، وأخف من سابق الحجيج وإن كان المثل الأعلى لبيت الله العتيق . فأحمد الله إذ قرن فضل فتاك بفضلك ، وجعل فرعك كأصلك ، وأنبت غصنك على شجرك ، واشتق هلالك من قمرك ، وأراك من ظهرك ، ومن يحذو على نجرك^(١) ، ويصل فخره بفخرك ، ويشيد من بناء الدراية ما أسست ، ويسقي من شجر الرواية ما غرست .

قال مؤلف الكتاب : فمن غرر شعر أبي معمر قوله من قصيدة الصاحب [من

الخفيف] :

ما عهدتُ القضيْب بالحَقْف ولا البدر للثَّمام استسرا^(٢)
حبذا الطارق الذي زار وهناً فأعاد الظلام إذ زار فجرا
ثمل العطف وهو ما نال خمراً عطر الحبيب وهو ما مسَّ عطرا

(١) النّجر : الأصل .

(٢) الحَقْف : الرمل الكثير ، واستسراً : من السّرار : وهو : الاختفاء ، أي عندما يكون القمر في المحاق .

والحياء الملم بالخذ منه صيرفي يبدل العين أخرى^(١)
ضممني ضمة الوداع فعاد الشفع منا عند التعانق وترا^(٢)
وسقاني بفيه خمراً بروداً عاد بعد الفراق في القلب جمرًا
ملك طوعه الملوك علاء وهو طوع العفاة جاهاً وقدرًا
ملك أنهب العروض فأضحى العرض منه على البرية حظرا
ملك لا يرى سوى الحمد مالا لا ولا الكنز غير ما جر شكرا
فاذا المحل حل حل غماما وإذا النقع ثار ثار هزبرا^(٣)
وإذا ما أفاد نحل كعباً وإذا ما أفات نهنه عمرا
وإذا ما سطا تطاول جهراً وإذا ما جبا تطوّل سرّاً

وقوله من قصيدة في وصف الثلج [من الطويل]:

لك الخير من سار معان على السرى
أجاز الدجى حتى أناخ إلى الضحى
فرحنا وقد بات السماء مع الثرى
كان غيوم الجو صواغ فضة
وللقطر نفحات تصوب خلالها
لقد عم إحسان الشتاء وبرده
نصينا قري الأرض الفضاء له قري
قلائصه غر الشواكل والذرى^(٤)
وغاب أديم الأرض عنا فما يرى
تواصوا برد الحلي عمداً إلى الورى
كصوب دلاء البشر أسلمها العرى^(٥)
بلى خص أرباب الدساكر والقري

وقوله [من الرجز]:

وليلة من الليالي القاسية مدت ظلاماً كالجبال الراسية

(١) العين : المال ، والذهب والفضة .

(٢) الشفع : المزدوج ، والوتر : المفرد وهنا يقصد أنه استحال وحيبه جسماً واحداً .

(٣) المحل : انقطاع المطر ، والنقع : الغبار ، والهزبر : الأسد .

(٤) أجاز : أي اجتاز وقطع ، والقلائص : النوق ، والشواكل : الطباع ، والسجايا والجوانب .

(٥) الدلاء : جمع دلو ما يستخرج به الماء من البئر ، العرى : البرد .

فغادرتُ كلَّ الورى سواسيه البيض دهماً والعراة كاسيه^(١)
لبستُها والصبر من لباسيه بهمةً على الأسى مواسيه
ونبعةً صليبة لا جاسيه حتى شممت الصبح في أنفاسيه^(٢)
* فالصبر صبر النفس لا عن ناسيه *

وكتب إليه بعض العصريين من أهل نيسابور [من الخفيف]:

يا فريداً في المجد غير مشاركُ عزَّ باريك في الورى وتباركُ
يا أبا معمر عمُرت ولا زَا لَت سَعُود الأفلاك تعمُرُ داركُ
يا هلالَ الأنام قد كتب الأيام في دفتر العلا آثاركُ
ولسانُ الزمان يدرس في كلِّ مكانٍ على الورى أخباركُ
سيدي أنت من يَشُقُّ غباركُ بأبي أنت من يروم فخاركُ
أنت من فيه خالق الخلق باركُ وحباك العلا وزكى نجاركُ
ما ترى في مناسبٍ في الآ داب قد صار دأبه تذكاركُ
شوقتهُ إليك أوصافك الغرُّ فجاب البلاد حتى زاركُ
هل تراه لديك أهلاً لأن تمنحه يا أخا العلا إشاركُ
فهو ضيفٌ قراه أنفَسَ علقٍ فاقره الودَّ واسقِه أشعاركُ^(٣)
وتملَّ الزمان في ظلَّ عيشٍ ثمرٍ لا يملُّ قطُّ جواركُ
فأجابه بهذه الأبيات [من الخفيف]:

زارك الغيث وانتحى القطر داركُ كلُّما التفت صوبه وتداركُ
فلها من نذاك ديمة فضلٍ طبقتها فأظهرت آثاركُ^(٤)

(١) الدَّهْم : السواد .

(٢) الصليب : الخالص النسب الصافية ، والجاسية : التي يخالطها الفساد .

(٣) القرى : الضيافة ، والعلق : النفيس .

(٤) ديمة : المطر الذي يتساقط في سكون بلا رعد ولا برق .

ولها من علاك شمسٌ حوتها فهي تجلو على الورى أنوارك
وبها منك للعلوم بحارٌ جاورتها فمن يخوض بحارك
يا قريباً في البرّ ما يتجافى وبعيداً إلى مدى لا يشارك
وبديعاً ملء الصفات فلو رمت فخاراً لما حصرت فخارك
جاءنا نظمك البديع فقلنا السروض إمّا أعرتة أو أعارك
هو روضٌ أطاعك الحسن فيه فأطاع الإحسان فيه اختيارك
وسطاً بالبياض خطُّك حتى مدّ ليلاً وما خلعت نهارك
وتناهيت في الخطابة حتى عجز القرن أن يشقّ غبارك^(١)
راعاه شأوك البعيد ومن يجري ويجري إذا رأى مضمارك^(٢)
فانشئ جامد القريحة يستشعر أن الأشعار باتت شعارك
يا كريماً ضمّت عليه المعالي فادّرعها واشدد بها آزارك^(٣)
قد أتاك الثناء وهو أبيّ ذاك ممّا منحتة إيثارك
فاصحب الفخر وامض في الخير قدماً واقض في طاعة الندى أوطارك^(٤)

٤ - القاضي أبو بشر الفضل بن محمد الجرجاني

صدر كثير الفضل . جم المناقب ، جزل الأدب ، فصيح القلم ، حريص
على اقتناء الكتب . وله يقول الصاحب وقد اعتل [من الوافر] :

تشكّي الفضل من سقمٍ عراهُ فإن الفضل أجمع من أنينه
وعاد بعقوتي يشكو جواه كما يحنو القرين على قرينه^(٥)

(١) القرن : المثل ، ويشقّ غبارك : أي أن يلحق بك .

(٢) الشأو : السبق ، والمضمار : مكان تضمير الخيل من أجل السباق .

(٣) فادّرعها : أي جعلها درعاً يلبسه ، والأزر : القوة .

(٤) الأوطار : الغايات والمرامي .

(٥) العقوة : المحلّة وساحة الدار .

فقلت له وقاك الله فيه فإنَّ السعد يطلع من جبينه
هو العين التي أبصرت منها وصار سواد عيني في جفونه
ستفديه يميني لا شمالي فعين المرء خيرٌ من يمينه

وكان ولاه قضاء جرجان : فلما انقضت أيام صاحب وعاد الأمير شمس المعالي من خراسان إلى مملكته ولاه قضاء قضاته مضافاً إلى رئاسة جرجان ، وله شعر ينطق به لسان فضله ، كقوله من قصيدة في الأمير شمس المعالي [من الخفيف]:

سنةً أقبلت مع الإقبال وزمانٌ من الميامن حالي
رُفرت فوقنا سحائب نعمي مطرنا السرور في كلِّ حالِ
حسبي الله في الأمور نصيراً ثم حسبي الأميرُ شمس المعالي
قد رآه خليفة الله في الأر ض فريداً فقال للإقبال
ما رأينا له مثلاً وهذا لقبٌ مثله فقيدُ المثال
عانق اللفظ وفق معناه فانظر كيف أنس الأشكال بالأشكال
وُلدا توأمين كالجسم والرو ح بعيدين من سماء المنال
ومعالٍ مشتقةٍ من معانٍ ومعانٍ مشتقةٍ من معالي
لم ينل من جداهُ مثل الذي نلت ولا قيل في علاه مقالي^(١)
ويشيع الذي يشيد من المج د وقولي يسير كالأمثال
لي من شبيه ضياعي وأفرا سي ودوري وأعدي وبغالي^(٢)
حرس الله ملكه ووقاه في بقاءٍ يطيب بالأمهال
سايِسُ الملكِ سالمُ النفس طلق العيش مستوفياً شروط الكمال

(١) جداه : عطاؤه .

(٢) والسبب : العطاء .

٥ - أبو القاسم العلوي الأطروش

من نازلي إستراباذ ، وأفاضل العلوية ، وأعيان أهل الأدب ، كتب إلى القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز رقعة تشتمل على النظم والنثر ، نسخها :
الشيخ أدام الله عزه قد أعلقني من مودته ما لا أزال أحرص عليه ، وأفادني حظاً كثرت المنافسة مني فيه ، إذ هو الأوحد الذي لا يجاري إلى غاية طول وكرم طبع . وإن من اعتلق منه سبباً واستفاد منه وداً ، فقد أحرز الغنيمة الباردة ، وفاز بالخير والسعادة ، ورجوت أن تكون الحال بيننا زائدة ، إذ محله عندي المحل الذي لا يتقدمه فيه أحد ، وشغل قلبي بانقباضه عني مع الثقة الوكيدة^(١) بأنني مغمور المحل عنده ، موفور الحظ من رأيه وعنايته ، لا أعدمني الله النعمة ببقائه ودوام سلامته ، وأنهضني بالحق في شكره ، وما هو إلا قصر النفس على تطلب محمده والسعي بها إلى مرضاته . وقد كتبت في هذه الرقعة أبياتاً ، مع قلة بضاعتي في الشعر ، وكثرة معرفتي بأن من أهدي إليه الشعر الجيد المطمع الممتنع ، المصبوب في قلبه ، فكمن حمل التمر إلى هجر ، والفضب إلى اليمن^(٢) ، وهي هذه [من البسيط]:

يا وافر العلم والإنعام والمنن	ووافر العرض غير الشحم والسمن
لقد تذكرت شعر الموصلي لما	سمعت من لفظك العاري عن الدرن ^(٣)
يا سرحة الماء قد سدّت موارده	أما إليك طريق يا أبا الحسن
إنني رأيتك أعلى الناس منزلة	في العلم والشعر والآراء والفطن

(١) الوكيدة : الأكيدة .

(٢) هجر : بلدة كثيرة التمر ، وبلاد اليمن مشهورة بالسيوف حتى انه يقال للسيوف يمان ، والفضب : هنا السيوف .

(٣) الدرن : الوسخ ، أو ما يلطخ الثوب منه .

فاسمع شكاة ودود ذي محافظة يُعفي المودة عند السرِّ والعلن
لقد نمتك ثقيفُ يا عليُّ إلى مجدٍ سيقى على الأيام والزمن
مجدٌ لو أن رسول الله شاهده لقال إيه أبا إسحاق للفتن
صلى الإله على المختار من رجلٍ ما ناحت الورق فوق الأيك والفنن^(١)

فإن وقع فيها خطل أو زلل فعلى الشيخ اعتماد في إقالة العثرة وصرف الأمر
إلى الجميل الذي يوازي فضله ويشاكل نبهه . لأنني كنت من قبل أهدي البيت
والبيتين إلى الإخوان ، وبعد العهد به الآن . فإن رأى - أراه الله محابه ! - أن يتأمل
ما خاطبته به فعل إن شاء الله .

وأنشدت له في بعض رؤساء جرجان [من المتقارب]:

خليلي قُرّاً من الدهمخذا خذا حذراً من وداده خذا
يكنى بسعدٍ ، ونحساً حذا وكل الخلائق منه كذا

٦ - أبو نصر عبد الله بن محمد البجلي الإِستراباذي

أنشدني أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي قال : وجدت بخط البجلي هذه
الآيات من قصيدة في الأمير شمس المعالي [من البسيط]:

لله شمسان تذكيرٌ لخيرهما وللمؤثثة النقصان ملتزمٌ
أزرى بتلك سناً من غير معرفةٍ فيها ، وزين هذا المجد والكرم
يا أيها الملك الميمون طائره وخير من في الورى يمشي به قدم
لو كنت من قبلُ ترعانا وتحرسنا لما تهدى إلينا الشيب والهرم

(١) الورق : الحمام ، والأيك : الأشجار ، والفنن : الأغصان .

وأنشدني له غيره [من الكامل]:

دمعي يفيضُ ولا يفيضُ كأنما من ماء ذاك الوجه جاد بمدّه^(١)
وأرى فؤادي فوق جمرٍ محرقٍ فكأنه من فوق حمرة خدّه
وجهُ أعار الصبح من مبيضه شعرُ أعار الليل من مسودّه
وكانَ وجنته اكتست من وصله وكأنما الصّدغ اكتسى من صدّه^(٢)

٧ - فصل في ذكر شعراء طبرستان

أبو العلاء السبروي

واحد طبرستان أديباً وفضلاً ، ونظماً ونثراً . وقد تقدم ذكره فيما جمعه وابن العميد من مشاكلة الأدب . وما كان يجري بينهما من المساجلة في المكاتبة ، وله كتب وشعر سائر مشهور كثير الظرف والملح ، فمنها قوله [من الطويل]:

مررنا على الروض الذي قد تبسّمتُ ذراه وأوداجُ الأبارق تُسفكُ^(٣)
فلم نر شيئاً كان أحسن منظراً من الروض يجري دمه وهو يضحك

وقوله من قصيدة [من البسيط]: .

أما ترى قضب الأشجار قد لبست أنوارها تتشّنى بين جلاسٍ
منظومةٌ كسموط الدرّ لابسَةٌ حسناً يبيح دم العنقود للحاسي^(٤)
وغرّدت خطباء الطير ساجعةً على منابر من وردٍ ومن آسٍ

(١) يفيض : يغور وينضب ، جاد : فاض تكرم .

(٢) الصّدغ : ما بين العين والأذن من جانب الوجه ، والصدّ : الامتناع .

(٣) الأوداج : عروق في العنق .

(٤) السمط : العقد ، والحاسي : الشارب .

وقوله في النرجس [من البسيط]:

من نرجسٍ بهاء الحسن مذكورٍ
كأسٌ من التبر في منديل كافورٍ

حيّ الربيع فقد حياً بباكور
كأتما جفنه بالغنج مفتحاً

وقوله في التفاح [من الطويل]: .

فما شعرُني حذقٍ يحيط بوصفها
وبالعاشق المهجور صفرة نصفها

وتفاحةٍ قد همتُ جداً بظرفها
أشبهُ بالمعشوق حمرة نصفها

وقوله في الغزل [من الكامل]:

لولا التمنطق بائناً من نصفه^(١)
يسعى إليك بخده في كفه
سلّم فؤاد محبّه من طرفه^(٢)

ومعشّق الحركات تحسب نصفه
يسعى إليك بكأسه فكأتما
يا من سلّم خصره من ردفه

ومن قصيدة [من الرجز]:

صفيحة الفضة شباك سبج^(٣)
تزهّر فيه وجنة ذات وهج
من ورق النسرين والورد نسج

ذو طرّة كأتما ركّب في
وعارض كالماء في رفته
كأتما نساج ديباجته

وقال [من الطويل]:

فقلت : رويداً إتما أنت أول^(٤)
يولّى على أمرٍ كمن عنه يُعزل

نبا قلبه من شغل قلبي بغيره
فقال : دع العذر الضعيف فليس من

(١) التمنطق : وهو وضع النطاق على الخصر .

(٢) الردف : مؤخر كل شيء .

(٣) الطرّة : الجبهة ، والسبج : الخرز الأسود .

(٤) نبا : نفر .

وقوله من قصيدة [من الخفيف]:

حيّ شيئا أتى لغير رحيل وشباباً مضى لغير إياب
أي شيء يكون أحسن من عا ج مشيب في آبوس شباب

وكتب إليه شاعر غريب يشكو إليه حجابهُ أبياتاً أولها [من السريع]:

جئت إلى الباب مراراً فما إن زرت إلاّ قيل لي قد ركب
وكان في الواجب يا سيدي أن لا تُرى عن مثلنا تحتجب
فأجابه على ظهر رقعة [من السريع]:

ليس احتجابي عنك من جفوة وغفلة عن حرمة المغترب
لكنّ لدهرٍ نكده خائن مقصّر بالحرّ عمّا يجب
وكنت لا أحجب عن زائرٍ فالآن من ظلّي قد أحتجب

ومن سائر شعره قوله في غلام سكران [من المنسرح]: .

بالورد في وجنتيك من لطمك؟ ومن سقاك المدام لمْ ظلمك؟
خلأك ما تستفيق من سكرٍ توسع شتماً وجفوة خدمك
مشوش الصدغ قد ثملت فما تمنع من لثم عاشقك فمك
تجرّ فضل الرداء منخلع النع لين قد لوّث الثرى قدمك
أظلّ من حيرة ومن دهشٍ أقول لما رأيت مبتسمك
بالله يا أقحوان مبسمه على قضيب العقيق من نظمك

٨ - أبو الفياض سعد بن أحمد الطبري

شاعر مفلّق ، محسن مبدع ، ممتد الأوصاح والغرر في شعره الصاحب ، وهو القائل
من قصيدة فيه ، أولها [من البسيط]:

الدمعُ يعربُ ما لا يعربُ الكلمُ والدمع عدلٌ وبعضُ القومِ متَّهمٌ
 أمّا يدُ الصّاحِبِ اليمنى فأكرم ما يدُ تصاحب فيها السيف والقلم
 وللأعنة يسري في أناملها أعنة الرزق والآجالُ تنتظم^(١)
 تخالف الناس إلا في محبته كأثما بينهم في حبِّه رحم
 ومنها في وصف أفراس قيدت إليه من فارس :

زارثك من فارس الغنّاء ناشرةً أعرافها قائداهما العتق والكرمُ
 كأنَّ أعينها وُلّينَ أرجلها فالعين آمرةٌ والرجل ترسمُ
 من كلّ أشهب لم تكحل بشهته عينا فتى فدرى ما الظلمُ والظلمُ^(٢)
 ومن أغرَّ يُراع العاشقون له كأنَّ غرّته ثغرٌ ومبتسمُ
 وكلُّ أدهم عمّت جسمه شيءٌ كجدّ قوم بغوك الشرِّ فاصطلموا^(٣)
 ومنها في وصف الخلعة والسيف :

وخلعة تأسر الأحداق مخملةً بالنور للشمس من لألائها سقمُ
 وصارم لم يودّع قطّ مضجعةً إلّا وقد ودّعت أعناقها القمم
 كالكوكب الفرد لكنّ إن رجمتُ به شيطان حرب طوت أوصاله الرّجمُ^(٤)
 يلقي السيوف بوجهٍ مثل وجهك لم يطلع من الغمد إلّا قيل يتسم
 ومنها قوله في وصف السكين والدواة والأقلام :

ومطفّل من بنات الزنج مرضعةً من لم تلده ولم يخلق لها رجمُ^(٥)
 حتى إذا وضعت عادت أجنتها إلى حشاها فلا طلق ولا وحم

(١) الأعنة : جمع عنان وهو الزمام ، والآجال : الأعمار .

(٢) الأشهب : الأبيض الذي غلب على السواد أو بياضٌ يخالطه السواد .

(٣) الشّية : كل لونٍ يخالف سائر لونه الشيء أو العلامة ، واصطلم : قلع من أصله ، أي قضي عليه .

(٤) الرّجم : شهب تظهر في السماء وكأنّها نجوم تتساقط .

(٥) ومطفّل : أي ذات طفل .

أعجب لأطفالها تبكي عيونهم إن أَرْضَعْتَهُمْ ولا يَبْكُون إن فَطَمُوا
أُفٍّ مذروبة إن تابعت لهم في الذبح صحوا وإن أعفّتهم سقموا^(١)
ومنها في وصف الدست^(٢)

وروضة لم تولّ السحب صنعتها ولم تحطّ بها أثقالها الدِّيمُ
ترنو العيون إليها والشفاه فيجـنـن العلا وهي إلّا منهما حرم
تفترّ عن شبل عبّاد ولا عجبُ فالأسد تفترّ عنها الروض والأجم^(٣)
ومن أخرى [من الكامل] :

بدوية ضربت على حجراتها أيدي العريب من القنا أسداداً
ممّن يعد الوحش أهلاً والفلا وطناً وأكباد الأعادي زادا
قالت وقد صبّت عليّ ذراعها فتمكّنت فوق النجاد نجاداً^(٤)
أوهى قناتك بعدنا حملُ القنا فطفقتَ تحمل منكباً مناداً^(٥)
يا هذه مننُ الوزير جفونه وإذا شكوت إليه عاد فزادا
صابت عليّ يمينه فكأثما صابت عليّ يمينه حسّاداً^(٦)
فالعزّ ضيفُ لا يراه بربعه من لا يرى بذل التلاد تلاداً^(٧)
والجود أعلى كعب كعب قبلنا فمضى جواداً يوم مات جوادا
أغرّت يمين ابن الأمين وفيضها بفنائنه الوراد والروادا
ودعت بني الأمال من أوطانهم فاستوطنوا الأكوار والأقتادا^(٨)

(١) المذروبة : السكين والمديّة .

(٢) الدست : الصحراء ويقال « دشت » ووقع ذلك في شعر الأعشى ميمون بن قيس .

(٣) تفترّ : تكشف ، والأجم : الشجر الكثير الملتف .

(٤) النجاد : محمل السيف .

(٥) مناداً : تعباً ، من الأود ، وهو الإعوجاج أيضاً .

(٦) صابت : سالت وجادت .

(٧) التلاد : المال القديم الموروث .

(٨) الأكوار : جمع كور ، وهي المحمل ، والأقتاد : جمع قند وهو خشب الرجل .

ومن قصيدة في أبي علي الحسن بن أحمد [من الوافر] :

لأختِ بني نمير في فؤادي	صدىً أعياء على الماء النمير
ليالي كان عصيانُ المشيرِ	ألدُّ لديَّ من رأيٍ مشورِ
وينظمنّا العناقُ ولا رقيبُ	يروّعنا سوى القمر المنير
وغشّني بمثل الكرم وحفُ	وبت أعلُّ من أشهى الخمور ^(١)
ولا كرمُ سوى شعيرِ أثيثِ	ولا خمرُ سوى خمر الثغور
أروضتنا سقاك الله هل لي	إلى أفياء دوحك من مصير
غنينا في ذراك على غناءِ	يوافق رجعه سح الطيور ^(٢)
وكم في فرع أثلك من صفيّرِ	وكم في أصل أثلك من زفير ^(٣)
وأحشاءِ تولّفها الحشايا	كتأليف العقود على النحور
وشدوٍ ترقص الأعضاء منه	ويمٌ لا يملُ عراكَ زير ^(٤)
فيا لك روضةً راحت فراحت	رضى الأبصار من نورٍ ونورِ
أطاعتها عيون الغيث حتى	جزتها الشكر ألسنة الشكورِ
كسّون ظهورها ما تكتسيه	بطون الصحف من فكر الوزيرِ
إذا الحسن بن أحمد زفّ خيلاً	يلفُّ بها السهول على الوعورِ
عرائس تحمل الفرسان شوساً	كعقبانٍ تمطّى بالصقور ^(٥)
فقلّ في حومةٍ تعطى بنبها	بيض الهند بيضات الخدور ^(٦)
أولئك معشرُ لهم نفوسُ	تكلفهم جسيمات الأمور
شعاب المجد سابلةٌ عليهم	ومن ينهى الشعاب عن البحور

(١) الوحف : الشعر الكثير الأسود ، أو النبات الرّيان ، وأعلّ : أنهل .

(٢) رجع الطيور : أصواتها المتتابعة على نسقٍ واحد ، والسحج أصواتها أيضاً المتناغمة المتناسقة .

(٣) والأثل : الأصل والمجد .

(٤) اليمّ : البحر والماء الكثير ، والزير : الجرة الضخمة .

(٥) شوساً : أشداء ، والعرائس كناية عن الخيل ، وتمطّى : تتبختر وتمتد .

(٦) بيض الهند : السيوف ، وبيضات الخدور : النساء السيّدات المترفات .

ومن أخرى [من الكامل] :

لله ما جمعت على عشاقها
فصفاحها أحداقها ورماحها
وحرابها في حربها لمحبيها
سارت أمامة فيك سيرة أهلها
قومٌ إذا ابتسم الصباح أغاروا
يا هذه هلاًّ علقتِ فِعَالَهُمْ
لن يستجيب خمارها لمحبيها
بكرتْ يشيعها القنا الخطارُ
قالوا سيوجدك الربيع صفاتها
فوجدت حبِّي مكرهاً في فعله
يبكي ويضحك والدموع غزيرةٌ
فكأنه هي إذ تفيضُ دموعها
عقت بما علقتُه من أنفاسها
وتبلّجت آصاله وتبرّجت
أنظر إلى النيروز كيف تسوقه
سحبٌ متى سحبت على هام الرُّبى
فالأرض أرضُ والسماء كأنها
ومصرّعين من الخمار وما بهم
جمعوا على الفلك المدار فكأسهم

تلك العيونُ ولحظُها السحارُ
ألحاظها وطعانها الآثارُ
أهدابها وشفارها الأشفارُ
في كلٍّ من نمت عليه نارٌ^(١)
في كلٍّ حيٌّ أنجدوا أم غاروا
فيمن عنوا بجواره فأجاروا
حتى يخاضَ إلى الخمار غمارٌ^(٢)
وتعيثُ في طلابها الأخطارُ^(٣)
فلحسنه من حسنها تذكّار
وكلاهما في فعله مكّار
وبيينُ في استغرابه استعمار
بين البكا والضحك حين تغار
ساعاته فكأنها أسحار
فكأنما أبكاره الأبكارُ
سحبٌ كأجفان المحبِّ غزارُ
أذيالها فغبارها الأمطار
روضٌ ولكن زهرها الأزهار
غير السرور على السرور خمارٌ^(٤)
فلكٌ بما تهوي النفوس مدار

(١) نمت : أظهرت ودلت .

(٢) الحمار : الحياء ، والغبار : المخاطر .

(٣) القنا الخطار : الريح الخارق .

(٤) مصرّعين : مقتلين ، صرعى ، والخمار مفعول الخمرة في الانسان .

ولأهم الأستاذ مولانا المنى
يا دولة الحسن بن أحمد خيمي
ومنها في وصف القلم :

لما زملتُ الدهر عن أفعاليه
حملتُ عبء الدهر أظمى مخطفاً
وسبرت غور الدين والدنيا به
أعجب به يجري على يافوخه
فكأنه الفلك المدار بعينه
جمعه والرمح الأصم ولادة
وله من أخرى في أبي العباس الضبي [من الطويل] :

وإني وأفواف القريض أحوكها
كما تضرب الأمثال وهي كثيرة
ولكنني أملتُ عندك مطلباً
ألم تر أن ابن الأمير أجارني
وأوطأني الشعري بشعري منعماً
ولي أملٌ شدت قواي عداته
عدا الدهر عنه كي يفوز بشكره
لأشعرُ من حاك القريض وأقدرا^(١)
بمستبضع تمرأ إلى أهل خيبر^(٢)
أنكبّه عمّن ورائي من الورى
ولم يرض من أذرائه لي سوى الذرى
ليفطمني عن خلقي السير والسرى^(٣)
ثلاثة أعوام تباعاً وأشهراً
فكن عند ظني شافعاً ومذكراً

(١) عثار : سقطات وهفوات .

(٢) ضميره : نحالته ، والمسبار : ما يسير به الجرح أو نحو ، أي يمتحن عمقه .

(٣) اليافوخ : ملتقى عظم مقدم الرأس ومؤخره ، رهواً : مسرعاً ، أو بسهولة .

(٤) الغرار : حدّ السيف .

(٥) الأفواف : نوع من الثياب المخططة الرقيقة ، والقريض : الشعر .

(٦) مستبضع : أي يحمل التمر بضاعة إلى خيبر وهي بلد مشهورة بالتمر كهجر .

(٧) الشعري : نجم في السماء ، والسرى : المسير في الليل .

ومن أخرى [من الكامل] :

أصبيحةَ النيروز خير صبيحةٍ حيثُ بها الأنواء والأنوارُ
فبكلِّ شعبٍ روضةٌ معطار تفتُرُ عنها ديمةٌ مدرارُ^(١)
ماسَت بها الأفنان في أسحارها نشوى فماسَت تحتها الأشجار
وتبرَّجتْ أزهارها وتبلَّجت فكأنَّما أزهارها أبصار
وتحدَّثتْ عنها الرياض كأنَّما بين الرياض ، ولا سرار سرار^(٢)
وعصابةٌ للروض من قسماتهم روضٌ ومن أنوارهم نوار
يتذكرون على علاك فتلتقي الكاساتُ والأوتار والأشعار

* * *

٩ - أبو هاشم العلوي الطبري

هو الذي يقول فيه صاحب [من المنسرح] :

إنَّ أبا هاشم يدُ الشرفِ مادحه آمنٌ من السَّرَفِ^(٣)
حلٌّ من المجد في أواسطه وخلفُ العالمين في طَرَفِ^(٤)
وأبو هاشم هو القائل [من الكامل] :

وإذا الكريم نبتَ به أيامه لم يتتَّعش إلا بعونِ كريم
فأعِنَ على الخطب العظيم فائِئما يُرجى الكريم لدفع كلِّ عظيم

وكتب إليه صاحب ، وقد اعتل [من الطويل] :

أبا هاشم ما لي أراك عليلا ترفُّقُ بنفسِ المكرَماتِ قليلا

(١) ديمة مدرار : أي ديمة هطلاء .

(٢) ولا سرار : ولا خفاء ، وسرار : أي أسرار .

(٣) السَّرَف : مجاوزة الحدِّ والاعتدال .

(٤) في طرف : يعني خلفه .

لترفع عن قلب النبي حزازةً وتدفع عن صدر الوصي غليلاً^(١)
 فلو كان من بعد النبيين معجزٌ لكنت على صدق النبي دليلاً
 وكتب أبو هاشم إلى صاحب [من الطويل] :

دعوت إله الناس شهراً مجزماً ليدفع سقم صاحب المتفضل^(٢)
 إلى بدني أو مهجتي فاستجاب لي فهذا أنا مولانا من السقم ممثلي
 فشكراً لربي حين حوّل سقمه إليّ وعافاه ببرء معجلٍ
 وأسأل ربي أن يديم علاءه فليس سواه مفرعٌ لبني علي^(٣)
 فأجابه صاحب [من الطويل] :

أبا هاشم لم أرض هاتيك دعوةً وإن صدرت عن مخلصٍ متطولٍ
 فلا عيش لي حتى تدوم مسلماً وصرفُ الليالي عن ذراكٍ بمعزلٍ
 فإن نزلت يوماً بجسمك علّةً وحاشاك فيها يا علاء بني علي
 فناد بها في الحال غير مؤخر إلى جسم إسماعيل دوني تحوّلٍ
 وأطال الله بقاء مولاي الشريف ما علمت ، ولو علمت لعدت . أغناه الله
 بحسن العادة عن العيادة ، وهو حسبي .

ولأبي هاشم في فخر الدولة [من السريع] :

يا فلك الأرض وبحر الورى وشمس ملكٍ ما لها من مغيبٍ
 دعوتُ مولاك بنيل المنى وقد أجاب الله وهو المجيبُ
 فقال خذ ما شئت مستولياً ودبر الدنيا برأيٍ مُصيبٍ
 يا من كتبنا فوق أعلامه نصرٌ من الله وفتحٌ قريبٍ

(١) الحزازة: الألم والأثر ، الغليل : شدة العطش .
 (٢) شهراً مجزماً : أي شهراً تاماً .
 (٣) مفرع : ملجأ .

الباب العاشر

١٠ - في ذكر الأمير السيد شمس المعالي قابوس بن وشمكير

وإيراد نبذ مما أسفر عنه طبع مجده ، وألقاه بحر علمه ، على لسان فضله .

أختم بها هذا الجزء الثالث من كتابي هذا ، بذكر خاتم الملوك ، وغرة الزمان ، وينبوع العدل والإحسان ، ومن جمع الله له إلى عزة الملك بسطة العلم ، وإلى فصل الحكمة نفاذ الحكم . فأوصافه لا تدرك بالعبارات ، ولا تدخل تحت العرف والعادات . وإلى أن أعمل^(١) كتاباً في أخباره وسيره ، وذكر خصائصه ومآثره ، التي تفرد بها عن ملوك عصره . فإني أتوج هذا الكتاب بلمع من ثمار بلاغته التي هي أقل محاسنه ومآثره . وأكتب فصلاً من عالي نثره ، مختومة ببعض ما ينسب إليه من شريف نظمه .

ما يجري مجرى الأمثال من كلامه

الكريم إذا وعد لم يخلف ، وإذا نهض لفضيلة لم يقف * الرجاء كنور في كمام^(٢) ، والوفاء كنور في ظلام ، ولا بد للنور أن يتفتح ، وللنور أن يتوضح * العفو عن المجرم من مواجب الكرم ، وقبول المعذرة من محاسن الشيم * بزند الشفيع تورى القداح ، ومن كف المفيض ينتظر فوز القداح * الوسائل أقدام ذوي

(١) في المطبوعتين « وأن لي أن أعمل » .

(٢) الكمام : وعاء الطلع ، أو غطاء الزهر .

الحاجات ، والشفاعات مفاتيح الطلبات * من أعددته نكاية الأيام ، أقامته إغاثة الكرام * من ألبسه الليل ثوب ظلمائه ، نزعته عنه النهار بضيائه * قوة الجناح بالقوادم والخوافي^(١) ، وعمل الرماح بالأسنة والعوالي * اقتناء المناقب ، باحتمال المتاعب ، وإحراز الذكر الجميل ، بالسعي في الخطب الجليل * الدنيا دار تغير وخداع ، وملتقى ساعة لوداع ، وأهلها متصرفون بين ورْدٍ وصدر^(٢) ، وصائرون خبراً بعد أثر * غاية كل متحرك سكون . ونهاية كل متكوّن أن لا يكون ، وآخر الأحياء فناء ، والعجزع على الأموات عناء ، وإذا كان ذلك كذلك ، فلم التهلك على هالك * حشو هذا الدهر أحزان وهموم ، وصفوه من غير كدر معدوم * إذا سمح الدهر بالحباء^(٣) ، فأبشر بوشك الانقضاء ، وإذا أعار ، فاحسبه قد أغار * للدهر طعمان حلو ومر ، وللأيام صرفان عسر ويسر ، والخلق معروض على طوريه ، مقسوم الأحوال بين دوريه * لكل شيء غاية ومنتهى ، وانقطاع وإن بعد المدى * ترك الجواب ، داعية الارتباب ، والحاجة في الاقتضاء ، كسوف في وجه الرجاء * هم المنتظر للجواب ثقیل ، والمدى فيه وإن كان قصيراً طویل * النجيب إذا جرى لم يشق غباره ، والشهاب إذا سرى لم تلحق آثاره ، من أين للضباب ، صوت السحاب ، وللغراب هوى العقاب * هيهات أن تكتسب الأرض لطافة الهواء ، ويصير البدر كالشمس في الضياء * كل غم إلى انحسار ، وكل عال إلى انحدار .

فصل - يستحسن الشيخ أن يخرس عنه السنة الحمد ، وتلتوي عليه حواجب المجد ، فقد احتجب صبح ذلك الأمر . وصار مطلوباً في ليلة القدر فإن كان أنزله من قلبه ناحية النسيان . وباع جليل الريح به في سوق الخسران فيستحي له فضله من فعله ، وكفى به نائباً عني في عدله ، وإن كان لعذر دعاه إلى التواني ،

(١) القوادم : ريش مقدمة الجناح ، والخوافي : الريش الذي يليه .

(٢) ورد وصدر : أي نهول وارتواء وذهاب وإياب .

(٣) الحباء : بالعطية .

فقد أربى ذلك على سير السواني وكلا فإن كرمه يراوده عن أشرف الخصال ، ويأبى له إلا محاسن الأفعال .

فصل - عاد فلان وقد علته بشاشة النجاح ، ودبت فيه نشوة الارتياح ، تلوح مسرة اليسر على جبينه ، وتصيح بانقضاء العسر أسرة يمينه .

فصل - وأما إعجاب ذلك الفاضل بالفصول التي عرضتها عليه ، فلم يكن على ما أحسبه إلا لخلّة واحدة وهي أنه وجد فناً في غير أهله فاستغربه ، وفرعاً في غير أصله فاستبدعه . وقد يستعذب الشريب من منبع الزعاق^(٢) ، ويستطاب الصهيل من مخرج النهاق . ولكنك فيما أقدمت عليه من بسط اللسان بحضرته ، وإرخاء العنان فيه بمشهدده كنت كمن صالت بوقاحتة الحجر ، وحاسن بقباحته القمر . ولا كلام فيما مضى ، ولا عتب فيما اتفق .

فصل - وجرى توقيع له قبيح بمن تسمو همته ، إلى قصد من تغلو عنده قيمته ، أن تكون على غيره عرجته ، أو إلى سوى بيته زيارته وحجته .

* * *

ومن مشهور ما ينسب إليه من الشعر ، قال [من البسيط] .

قل للذي بصروف الدهر عيرنا هل حارب الدهر إلّا من له خطرُ
أما ترى البحر تعلو فوقه جيفُ ويستقرُّ بأقصى قعره الدررُ
فإن تكن نشبت أيدي الزمان بنا ونالنا من تمادي بؤسه الضرر
ففي السماء نجوم ما لها عددُ وليس يُكسَفُ إلا الشمس والقمر

كأنه ألمٌ فيها بقول ابن الرومي [من الكامل]:

دهرٌ علا قدر الوضع به وترى الشريف يحطّه شرفه

(١) سير السواني : نوع من السير ، والتسوّن : استرخاء البطن ، وسوان : كغراب ، اسم علم .

(٢) الزعاق : المر الغليظ .

كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلاً ، وتعلو فوقه جيفة
ومثله [من البسيط] :

بالله لا تنهضي يا دولة السفلى وقصري فضل ما أرخيت من طول^(١)
أسرفت فاقتدي جاوزت فانصرفي عن التهور ثم أمشي على مهل
مخدمون ولم تخدم أوائلهم مخوكون وكانوا أرذل الخول^(٢)

وينسب له هذان البيتان ، وقد يغنى بها [من الكامل] :

خطراتُ ذكرك تستثير مودتي فأحسُّ منها في الفؤاد ديباً
لا عضو لي إلا وفيه صباة فكان أعضاءي خلقن قلوباً

هذا آخر القسم الثالث من كتاب «يتيمة الدهر» ، في محاسن أهل العصر
حسب تقسيم المؤلف رحمه الله تعالى ، ويليه القسم الرابع «في محاسن أهل
خراسان وما رواء النهر» نسأل الله تعالى أن يعين على إكماله بمنه وفضله .

(١) الطول : التادي في الأمر .

(٢) الخول : العبيد والخدم .

في محاسن أشعار أهل خراسان وما وراء النهر من إنشاء الدولة
السامانية والغزنوية ، والطارئین علی الحضرة ببخارى من الآفاق ،
والمصرفين على أعمالها ، وما يستظرف من أخبارهم . وخاصة أهل
نيسابور . والغرباء الطارئین علیها . والمقيمين بها .

قال مؤلف الكتاب :

لما كان أول الكتاب مرتيناً بآخره ، وصدره موقوفاً على عجزه ، ولم تك
تحصل تمام الفائدة في فاتحته وواسطته ، إلا عند الفراغ من خاتمته ، واستعنت
الله تعالى على عمل هذا الربع الرابع منه ، وأخرجته في عشرة أبواب ، والله
سبحانه الموفق للصواب .

الباب الأول

في إيراد محاسن وظرف من أخبار وأشعار قوم سبقوا أهل عصرنا هذا قليلا
وتقدموهم يسيرا ، ومن أبناء الدولة السامانية ، وإنشاء الحضرة البخارية ، وسائر
شعراء خراسان الذين هم - مع قرب العهد - في حكم أهل العصر.

١١ - أبو أحمد بن أبي بكر الكاتب

أبوه أبو بكر بن حامد كان كاتب الأمير إسماعيل بن أحمد ، ووزير الأمير
أحمد بن إسماعيل قبل أبي عبد الله الجبهاني الكبير ، وكان أبو أحمد ربيب
النعمة ، وغذي الدولة ، وسليل الرياسة ، ومن أول من تأدب وتظرف وبرع وشعر
بما وراء النهر وحذا في قرض الشعر حذو أهل العراق ، وسار كلامه في الآفاق ،
وهو القائل [من البسيط]:

لا تعجبن من عراقي رأيت له بحرأ من العلم أو كنزاً من الأدب
واعجب لمن ببلاد الجهل منشؤه إن كان يفرق بين الرأس والذنب

وكان يجري في طريق ابن بسام ، ويقفو أثره في عبث اللسان ، وشكوى
الزمان ، واستزادة السلطان ، وهجاء السادة والإخوان ، ويتشبه به في أكثر
الأحوال ، وكان ابن بسام هجا أباه وأخاه حتى قيل فيه [من المجتث]:

من كان يهجو علياً فشعره قد هجاه
لو أنه لأبيه ما كان يهجو أباه

فضرب أبو أحمد على قلبه ، ونسج على منواله ، حتى قال في أبيه [من
مجزوء الكامل]: .

لي والدٌ متحاملٌ من غير ما جرم عَمِلْتُهُ
إن لم يكنْ أشنى إليّ من المنون فلا عدمتُهُ^(١)

وقال في أخيه منصور [من الوافر]:

أبوك أبي وأنت أخي ولكنْ أبي قد كان يذرُّ في السَّبَّاحِ^(٢)
تجاريني فلا تجري كجريي وهل تجري البيادق كالرخاخ^(٣)

وكان يرى نفسه أحقّ بالوزارة من الجبهاني والبلغمي لما له فيها من الوراثة
مع التبريز في الأدب والكتابة ، ولا يزال يطعن عليهما ويصرح بهجائهما ، ولا
يوفيهما حق الخدمة والحشمة ، حتى أوحشاه وأخافاه فذهب مغاضباً ولجّ وحجّ .
ثم أقام ببغداد برهة وحنّ إلى وطنه فعاود بخارى ، وحين حصل بقرية يقال لها أمل
قال فأحسن [من مخلع البسيط]:

قطعتُ من أملِ المفازة قطعاً به أملُ المفازة^(٤)

ولم ير ببخارى غير ما يكره من إعراض الأمير ، واستخفاف الوزير . فلزم
منزله ، واشتغل باتخاذ الندماء ، وعقد مجالس الأنس ، والجري في ميدان العزف
والقصف ، وجعل يتخرق في تبذير ماله ، حتى رقت حاشية حاله . وكان مولعاً

(١) أشنى : أبغض .

(٢) السَّبَّاح : الأرض المألحة التي لا تصلح للزراعة .

(٣) البيادق والرخاخ : بعض حجارة الشطرنج .

(٤) المفازة : الأرض الصعبة الكثيرة الهلاك .

بشعر العطوي حافظاً لديوانه ، مقدماً على نظرائه ، كثير المحاضرة بأمثاله وغرره في مخاطبته ومكاتباته ، فلقب بالعطواني ، وفيه يقول أبو منصور العبدوني وكان من ندمائه مع أبي الطيب الطاهري والمصعبي [من الطويل] :

أبا أحمد ضيَّعتَ بالخرق نعمةً أفادكها السلطان والأبوان^(١)
فقد صرتَ مهتوكَ الجوانبَ كلَّها ولقُبْتُ للإدبار بالعطواني
وأفكرتَ في عودٍ إلى ما أضعته وقد حيل بين العير والنزوان^(٢)
فرايك في الإدبار رأيٌ أخذته وعلمتهُ من مِشية السرطان

ثم إنه تقلد أعمال هراة وبوشنج وباذغيث ، فشخص إلى رأس عمله واستخلف عليه أبا طلحة قسورة بن محمد واصطنعه ونوه به حتى صار بعده من رؤساء العمال بخراسان ، وكان قسورة من أولع الناس بالتصحيفات فقال له أبو أحمد يوماً : إن أخرجت مصحفاً أسألك عنه وصلتك بمائة دينار ، قال : أرجو أن لا أقصر عن إخراجه ، فقال أبو أحمد : في قشور هينم جمد ، فوقف حمار قسورة وتبلد طبعه وتقشر فلسه ، فقال : إن رأى الشيخ أن يمهلني يوماً فعل ، فقال : أمهلتك سنة ، فحال الحول ولم يقطع شعرة ، فقال له أبو أحمد : هو اسمك قسورة بن محمد ، فازداد خجله وأسفه ، وعلى ذكر أبي طلحة فإنه كان كوسجا وفيه يقول اللحم [من السريع] :

ويك أبا طلحة ما تستحي بلغت سبعين ولم تلتحي
ولما استعفى أبو أحمد من عمله وخطب بنيسابور أجيب إلى مراده فمن قوله بنيسابور وقد طالب العمال أرباب الضياع ببقايا الخراج [من الوافر] :

سلام الله منِّي كلَّ يومٍ على كُتَّابِ ديوان الخراج
يرومون البغايا في زمانٍ عجرنا فيه عن مال الزواج

(١) الخرق : الجهل .

(٢) النزوان : المطامع والمطامح .

وبلغه أن الساجي هجاه بالحضرة فقال [من البسيط]:

إنّا أناسٌ إذا أفعالنا مدحتُ أنسابنا فهجيناً لم نخف عارا
وإن هجوناً بسوء الفعل أنفسنا فليس يرفعنا مدحٌ وإن سارا
وقال للجبهاني [من الخفيف]:

أيها السيد الرئيس ومن ليس عليه فضلاً ونبلاً قياسُ
أنت سهلُ الطباع مرتفعُ القدر ولكن مناموك خساسُ
ومن هجائه قوله فيه [من الخفيف]:

يا ابن جبهان لا وحقّك لا تصلح فاغضب أو فارضين بالحراسة
عجباً للجميع إذ نصبوا مثلك في صدر ملكهم للرياسة
ولو أن التدبير والحكم في الخلق على العدل ما وليت كناسه
ومن أمثاله السائرة قوله [من الطويل]:

إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ نصيبٌ ولا حظٌ تمنى زوالها
وما ذاك من بغضٍ لها غير أنه يرجي سواها فهو يهوى انتقالها
وقوله [من الكامل]:

إني وجعفر بعد ما جرّيته وبلوتُ في أحواله أخلاقه
كمعيد شكٍّ في خرا قد شمة فأراد معرفة اليقين فذاقه
وقوله [من مخلع البسيط]:

أحسن إذا أحسن الزمان وصحّ منه لك الضمان
بادر بإحسانك الليالي فليس من غدرها أمان

وكتب إلى أبي نصر بن أبي حبة يستزيه فلم يجبه واعتذر بعله فكتب إليه أبو
أحمد [من المتقارب]:

تعاللت حين أتاك الرسولُ وليس كذاك يكون الوصولُ
وأقسم ما نابك من علةٍ ولكن رأيك فينا عليل

ومما يستحسن لأبي أحمد قوله [من البسيط] :

أولا فنادمٌ عليها جلةُ الكتبِ	اخترُ لكأسك ندماناً تسرُّ بهم
منزَّهين عن الفحشاء والريبِ	فالأنس بين ندامى سادقِ نجبِ
يأتيك بالخير المستظرف العجبِ	هذا يفيدك علماً بالنجوم وذا
في أنزه الروض بين العلم والأدبِ	وبين كتبٍ إذا غابوا فانت بها
أفضى إلى خبرٍ يلهمك منتخبِ	إذا أنست بيتَ مرٍّ مقتضبِ
يسعى بياقوتةٍ سلَّت من العنبِ	ويكملُ الأنسَ ساقٍ مرهفٍ غنجِ
وأنت من هزلٍ ذا في مرتعٍ خصبِ	فأنت من جدٍّ ذا في منظرٍ أنقِ
مقسَّم الحال بين الجدِّ واللعبِ	وخير عمر الفتى عمرٌ يعيش به
وحظُّ هذا من اللذات والطربِ	فحظُّ ذلك من علمٍ ومن أدبِ

وحكي أن أبا حفص الفقيه عاتب يوماً أبا أحمد على لبسه الخاتم في يمينه .
فقال أبو أحمد : إن فيه أربع فوائد :

إحداها : السنة المأثورة من غير وجه عن النبي ﷺ أنه كان يتختم في
اليمين ، وكذلك الخلفاء الراشدون بعده إلى أن كان من أمر صفين والحكمين ما
كان حين خطب عمرو بن العاص فقال : ألا إني خلعت الخلافة من علي كخلع
خاتمي هذا من يميني وجعلتها في معاوية كما جعلت هذا في يساري ، فبقيت سنة
عمرو بين العامة إلى يومنا هذا .

والثانية من كتاب الله تعالى ، وهي قوله (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)
ومعلوم أن اليمين أقوى من اليسار ، فالواجب أن يكلف حمل الأشياء الأقوى دون
الأضعف .

والثالثة من القياس ، وهو أن النهي عن الاستنجاء باليمين صحيح ، والأدب في الاستنجاء باليسار ، ولا يخلو نقش خاتم من اسم الله تعالى ، فوجب تنزيهه عن مواضع النجاسة .

والرابعة : أن الخاتم زينة الرجال واسمه بالفارسية (انكشت أراى) فاليمين أولى به من اليسار .

ولما عاود أبو أحمد بخارى من نيسابور، وورد على ماله كدر وأسباب مختلفة مختلة وقاسى من فقد رياسته وضيق معاشه قذاة عينه ، وغصة صدره استكثر من إنشاد بيتي منصور الفقيه ، فقال : [من الكامل] :

قد قلتُ إذ مدحوا الحياة سرفوا في الموت ألفُ فضيلةٍ لا تُعرفُ
منها أمانٌ لقائه بلقائه وفراقُ كلِّ معاشرٍ لا ينصفُ

وقال في معناهما [من الكامل] :

من كان يرجو أن يعيش فإنني أصبحت أرجو أن أموت فأعتقا^(١)
في الموت ألفُ فضيلةٍ لو أنها عرفت لكان سبيله أن يعشقا

وواظب على قراءة هذه الآية في آناء ليله ونهاره (وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم) فقال بعض أصدقائه : إنا لله ، قتل أبو أحمد نفسه ، فكان الأمر على ما قال ، فشرب السم فمات .

(١) العتق : التحرير ، وعتق رقبة : أي تحريرها من الرّق .

١٢ - أبو الطيب الطاهري

هو طاهر بن محمد بن عبد الله بن طاهر ، من أشعر أهل خراسان وأظرفهم وأجمعهم بين كرم النسب ، ومزية الأدب ، إلا أن لسانه كان مقراض^(١) الأعراض ، فلا تزال تخرج من فيه الكلمة يقطر منها دمه ، وتبرأ منه نفسه . وكان وقع في صباه في شردمة من أهل بيته إلى بخارى فارتبط بها وردت عليه ضياع نفيسة للطاهرية فتعيش بها ، وكان يخدم آل سامان جهراً ، ويهجوهم سراً . ويطوي على بغض شديد لهم . ويتمنى زوال ملكهم وزوال أمرهم ، لما يرى من ملك أسلافه في أيديهم . ويضع لسانه حيث شاء من ثلبيهم^(٢) ، وذم وزرائهم وأركان دولتهم ، وهجاء بخارى مقر حضرتهم ومركز عزهم

فحدثني أبو زكريا يحيى بن اسماعيل الحربي قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب الفارسي يقول في يوم من أيام وروده نيسابور على ديوانها : إن أصحاب أخبار السر كانوا ينهون إلى كل من الأميرين الشهيد والسعيد في أيامهما ما يقدم عليه هذا الطاهري من هجائهما ، فيغضبان عليه ويهبان جرمه لأصله وفضله ، ويتذممان من قتل مثله ، فدخل يوماً على السعيد نصر بن أحمد فهش له وبسطه وحادثه ثم قال له في عرض الحديث : يا أبا الطيب حتى متى تأكل خبزك بلحوم الناس ؟ فنكس رأسه حياء ، ثم قام يجر ذيل خجل ووجل . ولم يعد لعادته في التولع به .

قال أبو زكرياء : ومما يحكى من كلمات السعيد الوجيزة الدالة على فضله وكرمه قوله لأبي غسان التميمي وقد حمل إلى حضرته في يوم المهرجان كتاباً من تأليفه : ما هذا يا أبا غسان ؟ قال : كتاب أدب النفس ، قال : فلم لا تعمل به ؟ وكان أبو غسان من الأدباء الذين يسيئون آدابهم في المجالس .

(١) المقراض : من قرض أي قطع .

(٢) ثلبيهم : ذمهم وإعابتهم .

ومن ملح هجاء أبي الطيب للشهيد قوله [من الخفيف] :

طال غزو الأمير للبط حتى ماله عن عداته إقبالُ
فهنيئاً له هنيئاً مريئاً كلُّ قرنٍ لقرنه قتالُ

وقوله [من الوافر] :

بخارى من خرى لاشك فيه يعزُّ بربعها الشيء النظيفُ
فإن قلت الأمير بها مقيمٌ فذا من فخر مفتخرٍ ضعيفُ
إذا كان الأمير خرا فقل لي أليس الخراء موضعه الكنيف^(١)

وهو أول من هجا بخارى وذمها ووصف ضيقها وننتها ، حتى اقتدى به غيره
في ذكرها ، فقال أبو أحمد بن أبي بكر [من الوافر] :

لو الفرس العتيق أتى بخارى لصار بطبعه فيها حماراً
فلم تر مثلها عيني كنيفاً تبوَّاه أمير الشرق داراً

وقال ، ويروى لأبي الطيب [من الهزج] :

بخارى كلُّ شيء منك يا شوءاء مقلوبُ
قضاءُ الناس ركابُ فلم قاضيك مركوبُ

وقال أبو منصور العبدوي [من الطويل] :

إذا ما بلاد الله طاب نسيمها وفاحت لدى الأسحار ريحُ البنفسجِ
رأيت بخارى جيفة الأرض كلُّها كأنك منها قاعدٌ وسط مخرج^(٢)
فيا ربَّ أصلح أهلها وانف ننتها وإلا فعنها ربُّ حوْل وفرجِ

(١) الكنيف : بيت الخلاء - المرحاض .

(٢) الجيفة : الجثة النتنة ، ويريد بالخرج : مكان الخروج حيث الروائح الكريهة .

وقال أبو منصور الخزرجي ، ويروى لأبي أحمد [من مجزوء الرمل] :

فقحة الدنيا بخارى ولنا فيها اقتحام^(١)
ليتها تفسو بنا الآ ن فقد طال المقام

وقال الغريامي [من السريع] :

ما بلدة منتنة من خرا وأهلها في جوفها دود
تلك بخارى من بخار الخرى يضع فيها الند والعود^(٢)

وقال أبو علي الساجي [من السريع] :

باء بخارى فاعلمن زائده والألف الأولى بلا فائده
فهي خرا محض وسكانها كالطير في أقفاصها آبه

وقال الحسن بن علي المرورودي [من الوافر] :

أقمنا في بخارى كارهينا ونخرج إن خرجنا طائعينا
فأخرجنا إله الناس منها (فإن عدنا فإننا ظالمونا)

وقوله من قصيدة [من البسيط] :

أودى ملوك بني ساسان وانقرضوا وأصبح الملك ما ينفك ينتقض
أضحى إمارتهم فيهم وجوهرهم عبيدهم وهم في عرضها عرض
فليك من كان منهم باكياً أبداً فما لما فاتهم من ملكهم عوض
من لان مرقده فالدهر مبدله عنه فراشاً له من تحته قضض^(٣)
هاتيك عادته فيمن تقدمهم وكل مرتفع يوماً سينخفض

(١) فقحة الدنيا : الفقحة مكان مسيل القاذورات .

(٢) الند والعود : نوعان من الأشجار طيبا الرائحة .

(٣) القضض : التراب وصغار الحصى، وقضض المضجع : أي خشن .

دعهم إلى سقر واشرب على طرب
غدا الربيع علينا والنهار به
والنور يضحك في خضر البنان ضحى
وقوَّضت دولة قد كنت أكرها
إن أنت لم تصطبَح أو تغتبق فمتى
الآن بادر فإنَّ اللهو مفترض^(١)
فالفجرُ في الأفق الغربي معترض^(٢)
يمتدُّ منبسطاً والليل مُنقبض
والبرق مبتسم والرعد مؤتمض^(٣)
وزال ما كان منه الهمُّ والمرض

ومن عجيب ما يحكى عن أبي الطيب أنه كتب إلى أخيه أبي طاهر الطيب بن محمد بن طاهر بكرة يوم الرام بهذين البيتين [من الوافر] :

وإني والمؤذن يوم رامٍ لمختلفان في هذي الغداة
أنادي بالصبح كه كياداً إذا نادى بحيي على الصلاة
وإذا برسول أبي طاهر جاءه قبل وصول رقعته برقعة فيها [من الوافر] :

وإني والمؤذن يوم رامٍ لمختلفان في هذا الصباح
أنادي بالصبح كه كيادا إذا نادى بحيي على الفلاح

وكان التقاء رسوليهما بالرقعتين في منتصف الطريق .

ومن سائر شعر أبي الطيب قوله في السعيد نصر بن أحمد [من الطويل] :

قديماً جرت للناس في الكتب عادةٌ إذا كتبوها أن يعادلها الصدرُ
وأول هذا الأمر كان افتتاحه بنصرٍ وإن ولى فأخره نصرُ

ومما يستحسن من شعره ويغني به ويقع في كل اختيار قوله [من

المتقارب] :

خليلي لو أن همَّ النفوسِ دامٍ عليها ثلاثاً قتل

(١) سقر : جهنم .

(٢) مؤتمض : لأمع ، من الومض يقال ومض البرق وليس الرعد .

(٣) الصبح والغبوق : شرب الخمر صباحاً ومساءً .

ولكن شيئاً يسمّى السرور قديماً سمعنا به ما فعل

وناوله غلام له باقة نرجس فقال فيه [من السريع] :

لَمَّا أَطْلَنَّا عَنْهُ تَغْمِيضًا أَهْدَى لَنَا النَّرْجِسَ تَعْرِيزًا
فَدَلَّنَا ذَاكَ عَلَى أَنَّهُ قَدْ اقْتَضَانَا الصَّفَرَ وَالْبَيْضَ^(١)

ومن ملحه قوله في الجبهاني من ضادية [من الطويل] :

تَقَلَّدْتُ بِالْوَسْوَاسِ صَرْفًا وَزَرْتَنِي فَزِدْتُ بِهَا تِيهًا عَلَيَّ عَرِيضًا
وَلَسْتُ بِزَاوٍ عَنْكَ وَدًّا عَهْدَتِهِ وَلَا قَائِلٍ مَا عَنْهُ مَرِيضًا^(٢)
فَمَا كَانَ يَهْلُولُ مَعَ الشَّتْمِ وَالْخَنَاءِ وَقَذَفَ النِّسَاءَ الْمُحْصَنَاتُ بِغِيضًا^(٣)
وقوله في معناه [من الطويل] :

وَلَسْتُ بِشَيْءٍ مِنْ جَفَائِكَ حَافِلًا وَلَا مِنْ أَذَى جَرَعَتِيهِ مَغِيظًا
فَأَطِيبْ أَحْوَالَ الْمَجَانِينِ مَا رَمَوْا وَزَنُّوا وَعَاطَوْكَ الْكَلَامَ غَلِيظًا^(٤)
وكان أبوذر الحاكم البخاري عرضة لهجائه فقال فيه من قصيدة [من مجزوء
الخفيف] :

أَفْ لِلدَّهْرِ أَفٌّ لَهُ قَدْ أَتَانَا بِمَعْضِلَةٍ
بِأَبِي ذَرٍّ الَّذِي كَانَ مُلْقَى بِمَزْبِلِهِ
كَلِمَا بَاتَ لَيْلَةً وَإِسْتَهَ فِيهِ مَهْمَلُهُ^(٥)
بَاتَ يَقْرَأُ إِلَى الصَّبَا ح (وَبَشَرٍ مَعْطَلُهُ)

(١) الصفر والبيض : يعني بها الدنانير والدراهم .

(٢) زاوٍ : مخفٍ .

(٣) يهلول : الكثير الضحك ، والخنا : الفحش .

(٤) رموا : أفسدوا ومنهارمي المحصنات ، وزنوا من الزناء .

(٥) الإيست : فتحة المؤخّرة .

وقوله في ابنه :

لأبي ذرّ بنيّ طفسُ لا كان ذا ابنا
فهو لا يقرأ من القر أن إلّا والنّا

وقوله في غيرهما [من مجزوء الرمل] :

طلحة يا كبرائي سلحة في الأمراء
إن شاهاً أنت فرزا ن له بادي العراء

* * *

١٣ - أبو منصور الطاهري

لم يرث الفضل والشعر عن كلاله ، وهو القاتل [من الطويل] :

بكيت لفقد الوالدين ومن يعشُ لفقدهما تصغرُ لديه المصائبُ
فعزيزت نفسي موقناً بذهابها وكيف بقاء الفرع والأصل ذاهبُ

ومن أحسن ما سمعت في المعنى نثراً قول بعض الحكماء لرجل مات أبوه
وابنه : لقد مات أبوك وهو أصلك . ومات ابنك وهو فرعك ، فما بقاء شجرة ذهب
أصلها وفرعها ؟!

ومما يستجاد لأبي منصور قوله [من البسيط] :

شيئان لو أن ليشاً يُتلى بهما في غيله مات من همٍّ ومن كمد^(١)
فقد الشباب الذي ما إن له عوضُ والبعد بالرغم عن أهلٍ وعن ولد

وهو مأخوذ من قول الآخر [من الكامل] :

شيئان لو بكت الدماء عليهما عيناى حتى يؤذنا بذهاب

(١) الغيل : الشجر الكثير الملتف ، والكمد : الحزن الشديد .

لم يقضيا المعشار من حقيهما شرح الشباب وفرقة الأحباب
وقد ملح أبو منصور في قوله [من الوافر] :

أقول وقد رأيت له خواناً له من لحظ عينه خفيرٌ
أرى خبزاً وبني جوعٌ شديدٌ ولكن دونه أسدٌ مزير
ومثله للرشيد وقد رأى جارية سكرى فراودها ، فقالت : إن أباك ألم بي ،
فكف عنها ، وقال [من الوافر] :

أرى ماءً وبني عطشٌ شديدٌ ولكن لا سبيل إلى الورود

* * *

١٤ - أبو الحسين محمد بن محمد المرادي

كان شاعر بخاري ، وله شعر كثير مدون ، ومن مشهور أخباره أن السعيد
نصر بن أحمد ركب يوماً للضرب بالصوالجة ، فجاءت مطرة رشت السهلة ، ولما
قضى وطره وأقبل إلى الدار تصدى له المرادي فأنشد [من مخلع البسيط] :

أشهدُ أنَّ الأمير نصرا يخدمه الغيث والسحابُ
رشَّ تراب الطريق كي لا يؤذيه في الموكب الترابُ
لا زال يبقى له ثلاث العزُّ والملك والشبابُ

فأمر له بثلاثة آلاف درهم ، وقال : لو زدت لزدناك ، وكان المرادي ينشد
لنفسه [من مجزوء الرمل] :

إنما	همي	كسيره	وإدام ^(١)	من	قديره ^(١)
وخميره	في	زكيره	بلغتي	منها	سكيره

(١) الإدام : الطعام ، والقدير : يعني القدر .

وصيحيّ أو قبيح قد كفى جلد عميره
ودنينير لدينا بات في ضمن صريره
من رأى عيشي هذا عاش لا يطلب غيره

ثم يقرأ على أثرها ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ .

وورد نيسابور لحاجة في نفسه فرأى من أهلها جفاء فقال [من البسيط] :

لا تنزلن بنيسابور مغترباً إلاّ وحبلك موصولاً بسلطان
أو لا فلا أدب يغني ، ولا حسب يجدي ، ولا حرمة ترعى لإنسان
وقال [من البسيط] :

قال المرادي قولاً غير متهم والنصح ما كان من ذي اللب مقبول
لا تنزلن بنيسابور مغترباً إن الغريب بنيسابور مخذول
وقال في المصعبي [من الطويل] :

أرى صحبة الأشراف صعباً مرامها وصحبة هذا المصعبي فأصعب
يذلّلني فيما يروم اكتسابه فأستام عزاً بالمذلة يكسب^(١)
وقال في موت أبي جعفر الصعلوكي [من مخلع البسيط] :

وقد تلفت نفسه الدنية ما كان أولاه بالمنية
ما أخطأ الموت حين أفنى من كان ميلاده خطية

وقال لأبي علي الصاغاني من قصيدة [من البسيط] :

لم ألق غيرك إلا ازددت معرفة بأنّ مثلك في الآفاق معدوم

(١) أستم : يقام استامت الماشية : أي رعت حيث شاءت وهنا بمعنى أسأل وأطلب .

أرى سيوفك في الأعداء ماضيةً ركنُ الضلال بهما ما عشت مهذوم
يهمي الندى والردى من راحتك فلا عاصيك ناجٍ ولا راجيك محروم
وقال في بكر بن مالك [من مجزوء الخفيف] :

قَلَدَ الجِيشَ سَيْدٌ وهو جيشٌ على حده
يد بكرٍ وسيفه ويد الله واحده

ومن ملح وظهره قوله [من مجزوء الخفيف] :

هل لكم في مطلقٍ شربه شرب قبره
لو رأى في جواره خيط زقٍّ لأسكره

ولما احتضر أنفذ إليه الجبهاني ثياباً للكفن . فأفاق ، وأنشأ يقول [من الطويل] :

كساني بنو جبهان حياً وميتاً فأحييت آثاراً لهم آخر الزمن
فأول برٍّ منهم كان خلعةً وآخر برٍّ منهم صار لي كفن

ثم أغمي عليه ساعة فأفاق وقال [من السريع] :

عاش المرادي لأضيافه فصار ضيفاً لآله السما
والله أولى بقرى ضيفه فليدع الباكي عليه البكا

ثم كان كأنه سراج انطفأ .

* * *

١٥ - أبو منصور العبدوني ، أحمد بن عبدون

من أظهر كتاب بخارى تحصيلاً ، وأظرفهم جملة وتفصيلاً ، وكان ريحانة
الندماء ، وشمامة الفضلاء ، ونارنج الظرفاء ، وله شعر عذب المذاق حلو المساغ
في نهاية خفة الروح ، وقد تقدمت له أبيات ، وبلغني أن صديقاً له كتب إليه

يستعير منه دابة ويقول [من المتقارب] :

أردت الركوب إلى حاجة فمن لي بفاعلة من دبيت^(١)

فوقع تحت البيت [من المتقارب] :

برذوننا يا أخي عامر^(٢) فكن بأبي فاعلاً من غدوت^(٣)

وقال في صاحب ديوان يطيل المكث فيه [من السريع] :

أقسم بالله وآياته أنك في الثقل رحي بزر^(١)
وذا كما قلت وإلا فلم^(٢) تقعد في الدار إلى العصر
والناس قد أخلوا دواوينهم وانصرف الطير إلى الوكر^(٣)

وقال [من الطويل] :

أكتب ديوان الرسائل ما لكم^(١) تجملتم بل مثم بالتجمل^(٢)
وأرزاقكم لا تستين رسومها لما نسجتها من جنوب وشمال^(٣)
إذا ما شكا الإفلاس والضرر بعدكم يقولون لا تهلك أسي وتجمل^(٤)
خلقتهم على باب الأمير كأنكم قفانك من ذكرى حبيب ومنزل^(٥)

وقال في أبي نصر بن أبي حبة ، وكان من تلامذته [من السريع] :

يا قوم إن ابن أبي حبة قد سبق الكتاب في الحلبة^(١)
وأدخل الكتاب من حذقه في الكوز والجرة والدبة^(٢)

وقال في كتاب « أدب الكتاب » لابن قتيبة [من مجزوء الرمل] :

أدب^(١) الكتاب عندي ماله في الكتب ند^(٢)

(١) الرّحى : الطاحون .

(٢) الدّبة : ظرف أو نحوه يوضع فيه الزيت أو غيره .

(٣) النّد : القرين والمثيل .

ليس للكاتب منه إن أراد العلم بدُّ

وقال [من مجزوء الرمل] :

عنقي يا قوم كانت عند شربي الراح عبلة^(١)
فتركت الشرب أيا ما على عمدٍ لعلَّه
فانحنى الظهر وذاب الجسم في أيسر مهله

وحدثني أبو سعيد عن بعض مشايخ الحضرة ، وقد ذهب على اسمه ، أن
مجلساً للأنس جمع يوماً جماعة من أفاضل بخارى كأبي أحمد بن أبي بكر
والطاهري والمصعبي والخزرجي والبدوني وفيهم فتى من أهل أشروسنه يسمى
يشكر أحسن من نعم الله المقبلة ، ومن العافية في البدن ، فأفضى به الحديث إلى
رواية الأهاجي ، وطفق كل واحد منهم يروى أجود شعره في الهجاء ، فقال بعض
الحاضرين إن هجاء من هجوتموه ممكن معرض ، فهل فيكم من يهجو هذا
الفتى ، يعني يشكر ، فقالوا : لا والله ما نقدر على هجائه ، وليت شعري أيهجي
خلقه أم اسمه ، فارتجل البدوني أبياتاً منها [من المتقارب] :

ويشكر يَشْكُرُ من ناكه وَيَشْكُرُ الله لا يشكر

فتعجبوا من سرعة خاطره في ذم مثله^(٢) ، واشتقاقه الهجاء من اسمه ، وأقروا
له بالبراعة ، وحين رأى خجل الفتى لما بدر من هجائه إياه من غير قصد أخرج من
يديه زوجي خاتم ياقوت وفيروسج وأعطاهما إياه ، وقال : هذا بذلك .

* * *

(١) عبلة : ضخمه .

(٢) لزياد الأعجم بيت هذه الألفاظ وهو قوله :

ويشكر تشكر من ضامها ويشكر الله لا تشكر

فلا دلالة في البيت على سرعة الخاطر ولا على اشتقاق الهجاء من اسم المهجو .

١٦ - أبو الطيب المصعبي محمد بن حاتم

كان في جميع أدوات المعاشرة والمنادمة وآلات الرياسة والوزارة على ما هو معروف مشهور ، وكانت يده في الكتاب ضرة البرق ، وقلمه فلكي الجري ، وخطه حديقة الحديق ، وبلاغته مستمالة من عطارد ، وشعره باللسانين نتاج الفضل ، وثمار العقل ، ولما غلب على الأمير السعيد نصر بن أحمد بكثرة محاسنه ووفور مناقبه ووزر له مع اختصاصه بمنادمته لم تطل به الأيام حتى أصابته عين الكمال ، وأدركته آفة الوزارة ، فسقى الأرض من دمه .

ومن مشهور شعره وسائر قوله [من مجزوء الرمل] :

إختلسَ حظّك في دنياك من أيدي الدهور
واغتنم يوماً ترجّـيـه بلهوٍ وسرور
واصنع العرف إلى كلّ كفورٍ وشكور
لك ما تصنع والكفران يزري بالكفور

وقوله في ذم الشباب [من الخفيف] :

لم أقلّ للشباب في كنف الله وفي ستره غداة استقلاً^(١)
زائرٌ زارنا مقيمٌ إلى أنْ سودَّ الصُّحفَ بالذنوب وولّى

وقوله في غلام أعجمي [من الخفيف] :

بأبي من لسانه أعجميٌ وأرى حسنه فصيح الكلام

ويروى له ما كتب به إلى بعض إخوانه [من مخلع البسيط] :

غبت فلم يأتني رسول ولم يقلْ علّه عليلٌ
هيهات لو كنتَ لي خليلاً فعلتَ ما يفعلُ الخليلُ

وله [من المجث] :

اليوم	يوم	بكور	على	نظام	سرور
ويوم	عزف	قيان	مثل	التمثيل	حور
ولا	تكاد	جياذ	تروى	بغير	صغير

ووقع في كتاب [من الكامل] :

قد قلت لما أن قرأت كتابكم عض الملل يبظر أم الكاتب

* * *

١٧ - أبو علي الساجي

من فضلاء المقيمين ببخارى ، ووجه المتصرفين بها ، وفيها يقول في غلام تركي [من البسيط] :

لا سمرّة ، لا بياض فيه ، لا سمنٌ ولا هزالٌ ، ولا طولٌ ولا قصرٌ
ذو قامّةٍ قام فيها عذر عاشقها وصورةٍ قبحت مع حسنّها الصُّور
ويقول [من مجزوء الرمل] :

أنا	بالحضرة	واقف	للتعازي	والتهاني
ولتشيع	فلانٍ	والتلقي	لفلانٍ	

وله في مرو [من الخفيف] :

بلدٌ طيّبٌ وماءٌ معينٌ وثرى طيّبهٍ يفوق العبير
وإذا المرء قدّر السير عنه فهويناه باسمه أن يسيرا
وله [من السريع] :

لا تأسَ من دنياً على فائتٍ وعندك الإسلام والعافيه^(١)

(١) لا تأس : أي لا تأسف وتحزن .

إن فات شيء كنت تسعى له ففiehما من فائت كافيه
وله [من الخفيف] :

لست أدري ماذا أقول ولكنْ أبتغي من عريض جاهك نفعا
والفتى إن أراد نفع أخيه فهو يدري في أمره كيف يسعى

١٨ - أبو منصور الخزرجي

أديب شاعر في المرتبطين الذين كانوا ببخارى مع أبي غسان التميمي
والبوشنجي والكسروي وأضرابهم من الأفاضل ، كتب إلى أبي أحمد بن أبي بكر
في أوائل شهر رمضان قصيدة منها [من مخلع البسيط] :

الصوم ضيفٌ ثوى فداره قد يؤجر العبد وهو كاره
واحمل على النفس في قراه في ليله منك أو نهاره
فإن تجافى على كريمٍ برٌّ حريصٍ على مزاره
فالضيف ماضٍ غداً ومثني عليك أن حطت من ذماره^(١)

ومن ملحه ؛ ويروي لغيره [من الوافر] :

أُتدخِلُ من تشاء بلا حجابٍ وكلهم كسيرٌ أو عوير
وأبقى من وراء الباب حتى كأني خصيةٌ وسواي أير

وقال للمصعبي [من البسيط] :

يا من تخلّق حتى صار مرتفعاً من السماء الى أعلى مراقبها
لا تأمننَّ انحطاطاً وارعَ حرمتنا وانظر إلى الأرض واذكر كوننا فيها

(١) الذمار : ما يحمى ويدافع عنه كالحرم والأهل والشرف .

وقال ، وأنشدنيها له أبو زكريا الحربي ، وتروى لغيره [من مجزوء
الكامل] :

يا ذا الكواكب والدوا نر والعجائب والمجرة
أجحفت بالفطن الأريب فخاض في الغمرات دهره^(١)
يا عرّة في فعله أعطيت خيرك كلّ عرّة^(٢)
أخرفت من طول السرى أم زدت للحركات سرّة

١٩ - أبو أحمد محمد بن عبد العزيز النسفي

قال في رئيس كان ينام بالنهار ويسهر بالليل [من الطويل] :

ينام إذا ما استيقظ الناس بالضحي فإن جنّ ليلٌ فهو يقظانٌ حارسٌ
وذاك كمثّل الكلب يسهر ليله فإن لاح صبحٌ فهو وسانٌ ناعسٌ

وقال في أبي علي الصاغاني [من البسيط] :

الدار داران للباقي وللفاني والخلق كلّهم يكفيهم اثنان
فأحمدُ لمعاش الناس قاطبةً وأحمدُ لمعاد الناس سيّان

وقال [من المجث] :

إن الرؤوس بإجما ع آكلها ثقيله
وحقّها شرب صرفٍ قصيرة من طويله

(١) الأريب : الماهر الذكي ، والغمرات المخاطر .

(٢) العرّة : الجرب ، والعيب .

٢٠ - أبو القاسم الكسروي

هو أردستاني من أهل أصفهان من الأدباء الطائرين على بخارى والمرتبطين بها ، وكان جامعاً بين الكتابة والشعر ، ضارباً بأوفر السهم في الظرف ، وكان يقول : قولي لعدوي أعزه الله إنما أريد أعزه الله حتى لا يوجد في الدنيا ، وقولي أطال الله بقاءك وأدام عزك وتأيدك وجعلني فداك أي من هذا الدعاء كله فصار الدعاء لي دونه .

وكان يبغض الشطرنج ويذمها ولا يقارب من يشتغل بها ويطنب في ذكر عيوبهم ويقول : لا ترى شطرنجاً غنياً إلا بخيلاً ولا فقيراً إلا طفيلياً ، ولا تسمع نادرة باردة إلا على الشطرنج ، فإذا جرى ذكر شيء منها قيل : جاء الزمهرير ، ولا يتمثل بها إلا فيما يعاب ويذم ويكره ، فإذا جرى السكران قيل : قد فرزن ، وإذا كان مع الغلام الصبيح المليح رقيب ثقيل : قيل معه فرزان بيدق ، وإذا استحققر قدر الإنسان قيل : كأنه بيدق ، ولا سيما إذا اجتمع فيه قصر القدر وصغر القدر كما قال الناجم [من الهزج] :

ألا يا بيدق الشطرنج في القيمة والقامة

وإذا ذكر وقوع الإنسان في ورطة وهلكة على يد عدو قيل كما قال عبد الله ابن المعتز وأجاد [من الكامل] :

قل للشقي وقعت في الفخ أودت بشاهك ضربة الرخ

وإذا روي طفيلي يسيء الأدب على المائدة قيل : انظروا إلى يد الكشاحن كأنها الرخ في الرقعة . وإذا روي زيادة لا يحتاج إليها قيل : زاد في الشطرنج بغلة ، وإذا سب دخيل ساقط : قيل من أنت في الرقعة ؟ وإذا ذكر وضع ارتفع قيل كما قال أبو تمام [من مجزوء الكامل] :

قل لي متى فرزنت سر عة ما أرى يا بيدق

ويروى أنه دخل يوماً على أبي عبد الله محمد بن يعقوب الفارسي وقد ولد له مولود فأنشد [من مجزوء الكامل] :

هتتَ نجمَ سعادة قد حلَّ أولَ أمسٍ رحلكُ
فأحلَّهُ المولى من الـ آدابِ والعليا محلُّكُ
وأطال عزَّكمَا وعمركمَا وأكثر منك مثلك
فأمر له بثلاثمائة دينار .

وكتب إلى بعض الرؤساء رسالة في الهز والاقضاء وفي آخرها قوله [من الوافر] :

فرأى الشيخ مولى المجد في أن يشرفني بإحدى الحسينين
بنقد أرتجيه أو ييأس فإن اليأس إحدى الراحتين
وله من قصيدة [من البسيط] :

كسبتُ ما شئتُ من مالٍ فأتلفهُ كفَّ كسوبُ بعون الله متلافُ
لن يلبث المال عندي أو يفرقه طبع امرئٍ همَّه بذلٌ وإسرافُ
إنَّ عادتي فيما حوته يدي وعادة الله جلَّ الله إخلافُ
فهذه عادتي فيما حوته يدي وعادة الله جلَّ الله إخلاف^(١)
إنَّ الحقوق ليفني المال واجبها وفي قضاء حقوق الناس إنصاف
وله [من الوافر] :

كفاك مذكراً وجهي بأمرى وحسبي أن أراك وأن تراني
وكيف أحتُّ من يعنى بشأني ويعرف حاجتي ويرى مكاني

(١) إخلاف : نمياً جديدة يخلفها عليه .

٢١ - أبو بكر محمد بن عثمان النيسابوري الخازن

وقع إلى بخارى وتصرف بها وتقلد الحزن ، وكان من أدباء الكتاب
وفضلائهم ، وأهدى جزءاً بخطه يشتمل على ملح وغرر بخارية له ولغيره ممن
جاورهم بالحضرة ، فمما كتبه لنفسه قوله [من الطويل] :

لكلبٌ عقورٌ أسودُ اللون رابضٌ على صدر سوداء الذوائب كاعب^(١)
أحبُّ إليها من معانقة الذي له لحيةٌ بيضاءٌ فوق الترائب^(٢)
وله [من الوافر] :

وعنينٍ يريد قيام أيرٍ بأدويةٍ لأوقات الجماع
فقلت له هلاكُ الزقِّ يوماً إذا ما احتيج فيه إلى الرقاع
ومما وجدته بخطه ، ولست أذكر أكتبه لنفسه أم لغيره من كتاب عصره لغيبة
ذاك الجزء عني ، هذه الأبيات [من المتقارب] :

وهتُ عزماتك عند المشيب وما كان من حقها أن تهني^(٣)
وأنكرت نفسك لما كبرت فلا هي أنت ولا أنت هي
فإن ذكرتُ شهواتُ النفوس فما تشتهي غير أن تشتهي

٢٢ - الحسين بن علي المروروزي

من آدب أصحاب الجيوش بخراسان وأشعرهم وأكرمهم ، وفيه يقول بعض
الشعراء لما صرف عن مرو بأحمد بن سهل ويذكر دار الإمارة فيها [من الوافر] :

(١) العقور : من عقر أي عض . وسوداء الذوائب : أي سوداء الشعر . والكاعب : الفتاة الناهد .
(٢) الترائب : أعلى الصدر .
(٣) وهت : ضعفت .

أقام بصحنها لؤم ابن سهل وفارق ربعا كرم الحسين
وكانت جنة فغدت جحيماً فيا بُعد اختلاف الحاليتين

ومن سائر شعر الحسين قوله في أبي الفضل البلغمي لما تلتطف لإطلاقه من
حبس القمندر بهراة [من مخلع البسيط] :

ألا اسقني من زبيب شمس عدو همي حبيب نفسي
أرق من دين آل تيم ومن عدي وعبد شمس
أشرب بتذكار من تولى بناء مجدي بهدم حبي

وقوله [من الكامل] :

نثنان يعجز ذو الرياضة عنهما رأي النساء وإمرة الصبيان
أما النساء فميلهن إلى الهوى وأخو الصبا يجري بغير عنان^(١)

وقوله من أبيات في بعض قواده [من المتقارب] :

وجيش يكون أميراً لهم قصارى أولئك أن يهزموا

٢٣ - محمد بن موسى الحدادي البلخي

كان يقال : أخرجت بلخ أربعة من الأفراد : أبا القاسم الكعبي في علم
الكلام ، وأبا زيد البلخي في البلاغة والتأليف ، وسهل بن الحسن في شعر
الفارسية ، ومحمد بن موسى في شعر العربية ، وكان يكتب للحسين بن علي
وشعره سائر مدون كثير الأمثال والغرر ، كقوله : [من مجزوء الكامل] :

إن كنت أشكو من يرق عن الشكاية في القريض
فالليل يضجر وهو أعظم ما رأيت من البعوض

(١) الصبا : الميل إلى اللهو والمتعة . والعنان : الزمام .

وقوله [من مجزوء الكامل] :

أَلْقَحْتُ مِنْهُ حَرَمَةً مَتَوَقِعاً مَا تَنْتَجُ^(١)
فَإِذَا رَعَايَتُهُ لَهَا وَاللَّهُ سَقَطَ مَخْدَجُ^(٢)

وقوله [من البسيط] :

لَا غُرُوَ إِنْ كُنْتَ بَحْرًا لَا يَفِيضُ نَدَىً
أَمْسَيْتَ جَارِيٍّ مِنْ بَيْنِ الْأَنْسَامِ فَلَا
وقوله من قصيدة [من الكامل] :

كَمْ فِيكَ مِنْ رِشَاءٍ أَغْنَى كَأَنَّمَا
كَمْ قَدْ غَلَلْتُ يَدَ النَّدِيمِ بِقَهْوَةٍ
وَمِنْ أُخْرَى [من الكامل] :

مَا بِالْفِرْقَةِ شَمَلْنَا لَا تَجْمَعُ
كَمْ خَلَّفْتُ تِلْكَ الرِّكَابُ وَرَاءَهَا
فَالرَّوْدُ يَلْطِمُ خَدَّهُ وَجَدًّا بَنَا
ومنها :

وَلِرَبِّ كَرَمٍ قَدْ رَضَعْتَ ثَدْيَهُ
وَمِنْ أُخْرَى [من السريع] :

أَذَلَّتْ فِيمَا بَيْنَنَا حَرَمَةً
قَدْ كُنْتُ أَمَّا يَمْنَعُكَ الْفَضْلُ أَنْ

(١) القح : من اللقاح الذي تتوالد به الأحياء .

(٢) المخدج : بزنة اسم المفعول : المولود ناقصاً .

(٣) غللت : أعطيت وأمسكت وحملت . والقهوة : الخمرة ، والغلّ : الفائدة والدخل والعطاء .

ومن أخرى [من الكامل] :

وحكى سواداً في شقائق حمرة صلب الغوالي في خدود الروم
ومن أخرى [من البسيط] :

إن كان أغلق دوني بابه فلقد أعددت صبري لذاك الباب مفتاحا
ومن أخرى [من السريع] :

يسرني من حسد الناس لي أني فيهم غير محروم
وأنتي من كرم لابس وأنتي عارٍ من اللوم^(١)

٢٤ - أبو الفضل السكري المروزي ؛ أحمد بن محمد بن زيد

شاعر مرو وظريفها ، وله شعر مليح خفيف الروح كثير الملح والأمثال ،
كقوله [من الكامل] :

لا تعبتن على الزمان وصرفه ما دام يقنع منك بالأطراف
وإذا سلمت فلا تكن لك همة إلا دوام سلامة الألاف
وقوله [من السريع] :

ما أعجب الرزق وأسبابه كل له في رزقه بابه
مقدوره من بابه واصل والمرء لا يعرف أسبابه
وقوله [من مجزوء الخفيف] :

أشرف القصد في المطا لب للناس أربعه
كثرة المال والولا ية والعز والدعه^(٢)

(١) عار من اللوم : أي لا ملامة علي .

(٢) الدعة : السكينة والهدوء والبحبوحة .

فارضَ منها بواحدٍ تلف ما دونه معه^(١)
دعة النفس بالكفا ف وإن لم تكن سعه
كلُّ ما أتعب النفوس س فما فيه منفعه

وقوله من مزدوجة ترجم فيها أمثالاً للفرس [من الرجز] :

من رام طمس الشمس جهلاً أخطأ	الشمس بالتطيين لا تغطي
أحسن ما في صفة الليل وجدَّ	الليل حبلً ليس يدري ما يلد
من مثل الفرس ذوي الأبصار	الثوب رهنٌ في يد القصَّار ^(٢)
إنَّ البعير يبغض الخشاشا	لكنه في أنفه ما عاشا ^(٣)
نال الحمار بالسقوط في الوحل	ما كان يهوى ونجا من العمل
نحن على الشرط القديم المشترط	لا الزق منشقٌ ولا العير سقط
في المثل السائر للحمار	قد ينهق الحمار للبيطار
والعنز لا يسمن إلا بالعلف	لا يسمن العنز بقول ذي لطف
البحر غمرُ الماء في العيان	والكلب يروى منه باللسان
لا تك من نصحي في ارتياب	ما بعثك الهرة في الجراب
من لم يكن في بيته طعام	فما له في محفلٍ مقام
منيتني الإحسان دع إحسانك	اترك بحشو الله باذنجانك
كان يقال من أتى خوانا	من غير أن يدعي إليه هانا

وكان مولعاً بنقل الأمثال الفارسية إلى العربية ، فمما اخترته من ذلك بعد

المزدوجة قوله [من البسيط] :

إذا وضعت على الرأس التراب فضع من أعظم التلُّ إن النفع منه يقع

(١) تلف : تتلافى وتتدارك .

(٢) القصَّار : الذي يدق الثياب ويبيضها .

(٣) الخشاش : ما لا دماغ له ظاهر من دواب الأرض .

وقوله [من المتقارب] :

إذا الماء فوق غريقٍ طما فقاب قناة وألف سوا^(١)

وقوله [من الطويل] :

إذا لم تطلق أن ترتقي ذروة الجبل لعجز فقف في سفحه هكذا المثل

وقوله [من البسيط] :

في كل مستحسن عيب بلا ريب ما يسلم الذهب الإبريز من عيب

وقوله [من الطويل] :

إذا حاكم بالأمر كان له خبر فقد تم ثلثاه ولم يصعب الأمر

وقوله [من السريع] :

ما كنت لو أكرمت أستعصي لا يهرب الكلب من القرص^(٢)

وقوله [من الرمل] :

طلب الأعظم من بيت الكلاب كطلاب الماء في لمع السراب^(٣)

وقوله [من الرمل] :

ادّعى الثعلب شيئاً وطلب قيل هل من شاهد قال الذنب

وقوله [من الطويل] :

هو الثعلب الرواغ في مهمه سلك يرى التوفيه وما إن يرى الشبك^(٤)

(١) القاب : ما بين المقبض والسيه ، والمقدار .

(٢) القرص : يعني رغيغ الخبز .

(٣) الأعظم : جمع عظم ، والسراب الماء الذي يتراءى للمعطشان في الصحراء وهو ليس حقيقة .

(٤) التو : الحبل يفتل طاقاً واحداً .

وقوله [من المنسرح] :

من مثل الفرس سار في الناسِ التين يسقى بعلة الأس^(١)

وقوله [من الطويل] :

تبخر إخفاءً لما فيه من عرجٍ وليس له فيما تكلفه فرج

وقد ذكرتني هذه الامثال الفارسية قصيدة لبعض من ذهب عني اسمه وكتبت
ما اخترت منها ليقترن بما تقدمها وذلك [من السريع] :

ما أقبح الشيطان لكنه	ليس كما ينقش أو يذكر
يكفي قليل الماء رطب الثرى	والطين رطباً بله أسر
إلى شفا النار أماشي أخي	لكنني إن خاضها أصبر
أنتهز الفرصة في وقتها	وألقط الجوز إذا ينثر
يطلب أصل المرء من فعله	ففعله عن أصله يخبر
كم مكرٍ حاق به مكره	وواقع في بعض ما يحفر
فررت من قطرٍ إلى مشعب	عليّ بالوابل يشعنجر ^(٢)
إن تأت عوراً فتعاور لهم	وقل أتاكم رجل أعور
خذه بموتٍ تغتنم عنده	الحي لا تشكو ولا تجأ ^(٣)
الباب فانصب حيث ما يشتهي	صاحبه فهو به أخير
والكلب لا يذكر في مجلس	إلا تراءى عندما يذكر

(١) بعلة : بحجة ، والأس شجر معروف ويسمى الريحان .
(٢) المتعب : سيل الماء في بطن الوادي ، ويتعنجر : يسيل بالماء .
(٣) تجأ : تصرخ .

٢٥ - أبو عبد الله الضرير الأنبوري

له شعر ذكر في أهل أنبورد ، وله القصيدة التي ترجم فيها أمثال الفرس أولها

[من الطويل] :

صيامي إذا أفطرت بالسَّحْبِ ضِلَّةٌ	وعلمي إذا لم يجدِ ضربٌ من الجهل ^(١)
وتزكيتي مالا جمعت من الربا	رياءً ، وبعض الجواد أخزى من البخل
كسارقة الرِّمَّان من كرم جارها	تعود به المرضى وتطمع في الفضل ^(٢)
ألا ربُّ ذئبٍ مرٍّ بالقومِ خاويًا	فقالوا : علاه البهر من كثرة الأكل
وكم عققٍ قد رام مشية قبجةٍ	فأنسيَ ممشاهُ ولم يمش كالـحجل
يواسي الغراب الذئب في كلِّ صيده	وما صاده الغربان في سعف النخل

ومن سائر شعره قوله [من الكامل] :

وإذا أراد الله رحلة نعمةٍ
عن دار قومٍ أخطأوا التدبيراً
ومن ملحه قوله [من الوافر] :

أردت زيارة الملك المفدى
لأمدحه وأخذ منه رفاً^(٣)
فعبسَ حاجباً فقرأت « أما
من استغنى فأنت له تصدى »

* * *

٢٦ - أبو محمد السلمي

كاتب متصرف في الأعمال ، حسن التصرف في ملح الشعر وظرفه ، كثير النوادر وسائر التنف ، لا يسقط له بيت واحد .

(١) ضِلَّةٌ : من الضلال أي خطأ .

(٢) خاويًا : جائعاً وبطنه فارغة ، والبهر : العجب والفخر والغلبة .

(٣) الرفد : العطاء .

أنشدني غير واحد له من أهل الأدب في الحاكم الجليل قوله [من مجزوء الرمل] :

لا رواء لا بهاء لا بيان لا عباره
لا يرى ردّ سلام الناس إلا بالإشارة
أنا أهواك ولكن أين آلات الوزارة

وله أيضاً [من السريع] :

أكل من كان له نعمة أوسع من نعمة إخوانه
أم كل من كان له جوسق مشرف شيد بأركانه^(١)
أم كل من [كان] له كسوة يذلها في بعض أحيانه
يُرى بها مستكبراً تائهاً على أدانيه وخلايه

وله [من السريع] :

قد كانت الضيعة فيما مضى تغل من يملكها ذائبه
فأضحت الضيعة في يومنا مهجة من يملكها ذائبه
يستغرق الغلة في خرجها ويعرض الكلفة والنائبه^(٢)
فإن يُقِم صاحبها كل ذا ينج وإلا نتفوا شاربه

وله [من مجزوء الرمل] :

يا أبا مالك النا سي أسباب التصافي
يا دعياً باتفاق عربياً باختلاف
هبك في أشرف بيت لبني عبد مناف
أنا ما ذنبي إذا ما اطـرـدّت فيك القوافي ؟

(١) الجوسق : القصر الصغير ، وهو معرب جوسه .

(٢) الخراج : ضريبة على الأرض ، والنائبه المصيبة ، أو الحمى التي تأتي كل يوم .

وله [من المتقارب] :

وكنْتُ أذمُّ أبا جعفرٍ وأعجب من أمره المهملِ
فلما بلونا أبا جعفرٍ أطلت البكاء على الأولِ

وله [من السريع] :

لو طُبِخَتْ قِدْرٌ بمطمورةٍ بالروم أو أقصى حدود الثغور
وأنت بالصين لوافيتها يا عالم الغيب بما في القدور

وله [من البسيط] :

قد كان آراؤكم فيما مضى كَرَّةً كأنما خرطتها كفُ خرَّاطٍ^(١)
فالآن تسعون رأياً من وزيركم في السوق لا تشتري منكم بغيراط

وله [من المجث] :

رأيت	ملكاً	كبيراً	كثير	مالٍ	وشحنه ^(٢)
يسوس	ذاك	وزيرٌ	قليل	عقلٍ	وفطنه
ولأمير		وزيرا	ن	يرميان	بأبنه
فلعنة	الله	تتري	على	كليلٍ	ودمنه

وله [من الطويل] :

تشكى فقلنا ثابتٌ ويزيدُ وأنَّ فقلنا آن منه خمود^(٣)
هي العلة الموصول بالموت حبلها فإن ذهبت يوماً فسوف تعود

وله ، ويروى لغيره [من الطويل] :

تفاقر كي يخفي على الناس أمره وللناس أبصارٌ على الغيب نافذة

(١) الكَرَّة : الحملة في الحرب ، ومئة ألف ، والرجعة .

(٢) الشحنة : الطعام ، والشرطة ، أو العداوة والبغضاء .

(٣) الخمود : الهدوء والسكوت .

فأبلغُ دهاة النَّاس في كلِّ بلدة بأنَّا وإنْ كنتم دهاةً جهابذه

* * *

٢٧ - أبو ذر البلخي الحاكم

قال من قصيدة في أبي العباس المأموني ، وقد وثبت رجله [من الكامل] :

إن الجبائر منك قد شدّت على قدم لها في المكرمات تقدّم
ولئن غدت مجبورةً فلطالما جُيرَ الكسيرُ بها وریش معدم^(١)

* * *

٢٨ - أبو أحمد اليمامي البوشنجي

شاعر بوشنج وغرتها ، وشعره مدون سائر ، وبلغني أن صاحب كان يحفظ

خاتية أحمد ، ويتعجب من حسنها وجودتها ، وهي [من الطويل] :

أقولُ ونوَّارُ المشيب بعارضي قد افترَّ لي عن ناب أسود سالخ
أشيباً وحاجات الفؤاد كأنما يجيش بها في الصدر مرجل طابخ
وما كان حُزني للشباب وإن هوى به الشيب عن طود من الأنس شامخ
ولكن يقول الناس شيخ وليس لي على نائبات الدهر صبر المشايخ

ومما يستحسن من شعره [من المنسرح] :

إن تمام السرور للمرء أن يأكل من طيِّيات غرس يده
وأنْ يَغْتَنى بشعره ويُلِي خدمته من يحبُّ من وكده
وقد حوى بعضنا الثلاث وقد نغصها كلّها ضنى جسده

(١) ريش معدم : أثرى بعد فقر .

وقوله [من الوافر] :

لقد فكرت في أمري طويلاً فما أدري أبخل أم أجودُ
أخاف البخل من غيري ومنّي وأعلم أنه عارٌ عتيد
ويعجبني السخاءُ وأشتهيه وذاك لأنه خلُقَ حميد
فأخشى الفقر إن طاوعت جودي وعدم المال في الدنيا شديد
فأفضل ما أرى خلُقٌ وسيطٌ لذات يدي ينقص أو يزيد

وقوله ، وهو منقول من كلام بعض السلف [من الكامل] :

غالبتُ كلَّ شديدةٍ فغلبتها والفقر غالبني فأصبح غالي
إنْ أبدِه يفضحُ ، وإنْ لم أبدِه يقتلُ قَبَّحَ وجهه من صاحب

وقوله لأبي الفضل البلغمي وقد عرض عليه الشراب [من البسيط] :

لو كنتُ واجد عقلٍ أشتريه إذا جالستُ من زينة الدنيا محيَّاهُ
لكنت أطلبه جهدي وأجمعه إلى الذي هو عندي حين ألقاه
فكيف أشربُ شيئاً لا يفارقني حتى أفارق عقلي حين أسقاه

وكتب إلى صديق له في آخر يوم من شعبان [من الطويل] :

فديتك هذا اليوم يومٌ وراءه ثلاثون يوماً للذاذة تفتكُ
فإنْ شئتَ فاحضرنا وإنْ شئتَ فادعنا إليك فما للهو في اليوم متركُ
وفي الغد إنْ لم تدفع الشكَّ مجزَعُ ومبكي فدعنا اليوم نبكي ونضحكُ

وله في وصف رامسية آذريون ناوله إياها عبد الحميد الحاكم وأمره بأن

يصفها . فقال [من السريع] :

أعطانيَ الحاكم من كفِّهِ رامسيةً تخبر عن ظرفه
من نور آذريون تزجى بأن جاءت بما حازته من عرفه^(١)

(١) تزجي : تساق ، تدفع برفق . والعرف : المعروف .

شَبَّهَتْهَا حِينَ تَأَمَّلْتَهَا تَأَمَّلَ الْمَبْدَعَ فِي وَصْفِهِ
بِمَدَّهِنِ مِنْ ذَهَبٍ أَحْمَرَ مَضْمُناً مَسْكَاً إِلَى نَصْفِهِ

* * *

٢٩ - أَبُو عَلِيٍّ السَّلَامِيُّ

مَنْ رَسْتَقَ بِيَهَقٍ مِنْ نَيْسَابُورَ ، كَاتِبَ مُؤَلَّفَ الْكُتُبِ ، مُوَفَّقَ الْمُتَجَوِّدِ مَنْخَرَطٍ
فِي سَلَكِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحْتَاجٍ وَبَانَهُ أَبِي عَلِيٍّ . وَلَهُ كِتَابُ التَّارِيخِ فِي أَخْبَارِ وِلَاةِ
خُرَاسَانَ ، وَكِتَابُ نَفْثِ الظَّرْفِ . وَكِتَابُ الْمَصْبَاحِ ، وَغَيْرُهَا ، وَشَعْرُهُ فِي أَشْعَارِ
مُؤَلَّفِي الْكُتُبِ كَشَعْرِ الصَّوْلِيِّ ، وَمَنْ أَشْفَ مَا وَجَدْتَهُ لَهُ قَوْلُهُ [مِنْ السَّرِيعِ] :

هَذَّبَ مَا يَكْتُبُ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَلْقَوْنَهُ
وَهُمْ مَصِيخُونَ إِلَى لَفْظِهِ فَرَامَ مِنْ قَوْلِ الْخَنَّا صَوْنَهُ^(١)

الْبَيْتَانِ لَمْ أَسْمَعْهُمَا مِنْهُ ، وَإِنَّمَا وَجَدْتُهُمَا فِي نَسْخَتِهِ

* * *

٣٠ - أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْإِسْكَافِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ

لِسَانَ خُرَاسَانَ وَغَرَّتْهَا ، وَعَيْنُهَا وَوَاحِدُهَا ، وَأَوْحَدُهَا فِي الْكِتَابَةِ وَالْبَلَاغَةِ ،
وَمَنْ لَمْ يَخْرُجْ مِثْلَهُ فِي الْبَرَاعَةِ وَالصَّنَاعَةِ . وَكَانَ تَأْدِبُ بَنْيَسَابُورَ عِنْدَ مُؤَدِّبٍ بِهَا
يَعْرِفُ بِالْحَسَنِ بْنِ الْمَهْرَجَانِ مِنْ أَعْرَفِ الْمُؤَدِّبِينَ بِأَسْرَارِ التَّأْدِيبِ وَالتَّدْرِيسِ ،
وَأَعْلَمُهُمْ وَأَدْرَاهُمْ بِطَرِيقِ التَّدْرِيجِ فِي التَّخْرِيجِ ، ثُمَّ حَرَّرَ مَدِيدَةَ^(٢) فِي بَعْضِ
الدَّوَاوِينِ ، فَخَرَجَ مَنَقُطَعَ الْقَرِينِ ، وَوَاسِطَةَ عَقْدِ الْفَضْلِ ، وَنَادِرَةَ الزَّمَانِ ، وَبَكْرَ
الْفَلَكَ ، كَمَا قَالَ فِيهِ الْهَرِيمِيُّ مِنْ قَصِيدَةِ [مِنَ الرَّمْلِ] :

(١) مَصِيخُونَ : مَنْصُوتُونَ ، الْخَنَّا : الْفَحْشَى .

(٢) مَدِيدَةُ : مَدَّةٌ قَصِيرَةٌ .

سبق الناس بياناً فغداً وهو بالإجماع بكرُ الفلك
أصبح الملك به متسقاً لسليل الملك عبد الملك

ووقع في ريعان عمره ، وعنفوان أمره ، إلى أبي علي الصاغاني فاستأثره
فحسن أثره واستخلصه لنفسه ، وقلده ديوان الرسائل فحسن خبره ، وسافر أثره ،
وكانت كتبه ترد على الحضرة ، في نهاية الحسن والنضرة . وتقع المنافسة فيه ،
ويكتب أبو علي في إثارة الحضرة به ، فيتعلل ويتسلل لو إذا^(١) ولا يفرج عنه ، إلى
أن كان من كشف أبي علي قناع العصيان ، وانهازمه في وقعة جرجيل إلى
الصغانيان كما كان . وحصل أبو القاسم في جملة الأسرى من أصحاب أبي علي ،
فحبس في القمندر وقيد مع حسن الرأي فيه وشدة الميل إليه ، ثم إن الأمير الحميد
نوح بن نصر أراد أن يستكشفه عن سره ، ويقف على خبيثة صدره فأمر أن تكتب
إليه رقعة على لسان بعض المشايخ ويقال له فيها : إن أبا العباس الصاغاني قد
كتب إلى الحضرة يستوهبك من السلطان ويستدعيك إلى الشاش لتتولى له كتابة
الكتب السلطانية ، فما رأيك في ذلك ؟ فوقع تحته في الرقعة ﴿رب السجن أحبُّ
إليَّ مما يدعونني إليه﴾ .

فلما عرض التوقيع على الحميد حسن موقعه منه ، فأعجب به ، وأمر
بإطلاقه وخلع عليه وأقعده في ديوان الرسائل خليفة لأبي عبد الله كله وكان الاسم له
والعمل لأبي القاسم ، وعند ذلك قال بعض مجَّان الحضرة [من مجزوء الرجز] :

تبظرم الشيخ كله	ولست أرضى ذاك له ^(٢)
كأنه لم ير من	أقعد عنه بدكـه
والله إن دام على	هذا الجنون والبله
فإنه أول من	ينتف منه السبله ^(٣)

(١) لوإذا : التجاءً وحماية .

(٢) تبظرم : تحتم أي لبس الخاتم ، وتبظرم إذا كان أحق وعليه خاتم ويشير به في وجوه الناس .

(٣) السبله : اللحية .

وكان أبو القاسم يهجو كما تقدم ذكره في الجزء الثاني من هذا الكتاب ومن شعره قوله [من مجزوء الرجز] :

هذا الذي يُدعى كله ما شأنه إلا البله
في رأسه عمامة مكفوفة مزملة^(١)
كأنها في لونها قدرٌ على سفرجله

ولما توفي أبو عبد الله تولى أبو القاسم العمل برأسه ، وعلا أمره ، وبعد صيته ، وجمعت رسائله أقسام الحسن والجودة ، وازداد على الأنعام تبحراً في الصناعة ، وقدرة على الإنشاءات التي يؤنس مسمعها ، ويؤيس مصنعها .

ويحكى أن الحميد أمره ذات يوم أن يكتب إلى بعض أصحاب الأطراف كتابا وركب إلى متصيده ، واشتغل أبو القاسم عن ذلك بمجلس أنس عقده وإخوان جمعهم عنده ، وحين رجع الحميد من متصيده استدعى أبا القاسم وأمره بإحضار الكتاب الذي رسم له كتبه ليعرض عليه ، ولم يكن كتبه ، فأجاب داعيه وقد نال منه الشراب ومعه طومار^(٢) أبيض أوهم أنه مكتوب فيه الكتاب المرسوم له ، فقعد بالبعد منه فقرأ عليه كتاباً طويلاً سديداً بليغاً أنشأه في وقته وقرأه عن ظهر قلبه ، فارتضاه الحميد وهو يحسب أنه قرأه من مسودات مكتوبة ، وأمره بختمه ، فرجع إلى منزله وحرر ما قرأه وأصدره على الرسم في أمثاله .

ومن عجيب أمره أنه كان أكتب الناس في السلطانيات ، فإذا تعاطى الإخوانيات كان قاصر السعي قصير الباع ، وكان يقال : إذا استعمل أبو القاسم نون الكبرياء ، تكلم من في السماء . وكان من علو الرتبة في النشر وانحطاطها في النظم كالجاحظ ، ورسائله كثيرة مدونة سائرة في الآفاق لا يسع هذا الكتاب إلا الأنموذج مما يجري مجرى الغرر والأمثال منها .

(١) مزملة : ملتفة .

وهذه فقر من كلامه

الحمد لله الذي لم يستفتح بأفضل من ذكره كلام ، ولم يستمنح بأحسن من صنعه مرام * للزمان صروف تحول ، وأمور تجول * الأخلاق تنميها الأعراق ، والثمار تنزعها الأشجار * الشكر به ذكاء النعمى ، والوفاء معه صلاح العقبي * السعيد من تحلى بزينة الطاعة ، واقتدح بزند الجماعة ^(١) * العامة لا تفقه حقائق المذاهب ، ولا تعرف عواقب التآلب والتجارب * لا يشوقنك غرارة الصبا ، ولا يروقتك زخرف المنى * استعذ بالله من نزعات الشيطان ونزقات ^(٢) الشبان * من خلا له الجو باض وصفر ، ومن تراخى له الليث نزا وطفر * المخذول يرفع رأسا ناكسا ، ويبل فمأ يابسا .

وهذه ملح من شعره

كتب إلى بعض إخوانه يستدعيه [من المتقارب] :

كتبتُ من الباغِ يوم الفراغِ وذا نعمةِ آذنتِ بالبلاغِ
فأقبل فما دون لقياك للزمان وإحسانه من مساعِ
لأنك صفوة أبنائه وسائرهم فكمثل الرداغِ ^(٣)
رداغ بخارى ولا سيما إذا المرء لم يحتجز بالجنائغِ ^(٤)

وقال على لسان ماوردية فضة [من مخلع البسيط] :

الحسنُ من ظاهري يلوحُ والطيب من باطني يفوحُ

(١) اقتدح بزند الجماعة : أي عمل برأيهم ومشورتهم .

(٢) النزق : الطيش .

(٣) الرداغ : الماء والطين ، أي الوحل .

(٤) الجنائغ : إسم مكان .

فالنصف مني نصيبُ جسم والنصف مني نصيب روح
 وكتب إلى أبي أحمد العارض مع حب بلور مخلوط أهدها له [من المجتث] :
 بعثت للفأل حبا يسقيك صفو المحبة
 فعش لزرع المعالي ما أنبت الزرع حبة
 وكتب إلى بعض الرؤساء [من مجزوء الوافر] :

صديقك غير محتشم وأنت فغير مغتنم
 وقد أهدي كما يهدي أخو ثقةٍ لذي كرم
 فرأيك في قبول العذ ر في السكين والقلم

ذكر آخر أمره

لما انقضت أيام الأمير الحميد وملك عبد الحميد أقر أبا القاسم على ديوان
 الرسائل ، وخلع عليه ، وزاد في مرتبته ، فلم تطل به المدة حتى مرض مرضه الذي
 احتضر فيه .

فحدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الفارسي قال : كان أبو جعفر
 محمد بن العباس بن الحسين الوزير وأبو القاسم المقانعي من خلص أصدقاء
 الإسكافي وممن يكبرون عنده ، فلما مرض الإسكافي كتب إليه اللحام وكان أبو
 جعفر يلقب بطويس والمقانعي بقاشر [من المجتث] :

طويس إحدى الفواتر شوما وقاشر قاشر
 ومنهما يا أبا قاسم عليك أحاذر
 فلا يكن واحداً منهما ببابك عابر
 إن لم يكن بك شوق إلى الثرى والمقابر

ثم إنه دخل عليه عائداً فوجد عنده أبا جعفر بن العباس بن الحسين وأبا القاسم المقانعي وابن مطران ، فقال [من الرجز] :

ثلاثة أودوا بفدٍّ عصره	أودوا به في عنفوان أمره
قصده يوماً بعيد فجره	وكان قلبي مولعاً بذكره
لفضله ونبله وفكره	إذا طويس جالس في نحره
وقاشر قد انبرى من قشره	عن سلة الشؤم وعن قِمَطْرِهِ ^(١)
فقلت قد أعوز جبر كسره	من بعد ما كان دنا من جبره
وقد تقضى فاطوه بغيره	الشأن فيمن هم على ممره ^(٢)

ولما انتقل إلى جوار ربه أكمل ما كان شاباً وآداباً وغدت لفراقه الكتابة شعناء . والبلاغة غبراء ، أكثر فضلاء الحضرة رزيتة ، وأكثروا مرثيته ، فمما أحاضر به الآن قول الهرثمي الأبيوردي من قصيدة ، منها [من الطويل] :

ألم ترَ ديوان الرسائل عَطَّلَتْ	لفقدانه أقلامه ودفاتيره
كثغري مضى حاميه ليس يسده	سواه ، وكالكسر الذي عزَّ جابره
ليبك عليه خطه وبيانه	فذا مات واشيه وذا مات ساحره

(١) القمطر : ما تحفظ فيه الكتب ، أو القربة .

(٢) ممره : شاكلته - طريقه .

الباب الثاني

في ذكر العصريين المقيمين بالحضرة البخارية
والطارئين عليها، والمتصرفين في أعمالها

وتوفية الكتاب شرطه من ملح أشعارهم وظرف أخبارهم .

كانت بخارى في الدولة السامانية مثابة المجد ، وكعبة الملك ، ومجمع
أفراد الزمان ، ومطلع نجوم أدباء الأرض ، وموسم فضلاء الدهر .

فحدثني أبو جعفر محمد بن موسى الموسوي قال : اتخذ والدي أبو الحسن
دعوة ببخارى في أيام الأمير السعيد جمع فيها أفاضل غربائها كأبي الحسن
اللحام ، وأبي محمد بن مطران ، وأبي جعفر بن العباس بن الحسن ، وأبي محمد
ابن أبي الثياب ، وأبي النصر الهرثمي ، وأبي نصر الظريفي ، ورجاء بن الوليد
الأصبهاني ، وعلي بن هرون الشيباني ، وأبي إسحاق الفارسي ، وأبي القاسم
الدينوري ، وأبي علي الزوزني ، ومن ينخرط في سلكهم ، فلما استقر بهم
مجلس الأنس أقبل بعضهم على بعض يتجاذبون أهداب المذاكرة ، ويتهادون
رياحين المحاضرة ، ويقتفون نوافج الأدب ، ويتساقطون عقود الدر ، وينفثون
في عقد السحر . فقال لي أبي : يا بني هذا يوم مشهود مشهور ، فاجعله تاريخاً
لاجتماع أعلام الفضل وأفراد الوقت ، واذكره بعدي في أعياد الدهر ، وأعيان
العمر ، فما أراك ترى على السنين أمثال هؤلاء مجتمعين ، فكان الأمر على ما
قال ، ولم تكتحل عيني بمثل ذلك المجمع .

٣١ - أبو الحسن علي بن الحسن اللحام الحراني

من شياطين الإنس ، ورياحين الأنس ، وقع إلى بخارى في أيام الحميد ،
وبقي بها إلى آخر أيام السديد ، يطير ويقع ، ويتصرف ويتعطل ، ويهجو وقلمما
يمدح ، وكان غزير الحفظ ، حسن المحاضرة ، حاد البوادر ، سائر الذكر ، ساحر
الشعر ، خبيث اللسان ، كثير الملح والغرر . رامياً من فيه بالنكت ، لا يسلم أحد
من الكبراء والوزراء والرؤساء من هجائه إياه ، وكان لا يهجو إلا الصدور .

فحدثني أبو بكر الخوارزمي قال : تحككت وأنا أحدث باللحام فقلت فيه
[من السريع] :

رأيتُ للَّحَامِ في حلَّقه	للشعر تطبيقاً وتجنيساً
نخوة فرعون ولكنَّهُ	جانس في حمل العصا موسى
قرينه إبليس لكنَّهُ	خالف في السجدة إبليساً

وأردت بذلك فتح باب إلى مهاجاته ، فلم يجبني وجرى على قضية قول
المتنبي [من الطويل] :

* وأغيط من ناداك من لا تجيبه *

قال مؤلف الكتاب : لم أر للحام ديوان شعر مجموعاً ، فعنيت بجمع
تفاريقه وضم منتشره ، ثم اخترت منه ما يصلح لكتابي هذا ، فمن ذلك قوله في
الشكوى [من المنسرح] :

قد نفدتُ لأعدمك النفقة منذ ثلاثٍ فمهجتي قلِقَةٌ
وليس في البيت ما يباع وما يرهن إلا درَاعَةٌ خَلِقَةٌ^(١)

(١) درَاعَةٌ خلقه : الدراعة جبة من صوف مشقوقة المقدّم ، وخلقته : بالله .

وقوله [من الرمل] :

كنتُ من فرط ذكاءٍ واشتعالِ
فتلبّدتُ ولا غرو إذا
كتلّظّي النار في الجزل اليبسِ
خفّ كَيْسُ المرء مع خِفّة كَيْسٍ^(١)

وقوله [من الكامل] :

أنا من وجوه النحوفِكم أفعُلُ
حَتّام لا ينفكُ لي بفنائكم
حالُ ترشّفتِ الليالي ماءها
هذا وإن أقفلتَ بابَ مطامعي
ومن اللّغات إذا تعدّ المهملُ
أملُ يخيب وعود ظنّ يذبلُ
وتجمّلُ لم يبق فيه تحمّلُ
دونِي فما لله بابٌ يقفلُ

وقوله [من الكامل] :

ذابتُ على قومٍ سماءُك بالندی
وأنا الذي إنْ جُدّت لي أولم تجد
ويدي تردد تحت غيمٍ جامدٍ
لك في الشاء على طريقٍ واحدٍ

وقوله لما صرف عن بريد الترمذ بابن مطران [من مجزوء الخفيف] :

قد صُرّفنا وكلُّ من كان من قبلنا صُرِفَ^(٢)
وصرفنا بشاعرٍ نعته ليس ينصرف
أي أنه أحمق ، والأحمق لا ينصرف .

وقوله لما تقلد عمل الإخصاء دفعات [من مخلع البسيط] :

قد صار هذا الإخصاء رسماً علي كالرسم في المظالم
وصرت أدعي به كأني ولدت في طالع البهائم

(١) الكَيْسُ : الظرف والفطنة .

(٢) في الأصل : « قبلنا قد صرف » ولا يستقيم عليه الوزن .

وقوله [من الوافر] :

وأرجو أن يُسهَّلَ لي وصولُ إلى المنشور من قبل النشور^(١)

مدحه

قوله في أبي جعفر العتبي [من البسيط] :

الشيخ أكبر من قلبي وإكثاري لكن أحلّي بذكر الشيخ أشعاري
وأعتبُ الدهر إذ عاتبته بفتى من آل عتبة نفاعٍ وضرارٍ
كأنما جاره في كلِّ نائبة جار الأراقم في أيام ذي قار^(٢)
يُجري المكارم في لاءٍ وفي نعم فالناس في جنّةٍ منه وفي نار

وقوله في الحسن بن مالك [من الوافر] :

لبسنا كل داجي اللون حالِكٌ وقطعنا المسالكَ والممالكُ
وأعملنا السُرى حتى نزلنا بزمٌ في ذرى الحسن بن مالك^(٣)
فتى قد حاز إفضالاً وفضلاً ولم يحلل بها إلاً لذلك
فقل للدهر كدٌ غيري رجالاً فلسنا بعد هذا من رجالك^(٤)

(١) النشور : البعث أو القيامة .

(٢) الأراقم : الأفاعي السامة .

(٣) بزمٌ : في زمام ، وقيادة الحسن بن مالك .

(٤) كدٌ : من المكيدة : وهي الخداع وإرادة السوء .

ما يستملح من أهاجيه

قال في الحاكم الجليل [من الرجز] :

قولا لنوحٍ ثم للفتكين لشؤم هذا الحاكم اللعين
سللتما عن مثل ملك الصين كسلّة الشعر من العجين

وقال في القحطبي [من مجزوء الكامل] :

أما الهمام فهمّة في صون ملك المشرق
والقحطبي فللذي يهواه غير موفّق
ومتى يوفّق من له في طيّ ذاك اليلمق^(١)
شبره يبيع الدين فيه بفلذّة أو جردق^(٢)
ويدلّ كأنّ بنانها قطعت مخازن زئبق
لو دقّ كلتا مرفيه لحبّه لم يُرقّق
أو شكّ حبّة قلبه في حبّه لم ينطق
يختال بين مخنثٍ ومواجِرٍ مسترزق
فكان من يغشاهما في جنح ليلٍ مغسق^(٣)
مَنْ ذاكرٌ أضيافَ جفنة في الزمان الأسبق

وقال وأبدع في تضمين هجائه بيتاً للنابغة في وصف الأقحوان [من الكامل] :

يا سائلي عن جعفر علمي به رطبُ العجان وكفّه كالجلمد
(كالأقحوان غداة غبّ سمائه جفّت أعاليه وأسفله ندي)

(١) اليلمق : الثوب المشوّ .

(٢) الجردق : الرغيف .

(٣) الغسق : الظلام .

وقال في أبي جعفر العتيبي [من الرجز] :

تغيّرت أخلاق هذا العتيبي وصار لا يعرف غير العتب
وغير ضرب دائم وسب وقد حشا فصار مثل الدب
* عليه ألف لعنة من ربي *

وقال فيه [من مجزوء الخفيف] :

ما لقينا من القصير العريض الملز
كان حرّاً فصار نبزاً على كل أنبز^(١)
عذب الله نفسه في حبوس القمندز^(٢)

وقال فيه [من مخلع البسيط] :

برئت من وائل وبكر ومفجر وابل وبكر
إن جئتكم طالباً لشغل وأحمد بن الحسين صدر

وقال في قوم من صنائعه وأصحابه [من السريع] :

صنائع الشيخ سوى حمد يبادق الشطرنج والنرد
منهم أبونصر وسبحان من براه من أسطمة البرد^(٣)
ولعنة الله على بعضهم وهو أبو بكر بن شهرمرد
وبعد لولا الحفظ للعهد لقلت في المضطرب القد
فارجع إلى حمد فما فيهم يا سيدي أنذل من حمد

(١) في الأصل « نبز كل أنبز » ولا يستقيم الوزن عليه .

والنيز : العيب ، أو اللثيم في حسبه وأخلاقه .

(٢) القمندز : اسم فارسي .

(٣) أسطمة : وسط ، والأسطمة : لجة البحر .

ويحكى أن حمد بن شاهمرد لما سمع الأبيات اهتز لإخراجه إياه من جملة من هجاهم ، فلما سمع البيت الأخير استرجع وقال : ليته أجراني مجراهم ولم يخصني بالدم .

وقال يوما أبو أحمد بن منصور للحمام : قد هجوتني ؟ قال : لا ، قال : فاهجني وخلاك الدم ، وقدم إليه القرطاس والدواة ، فكتب [من البسيط] .

قالوا أبو أحمد حرّ فقلت لهم حرّ لعمرى ولكن فاكسروا الحاء فإن أردتم محالاً أو به سفهاً فأبدلوه بياء وانقطوا الرء

وقال لأبي طلحة قسورة بن محمد [من المجتث] :

إني امرءٌ يا أبا طلحة بنصحك صبُّ
هذا زمانك فاختم بالطين ، والطين رطبٌ
وقد وعظتك إن كنت للمواعظ تصبو
وإن رجوتك من بعدها فإني كلب
أحسن فمالك عذرٌ وما على الدهر عتبٌ
فإن سقيا الليالي فيها أجاجٌ وعذب^(١)

وقال [من مجزوء الخفيف] :

يا أبا طلحة استمع قول من فيك قد صدق
لك وجهٌ كأته صيغ من قمقمٍ خلق^(٢)
وخلالٌ إخالها من كنيفٍ قد انشق^(٣)
قم فلا خير فيك يا خالق الخلق والخلق

(١) الأجاج : المالح ، والعذب : الفرات السائغ للشراب .

(٢) خلق : بالي .

(٣) الكنيف : المرحاض .

وقال في بطة بن كوسيد وفي أبي مازن قيس بن طلحة وأبي يحيى الحمادي
[من مجزوء الرمل] :

ملك الديوان قيسُ وأبو يحيى وبطه
كلهم أخزاهم الله على الأحرار سخطه
ليس فيهم من يساوي في نفاق السوق ضرطه
وفي أبي يحيى [من مجزوء الرمل] :

تكذب الكذبة جهلاً ثم تنساها قريباً
كن ذكوراً يا أبا يحيى إذا كنت كذوباً

وقال في بطة [من السريع] :

ولا تدع قط قفا بطه فإنه قد صار كالبطة^(١)
أثرى بمرو بعد أن لم يكن يملك إذ حل بها ضرطه

قال في ابن حسان [من المجتث] :

بالراح أقسم صرفاً والعود والسرنا^(٢)
أن ابن حسان في حال شدو ورخاء
ما أثر الباغ إلا لفرط داء البغاء
حتى إذا عز أير أنحى على القشاء

وقال في تميم بن حبيش [من مجزوء الرمل] :

يا تميم بن حبيش كل ذاك الطيش أيش

(١) وقع هذا البيت في الأصول ،

لا تدع قط قفا بطه فإنه صار كالبطة

ولا يتفق وزنه مع وزن البيت بعده .

(٢) السرناء : آلة موسيقية تشبه العود .

إنما أنت وكيلُ الباب لا صاحب جيشٍ
قد تبظرمت وقدماً كنت في أنكد عيش
كنت ذمياً فصرت اليوم في أعلى قريش

وقال من نتفه [من الطويل] :

ويبرز للرائين وجهاً كأنما كساه إهاباً من قشور الخنافس^(١)

وقال في أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين [من المجث] :

محمد بن علي سبط الحسين بن حامد
وافى فسرّ ولي به وأكمد حاسد
قد قلت لما بدالي في مسك بعض الأسود
الحمد لله شكراً قد زاد في الزط واحد^(٢)

وقال في أبي علي البلعمي [من المنسرح] :

وزارة البلعمي	منقلبة	وهو كقفل غدا على خربة
لم يرع للأولياء	حرمتهم	فيها ولا للوجوه والكتبه
قد قلبت وجهه كل	مكرمة	متى تراها عليه منقلبة
فهو أحق الوري	بداهية	تضحى له رأسه على خشبة

وقال فيه والعتبي منفي إلى بست [من الرجز] :

متى أرى الشيخ الذي بست كالبدري يدو طالعا في الدست

* لحيّة هذا البلعمي في استي^(٣) *

(١) الإهاب : الجلد .

(٢) الزط : العبيد السود .

(٣) الاست : المؤخرة .

وقال فيه [من البسيط] :

أبا عليّ أنلني بعض آمالي يرضيك أيري وإن لم ترض أقوالي
إن كان ساءك أقوالٌ نطقت بها فسوف يرضيك عني حسن أفعالي

وقال في ابن عزيز [من المتقارب] :

إذا فُقدَ البؤس في بلدٍ وأعوز وجدانه في العويرِ
ولم يوجد الجود في مجلسٍ سحيق الأفاصي ولا قعر دِيرِ
فمعدن وجدانه حاضرٌ خوانٌ محمد بن العزيز
خوانٌ عظيمٌ ولكنّه خليّ الجوانب من كلّ خيرٍ
فتى لا يرجى على الحادثات لتقريب خيرٍ ولا دفع ضيرٍ
كثير التقلُّل في داره فمن أصل أيرٍ إلى أصل أيرٍ
فغلّمته بطوفون من دبره حول ديرٍ
بقناديلهم

وقال فيه [من المتقارب] :

طعام محمد بن عبد العزيز تُداوى به المعدةُ الفاسدةُ
حشائش بقراط معجونةُ به وعقاقيره الفاردةُ
جرادقه درّةٌ ذرّةٌ على عدد الفتية الواردة^(١)
على عدد القوم رغفانه فلست ترى لقمةً زائدةً
أرى الصوم في أرضه للفتى إذا حلّها أعظم الفائدةُ

وقال فيه [من المجتث] :

لقيت أشام طيرٍ وسرتُ أنكد سِيرِ
مواصلاً كلّ شرٍ مجانباً كلّ خيرِ

(١) الدرّة : اللين ، أو الدم ، أو السوط الذي يضرب به .

وذرّة : أي صغيرة الحجم ، أو أنها مصنوعة من الذرة .

طارت عليك نحوسٌ تجري بأشام طير
فأنت خنزير خلقٍ تغدو بأخلاق غير^(١)
وليس يعرف ما قد حوى قميصك غيري
إن ساء فيك مقالي فسوف يرضيك أيري

وقال في غيره [من البسيط] :

تشى بما فيك من سوء التناشيم يأوي إليها الخنا والجهل والبكم^(٢)
حماك حلٌ ومن يأويه مبتذلٌ لنايكيك وما في كفك الحرم
قسِمتَ نصفين علوشانه بخلٌ عند السؤال وسفل زانه كرم
يا كاتباً كلما أفنى أدراجة دس الطوامير في وجعائه الخدم
إن الكتابة أمست غير طاهرة مذ حاض في يدك القرطاس والقلم

حدثني أبو القاسم الألباني ، قال : بني أبو الفضل القاشاني داراً سرّ بها فلما
فرغ منها سأل اللحام وقد دخل إليها مهنتاً أن يدور فيها ويتأملها ففعل وأنشأ يقول
[من البسيط] :

متى أراها ينادي حولها البوم وللنساء بها نوحٌ وتلطيمٌ
متى أراها يباباً لا أنيس بها متى يقامُ على الشيخ الماتيمٌ
إسمع أبا الفضل لا أسمعت صالحةً يا كلبُ يا قرد يا خنزير يا بومٌ

وأنشدني أبو القاسم قال : أنشدني اللحام لنفسه في علي بن الحسين [من
الطويل] :

إلى الله أشكو أهل يزد بأسرهم وألعن شخصاً جاء من جانبي يزد

(١) العير : القافلة من الحمير والجمال والبغال .

(٢) الشيم : المزايا والأخلاق ، والخنا : الفحش ، والبكم : من الأبكم وهو الأخرس .

زنيماً إلى أبناء ساسان ينتمي بوجه عريق اللؤم في نسب الهند^(١)
 إذا عدّ أهل الخير كان بضدهم وإن عدّ أهل الشرّ لم يكّ بالضدّ
 لسان إلى البهتان أهدى من القطا وكفّ على العدوان أعدى من الفهد^(٢)
 فأخرسه ربّ على ذاك قادر وأفرد كفيه جميعاً من الزند
 وأنشدني غيره له في الحاكم الجليل [من الكامل] :

بعد الخمول غدوت صدر الموكب وجررت كبراً ذيل كلّ تسحب
 يا من يمرّ على الورى متبظراً أنظر إلى أطلال دار المصعبي
 وله في أبي مازن لما صرف عن الديوان وأمر بلزوم منزله [من المتقارب] :
 أبو مازن لازم منزله وأصبح في الناس لا ذكر له
 رماه الزمان بأحداثه ومن حيث أخرجه أدخله
 وله فيه وفي أبي بكر محمد بن سباع [من البسيط] :

مضى أبو مازن لا ضير وارتفعت تهبّ لابن سباع ريع إقبال
 كذلك الدهر في تصريفه عجب ما زال يبدل أنذالاً بأنذال
 وله في أبي جعفر بن العباس وابن مطران [من السريع] :

عاد إلى الحضرة إثنان طويس والنذل ابن مطران
 اثنان ما إن لهما ثالث إلّا عصا موسى بن عمران

وقال في ابن مطران من أبيات [من المنسرح] :

ما زال بالشاش فوق باكية يسقط حتى احتواه مسقطه
 وكاد فيمن يموت من سغب هنا لولا استه وبربطه^(٣)

(١) الزنيم : كثير الزناء أو ابن زناً .

(٢) البهتان : الزور والكذب ، والقطا : طائر في حجم الحمام يعيش في الصحراء خصوصاً .

(٣) البربط : العود ، والسغب : الجوع .

وله فيه [من السريع]:

هذا الشويشي الذي وافى لسانه معتقلاً فافا
يخالف الرحمن في قوله (لا يسألون الناس إلحافاً)

وقال في بعض الحكام [من الوافر]:

قلنسوة على رأس صليب مساحته جريبٌ في جريب^(١)
وإن يدي وهامته ونعلي قريبٌ من قريبٍ من قريب

وله في أهل خوارزم [من الكامل]:

ما أهل خارزمٍ سلالة آدم ما هم وحق الله غير بهائم^(٢)
أترى شبيه رءوسهم ولغاتهم وصفاتهم وثيابهم في العالم
إن كان يقبلهم أبونا آدم فأنا بريءٌ من أبينا آدم

وله فيهم وقد حصل على عمل البريد بها [من مخلع البسيط]:

لا نال من ربّه مناه ولا شفاه ولا رعاة
من سامني الكون في بلاد رءوس سكانها جباه
أغدو بلا مؤنسٍ وأمسي إمساء من ليله ضحاه
لدى خسيس يظنّ تيهاً أن ليس في ذا الورى سواه
له ثنايا كأثما قد عضّ بأطرافها خراه

وقوله [من البسيط]:

وقائل لي دتست النجاء بمن يدنسُ ان أقعى وإن شردا^(٣)

(١) الجريب : القفّة ، آنية تكال فيها الحبوب .

(٢) ورد صدر هذا البيت :

« ما أهل خوارزم سلالة آدم »

وهو غير مستقيم الوزن فأصلح على الشكل الذي أتيت فيه .

(٣) عجز هذا البيت لا يظهر لنا فيه وجه يستقيم عريّة .

فقلت أنصفت لكن هل سمعت بمن
وله [من الكامل]:

يا رب لا ترضي الذي يرضى
يا رب لا ترضي الذي يرضى
إن لم يكن خسفٌ فلا عجب

وقله [من الخفيف]:

قلقل الله ماضغيك وفكك
كم تصلي على جناز موتا

وله [من البسيط]:

عبدان هامته للصفع معتاده
كان أيدي الندامى في تناولها

وله [من الكامل]:

سبحان ذي الملكوت من متقدس
داءان كانا في الملوك فأدبرا

وله في أبي عبد الله الشبلي يهجوهُ [من الرجز]:

وألفُ أيرٌ من أيورِ الزنج
بلا حزامٍ وبلا برطنج
مضروبة في رقعة الشطرنج
في إست بعض الناس من بوشنج

* * *

(١) قلقل : حرك ، وفكك وبث : قطع .

(٢) خنس : رجع وتنحى ، واستخفى ، وخنس القول : أساءه .

ما علق بحفظي في فنون شتى

قوله في الغزل [من مجزوء الخفيف]:

ما	على	مُسْقَمِي	بِأَلْ	حَاطِظَة	لَوْ	تَرْفَقَا
لَكَ	حَلٌّ	دَمِي	فَرَأَ	يَكُ	فِيهِ	مَوْفَقَا
أَنَا	لَا	شَكَّ	مَيِّتٌ	فَلَكَ	الْعَمَرُ	وَالْبَقَا

وقال في استهداء الشراب [من المنسرح]:

عَنْدِي	يَا	سَيِّدِي	وَمَوْلَانِي	مَنْ	بِهَوَاهُ	قَدْ	طَالَ	بِلَوَائِي		
وَقَدْ	رَأَى	أَنْ	يَبِيتَ	مَبْتَدِئاً	وَكَانَ	مَا	قَدْ	رَأَاهُ	مَنْ	رَائِي
وَلَيْسَ	عَنْدِي	مِنَ	الشَّرَابِ	لَهُ	وَحَقٌّ	مَا	يَبِينَا	سَوَى	الْمَاءِ	

وقوله لبعض الوزراء [من الكامل]:

إِنَّ	الَّذِينَ	مَشَوْا	إِلَيْكَ	عَلَى	دَمِي	لَمْ	أَصْغِرْ	فِيكَ	لَهُمْ	وَهُمْ	عَذَالِي
حَتَّى	إِذَا	مَا	اسْتَيَّاسُوا	مَنِي	سَعَوْا	وَوَشَّوْا	بِمَا	لَمْ	يَجِرْ	قَطُّ	بِبَالِي

وقوله [من مجزوء الرجز]:

إِنِّي	اعْتَلَلْتُ	عَلَّةً	سَقَطَتْ	مِنْهَا	فِي	يَدِي				
وَكَانَ	فِي	الْإِخْوَانِ	مَنْ	لَمْ	أَرْهَمْ	فِي	الْعَوْدِ			
فَقُلْتُ	فِي	كُلِّهِمْ	قَوْلَ	أَمْرٍ	مَقْتَصِدٍ					
أَيُّ	الَّذِي	قَدْ	عَادَنِي	فِي	أَسْتِ	الَّذِي	لَمْ	يَعُدْ		

وله [من مخلع البسيط]:

بَعَثْتُ	يَا	سَيِّدِي	بَقْرَعَهُ	فَبَلَّهَا	لِي	وَلَوْ	بَجَرَعَهُ
فَعَنْدَنَا	أَمْرُدُ	قَبِيحٌ	لَكِنَّهُ	فِي	الْفَسَادِ	بَدَعُهُ ^(١)	

(١) الأمرد : الشاب الذي طلع شاربه ولم تنبت لحيته .

وله من قصيدة [من البسيط]:

من ماء وجهي إلا خلتُ ذاك دمي	ما إن أرقْتُ بحرصي قطرةً فجرت
إلا تمنيتُ أني ما مشت قدمي	ولا مشت قدمي في حظٍّ مطعمةٍ
قدمت أجري على حالٍ ولم يدم	جارت دهمي زماناً راكباً طعمي
يوماً ولم أر مطبوعاً على الكرم ^(١)	فما رأيت بخيلاً حال عن بخل

* * *

ذكر نبد من هجائه

قال ابن مطران فيه [من مجزوء الوافر]:

أبا حسنٍ ألا قلّ لي ويئنّ منتهى أدبكُ
بأية حيلةٍ قوِّمت عطف الحاء من لقبك

وقال أبو جعفر محمد بن العباس الوزير فيه [من الهزج]:

من احتاج إلى السيف	فما في فيك يكفيك
وما جارحةٌ فيك	لنا أجرح من فيك
وأطراف المساويك	لثبني عن مساويك

وقال فيه [من الكامل]:

إن الذي أفنى الخطيئة بعدما	أفنى الهجاء وباء بالآثام
وأباد هجاء الخلائق دعبلاً	من بعده وفنى بني بسّام
سيرد أعراض الكرام بمنه	ولطيف قدرته من اللّحام

(١) حال : أي تحوّل وتغيّر .

وقال أبو نصر الهزيمي [من البسيط]:

لم لا تبعُ ولم لا تشتري اللحم ياشرُّ من شتم الأحرار أو شتما
لقد صددت عن القول الجميل فما فتحت مذ كنت إلا بالقبيح فما
عميت من طول ما تهجو الكرام ومن عمي الفؤاد بدا في ناظريك عمي

* * *

ذكر آخر عمره

لما لم تزده الشيخوخة إلا بذاء ، وتولعاً بأعراض الأحرار ، ومجاهرة بالوقعة في المحتشمين والكبار ، ولم يسلم منه أحد من أصحاب السيوف والأقلام ، وشاع من شنيع هجائه للبلعمي ما يبقى على الأيام ، وساءت الآراء فيه ، واتصلت الشكايات منه ، خرج الأمر السلطاني بتأديبه وعرك أديمه . وتطهير الحضرة من خبث أقاويله ، فأنفذ إليه وإلى الشرط مسودا امثل فيه الأمر ، ولزمه حتى عبر به النهر ، فقال فيه ابن مطران الطويل]:

لسانك يا لحام ألقاك في ورطه ومزدحم الأسواء لاقاك بالضغطه
لئن كان لم يدبغ لسانك دابغُ لقد أحسنت بالأمس دبغ استك الشرطه
إلى كم تسوء الناس عيشك سالماً فمت هرمأ يا كلب إن لم تمت عبطة^(١)
ولا نلت ما عمّرت خيراً ولم تزل لدائرة الأسواء رأسك كالنقطة

ثم إن البلعمي ندم على استحيائه ، وخاف بادرة لسانه ، وعلم أنه لم يتوجه إلا لتلقاء نيسابور . فكتب إلى صاحب الجيش أبي الحسن بن سيمجور - وكان قد هجاه أيضاً - في إذكاء العيون عليه ، والجد في تحصيله ، وكفاية شغله ، ووافق ورود الكتاب قدوم اللحم نيسابور ونزوله خان وشمكير ، فم يشعر إلا بهجوم من أزعجه وحمله وضبته^(٢) على البغال سائراً به إلى قائن ، وهو مريض لا يقلل رأسه ،

(١) مات عبطة : أي مات شاباً صحيحاً .

(٢) ضبته : حملة فوق ضبته ، والضبن ما بين الإبط والخاصرة .

فلما شارف المقصد قضى نحبه ، ولقي بصحيفته السوداء ربه .

* * *

٣٢ - أبو محمد المطراني ، الحسن بن علي بن مطران

شاعر الشاش وحسنتها وواحدھا ، فإنھا وسائر بلاد ما وراء النھر لم تخرج مثله إلا أبا عامر إسماعيل بن أحمد بعده ، وكان ابن مطران بخير وحسن حال یرد الحضرة بالمدح ، وينصرف بالمنح ، ويتصرف في أعمال البرد بما یرتفق به ويرتزق منه ، وشعره مدون كثير اللطائف .

حدثني السيد أبو جعفر محمد بن موسى الموسوي قال : كنت ببخارى كثيراً ما تجمعي وابن مطران ، فأرى رجلاً مضطرب الخلقة من أجلاف العجم ، فإذا تكلم حكى فصحاء العرب ، على حبة يسيرة في لسانه ، وكان يجمع بين أدب الدرس وأدب النفس ، وأدب الأنس ، فيطرب بنثره ، كما يطرب بشعره ، ويؤنس يهزله ، كما يؤنس بجده ، وقد عيره اللحم في بعض أهاجيه ، وكان بينهما سوق السلاح قائمة فيتهاجيان ويتهاثران ولا يكادان يصطلحان . وكان اللحم يربي عليه في الهجاء ، ولا يشق غباره في سائر فنون الشعر ، وبلغني أن ديوان شعر ابن مطران حمل إلى حضرة صاحب فأعجب به فقال : ما ظننت أن ما وراء النهر يخرج مثله ، ومر له في الشراب المطبوخ [من الوافر] :

وراح عذبتُها النارُ حتى وقتُ شرابها نار العذاب
يُذِيبُ الهمَّ قبل الحسولونَ لها في مثل ياقوتٍ مُذاب^(١)
ويمنحها المزاج لهيبُ خدٍّ تشربُ ماؤه ماء الشباب

فتعجب من حسن البيت الأول وتحفظه ، وكان كثيراً ما ينشده ، ويقول :

(١) الحسو : من الاحتساء أي الشرب .

كأنه مقلوب قول السرى في الخمر [من البسيط]:

هات التي هي يوم الحشر أوزارُ كالنار في الحسن عقبى شربها النار

ومن سائر شعره قوله في أبي علي البلعمي من قصيدة أولها [من المتقارب]:

وَلَّى الشَّبابَ بَعِشِي نَضِيرَا	أَلَمْ المَشِيبَ بِرَأْسِي نَذِيرَا
لَغْرِبَانِ لَيْلِ شَبَابِي مَطِيرَا	وَأَصْبَحَ ضَوْءُ صَبَاحِ المَشِيبِ
لِسُودِ الطَّيُورِ هَجْرَنَ الوَكُورَا	كَذَاكَ إِذَا لَاحَ نُورُ البُكُورِ
وَإِنْ كَانَ مَنَظَرُهُ مُسْتَنِيرَا	هُوَ الشَّيْبُ مَخْبَرُهُ مُظْلَمٌ
نَ يَجْلُو العَيُونَ وَيُشْفِي الصَّدُورَا	وَقَدْ كَانَ إِظْلَامُهُ فِي العَيُورِ
وَلَوْنُ بَيَاضٍ أَبَى أَنْ يَنِيرَا	فَأَعْجَبَ بِلَوْنِ سَوَادٍ أَنَارُ
يَطَالَعُنَ مِنْ شَيْبٍ فُودِي نُورَا ^(١)	كَأَنَّ الغَوَانِي رَمَدَ العَيُونِ
أُدرنَ عَلَى ذَلِكَ النُّورِ نُورَا	إِذَا هُنَّ قَابِلُنَ نُورَ المَشِيبِ
بَ أَعْرَضْنَ عَنِ ذَلِكَ الزُّورِ زُورَا ^(٢)	وَإِنْ هُنَّ وَاجِهْنَ زُورَ الخُضَا

ومنها في المدح [من المتقارب]:

عُرفاً وَيَخْشَى العَدُوَّ النُّكِيرَا	بَلُونَاكَ حِينَ يَرْجَى الوَلِيَّ
وَلَمْ تَكْ إِلَّا اضْطِرَاراً ضُرُورَا	فَلَمْ تَكْ إِلَّا اخْتِيَاراً نَفُوعاً
أَرَادَ بِكَ اللهُ خَيْراً كَثِيرَا	وَلَمْ تَرُدَّ الشَّرَّ إِلَّا جَزَاءً
لَمَا كُنْتَ بِالسَّوِّءِ تَجْزِي الكُفُورَا	وَلَوْلَمْ تَخَفْ سَوْءَ ظَنِّ الشُّكُورِ

وله من قصيدة [من مجزوء الكامل]:

بِمَا التَّحْفِظَ مِنْهُ ضَائِعُ	تَرْمِي مَكَايِدَ العَدُوِّ
مِنْ وَاقِعَاتٍ بِالمَقَاتِلِ	مِنْ وَاقِعَاتٍ بِالمَقَاتِلِ

(١) فودي: الشعر الذي على جانب الرأس مما يلي الأذنين .

(٢) زور الخضاب: الزور: الكذب، والخضاب الصباغ الذي يصنع به الشعر لإخفاء الشيب فيه .

وله من تشيب قصيدة [من البسيط]:

أخو الهوى يستطيلُ الليل في سهره والليل في طوله جارٍ على قدره
ليل الهوى سنة في الهجر مدته لكنّه سنة في الوصل من قصره^(١)

وله في مثل هذه الصنعة وإن كانت في معنى آخر [من البسيط] :

كان التصرف في خفض وفي دعة أقلّ مدته فيما يقال سنه
فالآن قد صار من شؤمٍ ومن نكدٍ بالخفض من سنة حتى يقال سنه

وله في استهداء العنب [من مخلع البسيط]:

يا أحمدَ الأكرمين سيرة فيهم وأذكاهم سريره
ومن بهماته العوالي أضحت عيون العلا قريره
ومن يرى بشره بشيراً أمواجه ثرة غزيره
لترمني راحتك شهاباً مضلعاتٍ ومستديره
أشبَّ العنبر المعلى مسكاً به دهمه يسيره^(٢)
بلادٌ مجموعها ثلاثُ الهند والترك والجزيره
ولا يكن حبسها طويلاً عني وأعدادها قصيره

وله من نيروزية [من الخفيف]:

قد أتاك النيروز وهو بعيد مرّ من قبله قريباً رستيل
سلّ سبيلاً فيه إلى راحة النفس براحٍ كأنها سلسبيل
واشتمالاً على السرور وهل يجمع شمل السرور إلا الشمول^(٣)
وهدايا النيروز ما يفعل النا س ولكن هديتي ما أقول

(١) السنة الأولى : العام، والسنة : اللحظة القليلة ، الغمضة الغفلة .

(٢) أشبَّ : جمع وخلط ، والدهمة : السواد .

(٣) الشمول : الحمرة .

وله من تشبيب قصيدة [من الوافر]:

مهفهفة لها نصف قضيب كخوط البان في نصف رداح^(١)
حككت ليناً ولوناً واعتدالاً ولحظاً قاتلاً سمر الرماح

وله أيضاً من تشبيب قصيدة أخرى [من الطويل]:

ظباء أعارتها المها حسن مشيها كما قد أعارتها العيون الجآذر^(٢)
فمن حسن ذاك المشي جاءت فقبلت مواطىء من أقدامهن الصفائر

أخذه من قول ابن الرومي فزاد فيه وحسنه [من المنسرح]:

ووارد فاحم يقبل ممشاه إذا اختال مشية عذره

وقال في استهداء حنطة في سنة قحط ببخارى [من الرجز]:

يا أيها ذا السيد المؤمل	أرسي من الدهر علي كلكل
يكاد أن ينفك منه المفصل	ثلاثة عيشي بهن مثقل
القحط والعيلة والتعطّل	لي من بني الروم إمام مقول
قد باسط السادة فيما يؤكل	ولست ممن لا غتنام يسأل
لكن إذا أعيانى التمحّل	والحنطة السمراء حين تحمل
أحسن من بيضاء حين ترفّل	والحبّ للنفس الحبيب الأول
فليس لي إلا به تعلّل	تثور داري مهمّل معطل
ومطبخي مع الخوان مهمّل	والسوق قفر ليس فيها مأكّل
والضيق في ذا العام ضيق يشمل	لا زلت من جاء ومال تبذل
أفضل حرّاً يرتجى ويسأل	لا زالت الدنيا عليك تقبل

(١) خوط البان: غصن البان، والرداح: من النساء الضخمة الثقيلة الأوزان، ومن الشجر: العظيمة.

(٢) الجآذر: البقر الوحشي.

بخيرها والخير منك يقبل ما زرع البُرُّ وطال السنبِلُ^(١)

وقال في أبي حاتم محمد بن الربيع الطوسي [من المتقارب]:

كأنَّ أبا حاتمٍ لا يزا ل يصرف في الصرف لافي العمل
إذا حلَّ أرضاً دنا ظعنه توقَّعُ رحيلاً إذا قيل حلَّ^(٢)
فتى لا يبيت على بطنة ولا يأكل الخبز إلاَّ بخلٍ^(٣)
فتى عنده أنه يستقلُّ بكلِّ الأمور ولا يُستقلُّ
ويوجب تدبيره أن يكون رئيساً يُعزُّ ولا يُستذلُّ

وله في ثلجة سقطت بعد النيروز وبرد أضر بالأنوار [من الكامل]:

عجباً لأذر جاء في آذار وتفاوت الأفلاك في الأدوار
طلعت عشاءً للبيات سحائبُ أنواذهن خسفن بالأنوار
أبدى الربيع لنا شتاءً مضمراً يأبى ظهور ضمائر الأشجار
ندم الشتاء على التقضي فانشئ لينال منتقما بقايا الثار

وكتب إلى صديق له رأى عنده غلاما فاستشرطه [من المنسرج]:

رأيت ظبياً يطوف في حرمك أغنَّ مستأنساً إلى كرمك
أطمعني فيه أنه رشاً يرشى ليحشى وليس من خدمك
فاشغله بي ساعةً إذا فرغت دواته إن رأيت من قلمك

وله وقد سمع قول محمد بن عبد الله بن طاهر : ما جمشت الدنيا بأظرف من

النبيذ [من المتقارب]:

ألا إن دنياك معشوقةٌ تجمشها كلُّ عيشٍ لذيدٍ^(٤)

(١) البرّ : القمح .

(٢) الظعن : الرحيل .

(٣) البطنة : التخمّة من كثرة الأكل .

(٤) التجميش : المداعبة .

ولكتها قط ما جمشت من الملهيات بمثل النيد

وله من قصيدة [من السريع]:

كم غصت في مدحك فكراً على درّ نفيس غير مثقوب
ولم يغص رأيك يوماً على برّي ولا رأي لمكذوب
إن كان موعودك الجود لي أكذب من موعود عرقوب
فإن إخبارك في مدحتي أكذب من ذئب ابن يعقوب

وله من أخرى [من البسيط]:

يا من إذا ماح أثنى عليه بما في نفسه قام من مرآة شاهدة
والمرء مرآه مرآة يلوح بها في الغيب منه لعيني من يشاهده

ألم فيه بقول الرومي [من الخفيف]:

وإذا ما محابر الناس غابت عنك فاستشهد الوجوه الوضاء
بشرّ البرق بالحيا وسنا الصبح بأن يقلب الدجى أضواء

وله من أخرى [من البسيط]:

شهر الصيام جرى باليمن طائره عليك ما جدّ باديه وعائده
ودام قصرك مرفوعاً مجالسه لرائيه ومنصوباً موائلده
ودام صدر عظيم أنت ماهده وعش لملك عزيز أنت واحده
فأنت منظره الأبهى وناظره ال أعلى ومنكبه الأقوى وساعده

وله في أخوين كريم ولثيم [من الخفيف]:

بين أخلاقه التي هي أخلاق وأخلاقك العتاق مسافه
ولعمري لفي ادعائك إيا ه ابن أم إبطال علم القيافه^(١)

(١) القيافة : اتباع الأثر .

وقال في وصف الشتاء [من مجزوء الرمل]:

وشتاءٍ محمقٍ الكلب فلا يغلو قديرةً
كلما رام نباحاً زمّ فاه زمهريره^(١)

وله في أكل [من مجزوء الرجز]:

إنّ أبا طالبنا له فمّ كالמעده
يهضم ما يمضغه من غير أن يزدده

وله [من مجزوء الخفيف]:

والمودّات ما خلت من تهادٍ مكدره
كطبخٍ خلا من اللحم يدعى مزوره^(٢)

وله ، وهو من ظرفه [من المنسرح]:

تزهى علينا بقوس حاجبها زهو تميمٍ بقوس حاجبها^(٣)

وله في أبي الفضل المعافى بن هزيم الأبيوردي [من الخفيف]:

أصبح الملك مبتلىً بالمعافى وهو ممّا به ابتلاه معافى
ورد الباب لانتصافٍ من الدهر فأفنى الصحاح والأنصافا

وقال في اللحام وقد اعتذر إلى بعض الرؤساء من هجائه [من المنسرح]:

قلّ للحيحيم إنّ مدحك عن هجوك ما إن يقوم معتذرا
وهل يعفى على إساءته تبصيص الكلب بعد ما عقرا^(٤)

(١) زمّ: أقفل ، والزمهرير: البرد القارس .

(٢) المزورة: مرقه تصنع للمريض خالية من الأدهان .

(٣) الحاجب الأول حاجب العين ، والحاجب الثاني هو حاجب بن زرارة حكيم تميم وخطيبها .

(٤) العقير: العض .

وله من قصيدة [من البسيط]:

طال افتتاني بظبي وردُ وجنته يجنى فؤادي وكفّي ليس تجنيه
نصرٌ ينمُّ على أسرار نعمته لباسُهُ فكما يكسوه يعريه
فكيف أئتمه واللمحظ يؤلمه والشّم يكلمُهُ والضمُّ يدميه^(١)

وله من أخرى [من الخفيف]:

ظبي أنسٍ فدته وحش الأطباء شفّ جسمي بطول منع الشفاء
شادنٌ يرتعي سويداء قلبي حسن يرنو من مقلّة سوداء^(٢)
شبٌّ فيه الشباب نار جمالٍ عدّلت ناره بماء البهاء

وله في وصف ثوب أهداه إليه صديق [من الوافر]:

أبا نصرٍ سمحتَ لنا بثوبٍ حكى في فرط ضيق العرض باعكُ
سخافةً نسجه تحكيك لكنّ غلاظةً نسجه تحكي طباعكُ

وله من قصيدة كتب بها إلى إخوان له بالشاش من رباط كان التجأ إليه من فتنة وقعت
بالناحية [من الكامل]:

فزتم بآنس ألفٍ وخلاط وتركتُموني في كنيفٍ رباط^(٣)
وسعتْ صحنون فيه إلا أنها من ضيق صدري مثل يمّ خياط^(٤)
جاورت فيها نسوةٌ ساسيةٌ نسل الحرام حلائل السقاط
سلب الزمان شعورها وشعورها طهر السّواك وزينة الأمشاط^(٥)

(١) يكلمه : يجرحه .

(٢) الشادن : الغزال ، ويرنو : يتطلع .

(٣) الكنيف : المرحاض ، والرباط : الخائفاء للصوفية .

(٤) سمّ الخياط : إبرة الخياط، وفي القرآن الكريم : حتى يلج الجمل في سمّ الخياط ، أي الحبل الغليظ في فتحة الإبرة .

(٥) السواك : عودٌ يستعمل لتنظيف الأسنان من بقايا الطعام .

يحملن أطفالاً كأنّ وجوههم
 فيهن فتياتٌ إذا غنّيني
 أمعاؤها أوتارها وبطونها
 ولهن أزواج على أكتافهم
 إن يسهروا لتسامر فكلامهم
 أو يرقدوا فحلوقةم وأنوفهم
 وخلال ذلك يسمعونك كارهاً
 حتى يغص بع الرباط كأنما
 ختموا الطريق بطينة بطينة
 لا أستطيع تحفظاً منها ولو
 أمشي بأطراف الأصابع بينها
 وبراغث مثل الخطوب طوارق
 يحسون ماء حياتنا فجلودنا

طلّيت بصمغ من ييس مخاط
 عنيّني وقصمن ظهر نشاطي^(١)
 أعوادها واللحن رجع ضراط
 كف معلقة من الآباط
 لا يستبان كصرة الوطواط
 ممّا تغطّ كحقة الخراط
 صوت الضراط كمثل شقّ رباط
 إرساله من غير ذات رباط
 ليفكّ ذاك الختم رجل الواطي
 أعملت فيه توقي المحتاط
 حذراً كأنّي فوق حدّ صراط
 حذب الظهور غليظة الأوساط
 كمصاحف محمّرة الأنقاط

٣٣ - أبو جعفر محمد بن العباس بن الحسن

هو ابن العباس بن الحسن وزير المكتفى والمقتدر ، وأخباره مشهورة ،
 وأيامه في الوزارة المذكورة . وأبو جعفر هذا كاتب بليغ حسن التصرف في النظم
 والنثر ، رمت به حوادث الدهر إلى بخارى ، فأكرم مثواه كالعادة كانت للملوك
 السامانية في معرفة حقوق الناس وأبناء النعمة وأغذياء الرياسة ، لا سيما الجامعين
 إلى كرم النسب شرف الأدب ، وتقسمت أيامه بين الأولوية السنية ، والطلعة الهنية .
 وكان على تماسك حاله وانتعاشه وارتياشه شاكياً لزمانه . مستزيدا لسلطانه ، وله
 القصيدة التي سارت في البلاد وطارت في الأفاق لحسن دياباجتها وبراعة

(١) العناية : التعب ، وقصمن : قطعن .

تجنيساتها ، وكثرة رونقها ، وأنشدنيها غير واحد ممن أنشده أبو جعفر إياها ، وأولها
[من الهزج] :

لئن أصبحت منبوءاً بأطراف خراسان
ومجفواً نبت عن لذّة التغميض أجفاني^(١)
ومحمولاً على الصعبة من إعراض سلطاني
ومخصوصاً بحرمانٍ من الأعيان أعياني^(٢)
وصرفٍ عند شكواي من الأذان آذاني
ومكلوماً بأظفارٍ ومكدوماً بأسنان
وملقى بين أخفافٍ وأظلافٍ توطّاني^(٣)
كأنّ القصد من أحداً ثأزماضي إزماني^(٤)
فكم مارستُ في إصلاحٍ حشاني ما ترى شاني
وعاينت خطوباً جرّ عتني ماء خطبان
أفادت شيب فوديّ وأفنت نور أفناني^(٥)
أغصّنتني باريقي لدى إبراق أغصاني
وقادنتني إلى من هو عني عطفه ثاني
سوى أني أرى في الفضل فرداً ليس لي ثاني
كأنّ البخت إذ كشّف عني كان غطّاني
وما خلاني إلّا زماناً فيه خلّاني^(٦)
سأسترفد صبري إنّه من خير أعواني

(١) نبت : ابتعدت وتجاغت .

(٢) أعياني : أتعبني وأسقمني .

(٣) توطّاني : أي تدوسه من الوطء .

(٤) الإزمان : الأمراض .

(٥) نوّر الأفنان : زهور الأعصان .

(٦) الخلّان : الأصحاب ، وخلّاني : تركني وتخلّى عني .

وأستنجد عزمي إنه والحزم سيان
 وأنضو الهم عن قلبي وإن أنضيت جثماني^(١)
 وأنجو بنجاتي إن قضاء الله نجاني
 إلى أرضي التي أرضى وترضيني وترضاني
 إلى أرض جناها من جنى جنة رضوان
 هواء كهوى النفس تصافاه صفيان
 رخاء كرخاء شر د الشدة عن عاني^(٢)
 وماء مثل قلب الصب قد ريع بهجران
 رقيق الال كالال وفيه أمن إيمان
 وترب هو والمسك لدى التشبيه ترابان^(٣)
 فإن سلمني الله وبالصنع تولاني
 وأولاني خلاصاً جا معاً شملي بخلصاني
 وأراني أودائي وآواني لا يواني
 وأوطاني أوطاني وأعطاني أعطاني
 وأخلي ذرعي الدهر وخلاني وخلاني
 فإني لا أجد العو د ما عاد الجديدان
 إلى الغربية حتى تغرب الشمس بشروان
 فإن عدت لها يوماً فسجاني سجاني^(٤)
 وللكوت الوحي الأحمر القاني ألقاني^(٥)

(١) أنضو : أخلع .

(٢) العاني : من المعاناة .

(٣) الترب : الرفيق والصاحب .

(٤) السجّان : المستول عن السجن . وسجّاه : مدّده بعد انقضاء حياته .

(٥) الوحي : الإبراع ، الملك ، النار .

وأنشدني أبو الفرج يعقوب بن إبراهيم قال : أنشدني أبو جعفر بن العباس لنفسه
[من الخفيف] :

لست في ذا العذار والأمرد الحا سر عن رأسه العذار بخالغ
الوقايات في الوقاية عندي فلهذا مقانعي في المقانغ
وأنشدت له أيضاً [من الطويل] :

بوجهك يا من رق منه أديمه وراق الدمى حسنا أريق دمي عمدا
فأقسم أن لو قسمت صبوتي على بسيم الصبا ما نسّم النسم البردا
وأنشدني أبو القاسم الأليماني قال : أنشدني أبو جعفر لنفسه في أبي جعفر العتي
[من الوافر] :

ألا من مبلغ المكروب قولاً بدا عن نصح مأمون المغيب
جعلت الدهر حربك وهو سلمٌ فلم تسلّم عليه من الحروب
وحالفت العبوس لغير بؤسٍ فأسلمك القطوب إلى الخطوب

وكان بالحضرة رجل من الظاهرية يقال له أبو العباس الظاهري ، ينادم
الكبراء ، ويتعاطى آلة اللهو ، وربما يشعر ، وكان يلقب بيشار لسوء في عينه
وعبث منه بالشعر ، فقال فيه أبو جعفر [من البسيط] :

إنّ الأمير أبا العباس بشارٌ قرمٌ نمته الى العليا أخيار^(١)
فما يفارقه في الحجر مزهره وما يفارقه في الحجر مزمار
وقال فيه أيضاً [من السريع] :

أضحى أبو العباس مع علمه بالقلب والإبدال مُفتتاً
فعينه غينٌ إذا ما رنا وغينه عينٌ إذا غنا

(١) القرم : السيد ، نمته : من الانتماء أي جعلته ينتمي إلى العليا .

وقال فيه وكانت له أم ولد مغنية تحضر معه مجالس الأنس [من المنسرح] :
بشارٌ لولا غناء حرمتك الجامع بين الإحسان والطيب
لكنت مثل المجذوم مجتنباً إن لم تصدق فقل لها توبي^(١)

* * *

٣٤ - ابن أبي الثياب أبو محمد

من ندماء ابن العميد ، وله فيه شعر كثير ، وكان فسيح مجال الفضل ، وافر
الحظ من الظرف ، ولما فارق ابن العميد وورد بخارى نجحت سفرته وحظي
بالقبول ، ونام فضلاء الصدور ، وهاجى أبا جعفر محمد بن العباس ، فمن قوله
فيه [من السريع] :

إن ابن عباس أبا جعفر يذلُّ للناكة أوراكة
تراه من تيهٍ ومن نخوة كأنه ناك الذي ناكه
وأنشدني السيد أبو جعفر الموسوي له في أبي العباس وكان يلقب بطويس
[من المجتث] :

وقائل قال سراً عن غير لبٍ وكيس^(٢)
لم لا تنيك طويساً وأنت جار طويس
فقلت كيف افتراشي عنزاً ولست بتيس
وأنشدني حاضر بن محمد الطوسي لابن أبي الثياب في كتاب معنون
بالحمرة [من الكامل] :

هذا كتابٌ فتى جفاؤك مضمراً ناراً من الأشجان بين ضلوعه

(١) المجذوم : المصاب بمرض الجذام الذي يصيب أعضاء الجسم فتأكل وتسقط .

(٢) اللب : العقل ، والكيس : الظرف والأدب .

ودليله في فيض مقلته دماً أن الكتاب مخضَّبٌ بنجيعة^(١)
ووجدت له بخط الرئيس أبي محمد الميكالي رحمه الله تعالى [من الخفيف] :

يا هماماً يطول كلُّ همامٍ بالقديم المشهود في الأقوام
والحديث الذي أذاع حديثاً عن سماء تهمني بغير غمام
أنت بحرٌ يجيش بالدرِّ لكنَّ نَظْمُ درِّ البحار للنظام
فارعٌ للشعر ذمَّةٌ في وليٍّ قد كفاه الولاء كلَّ ذمام
وأعدُّ أوجه المنى لبنيتها ضحكاً عن مدامع الأقلام
فسواد التوقيع يجلو عيني بياضاً من الأيادي الجسام
لست أشكو إليك أيام دهرٍ أنت فيها ذخيرةٌ للأنام
حسبي الله في إدامة نعماء لك للمسلمين والإسلام
وأنشدني بديع الزمان له من قصيدة [من الطويل] :

وهاجرة تشوي الوجوه كأنها إذا لفحت خديَّ نارُ تاجُجْ
وماء كلون الزيت ملحٌ كأنما بوجدي يغلي أو بهجرك يُمزجْ
تعسَّفها السير الأشدُّ إلى فتى سنا وجهه جنحُ الدجى يتبلَّجُ^(٢)
وأنشدني أبو سعد يعقوب له في وصف شمعة [من المتقارب] :

ومجدولةٌ مثل صدر القناة تعرَّت وباطنها مكتسي
لها مقلَّةٌ هي روحُ لها وتاجٌ على الرأس كالبرنس
إذا غاركتها الصبا حرَّكتُ لساناً من الذهب الأملس
فنحن من النار في أسعدٍ وتلك من النار في أنحس
وقد ناب وجهك عن حسنها وعن ذا البنفسج والنرجس

(١) النجيعة : الدم .

(٢) العسف : التعب يتبلَّج : يشرق ، والسنا : الضوء ، والدجى : الظلام .

فيا حامل العود حُثَّ الغنا ويا حامل الكأس لا تحبس^(١)

٣٥ - أبو الحسن علي بن هارون الشيباني

وليس بالمنجم

من فضلاء الطارئين على تلك الحضرة ، المتحلين بالأدب والشعر ،
الحاصلين بين أنياب الدهر ، وهو القائل لوزير الوقت [من الكامل] :

حَمَلُ الرِّياسَةِ ما عِلْمَتْ ثَقِيلُ والدَّهرُ يَعدِلُ مرَّةً وَيَمِيلُ
يا رَاكِبَ الأَمانِ في سُلطانِهِ انظُرْ إلى الأَيامِ كيفَ تَحوِلُ^(٢)
هي ما سَمِعْتَ وما رَأَيْتَ سَبيلَها التَّحوِيلُ والتَّنْقِيلُ والتَّبدِيلُ
لا تَعتَلِلُ بالشَّغْلِ إِنَّكَ إِنَّمَا تُرْجى لأنَّكَ دائِماً مَشْغولُ
وإذا فَرِغْتَ ولا فَرِغْتَ فغَيَّرَكَ المَقْصودُ لِلحاجاتِ والمَأْمولُ

أخذه من قول أبي العباس لما قال له عبد الله بن سليمان «اعذرني فإني مشغول» فقال [من الطويل] :

ولا تَعتَذرُ بالشَّغْلِ عَنَّا فَإِنَّمَا تَناطِبُكَ الأَمالُ ما اتَّصَلَ الشَّغْلُ
ولهُ [من مجزء الرمل] :

أَيُّها التَّائِبُ في الدَّولَةِ مَهلاً في اقْتِدارِكَ
كَمَ إلى كَمَ تَجْعَلُ التَّيَّهَ عَلَينا مِن شِعارِكَ^(٣)
ما تَبالَى بِخَرابِ الدَّ اأَرْضِ في عَمَranِ دارِكَ

(١) حث : أي أسرع بالغناء ، لا تحبس : لا تمنع .

(٢) تحول : أي تتحول وتتغير من حال إلى حال .

(٣) التيه : التكبر .

أي شيء كان لو فكّرت في دار قرارك
ته كما شئت وصل واسد ط علينا في جوارك
فلنا صبر على ذا ك إلى يوم بوارك^(١)

ولد في منصور بن بابقرا [من مجزوء الرزجز]:

يا مكثراً للعظمه أسرفت في الكبر فمه
فكم رأينا من كبير كبره قد قصمه^(٢)
غدت على أبوابه مواكب مزدحمة
فراح قد صب الردى على الثرى جهرأ دمه
وانتهبت أمواله كذاك عقبى الظلمه^(٣)
فاحذر وبادر إنني أرى أموراً مظلمه
ترى لها وقت الضحى كمثل لون العتمه

* * *

٣٦ - أبو النصر الهزيمي المعافى بن هزيم

أديب أبيورد وشاعرها ، وله كتاب محاسن الشعر ، وأحاسن المحاسن ،
وكان يكثر المقام ببخارى ، ويخدم فضلاء رؤسائها ، ويتروّد حسن آثارها ، ثم
يعاود أبيورد ، وينقلب الى معيشة صالحه ، وقد دوّن شعره ببخارى وأبيورد .

وحدثني أبو القاسم الأليماني قال : لما احتضر الأمير الرشيد أبو الفوارس
عبد الملك بن نوح بالسقطة من مهر صعب غير مروض ركه ، وقام الأمير السديد
أبو صالح منصور بن نوح ، فقال في تلك الحال القائلون ، وتصرفوا بين التعزية

(١) البوار : الهلاك .

(٢) كبره : أي تكبره ، وقصمه : قضى عليه .

(٣) عقبى : أي العاقبة وهي النهاية والنتيجة .

والتهنئة ، واجتمعت قصائد كثيرة لم يرتض منها إلا قصيدة الهزيمي التي أولها
[من البسيط]:

الطرفُ بالدمع أولى منه بالنظر
ألم خطبُ عظيمٌ لا كفاء له
هذا الذي كانت الأيام توعدنا
مدّت إلى الملك الميمون طائره
تركنَ حارس دنيانا وفارسها
ما بين غبطته حياً وغبطته
إلا كرجع الصدى في وشك مدته
ياميتة لم يمتها قبله ملكٌ
كان الموفق إلا عند ركضيته
وكان أقدر مخلوق على فرسٍ
وكلُّ عمرٍ وإن طالَت سلامته
فالحمد لله إذ جلّت مصيبته
في دعوة القائم المنصور دعوته
من كان يصلح للإسلام يحرسه
سوى أبي صالح غيث الندى الهمر

فخله لنجيع منه منهيم
رزء يذم عليه كل مصطبر
به وما لم نزل منه على حذر
أيدي الحوادث والأيام والغير
فريسة بين ناب الموت والظفر
في الملك والهلك والايوان والعفر^(١)
أو كالهنيهة بين السيل والمطر
فيها لكل عظيم أعظم العير
وللمنون اعتلالات على البشر
أبو الفوارس لولا قدرة القدر
لابد يوماً قصاره إلى قصر
عن المصيب من الآراء والفكر
منصور المعتلي في القدر والخطر
والتاج يلبسه والقصر والسرر
ليث الوغى الهصر غصن العلى الخضر^(٢)

هذه التصريعات خطأ في صنعة الشعر على أن أبا تمام قال : [من الطويل] :
يقول فيبدع ويمشي فيسرع ويضرب في ذات الإله فيوجع
ومما يستجاد من شعره قوله للبلعمي من قصيدة وصف فيها الشتاء والبرد
[من البسيط]:

وشتوق شت أبناء السبيل لها وغار في نفق منها المغاوير

(١) العفر : التراب ، ووجه الأرض .

(٢) الهمر : الهاطل ، والهصر : القوي الذي يكسر فريسته ويقضي عليها .

والماء جلدته قرأً قوارير^(١)
وللعيون من الشفاف تغوير
فللجنوب من الجنين تقوير^(٢)

يشكو جليدهم مس الجليد ضحىً
فللحى من لحاء البرد أغشيةً
إذا تنكبت النكباء عن أذنٍ
وقوله [من الطويل] :

فصن أملّي يا خير من ركب الطرفا
وقول حبيبٍ يا أكابرنا عطفًا

إليك ركبْتُ البحر والهول والدجى
أذكرك القربى من العلم بينا
وقال من أخرى [من المتقارب] :

ونفضتُ عن وجه حالي الغبارا
عليّ كبيتٍ من الشعر سارا
ولا مرتين ولكن مرارا

لئن قمت في حاجتي آنفاً
فكم منّة لك في سالفٍ
وما كان نفعك لي مرةً

وله في قصيدة في الإسكافي [من الكامل] :

متنزةً الألباب قيد الأعين
نال النبيُّ بها صلاة الألسن

خطُّ كما انفتحت أزاهير الربى
وبلاغةً ملء العيون ملاحهً

ومن قصيدة يشكر فيها بعض الصدور على بذله المنشور في صيانة ضياعه .
[من البسيط] :

حمدي عليك وخير الحمد ما وقفا
لا تعرف النزل والأجعال والكلفا^(٣)
فكيف شكري له إن أسقط العلفا

أوليتني في ضياعي منك ما وقفتُ
لما بذلت من المنشور فهي حمىً
هذاك شكري على إسقاطه مؤناً

(١) الجليد : الصبور ، والجليد تجلّد الماء من البرد من البرد ، والقوارير : القناني . وقرّ : أي استقرّ .

(٢) تنكبت : مال وتنحى ، والنكباء : كلّ ريح من الرياح الأربع انحرفت ووقعت بين ريحين ، والتقوير : التقطيع ، وقور الشيء : جعل في وسطه خرقاً مستديراً .

(٣) الأجعال : من الجعالة : وهي أجر العامل وما يعطى المحارب في الحرب ، والكلف من الكلفة .

إذا تراني كمن يحيا بزاوية في الخلد ثم ينال الحور والغرفا

وكتب ببخارى يستهدي التبن [من مجزوء الرمل] :

خيرُ ما يُهدي إلى مر تبط البرذون تين^(١)
واحشاميك على ما بيننا في الود غين^(٢)
ما بمن شجعه جو دك عن رفدك جبن^(٣)
أنت للخائف والمعدم إيسار^(٤) وأمن^(٥)
فلهذا أنت كنت^(٦) ولهذا أنت ركن^(٧)

وله من أبيات في استهداء الفحم [من المتقارب] :

هب البرد بالري لم ينسج وفي سقط البرد لم يدرج
رسولك ذاك الذي قال لي أحيء مع الفحم أم لا أحيي ؟

وأنشدني السيد أبو جعفر الموسوي قال : أنشدني الهزيمي لنفسه [من البسيط] :

من كف سيف علي عن مقاتله كفت غرب لساني عن تناوله^(٨)
من الفضول دخولي في مظالمه وتركى القول في أقصى فضائله
الله يسأل عبداً عن جريرته وعن جرائم قوم غير سائله^(٩)

وله أيضاً [من البسيط] :

تیه المزور على الزوار يمنعهم عن الزيارة فامنعهم عن التيه
والناس ما لم يروا حرصاً بصاحبهم ورغبة فيهم لم يرغبوا فيه

(١) البرذون : دابة دون الفرس غليظة الأعضاء تتخذ للحمل .

(٢) الغين : ظلم وانتقاص للحق .

(٣) الرفد : العطاء .

(٤) الغرب : السهم .

(٥) الجريرة : الذنب .

وله في ضيعته [من الوافر] :

كفتني ضيعتي مدح العباد	وظعناً في البلاد بغير زاد
غدت سكني وخادمتي وظثري	وفيها أسرتي وبها تلادي ^(١)
ألا فليعتمد من شاء شيئاً	فحزني ليس يعدوه اعتمادي
صديق المرء ضيعته وكم من	صديق في الصداقة مستزاد
يخونك في المودة من تواخي	ومالك لا يخونك في الوداد
أخوك على المعاش معين صدق	ومالك للمعاش وللمعاد

وله ، وهو من قلائده السائدة [من مخلع البسيط] :

لما رأيتُ الزمان نكساً	وفيه للرفعة اتضاع
كلُّ رئيسٍ له ملال	وكلُّ رأسٍ له صداع
لزمْتُ بيتي وصنْتُ عرضاً	به عن الذلّة امتناع
أشرب ممّا ادخرت راحاً	لها على راحتي شعاع
لي من قواريرها ندامى	ومن قراقيرها سماع

هذا بيت القصيدة ، وهو أمير شعره .

وأجتنى من عقول قومٍ قد أقفرت منهم البقاع
بشرٌ وكعبٌ أمام عيني هذا يغوث وذا سواع

وحدثني أبو الحسن الحمدوني قال : كان أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر الجرجاني الملقب بالحضرة طير مطراق ورد طر أبيورد على عمل البندرة ، واتخذ الهزيمي خليلاً ونديماً ومدرساً ، ثم حدثت بينهما وحشة وخرج الهزيمي إلى ضيعة له ، وبلغ أبا بكر أنه هجاه ، فأشخصه بعدة من الفرسان وسيب عليه ما كان سوغه إياه من خراجه ، قال : واستقبلني عند دخوله البلد مع المشخصين ، فلما

(١) الظئر : الأنثى المرضعة لولد غيرها . والتالد : الموروث من المال القديم .

وقع بصره علي قال [من مجزوء الرجز] :

بندارنا من أدبه أوقعنا في لقبه

فقلت له : يا أبا نصر ، من هنا أتيت ، وثبتت عناني معه إلى البندار ،
فأصلحت أمره ، ولم أبرح حتى تصالحا وتمالحا .

وأنشدني أبو القاسم أحمد بن علي المظفري له [من البسيط] :

قد كنتُ أنظر قبل اليوم في كتبٍ فيها الحكايات والأشعار والخطبُ
ودفتر الطبِّ ممّا لا أَلْمُ به إذ لم يكنْ فيه لي من صحتي أَرْبُ^(١)
فجاءت التسع والخمسون تحوجني إلى العلاج فما لي غيره كتبُ

وكان للهزيمي أخ يكنى بالوليد لا بأس بشعره ، كقوله في رجل يكنى أبا
سهل [من الرجز] :

يكنى بسهل وهو حزنٌ أوعرٌ من ذاك قيل للغراب أعور^(٢)

* لأنه من الطيور أبصر *

وقوله [من الكامل] :

في الكذب أنت أبا الفوارس فارسٌ وعن الفوارس في الصناعة راجل
فتسابق الأدباء في ميدانهم وأبو الفوارس خلفهم متحاجل^(٣)

(١) أَلْمَ به : من الإلمام وهي المطالعة والمعرفة البسيطة بالشيء والأرب : الغاية .

(٢) الحزن : الأرض الصعبة المسالك .

(٣) متحاجل : يتبختر في مشيته .

٣٧ - أبو نصر الظريفي الأبيوردي

حدثني السيد أبو جعفر الموسوي قال : كان للظريفي علي الهزيمي درس ، ومنه اقتبس ، فخرج كاتباً شاعراً ظريفاً كلقبه وكان وارداً على الحضرة كثير الإقامة بها ، مداخلها لفضائلها ، متصرفاً منها على أعمال البريد ، وكان أبو علي البلعمي يكرمه ويناديه ، فاقترح عليه قصيدة يسلك فيها طريق المتقدمين فخامة وجزالة فأنشده من الغد قصيدة في مدحه كأنها صدرت عن أحد فحولة الشعراء الجاهليين فارتضاها وخيره في أعمال البريد ببلاد خراسان ، فاختر ببلده أبيورد وتنجز المنشور والصلة وشخص .

ومن مشهور سائر شعره قوله [من الوافر] :

أرى وطني كعشٍ لي ولكنَّ أسافر عنه في طلب المعاش
ولولا أنَّ كسب القوت فرضٌ لما برح الطيور من العشاش

وقوله [من السريع] :

سرُّ الفتى من دمه إن فشا فأولِّه حفظاً وكتماناً^(١)
واحتمط على السر بإخفائه فإنَّ للحيطان آذاناً

وقوله [من المجث] :

يكفُّ ليلاً ويفسو وسط الندى نهارة
يديم ذلك حتى يملا بخارى بخارا

وقوله [من الوافر] :

حوى المصري أنوع المخازي وراح وماله فيها موازي
ولو جمعت مخازيه لزادت بكثرتها على كتب المغازي

(١) فشا : شاع وانتشر فأوله : أي اهتم واعتنى به .

وقوله [من الكامل] :

يا دولةً خلصت لأعور معورٍ ما أنت إلا دولةٌ عوراء

وقوله [من السريع] :

خافوا على المُلْك عيون العدا فصيروا عودته أعورا^(١)

وحكى أنه تقلد مرة عمل البريد بالجبل ، وكان أمراؤها لا يقيمون لأصحاب البريد وزنا ، فلما وصل إلى الوالي بها قال له : أنت صاحب البريد ؟ قال : نعم . فاستظرفه ونادمه وأفضل عليه .

ودخل يوما على بعض وزراء الحضرة فجلس في أخريات الناس ، فقليل له في ذلك ، فقال : لأن يقال لي ارتفع أحب إلي من أن يقال لي اندفع .

٣٨ - رجاء بن الوليد الإصبهاني ، أبو سعد

من جلة الكتاب والعمال المتصرفين من الحضرة على أعمال خراسان وكان له أدب فائق وشعر رائق ، وكان به طرش ، فإذا كلمه من لا يسمعه قال له : ارفع صوتك فإن بأذني بعض ما بروحك .

وتنسب هذه النادرة أيضاً إلى الناصر الأطروش صاحب طبرستان ويجوز أن يكون سمعها رجاء عنه فاستعملها .

وكان في ذكاء القلب وجودة الحدس بحيث يظن لكل ما يكتب بالأصبع على يده ، ويستغنى بذلك عن السماع ، فيجيب عنه .

وفي التبجح بطرشه يقول [من الطويل] :

حمدتُ إلهي إذ بليت بحبهٍ على طرشٍ يشفي ويغني عن العذرِ

(١) العودة : ما يتعوذ به المرء كالتيممة وغيرها .

إذا ما أراد السرّ الصق خدّه بخدي اضطراراً ليس يدي الذي أدري
وإنما هذا به مثال من قال في أحول [من الطويل] :

حمدت إلهي إذ بليت بحبه على حولٍ يغني عن النظر الشزراً^(١)
نظرتُ إليه والرقيب يخالني نظرت إليه فاسترحت من العذر
ومن مُلح رجاء قوله في باقة ريحان [من الطويل] :

وشمّامة مخضرة اللون غضة حوت منظراً للناظرين أنيقاً
إذا شمّها المعشوق خلت اخضرارها ووجتته فيروزجاً وعقيقاً
وقوله [من الكامل] :

هذي المدام وهذه التحف والكأس بين الشرب تختلفُ
فكأنهم وكأنّ ساقهم سين ترى قدّامها ألفُ
أخذه من قول ابن المعتز [من الخفيف] :

وكانّ السقا بين الندامى ألفات بين السطور قيامُ
وأنشدني أبو نصر سعد بن يعقوب له نتفا مليحة ، منها [من الكامل]
خط يريك الوصل في طوماره متبسما والهجر في أنفاسه
فكأنما مقل الغواني كحلت من حسن أسطره على قرطاسه

٣٩ - أبو القاسم الدينوري ، عبد الله بن عبد الرحمن

من رؤساء الأدباء ، ورؤوس الكتاب ، ووجوه العمال بخراسان ،
وأخبرني منصور ابنه أنه من أولاد عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ومصنفاته في

(١) النظر الشزّر : النظر بمؤخرة العين .

محاسن الآداب تربى على الثلاثين ، وله شعر كثير يخرج منه الملح ، كقوله من قصيدة في وصف الخمر [من البسيط] :

كأنها في يد الساقى المدير لها عصارة الخمر في ظُرفٍ من الال
لم تبق منها الليالي في تصرفها إلا كما أبتت الأيام من حالي
وقوله من أخرى [من الخفيف] :

يا لعصر الخلاعة المورد ولظل الشيبة الممدود
وللهوى ولذتي وسروري ولسفكي دم ابنة العنقود
وارتشافى الرضاب من برد الثغر وشمي عليه ورد الخدود^(١)
وغدوي إلى مجالس علم ورواحي إلى كواعب غيد^(٢)
في قميص من السرور مذال ورداء من الثياب جديد^(٣)
ولأيامي القصار اللواتي كنّ بيضاً قد حُلّيت بالسعود
غير الدهر حالها فاستحالت مظلمات من الليالي السود
وأناشي من المشيب نذير غض منّي وقت في مجلودي
وتدانت له خطامي برغمي ونحاني له خصوصاً عمودي^(٤)
وتيقنت أنني في مسيري إثر شرخ الشباب غير بعيد

وقوله [من مجزوء الوافر] :

مضى الإخوان وانقرضوا فها أنا للردى غرض
مرضت فليل لي لا بأس عندك إنّه عرض^(٥)

(١) ارتشافى الرضاب : أي شربي واحتسائي والرضاب : اللعاب ، الريق المصوص .

(٢) الغدو والرواح : الصباح والمساء .

(٣) مذال : طويل .

(٤) الخطام : الجبل يجعل في عنق الحمل ويشي في خطمه يقاد به .

(٥) ورد العجز على هذه الصورة « إنّه عرض » فأقمنا وزنه .

فأول منزل للمرء نحو معاده المرض

وقوله [من المتقارب] :

أرقت لضيف من الشيب زارا
وجلّك الحلم ثوب الكرام
وقد كان شرخ الشباب الذي
أمل على ملكيك الذنو
فأهدى إليك النّهى والوقارا
وبزّك ثوب الشباب المعارا
تولّى عدواً وإن كان جارا
ب حتى أملهما ثم سارا

أخذه من قول أبي الطيب المصعبي [من الخفيف] :

زائر لم يزل مقيماً إلى أن
سود الصحف بالذنوب وولّى

وقوله [من البسيط] :

شوقي إليك كشوق المدنف الحرّض
فإن يكن لك عنى يا أخي عوض
إلى الطبيب الذي يشفي من المرض^(١)
فلا وحقك مالي عنك من عوض

وقوله من قصيدة في بعض الوزراء [من الكامل] :

ومطهم برح العنان معود
وإذا توقل في ذرى متمنع
خوض المهالك كل يوم براز^(٢)
صعب بعيد العهد بالمجتاز^(٣)
أثراً يلوح كنقش صدر البازي
تركت سنا بكه بصم صخوره

ومنها :

يا أيّها الشيخ الجليل بحقه
إن لم يكن لي في جنابك مرتع
لا من طريق تملق ومجاز
فالرأي في الإبعاد لي بجواز

(١) المدنف الحرّض : المريض المشرف على الهلاك .

(٢) ومطهم برح العنان : المطهم : المتناهي في الحسن ، والبرح : الأمر المعجب المذهل ، والعنان : الزمام .

(٣) توقل : سعد .

وأنشدني ابنه أبو منصور لأبيه في سفرجل وتفتح ورمان وآذريون أهداها إلى
بعض الرؤساء في يوم مهرجان [من المتقارب] :

بعثت إليك ضحى المهرجان	بمعشوقة العرف والمنظر
معطرة صانها في الحجال	مطارف من سندس أخضر ^(١)
نضت حين زارتك عنها الفريد	وجاءتك في سرق أصفر
يسر وبهكة نضة	وثدي مبتلة معصر ^(٢)
وبيضاء رائقة غضة	منقطة الوجه بالعصفر
وحق عقيق ملاء الهجير	من الجواهر الرائق الأحمر ^(٣)
وأقداح تبر حشت قعرها	يد الشمس بالمسك والعنبر
فكن ذا قبول لها إنها	هدايا مقل إلى مكث
وحي على الراح قبل الرواح	ومطربة الشدو والمزهر
وعش ما تشاء كما تشتهي	بعزم يدوم إلى المحشر

وله من نطفة يسترجع بها كتاباً معاراً [من الخفيف] :

أنا أشكو إليك فقد نديم	قد فقدت السرور منذ تولي
كان لي مؤنساً يسلي همومي	بأحاديث من منى النفس أحلى
عن أبي حاتم عن ابن قريب	واليزيدي كل ما كان أملى
وهورهن لديك يشكو ويكي	ويغني : قد آن لي أن أخلى
فتفضل به علي فإني	لست إلا بمثله أتسلى

وله من أخرى في معناها [من المجث] :

طلبت مني كتاباً ألفته في شبابي

(١) الحجال : النساء المترفات .

(٢) البُسر : الغض الطري ، البهكة : المثلثة الجسم الناعمة ، نضة : النعومة والحسن ، والمُعصر :

المرأة التي أدركت سن الشباب .

(٣) الحق : وعاء الطيب .

ألفته إلف عظمي لحمي ولحمي إهابي^(١)
وقد تأخر حتى لبست ثوب اكتئاب
وقد أتاني عنه ما لم يكن في حسابي
من نظم شعرٍ بديعٍ مستظرفٍ مستطابٍ
أما كريمٌ رحيمٌ يرثي لطول اغترابي
يا ربَّ يسرَّ إياي قد حان وقت انقلابي

وله في أبي الحسن العتبي [من المجتث] :

يا سائلي عن وزيرٍ مدحرجٍ مستديرٍ
كبط شطِّ سمينٍ عريضٍ صدرٍ قصيرٍ
إن كنت أبصرت قدراً مذ كنت فوق سريرٍ
فهو الوزير وإن كا ن في عداد الحمير

وله من نثفة في قابض كفه [من مجزوء الكامل] :

الله صور كفه لما براه فأبدعه
من تسعة في تسعة وثلاثة في أربعة

وله من أخرى [من الهزج] :

تغيّرت مع الدهر لنا يا شاعر البصره
ولم ترع لنا عهداً قديم الود والعشره
عسى صيرك الشيخ الـذي يكنى أبا مرّه^(٢)

وله [من الوافر] :

لزوم البيت أرواح في زمانٍ عدمنا فيه فائدة البروز

(١) الإهاب : الجلد .

(٢) أبا مرّه : من كنى إيليس .

ولست على الرعية بالعزير
أكون لديه في كنف حريز

فلا السلطان يرفع من محلي
ولست بواجد حراً كريماً

وله [من المنسرح] :

قد بان صبري وخانني جلدي
حتى عبيدي ، وعقني ولدي^(١)

أشكو إلى الله ضيق ذات يدي
وقد جفاني الأنام قاطبة

وله في ابنه [من البسيط] :

ولا شكير ولا ريش يواريه^(٢)
وقد رأى أنه أنت خوافيه
وطار عني فقلبي فيه ما فيه
لم يرث لي فهو فظ القلب قاسيه

ربيته وهو فرخ لا نهوض له
حتى إذا ارتاش واشتدت قوايمه
مد الجناحين مدّاً ثم هزهما
وقد تيقنت أنني لو بكيت دماً

وله في ابنه أبي طاهر [من البسيط] :

يكون ، لا كان ، في عيني كالرمد
جبت نفسي كي أبقى بلا ولد^(٣)
ولا مرد لحكم الواحد الصمد
يا ليت أنني لم أولد ولم ألد

لو كنت أعلم أنني والد ولد
فلا أسر على طول الحياة به
كم قد تمنيت لو أن المنى نفعت
وقلت لو أن قولي كان ينفعني

وله في النارج [من البسيط] :

نجومها في غصون لدنة ميل^(٤)
زهر المصاييح في خضر القناديل

أما ترى شجر النارج طالعة
كأنها بين أوراق تحف بها

(١) عني : من العقوق بالوالدين وعدم الاهتمام بهم .

(٢) الشكير : الزغب في الطائر .

(٣) جب : غلبت وقطعت .

(٤) لدنة : طرية .

وله في البراغيث [من المتقارب] :

وحُمش القوائم حُدب الظهور طرَقن فراشي على غِرَّة^(١)
فَنَقَطَنِي بخراطيمهنَّ كَنَقَط المصاحف بالحمرة

وله في عارض [من المجتث] :

وعارضٍ دنس العر ض ناقصٍ في الصَّناعه
كَلْبٍ بل الكلبُ في لو مه يعاف طباعه
- قد رامي بالدواهي فقَصَّر الله باعه

وله [من المجتث] :

إذا الزمان رمني منه بخطبٍ جسيمٍ
صبرت صبر كريمٍ على جفاء لثيمٍ

وله [من مجزوء الرمل] :

من عذيري من بديع الحسن ذي قلبٍ رقيقٍ
أُنبت في فمه اللؤ لؤ أرضٌ من عقيقٍ

وله [من مجزوء الرمل] :

بأبي أنت لقد طبت لنا ضمماً وشماً
ضاق فوك العذب والعين وشيءٌ لا يسمَّى

وله من نتفة [من الوافر] :

أساء وقد أتاني مستتياً أما هذا من العجب العجاب

وله من أخرى [من الوافر] :

وما آسى على دهرٍ تولى ولا جسمٍ مباحٍ للسقام

(١) الحمش : الدقاق ، والغرة : الغفلة .

ولا ما فات من عمري ولكنْ أحنُّ إلى صلاةٍ من قيامٍ

وله من أخرى [من مخلع البسيط] :

عشتُ من الدهر ما كفاني ومرَّ ما مرَّ من زماني
وقد حنتني وقوَّسني تسعُ وتسعون واثنتان
وقد سثمتُ الحياة ممَّا ألقى من الذلِّ والهوان
ومن أخٍ كنت أرتجيه لحادث الدهر قد قلاني^(١)
ومن غلامٍ إذا يُنادي تصامم النذل وهو داني^(٢)
مدمدم لا أراه إلَّا مقطَّب الوجه ما رأني^(٣)

فهذا ما أخرجته من ملح الدينوري فأما ابنه .

٤٠ - أبو منصور أحمد بن عبد الله

ففاضل كثير المحاسن ، وعهدي به عاما أول صادراً من أبيورد ، وكان على البريد بها ونازلاً داره بسكة البلخية بنيسابور ، وأنا على موعد منه في إخراج ما يصلح لكتابي هذا من شعره وإنفاذه إلى إن شاء الله تعالى .

٤١ - أبو منصور أحمد بن محمد البغوي

أحد الصدور الأفراد الأمجاد بخراسان ، بلغ من الأدب والكتابة والثروة والمروءة أعلى مكان ، وتصرف في الأعمال الجلائل ، ثم ولي ديوان الرسائل ، وكان جمع كتاباً مترجماً بزاملة التتف يشتمل على ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين من

(١) قلاني : هجري .

(٢) تصامم : أظهر الصمم ، وهو عدم السام .

(٣) مدمدم : يتمم بكلام غير مفهوم .

محاسن الأخبار والأشعار ، ولطائف الآداب ونتائج الألباب ، ويقع في ثلاثين مجلدة بخطه ، وقسمها على أيام شهره ، فكان لا يخلو من إحدى قطاعها مجلسه وديوانه ، وساق حقه لا يكاد يفارقه في سفره وحضره ، ووقع إلى بضع مجلدات منها بعد انقضاء أيامه ، فتتزه الطرف في رياضها ، واستمتعت النفس بثمارها ، ولم يبلغني عنه شعر إلا ما أنشدني السيد أبو جعفر الموسوي قال : أنشدني البغوي لنفسه [من الطويل] :

ترأت لنا من خدرها بسوالفٍ كما لاح بدرٌ من خلال سحابٍ
ووجتها من تحت فاحمٍ صدغها كما رُوحت بازٌ بريش عقابٍ
وصدر البيت الثاني مما أنسانيه الشيطان أن أذكره ، فغرمته من عندي .

٤٢ - أبو [علي] محمد بن عيسى الدامغاني

تثنى به الخناصر ، وتضرب به الأمثال ، في حسن الخط والبلاغة وأدب الكتابة والوزارة ، وكان في حدائته يكتب لأبي منصور محمد بن عبد الرزاق ثم تمكن بالحضرة خمسين سنة يتصرف ولا يتعطل حتى قيل فيه [من الوافر] :

وقالوا العزل للعمَّال حيضٌ لحاه الله من حيضٍ بغيضٍ
فإن يكُ هكذا فأبو عليٍّ من اللائي يثسن من المحيضِ

وولي ديوان الرسائل دفعات والوزارة مرات ، وكان يقول الشعر ولا يظهره ، ويحب الأدب ويكرم أهله .

وأنشدني أبو عبد الله بن السري الرامي هذين البيتين له ، ثم وجدتهما لغيره [من الكامل] :

يا أيُّها القمرُ المنيرُ الزاهرُ الأبلجُ البدرُ العليُّ الباهرُ

أبلغ شبيهتك السلامَ وهنَّها بالنوم واشهدْ لي بأنِّي ساهر
وأنشدني السيد الشريف أبو جعفر الموسوي قال : أنشدني أبو علي محمد
ابن عيسى ولم يسم قائلاً [من السريع] :
تذكرْ إذ أرسلته بيدقاً فيك فوافاني فرزانا ؟
ثم أخبرني بعض كتابه أن هذا البيت له .
وأنشدني له أيضاً [من المنسرح] :

وكتبَ كتبه تذكّرني القرآن حتى أظلَّ في عَجَبٍ
فاللفظ قالوا قلوبنا غُلْفٌ والخطُ تبت يدا أبي لهب^(١)
ولم يذكر أن أحداً من الصدور يسع دعاؤه وتربيته وكنيته واسمه واسم أبيه
وبلده بيتاً واحداً من الشعر سواه ، فإن أبا القاسم الأليماني أنشدني لنفسه قصيدة
فيه ، ومنها هذا البيت [من الوافر] :
إلى الشيخ الجليل أبي عليٍّ محمد بن عيسى الدامغاني

٤٣ - أبو علي الزوزني الكاتب

أخبرني الثقة أنه وقع إلى الحضرة ببخارى في ريعان شبابه ، وله أدب بارع
وخط تأخذه العين ويستولي عليه الحسن ، فما زال يتصرف في ديوان الرسائل
ويغرس الدر في أرض القراطيس ، وينشر عليه أجنحة الطواويس ، إلى أن ثقلت
عليه الحركة ، وأخذت منه السن العالية ، وكان قصير القد طويل الفضل ، وفيه
يقول اللحام وما كان يهجو إلا الكبار [من مجزوء الرمل] :

(١) غلفٌ : أي لا نفقه القول فهي كالمغلقة التي لا يدخلها شيء . تبت : هلكت وانقطعت .

وقصيرٍ من قرى زو زن في قامة شبر
يدعي الكتاب إلا أنه في فهم غير^(١)
ولقد فكّرت فيه وكذا فكّر غيري
كيف يستدخل أيراً وهو في قامة أير

واقْتدى باللحام غير واحد من الشعراء فهجوه بالقصر ، ووصفوا قامته
بالصغر حتى قال المعروف بالمضرب البوشنجي [من الكامل] :

للزوزنيّ أبي عليّ قامةٌ قامت بسوق هجائه المتراكم
هي عمدة الشعراء يعتمدونها بقواضبٍ من شعرهم وصورم
والبعض شبهها بأيرٍ قائمٍ والبعض شبهها بجعس جائم^(٢)
ياليتها طالت فقصر طولها عنه طوال معايبٍ وشتائم
وكان أبو علي - مع حسن خطه - حسن الشعر ، كثير التنكيت ، وهو القائل في أبي
جعفر العتبي [من الرمل] :

يا قليل الخير موفور الصِّلَف والذي قد حاز في التيه السَّرَف^(٣)
كن بخيلاً وتواضع تحتمل أو سخيّاً يحتمل منك الصِّلَف
ووجدت بخط الرئيس أبي محمد الميكالي لأبي علي في ابنه [من الكامل] :
يا من تمنى أن يموت أبوه ستذوق موتك قبل ما ترجوه
إنّ المرید ردی أبيه قبله يُردى ويُسعد بالحياة أبوه
وأنشدني أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان له [من السريع] :
الحمد لله وشكراً له على المعافاة من الأبنه

(١) ورد في الأصل : « يدعي الكتابة إلا » ، ولا يستقيم الوزن بذلك .

(٢) الجعس : القصير الدميم .

(٣) الصلف : الغرور والحق ، والسرف : الإفراط .

فليس فيما المرء يلقى به أعظم منها في الوري محنه

وأنشدني حاضر بن محمد له في علوي [من البسيط]:

مَنْ كَانَ خَالِقَ هَذَا الْخَلْقِ مَادَحَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ مِنْهُ مَفْرُوعٌ
فَإِنْ أَطْلُ أَوْ أَقْصَرَ فِي مَدَائِحِهِ فَلَيْسَ بَعْدَ بِلَاغِ اللَّهِ تَبْلِيغٌ
وَلَهُ أَيْضاً [من الخفيف]:

إِنَّ أَذْنِي تَمَلُّ طَوْلَ كَلَامِهِ وَفُؤَادِي يَمَلُّ طَوْلَ مَقَامِهِ
إِنَّ أَمْرِي وَأَمْرَهُ لَعَجِيبٌ مَتُّ مِنْ بَغْضِهِ وَحُبُّ غَلَامِهِ

٤٤ - أبو عبد الله الشبلي

من حسنات بوشنج وأفرادها ، وكان يكتب ببخارى للأفتكين الخازن ، ويعنون كتبه بمحمد بن أحمد الشبلي ، فلما قلد الوزارة لصاحبه وارتفع مقداره أسقط الشبلي من كتبه واقتصر على اسمه واسم أبيه ، وقال فيه بعض الشعراء [من البسيط] :

محمد أسقط الشبلي من كتبه ترفعاً باسمه عن ذكر منتسبه
كأنني بقفاه وهو مرتجع تصحيف ما قد نفاه الآن عن كتبه

وتنقلت بالشبلي أحوال بعد هلاك صاحبه ، فبدرت منه أمور أدت إلى نفي صاحب الجيش أبي الحسن بن سمحور إياه إلى النون من بلاد قهستان فلما طال مقامه بها قال [من المتقارب]:

تعلمت بالنون أكل الأقط وغزل العهون ونسج البسط^(١)

(١) الإقط : الجبن ، والعهن : القطن .

وما كنتُ فيما مضى هكذا ولكن من الدهر جاء الغلط
وإنما احتذى فيه قول بابك [من المتقارب]:

تعلمت في السجن نسج التُّكك وقد كنت من قبل حبسي ملكٌ
وقد صرتُ من بعده عدَّةً وما ذاك إلاً بدور الفلكُ

* * *

٤٥ - أبو علي المسبخي

هو الذي يقول فيه الحكام [من الرجز]:

لم أر في الحكام كالمسبخي يطمع في الجلد الذي لم يسلخ
وكان باقعة في الحكام ، وفي العلوم من الأعلام ، وفي نفسه كما قال
بعض العصرين من أهل نيسابور في غيره [من الخفيف]:

يا طبيباً منجماً وفقياً شاعراً شعره غذاءُ الروح
أنت طوراً كمثلاً جامع سفيان وطوراً تحكي سفينة نوح

وتولى المظالم ببلخ مرة فكتب إليه أبو يحيى العمادي يداعبه ويطايبه
ويستهديه من ثمرات بلخ ، فأهدى إليه عدل صابون ، وكتب إليه كتاباً قال في
فصل منه «وقد بعثت الى الشيخ أيده الله تعالى عدل صابون ليغسل به طمعه عني ،
والسلام».

وتولى مرة قضاء سجستان فمن قوله فيها [من المتقارب]:

حلولي سجستان إحدى النوب وكوني بها من عجب العجب
وما بسجستان من طائل سوى حسن نرجسها والرطب
وهو القائل فيها [من الخفيف]:

يا سجستان قد بلوناك دهرأ في حراميك من كلا طرفيك

أنت لولا الأمير فينا لقلنا لعن الله من يصير إليك
وله [من السريع]:

وعدتني وعداً وقربته
حتى إذا مارمت تحصيله
تقريباً حرّ ليس بالمستزاد
كان بعيداً مثل يوم المعاد

وله [من الطويل]:

هل الدهر إلا ساعة تنقضي بما كان فيها من عناء ومن خفض
فهونك لا تحمل مساء عارض ولا فرحة سرّت فكلتاها تمضي
وعندي له أبيات قد خفي علي مكانها وفيما كتبه من شعره كفاية .

٤٦ - أبو الحسن أحمد بن المؤمل

كاتب أبي الحسن ، فائق الخاصة من كبار الكتاب بخراسان ، وأكثرهم
محاسن وفضائل ، وله شعر كثير يجمع الجزالة والحلاوة ، فمن ملحه ما أنشدنيه
وقوافيه متشابهة في طريقة أبي الفتح البستي [من البسيط]:

طرا علي رسول في الكرى طاري من الطيور وأعطاني بمنقار^(١)
كتاب حب بعيد الدار أملح من يمشي على الأرض من باد ومن قاري
تركنتني في بلاد لا أراك بها كأن قلبك من صخر ومن قار^(٢)
وأنشدني أيضاً لنفسه [من الخفيف]:

إن أسيافنا العصاب الدوامي تركت ملكنا قرين الدوام^(٣)

(١) طرا : أصله طراً وطاري إسم فاعل منه سهلت الهمزة لضرورة الشعر .

(٢) القار : القطران .

(٣) العصاب : القاطعة ، والقرين : الصاحب والمثل .

لم نزل نحن في سدادِ ثغورٍ وأصطلام الأبطال في وسط لام
واقحام الأهوال من وقت حامٍ واقتسام الأموال من وقت سام
وله من قصيدة في أبي نصر بن زيد أولها [من الطويل]:

تولى ونار الشوق في القلب واقدةً ونار نشاطي مذ تباعد هامدةً
نهاري بلا أنسٍ ويلي كائنِي إلى الصباح ملقى تحت ساعد ساعده
ومنها :

تراعى طوال الليل عيني فراقده وعين الذي لا تفقد الألف راقده
أأيماننا هل أنت عائدةٌ لنا كما كنت أم هل في بكائك عائده ؟
ومنها :

أبا نصرٍ القمر الذي عقت بمن يشاكله في مجده كلٌ والده^(١)
هو القمر الفرد الذي لروائه تظل نجوم الأفق لاشك ساجده^(٢)
ومنها :

له قلمٌ سوق القضاء إذا جرت به يده في النهي والأمر كاسده
ويملي فيصغي الكاتبان تطرباً إلى مبدعاتٍ هنَّ والسحر واحده
ولولا خلالٌ يحظر الدين ذكرها لقلت الذي يملي قرانٌ على حده
وله وقد نقل معناه من بيتين للروزكي، وهما [من السريع]:

تصوّر الدنيا بعين الحجي لا بالتي أنت بها تنظرُ
الدهر بحرٌ فاتخذ زورقاً من عمل الخير به تعبر
وله وقد نقل معناه من بيتين للمعروفي ، وهما [من الطويل]:

إذا لم تكن لي من لدنك مبرّةً وزال رجائي عن نوالك في نفسي

(١) عقت : يقال امرأة عقيم أي لا تنجب، ويشاكله : يشابهه .

(٢) الرواء : حسن النظر .

فأنت إذا مثلي أنيس مصورٌ فلم أعبد الشيءَ المصورَ من جنسي
وله من قصيدة [من البسيط]:

سقياً للدهر مضى إذ نحن في شغل
إذ يومنا يوم عيدٍ طول مدتنا
وفتية كنجوم الليل طالعة
غدوا صحاحاً إلى الحانات وانصرفوا
عادوا أراجيح من حاناتهم أصلاً
وله [من الطويل]:

وقائلة لي ما بالك الدهر طافحاً
فقلت لها أفكرت في الخمر مرة
وله في معناه [من السريع]:

وسائل عن مقتضى سكري وما درى لم هكذا صرتُ
قلت له استنشقتُ من منتشٍ رائحة الخمر فأسكرتُ
وانشدني أبو بكر الخوارزمي قول الأملی من قصيدة يذكر فيها حنينه إلى
أحمد بن حجر [من الطويل]:

وحجرٍ على عيني أن يطعما الكرى إلى أن يرى حجراً يناغي على حجر^(١)
فقال : الآن علمت أنه إنما سمى ابنه حجراً ليطرد هذا البيت . وقال [من
الطويل]:

-
- (١) الشم : من الشمم وهو الإباء والعلاء ، والعرانين : الأنوف .
(٢) الأراجيح : متمايلين من الخمر ، والأصل : جمع أصيل وهو المساء ، والموازين : يعني بها اعتدالهم قبل احتسائهم الخمر .
(٣) حجر في أول البيت بكسر الحاء وسكون الجيم ، وهو وصف معناه بمنوع ، والثانية إسم علم والثالثة حجر الإنسان بكسر فسكون أيضاً .

نأى مذ نأيتم نوم عيني فلم يعدْ وغبتم فغابت سرتي ومسرتي
كفى بي اعتباراً أنني مذ عبرتُمُ كيعقوب ما ترقا من الشوق عبرتي^(١)

* * *

٤٧ - أبو إسحاق إبراهيم بن علي الفارسي

من الأعيان في علم اللغة والنحو ، وورد بخارى فأجل وبجل . ودرس عليه
أبناء الرؤساء والكتاب بها وأخذوا عنه ، وولي التصفح في ديوان الرسائل فلم يزل
يليه إلى أن استأثر الله به ، وله شعر لم يقع إلي منه إلا أنشدنيه حاضر بن محمد
الطوسي من قصيدة له في بعض رؤساء الحضرة يستهدي منه جبة خز أبيض غير
لبس وهو هذا [من الكامل] :

وأعنّ على برد الشتاء بجبّة تذر الشتاء مقيداً مسجوناً
سوسيةً بيضاء يترك لونها ألوان حسّادي شواحب جونا^(٢)
عذراء لم تلبس فكفك في العلا تؤتي عذارها وتأبى العونا
تسبي بهجتها عيوناً لم تزل تسبي قلوباً في الهوى وعيونا
مثل القلوب من العداة حرارةً مثل الخدود من الكواعب لينا

* * *

٤٨ - أبو جعفر الرامي محمد بن موسى بن عمران

من أفراد الأدباء والشعراء بخراسان عامة ، وحسنات نيسابور خاصة . إذ هو
من الرام أحد رساتيق نيسابور ، وكان مع سبقه في ميادين الفضل راجحاً في موازين
العقل ، وترقت حاله من التأديب بنيسابور إلى التصفح في ديوان الرسائل ببخارى
بعد أبي إسحاق الفارسي ، وهبت ريحه وبعد وصيته ، وله شعر كعدد الشعر غلب

(١) ترقا : تنقطع وتفارق ، والعبرة : الدفعة .

(٢) الجون : الأسود وهو من الأضداد .

عليه التجنيس حتى كاد يذهب بهلاؤه ، ويكدر ماؤه «وكل كثير عدو الطبيعة» فمن ملحه التي تستملح من وجه ولا تستجاد من آخر قوله هذه الأبيات [من الطويل] :

مضى رمضان مرمض الذنب فقده وأقبل شوالٌ تشول به قهراً^(١)
فيا لك شهراً أشهر الله قدره لقد شُهرت فيه سيوف العدا شهراً

ومن تجنيسه المستجاد المرتضى قوله من مقصورة في وصف السيف [من الرجز] :

مهندٌ كأثما صقيله أشربه بالهند ماء الهندبا
يختطف الأرواح في الروع كما تُختطف الأبصار حين ينتضى^(٢)

وقوله في جارية له توفيت [من مجزوء الكامل] :

لي في المقابر درّة أمسى التراب لها صدفٌ
لما غدت هدف البلا أصبحت للبلوى هدفٌ

وقوله من قصيدة [من الطويل] :

ومن منصفٍ من ريب دهري فإنني أسير أسيراً للحوادث مقصداً
صريحٌ بآدابي يد الدهر للدهر بدهياء مقصوداً بفاقرة الفقر
فإن تكن الأيام أزرت بهمتي أويت إلى كهف المكارم والعلا
لأغلي به قدري وأغلي به قدري أعادت سجاياه اللجين بجوده
فلا خير إنّي قد شددت لها أزري^(٣) لقد صيغ من بيض السبائك طبعه
نضاراً وقد أهدت نشاراً إلى التبر فحالٌ سييك الصفر صيغٌ من الصفر

(١) مرمض الذنب : من الرمضاء ، وهو شدة الحرارة ، وتشول : ترفع . والقهر : الغلبة .

(٢) ينتضى : يسحب من غمده .

(٣) أزرت : استهانت .

وله من تشبيب قصيدة [من الكامل]:

مزجتُ سوابقَ عبرةٍ بعبير
وتبسّمتُ بين البكاء فخلتها
فكأنّما هي روضةٌ ممطرةٌ
ترنو إليّ بنرجسٍ ممطور

ومن أخرى [من الكامل]:

لشؤونٍ عيني في البكاء شؤون
وخلالَ أثوابي خلالُ مذهبٍ
أبديتُ مكنونَ الهوى لما بدا
وأزارني جون العقارب بغتةً
والقلب مقرونٌ بكلِّ بليّةٍ
وجفون عيني للبلاء جفون^(١)
أضناه همٌ في الحشى مدفونٌ
للعين ذاك اللؤلؤ المكنون^(٢)
وردان فوقهما عقارب جون
مذلاح ذاك الحاجبُ المقرون^(٣)

وله من أخرى [من الكامل]

لزم السخاء فلا يقالُ ضنينٌ
ما البائس المسكين غير تلاده
ونحا الوفاء فلا يقال ظنينٌ
إذ يعتفيه البائس المسكين^(٤)

وله من أخرى [من المنسرح]:

السحر من مقلتيك ينتثر
يا شادنًا سيخر الجمال له
الريق والطرف منك ياسكني
خصرني خصرك الهضم ولا
والخمر من وجنتيك يُعتصرُ
فكلُّ أفكارنا له سُخرُ
ضدّان ذا سكرٌ وذا سكرُ
دواء إلا رضابك الخصر^(٥)

(١) الصبير : الغمام الأبيض .

(٢) شؤون العين : مجاري الدمع .

(٣) المكنون : المستور ، المحاط .

(٤) التلاد : المال القديم الموروث ، يعتفيه من العفاء : وهو الهلاك والزوال .

(٥) الرضاب الخصر : الريق البارد .

الله فينا فإنَّ رحمته حَجَرٌ عَلَى من فؤاده حجرٌ^(١)
 صورك الله فتنةً فغدت صوراً إليك العيون والصُّورُ
 غادرت في جفن ناظري عُذْراً يمدُّها الغدر منك يا غِدْرُ^(٢)
 يسومني الصبر عاذلي سفهاً والصبر عن مثل وجهك الصبر
 هان على الأملس المسيب ما يلقيه من ثقل حمله الدبر^(٣)

وله من أخرى [من الخفيف] :

لي حبيبٌ بالشطِّ شطَّت دياره وغدا للأسود زاراً مزاره
 كان جاري فجار عني ، لا ، بل جار بغياً عليّ واللّه جاره
 فرّ منّي تدلّلاً ثمت افتـرّ ، بنفسي فراره وافتراره !
 رشأ أرسل الرشاء من المسك على عارضٍ يروق احمراره^(٤)
 عاذلي اعذرا فإنَّ عِذارِي عانق الشيب حين طرَّ عذاره^(٥)
 لم يعانق ظلامي الصبح إلّا بعد أن عانق الظلام نهاره

وله من نتفة [من الخفيف] :

أيها السيد الجليل الذي أصبح في المجد والمكارم فردا
 استمع من قريض عبدك بيتاً سار في الخافقين غوراً ونجدا
 ليس غير الكريم من ينجز الوعد ولكن من يجعل الوعد نقدا

* * *

(١) حجرٌ : منعٌ .

(٢) الغدْرُ : من الغدير وهو الماء المتجمّع في منخفضٍ من الأرض .

(٣) أخذه من مثل لم وهو « هان على الأملس ما لاقى الدبر » .

(٤) الرشأ : الغزال ، والرشاء : الحبل وهنار بما يعني به الشال ، والعارض : صفحة الخدّ .

(٥) طرَّ عذاره : طرّ : نبت ، وأضاء ، والعذار : الشعر الذي يحاذي الأذن من جانب اللحية .

٤٩ - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الجرجاني

المقلب طر مطراق

كاتب شاعر ، ظريف فاضل ، من أعيان العمال ببخارى ، وقد تقدم ذكره عند ذكر الهزيمي .

أنشدني السيد أبو جعفر الموسوي قال : أنشدني أبو عبد الله لنفسه [من السريع] :

نصينا من طول آمالنا تعسفُ في خدمةٍ دائبه
وحاصل الذلِّ بلا طائلٍ والشأن في منتظر العاقبه

ومما يستظرف ويستلمح من شعره قوله في فتي من أبناء الموالي ببخارى وكان مهالكاً في هواه [من الرمل] :

أنا والصبر فقدُ بشرني نائب المسك بصفحات العقيق
سنةً أخرى وقد أخرجني شعر خديك من العقد الوثيق

وأنشدني أبو سعد نصر بن يعقوب له من قصيدة في وصف الجركاه [من البسيط] :

كأنه سحبٌ من فضةٍ ضُربتْ وزينتُ بدنانيِرٍ مفاصلُهُ
إنْ قرَّ ليلٌ كفى النيران ساكبه أو جاد غيثٌ بغشاه هاطلُهُ
لا تخذر الهدمَ فيه حين تنزله إذا توالى على بيتٍ زلازله

* * *

٥٠ - أبو محمد عدي بن محمد الجرجاني

من ذوي الفضل ، الطالبين للفضل ببخارى ، والمتصرفين على عمل البريد منها ، وله شعر حسن مشهور ، فمن ذلك قوله [من الطويل] :

متى أُشربتْ ماء الحياة وجوهنا تنقل عنها مأوها وحيائها

إذا كانت الصهباء شمساً فإنّما يكون أحاديث الرجال هباؤها

٥١ - عبد الرحيم بن محمد الزهري

أديب شاعر ، يقول لأبي محمد عبد الله بن محمد بن عزيز قبل وزارته [من مجزوء الكامل] :

اليمنُ انشقني نسيمةً وأزاح عن قلبي همومةً
بمكانة الشيخ الرئيس وعزَّ رتبته العظيمة
فلا أغنينَّ بفضلِه عن ذكر خدمتي القديمه

ويقول في مرثية ابن العتي [من السريع] :

مرَّ على قبرك أعوانكا فكلُّهم هالهم شانكا
ولم يزدوك على قولهم عزَّ على العليا فقدانكا

٥٢ - أبو القاسم إسماعيل بن أحمد الشجري

كاتب شاعر ، أدركته حرفة الأدب فأزعجته عن وطنه ورمت به إلى بخارى ، فلم يجد للغربة شافع أدبه وفضله ، ووجد متصرفا فتماسكت حاله ، ولما انقضت الدولة السامانية عاود وطنه ثم فارقه وورد به على أبي الفتح البستي فأقام عليه مدة ثم قصد الفاريات واستوطنها ، ومن ملحه قوله وهو منقول من بيتين بالفارسية للأعاجم [من البسيط] :

إن شئت تعلم في الآداب منزلتي وأنني قد عداني العزَّ والنعمُ
فالطرف والسيف والأوهاق تشهد لي والعود والنرد والشطرنج والقلم^(١)

(١) الطرف : الكريم من الرجال ، والأوهاق : جمع وهق : حبل في أحد طرفيه عقدة يطرح في عنق الدابة أو الإنسان حتى يؤخذ ، وهنا يقصد أنه كان يمسك بزمام الأشياء ويسيرها كيف يشاء .

وله وقد دعاه إخوان له إلى بعض المنتزهات ببخارى فخرج فلم يهتد إليهم

[من الوافر] :

ظننتم في التجشّم بي جميلاً وأرجو أن أكون كما ظننتم
وما أعصيّكمُ أمراً ونهياً ولكنّ لستُ أدري أين أنتم

وله من قصيدة [من الطويل] :

نهارى ولم أبصرَ محيّا مظلّمٌ ويلي إذا أبصرته غير مظلّم
أتظلمني الأيام وهي خبيرةٌ بأنّ إليه - إن ظلمت - تظلمني

ومن أخرى [من البسيط] :

بباب غيرك للأخيار أحيّةٌ وما ببابك إلا الفقر والبوسُ
أیخدمونك لا والله عن مِقّةٍ وما لهم منك مطعمومٌ وملبوسٌ^(١)

وله من نتفة [من الطويل] :

جميلٌ مَحِيّا ، وكالدعص ردْفُهُ حميدٌ سجایاه ، وليس له خصمٌ^(٢)

وله من قصيدة في ابنه [من الوافر] :

نصحتك في التأدّب ألفُ مرّةٍ فلم ينفعك نصحي فيه ذرّةٌ
أؤملُ أن تكون لكلّ بابٍ من الآداب للأدباء عُرّةٌ
فلما خنت فيك رجوت أن لا تخلّ بكلّها فتكون عُرّةً^(٣)
ولست أقول أنت فتى غبيٌّ ولكن فيك إعجاب وشيرةٌ
ولا أنّي علمت السرّ لكن أدلاني على السرّ الأسرة

(١) المقة : المحبة .

(٢) الدّعص : الكتيب من الرمال ، والردف : إلية المؤخرة ، والسجایا : الصفات .

(٣) العرّة : العيب ، والخلّة القبيحة .

وكم من مضمّرٍ أمراً خفياً تعرفني الأسرةُ فيه سرّة
 إذا ما لم تطعُ من أنت منه فلا تأمل تحفّيه وبرّة^(١)
 ولا تغفلُ بحلوِ هواك وعظي فإنّ مغبّةً الإغفال مرّة
 وكتب إلى أبي الحسن أحمد بن منصور [من الكامل] :

ما لي وكنْتُ مقرباً أقصيتُ وذُكرت فيما قبلُ ثم نسيْتُ
 وحُجبتُ بعد الإذن ، كنت مشرفاً بجماله في أيّ وقتٍ شيْتُ
 وحرمتُ حظي من تحفّيك الذي قد كنت مسعوداً به فشقيْتُ
 الزلّة فأتوبُ أم لملاة فألوم إذ شمل الملوك شتيْتُ
 إن كنت ترضى بالقطيعة شيمة فبطاعتي لك حيث كنت رضيْتُ
 إن لم أكنُ في خدمتي ومودتي لك مخلصاً فمن الإله بريت

٥٣ - أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي المتيّم

صاحب كتاب أشعار الندماء ، وكتاب الانتصار للمتنبّي ، وغيرهما ، وله ديوان شعر كبير ، ورأيتُه ببخارى شيخارث الهيئة تلوح عليه سيماء الحرقه ، وكان يتطبّب ويتنجم ، فأما صناعته التي يعتمد عليها فالشعر ، ومما أنشدني لنفسه [من البسيط :

وفتيّة أدباء ما علمتهم شبّهتهم بنجوم اللّيل إذ نجموا^(٢)
 فروا إلى الراح من خطبٍ يلمُّ بهم فما درت نوبُ الأيام أين همُ
 ومما أنشدني أيضاً لنفسه [من الطويل] :

تلوم على ترك الصلاة خليلتي فقلت أغربي عن ناظري أنت طالقُ

(١) تحفّيه : من الحفو : وهو العطاء والإكرام .

(٢) نجموا : طلّعوا .

فوالله لا صليتُ الله مفلساً
وتاش وبكتاش وكنباش بعده
وصاحب جيش المشرقين الذي له
ولا عجب إن كان نوحٌ مصلياً
لماذا أصلي؟ أين باعي ومنزلي
وأين عبيدي كالبدور وجوهم
أصلي ولا فتر من الأرض يحتوي
تركت صلاتي للذين ذكرتهم
بلى، إن عليَّ الله وسع لم أزل
فإن صلاة السيء الحال كلها

يصلي له الشيخ الجليل وفائق
ونصر بن ملك والشيخ البطارق
سرايب مال حشوها متضايق
لأن له قسراً تدين المشارق
وأين خيولي والحلى والمناطق؟
وأين جوارى الحسان العواتق؟
عليه يميني؟ إنني لمنافق^(١)
فمن عاب فعلي فهو أحق مائق^(٢)
أصلي له ما لاح في الجو بارق
مخارق ليست تحتهن حقائق^(٣)

وأنشدني أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان له في فتى صبيح من أولاد
الرؤساء خلع عليه دراعة وقد كان لبسها [من المجث] :

أتت على ماء ظهري دراعةً أهديت لي
إذا علتني تذكرت من علتته فأدلي

وأنشدني له أيضاً [من مجزوء الرمل] :

وصديق جاءني يسألني ماذا لديك
قلت : عندي بحر خمير حوله آجام نيك^(٤)

ومن ملح الإفريقي في غلام تركي [من السريع] :

قلبي أسير في يدي مقلّة تركية ضاق لها صدري

(١) الفتر : ما بين طرف الاتهام وطرف السبابة إذا فتحتها جمعه أفتار .

(٢) المائق : الغبي مع الحمق .

(٣) المخارق : من الخرق : وهو الجهل ، أو الذي لا يحسن القيام بالعمل .

(٤) الأجام : الحصن .

كأنّها من ضيقها عروّةً ليس لها زرٌّ سوى السحرِ
وقوله في معناه [من المنسرح] :

قد أكثر الناس في الصفات وقد قالوا جميعاً في الأعين النجل^(١)
وعين مولاي مثل موعده ضيقٌ عن مراد الكحل

٥٤ - أبو الحسين أحمد بن محمد بن ثابت البغدادي

أحد الفضلاء الطارئين على تلك الحضرة والمقيمين بها ، وله شعر كثير
النكت ، كقوله وأنشدني له أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان [من الخفيف] :

قال لي من يسره أن يراني ناحلَ الجسم لا أطيعُ حِراكا
قم أضحي يسرٌ وجداً ويذري دمعة العين منه سحاً دراكا^(٢)
أين من كان واصلاً لك في الصّحة حتى إذا اعتللت جفاكا
كلٌ من لم يعدك في حالة السُّقم تمنى لك الرّدى والهلاكا
حذراً أن يراك يوماً من الدهر صحيحاً فيستحي أن يراكا
قلت لا تعجلن فإنّ رحا الدهر — بأنياه تزور عداكا
سوف تبرأ ويمرضون وتجفو هم فإن عاتبوا فقل ذا بذاكا
كلٌ من لم يعدك في حالة السُّقم تمنى لك الرّدى والهلاكا

وله [من الخفيف] :

هي حالان شدةٌ ورخاءٌ وسجالان نعمةٌ وبلاءٌ
والفتى الحازم اللبيب إذا ما خانته الدهر لم يخنه العزاء

(١) النجل : الواسعة .

(٢) سحاً : سحّ الماء أي هطل ، والوجد الحب الشديد ، ويسرّ : يخفي .

إن ألمَّت مُلَمَّةٌ بي فإني في الملمات صخرةٌ صماءُ
صابرٌ في البلاء طَبٌّ بأن ليس على أهله يدوم البلاءُ
فالتداني يتلو التناثي والإقـتـار يرجي من بعده الإثراءُ
وأخو المال ماله منه في دنياه إلا مذمَّةٌ أو ثناءُ
وإذا ما الرجاء أسقط بين الناس فالناس كلُّهم أكفاء

٥٥ - أبو منصور البوشجني الملقب بمضراب الشعر

استغرق أيامه ببخارى يشعر بلا رأس مال في الأدب ، وكثيرا ما يأتي
بالمح ، وجل قوله في الوزراء ، فمن ذلك قوله [من السريع] :

أبو عليّ وأبو جعفرٍ ويوسف الهالك بالأمس
ثلاثة لم يكُ لي منهمُ نفعٌ بدينارٍ ولا فلسٍ
لذاك لم أبكِ على هالكٍ غيَّبَ منهمُ في ثرى رمسٍ^(١)

وقوله [من مخلع البسيط] :

نحن بأبواكم حيارى وأنتمُ مثلنا حيارى
فبعضنا يستجير بعضاً وبعضنا عندكم أسارى
وكلُّنا من شرابٍ جهلٍ بوصف أحوالنا سكارى
وأي عذرٍ لنا فحولٌ تُعدُّ في جملة العذارى

وقوله [من المتقارب] :

وكتنا زماناً ندُمُ الزمان ونرثي الوزارة بالبلعمي

(١) الرمس : القبر .

فأخّرنا العمر حتى انتهت من البلعمي إلى البرعشي
وسوف تؤول على ما أراه من البرعشي إلى البرمكي

وقوله [من الطويل] :

وكنّا نذم الدهر من غير خبرة بيوسفه والبلعمي وغيره
إلى أن رمانا بالغفاري بعدهم وعاندنا في عبده وعزيره
وما قدرعانا في ابن عيسى وزوره وفي ابن أبي زيد السفية وسيره
ولم نرض بالمقدور فيهم فأمنّا بكل كسير في الورى وعويره

وأنشدني أبو النصر العتبي في أبي الحسن العتبي [من الوافر] :

قلوبُ الناس والهةٌ سقاما ونفس المجد والهةٌ سقيمه
وما فجعت بك الدنيا ولكن تركتَ بفقدك الدنيا يتيمة

الباب الثالث

في ذكر المأموني والواقفي ، ومحاسن أخبارهما وأشعارهما
لما كان أبو طالب المأموني وأبو محمد الواقفي من جملة الطارئین علی
بخاری والمقیمین بها ، ومميزین عنهم بشرف المنصب ، وكرم المتسبب ،
وفضل المكتسب - أفردت لهما باباً يتلو الباب المقصور عليهم ليجاوراهم
ويقارباهم من جهة ، ويفارقاهم ويباعدهم من أخرى .

* * *

٥٦ - أبو طالب عبد السلام بن الحسين المأموني

من أولاد المأمون أمير المؤمنين . كان أحد - بل أوحده - أفراد الزمان شرف
نفس ونسب ، وبراعة فضل وأدب ، فياض الخاطر بشعر بديع الصنعة ، مليح
الصيغة ، مفرغ في قلب الحسن والجودة ، ولما فارق وطنه بغداد لحاجة في نفسه
وهو حدث لم يبقل وجهه ورد الري وامتدح صاحب بقصائد فرائد ملكه العجب
بها ، وأبهره التعجب منها ، فأكرم مورده ومثواه ، وأحسن قراه ، ووعدته ومناه ،
فدبت به عقارب الحسدة من ندماء صاحب وشعرائه ، وطفقوا يركبون الصعب
والذلّول في رميه بالأباطيل ، ويتقولون عليه أقبح الأقاويل ، فطوراً ينسبونه إلى

الدعوة في بني العباس ، ومرة يصفونه بالغلو في النصب^(١) واعتقاده تكفير الشيعة والمعتزلة ، وتارة ينحلونه هجاء في صاحب يعرب عن فحش القدح ، ويحلفون على انتحاله ما أصدر من شعره في المدح ، حتى تكامل لهم إسقاط منزلته لديه ، وتكدر مأؤه عنده وعليه ، وفي ذلك يقول من قصيدة يستأذنه فيها للرحيل أولها [من البسيط]:

يا ربعُ كنتُ دمعاً فيك منسكباً قضيتُ نحبي ولم أقض الذي وجبا
لا ينكرنُ ربعك البالي بلى جسدي فقد شربت بكأس الحبِّ ما شربا
ولو أفضتُ دموعي حسب واجبها أفضتُ من كلِّ عضوٍ دمعاً سرباً^(٢)
عهدي بعهدك للذاتِ مرتباً فقد غدا لغواذي السحب منتحبا
فيا سقاك أخوجفن السحاب حياً يحبو ربا الأرض من نور الرياض حبا
ذو بارقِ كسيوفِ الصاحب انتضيتُ ووابلِ كعطاياه إذا وهبا

ومنها :

فكنتُ يوسف ، والأسباط ، وأبو ال أسباط أنت ، ودعواهم دماً كذبا
وعصبه بات فيها الغيط متقدماً إذ شِدَّتْ لي فوق أعناق العدى رتبا
قد ينبح الكلب ما لم يلق ليث شرياً حتى إذا ما رأى ليثاً قضى رهبا
أرى مآربكم في نظم قافيةٍ وما أرى لي في غير العلا أربا
عدّوا عن الشعر إن الشعر منقصةٌ لذي العلاء وهاتوا المجد والحسبا
فالشعر أقصر من أن يستطال به إن كان مبتدعاً أو كان مقتضباً

(١) النصب : يفتح فسكون : مقاله لقوم جعلوا ديدنهم النيل من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ومناصبته العداء .

(٢) سرباً : جارياً .

ومنها :

أسير عنك ولي في كلّ جارحةٍ فمُ بشرك يجري مقولاً ذرباً^(١)
ومن يردُّ ضياء الشمس إن شرتُ ومن يردّ طريق الغيث إن سكباً
إنني لأهوى مقامي ذي ذراك كما تهوى يمينك في العافين أن تهبا
لكن لسانني يهوى السير عنك لأنّ يطبق الأرض مدحاً فيك منتخبا
أظنّني بين أهلي والأنام همُ إذا ترحلتُ عن مغناك مغتربا

ثم إنه فارق الري وقدم نيسابور ، فأشار عليه أبو بكر الخوارزمي بإنشاء قصيدة في الشيخ أبي منصور كثير بن أحمد يسأله فيها تقرير حاله عند صاحب الجيش أبي الحسن بن سيمجور ، فعملها وأوصلها أبو بكر وشعها من الكلام بما أوقعها موقعها ، أولها [من المتقارب] :

أبى طارق الطيف إلّا غرورا فينوي خيالك أن لا يزورا
فما أكرهُ الطيف في نفسه ولكنتي أكره الوصل زورا
إلى الله أشكو مُنى في الحشى تضمّن جنباي منها سعيرا
تفارق بي كلّ يوم خيلا وتفجع بي كلّ يوم عشيرا
فإنّ تسألاني يا صاحبي نص السرى تجداني خبيرا فأفارق ربعاً وأحتلّ كورا^(٢)
ففي كل يوم تراني الركاب لعودي السنين وخلّ الشهورا
إذا سرت عن صاحبي قلت عد وقد طبق الأرض شعري مسيرا
أراني ابن عشرين أو دونها تجوب السهول وتطوي الوعورا
إذا قلت قافيةً لم تزل لكان أبو هاشم بي فخورا
ولو كان يفخر ميتٌ بحي لما كنت أخطب إلّا السريرا
ولو كنت أخطب ما أستحق

(١) ذربا : لسان ذرب أي فصيح ، والسيف الذرب : الحادّ القاطع .

(٢) الربع : المقام بين قوم من الأقوام ، والكور : الحمل ، وهنا دليل على كثرة ارتحاله .

ولو سرت صاحبت ملوك البلا
ولكنني مكتفٍ باليسير
إذا أكثر الناس شيم الغمام
فتى ملئت بردناهُ علأ
إذا ضمّه الدست ألفيته
وإن أبرزته وغى خلته
فطوراً مفيداً وطوراً مبيداً
ترى في ذراه لسان المنى
تضمُّ الأسرة منه ذكاً
إليك من الشعر عذراء قد
إذا أنا أنشدتها أفحم الزمان
ولو أن أفدة السامع
ولست أحاول مهراً لها
فأنت يدٌ ولسانٌ له
فلا زلتما للعللا معصمين

د بين يديّ النفير النفيرا
إذا سهل الله ذاك اليسيرا
فلا شمت في الأرض إلا كثيراً^(١)
ونبلاً ومجداً وفضلاً وخيراً
سحاباً مطيراً وبدراً منيراً
حساماً بتوراً وليشاً هصوراً
وطوراً مجيراً وطوراً مبيراً^(٢)
طويلاً وباع الليالي قصيراً
وتحمل منه المذاكي ثبيراً^(٣)
طوت طيئاً وأجرت جريراً
وأسمع قولي الصمّ الصخوراً^(٤)
ن تسطيع شقت إليّ الصدورا
سوى أن تُبلغ أمري الأميرا
إذا أحدث الدهر خطباً كبيراً
تُدعى الأميرُ ويدعى الوزيرا

فلما وقف على صورة حاله أنهاها الى صاحب الجيش ، فاستدعاه وحين
وصل إليه استقبله بخطوات مشاها إليه ، وبالغ في إعظامه ، وأبلغ في إكرامه ،
ثم خيره بين المقام بنيسابور وبين الانحدار إلى الحضرة ببخارى ، فاختار
الخروج ، فوصله وزوده من الكتب إلى وزير الوقت وغيره من الأركان ، ووكله
بالباب أبي جعفر الرّماني ، فأحسن موقعه وأثره ، وحصل معه وطره .

(١) شيم الغمام : النظر إليه .

(٢) مبيراً مهلكاً .

(٣) المذاكي : الخيل الفتية ، وثبير : جبل من الجبال ، وهذا دليل على قوته وعظمته .

(٤) كذا ، والبيت غير مستقيم الوزن .

ولما دخل بخارى لقي أبا الحسن عبد الله بن أحمد بقصيدته التي منها [من

الطويل] :

وليلٍ كَأَنِّي فيه إنسانٌ ناظرٍ يقلِّبُ في الآفاقِ جفنيه دانيا
إذا ما أملتني به نشوةُ الكرى تمايلُ في كَفِّي المثقَّفُ صاحيا
وإن ما طمي لجَّ المنى بين أضلعي تعسَّفتُ لَجاً من دجى الليل طاميا^(١)
فأمسى شجاً في ظلمة الليل والجأ وأضحى قذى في مقلة الصبح غاديا^(٢)
حسامي نديمي والكواكب روضتي وبيت السرى ساقى والسير راجيا
ولما رأى الشيخ الجليل إقامتي عليه وتطليقي لديه المهاريا
دعاني وأدنانني وقرب منزلي ورَحَّبَ بي وانتاشني واصطفانيا^(٣)
همامٌ يبكي المشرفة ساخطاً ويضحك أباكراً الأمانى راضيا
ولو أن بحراً يستطيع ترقياً إليه لأمَّ البحر جدواه راجيا

وبقصائد غيرها ، فتقبله بكلتا اليدين ، وأعجب منه بفتى من أولاد الخلافة يملأ العين جمالاً والقلب كمالا ، وواصل صلاته ، وخلع عليه ، وألحقه في الرزق السلطاني بمن كان هناك من أولاد الخلفاء كابن المهدي وابن المستكفي وغيرهما .

ولما قام أبو الحسن المزني مقام العتيبي زاد المأموني إكراماً وإجلالا وأفضل عليه إفضالاً بسبب مناسبة الآداب التي هي من أوكد الأسباب وأقرب الأنساب .

ولما كانت أيام ابن عزيز وأيام الدامغاني وأيام أبي نصر بن أبي زيد جعل كل منهم يربي على من تقدمه في الإحسان إليه ، وإدراك الرزق عليه ، وإخراج الخلع

(١) لجّ : ألج ، واللُّجّ : معظم الماء، وطما : ارتفع موجه وغمر ماؤه ما حوله .

(٢) الشَّجَا : ما اعترض في الحلق من عظم أو نحوه والقذى : ما وقع في العين من وسخ وغيره .

(٣) انتاش : طلب ، واصطفى : اختار .

السلطانية والحملانات بمراكب الذهب له ، حتى حسن حاله ، وتلاحق ماله ،
وظهرت مروءته .

فمن شعره في المزني قوله من قصيدة أولها [من الكامل] :

أنا بين أحشاء الليالي نارُ هي لي دخانٌ والنجومُ شرارُ
فمتى جلا فجرُ الفضاءِ ظلامها صليت بيَ الأقطارُ والأمصارُ^(١)
بي تحلمُ الدنيا وبالخير الذي لي منه بين ضلوعها أسرارُ
فكلُّ مملكةٍ عليّ تلهفُ وبكلِّ معركةٍ إليّ أوارُ^(٢)
يا أهلُ ما شطَّتْ برجلي رحلةُ إلا لتُسفرَ عني الأسفارُ
لي في ضمير الدهر سرٌّ كامنُ لا بدُّ أن تستلّه الأقدارُ
حقنت يداه دمَ المكارم مذغدا دمُ كلِّ حرٍّ فاه وهو جبارُ
طبعَت مَزيَنةً منه عضباً ماله في غير هامات الأسود قرارُ^(٣)
أراؤه بيضُ الطبى وحديثه روضُ الربى ويمينه تيارُ
ضمَّت على الدنيا بدائعُ لفظه فكأنتها زندٌ وهنٌ سوارُ
وإذا العلوم استهمت طرقاتها فذووه أعلامٌ لها ومنارُ
عزماهم قصبٌ وفيضٌ أكفهم سحبٌ وبيضٌ وجوهم أعمارُ
ختم الرياسة بالوزارة فيهم أسدٌ له السمر الذوابل زارُ^(٤)
ومنها :

يا من إذا طرأ القبائل شاعرُ صلتُ على آبائه الأشعار
فارحم بمنكبك السماء أما ترى لسواك في خطط النجوم جوار

(١) صليت : أوقدت وأصل النار ، أوقدها .

(٢) الأوار : حرّ الشمس والنار ، واللهب والدخان .

(٣) العضب : السيف القاطع .

(٤) السمر الذوابل : الرماح الدقاق ، وزار : من زفير الأسد ، أي أن زفيره يكون رماحاً على الأعداء .

والأرض ملكك ، والورى لك غلمةٌ والدهر عبدك ، والعلا لك دار

ومن شعره في أبي محمد عبد الله بن أحمد بن عزيز قوله من قصيدة [من الطويل]:

سيخلف جفني مخلفات الغمامِ	على ما مضى من عمري المتقادمِ
بأرضٍ رواق العزِّ فيها مطنَّبٌ	على هاشمٍ فوق السَّهى والنعمائمِ
يدين لمن فيها بنو الأرض كلَّهم	وتعنولهم صيد الملوك الأعظمِ
ويهماء لا يخطو بها الوهم خطوةً	تعسَّفتها بالمرقلات الرواسمِ ^(١)
وقد نشرت أيدي الدجى من سمائها	رداء عروسٍ نُقِطت بالدراهمِ
فخلنا نجوماً في السماء أسنةً	مذهبةً ما بين بيضِ صوارمِ
أعطُ قميصي قسطلٌ ودجنةً	بذات الشكيمِ أو بذات العزائمِ ^(٢)
أيُّم عبد الله نجل محمدٍ	وزير بني سامان تميم حاتمِ
فمن مبلغ أهلي بأنِّي واجدٌ	طلابي من بحر الندى والمكارمِ
وأني من الشيخ الجليل وظلُّه	مطنَّب بيتٍ تحت ظلِّ الغمامِ
وأنَّ عيون الجود طوع أناملي	تدْفُق حولي بالسيول السواجمِ ^(٣)
لقد علمت أرض المشارق أنَّها	ييمنك قد عادت بليث ضبارمِ ^(٤)
وقد أيقنت أن ليس غيرك يُرتجى	لقمع الأعادي أو لدفع المظالمِ
فلاذتُ بلا وإنٍ ولا متقاعسٍ	ولا ناكلٍ عن نصرَةِ الدِّينِ جاثمِ
ولا تاركٍ رأياً تلُّونا	ولا قارعٌ عند الندى سنَّ نادمِ
يعمُّ بالهنديِّ حين يسله	أسود الوغى بالضرب فوق العمائمِ

(١) المرقلات : السريعة ، والرواسم : الجمال السائرة رسماً أي التي تترك أثرها على الرمال .

(٢) أعط : شقَّ القسطل : الغبار ، الدجَّة : الظلمة ، والشكيم : الإباء وقوَّة القلب .

(٣) السواجم : الغزيرة .

(٤) الضبارم : الشديد الخلق من الأسود ، ومن الناس : المحارب الجريء .

ويشرك من أمواله في الكرائم
ولا غيث إلا ما أفضت لثائم^(١)
على جبهة الملك المكنى بقاسم
كفيت ببيض الرأي ببيض الصوارم
وعزمك غضب في طلى كل ناجم^(٢)

فكنت له بالرأي أفضل ناظم
إلى حيث لا يسمو له وهم واهم^(٣)
فأبدى لنا من خطبة ثغر باسم
أعدت بها الإسلام كتب الملاحم
حمى واقياً من كل خطب وداهم

فأضعف ما سألت وقال هاكا
غدا بالترك يُتْهَك انتهاكا
إذا ما نابِه خطبُ نضاكَا
سواك كما أبت إلا أباكَا
يمجُّ رجاله حتى احتواكا
ليلي من عداك بما بلاكا^(٤)
وهل يغني غناءك من عداكا

ويسهم من أعماله في خيارها
فلا مُلْكَ إلا ما أقمت عروشه
ولا تاج إلا ما توليت عقده
أبدر العزيزين رفقا فطالما
فرأيك نجم في دجى الخطب ثاقب
ومنها :

وقد كان ملك الأرض قد زال نجمه
أخذت بضبع الدين حتى رفعته
وكان سرير الملك قبلك باكياً
محوت بما أثبتته من ملاحم
فلا زلت للملك الذي قد أعدته
ومن قصيدة أخرى [من الوافر] :

سألت الله مبتهلاً مناكَا
وردَّ على يدك الملك لمَّا
فأنت لربُّ هذا الملك سيفُ
وقد أبت الوزارة في بخارى
وكان الصّدر مذ أخليت منه
وما أخلاه منك الملك إلا
فما أغنوا غناءك في فقير

(١) أفضت : أنعمت ، وشائم : متطلع .

(٢) الغضب : السيف ، والطل : الليل ، والناجم ما طلع من نجوم أو من نبات .

(٣) ضبع الدين : أي ببذبه ، والضبع ما بين الإبط إلى نصف العضد .

(٤) ليلى : ليمتحن .

وكنـت السـيفُ أغمـدُ يـومِ سـلمٍ
وقـد كـانـت عـلى الأعداء أـمضى
ولـو نهضـت رجاـل الأرض طـراً
فـعلـت بـيـعـض قـولـك كـلّ فـعلٍ
غـذيت بـدر ضـرع العـلم طـفلاً
فـلا شـرب الطـلا أـلـهـاك يـوماً
وإن غـمّ المـمالـك لـيل خـطـبٍ
فأفـسـح مـن خـطـى الخـطـى قـدماً
وأـسـمـح مـن مـلـثُ القـطر جـوداً
وما انـفـتـحـتُ بـلا ، شـفـتـاك يـوماً
تأخـرّ عـن مـداك البـحر لـمّا
وما جـارك صـوبُ المـزن لـمّا
ولـكنّ الغـمـام عـني سـجـوداً
فأنت أـجـلُ قـدراً أن تجـارى
وقـد سـامى السـماء ومـاس زهواً
فأهـلـوه ومـن فـيه وقـاءُ
فـها هـو جـنّة لـك فاغـتـنـمـها
ومـنـها :

فلـما شـبّت الحـرب انتـضـاكـا
وأقـضى مـن سـيـوفـهـم رقاكا
بـما كـلّـفت مـا أغـنـوا غـناكا^(١)
ونـبت بعـفو رأـيـك عـن طـباكا
فـفـقـت الخـلق فـي المـهـد احتـناكا
ولا بـيـض الطـلا عـمّا عـناكا
جـلـاه صـبـح رأـيـك أو سـناكا
إـذا أقـدمـت فـي حـرب خـطـاكا
إـذا مـا صـاب صـيـبُهُ نـداكا^(٢)
ولا انـضـمّـت عـلى نـشـبٍ يـداكا^(٣)
جـريت ، فـلم نـسـمـيـه أخاكا ؟
جـرى وجـرى نـداك ولا حـكاكا
عـلى وجـه الثـرى لـك إذ رآكا^(٤)
وأرـفـع رتـبـة مـن أن تحاكي
عـلى فـرع السُّهـى بـلدُ نماكا
لـنـفـسـك مـن جـمـيع مـن ابـتـغاكا
وهم لـك جـنّة مـمّا دهاكا

لـإلـحـاقـي بـهم نـفـسـي اشـتـباكا
رأيت دليـل ذاك كـما أراكا

أكاد إـلى العـزـيزـين أعـزي
فلـو أجـريت لـحـظـك فـي فـؤادـي

(١) طـراً : قاطبة .

(٢) مـلـثُ القـطر : وصـيـه : قـطره وهـطـولـه . والنـدى : الكـرم والعـطاء .

(٣) النـشـب : العـقار ، والمـال الأـصـيل مـن نـقـود ومـاشـية .

(٤) عـنى : أذعن وأحـنى وأطاع .

أعبد الله لا خَيْرَ بيتاً مدى الأيام إلا في علاكا
فكم لك من يدٍ قلدتنيها فلست أرى لها عني انفكاكا
ولو حملت ما حملتني شام لما استطاع به حراكا
وقد ألبستني أثواب عَزِ وقد أوطأت أحمصي السَماكا^(١)
فحسبك من علا أعليت كعبي برفعك فقد بلغ السَماكا
فلا حطت لك الأيام مجدداً ولا ارتجع المهيمن ما حباكا
سرى كلُّ السرى في الأرض شعري وخيم إذ رآك فما خطاكا
وكنْتُ على النوى صممتُ حتى منعت فبتُ مبتغياً رضاكا
ولو لم تقتصر حالي الليالي لما أزمعت سيراً عن حماكا
وقد سميتُ لي أمرين حسي ببعضهما إذا آثرت ذاكا
وإن لم ترض لي بالنجم نعلأً ولا خطَّ المجرة لي شراكا
فدع ما ترتضيه لنا وخفضُ فأنفسنا وما ملكت فداكا
وما استكفت من جدواك ، لكنْ كفاني بذل ودُّك عن لهاكا
ولو كان استماح البحر خلقاً لأمك يستمحيك وانتحاكا^(٢)
فلا يمتُّ غير نذاك بحرأً ولا خيمت إلا في ذراكا

ومن شعره في أبي نصر بن أبي زيد قوله من قصيدة وصف فيها داره التي بناها
وانتقل إليها عند تقلده الوزارة [من الخفيف] :

قد وجدنا خطي الكلام فساخا فجعلنا النسيب فيك امتداحا
وأفضنا ما في الصدور ففاض الممدح قبل النسيب فيك انفساحا
وعمدنا إلى علاك فصغنا لصدور القريض منها وشاحا
وصدعنا في أوجه الشعر من بيض مساعيك بالندى أوضاحا

(١) الأخمص : يريد به قدمه ، والسماك : نجم في السماء ، وأوطأ : أداس .

(٢) أمك : قصدك ، ويستمحي : يطلب السباح والمعدرة ، وانتحاكا : أي طلب ناحيتك .

غَرَسْتُ فِي ثَرَى الصَّدُورِ عَطَايَا كَ غُرُوساً أَثْمَرْنَ وَدّاً صِرَاحَا
 كَمْ كَسِيرٍ جَبْرَتُهُ وَفَقِيرٍ مُسْتَمِيحٍ رَدَدْتُهُ مُسْتَمَاحَا
 وَبِلَادٍ جَوَامِحٍ رَضَتْهَا بِالْعِزِّ حَتَّى أَنْسَيْتِهِنَّ الْجَمَاحَا^(١)
 وَأَمَانَ خَرَسٍ بَسَطَتْ لَهَا فِي الْقَوْلِ حَتَّى أَعَدَّتْهُنَّ فِصَاحَا
 شَهَرْتَ مِنْكَ آلَ سَامَانَ عَضْباً يَنْجَحُ السَّعْيُ غَرْبُهُ إِنْجَاحَا^(٢)
 أَحْمَدْتَ رَتْبَةَ الْوِزَارَةِ مِنْ أَخْمَدٍ نَاراً تُجْرِي الْقَنَا وَالصَّفَاحَا
 فَلَوْ أَنَّ الْمَمَالِكَ اسْتَنْطَقَتْ فِيهِ لَقَامَتْ بِذِكْرِهِ مَدَاحَا
 مَغْرَمٌ بِالنَّاءِ مُغْرَى بِكَسْبِ الْحَمْدِ يَهْتَزُّ لِلْسَّمَاحِ ارْتِيَاخَا^(٣)
 لَا يَذُوقُ الْإِغْفَاءَ إِلَّا رَجَاءٌ أَنْ يَرَى طَيْفَ مُسْتَمِيحٍ رَوَاحَا
 يَا أَبَا نَصْرٍ الَّذِي نَصَرَ الْمَلِكَ فَأَنْسَى الْمَنْصُورَ وَالسَّقَّاحَا
 ضَاقَتْ الْأَرْضُ عَنْكَ فَارْتَدَتْ رِبْعاً يَسِعُ الْبَحْرَ وَالْحَيَا وَالسَّمَاحَا
 وَإِذَا ضَاقَتْ الْمَصَانِعُ بِالسَّيْلِ أَبَى أَنْ يَحُلَّ إِلَّا الْبَطَاحَا
 فَهَيْئاً مِنْهَا بَدَارِ حَوْتَ مِنْكَ جِبَالاً مِنَ الْحُلُومِ رَجَاحَا
 كَوْنَهَا تَوْعَمُ الْوِزَارَةَ مِمَّا زَادَ بَرْهَانَ سَعْدَهَا إِضْاحَا
 ذَاتَ صَدْرٍ كَرَحَبِ صَدْرِكَ قَدْ زَادَ عَلَى ظَنِّ أَمْلِيكَ أَنْفَسَاحَا
 يَغْرَسُ الصَّيْدَ فِي ذِرَاهَا مِنَ التَّقْيِيلِ غَرْساً فَيَجْتَنِيهِ نَجَاحَا
 بَفْنَاءِ نَظِيلٍ فِيهِ خَطِي اللَّحْظِ وَنَلْقَى لِلْفَكْرِ فِيهِ أَنْسَاحَا
 بِهَوَاهَا يَمْلَأُ الْعَيُونَ بِهَاءً صَحْنَهَا يَمْلَأُ الصَّدُورَ أَنْشَاحَا
 شَيْدُهَا فَضَّةٌ وَقَرْمُهَا تَبَرُّرٌ قَدْ أَمْتِيحُ مِنْ نَدَاكَ أَمْتِيَاخَا^(٤)
 وَثَرَاهَا مِنْ عَنَبٍ شَيْبٍ بِالْمَسْكَ فَإِنْ هَبَّتِ الصَّبَا فِيهِ فَاحَا^(٥)

(١) الجراح : التمرّد ، واتباع الهوى ، ورضتها : أي جعلتها تنقاد .

الغرب : السهم الذي لا يعرف راميّه . (٢) السباح : الكرم والعفو .

(٣) امتيح : غُرِف ، وامتاح فضله آتى يطلبه ، والتبر : الذهب .

(٤) شيب : خولط .

مقنعات فيها الأساطين من فوق صخور قد انبطحن انبطاحا
كلُّ نادرٍ منها قد اتشح الفرش بثوب الربيع فيه اتشاحا
وأرى بين كلِّ نحيين كالروض خليجاً من البساط مساحاً^(١)
وسقت مأوّه حدائق غريبه إلى أن غدت به ضحضاحا
صبغةً من دم القلوب فمن أبصره اهتزَّ صبرةً وارتياحا
ما بكاء الرياض بالظلِّ إلاَّ خجلاً من رياضها واقتضاحا
شابه النقش فرشها مثل ما شا به ولدانها دماها الصباحا
وكانَ الأبواب صحبٌ تلاقيـن انغلاقاً ثم افترقن انفتاحا
وكانَ الستور قد نشر الطاوس منها في كلِّ بابٍ جناحا
وكانَ الجمادات فيها شمسٌ أطلعتها ذرى القباب صباحا
والسواري مثل السواعد كبَّت تحتها من أساسها أقداحا
وبيوتٍ كأنهنَّ قلاعٌ مزعماتٌ للنيرات نطاحا
ورواق كأنما بسطت فيه دعاء أيدي الأساطين راحاً^(٢)
وجنانٌ لو كنتُ في جنة الفر دوس لم أبغ غيرهنَّ اقتراحا
وإذا دارت الكؤوس بها أبصرت خلد النعيم ثم مباحا
ومنها :

من يدي كلُّ ساحر الطرف يجني الورد من وجنتيه والتُّفاحا
وإذا الزير جاب الناي ضرباً جاب البلب الهزار صياحا
في مقامٍ تمحو الهموم به النشوة عناً وثبت الأفراحا^(٣)
تُطلع الشمس أنجماً كلما هزَّت شمس الطسوس منها رماحا

(١) نحيين : جانبيين متباعدين .

(٢) الرواق : ما تقدّم من البيت واتسع . والأساطين : الأعمدة .

(٣) النشوة : الشعور بالفرح والسعادة .

وضياء السقاة والخمر والكا سات فيه قد عطل المصباحا
 وإذا ما المجامر اضطربت بالجمر أحيث رياحها الأرواحا^(١)
 فمتى أطعمت أزجة عطرٍ أشرعت من دخانها أرماحا^(٢)
 فهنيئاً منها بجنة عدنٍ ضمنت منك سيداً جججاحا
 فاقطع الدهر في ميادينها الفيح اغتباقاً على الحيا واصطباحا
 واملأ الفكر من موشحة فيك ولا تولها قلبي واطراحا
 فلو أني استوقفت عيناً بما قلت لما اسطاع عن براحي براحا

* * *

قال مؤلف الكتاب : رأيت المأموني ببخارى سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة
 وعاشرت منه فاضلاً ملء ثوبه . وذاكرت أديباً شاعراً بحقه وصدقه . وسمعت منه
 قطعة من شعره ، ونقلت أكثره من خطه ، وكان يسمو بهمته إلى الخلافة ، ويمني
 نفسه قصد بغداد في جيوش تنضم إليه من خراسان لفتحها ، فاقتطعت المنية دون
 الأمنية ، ولما فارقه لم تطل به الأيام بعدي حتى اعتل علة الاستسقاء وانتقل إلى
 جوار ربه ولم يكن بلغ الأربعين ، وذلك في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة .

وهذا ما اخترته من شعره في الأوصاف والتشبيهات التي لم يسبق إلى
 أكثرها .

قال في المنارة [من الطويل] :

وقائمة بين الجلوس على شوي ثلاثٍ فما تخطو بهن مكانا^(٣)

(١) المجامر اضطربت بالجمر : البخور الذي يتصاعد من النار . والأزجة : جمع زج وهو الحاجب الرقيق
 الطويل .. وأزج الرمح : جعل له حديدة في أسفله .

(٢) الشوى : أطراف الجسم كاليدين والرجلين .

على رأسها نجل لها لم تجته حشاها ولا علتة قط لبانا^(١)
يشرّد في أعلاه كل دجّة يشقّ جلايب الظلام سنانا

وقال في الكرسي [من المجث] :

ومقعد	لي	وطىء	يقوم	عند	قعودي
يزهي	بصدر	فسيح	رحب	وبأس	شديد
له	رواق	أديم	على	سواري	حديد
إذا	جلست	عليه	خلت	الأنام	عبيدي

وفيه أيضاً [من المتقارب] :

ومرتبة	من	بوادي	الملو	ك	بين	القيام	وبين	القعود
تمد	بساطاً	لمستوطىء		ثبوت	عمد	من	حديد	^(٢)

وفيه أيضاً [من المتقارب] :

ومستوقف	لجلوس	الحضور	على	أربع	في	الثرى	موثقه
يمد	على	فرعه	مفرشاً	ويظهر	في	خصره	منطقه
فمن	شاء	صيره	مقعداً	ومن	شاء	صيره	مرفقه

وقال في طست الشمع [من الكامل] :

وحديقة	تهتز	فيها	دوحة	لم	ينمها	ترب	ولا	أمطار
فصعيدها	صفر	ونامي	غصنها	شمع	وما	قد	أثمرته	نار

(١) النجل : الولد ، لم تجته : أي لم يكن جنيناً فيها ، واللّبان : الصدر أو ما بين الثديين من الصدر .

(٢) كذا ، ولعلّ عجزه : تثبته عمد من حديد .

وأيضاً [من الطويل] :

وطاعة جلاب كل دجئة
تجود على أهل الندامى بنفسها
ويقري عيون الناظرين ضياؤها
وقال في النار [من السريع] :

أم القرى عندك أم بوح
أم ذات مرط ذهبي لها
يسقني أخت لها دنها
كأنها الشمس وما نفّضت
فقد سرى أبوابه اللوح
يعقدها في الجو تطويح
جسم لها وهي له روح
من شرر عنها المصايح
وله في الحمام [من الطويل] :

وبيت كأحشاء المحب دخلته
أرى محرماً فيه وليس بكعبة
بماء كدمع الصب في حر قلبه
توهمت فيه قطعة من جهنم
يشير ضباباً بالبخار مجللاً
ومالي ثياب فيه غير إهابي
فما ساغ إلا فيه خلع ثيابي
إذا آذنت أحبابه بذهاب
ولكنها من غير مس عقاب
بدور زجاج في شمس قباب

وله في السطل والكرنيب [من مجزوء الرجز] :

لنا من الأسطال سطل شأنه عجيب
كالشمس إذ عاجلها في الطفل المغيب^(٣)

(١) النواة : خصلات الشعر في مقدمة الوجه ، والذابل : الرمح الدقيق .

(٢) ورد في صدر البيت هكذا « تجود على أهل الندى بنفسها » ولا يستقيم به الوزن ، فأقمناه كما أتيت في

الأصل . (٣) طفل المغيب : قبيل غروب الشمس .

كزنبه كمانح وهو له قليب^(١)
قبضته سيكة في متنها نحب
ضرب دمشق فما يرى لها ضرب^(٢)

وله في حجر الحمام [من السريع] :

لحجر الحمام عندي يد ومنة لست أؤديها
وهو لرجلي صقيل لا يني عن طبع في الرجل ينقيها^(٣)
كأنها كورة نحل إذا غمستها في الجبر تشبها^(٤)

وفي الليف [من مجزوء الرجز] :

لليف في تنظيف جسم المستحم معجزة
فلا يغور درن في الجسم إلا أبرزه
كأنه ذائب قد مشطت مجرزه^(٥)

وفي المنشفة [من المنسرح] :

منشفة حملها تخال بها قد فت كافورة على طبق
كأنما أنبت خمائلها ما ارتشفت من لآلىء العرق

وفي الزنبيل [من الوافر] :

وذي أذنين لا يعيان قولاً وجوف للحوائج ذي احتمال
تكلف شغل أهل البيت طراً وتحمل فيه أقوات العيال

(١) المائع : المقترف ، والقلب : البشر .

(٢) ضرب : صنع وسبك ، والضرب : المثل .

(٣) صقيل : من صناعته صقل السيوف أو غيرها .

(٤) كورة النحل : خليتها ، أو عسلها في أفراس الشمع .

(٥) مجرزة : محزمة كل حزمة تفرق عن أختها .

مطيعٌ في الحوائج غير عاصٍ ولا شاكٍ إليك من الكلال
تُسِرُّ إليه في الأسواق سرّاً فلا يبيده إلا في الرحال

وله في كوز أخضر محرق [من الكامل] :

وبديعةٍ للريم منها جيدها حارت عيون الناس في إبداعها
كخريدةٍ في مرط خزٍّ أخضرٍ رفعت يداً لتردّ فضل قناعها^(١)

وله في الشرايبة [من السريع] :

شمسٌ لها من نفسها أرجلٌ ستٌ إذا ما شئت أو أربع
تنوء بالكوز لظئرٍ له تحضنه الدهر ولا ترضع^(٢)

وله في الجليد [من البسيط] :

حجارةٌ من صنيع الدهر تمتعنا بيردها وضرامُ الغيظ يستعُرُ
كأنّها قطعُ البلّور ليس بها نقبٌ ولا أثرٌ بادٍ ولا كدر

وله في ماء بجليد [من الرجز] :

ورائقٍ مثل الهواء صافي بات بثوب القرّ ذي التحاف^(٣)
حتى نفى عنه القذاة نافي فرقٌ حتى صار كالسُلاف
أسرع في الجسم من العوافي فيه الجليد راسبٌ وطافي

* كأنه ودائع الأصداف *

وله في كأس جلاب [من الرجز] :

(١) الخريدة : الفتاة الناهد ، المرط : الثوب الطويل .

(٢) الظئر : المرأة المرضع لغير ولدها .

(٣) القرّ : البرد القارص .

يقضي بها عند الخمار ما وجب
تشابه الجليد فيها والحب^(١)
فبعضه طاف وبعض قد رسب
حوت يغوص تارة ثم يشب

وفيها [من الطويل] :

سعير خمار الكأس عند التهابه
وعود وصال الحب بعد ذهابه^(٢)

دوائي من دائي به وشفائي
مذاب عقيق فيه جامد ماء

ثدي كعوب مسود الحلمه
شهب بزاق تطير عن أكمه

تناسبا واختلفا في التجر
تلوح من تحت ثياب خضر
كدر مفطوم رضاع الدر
إقعاء أسد بصرت بنمر^(٣)
بمثل أحداق جراد خزر

وكأس جلاب بها يطفى اللهب
كأنها الفضة شيت بالذهب
حسبته دراً من المسك انسرب
كأنما المخوض فيها يضطرب

وكأس من الجلاب أطفأ بردها
وكانت كبرد العدل عند طلابه
وله في السكنجين [من الطويل] :

ومستتج ما بين خل وسكر
رأيت به في الكأس أعجب منظر
في الفقاعة [من المنسرح] :

ورب فقاعة رأيت بها
حللت زنارها فأظهر لي

وفي المعنى أيضاً [من الرجز] :

أجسام صخر دفنت في صخر
تحكي ثنايا خفرات غر
أطرافها قد ضمخت بالحبر
أقعى على أذناهن التبري
تفور إن حلت كفور القدر

(١) الحب : فقاقيع الماء .

(٢) العدل : الإنصاف وعدم الظلم .

(٣) أقعى : جلس على إلبته ونصب فخذه وساقيه .

أو صارم فيه الفرند يجري
 كأنما الليل انجلي عن فجر
 وما عدا رؤوسها قد عُرِّي
 دفائن لا لانقضاء عمر
 قد حنطت أجيادها بالعطر^(١)
 دفينها ينشر ميت القبر
 تقسم بالله العظيم القدر
 فهي شفاء السكر بعد السكر

متقد اللون اتقاد السرج
 مجت عليه النحل أي مج
 بظاهر كقطع الخلنج^(٢)
 غصت به فوهاء مثل البذج^(٣)
 نقيّة كالعاج أو كالثلج^(٤)
 خرم ثوب الخيل بالبرطنج^(٥)
 وما أعد للطعام الفج
 ونخم تغصني وتشجي
 يوسع ما ضاق لنا من نهج
 ويجعل الأفواه ذات أرج
 وخطه عليه بالتهجي^(٦)

أو مثل أنصاف صغار الذر
 يعلو وينقض انقضاؤ الزهر
 تبدي ذرى هاماتها من جمر
 مزنرات لا لدين كفر
 في تربة من صنع أيدي القر
 وحرمت حرم أخيد الأسر
 وبردها شفاء حر الصدر
 لا أرضعت إلا فطيم الخمر
 في الأترج المربى [من الرجز] :

ورب سوس من الأترج
 يعوم من إنائه في مزج
 فقام من رضاها في لج
 أو العقار اعتلت بالمزج
 سليمة من كلف وسحج
 قد خرطت على قوي النسج
 أفضل ما أبغي وما أرجي
 وكل مأكول بطيء النضج
 بهر لها كالسائق المزجي
 يبرى من كل أذى وينجي
 عزاه شاريه إلى الأشج

(١) القر : البرد ، وأجيادها : جمع جيد وهو العنق .

(٢) الخلنج : شجر معرب .

(٣) البذج : ولد الضأن .

(٤) الكلف : ما يظهر في الوجه من بقع سوداء ، والسحج : العض الذي يترك أثراً .

(٥) كذا بالأصل .

(٦) الأشج : من كان في رأسه أو في جبينه شجة أو أثر شحه .

جاء به الحجيج بعد الحج يفرون كل سبب^(١) وفج^(٢)
حتى أتوا منه بما يرجي فلت مأمولي به وفلجي^(٣)

وله في الإهليج الربى [من السريع] :

إهليلج خلناه لما بدا يمرح في لج من الشهد
وسائط الجوهر قد ألفت في ماء ياقوت من العقد

وله في الترنجين [من مجزوء الرجز] :

وسكر ليس من السكر المستخرج
أبيض كالكافور أو كاللؤلؤ المدحرج
فلو حلفت أنه طرزه لم أخرج
فهو غذاء يغتذي وهو شفاء للشجي
ظل من السماء يهوي فوق نبت العوسج
يسقط مثل اللؤلؤ الرطب على الفيروزج

وله في الرطب المعسل في برنية زجاج [من الطويل] :

وشفافه مثل النسيم كأنها مكوّنة الأجرام من ريق القطر
بها من نبات النخل والنحل ملؤها يواقيت جمر في مياه التبر

وله فيه [من المجث] :

ورب ماء من الشهد في زكي زجاج
فيه يواقيت جمر يضم أقطاع عاج

(١) يفرون : يقطعون : والسبب : الأرض الواسعة التي لا ماء فيها، والفج : الطريق الواسع بين جبلين .

(٢) الفلج : الفوز والظفر .

وله في كعاب الغزال في برنية زجاج [من البسيط] :

وذات لطفٍ كقطرٍ ضُمَّنت يققاً كأنه البرد الربيعي تشبيهاً^(١)
شفافة من حدائق الزرق قد طبعت ومن بياض عيون الحور ما فيها
وفيها أيضاً [من الطويل] :

وبيض ظنناهنّ والجام محقق بهنّ كصدرٍ هنّ فيه فؤاد^(٢)
أنامل غيدٍ ما وصلن براحة وأعين عينٍ ما لهنّ سواد
وفيهايضاً [من الطويل] :

وبيض إذا ما لحنّ في الجام خلقتها نجوم سماء في سماء زجاج
وإن ضُمَّتْهنّ البراني حسبها أسنة سمرٍ في رقيق عجاج

وقال في بنادق القند الخزائني في برنية زجاج [من البسيط] :

وأبيض اللون أودعناه صافية تذيع ما استخفيت فيه وتبديه
كأنه برد صاغ الهواء له من ريق القطر أكنافاً توقيه

وقال في أعمدة القند الخزائني [من الهزج] :

أنابيب من القند على الأطباق مبيضة^(٣)
كأنّ الجام كف وهي أطراف لها بضه
حكت أعمدة صيغت من الثلج أو الفضه
حكت شهباً غدت في ذ لك المجلس منفضه
شفاء الشارب الظمّان من أطرافها عضه

(١) اليق : القطن .

(٢) الجام : إناء من فضة كالكَاس يتخذ للطعام والشراب .

(٣) القند : عسل قصب السكر إذا جمد .

(٤) بضه : شديدة البياض في سمن وامتلاء .

وله في اللوز الرطب [من الطويل] :

وافت لتخطر في ثلاث مدارعِ حذاهن في شكل النواظر حاذي^(١)
توايت في حصر الحدود تضمّت مكفّن عاجٍ في مصنّدل لاذي^(٢)

وله في اللوز اليابس [من البسيط] :

ومستجنّ من الجانين ممتنعِ بجبةٍ لم يحكها كفّ نساج
درّ تضمّن من عاجٍ تضمّنه والبرّ لا البحر أصداف من العاج

وقال في الجوز الرطب [من الكامل] :

ومحقّق التدوير يعرب نفعه من كفّ من يعنيه ما لم يكسر
درّ يسوغ لأكله ضمّة صدفٌ تكوّن جسمه من عرعر
متدرّع في السلم ثوب غلالةٍ درعاً مظاهرةً بثوب أخضر^(٣)

وله في الزبيب الطائفي [من المنسرح] :

وطائفيّ من الزبيب به ينتقل الشرب حين ينتقل
كأنه في الإناء أوعية الـ نحاس لكنّ ملأها عسل

وله [من مجزوء الرجز] :

وقشمشٍ كخرزٍ للنظم لم يثقبِ
ييلى به الكأس لما بينهما من نسب
يحظى به الشارب في النادي ومن لم يشرب
كأنه أوعيةٌ يحملن ذوب الضّرب^(٤)

(١) في الأصل : « وافت تخطر » ولا يستقيم الوزن ، فأقمناه كما أثبت .

(٢) المصنّدل : من الصنّدل : شجر هندي أبيض الزهر، اللاذي : ثوب من الحرير الأحمر .

(٣) الغلالة : الثوب الرقيق .

(٤) الضّرب : العسل الأبيض الغليظ أو أنهنّ من صنع ماهر حاذق .

أو لؤلؤٌ قد علَّ أعلاه بماء الذهب

وقال في العناب [من المجتث] :

يروقني العنابُ فبي إليه انصبابُ
إذ لاح لي منه أطرا ف من أحب الرطابُ
يحكى فرائد درُّ لها العقيق إهابُ

في الباقلاء الأخضر [من مجزوء الرجز] :

وباقلاء	أزهري	مثل سموط الجوهري ^(١)
تضمُّه	أوعية	من الحرير الأخضر
اوساطه	مخطَّفة	مثل خصور ضمَّر
أطرافه	مذروبة	مسروقة من أنسر ^(٢)
وطرف	كمخلب	وطرف كمنسِر

وله في الباقلاء المنبوت [من السريع] :

وباقلاء عامرٌ طيها من حسنه الناظر مبهُوتُ
كأنَّه أقطاع عاجٍ لها من خشب الساج توابيتُ

وله في البطيخ [من الطويل] :

محقَّقة ملء الكفوف كأنَّها من الجزع كبرى لم ترض بنظام^(٣)
لها حلَّة من جلنارٍ وسوسنٍ مغمَّدة بالأس غبَّ غمام

(١) سموط الجوهري : عقودها .

(٢) مذروبة : محدَّدة والمذروية هي المدية .

(٣) الجزع : الخرز ، لم ترض : لم تنظم وتقاد .

تمازج فيها لون صباً وعاشق
وأبدي له في التحر تخضير كاعب
رياضية مسكية عسليّة
إذا فُصِّلَت للأكل حاكت أهلة
كساه الهوى والبين ثوب سقام
علامته ذات اعتدال قوام
لها لون ديباج وعرف مدام^(١)
وإن لم تفصل فهي بدر تمام

وله في البطيخ الهندي [من الطويل] :

ومبيضة فيها طرائق خضرة
كحقة عاج ضيبت بزبرجد
كما اخضر مجرى السيل في صيب الحزن^(٢)
حوت قطع الياقوت في عطن القطن^(٣)

وله في الكمثرى [من الوافر] :

وضرب من ثمار الصيف يحكي
قناديلاً تضيء لها رءوس
وقد طلعت لنا منه نجوم
مثقبة وليس لها جروم

وله في رمانة [من السريع] :

رمانة ما زلت مستخرجاً
فالجام أرض وبناني حياً
في الجام من حقتها جوهراً^(٤)
تمطر منها ذهباً أحمر^(٥)

وله [من الكامل] :

ليس الإناء بحافظ مستودعاً
فإذا جعلت له الغطاء فإنه
إلا إذا وقّيته بغطاء
بجميع ما استودعت خير إناء
فاحفظ إناءك بالغطاء فإنه
لا خير في أرض بغير سماء

(١) العرف : الرائحة .

(٢) الحزن : الأرض اليابسة المرتفعة ، والصيب : السحاب الممطر .

(٣) الحق : وعاء الطيب ، ضيبت : زينت . وعطن القطن : أي صبغها وألقاها في العطن ، وربما يقصد هنا بعطن القطن : بزرها .

(٤) حقتها : غلافها .

(٥) البنان : الأصابع ، والحيا : المطر .

وله في الملح المطيب [من السريع] :

لا تدن مني الملح إن شبته	من	الأبازير	بألوان
ووجهه أبرص ذو غشة	بين	ثآليل	وخيلان ^(١)
فإنني أحسب أنني متى	أدنته	مني	أعداني
وهاته أبيض ما إن له	في	عرصة	الصحفة من ثاني
فهو متى أفرد من صاحب	إدام	زهاد	ورهبان

وله في خبز الأبازير [من السريع] :

الملح ما أكثر أبقاره	لا ملح	أهل الزهد والنسك
كأن شهدانجه بينه	حبّات	رومي من الفلك
كأنما الشيونيز من فوقه	ما نفت	الفضة في السبك
كأنما العناب في وجهه	تنقيط	قرآن على الصك
بانجدان فض من مهرق	وسمم	قد فض من سلك
يشبه من ثني أبازيره	إذا تأملناه	أو يحكي ^(٢)
سحيق كافور مشوب به	قراضة	العنبر والمسك

وله في الرقاق [من السريع] :

خبز الأبازير مني كل من بترهات الأكل يشتهر^(٣)
وعندنا منه أتراس من الفضّة قد رصّعها الجواهر(?)
كأصحن الكافور قد حشدت وذراً في أوجهها العنبر

وله في الرقاق [من المتقارب] :

(١) الغشة : غطاء . والتآليل والخيلان : ما يظهر في الوجه أو في غيره من لحم ناتئ .

(٢) الأبازير : نوع من الخبز .

(٣) ترهات : الباطل .

وخبَّازو لا تغذِّي الرقاق أرتنا من الخبز أمراً عجباً
تناولُ بيض كتاب العجين فتنسخُ في الوقت منها ثياباً
وتأتي بها كصفاح الغديـر قد كوّن القطر فيها قباباً

في الجبن والزيتون [من الطويل] :

غرامي بابن المباركة التي بها كلّم الله الكليم من الرسل^(١)
فإن نيط بابن الضرع بعد احتياكه وبعد اعتصاره الدهر ما فيه من ملل
رأيتُ أكفأ فضةً وأنا ملأً بهن خضابُ حالك اللون ما نصل
وألفيت منها أوجه الروم فوقها جعود شعور الزنج أو حلق المقل
إذا اجتمعنا لي لم أملُ معهما إلى أطياب أنواع الطبخ ولم أبل^(٢)
خليلان ضدّان الدجى والضحى معاً يضمُّهما فترٌ من الأرض أو أقل
فكلني إلى خدنين ذا وضح الدجى نقاءً على أرض الخوان وذا طفل^(٣)
فهذا كخدٍ بالعضاض مؤثّر وذاك كصدغٍ حالكٍ فوقه انسدل

وله في البوراني والبطيخ [من الطويل] :

لدينا نديمٌ لم يزل طول يومه له في المقالِي فجّة وفشيش^(٤)
وضرب من البطيخ في راحتيّ من خشوته كلّمُ بها وخدوش^(٥)
تخال ربا النواريج أهدقت بها خفيفةً من أن تحفّ جيوش^(٦)
ومن لم يكن في الصيف هاتان عنده فكيف يرجّي عمره ويعيش

(١) أبل : أظفر ، وأنل .

(٢) خدنين : صاحين ، والخوان : ما يوضع عليه الطعام أثناء الأكل ، والطفل : الرخص الناعم من كل شيء وطفلت الشمس : مالت للمغيب .

(٣) الفجة : قبح : فتح وباعد بين رجله ، وفجّي الشيء : كشفه .
والفشيش : صوت الهواء الخارج من إناء أو غيره .

(٤) الكليم : الجرح ، والخدوش : الجروح البسيطة .

وله في العجة [من المنسرح] :

عندي للضيف عجةٌ شرقت بدهنها فهي أعجبُ العجبِ
قد عضّت النار وجهها فغدّت كياسمينَ بالوردِ منتقبِ

وله في الجوزابة [من مجزوء الرجز] :

جوزابةٌ فوارةٌ في دهنها المنسكبِ
كأنّها قد ركبت في جامها بلولبِ
لائحةٌ في أهبها آثارَ عضّ اللهبِ
كنقرةٍ من فضةٍ في حقةٍ من ذهبِ

وله في الشواء السوقي [من الطويل] :

طرا طاريءٌ عند العشاء فجثته بقرص عضيضٍ من شواء ابن زنبور
تخال قطاع المسك رصع رصفها بفيروزج النعناع في صحن كافور

وله في سمكة مشوية [من السريع] :

ماويةٌ فضيةٌ لحمها ألدُّ ما يأكله الأكل
يضمُّها من جلدها جوشنٌ مذيّلٌ فهو لها شاملٌ^(١)
كوّنت من فضتها عسجداً بالقلي لما ضافني نازلِ

وله فيها [من السريع] :

ماويةٌ في النار مصليةٌ يصبغ من فضتها عسجدُ
كأنّما جلدتها جوشنٌ من رفن الصنعة أو مبرد^(٢)

(١) الجوشن : الدرع .

(٢) مزرفن : أي له حلقات كحلقات الباب .

وله في السفود [من الطويل] :

وأسمر قد لفَّ السعيرُ إهابه ينوء بحجزٍ من ثنياته سمر^(١)
إذا ضمَّ أنواع السميّط وحطَّ في بعيدة قعرٍ ماؤها لهب الجمر
أتاك بما في ضمنها فكأنَّه محبٌ كوى أحشاءه ألم الهجر

وله في الهريسة [من المنسرح] :

هريسةً خلّتها وقد ملأ الطَّبَّاخُ منها الإنباء ما وسعا
دراً نثيراً أسلاكه قطعُ في ماء ورد وصندلٍ نُقعَا

وقال في ماء الخردل [من الخفيف] :

أتحفوني على الخوان بمقطو بٍ يحاكي في الطعم فقد الأليفِ
يضحك الكأس منه عن شائب المفقور ق يكي من غير ضربِ ضيوفِ
فإذا ذيق أسبلت قطرةً منه سيولاً من أعينٍ وأنوفِ
وإذا ما أصغى وعني ذوي الأكل تداووا منه بشمِّ الرغيفِ

وله في البيض المفلق [من الرجز] :

وضاحكٍ في الجام من تفصيل حبويه كالجوهر المحلولِ
زيتونه كالسبج المصقول جزره فواصل التنزيلِ
حمّصه كالدرّ في التشكيل عدسه منتخبُ الجليلِ
كخرزٍ محقق التعديل أو ذهبٍ بفضّة قد غولي
ولوبياء كخدودٍ حيل أو أعينٍ حذر الحذاق حول^(٢)

(١) ورد صدر البيت « وأسمر قد لفح السعير إهابه وهو غير مستقيم الوزن فأصلح كما أتيناها .

وينوء : يعجز ويُعَل ، وثنياته : يقصد بها قطع اللحم .

(٢) حيل : - جيّة المنظر - ماهرة ، والحذاق : المهرة .

فيها بقايا رمدٍ قليل منقط مزين التعسيل^(١)

وقال في البيض المفلق [من الرجز] :

ياقوتة ما ضمها مخنقة في درة في حقة محققة
كأنها وقد غدت مفلقة مذ نشرت أثوابها المرققة
* تبرحوته من لجين بوتقه *

وقال في أقراص السحور [من الرجز] :

عندي للأكل إذا ما قمت للتسحر
ملتوتة بسمنها بسمسم مقرر^(٢)
مثل البدور الطالعا ت في صدر الأشهر
أو أوجه الترك إذا أثر فيها الجُدري

وله في اللوزينج اليابس [من الطويل] :

ولوزينج يشفي السقيم كأنه بنان أكف بضة لم تغضن^(٣)
بعشاه بالقطر الزكي محنطاً ليدفن إلا أنه لم يكفن

وله في اللوزينج الفارسي [من الطويل] :

ولوزينج يُعزى إلى الفرس خلته بنان عروس في رقاق الغلائل
فإن حملت إحداها خمس حسبتها زيادة كف بين خمس أنامل
وله في الخبيص [من السريع] :

خبيصة في الجام قد قدمت مدفونة في اللوز والسكر

(١) ورد العجز هكذا : « منقطيزينه التعسيل » وهو لا يستقيم مع الأبيات السابقة لغة .

(٢) ورد العجز هكذا « سمس مقرر » وهو لا يستقيم مع سابقه لغة .

(٣) بنان : الأصابع ، وبضة : بيضاء سميكة ، لم تغضن : لم تتجدد وتتكرر .

يأكل من يأكلها خمسة بكفه فيها ولم يشعر

وله في الفالوزج المعقود [من السريع] :

فالوزج يُمنع من نيله ما فيه من عقد وإنضاج
يسبح في لجة ياقوتة للوز حيتان من العاج
كأنما أبرر من جامه ثوب من اللاذ بدياج

وله في مشاش الخليفة [من الطويل] :

جمعت حباب الكأس حتى لحقته فكوّنت منه في الإناء بدورا
فإن لمسته الكأس لمساً لكفه رأيت الذي نظمت منه نثرا

في أصابع زينب [من الطويل] :

أحب من الحلواء ما كان مشبهاً بنان عروس في حبير معصب^(١)
فما جملت كف الفتى متطعماً الذئ وأشهى من أصابع زينب

وفيها [من الطويل] :

وضرب من الحلو الذي عز اسمهُ لوجدي بمن يعزى إليه ويُنسب
يصدق معناه اسمه فكأنه بنان بأطراف البنان مخضب

وله في عدة من المطعومات

قال في المزورة [من الخفيف] :

كم تكون المزورات غذائي إن أكل المزورات لزور

(١) الحبير المعصب : الناعم المزين ، يقال حبر الثوب : أي وشّاه وطرّزه .

وإلي ما يكون أدمي خلٌ وقليلٌ من البقول يسير^(١)
 فاحجبوا عني الطيب وقولوا أنا بالطب والطيب كفور
 هات أين الكباب أين القلايا أين رخص الشواء أين القدير
 أنا لا أترك التدخين ولا البطحين والتين أو يكون النشور^(٢)

وقال في المديّة [من السريع] :

وذات شبّ في يديّ قائمٌ أمرد ينفي السوء عن قاعدٍ
 شبّهها حين تأملتها بلحية شدّت إلى ساعدٍ

وله في مجمع الأشنان بما فيه من المحلب والخلال [من المجتث] :

أرضٌ	من	العقيان	في	صورة	الطيلسان
الشكل	شكل	رداء	والنقش	نقش	الصواني
بها	ثلاث	ركايا	حفت	بها	بيران ^(٣)
ففي	الركايا	ثلاث	رحبٌ	ومخوقتان	
من	الزجاج	القديم	المستعمل	المرواني	
وكلهن	ملأى	بالسعد	والأشنان ^(٤)		
والمحلب	المتروي	من	طيب	الأدهان	
وفي	القليبين	أيضاً	زها	خلال	الرهان
حورين	لا	لشنان	أسرعن	لا	لطان
نوعٌ	عراضٌ	تحاكي	مضارب		العيدان

(١) الأدم : الطعام .

(٢) التدخين : كالبطبخ نوع من الفواكه .

(٣) الركبة : البثر ذات الماء .

(٤) الأشنان : الماء البارد .

وآخرٌ ذو انخِذالٍ في دقة السامان^(١)
ففي ولاية هذي ال ألوان عزُّ الخوان

وله في طين الأكل [من السريع] :

علام نقلكم بالذي منه خلقنا وإليه نصير^(٢)
ذاك الذي يحسب في شكله قطاع كافورٍ عليها عيرٌ

وله في الجمر والمدخنة [من المتقارب] :

وقوارق من أديم الصخور تخيم في حلل الخيزران
تقري قطاعاً كعرف الحبيب وترقى وليس بها مسٌ جان^(٣)
وتمنع عن مثل حرّ القلوب من الجمر ما إن لها من دخان

في جمر خبا بعد اشتعاله [من الخفيف] :

أما ترى النار كيف أشعلها القـرُّ فأضحت تخبو وحيناً تُسعرُ
وغدا الجمر والرماد عليه في قميصين مذهبٍ ومعنبرٌ

وله في البرد [من الطويل] :

وبيضاء كالبلور جاد بها الحيا
فأهوت تهادي بين أجنحة القطر
تذوب كقلب الصبِّ لكنّه جو
بنار هواه وهي مثلوجة الصدر^(٣)

وله في التدرج [من الخفيف] :

قد بعثنا بذات لونٍ بديع
كنبات الربيع أو هي أحسن
في قناعٍ من جلنار وآسٍ
وقميصٍ من ياسمين وسوسن

(١) السامان : الخيزران .

(٢) مسّ جان : المسّ نوع من الجنون ، والجان : أي الجن .

(٣) الصبّ : العاشق ، وجو : محترق من العشق .

ذبحت وهي بنت درة برّ كل عن بعض وصفها كل محسن^(١)

وله في المحبرة [من الرجز] :

ركية من الرّجّاج الصافي	كقطرة من عارض وكاف ^(٢)
تبرز للعين في تجفاف	ذي حمرة مثل دم الرعاف
فهى فؤاد وهو كالشغاف	ينبوعها أسود كالغدا ^(٣)
فهى وما تضم من نطاف	كغسق بالصبح ذي التحاف
وما تضمته من غلاف	كحقّة فيها ابنة الأصداف

وله في المقلمة والأقلام [من الطويل] :

ومجدولة حمرا يُخيّل منها	من النفس روض ما يغذى بوابل ^(٤)
تُرى كل يوم حاملاً بأجنة	ولوداً لهم من غير مسّ قوابل
فأولادها ما بين أسمر ذابل	بأحشائها أو بين أبيض ناصل ^(٥)
تسدّد منها السّمّر لا لمحارب	وترهف منها البيض لا لمقاتل
فلا السّمّر منها اعتدن حمل عوامل	ولا البيض منها اعتدن حمل حمائل ^(٦)

وله في السكين المذنب [من الوافر] :

ومرهفة أرق شباً وأمضى	وأقطع من شبا السيف الحسام ^(٧)
تعانق في الدوي فنا يراع	ويبقى ما استكن من السّقام

(١) كل : ضعف .

(٢) الركبة : البثر ، العارض : الغيم ، وكاف : سائل وقطر قليلاً .

(٣) الشغاف : حجاب القلب ، والغدا : الشعر الطويل الأسود .

(٤) النّفس : الخبر ، والنّفس : الناقوس أو نوع من النواقيس .

(٥) الأسمر الذابل : أي الرمح الدقيق ، وأبيض ناصل : السيف القاطع .

(٦) العوامل : الأرجل .

(٧) أرق شباً : الشبا : الحدّ والماضي القاطع .

لها ذنبٌ كصيصيةٍ أتمّتْ وصدرٌ مثل خافية الحمام^(١)

وله في المقط [من الطويل] :

وأسود أحشاء الدويّ مقرّةً يلوح لنا في حلةٍ من غياهبِ
يعانق أشباه الرماح وتعتلي قواه شبيهات السيوف القواضبِ

وله في المحراك وهو الملتاق [من الرجز] :

أهيف قد أبدت ذراه غربا متخذاً من الظلام أهبا
يخال في يد الغلام شطبا يخطو إذا استنهضته مكبّا
يقلّب أصواف الدويّ قلبا ويكرب النفس عليها كربا

وله في الاضطراب [من الخفيف] :

وشبيه للشمس يسترق الأخـبار من بين لحظها في خفاء
فتراه أدري وأعرف منها وهو في الأرض بالذي في السماء
وفيه [من السريع] :

وعالمٍ بالغيب من غير ما سمعٍ ولا قلبٍ ولا ناظرٍ
يقابلُ الشمس فيأتي بما في ضمنها من خبرٍ حاضرٍ
كأنما حاجبه مذ بدا لعينها بالفكر والخاطر
قد ألهمته علم ما يحتوي عليه صدر الفلك الدائر

وله في المقراض [من مجزوء الرجز] :

وصاحبين اتفقا على الهوى واعتنقا
وأقسما بالودِّ وال إخلاص أن لا افترقا
ضمّهما أزهـر كالنـجم به قد وثقا

(١) الصيصية : الصنارة التي يغزل بها .

لم يشك في خصريهما مذ ضمناه قلقا
 من تحته عينان منذ انفتحا ما انطبعا
 وفوقه نابان ما حلا فما مذ خلقا
 يفرقان بين كل ما عليه اتفقا
 فأى شيء لاقيا ه ألفياه فرقا

وله في مشطي عاج وآبنوس [من مخلع البسيط] :

لديّ مشطان ذا كباز لوناً وهذاك كالغراب
 فذا شبابٌ لذي مشيبٍ وذا مشيبٌ لذي شبابٍ

وله في المنقاش [من السريع] :

لديّ منقاشٌ بديعٌ له مآثرٌ في التنف مآثره
 تعمل ناباه إذا أعملا في الشعر ما لا تعمل النوره^(١)

وله في الزربطانة [من الطويل] :

مثقفةٌ جوفاً وتحسب زانةً ولكنها لا زجٌ فيها ولا نصل^(٢)
 تسددٌ نحو الطير وهو محلّقٌ وينفذ عنها للردى نحوه رسل
 يطير إلى الطير الردى في ضميرها فتجري كما يجري وتعلو كما يعلو
 تقيّد ما تنجو به فكأنه يمدُّ إليه من بنادقها حبل

وله في القفص [من الهزج] :

وبيتٍ لبنات الجوّ لا يستر من فيه
 حفيظٌ للذي استحفّظ لكن لا يواريه

(١) النوره : أحلاط تضاف الى الكلس ، كالزرنبخ وغيره تستعمل لإزالة الشعر .

(٢) الزج : حديدة الرمح ، والنصل حديدة الرمح والسيف والسهم .

حكت أعمدة الفضة والتبر سواريه
فمن مثل قنا الخط ثراه وأعالیه

وله في قارورة الماء [من الرجز] :

ركبة تشف ذات طول من الزجاج الفائق المغسول
تظهر ما في الجسم من فضول مفصحة بالطب لا بقليل
من كل داء غامض دخیل فهي على التحقيق والتحصيل

* مرآة ما في كبد العليل *

وله في البلد [من المتقارب] :

وواضعة خدها في الصعيد لأربابها عندها حرمة
نسيجة بنت جلود النعاج بغير سدى ولا لحمه
تمد على الرق رق الرمال وتوفي على الحر في النعمة
ويعمر ذا البيت منها غمام به شهة خالطت أدمه^(١)
متاع لمن كان ذا خلّة فقيراً ومن كان ذا نعمة^(٢)

في قضيب الفول [من المنسرح] :

أهيف قد زاحم الحسان على أخص أسمائه إذا اقتضيا^(٣)
من الملاهي وليس ينكره ذو ورع حين ينكر اللعبا
يلهو به من لها وما اقترف الذنوب في فعله ولا احتقبا^(٤)
يُضرب وجه الثرى به فترى كل فؤاد وجداً قد اضطربا

(١) أدمه : جلده .

(٢) الخلّة : الحاجة والفقر .

(٣) اقتضيا : اقتطع .

(٤) احتقبا : ارتكب الأثام .

إذا تثنى القلوب وقد أهدى إليها السرور والطربا

* * *

ومما قاله على السنة أشياء مختلفة

ما أمر بكتابه على خوان [من المتقارب] :

فَضَّلْتُ جميع الأواني وُفِّقْتُ فما في منقصة واحدة
مقري منازل صيد الملوك وفي أتت سورة المائدة

وله وأمر بكتابه على فناء دار [من البسيط] :

حكم الضيوف بهذا الربيع أنفذ من حكم الخلائف آبائي على الأمم
فكل ما فيه مبدول لطارقه فلا ذمام له إلا على الحرم

وفي معناه [من الرجز] :

أبنية	فياحة	منيره
لملك	راياته	منصوره
وحط	فوق زحل	سريره
لأنزل	الرحمن فيه	سوره
لأنطق	الله له	قصوره
لا أفقد	الله العلي	دوره
أبنية	فياحة	منيره
لملك	راياته	منصوره
وحط	فوق زحل	سريره
لأنزل	الرحمن فيه	سوره
لأنطق	الله له	قصوره
لا أفقد	الله العلي	دوره

وله في الترس [من السريع] :

إنني أنا الترس بنفسي أقي من العوالي والطبى حاملي^(١)

(١) الكورة : المدينة .

(٢) الطبى : حد السيف والسنان وغيره .

أردُّ حدَّ السِّيفِ في متنه وأقصص اللهزم في العامل^(١)

٥٧ - أبو محمد عبد الله بن عثمان الوائقي

من أولاد الواثق بالله أمير المؤمنين ، ينظم بين شرف الأصل ووفور الفضل ،
ويجمع أدب اللسان إلى أدب البيان ، ويتفقه على مذهب مالك ، ويشعره .

ومن خبره أنه كان نزع بأهله إلى الحضرة ببخارى راجياً أن يحل بها محل
أقرانه من أولاد الخلفاء وأمثاله ، أو يقلد من أحد عمل البريد والمظالم ببعض
الكور ما يصلح من حاله ، فلم يحصل من طول الإقامة بها وكثرة الخدمة لأركانها
على شيء ، وضاق به الأمر ، فذهب مغاضباً يتوغل بلاد الترك ، إلى أن ألقى عصاه
بحضرة عظيمها نهر أفاخان ، وما زال يعمل لطائف حيله ودقائق خدعه حتى
استمكن منه واختص به وزين له ما كان في نفسه من إزالة الدولة السامانية
والاستيلاء على المملكة [من الخفيف] :

إنما تنجحُ المقالة في المرء إذا وافقتُ هوى في الفؤاد

فألقى إليه التركي مقاليد أمره ، وجعل يصدر عن رأيه ، وينظر بعينه ، حتى
كان ما كان من إمامه ببخارى في جيوشه وانحياز الرضى نوح بن منصور عنها إلى
أهل الشط على تلك الحال المغنية بشهرتها عن ذكرها ، وكان الوائقي سبباً لخرق
الهيبة ، وكشف لثام الحشمة ، وإزالة الدولة . فعلا في بخارى وعظم شأنه ،
وبنى التدبير على أن يبايع بالخلافة ويتقلد التركي أعمال خراسان وما وراء النهر من
يده ، وهو غافل عما في ضمير الغيب ، وكان يركب في ثلاثمائة غلام ويقيم أحسن
مروة ويسط من جناحه في الأمر والنهي والحل والعقد ، فلم يمض إلا أشهر حتى

(١) أقصص : أجهز عليه في مكانه ، واللهزم : الحاد القاطع من السيوف والأسنة والأنياب ، والعامل :
الرمح .

هجمت على التركي علة الذرب^(١) ، وكان سببها - على ما حكاه كاتبه أبو الفتح أحمد بن يوسف - إكبابه على فواكه بخارى وكثرة تضلعه منها مع اجتوائه^(٢) بهوائها ومائها ، فاضطر إلى الرجوع لما وراءه .

وما زالت العلة تشتد به في طريقه حتى أتت على نفسه ، وعاد الرضى الى بخارى ، واتخذ الوثاقي الليل جملاً ، بعد أن أتت الغارة عليه وعلى ما معه من مماليكه وذخائره ، ونجا برأسه متنكراً إلى نيسابور ومنها إلى العراق ، وتقلبت به الأحوال في معاودة ما وراء النهر ومفارقتها . فهذه جملة من خبره .

* * *

وهذه لمع من شعره

قرأت بخطه في وصف البرد والنار والفحم [من السريع] :

وليلة شاب بها المفرقُ قد جَمَدَ الناظر والمنطقُ
كأنما فحمُ الغضا بيننا والنار فيه ذهبٌ محرقٌ^(٣)
أو سبجٌ في ذهبٍ أحمر بينهما نيلوفرٌ أزرقٌ^(٤)

وقوله في الغزل [من الكامل] :

قمرٌ ضياء وصاله من وجهه يبدو وظلمة هجره من شعره
فالمسك خالطه الرحيق رضابُه سحراً ، ودرُّ شنوفه من ثغره^(٥)
وسدته عضدي وبين محاجري لوانان مثل عقوده في نحره

(١) علة الذرب : مرض الذرب ، وهو يصيب الكبد .

(٢) اجتوائه : من الجثوث ، وهو عِظَمُ البطن في أعلاه واسترخاء أسفله .

(٣) الغضا : نوع من الشجر حمرة شديدة الالتهاب .

(٤) السبج : خرز أسود .

(٥) الشنْف : حلية تعلق في أعلى الأذن .

وبدا الصباح فمدّ نحو قراطقٍ يده وشدّ مزراً في خصره^(١)

ومن قصيدة قالها بكا شجر وصف فيها الثلج والجليد [من الوافر] :

كأنّ الأرض رقٌّ صقلتهُ	أكفُّ صوانعٍ متدفقاتٍ
وإن غلط الزمان بشمس دجنٍ	بدتْ نقطٌ عليه مذهباتٍ
تدوس الخيل إنّ مرّت عليها	متون سجنجلٍ متراصفاتٍ ^(٢)
كأنّ مياهها ينساب فيها	أساود من لجينٍ سارياتٍ

ومن نتفه في الغزل [من الخفيف] :

نفحات الصبا وصوب الغوادي	ورياض الهوى وماء الكروم
وحديث غصٍّ وخلٍّ كريمٍ	ومزاج الصبا وماء النعيم

* * *

(١) القراطق : نوع من اللباس (معرب) .

(٢) السجنجل : المرأة .

الباب الرابع

في غرر فضلاء خوارزم

٥٨ - أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي

باقعة الدهر^(١) ، وبحر الأدب ، وعلم النثر والنظم ، وعالم الفضل والظرف ، وكان يجمع بين الفصاحة العجيبة والبلاغة المفيدة ، ويحاضر بأخبار العرب وأيامها ودواوينها ، ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر ، ويتكلم بكل نادرة ، ويأتي بكل فقرة ودرة ، ويبلغ في محاسن الأدب كل مبلغ ، ويغلب على كل محسن بحسن مشاهدته ، وملاحة عبارته . ونعمة نعمته ، وبراعة جده ، وحلاوة هزله ، وديوان رسائله مخلد سائر ، وكذلك ديوان شعره .

* * *

وهذه كلمات له تجري مجرى الأمثال أخرجتها من رسائله

الشكر على قدر الإحسان ، والسلع بإزاء الأثمان . الإذكار حيث التناسي ، والتقاضي حيث التغاضي . النفس مائلة إلى أشكالها ، والطير واقعة على أمثالها . الأيام مرآة للرجال ، والأطوار معيار النقص فيهم والكمال . العشرة مجاملة لا معاملة ، والمجاملة لا تسع الاستقصاء والكشف ، ولا تحتمل الحساب

(١) الباقعة : الرجل الذكي الحذر .

والصرف . الكريم يعز من حيث يهون ، والرمح يشتد بأسه حين يلين ، الاعتذار في غير موضعه ذنب ، والتكلف مع وقوع الثقة عتب . الدواء لغير حاجة إليه داء ، كما أنه عند الحاجة إليه شفاء ، الاستقالة تأتي على العثرات ، كما أن الحسنات يذهبن السيئات . الذنب للعين العشواء ، في محبة الظلماء وكراهية الضياء . فم المريض يستقل وقع الغذاء ، ويستمرىء طعم الماء ، الكريم إذا أساء فعن خطيئة ، وإذا أحسن فعن عمد ونية . الحر إذا جرح أساء وإذا خرق رفا . وإذا ضر من جانب نفع من جوانب . الحر كريم الظفر إذا نال أنال ، واللثيم سيء الظفر إذا نال استنال . الآباء أبوان أبو ولادة وأبو إفادة ، فالأول سبب الحياة الجسمانية ، والثاني سبب الحياة الروحانية الغيرة على الكتب من المكارم ، بل هي أخت الغيرة على المحارم ، والبخل بالعلم على غير أهله قضاء لحقه . ومعرفة بفضله ، الرجل إذا قيده عقل الرجل لم ينطلق نحو مطية الأمل . المحجوج بكل شيء ينطق ، والغريق بكل حبل يعلق ، العاقل يختار خير الشرين ، ويميل مع أعدل الثقتين ، الجواد محتكر برٍّ ، لا محتكر برٍّ^(١) . والكريم تاجر جمال ، لا تاجر مال . والحرّ وقاية الحر من فقره ، وسلاحه على دهره . العفو إلى المقر ، أسرع منه إلى المصر . الفرس الجواد يجري على عتقه ، والفرع ينزع إلى عرقه . وكيف يخالف الإنسان مقتضى نسبته ، ويطيب الثمر مع خبث تربته . المسافة صغيرة البقعة ، صغيرة الرقعة ، إذ زرعت بذرع الهوى ، ومسحت بيد الذكرى ، فهي بعيدة إذا زرعت بذرع التسلي ، ونظر إليها بعين التغافل والتناسي . الغضب ينسي الحرمات ، ويدفن الحسنات ، ويخلق للبريء جنائيات ، المدح الكاذب ذم ، والبناء على غير أساس هدم ، الدهر غريم ربما يفي بما يعد ، والزمان حبلى ربما يثم فيما يلد ، الدهر أصم عن الكلام ، صبور على وقع سهام الملام ، يختصر العيدان ويهتصر الأغصان^(٢) ، ويخترم الشبان^(٣) ، وييلي الآمال والأبدان ،

(١) البر : الحب ، والبرّ : المعروف .

(٢) يهتصر : يقطع ويكسر .

(٣) ويخترم الشبان : يقضي على أعمارهم .

ويلحق من يكون بمن كان ، الإنسان بالإحسان ، والإحسان بالسلطان ، والسلطان بالزمان ، والزمان بالإمكان ، والإمكان على قدر المكان ، الدنيا عروس كثيرة الخطاب ، والملك سلعة كثيرة الطلاب ، الحق حق وإن جهله الورى ، والنهار نهار وإن لم يره الأعمى ، العذل طلاق الرجال ، والمحنة صيقل الأحوال . الشجاع محبب حتى إلى من يحاربه ، كما أن الجبان مبغض إلى من يناسبه ، وكذلك الجواد خفيف حتى على قلب غريمه ، والبخيل ثقيل حتى على قلب وارثه وحميمه . الدهر يمتل وربما عجل ، وما شاء الإقبال فعل . الكريم من أكرم الأحرار . والعظيم من صغر الدينار . المصيبة في الولد العاق موهبة ، والتعزية عنه تهنة . المحبة ثمن كل شيء وإن غلا . وسلم لكل شيء وإن علا ، الدهر يفي بعد غدر ، ويجبر عقب كسر ، ويتوب بعد ذنب ، ويعقب بعد عتب . التقدم للغاية تأخر عنها ، والزيادة على الكفاية نقصان منها . النسيب أخو النسيب ، والأديب صنو الأديب ، الشرف بين الأشراف نسب ولحمة ، وذمام وحرمة ، فالكريم شقيق الكريم ، والعظيم أخو العظيم ، وإن افترق بلداهما واختلف مولداهما ، إن السيوف على مقادير الأعضاء تفري ، وإن الخيل على حسب فرسانها تجري . إنما السؤدد بكثرة الأتباع وكثرة الأتباع بكثرة الاصطناع ، وإنما تحوم الآمال حيث الرغبة ، ويسقط الطير حيث تنثر الحبة . إنما النساء لحم على وضم^(١) ، وصيد في غير حرم . إلا أن يلاحظن بعين غيور ، ونفس يقظ حذور ، إن الولاية عزل إن لم يعمر جوانبها عدل . إنما يتعلل بالمعازف شوقاً الى الاخوان ، ويؤكل لحم الثيران شهوة للحوم الضأن ، ويتجاوز في الزبيبي على اسم العنبي ويستخدم الصقلي عند غيبة التركي ، شراء الكاسد حسبه ، وحل المنعقد صدقه ، وهداية المتحير عباده ، معاتبة البريء السليم ، كمعالجة الصحيح غير السقيم ، الفرس الجواد إذا ضرب كبا ، والسيف الحسام إذا استكره نبا^(٢) ،

(١) الوضم : خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم .

(٢) نبا السيف عن المضروب : أي لم يصبه .

واللسان الصدوق إذا كذب هفا ، عين الاستحسان آفة من آفات الإحسان ، قبول شكر الشاكر التزام لزيادته ، واستماع قول المادح ضمان لحاجته ، لسان العيان انطق من لسان البيان ، وشاهد الأحوال أعدل من شاهد الأقوال . لسان الضجر ناطق بالهذر^(١) ، صغير البر أطف وأطيب كما أن قليل الماء أشهى وأعذب ، ثمرة الأدب العقل الراجح ، وثمره العلم العمل الصالح . طول الخدمة تؤكد الحرمة ، وتأكد الحرمة أعقد قرابة ولحمة ، ادعاء الفضل من غير معدنه نقيصة كما أن الإقرار بالنقص من حيث الاعتذار فضيلة . القتال عن العسكر المنهزم ضرب من المحال وتعرض لسهام الآجال ، باب الإحسان مفتوح لمن شاء دخله ، وحصى الجميل مباح لمن اشتهى فعله . وليس على المكارم حجاب ، ولا يغلق دونها باب . قراءة كتاب الحبيب ترياق سمّ الهَم ، شكر الرخاء أهون من مصابرة البلاء ، وحفظ الصحة أيسر من علاج العلة . قليل السلطان كثير ، ومداراته حزم وتديير . كما أن مكاشفته غرور وتغريير . شر من الساعي من أنصت له ، وشر من متاع السوء من قبله . لا خير في حبّ لا تحمل أقدأؤه^(٢) ، ولا يشرب على الكدر مأؤه . خير الكلام ما استريح من ضده الى ضده ، فرقع بين هزله وجده . لا ستر أكثف من إقبال ولا شفيع أنجح من آمال ، أوجع الضرب ما لا يمكن منه البكاء ، وأشدّ البلوى ما لا يخففه الاشتكاء ، أبى الله أن يقع في البئر إلا من حفر ، وأن يحقق المكر السيء إلا بمن مكر . ما تعب من أجدى ، ولا استراح من أكدى^(٣) . حبذا كدأ أورث نجحاً ، وشوكة أجنّت ثمرأ لاثبات على سمّ الأسود ، ولا قرار على زأر من الاسد . وفي الزوايا خبايا . وفي الرجال بقايا . إذا عتقت المنادمة صارت نسبأ دانيا . وكانت رضاعأ ثانياً ، أين يقع فارس من عسكر ، ومتى يقوم بناء واحد بهدم بشر . نعم الشفيع الحب ، ونعم العون على صاحبه القلب . هل يبرأ المريض ، بين

(١) الهذر : الكلام الذي تكثر فيه الأخطاء الرديئة .

(٢) الأقداء : من القذى ، وهو المكروه الذي يقع في العين .

(٣) أكدى : افتقر بعد الغنى .

طبيين ، وهل يسع الغمد سيفين ، لم أر معلماً أحسن تعليماً من الزمان ، ولا متعلماً أحسن تعلماً من إنسان ، من الناس من إذا ولّى عزلته نفسه ومنهم إذا عزل ولاه فضله ، ربما أكل الحر وهو شعبان ، وشرب وهو ريان ، ليس إلا لأن يسرّ مضيفاً . ويكون ظريفاً ، يشكر القمر على أن يلوح والمسك على أن يفوح ، نعم العدة المدة ، ونعم الواقية العافية ، وبش الخصم الزمان ، وبش الشفيع الحرمان ، وبش الرفيق الخذلان ، إن ولاية المرء ثوبه ، فإن قصر عنه عرى منه ، وإن طال عليه عثر فيه ، ما المحنة إلا سيل والسيّل إذا وقف فقد انصرف وما الأيام إلا جيش والجيش إذا لم يكر فقد فر . وإذا لم يقبل عليك فقد أدبر عنك . وراء الغيب أقفال ، وللمنح والمحن أعمار وآجال . ما أكثر من يخطئ بالصنعة طريق المصنع ، ويخالف بزرعه غير موضع المزدرع . أكبر من الأسير من أسره ثم أعتقه ، وأشجع من الأسد من قيده ثم أطلقه ، أكرم من النبت الزكي من زرعه . وأكرم من الكريم من اصطنعه ، لا صيد أعظم من إنسان ولا شبكة أصيد من لسان ، وشتان بين من اقتنص وحشياً بحبالته وبين من اقتنص انسياً بمقالته . من أراد أن يصطاد قلوب الرجال ، نثر لها حب الإحسان والإجمال ، ونصب لها أشراك الفضل والإفضال ، في كتمان الداء عدم الدواء ، وفي عدم الدواء عدم الشفاء ، من لم يذكر أخاه إذا رآه فوجدانه كفقدانه ، ووصله كهجرانه ، من أجاد الجلب أخذ به ما طلب ، من ذا الذي يطمس نجوم الليل ويدفع منسكب السيل ، وينضب ماء البحر ، ويفنى أمد الدهر ؟ من تكامل نحسه لم تنصحه نفسه ، ومن لم ينه أخاه فقد أغراه ، ومن لم يداو عليه فقد أدواه^(١) ، نعم جنة المرء من سهام دهره نزوله عند قدره ، ونعم السلم إلى الأرزاق طلبها من طريق الاستحقاق .

* * *

(١) أدواه : أمرضه ، وجعله يرتاب منه .

وهذه فصول كالانموذج جاءت من غرره وفقره

على الكريم واقية من فعله ، وله حصن حصين من فضله ، فإذا زلّت به النعل زلة ، أوصال عليه الدهر صولة ، اقامته يد إحسانه ، وانتزعت من مخالف زمانه .

فصل - الرجال حصون بينها الإحسان ، ويهدمها الحرمان ، وتبلغ بشمرها البر واليسر ، ويحصدها الجفاء والكبر ، وإنه لا مال إلا بالرجال ، ولا صلح إلا بعد قتال ولا حياة إلا في ناصية خوف^(١) ، ولا درهم إلا في غمد سيف ، والجبان مقتول بالخوف قبل أن يقتل بالسيف ، والشجاع حي وإن خانته العمر ، وحاضر وإن غيّه القبر ، ومن حاكم خصمه إلى السيف فقد رفعه إلى حاكم لا يرتشي ولا يفترى فيما يقتضي ، ومن طلب المنية هربت منه كل الهرب ، ومن هرب منها طلبته أشد الطلب .

فصل - لا صغير مع الولاية والعمالة ، كما لا كبير مع العطلة والبطالة ، وإنما الولاية أنثى تصغر وتكبر بواليتها ، ومطية تحسن وتقبح بممّطيتها ، وإنما الصدر بمن يليه ، والدست بمن يجلس فيه ، وإنما النساء بالرجال ، كما أن الأعمال بالعمال .

فصل - إفراط الزيادة يؤدي إلى النقصان ، والمثل في ذلك جار على كل لسان ، ولذلك قالوا : صبوة العفيف^(٢) ، وسطوة الحليم ، وضربة الجبان ، ودعوة البخيل ، وجواب السكيت ، ونادرة المجنون ، وشجاعة الخصي ، وظرف الأعرابي .

فصل - قد يكبر الصغير ، ويستغني الفقير ، ويتلاحق الرجال ، ويعقب

(١) الناصية : مقدّم الرأس .

(٢) الصبوة : جهل الفتوة وهوها .

النقصان الكمال ، وكل واد عظيم فأوله شعبة صغيرة ، وكل نخلة سحوق فأولها فسيلة حقيرة^(١) . وقد يبتدىء العنب حُصْراً حامضاً جاسياً^(٢) ، ثم يخرج الراح التي هي مفتاح اللذات ، وأخت الروح والحياة ، ويكون حشو الصدفة ماء ملحا ، ثم يصير جوهرة كريمة ، ودرة يتيمة ، ويكون أول ابن آدم نطفة ، وعلقة ومضغة ، ثم يخرج منها العالم الأصغر ، والحيوان الأرضي الأكبر ، الذي دحيت له الأرض ، وسخرت له الأنهار ، ومن أجله خلقت الجنة والنار .

فصل - قد أراحي فلان بيره ، لا بل أتعيني بشكره ، وخفف ظهري من ثقل المحن ، لا بل ثقله بأعباء المنن ، وأحياني بتحقيق الرجاء ، لا بل أمتني بفرط الحياء ، وأنا له رقيق بل عتيق ، وأسير بل طليق .

فصل في فضل الحمية من رسالة

ملاك الأمر الحمية ، فإنه لا يكون قوي الحمية إلا من يكون قوي الحمية ، ومن غلبته شهوته على رأيه شهد على نفسه بالبهيمية ، وانخلع من ربة^(٣) الإنسانية ، وحق العاقل أن يأكل ليعيش ، لا أن يعيش ليأكل ، وكفى بالمرء عاراً أن يكون صريع مأكله وقتيل أنامله ، وأن يجني ببعضه على كله ، ويعين فرعه على أصله ، وكم من نعمة أتلفت نفس حر ، وكم من أكلة منعت أكالات دهر ، وكم من حلاوة تحتها مرارة الموت ، وكم من عذوبة تحتها بشاعة الفوت . وكم من شهوة ذهبت بنفس لا يقوى بها العساكر ، وقطعت جسداً كانت تنبؤ عنه السيوف البواتر ، وهدمت عمراً انهدمت به أعمار ، وخربت بخرايه بيوت بل ديار وأمصار .

(١) الفسيلة : النبتة القصيرة ، والنخلة السحوق : أي العالية .

(٢) الجاسي : اليابس .

(٣) الربة : من الرَبَق ، وهو جيل في عدة عرى .

فصل في اقتضاء حاجة

وعد الشيخ يكتب على الجلمد ، إذا كتب وعد غيره على الجمد ، ولكن صاحب الحاجة سيء الظن بالأيام ، مريض الثقة بالأنام ، لكثرة ما يلقاه من اللثام ، وقلة من يسمع به من الكرام .

فصل في ذكر آفات الكتب

هذا والكتاب ملقى لا موقى ، تسرع إليه اليد الخاطئة ، وتعرض له الآفات السانحة ، فالماء يغرقه ، كما أن النار تحرقه ، والريح تطيره ، كما أن الأيام تغيره ، والدخان يسود بياضه ، كما أن الخل يبيض سواده ، والرطوبة تضره ، كما أن البيوسة لا تنفعه ، فأفاته أسرع من آفات الزجاج الذي يسرع إليه الكسر ، ويبطئ عليه الجبر ، وحوادثه أكثر من حوادث الغنم التي هي لكل يد غنيمة ولكل سبع فريسة ، فأقل آفاته خيانة الحامل ، ووقوع الشاغل ، وعوائق الفتوح والقوافل .

فصل في ذكر إلا ولولا

الحمد لله الذي جعل الشيخ يضرب في المحاسن بالقدح المعلى ، ويسمو منها إلى الشرف الأعلى . ولم يجعل فيه موضعا للولا ، ولا مجالا لإلا . فإن الاستثناء إذا اعترض في المدح أنضب ماءه وكدر صفاءه . وأنطق فيه حساده وأعداءه ، وكذلك قالوا : ما أملح الطيبي لولا خنث أنفه^(١) ، وما أحسن البدر لولا كلف وجهه^(٢) ، وما أطيّب الخمر لولا الخمار ، وما أشرف الجود لولا الإقتار ، وما أحمد مغبة الصبر لولا فناء العمر ، وما أطيّب الدنيا لو دامت [من البسيط] :

(١) الخنث : أي تكسّر وإنشاء .

(٢) الكلف : ما يظهر في الوجه من بقع .

ما أعلم الناس أن الجود مكسبةٌ للحمد لكنه يأتي على النشب^(١)

فصل في الاعتداد

ذكر السيد أن اعتداده بي اعتداد العلوي بالشيعة ، والمعتزلي بالأشعرية ، واعتداد الحجازيين بالشافعية ، واعتداد الزيدية بزید بن علي ، واعتداد الإمامية بالمهدي .

فصل في ذم عامل تقلد الخراج

في هذه الناحية رجل قصده الدرهم لا الكرم . وغرضه الثراء لا الثناء ، وقبلته البيضاء والصفراء ، لا المجد والثناء .

فصل في الاعتذار

ذكر سيدي من شوقه إلى ما لم يتكلم فيه إلا عن لساني ، ولم يترجم إلا عن شأني ، وقد طويت بساط المدام ، وصحيفة المؤانسة والندام ، وطلقت الراح ثلاثا ، وفارقت الغناء بتاتا ، حتى شكتني الأقداح ، واستخفني الراح ، ونسي بناني الأترج والتفاح^(٢) .

فصل في ذكر هدة

بلغني ذكر الهدّة ، فالحمد لله الذي هدم الدار ، ولم يهدم المقدار ، وثلم المال^(٣) ولم يثلم الجمال . وسلط الحوادث على الخشب والنشب ، ولم يسلطها

(١) النشب : المال من نقد وحيوان .

(٢) الأترج : شجر من جنس الليمون تسميه العامة « الكباد » .

(٣) ثلم : انتقص .

على العرض والحسب ، ولا على الدين والأدب ، ولا بد للنعمة من عودة ، ولا بد لعين الكمال من رقية ، ولأن يكون في دار تبني ، ومال يجبر وينمي ، خير من أن يكون في النفس التي لا جابر لكسرهما ، ولا نهاية لقدرها .

فصل في ذكر الرمد

صادف ورود الكتاب رمداً في عيني حتى حصرني في الظلمة ، وحسني بين الغم والغمة ، وتركني أدرك بيدي ما كنت أدرك بعيني ، كليل سلاح البصر قصير خطو النظر ، قد ثكلت مصباح وجهي ، وعدمت بعضي الذي هو أثر عندي من كلي ، فالأبيض عندي أسود ، والقريب مني مبعد . قد خاط الوجع أجفاني ، وقبض عن التصرف بناني . ففراغي شغل ، ونهاري ليل ، وطول الحاضي قصار ، وأنا ضيرير وإن عددت في البصراء . وأُمِّي وإن كنت من جملة الكتاب والقراء . قصرت العلة خطوتي قلبي وبناني ، وقامت بين يدي ولساني . وقد كانت العرب تزواج بين كلمات تتجانس مبانيها ، وتتكافأ مقاطعها ومعانيها ، فيقولون : القلة ذلة ، والوحدة وحشة ، واللحظة لفظة ، والهوى هوان ، والأقارب عقارب ، والمرض حرص^(١) ، والرمد كمد ، والعلة قلة ، والقاعد مقعد .

فصل في مدح الفقر

وإنما يكره الفقر لما فيه من الهوان ، ويستحب الغنى لما فيه من الصوان ، فإذا نبغ الغم من تربة الغنى فالغنى هو الفقر ، واليسر هو العسر ، لا بل الفقير على هذه القضية أحسن من الغني ، وأقل منه أشغالا ، لأن الفقير خفيف الظهر من كل حق ، منفك الرقبة من كل رق ، فلا يستبطئه إخوانه ، ولا يطمع فيه جيرانه ، ولا تنتظر في الفطر صدقته ، ولا في النحر أضحيته ، ولا في شهر رمضان مائدته ، ولا

(١) الحرص : الهلاك .

في الربيع باكورته^(١) . ولا في الخريف فاكهته ، ولا في وقت الغلة شعيره وبره ، ولا في وقت الجباية خراجه وعشره ، وإنما هو مسجد يحمل إليه ، ولا يحمل عنه ، وعلوي يؤخذ بيده ولا يؤخذ عنه ، تتجنبه الشرط نهارا ، ويتوقاه العسس ليلا^(٢) ، فهو إما غانم وإما سالم ، وأما الغني فإنما هو كالغنم غنيمة لكل يد سالبة ، وصيد لكل نفس طالبة ، وطبق على شوارع النواثب ، وعلم منصوب في مدرجة المطالب ، تطمع فيه الإخوان ويأخذ منه السلطان ، وينتظر فيه الحدثان^(٣) ، ويحيف ملكه النقصان .

فصل في ذم عامل

والله ما الذئب في الغنم بالقياس إليه إلا من المصلحين ، ولا السوس في الخز أو ان الصيف عنده إلا بعض المحسنين ، ولا الحجاج في أهل العراق معه إلا أول العادلين ، ولا يزدجرد الأثيم في أهل فارس بالإضافة إليه إلا من الصديقين والشهداء والصالحين .

فصل في ذكر الآفات

من آفات العلم خيانة الوراقين وتخلف المتعلمين ، كما أن آفات الدين فسق المتكلمين وجهل المتعبدين ، وكما أن من آفات الدنيا كثرة العامة ، وقلة الخاصة ، وكما أن من آفة الكرم أن الجود آفة للمنع ، وأن البخل سبب للجمع ، وأن المال في أيدي البخلاء دون أيدي السمحاء ، وكما أن آفات الحلم أن الحليم مأمون الجنبه ، وأن السفه منيع الحوزة ، وكما أن من آفة المال أنك إذا صنته عرضته للفساد ، وإذا أبرزته عرضته للنفاذ ، وكما أن من آفات الشكر أنك إذا قصرت عن غايته غششت من اصطنعك ، وإذا أبلغتها أو أبلغت فيه أوهمت من

(١) باكورته : أول مطره ، والباكورة : أول كل شيء .

(٢) العسس : من يطوفون بالليل ويكشفون عن أهل الريبة .

(٣) الحدثان : الليل والنهار .

سمك ، وكما أن من آفات الشراب أنك إذا أقللت منه حاربت شهوتك ولم تقض نهمتك ، وإذا أكثرته منه تعرضت للإثم والعار ، وأبرزت صفحتك للألم والنار ، وكما أن من آفات الممالك أنك إذا بسطتهم أفسدت أدبهم وأذهانهم ، وإذا قبضتهم أفسدت وجوههم وألوانهم ، وكما أن من آفات الأصدقاء أنك إذا استقللت منهم لم تصب حاجتك فيهم ، وإذا استكثرته منهم لزمك حوائجهم ، وثقلت عليك نوائبهم ، وكسبت الأعداء من الأصدقاء كما تكسب الداء من الغذاء ، وكما أن من آفات المغنين أن الوسط منهم يميم الطرب ، وأن الحاذق منهم ينسي الأدب .

وهذه جملة من أخباره تطرق لأشعاره

أصله من طبرستان ، ومولده ومنشؤه خوارزم ، وكان يتسم بالطبري ويعرف بالخوارزمي ، ويلقب بالطبرخزمي ، فارق وطنه في ريعان عمره وحادثة سنه ، وهو قوي المعرفة قويم الأدب ، نافذ القريحة حسن الشعر ، ولم يزل يتقلب في البلاد ويدخل كور العراق والشام ، ويأخذ عن العلماء ، ويقتبس من الشعراء ويستفيد من الفضلاء ، حتى تخرج وخرج فرد الدهر في الأدب والشعر ، ولقي سيف الدولة وخدمه واستفاد من يمن حضرته ، ومضى على غلوائه في الاضطراب والاغتراب ، وشرق بعد أن غرب ، وورد بخارى وصحب أبا علي البلعمي ، فلم يحمد صحبته وفارقه وهجاه بقوله [من الخفيف] :

إن ذا البلعمي والعين غينٌ وهو عارٌ على الزمان وشينٌ
إن يكن جاهلاً بخفي حنينٍ فهو الخفُّ والزمان حنينٌ

ووافي نيسابور فاتصل بالأمير أبي نصر أحمد بن علي المكالي . واستكثر من مدحه ، وداخل أبا الحسن القزويني ، وأبا منصور البغوي ، وأبا الحسن الحكمي ، فارتفق بهم وارتفق من الأمير أحمد ومدحه ، ونادم كثير بن أحمد . ثم

قصده سجستان وتمكن من واليها أبي الحسين طاهر بن محمد ومدحه ، وأخذ
صلته ، ثم هجاه وأوحشه حتى أطال سجنه ، فمما قاله في تلك النكبة قصيدة كتب
بها إلى الأمير أبي نصر أحمد بن علي الميكالي [من الطويل] :

كتابي أبا نصرٍ إليك وحالتي كحال فريسٍ في مخالب ضيغم^(١)
أرقُّ من الشكوى وأدجى من النوى وأضعفُ من قلب المحبِّ المتيمِّ
غدوتُ أخا جوعٍ ولست بصائمٍ ورحت أخاعري ولست بمحرِّمٍ
وقعت بفخِّ الخوف في يد طاهرٍ وقوع سليك في حبال خثعم

يعني سليك بن سلعة السعدي حين أسره أنس بن مالك الخثعمي .

وما كنت في تركيك إلا كتاركٍ يقيناً وراضٍ بعده بالتوهم
وقاطن أرض الشرك يطلب توبةً ويخرج من أرض الحطيم وزمزم
وذي علة يأتي عليلاً ليشفي بها وهو جارٌ للمسيح ابن مريم
وراوي كلامٍ مقتفٍ إثر باقلٍ ويترك قساً خائباً وابن أهتم^(٢)
جنابٌ تجنبناه ليس بمجذبٍ وبحرٌ تخطيناه ليس بمرزم^(٣)
رزم الماء : إذا انقطع ، وأرزمه غيره : أي قطعه .

وماء زلالٍ قد تركنا وروده زلالاً وبعناه بشربة علقم
لبست ثياب الصبر حتى تمزقتُ جوانبها بين الجوى والتندم
أظل إذا عاتبت نفسي منشداً (فهلا تلا حاميم قبل التقدم)

المصراع الثاني قاله قاتل محمد بن طلحة يوم الجمل^(٤) :

(١) الضيغم : الأسد .

(٢) مقتفٍ : متبع ، وياقل : يضرب به المثل في العي .

(٣) مرزم : منقطع .

(٤) وصدده في كلام قاتل محمد بن طلحة : « يذكّرني حاميم والرمح شاجر »

وأنشد في ذكرى لدارك باكياً « ألا انعم صباحاً أيها الربع وآسلم »
ولم أر قبلي من يحارب بخته ويشكو إلى البؤسي افتقار التنعّم
ولا أحدٌ يحوي مفاتيح جنّة ويقرع بالتطفيل باب جهنّم
وقد كان رأساً للتدابير بلعم وقد صرت في الدنيا خليفة بلعم

يعني بلعم بن باعوراء . الذي أنزل فيه (وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا
فانسلخ منها) لأنه كفر بالله بعد تعلمه الاسم الأعظم ، وجحد نعم الله سبحانه
وتعالى :

وقد عاش بعد الخلد في الأرض آدمُ فإن شئت فاعذرني فإنّي ابن آدم
فياليتني أمسيت دهري راقداً فإنّي متى أرقدُ بذرك أحلم
مكانك من قلبي عليك موقراً متى ما يرمه ذكر غيرك يحتمي
لغيرك دردي الوصال وثيب المقال وممزوج المودة فاعلم^(١)
وأنت الذي صوّرت لي صورة البنى وأركبني ظهر الزمان المذمّم
وصيّرت عندي أنحس الدهر أسعداً وكذّبت عندي قول كلّ منجم
وصغّرت قدر الناس عندي وطالما لحظت صغيراً عن حماليق معظم

فجعل الله له من مضيق الحبس مخرجاً ، فنهض إلى طبرستان ، وكانت
حاله مع صاحبها كهي مع طاهر بن شار ، فمن قوله فيه من قصيدة [من الوافر] :

ألا أبلغ بني شارٍ كلامي ومن لم يلقيهم فهو السعيد
علام ابتعتم فرساً عتيقاً وليس لديكم علفٌ عتيدُ
وفيم حبستُم في البيت بازاً يحيصُ الطير عنه أو يحيدُ
فلا قرّبتموه فعلمتموه ولا خلّيتم عنه يصيدُ

(١) دردي الوصال : الدُرديّ من الزيت أو نحوه : ما يبقى في أسفل الإناء من الكدر .

وثيب المقال : أي الكلام الذي ليس بكرةً لأنّ الثيب : هي التي افتقدت بكارتها .

وقوله من أخرى [من الوافر] :

وقال أنا الملك فقلت حقاً بقلب اللام نوناً في الهجاء
ولم أر من أداة الملك شيئاً لديك سوى احتمالك للواء

ومنها :

أحين قلعتُ نابي كلُّ أفعى وحادت أسد بيشة عن فنائي
وقال الناس إذ سمعوا كلامي ألم تكن الكواكب في السماء
يخوفني الكساد على متاعي وهل يُخشى فساد الكيمياء

وله من أخرى [من مخلع البسيط] :

لله في كل ما قضاه لطائفٌ تحتها بدائع
سبحان من يطعم ابن شار ويترك الكلب وهو جائع

ثم إنه عاود نيسابور ، وأقام بها إلى أن وفق التوفيق كله بقصد حضرة
الصاحب بأصبهان ولقائه بمدحه ، فأنجحت سفرته ، وربحت تجارته ، وسعد
جده بخدمته ومداخلته والحصول في جملة ندمائه المختصين به ، فلم يخل من
ظل إحسانه ووابله وغامر إنعامه وقابله ، وتزود من كتاب إلى حضرة عضد الدولة
بشيراز ما كان سبباً لارتياشه ويساره ، فإنه وجد قبولاً حسناً واستفاد منها مالا كثيراً
ولما انقلب عنها بالغنيمة الباردة إلى نيسابور استوطنها واقتنى بها ضياعاً وعقاراً
ودرت عليه أخلاف الدنيا من الجهات ، وحين عاود شیراز ورد منها عللاً بعد
نهل ، فأجري له عند انصرافه رسماً يصل إليه في كل سنة بنيسابور مع المال الذي
كان يحمل من فارس إلى خراسان ، ولم يزل يحسن حال من رواء وثروة
واستظهار ، يقيم للأدب سوقاً ، ويعيده غصاً وريقاً ، ويدرس ويملي ويشعر
ويروي ، ويقسم أيامه بين مجالس الدرس ومجالس الأنس ، ويجري على قضية
قول كشاجم [من الرمل] :

عجباً ممَّنْ تعالت حاله فكفاه الله زلّات الطلب
كيف لا يقسم شطري عمره بين حالين نعيم وأدب

وكان يتعصب لآل بويه تعصبا شديدا ، ويغض من سلطان خراسان ويطلق لسانه بما لا يقدر عليه ، إلى أن كانت أيام تاش الحاجب ورجع من خراسان إلى نيسابور منهزما ، فشمت به وجعل يقول : قبحاله وللوزير أبي الحسن العتبي ، فأبلغ العتبي أبياتا منسوبة إلى الخوارزمي في هجائه ولم يكن قالها ، منها [من البسيط] :

قل للوزير أزال الله دولته جزيت صرفاً على قول ابن منصور
فكتب إلى تاش في أخذه ومصادرته وقطع لسانه ، وإلى أبي المظفر الرعيني في معناه ، وكان يلي البندرة بنيسابور إذ ذاك ، فتولى حبسه وتقييده وأخذ خطه بمائتي ألف درهم واستخرج بعض المال وأذن له في الرجوع إلى منزله مع الموكلين به ليحمل الباقي ، فاحتال عليهم يوما ، وشغلهم بالطعام والشراب وهرب متكررا إلى حضرة الصاحب بجرجان ، فتجلت عنه غمة الخطب ، وانتعش في ذلك الفناء الربح ، وعاود العادة المألوفة من المبار والأحبية واتفق قتل أبي الحسن العتبي وقيام أبي الحسن المزني مقامه ، وكان من أشد الناس حبا للخوارزمي ، فاستدعاه وأكرم مورده ومصدره ، وكتب إلى نيسابور في ردِّ ما أخذ منه عليه ، ففعل وزادت حاله وثبت قدمه ، ونظر إليه ولاية الأمر بنيسابور بعين الحشمة والاحتشام والإكرام والإعظام ، فارتفع مقداره وطاب عيشه ، إلى أن رمي في آخر أيامه بحجر من الهمداني الحافظ البديع ، وبلي بمساجلته ومناظرته ومناضلته ، وأعان الهمداني الحافظ البديع عليه قوم من الوجوه كانوا مستوحشين منه جداً ، فلاقى ما لم يكن في حسابه من [مباراة المزني وقوته به] وأنف من تلك الحال ، وانخزل انخزالا شديدا^(١) ، وكسف باله ، وانخفض طرفه . ولم يحل

(١) انخزل : انقطع وضعف .

عليه الحول حتى خانه عمره ، ونفذ قضاء الله تعالى فيه ، وذلك في شوال سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ، وكان مولده في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، ورثاه الهمذاني بأبيات دس فيها سعاية ثانية ، وهي هذه [من المتقارب] :

حنانيك من نفس خافتٍ ولبيك عن كمدٍ ثابت
أبا بكر اسمع وقل كيف ذا ولست بمسمعة الصامت
تحمّلت فيك من الحزن ما تحمّله ابنك من صامت
حلفت لقد متّ من معشرٍ غنيين عن خطر المائت
يقولون أنت به شامتٌ فقلت الثرى بقم الشامت
وعزّت عليّ معاداته ولا متداركٌ للفائت

وقال فيه من أحسن على إساءته ، وهو أبو الحسن عمر بن أبي عمر الرقاني [من السريع] :

مات أبو بكر وكان أمراً أدهم في آدابه الغر^(١)
ولم يكن حراً ، ولكنّه كان أمير المنطق الحرّ

وهذه ملح ونكت من شعره في النسيب والغزل

قال من قصيدة وأبدع في وصف ما يتزايد من حسن الحبيب على الأيام التي من شأنها تغيير الصور وتقبيح المحاسن [من الوافر] :

وشمسٍ ما بدت إلا أرتنا بأن الشمس مطلعها فضول
تزيد على السنين ضياءً وحسناً كما رقت على العتق الشمول^(٢)

(١) الأدهم : الأسود ، وأدهم في آدابه : أي يجمع القديم والجديد .

(٢) رقت على العتق الشمول : الشمول : الحمرة ، والعتق : القدم ، ورقت : أصبحت أكثر صفاءً وعذوبة .

ومن أخرى [من الكامل] :

مضت الشبيبة والحبيبة فالتقى دمعان في الأجفان يزدحمان
ما أنصفتني الحادثاتُ رميني بمودعين وليس لي قلبان

ومن أخرى [من الخفيف] :

قلت للعين حين شامت جمالاً في وجوه كواذب الإيماض
لا تغرنك هذه الأوجه الغرُّ فيا ربَّ حيةٍ من رياض

ومن أخرى [من الطويل] :

عذيري من ضحك غدا سبب البكا ومن جنةٍ قد أوقعت في جهنم
لأنك لا تروين بيتاً لشاعرٍ سوى بيت «من لم يظلم الناس يظلم»^(١)

ومن أخرى [من الطويل] :

عذيري من تلك الوجوه التي غدت مناظرها للناظرين معاركا
عذيري من تلك الجسوم التي غدت سبائك تفتى الناس فيها السبائكا

ومن أخرى [من الطويل] :

خليلي عهدي بالليالي صوافيا فما بالها أبدلن جيما بصادها
خليلي هل أبصرتما مثل أدمعي نفدن وحقَّ الله قبل نفادها

ومن أخرى [من الطويل] :

يفلُّ غداً جيش النوى عسكر اللقاء فأريك في سحِّ الدموع موفقا^(٢)
وخذ حجتني في ترك جنبي سالماً وقلبي ومن حقيهما أن يشققا

(١) يشير إلى قول زهير بن أبي سلمى المزني من معلقته :

ومن لا يذ عن حوضه بسلاحه يهْدَم ومن لا يظلم الناس يظلم

(٢) يفلُّ : يقطع ويثلم ، والنوى : البعد والهجر ، وسحَّ الدموع : هطولها .

يدي ضعفت عن أن تمزق جيبها وما كان قلبي ناظراً فيمزقاً
ومن أخرى [من الكامل] :

بسمت فأبدت جيدها فتكشفت عن نظم درّ تحت نظم لآلي^(١)
وأرتك خديها ولاح عليهما صدغان ذو خالٍ وآخر خالي
فكان ذا ذالٍ خلت من نقطة وكأنّ ذا دالٍ ونقطة ذال

ومن أخرى [من الخفيف] :

قد عصاني دمعي وخلي فخلتُ الخَلَّ دمعاً وخلتُ دمعي خِلاً
وأحاطت بي الخصوم فجفناً مستهلاً وصاحباً مستقلاً
وفؤاداً لو ظنّ إبليس أنّ النار في حرّه لصام وصلى

ومن أخرى [من الطويل] :

هَلَم الخطا بدر الدجّة وارفقا بعينيكما فالضوء قد يورث العمى
ولا تعجباً أن يملك العبد ربه فإنّ الدّمى استعبدن من نحت الدّمى

ومن أخرى [من الطويل] :

وكم ليلة لا أعلم الدهر طيبتها مخافة أن يقتصّ منّي لها الدهرُ
سهادٌ ولكنّ دونه كلُّ رقدةٍ وليلٌ ولكنّ دون إشراقه الفجرُ
ونسكر الهوى لو كان يحكيه لذّة من الخمر سكرٌ لم يكن حُرّم السكر
ولما أدارت مقلّة جاهلية هلاك امرئٍ في ضمن ثوبي لها نذر
ومالت كأن قد سقيت خمر خدّها وكيف يميل الخمر من ريقه الخمر
حسدت عليها ناظري إذ تحلّه كما تحسد الأفلاك نعل فنا خسرو

(١) ورد صدر البيت هكذا : « بسمت فأبدت جيدها فتكشفت » ولا يستقيم به الوزن .

ومن أخرى [من الكامل] :

ولقد ذكرتكَ والنجوم كأنَّها
يلمعن من خلل السحاب كأنَّها
والأفق أحلك من خواطر كاسبٍ
فمزجت دمعِي بالدماء ولم أكنُ
ومن أخرى [من المنسرح] :

ليس على القلب للعدول يدُ
كلُّ فؤادٍ مع الهوى عَرَضُ
يا أيها الطالبون بي رشداً
ولي فؤادٌ مذ صرت أفقده
ولي حبيبٌ لو كنت أنصفه
شهدت للقلب حين علَّقه
ولا ليومي من الفراق غدُ
وكلُّ يومٍ مع النوى أمدُ
متى التقى الحبُّ قطُّ والرشدُ
لم أتفعُ بعده بما أجد
وجدت فيه أضعاف ما أجد^(٣)
بأنه للوجوه منتقد

ومن أخرى [من المتقارب] :

عليك رقيبٌ ثقیل اللِّحَاز
أنمٌ من المسك بالعاشقين
ومن أخرى [من مجزوء الرمل] :

قلت لما رمدت عيـنـناك والدمع سجام^(٥)
إنما عوقبت عن عيـنـني فاعلم يا غلام

(١) من خلل السحاب : من بيته من خلاله، والعرفيح : شجر سهلي .

(٢) صرف الهوى : خالسه ، والصرف : هو الصافي ومن الخمر : الذي لم يخالط بالماء .

(٣) وجدت : من الوجد وهو العشق .

(٤) يحدس : يظن ويخمن .

(٥) سجام : سائل .

لا أصيبت هذه العيون بعيني والسلام

* * *

وهذه لمع من تضميناته التي كانت رشيقة ، وطريقة أنيقة ، يضعها في مواضعها ، ويوقعها أحسن مواقعها ، ويفصح بها عن اتساع روايته وكثرة محفوظاته ، فمنها قوله من قصيدة في عضد الدولة [من الوافر] :

ولمّا أكثر الحساد فيه وقالوا قد تغضّنت الخدود^(١)
أجاب الفضل عنه حاسديه (لأمر ما يسود من يسود)

« لأمر ما » البيت لبلعام بن قيس الكناني

بودّي لو رأى كنفه يوماً ومن قد عاش تحتها ليبد
لأن ليبدأ يقول [من الكامل] :

* ذهب الذين يعاش في أكنافهم^(٢) *

ولو أنّ الوليد رآه يوماً غدا ورجاؤه غضّ وليد
وحلّ عرى الزماع ولم يردّد « أشرق أم أغرب يا سعيد »^(٣)
وله من أخرى [من الكامل] :

حسد السّمّاك سميّة لما بدا في سرجه شخص الهمام الأبلج
السماك : فرس منسوب لعضد الدولة .
وغدا فأضحى لاحقاً ضدّ اسمه وأراك أعوج وهو عين الأعوج

(١) تغضّنت : تجعّدت .

(٢) هذا صدر بيت وعجزه قوله :

« وبقيت في خيلف كجلد الأجر »

(٣) حلّ عرى الزماع : أي انثنى عن الأمر الذي كان قد أزمع وصمّم على فعله .

فلو ان شاعر بحتري في عصره ما قال في فرس ولا في أعوج
(خفت مواقع وطئه فلو انه يجري برملة عالج لم يرهج)^(١)
البيت كما هو للبحتري .

وقوله من أرجوزة [من الرجز] :

وقينة أحسن من لقيها تملي كتاب الحسن مقلتها
ونقطه وشكله خداه إذا اجتلاها اللحظ أنشدناها
(* واهالرياً ثم واهاً واهاً^(٢) *)

المصراع لأبي النجم

ومنها في وصف الناقة :

بجسرة قائدها براها في السير بل سائقها رجلاها
قد كتب العتق على ذفراها (أي قلوصل ركب تراها)^(٣)
البيت جاهلي قديم

ومن قصيدة [من الطويل] :

لعمرك لولا آل بوية في الوري لكان نهاري مثل ليل المتيم
وصمت عن الدنيا وأفطرت بالمني ولم يك إلا بالحديث تأدمني

(١) برملة عالج : مكان كثير الرمل . لم يرهج : لم يترك غباراً .

(٢) يروى بعده :

هي المنى لو أننا نلناها يا ليت عينها لنا وفاها
بمن نرضي به أباه إن أباه وأبا أباه

قد بلغا في المجد غايتها

(٣) ذفر الشيء : انتشرت رائحته واذفر الناقة : رائحة إبطيها المنتنة ، والقلوص : الناقة .

(٤) تأدمني : طعمني وأكلي .

وأنشدت في داري وفيما أرى بها (أمن أم أوفى دمنة لم تكلم)
المصراع لزهير^(١)

ومن قصيدة في صاحب [من الطويل] :

ومن نصر التوحيد والعدل فعله وأيقظ نوّام المعالي شمائله
ومن ترك الأخيار ينشد أهله (أجل أيها الربع الذي خفّ أهله)
المصراع لأبي تمام^(٢)

ومن أخرى [ومن الطويل] :

أخو كلماتٍ ما جلاها لسانه على أحدٍ إلا غدا وهو خاطب
متى يروها أهل الصناعة ينشدوا (عجائب حتى ليس فيها عجائب)
المصراع لأبي تمام أيضاً^(٣)

ومن أخرى [من البسيط] :

مقابلٌ بين أقوامٍ وألويةٍ مردّدٌ بين إيوانٍ وديوانٍ
إذا أتى داره الأضياف أنشدَهُمْ (وإخوتي أسوةٌ عندي وإخواني)
المصراع لأبي تمام

يا ترجمان الليالي عن معاذرها وحجة الزمن الباقي على الفاني
يا أبحث الناس عن شعري وعن كرمي (يا مورث الطبع إحساناً بإحسان)

(١) المصراع صدر مطلع في قول زهير وعجزه :

« بجومانة الدراج فالثلثم »

(٢) المصراع صدر مطلع في قول أبي تمام وعجزه :

« لقد أدركت فيك النون ما تحاوله »

(٣) المصراع عجز بيت لأبي تمام وصدره قوله :

« علي أنها الأيام قد صرن كلّها »

يا تاركي منشداً من ظلّ يحسدني (ليس الوقوف على الأطلال من شاني)

المصراع لعبد الله بن عمار الرقيّ

طلقت بعدك مدح الناس كلّهم
وكيف أمدحهم والمدح يفضحهم
قوم تراهم غصابى حين تنشدهم
البيت من قول القائل [من البسيط] :

عثمان يعلم أن المدح ذو ثمن
رجع :

ورابني غيظهم في هجو غيرهم
ما كلُّ غانية هندٌ كما زعموا
فسوف يأتيك مني كلّ شاردة
يقول من قرعت يوماً مسامعه
الوشي من أصبهان كان مجتلباً
قد قلت إذ قيل إسماعيل ممدوح
(الناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً
البيت كله تضمين

ومن أخرى [من الطويل] :

كتبتُ ابن عبادٍ إليك وحالتي كحال صدّ طمّت عليه مناهله^(٣)

(١) الكشحان بكشحان : حقد بحقد ، وعداوة بعداوة .

(٢) بخت : حظّ ، وسان : غافل ، والوسن النعاس الذي يسبق النوم .

(٣) الصدّ : المنع ، وطمّت فاضت ، والمناهل المشارب .

وما تركت كفاك في خُصاصة
أبيت إذا أجريت ذكرك منشداً
ولكن شوقاً قد غلت بي مراجله^(١)
(كأتك تعطيه الذي أنت سائله)
المصراع تضمين .

ومن أخرى في عضد الدولة [من البسيط] :

أضحت ثياب فنا خسرو مزررة
القائل القول عي السامعون به
على هزبر وإنسان وصمصام
أوضحها بين أقلام وأعلام
فمیلوا بين أوهام وأفهام
والتارك الترك والخذلان ينشدهم
(يا بؤس للجهل ضرراً لأقوام)
المصراع للنابعة الديباني

ومنها :

[أغنيتني عن أناس كان بعضهم
المبغضين ليوم الفطر جهدهم
عذري ومكثي فيه بعض إجرامي]
لأنهم قطعوه غير صوأم
قوم إذا مرّ ضيفٌ دحرجوا حجراً
قد قدموا نفرأ قبلي فأنشدهم
في الحق أن يلحقوا الأبواب قدامي)
(قدمت قبلي رجالاً لم يكن لهم
تضمين كله .

ومن أخرى [من الطويل] :

لو أأتك قد أبصرت تاشا وفائقاً
وقد كتب الإديبار في جبهتهما
على ظهر يخت أدبر الظهر رازم
بإنشاء مقمورٍ وتحرير نادم

(١) الخصاصة : الحاجة والفقر ، المراحل : جمع مرجل وهو القدر .
(٢) رام : من رام الشيء : قصده ، أو رام عن المكان : ابتعد وفارق .

(فلا تأمنن الدهر حرّاً ظلمته فإنِ نِمْتَ فاعلمْ أنَّه غير نائم)
تضمنين كله .

ومن أخرى [من الطويل] :

وقائع لو مَرّت بسمع ابن غالب لما قال ما بين المصلّى وراقم
(أتتني ورحلي بالمدينة وقعة لآل تميمٍ أَعَدت كلَّ قائم)
البيت للفرزدق ، قاله حين سمع وهو بالمدينة قتل وكيع بن أبي الأسود لقتيبة بن مسلم .

سل الله واسأل آل بوية إنَّهم بحار المعالي لا بحارُ الدراهم
تحبُّهم البلدان فهي نواشزُ على كلِّ زوج بعدهم أو محارم^(١)
إذا رامها أعداؤهم تركتُّهم فلم يلقهم إلاَّ برمحٍ وصارم
ممالك قد نادت عليهم حروبهم بطول القنا يحفظن لا بالتمايم^(٢)

ومن أخرى كتب بها من أرجان إلى صاحب وصف فيها الحمى [من الوافر] :

ولو أبصرت في أرجان نفسي عليها من أبي يحيى ذمامُ
ولي من أمّ ملدم كلَّ يومٍ ضجيجُ لا يلدُّ له منامُ
مقبلةٌ وليس لها ثنانيا معانقةٌ وليس لها التزام
كأنَّ لها ضرائرُ من غذائي فيغضبها شرابي والطعام
إذا ما صافحت صفحات وجهي غدا ألفاً وأمسى وهو لام
إذاً لرأيت عبدك والمنايا تصيحُ به تنبُّ كم تنام
وما أستبكاك من بعدي أسيرُ يرضُ عظامه الحقُّ العظام^(٣)

(١) الناشز : التي ترفض الطاعة .

(٢) القنا : الرماح ، والتائم : جمع تميمة ما يعلقه الانسان في كتفه لردِّ الأذى .

(٣) يرضُ : يدق ويطحن .

ولا ترجيع ثكلى خلف نعشٍ (أمحمولٌ على النعش الهمام) ^(١)

التضمين للنابعة الذبياني

ولا ترديد صبٍّ وهو بالك
ولولا فقد وجهك لم أعبسُ
فما في العيش لولا أنتَ طيبٌ
وكننت ذخرتُ أفكاري لوقت
وكننت أطالب الدنيا بحرٍّ
ولما سرتُ عنك رأيت نفسي
فذاك يقول منك السير عنه
وسائلني بعلمك من أراه
فقلت زكاة ما يحويه علمٌ

(سُقيت الغيث أيها الخيامُ)
على ضيف يقال له الحِمَام
ولا في الموت لولا أنتَ ذامٌ
فكان الوقت وقتك والسلامُ
فأنت الحرُّ، انقطع الكلام
وبين القلب والرَّجل اختصام
وتلك تقول منك الإغترام
وقالوا (ما وراءك يا عصام)
لمن لغلामه مثلي غلام

آخره تضمين

ومن أخرى [من الطويل] :

ويشربُ لكنْ في إناءٍ من الثرى
ويسمعُ لكنْ الغناء مدائحُ
لو ان حبيباً كان لاقاه لم يقلْ

رحيقاً خوابيها الطلا والمناكب ^(٢)
ويكنز لكنْ الكنوز مناقب ^(٣)
(وأكثر آمال النفوس الكواذب)

آخره تضمين

ومن أخرى [من الطويل] :

-
- (١) الترجيع : النواح والبكاء ، والثكلى : الفاقدة .
(٢) الرحيق : الشراب الصافي ، الطلا : الدماء . والمناكب : جمع منكب ، وهو مجمع رأس الكتف والعضد ، والمنكب من القدم : عونهم الذي يعتمدون عليه .
(٣) يكثر : يجمع ، والمناقب : الآثار الحميدة .

وفي الدست شخصٌ ودَّت الأنجم التي تقابله لو أنهنَّ مجالسُ
 فلا تعجبوا أن يحمل الدست عسكرياً فما كلُّ أمرٍ تقتضيه المقاميسُ
 وأن يسع الدست اللطيف لعالمٍ فقد وسعت إسم الآله قراطس
 أمينٌ إذا ما الناس مالوا لغيره (ومحترسٌ من مثله وهو حارس)

المصراع الأخير تضمين لعبد الله بن همام سار مثلاً

ومنها :

وكنت أمراً لا أنشد الدهر خالياً سوى بيت ضرَّ نجمه الدهر ناحسُ
 (أقلِّي عليَّ اللوم يا أمَّ مالكِ وذمِّي زماناً ساد فيه القلاقس) ^(١)

البيت كما هو لعبد الله بن همام .

فأصبح إنشادي لبيت إذا جرى ففيه نديمٌ ممتعٌ ومؤانسُ
 (ودار ندامى عطَّلوها وأدلجوا بها أثرٌ جديدٌ ودارسُ) ^(٢)

البيت لأبي نواس .

ومن أخرى [من الكامل] :

يا من يدرُس خالياً حجابهُ سهل الحجاب مؤدبُ الخدامِ
 كم تطرد الدنيا وترجع بعد ما (قد طُلِّقَتْ تطلُّقة الإسلام)

المصراع الأخير لابن هرمة .

فكأنَّها شيعيَّةٌ قُميَّةٌ وكأنَّ سيدنا الوزير إمامي ^(٣)
 ويقول للخطاب غيرك (ليس ذا وقتُ الزيادة فارجعي بسلام)

(١) القلاقس : العبيد .

(٢) أدلجوا : أدخلوا ، ودارسٌ ، بال .

(٣) قُميَّة : نسبة إلى قم في إيران وبها حوزة علمية مشهورة للطائفة الشيعية .

من بيت جرير [من الكامل] :

طرفتكَ صائدة القلوب وليس ذا وقتُ الزيارة فارجعي بسلام

ومن أخرى [من الطويل] :

وجدنا ابن عباد يؤدّي فرائضاً من المجد ظنَّتها اللئام النوافلا
جديراً بأن يغشى الكريهة منشداً (أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلا)
المصرع لزيد الخيل .

ومن أخرى [من الطويل] :

تعاصيهمُ أسيافنا فكأتما يرين بريثاً من سَفَكن له دما
كأنَّ ظُباها ساعة الروع علّمت (ولن تستطيع الحلم حتى تحلّما)
المصرع الأخير لحاتم الطائي .

ومن عضدية [من الطويل] :

وكم عصبةٍ قرحي عصوك فأصبحوا بهم يومهم خمراً وفي غدهم أمرُ
وصارخةٍ للزوج كان غناؤها (لها كنية عمرو وليس لها عمرو)
من بيت أبي صخر الهذلي [من الطويل] :

أبى القلب إلا حبّها عامرية لها كنية عمرو وليس لها عمرو

رجع :

فصيرتها ثكلى وأصبح قولها (كذا فليجلّ الخطب وليفدح الأمر)
المصرع الأخير تضمين .

ومن قصيدة في أبي نصر بن العميد [من الطويل] :

لئن كنت أضحي من عطايك شاعراً لقد صرت أمسي من جنابك مفحماً

أبيت إذا أجريت ذكرك منشداً وأن أعتبَ الأيام فيه فربما
وما لي من الأصوات مقترحٌ سوى (أعالج وجداً في الضمير مكتماً)
المصرع الأخير للبحثري .

ومن قصيدة في الأمير أبي نصر الميكالي [من الطويل] :

نجر ذبول الفخر حتى كأننا لعزتنا في آل ميكال ننتمي
هم شحمة الدنيا فإن نتعدَّهم إلى غيرهم نحصل على الفرث والدم^(١)
سقى الله ذاك الروض جوداً كجودهم وصيرَ آجال العداة إليهم
وأبقى أبا نصرٍ ليربي عليهم سنين كما أربى بنينٌ عليهم
وعاش إلى أن يترك الناس مدحه ومن ذا الذي يرجو إياب المثلِّم^(٢)

وفي الأمثال « لا أفعل ذاك حتى يؤوب المثلِّم » .

هو الحرُّ لا يحبو بثوبٍ مطرُزٍ غسيلٍ ولا يدعو بكيسٍ مختَّم^(٣)
ولا يعدم الراؤون منه ثلاثة عطاءً وعذراً وانبساطاً لديهم
ويعذَّب إنْ ينصفَ كما عذَّبَتْ نعمٌ ويثقلُ إنْ يظلمَ كما ثقلتْ لَمِ
صفوحٌ عن الجهال ينشد فعله (ويشتم بالأفعال لا بالتكلم)

المصرع تضمين ، وهو جاهلي معروف .

ومن قصيدة في الهجاء [من الكامل] :

زمن المروءة عهده بفتوَّةٍ عهدي بترك الشُّرب في شوالِ
غضباًنُ ينشد حين يبصرُ سائلاً كُفِّي دعاءك إنني لك قالي

(١) شحمة الدنيا : أي أحسن وأطيب شيء فيها ، الفرث : الروث من الحيوانات ، أو بقايا الأطعمة في كروشها .

(٢) الإياب : العودة : المثلِّم : أي الذي ثلمه الدهر في نفسه وماله .

(٣) يحبو : يجود ويعطي .

وله مواعدٌ قد حكت في طولها (آلت أمور الشرك شر مآل)
البيت ابتداء قصيدة لأبي تمام في المزينين .

ومن أخرى [من الوافر] :

متى ما زرتهم أوصيت أهلي وصية عائد بالجرم بادي
بتجديد الصنادق للهدايا وتوسيع المرباط للجياذ
وإن ودعتهم أنشدت فيهم (سقى عهد الحمى سيل العهد)
المصرع لأبي تمام .

ومن أخرى في شمس المعالي [من الطويل] :

شموسٌ لهنّ الخدر والبدر مغربٌ فطالعها بالبين والهجر غاربٌ
ولكنّما شمس المعالي خلافها مشارقه ليست لهنّ مغاربٌ
فما لقبوه الشمس إلا وقد رووا (بأتك شمسٌ والملوك كواكبٌ)
المصرع الأخير من بيت النابغة .

أقول لزوّار الأمير ترجّلوا فمن زاره من راجلٍ فهو راكبٌ
وإن زاره الفرسان كنت كفيّهم بأن يرجعوا والخيّل فيهم جنائب^(١)
إذا رجعوا عن بابهِ فنشيدهم (وإن سكتوا أثنت عليه الحقائق)
ألا أبلغوا عني الأمير رسالةً تدلّ على أنني على الدهر عاتب^(٢)
إلى كم يحل المرء مثلك بلدةٍ بها منبرٌ فيها لغيرك خاطب
لقد هان من أمسى ببلدة غيره (وقد ذلّ من بالت عليه الثعالب)

(١) جنائب : الفناء .

(٢) عاتب : لامة على مكروه فعله .

هذه من سقطاته وعمره ، الواقعة في غرره فإن فيه سوء أدب ، وهو بالتقريع أشبه منه بالتقريظ ، وليس مما يخاطب به الملوك .

ومما زل فيه أقبح زلة ، قوله من قصيدة في الصباح . وقد اعتل [من الطويل] :

نحوالي نفسَ المجد ساعة أخبروا بما يشتكي من سقمه ويمارس^(١)
فإن في لفظه النعي ما فيها من الطيرة ، إذ هي مما يقع في المراثية لا في العيادة ، ثم قال :

فهلّا فداه منه من ليس مثله ومن ربه في ساحة الجود دارس^(٢)
جزى الله عني الدهر شراً فإنه يضايقني في واحد وينافس^(٣)
ومن سقطاته المنكرة قوله للصاحب من قصيدة [من الخفيف] :

ومهيّب كأتما أذنب لنا س إليه فهم مُغشون ذلاً
وظريف كأن في كل فعل من أفاعيله عرائس تجلى

فإن الكبراء والمحتشمين لا يوصفون بالظرف ، إذ هو من أوصاف الأحداث والقيان والشبان ، ولم يرض بالفرطة في هذه اللفظة حتى شبه أفاعيله بعرائس تجلى ، فلو مدح مخنثاً لما زاد ، والكامل من عدت سقطاته ، ولكل جواد كبوة ، ولكل عالم هفوة .

(١) السقام : المرض ، ويمارس : يعاني ويلاقى .

(٢) دارس : متقدم عهده .

(٣) ورد في صدر البيت « ألا أبلغنا عني الأمير رسالة » ولا يستقيم الوزن كذلك .

وهذه غرر من مدحه وما يتصل بها

فمن ذلك قوله من عضدية [من الطويل] :

غريبٌ على الأيام وجدانٌ مثله وأغربٌ منه بعد رؤيته الفقرُ
فلا حرٌّ إلاّ وهو عبدٌ لجوده ولا عبدٌ إلاّ وهو في عدله حرٌّ
عجبت له لم يلبس الكيّر حلةً وفينا لأنّ جزنا على بابه كبرُ
وله من أخرى [من البسيط] :

متى أشقُ رواق الملك تلحظني عين آمريءٍ بغيوب المجد علامُ
متى أرى قمرَ الديوان مطلقاً في سطو بهرام بل في ملك بهرام
متى أقبل فرشاً لا يقبله عافٍ فيفرق بين الترب والسام^(١)
مالي أبيت بشيرازٍ وأصبح في داري فدت يقظتي نومي وأحلامي
ما يطلب الحلم من قلبي يقلبه عندي من السقم ما يكفيه أسقامي
أصبحت أشكر ليلاً أشتكى غده الليلُ عوني والأيام غرامي
والأرض تعلم أنّي سوف أمسحها حتى أرى من يرى بالليل أوهامي
ومن أرجوزة [من الرجز] :

يا عضد الدولة من يمانها يا مهجة قالت لها أعلاها
من أسخط الدرهم أرضى الله ومن أزال المال صان الجاهها

وقال من قصيدة [من الوافر] :

بحمدك لا بحمد الناس أضحى وكيلى ليس يكفيه وكيلُ
وكانوا كلّما كالوا وزناً فصرنا كلّما وزنوا نكيلُ
وزدت من العيال وذاك أنّي كتبت على لقائك من أعولُ

(١) العافي : الطالب المعروف ، أو الضيف .

وعشت وناقصٌ رزقي فأضحى
وكنت أبيع من سقط القوافي
وأكتمُ من أبايع دقَّ بزِّي
ومن أخرى [من الطويل] :

مفاعلتن مفاعلتن فعولُ
وأحجر ما تضمنت الحمولُ
ففاض عليه نائلك الجزيلُ^(١)

ألا حرُّكا لي أبرويز بن هرمز
نطلَّع إلى الدنيا لتعلم أنَّ ما
لعمرك لولا آل بوية لم يكن
ومنها :

وقولا له قُمْ تَلَقَّ أعجوبةً قم
ملكك من الدنيا بمقدار درهم
نهارى إلَّا مثل ليل المتيمِّم

ودارٍ ودينارٍ وثوبٍ ودرهم
سلوِّي ولا أرقى السماء بسلم
وصلت عن الأبطال شعري فيهم

وهم جعلوني بين عبدٍ وقينةٍ
وهم تركوا الأيام تعجب أن رأْتُ
وهم حالفوني أوطأوا في صلاتهم
ومن أخرى [من الكامل] :

بك تاجُ ملكيهم القديم المنهج
فقدوا نقيصة دينه المستسمح^(٢)

ختمتُ بك العجم الملوك وراجعت
لم يفقدوا بك أزدشير وإنَّما
ومن أخرى [من البسيط] :

لو طأوعوا الجود تقديمي وإحجامي
لكنْ ذكرت عباب الزاخر الطامي^(٣)
يغتاظ من ذكره مفضول أقوام

وغاظ مدحك أقواماً وفي يدهمُ
وما ظننتُ على نهرٍ فأغضبهُ
أكلُ فاضلٍ أقوامٍ شهدت له

(١) دقَّ بري : أي النفيس منها ، والنائل : العطاء .

(٢) المستسمح : الثقيل المكروه .

(٣) طعنت : رحلت ، العباب الزاخر : الماء الكثير الواسع ، والطامي الفائض .

ومن صاحبة [من الطويل] :

وأبيض وضّاح الجبين كأنما محيّا قد درّت عليه شمائله
يقبّل رجله رجالٌ أقلّهم تقبّل في الدّست الرفيع أنامله

ومنها :

أقبل أشعاري إذ أسمك حشوها وأشتّم ملبوسي لأنك باذله
وأخطر في حافات دارٍ ملأتها طرائف باقي العيش منها وحاصله^(١)
وله من أخرى [من الطويل] :

وأنت امرؤٌ أعطيت ما لو سألته إلهك قال الناس أسرفت سائلا^(٢)
وإني وإلزاميك بالشعر بعدما تعلّمته منك الذّرى والفواضلا
كملزم ربّ الدار أجرة داره ومثلك أعطى من طريقين نائلا
ومن أخرى [من الكامل] :

ولقد عهدتُ العلم أكسد من بهتانِ فرعون لدى موسى
فأقام قاعد سوقه رجلٌ ميت الرجاء ببابه يحيا
فالعلم أصبح في الورى علماً والشعر أمسى يسكن الشّعري^(٣)
ومن أخرى [من مجزوء الوافر] :

بنيت الدار عاليةً كمثل بنائك الشرفا
فلا زالت رؤوس عداك في حيطانها شرفا

ومن قصيدة في مؤيد الدولة ذكر فيها افتتاحه قلعة من أبكار القلاع واستنزاله

(١) أخطر : أمشي على مهل ، والطرائف : جمع طريف : المال الحديث النعمة .

(٢) في هذا البيت مبالغة بغیضة .

(٣) علماً : أي جبلاً ظاهراً ، والشّعري : نجم في السماء .

صاحبها المسمى كوشيار منها [من الطويل] :

وكنـت سماءً والعـجاج سحائباً وخيلك أبراجاً وجيشك أنجماً^(١)
وأنزلت منها كوشيار وإنما تقنّصت من فوق المجرة ضيغما
عرفتك صياد الأسود ولم أكنْ عرفتكَ صياد الأسود من السما
خدمتُكمْ يا آل بوية مدّةً غدا بينها فرخ الوسائل قشعما^(٢)

ومن أخرى في أبي الحسين المزنـي [من الكامل] :

كَلِمٌ هي الأمثال إلاّ أنها في الناس قد أضحت بلا أمثال^(٣)
فإذا لقين فإنّهـنّ عوالي وإذا شمنن فإنهم غوالي

ومن صاحبية [من الطويل] :

تأخّر عن كتبي الجواب ، وإنما تأخر برد الماء عن كبـدٍ حرّ
فلا تفسدنّ عشرين ألفاً وهبتها بعشرين حرفاً كلامك تُستمرى

ومن ميكالية [من الوافر] :

فديتك ما بدالي قصد حرّ سواك من الوري إلا بدا لي
وإنك منهم وكذاك أيضاً من الماء الفرائد واللالـي
وتسكن دارهم وكذلك سكنى الحجارة والزمرد في الجبال

(١) العجاج : الغبار .

(٢) القشعم : النسر .

(٣) وقع هذا البيت في الأصول :

كَلِمٌ من الناس هي الأمثال إلاّ أنها أضحت بلا أمثال
وهو غير مستقيم الوزن على هذه الصورة .

وهذه فقر من مراثيه

قال من قصيدة رثى بها ركن الدولة أبا علي [من المتقارب] :

ألست ترى السيف كيف اثلثم وركن الخلافة كيف انهدم
طوى الحسن بن بويه الردى أيدري الردى أي جيش هزم
ومنها أيضاً :

طويلُ القناة قصيرُ العدا ذميمُ العدا حميدُ الشيم^(١)
فصيح اللسان بديع البنان رفيعُ السنان سريع القلم
يكيل الرجال بأقذارها ويرعى البيوتات رعي الحرم
جوادٌ عليهم بخيلٌ بهم إذا ساء خصٌّ وإن سرَّ عم
فيا دهر سحقاُ ولا تحشم فقد ذهب الرجل المحتشم
وخطَّ الفناء على قبره بخطِّ البلا وبنان السقم
إذا تمَّ أمرٌ دنا نقصه توقع زوالاً إذا قيل تم

ومنها :

إذا كان يكي الورى بالدموع وتبكي بهنَّ فأين القيم
وقد ساءني عطلُ الدهر منك وقد كنت حلياً عليه انتظم
فما يستحقُّ الزمان اللثيم مقامك فيه وأنت الكرم

وله من أخرى في مراثية أبي الفتح بن العميد [من الكامل] :

يا دهرُ إنَّك بالرجال بصير فلطالما تجتاحهم وتبير^(٢)
يا دهر غيري من خدعت بباطل وابن العميد مغيبٌ مقبور

(١) طويل القناة : كناية عن قوته وقدرته ، والقناة : هي الرمح . والشيم : الصفات والمزايا والأفعال .

(٢) تجتاحهم وتبير : تقضي عليهم وتفنيهم .

الآن نادتنا التجارب طلقوا
يا دهر ظلّ لمخيليك فريسةً
رجلٌ لو أن الكفر يحسن بعده
أشكو إليك النفس وهي كئيبةٌ
وأقول للعين الغزير بكاؤها
قد متٌ بعدك ميتةٌ مستورةٌ
ودفنت في قبر الهموم وضمني
ضحكت إليك الحور ضحكك كلماً
وضفت عليك ذيول رحمة ربنا
وسقى ضريحك مستهلّ عمره
جودٌ ككفك أو كعيني أو دم
أهوى القيامة لا لشيء أن
وأحب فيك الموت علماً أنني

ومن أخرى [من الطويل] :

أسرّك أن الدهر يجني لما جنى
فيا عجبي من ناصبي وفرحة
وأعجب من هذين إظهارك الأسى
ألم تر أن الله قال تمتعوا

دنياكم إنّ السرور غرور
رجلٌ لعمري لو علمت كبير
هجي القضاء وأتب المقدور
وأذم فيك الدمع وهو غزير
خطبٌ لعمري لو عميت يسير
قد ساقها لي موتك المشهور
كفنان ضيق الصدر والتفكير
وافاك ضيفٌ أو أتاك فقير
والله برُّ بالجواد غفور
شهرٌ وعمر النبت منه شهر
أجراه سيفك في العدى مشهور
ألقاك فيها والأنام حضور
بعد الممات إلى اللقاء نصير

ولم يك في الأحبار والنصب يدعي^(١)
وأعجب منه الحزن في المتشيع
لمن غاب عن دار الأسى والتوجع
قليلاً ولم يُبق قليل التمتع

ومن أخرى يرثي بها مؤيد الدولة ويعزي ويهني فخر الدولة [من الطويل] .

رزئت أخاً لو خير المجد في أخ
وقد جاءت الدنيا إليك كما ترى
من الناس طهراً ما عداه ولا استثنى
طفيلية قد جاوبت قبل أن تدعى

(١) الأحبار : جمع حبر ، وهو العالم ، والأسقف عند النصارى ، ورئيس الكهنة عند اليهود .
والنصب : أي من يناسب علياً العداء .

صبت بك عشقاً وهي معشوقة الورى
ولما رأت خطأها تركتهم
ولم تتساهل في الكفي ولم تقل
على أنها كانت جفتك تذلاً
فقد أصبحت قيساً وعهدي بها ليلى
ولم ترض إلا زوجها الأول الأولى
رضيت إذا ما لم تكن إبل معزى
فخليتها حتى أتت تطلب الرجعى
وله من قصيدة رثى بها أبا سعيد الشيبى وكان واداً له عاتبا عليه [من الوافر] :

أيدري السيف أي فتى يبيد
لقد صادت يدا الأيام طيراً
وأصبح في الصعيد أبوسعيد
وقد كانت تضيق الأرض عنه
بلى مس الثرى قلباً رحيباً
فلا أدري أضحك أم أبكى
صديق فقد فقدناه قديم
مصاب وهو عند الناس نعى
تهنئي الأنام به ولكن
وسيف قد ضربت به مراراً
فلما أن تفلل ظلت أبكى
ومن عجب الليالي أن خصمي
وأن النصف من عيني جمود
إذا سفحت عليه دموع عيني
وأية غاية أضحى يريد
تضيق به حباله من يصيد
ألا إن الصعيد به سعيد^(١)
فلم وسعت لجشته اللحد
فأعدى الترب فأتسع الصعيد
وتهدمني المنية أو تشيد^(٢)
وثكل قد وجدناه جديد
ونحس وهو عند الناس عيد
تعزيني الموائق والعهود
فمن ضرباته بي لي شهود
وعندي منه فعد دم جسيد^(٣)
يبى وأن حزني لا يبيد
وإن النصف من قلبي جليد
نهاها الهجر منه والصدود

(١) الصعيد : الثرى ، أو القبر .

(٢) ورد صدر البيت هكذا :

« فلا أدري أضحك أم أبكى »

ولا يستقيم به الوزن .

(٣) تفلل : تقطع وأصابته الفلول فأهلكته ، وجسيد : ملتصق به .

يجمش بينها الرأس الحديد
ونصف من مدامعها برود
أريد من المنى مالا أريد
تخالف فيه إخواني الشهود
وذا عزى وقال مضى وديد
ويلقي في المهالك إذ يزيد
وإن ثقلت فحاملها جهيد^(١)
ويقتل منه بالغرق المزيد
ومت مقيداً فرداً مبيد
فمالك قد جزرت ولا تعود
تزل من سوء فعلك بي تجود
فقل لي أي فعليك الرشيد
وها أنا ذا المباغض والودود
وها أنا ذا الشقي بك السعيد
أذم الدهر فيك وأستزيد
ولا يوم تعيش به حميد
تأكل فهو موجود فقيد^(٢)
وفي قلعي له ألم شديد
وإنك أنت للشيء البعيد
وإنك أنت للعلم السديد
ولكن ليس للدنيا خلود

وآثار له عندي قباح
فنصف من مدامعها سخين
فمن هذا رأى في الناس مثلي
ومن نكد المنيّة فقد حرّ
فذا هنى وقال مضى عدو
رأيت العقل ينفع وهو قصد
كمثل الدرع إن خفت أجنّت
ومثل الماء يروي منه قصد
شهدت بأن دهرأ عشت فيه
وقالوا البحر جزر ثم مد
بكيت عليك بالعين التي لم
فقد أبكيتني حياً وميتاً
فها أنا ذا المهناً والمعزى
وها أنا ذا المصاب بك المعافى
لقد غادرتني في كلّ حال
فلا يوم تموت به مجيد
وما أصبحت إلا مثل ضرس
ففي تركي له داء دوي
فلا تبعد إقامة رسم حق
وإنك أنت للسيف الحديد
وإنك أنت الدنيا جميعاً

(١) أجنّت : حفظت وردت ، وجهيد : متعب .

(٢) تأكل : تفتت .

وله من قصيدة يرثي بها أبا الحسن المحتسبي [من البسيط]:

بالطير ما هتفت يوماً على فنن	وصاحب لي لو حلت رزيتُهُ
بين الضحى والدجى ساراعلى سنن ^(١)	عاشرته عشرةً لو أنها وقعتُ
وصادني بشباك الوصل والمنن ^(٢)	حتى إذا نلت سؤلي من مواهبه
في العظم واللحم سير الماء في الغصن	ثكلته بعد ما سارت محاسنه
لقد أمِنتُ عليه غير مؤتمن	يادهراً ثكلتني حتى أبا الحسن
في مقتل القلب لا في مقتل البدن	وصلت سهمك مني يوم قتلكهُ
بطش الجهول ومكر العاقل الفطن ^(٣)	جمعت ضديّن من خرقٍ ومن أدب
فالآن أدري لماذا كنت تذخرني	قد كنت أعجب لم أخرت من أجلي
في مخبرٍ حسنٍ إلا أبو حسن	ولم يكن في الوري ذا منظرٍ حسنٍ

وله في عائد بن علي لما ضربته السموم فهلك [من الخفيف]:

عائدٌ قد دعا به المعبود	وجميع الوري إليه يعود
أهلكته السموم في أرض مكرا	ن والله في الرياح جنود

وله في أبي سهل البستي الكاتب [من السريع]:

مات أبو سهلٍ فواحسرتا	ان لم يكن قد مات مذ جُمعة
ما حزني إلا لأن لم يمت	بموته من أهله تسعة
مصيبةٌ لا غفر الله لي	إن أنا أذريت له دمعة

(١) السنن : الشريعة والحدود .

(٢) المنن : الانعام .

(٣) الخرق : الجهل والطيش ، والمكر : حسن التدبير .

وهذه نتف من أهاجيه في خلفاء العصر

قال [من البسيط]:

مالي رأيت بنسي العباس قد فتحوا
ولقبوا رجلاً لو عاش أولهم
قلّ الدراهم في كفيّ خليفتنا
وله في علوي ناصبي [من الوافر]:

شريفُ فعله فعلٌ وضع
عوارُ في شريعتنا وفتح
كأن الله لم يخلقه إلا
وله في فقيه [من الخفيف]:

مجيرٌ صيرُ ابنه ناصبياً
ليس يرضى أن يدخل النار فرداً
مجبراً مثله وتلك عجيبه^(١)
ساعة الحشر أو يقود حبيبه

وله في أبي سعيد بن مله [من السريع]:

أبو سعيد زحلٌ للكرام
لم أره إلا خشيت الردى
ومنسفٌ ينسف عمر الأنام^(٢)
قوموا انظروا كيف بخوت اللثام

(١) العوار : العيب والنقص .

(٢) مجير ، على زنة اسم الفاعل كمكرم : أي قاتل بالجبر ، وملخص هذه المقالة أن العبد لا اختيار له في فعل ما يفعل وترك ما يترك من خير وشر وأنه كالريشة في مهبّ الريح ، وأصحاب هذه المقالة يزعمون أن عقاب المسيء ظلم ، وثواب الطائع محاباة ، والناصبي : الذي يدين الله بسبب علي بن أبي طالب وأولاده .

(٣) زحل : مبعد ومتعب ، والمنسف : من نسف : دك وذرى .

ثم تراه سالماً آمناً يا ملك الموت الى كم تنام

وله فيه [من الطويل] :

أرى لك أفعالاً تناقض أمرها على أنها في القبح والعار واحد
نبذك ذا حلو ، ووجهك حامض ، وماؤة ذا سخن ، وفعلك بارد

وله في أبي الطيب البهقي [من السريع] :

يبكي من الموت أبو طيب دمعٌ لعمرى غير مرحوم
ويشتكي ما يشتهي غيره شكاية الخير من الشوم
ساكتنا الشيخ أبو طيب والصمت أحياناً من اللوم

وله فيه [من المتقارب] :

فسا الشيخ سهواً وفي كفه شرابٌ فلمناه لوماً قبيحاً
فقال [لي] الدخل والخرج لي فأدخلت راحاً وأخرجت ريحاً

وله في نديم حمامي [من مجزوء الرمل] :

قل لمن ينكح بالعيون جواري الأصدقاء
والذي يعتقد الملك له قبل الشراء
أنت والله نشيط الير كسلان الوفاء
ليت قلبي قد من أيرك في باب الذكاء
أمهل الساقى ولا تخجله بين الندماء
أنا بالساقى كليلٌ لك من بعد العشاء
فاذا ما انصرف النا س فجد لي بالأداء
لك أيرٌ جاهليٌ من أيور السفهاء

يا كثير الماء أقرضنا ولو حمة ماء^(١)
أنت من أيرك هذا في عناء وبلاء
أعظم الله لك الأجر على هذا العناء

وله في طاهر السجزي [من الوافر]:

ألا يا سائلي بأبي حسين وفي التجريب علمٌ مستفادٌ
هو ابن سميه والطاء عينٌ وشبه كنيه والسين صاد^(٢)

وله من قصيدة [من الوافر]:

فإن أسكن ببلدة ابن شهرٍ فإن البدر ينزل في الظلام
أصغرّها وإن عظمت ولكن لها أهلون ليسوا بالعظام
وفرسانٌ ولكن في الحشايا وأجواد ولكن بالكلام
صغارٌ بالمطالب والسجايا وإن كانوا كباراً بالعظام^(٣)

وله أيضاً [من الوافر]:

أبو زيد فتى حرٌّ، ولكن لنا في أمر ذاك الحرّ ظنة
أراه يشتري الغلمان سوداً عفاريتاً فيوهمني بأنه

وله في فائق وقد قصد الأمير أبا علي لمحاربته [من الرجز]:

قد خطب الصفع قفا الخصي فمرحباً بالخاطب الكفي
ورحل الباز إلى الكركي فأبشروا بلحمه الطري

(١) الحمة : عين الماء الحارة التي تنبع من الأرض ويستشفى بها .

(٢) والطاء عين : أراد هو ابن عامر، والسين صاد : أراد أبو حصين ، وهو كنية الثعلب وهو مضرب المثل في المكر .

(٣) صغارٌ بالمطالب والسجايا : أي أن همهم صغيره ترضى بالدون من الأشياء .

وله في أبي سعيد رجاء وأبي القاسم العباس ابني الوليد [من الوافر] :

ولما [أن] رأيت ابني وليد وبينهما اختلاف في الفعال
وهبتُ قبيح ذا الجميل هذا وأسلفتُ العواقب والليالي
إذا اليد أحسنتُ منها يمينٌ فسوَّغنا لها ذنب الشمال

وله في رجل جليت ابنته على الختن وهي منه حبلى لأشهر [من المنسرَح] :

يا جالي البنت بعد ما ثقت تبزر القدر بعد ما قلبت
هذا كما قد يقال في مثلٍ جصصت الدار بعد ما خربت

وهذه فقر وظرف له في فنون مختلفة

قال من قصيدة [من مجزوء الكامل] :

لا يصغر الرجل الكبير بعشرة الرجل الصغير
بل يكبر الرجل الصغير بخدمة الرجل الكبير
ويركبُ التَّبرُّ النفيس على الدنيء من السيور^(١)
ماذا يضرُّ البدر قر ب النجم منه المستنير
بل ما يضرُّ السيل مجراه على الأرض الحدود
بل ما عسى صغر السفين يغضُّ من عظم البحور
قد زادني شرفاً ولم ينقصه من شرف حضوري
كالنار ليس بناقصٍ منها اقتباس المستعير
تلقي الفتى سهل الشريعة للجليس وللعشير

(١) السيور : جمع سير ، وهو قطعة من الجلد مستطيلة .

أو ما رأيتَ البحرَ يفرقُ منه بالخطبِ اليسيرِ
والناسُ مثلَ الجسمِ يعتمدُ القليلَ على الدبير^(١)
يتحاملُ العضوُ الخطيرُ بقوةَ العضوِ الحقيرِ
كتحاملِ الرمحِ الطويلِ بزجّه ذاكَ القصير^(٢)

ومن أخرى [من السريع] :

يا أيّها الخاطبُ مدحي وهل يورد من غيرِ رشاءٍ قلب^(٣)
شيئان لم يجتمعا لامرئٍ حبُّ الدنانيرِ وحبُّ الحبيبِ

ومن أخرى [من الوافر] :

ولي والله إخوانٌ كثيرٌ نصيبي من فعالهم سواء
ولكنني رأيتك من أناسٍ إذا لم يحسنوا فلقد أساءوا

ومن أخرى [من الكامل] :

ومتى شمت الدهر تشتم صابراً تبكي ويضحك ذلك المشتوم

لاومن صاحبية لما ورد حضرته مكتوب من جهة تاش [من الطويل] :

فإن ردّني دهري عليك طريدةً فلا غرو أن يسترجع القوسُ حاجبُ
هو الوكر طرنا والرّيش وافدٌ وعدنا إليه الآن والرّيش ذاهب

ومنها :

جزى الله عني أهل سامان ما أتوا وفي الله للثأر المضيع طالبُ
هم زوّجوني الهم بعد طلاقه وذلك عرسٌ للماتم جالب

(١) القليل والدبير : الامام والخلف أو الوجه والقفا .

(٢) الزجاج : حديدة في أسفل الرمح .

(٣) الرشاء : الحبل ، والقلب : البئر .

هُمُ اعطشوا زرعي فشِمتُ سحائباً غرائب لما أخلفتني القرائب^(١)
فأنحوا لزرعي بالحصاد وأنضبوا مياهاً لها أيدي سواهم مذائبُ
أتحصد أيديكم ويزرعُ غيركمُ فأنتم جرادُ والملوك سحائبُ
أخذه من قول ابن عيينة [من الطويل] :

أبوك لنا غيثُ نعيشُ بظلهُ وأنت جرادُ لستَ تبقي ولا تذرُ
رجع :

إذا طمع السلطان فيما كسبه بشعري فالسلطان بالشعر كاسبُ
فأنتمُ مدحتم آل بوية لا أنا وأمدح من لفظ اللسان حقائبُ
ومن أخرى [من مجزوء الكامل] :

لاحت لوجهي أنجمُ للشيب عُدُنَ به طوالعُ
أودعتُ منهنَّ الصبا من لا يرى ردَّ الودائع
فقصصهنَّ وإنما دهري بمقراضٍ أخادع^(٢)
وإذا عدوكُ كان بعضك في الخطوب فمن تقارع

ومن أخرى [من الخفيف] :

خضبتني الأيام لونَ بياضٍ وخضابَ الأيام ليس بناضي^(٣)
وتخطتني المنون إلى شعري فأضحى مكفناً بيباض
[ولعمري إنِّي لغير لبيبٍ في قتال الأيام بالمقراض]
ومن أخرى [من الكامل] :

(١) شمت : نظرت وتطلعت .

(٢) المقراض : المَقْصَصُ ، وأخادع : من الخداع .

(٣) الخضاب : الصباغ ، وناضي : مفارق .

وأراك تشكو الشيب تظلمه
كالخمر يجلبها الخمار وقد
وله في تلميذ عاق [من الكامل] :

هذا أبو بكر صقلت حسامه
أمسى يجهلني بما علمته
يا منبضاً قوساً بكفي أحكمت
أرقت بي في سلم حتى إذا
وله يهجو [من الوافر] :

أبا نصر رويدك من حجاب
ولا تبخل بهذا الوجه عنا
وللأشعار قوم لست منهم
فلمست بذلك الرجل الجليل
فليس بذلك الوجه الجميل
ولكنني هجوتك في السبيل
ومن قصيدة في الشكوى [من الكامل] :

ولقد بلوت الأصدقاء فلم
وكذاك لم أر في العدا أحداً
ذهب الغنى وورثت عاداته
وتجمعت في اثنان ولم
لا يبرح المقصوص موضعه
أر فيهم أوفى من الوفر
أنكى لمن عادى من الفقر
فأنا الغني وغيري المثري
يتجمعاً في سالف الدهر
ولقد قصصت فطرت عن وكري
ومن أخرى في نكبة المزني [من الكامل] :

ولقد بكيت عليك حتى قد بدا
دمعي يحاكي لفظك المنظوما

(١) ويريش : من أريش السهم : أي ألصق عليه الريش ، ويريد هنا أن يقول إنه يرميه بسهام من صنعه .

ولقد حزنت عليك حتى قد حكى قلبي فؤاد حسودك المحموما
ومن أخرى فيه [من الكامل] :

قتل المواجر والعجائب جمّة شيخ المشايخ بل فتى الفتيان
لا تعجبوا من صيد صعوٍ بازياً إن الأسود تصاد بالخرفان^(١)
قد غرقت أملاك حمير فارةً وبعوضةً قتلت بني كنعان
ومن أخرى في أبي القاسم المزني لما قبض عليه [من الكامل] :

وثب الصغير على الكبير وقد يُطفى الترابُ حرارةَ الجمر
لا تعجبين فربّ ساقيةٍ قد كدرت طرفاً من البحر
هذا الحسام يفلّه حجرٌ وبه قوام النهي والأمر
غصبت جذيمة نفسه امرأةً فاصطيد ذاك الحرّ بالحرّ
هيهات هذا الدهر الأم من أن لا يسر العبد بالحرّ
وله ، وقد طلبت جارية له بعشرة آلاف درهم [من السريع] :

يا طالباً روعي لبيتاعها أنت رسول الغمّ والحسره
غدوت بالبدره فارجع بها لست أبيع البدر بالبدره
وله من أخرى [من الهزج] :

أيا من قربه خبره	ويا من بعده عبره
ويا من وصله يومٌ	ويا من هجره فتره
ويا من وصله أعلى	من الشمال بالبصره
ويا من نظره منه	تساوي مائتي بدره

(١) الصّعو : عصفور صغير .

(٢) بالحرّ : حرّ المرأة : فرجها .

ويا من قد حكى خدا ه قلبي فيهما جمرة
ويا من طرف من أبصر بداراً بعده يكره
ويا من عينه جيشٌ كثيفٌ لأبي مرة^(١)
ويا من نخر الشيطا ن في مولده نخره
وقال اليوم ألقيت بني آدم في الحفرة
ويا من أنذرت عينا ه عيني مائتي مرة
أيا عين ارجعي ما كلُّ وقتٍ تسلم الجرة
ويا أحسن من يسر يلقي صاحب العسره
وما أعذب في الأنفس من صفحٍ على قدره
ويا من لست أرضي قط بالبحر له قطره
ولا أرضى له البدر على إشراقه غره
ولا أرضى له الأرض على فسحتها حجره
ولا أرضى له بلقيس بجلوها على العذره
ولا أرضى برزق الانس والجن له سفره
ولا أرضى من القلب له عشقٌ بني عذره
ولا أرضى له السعد غلاماً والمني سخره
ولا أرضى له الرمل نضاراً والحصى نقره^(٢)
ولا أرضى له إلا بنفسي أمةً حره
قد استخرجت من عيني عيناً في الهوى ثره
فلو فجرتها فجرٌ ت منها آثنتي عشره
وقد أضجعتني فوق فراش الهم والحسره
وقد علّمتني كيف يموت المرء من نظره

(١) أبو مرة : من كنى إبليس .

(٢) النضار : الذهب الخالص . والنقرة : القطعة المذابة من الذهب والفضة .

وله في وصف الخمر من قصيدة [من الطويل] :

وصفراء كالدينار نبت ثلاثة	شمالٍ وأنهارٍ ودهرٍ محرمٍ
مسرةً محزونٍ وعذرٍ معربٍ	وكبرٍ مجوسيٍ وفتنةٍ مسلمٍ
مماتٌ لأحياءٍ حياةٌ لميتٍ	وعُدمٌ لمن أثرى ثراءً لمعدمٍ
يدور بها ظبيٌ تدور عيوننا	على عينه من شرط يحيى بن أكثمٍ
ينزّهنّا من ثغره ومدامه	وخديّه في شمسٍ وبدرٍ وأنجمٍ
نهضن إليها والظلام كأنّه	معاشٍ فقيرٍ أو فؤادٌ معلّمٌ ^(١)

وله ، وقد دخل إلى صديق له فبخره وسقاه [من الكامل] :

بخّرتُ ثم سقيتُ في دار امرئٍ	تضحى القلوب طوالباً لوفاقه
فكأنّما سُقيتُ من ألفاظه	وكأنّما بخّرتُ من أخلاقه

وله [من البسيط] :

يا من يحاول صرف الراح يشربها	فلا يلفُ لما يهواه قرطاسا
الكأس والكيس لم يقض امتلاؤهما	ففرغ الكيس حتى تملأ الكاسا

وله [من الخفيف] :

عزل الورد عن أنوف الندامي	وأتنّا ولاية الرياح
فاقضى حق الرياح بالراح فالريحان	والراح في الورى أخوان
وأنذب الورد وابكه بدموعٍ	من دموع الأقداح لا الأجفان

وله [من الطويل] :

رأيتك آن الشرب خيّم عندنا مقيماً وإن أعسرت زرت لماماً^(٢)

(١) فؤاد معلّم : أي به علامة .

(٢) خيّم : سجت نفسك ، وأن الشرب : أوانه ، لماماً : أحياناً أي الفترة بعد الفترة .

فما أنت إلا البدر إن قلَّ ضوؤه أغبَّ وإن زاد الضياء أقاما
وله [من مجزوء الرجز] :

سقاني الوجه الحسن كأساً فخلّيت الرسنُ
وصار عندي حسناً قتل الحسين والحسن
وله في الند [من الوافر] :

وطيب لا يخلُّ بكلَّ طيب يحيينا بأنفاس الحبيب
يظل الذيل يستره ولكن تنمُّ عليه أضرار الجيوب
متى يشمُّه أنفٌ حنَّ قلبُ كأنَّ الأنفَ جاسوس القلوب
وله من قصيدة [من الطويل] :

عذيري من عين الزمان فإنَّها إذا استحسنت مستحسناً قلَّ طائله
وما أنت إلا البيت غنمُ دخوله كثيرُ عواديه بعيدُ مراحلهِ
وله في باقة ريحان [من الرجز] :

وضغث ريحان إذا ما وصفه واصفه قيل له زد في الصَّفه^(١)
دقَّقه صانعه ولطفه كأثمه وشمُّ يدٍ مطرَّفه^(٢)
أو حظُّ وراقٍ أدقَّ أحرفه أو زغبات طائر مصفَّفه

* أو حلَّة بخضرة مفوَّهه *^(٣)

(١) ضغث : قبضة من عشب مختلط، رطب ويابس .

(٢) الوشم : السِّمة والعلامة على الجلد مطرَّفة : مزينة ومعلمة .

(٣) التفويف : التزيين ، ثوب مفوف : أي مزين بالألوان .

ومن أرجوزه :

لا تشكر الدهر لخير سببه فاتّه لم يعتمد بالهبه
وإنّما أخطأ فيك مذهبه كالسيل إذ يسقي مكاناً خربه
والسمّ يستشفي به من شربه ما أثقل الدهر على من ركه
حدّثني عنه لسان تجربه ما أهون الشوكة قبل الرّطبه

* وأسهل الكدّ على من أكسبه *

وله [من المجث (١)] :

لا تيأسنّ من حبيب إذا توعر خلقه
فكلّما صلب الخبز كان سهلاً مدقّه

وله [من الكامل] :

لا تصحب الكسلان في حاجاته كم صالح بفساد آخر يفسد
عدوى البليد إلى الجليد سريعة والجمر يوضع في الرماد فيخمد

وله [من الطويل] :

عليك بإظهار التجلّد للعدى ولا تظهرنّ منك الذبول فتحقرا
ألسّت ترى الريحان يشتم ناضراً ويطرح في الميضا إذا ما تغيراً^(٢)

وله [من الطويل] :

تمنيتُ خلّاتٍ على الدهر أربعا ولم أر مسئولاً أشحّ من الدهر
جماعاً بلا ضعفٍ ، وشرباً بلا سكرٍ ، وعمراً بلا شيبٍ ، وبذلاً بلا فقر

(١) سقط هذان البيتان من « ب » .

(٢) الميضا : مكان الوضوء ، حيث يُغتسل ويُتنظّف بالماء للصلاة .

وله [من الطويل] :

وأني لأرجو الشيبَ ثم أخافه
هو الضيف إن يسبق فعيشٌ مكدرٌ
كما يرتجى شرب الدواء ويحذر
عليّ وإن يسبق فموتٌ مقدرٌ

وله [من الكامل] :

لا تفرطن في حدة أعملتها
أو ما ترى الصمصام والسكين إن
فيكلّ ذاك الحدّ منك وتفشلا^(١)
زادا على حدّ الصقال تفللاً^(٢)

وله [من الرجز] :

والعزل عندي فرقة الأحباب	الملك عندي متعة الشباب
والشيب عندي كذب الخضاب	والفقر عندي عدم الشراب
والعرس عندي ليلة الكتاب	والقبح عندي عدم الآداب
والبغض عندي كثرة الأعراب	والروض عندي ملّح الأعراب
والنجح عندي سرعة الإياب	والسيف عندي قلم الكتاب
والذلّ عندي وقفة الحجاب ^(٣)	والطرد عندي كلحة البواب
والشؤم عندي كثرة العتاب	والقحط عندي قلة الأصحاب
والعزّ عندي طاعة الصواب	والعيّ عندي هذر الخطاب
والغول عندي طلعة الكذاب ^(٤)	والإلّ عندي خلّة القحاب
واللوم عندي سفه الشراب	والصفح عندي أبلغ العقاب
والمال عندي أسرع الهرب	والأمس عندي أسرع الهرب
والفخر عندي أفخر الثياب	والغدّ عندي الحقّ للطلاب

(١) يكلّ : يضعف ويتعب .

(٢) تفللاً : أي تقطّعا .

(٣) الطرد : من طرد يطرد ، والكلحة : العبة .

(٤) الإلّ : الذمة أو العهد .

والسجن عندي منزل التراب والهول عندي موقف الحساب
وله من أخرى [من المنسرح] :

ولا تغترر بالحليم تغضبه - فربما أحرق الثرى البرد

٥٩ - أبو سعيد أحمد بن شبيب الشيبني

فرد خوارزم ومفخرتها ، وكان جامعاً بين أدب القلم والسيف . وفروسية
اللسان والسنان ، صاحب كتب وكتائب [وفصائل ومناقب] ولما اختص بالدولة
السامانية . والدولة البويهية ، سمي صاحب الجيشين ، وشيخ الدولتين ، وقال
[من الرمل] :

ربّ إنّ ابن شبيبٍ أحمداً صاحب الجيشين شيخ الدولتين
وائقٌ بالله يرجو المصطفى وأخاه المرتضى والحسين

وسمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : كان الشيبني في أيام شبابه بخوارزم
يقول شعراً غليظاً جاسياً كأشعار المؤدبين ، فلما عاشر الناس ولقي الأفاضل لطف
طبعه ، ورق شعره ، كقوله وكتب به إلى [من مجزوء الخفيف] :

للشيبني صنيعتك حشرات لفرقتك
واشتياقٌ إلى لقاء تباشير طلعتك
ربّ سهل لقاءه يا إلهي برحمتك

وأنشدني أبو عبد الله محمد بن حامد قال : أنشدني أبو سعيد صاحب
الجيشين لنفسه في أبي بكر الخوارزمي [من الوافر] :

أبو بكرٍ له أدبٌ وفضلٌ ولكن لا يدوم على الإخاء
مودته إذا دامت لخلٍّ فمن وقت الصباح إلى المساء

وأنشدني غيره له في الأمير أبي نصر الميكالي [من البسيط] :

يا آل ميكال أنتم غرّة العجم
لا تحسدوه فإنّ الله فضله
لا تحسدوا رجلاً ما إنّ له شبه
فمن يحاكيه في الأفضال والكرم
أم من يساجله في كلّ مكرمة
يا آل ميكال إنّي قد نصحتكم
فاستسلموا لقضاء الله واعترفوا
لكنّ أحمد فيكم درّة الكرم
منكم عليكم جميعاً ، بل على الأمم
فيمن يرى الله من عرّب ومن عجم
أم من يناوئه في الآداب والقلم
أم من يعادله في الجود والهمم
نصح امرئ في هواكم غير متهم
بفضل أحمد طوعاً أو على الرغم
وعندي له مقطوعات تصلح لهذا المكان ، ولكنها غائبة عني الآن .

٦٠ - أبو الحسن مأمون بن محمد بن مأمون

له من قصيدة في مدح الأمير أبي العباس مأمون بن محمد أولها [من
البيسط] :

أعاظني الدهر من إنصافه جنفاً هل كان غيري من الأيام منتصفاً^(١)
أشكو إلى غير مشكوٍ ليشكيني هل ينفع الدنف استشفأؤه الدنفاً^(٢)
ومن أخرى في الأمير أبي عبد الله محمد بن أحمد خوارزم شاه كان [من
الخفيف] :

كم له من يدٍ عليّ إذا ما عدّدت لم يكن لعدّتها كم
ما لجهلي قصور شكري فمن علوم الضرورات شكر من كان منعم^(٣)

(١) الجَنَف : الظلم والميل عن الحق .

(٢) الدنف : المريض .

(٣) لم يكن لعدّتها كم : أي لا يمكن عدّها وإحصاؤها .

لست والله ناسي البرّ ما انسا ب بطبع الحياة في جسدي الدّم
ومن أخرى [من المتقارب] :

لئن طال عهدي بوجه الأمير فقد طال عهدي بأن أسعدا
إذا شئت رؤية ما في الزمان فرز شخصه الفاضل الأوحدا
ترى الليث والغيث والنيريين والناس والبحر والمسندا
ومنها :

وبلّغهُ الله أقصى مناه وأسنى له مُلك ما مهّدا
ولا زال نيروزه عائداً بأفضل حالٍ كما عودا

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم التاجر الوزير كان بخوارزم

قال من قصيدة في أبي سعيد الشيبلي أولها [من الخفيف] :

حُكْمُ عَيْنِكَ نافذٌ فيّ ماضي كيفما شئت فاقض ما أنت قاضي
وكانَ الصّباحُ لمّا تجلّى لي سيفٌ له الشّيبليّ ناضي
الهزبر الذي له الدرع كالبلدة لليث والقنا كالغياض^(١)

ومنها في وصف القلم :

ناطقٌ ساكبٌ أصمٌ سميعٌ قلقٌ ساكنٌ وقوفٌ ماضي
ناحل الجسم نابّه الاسم منقّى الوسم في كلّ عانديّ ذاتي اعتراض
هاكها يا أبا سعيدٍ عروساً بكرٌ فِكْرٍ فكن لها ذا افتضاض
وابسط العذر في قصوري عن با بك في هذه الليالي المواضي

(١) الغياض : جمع غيضة : الموضع الكثير الشجر والماء .

لم يكن عاق عن لقائك مولا ي سوى فرط حشمة وانقباض
وله [من مخلع البسيط]:

في كل يوم لك ارتحالُ تُصلح للملك فيه حالُ
ما سرنا فيك من إيابٍ إلا وقد ساءنا انتقالُ
فلا نهيتك بانقلابٍ إلا وفي عقبه زيال^(١)
حتى كأننا نراك حلماً ومنك يعتادنا خيال
بذلت للملك نفس صونٍ ما اعتاقها الأين والكلال^(٢)
فقف قليلاً فقد تشكى إسارك الخيل والبغال
ودم لخوارزم شاه يمني يد لها غيرك الشمال

وقال فيه يستعطفه أيام محنته حين أساء رأيه فيه إذ كان أوحشه في أيام دولته
[من البسيط]:

يا من له في المعاني نية حسنه حتى جفا جفنه من حسنها وسنه
ومن حكى خطه زهر الربي حسداً وودّ سحبان من إعرابه لسنة
أحسنّت رأيك في إسحاق فانفجرت عنه الهموم وعادت حاله حسنه
كذاك فاحسبه فينا ننج من كربٍ يمرُّ فيها علينا اليوم ألف سنه
وأغض عمّا مضى فالمهترُ ممتنعٌ صعبٌ إلى أن يرى في رأسه رسنه
وأنت بدر دجى ، بل أنت شمس ضحى بل أنت بحر حجيّ ، بل أنت خصب سنه

وكتب إلى صديق له [من المجتث]:

وعدتني بالرجوع من قبل وقت الهجوع

(١) الزيال : مسيرٌ إلى مكان آخر ، وزيل الرجل : باعد ما بين فخذه وهذا دليل على المشي .

(٢) اعتاقها : منعها ، والأين : التعب .

وقد تغافلت حتّى أضرمتني بالجوع
فبالرجوع تفضّل أولاً فبالمرجوع

٦١ - أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الرقاشي

من أبناء الوزراء بمدينة خوارزم ، وكان ككشاجم كاتباً شاعراً منجماً ، فمن
غرره قوله من قصيدة في الشيبني [من الكامل] :

إنّ الهوى سببٌ لكلّ هوانٍ	وفراق من تهواه موتٌ ثاني
سقيّاً لدهرٍ كنت حلف أغاني	فيه وخذن الراح والريحان ^(١)
لم تبق لي هممي وحسن شمائي	منها سوى ذكرى على الأزمان
ولقد رضيت بأن أرى متفرداً	دون القرين مقارعاً أقراني
أرمي إذا حملوا وأظعن إن رموا	وأقدّ منهم من أراد طعاني ^(٢)
تنفي الخناجر في الحناجر غصّتي	والبيض في بيض العدا أحزاني
وأعدّ عند مواردٍ ومصادري	حكم الكهول وصوله الشبان ^(٣)
مستبدلاً ضرب الطلا بمصارع	الشكوى وضرب الدفّ والعيان
مستغنياً بالرمح أخضب صدره	عن كلّ مخضوب البنان حصان ^(٤)
متسربلاً زرد الدموع كأنّها	شعرٌ تفلّفل في الحي الحبشان
مستشعراً باسم الشيبنيّ الذي	عمّ الورى بالبرّ والإحسان
يفدي الكماة أبا سعيدٍ إنّه	حامي الحماية وفارس الفرسان
يا أحمد بن شبيب المفدى على	جور الزمان وسطوة الحدّثان

(١) سقيّاً : دعاء بالخير لذلك الدهر ، والخذن : الصاحب ، والراح : الخمر .

(٢) أرمي : أضع أحمالي ، وأظعن : أرحل .

(٣) الموارد والمصادر : الشرب من الماء ، والعودة عنه بعد الارتواء . والصولة : الوثبة .

(٤) أخضب صدره : أي أصبغه بالدم الأحمر ، والحصان من النساء : العفيفة .

أنت القرين لكلِّ جدٍ مقبلٍ
 لك عزمةٌ بهرامٌ من أتباعها
 فإذا ركبت ضمنت كلَّ أمانٍ
 وإذا أقمت فإنَّ ذكرك ظاعنٌ
 فقت الأنام حجيٌّ وفقت شجاعةٌ
 إن الفتوح على يديك تتابعُ
 حفروا الخنادق حولهم فكأنما
 وتعزَّزوا بالماء ثم سقوا به
 غدروا فغودر منهم أرواحهم
 خفقت بنودك حولهم فكأنما
 وسرت طوارق لطف كيدك فيهم
 ولئن حسدت فلست أوَّل سابقٍ
 إنَّ الكريم محسَّدٌ في قومه

أنت الشير بكل فتح داني^(١)
 لك همَّةٌ تسمو إلى كيوان
 للخائفين ونيل كلِّ أمني
 تسري به الركبان في البلدان
 ورجحت عند الجود في الميزان
 ككتابع الأنواء في نيسان^(٢)
 حفروا مقابرهم لدى الخذلان
 كسقاوة الممطور بالطوفان
 في النار والأشباح في الغدران
 طارت قلوبهم من الخفقان
 كلطافة الأرواح في الأبدان
 يرميه بالبغضاء الأم واني^(٣)
 وترى الحسود مطيَّةً الأشجان

وله فيه من أخرى [من مجزوء الكامل] :

أمن الملال أم الخفر
 أم غرَّك الصبح الذي
 أم عرَّضت أيدي الخطو
 وأرى المقام ببلدة
 وأعد نفسي في الحضر
 هذا التشاجي والضرر؟
 أطلعت من ليل الشعر
 ب صفاء ودك للكدر
 لا تشتهي إحدى الكبير^(٤)
 لكن همِّي في السفر

(١) القرين : الصاحب ، والجد : الخطو والفتح الداني : القريب .

(٢) الأنواء : الأمطار .

(٣) الواني : الضعيف المتكاسل المنهزم .

(٤) الكبير : الإثم الذي هو من الكبائر كالشرك بالله مثلاً .

ومن أخرى [من الطويل] :

كفى بنحولي عن هواي مترجماً
تألمت من ثقل الهوى متشبهاً
ووكّل طرفي بالنجوم كأنتي
وبالدمع نماً عليّ إذا همي^(١)
بخصريه من أردافه إذ تألّما
لرعي نجوم الليل صرت منجماً

ومنها في مدح الشبيبي [من الطويل] :

خرجنا نهاراً خلفه نطلب العدا
أثرنا سحاب النقع لما تجاوزتْ
فكم من جوادٍ قد حبسناه بعدما
وأشهب قد خضنا به الحرب فاكتمى
فألبسنا ليلاً من النقع مظلماً^(٢)
رغود صهيل الخيل تستمطر الدماً
أثرناهم من كثرة النبل شيهما^(٣)
دماً وقتماً عاد أشقر أدهما^(٤)

ومن أخرى [من السريع] :

وقينة تنطق يمنها
إذا سرّتْ نمّ عليها الحلي
لو أن إبليس رأى وجهها
تظلمني في هجرها مثلما
وتلقط العنّاب يسراها
وضوء خديها وريّاها
صلى لها طوعاً وماناها^(٥)
أسفلها يظلم أعلاها
ما فعلته فيّ عيناها

ومن أخرى [من البسيط] :

لا الراح راحي ولا الريحان ريحاني
ما لم تزرني . ولا الندمان ندماني

(١) نماً : واشياً وفاضحاً ، همي : من همى يهمي ، الدمع : أي يذرف .

(٢) النقع : الغبار .

(٣) الشيهم : القنفذ الكثير الشوك .

(٤) الأشهب : الأبيض الذي يخالطه السواد ، والأدهم : الأسود .

(٥) ماناها : داراها .

وما التعلُّل - والأيام حائلةٌ
وما جزعتُ على شيءٍ سوى جزعي
وقد ذكرتُك والأبطال عابسةٌ
والنبل كالشهب في ليل العجاج وبا
والسمر تبكي دماً والبيض ضاحكةٌ
والجوُّ داجٍ ولون الملتقى قاني^(١)
بينى وبينك - بالآمال من شاني
إن لم أمتُ كمداً من فقد خلاني
والموت ييسم عن أنياب شيطان
ب الأمن ناءٍ كصبري والردى داني

* * *

٦٢ - أبو عبد الله محمد بن حامد

حسنة من حسنات خوارزم ، وغرة شادخة في جبينها ، يرجع إلى كل فضل ، ويجمع بين قول فصل وأدب جزل ، ويؤلف بين أشتات المناقب ، وينظم عقود المحامد ، وله خط يستوفي أقسام الحسن ، ونثر كثر الورد ، ونظم كنظم الدر .

وكان في عنوان شبابه يكتب لأبي سعيد الشيباني ، وهو منه بمنزلة الولد ، والعضو من الجسد ، فلما انقضت أيامه واختص بالصاحب أبي القاسم وغلب عليه ببراغته ، وحذقه في صناعته ، وتقلد بريد قم من يده وبقي بها مدة بين حسن حال وتظاهر جمال ، وحين حن إلى وطنه وآثر الرجوع إلى بلده قدم من سلطان خوارزم شاه على ملك مكرم لمورده ، عارف بفضله ، موجب لحقه ، ولم يزل ومن قام مقامه من أبنائه رحم الله السلف وأبقى عز الخلف يعدوله [وإلى الآن] من أركان دولتهم ، وأعيان حضرتهم ، ويعتمدونه للمهمات السلطانية والسفارات الكبيرة ، وكان أنفذ مرة رسولاً إلى حضرة السلطان المعظم يمين الدولة أطل الله بقاءه بيلخ فاستولى على الأمد في القيام بشروط السفارة ، وملك القلوب ، وسحر العقول بحسن العبارة ، وجمعته وأبا الفتح علي بن محمد البستي الكاتب مناسبة

(١) داج : مظلم ، القاني : الأحمر .

الأدب ، ومشاكلة الفضل ، فتجاوزا وتزاورا وتصادقا وتعاشرا ، وتجاريا في حلبة المذاكرة ، وتجاوزا أهداب المحاضرة ، وجعل أبو عبد الله يرسل لسانه في ميدانه ، ويرخي من عنانه ، فيرمي هدف الإحسان ، ويصيب شاكلة الصواب ، فقال فيه أبو الفتح [من الرجز] :

محمّد بنُ حامدٍ إذا ارتجلُ
نقّب خدّاً كلّ ندبٍ سابقٍ
أقلامه يسقين كلّ ناصحٍ
فناصحوه مشرقون بالأمل
أبقاه للدين والدنيا معاً
وللمعالي ربّنا عزّ وجل

وقال فيه أيضاً [من المتقارب] :

بنفسي أخُ نفسه أمّةُ
أخُ باب إحسانه مطلقُ
كريم السجايا فلا رأيه
محمّد أنت قرى ناظري
رهنتك قلبي وحكم القلوب
وتدبيره في الورى فيلقُ
وباب إساءته مغلقُ
بهيمٌ ولا خلقه أبلقُ
فكيف إذا غبت لا أفلقُ^(١)
إذا رهنّت أنّها تغلقُ

وقال فيه أيضاً [من الرجز] :

يا من أراه للزمان حسنةُ
إن غبت عني سينةٌ فهي سنه
ومن حوى من كلّ شيء أحسنه
وسنةٌ تحضر فيها وسنه^(٢)

(١) التّذب : أثر الجرح ، والتذب : السريع إلى الفضائل .

(٢) الكاشح : المبغض ، والوجل : الخوف .

(٣) الأبلق : ما كان في لونه سواد وبياض يقصد أن أخلاقه مستقيمة لا تتغيّر في حالتي الرضى والغضب .

(٤) أفلق : أتشقق من الغيظ .

(٥) السّنة : النعاس الذي يتقدّم النوم ، والوسن : غفلة قصيرة .

وعلى ذكر أبي الفتح فلبعض العصريين من أهل نيسابور فيه [من الطويل] :

إذا قيل من فردُ العلى والمحامدِ أجاب لسان الدهر ذاك ابن حامد
همامٌ له في مرتقى المجد مصعدٌ يلوح له العيوق في ثوب حاسد^(١)
كريمٌ حباه المشتري بسعوده وأصبح في الآداب بكر عطار
به سحبت خوارزم ذيل مفاخرٍ على خطّة الشعرى وربّع الفراقد
فلا زال في ظلّ السعادة ناعماً يحوز جميع الفضل في شخص واحد

وحدثني أبو سعيد محمد بن منصور قال : لما ورد أبو عبد الله رسولا على شمس المعالي ووصل إلى مجلسه فأبلغ الرسالة وأدى الألفاظ واستغرق الأغراض أعجب به شمس المعالي إعجاباً شديداً . وأفضل عليه إفضالاً كثيراً ، ورغب في جذبته إلى حضرته واستخلاصه لنفسه ، فأمرني بمجاراته في ذلك ، ورسم لي أن أبلغ كل مبلغ في حسن الضمان له ، وأركب الصعب والذلول في تحريضه وتحريضه على الانتقال إلى جنبته ، فامتثلت الأمر ، وجهدت جهدي ، وأظهرت جدي في إرادته عليه ، وإدارته بكل حيلة ، وتمنية جميلة ، فلم يجب ولم يوجب ، وقال : معاذ الله من لبس ثوب الغدر والانحراف عن طريق حسن العهد ، وانصرف راشداً إلى أوطانه وحضرة سلطانه .

وقد كتبت لمعاً من شعره وليس يحضرني الآن سواها لغيتي عن منزلي فتأخر كثير مما أحتاج إليه عني ، قال من قصيدة في الصباح [من الطويل] :

غدا دفترى أنساً وخطّي روضةً وجبري مداماً وارتجالي ساقيا
ولا شدو لي إلا التحفّظ قارئاً ولا سكر إلا حين أنشد واعيا
تجشّم أوصافاً حسناً لعبده فطوّقه عقداً من العزّ حاليا
فلولا امثال الأمر لا زال عاليا لطار مكان النظم رجلان حافيا

(١) العيوق : نجم في السماء أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا ولا يتقدمها .

فغاية جهدي أن أطول داعيا
كماء زلال حين أصبح صاديا^(١)
فإن لسان المال قد ظل شاكيا
أفض كل ما تحويه وارزق عباديا

ومن أخرى [من البسيط] :

وهذبتي بتطوافي وتردادي
والطرس والنقس والأقلام أذوادي^(٢)
نجل الأمين الكريم الشيخ عباد
سهل الحجاب لزوار ووفاد
ما قالت العرب حيوا الحي بالوادي

ومن أخرى [من البسيط] :

ما ساير الأسيران الشعر والسمر
ما عمّر الأبقيان الكتب والسير
صفنا به الأفضلان العدل والنظر
أو يحسب الأكثران الرمل والشجر
تمرّد الأشجعان الترك والخزر
في ظلّ الأسنيان الفتح والظفر
أغضى له الأبهجان الوشي والزهر
يقبل الأكرمان الركن والحجر

على أنني إن سرت أو كنت قاطناً
رسائله لي كالطعام وشعره
فإن ظلت الآمال تشكر ظلّه
كانّ إله الخلق قال لجوده

ما أنس لا أنس أياماً نعمت بها
أيام أركب متن الريح تحملني
كافي الكفاة أدام الله نصرته
غمّر الرداء لرواد ووراد
لا زالت الدولة العليا تلزمه

ليهنك الأهنيان الملك والعمر
وطال عمر سناك المستضاء به
يفدي الوري كلّهم كافي الكفاة فقد
له مكارم لا تحصى محاسنها
لكيده النصر من دون الحسام وإن
ما سار موكبه إلا ويخدمه
وإن أمر على طرس أنامله
دامت تقبلها صيد الملوك كما

وهي تربي على ثلاثين بيتاً

(١) الصادي : الضامي .

(٢) الطرس : الكتاب ، والنقس : الحبر ، وأذوادي : أعواني .

ومن أخرى كتب بها من الري إلى الأهواز يهنئه بدخولها [من الوافر] :

بريق الرأي يعبده الحسامُ	وبرق السَّعد يخدمه الأنامُ
وما اتَّفقا كما اتَّفقا لقومٍ	هو الصمصامُ والملك الهمامُ
همامٌ لا يؤمُّ الخطب إلاّ	[ونصر الله عزَّ له إمام]
[وما من بلدة في الأرض إلاّ]	إليه بها نزاعٌ أو هيام
فلو أنّ البلاد أطقن سعيّاً	لسارع نحوه البلد الحرام
أدام الله أيام المعالي	وذلك أن يدوم له الدوام
وما لي غير ما هو جهد مثلي	دعاءً أو ثناءً لا يرام

وله من أخرى كتب بها إليه [من الطويل] :

سلام على نفسٍ هي الأُمَّة الكبرى	وشخصٍ هو المجد المنيف على الشعري ^(١)
هو الدينُ والدنيا فزره ترّ المنى	وتحصل لك الأولى وتحصل لك الأخرى

ومن أخرى [من الوافر] :

رأيتك مرّةً فسعدت حتى	رأيت سعود عيشي طالعاتُ
فلو أنّي نظرت إليك أخرى	لأضحت لي الليالي خادما ^(٢)

وله من قصيدة في أبي سعيد الشيباني يوم برز من جرجان بالمضارب ليعسكر بظاهرها متوجهاً إلى الأمير أبي علي وفائق ، فاتفق تعرض أرضين في تلك الصحراء ، فتبادر الغلمان إليهما فصادوهما فتفاهل أنه يغلب العدوين . كما اصطاد الغلمان الأرنيين ، فقال [من الطويل] :

أتاك بما تهوى وترضى المحرمَ وجاءك بالنصر العزيز يترجم

(١) المنيف : المرتفع والمشرف ، والشعري : نجم في السماء منير يظهر في شدة الحر .

(٢) في ... « لأضحت لي الليالي خاضعات » .

ولا غرو أن تلقى الذي تبتغي وما
وبختك مرفوعٌ وجدك مقبلٌ
ورأيك في قمع المناوين رايةً
وحسبك صيد الأرنيين مبشراً
تحاول والأفلاك بالسعد تخدم
وأمرك متبوعٌ وقدرك معظم
وهيئتك السماء جيشٌ عرمرم^(١)
بصيدك أعداء على الغدر أقدموا

وله فيه من مهرجانية على وزن المصراع الذي أنشده في المنام ، وذلك أنه
رأى شخصاً مثل بين يديه وقال له [من البسيط] :

* قد نلت ما لم تنله قبلك الأمم *

فقال [من البسيط] :

البين خمرٌ ولكن سكرها سقمٌ
إن المحبين أحرارٌ وأنفسهم
يا أيها الظاعنون ، القلب عندكم
لي بينكم قمرٌ في ثغره بردٌ
كأنما ابن شبيب سلٌ في يده
القائل القول لم تنطق به عربٌ
على الكنوز أمينٌ غير متهمٍ
وقد غدا وهو شيخ الدولتين كما
لذاك في النوم شخص الصدق قال له
والحب ناعمى ولكن في غدٍ نقمٌ
لمن يحبون في حكم الهوى خدمٌ
إن لم يكن عندكم فالقلب عبدكم
في قدّه غصنٌ في وجهه صنم
من مقلتيه حساماً حده خدم^(٢)
والفاعل الفعل لم تفتن به العجم
وسيفه في رقاب الناس متهمٌ
للحضرتين به عزٌ ومنتظم
قد نلت ما لم تنله قبلك الأمم

ومن أخرى في أبي العباس الضبي [من المتقارب] :

زمانٌ جديدٌ وعيدٌ سعيدٌ
وأحسن من ذاك وجه الرئيس
ووقتٌ حميدٌ فماذا تريدُ
وقد طلعت من سناه السعودُ

(١) المناوين : من ناوأ ، أي الأعداء ، وعرمرم : ضخم .

(٢) سلٌ : شهر ، الخدم : القاطع .

وكم حلّة خطّها قد غدّت على بُرد آل يزيد^(١) يزيد^(٢)

وكتب إليه الشيخ أبو سعد الإسماعيلي قصيدة منها [من الطويل] :

سلامٌ على شيخ المحامد والذي له الذروة العلياء والشرف العد^(٣)
ومن صحّ منه ودّه ووفّاه على حين لم يحمد لذي حلّة عهد
فأجابه بقصيدة منها [من الطويل] :

أفخرٌ وذخرٌ أم خطابٌ له مجدٌ أسحرُ أتى أم نظم من لا له ند^(٤)
شممت من العنوان عند طلوعه روائح فضلٍ دونها المسك والند^(٥)
وساعة فكّي الختم أبصرت جنّة سقتها غواصي الفكر فهي لها خلد
فأشجارها علمٌ وأغصانها تقى وأثمارها فهمٌ وغدرانها رشد
تجسّمها الشيخ الإمام الذي به ومن بحلى أخلاقه تشرفُ العلى
ومنها :

وكيف يؤدي حقّ شعريّ شعاره العلاء وراويه ومنشده المجد
وبي حرفة مذغت عن حرّ وجهه حرارة نار العشق في جنبها برد
وله إلى أبي العلاء السري بن الشيخ أبي سعد الإسماعيلي من قصيدة [من
الوافر] :

قرأت لمن له يصفو ودادي نظيماً كالشّباب المستعاد

(١) الحلّة : الثوب ، والبرد : جمع بردة وهي العباءة .

(٢) الشرف العدّ : أي الشرف الكثير .

(٣) النّدّ : المثلل والقرين .

(٤) المسك والنّدّ : من الطيب .

سرياً كاسم صاحبه ولكنْ به عاد الحنين إلى ازدياد^(١)
فكان اللفظ في معنىً بديعٍ ألدُّ لديٍّ من نيل المراد

وكتب إلى الشيخ الوزير أبي الحسين أحمد بن محمد السهيلي لما رزق أبو
عبد الله ابناً في المحرم سنة اثنتين وأربعمائة [من الطويل] :

عوائدُ صنع الله تكفني تترى فتورثني ذكراً وتلزمني شكراً^(٢)
فمنها نجيبٌ جاء كالبدْر طالعاً سوياً سنياً شدَّ لي نوره أزرا
وما هو إلا خادمٌ وابنُ خادمٍ لسيدنا مدَّ الإله له العمرا
فما رأيه في الاسم لا زال مسمىً مواليه كي يقتنوا الفخر والذخرا
فأجابه بهذه الأبيات [من الطويل] :

سكنت إلى ما قتلته أولاً نثرا نعم وإلى ما صنعتَه آخراً شعرا
فهناك الله التَّجيبُ فإنَّه من الله فضلٌ يوجب الحمد والشكرا
وما جاء إلا أن يكون لصنوه ظهيراً فقوى الآن بينهما ظهرا^(٣)
وأوثر أن يكنى بكنية جدِّه أبي أحمدٍ والاسم اختاره نصرا
ليحمد منه الله تقواه والهدى وينصره في علمه والنَّهْيُ نصرا

* * *

٦٣ - أبو القاسم أحمد بن أبي ضرغام

أحد شعراء خوارزم المفلقين المذكورين ، وكان يهاجي أبا بكر الخوارزمي
ويسابه^(٤) في عنفوان شبابه ، فمن محاسنه قوله من قصيدة في الشبيبي [من مخلص

(١) السري : السيد الشريف صاحب السخاء والكرم والمروءة .

(٢) تكفني : تحيطني ، تترى : متابعة .

(٣) الصنو : الشبيه .

(٤) في ب « وبياريه » .

البسيط] :

ابن شبيب أبو حروب أخو ندى للحفاظ خيل
ليث قتال وأي ليث بالسيف والرمح يستقل

ومنها :

خذها عروساً أتك بكرة
خذها وسق مهرها إليها
لغيرك الدهر لا تحل
إن لم يكن وابل فطل^(١)

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

يا ملكاً أثر الصوابا فباكر اللهو والشرابا
لا يشرب الراح غير حرّ يرفع عن ماله الحسابا
طابت لك الراح فاشربنها صرفاً فصرف الزمان طابا
ستبصر الأرض عن قريب تلبس من وشيها ثيابا
ما شئت من طائر تراه مغرداً ما خلا الغرابا
ولست ليلاً ترى بعوضاً ولا نهاراً ترى ذبابا

ومن أخرى أولها [من الطويل] :

ديارك بيض من نثار الدراهم وبيضك حمراً من نثار الجماجم^(٢)

(١) الوابل : المطر، والطل : الندى .

(٢) نثار الدراهم : ما يثر في العرس على الحاضرين ، ونثار الجماجم : تساقطها .

الباب الخامس

٦٤ - في ذكر أبي الفضل الهمداني

وحاله ، ووصفه ، ومحاسن نثره ونظمه

هو أحمد بن الحسين بديع الزمان ، ومعجزة همدان ، ونادرة الفلك ، وبكر عطار ، وفرد الدهر ، وغرة العصر ، ومن لم يلق نظيره في ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس ، ومن لم يدرك قرينه في ظرف النثر وملحه وغرر النظم ونكتته ، ولم ير ولم يرو أن أحداً بلغ مبلغه من لب الأدب وسره ، وجاء بمثل إعجازه وسحره ، فإنه كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب ، فمنها أنه كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قط وهي أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها ، لا يخرم حرفاً^(١) ولا يخل بمعنى ، وينظر في الأربعة والخمسة أوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهدها^(٢) عن ظهر قلبه هذا ويسردها سرداً . وهذه حاله في الكتب الواردة عليه وغيرها .

وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة في معنى بديع وباب غريب ، فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عنها فيها .

(١) لا يخرم حرفاً : أي لا يخطئ في حرف منها أو يغيّره .

(٢) يهدها : هذا الحديث : أي سرده .

وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدىء بآخر سطر منه ثم هلم جرا إلى الأول ويخرجه كأحسن شيء وأملحه ، ويوشح القصيدة الفريدة من قوله بالرسالة الشريفة من إنشائه ، فيقرأ من النظم والنثر ، ويروي من النثر والنظم . ويعطي القوافي الكثيرة فيصل بها الأبيات الرشيقة ، ويقترح عليه كل عويص وعسير من النظم والنثر فيرتجله في أسرع من الطرف ، على ريق لا يبلعه ونفس لا يقطعه .

وكلامه كله عفو الساعة ، وفيض البديهة ، ومسارقة القلم ، ومسابقة اليد ، وجمرات الحدة ، وثمرات المدة ، ومجاراة خاطر الناظر ، ومباراة الطبع للسمع ، وكان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعاني الغربية ، بالأبيات العربية ، فيجمع فيها بين الإبداع والإسراع ، إلى عجائب كثيرة لا تحصى ، ولطائف يطول أن تستقصى . وكان - مع هذا كله - مقبول الصورة خفيف الروح ، حسن العشرة ، ناصع الظرف ، عظيم الخلق ، شريف النفس كريم العهد ، خالص الود ، حلو الصداقة ، مر العداوة . وفارق همدان سنة ثمانين وثلثمائة وهو مقتبل الشبيبة غض الحداثة ، وقد درس على أبي الحسين بن فارس وأخذ عنه جميع ما عنده واستنفد علمه واستنزف بحره ، وورد حضرة صاحب أبي القاسم فتزود من ثمارها وحسن آثارها ، ثم قدم جرجان وأقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية والتعيش في أكنافهم والاقتباس من أنوارهم واختص بأبي سعد محمد بن منصور أيداه الله تعالى ، ونفقت بضائعه لديه ، وتوفر حظه من عادته المعروفة في إسداء المعروف والإفضال على الأفاضل ، ولما استقرت عزيمته على قصد نيسابور أعانه على حركته ، وأزاح علله في سفرته . فوافاه في سنة اثنين وثمانين وثلثمائة ، ونشر ما بزه ، وأظهر طرزه . وأملى أربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح الإسكندري في الكدية وغيرها وضمنها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، من لفظ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام ، وسجع رشيق المطلع والمقطع كسجع الحمام ، وجد يروق فيملك القلوب ، وهزل يشوق فيسحر العقول ، ثم شجر بينه

وبين أبي بكر الخوارزمي ما كان سبباً لهبوب ريح الهمذاني وعلو أمره وقرب نجحه وبعد صيته ، إذ لم يكن في الحساب والحساب أن أحداً من الأدباء والكتاب والشعراء ينبري لمباراته ، ويجترى على مجاراته ، فلما تصدى الهمذاني لمساجلته ، وتعرض للتحكك به ، وجرت بينهما مكاتبات ومباهاة ومناظرات ومناضلات ، وأفضى السنان إلى العنان ، وفرغ النبع بالنبع ، وغلب هذا قوم وذاك آخرون ، وجرى من الترجيح بينهما ما يجري بين الخصمين المتحاكمين والقرنين المتصاولين ، طار ذكر الهمذاني في الآفاق ، وارتفع مقداره عند الملوك والرؤساء ، وظهرت أماراة الإقبال على أموره ، وأدرّ له أخلاف الرزق^(١) وأركبه أكناف العز ، وأجاب الخوارزمي داعي ربه فخلاً للهمذاني ، وتصرفت به أحوال جميلة . وأسفار كثيرة ، ولم يبق من بلاد خراسان وسجستان وغزنة بلدة إلا دخلها وجنى وجبى ثمرتها ، واستفاد خيرها وميرها^(٢) ، ولا ملك ولا أمير ولا وزير ولا رئيس إلا استمطر منه بناء ، وسرى معه في ضوء ، ففاز برغائب النعم ، وحصل على غرائب القسم . وألقى عصاة بهراة واتخذها دار قراره ، ومجمع أسبابه ، وما زال يرتاد للوصلة بيتا يجمع الأصل والفضل ، والطهارة والستر والقديم والحديث ، حتى وفق التوفيق كله ، وخار الله له في مصاهرة أبي علي الحسين بن محمد الخشنامي وهو الفاضل الكريم الأصيل ، الذي لا يزداد اختباراً ، إلا زيد اختياراً ، فانتظمت أحوال أبي الفضل بصهره ، وتعرفت القررة في عينه والقوة في ظهره ، واقتنى بمعونته ومشورته ضياعاً فاخراً [وأثر معيشة صالحة وثروة ظاهرة] وعاش عيشة راضية ، وحين بلغ أشده وأربى على أربعين سنة ناداه الله فلباه [وقدم على آخرته] وفارق دنياه في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، فقالت عليه نواذب الأدب ، وانثلم حد القلم ، وفقدت عين الفضل قرتها ، وجبهة الدهر غرتها . وبكاه الأفاضل مع الفضائل ، ورثاه الأكارم مع المكارم ، على أنه ما مات من لم

(١) أخلاف الرزق : عائده وحاصله .

(٢) المير : الطعام ، ويقال : ما عنده خير ولا مير : أي لا عاجل ولا أجل .

يمت ذكره ، ولقد خلد من بقي على الأيام نظمه ونثره ، والله يتولاه بعفوه وغفرانه ،
ويحييه بروحه وريحانه ، وأنا كاتب من ظرف ملحه ولفظ غرره ، ما هو غذاء
القلب ونسيم العيش وقوت النفس ، ومادة الأنس .

فصل من رقعة له إلى الخوارزمي

وهو أول ما كتبه به

أنا لقرب دار الأستاذ [أطال الله بقاءه]	كما طرب النشوان مالت به الخمر
ومن الارتياح للقاءه	كما انتفض العصفور بلله القطر
ومن الامتزاج بولائه	كما التقت الصهباء والبارد العذب
ومن الابتهاج بمزاره	كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب ^(١)

ومن رقعة له إلى غيره

يعز علي - أيد الله الشيخ ! - أن ينوب في خدمته قلمي ، عن قدمي ،
ويسعد برؤيته رسولي ، قبل وصولي ، ويرد مشرع الأنس به كتابي ، قبل ركابي
ولكن ما الحيلة والعوائق جمّة [من مجزوء الكامل] :

وعليّ أن أسعى وليس عليّ إدراكُ النجاح

وقد حضرت داره ، وقبلت جداره . وما بي حب للحيطان ، ولكن شغف
بالقطّان ، ولا عشق للجدران ، ولكن شوق إلى السكان .

ومن أخرى - لا أزال لسوء الانتقاد ، وحسن الاعتقاد ، أبسط يمين العجل
وأمسح جبين الخجل ، ولضعف الحاسة ، في الفراسة ، أحسب الورم شحما ،
والسراب شرابا ، حتى إذا تجشّمت موارده ، لأشرب بارده ، لم أجده شيئا .

(١) البارح : الريح الحارة في الصيف .

فصل - حضرته التي هي كعبة المحتاج ، لا كعبة الحجاج ، ومشعر الكرم لا مشعر الحرم ، ومنى الضيف ، لا منى الخيف^(١) ، وقبله الصلات ، لا قبله الصلاة .

فصل ورد للخوارزمي - يتقلب فيه عن جنب الحر^(٢) - ويتقلّى على جمر الضجر ، ويتأوه من خمار الخجل [ويتعثر في أذيال الكلل] ويذكر أن الخاصة قد علمت الفلج^(٣) لأينا كان فقلت : است البايں اعلم [والخوارزمي أعرف] والأخبار المتظاهرة أعدل . والآثار الظاهرة أصدق . وحلبة السباق [أحكم وما مضى بيننا أشهد] والعود إن نشط أحمد . ومتى استزاد زدنا ، وإن عادت العقرب عدنا . وله عندي إذا شاء كل ما ساء وناء^(٤) ، ولن يعدم إذا زاد نقداً يطير فراخه ، ونقفا يصم صماخه ، وما كنت أظنه يرتقي بنفسه إلى طلب مساماتي بعد ما سقيته نقيع الحنظل ، وأطعمته الخرز بالخردل^(٥) . فإن كان الشقاء قد استغواه ، والحين قد استعواه ، فالنفس منتظرة ، والعين ناظرة ، والنعل حاضرة ، وهو منى على ميعاد ، وأنا له بمرصاد .

فصل [منه] قد شملتني على رغبة أطراف النعم ، ومطرتني سحاب المنن ، وللراغم التراب ، وللحاسد الحائط والباب ، وللكاره اليد والناب .

فصل من كتاب إلى أبيه

للشيخ لذة في العتب والسبّ ، وطبيعة في العنف والعسف ، فإذا أعوزه من

(١) لا منى الخيف : يقصد مكانا قرب مكة المكرمة حيث يؤدى مشعر من مشاعر الحج ، والخيف : كل هبوط وارتفاع في سفح الجبل .

(٢) الحرد : الغضب .

(٣) الفلج : الفوز والظفر .

(٤) ناء : أثقل .

(٥) الخرز بالخردل : الغائط ، والخردل أطيب الطعام ، أو اللحم المقطع .

يغضب عليه . فأنا بين يديه ، وإذا لم يجد من يصونه ، فأنا زبونه ، والولد عبد ليست له قيمة ، والظفر به هزيمة ، والوالد مولى أحسن أم أساء ، فليفعل ما شاء .

فصل من كتاب تعزية إلى أبي عامر عدنان بن [عامر] بن محمد الضبي

الموت خطب قد عظم حتى هان ، وأمر قد خشن حتى لان ، والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها ، وجنت حتى صار الحمام أصغر ذنوبها ، فلتنظر يمناً ، هل ترى إلا محنة ، ثم لتعطف يسرة ، هل ترى إلا حسرة .

ومن كتاب له إليه أيضاً

وإن يشأ الله يفض بنا الأمر إلى حال تسعه مولى . وتسعني عبداً . وشد ما بخلت بهذه الكلمة ، ونفرت عن هذه السمة ، هذا الشيخ [الشهيد] أبو نصر رحمه الله مد لها اللحظ ، فلم يحظ ، وهذا ابن عباد شد لها الرحل ، فلم يحل .

ومن رقعة

مثلك في السفارة ، الفأرة ، طفقت تقرض الحديد فقبل لها : ويحك ! ما تصنعين ؟ الناب ودقة رأسه ، والحديد وشدة بأسه ، فقالت : أشهد ، ولكني أجهد ، وإن تنج من تلك الأسباب ، فهي الذباب ، مقاديرك لا معاذيرك .

فصل من رقعة إلى خلف

سمعت منشداً ينشد [من الطويل] :

لحي الله صعلوكاً مناهُ وهمهُ من العيش أن يلقي لبوساً ومطعماً

فقلت : أنا معنى هذا البيت ، لأنني قاعد في البيت ، آكل طيب الطعام ، وألبس لبن الثياب ، ويفاض عليّ بذل ، ولا يُقوّضُ إليّ شغل . ويملاً لي وطب^(١) ، ولا يدفع بي خطب ، هذا والله عيش العجائز ، والزمن العاجز .

ومنها : الرأس - أيد الله الأمير ! - كثير الخبوط . والضيف كثير التخليط ، وصب هذا الماء خير من شربه . وبعد هذا الضيف أولى من قربه ، وكأنني بالأمير يقول ، إذا قرئت عليه هذه الفصول : الهمداني رأى بهذه الحضرة من الإنعام ، ما لم يره في المنام ، فكيف من الأنام ، ولعله أنشأ هذا الكتاب سكران ، فعدل به عادل السكر ، عن طريق السكر ، وكأنه نسي مورده ، الذي أشبه مولده ، وإنما رفع لحنه ، حين أشبع بطنه ، واللثيم إذا جاع ابتغى . وإذا شبع طغى ، والهمداني لو ترك بجلدته ، يرقص تحت رعدته . ما ارتقى في قعدته . ولا تجشأ من معدته . ولكنه حين لبس الحلة . وركب البغلة . وملك الخيل والخول ، تمنى الدول ، ورأس اليتيم يحتمل الوهن^(٢) ، ولا يحتمل الدهن ، وظهر الشقي يحتمل عدلين من الفحم ، ولا يحمل رطلين من الشحم ، ولولا الشعير ، ما نهقت الحمير ، ولو لم يتسع حاله ، لم يتسع مجاله . وكذا الكلب يزمن^(٣) ، حين يسمن ، ولا يتبع ، حين يشبع . وعند الجوع ، يهم بالرجوع .

فصل من كتاب إلى أبي نصر بن أبي زيد

كتابي أطال الله بقاء الشيخ وفرحي في كريم يحضر ذلك الجنب فيحسن المناب . ولا أعدم إن شاء الله بتلك الساحة الكريمة ، من يتحلى بهذه الشيمة ، على أن الطباع إلى الذم أميل ، والعقرب إلى الشر أقرب ، واللسان بالقدح أجرى

(١) الوطب : وعاء اللبن .

(٢) الوهن : الضعف في الأمر والبدن .

(٣) يزمن : يمرض .

منه بالمدح ، والحاسد يعمى عن محاسن الصبح ، بعين تدرك دقائق القبح ،
والهروى جسد كله حسد ، وعقد كله حقد . فلا يجذب التخلق بضبعه^(١) عن
طبعه ، ولا يأخذ التكلف بخلقه ، عن طرقة .

رقعة له إلى مستميج عاوده مراراً

وقال له : لم لا تديم الجود بالذهب كما تديمه بالأدب ؟!

عافاك الله ، مثل الإنسان في الإحسان كمثل الأشجار في الثمار سبيله إذا
أتى بالحسنة ، أن يرفه إلى السنة ، وأنا كما ذكرت لا أملك عضوين من جسدي
وهما فؤادي ويدي ، أما الفؤاد فيعلق بالوفود ، وأما اليد فتولع بالجود ، لكن هذا
الخلق النفيس ، ليس يساعده الكيس ، وهذا الطبع الكريم ، ليس يحتمله
الغريم ، ولا قرابة بين الذهب والأدب فلم جمعت بينهما ؟ والأدب لا يمكن ثرده
في قصعة^(٢) ، ولا صرفه في ثمن سلعة ، ولي من الأدب نادرة جهدت في هذه
الأيام بالطباخ أن يطبخ لي من جيمية الشماخ لونا فلم يفعل ، وبالقصاب أن يسمع
أدب الكتاب فلم يقبل ، وأنشدت في الحمام ديوان أبي تمام فلم ينفذ ، ودفعت
إلى الحجام مقطعات اللجام فلم يأخذ ، واحتيج في البيت إلى شيء من الزيت ،
فأنشدت من شعر الكميت ألفاً ومائتي بيت ، فلم تغن ، ولو وقعت أرجوزة العجاج
في توابل السكبا^(٣) ما عدمتها عندي ولكن ليست تقع فما أصنع ، فإن كنت
تحسب اختلافك إليّ إفضالاً عليّ فراحتي في أن لا تطرق ساحتي ، وفرجي في أن
لا تجي ، والسلام .

(١) الضبع : ما بين الإبط إلى نصف الساعد .

(٢) لا يمكن ثرده في قصعة : ثرد يثرد الخبز أي فته ثمّ به يمرق ، أي أن الأدب لا يمكن أن يكون كالطعام ،
لأنه موهبة وذوق .

(٣) العجاج : أحد الشعراء الرّجّاز ، والسكبا^(٣) : مرق يتخذ من اللحم والخل .

وكتب إلى صديق له رقعة نسختها

قد طبخت لسيدي حاجة إن قضاها وبلغ رضاها ذاق حرارة الإعطاء ، وإن أباه وفلاً شباها^(١) لقي مرارة الاستبطاء ، فأبي الجودين أخف عليه : جوده بالعلق النفيس ، أم جوده بالعرض الخسيس . ونزوله عن الطريف ، أم عن الخلق الشريف ؟؟

فأجابه عنها بهذه الرقعة

جعلت فداك هذا طبيخ ، كله توبيخ ، وثرید ، كله وعيد ، ولقم [إلا أنها] نقم . ولم أر قديراً أكثر منها عظما ، ولا آكلاً أكثر مني كظما ، ما هذه الحاجة ؟ ولتكن حاجاتك من بعد أئين جوانب ، وألطف مطالب !

فصل من كتاب إلى الأمير أبي نصر الميكالي

كتابي أطال الله بقاء الأمير ، وبودي أن أكونه ، فأسعد به دونه ، ولكن الحريص محروم ، لو بلغ الرزق فاه ، لولاه قفاه ، وبعد فاني في مفاتحته [بين] ثقة تعد ، ويد ترتعد ، ولم لا يكون ذلك والبحر وإن لم أره . فقد سمعت خبره ، ومن رأى من السيف أثره ، فقد رأى أكثره ، وإذ لم ألقه ، فلم أجهل إلا خلقه ، وما وراء ذلك من تالد أصل ونشب^(٢) ، وطارف فضل وأدب^(٣) ، فمعلوم تشيد به الدفاتر ، والخبر المتواتر ، وتنطق به الأشعار ، كما تختلف عليه الآثار ، والعين أقل الحواس إدراكاً ، والأذان أكثرها استمساكاً .

فصل ، من رقعة إلى الشيخ الإمام أبي الطيب سهل بن محمد :

(١) فلّ شياها : قطع نارها وأطفأها بالاستجابة .

(٢) التالد : المال القديم الموروث ، والنشب المال القديم من نقود وحيوان .

(٣) الطارف : المال الحديث العهد .

أنا أخطب الشيخ الإمام والكلام مجون ، والحديث شجون ، وقد يوحش اللفظ وكله ود ، ويكره الشيء وليس من فعله بد ، هذه العرب تقول لا أبالك في الأمر إذا هم ، وقاتله الله ولا يريدون الذم ، وويل أمه للمرء إذا أهم [ولأولي] الألباب في هذا الباب أن ينظروا من القول إلى قائله ، فإن كان ولياً فهو الولاء وإن خشن ، وإن كان عدواً فهو البلاء وإن حسن .

[وله إليه رقعة]

يا لعباد الله القرض ، ولا هذا الرخص^(١) ، والزاد ولا هذا الكساد ، أمرض ولا أعاد ، إذا شيع الزنجي بال على التمر ، وهذا بول على الجمر ، ويوشك أن يكون له دخان .

فصل - مثله كمن صام حولاً ، ثم لما أنظر شرب بولا .

ومن أخرى

الماء إذا طال مكثه ، ظهر خبثه ، وإذا سكن متنه ، تحرك ننته ، كذلك الضيف يسمح لقاءه ، إذا طال ثواؤه ، ويثقل ظله ، إذا انتهى محله .

فصل من كتاب

نهت الحكماء عن صحبة الملوك ، وقالوا : إن الملوك إذا خدمتهم ملوك ، وإن لم تخدمهم أذلّوك ، وإنهم يستعظمون في الثواب ، رد الجواب ، ويستقلون في العقاب ، ضرب الرقاب ، وإنهم ليعثرون على العثرة من خدمهم فينبون لها مناراً ، ثم يوقدونها ناراً . ويعتقدونها ثاراً ، وقالوا : كن من الملوك مكانك من

(١) القرض : السلفة من المال وغيره ، والرخص : الثوب البالي .

الشمس ، إنها لتؤذيك والسماء لها مدار ، والأرض لك دار ، فكيف لو أسفّت قليلاً ، وتدانت يسيراً ، وإن العاقل ليطلب منها مزيد بعد فيتخذ سرباء^(١) لوأذا منها وهربا ، وبيتغي في الأرض نفقا ، فراراً منها وفرقا^(٢) .

رقعة في التماس الحطب

كم لله من حبر إذا جاع حبر الأسجاع^(٣) ، وإذا اشتهى الفقاع كتب الرقاع ، هذا تسبيب بعده تشبيب ، قد عرف الشيخ برد هذا [البرد] وخروجه في سوء العشرة عن الحد ، فإن رأى أن يلبسني من الحطب اليابس فروة ، ويكفيني [من] أمر الوقود شتوة ، فعل إن شاء الله تعالى .

فصل - ورد كتاب يضطرط الأتن ويعرق الآباط^(٤) ، كالقنفذ من أي النواحي آتيته ، وكالحسك على أيّ جنب طرحته ، ورحم الله فلاناً ! قلت له يوماً : إنك كثير الرغبة سريع الملاة ، فقال : عافاك الله ! هذه غيبة ، وفي الوجوه غريبة ، وإنما يغتاب المرء من وراء ظهره ، لا في سواء وجهه .

فصل - أما الكتاب فلفظه فسيح ، ومعناه فصيح ، وأوله بآخره رهين وآخره لأوله قرين ، وبينهما ماء معين وحوار عين .

فصل - أنا على بينة من أمري ، وبصيرة في ديني ، ولا أقول بعلوم أصحاب النجوم ، وكما أعلم أن أكثرها زق^(٥) وريح^(٥) ، أرى أن بعضها حق صحيح ، وكان لنا صديق لا يؤمن بالصبح إيمانه بالنجوم ، قرىء عليه إن الله يأمر بالعدل

(١) السرب : الملجأ .

(٢) الفرق : الخوف .

(٣) الحبر : العالم ، وحبر الأسجاع : كتبها .

(٤) الأتن : أنثى الحمار ، والآباط : جمع إبط .

(٥) الزق : كير الحداد الذي ينفخ فيه ، أو وعاء من جلد توضع فيه السوائل من ماء وخمر .

والإحسان، فقال : إن رضي النحسان .

فصل - والله لولا يدٌ تحت الحجر ، وكبد تحت الخنجر ، وطفل كفرخ
يومين قد حُبب إلى العيش ، وسلب من رأسي الطيش ، لشمخت بأنفي عن هذا
المقام ، ولكن صبرا جميلاً والله المستعان .

فصل - إنما يحبس البازي ولو ترك القطا لطار كل مطار .

فصل - لم أر مثلي علق مضنة يرمي به من حالق^(١) ، ولكن رب حسناء
طالق .

فصل من رسالة في ذم السدق^(٢)

[إلى الرئيس أبي عامر]

هذا هو العيد ، وذلك هو الضلال البعيد ، إنهم يشبون ناراً هي موعدهم ،
والنار في الدنيا عيدهم ، والله إلى النار يعيدهم ، ومن لم يلبس مع اليهود
غيارهم ، لم يعقد مع النصارى زناهم ، ولم يشب مع المجوس نارهم ، إن عيد
الوقود لعيد إفك ، وإن شعار النار لشعار شرك ، وما أنزل الله بالسدق سلطاناً ، ولا
شرف نيروزاً ولا مهرجاناً ، وإنما صب الله سيوف العرب على رءوس العجم لما كره
من أديانها ، وسخط من نيرانها ، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم حين مقت
أفعالهم .

فصل منه - إن هذا الدين لذوتبعات ، الصوم والقطاع شديد . والحج
والمرام بعيد . والصلاة والمنام لذيذ ، والزكاة والمال عزيز ، وصدق الجهاد
والرأس لا ينبت بعد الحصاد ، والصبر الحامض والعفاف اليابس ، والحد

(١) علق مضنة : أي نفيساً غالباً يحرص عليه ، وحالق ، عالٍ .

(٢) السدق : ليلة الوقود (معرّبه) .

الخشن ، والصدق المر ، والحق الثقيل والكظم ، وفي اللقمة العظم .

فصل - الوحشة تقتدح في الصدر ، اقتداح النار في الزند ، فإن أطفئت بارت وتلاشت ، وإن عاشت طارت وطاشت ، والقطر إذا تدارك على الإناء امتلاً وفاض ، والعتب إذا ترك فرخ وباض .

فصل - من لقينا بأنف طويل ، لقيناه بخرطوم فيل ، ومن لحظنا بنظر شرر ، بعناه بثمان نزر^(١) .

رقعة إلى خطيب

المجالس أيد الله الخطيب لا تطيب إلا بالمسامرة ، والخطيب فضيحة الدنيا ونكال الآخرة ، وقد حضر الخطيب كان ، فليحضر الخطيب الآن ، تصديقاً لقول الله تعالى ﴿ ومن البقر اثنين ﴾ .

أخرى - سلمت على فلان فرد جواباً يرد على الوكلاء بشرط الإيماء ، واقتصر من البشاشة ، على تحريك الشاشة ، ومن الاستقبال ، على تحريك السبال^(٢) .

فصل - جارنا رجل يصحب السرير ، ويسحب الحرير ، ويفترش الحبير ، ويخوض العبير ، يحلف رجلاً يزعمه كان يقتات الشعير ، ويعروري البعير^(٣) ، ويركب الحمير ، ويظلم الصغير ، ويجالس الفقير ، ويواكل الأجير ، بعيد بون بينهما بعيد .

فصل - لو كان حماري لنفشت عليه التبن . ونقلت على ظهره اللبن ، أفأؤدي عنه الغرامة ، لا ولا كرامة ، من ذاك الثور ، حتى يحتمل عنه الجور ؟

(١) نظر شرراً : أي نظر بطرف عينه مغضباً ، والثمان النزر : الثمن البخس .

(٢) السبال : ما فوق الشفة العليا من الشعر أي « الشارب » .

(٣) يقتات : من القوت أي الطعام ، ويعروري البعير : أي يركبه عارياً ، أو يأتي أمراً قبيحاً منه .

الموت والله ولا هذا الصوت ، والمنية ولا هذه الأمنية الدنيّة .

فصل - أما الآن والحال من الضيف يحتال ، والأيام كأنها ليال ، توالفت والوجه بال^(١) ، والكيس والرأس خال ، واللحم في السوق غال ، والقدر حليف خيال .

فصل له من رقعة

يا شبر ، ما هذا الكبير . ويا فتر^(٢) ، ما هذا الستر . ويا قرد ، ما هذا البرد . ويا أجوج ، متى الخروج . ويا فقاع^(٣) ، بكم تباع . ويا فراي^(٤) ، متى تراني . ويا لقمة الخجل نحن ببابك ، ويا بيضة النغيلة^(٥) من أتى بك . ويا دبة ، ويا حبة ، ويا من فوق المكبة ، ويا من قرب المذبة^(٦) . ويا من خلقه المسبة . ويا دمل ما أوجعك ، ويا قمل لنا حديث معك . فإن رأيت آذنت والسلام .

فصل - أعجوبة ، لكنها محجوبة ، حتى تصلي على النبي بنشاط ، وتنزل عن قيراط ، ما هي رحمك الله ؟ صبرا يا خبيث ، إليك يساق الحديث . إن عشنا وعشت رأيت الأتان تركب الطحّان ، روح ولا جسد ، وصوت ولا أحد والعود أحرق . ومتى فرزنت يا بيدق . ويا أسخف من ناقد على راقد . وشرد هرك آخره ، ويا عجباً أيلد الأغر البهيم ، وولد آزر إبراهيم [من الكامل] :

يا أيُّها العام الذي قد رابني أنت الفداء لذكر عامٍ أولاً
وما أفدى العام ، لكن الأنعام . ولا أشكو الأنام . لكن اللثام . عام أول

(١) توالفت : من الولا ف : وهو نوع من العدوّ تقع فيه القوائم معاً ، والوجه بال : أي رث أصابه البلاء .

(٢) الفتر : ما بين الإبهام والسبابة من اليد اذا فتحتها .

(٣) الفقاع : شرابٌ يتخذ من الشعير أو غيره .

(٤) الفران : الذي يصنع الخبز .

(٥) النغيلة : دودة في الجسم تفسده .

(٦) المذبة من الأرض : الكثيرة الذباب ، والمذبة : المروحة التي يذب الذباب بها .

عدنان ، والعام هذا القرنان . لنا في كل أوان أمير يملأ بطنه ، والجار جائع ،
ويحفظ ماله والعرض ضائع [من الطويل] :

تبدلت الأشياء حتى لخلتها ستبدي غروب الشمس من حيث تطلع
كانت السيادة في المطابخ ، فصارت في المباطخ ، أشهد لئن كثرت
مزارعكم لقد قلت مشارعكم^(١) . ولئن سمت أقفيتكم ، لقد أمحلت أفنيتكم
[من البسيط] :

رأيتم لا يصون العرض جاركُم ولا يدرُ على مرعأكُم اللبنُ

فصل من رقعة إلى من استماحه شراباً في يوم مطير

عافاك الله ! العاقل إن وافى أبوه على جمل البريد ، من المضرب البعيد في
الخطب الشديد . يومنا هذا لم يستقبل حمارته . وإن مات لم يشيع جنازته . وحل
إلى الركب ، ومطر كأفواه القرب . ورجل ظاهر النفاق يلتمس الشراب ممن لا يرى
قربه ، فكيف شربه ، على أنك إلى الشرب أحوج منك إلى السكر ألا ترى كيف
من الله على البيوت بالثبوت ، وعلى السقوف بالوقوف ، ألا تنظر إلى هذا المطر ،
أمطر عمارة هو أم مطر خراب ، وسقيا رحمة هو أم سقيا عذاب .

فصل - كتابي والتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، طالق ثلاثاً ، مردودة
على أهلها من ورائها البعرة ، وفي قفائها النعرة ، لا ترجع لخرقاء^(٢) ، أو ترجع
العنقاء ، وتالله ما نقض الغزل بعد قوة ، أسخف من نقض عهد وأخوة ، ليس
أرش الغزل إذا نقض . أرش الفضل إذا رفض . ولم يجعل الله إضاعة الصوف ،

(١) المباطخ : اللعق ، بطخ الشيء لعقه .

(٢) القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس يكنى بذلك عن عدم السمع والطاعة .

كأضاعه المعروف ، والحق ثقيل ، وهو خير ما قيل .

فصل - حديث الكتاب ما حديث الكتاب ، وصل جحيم هائل ، ليس وراءه طائل ، وخط مجون ، لا يدري ألف أم نون . وسطور فيها سطور كديب السرطان على الحيطان ، وألفاظ أخلاط ، لا يدركها استنباط ، ولا يفهمها بقراط ، هذيان المحموم ، ودواء المهموم .

فصل - ومثلك من ذب ، عمن أحب ، ولكن للذب أبواباً ، ولكل امرئ جواباً ، تعلم أنه ليس في أبواب الذب ، أضعف من باب السب ، وإذا تلوت قول الله عز وجل [ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً] علمت أن سلاح خصمك أقوى ، والناس رجلان كريم ولئيم ، وكل بأن لا يسب خليق ، إن الكريم لا ينكر الفضل ، وإن النذل لا يآلم العذل [من الوافر] :

يُيْحِكُ مِنْهُ عَرْضاً لَمْ يَصْنَهُ وَيَرْتَعُ مِنْكَ فِي عَرْضِ مَصُونٍ
وهلم افرض لك مسألة الذب في الذباب لتعلم أن اتقاءه بالمكبة خير من اتقائه بالمذبة ، وأن ذبه بالمظلة أبلغ من ذبه بالمذلة ، فإن كان لا بد من انتقام واستيفاء فأعيذك بالله أن تجهل أن آذان الأنذال في القذال^(١) وهي آذان لا تسمع إلا من السنة نعال الأدم ، وترجمة أكف الخدم ، وعلامة فهمها جحوظ العينين ، وخدر اليدين .

فصل - وجدتك تعجب أن يجحد لئيم فضل صنيعك ، فخفض عليك يرحمك الله ، إن الذي تعجب منه يسير ، في جنب ما يجحده من الناس كثير. إن الله تعالى خلق أقواماً وشق لهم أبصاراً وآتاهم بصائر فغاصوا بها على عرق الذهب ففصدوه^(٢) ، ولم يزلوا بالنجم حتى رصدوه ، واحتالوا للطائر فأنزلوه من جو السماء ، وللحوت فأخرجوه من الماء ، ثم جحدوا مع هذه الأفكار الغائصة

(١) الفصد : الشق .

والأذهان النافذة صانعهم فقالوا : اين وكيف ؟ حتى رأوا السيف ، فلم تعجب أن جحدوا فضلا ليست الأرض بساطه ، ولا الجبال سماطه ، ولا السماء فسطاطه ، ولا الليل رباطه ، ولا النهار صراطه ، ولا النجوم أشراطه ، ولا النار سياطه .

فصل - ما أشبه وعد الشيخ في الخلاف ، إلا بشجر الخلاف . خضرة في العين ، ولا ثمر في البين . فما ينفع الوعد ، ولا إنجاز من بعد ، ومثل الوعد مثل الرعد ، ليس له خطر ، إن لم يتله مطر .

فصل - كان عندنا رجل فاره الأفراس^(١) ، فاخر اللباس ، لا يعد من الناس ، ولا تظن أن الإنسانية بساط قوني ، ولا ثوب سقلاطوني ، ولا تقدر أن المكارم ثوبان من عدن ، أو قعبان من لبن^(٢) .

فصل - لك يا سيدي خلال خير . وخلال فضل ، لا يدفعك عنهما أحد ، ولك في المكارم لسان ويد ، لا تخلو معهما من تورية سوطية ورجل طاووسية ، ولو عريت منها كنت الإمام الذي تدعيه الشيعة وتكره الشريعة .

فصل - معاذ الله لا أشفع لضارب القلب ، ولا أرضى له غير الصلب ، واعتقد في دار الضرب ، أنها دار الحرب ، ولكن ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ .

فصل - لم يكن في عهد رسول الله ﷺ للمهاجرين ، ما في وقتنا للمواجرين^(٣) ، وما جاز لعلية الأصحاب ، ما يجوز لأزواج القحاب .

فصل - كثر ترداد أصحابي إلى فلان ، فما يعيرهم إلا أذنأ صماء وبابا أصم وكان فيما بلغني يأذن في باب الخاصة للعامة . فصار يأذن في باب العامة للخاصة

(١) فارة الأفراس : أي نشيطها ومليحها .

(٢) القَعْب : القدح الضخم الغليظ .

(٣) المواجرين : من الأجر : أي الجزاء أو من الوجر : الذعر والخوف .

وإنما تولى جاراها من تولى فارها ، ومن لم يول منافعها لم يول مضارها .

فصل من كتاب إلى ابن فارس

نعم أيد الله الشيخ ، إنه الحمأ المسنون^(١) وإن ظنت الظنون ، والناس لأدم ، وإن كان العهد قد تقدم ، واركتبت الأضداد ، واختلط الميلاد ، والشيخ يقول : قد فسد الزمان ، أفلا يقول : متى كان صالحاً ؟ أفي الدولة العباسية فقد رأينا آخرها وسمعنا بأولها ، أم المدة المروانية وفي أخبارها [من السريع] :

* لا تكسع الشول بأغبارها*^(٢)

أم السنين الحربية [من مجزوء الكامل] :

والرمح يركز في الكلى والسيف يغمد في الطلى
ومبيت حجر في الفلا والحرثان وكربلا

أم البيعة الهاشمية ، وعلي يقول : ليت العشرة منكم براس ، من بني فراس ، أم [الأيام] الأموية والنفیر إلى الحجاز ، والعيون إلى الأعجاز ؟ أم الأمانة العدووية وصاحبها يقول : وهل بعد البزول^(٣) ، إلا النزول ؟ أم الخلافة التيمية وصاحبها يقول : طوبى لمن مات في نأنة الإسلام ، أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل : اسكني يا فلانة ، فقد ذهب الأمانة . أم في الجاهلية ولييد يقول [من الكامل] :

[ذهب الذين يعاش في أكنافهم] وبقيت في خليف كجلد الأجرب

(١) الحمأ المسنون : الطين المنتن الفاسد الرائحة .

(٢) تكسع الشول : كسع : تبع ، والشؤل : الخفيف السريع أي أن الخيل السريعة لا يمكن أن يلحق بها .

(٣) البزول : قضاء الحاجة ، أو امتطاء البازل من الابل .

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول [من الطويل] :

بلاد بها كنّا وكُنّا نحبّها إذِ الناسُ ناسٌ والزمان زمان

أم قبل ذلك وروى عن آدم عليه السلام [من الوافر] :

تغيّرت البلاد ومن عليها ووجه الأرض مغبرٌ قبيح

أم قبل ذلك وقد قالت الملائكة ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ .

وما فسد الناس ، وإنما اطرَد القياس ، ولا أظلمت الأيام ، وإنما امتد

الظلام ، وهل يفسد الشيء إلا عن صلاح ، ويمسي المرء إلا عن صباح ؟ .

فصل منه - وإني على توبيخه لي لفقير إلى لقائه ، شفيق على بقائه .

منتسب إلى ولائه ، شاكر لآلائه^(١) ، وإن له على كل نعمة خولنيها الله نارا ، وعلى

كل كلمة علمنيها منارا . ولو عرفت لكتابي موقعاً من قلبه لا غنمت خدمته به ،

ولرددت إليه سؤركاسه ، وفضل أنفاسه . ولكني خشيت أن يقول : هذه بضاعتنا

رُدّت إلينا ، وله أيده الله العتي ، والمودة في القربى والمرباع ، وما ضمه الجلد

وناله الباع ، وما ضمنه المشط [من المتقارب] :

ووالله ما هي عندي رضى ولكنّها جلُّ ما أملك

واثنان قلما يجتمعان الخراسانية والإنسانية ، وأنا وإن لم أكن خراساني

الطينة ، فإنني خراساني المدينة ، والمرء من حيث يوجد ، لا من حيث يولد ،

والإنسان من حيث يثبت ، لا من حيث ينبت ، فإن أنضاف إلى خراسان ولادة

همذان ارتفع القلم وسقط التكليف ، فالجرح جبار ، والجاني حمار ولا جنة ولا

نار ، فليحتملني الشيخ على هناتي^(٢) ، أليس صاحبنا يقول [من الخفيف] :

(١) الآلاء : النعم .

(٢) الهنة : جمع هنت وهي خصال الشرّ .

لا تلمني على ركاكة عقلي إن تيقنت أنني همداني

فصل - بعض الظن إثم ، ولكن بعض الإثم حزم ، وبلغني أن القاضي يريد أن يسجل ، فأريد أن لا يعجل ، حتى أحضر فينظر فيم الخصومة ، وأنظر كيف الحكومة .

فصل - أنت أيدك الله إذا قلدت البريد ، وبردت هذا التبريد ، تؤذن أنك لو وليت الديوان ، لحجبت الدبران ، ولو قلدت الوزارة ما كنت تصنع ، أكنت أول من تصفح ، وإن هان على سبال الطبائع وهو الخليفة فمن الجيفة ؟ يا شيخ حشمة في الرأس ، وعرة^(١) بين الناس ، وإذا ارتفعت فالآلها نميمة ، وليس للناس قيمة ، ولو نسجت الدر في الذهب ما كنت إلا حائك ، وإلا من جملة أولئك .

فصل - شرابٌ من ذاقه أخح^(٢) ، وصوت من يسمعه بخبخ^(٣) ، وشرف من ناله أرخ .

فصل - ألا وإن في صدري لغصة ، وإن في رأسي لقصة ، وإن لكل مسلم فيها لحصة ، وإن هذا المقام فيها لفرصة .

فصل من كتاب إلى عدنان

أشهد لو خير الرئيس ما اختار فوق ما اختير له ، وما في الغيب ، أكثر مما في الجيب ، وما بقي ، أحسن من الذي لقي [من الطويل] :

هنيئاً وزاد الله ضبةً سودداً وذلك مجدٌ يملأ العين واليدا
لك اليوم أسباب السموات مظهراً وما اليوم مما سوف تبلغه غدا

(١) الحشمة : الغضب، والانقباض عن الآخرين ، والعرة : العيب والحلة القبيحة .

(٢) أخح : قال آخ ، عبارة عن التوجع .

(٣) بخبخ : قال بخ بخ : عبارة عن السرور والتهنئة .

فصل - أنا ، وأنا غرس الشيخ ، ألف العمامة ، على فضول لا تقلها جبال
تهامة ، ثم أسبح في الماء الغزير ، وأعتضد بالأمرير والوزير ، ثم استظهر بسجل
القاضي ، ثم الشيخ هو المتغاضي ، ولا حيلة مع ابن جميلة ، العار والله والنار ،
والقتل والدمار ، والعسلى والزنار ، والشباب والتراب المثار .

فصل - واحربا أتريد جهنم خطبا^(١) ، واعجبا أتريد أسوأ منها منقلبا
فصل - [أبق أطال الله بقاء الشيخ الرئيس] عبدان : أحدهما الذي أثبت
عليه شجرة من يقطين^(٢) ، والآخر الذي قال : خلقتني من نار وخلقته من طين^(٣) ،
وأنجى هذا من الظلمات ، ومد لذلك في الحياة ، فعرف لكل على مقدار حرمة
حق خدمته .

فصل - مضى العيد فلا صدقات الفطر ولا صدقات العطر ، ولا فضلات
القدر ، ولا لفظات الذكر ، وأسمع الناس ، يقولون إن الشيخ مستبرد لي
مستوحش مني [وأنا سليم نواحي القول والفعل والنية] وأنا كالحية أضمن أن لا
ألسع ولا أضمن أن لا يفزع .

فصل - وصلت رقعة الشيخ فسفرت شواء ، ونطقت ورهاء^(٤) . تعثر في
أذيالها تقول خذوني ، والطاعون المذنب سكران يتغافل .

فصل - يعجبني أن يكون الشيخ عريض اللسان طويله ، حسن البيان
جميله ، ولا يعجبني أن يطول لسانه حتى يمس به جبينه ، ويضرب به صدره ،
ويحك به قفاه ، فخير الأمور أوساطها ، وأمام الساعة أشراتها . والغاية سوم ،

(١) واحربا : واحزنه .

(٢) يعني بذلك النبي يونس عليه السلام .

(٣) يريد بذلك إبليس اللعين الذي أبى أن يسجد لآدم كما امر الله سبحانه وتعالى .

(٤) سفرت شعرها : أي كشفت عن وجهها المشوه القبيح ، ونطقت ورهاء : أي تكلمت بكلام ثقيل ،
ويقال : امرأة ورهاء أي كثيرة الشحم .

والاستقضاء فرقة .

فصل - لولا شفقتك من القلب ، لربطتك مع الكلب ، ولكن لا حيلة
لإحصارك ، وكلّي انصارك .

فصل - مغرز إبرة . وألفا عبرة ، رعاة رعا ، ورعايا شجاع ، أمير ولكنه
في الحمير ، ووزير ولكنه خنزير . وما شئت من البرود الاتحمية ، ولا شيء من
الحمية .

فصل - أراني أذكر الشيخ كلما طلعت الشمس أوهبت الريح أو نجم النجم
أو لمع البرق أو عرض الغيث أو ذكر الليث أو ضحك الروض ، إن للشمس محياه
وللريح رياه وللنجم حلاه وعلاه وللبرق سناؤه وللغيث يداه ونداه ولليث حماه
وللروض سجايه ، ففي كل صالحة ذكره ، وفي كل حادثة أراه ، فمتى أنساه ،
واشدة شوقه ، عسى الله أن يجمعني وإياه .

فصل - سألني العم عن حالي بهذه البلاد . وإنني في بلاد وإن لم يكن
لأهلها تمييز ، فأنا بينهم عزيز . يطعمونني تقليداً ، ويردونني فريداً ، والمال
يجتني فيضاً لكن لا أبلعه ريقاً ، ولا أكره ألوه تفريقاً ، فهو يأتي مداً ويذهب
جزراً .

فصل - خلق ابن آدم خلقة الفراش مماته في المعاش ، ومساره طي
المضار ، وإلا بين لمثلي إذا خرج من بلدة أن تنبذ خلفه الحصاة ، وتكنس بعده
العرصات^(١) وتوقد في أثره النار ، ويثار في قفاه الغبار ، ويستنبح لفراقه الكلب ،
ويسد لأوبته الأذنان ، وتغمض عن رجعتة العيان ، ويقول كم سنة تعد ، ورب
سلم لا يرد ، وما قدرت أن الشيخ بعد ما كفاه الله شرمقامي ، وأصحت سماؤه من
أشغالي وصفا جوه من لقائي ، يشتاق طلعتي شوقاً يبعثه على عتابي ، ويهزه

(١) العرصات : الساحات .

لاستعطافي ، ولا شك في أنه اشتهاني كما يشتهي الجرب الحك ، وله العتبي
فستأتيه كتبي تباعاً ورسلي ولاء ، وحاجاتي قطارا^(١) .

فصل إلى الاستاذ أبي بكر بن إسحاق

الأستاذ الاهد يأمر غاشية مجلسه ، أن يفتشوا أعطاف المقبرة وزواياها ، فإن
وجدوا قلباً قريحاً ، يحمل وداً صحيحاً ، وكبدأً دامية ، تقلل محبة نامية ، فأنا
ضيعتهما بالأمس ، على ذلك الرمس ، رضي الله تعالى عن وديعته ، وعنا معشر
شييعته ، فليأمر بردهما إليّ ، فلا خير في الأجساد خالية من الفؤاد ، عاطلة عن
الأكباد .

فصل إلى ابن أخته

أنت ولدي ما دمت والعلم شانك ، والمدرسة مكانك ، والدفتر أليفك ،
وحليفك ، فإن قصرت ولا إخالك ، فغيري خالك .

فصل من كتاب إلى ابن فريغون^(٢)

كتابي والبحر وإن لم أره ، فقد سمعت خبره ، والليث وإن لم ألقه ، فقد
تصورت خلقه ، والملك العادل إن لم أكن لقيته ، فقد بلغني صيته .

فصل - إن لي في القناعة وقتاً ، وفي الصناعة بختاً ، لا يبعد عن منال المال ،
بل يحيني فيضا ، ويتطفل علي أيضاً ، وهذه الحضرة وإن احتاج إليها المأمون ولم
يستغن عنها قارون ، فإن الأحب إليّ أن أقصدها قصد موال ، لا قصد سؤال ،

(١) القطار : القافلة ، ويريد أنها سوف تأتيه متتابعة .

(٢) في الرسائل : وله إلى الأمير ابن الحرث محمد مولى أمير المؤمنين .

والرجوع عنها بحال، أحب إليّ من الرجوع بمال، قدمت التعريف، وانتظر الجواب الشريف.

فصل - إن أيامي منذ لم أره ليال، وإني من حبيبي لفي طلل بال. وإن العيش لا يلتئم إلا بعزه، والعافية لا تطيب إلا في ظله^(١).

فصل - إن الجميل عندهم من وراء جدار، والقيح نار على منار، فإذا مدحوا سيرة رجل فقد حمدوا عثرته، ولم يبق فيه طمع للسبك، ولا موضع للشك.

فصل - ليست التجربة خمسة أجربة، إنما هي دفعة والتقدمة لفظة، ثم إن العاقل بفطنته يكتسب فيقيس، والجاهل بغفلته يخس ويخيس، يا أبا الفضل ليس هذا بزمانك، وليست هذه الدار بدارك، ولا السوق سوق متاعك، ناسب الكتابة وما وسقت^(٢)، والأقلام وما نسقت، والمحابر وما بسقت، والأسجاع إذا اتسقت، واللوم ولا هذه العلوم.

فصل - إني والله لأرحم عقل طرفه إذ قال [من الوافر]

وليت لنا مكان الملك عمرو رغوئاً حول قبتنا تخور
كيف ضرب المثل في الشر وقلة الخير، بما هو خير كله. وإن الرغوئ لتعذره
برسلها، وتحبوه بنسلها، وتكسوه بصوفها، وتنفعه ببيعها، وتغيظ عدوه
بسراحها، وتقر عينه برواحها [من الوافر]:

وتملاً بيته أقطاً وسمناً وحسبك من غنى شبع وري^(٣)
ثم أرجع إلى حديثك: تمنى مكانه رغوئاً، وأتمنى مكانك برغوئاً، إن

(١) في «ب» .. «والعافية لا تطيب إلا في ظله».

(٢) الوسق: الجمع، ووسقت: حملت.

(٣) أقطاً وسمناً: جبة وسمناً، والري: من الارتواء. والبيت لامرئ القيس بن حجر الكندي.

البرغوث ، أجدر منك أن يغوث ، اعلم أنك غرسي ، والغرس تيس ، وحشى ، وما حسبتني أفقد منك منافع التيس ، ولكن ما أصنع والعقل ليس .

فصل - ما أعرف لعمار مثلاً إلا الغراب الأبقع ، مذموماً على أي جنب وقع ، إن طار فيقسم الضمير ، وإن وقع فروعة النذير ، وإن حجل فمشية الأسير ، وإن شحج فصوت الحمير ، وإن أكل فدبر البعير ، وإن سرق فبلغة الفقير ، كذلك ابن عمار ، إن حذفت عينه فالحين . وإن حذفت ميمه فالشين . وإن حذفت راؤه فالرين ، وإن صحف خطه فالين^(١) . وإن زرته فالحجاب الثقيل ، وإن لم تزره فالعتاب الطويل .

فصل - بلغني أن الشيخ دائم العبث بلحمي ، والنقل بشتمي ، وأنه حسن البصيرة في نقضي ، كثير التناول من عرضي ، ولحم الوديد ، لا يصلح للقديد ، ودم الصديق ، لا يشرب على الريق ، والولي لا يقلى ، ولا يتخذ نقلاً ، وحسب الغريم أن لا يوفى ، ومن منع الصدقة فليقل قولاً معروفاً .

فصل - لولا ود الفقيه ، وأنا أستبقيه ، لشتمت العام والخاص ، وذكرت العاض والماص ، ولتجاوزت دار الرجال إلى حجرة العيال ، ما هذه الأسجاع التي كتبها ، والفصاحة التي عرفها ، بكر وتألم الطلق ، أعلى رأسي يتعلم الحلق .

فصل - واحرباه ، وإليك شكوى الحرب ، وأظن أجلي قد اقترب ، ربّ توفي مسلماً ، وألحقني بالصالحين .

فصل - حرس الله هذه الدنانير ، ورزقنا منها الكثير ، إنها لتفعل ما لا تفعل التوراة والإنجيل ، وتعني ما لا يغني التنزيل والتأويل ، وتصلح ما لا يصلح جبريل وميكائيل .

(١) المين : الكذب .

فصل من تعزية بحرمة

على أن النساء كالصِّدْف ، إذا انتزعت منه درّة الشرف . لم يصلح إلا للتلف ، والسعيد من حمل من دار الأمير نعشه ، وأسعد منه من جدد فرشته ، ولا خلة بالرجل أليق من الصبر ، ولا حصن للنساء أمتع من القبر ، أسأل الله الذي سلبه الكرم أن يمتعه بعنبتها ، ولا خير في النخلة وراء رطبها .

فصل - قد توسطت الشباب ، وتطرفت المشيب ، وقبضت من أثر الزمان . ونظرت في أعقاب الأمور ، وطرت مع الملوك ، ووقعت مع الخطوب ، والحي يأمر وينهى * وفارقتها والموت حزنان ينظر*^(١) .

فصل - لو رأي مولاي وأنا في قميص بأذنين ، وقباء ضيق الردين ، وعمامة كالقبة ، وخف تركي أعلاه جراب ، وأسفله غراب ، على برذون مضطرب التقطيع ، يرقصني كالرضيع - لعلم كيف تجري الفرسان ، وكيف تمسح الأذنان .

فصل من كتاب إلى أبيه

ولسيدنا أسوة بيعقوب في ولده ، إذ ظعن إليه من بلده . وليس العائق سور الأعراف ، ولا رمل الأحقاف ، ولا جبل قاف ، أخاف والله أن أموت ، وفي النفس مني حاجة لم أقضها ، أو منية لم أحظ ببعضها .

فصل - مثل الشيخ في التماس الخل ، مثل المكدي في التماس الخل ، تقدم إلى الخلال فقال : يا منكوح العيال صب قليلاً من الخل ، في هذا الإناء الجبل فقال الخلال : قبح الله الكسل ، هلا التمسّت بهذا اللفظ العسل ؟

فصل - يا هؤلاء تكابروا الله في بلاده ، ولا ترادوه في مراده ، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده . وما أرى آل فلان إلا مقدرين أنهم لم يأخذوا خراسان

(١) الرواية : « . . . والموت خزيان ينظر » .

قهرها ، إنما كانت لأهمهم مهرا . فلهم حولها تخييط ، والله من ورائهم محيط .

فصل - إني لأعجب من رأس يودع تلك الفضول فلا ينشق ، ومن عنق يقل ذلك الرأس فلا يندق .

فصل - كتابي كتاب من نسي الأيام وتذكره ، ويطوي العالم وينشره ، ثم ينبذ أبناء دهره ، وراء ظهره .

فصل - أنا على قرب العهد بالمهد قطعت عرض الأرض ، وعاشرت أجناس الناس ، فما أحد إلا بالجهل تبعته ، وبالخسران بعته ، وبالظن أخذته وباليقين نبذته ، وما مدح وضعته في أحد إلا أضعته ، ولا حمد صرفته في أحد إلا عرفته ، ومن احتاج إلى الناس ، وزنهم بالقسطاس . ومن طاف نصف الشرق ، لقي ربع الخلق .

فصل في مدح الأمير خلف

جزى الله هذا الملك أفضل ما جزى مخدوما عن خدمه ، ومنعماً على نعمه ، وأعانه على هممه . فلو أن البحار عدده ، والسحاب يده . والجبال ذهبه لقصرت عما يهبه ، فوالله ما التمر بالبصرة ، أقل خطراً من البدرة ، بهذه الحضرة أني لا أراها تحمل إلى المنتجعين إلا تحت الذيل في جنح الليل ، ولا شيء أيسر من الدينار ، بهذه الديار ، بينما المرء في سنة من نومه لتعب يومه وقصاراه قوت يومه ، إذ يقرع الباب عليه قرعاً خفياً ، ويسأل به سؤالاً [خفياً] ويعطي ألفاً خفياً .

فصل - للشيخ من الصدور ما ليس للفؤاد ، ومن القلوب ما ليس للأولاد فكأنما اشتق من جميع الأكباد ، وولد بجميع البلاد . سواء الحاضر فيه والباد . وكل أفعاله غرة في ناصية الأيام ، وزهرة في جنح الظلام ، إلا أن ما أوجبه لفلان

من روض أنا وسميه^(١) ، وطوق أنا قمريه^(٢) . وعود جمره لساني ، وخمر سكره
ضماني .

فصل إلى أبيه

إن الإبل على غلظ أكبادها لتحن إلى أوطانها ، وإن الطير لتقع عرض البحر
إلى مطانها ، وبلغني أن ابن ذي اليمينين طاهر بن الحسين لما ولي مصر داخلها
مضروبة قبابها مفروشة أرضها مزخرفة جدرانها والناس ركباناً ورجالاً والشار يميناً
وشمالاً ؛ فأطرق لا ينطق حرفاً ، ولا يرفع طرفاً ، ف قيل له في ذلك فقال : ما أصنع
بهذا كله ، وليس في النظارة عجائز بوشنج .

والعجب من حاضر أنطاكية صاحب آل ياسين وقد كذب وعذب وقتل وجر
برجله وأهلك قومه من أجله ، وقيل له (ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما
غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) فكأنه تمنى الجنة بلقيا قومه على سوء
جوارهم ، وقبح آثارهم .

وهذا أخو كندة^(٣) يقول [من الطويل] :

وهل ينعمن من كان أقرب عهد
ثلاثين شهراً أو ثلاثة أحوال
فما ظنه بي لاثنتي عشرة سنة ، على أن لي في رسول الله أسوة حسنة ،
وعسى الله أن يأتيني بكم جميعاً ، أو يأتيكم بي سريعاً .

فصل - وأجدني إذا قرأت قصة الخليل ، والذبيح إسماعيل ، أحس من
نفسي لسيدنا بتلك الطاعة ، لو وقع البلاء ، والعافية أوسع ، وأظنه لو تلتني^(٤)

(١) الوسمي : مطر الربيع .

(٢) الطوق : القدرة على الشيء ، أو الحلي في العنق ، والقمري : الحمام الحسن الصوت .

(٣) أراد بأخي كندة أمراً القيس بن حجر الكندي الشاعر الجاهلي المعروف .

(٤) تله للجبين : أي قلبه على قفاه وألقاه على عنقه وخده .

للجبين ، وأخذ مني باليمين ، لقطع الوتين ، لصنته عن الأئين ، علي بذلك ميثاق من الله غليظ، والله على ما نقوله حفيظ .

فصل - فتن تشظى^(١) ، ونار تلتظى ، وناس يأكل بعضهم بعضا ، فالنهار مصادرة ، والليل مكابرة ، وقتل عمرو وسلب زيد ، وانج سعد ، وهلك سعيد ، وثمان الرأس مندبل ، والبيئة العادلة سكين [ودار الحكم بيت القار ، واليمين الغموس فلان الحمار ، والجامع حانة الخمار] ولا شيء إلا السلاح والصباح وكل شيء إلا السكون والصلاح .

فصل - قد أهديت له فارتي^(٢) مسك تصلان بوصول كتابي هذا ، وبينهما من السلام أطيب منهما عرفا ، وأحسن وصفا .

فصل من رقعة إلى الشيخ الجليل أبي العباس

عبد من عباد الله أجرى الله أمره على الجروم والصرود ، وأنفذ حكمه بين اللحم والجلود ، وأراه البسطة في مراده ، والغبطة في أولاده ، والرشد في اعتقاده ، ومكن له في بلاده ، وله في غده أكثر مما في يده ، وما بقي أطيب مما لقي ، وبلغني أنه يضجر من أبناء الحاجات ترفع إليه ، والقصص تقرأ لديه ، وقد ضجرت ضجرة يحيى بن خالد ، فأرى في المنام فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول « إن ضجرت لازدحام الحاجات إليك ، أضجرك بانقطاعها عنك » .

فصل - وأظن الشيخ لو رآني لقلاني ، وما أقضي لأقصي العجب منه وفيه .

فصل - حج البيت مخنث فسئل عما رأى فقال : رأيت الصفا والحجون وقوماً يموجون ، وكعبة ترف عليها الستور ، وترف حولها الطيور ، وبيتا كيتي ،

(١) تشظى : تتفرق وتتوزع وتصب .

(٢) الفارة من المسك : الحق المليء به .

ولكن سل عن البخت ، لا عن البيت .

وابتاع بعض الهنود هذا السلجم المشوي فاتزن بدائق أرطالا ، ثم وجد الكمثرى تباع فقال : ما أغلاه نياً . وأرخصه مشوياً ، نويت أن أعتزل الناس حتى يعرفوا الكمثرى من السلجم ، إن لم يعرفوا الدينار من الدرهم ، فأنا اليوم حتى ينتصف المظلوم ، سكن أبو موسى الأشعري المقابر ، فقال : أجاور قوماً لا يغدرون ، فقليل له : مهلاً يا أبا موسى ، انما لا يغدرون لأنهم لا يقدررون .

فصل من رقعة إلى ثقل استأذنه للخروج

نعم ولا حُمُرُ النعم^(١) ، قاعة قعساء^(٢) ، كأنها ملساء ، ومنهج عريان ، تسلكه العميان ، وسمت لا عوج فيه ولا أمت^(٣) ، وماء برده الشتاء ، ولا يكدره الرشاء ، فاذهب حيث تشاء ، والدنيا والعراق ، والحبة أبلق ، ولك بالصين تخت والغنى غنى البحر ، ولك ما سألت بمصر ، وشر الحمام الداجن ، ومقيم الماء آسن . والكسل إضاعة ، والطراة بضاعة ، وإنك لتؤذن بالبين ، وتصبح عن سُرِّي القين ، ويلك ما هذه الرعونة ، وما هذه الأخلاق الملعونة ، تلمح بدلال ، والله إنك مجاناً لغال ، فابعدكما بعدت ثمود ، وابرح فقد طال القعود ، واذهب ذهاباً لا تعود .

فصل - كتبت وليس الشوق إلى لقائه بشوق ، إنما هو العظم الكسير ،

(١) حمر النعم : كناية عن الإبل .

(٢) القعساء : القعس : من خرج صدره ودخل ظهره خلقة . وقعس الشيء : عطفه وأماله .

(٣) والسمت : الطريق ، لا عوج فيه : أي لا اعوجاج فيه ، ولا أمت : ولا عيب .

والنزع العسير ، والسهم يسري ويسير . والنار تطيش وتطير . وليس الصبر عن رؤياك بالصبر إنما هو الصبر معجوناً بالصاب ، وتشريح العروق والأعصاب . والقلب في الميسر والأنصاب . والكبد في يد القصاب .

فصل - مرحباً بالشيخ وبناقة تحمل رحله ، وبأرض تلبس ظله ، ويوم يطلع علينا وجهه . وبليلة تلد قربه ، وإيه يا خطي الناقة ، فوق قوى الطاقة . ويا أرض انزوي كما تنزوي الجلد في النار . ويا منظر انطو انطواء الحية والطومار ، وعجل إلى الظماء ببارد الماء ، ومن على البلد القفر بصائب القطر .

فصل - أثني عليه ثناء لو رمى به الشتاء لعاد ربيعاً ، أودعى الشباب لآب سريعاً ، أو صب على الفراق لانتقلب شمالاً جميعاً .

فصل - جرجان وما أدراك ما جرجان ، أكلة من التين وموت في الحين ، ونظرة إلى الثمار والأخرى إلى التابوت والحفار ، ونجار إذا رأى الخراساني نجر التابوت على قده ، وأسلف الحفار على لحده . وعطار يعد بين الحنوط يرسمه . وبها للغريب ثلاث فتحات : أولها لكراء البيوت ، والثانية لابتياح القوت ، والثالثة لثمن التابوت .

فصل - كأنما خلق للدينا تحجيلاً ، ولملوكةا تخجيلاً ، وكأنما خلق ليقبل المستحيل مانعه ، وليصدق المحال سمعه . فليؤمن أن البحر يمشي على رجلين ، وأن المجد يتصور للعين . وأن العدل يتجسم ، والفضل يتبسم ، والدهر يتكرم ، والشمس تتكلم .

فصل - إن طلبت كريماً في أخلاقه . مت ولم ألاقه ، أو حكيماً في جوده ، مت قبل جوده . ولقد أفسدني على الناس وأفسدهم علي ، فما أرضى بعده أحداً ، ولم أجد مثله أبداً . وهذا وصف إن أطلته طال ، ونشر الأذيال ، واستغرق

القرطاس ، والأنفاس ، واستنفد الأعمار ، والأعصار ، ولم تبلغ التمام ،
والسلام .

فصل - كتبت ونصفي راحل ، والأحمال تشد ، والعلوفات تعد ، والجمال
تقدم والجمال يشتم . وما أشبه نفسي في هذه الأسفار إلا بالخيال الطارق ، أو
بلمع البارق ، أو الغلام الآبق ، أو الجواد السابق ، أو بهرب السارق ، أو
السهم المارق ، وإنما هو الشد والترحال ، والخيال والبغال ، والحمير والجمال .

فصل - عنوان الأحمق كنيته ، ثم بنيته ، ثم حليته ، ثم مشيته ، والله لا
أعرف البحتري ، فهلا أبو حامد وأبو خالد . وإن امرأة تقعد مدة تعصر بطنها
وظهرها ، وتعد يومها وشهرها . فهلا تجعل سرها وجهها ، ثم تسميه البحتري
لرعاء لاستحق مهرها ، وخليقة أن يطم الله نهرها ، فلا تلد دهرها . ثم الوجه
للحيم ، لا يحتمله الكريم ، والأنف السمين ، لا يحتمله الأمين . والقطف سير
الحمير ، والهرولة مشية الخنازير .

فصل - وما زالت جفنة آل جفنة تدور على الضيف ، في الشتاء والصيف .
حتى عثرت بحسان ، فارتفعت ذلك اللسان . فسير فيهم القصائد الحسان . فهذا
الزمان يخلق وهي جديدة ، وتلك العظام بالية ، وهذه محاسن باقية . وحق على
الله أن لا يخلي كرما من لسان يبيت أحدثته .

فصل - لسان كمقراض الخفاجي يضعه حيث يشاء ، وبحر لا تكدره
الدلاء ، وصدر كأنه الدهناء^(٣) وقلب كأنه الأرض والسماء ، وشرف دونه
الجوزاء .

فصل - الإنسان يولد على الفطرة من ظرفه استظرفه ، ومن لمحه استملحه ،

ثم لا يسمى قرطباناً . حتى يسعى زمانا ، فإذا تعب دهنراً طويلاً سمي كشحاناً ثقيلًا ، وإذا شب الصبي كان بالخيار ، إن شاء سمي لحم الحوار ، ولقب ذنب الحمار ، وكنى كذب الخار . وشبه بالجدار ، وأطلال الدار . وإن شاء نزهة الألباب ، ومتعة الأحباب ، ودمية المحراب ، وفرحة الاياب . وعلى الأم أن تلد البنين ، وتغذوهم سنين ، وتلهيهم الليل والنهار ، وتقيهم الماء والنار ، فإن خرجوا مخانيث فقد قضت ما عليها ، وإن قرم السرم ، فلغيرها الجرم ، وإن احتك السرج ، فعلى الله الفرج ، وعلى ابنها الحرج .

فصل - الوجه الحسن عنوان مخيل ، وضمان جميل . فإن عضده أصل كريم ، فأنا به زعيم ، وإن نصره بيت قديم ، فأنا له نديم ، والشيخ بحمد الله دارة البدر حسن إشراق ، وفأرة المسك طيب أخلاق ، وشجر الأترج طيب أعراق ، وطيب مذاق ، وطيب ورق وساق ، وحرج على من هذه خصاله ، أن يغبني وصاله . فأنا أخطب إليه مودته . وأبذل روحي لها مهرا ، فإن رأى أن يزوجنيها فعل إن شاء الله تعالى .

فصل - يلقي الشيخ بكتابي هذا من ذكر حريره فلقد أجدت ، وثمرة الغراب وجدت^(١) . ونعم ما اخترت ، والخير فيمن ذكرت . وأجبتة إلى ما سأل ، وسفدتجته له إلى الكريم بما أمل^(٢) ، وقلت : أده الآن ، وخاط كيساً على ماله ، وضمنت له تهنئة آماله ، فإن رأى أن يفك لساني ، من سر ضماني ، فعل إن شاء الله تعالى .

(١) ثمرة الغراب وجدت : أي لقيت الخصب يقال : هذه أرض لا يطير غرابها «أوليس غرابها بمطار» أي مخصبة .

(٢) سفدتجته : من السفطة ، وهي أن تعطي رجلاً مالاً فيعطيك وثيقة تسترد بها مالك من شريك أو عميل له في بلد آخر أنت مسافر إليه .

فصل - إن رضي الشيخ أن يواكل من لا يشاكل ويجانس من لا يؤانس .

فصل - مثلي أيد الله القاضي مثل رجل من أصحاب الجراب والمحراب
تقدم إلى القصاب يسأله فلذة كبد ، فسد باليسرى فاه ، وأوجع بالأخرى قفاه .
فلما رجع إلى منزله بعث توقيعا ، يطلب جملاً رضيعاً . كذاك أنا وردت فلا أكرم
بسلام ، ولا أتعهد بغلام ، فلما وجدته لا ييالي بسبالي^(١) كاتبته أشفع لسواي .

فصل - لو علم ما في صدر هذه الأيام ، من حر الكلام ، نفذ في هذه البقاع
من ظرف الرقاع . ثم ملكته هزة الفضل ، لطوى السير عاجلاً ، والأرض راجلاً .

فصل - سقاها الله من بلد ، وأهلها من عدد ، وفلانا من بينهم ، ولا
نصت إلا على عينهم . وحبذا كتابه واصلاً ، ورسوله حاصلاً ، فأني تحفة لم
تصل بوصوله ، وفضل لم يستفد من فصوله .

فصل - اليوم طلق ، والهواء رطب ، والماء عذب ، والبستان رحب ،
والسما مصحية ، والريح رخاء . فأين سيدي فلان ؟ أشهد ما اليوم جميلاً ، ولا
الظل ظليلاً ولا الماء يبرد غليلاً . ولا النسيم يشفي عليلاً . وأقسم ما الروض إلا
ثقيل ، والأنس إلا دخیل ، والدهر إلا بخيل . وفي ذلك يقول [من الطويل] :

وإني لتعروني لذكراك روعةً كما انتفض العصفور بلله القطر^(٢)

وليس الشوق إلى مولاي بشوق إنما هو وقع السهام ، ولا الصبر عن لقياه
بصبر إنما هو كأس الحمام ، وما للسم سلطان هذا الهم ، ولا للخمر طغيان هذا
الأمر .

(١) السبال : جمع سبلة : يقال جل حسن السبلة : أي رقيق الجلد . والسبال أيضا : طرف الشارب
ومقدم اللحية .

(٢) عرّاه : أصابه ، والقطر : الماء والندى . والبيت لأبي صخر الهذلي ، والمحموظ في صدره «إني لتعروني
لذكراك هزة» .

فصل - إن للشبان نزوة ، وللأحداث رقة . ولكن يربعون إذا جاءت الأربعون . ويفزعون ، وإن كانوا لا يجزعون ، ولقد نظرت في المرأة فرأيت الشيب يتلهّب وينهب ، والشباب يتأهّب ويذهب ، وما أسرج هذا الأشهب^(١) إلا لخبر ، وأسأل الله عاقبة خير .

فصل - أجدني قد اكتهلت ، والكهل قبيح به الجهل ، ولاحت الشعرات البيض ، وجعلت تفرّخ وتبيض .

فصل - جزى الله المشيب خيراً فإنه أناة ، ولا رد الشباب فإنه هنات ، وبش الداء الصبا وليس دواؤه إلا انقضاؤه ، وبش المثل النار ولا العار ونعم الرائضان الليل والنهار . أظن الشباب والشيب لومثلاً لمثل الأول كلبا عقوراً ، والآخر شيخاً وقوراً ، ولا شتعل الأول ناراً والآخر نوراً ، فالحمد لله الذي بيّض القار^(٢) ، وسماه الوقار ، وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد ، إن السعيد من شابت جملته ، ولم تخص بالبياض لحيته .

فصل من تهنئة بمولود

حقاً لقد أنجز الإقبال وعده ، ووافق الطالع سعده ، والشأن فيما بعده ، وحبذا الأصل وفرعه ، وبورك الغيث وصوبه ، والروض ونوره ، وسما أطلعت فرقداً ، وغابة أبرزت أسداً ، وظهر وافق سنداً ، وذكر يبقى أبداً ، ومجد سمى ولداً ، وشرف لحمة وسدى .

فصل - كتابي من هراة ولا هراة فقد طحتتها هذه المحن كما يطحن الدقيق ، وقلبتها كما يقلب الرقيق . وبلغتها كما يبلع الريق ، [والحمد لله على المكروه والمحبوب وصلواته على نبيه وآله] وقد خدمت الشيخ سنين ، والله لا يضيع أجر

(١) بيّض القار : يعني جعله شعره أبيض بعد أن كان أسود ، والقار : القطران .

المحسنين ونادمته والمنادمة رضاع ثان ، ومالحته والمالحة نسب دان ، وسافرت معه
والسفر والأخوة رضيعا لبان ، وقمت بين يديه والقيام والصلاة شريكا عنان ،
وأثنت عليه والثناء من الله [عز وجل] بمكان ، وأخلصت له والإخلاص محمود
بكل لسان ، أبعد هذه الحرمات ، أنا طعمة فلان وفلان يتناولاني سبعا في ثمان .
فصل - لعن الله فلانا فلا أراه في النوم ، إلا أصاب في ذلك اليوم .
فصل - ورأى أفواهاً فاغرة . وأضراساً طاحنة ، وعيالا وأذيالاً الله وكيلهم ،
وأنا أزنهم وأكيلهم .

فصل من كتاب تعزية

ولم تنسني أوفى المصيبات بعده ولكن نكء القرع بالقرع أوجع^(١)
والله ما يضرب الكلب ، كما يضرب هذا القلب . ولا يقطر الشمع ، كما
يقطر هذا الدمع . وما للسم سلطان على هذا الغم ، ونفسي إلى القبر ، أعجل منها إلى
الصبر . وأذني بالموت ، أنس منها بهذا الصوت . أولم يكفنا الجرح ، حتى ذر عليه
الملح ؟ ألم أكن من فلان مثقل الظهر ، فما هذه العلاوة على الحمل ، ولم هذه
الزيادة في الثقل ؟

فصل - وفيما يقول الناس من حكاياتهم أن أعرابياً نام ليلاً عن جملة ففقده ،
فلما طلع القمر وجده ، فرفع إلى الله يده . فقال : أشهد لقد أعليته ، وجعلت
السماء بيته . ثم نظر إلى القمر فقال : إن الله صورك ونورك ، وعلى البروج
دورك . وإذا شاء قورك وإذا شاء كورك^(٢) ، فلا أعلم مزيداً أسأله لك ولئن أهديت
إلى قلبي سروراً ، لقد أهدى إليك الله نوراً ، والشيخ ذلك القمر المنير ، لقد أعلى

(١) نكء القرع : قشره قبل أن يشفى ويندمل .

(٢) قورك : جعل فيك خرماء في وسطك كما يقور الثوب والبطيخ أي جوؤه . وكورك : أي لفك وجعلك
كالعمامة .

الله قدره ، وأنفذ بين الجلود واللحوم أمره . ونظر إليه وإلى الذين يحسدونه ، فجعله فوقهم وجعلهم دونه .

فصل - المرء جزوع لكنه حمول ، والإنسان في النوائب شמוש^(١) ثم ذلول . ولقد عشت بعد فراق الشيخ عيشة الحوت في البر ، وبقيت ولكن بقاء الثلج في الحر .

فصل - توجه فلان إلى الحضرة ، ويريد أن يقرن الحج بالعمرة ، ولا يقتصر على المشتري دون الزهرة ، ولا يقنع بالماء إلا مع الخضرة . وقصد من الشيخ الجليل يزخر بحره . وجعل الشيخ سفينة نجاته ، وذريعة حاجاته .

فصل - إن ذكر الجمال طلع بدرأ ، أو السحاب زخر بحرأ ، أو العهد رسخ صخرأ ، أو الرأي أسفر فجرأ . أو الحياء رشح خمرا ، أو الذكاء توقد جمرا .

فصل - جزى الله الشيخ خيراً عن بطن الساغب^(٢) ، وكف الراغب . وأعانه على همته ووفقه ، وأخلف عليه خيراً مما أنفقه ، فليس لمثل هذا العام ، إلا مثل ذلك الانعام العام . فلو انتقر ، لهلك من افتقر ، ولكنه أجفل وغمر الأعلى والأسفل ، فكأنما عاد الشتاء ربيعاً (ومن أحيائها فكأنما أحيأ الناس جميعاً) .

رقعة له إلى أبي محمد إسماعيل بن محمد

جواباً عن رقعة صدرت إليه وقد ورد هراة

مرحباً بسيدي إسماعيل ، وجد يفعل الأفاعيل ، ولا رقعة أرقع من هذه ، ما نصنع برقعة ، ونحن في بقعة . فليجعلها زيارة ، ثم الحاجة مقضية ، والحرمات مرعية .

(١) الشמוש : من الناس ، الصعب المراس الشديد العداوة .

(٢) الساغب : الجائع .

رقعة إليه أيضاً عند انصرافه

أنت يا سيدي أقرب رحماً ، وأنفذ حكماً ، ودونك الدار ، ولك فيها المقدار ، ويسرنى أن لا تغيب ولا تغب^(١) ، وتحب الخروج وأحب أن لا تحب . ولو علمت أنني إذا ناصبتك أقمت ، فعلت ذلك ولو نقت . فأقم ريثما تنقضي هذه الأشغال وتنقشع هذه الضبابات . فتنفرغ لقضاء حقك ، وتتسع لواجب لك . ثم إن أبيت إلا الرد ، وإلا الصد ، فإني أراك قبل أن حصلت سرت ، وقبل أن حوصلت طرت . وما قابلنا حقوقك إلا بالعقوق ، والسلام .

فصل - لعلك يا سيدي لم تسمع بيتي الناصح حيث قال [من مجزوء الكامل] :

اسمع مقالة ناصح جمع النصيحة والمقه^(٢)
إياك واحذر أن تكون من الثقة على ثقه

صدق [الشاعر] والله وأجاد فللثقة خيانة في بعض الأوقات . هذه العين تريك السراب شراباً ، وهذه الأذن تسمعك الخطأ صواباً . فلست بمعذور ، إن وثقت بمعذور . وهذه حال السامع من أذنه ، الواصل بعينه . وأرى فلاناً يكثر غشيانك وهو الدني دخلته ، الرديء نحلته ، السيء وصلته ، الخبيث جملته ، وقد قاسمته في أزرك ، وجعلته موضع شرك ، فأرني موضع شرك . فأرني موضع غلطك فيه ، حتى أريك موضع تلافيه . ما أبعد غلطك عن غلط إبراهيم عليه السلام ! إنه رأى كوكباً ، ورأيت تولباً^(٣) ، وأبصر القمر وأبصرت القدر ، وغلطفي الشمس ، وغلطت في الرمس ، أظاھرہ غرك أم باطنه شرك ؟

(١) الغب : الزيارة فترة بعد فترة وللرسول الكريم حديث يقول : زرْ غَبًا ولا تزرْ خَبًا .

(٢) المقه : المحبة .

(٣) التولب : الجحش .

ومن هذا الفصل - وافتتح صلواتك بلعنه ، وإذا استعذت من الشيطان فاعنه .

فصل من رقعة إلى وارث مال

العزاء عن الأعزة رشد كأنه الغي ، وقد مات الميت فليحي الحي ، واشدد على حالك بالخمس ، فأنت اليوم غيرك بالأمس ، قد كان ذلك الشيخ وكيلك يضحك ويبكي لك ، وسيعجم الشيطان الآن عودك^(١) ، فإن استنالك رماك بقوم يقولون : خير المال متلفة بين الشراب والشباب ، ومنفقة بين الحباب والأحباب . والعيش بين القداح والأقداح ، ولولا الاستعمال ما أريد المال ، فإن أطعتهم فالיום في الشراب ، وغدا في الخراب ، واليوم واطربا للناس ، وغدا واحرابا من الإفلاس .

يا مولاي ، ذلك المسموع من العود ، يسميه الجاهل نقرا ، ويسميه العاقل عقرا ، وذلك الخارج من الناي هو اليوم في الأذان زمر ، وهو غدا في الأبواب سمر ، والعمر مع هذه الآلات ساعة ، والقنطار في هذا العمل بضاعة .

فصل [منه] - الله في مالك قسط للمروءة قسم ، فصل الرحم ما استطعت ، وقدّر إذا قطعت ، ولأن تكون من جانب التقدير ، خير لك من أن تكون من جانب التبذير .

فصل - أشار إلى ضالة الأحرار ، وهي الكرم مع اليسار ، ونبه على قدر الكرام ، وهو البشر مع الإنعام ، وحدث عن برد الأكباد ، وهو مساعدة الزمان للجواد ، ودل على نزهة الأبصار وهو الثرى . ومتعة الأسماع وهو الشنا . وقلّما اجتمعا ووجدما معاً .

(١) أعجم عوده : عضّه وامتنحه ليعلم صلابته من رخاوته .

فصل - الأمير [الفاضل الرئيس] رفيع مناط الهمة ، بعيد منال الخدمة ،
 فسيح مجال الفضل ، رحيب مخترق الجود ، [طيب معجم العود] [من
 المجتث] :

فلو نظمت الثرياً والشعريين قريضا
 وكاهل الأرض ضرباً وشعب رضوى عروضاً
 وصغت للدرّ ضدّاً أو للهواء نقيضا
 بل لو جلوت عليه سود النوائب بيضا
 [أو ادّعت الثريا لأخصيه حضيضاً^(١)
 والبحر عبداً لهاه عند العطاء مغنيا]

لما كنت إلا في ذمة القصور وجانب التقصير . ولكني أقول الشئ منجح
 أنى سلك ، والسخي جوده بما ملك ، وإن لم تكن غرة لائحة فلمحة دالة ، أو إن
 لم يكن صداء فماء^(٢) . أو لم يكن خمر فخل ، وإن لم يصب وابل فطل . وبذل
 الموجود ، غاية الجود [وبعض الحمية آخر المجهود ، وماش خير من لاش]
 ووجود ما قل ، خير من عدم ما جل ، وقليل في الجيب ، خير من كثير في الغيب ،
 وجهد المقل ، أحسن من عذر المخل ، وما كان أجود من لو كان ، ولأن تقطف ،
 خير من أن تقف . ومن لم يجد الجميم^(٣) ، رعى الهشيم .

فصول قصار، وألفاظ، وأمثال

المرء لا يعرف ببرده ، كالسيف لا يعرف بغمده ، جرحُ الجور ، بعيد
 الغور^(٤) نار الخفاء سريعة الانطفاء ، الحذق لا يزيد الرزق . والدعة لا تحجب

(١) الأخصان : القدمان ، أو أطرافهما . والحضيض : كل ما سفل من الأرض .

(٢) الصداء : العطش .

(٣) الجميم : النبات الكثير المنتشر .

(٤) الغور : العمق والمدى .

السعة احتكم إلى الحجارة ، فالتقتير نصف التجارة ، غضب العاشق أقصر عمراً ، من أن ينتظر عذراً ، إن بعد الكدر صفواً ، وبعد المطر صحواً . الراجع في شيء كالراجع في قيئه . المرء من ضره في شغل ، ومن نفسه في كل . الحبل لا يبرم إلا بالقتل ، والثور لا يربى إلا للقتل ، أرخص ما يكون النفط إذا غلا ، وأسفل ما يكون الأريب إذا علا . لا تحسد الذئب على الألية يعطاها طعمة ، ولا تحسب الحب ينثر للعصفور نعمة ، إن للمتعة حداً ، وإن للعارية رداً^(١) . ما كل مائع ماء ، ولا كل سقف سماء . ولا كل بيت بيت الله ، ولا كل محمد رسول الله ، الكريم عند أهل اللوم ، كالماء في فم المحموم ، وسم المبرسم في الشهد ، والشمس تقبح في العيون الرمد . الخبر إذا تواتر به النقل قبله العقل ، كلفة الفضل متعينة ، وأرض العشرة لينة ، وطرقها بينة . إن الوالي سيعزل والراكب يستنزل النذل لا يألم العذل^(٢) . المدبر يحسب النسيئة عطية^(٣) ، ويعتد بها هدية . الدهر بيننا جرع ، وفيما بعد متسع ، لا ماء بعد الشط ، ولا سطح بعد الخط ، من ذا الذي لا يهاب البحر أن يخوضه ، والأسد أن يروضه . ود الحضر إخاء ومروة ، وود السفر وفاء وفتوة . قلت قسماً إن فيه لدسماً ، ليلة يضل بها القطا ، ولا يبصر فيها الوطواط الوطا ، شحاذ أخاذ ، وفي الصنعة نفاذ ، وهو فيها أستاذ . فارقنا خشفاً وأتى جلفاً^(٤) أرب ساقه ، لا نزاع شاقه ، أبعد المشيب أخدع بالديب . فعل ذلك على السخط ، من القرط ، خمر في الدنيا متاعها قليل ، وفي الآخرة خمارها طويل الحرب سجال : فيوماً غنم ، ويوماً غرم . ومطل الغنى ظلم . كذب القميص لا ذنب للذيب في تلك الأكاذيب . من الكبائر طفيلي يدب ، ومن النوادر ذباب ينب^(٥) ، إنما يجرب السيف على الكلب ، لا على

(١) العارية : ما تعطيه غيرك على أن يرده إليك « الأمانة » .

(٢) العذل : اللوم .

(٣) النسيئة : تأخير العطية .

(٤) الخشف : ولد الغزال ، والجلف : الفظ الغليظ الطباع .

(٥) ينب : يصيح .

القلب . إذا رضيت أن أخدم ولا أخدم ، فإن العبودية لا تعدم . الجواد لا يجزع من الآكاف^(١) جزعي من المخاطبة بالكاف . ما بي المكان لولا السكان ، والله ما أرضى ولو صارت السماء أرضاً ، ولا أريد ولو قطع الوريد . لا تكاد السباع تأتلف كما لا تكاد البهائم تختلف . إن اللئيم لا يخلو من خلة خير ، وكذلك الكريم لا يخلو من خلة ضير . عزيز على أن لا أسعد دون الرقعة بتلك البقعة . العبث بهن الحمار ، من المخاطر الكبار . ولو شئت للفظت وأفضت ، ولو أردت لسردت وأوردت .

* * *

ملح وغرر من شعره في كل فن

أنشدني لنفسه في ابن فريغون [من المتقارب] :

لم تر أني في نهضتي	لقت المنى والغنى والأميرا
ولما التقينا شمت التراب	وكنت امرءاً لا أشم العبيرا
لقت امرءاً ملء عين الزما	ن يعلو سحاباً ويرسو ثبيرا ^(٢)
لآل فريغون في المكرمات	يدُ أولاً واعتذار أخيرا
إذا ما حللت بمغناهم	رأيت نعيماً وملكا كبيراً

وأنشدني من قصيدة في أبي عامر عدنان بن محمد الضبيّ [من الكامل] :

ليل الصبّا ونهاره سكران	حدثان لم يعركهما حدثان
يا زمفرة لي لا يكاد أزيها	يسع الضلوع إليك يا همذان
قسما لقد فقد العراق بي امرءاً	ليس تجود برده البلدان

(١) الآكاف : البراذع .

(٢) يعلو سحاباً ويرسو ثبير : أي في علوه يكون كالسحاب ، وفي رسوه كالجبال .

يا دهر إنك لا محالة مزعجي عن خطتي ولكل دهر شأن
فاعمد براحتي هراة فإنها عدن وإن رئيسها عدنان
وله من قصيدة في الأمير أبي علي أولها [من البسيط] :

على أن لا أريح العيس والقتبا وألبس اليد والظلماء واليلبا^(١)
ومنها :

حسبي الفلا مجلساً والبوم مطربةً والسير يسكرني من مسّه تعباً
وطفلة كقضيّب البان منعظاً إذا مشت وهلال الشهر منتقبا
تظلّ تنثر من أجفانها درراً دوني وتنظم من أسنانها حبا^(٢)
قالت وقد علقت ذيلي تودّعني والوجد يخنفها بالدمع منسكبا
لا درّ درّ المعالي لا يزال لها برق يشوقك لا هوناً ولا كثبا
يا مشرعاً للمنى عذباً موارده بيناه مبتسم الأرجاء إذ نضبا^(٣)
أطلعت لي قمراً سعداً منازلته حتى إذا قلت يجلو ظلمتي غربا
كنت الشبيبة أبهى ما دجت درجت وكنت كالورد أذكى ما أتى ذهابا
ومنها :

أبى المقام بدار الذلّ بي كرمٌ وهمّة تصل التوحيد والخبا^(٤)
وعزّمة لا تزال الدهر ضاربةً دون الأمير وفوق المشتري طنباً^(٥)

(١) القتب : الرجال ، واليد : الصبحاري ، واللب : جلود يخرز بعضها إلى بعض وتلبس على الرؤوس ،
أو الدروع البانية .

(٢) الحبيب : الأسنان المنضّدة المتراففة .

(٣) المشرع : مورد الماء ، النبع ، والموارد : ورود الماء للشرب ، بيناه : أي بينا هو ، ونضب الماء :
جفّ .

(٤) الوخذ : نوع من الجري ، يقال : وخذ الجمل : أي أسرع ورمى بقوائمه كالنعام ، والخيب : كذلك
نوع من الجري فيه سرعة .

(٥) الطنب : الأعمدة .

يا سيّد الأمراء فخر فلا ملكٌ
وكاد يحكيك صوب الغيث منسكباً
والدهر لو لم يخزن والشمس لو نظقت
والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

ومن أخرى في أبي القاسم بن ناصر الدولة [من مجزوء الكامل] :

غُضِّي جفونك يا ريا ض فقد فتنت الحور غمزا
واقني حياءك يا ريا ح فقد كددت الغصن هزاً^(١)
وارفق بجفنك يا غما م فقد خدشت الورد وخزا
خلع الربيع على الرّبي وربوعها خزاً وبزاً
ومطارفاً قد نقّشت فيها يد الأمطار طرزا
أسر المطيِّ إلى المدا م على جنيّ الورد جمزا^(٢)
أو ما ترى الأقطار قد أخذت من الأمطار عزاً
أو ليس عجزاً أن يفو تك حسّها؟ أو ليس عجزا
حلّت عزاليها السما ء فعادت البداء نزاً^(٣)
وكأنّ أمطار الربيع مع إلى ندى كفّيك تُعزي^(٤)
يا أيها الملك الذي بعساكر الآمال يُغزي
خلقت يداك على العدا سيفاً وللعافين كنزا
والمدح طلق ما عنا ك فإن عداك تجده كزاً^(٥)
لا زلت يا كنف الأمير لنا من الأحداث حرزا

ومن أخرى [من الكامل] :

-
- (١) اقني : الزمي ، وكددت : أتعبت .
(٢) الجمز : عدو يقارب الإسراع ، أو الوثب السريع .
(٣) العزالي : القرب « يريد شدة المطر » والنز : ما يتحلّب أو يسيل من الأرض من ماء .
(٤) تعزي : تعاد وترجع .
(٥) طلق : حرّ طليق . كزاً : فظاً جافياً .

خرج الأمير ومن وراء ركابه
أصبحت لا أدري أأدعو طغمتي
وبقيت لا أدري أأركب أبرشي
يا سيد الأمراء مالي خيمة
كنفي بعيري إن ظعنتُ ، ومفرشي
يا منجنون بحذف ثاني حرفه
غيري ، وعز عليّ أن لم أخرج
أم بكتكين أم أصبح ببزعج
أم أدهمي أم أشهبي أم ديرجي^(١)
إلا السماء إلى ذراها ألتجي
كمي ، وجنح الليل مطرَحُ هودجي
إن كنت فاعل ما أرى فتحرّج

ومن أخرى في الرئيس أبي جعفر الميكالي [من مجزوء الرمل] :

أذهب الكأس فعرف الفجر قد كان يلوح
وهو للناس صباح ولذي الرأي صبح^(٢)
والذي يمرح بي في حلبة اللهو جموح
اسقنيها والأمانى لها عرف يفوح
إن في الأيام أسرا رأ بها سوف تبوح
لا يغرنك جسم صادق الحسن وروح
إنما نحن إلى الأجال نغدو ونروح
[ويك هذا العمر تفريح وهذا الروح ريح]
بينما أنت صحيح الجسم إذ أنت طريح
فاسقنيها مثل ما يلفظه الديك الذبيح
هكذا الدنيا فسيحوا ووقعنا لا نصيح
إنما الدهر عدو ولمن أصغى نصيح
ولسان الدهر بالوعظ لواعيه فصيح
نستمح الدهر والأيام منا تسميح

(١) الدينج : الخيل « بالفارسية » .

(٢) الصبح : الخمر .

ضاع ما نحميه من أنفسنا وهو يبيع
نحن لاهون وأجا ل المنى لا تستريح
يا غلام الكأس فالـيأس من الناس مريح
أنا يا دهر بأبنا نك شق^(١) وسطيح^(٢)
وبأبكار القوافي لا على كفاء شحيح^١
يا بني ميكال والجو د لعلا تي مزيج
شرفاً إن مجال الفضل فيكم لفسيح^٢
وعلى قدر الممدوح يأتيك المديح
فهنالك الشرق الأرفع والطرف الطموح
والندی والخلق الطا هر والوجه الصيح^٣

ومن أخرى في غيره [من مجزوء الكامل] :

طرباً لقند رقّ الظلا م ورق أنفاس الصّباح
وسرى إلى القلب العليل عليل أنفاس الرياح
ومليحة ترنو بنر جسة وتبسم عن أقاح
قامت وقد برد الحلـلي تـميس في ثني الوشاح
تشدو وكل غنائها برد على كبـد اقتراحي
يا ليل هل لك من صبا ح أم لنجمك من براح^(١)
سأريق ماء شيبتي ما بين ريحان وراح
فيم العتاب ولا لهم غني ولا لهم صلاحي
وكعاذلاتي في المليد حة عاذلاتك في السماح
وهوأي للبيض الصبا ح هواك للبيض الصّفاح

(١) شق وسطيح : من كهنة الجاهلية .

(٢) البراح : إسم علم للشمس .

وولوع كفي بالقدا ح ولوع كفك بالراح
وعليك إدمان الندى وعليّ إدمان امتداحي
فليعلُ رأيك إنّه يلوي يد القدر المتاح
وافخر فإنك في الملو ك لك المعلى في القдах^(١)

ومن أخرى [من مجزوء الرمل] :

قسماً لا ذعرَ الشَّيب عن اللهو رتاعي^(٢)
ويميناً لا تمثّلت له فقعاً بقاع^(٣)
إنّما الدهر الذي يصدقني حرُّ المصاع^(٤)
كالني مدا وأجزيه من الحلم بصاع
واغنم الأيام ما ألفيتها خضر المراعي
لا تدعُ من لذة العيش عياناً لسمع

ومن أخرى في السلطان المعظم يمين الدولة وأمين الملة أطل الله بقاه [من
الهجج] :

تعالى الله ما شاء وزاد الله إيماني
أفريدون في التاج أم الإسكندر الثاني
أم الرجعة قد عادت إلينا سليمان
أظلتُ شمس محمود على أنجم سامان
وأمسى آل بهرام عبيداً لابن خاقان

(١) الملع : سابع سهام القمار .

(٢) الرتاع : تتبع أماكن اللهو والشراب .

(٣) الفقع : فقع النبات أي اشتدت صفوته يريد أن يقول : إنه لن يتخلّى عن حياته المنعمة المترفة ولو كان الشيب نذير تحوّل له عنها .

(٤) المصاع : من الصاع ، وهو المكيال الذي تكال فيه الحبوب .

إذا	ما	ركب	الفيل	لحربٍ	أو	لميدان
رأت	عيناك	سلطاناً	على	منكب	شيطان	
أمن	واسطة	الهند	إلى	ساحة	جرجان	
ومن	قاصية	السند	إلى	أقصى	خراسان	
على	مقتبل	العمر	وفي	مفتوح	الشان	
لك	السرّج	إذا	شحت	على	كاهل	كيوان
يمين	الدولة	العقبى	لبغداد	وغمدان		
وما	يقعد	بالمغر	ب	عن طاعتك	اثنان	
إذا	شئت	ففي	أمنٍ	وفي	يمنٍ	وإيمان

ومن أخرى أجاب بها عن قصيدة وردت عليه [من الطويل] :

لعمر المعالي إن مطلبها سهلُ	سوى أنها دارٌ وليس لها أهلُ
حنانيك من حرٍّ ألمٌ بمشعرٍ	هم الشاء رسلٌ إن أدرت ولا رسلُ
فحاول أن يستلّ بالشعر ما لهم	وذلك ما لم يفعل اليد والفعل
شكا الجدّ والأيام إذ لم تواته	فلم يشك إلا ما شكى الناس من قبلُ
عزاءٍ ففي هذا السواد لنا نخل	وصبراً ففي هذا القطيع لنا سخل ^(١)
ألم تر أن الجود والمجد والعلی	أمانیّ إن تحلم بها يجب الغسل
ألا لا يغرّك الحسين وجوده	فترجّو قوماً ليس في كأسهم فضل
فما كلُّ وقتٍ مثله أنت واجدُ	ولا كلُّ أرضٍ للحسين بها مثل
وما كلُّ جنسٍ تحته النوع داخلُ	ولا كلُّ ما أبصرت من شجرٍ نخل
ولن تفعل الأقوام مثل فعالة	ولا سائر الذبان ما تفعل النحل

ومن أرجوزة عدنانية [من الرجز] :

(١) السَّخْل : ولد الضأن والمغزى ، للذكر والأنثى .

يا آل عصم أنتم أولو العصم
لا ينزع الله سراويل النعم
طابت مبانيكم وطبتم لا جرم
تهمي سجاياكم بعقيان ودم
الجار والعرض لديكم في حرم
أنتم أسود المجد لا أسد الأجم
بالعمد الأطول والفرع الأشم
عارفة تضرم ناراً في علم
أما وإنعامك إنه قسم
إنك في الناس كبرء في سقم
وبعد ما بين الموالى والخدم
ولا أمرؤ كحاتم وإن حتم
ولا شباب النبت فيها كالهم

لم توسموا إلا بنيران الكرم^(١)
عنكم فلا تخطوا بهادون الأمم
يا سادة السيف وأرباب القلم
أنتم فصاح ما خلا في لا ولم^(٢)
والمال للأمال نهب مقتسم
يا سيداً نيظ له بيت القدم^(٣)
هل لك أن تعقد في بحر الشيم
ويقصر الشكر عليها قل نعم
وثغر مجد عن معاليك ابتسم
يا فرق ما بين الوجود والعدم
ما أحد كهاشم وإن هشم^(٤)
ليس الحدوث في المعالي كالقدم^(٥)
شتان ما بين الدنانى والقمم

وله من قصيدة في الشيخ الإمام أبي الطيب سهل بن محمد بن سليمان [من مجزوء
الوافر] :

لسهل في العلا غررُ فهلاً عندكم لمحُ
وفيه من الندى بدعُ فهلاً فيكم ملحُ

-
- (١) العصمة : صفة من لا يقع في الخطأ أو الرذيلة . توسموا : توصفوا .
(٢) تهمي : تمطر ، وسجاياكم : طبائعكم وأخلاقكم والعقيان : الذهب الخالص . والمعنى العام : إن
سجاياكم الكرم والشجاعة والفصاحة ، وليس لىلا ، ولم في لغتكم مكان ، لأنها يشير إلى البخل
وعدم العطاء .
(٢) الأجم : الشجر الكثير الملتف ، ونيظ : علق عليه الأمل مثلاً .
(٤) هشم : كسر ، أو أكرم وعظم .
(٥) حتم : قضى وأجاب وحكم .

تضمّن أمةً رجلٌ وأودع عالماً شبحُ
 فمن جاره منقطعٌ ومن باراه مفتضحُ
 وله من قصيدة في إسماعيل بن أحمد الدبراني وفيمن جمعه وإياهم الحبس
 من العمال [من المنسرح] :

قبحاً لهذا الزمان ما أربّه
 ماذا عليه من الكرام فما
 ألم يجد في سواكم سعةً
 لا يعرف الضيف أين منزله
 مالي أرى الحرّ ذاهباً دمه
 أراحنا الله منك يا زمناً
 يا ساغباً جائع الجوارح لا
 يا ضرماً في الأنام متقدماً
 يا خاطباً ساكتاً وليس سوى
 يا صائداً والعلی فريسته
 يا سادتي لا تلن عظامكم
 فالدهر لonian لا يدوم على
 أتى بشرٌ لم نرتقبه ، كذا
 في عملٍ لا يلوح لي سببه
 تظهر إلا عليهم نوبة
 ممّن يسوي برأسه ذنبه
 ولا يرى المجد أين منقلبه
 ولا أرى النذل ذاهباً ذهبه
 أرعن يصطاد صقره خربه^(١)
 يسكن إلا لفاضلٍ سغبه
 والجود والمجد والنهي خطبه
 نعي فتى أو فتوة خطبه
 وناهباً والجمال منتهبه
 لعضة الدهر إن يهيج كلبه
 حالٍ سريعٍ بالناس مضطربة
 يأتي بخيرٍ وليس نحسبه

وله من قصيدة في أبي نصر بن أبي زيد [من الوافر] :

خلقتُ كما ترى صعب الثقافِ
 ولي جسدٌ كواحدة المثاني
 أردّ يد الخليفة في الخلاف
 ولي كبدٌ كثالثة الأثافي^(٢)

(١) الأرعن : الجاهل . الحرب : الجبان .

(٢) المثاني : من المثانة : مستقر البول وموضعه . والأثافي : حجر الموقد .

هلمَّ إلى نحيفِ الجسمِ مَنِي
ألم تر أن طائشةً لظاها
صحبت الدهر قبل نبات فيه
نزلت من الزمان ومن بنيه
ولو شاء الزمان قرار جأشي
أبا نصرٍ نقصتُكَ صاع قولي
متى يستطيع عدَّ علاك لفظي
وله من أخرى في خلف بن أحمد [من الطويل] :

وليلٍ كذكره كمعناه كاسمه
شققنا بأيدي العيس برد ظلامه
ترجّ بنا الأسفار في كلِّ شاهرٍ
كان مطايانا شفاراً كأنما
كان نجوم الليل نظارةً لنا
كان نسيم الصبح فرصة آيس
كدين ابن عبادٍ كإدبار فائق
وبتنا على وعدٍ من السير صادق^(٣)
وترمي بنا الآمال من كلِّ حالٍ^(٤)
تمدُّ إليهنّ الفلا كفُّ سارق
تعجّب من آمالنا والعوائق
كان سراب القيط خجلة واثق

ومن أخرى [من الطويل] :

سماء الدجى ما هذه الحدق النجلُ
أصدر الدجى حالٌ وجيد الضحى عطلُ^(٥)

(١) طائشة : أي سهماً طائشاً ، أو خربةً والقضب : الشجرة امتدت وطالت أغصانها ، فينخذ منها القسي .

(٢) الغداف : الجناح الأسود والخافية من الريش التي تأتي بعد ريش مقدّم الجناح .

(٣) العيس : النوق ، وفي الديوان : « وبتنا على وعدٍ من الصبح . . . »

(٤) ترجّ : ترمي وتدفع . والمعنى أي تضطربنا الأسفار إلى ركوب الصعاب وتدفعنا الآمال إلى التحليق في كل مكان .

(٥) النجل : الواسعة ، وجيد عطل : أي لا حيلٍ فيه .

لك الله من عزم أجوب جيوبه
 كأن الدجى نفع وفي الجوحومة
 كأن مطايانا سماء كأننا
 كأن السرى ساق ، كأن الكرى طلا
 كأن الفلا نادر به الجن فتية
 كأن أبانا أودع الملك الذي
 ولما بلوناكم تلونا مديحك
 ويا ملكاً أدنى مناقبه العلى
 هو البدر إلا أنه البحر زاخراً
 محاسن يديها العيان كما ترى
 ومن أحاجيه قوله في فص برحشاني [من الهزج] :

أحاجيك أناجيك بما يهجس في صدري
 بما يجمد من خمير وما يخمد من جمر
 وما يورد معناه إذا قلت على أمري
 ونجم كاد ذو الحاجبة في الليل به يسري
 وحرف من حروف النصيب لولا خفة الظهر
 أجب إن شئت بالنظم وإن شئت فبالثر

* * *

(١) الأقتاب : الرجل الصغير على ظهر البعير .

(٢) المظل : التسويق من الماطلة .

(٣) الضرغام : الأسد الشجاع ، والوبل : المطر .

الباب السادس

في ذكر أبي الفتح البستي
وسائر أهل بست وسجستان وإيراد غررهم

٦٥ - أبو الفتح علي بن محمد الكاتب البستي

صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس الأنيس . البديع التأسيس ، وكان يسميه المتشابه ، ويأتي فيه بكل طريقة لطيفة ، وقد كان يعجبني من شعره العجيب الصنعة البديع الصيغة قوله [من البسيط] :

من كل معنى يكاد الميت يفهمه حسناً ويعبده القرطاس والقلم

ما أراه فأرويه ، وألحظه فأحفظه . وأسأل الله بقاءه ، حتى أرزق لقاءه .
وأتمنى قربه كما تتمنى الجنة وإن لم يتقدم لها الرؤية ، حتى وافقت الأمانة حكم
القدر وطلع علي بنيسابور طلوع القمر . فزاد العين على الأثر ، والاختبار على
الخبر . ورأيته يغرف في الأدب من البحر ، وكأنما يوحى إليه في النظم والنثر ، مع
ضربه في سائر العلوم بالسهم الفائز ، وأخذه منها بالحظ الوافر ، وجمعه وإياي
لحمة الأدب ، التي هي أقوى من قرابة النسب . فما زلت في قدماته الثلاث
نيسابور بين سرور وأنس مقيم ، من حسن معاشرته وطيب مذاكرته ومحاضرتة ،
في جنة نعيم أجتني ثمر الغراب من فوائده ، وأنظم العقود من فرائده . ولم يكن
تغبني كتبه في غيبته ، ولا أكاد أخلو من آثار وده ، وكرم عهده .

ومن خبره أنه كان في عنفوان شبابه وأمره كاتب الباتير ، صاحب بست ، فلما فتحها الأمير ناصر الدولة أبو منصور سبكتكين رضي الله تعالى عنه وأسفرت الوقعة بينه وبين باتير عن استمرار الكشفة بباتير أعيت أبا الفتح صحبتة ، وتخلف عنه ، ودل الأمير عليه فاستحضره ومناه واعتمده لما كان قبل معتمداً له ، إذ كان محتاجاً إلى مثله في آله وكفايته ، ومعرفته وهدايته ، وحنكته ودرايته .

فحدثني أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتيبي قال : حدثني أبو الفتح رحمه الله تعالى قال : لما استخدمني الأمير سبكتكين وأحلني محل الثقة الأمين ، عنده في مهمات شأنه وأسرار ديوانه ، وكان باتير بعد حياً ، وحسادي يلوون ألسنتهم بالقدح في والجرح لموضع الثقة بي ليّاً ، أشفقت لقرب العهد بالاختبار من أن يعلق بقلبه شيء من تلك الأقوال ، ويقرطس عرض القبول بعض تلك النبال ، فحضرته ذات يوم وقلت : إن همة مثلي من أرباب هذه الصناعة لا ترتقي إلى أكثر مما رأي الأمير أهلاً له من اختصاصه واستخلاصه وتقريبه وترتيبه واختياره لمهمات أسرار ، غير أن حداثة عهدي بخدمة من كنت به موسوماً واهتمام الأمير بنقض ما بقي من شغله يقتضيانني أن أستأذنه للاعتزال إلى بعض أطراف مملكته ريثما يستقر له هذا الأمر في نصابه ، فيكون ما آتية من هذه الخدمة أسلم من التهمة ، وأقرب إلى السداد ، وأبعد من كيد الحساد ، فارتاح لما سمعه ، وأوقعه من الإحماد موقعه ، وأشار علي بناحية الرخج ، وحكمني في أرضها أتبوا منها حيث أشاء ، إلى أن يأتيني الاستدعاء ، فتوجهت نحوها فارغ البال ، رافع العيش والحال ، سليم اللسان والقلم ، بعيد القدم من مخاضات التهم ، وكنت أدلجت ذات ليلة ، وذلك في فصل الربيع ، أوّم منزلاً أمامي ، فلما أصبحت نزلت فصليت وسبحت ودعوت وقمت للركوب ففتح ضياء الشروق طرفي على قرية ذات يمنة محفوفة بالخضرة . معمومة بالنور والزهر . وأمامها أرض كأنها قد فرشت ببساط من الزبرجد منضد بالدر والمرجان ، مرصع بالعقيق والعقيان . ينساب بينها أنهار

كبطون الحيات ، في صفاء ماء الحياة ، وقد فغمني من نسيم هوائها عرف المسك
السحيق ، بالعنبر العتيق . فاستطبت المكان ، وتصورت منه الجنان ، وفزعت
إلى كتاب أدب كنت أستصحيبه لأخذ الفال على المقام والارتحال ، ففتحت أول
سطر من الصفحة عن بيت شعر وهو [من مجزوء الكامل] :

وإذا انتهيت إلى السلا مة في مداك فلا تجاوز

فقلت : هذا والله الوحي الناطق ، والفأل الصادق ، وقد تقدمت بعطف
ضبني إليها^(١) . وعشت ستة أشهر بها في أنعم عيش وأرخاه ، وأهنا شرب وأمراه .
إلى أن أتاني كتاب الأمير في استدعائي إلى حضرته بتبجيل وتأميل ، وترتيب
وترجيل ، فنهضت وحظيت بما حظيت منها إلى يومي هذا ، فكان اختياره ذلك
أحد ما استدل به ذلك الأمير على رأيه وتدبيره ورزاقته ، ودرجه به إلى محله
ومكانته ، وصار من بعد ينظم بأقلامه ، منشور الآثار عن حسامه ، وينسج
بعباراته . وشي فتوحه ومقاماته ، وهلم جرا إلى زمان السلطان المعظم يمين الدولة
وأمين الملة .

وقد كتب له عدة فتوح ، قال في أحد كتبها : كتبت وقد هبت ريح النصر من
مهبها ، والأرض مشرقة بنور ربها .

إلى أن زحزحه القضاء عن خدمته ، ونبذه إلى ديار الترك عن غير قصده
وإرادته ، فانتقل بها إلى جوار ربه في سنة اربعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها
أفضل الصلاة والسلام .

* * *

(١) بعطف ضبني : أي بالاتجاه ناحيتها وخط الرحال فيها .

ما أخرج من فصوله القصار ، ومن ألفاظه وأمثاله

من أصبلح فاسده ، أرغم حاسده . من أطاع غضبه ، أضاع أدبه . عادات السادات ، سادات العادات . من سعادة جدك ، وقوفك عند حدك . أفحش الإيضاة الإذاعة ، الخيبة تهتك الهيبة . الدعة رائد الضعة . من لم يكن لك نسيباً ، فلا ترج منه نصيباً . الرشوة رشاء الحاجة . اشتغل عن لذاتك ، بعمارة ذاتك . أجهل الناس من كان للإخوان مذلاً ، وعلى السلطان مدلاً . حبيبك لا يعيبك . الآثار ألسنة الأقدار ، إذا بقي ما قاتك^(١) ، فلا تأس على ما فاتك . الدنيا فناء الفناء . البشر عنوان الكرم ، ربما كانت الفطنة فتنة ، والمهنة محنة . من حسن أطرافه ، حسن أوصافه من تبرج بره . تأرج ذكره^(٢) . من كان عبد الحق فهو حر . المرء يهدم المروءة^(٣) . الفهم شعاع العقل . رضي المرء عن نفسه دليل تخلفه ونقصه . الحدة والندامة فرسا رهان ، والجود والشجاعة شريكا عنان ، والتواني والخبية رضيعا لبان . الفكر رائد العقل . الجود وضع الموجود ، بموضع الجود . نعم الشفيح إلى عدوك عقله ، لا تغتر بصحة مزاجك في الهواء الوبيء ، ولا تغتر بقوة بصرك في الظلمة الراكدة ، إفراط التعاقل تتاقل^(٤) الحدة تريك صورة الجهل . رب مقال لا تقال عثرته . حسن الأخلاق ، أنفس الأعلاق ، المرء من غرر الأيام في غرر ومن صفوها في كدر ، أفضح الفضيحة عدم القريحة ، الحلم مطية وطية لكل علو ، يوشك أن يقصر من يغلو ويسفل من يعلو . كيف القرار ، على الشرار ، المنية تضحك من الأمنية . مسلك الحزن حزن ، ضيق الصدر ، من صغر القدر . أحصن الجنة ، لزوم السنة^(٥) ، الرد الهائل ، خير من الوعد

(١) إذا بقي ما قاتك : يعني القوت من أجل الحياة .

(٢) تبرج بره : أي انكشف خيره للناس فنالوا منه . تأرج ذكره : أي أصبح عاطراً .

(٣) المرء : من راءى رثاء ومراءة : أي أرى الآخرين خلاف ما هم عليه .

(٤) الإفراط : الإكثار .

(٥) الجنة : الدرع ، والسنة : الشريعة .

الحائل . الخلاف غلاف الشر ، من كان رأيه صحيحاً ، لم يكن بميسور البر شحيحاً ، نعم العدة ، طول المدة ، عسى تحظى في غدك برغدك ، زمام العمل بيد الأمل ، البرايا أهداف البلايا . طلوع العقوق ، أفول الحقوق . حد العفاف ، الرضى بالكفاف ، لا ضمان على الزمان ، من لزم السلم سلم . ليكن قرينك من يزينك . الخرق آفة الخلق^(١) . إفراط السخاوة رخاوة . ربما كانت العطية خطية . لا يعدم الصرعة ، ذو السرعة . الفلسفة فلّ السفه^(٢) . لكل حادث حديث ، وربما أغنت المداراة عن المباراة . البشر نور الإيجاب ، ما كل خاطر بعاطر . البخل سوس السياسة . العفو يطمس الهفو . العقل جهذ النقل ، التبذل تبذل . العفيف يكفيه الطفيف ، ثقل العفيف خفيف . لسان النصيح فصيح ، التصلف ترجمان التخلف ، كفى بالنهاى ناهياً ، وبالهدي هادياً ، من تعطل تبطل . أدهى المصائب المعايب ، ربما تشوّر من تهوّر . إفراط الدماثة غثاثة ، إفراط الفخامة وخامة ، رب معبوط مغبوط^(٣) . إفراط التأني تواني . لا ضياع بين الصناعة والقناعة . الانصاف أحسن الأوصاف . عليك بالحذر من الهذر ، ربما تكون المنية هنية . معنى المعاشرة ترك المعاشرة . ما لخرق الرقيق مرقع . ربما تكون العناية جناية . من أفرط أورد . رب مورد هو مورط ، ورب مصعد هو مهبط . قدر الأمين ثمين . من قصر أمله ظهر عمله ، التضريب زند العداوة ، الشكر جنة الفارس . والصبر جنة الملابس . ظل الجفاء ، يكشف شمس الصفاء ، من لزم الأدب أمن العطب . قوتك قوتك . البيان علم العلم ، ليكن إقدامك توكلًا ، وإحجامك تأملاً . إخوان هذا الزمان خوان ، الناس عبيد الخواطر ، الغيث لا يخلو من العيث^(٤) . الحر نحل السكر إن أجناه المرء من برء شكدا^(٥) ، أجناه من سكره

(١) الخرق : الجهل ، والآفة : البلية .

(٢) الفلسفة فلّ السفه : أي قطع السفاهة والقضاء عليها .

(٣) المعبوط : من عبط الذبيحة أي ذبحها ، أو الموت أخذ الإنسان شاباً ، ومغبوط : من غبط غبطاً وغبطة : أي أن يتمنى أحد أن يكون حاله كحالهِ .

(٤) الغيث : المطر ، والعبث : الفساد في الأشياء . (٥) الشكد : أي الشكر والإعطاء .

شهدا . إن لم يكن لنا مطعم في درك درك ، فأعفنا من شرك شرك . لفلان طبع غير طبع ، وقريحة غير قريحة ، وخيم ، وخيم ، باع فلان الباسقات . واشترى الفاسقات .

فصل من كتاب له عن السلطان المعظم

إلى شمس المعالي في شأن الشيخين أبي نصر وأبي سعيد ابني الشيخ أبي بكر الإسماعيلي .

من علم الأمير شمس المعالي آدام الله عزه الكريم ، فكأنما علم الغيث سجاما^(١) ، والليث إقداما . وذلك لأن المكارم من خصائص معانيه ، ونتائج مساعيه ومعاليه . غير أن العادة جارية بهز السيّف وإن كان ماضي الغرار . وقدح الزند لانتضاء ما فيه من الأنوار .

ومساق هذا القول إلى ذكر شيخينا أبي نصر وأبي سعيد ابني الشيخ أبي بكر الإسماعيلي أيدهما الله تعالى ورحم أباهما فإنهما غصنا دوحة شريفة ، وفرعا نبعة صليبة ، ولكلّ منها الفضائل التي سارت أخبارها ، والمحاسن التي سألت أوضاحها . ولئن جرى منهما فيما تقدم زلل فقد يكبو الحليم ، وينبو الحسام ومن عادته التصميم ، ولو لم يكن هفو ، لما عرف عفو . والكريم إذا قدر غفر وشكر الظفر ، وأنا أسأل الأمير أن يمن عليّ فيهما بما يعيد جاههما ، ويقل عثرتهما ، وينيل بغيتهما ، إن شاء الله تبارك وتعالى .

(١) السجّام : المخطول .

ما أخرج من ملحه في الغزل والخمر

قال [من البسيط] :

يا يوسف الحسن ليلي بعد فرقتكم
والشأن في أنني أرمى من أجلكم
وله [من الكامل] :

ومهفهف غنج الشمائل أزعجت
درت الطبيعة أن فاحم شعره
وله [من الكامل] :

قالت وقد راودتها عن قبل
لاقدم يداً من قبل أن تدني يداً
إن الغرام غرامة فمتى تكن
وله [من الكامل] :

ومهفهف يسعى بكأس مدامة
وإذا تثنى مائساً في مشيه
وله [من الكامل] :

أرأيت قد قال لي بدر الدجى
حاتم ترمقني بعيني ساهل
وله [من الرمل] :

(١) مغرم الأول : من الغرام وهو الحب .

ومغرم الثانية : من الغرم : أي الدين والدنية ونحوهما أداها المرء عن غيره .

وغزتغل كل من شبهه بلالٍ أو بيدٍ ظلمة
قال إذ قبلت بالوهم فمه قد تعديت وأسرفت فمه

وله [من الخفيف]:

بأبي من أدار من خديّه مثل ما قد أداره بيديه
قمرٌ يقمر العقول بسحرٍ ماله مركزٌ سوى عينيه
هو أغنى الأنام عني ولكن أنا من أفقر الأنام إليه

وله [من الخفيف]:

يا غزالاً أراه ندّاً وصدّاً بعد ما كان للوصال تصدّي^(١)
بيننا للريب سدٌّ فلا تجمع ذي الهوى مع السدِّ صدّاً

وله [من الوافر]:

أوانٌ أنت في هذا الأوان عن الراح المروّق في الأواني
تعال إلى الصواني مترعاتٍ وأبرز نورهن من الصواني
وفكّ إसार لذاتٍ عوانٍ بيكر من كؤوسك أو عوان^(٢)

وله [من الخفيف]:

ربّ يومٍ للأنس فيه فراغٌ ولكأس السرور فيه مساغٌ
قد فرغنا له من البثّ والشكوى وما للكؤوس فيه فراغٌ
عند حرّ له فلائد في الأعناق من جوهر الأيادي تصاغ
بيننا للبخور غيمٌ وللما ورد طيشٌ وللغوالي رداغ^(٣)

(١) ندّ: هام على وجهه وشرّد، وصدّ: امتنع وهجر. والوصال: اللقاء وتصدّي: برز وتهبّا.

(٢) العوان الأولى: الشديدة المتتالية، والعوان الثانية: من النساء المتوسطة في السن.

(٣) الرداغ: الوحل والطين.

وله [من الكامل]:

يومٌ له فضلٌ على الأيامِ مزجَ السحابُ ضياءه بظلامِ
فالبرق يخفق مثل قلبٍ هائمٍ والغيم ييكي مثل طرفٍ هامٍ^(١)
وكأنَّ وجه الأرض خدٌّ متيمٌ وصلت دموع سحابه بسجام^(٢)
فاطلب ليومك أربعاً هنَّ المنى وبهنَّ تصفو لذَّة الأيامِ
وجه الحبيب ، ومنظراً مستشرفاً ومغنياً غرداً ، وكأس مدام

وله في وصف الكتب والخط والبلاغة [من الوافر]:

كتابك سيدي جلّى همومي وجلّ به اغتباطي وابتهاجي^(٣)
كتابٌ في سرائره سرورٌ مُناجيه من الأحزان ناجي
فكم معنىً لطيفٍ ضمن لفظٍ هناك تزوجا أيّ ازدواج
كراجٍ في زجاجٍ بل كروحٍ سرت في جسم معتدل المزاج

وله [من الطويل]:

بنفسي من أهدى إليّ كتابهُ فأهدى لي الدنيا مع الدين في درجٍ
كتابٌ معانيه خلال سطورِهِ لآلئ في درجٍ كواكب في برجٍ

وله [من البسيط]:

لما أتاني كتابٌ منك مبتسمٌ عن كلّ برٍّ وفضلٍ غير محدودٍ
حكّت معانيه في أثناء أسطره آثارك البيض في أحوالي السود

وله من نتفة [من البسيط]:

(١) الطرف الهامي : العين الدامعة .

(٢) المتيم : العاشق ، والسجام : الدموع .

(٣) جلّ همومي : أذهبها ، وجلّ اغتباطي أي ازداد وكثر .

هـ إن سلَّ أقلامه يوماً ليعملها
وإن أمرَّ على رقٍ أنامله
أنساك كلَّ كميٍّ هزَّ عامله^(١)
أقرَّ بالرق كُتَّابُ الأنام له
وله [من السريع]:

لم تر عيني مثله كاتباً
بيدع في الكتب وفي غيرها
لكلِّ شيء شاء أو شاء
بدائعاً إن شاء إنشاء
وله [من البسيط]:

ما إن سمعت بنوَّارٍ له ثمرٌ
حتى أتاني كتابٌ منك مبتسمٌ
فكان لفظك من لآلئه زهراً
تسابقاً فأصابا القصد في طلقٍ
في الوقت يمتع سمع المرء والبصرا
عن كلِّ لفظٍ ومعنى يشبه الدررا
وكان معناه في أثنائه ثمرا
لله من ثمرٍ قد سبق الزهرا
وله [من مجزوء الكامل]:

بأبي كلامك أيها السحر النقيُّ من العيوبِ
يجنيك من ثمر الكلا م ويجتني ثمر القلوب
وله [من المتقارب]:

بأبي كلامك إنِّي نظر
كلامٌ تهشُّ إليه النفوس
بداً بالمعاني وتهذيبها
وقدرٌ ألفاظه بعد ذاك
ت منه إلى صورة الفاتن^(٢)
ويلقي القلوب بلا آذن
فأبرزها بالوجوه الحسان
على ما اقتضته قدود المعاني

وله في أبي نصر بن أبي زيد [من المتقارب]:

(١) سلَّ: شهر، والكمي: البطل الشجاع، والعامل: الرمح.
(٢) كذا، صدر هذا البيت غير مستقيم الوزن.

له قلمٌ غربه لا يكلُ إذا كان حدٌ حسامٍ يكلُ
فيوجز لكنه لا يخلُ ويطنب لكنه لا يملُ
وكيف يملُ وتوفيق من أفاد العلوم عليه يملُ

وله [من البسيط] :

كتاب مولاي أوفى بي على أملٍ وصار في كلِّ نادٍ قبلة القبلِ
فقلت لما تراءت لي محاسنهُ وبردت بغوادي صوبها عللي
أما المعاني فأجسامٌ منعمةٌ واللفظ أوشحةٌ الديباج والحلل^(١)

وله [من الوافر] :

إذا أحببت أن تحظى بسحرٍ فلا تختبر على لفظي وشعري
فأحسن من نظام الدرِّ نظمي وآنق من نثار الورد نثري

ومن ملححه في الفقهيات

وقوله [من الطويل] :

عليك بمطبوخِ التَّيِّدِ فأنَّهُ حلالٌ إذا لم يخطف العقل والفهما
ودع قول من قد قال إنَّ قليله معينٌ على الإسكار فاستويا حكما
فليس لما دون النَّصابِ قضية النَّصابِ وإن كان النَّصابُ به نما

وله في معناه [من البسيط] :

معاشر الناس أصبحوا قد نصحت لكم في الراح حكماً ملحياً غير ممقوت

(١) الأوشحة : جمع وشاح ، وهو ما تتشح به المرأة .

قليلها مستباح، والكثير حمى
وله من قصيدة [من الرمل]:

يا بديع الفضل لا فينا ولكن
أنت عين الجود نصاً وقياساً
وفي كرام الناس خير الناس ناس
وبيان الفقه نصٌ وقياسٌ
وله من قصيدة [من الكامل]:

زفت إليك لنا عرائس أربع
فابعث إليّ مهورهنّ بأسرها
ففضضتها بالسمع وهي قصائدُ
إنّ النكاح بغير مهرٍ فاسدُ
وله [من مخلع البسيط]:

تخطب ودّي وليس كفواً
فهل نكاحٌ بلا نكافٍ
لودك المبدع النبیه
يجوز في مذهب الفقيه

وله من الأدبيات

قال [من مجزوء الرمل]:

وبصير بمعاني الـ شعر والإعراب جداً
قال لي لما رأيته طالباً ملاً ورُفداً^(١)
إن مالي يا حبيبي لازمٌ لا يتعدى

وله [من الطويل]:

عذلتُ ولم أذنبُ ولم أك جانياً
وهذا الإنصاف الوزير خلافُ

(١) كغرفة فردق: يقصد بها الشاعر ما جاء في القرآن الكريم عندما أعلم طالوت جنوده بأن الله مبتليهم بنهر فمن شرب منه لا يكون من أتباعه إلا من اغترف غرفة واحدة .
(٢) الرُفد : العطاء .

حذفت وغيري مثبتٌ في مكانه كَأَنِّي نونُ الجمع حين يضافُ

وله [من مجزوء الخفيف] :

إن عبد العزيز شيخٌ به يكشف الشُّبه
وترى للخليل فيه وأقرانه شبه
وهو لا شك شاهدٌ أن إبريقنا شبه^(١)

وله [من السريع] :

أدرجت في أثناء نسيانكم حتّى كَأَنِّي ألف الوصل
ومن أخرى [من البسيط] :

أفدي الغزال الذي في النحو كلّمني
وأورد الحجج المقبول شاهدها
ثم افترقنا على رأي رضىتُ به
مناظراً فاجتنتِ الشهد من شفّته
محققاً ليريني فضل معرفّته
والرفع من صفتي والنصب من صفّته

ومن الطيبات والفلسفيات

قال [من الخفيف] :

لا يغرنّك أنّني لئنُ المسّ فغربي إذا انتضيت حسام^(٢)
أنا كالورد فيه راحة قومٍ ثم فيه لآخرين زكام

(١) الشبه الأولى : أي ما تشابه من العلم وحصل فيه الالتباس .

والشبه الثاني : المثل والشبيه .

والشبه الثالث : أي أنّه من النحاس .

(٢) لين المسّ : أي لين الملمس ، الغرب : السهم ، وانتضى : شَهَر .

وله [من المتقارب] :

وإنّي لأختصُّ بعض الرجال وإن كان فدماً ثقيلاً عياماً^(١)
فإنّ الجبن - على أنّه ثقیلٌ وخیمٌ - يُشهيّ الطعاماً^(٢)
وله من قصيدة [من البسيط] :

فلا تكن عجلاً بالأمر تطلبه فليس يحمد بعد النضح بحران^(٣)
وله من نتفة [من المتقارب] :

وقد يلبس المرء خزّ الثياب ومن دونها حالة مضنيه^(٤)
كمن يكتسي خده حمرة وعلتها ورمٌ في الريه
وله [من الكامل] :

إن الجهول تضرني أخلاقه ضرر السعال بمن به استسقاء
وله [من الكامل] :

اقبل مشورة ناصح نفاع وتلق ما يهدي بسمع واع
لا تعتمد إلاّ رئيساً فاضلاً إنّ الكيان أطبُّ للأوجاع
وله [من الطويل] :

عذرتك يا إنسان إن كنت مغرماً بعذرٍ ومغرىً بالتحيل والنكت^(٥)
وكيف ألوم المرء في خبث فعله وأول شيءٍ قد غداه دم الطمث^(٦)

(١) القدم : الأحق الغليظ . العيام : العمي الثقيل .

(٢) صدر هذا البيت غير مستقيم الوزن .

(٣) النضح : رشاش الماء ونحوه أي أنه لا ينفع الماء الكثير بعد نضح الزرع بالماء .

(٤) في وفيات ابن خلكان « حاله مضنيه » .

(٥) النكت : عدم الوفاء بالعهود والمواثيق .

(٦) الطمث : الحيض .

وله [من الكامل] :

عدل قطوبك بالبشاشة يعتدل وزناهما فيمن يذل ويكرم
فالحر طلق ضاحك ولربما تلقاه وهو العابس المتجهم
كالورد فيه عفوصة ومرارة وهو الذكي الناصر المتبسم^(١)

وله [من المتقارب] :

خفى الله واطلب هدى دينه وبعدهما فاطلب الفلسفة
لئلا يغرك قوم رضوا من الدين بالزور والفلسفه
ودع عنك قوماً يعيدونها ففلسفة المرء فل السفة

وله من النجوميات

قال [من البسيط] :

قد غض من ألمي أني أرى عملي أقوى من المشتري في أول الحمل
وأني زاحل عما أحاوله كأني أستدر الحظ من زحل

وله [من البسيط] :

إذا غدا ملك باللهو مشغلاً فاحكم على ملكه بالويل والحرب
أما ترى الشمس في الميزان هابطة لما غدا برج نجم اللهو والطرب

وله [من البسيط] :

لا تعجبن لدهر ظل في صبي أشرافه . وعلا في أوجه السفل^(٢)
وانقذ لأحكامه أنى تقاربها فالمشتري السعد عال فوقه زحل

(١) العفوصة : المرارة والتقبض يصعب معها الابتلاع .

(٢) الصيب : الانحدار .

وله [من الوافر] :

سل الله العظيم تسل جواداً
وإن أدناك سلطاناً لفضل
فقد تدني الملوك لدى رضاها
كما المريخ في التلثيث يعطي

وله [من المتقارب] :

ألا فثقوا بي فإني كما
فلا كوكبي راجع في الوفا
تمدحت فليمتحن من يحب
ولا برج قلبي بالمنقلب

وله [من المتقارب] :

لئن كسفونا بلا علة
فقد يكسف المرء من دونه
وفازت قداحهم بالظفر
كما تكسف الشمس جرم القمر

وله [من الرمل] :

شرف الوعد بوعد مثله
ودليل الصدق فيما قلته
مثله ما فيه زيغ وخلل
شرف المريخ في بيت زحل

وله [من الكامل] :

قل للذي غرته عزة ملكه
شرف الملوك بعلمهم وبرأيهم
حتى أحل بطاعة النصحاء
وكذاك أوج الشمس في الجوزاء

وله من تنفة [من المتقارب] :

وقد يفسد المرء بعد الصلاح
فساد الأماكن والشر يعدي

(١) الحفد : التسرع ، أو الاستخدام .

كما السعد يقبل طبع النحوس إذا كان في موضع غير سعد
وله [من الرجز] :

ما أنس ظمآن بعذب بارد من بعد طول العهد بالموارد
إلا كأنسي بكتاب وارد من سيد محض النجار ماجد^(١)

* كأنما استملاه من عطار *

وله من نتفة [من الكامل] :

طبعي كطبع المشتري ما فيه من شوب فهل من مشتري للمشتري^(٢)
ومن أخرى [من الكامل] :

يا من تولّى المشتري تدبيره حاشاك أن تنقاد للمريخ
ومن أخرى [من الكامل] :

لا تفزعن من كل شيء مفزع ما كل تريع البروج بضائر^(٣)
ومن أخرى [من الخفيف] :

أي عذر أن صام عنه ثنائي وأنا الدهر منه في يوم فطر
وأتم الأشياء نوراً وحسناً بكر شكر زفت إلى صهربر
ما قران السعدين في الحوت أبهى منظراً من قران بر وشكر
وله [من المتقارب] :

(١) محض النجار : صافي الأصل .

(٢) الشوب : ما اختلط بغيره .

(٣) بضائر : بمؤذ .

دعاني إلى بيته سيّد
فلازمت بيتي ولاطفته
عطارد نجمي ولا شك أن
له الخلق الأشرف الأظرف
بعذرٍ هو الألفظ الأظرف
عطارد في بيته أظرف

وله [من الكامل] :

يا معشرَ الكتاب لا تتعرضوا
إنّ الكواكب كنّ في أشراقها
لرياسةٍ وتصاغروا وتخدموا
إلا عطارد حين صوّر آدمُ

* * *

ومن ملح مدحه وما يتصل بها

قال [من الوافر] :

سيف الدولة اتّسقت أمورُ
سما وحمى بني سامٍ وحامٍ
رأيناها مبددة النّظامِ
فليس كمثله سامٍ وحامٍ

وله [من البسيط] :

يا من أعاد رميم الملك منشورا
أنت الأمير وإن لم تؤت منشورا
وضمّ بالرأي ملكاً كان منشورا
والأمر بعدك إن لم تؤتمن شوري

وله من نثقة [من البسيط] :

وسائل الناس شتّى عند سادتهم
فاسحب لبرّك أذبالاً على أُملي
ولي وسائل آدابي وآمالي
أسحب بشرك ما عمّرت أذبالي

ومن أخرى [من الطويل] :

مدحتك فالتامت قلائد لم يفزُ
لأنك بحرٌ والمعاني لآلئُ
بأمثالها الصيد الكرام الأعظم
فطبعي غوّاصٌ وقولي ناظم

وقوله [من الكامل] :

فرواؤه ملءُ العيون ، وفضله ملءُ القلوب ، وسيبه ملءُ اليد^(١)

ومن أخرى [من الوافر] :

أقول لمن يعلمه المعالي ويذكره لذي حقٍّ ذماما
أراك تعلم الصدر التزاماً لمن يهواه ، والثغر ابتساما

ومن أخرى [من المتقارب] :

رعى الله دولة كافي الكفاة وبلغه كنه آماله
ولا زال إقبال هذا الزمان يقبل أطراف أقباله^(٢)

ومن أخرى [من البسيط] :

أفعاله غررٌ ، أقواله سورٌ أقلامه قُضِبٌ ، آراؤه شهب .

ومن أخرى [من المتقارب] :

كان الغصون وقد أثقلت بما حملت من بدیع الثمار
رقاب الأنام وقد أصبحت مثقلةً بالأيدي الكبار

ومن أخرى [من الكامل] :

لا تعظمن عليك مدحة خادمٍ إياك يقصر عن مداك مديحه
فالظفر وهو أحسن أجزاء الفتى يشفي بحك جسمه فيريحه

ومن أخرى [من الطويل] :

فتى جمع العلياء علماً وعفةً وبأساً وجوداً لا يفیق فواقا

(١) الرّواء : الماء العذب المروي ، والرّواء : المنظر الحسن . والسيب : العطاء .

(٢) أقباله : المرتفع من الأرض ، أو مقاصده .

كما جمع التفاح حسناً ونضرةً ورائحةً محبوبةً ومذاقاً
ومن أخرى [من المتقارب] :

شكوت إلى جوده خلتي ورقة حالي وتقصير قسمي
ففزع من رقة الحال قلبي وأفرغ في قالب الرقّ جسمي

ومن أخرى في الأمير أبي نصر أحمد بن علي الميكالي [من الخفيف] :

جمع الله في الأمير أبي نصر خصالاً تعلو بها الأقدارُ
راحةً ثرةً وصدراً فضاءً وذكاءً تبدو له الأسرار
خطه روضةً وألفاظه الأزهار يضحكن والمعاني ثمار

وله [من الطويل] :

ولما رأيت الناس إلّا أقلّهم وأطيب ما مجّوا من السكر أخبثُ
نشرتُ ثناءً عطّر الأفق طيبه كذاك ثناء الحرّ ندّ مثلثُ
وألفتُ أحناءاً بشكرك لم يصب تناسبها زيرٌ ومثنى ومثلثُ^(١)

وله [من الكامل] :

يا سيد الأمراء يا من جوده أوفى على الغيث المطير إذا همي
الغيث يعطي باكياً متجهماً ونذاك يعطي ضاحكاً متبسّماً

وله [من الوافر] :

سقى الله امرأً إن كفو دارت صروف زماننا ممّا يليه
فلم أر مثله حرّاً تولّى فولّى ما يليه ما يليه

وله [من مجزوء الخفيف] :

(١) الزّير : الوتر الدقيق من أوتار العود .

لا يسوءنك إن برا ني دهر فلم يُرش^(١)
أنت عش سالمأ فإئك إن عشت أنتعش

وله [من الكامل] :

ملكٌ يفيض على العفاة سجالة وعلى العداة بسطوه سجيلاً^(٢)
وإذا حباك بغرة من ماله ثنى وأعقب غرة تحجيلاً^(٣)

وله [من الطويل] :

أبوك حوى العليا وأنت مبرزٌ عليه إذا نازعته قصب المجد
وللخمر معنى ليس في الكرم مثله وللنار نور ليس يوجد للزند
وخير من القول المقدم فاعترف نتيجه ، والنحل يكرم للشهد

وله [من الخفيف] :

لا تظنن بي وبرك حي أن شكري شكر غيري موات
أنا أرض، وراحتاك سماء. والأيادي وبّل، وشكري نبات

* * *

ومن الإخوانيات

قال [من المتقارب] :

تحمل أخاك على ما به فما في استقامته مطعم
وأنى له خلق واحد وفيه طبائعه الأربع

(١) براني : أنحلني وأسقمني . ويرش : أي يجعل لي ريشاً ، أو يغنييني .

(٢) العفاة : المعدمين والسجال : العطاء والسجيل : الحجارة المسومة من نار .

(٣) حباك : وصلك وأعطاك وأعقب غرة : وألحق لك بالخفاء عطاء آخر .

أي أنه يعطي علانية وسراً والتحجيل : بياض في قوائم الفرس ، والتحجيل : الموافاة بالعطاء .

وله في مؤلف هذا الكتاب [من البسيط] :

قلبي مقيمٌ بنيسابور عند أخٍ ما مثله حين تستقري البلاد أخُ
له صحائف أخلاقٍ مهذبَةٍ منها الحجى والعلی والظرف تتسخُ
وله فيه أيضاً [من الطويل] :

أخُ لي زكيُّ النفس والأصل والفرع يحلُّ محلَّ العين منِّي والسمع
تمسَّكتُ منه إذ بلوت إخاءه على حالتي وضع النوائب والرفع
بأوعظ من عقلٍ وأنس من هوى وأرفق من طبعٍ وأنفع من شرع
وله فيه أيضاً [من المتقارب] :

إذا نسي الناس إخوانهم وخان المودة خوائها
فعندي لإخواني الغائبين صحائفُ ذكرك عنوانها
وله في أبي النصر العتيبي [من الهزج] :

كلامٌ لأبي النصر موفى واجبُ النحل^(١)
فما أدري جنى النحل أتاني أم جنى النحل

وكتب إلى بعض إخوانه [من المتقارب] :

لقاؤك يدني من المرتجى ويفتح باب الهوى المرتج^(٢)
فأسرع إلينا ولا تبطنُ فإنَّا صيامٌ إلى أن تجي

وكتب أيضاً [من الكامل] :

عندي فديتك سادةٌ أحرارُ وقلوبهم شوقاً إليك حرارُ
وشرابنا شربُ العلوم، وروضنا نزه الحديث . وثقلنا الأشعار

(١) النحل : العطاء .

(٢) المرتج : المفضل .

فامنن علينا بالبدار، فإنّما
وله من نتفة [من البسيط] :

عرج عليّ فما في رونقي رنق
وله من أخرى [من البسيط] :

ولا أصالح أنسي بعد فرقتكم
ولا أملّ مدى الأيام ذكركم
حتى يصفاح كفّ اللامس القمر
حتى يملّ نسيمُ الروضة السحر
وله [من المنسرح] :

إن لم تكن نيّتي مصوِّرة
فسلّ ثنائي فإنّه علنّ
ولم تكن واثقاً بناجيتي^(٣)
تشهدُ على نيّتي علانيتي

وله [من الكامل] :

قل للذي يرجو ثبات مودتي
أيدوم إخلاصٌ بغير مودّ
ودوام ما أعطيه من إخلاصي
كلاً ومُنزلُ سورة الإخلاص^(٤)

وله [من المتقارب] :

فهمت كتابك يا سيدي فهمت ولا عجب أن أهيم
وذاك لأنّي تأملتُ منه درّاً نطيماً وبرّاً عظيماً
وصادفته صدفاً للعلو مضمّن منها البديع اليتيم

(١) البدار : أكياسٌ توضع فيها الدراهم .

(٢) الرنق : الكدر .

(٣) الناجية : ما أسرّ له من عواطف قلبه .

(٤) سورة الإخلاص « قل هو الله أحد ، الله الصمد » .

فكم من كواكب تجلو البهيم
وكم روضة تستفيد الريا
وكم قد قراني لفظاً وسيماً
وكم من مشارع يروين هيماً^(١)
ض منهن نوراً ونبثاً عميماً
عليه من الطبع حسنٌ وسيماً^(٢)

وله [من الكامل] :

لا تحقرن أخاً وإن أبصرته
فالعصن يذبل ثم يصبح ناضراً
وله [من الكامل] :

ذكر أخاك إذا تناسى واجباً
فالرأي يصدأ كالحسام لعارض
وله [من الطويل] :

أتاني كتابٌ من أخٍ لي ماجلٍ
وقلت لروحي كن له من جميع ما
وله [من الكامل] :

كم من أخٍ قد هدمت أخلاقه
نسي الوفاء ولست أنسى عهد ما
يرمي سهاماً إن أسر المقت لي
وله [من مixel البسيط] :

أرقت حتى كأن عيني قد وهبت لي بلا جفون

(١) البهيم : المظلم البهيم . والمشارع : مكان مشروع المياه للشراب . والهيم : الحيوانات .

(٢) لفظاً وسيماً : أي رائعاً ، وحسنٌ وسيماً : أي عليه سياء الحسن وعلاماته .

(٣) المقت : البغض .

ففاض في الخدماء عيني فحلته فاض من عيون
وذاك أن الزمان أفضى بي من سهول إلى حزون^(١)
وسامني البعد عن أناس هم فارقوني فأرقوني

وله [من الخفيف] :

بأبي من شفى فؤاداً عليلاً بكلام حكي النسيم عليلاً
زاد في طوله ارتياحاً إليه وغراماً به عريضاً طويلاً
كرضاب الحبيب يروي غليلاً ثم ينشئ إلى المزيد غليلاً

وله [من المتقارب] :

فديتك قلّ الصديق الصدوق وقلّ الخليل الحظي الوفي
ولي رغبة فيك إن ما وفيت فهل راغب أنت في أن تفي

* * *

وله من باب الشكوى والعتاب

قال [من الطويل] :

عفاء على هذا الزمان فائته زمان عقوق لا زمان حقوق
وكل رفيق فيه غير موافق وكل صديق فيه غير صدوق

وله [من الطويل] :

رأيتك تكويني بميسم منة كأنك قد أصبحت علّة تكويني^(٢)
وتلويني الحق الذي أنا أهله وتخرج في أمري إلى كل تلوين

(١) الحزون : الأرض الوعرة .

(٢) المسم : المكواة أو الآلة ، أو العلامة أو يريد : إنه يكويه بجميل صلاته وأنعامه .

فمهلاً ولا تمنن عليّ فبلغةً
وله [من الطويل] :

ومن عجبٍ أني لغيرك شافعُ
ولكنّ أحرار الزمان وإن جفوا
وله [من الكامل] :

يا من عقدتُ به الرجاء فلم يكنْ
إن كان قد جرحَ المطامع عفتي
وله [من البسيط] :

لقاء أكثر من يلقاك أوزارُ
لهم لديك إذا جاءوك أوطار
أخلاقهم فتجنبهنّ أوعار
وله [من البسيط] :

لا تغبننّ ولا تخدعك بارقةُ
فلو قلبت جميع الناس قاطبةُ
لم تلفَ فيها صديقاً أبداً
وله [من الطويل] :

أبا قاسمٍ كم ظالمٍ متعجرفٍ
فسلمني الله الكريم بلطفه

من ذي خداعٍ يرى بشراً وإطافا
وسرت في الأرض أوساطاً وأطرافا
ولا أخأ يذل الإنصاف إن صافى
نضالي حديّ سيفه وسانه
وصيرني في لطفه وضمانه

-
- (١) البلغة : ما يكتفي به من العيش ولا يفضل .
(٢) ياسو : من آسى مواساة : أي عزاه وسلاه .
(٣) أوطار : غايات ومقاصد .

ومنهم أبوك إنّه سلّ مصلتاً
فلما غلا في ظلمه وعتوّ
صبرت على مكروهه فتكشفت
فإن تتقيه أو صبرت فإنّما
وله [من الكامل] :

يا ذا الذي ركب الفساد وعنده
أضللت رأيك عامداً أو ساهياً
وله [من الطويل] :

أكتب بست كم نناجزكم على
وخف حنين فوق ما تطلبونه
وله [من السريع] :

لله نيسابور من حلّة
للخير والمير بها كثرة
فيها كرام سادة أجلة
ما عيها إلاّ بعمالها
جفوا فما في طينهم للذي
فهذه أولى خطابي لهم
ما مثلها دار ولا حلّة
للشر والضير بها قلة
سادوا على السادة والجلّة
فالبخل والمنع لهم ملّة
يعصره من بلّة بلّة
وبعدها ما يهتك الكلّة

وله [من السريع] :

-
- (١) العتوّ : الظلم ، والعير : البهائم . ولجّ : أكثر وألح ، والنزوة : الشرّ والميل الى الفساد .
(٢) سخنة العين : أي لم تقرّ عينه من حزن أو حرارة وألم .
(٣) خف حنين : مثل يضرب بمن سعى إلى شيء ولم يحصل عليه وعاد إلى دياره بالفشل والخسران .

ولم يطع أمري ولا زجري
تحوي مدى الغايات إذ تجري
حتى متى أجري بلا أجر

وله [من الكامل] :

ولكلهم فيها نصيب راتب
منها نصيبا شاعر أو كاتب
يسعد باعتاب الزمان معاتب

وله [من الهزج] :

بلا جرم ولا تبلى^(١)
وما زغنا عن العدل
د والهمة والفضل
وفي عزل وفي أزل^(٢)
على الكاتب أتم لي

جعلنا أجنبيين
وأقصينا وما خنا
فقل لي يا أخا السؤد
إلى كم نحن في ضيق
أما تنشط أن تملي

وله [من مخلع البسيط] :

مستحقراً ليس بالثمين
فكان غثاً بلا سمين

وجدت ما قد بعثت غثاً
فليت شعري قليت شعري

وله [من المتقارب] :

فدعه فدولته ذاهبه^(٤)

إذا ملك لم يكن ذاهبه

(١) ونى : ضعف وانكسر والزجر : النهي بشدة .

(٢) التبلى : العداوة ، والحقد .

(٣) أزل : جذب وضيق وحبس .

(٤) ذاهبة : أي صاحب عطاء . وذاهبة : ماضية .

وله [من مجزوء الوافر] :

إلى حتفي مشى قدمي أرى قدمي أراق دمي
فكم أنقذ من ندم وليس بنافعي ندمي

وله [من الوافر] :

ألم تر ما ارتآه أبو علي وكنت أراه ذا لبّ وكيس
عصى السلطان فابتدرت إليه جنودٌ يقلعون أبا قيس
وصير طوس معقله فأمسى عليه طوس أشأم من طويس

وله [من البسيط] :

قلّ للذي غره عزٌ وساعدة فيما يحاوله نقضٌ وإمرار^(١)
لا تفتخر بغنى أمطيت كاهله فإن أصلك يا فخّار فخّار

وله [من مخلع البسيط] :

قل للوزير الكريم قولاً يغض من ناظر الكريم
دارك لي جنة ولكن بوابها مالك الجحيم

وله [من المتقارب] :

إلى الله أشكو اتصال الخطوب وصرف زمانٍ بلينا به
وقد كان يسم عن ثغره فأصبح يكشر عن نابيه

وله [من مخلع البسيط] :

الدهر خداعٌ خلوب وصفو بالقذى مشوب^(٢)

(١) نقض وإمرار : حلّ وربط وقتل من نقض الحبل : حلّه ، وامره : قتله .

(٢) ورد الصدر « الدهر خداعة خلوب » . ولا يستقيم الوزن واللغة . ومشوب : مزوج .

وأكثر الناس فاعتزلهم قوالبُ مالها قلوب
فلا تغرَّنك الليالي وبرقها الخلب الكدوب
ففي قفا أنسها كروب وفي حشى سلمها حروب

وله [من الخفيف]:

نحن والله في زمانٍ سفيه يصفع النائبات من كأس فيه
فتشكّلُ بشكله يكُ أحفي بك ، إنَّ السفيه صنو السفيه

وله [من مخلع البسيط]:

الدهر سلمٌ لكلّ نذلٍ لكنه للكريم حربُ
فارثٌ لذي حكمةٍ وإربٍ فحظه غمّةٌ وكربُ
همته للسماك سمكٌ وخده للتراب تربُ

وله [من الوافر]:

إذا أحسست في لفظي فتوراً وخطّي والبلاغة والبيان
فلا ترتبْ بفهمي . إن رقصي على مقدار إيقاع الزمان^(١)

وله [من الوافر]:

أراح الله قلبي من زمانٍ محت يده سروري بالإساءة
فإن حمد الكريم صباح يومٍ وأتني ذاك لم يحمّد مساءه

(١) ترتب : أي تشك ، والإيقاع الموسيقى والحركات .

وله من باب الذم والهجاء

قال [من السريع] :

شيخٌ لنا يُقَطِّعنا عرضه	من قبل أن يُقَطِّعنا ماله
أخيبُ خلق الله من خالِه	حرّاً ومن شام صدى خالِه ^(١)
وأكثرَ الفتيانِ بئاً فتى	بيثُه معتفياً حاله
شيخٌ كثير المال لكنّه	ملكٌ ما يملكِ أفضالُه
وكلُّ ما عنّ له مشكلٌ	وراح أن يوضح أشكاله
يني على الفكرة أعماله	وذاك في التحقيق أعمى له
فقيّض الرحمن أفعى له	تريه في الخلوة أفعاله

وله [من الكامل] :

من مبلغ الأشرار عني أنّي	ما دام لي حسٌّ وعرقٌ ينبضُ
أقلّهم طراً لأنّي ضدّهم	والضدُّ للضدِّ المنافر مبغضُ
فاذا رأوني مقبلاً فليعلموا	أنّي بوجه الجدّ عنهم معرضُ

وله [من البسيط] :

إذا اتخذتَ أحاً فاسبِرْ خلائقه	فإنّ ذا الحزم والتدبير من سبرا ^(٢)
ولا تعول على شخصٍ له عم	وصورة ذات حسن تبهر القمرأ
فكم فتى راق منه ظاهرٌ حسنٌ	وكان باطنه ضدّ الذي ظهرا
أعدّته لصروف الدهر مدخراً	فكان في السبك والتحقيق مدخرا

وله [من السريع] :

(١) خاله : حسيه ، وشام : تطلع ونظر . وخاله : تخيُّله .

(٢) سبر : كشف .

يا قوم أرعوني أسماعكم حتى أؤدي واجب الفرض^(١)
أشهد حقاً أن سلطانكم ليس بظلم الله في الأرض
وله [من السريع] :

لي صاحب أحق هلباجه دعوته الكبرى بلا باجه^(٢)
يقري الأخلاء . ولكنه يطبخ في خديه سكباجه
وله [من السريع] :

قلت له لما مضى وانقضى لاردك الرحمن من هالك
أما وقد فارقتنا فانتقل من ملك الموت إلى مالك
وله [من مجزوء الرمل] :

لي جار فيه حيره عرسه تلعن أيره
خلق الله إليه الناس للغيرة غيره
وله [من الكامل] :

في الناس من تجنيسه تجنيس أبداً كما تدرسه تدليس^(٣)

ومن باب الشيب والكبر

قال [من الخفيف] :

دع دموعي تسيل سيلاً بدارا وضلوعي يصلين بالوجد نارا^(٤)

(١) أرعوني : أعبروني .

(٢) الهلباجه : الأحق الضخم الأكل الجامع كل شر . باجه : صرفه ، والرجل صاح وأمر باج :

أي سواء . (٣) التدليس : الإتيان في الحديث بغير الثابت المتين .

(٤) سيلاً بداراً : أي سيلاً مسرعاً والوجد : الحب الشديد .

قد أعاد الأسى نهاري ليلاً مذ أعاد المشيب ليلي نهارة
وفه [من الكامل]:

يا شيتي دومي ولا تترحلي وتيقني أني بوصلك مولعُ
قد كنت أجزع من حلوك مرةً فالآن من حذر ارتحالك أجزعُ
وله [من الخفيف]:

ما استقامت قناة رأبي إلا بعد ما قوس المشيب قناتي
وله [من الطويل]:

أرى المرء يرجو أن يطول بقاءه ليدرك ما يرجو بطول بقاءه
فأيةُ جدوى في البقاء وقد هت قواه وأقوى قلبه من زكائه
إذا ما نبا حسٌ وكلتُ بصيرةً فطول بقاء المرء طولُ شقائه

ومن باب الأمثال والنوادر والحكم والمواعظ

وما يجري مجراها

قال [من مجزوء الرمل]:

بين من يعطي ومن يأخذ في التقدير عرضُ
فيد المعطي سماءٌ ويد الأخذ أرضُ
وعلى الأخذ أن يشكر إن الشكر فرضُ

وله [من الخفيف]:

كنت في نعمةٍ وظلّ رخاءٍ ونسيمٍ من النعيم رخاءٍ
فاتبع الهوى وخالفت رأبي واتباع الهوى وبئس الهوى

وله [من الطويل]:

حبست ومن بعد الكسوف تَبْلُجُ
فلا تعتقدُ للحبس غمّاً ووحشة

وله [من الطويل]:

أفد طبعك المكدود بالهم راحةً
ولكن إذا أعطيته ذاك فليكنْ

وله [من البسيط]:

لا تكررْ إذا أهديت نحوك منْ
فقيمُ الباغ قد يهدى لمالكة

وله [من البسيط]:

لا تحسبني إذا أوليتني نعماً
فإنني نحلُّ شكرٍ إن جنى ثمرأ

وله [من الكامل]:

لا درّ درّ نوازل الأحداث
فغدت مأنسنا وهنّ مقابرُ

وله [من الطويل]:

توقّ خلافاً إن سمحت بموعلي
فلو أثمر الصفصاف من بعد نوره

وله [من البسيط]:

من شاء عيشاً رخيّاً يستفيدُ به

تضيء به الأفاق للبدر والشمس
فأولُ كون المرء في أضيّق الحبس

تجمّ وعلّله بشيء من المزعج^(١)
بمقدار ما تعطي الطعام من الملح

علومك الغرّ أو آدابك التثفا
برسم خدمته من باغه التحفا

أنّي أخو وهنّ في الشكر أو كسل
أجناك من قوله أحلى من العسل

نقلتُ أحبّتنا إلى الأحداث
وغدت مدائحنا وهنّ مراثي

لتسلم من هجو الورى وتعافى
وإبراقه ما لقّبه خلافا

في دينه ثم في دنياه إقبالا

(١) المكدود : المغلوب ، وتجمّ : ترتاح .

فليَنظُرْنَ إلى من فوقه أدباً
وله [من الكامل]:

إن كنت تطلب ثروةً وغنىً
فالرُّسل ليس يدرّ في العلب
من غير إيساس ولا حَلَب^(١)
وله [من المنسرح]:

لا تحقر المرء إن رأيت به
فالنحل شيءٌ على ضؤولته
دمامةٌ أو رثاةُ الحُلل
يشتار منه الفتى جنى العسل^(٢)
وله [من المتقارب]:

إذا ما اصطفت امرءاً فليكنْ
فندلُ الرجال كندلُ النبات
شريف النّجار زكي الحسبُ
فلا للثمار ولا للحطبُ
وله [من المتقارب]:

رضيتُ بعيش كفافٍ حلالٍ
فمن يك يحلّوله ما يصيب
وبعت المدام بماءٍ زلالٍ
حراماً فإنّ حلالِي حلالِي
وله [من السريع]:

دعني فلن أخلق ديباجتي
عليّ أن ألزم بيتي وأنْ
ولست أبدي للورى حاجتي
متزلي يحفظها منزلي
أرضى بما يحضر من باجتي^(٣)
وباجتي تحفظ ديباجتي
وله [من السريع]:

(١) الرُّسل : اللبن ، والإيساس : الدعوة للحلب .

(٢) إشتار : يستخرج .

(٣) الباجة : أي ما يخصني .

يا أيها السائل عن مذهبي ليقتدي فيه بمنهاجي
منهاجي العدل وقمع الهوى فهل لمناجي من هاجي
وله [من الطويل]:

يقولون ذكر المرء يحيا بنسله
فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي
وله [من الوافر]:

نصحتك جامل الإخوان طراً
ولا ترجُ الصفاء بغير مذاق
وله [من المتقارب]:

إذا ما هممت بكشف الظلم
فعول على خلتين اثنتي
وله [من البسيط]:

لا يعدم المرء كنأ يستكن به
ومن نأى عنهم قلت مهابته
وله [من الرجز]:

ألذ من رشف رضاب الحور
والبارد الزلال للمخمور
وله [من الطويل]:

تأخّرتُ عن قومٍ ولا غرو أنني
سأسبقهم بالجدّ والجدّ معوان

(١) نسلي : عاقبتني من بعدي ، ونسلو : نصبر من السلو .
(٢) المذق : المزج ، ومذق اللبن : خلطه بالماء ، والسنّاج : أثر دخان السراج في الحائط .
(٣) الخرق : الغلظة ، والخشونة .

أَلَسْتُ تَرَى الْعَنْوَانَ يُكْتَبُ آخِراً
وله [من الطويل] :

إِذَا حَيَوَانٌ كَانَ طَعْمُهُ ضِدَّهُ
وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَرْءَ طَعْمُهُ دَهْرُهُ
وله [من الكامل] :

لَا يَسْتَخْفِنُ الْفَتَى بَعْدُوهُ
إِنَّ الْقَذَى يُوْذِي الْعَيُونَ قَلِيلُهُ
وله [من الطويل] :

أَحْرَكَ بِالتَّذْكِيرِ قَوْمًا لَعَلَّهُ
وَأِنْ كَانَ تَحْرِيكِي يَشْقُ عَلَيْهِمْ
وله [من الطويل] :

لَقَدْ هَنَتَ مِنْ طَوْلِ الْمَقَامِ وَمَنْ يُقِمُّ
وَطَوَّلَ جَمَامَ الْمَاءِ فِي مَسْتَقَرِّهِ
وله [من البسيط] :

لَئِنْ تَنْقَلْتِ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ
فَالْحَرُّ حَرٌّ عَزِيزُ النَّفْسِ حَيْثُ ثَوَى
وله [من البسيط] :

إِذَا تَحَدَّثْتَ فِي قَوْمٍ لَتَوْنَسَهُمْ
بِمَا تَحَدَّثْتَ مِنْ مَاضٍ وَمِنْ آتِي

(١) الوقْر : الصَّمَم .

(٢) الزَّيْر والبَم : من أوتار العود ، والنقر : الضرب .

(٣) الجَمام : المكوث والراحة .

فلا تعيدُنْ حديثاً إنَّ طبعهم موكلٌ بمعادة المعادات

وله [من المتقارب] :

إذا خذلَ المرء من نفسه
وشرَّ سلاحٍ يحامي به
فليس له من سواه نصيرُ
لسانٌ طويلٌ وباعٌ قصيرُ

وله [من الطويل] :

دعوني وأمري واختياري فإنني
إذا مرَّ بي يومٌ ولم أصطنع يداً
ولم أَسْتَفِدْ علماً فما هو من عمري
عليماً بما أفري وأخلق من أمري^(١)

وله [من السريع] :

أشفقُ على الدرهم والعينِ
فقوَّةُ العينِ بإنسانها
تسلم من العينة والدينِ^(٢)
وقوَّةُ الإنسان بالعينِ^(٣)

وله [من الكامل] :

يا من يرجى أن يعيش مسلماً
أفرطت في شطط الأمانى فاقصدُ
ليس الأمان من الزمان بممكنٍ
معنى للزمان على الحقيقة كاسمِهِ
جذلان لا يدهى بخطبٍ يُحزنُ
وأعلمُ بأنَّ من المنى ما يفتنُ
ومن المحال وجود ما لا يمكنُ
فعلامَ ترجو أنَّه لا يزمنُ^(٤)

وله [من المتقارب] :

وثقت بربي وفوضت أمري
إليه وحسبي به من مُعينِ

(١) أفري : أقطع .

(٢) العين : المال والنفيس ، والعينة : الحاجة .

(٣) إنسان العين : يؤبؤها .

(٤) يزمن : يمرض .

فلا تبتس لصروف الزمان ودعني فإنّ يقيني يقيني

٦٦ - أبو سليمان الخطابي أحمد بن محمد بن إبراهيم

كان يشبه في عصرنا بأبي عبيد القاسم بن سلام في عصره علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتديساً وتأليفاً ، إلا أنه كان يقول شعراً حسناً وكان أبو عبيد مفعماً. ولأبي سليمان كتب من تأليفه وأشهرها وأسيرها كتاب في غريب الحديث وهو في غاية الحسن والبلاغة .

وأنشدني غير واحد له [من الطويل] :

وما غمّة الإنسان في شقّة النوى ولكنّها والله في عدم الشكل
وإنني غريبٌ بين بست وأهلها وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

وقد أخذ هذا المعنى عمر بن أبي عمر السجزي فقال [من الطويل] :

وليس اغترابي في سجستان أنني عدمتُ بها الإخوان والدار والأهلا
ولكنّني ما لي بها من مشاكل وإن الغريب الفرد من يُعدم الشكلا^(١)

وأنشدني أبو الفتح قال : أنشدني أبو سليمان لنفسه [من البسيط] :

شرُّ السباع العوادي دونه وزرُ والناس شرّهم ما دونه وزرُ
كم معشرٍ سلّموا لم يؤزهم سبعٌ وما نرى بشراً لم يؤذهِ بشرٌ

وأنشدني له أيضاً [من البسيط] :

ما دمت حياً فدار الناس كلّهم فإنّما أنت في دار المداراة

(١) المشاكل : الشبه .

(٢) العوادي : الضاربة ، والوزر : الملجأ .

من يدر داري ومن لم يدر سوف يرى عمّا قليلٍ نديماً للنداماتِ

وله [من الوافر]:

لعمرك ما الحياة - وإن حرصنا عليها - غير ريحٍ مستعارةٍ
وما للريح دائمةٌ هبوبٌ ولكن تارةً تجري وتارةً

وله [من البسيط]:

وقائل ورأى من حجتِي عجباً : كم ذا التواري وأنت الدهرُ محجوبُ
فقلت : حلّت نجومُ العمر منذ بدا نجمُ المشيب ودَيْنُ الله مطلوبُ
فلذت من رجلٍ بالاستتار عن الد أبصار إنَّ غريم الموت مرعوبُ

وله [من الطويل]:

تغنّم سكّون الحادثات فإنّها وإن سكنتُ عمّا قليلٍ تحركُ
وبادر بأيام السلامة إنّها رهونٌ وهل للرهن عندك متركُ

وله [من البسيط]:

قلّ للذي ظلّ يلحاني ويعذلني لنائلٍ فاتِه ، والخيرُ مأمولُ
لا تطلب السمن إلاّ عند ذي سمنٍ نال الولاية فالمعزول مهزولُ

وله [من الكامل]:

قد جاء طوفان البلاء ولا أرى في الأرض ويحي للنجاة سفينةُ
فاصعدُ إلى وزر السماء فإن يكنُ يعيبك فابك لنفسك المسكينه^(١)

(١) وزر السماء : الملجأ العالي والمنع . ويعيبك : يحميك ويمنعك .

وله [من الطويل] :

تسامح ولا تستوفِ حقَّك كَلَّهُ وأبْقِ فلم يستقصِ قطُّ كريمٌ^(١)
ولا تغلُّ في شيءٍ من الأمرِ واقتصدْ كلا طرفي قصدِ الأمورِ ذميم

وله [من مخلع البسيط] :

قد أولع الناس بالتلاقي والمرء صبُّ إلى هواه
وإنما منهم صديقي من لا يراني ولا أراه

وله [من الطويل] :

سلكت عقاباً في طريقي كأنها صياصي ديوكٌ أو أكفٌ عقابٌ^(٢)
وما ذاك إلا أنْ ذنباً أحاط بي فكان عقابي في سلوكِ عقابٍ

وله [من البسيط] :

إذا خلوتُ صفا ذهني وعارضني خواطرُ كطراز البرق في الظلمِ
وإن توالى صياحُ الناعقين على أذني عرتني منه حكلة العجم^(٣)

٦٧ - أبو محمد شعبة بن عبد الملك البستي

سمعت أبا الفتح البستي يقول : لما أنشدني شعبة قوله [من المنسرح] :

فدیت من زارني على حذرٍ من الأعداي وقلبه يجِبُ^(٤)
فلو خلعت الدنيا عليه لما قضيت من حقه الذي يجِبُ

(١) استوفى حقه : أخذه بكامله . وأبق : أي اترك ، لم يستقص : أي لم ينل حقه كاملاً ، لأن الكريم يتسامح بشيء من ماله .

(٢) العقاب : أي العقبات المعترضة . والصياحي : مغالب في سوق الديكة .

(٣) الحكلة : العجمة وعدم الإيانة والإفصاح .

(٤) الوجيب : الخفقان .

استحسنته ، وأنا إذ ذاك في زمان الصبا ، فأخذت نفسي سلوك طريقته في
المتشابه حتى قلت ما قلت .

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من الكامل] :

إن كنت أزمعتَ الفراق فلا تدعْ نفسي تعاجلني بوشك فراق
وأصلْ بكتبك ميّاً يحييه ما يلقاه فيها من غداة تلاقي
وأنشدني غيره له [من البسيط] :

نفسى الفداء لمن لم أخلْ مذ علقتْ نفسي بذكراه من حسنٍ وإحسانٍ
ما إنْ تزال أأياده تواصلني كأنه - وأنا أهواه - يهواني
وله [من الوافر] :

لكلّ من بني الدنيا مرادٌ ومالي غير وصلك من إرادَه
فلو شاهدت قلبي لم تجده تضمّن غير حبّك والشهادة
أخذه من قول القائل [من السريع] :

لو شقّ قلبي لرأوا بينه حبّك والتوحيد في سطر^(١)
وله [من الخفيف] :

ضقت ذرعاً بذلتي واغترابي وفراق الإخوان والأحباب
جاوز الدهر حدةً في اهتضامي وكأنّ الزمان يهوى عذابي
لايني في حشاي مسمومٌ نابٍ لليالي وفي فمي كأس صاب^(٢)
زمنٌ جائرٌ وجدٌ عثورٌ وأسى لازمٌ وزندٌ كابي

(١) في «ب» «فلو شقّ قلبي رأوا بينه» وصدره غير مستقيم فأصلحناه إلى ما ترى .

(٢) لا يني : لا يتعب ولا يفتر ، والصاب : العلقم .

٦٨ - أبو بكر النحوي البستي

له شعر كثير ، لا يحضرني الآن منه إلا قوله لأبي بكر الخوارزمي ، وكان هجاء بقوله [من مجزوء الرجز] :

نحويكم في حمقه معرفة لا نكره
ذو لحيه مبسوطه وفطنة مختصره

وغير ذلك ، فقال [من الطويل] :

وعاوي عوى مناهل خوارزم خيفة كذا الكلب عند الخوف مجتهداً يعوي
تعاظم فعلي أهل ودي أن رأوا سكوتي وهجري هجو من دأبه هجوي
فقلت : اسكتوا فالهجونجو وإنتي حلفت بأن لا أغسل النجو بالنجو^(١)

* * *

٦٩ - الخليل بن أحمد السجزي

كان أحد الأئمة في فقه الحنفية ، ومن شعراء الفقهاء ، وتقلد القضاء لآل سامان بسجستان وغيرها سنين كثيرة ، وهو القائل لأبي جعفر صاحب سجستان في تهنة بقصر بناءه [من السريع] :

شيدت قصرأً عالياً مشرفاً بطائري سعد ومسعود
كأثما يرفع بنيانه جن سليمان بن داود
لا زلت فيه باقياً ناعماً على اختلاف البيض والسود

وكان مكتوباً في صدر الإيوان الذي فيه [من البسيط] :

(١) أغسل النجو : أي الغائط ، بالنجو : بالسحاب الذي صب مطره .

من سرّه أن يرى الفردوس عاجلةً فليُنظرَ اليوم في بَنيانِ إيواني
أو سرّه أن يرى رضوانٌ عن كُتبٍ بملء عينيه فليُنظرَ إلى الباني

ولما قتل أبو جعفر أمر الخليل أن يكتب تحتها من قبله [من البسيط] :

لو كانت الدار فردوساً وساكنها رضوانٌ لم ييلُ فيها جسمُ رضوانِ
الموت أسرع في هذا فأهلكه والدهر أسرع في تخريب إيوانِ

وأشدّ الخليل قول التنوخي القاضي [من الطويل] :

خَدِرِ الفلَس من كَفِّ اللَّثِيمِ فَإِنَّهُ أعزُّ عليه من حشاشةِ نَفْسِهِ
ولا تحتشمُ ما عشتَ من كلِّ سَفَلَةٍ فليس له قدرٌ بمقدارِ فَلْسِهِ

فعارضه بقوله [من الطويل] :

صن النفس عن ذلِّ السَّوَالِ ونَحْسِهِ فأحسن أحوالِ الفتى صونُ نَفْسِهِ
ولا تتعرَّضْ لِلثَّيْمِ فَإِنَّهُ أذلُّ لديه الحرُّ من شطرِ فَلْسِهِ

وكتب إليه أبو القاسم السجزي الذي تقدم ذكره يستفتيه [من مخلع البسيط] :

هاك سؤالاً ففيه شرقُ هاتِ فأحضِرْ له الجوابا
هل في اصطبارٍ لذي اشتياقٍ على فراقٍ ترى ثوابا

فأجابه بهذين البيتين [من مخلع البسيط] :

أحضرتُ عن قولك الجوابا أتلو بيرهانه الكتابا
الله وفي الصبور أجراً يفوت في فضله الحسابا

وكتب إليه مرة أخرى يكنى عن القبله [من الطويل] :

إمام الوري هل للفتى في اختياره من الأرى ما يبقِي حشاشته وزرُ^(١) ؟

(١) اختياره : استخراجه ، والأرى : غسل النحل ، والحشاشة : الروح ، والوزر : الذنب .

فأجابه بهذا البيت [من الطويل] :

أرى الأرى في حكم الشريعة شورةً مباحاً لمن كان قد كان في ملكه الدبر^(١)

* * *

٧٠ - أبو زهير بن قابوس السجزي القاضي

من شعره قوله [من الكامل] :

نظرتُ إلى رأسي فقالت ماله قد ضمّ فوديه قناعٌ أدكنُ
يا هذه لولا النجوم وحسناها لم تألف الليل البهيمَ الأعينُ
فتضحكت عجباً وقالت يا فتى نقصان عقلك في قياسك بينُ
الليل يحسُنُ بالنجوم وإنمّا ليل الشباب بلا نجومٍ أحسنُ

وله [من المتقارب] :

إذا المرء لم يركب الأشقرا ولم يصد الشادن الأحورا
ولم يتمتع بطيب الطعام ولين اللباس وقد أيسرا
فقد عدم الربّع من عمره وقد حصد المتجر الأخرى

* * *

٧١ - أبو القاسم محمد بن محمد بن جبير السجزي

كاتب الأمير خلف ، والأخذ من النثر والنظم بطرفيهما ، وله شعر كثير وقع
إلى بخطه فلم أستصلح منه لكتابي هذا غير مقطوعات سلك فيها طريقة أبي الفتح
وضرب فيها على قلبه ، فمنها قوله [من الكامل] :

بأبي غلامٌ لست غير غلامي مذ جاد لي بسلامي وكلامي

(١) الدبر : بفتح الدال وسكون الباء . أي النحل .

ذو حجبٍ ما إن رأيت كونه أبداً ، وصدغ ما رأيت كلامه^(١)
وقوله [من الكامل] :

وحديقة صَبَّحْتُهَا في فتية كحديقة ، والطير في أوكارها
كم ماجنٍ فينا وكم متعَفِّفٍ قد صار يمجن طائعاً أو كارها
وقوله [من المتقارب] :

أرى الدهر ينسي ذنوب الرجال ويذكر ذنبي وذنبى كمال^(٢)
يرمون شأوي ، وما إن لهم من الفضل قولٌ وفعل كمال^(٣)
فأموالهم قد تصان كعرضي وأعراضهم تستباح كمال^(٤)
وقوله [من السريع] :

يا ماکراً بي وبخلانِيهِ مهلاً فما المکر من المکرّماتِ
عليک بالصحبة فهي التي تحيا فتحييک إذا المکرّماتِ
* * *

٧٢ - أبو العباس أحمد بن إسحاق الجرمقي

كاتب فيلسوف مهندس شاعر ، من كتاب الأمير خلف ، وتنقلت به الأحوال
والأسفار بعده ، فوقع إلى نيسابور في عوده إلى بلاده ، ومن مشهور شعره قوله [من
المتقارب] :

رحلتُ وذاهبٌ عقلي ورأيي لبعذك بادٍ ودانٍ ورائي
أسير أسير الهوى سادراً فعزمي أمامي ورأيي ورائي

(١) الصدغ : ما بين العين والأذن من الوجه .

(٢) كمال : هونا « كمال » مضافاً لياء المتكلم .

(٣) كمال : هونا كاف التشبيه وما الموصولة ولام الجر وياء المتكلم .

(٤) كمال : هونا كاف التشبيه ولفظ « مال » مضافاً لياء المتكلم .

وقوله مع الإشارة [من الوافر] :

أنا من لست أعرف لي سواه من الأقوام ركناً أو ملاذا
أحبك حباً صباً مستهام وفي استِ أمّ الذي يقلبك هذا

وكتب لي بإسفرائين شيئاً من شعره ، فمن ذلك قوله من قصيدة في أبي الفتح
بشر بن علي ، أولها [من المنسرح] :

غيري يطلُّ الدموع في الطلل موهماً بالغزال والغزل
كنت عزوفاً عن الملاعب في غدوة عمري فكيف في الطفل^(١)
ولم يكن لي من الهوى نهلٌ فكيف تسمو نفسي إلى علل^(٢)
ولم أقبل زهواً يدي ملك فأين لعس الشفاه من قبلي

ومنها :

يا عاذلي في قصور حظي قد ترى اجتهادي فاكفف عن العذل
إن فلّ مالي فذاك من قبل الـ أقدار إمّا اعتبرت لا قبلي

ومنها :

ويلزم اللوم في الخصاصة لو كانت تنال الحظوظ بالحيل
لو كان يسمو بفضله أحداً لما تأخرت عن مدى زحل

ومنها :

إن زال ما كنت فيه من عملٍ فإنّ ما كان فيّ لم يزل
وإنّني بعد من معاودة الـ إقبال لي آنفاً على أمل
بيمن جدّ الأستاذ مولاي بشـر بن علي بن يوسف بن علي

* * *

(١) الطفل : الوقت الذي يسبق الغروب .

(٢) العلل : الشراب .

٧٣ - أبو الحسن عمر بن أبي عمر السجزي النوقاني

أديب شاعر فقيه ، من حسنات سجستان ، وله غير رحلة واحدة إلى خراسان والعراق في طلب الأدب والعلم . وكان أقام على حضرة صاحب برهة يستفيد من مجالسها ويقتبس من محاسنها ، وحين استأذنه لمعاودة بلده والتمس الكتاب بالوصاية به . وقع على ظهر رقعة : كنا نؤثر - أطال الله تعالى بقاءك ! - أن تقيم ولا تريم ، فقد جمعت من آلات الفضل ما يقتضي اصطناعك في خواص الأصحاب : العقل صحيح الطابع ، والدين سليم الباطن ، والعلم غزير المشرع ، والطبع فياض المورد ، سلسال المكرع ، وأما الشعر فرحيب المباءة مشرق المطلع ، كثير البديع ، واسع الخط ، يترقق فيه ماء القبول . قد صينت جزالته عن صلابة القسوة . وسلاسته عن رقة الركة ، وعمدنا الأدب النحو واللغة ، ولك في كل منهما قدح يجول ، حتى يجلب إليك أعشار الجزول ، وقد استفدت بحمد الله من علم الكلام ما يدعى كفاية المتحقق إن لم يكن مذخورة المتلهف ، ولولا ما وراءك من فرض لا يستحل صدك عن أدائه ، ثم إن لسانك رهينة عندنا على إيابك ، لطال تشبث من لدينا من إخوانك بعطفي مقامك ، ففي دعة الله وحفظه وبركته وعونه ، ومن يقرأ هذا الجواب وخطي عليه مهيمن ولفظي به شاهد يستغنى به عن لقائه بكتاب فاجعله عصرة المبين وعمدة اليقين .

ومن ملح شعره قوله [من الكامل] :

يا ويح قلبي لا يزال يروعه مَن يعزُّ عليه وشك فراق
تتقاذف البلدان بي فكأنتي وُلِّيتُ أمر مساحة الآفاق

وقوله [من الطويل] :

أبت نفسي الدنيا فأنفس مالها كتابُ أبي إلاَّ إليه سكونها
أصون كتابي عن يدٍ لا تصونه صيانة نفسي عن أخٍ لا يصونها

وقوله [من الطويل] :

غلا الشعر في بغداد من بعد رخصه وإنِّي في الحالين بالله واثقٌ

فلمست أخاف الضيق والله واسع
وقوله [من السريع] :

الفقر والإفلاس والضرر
أحسن بالحر على قبحها

وقوله [من المجتث] :

إذا بخلت يبري
فأنت مثلي عبد

وقوله [من مخلع البسيط] :

إن الدماويل برحت بي
أزحف مها أردت مشياً

وقوله [من المتقارب] :

وإني لأعرف كيف الحقوق
ورحب فؤاد الفتى محنة

وقوله من نثفة [من الوافر] :

يعز عليّ إنفاقي شبابي
ولاح بعارضي كافور شيب

وقوله [من الطويل] :

لعمرك إن العمر ما لا يسرني
وإن غنى لا يأمن الفقر ربّه

وله من قصيدة في الأمير خلف [من الوافر] :

لك الدنيا ومن فيها ولكن
تكبر ذا الزمان على بنيه

تلاحظها بعينيك احتقارا
فعلش حتى تعلمه الصغار^(٢)

(١) الدماويل : جمع دمل ، وبرحت : آلت . (٢) الصغار : الضعة والاحتقار .

وصار صغارهم فيه كباراً قدم حتى تردّهم صغاراً
خدمت لك الملوك أروضُ نفسي لآمن تحت خدمتك العثارا^(١)
ولو كانت لك الدنيا جعلنا لك الدنيا وما فيها نثارا^(٢)

* * *

(١) العثار : السقوط والزّلل .

(٢) النثار : ما ينثر في العرس من الدراهم وغيره .

الباب السابع

في تفاريق من ملح أهل بلاد خراسان ، سوى نيسابور و غرهم

٧٤ - أبو القاسم الداودي

هو اليوم صدر أهل الفضل ، وفرد أعيان الأدب والعلم بهرة ، يضرب في المحاسن بالقدرح المعلى ، ويسمو منها إلى الشرف الأعلى ، وأخباره في الكرم مذكورة ، ومآثره في الرياسة مأثورة .

وهو القائل وكتب به إلى صديق له من الغرباء أنفذ إليه مبرة [من الخفيف] :
ربما قصرَ الصديقُ المقلُّ عن حقوقِ بهنٍّ لا يستقلُّ
ولئن قلَّ نائلُ فصفاءٍ في ودادٍ ومنَّةٍ لا تقلُّ
أرخِ سترًا على حقارةِ برِّي هتكُ ستر الصديق ليس يحلُّ

وأنشدني يحيى بن علي البخاري لأبي القاسم [من الكامل] :
قالوا ترفَّقْ في الأمور فإنَّه يجدي ويمري الدرُّ بالأساس^(١)
ولقد رفقت فما حظيت بطائلٍ ما ينفع الأساس بالأتياس

وأنشدني غيره له ، ويجوز أن يكون تمثل به [من الكامل] :
وإذا الذئاب استنعت لك مرةً فحذار منها أن تعود ذئابا

(١) يمري الدرّ بالاساس : أس أن استخراج اللبن باللبن والملاطفة .

فالذئب أحب ما يكون إذا بدا متلبساً بين النعاج إهاباً^(١)

* * *

٧٥ - أبو محمد عبد الله بن محمد بن يحيى الداودي الهروي الفقيه

أنشدني له أبو سعد نصر بن يعقوب في التفاح المنقط [من الخفيف] :
ناولتني تفاحةً وسمتها دائراتٍ بحسن نقطٍ عجيب^(٢)
كدموعي ممزوجةٌ بدماءٍ قاطراتٍ في صحنٍ خدٍ حبيبي
وله في السفرجل [من المتقارب] :

غصون السفرجل ملتفةٌ فمعتدل القدُّ أو منثنى
وقد لاح في زئبرٍ شاملٍ كصفراءٍ في معجرٍ أدكن^(٣)
وله [من الوافر] :

أما شائقك روضةٍ دستجرد كعقدٍ أو كوشي أو كبرد
تطير فراشها بيضاً وحمراً كريحٍ طيرت أوراق ورد

* * *

٧٦ - أبو الحسن المزني

هو أشهر بالشرف والمجد ، وذكره أسير في الأدب والفضل ، من أن ينبه على
محله في الوجاهة والسيادة والرياسة والوزارة ، وله شعر كثير لم يعلق بحفظي منه إلا
بيت واحد قاله في الأمير أبي الحسن بن سيمجور ، وهو هذا البيت [من الطويل] :

(١) الإهاب : الجلد .

(٢) وسمتها : علّمها وعصّتها .

(٣) الزئبر : ما يعلو الثوب الجديد من وبر أو نحوه . والمعجر : ثوب تشده المرأة على رأسها . والأدكن : المائل الى السواد .

ولم أر ظلماً مثل ظلمِ يَمْسُئاً يُسَاءُ إلينا ثم نؤخذ بالشكرِ

* * *

٧٧ - أبو سعد أحمد بن محمد بن ملة الهروي

أحد بلغاء خراسان المذكورين ، وفضلائها المشهورين ، وعقلائها الموصوفين ، وكان في آخر عمره مرتبطاً بالحضرة السامانية في جملة المشايخ الذين يشاورون في الأمور ويستضاء بآرائهم في ظلم الخطوب ، وكان متبحراً في النثر ، مقلداً من قول الشعر ، وهو القائل [من المتقارب] :

وكان الصديقُ يزور الصديقَ لشرب المدامِ وعزفِ القيانِ
فصار الصديق يزور الصديق لبثُ الهمومِ وشكوى الزمانِ

وله في نفسه [من الطويل] :

له همٌّ ما إن تزال سيوفها قواطعُ لو كانت لهنَّ مقاطعُ

* * *

٧٨ - أبو روح ظفر بن عبد الله الهروي

فاضل بحقه وصدقه ، كاتب شاعر فقيه ملء ثوبه ، ممدوح بالسنة الفضلاء

من أهل عصره ، وفيه يقول أبو الفتح [من الوافر] :

أبو روحِ أدام الله عزَّه ألدُّ إذا انبرى للخصمِ عزَّه
وذاك لأنه هجر الملاهي فصار كثيراً والعلم عزَّه^(١)

وله أيضاً [من الخفيف] :

(١) كثيرٌ : أحد الشعراء المعروفين بالعشق والنسيب ، وعزّة : حبيته التي عرف بها وتغرّل فيها .

قل لذي العزّ والمحلّ النبیه لأبی روح الفقیه الوجیه
من دعاه إخوانه فتباطى لا لعذرٍ عنهم فقیه وفیه
وولى قضاء عدة من بلاد خراسان ، وشعره كثير مدون ، یجمع الجزالة
والسهولة ، والمتانة والعذوبة ، ویخرج منه الفقر والغرر ، كقوله من قصیده [من
الكامل] :

السيف یعلم أنّ لی فی حدّه سراً نهاه الدهر عن إفشائه
والدهر یعلم أنّ لی فی صدره ناراً مضرمةً علی أحشائه
هممٌ مؤرقةٌ جفونی کلّما أرخى الظلام علی ذیل خبائه^(١)
ولو ان أطراف الرماح وفین لی لأخذت حقّ الدهر من أبناؤه
همم النفوس منوطةٌ بعنائها والمرء یخدعه لسان رجائه
وقوله ولم یسبق إلیه فی مدح الطفیلی [من السریع] :

إنّ الطفیلی له حرمةٌ زادت علی حرمة ندمانی
لأنّه جاء ولم أدعه مبتدئاً منه بإحسان
مائدتی للناس مبسوطةٌ فلیأتها القاصی مع الدانی
أحببُ بمن أنساه لا عن قلیّ وهو یجینی لیس ینسانی

وقوله وهو فی نهاية الملاحه [من الكامل] :

یا مَنْ تذكّرني شمائله ریح الشمال تنفّست سحرا
وإذا امتطی قلماً أنامله سحر العیون به وما سحرا

وقوله لبعض أصداده [من الهزج] :

حقیقٌ بك أن تطعم عقصاً وهو معکوس

(١) وقع هذا البيت فی « ب » متأخراً فی الترتیب عن البيت الذي بعده .

وأن يلبس جنباك الذي مقلوبه طوس
فهذا لك مطعم وهذا لك ملبوس

٧٩ - منصور بن الحاكم أبي منصور الهروي

قد حسن الله شمائله ، وكثر فضائله ، فهو من أعيان هراة ، وآحادها ،
ومفاخرها وأفرادها ، وشعره مدون كثير الملح ، كقوله [من مجزوء الخفيف] :

يوم	دجن	هواؤه	فاختي ^(١)	رواؤه ^(١)
مطرتها	مسرة	حين	صابت	سماؤه
أشبه	الماء	راحة	وحكى	الراح ماؤه ^(٣)
داو	بالقهوة	الخما	ر	ففيها دواؤه
لا	تعاتب	زماننا	إن	عرانا جفاؤه
شدة	الدهر	تنقضي	ثم	يأتي رخاؤه
كدر	العيش	للفتى	يقتفيه	صفاءه
وكذا	الماء	يسبق	الصفو	منه جفاؤه

وقوله [من الوافر] :

معتقة أرق من التصابي ومن وصل أتى بعد التناثي
يطوف بها قضيب في كتيب تطلع فوقه بدر السماء^(٣)

(١) يوم دجن : يوم مظلم بالسحاب الممطر. فاختي رواؤه : أي رواؤه مباح أو أنه يسمع لمطره وهوائه صوت .

(٢) الراح : الخمرة .

(٣) القضيب : الرشيقي القد ، والكتيب : ما علا من الرمل .

لواظظه تبثُ السحر فينا وفي شفتيه أسباب الشفاء
وله [من الكامل]:

قرن الزمان إلى البنفسج نرجساً
كخدود عشاقٍ بدت ملطومةً
وله [من الوافر]:

وأغيد ساحرِ الألحاظِ أدعجُ
أضاف إلى فؤادي السقم لمأً
وله [من الكامل]:

قم يا غلام فهاتها حمراءُ
فالיום قد نشر الهواء بأرضنا
وله [من البسيط]:

خشفُ من الترك مثلُ البدر طلعتُهُ
كأنَّ عينيه والتفتير كحلُّهُما
وله [من الكامل]:

الله جار عصابة رحلوا
ما الشأن ويلك في رحيلهم
وقوله في المرأة [من الرجز]:

زاهية تشبه كلَّ صورة
تتمُّ إلاَّ أنَّها معذوره
أسرارها مستورة مشهورة
نفس أخي الحُسن بها مسرورة

(١) الدعج : السعة في العين مع شدة البياض والسواد . والمفرج : المصبوغ بالحمرة الدموية .

وله [من الخفيف]:

روضة غضة علاها ضبابٌ قد تجلّت خلالها الأنوار
فهى تحكي مجامراً مذكياتٍ قد علاها من البخور بخارٌ

وله [من الوافر]:

أبا عبد الإله العلم روحٌ وجدتك دون كلّ الناس شخصّة
لذلك كلّ أهل الفضل أمسوا كحلقة خاتمٍ وغدوت فصّة

وله [من الرجز]:

وشادنٍ في الحسن فوق المثلّ أبصر منّي بوجوه العمل
قبّلت كفيّ فقال انتقل إلى فمي فهو محلّ القبل

وله [من الوافر]:

بقيت مدى الزمان أبا عليّ رفيع الشأن ذا جدّ عليّ
فأنت من المكارم والمعالي بمنزلة الوصيّ من النبيّ

وله [من البسيط]:

يا أيّها العاذل المردود حجّة أقصرّ فعذريّ قد أبدته طلعتّه
ماذا بقلبيّ من بدرٍ بليتّ به لليث أخلاقه ، والخشف خلقتّه

٨٠ - أبو أحمد الساوي الهروي

قال [من السريع]:

هراة ارضٌ خصبها واسع ونبتها اللّقاح والنرجس

ما أحدٌ منها إلى غيرها يخرج إلا بعد ما يفلس

٨١ - أبو الربيع البلخي

من المتصرفين على أعمال المظالم من الحضرة السامانية ، وهو القائل في الشاش [من المجتث] :

الشاش في الصيف جنةً ومن أذى الحر جنةً^(١)
لكنه يعتريني بها لدى البرد جنةً

وله [من مجزوء الكامل] :

ما يوم منكوبٍ حزينٍ مستهام القلب خائفٌ
بأمدٍ من يوم الظريف إذا تجوَّع للقطائفِ
وإنما نسج فيه على منوال من قال [من مجزوء الكامل] :

ما ليلةً المهجوءُ با عدت النوى عنه أنيسةُ
أو ليلةً الملسوع حا ذر مية النفس النفيسةُ
بأمدٍ من ليل الظريف إذا تجوَّع للهريسه

٨٢ - أبو المظفر البلخي

من شعره قوله [من الطويل] :

بلوتك يا دنيا مراراً كثيرةً فلم تُرعيني في هواك فريه

(١) جنة الأولى : من الجنة أي الظلال الوارفة وجنة الثانية : أي السرّ والدرع . وجنة الثالثة : من الجنون .

فإن كنت في عين اللئيم خطيرةً فأنك في عين الكريم حقيره
 وإن تصرفني عنّي أذاك فخيرٌ وإن تصرفني نحوي أذاك فحيره
 وله [من مجزوء الكامل] :

قال الحكيم الفارسيّ بزرجمهر ثمّ مزدكُ
 لا ترضين من الصديق كيف أنت ومرحباً بكُ
 حتّى تجرّب ما لديه لحاجةٍ إمّا بدت لكُ
 فإذا وجدت فعاله كمقاله فيه تمسكُ

٨٣ - أبو بكر بن الوليد البلخي

من شعره قوله [من مخلع البسيط] :

ثلاثةٌ فقدّها كبيرُ الخبزُ واللحمُ والشعيرُ
 والبيت من كلّها خلاءُ فجَدُّ بها أيُّها الأميرُ

وله من نتفة [من مجزوء الرمل] :

أحسن الأشعار عندي «وأنف بالخمير الخمارا»
 وألذُّ الآي عندي (وترى الناس سكارى)

وله [من الخفيف] :

خلّةٌ في من خلّال الحمير لم يطبّ لي شربٌ بغير صفير
 وله [من البسيط] :

ما سمّت العجم الهيمان هميانا إلّا لأجلال ضيفٍ كان من كانا^(١)

(١) ورد عجز البيت : إلى لأجلال ضيفٍ كان من كانا « ولا يستقيم المعنى والوزن .

فالمه أكبرهم ، والمان منزلهم ، والضيف سيدهم ما لازم المانا^(١)

٨٤ - الحسن الضرير المروروزي

في غلام نصراني [من المتقارب] :

وما أنس لا أنس ظبي الكناس يريد الكنيسة من داره
يحوط بزناره خصره ومرعى الجمال بأزراره
فياحسن ما فوق أزراره ويا طيب ما تحت زناره

٨٥ - أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن إسماعيل الفقيه الطوسي

افتتن بغلام من الشطار فقال فيه [من الطويل] :

أتوعدني بالقتل والقتل راحتي فلا تخلف الإبعاد خلفك ميعادي

وقال في غلام أعطاه كتاب العين [من الوافر] :

كتاب العين ظلّ يقرّ عيني ويصلح بين من أهوى وبينني
كتاب العين قوَادَ لطيفٌ يحلّ إليك عصم التفلتين^(٢)

(١) المة : الرفق ، والمان : المؤونة والقوت ،

(٢) القوَاد : سمسار المرأة البغي . والغصم : المنع . والتفلتين : الشفتين ، فهما ممرّ الريق والبصاق .

٨٦ - أبو محمد الطوسي

قال [من مخلع البسيط] :

أبوك في الناس سل سيفاً بمضريه يفلُ صفاً
وذلك الصفُ كان غزلاً وذلك السيف كان خفّاً

٨٧ - أبو سهل المعقلي الطوسي

قال [من المجتث] :

يا دولة ليس فيها من المعالي شظية
زولي فما أنت إلا على الكرام بليه

٨٨ - أبو نصر الروزبازي [الفقيه الطوسي]

من شعره قوله [من مجزوء الرمل] :

لي خمسون صديقاً بين قاضٍ وشريفٍ
وأُميرٍ ووزيرٍ وفقيةٍ وظريفٍ
فاذا احتجت إليهم لم يفوا لي برغيفٍ

الباب الثامن

٨٩ - في ذكر الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي

وإيراد محاسن من نثره ونظمه

* وما محاسن شيء كله حسن *

القول في آل ميكال وقدم بيتهم ، وشرف أصلهم ، وتقدم أقدامهم ، وكرم أسلافهم وأطرافهم ، وجمعهم بين أول المجد وآخره ، وقديم الفضل وحديثه وتليد الأدب وطريقه ، يستغرق الكتب ، ويملاً الأدراج ، ويحفي الأفلام ، وما ظنك بقوم مدحهم البحتري ، وخدمهم الدريدي وألف لهم كتاب الجمهرة وسير فيهم المقصورة التي لا يلبسها الجديدان ، وانخرط في سلكهم أبو بكر الخوارزمي وغيره من أعيان الفضل وأفراد الدهر ، وكان كل من الشيخ أبي العباس إسماعيل بن عبد الله وابنيه الرئيس أبي محمد عبد الله والأمير أبي القاسم على أمة على حدة ، وعالماً في شخص واحد ، وما منهم إلا من يضرب به المثل في الشرف ، والأمير أبو نصر أحمد بن علي الآن بقية الأماجد وغرة الأكارم وعمدة الأفاضل وواحد خراسان ومفخرتها وجمالها وزينتها ، ومن لا نظير له في شرف النفس وبعد الهمة ورفعة الشأن وتكامل آلات السيادة . والأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد يزيد على الأسلاف والأخلاف من آل ميكال زيادة الشمس على البدر ، ومكانه منهم

الواسطة من العقد ، لأنه يشاركهم في جميع محاسنهم وفضائلهم ومناقبهم وخصائصهم ، ويتفرد عنهم بمزية الأدب الذي هو ابن بجدته^(١) وأبو عذرته وأخو جملته ، وما على ظهرها اليوم أحسن منه كتابة وأتم بلاغة ، وكأنما أوحى بالتوفيق والتسديد إلى قلبه . وحبست الفقر والغرر بين طبعه وفكره ، فهو من ابن العميد عوض ، ومن الصاحب خلف ، ومن الصابي بدل ، ثم إذا تعاطى النظم فكأن عبد الله بن المعتز وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر وأبا فراس الحمداني قد نشروا بعد ما قبروا ، وأوردوا إلى الدنيا بعد ما انقرضوا . وهؤلاء أمراء الأدباء ، وملوك الشعراء ، وقد أنصف من وصف بلاغته في النثر وبراعته في النظم حيث قال من قصيدة [من الكامل] :

يا من كساه الله أردية العلى	وجباهُ عطر ثنائها المتضوع ^(٢)
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه المسعود	قلت لمقلتي فيها ارتعي
وإذا قرئت الأذن شهد كلامه	قلت اسمعي وتمتعي وارعي وعي ^(٣)
وكانما يوحى إلى خطراته	في مطلع أو مخلص أو مقطع ^(٤)
لك في المحاسن معجزات جمّة	أبدا لغيرك في الورى لم تجمع
بحران بحر في البلاغة شابه	شعر الوليد وحسن حفظ الأصمعي
وترسل الصابي يزين علوه	خط ابن مقلّة ذي المحلّ الأرفع
شكراً فكم من فقرة لك كالغنى	وافى الكريم بعيد فقر مدقع
وإذا تفتّق نور شعرك ناضراً	فالحسن بين مرصّع ومضرّع ^(٥)
أرجلت فرسان القريض ورضت أف	راس البديع وأنت أفرس مبدع

(١) بجدته : أهله ، والعالم المتقن له .

(٢) الأردية : جمع رداء وهو الثوب أو يرتديه الانسان . المتضوع : الذي يفوح بالعطر .

(٣) قرئت الأذن : من القرى : أي اسمعتها أجمل كلامه .

(٤) خطراته : أي ما يخطر في باله من أمر .

(٥) المضرّع : أي ذليل وخاضع .

ونقشت في فصّ الزمان بدائعاً
وحويت ما تكنى به طراً فلم

وقال من أخرى [من الكامل] :

يا من له كلّ الذي يكنى به غنتُ بسؤددك الحمام الهتفُ
وتصرفت بك في المكارم والعلی وملكت أحرار الكلام كأنها
وكأتما نورُ الربيع وزهره ومفرّق العليا لديه مؤلفُ^(١)
وحكت أناملك الغيوم الوكفُ^(٢) هممُ على قمم النجوم تصرفُ
خدمُ وغلمانُ لأمرک وقفُ من وشي خطك في المهارق أحرفُ^(٣)

وقال [من السريع] :

إنني أرى ألفاظك الغراً عطّلت الياقوت والدرّاً
لك الكلام الحرّ يا من غدا معروفه يستعبد الحرّاً

وقال [من المنسرح] :

سبحان ربي تبارك الله ما أشبه بعض الكلام بالعدل
والمسك والسحر والرقى وابنه الكرم وحليّ الحسان والحلل
مثل كلام الأمير سيدنا نثراً ونظماً يسير كالمثل

وقال من أخرى [من مجزوء الرجز] :

يا	كعبة	المعالي	وقبله	الآمال
وغرّة	الجمال	وصورة	الكمال	
وطالع	الإقبال	وعارض	الإفضال	

(١) و(٢) : أراد بما تكنى به : الفضل ، لأن كنيته أبو الفضل .

(٣) الوكف : المطرة السائلة .

(٤) الوشي : الزخرفة والانتقان . والمهارق : الصحف البيضاء .

وأفة	الأموال	بدر	بني	ميكال
كم لك من مقال	أصفى	من	الزلال	
أحلى من السلسال	أبهى	من	اللالى	
أزكى من الغوالي	أمضى	من	العوالي	
أقضى من النصال	أضوا	من	الهلال ^(١)	
أسرى من الخيال	أبقى	من	الجبال	
فاسلم على الليالي	ودم	بخير	حال	

وقد أوردت في هذا الباب من فصوص فصوله التي أخرجها من رسائله وبوبها في كتاب له وسمه بالمخزون ما يؤرخ به محاسن الكلام ، ويزيد في مفاخر الأقلام ، ويستحق أن يدعي لفظ الدر ، وخدع الدهر ، وعقد السحر ، وأتبعته من غرر شعره ، وثمار فكره ، بما تجمع منه اليد على البازي الأبيض والحجر الأسود والكبريت الأحمر ، والعيش الأخضر ، وملك بني الأصفر.

فصول من باب وصف الكتب بالحسن والبلاغة ولطف المواقع

من الكتاب المخزون المستخرج من رسائله

فصل - إنه ألقى إلي كتاب كريم ، عنوانه غنم جسيم ، وعيانه فضل عميم ، فلو استطاع قلبي لسعى إليه إعناقاً ، والتف عليه عناقاً .

فصل - وصل كتابه فأدركت به بغية الحريص ، وخلتني يعقوب وقد بشر بالقميص .

(١) أضوا : أراد أضوا فسهل الهمة بقلبها ألفاً لانفتاح ما قبلها وذلك للضرورة الشعرية .

فصل - كتابه تعلقة الرجاء . وقوت النفس . وعلة النشاط ، وقوة الأنس .
فصل - كتابه أوصل الأنس إلى سواد القلب وصميمه ، وأماط الوجد وقد ألح
في تصميمه .

فصل - أنا أولى بالحمد وقد لحظت مواقع أنامله ، وشممت بوارق فضائله ،
من راعى القفر وقد رأى القطر سكبا ، بعد سنين تتابعت جدبا .

فأصاخ يرجو أن يكون حياً ويقول من فرح هياً رياً
فصل - الحمد لله ملء القلوب والضمائر ، وفوق وسع الحامد الشاكر ، إذ
أقبلت غمامة من ناحيتك برقها خلق كريم ، وقطرها برعميم ، فروت روض الأنس
وقد اكتسى ذبولاً ، وأهدى إليه من نسيم عهده صبا وقبولا ، حتى انجلت عنه
غبرته ، وعادت إليه نصرته .

فصل - كتابك تميمة فضل ، وثمانية عقد ، ولطيمة خلق ، ویتيمة مجد ،
وغنيمة بر .

فصل - كتابك يجلو صفحة العهد^(١) ، ويجيل قداح الأنس^(٢) ، ويجل عن
قدر الشكر .

فصل - نشرت من كتابك عصب اليمن^(٣) . ونظرت منه إلى الطالع الأسعد
والطائر الأيمن .

فصل - لقيت كتابك تحلية الإحسان والإبداع ، وحلية النواظر والأسماع
ومسن الخواطر والطباع ، وصيقل الأفكار والألباب ، وعيار المعارف والآداب .

فصل - كتاب سلب الماء رفته ، والنحل ريقته .

(١) العهد : أول مطر السنة ، أو الذمة والميثاق .

(٢) يجيل : من أجال : أي أدار .

(٣) عصب اليمن : أثواب اليمن الملوثة .

فصل - كلامك شهدة النحل ، وثمره الغراب ، وبيضة العقر ، وزبدة الأحقاب .

فصل - وصل كتابك فأذعنت القلوب لفضله بالاعتراف ، واختلفت الألسن في تشبيهه ببدايع الأوصاف ، فمن مدح أنه رقية الوصل ، وريقة النحل ، ومنتحل أنه سلاف العنقود ، وقائل هو نور خمائل ، وسحر بابل ، فأما أنا فتركت التمثيل ، وسلكت التحصيل ، وقلت : هو سماء فضل جادت بصوب الحكم ، ووشى طبع حاكته سن القلم ، ونسيم خلق تنفست عنه روضة الكرم .

فصل - سررت بكتابك سرور من فُدي بذبح عظيم ، وبُشّر بغلام عليم .
فصل - قلمك ترب البروق ونظيرها^(١) ، ويدك أم البلاغة وظئرها^(٢) وكلامك هو الدر يستغني عن السلك ، والابريز يجل عن السبك ، والسحر إلا أنه بريء من الشرك .

فصل - كتابك شريعة وردي ، ومهب شمالي ، ومرمى طرفي . ومسرح آمالي ، ونجي فكري ، وحلم هجودي ، وأرض خصبي ، وسماء سعودي .

* * *

ومن باب الإخوانيات

فصل - أيام ظل العيش رطب ، وكنف الهوى رحب . وشرب الصبا عذب ، وما لشرق الأنس غرب .

فصل - أنا في مقاساة حر الشوق إليك * كما اعتاد محموداً بخير صالب *
وفي تذكر الاجتماع معك * كما اهتز من صرف المدامة شارب * وفي تكلف الصبر

(١) الترب : المثيل .

(٢) الظئر : الموضع .

عنك * كطالب جدوى خلة لا تواصل * وفي القلق لفراقك * كطائر جو أعلقته
الحبائل * .

فصل - أيامي معك بين غرة ولمعة ، وعيد وجمعة .

فصل - أنا أخو مودتك الذي لا يخشى نبوه وعقوقه ، وسهم نصرتك الذي
نحو العدى نصله ونحوك فوقه^(١) .

فصل - إني لأجد ريح مولاي فأتنسم روح السكون ، ولا أقول لولا أن
تفندون^(٢) .

فصل - كنت كمن خرج يبغي قبساً ، فرجع نبياً مقدساً .

فصل - أشكو إليك شوقاً لو عالجه الأعرابي لما صبا إلى رمل عالج ، أو
كابده الخلي لانشئ على كبد ذات حرق ولواعج .

فصل - وددت لو أنه ركب الفلك الدائر ، وامتنى النجم السائر . وكان
البرق زاملته^(٣) ، والبراق راحلته^(٤) ، والسماك هاديه ، والخضر حاديه^(٥) والصبا
إحدى مراكبه ، والجنوب بعض جنائبه^(٦) ، لينقضي عمر الانتظار ، ونسعد بالقرب
والجوار .

فصل - لا خير في ود لا يعرف إلا بشاهد ، ولا ينهض إلا براقد .

(١) الفوق : موقع الوتر من رأس السهم .

(٢) تفندون : تكذبون .

(٣) الزاملة : ما يحمل عليه من الدواب .

(٤) الراحلة : ما يمتطى عليه من الدواب .

(٥) الخضر : أحد الأنبياء الذين كتب لهم الخلود .

(٦) الصبا : الريح الشمالية الباردة ، والجنوب الريح الجنوبية .

مشرق السحنة^(١) ، واضح السنة ، بعيد من الظنة^(٢) .

فصل - طالعت عهدي لديه ضاحي البشر ، ضاحك الزهر ، طلق الوجه ،
باسم الثغر ، قد رفت عليه ظلال كرمه ، ورقت له حواشي أخلاقه وشيمه ، فحمى
وجه بهائه أن يشحب ، ورونق مائه أن ينضب .

فصل - وصل كتابه لا أقبل دعوى ولا يعدله شهود ، ولا يعدله يوم مشهود .

فصل - أنا أتوقع كتابك أطول من ليلة الميلاد ، وأمتع من نسيم ريح
الأولاد .

فصل - كتبت هذه الأحرف وأنا أود أن مدادها سواد طرفي ، وبياضها جلدة
بين عيني وأنفي ، وحاملها دون سائر الناس كفي .

فصل - لا تفارق نفسي فيك أشواقها ، حتى تفارق الحمامم أطواقها .

فصل - لولا التعلل باللقاء لتصدعت أكباد وقلوب ، وكانت بيني وبين النوى
شؤون وخطوب .

فصل - ما آسى إلا على أيام أمتعتني من مؤانستك بالعين طلقا ما عليه
رقوب^(٣) ، وأسعفتني من مجالستك بالدهر ليس فيه خطوب .

فصل - بي إليك شوق لم يكابده قلب متمم ، ووجد لم يدعه مالك لمتمم^(٤)

فصل - أنا في مفارقتك كنبات الماء نضب عنها الغدير ، ونبات الأرض أخطأه
النوء المطير .

(١) السحنة : الهيئة واللون .

(٢) الظنة : الشبهة .

(٣) رقوب : أي رقيب نحذره .

(٤) مالك ومتمم : هما ابنا نويرة ، قتل مالك في حروب الردة على يد خالد بن الوليد وبكاه متمم بكاءً أطال
لواعجه .

فصل - شوق عابث أقاسيه . وامتنع عنه الصبر فما يواسيه .
فصل - ذمام ودك عندي لا يخفر ، وإن أتيت بما لا يغفر .

* * *

ومن باب الشكر والثناء

فصل - للنعم عماد من الشكر يحرسها أن تميل وتميد ، وعقال من الثناء والحمد يمنعها أن تبید وتحدید ، وكثيراً ما يسكر الشارب بكأس سرورها . ويعشى عينه بشعاع نورها^(١) ، فيذهل عن حفظ ذمارها ، ويذهب عن واجب مرتبتها واستثمارها ، ويكون كمن أزعجها بعد الاستقرار ، وعرضها للنفار ، فلا يلبث أن يزل عن مرقاتها قدمه^(٢) ، ويطول على ترك موجباتها ندمه ، ويحصل منها في برج منقلب ، وينظر من نعيمها في أعجاز نجم مغترب .

فصل - كم لك عندي من يد غصة ما لي بشكرها يدان ، وعلى عاتقي من ثقل منة يعجز عن حملها الثقلان .

فصل - لولا أن من عاداته متابعة النعم لقلت رفقا بكاھلي ، فقد أثقله الرغد ، وأناملني فقد أعيأها العد ، لكنه الغيث لا يستكف واكف سحابه ، والبحر لا يزحم زاخر عبابه .

فصل - لو ملكت من مقاود البيان ، ما يملك من مقالة الإحسان ، لأجلبت عليه من شكري بخيل ورجل ، وجلبت إليه من فيض بناني سجلا بعد سجل ، وكلاً فقد خذلتني عبارتي مذ تناصرت عندي مواهبه ، ونزفت بلاغتي منذ درت على سحائبه .

(١) يعشي عينه : يغض طرفه من شدة النور، والأعشى : الضعيف البصر .

(٢) المرقاة : المنزلة والمكانة ، وارتقى : صعد .

فصل - لا أعدهم الله نعمة يطوق الشكر جيدها ، ويمتري بلطفه الحمد
مزيدها^(١) .

فصل - قلدني مئة تندي ألسنة الشكر ، وتنادي بذكرها أندية الفضل .

فصل - ذاك فضل ملك عنانه ومقادته ، فقهر أعيانه وقادته .

فصل - لو استطعت لطرت إليه بأجنحة الجنائب^(٢) ، وخطبت بالشكر على
متون الكواكب .

فصل - ما هو إلا صوب كرم إذا فاضت منه سجال تلتها سجال ، وإذا جادت
بها يمين رفدتها شمال .

فصل - خدمته أيام كانت رياسته سراً في ضمير الأيام ، ونوراً في أكمام
الظنون والأوهام .

فصل - أنامله فرصة كل وارد ، وعرضه كل قاصد .

فصل - يذبُّ عن حرم المعالي بذباب حسامه ، ويحمي غربها بغرار
أقلامه^(٣) .

فصل - كم له من مكارم جدد منهج أطمارها ، وأذكى سنا أقمارها .

فصل - له الأمر المطاع ، والشرف اليفاع^(٤) ، والعرض المصون والمال
المضاع .

فصل - مساعيه ضرائر النجوم ، وأنامله ضرائر الغيوم .

فصل - أملى محاسنه وأيدي الأيام تكتب ، وأثنى بأياده وألسنة الحال تشهد
وتخطب .

(١) يمتري : يستخرج .

(٢) الجنائب : الشوق أو الريح .

(٣) يذبُّ : يدفع ويحمي .

(٤) اليفاع : التل المشرف من الأرض .

فصل - وهو واحد العصر ، وثاني القطر ، وثالث الشمس والبدر .
فصل - ذاك سلطان فضل هو عرابية رايته^(١) ، وميدان سباق وهو عكاشة
عنايته .

فصل - ما هو إلا صفيحة فضل طبعت من سكتك ، وسبيكة مجد ضربت
على سكتك^(٢) .

فصل - ما هو إلا نجم طلع في سمائك ، ومعنى اشتق من أسمائك .
فصل - أفاض عليه من صوب رشاشه ، ما أروى غلة مشاشه^(٣) .
فصل - ثناء أطيب من فوح الأزاهر ، وأطيب من ترجيع المزاهر .
فصل - ثناء كما يتفتق المسك من أكاماه ، ويتنفض الروض غب^(٤)
رهامه .

فصل - ما هو إلا لمعة من بركك ، ورذاذ من ودقك^(٥) ، ونجم طلع في
أفقك ، وشعلة قدحت من نارك ، ورشاش ارفض من سحابك^(٦) .

فصل - أحيا كتابك مني نفساً مواتا ، وأنشر أملاً رفاتاً ، وتلافي حشاشة
كانت من الهلك على شفا^(٧) ، وبل ريقاً لم يدع للناس فيه مرتشفا .

* * *

(١) عرابية : أشار به إلى عرابية الأوسي الذي مدحه الشماخ بن ضرار بقوله :
إذا ما راية رُفِعَتْ لمجدٍ تلقأها عرابية باليمين
وعكاشة : أشار به إلى عكاشة بن محصن الذي قال فيه رسول الله عليه الصلاة والسلام : « سبقك بها
عكاشة » .

(٢) الشكة : مختلف الأخلاق والطباع .

(٣) المشاش : النفس .

(٤) غب رهامه : بعد ضعفه وذبوله .

(٥) الودق : المطر .

(٦) ارفض : هطل .

(٧) شفا : حرف ، وحد .

ومن باب العتاب والذم وشكوى الحال

فصل - عتاب من قلب خالص ، وصدر سليم من القوارص ، خير من ود سامري ، وعرض سائري .

فصل - لو تكللت بالشعري العبور ، وتلثمت بالفجر المنير ، واتخذت الثريا وشاحاً ، والجوزاء نطاقاً ، واستعرت من الشمس ضياء ، ومن البدر إشراقاً ، لما كنت إلا مغموراً خاملاً ، وعقداً عاطلاً .

فصل - لست أدري سبب عتبك فأتوب إليك توبة سحرة فرعون ، وأخلص وأعتذر إليك اعتذار النابغة إلى النعمان ، وأبلغ وأخضع لك خضوع المعزول للوالي ، بل خضوع الجرب للطالي ، وأضرع إليك ضراع الصبي للمعلم ، بل الذمي للمسلم .

فصل - كيف ترميني بظنة ؟ وقد علمت أن قلبي لودك غير مظنة .

فصل - صدعت بالعتاب أعشار فؤادي^(١) ، وتركتني بمنزلة ماء سال به الوادي .

فصل - سحب على ذنبه أذئاب التجوّز ، وستره بأجنحة التجاوز .

فصل - طويت ودي طي الطوامير^(٢) ، ونبذت عهدي في المطامير .

فصل - عاد شرر عتبه ضراما ، وقوارص قوله سهاماً .

فصل - إذا نطق لسان الاعتذار ، فليتسع نطاق الاعتفار .

فصل - جربني تجدني سهل الرجعة ، سمح المقادة ، قريب المنالة ، دائب الصنيعة ، جامد السكينة ، سريعاً إلى المحافظة ، بطيئاً عن الحفيظة^(٣) .

(١) الأعشار : القطع .

(٢) الطوامير : الصحف .

(٣) الحفيظة : الموجدة .

فصل - رددني من جفائه زماناً بين إعراض وقطيعه ، وأوردني منها أَوْخَمَ شريعة^(١) ، حتى إذا ورد كتابه وبى فرحة الظمآن وافق بلالاً ، والعليل صادف إبلالاً ، تضمن من مر العتاب ، ما هو أمض من القذف والسباب ، وكان كثافة مدت بماء^(٢) ، وجمرة أعينت بحلفاء^(٣) .

فصل - وما زلت أداريه وألاطفه ، أوئل أن تلين لي مكاسره ومعاففه ، حتى إذا كشف لي قناع الجفوة ، ومد إلي ذراع السطوة ، جزيته صاعاً بصاع ، وبسطت له باعاً بباع ، وسعيت إلى معارضته بخطى وساع ، وكذلك من ساء سمعا ساء جابة ، ومن زرع مكرراً حصداً خلافة^(٤) .

فصل - كشف لي قناع المجادل ، ورماني من عتبه بالجنادل^(٥) .

فصل - قد تجاريت والدمر في الظلم إلى غاية واحدة ، واخترعتها في العقوق كل بدعة وأبدة^(٦) ، لعلك تزيد عليه وطأ في الظلم ثقيلاً ، وسبحا في التحيل طويلاً ، بل أنت أبعد منه في الإساءة غورا ، وأحد في النكاية غربا ، وأجرى في المناكير قلباً ، لا بل أنت أكثر منه مذاقاً^(٧) ، وأمر مذاقا ، وأظهر خلافا ، وأقل وفاقا ، فما هذه المكاشفة والمخاشنة ؟ وأين المهادنة والمداهنة ؟ وأين الحياء والتذمم ؟ والعفاف والتكرم ، وأين لين المكسر ، ولدونة المعطف ، وحلاوة المذاق ، وسهولة المقطف ؟

فصل - أنا من حاضر جفائك بين ناب ومخلب ، ومن منتظر وعدك بالرجعى

(١) أَوْخَمَ شريعة : أنتن مورد للماء .

(٢) الثاظة : الحمأة والطين .

(٣) الحلفاء : نبات محدّد الأطراف يصنع من ورقه القفف والحصر والحبال ونحوها .

(٤) الخلافة : الخداع .

(٥) الجنادل : الصخور .

(٦) الأبدة : الداهية ، والقافية الشارة .

(٧) المذق : خلط المودة بالكدر أي لم يخلص في مودته وكلامه .

بين جهام وخب^(١) .

فصل - كتابك أقصر من نبقه^(٢) ، وأصغر من بقه ، وأخون من دره ، وأخفى من ذره .

فصل - النعمة عنده تكتسي من لؤمه أظماراً . وتشتكي غربه وإسارا .

فصل - طواني في أدراج نسيانه ، وألقاني في مدارج هجرانه .

فصل - حاجتي عنده في سر الوعد وإضماره ، وميدان المطل ومضماره^(٣) .

فصل - ناديت منه من لا يمكن لفظي من سمعه ، ودعوت من ضره أقرب من نفعه . فقلت إذ أخلف التقدير ، لبئس المولى ولبئس العشير .

فصل - قرأت كلاماً خير منه تعاطي السكوت ، وحجاباً أقوى منه نسج العنكبوت .

فصل - لو خلع الصباح على عذري كسوته ، وأمدّه البلغاء من البيان ما يجلو صفحته ، ثم صلى منه بنار انتقاد ، ولم يرد من صفحه وإغضائه على لين مهاده ، لأتى بنيانه من القواعد وقطع زنده من الساعد .

فصل - يأبى الدهر إلا ولوعاً بشمل وصل يشرده ، ونظام أنس يبده ، ومخلب ظلم يحدده ، ولو انبسط فيه يدي لكسرت جناحه ، وخفضت جماحه ، ولكنه الحية الصماء^(٤) لا تستجيب لراقي ، والداء العضال لا يشفى منه طيب ولا وافي .

فصل - ما أقول في دهر يعطي تفاريق ويسترجعها جملا ، ويرجع أفاويق وقطعها عجلا ، يأتي شره دفعا ، ويواتي خيره لمعاً ، إن هاجت نوازله خصت

(١) جهام وخب : الجهام : السحاب الذي لا مطر فيه والخب : الفوز والظفر .

(٢) النبق : الغرس ، وحمل شجر السدر .

(٣) المطل : الماطلة ، والمضمار : حيث تضم الخيل للسباق .

(٤) الصماء : الميتة .

الأحرار بالبطش ، وإن سكنت زلازله فكالصل ينطح بالأرض ثم يثور للنهش .
فصل - لا تجز عن من عتابي فالمسك إذا سحق ازداد عباً ، والورد إذا
أحمي طاب عرقا .

* * *

ومن باب التهاني

فصل - أهنا النعم شرباً ، وأمرعها شعباً ، ما جاء عفواً من غير التماس ، ودر
سمحا بلا إبساس .

فصل - النعم إذا حلت بفنائها فاضت على الأحرار فيضاً ، وكانت بينه
وبينهم فوضى .

فصل - عمرك الله حتى ترى هذا الهلال قمراً منيراً ، وبدراً مستديراً ، يكثر به
عدد أحفادك ، ويعظم به كمد حسادك .

فصل - الحمد لله على النجل الموهوب ، ومرحباً بقرّة العيون وريحانة
القلوب ، ولد سعيد يهنأ به أكرم والد ، ومجد طريف أضيف الى شرف تالد^(١) ،
فأبقاه الله لك بسطة عضد تتصل بذراعك ، وخب كبد تطول به مدة إمتاعك .

فصل - ما ارتعنا لفقد الفقيد ، حتى ارتعنا لقيام الخلف الحميد ، ولا
استهل الباكي منا للرزية مستعبراً ، حتى تهلل للعطية مستبشراً .

فصل - من كانت النعم تزيه فإنها تلبس بك وشاح فخر وخيلاء ، وتحل من
أفنيك بطاح مجد وسناء .

* * *

(١) شرف تالد : موروث .

ومن باب العيادة

فصل - أما علته فقد أرتني الفضل ترجف أحشاؤه فرقاً ، والصبر تنقطع أجزاؤه
فرقا .

فصل - كآني به وقد طلع كالحسام مجردا ، والهلال مجددا .

فصل - صادفني كتابه وفيه علة أجحفت بالجسد ، وتحققت جوانب الصبر
والجلد^(١) ، واستأنفت به برد الحياة ، ولبست عنه برد المعافاة .

فصل - كنت صريع سقم قد أولتني عقبه ، وزالت بالبرء عواقبه .

فصل - كنت رهين علل لا أرجو من صرعتها استقلالاً ، ولا أوئل من أسر
وثاقها انحلالاً ، فلم يزل لطف الله ينفث منها في العقد ، ويمسح جانب الداء
والألم ، حتى أنشطني من عقال^(٢) ، وأنهضني من كبوة وعثار .

فصل - برز من علته بروز السيف المحلّى ، وفاز بالعافية فوز القدح
المعلّى .

فصل - لو استطعت لخلعت عليه سلامتي سربالا ، وأعرته من جسمي صحة
وإقبالا ، فلست أتهنأ بالعافية مع سقمه . ولا أتمتع بنضارة عيشي مع شحوب
جسمه .

فصل - كان من العلة بين أنياب وأظفار . ومن الردى على شفا جرف هار ،
فتداركه الله برحمة رشت على سقمه ماء الشفاء ، ومجّت برد العافية في حرّ
الأحشاء^(٣) .

(١) تحيّف الشيء : أخذه من نواحيه وإنقصاه .

(٢) العقال : الأسر .

(٣) مجّت : أدخلت وأشربت .

ومن باب التعازي

فصل - الله تعالى في خلقه أقدار ماضية لا ترد أحكامها ، ولا تصد عن الأغراض سهامها ، والناس فيما بين موهبة تدعو إلى الشكر المفترض ، ومرزية يوثق فيها بجميل العوض .

فصل - الموت منهل مورود ، وسيان فيه والد ومولود .

فصل - كتبت والقلم هائم والدمع هام ، والكرب دائم والجفن دام .

فصل - كتبت وسكرات المنية بي محدقة ، ولحظات الأجل نحوي محدقة .

فصل - أعوذ بالله من كل ما يؤدي إلى موارد نقمته^(١) ، ويحجب عن موارد رحمته .

فصل - مصيبة طرقت بالمخاوف والأوجال ، وطرقت شرب الأمانى والآمال ، وأعادت سرب العيش نافراً ، ووجه الحزن سافراً .

فصل - يا لها من مصيبة أصمى سهم راميتها^(٢) ، وأصمّ صوت ناعيتها .

فصل - وفقه الله للصبر الذي إليه يرجع الجازع ، وإن أغرق في قوسه النازع .

فصل - هو من لا تستتر له النوازل عن عزيمة أناته ، ولا تفجعه الفجائع بسكينة حزمه وثباته .

فصل - طال تلهفي على هلال استسرّ قبل أن يقمر^(٣) ، وغصن خضد قبل أن يثمر^(٤) .

(١) موارد نقمته : أي الوقوع الأشراك التي يصعب الخلاص منها ويكون فيها الهلاك .

(٢) أصمى : أصاب وقتل .

(٣) استسرّ : احتفى ، من السرار وهو أن يكون القمر في جانب المحاق .

(٤) خضد : كسر ، وقطع .

فصل - ما سلامة من يرى كل يوم راحلاً مشيعاً . وشملاً مصدعاً ، وصديقاً مودعاً .

فصل - شابت بعده لمم الأعلام^(١) ، وضلّت مفاتيح الكلام ، ونضبت غدر الأفهام .

فصل - لا أملك في مصيبتيه إلا عبرات ترق ولا ترقاً^(٢) ، وزفرات تهدّ ولا تهدأ .

فصل - قد نغص الموت كلّ طيب ، وأعيا داؤه كل طيب .

فصل - الموت يكتال الأرواح بلا حساب ، ويغتال النفوس بلا حجاب .

فصل - لئن طواه الردى طي الرداء ، لقد نشرته ألسنة الشناء .

ومن باب السلطانيات

فصل - بين ضرب يصدع جنوباً^(٣) ، وطعن يدع الصدور جيوباً .

فصل - إذا عبأ للغزو كتائبه ، وأخرج نحو العدا مضاربه ، خفقت بنصره الأعلام ، ونطقت وراء رماحه الأعلام .

فصل - بين صفوف ترصف . وسيوف تقصف ، ورماح تنصف ، وأرواح تخطف ، حيث الدواهي سود المناظر ، والمنايا حمر الأظافر .

فصل - لا يقف لمناجزته عدوّ إلا عاد موطىء قدمه شفيراً . وكان سهم الردى إليه سفيراً .

(١) اللّمة : الشعر .

(٢) العبرات : الدموع ، وترقأ : تكفّ وتقطع .

(٣) الجنوب : وهو الجنب من الإنسان ، ويصدع : يكسر .

فصل - أصبحوا كغشاء احتمله ظهر سيل جارف^(١) ، أو كرماد اشتدت به الريح
في يوم عاصف .

فصل - لما مشى إليهم مشت قلوبهم في الصدور ، وحلت بهم قاصمة
الظهور ، فهم بين أعمار تباح ، ودماء تساح ، وأجسام تطاح ، وأرواح تسفي بها
الرياح^(٢) .

نبد من شعره في الغزل

قال [من الطويل] :

لقد راعني بدر الدجى بصدوده ووكل أجفاني برعي كواكبهُ
فيا جزعي مهلاً عساه يعودُ لي ويا كبدي صبراً على ما كواك بهُ

وقال [من المجتث] :

أنكرت من أدمي ترى سواكبها
سلي جفوني هلُ أبكي سواك بها

وقال [من الخفيف] :

إن لي في الهوى لساناً كتوما وفؤاداً يخفي حريق جواه^(٣)
غير أنني أخاف دمعي عليه ستره يفشي الذي ستره

وقال [من مجزوء الكامل] :

(١) الغشاء : الزبد والرغوة وما يجرفه السيل من أوراق أو ممّا هو على وجه الأرض .

(٢) تسفيها : تذورها .

(٣) الجوى : الحرقه المتولدة من العشق .

يا من بيت محبة منه بليلة أنقد^(١)
إن غبت عني سمتني وشك الردى وكان قد

وقال [من الطويل] :

عذيري من رامٍ رماني بسهمه فلم يخط ما بين الحشا والترائب^(٢)
فأصدغه يلسعني كالعقارب وأحاطه يفعلن فعل العقاري^(٣)

وقال [من مجزوء الكامل] :

ومهفهف يهفو بللب المرء منه شمائل
فالدرد دعص هائل والقدر غصن كائل^(٤)
والخد نور شقائق تنشق عنه خمائل
والعرف مثل حدائق نمت بهن شمائل
والطرف سيف ماله إلا العذار حمائل

وقال في مخمور جمش وجهه [من الكامل] :

هبه تغير حائلاً عن عهده ورمى فؤادي بالصدود فأزعجا
ما بال نرجسه تحول وردة والورد في خدي عاد بنفسجا

وقال [من مجزوء الكامل] :

ومهفهف أبدى الجما ل بخدة روضاً مريعا
فقد الطيب ذراعه فجرى له دمعي ذريعا
وأمني وقع الحديد بعرقه ألما وجيعا

(١) بات بليلة أنقد : أي لم ينم .

(٢) لم يخط ما بين الحشا والترائب : أي أصاب القلب .

(٣) الألفاظ : العيون وفعل العقار بي : أي فعل الخمر التي ترك محتسبها سكيراً غمورا .

(٤) الدرد : إلية المؤخرة . والدعص : الكتيب من الرمل .

فأرسته من عبرتي ما سال من دمه نجيعاً^(١)

وقال [من الخفيف] :

وغزالٍ منحته خالص الو
لم ألمه أن أتقى بحجابٍ
هو روعي وليس ينكر للرو
دَّ فجازى بالصدِّ والإجتنب
ردني واله الفؤاد لما بي
ح توارٍ عن الوري بالحجاب^(٢)

وله [من الوافر] :

كتبت إليه أستهدي وصلأً
ألا ليت الجواب يكون خيراً
وقال [من الرجز] :

ظبي يحار البرق في بريقه
فلم أزل أرشف من رحيقه
وقال [من مجزوء الرجز] :

شافه كفي رشأً
فقلت إذ قبلها
بقبله ما شفت
يا ليت كفي شفتي

وقال [من البسيط] :

من لي [كفيلاً] بشمل الأنس أجمعه
ما زال يعرض عن وصلي فأخذه
وقال [من مجزوء الرمل] :

بشادن حلّ فيه الأنس أجمعه
فالآن لي لان بعد الصدّ أخذه^(٣)

(١) النجيع : الدم الأحمر الصافي .

(٢) توار : اختفاء .

(٣) يعرض : يصد ويشيع ، والأخدع : عرق في الرقبة ، أي أقبل بجيده نحوه .

ويح جسمي من غزالٍ مقلته شفتاه
هو إن جاد بلثم شفتاه شفتاه

وقال [من مجزوء الكامل] :

صدف الحبيب بوصله فجفا رقادي إذ صدفا^(١)
ونثرت لؤلؤ أدمع أضحى لها جفني صدف

وقال [من الرجز] :

ماذا عليه لو أباح ريقه لقلب صبٍ يشتكي حريقه

وقال [من الطويل] :

بنفسي غزالٌ صار للحسن كعبةً يُحجُّ من الفجِّ العميق ويُعبَدُ
دعاني الهوى فيه فلبيت طائعاً وأحرمت بالإخلاص والسعي يشهدُ
فجفني للتسهد والدمع قارنٌ وقلبي فيه بالصباة مفرد

قطعة من شعره في الأوصاف والتشبيهات

قال في الريحان [من الكامل] :

أعددت محتفلاً ليوم فراغي روضاً غداً إنسان عين الباغ
روضاً يروض هموم قلبي حسنه فيه لكأس الأنس أي مساغ^(٢)
وإذا بدت قضبان ريحان به حيث بمثل سلاسل الأصداغ

وقال في الشقائق [من الطويل] :

(١) صدف : امتنع ، والرقاد : النوم .

(٢) يروض : يذهب ويزيل ويقود ويهدي ، والمساغ : الشراب جعله سائغاً سهلاً .

يصوغ لنا كفُّ الربيع حدائقاً كعقد عقيقٍ بين سمط لآلي
وفيهن أنوار الشقائق قد حكّت حدود عذاري نُقّطت بغوالي
وقال فيه [من المتقارب] :

كأنّ الشقائق إذ برّزت غلالة لاذٍ وثوباً أحمر^(١)
قطاع من الجمر مشوبةً بأطرافها لمعٌ من حمم
وقال فيه [من الخفيف] :

لاح لي في الرياض نور الشقيق فحكي لي غلائلاً من عقيق^(٢)
ما يشقّ الهموم مثل شقيقٍ عند راحٍ لكلّ روحٍ شقيق
وقال في النرجس [من الطويل] :

وما ضمّ شمل الأنس يوماً كنرجسٍ يقوم بعذر اللهو عن خالع العذر
فأحداقه أقداح تبرٍ وساقه كقامة ساقٍ في غلائله الحضر^(٣)
وقال [من المجتث] :

أهلاً بنرجس	روضٍ	يزهي	بحسنٍ	وطيبٍ
يرنو	بعينيّ	غزالٍ	على	قضيبيّ
وفيه	معنى	خفيّ	يزينه	في
تصنيفه	إن نسقت	الحروف	برّ	حبيب

وقال في التيمن بالنفسج [من المنسرح] :

يا مُهدياً لي بنفسجاً أرجأ يرتاح صدري له وينشرحُ

(١) الغلالة : الثوب الرقيق ، واللاد : ثوب حرير أحمر ، وأحمر : اسود .

(٢) نور الشقيق : زهره ، والغلائل : جمع غلالة

(٣) الأحداق : العيون ، والتبر : الذهب الخالص .

بشّرني عاجلاً مصحفه بأنّ ضيق الأمور ينفسح
وقال في ضد ذلك [من المنسرح] :

يا مهدياً بنفسجاً سمجاً وددتُ لو أنّ أرضه سيخ^(١)
ينذرني عاجلاً مصحفه بأنّ عهد الحبيب ينفسخ
وله [من الكامل] :

ومدامة زُفّت إلى سلسال يختال بين ملابس كالآل
فبنى بها حتى إذا ما افتضّها بالمزج أمهرها عقود لآلي^(٢)
وقال في اقتران الزهرة والهلال [من الرجز] :

ومدامة زُفّت إلى سلسال يختال بين ملابس كالآل
فبنى بها حتى إذا ما افتضّها بالمزج أمهرها عقود لآلي^(٢)
وقال في اقتران الزهرة والهلال [من الرجز] :

أما ترى الزهرة قد لاحت لنا تحت هلال لونه يحكي اللهب
ككرو من فضّة مجلوّة أوفى عليها صولجان من ذهب
وقال في الفجر [من الكامل] :

أهلاً بفجرٍ قد نضا ثوب الدجى كالسيف جرّد من سواد قراب
أو غادقٍ شقّت صداراً أزرقاً ما بين ثغرتها إلى الأتراب
وقال في وصف الثلج الساقط على غصون الشجر [من الكامل] :

نثر السحاب على الغصون ذريّة أهدت لها نوراً يروق ونورا^(٣)

(١) سيخ : جذباء قاحلة .

(٢) بنى بها : أي نكحها وتزوّجها ، وافتضّها : أي أزال بكارتها ، والمهر : ما يدفع عند عقد النكاح من

مالٍ وغيره . (٣) الذريّة : من الطيوب .

شابت ذوائبها فعُدنَ كأنها أجفان عينٍ تحملُ الكافور^(١)
وقال في الجمد [من الرجز] :

ربُّ جنينٍ من جنى نمر	مهتِك الأستار والضمير
سللته من رحم الغدير	كأنه صحائف البلور
أو أكرُّ تجمَّست من نور	أو قطع من خالص الكافور ^(٢)
لو بقيت سلكاً على الدهور	لعطَّلت قلائد النحور
وأخجلت جواهر البحور	وسمَّيت ضرائر الثغور
يا حسنه في زمن الحدور	إذ فيضه مثل حشى المهجور
يهدي إلى الأكباد والصدور	روحاً تحاكى نفثة المصدور ^(٣)

وقال في مدية وألقاه على طريق الإلغاز [من مجزوء الرجز] :

مأسورةٌ أبدع	في	تركيبها	أصحابها
تركبها الأيدي	وفي	هاماتها	أذنانها

وقال في الخمر [من الخفيف] :

غيرتني ترك المدام وقالتُ هل جفاها من الكرام لبيبُ
هي تحت الظلام نورٌ وفي الأكباد بردٌ وفي الخدود لهيبُ
قلت يا هذه عدلت عن النصح أما للرشاد فيك نصيبُ
إنها للستور هتِكُ وبالألباب فتكُ وفي المعاد ذنوب
وقال في السيف [من الخفيف] :

(١) الذوائب : خصلات الشعر في مقدمة الوجه .

(٢) أكرُّ : جمع كرة ، تجمَّست : تجمَّدت .

(٣) المصدور : السلول ، أو مريض الصدر .

لي رفيقٌ شهم الفؤاد يمانى غزلٌ في قصافة القضبان^(١)
لا يعني في العظم إلا إذا أصبح نشوان من نجيع قاني
وقال فيه [من الخفيف] :

خير ما استعصمت به الكفُّ يوماً في سواد الخطوب عصبٌ صقيلٌ^(٢)
عن سؤال اللثام مغنٍ وفي العظم مغنٍ وللمنايا رسولٌ
وقال في الفرس [من الخفيف] :

خير ما استظرف الفوارس طرفٌ كلُّ طرفٍ لحسنه مبهوتٌ^(٣)
هو فوق الجبال وعِلٌّ وفي السهل عقابٌ وفي المعابر حوتٌ

غرر من شعره في الإخوان

قال [من الكامل] :

وأخٍ إذا ما شطَّ عني رحلُهُ أدنى إليَّ على النور معروفةُ
كالكرم لم يمنعه بعد عريشه من أن يقربَ للجنة قطوفهُ

وقال في مؤلف هذا الكتاب [من الكامل] :

أخٌ لي أمانٌ الودّ منه فرائد وألفاظه بين الحديث فرائد^(٤)
إذا غاب يوماً لم ينب عنه شاهد وإن شهد ارتاحت إليه المشاهد

(١) الياني : السيف منسوب الى اليمن ، وقصافة من قصف : أي قطع .

(٢) العصب الصقيل : السيف القاطع الماضي .

(٣) الطرف الأول : الكريم الأصل من الخيل والطرف الثاني : النظر .

(٤) الفرند : السيف .

وقال فيه [من المديد] :

قد أتاني من صديق كلامٌ	كلالٍ وانهنّ	نظام
فسرى في القلب مني سرورٌ	مطربٌ يعجز عنه المدام ^(١)	
مثلما يرتاح شيخ بناتٍ	حوله من جمعهنّ زحام	
فدعا الله طويلاً يرجى	خلفاً من نسله ما يرام ^(٢)	
وأناه بعد يأسٍ بشيرٌ	قال يا بشراي هذا غلام ^(٣)	

وقال [من الطويل] :

بنفسي أخٌ قد برّني بشكاته	ولم يجعل الحمى دون ماله
فطاب ثناءً بين أثناء سقمه	كطيب نسيم الريح عند اعتلاله
بودّي لو نفّستُ عنه سقامه	بنفسي لو نافسته في احتماله
فلم تصب الأوصاب راحة جسمه	ولم تخطر الأشجان يوماً بباله ^(٤)

وقال [من الكامل] :

تمّت محاسنه فما يزري بها	مع فضله وسخائه وكماله
إلاّ قصورٌ وجوده عن جوده	لا عون للرجل الكريم كماله ^(٥)

-
- (١) في الأصول : « فسرى في الفؤاد مني سرورٌ » ولا يستقيم مع وزن البيت .
 - (٢) في الأصول : « فدعا الله طويلاً يرتجي » ووزن البيت لا يستقيم إلا كما ذكرنا .
 - (٣) في الأصول : « وأناه من بعد يأسٍ بشيرٌ » ووزن البيت لا يستقيم مع ما قبله إلا بحذف « من » .
 - (٤) الأوصاب : الأوجاع ، والأشجان : الأحزان .
 - (٥) قصور وجوده : قصور إقامته .

لمع من شعره في المداعبات وما يشاكلها

كتب إلى كاتب له [من المتقارب] :

أبا جعفر هل فضضت الصدف هل
و هل جئت ليلاً بلا حشمة
و هل إذ رميت أصبت الهدف
لهول السرى سدفاً في سدف^(١)

وقال [من المتقارب] :

يريد يوسّع في بيته
فتى سخط النصب في قدره
ويأبى به الضيق في صدره
كما رضي الخفض في قدره

وقال [من مخلع البسيط] :

لنا صديقٌ يجيد لقماً
ما ذاق من كسبه ولكن
راحتنا في أذى قفاه
أذى قفاه أذاق فاه

وقال [من مجزوء الكامل] :

يا من دهاه شعره
سيان فاجأ أمرداً
وكان غضاً أمرداً
في الخد شعراً أم ردى

وقال [من السريع] :

لنا مغنٌ سمج وجهه
رام غناءً فأبى صوته
أبدع في القبح أبازيره^(٢)
ورام ضرباً فأبى زيره^(٣)

وقال [من الطويل] :

(١) الحشمة : الحياء والمسلك المحمود والسرى : السير ليلاً والصدف : الظلم .

(٢) السميع : الثقيل الكريه .

(٣) الزير : وتر العود .

هو السؤل لا يعطيك وافر منه يد الدهر إلا حين أبصرته جلدا

* * *

وفي المراثي

قال يرثي أبا بكر بن حامد البخاري [من مخلع البسيط] :

يا بؤس للدهر أيّ خطب دها به الناس في ابن حامد
قد استوى الناس مذ تولى فما يرى موقف الحامد
يبكي على فقده ثلاث العلم والزهد والمحامد

وله من قصيدة يرثي بها أبا القاسم علي بن محمد الكرخي [من الخفيف] :

هل إلى سلوة وصبر سيل كيف والرزء ما علمت جليل
فجعتني الأيام لما ألت بصديق وجدي عليه طويل^(١)
بأبي القاسم الذي أقسم المجد يميناً أن ليس منه بديل
كان معنى الوفاء والبر إن حا ل زمان فوده ما يحول
كان زين الندى في العلم والآ داب ترعى رياضهنّ العقول
كان بدر النهى فحان أفول كان شمس الحجى فحان أصيل

ومنها :

خلق كالزلال زلّ عن الصخر ونفس للعب عنها زليل^(٢)
واجتناب لما يعيب من الأمور وعرض عن الدنيا صقيل
من يكن بعده العزاء جميلاً فاجتناب العزاء فيه جميل

(١) وجدي : حزني وأسفي .

(٢) زليل : تحوّل وابتعاد .

ومنها :

أيُّ مرأىٍّ ومنظرٍ لا يهول من خليلٍ عليه تربٌ مهيل^(١)
فعليه سلام ذي العرش يهديه إلى حشو قبره جبريل
وأتاه من رحمة الله كفلٌ هو بالخلد في الجنان كفيل^(٢)

وقال في غلام له توفي في دهستان [من البسيط] :

لي في دهستان لا جاد الغمام لها	إلا صواعق ترمي النار والشهباً
ثأو ثوى منه في قلبي جوىً ضرم	يشب كالسيف حدّاً والسنان شبا ^(٣)
دعاه داعي المنايا غير محتسب	فراح يرفل عند الله محتسباً
هلال حسن بدا في خوط أسلحة	قد كاد يقمر لولا أنه غرباً ^(٤)
لو يقبل الموت عنه فديةً سمحت	نفسى بأنفس ذخر دون ما سلباً
لكن أبى الدهر أن ترزا فجائعه	إلاً عقائل ما نحويه والنخبا ^(٥)
تراه قد نشبت فينا مخالفه	فليس يبقی لنا علّقاً ولا نشبا ^(٦)
لئن أناخ على وفري بنكبته	فالدين والعرض موفوران ما نكبا
أقابل المرّ من أحكامه جلدأ	بالحلم والصبر حتى يقضي العجبا

* * *

(١) ترب مهيل : أي دثر بالتراب ، وأهال التراب على القبر : أي غطاه به .

(٢) الكفل : أي الرحمة المضاعفة .

(٣) ضرم : متقد ، والشبا : الحدّ القاطع .

(٤) الخوط : الغصن الناعم ، والأسحلة : شجرة تتخذ منها المساويك ، وهي عيدان تنظف بها الأسنان .

(٥) العقائل : النفائس والأشراف ، والنخب ، أي أفضل ما يختاره الإنسان .

(٦) العلق : النفيس الغالي ، والنشب : المال من دراهم وأملاك .

وفي التوجع وشكوى الدهر

قال [من الكامل] :

يا دهر ما أفساك يا دهرُ
أما اللثام فأنت صاحبُهُمُ
يقي اللثيم مدى الحياة فلا
تصفو له الدنيا بلا كدرٍ
فمرامه سهلٌ وكوكبهُ
وعلى الكريم يدٌ يُسلطها
إن ناب خطبٌ فهو عرضتهُ
أو يبغ معروفاً لديك غدا
مرعاه جذبٌ والحظوظُ لهُ
وجناه شوكٌ والبحورُ لهُ
يا دهر دعْ ظلم الكرام فهم
سالمهم واستبقِ ودَّهُمُ

لم يحظ فيك بطائلٍ حرُ
ولهم لديك العطف والنصرُ
يرتاع منه لحادثٌ صدرُ
ويطيعه في عيشه اليسرُ
سعدٌ وغصن سروره نضرُ
منك الجفاء المرُّ والقسرُ
يفريه منه الناب والظفر^(١)
ينحي عليه حادثٌ نُكرُ
حربٌ وجانب عيشه وعرُ
وشلٌ وحشؤ فؤاده جمر^(٢)
عقدٌ لنحرك لو درى النحرُ
فهمُ نجوم ظلامك الزهرُ

وله في النكبة كفاناها الله تعالى [من الوافر] :

جفونٌ قد تملكها السهاد
وأحداثٌ أصابتني وقومي
فقد شطت بنا وبهم ديارُ
أقول وفي فؤادي نار وجدرُ
وللأحزان في صدري اعتلاجُ

وجنبٌ لا يلائمه مهادُ
يذلُّ من الحليم لها القيادُ
وفرَّق جامع الشمل البعاد^(٣)
لها ما بين أحشائي اتقاد
وللأفكار في قلبي أطراد

(١) ناب : حلّ ، يفريه : يقطعه .

(٢) الوشل : الماء القليل .

(٣) شطت : بعدت .

ألا هل بالأحبة من لمام
ولا والله ما اجتمعت ثلاث
فإن تجمع شتيت الشمل مناً
تجزنا من الأحداث عهداً
وكيف يصح للأيام عهد
وقال [من المنسرح] :

ما لليالي ولي كأن لها
أظنها قد تراهنت جملاً
في مهجتي إن لقيتها غرضاً
في رميها واتخذني غرضاً

* * *

وفي الحكمة والأمثال والزهد

قال في معنى لم يسبق إليه [من السريع] :

كم والد يحرم أولاده
كالعين لا تبصر ما حولها
وخيره يحظى به الأبعد
ولحظها يدرك ما يبعد

وقال في معنى آخر اخترعه [من البسيط] :

لا تمنع الفضل من مال حبيت به
والكرم يؤخذ من أطرافه طمعاً
فالبذل ينمي به بعد الأجر يدخر
في أن يضاعف منه الأكل والثمر
وقوله [من مجزوء الكامل] :

أخوك من إن كنت في نعمي وبؤس عادلك^(١)

(١) لمام : لقاء واحتضاء .

(٢) عادلك : هو هنا مؤلف من « عادل » فعلاً ماضياً وضمير المخاطب .

وإن بدا لك منعماً بالبرِّ منه عادلِكَ^(١)

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

جامل الناس في المعاش وخلّ المزاحمة
وتنصّح وقل لمن يتعاطى المزاح مه^(٢)

وقوله [من الكامل] :

يشقى الفتى بخلاف كلِّ معاندٍ يؤذيه حتى بالقذى في مائه
يهوى إذا أصفى الإناء لشربه ويروغ عنه عند صبِّ إنائه

وله [من الطويل] :

دع الحرص واقنع بالكفاف من الغنى فرزق الفتى ما عاش عند معيشه
وقد يهلك الإنسان كثرة ماله كما يذبح الطاووس من أجل ريشه

وقوله [من البسيط] :

أمتّع شبابك من لهو ومن طرب ولا تصخّ لملام سمع مكترث
فخير عيش الفتى ريعان جدته فالعمر من فضة والشيب كالخبث^(٣)

وقوله [من الوافر] :

أتركض في ميادين التصابي وقد ركض المشيب على الشباب
وتأمن نوبة الحدثان نفسي وما ناب لها عني بناي^(٤)
وكيف تلذّ طعم العيش نفسٌ غدت أترابها تحت التراب

(١) مؤلف من « عاد » ولام الجذر ، وضمير المخاطب .

(٢) أمه : اسكت وكفّ ، اسم فعل مبني على السكون وقد يكسر فيقال مو .

(٣) ريعان جدته : ريعان شبابه ونشاطه والخبث : النّجس ، وما لا خير فيه .

(٤) الحدثان : الليل والنهار ، أي الزمن ومصائبه بناي : بمبتعد ومفارق .

وقوله [من الخفيف] :

قد أبى لي خضاب شبي فؤادُ فيه وجدٌ بكتم سري ولوعُ
خاف أن يعقب الخضاب نصولُ ونصول الخضاب سيرٌ بديع

وقوله [من السريع] :

ذو الفضل لا يسلم من قدح وإن غدا أقوم من قدح^(١)
وقال وقد نظم كلام سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه [من المجث] :
تقصيرك الذيل حقاً أبقى وأنقى وأنقى

وقال [من البسيط] :

عمر الفتى ذكره لا طول مدتهِ وموته خزيه لا يومه الداني
فأحي ذكرك بالإحسان تودعه تجمعُ بذلك في الدنيا حياتان

(١) القَدَح : الذَّم ، وأقوم : أكثر استقامة ، والقَدَح : السهم .

الباب التاسع

في ذكر الطارئین علی نيسابور من بلدان شتى علی اختلاف مراتبهم
فمنهم من فارقتها ، ومنهم من استوطنها
وسياقة الملح من كلامهم سوى من تقدم ذكره منهم في سائر الأبواب

٩٠ - أبو عبد الله الواحشي البشري محمد بن الحسين

شاعر ظريف الجملة والتفصيل ، ورد نيسابور فاستوطنها إلى أن توفي بها ،
وله شعر كثير أخرجت منه ملحاً قليلة ، كقوله في وصف الشموع .

وهو معنى مبتدل [من الوافر] :

عرائسٌ تستضيءُ بها الكؤوسُ	كأنّ ضياء أوجهها الشموسُ
لنا من حسنّها أبداً نعيمٌ	لها منه مدى الأيام بوس ^(١)
تذوق الموت ما سلمت وتحيّا	إذا ما قطعّت منها الرءوسُ

وقوله في الغزل [من الوافر] :

(١) بوس : يعني البؤس خففت الهمة لضرورة الشعر .

بمثل هواك تنتهك الستورُ ويبدو ما تضمّنه الضميرُ
يسرُّ بما يسُرُّك كلُّ شيءٍ يرى حتى يسرُّ بك السرورُ
ولست البدر لكنّ فيك حسنٌ تلاشى في دقائقه البدورُ
وله من أخرى [من الطويل] :

وما الناس إلا الرقُّ منه مصاحفٌ ومنه بأعناق النساء طبولُ
وله من قصيدة [من الخفيف] :

عالم الغيب شاهدٌ أنّ غيبي لك كالظاهر الذي ترتضيه
ليس فخري ولا اعتدادي بشيءٍ غير أنني في عالم أنت فيه

٩١ - أبو طاهر بن الخبز أرزي

قد تقدم ذكره عند ذكر أبيه وعمه ، وكان - على انتحاله كثيراً من أشعار أهل عصره - شاعراً لا بأس بكلامه ، ونقب في بلاد خراسان ، وأقام بنيسابور مدة ، ومن شعره السائر بنيسابور قوله لحاكمها [من البسيط] :

كم من سعيدٍ على الأيام قد نُحِسَا وصاعدٍ قد رماه الدهر فانتكسا
وحاكمٍ ظنَّ أنّي دون ثروته مذبذبٍ فقرا لي وجهه عبسا^(١)
سنستجدُّ خلاف الحاليتين فلا أبقى فقيراً ولا تبقى لحكم نسا
وقوله [من الطويل] :

عليّ ثيابٌ فوق قيمتها الفلس وفيهنّ نفسٌ دون قيمتها الإنس
فتوبك مثل الشمس من تحتها الدجى وثوبي مثل الغيم من تحته الشمس
وقوله [من المنسرح] :

(١) مذبذب : متردّد ، « فقرا لي وجهه عبسا » أي عبس وتولى وهي سورة من سور القرآن الكريم .

وروضة راضها الندى فغدت لها من الزهر أنجم زهر
تنشر فيها أيدي الربيع لنا ثوباً من الوشي حاكه القطر
كأنما شق من شقائقها على رباها مطارف خضر
ثم تبدت كأنها حدق أجفانها من دماها حمر

* * *

٩٢ - أبو الحسن أحمد بن أيوب البصري المعروف بالناهي

ورد نيسابور فأقام بها سنين يشعر ، ثم فارقتها إلى جرجان ، وألقى عصاه بها
مدة إلى أن سار منها ، فأنشدني الدهخذا أبو سعيد محمد بن منصور ، قال :
أنشدني الناهي لنفسه في البعوض والبرغوث [من المنسرح] :

لا أعذر الليل في تطاوله لو كان يدري ما نحن فيه نقص
لي والبراغيث والبعوض إذا ألحفنا حنّداً الظلام قصص^(١)
إذا تغنى بعوضه طرباً ساعد برغوته الغنا فرقص

المعنى جيد وفي اللفظ خلل .

وقوله [من السريع] :

كنت إذا أصبحت في حاجة أستعمل التقويم والزيج^(٢)
فأصبح الزيج كتصحيفه وأصبح التقويم تعويجا

* * *

(١) ألحفنا : سترنا ، والحنّدا : الظلام الشديد .

(٢) الزيج : في علم الفلك : جدول يدل على حركة الكواكب ، ومنه يستخرج التقويم .

٩٣ - أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي

أحد أفراد الدهر ، وأعيان العلم ، وأعلام الفضل ، وهو الإمام اليوم في النحو بعد خاله أبي الحسن بن أحمد الفارسي ، ومنه أخذ ، وعليه درس ، حتى استغرق علمه ، واستحق مكانه ، وكان أبو علي أوفده على صاحب فارتضاه ، وأكرم مثواه ، وقرب مجلسه .

وكتب إليه في بعض أيامه عنده هذه المعمة ليستخرجها .

ما أسود غريب ، بعيد الدار قريب ، يقدم فحواه على نجواه ، ويتأخر لفظه عن معناه . له طرفان فأحدهما جناح نسر ، والآخر خافية صقر . يلقاك من مياسره سانح^(١) ، ومن ميامنه بارح^(٢) . تجودك أنواؤه والسنون جماد ، وتسقيك سماؤه والعيش جهاد ، بينا تراه على كواهل الجبال ، حتى يتهيل الرمال^(٣) ، قد تجافى قطراه عن واسطته ، وانضم ساقاه على راحلته . يخونك إن وفي لك الشباب ، وفي لك إن جهدك الخضاب ، رفعت رفعة المنابر ، ورفقته رفقة المحابر ، يروي عن الأحمر ، وإن شئت عن يحيى بن يعمر . قد أفضى بك إلى روضة غناء ينعم رائدها ، وشريعة زرقاء يكرع واردها ، أخرجه أبا الحسين ، أسرع من خطفة عين [من الوافر] :

وذاك له إذا العنقاء صارت مربيةً وشبَّ ابنُ الخصي !
ولما استأذنه للصدر وقع في رقعة : لا استدلال يا أخي على الملل ،
أقوى من سرعة الارتحال ، لكننا نقبل العذر وإن كان مرفوضاً ، ونبسطة وإن كان مقبوضاً ، ولا أمنعك عن مرادك ووافقك . وإن منعت نفسي مرادها بفراقك ،

(١) السانح : من الطير ما مر من يسار الرائي الى يمينه

(٢) البارح : من الطير ما مر من يمين الرائي الى يساره .

(٣) يتهيل : تهيل التراب والرمل : انهال وتصيب .

فاعزم على ذلك وفقك الله في اختيارك ، ووصل النجح بإيثارك .

وأصحه كتاباً إلى خالة أبي علي هذه نسخته :

كتابي أطال الله بقاء الشيخ ، وأدام جمال العلم والأدب بحراسة مهجته ،
وتنفيس مهلته ، وأنا سالم والله حامد ، وإليه في الصلاة على النبي وآله راغب ، ولبر
الشيخ أيده الله بكتابه الوارد شاكر ، فأما أخونا أبو الحسين قريبه أيده الله فقد ألزمني
بإخراجه إلى أعظم منه ، وأتحفني من قربه بعلق مضنة^(١) ، لولا أنه قلل الأيام ،
واختصر المقام ، ومن هذا الذي لا يشاق إلى ذلك المجلس ؟ وأنا أحوج من كافة
حاضرتة إليه ، وأحق منهم بالمثابرة عليه ، ولكن الأمور مقدرة ، وبحسب
المصالح ميسرة ، غير أنا ننتسب إليه على البعد ، ونقتبس فوائده عن قرب ،
وسيشرح هذا الأخ هذه الجملة حق الشرح بإذن الله ، والشيخ أدام الله عزه يبرد
غليل شوقي إلى مشاهدته ، بعمارة ما افتتح من البر بمكاتبتة . ونقتصر على
الخطاب الوسط ، دون الخروج في إعطاء الرتب الى الشطط ، كما يخاطب الشيخ
المستفاد منه التلميذ الأخذ عنه ، وينبسط إلي في حاجاته ، فإنني أظنني أجدر
إخوانه بقضاء مهماته ، إن شاء الله تعالى .

وتصرفت بأبي الحسين أحوال جميلة في معاودته حضرة صاحب ، وأخذه
بالحظ الوافر من حسن آثارها ، ثم وروده خراسان ونزوله نيسابور دفعات وإملائه
بها في الأدب والنحو ما سارت به الركبان ، ثم قدومه على الشار صاحب غرسان
وحظوته عنده ووزارته له ، ثم وزارته للأمير إسماعيل بن سبكتكين ، ثم
اختصاصه بعده بالشيخ أبي العباس الفضل بن أحمد الإسفرائيني وأبنائه بغزنة
ورجوعه منها إلى نيسابور وإقامته بإسفارئين ، ثم مفارقتة إياها إلى جرجان
واستقراره بها الآن ، ومحله يكبر عن الشعر إلا أن بحر علمه ربما يلقي الشعر على
لسان فضله .

(١) علق مضنة : النفيس الذي يحرص عليه المرء ، أي أنه أولاه الرعاية والحرص .

فمما أنشدنيه وحديثه أن رئيس مرور الروز سأله أن يجيز قول الشاعر [من
الطويل] :

سرى يخبط الظلماء والليل عاكفٌ غزال بأوقاتِ الزيارة عارف
فقال [من الطويل] :

وما خلتُ أنَ الشمس تطلع في الدجى ولا عجبٌ إن لجلج القول خائفٌ
وقمت أفديهِ وقلبي كأنه من الرعب مقصوصٌ من الطير جادف^(١)
ولما سرى عنه اللثام بدت لنا محاسن وجهه حسنه متناصف
وطال تناجينا ورقَ حديثنا ودارت علينا بالرحيق المرافف
ولا غرو أن لا باخلٌ بخياله يسامحنا في وصله ويجازف
فيا لك لبلاً قد بلغت به المنى يمانعني طوراً وطوراً يساعف
كأن يد الأيام عندي بوصله أيادي ابن حسانٍ لديّ السوّالف
إذا ادخر الأموال قومٌ فذخره صنائع إحسانٍ له وعوارف
ومن شَغَفَ البيضَ الأوانس قلبه فليس له إلا المكارم شاغف

وله من قصيدة في الشيخ أبي الحسن علي ابن الشيخ أبي العباس
الإسفرائيني [من الطويل] :

فتى ساد في عصر الفتاء وقد حوى شتيت العلى من ساد عصر فتائه^(٢)
يصدقُ ظنَّ المرتجى ويزيدهُ بأدنى لهاه فوق أقصى رجائه
فلا مطله يمتدُّ قدام نيله ولا منه يشتدُّ خلف عطائه^(٣)

(١) جادف : جدف الطائر من باب نصر أي طار وهو مقصوص الجناح .

(٢) الفتاء : أي الافتاء بالشرعة وأحكامها ، وشتيت العلى : أي جوانبه المتفرقة .

(٣) المطل : من الماطلة في العطاء، والمن : العطاء والتكرم .

من الشد ، وهو : العدو .

ومنها :

مترجمةً عن شكره وثنائِهِ
حلبت بهن العيش ملء إنائه
ترامته من قدامه وورائه^(١)
ووجهي محقون صباية مائه^(٢)
وبلغة عيشي من دقاق حبايه
وكم رمً بانٍ مسترمً بنائه
وهل تم شرطً دون ذكر جزائه

ألا أبلغ الشيخ الجليل رسالةً
تقلبتُ في نعماك عشراً كواملاً
وأنقذت شلوي من يد الموت بعدما
وسبيت لي عيشاً يسدّ خصاصتي
أأكفرُ من صغرى أياديه مهجتي
أعدت قوى حيلي وشيدت بنيتي
وتربية المعروف شرط تمامه

الشرط والجزاء في النحو معروفان .

ففي نفثة المصدور بعض شفائِهِ
خليقاً بما أبداه لي من جفائه
كأنني يوماً لُمتُه في سخائه؟^(٣)
وجهل أمرىءً بالداء جهل دوائِهِ^(٤)
فحاولت بالاعتاب عود صفائه
فربّ سقيمٍ سقمه لاحتمائه

ولا بدّ من سرٍّ إليك أثبته
تمادى عليّ في الجفاء ولم أكنْ
كأنني يوماً عِقْتُه عن سماحه
طوى كشحة من دون عتبٍ أسرّه
تكدر بالادمان صفوً وداده
فإن جرّ تخفيفي عليّ قطيعةً

وله من قصيدة [من الطويل] :

(١) الشلو : العضو ، وكلّ مسلوخ أكل منه شيء وبقيت منه بقية .

(٢) الخصاصة : البلغة والحاجة .

(٣) عفته : من عاق : أي منع ، والساح الكرم مع المروءة ، والسخاء : الكرم .

(٤) طوى كشحه على أمر : أي أخفاه وطوى كشحه عنه : أعرض عن لقاءه والكشع ما بين الخاصرة والسرّة
ووسط الظهر .

ولا غصنُ إلا ما حواه فباؤه ولا دعصُ إلا ما خبته مآزره^(١)
وأمضى من السيف المنوط بخصره إذا شيم سيفٌ تنتضيه محاجرهُ

وله من أخرى في الأمير خلف [من الطويل] :

وما كتبت سطرأ من الوجد أدمعي لنحوك إلا وهو بالدم معجم
ومالي ألقى في جنبك غلةً وحوضك للعافين غيري مفعم
وقد يغتدي الوراد ييغون نُجعةً فيرزق مرتادٌ وآخر يحوم^(٢)

وله من أخرى [من الكامل] :

كم أعقبت نوب الزمان جميلاً وكفين خطباً قد ألمّ جليلاً
لا تستقل جميل دهرك إنّه ليس القليل من الجميل قليلاً
واسألُ بي الأيام حين جسستني بخطوبها جسّ الطبيب عليلاً
أقريتها لما نزلن بساحتي صبراً على ريب الزمان جميلاً

ومنها :

يرعى محياه الجميل رواؤه ثمر القلوب محبةً وقبولا
حلو الكلام كأنما أنفاسه ألفت عليه خلقه المعسولا

ومنها :

يا راكباً والجوسقان قصاره يجفو مبيتاً دونه ومقيلاً
قل للأمير إذا سعدت بوجهه وقضيت حقّ بساطه تقبيلاً
لا تيأسن من الإله فروحه إن لم يغادك بكرةً فأصيلاً^(٣)

(١) القباء : الثوب والحباء ، والدعص : الكتيب من الرمل تشبّه به أرداف المرأة، وخبته المآزر : أي أخفاه
الآزار الذي تتشح به المرأة في وسطها .

(٢) النُجعة : طلب العيش في أماكنه .

(٣) الروح : الفرج ، والكرم ، والرحمة . ويغادك : من الغدو صباحاً ، والأصيل : المساء .

وَأَمَلْ لَطَائِفَ صَنَعِهِ فَلَطَالَمَا كَشَفَ الْهَمُومَ وَبَلَغَ الْمَأْمُولَا
 يَا رَبِّ مَكْرُوهٍ تَعَذَّرَ حُلُّهُ لَيْلًا فَأَصْبَحَ عِقْدُهُ مَحْلُولَا
 وَمَلَمَّةٍ أَعْيَا نَهَارًا خُطْبَهَا أَمَسَتْ فَسَهَّلَ خُطْبَهَا تَسْهِيلَا
 ذَكَرْتُكَ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ وَإِنِّي كَمَذَكَّرٍ غَزَلَ النِّسِيبَ جَمِيلَا
 وله في وصف الفرس من قصيدة [من الكامل] :

وَمَطْهَمٍ مَا كُنْتُ أَحْسِبُ قَبْلَهُ أَنْ السُّرُوجَ عَلَى الْبُورَاقِ تَوْضِعُ^(١)
 وَكَأَنَّمَا الْجُوزَاءُ حِينَ تَصَوَّبَتْ لَبَبٌ عَلَيْهِ وَالْثَرِيَّا بَرَقُ^(٢)

٩٤ - أبو سعد نصر بن يعقوب

تعدّد عليه الخناصر بخراسان في الكتابة ، والبراعة في الصناعة . وله في الأدب تقدم محمود ، وفي المروءة قدم مشهورة ، وفي المعالي همة بعيدة ، وشهادة الصاحب له بالفضل ، تسجل بها أحكام العدل . وفيما أحكيه من كتابه إليه في ارتضاء تأليفه ونظمه ونثره ، غنى عن الإسهاب في ذكره ، والإطناب في وصفه .

ولما بعث إلى حضرته بكتابه المترجم بروائع التوجيهات ، من بدائع التشبيهات ، مقروناً بكتاب يشتمل على كل صواب ، وقصيدة في فنّها فريدة ، ورد عليه كتاب هذه نسخته :

كتابي - أطال الله بقاءك يا ولدي - وقد شارفت أصبهان سالما ، والحمد لله حمداً دائماً . ووصل كتابك أيدك الله فأنبأ من محاسنك عن مجال فسيح ، ونطق في فضائلك بلسان فصيح . وأذكر بحرمتك وإنها لمحصدة المرائر . وخبر

(١) المطهم : التام الحسن .

(٢) تصوّب : انحدرت وهمت ، واللبب : موضع القلادة من الصدر ، أو سير يشدّ به السّرج . البرقع : قناع للدواب .

بقرباتك وإنها لخالصة السرائر . فأما كتاب التشبيهات فقد فرغت به كافة الأشباه^(١) ، وأنبئت على سبقك كل الإنباه . إذ تعاطاه ابن أبي عون فلم يطاول يدك . وحمزة بن الحسن فلم يبلغ أمدك ، وهذان شيخان مقدمان ، وفحلان مقرمان^(٢) ، وما ظنك بكتاب نفرته على نظائره^(٣) ، وصار ألزم لمجلسي من مساوره^(٤) ، وحين هزني نثرك حتى كأنه نثر الورد ، عطفت على نظمك فإذا هو نظم العقد . وإني ليعجبي أن يكون الكاتب شاعراً ، كما يعجبي أن يكون الشعر سائراً فيها نحن ندعيك في فضلاء هذا الصقع ، ونجتذبك اجتذاب الأصل للفرع ، فاكتب متى شئت ، عامراً من الحال ما أسست ، ومستثمراً من الخصوص ما غرست ، إن شاء الله . خاطبت أيدك الله في معنى الضيعة وليس حلها لك بمستنكر ، ولا إطعامك أياها بمستكثر إلا أن الرأي والرسم أوجبا أن يجعل بدء النظر تسويغاً ، يعود من بعد تمليكا وتخويلاً . فليقبض المرسوم ، لينتظر الموعود ، إن الهلال يدور بعد ليال بداراً كاملاً ، والطلل يكسب ثم يعود وابلاً ، والحمد لله وصلواته على النبي محمد وآله .

ولأبي سعد كتب كثيرة سوى ما تقدم ذكره ، فمنها كتاب ثمار الأنس في تشبيهات الفرس ، وكتاب الجامع الكبير في التعبير ، وكتاب الأدعية ، وحقبة الجواهر في المفاخر ، وهي من مزدوجة بهجة في الأمير خلف ، وهو الآن يتولى عمل الفرض والإعطاء بنيسابور ، وإذا احتاج السلطان المعظم يمين الدولة وأمين الملة الإجابة عن كتب الخليفة القادر بالله أطال الله بقاءهما اعتمد فيها عليه ، لما يتحققه من حسن كلامه ، وقوة بيانه ، وغزارة بحره ، وشرف طبعه .

وله شعر كثير قد كتبت منه ما حضرني الآن إلى أن الحق به أخواته

(١) فرغت به : تجاوزت وافتضضت .

(٢) مقرمان : القرم : السيد .

(٣) نفرته على نظائره : أي فضّلته وقدمته .

(٤) مساوره : مشاربه ، أو أساده .

فمن ذلك قوله للصاحب من قصيدة أولها [من الوافر] :

أبى لي أن أبالي بالليالي وأخشى صرفها فيمن يبالي
حلولي في ذري ملك كطود رفيع مشرف الأعلام عالي
إلى شمس الشتاء إلى ظلال المصيف إلى الغمام إلى الهلال
إذا ما جاءه المذعور يوماً وحلّ ببابه عقد الرحال
تبوّأ من ذراه خير دارٍ فلم يخطر لمكروه ببال

ومنها عند ذكر القصيدة :

بودّي لو نهضت بها ولكن ضعفت عن الحراك لضعف حالي
وله إليه في صدر كتابه [من الرجز] :

نعم رسول الخادم المحتشم إلى الوزير السيد المحترم
الصاحب البرّ الأجل الأكرم كافي الكفاة وليّ النعم
مدبّر الأرض وراعي الأمم بلغه الله أقاصي الهمم

* ما في الكتاب من ثمار القلم *

وله من قصيدة إلى أبي محمد الخازن [من الطويل] :

أتاني كتاب الشيخ مولاي بغتة فطار له غمّي كما طاب موردي
وفيه معانٍ لا تدين لكاتبٍ وتعنولعبد الله أعنى ابن أحمد^(١)
فأسكرون حتّى دونها خمر بابلٍ وأطربن حتّى دونها لحنٌ معبد^(٢)
قرأت سواداً في بياضٍ كأنّه طراز عذارٍ لاح في خدٍّ أمرد

وله من أبيات في وصف الزلزلة [من الرمل] :

(١) لا تدين : أي لا تخضع ، وتعنوا : تسمع وتطيع .

(٢) معبد : أحد المغنين المشهورين .

أسقني كأساً كلون الذهب وأمزج الريق بماء العنب
فقد ارتجّت بنا الأرض ضحىً كارتجاج الزئبق المنسرب
وكان الأرض في أرجوحة وكأنا فوقها في لولب

وقوله في كسوف القمر [من الرجز]:

كأتما البدر به الكسوف جام لجين رائق نظيف^(١)

* في نصفه بنفسج قطيف *

٩٥ - أبو نصر سهل بن المرزبان

أصله من أصبهان . ومولده ومنشؤه قاين ومستوطنه الآن نيسابور وهو غرة في جبهة عصره ، وتاج على رأس أهل مصره ، وخارج بمحاسنه وفضائله عن المعتاد ، إلى ما لا يدرك بالاجتهاد . واقف من الآداب على أسرارها ، قاطف من العلوم أحلى ثمارها ، وبلغ من غلوه في محبتها ، وشدة حرصه على اقتناء كتبها . أن ركب إلى قرارتها بغداد الشقة ، وتحمل فيها المشقة ، ولم يرض بذلك مرة ، حتى كر إليها كرة ، ليس له بها غير الأدب أرب ، ولا سوى الكتب طلب ، أنفق على تلك الفوائد ، من الطارف والتالد ، ما عوضه عنه صنوف المحامد ، وقديما قيل :

إنفاق الفضة ، على كتب الآداب ، يخلفك عليها ذهب الأبواب .
وليس اليوم بنيسابور ديوان شعر غريب يجري مجرى التحف ، ولا كتاب جديد يشتمل على بدائع الطرف ، إلا ومن عقده انتثر ، ومن يده انتشر ، ولابها سواه من تسموهمته على يساره ، لارتباط الوراقين في داره ، وله من مؤلفاته كتاب

(١) جام لجين : الجام : إناء ، واللجين الفضة .

أخبار أبي العيناء وفيه يقول [من الهزج] :

تفاءلتُ على علمٍ بأخبار أبي العينا
إذا ما قرأ القاري بها قرأ بها عينا

وله كتاب أخبار ابن الرومي مما ألفه لي ، وكتاب أخبار جحظة البرمكي ،
وكتاب ذكر الأحوال في شعبان وشهر رمضان وشوال ، وكتاب الآداب في الطعام
والشراب ، وله شعر كثير النكت ، وقد كتبت أنموذجاً منه ، كقوله [من الكامل] :

كم ليلةً أحييتها ومؤانسي طرفُ الحديث وطيبُ حثِّ الأكؤسِ
شبهتُ بدرَ سمائها لما دنتُ منه الثريا في قميصٍ سندسي
ملكاً مهيباً قاعداً في روضةٍ حيّاه بعض الزائرين بنرجس

وقوله [من الرمل] :

قال لما قلت لم تهجرنا إن أتى بردٌ وإن ثلجٌ وقعُ
أنا كالحية أشتو كامناً ثم أنساب إذا الصيف رجعُ

وقوله لبعض الرؤساء [من المتقارب] :

إذا ما سكت على ما أسأم نفسي بتكليفه لا تفي
وإمّا نطقت فعيبٌ يمضُ ولومٌ يجدُ ولم أنصف^(١)
فهل من سبيلٍ إلى ثالثٍ لأسلكه وهو عني خفي

وقوله [من البسيط] :

لم ألق مثل أبي بكرٍ معدلكم في الآدميين شباناً ولا شيبا
حكى عليّ أحاديثاً أكاذيباً وفي اختلاس حقوقي قد حكى ذيبا

(١) في ب « وإذا ما نطقت فعيبٌ يمضُ » ولا يستقيم الوزن ، إلا بحذف « إذا » .

وقوله [من الطويل] :

تسبّ صديقي في المجالس عائياً ومن عابه يوماً كمن هو عائياً
فدع مثل هذا جانباً في الملاعب وإلاً فدعني مثله في الملاعب

وقوله في لدغة عقرب أصابته [من الطويل] :

تداويت من أوجاع لدغ أصابني براح شفتي من سموم العقارب
فحمداً للطف الله حين أزالها ومن بعده حمداً لفعل العقاربي

وله في كتاب الذخيرة [من المتقارب] :

إذا أنت عالجت ذا علّة فخذ للعلاج كتاب الذخيره
فنعم الذخيرة للمقتني ونعم الغياث لنفس خطيره

وله [من السريع] :

لا تجزعن من كلّ خطب عرى ولا تُرِ الأعداء ما يُشْمِتُ
أما سمعت الله في قوله (إذا لقيتم فئةً فاثبتوا)

وقوله [من المتقارب] :

مجاوزه الحدّ والاعتدال إلى ما يقود المنايا سريعه
فلا تفرطن في جميع الأمور فكلُّ كثيرٍ عدوُّ الطبيعة

وقوله [من الطويل] :

تجنّب شرار الناس واصحب خيارهم لتحذوهم في جلّ أفعالهم حدوا
فإنّ لأخلاق الرجال وفعيلهم إلى غيرهم عدوى توافيهم عدوا^(١)

(١) فعل العقاربي : أي فعل الخمرة وأثرها .

(٢) توافيهم عدواً : أي تأتيهم مسرعة .

وكتب إليه مؤلف هذا الكتاب يحاجيه [من الرجز] :

حاجيت شمسَ العلم فرد العصرِ نديم مولانا الأمير نصرِ
ما حاجةٌ لأهل كلِّ مصرٍ في كلِّ ما دار وكلِّ قصرِ
* يباع في الأسواق بعد العصر *

فكتب إليه [من الرجز] :

يا بحر آدابٍ بغير جزر وحظه في العلم غير نزر
حزرت ما قلت وكان حزري أن الذي عنيت دهن البزر
* يعصره ذو قوة وأزر *

٩٦ - أبو محمد الحسن بن أحمد اليرجودي

كتاب بحقه وصدقه ، متبحر في ترسله ، منقطع القرين في كتاب عصره ،
أخذ بأزمة الكلام البارع يقودها كيف أراد ويجذبها كيف شاء ، قد خدم الصاحب
في عنفوان شبابه ، وتأدب بآدابه ، واختص به ، وراض طبعه على أخذ نمطه ،
ومن جانبه وقع إلى بلاد خراسان فاشتهر بها ، وسار كلامه فيها ، وهو الآن صدر
كتاب الأمير أبي نصر أحمد بن علي الميكالي ، ولعل ما قد ارتفع من سواد رسائله
إلى هذه الغاية يقع في أربعة آلاف ورقة وتزيد أبوابها على خمسة وعشرين ، وله
محاضرة حسنة مفيدة . وشعر كتابي كثير المحاسن مستمر النظام ، ومن أوائله أن
الصاحب اتهم بعض المرد في مجلسه بسرقة كتبه ، فقال [من المجث] :

سُرِّقْتُ يا ظبيُّ كُتِّبِي ألحقت كُتِّبِي بقلبي

وأمر أبا محمد بإجازته فقال [من المجث] :

فلو فعلت جميلاً رددت قلبي وكتبي

وأنشدني بحضرته يوما هذان البيتان [من المديد] :

يا نسيم الريح من بلدٍ خبري بالله كيف هم
ليس لي صبرٌ ولا جلدٌ ليت شعري كيف صبرهم

فأمره بإجازتهما ، فقال [من المديد] :

ولسانُ الدمع يشهد لي وهو ممن ليس يتهم

ومن ملحه قوله [من الخفيف] :

قد سمعنا بكل آبدٍ نك راء تبلى بمثلها الأحرارُ
وغفرنا الجميع للدهر لكن ما سمعنا بكاتبٍ يستعارُ

وقوله في حوض لبعض الرؤساء [من الكامل] :

حوضٌ يجود بجوهرٍ متسلسلٍ ساد الجواهر كلُّها بنفاسه
لا زال عذباً جارياً ببقاء من هو مثله في طبعه وسلاسته

وقوله من مزدوجة كتب بها إلى أبي سعد نصر بن يعقوب [من الرجز] :

أهلاً بمن أهلى إلينا الجُونه ولا عدمناً أبداً مجونه^(١)
فقد أعاد منزلي خصباً وازددت في الخير به نصيباً
فمن فراخٍ رخصةٍ مسمَّته قد جعلت برسمها مطجنه
وباقلاء كالليالي عظمت معقودةً في سلكها قد نظمت
إذا التقطت حبَّها من الأقط حسبتني بها اللآلي ألتقط^(٢)
وبعضها في خلّه منقوعٌ جوع الفتى بطيه مدفوعٌ

(١) الجُونه : الخابية ، والجُونه : سلة صغيرة مغطاة بالجلد يوضع فيها الطيب ، وهي المقصودة ، والمجون :
التظرف والمداعبة .

(٢) الأقط : الجبن .

خطفته باللقم خطف البازي
ينزع عن ذائقه ثوب الكسل
ولا يساوي كل هذا جملاً

وفلك بالروع يدعى رازي
وبعد هذا كله شهد العسل
شكرت مولاي على ما حملاً

وكتب إلى صديق له [من الوافر]:

وزهر الروض وشي أو حرير
بمنطق طيرها بم وزير^(١)
لقد عادت لدينا وهي نور
إذ العيش الهنيء هو السرور
وجوهم شمس أو بدور
بغير القطب فيه رحى تدور^(٢)
عليك وقد دعيت له الحضور

بساط الأرض مسك أو عبير
وللعيدان عيدان عليها
وقد صفى الزمان الخمر حتى
ومن يرد السرور يعيش هنيئاً
وعندي اليوم فتان كرام
وقطب الأمر أنت وهل لأمر
فرايك في الحضور فحق يومي

وكتب إلى آخر [من مخلع البسيط]:

وقت الضحر وهوفي المنام
عندي على جودة المدام
إليه في جملة الندام

حضرت مولاي للسلام
فقلت هذا دليل صدق
والعتب في تركه دعاني

كتب [من المنسرح]:

عنه بغير السرور مشغلاً^(٣)
يطيب إلا والدهر قد غفلاً
فالدست والله لأمرى عجلاً

يوم الثلاثا للسرور فلا تكن
والدهر في غفلة وعيشك لا
عجل وبادر بدار مغتنم

(١) البم والوزير : من أوتار العود .

(٢) قطب الأمر : أي صاحبه ومالكه ، والرحى : المطحنة .

(٣) صدر هذا البيت غير مستقيم الوزن .

وله في سكين [من مخلع البسيط] :

سكينٌ عزٌّ لمن مداه في العزّ يغنيه عن مداه
فلو سطا ضاربٌ يعود لعاد سيفاً على عداه

٩٧ - أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي

هو لمحاسن الأدب وبدائع النثر ولطائف النظم ودقائق العلم كالينبوع للماء ، والزند للنار ، يرجع معها إلى أصل كريم ، وخلق عظيم .

وكان فارق وطنه الري في اقتبال شبابه . وقدم خراسان على خاله أبي نصر العتبي ، وهو من وجوه العمال بها وفضلائهم ، فلم يزل عنده كالولد العزيز عند الوالد الشفيق ، إلى أن مضى أبو نصر لسبيله ، وتنقلت بأبي النصر أحوال وأسفار في الكتابة للأمير أبي علي ، ثم للأمير أبي منصور سبكتكين مع أبي الفتح البستي ، ثم النيابة بخراسان لشمس المعالي ، واستوطن نيسابور ، وأقبل على خدمة الآداب والعلوم .

وله كتاب لطائف الكتاب وغيره من المؤلفات . وله من الفصول القصار شيء كثير ، كقوله :

تعز عن الدنيا تعز ، الشباب باكورة الحياة ، اللهم في وخز النفوس ، أثر النفوس في خزّ السوس ، لسان التقصير قصير .

ولا بأس أن أورد أنموذجاً من سائر نثره البهج . وكلامه الغنج الأرج .

رقعة في إهداء نصل

خير ما تقرب به الأصاغر إلى الأكابر . ما وافق شكل الحال ، وقام مقام الفال ، وقد بعثت بنصل هندي إن لم يكن له في قيم الأشياء خطر ، فله في قمم

الأعداء أثر ، والنصل والنصر أخوان ، والإقبال والقبول قرينان والشيخ أجل من أن يرى إبطال الفال ، ورد الإقبال .

رقعة في الاستزارة يوم النحر

أمتع الله مولاي بهذا العيد واليوم الجديد ، وأطال بقاءه في الجد السعيد والعيش الرغيد . هذا يوم كما عرفه التاريخ العام ، وغرة الأيام ، قد قضيت فيه المناسك ، وأقيمت المشاعر ، وأديت الفرائض والنوافل ، وحطت عن الظهور بها الأصار والمثاقل^(١) ، فالصدور مشروحة ، وأبواب السماء مفتوحة والرغبات مرفوعة ، والدعوات مسموعة . وليت المقادير أسعدتنا بتلك المواقف الكرام والمشاعر العظام ، فنحظى بعوائد خيراتها ، ونستهم في محاسن بركاتها ، وإذ قد فاتنا ذاك فما أحوجنا إلى أن نحرم من ميقات الطرب . ونغتسل من دنس الكرب ، ونلبس إزار المجون ، ونلبي على تلبية الأوتار ، ونطوف بكعبة المزاح ، ونستلم ركن النشاط ، ونسعى بين صفاء القصف ومروة العزف ، ونقف بعرفة الخلاعة ، ونرمي جمرات الهموم ، ونقضي نفث^(٢) الوسوس ، ونضحى ببدن الأفكار في العواقب^(٣) ، فإن رأى أن يتفضل بالحضور ، لتتميم حجة السرور ، فعل إن شاء الله .

رقعة في خطبة الود

أنا خاطب إلى مولاي كريمة وده ، على صداق قلب معمور بذكره ، مقصور على شكره . معترف بفضلته ، عالم بتبريز خصلته . على أن أصونها من غواشي

(١) الأصار : جمع إصر : وهو الذنب والإثم .

(٢) النفث : ما يلقيه الشيطان في قلب الانسان .

(٣) البدن : الضحية في مكة المكرمة كالبقرة والناقة والشاة .

الصدر في سجوف^(١) . وأمسكها مدى الدهر بمعروف ، وأنحلها من عادة الرفق ،
 ومائة الخلق ، ووطاء الجناب ، ولطافة العشرة والاصطحاب ، ما لا تكتسي معه
 نفوراً وانقباضاً ، ولا تشتكي نشوزاً وإعراضاً ، فإن وجدني مولاي كفؤاً له بعد أن
 جئت راغباً ، وبلسان الخطبة خاطباً ، أنعم بالإسعاف ، وجعل الجواب مقدمة
 الزفاف ، حامياً به ديباجه السؤال . عن خجلة الرد ووصمة المطال ، وقد قدمت بين
 يدي هذه النجوى صدقة ، طلباً للتحاب لا على حكم الاستحقاق والاستيجاب ،
 ومهما أنعم مولاي بقبولها أيقنت استكفائه إياي لوده ، واستغرقت الوسع والإمكان
 في شكره . والتحدث بعظيم بره ، إن شاء الله تعالى .

وله كتاب

هذا كتاب من ديوان العتب والاستبطاء ، إليك يا عامل الصدود والجفاء .
 أما بعد ، فقد خالفت ما أوجبه التقدير فيك ، وأخلفت ما وعده الظن بك ،
 وافتتحت ما توليته من عمل الوداد بهجران أطار وادع القرار . وأودع القلب أحر من
 النار . وتعقبته بخلع عذار الوفاء أصلاً ، ومعاقرة ندمان الجفاء نهراً وليلاً .
 وشغلك خمر الهجران ، وخمار النسيان ، عن ترتيب أمور المودة وتهذيب جرائد
 الوصال والمقة^(٢) ، واستعراض روزنامجة الكرم ، واسترفاع ختمات العهد
 المقدم ، وتأمل مبلغ الورد والإخراج من الود ، وتعرف مقدار الحاصل والباقي من
 أثر الرعاية في القلب ، وسلطت أيدي خلفائك ، وهم عدة من إعراضك وصدك
 وجفائك ، على رعية النفس وهي التي جعلت أمانة عندك ووديعة قبلك ، فأسرفوا
 في استيكالها ، وهموا باجتياحها واغتيالها ، غير راعٍ لحرمة الثقة بك ، ولا وافٍ
 بشرط الاعتماد عليك ، ولا قاضٍ حق الإيثار لك ، والاستئانة إليك^(٣) ، ولا ناظرٍ

(١) السُجوف : السُور .

(٢) جرائد الوصال : مقالاتها ، والمقة : المحبة .

(٣) الاستئانة : الاستئناس والسكون .

لغذك إذا استعدت إلى الباب ، وطولبت برفع الحساب ، واستعرضت جريدة أفعالك ، واستقرت صحيفة أعمالك ، هنالك يتبين لك ما جنى عليك سوء صنيعك ، وما الذي جاش إليك فرط تضييعك ، فتصحو تارة عن سكرة جفائك ، وتسكر أخرى عن سورة أحبائك ، وكم تفرع من ندم اسنانك ، وتعض من سدم بنانك^(١) . هيهات ! لا ينفع اذ ذاك إلا القلب السليم ، والعهد الكريم ، والعمل القويم ، والسنن المستقيم ، ومن لك بها وقد سودت وجوه آثارك ، وتلقيت امانة العهد بسوء جوارك ، وقبح إخفارك ، ولولا التأمل لفيأتك وارعوائك ، وانتهائك عن تماديك في غلوائك لأتاك من أشخاص الإنكار ما يقفك على صلاحك ، ويكفك عن فرط جماحك ، فاجل أعزك الله الغشاء عن عين رعايتك ، واطرح القذى عن شرب مخالصتك ، واراع ما استحفظته من أمانة الفؤاد ، واعلم بأنك مسئول عن عهدة الوداد ، واكتب في الجواب بما نراعيه منك ، وتعذر إن كان فيما أقدمت عليه لك ، إن شاء الله تعالى .

رقعة استزارة

هذا يوم رقت غلائل صحوه ، وخشت شمائل جوّه ، وضحكت ثغور رياضه ، واطرد زرد الحسن فوق حياضه . وفاحت مجامر الأزهار ، وانتشرت قلائد الأغصان عن فرائد الأنوار . وقام خطباء الأطيّار . فوق منابر الأشجار ودارت أفلاك الأيدي بشموس الراح ، في بروج الأقداح ، وقد سبينا العقل في مرج المجون ، وخلعنا العذار بأيدي الجنون . فمن طالعنا بين هذه البساتين وأنواع الرياحين ، طالع فتيانا كالشياطين ، ونصارى يوم الشعانين ، فبحق الفتوة التي زان الله بها طبعك ، والمروة التي قصر عليها أصلك وفرعك ، إلا تفضلت بالحضور ، ونظمت لنا بك عقد السرور .

(١) السدم : الغضب والندم والحزن .

رقعة أخرى

أمتع الله الشيخ بعنوان الشتاء ، وباكورة الديم والأنواء . وهنأه الله اليوم الذي هو نسخة جوده ، ومجاجة ماء أرواه الله بماء المجد من عوده^(١) . وعرفه من بركاته ، أضعاف قطر السماء بأقطاره وساحاته ، وأضحك قلوبنا ببقائه ، كما أضحك الرياض بأندائه ، وحجب عنه صروف الأيام ، كما حجب السماء عنا بأجنحة الغمام ، قد حضرني أيد الله الشيخ عدة من شركائي في خدمته ، فارتحت لاشتراكهم إياي فيما أدرعته من فضل نعمته^(٢) ، وأشفقت من سمة التقصير لديه ، فقدت هذه الرقعة جنيبة عذر بين يدي عارض التقدير إليه ، وفي فائض كرمه ما حفظ شمل الأنس على خدمه ، لا زال مأنوس الجنب ، بالنعم الرغاب ، مأهول المعاهد ، بالقسم الخوالد .

فصل في الإنكار على من يذم الدهر

عتبك على الدهر داع إلى العتب عليك ، واستبطأوك إياه صارف عنان اللوم إليك ، فالدهر سهم من سهام الله منزعه عن مقابض أحكامه ، ومطلعه من جانب ما حررته مجاري أفعلامه . والوقية فيه بمرس بحكم خالقه وباريه ، ومجاري الأشياء على قدر طباعها ، وبحسب ما في قواها وأوضاعها . ومن ذا الذي يلوم الأراقم على النهش بالأنياب ، والعقارب على اللسع بالأذنان ، وأنى لها أن تدم ، وقد أشربت خلقتها السم ، وحكم الله في كل حال مطاع ، وبأمره رضى واقتناع ، فاعف الزمان عن قوارص لسانك ، واضرب عليها حجاب الحرص بأسنانك ، واذكر قول النبي ﷺ « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » عليك بالتسليم ، لحكم العلي العظيم ، فذاك أحمد عقبى ، وأرشد ديناً ودنيا .

(١) مجاجة الماء : عصارته ، وعوده : أي عطائه .

(٢) ادرعته : أي اتخذته درعاً فيه حمى ووقاية .

رقعة إلى صديق له قامر على كتب لها خطر فقممر

المحن - أيدك الله - معلقة بين جناحي تقدير ، وسوء تدبير . فأما التي تطلع من جانب المقدار ، فالمرء فيه معفى عن كلفة الاعتذار ، وأما التي أوكتها يده ونفخها فوه^(١) ، فليس لخرقها أحد يرفوه^(٢) . وفي فصوص الأفلاك الدائرة ، ما يغني عن فصوص العظام الناخرة ، اللهم إلا إذا عميت عين الاختبار ، وصمت أذن الروية والاعتبار ، والله ولي الإرشاد إلى طريق الصواب والسداد . وبلغني ما كان من خطارك بما اعتدته غرة الغرر ، ودرة الدرر . ونهبة الأدب ، وزبدة الحقب . حتى قمرته الأيدي الخاطفة ، واختطفته الأطماع الجارفة ، فأعدمت من غير لص قاطع ، وأصبت بغير موت فاجع . فيا له من غبن يلزم المغرم ، ويحرق الأرم . ويقطع البنان ، ويحير العين واللسان ، نعم يا سيدي قد مسني من القلق لسوء اختيارك ، وقبح آثارك ، ما يمس من يراك بضعة من لحمه ، ودفعة ن دمه ، ولا يميزك عن نفسه ، في حالتي وحشته وأنسه ، لكن من طباع النفوس الناطقة أن تنفر عمن يسيء النظر لذاته ، وتذهب عمن يعمل الفكر في مصالح أموره وجهاته . ومن غفل عن صلاح نفسه فهو أغفل عن صلاح من سواه ، ومن عجز عن تدبير ما يخصه فهو أعجز عن تدبير من عداه . والله يلهمك الصبر على ما جنته يدك ، ويدرك السلوة عما أوردت في نفسك ، ويجعل هذه الواحدة منبهة لك من سنة الضلال ، ومزجرة عن سنة الجهال . وبعد فلم ينقص من عمرك ما أيقظك ، ولا ذهب من مالك ما وعظك ، فإياك ان يطعمك اللجاج في معاودة تلك الخطئة الشوهاء^(٣) فإنها تأخذ منها أكثر مما تعطيك ، وتسخطك فوق ما ترضيك ، وإن يرد الله بك خيراً يهديك ، ويسعدك بيومك وغدك .

* * *

(١) يشير بهذه الفقرة إلى مثل لهم ، وهو قولهم : « يداك أوكتنا وفوك نفخ » وأوكى الوعاء : شدّه بالرباط .

(٢) الخرق : الفتحة ، ويرفوه : يصلحه .

(٣) اللجاج : الإلحاح في الطلب .

ملح وغرر من شعره

قال [من الوافر] :

له وجه الهلال لنصف شهر
فعند الابتسام كليل بدر
وأجفان مكحلة بسحر
وعند الانتقام كيوم بدر^(١)

وقال [من الوافر] :

بنفسي من غدا ضيفاً عزيزاً
ينال هواه من كبدي كباباً
عليّ، وإن لقيت به عذاباً
ويشرب من دمي أبداً شراباً

وقال [من الطويل] :

أيا ضرة الشمس المنيرة بالضحي
عذرتك إن لم أحظ منك برؤية
ومن عجزت عن كنهها صفة الوري^(٢)
فأنت لعمرى الروح والروح لا ترى

وقال [من البسيط] :

لي شادن ما أطيق الدهر هجرته
شمس تظللني ، نجم يضلّلني
أمن يجرعني داءً يداويني
ماء يسكرني ، راح تصحيني

وقال [من البسيط] :

إنّي أضنّ بحبيّه على سقمي
قال الطيب اقتصد يوماً فقلت له
وليس والله داء الحبّ بالأمم
أخشى خروج هواه مع خروج دمي

وقال [من الوافر] :

(١) يوم بدر : يوم انتصار المسلمين على الأعداء في أول معركة مواجهة .
(٢) ضرة الشمس : شبيهتها ، والضرة هي المرأة الثانية التي يتزوجها الرجل مع ابقاء الأولى في عصمته
والكنه : المعرفة والاحاطة .

فتكت بمهجتي عمداً ، فهلاً
أرى نار الصدود على فؤادي
وقال [من الطويل] :

بنفسي مَنْ نفسي لديه رهينةُ
أغارَ على قلبي فلما استباحهُ
وقال [من الطويل] :

وقائلةٍ ما بال خدك كلما
فقلت كذا بدر السماء إذا بدا
وقال [من الكامل] :

عجبتُ لفاقع سحتتي ومدامعي
فأجبتها لا تعجبينَ فإنه
وقال [من الكامل] :

يا ذا الذي فتن الورى وبوجهه
يحكي محياه خلال عذاره
وقال [من المتقارب] :

إذا رمتَ من سيئرِ حاجةٍ
فإنَّ التهجُّمَ ليلُ المني
وقال [من الكامل] :

لا تحسبنَ هشاشتي لك عن رضى

طويت الجرم في ثني اعتذارك
فما بال الدخان على عذارك

يجرّعها صبراً ويمنعها الصبرا
أغار على دمعي فنظّمه ثغرا

رأني يلقاني بصفرة جلاب
أفاض على الغبراء صفرة زرياب

منهلةً ، ورأته قبلُ مورداً
يصفرُّ لون الزعفران من النداء

أخيا رسوماً للمحاسن عافيه^(١)
علم السلامة في طراز العافيه

فراعٍ لديه الرضا والغضبُ
وإنَّ الطلاقة صبحُ الأدب

فوحقُّ فضلك إنني أتملّقُ

(١) عافيه : دارسه ومحمّيه .

ولقد نطقت بشكر برك مفصلاً
وقال [من الطويل] :

شكرتك طول الدهر غير مقابل
ومن لك بالطرف الجواد بمسكه
وقال [من المتقارب] :

أدلّ على ثقة بالهوى
فلا تنكرنّ دلالة له
وقال [من الكامل] :

أدى الخلاف لك الخلاف تشابهاً
لو كان خيراً في الخلاف لزانه
وقال [من البسيط] :

الله يعلم أنّي لستُ ذا بخل
لكنّ طاقة مثلي غير خافية
وقال [من البسيط] :

ما أنت في الأخذ من دون العطاء سوى
فما ترى دسماً يوماً بظاهره
وقال [من الكامل] :

لما سئلت عن المشيب أجبتهم
طحن الزمان بريبه وصروفه
قول امرئ في أمره لم يمدق^(١)
عمري فثار طحينه في مفرقي

(١) لم يمدق : لم يوارب ولم يخالف الحقيقة .

وقال [من الكامل] :

شبيبي عزيزٌ غير أنَّ شبييتي علقُ كريمٌ لا يجاوزهُ الأملُ
من ذا الذي ساوى سواد لحاظه بياض عينيه وحسبك ذا المثل

وقال [من الطويل] :

تعلّم من الأفعى أمالي طبعها وأنس إذا أوحشت تعف عن الدّم
لئن كان سمٌّ نافعٌ تحت نابها ففي لحمها تريقُ غائلة السمّ

وقال [من البسيط] :

يا من يقابل ديناري بدرهمه أقصِر فدعواك طاووسُ بلا ريش
وأيُّ عيبٍ لعين الشمس إن عميتُ أو قصّرت عنه أبصار الخفافيش

وقال [من الطويل] :

عليك بإغياب الوصال فضدّه يعيد حبال الودّ منك رثانا^(١)
ولو كلفَ الإنسان رؤية وجهه لطلّقه بعد الثلاث ثلاثا

وقال [من الطويل] :

أظنُّ زمانَ السوء قارف أبنه فاني أراه يتبع العلج والغمرا^(٢)
زففتُ إلى دهري عروس كفايتي فطلّقتها قبل الدخول بها عشرا

وقال يعزي الشيخ أبا الطيب سهل بن أحمد بن سليمان عن ابنه [من البسيط] :

من مبلغ شيخ أهل العلم قاطبةً عنّي رسالة محزونٍ وأوَاه
أولى البرايا بحسن الصبر ممتحناً من كلّ فتياه توقيعٌ عن الله

(١) إغياب الوصال : أي اللقاء فترة بعد فترة ، الرثا : أي رثاً بالياً .

(٢) قارف : قارب ، الأبنه : العيب والحقد ، والعلج : الحمار الأحق ، والغمر : الجاهل .

وقال [من البسيط] :

عليك عند اعتراض الهمم بالقدح فأنه أبداً قداحة الفرخ

وقال [من الرجز] :

عبس لما أن مسست نقله كأنني نزعته منه مقله

وقال له يوماً أبو الفتح البستي : يا شيخ ، ما تقول في الكرب ؟ فقال مرتجلاً :

* أطعمه إن لم يكن كرى بي *

٩٨ - أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري

من أعاجيب الدنيا ، وذلك أنه من الفاراب إحدى بلاد الترك ، وهو إمام في علم لغة العرب ، وخطه يضرب به المثل في الحسن ويذكر في الخطوط المنسوبة لخط ابن مقلة ومهلهل واليزيدي ، ثم هو من فرسان الكلام ، وممن آتاه الله قوة وبصيرة ، وحسن سريرة وسيرة ، وكان يؤثر السفر على الوطن ، والغربة على السكن والمسكن ، ويخترق البدو والحضر ، ويدخل ديار ربعة ومضر ، في طلب الأدب ، وإتقان لغة العرب . وحين قضى وطره من قطع الآفاق ، والاعتباس من علماء الشام والعراق ، عاود خراسان ، وتطرق الدامغان ، فأنزله أبو علي الحسن ابن علي - وهو من أعيان الكتاب وأفراد الفضلاء - عنده وبذل في إكرام مشواه وإحسان قراه جهده . وأخذ من أدبه وخطه حظه ، ثم سرحه بإحسان إلى نيسابور فلم يزل مقيماً بها على التدريس والتأليف وتعليم الخط الأنيق وكتابة المصاحف ، والدفاتر اللطائف ، حتى مضى لسبيله ، عن آثار جميلة ، وأخبار حميدة .

وله كتاب الصحاح في اللغة ، وهو أحسن من الجوهرة ، وأوقع من تهذيب اللغة ، وأقرب متناولاً من مجمل اللغة ، وفيه يقول أبو محمد إسماعيل بن محمد

اليسابوري وعنده الكتاب بخط مؤلفه [من المنسرح] :

هذا كتابُ الصحاح سيِّدُ ما صُنِّفَ قبل الصحاح في الأدب
يشمل أنواعه ويجمع ما فُرِّقَ في غيره من الكتب

وللجوهرى شعر العلماء ، لا شعر مفلقى الشعراء ، وأنا كاتب من لمعه ما
أنشدنيه أبو سعد بن دوست وإسماعيل بن محمد ، فمن ذلك قوله [من
السريع] :

لو كان لي بدٌّ من الناس قطعت حبل الناس بالياس
العزُّ في العزلة لكنَّه لا بدُّ للناس من الناس
وقوله من نتفة [من الوافر] :

فها أنا يونس في بطن حوتِ بنيسابور في ظلل الغمام
فبיתי والفؤاد ويوم دجنِ ظلامٌ في ظلامٍ في ظلام

وقوله [من المتقارب] :

رأيت فتىً أشقراً أزرقاً قليل الدماغ كثير الفضول^(١)
يفضل من حمقه دائماً يزيد بن هندٍ على ابن البتول

وقوله [من السريع] :

يا صاحب الدَّعوة لا تجزعنْ فكلُّنا أزهد من كرز
والماء كالعنبر في قومسٍ من عزه يجعل في الحرز
فسقنا ماءً بلا منةٍ وأنت في حلٍّ من الخبز

(١) الفضول : الحشيرة والتطفُّل .

٩٩ - أبو منصور أحمد بن محمد اللجيمي

أديب كاتب شاعر ، خدم صاحب ومدحه ورثاه ، ووقع من الدينور إلى نيسابور فتصرف بها وتأهل ، ومما أنشدنيه لنفسه قوله [من البسيط] :

وقفتُ يوم النوى منهم على بعد ولم أودعهمُ وجداً وإشفاقاً
إنّي خشيت على الأظعان من نفسي ومن دموعي إحراقاً وإغراقاً
وقوله [من المنسرح] :

ودّعت إلفي وفي يدي يده مثل غريقٍ به تمسكتُ
فرحت عنه وراحتي عطرت كأنتي بعده تمسكتُ
وقوله من قصيدة كتب بها إلى ابن بابك [من الكامل] :

يا من يجددني مع الأوهام عهداً ويطرقني مع الأحلام
ومجال ودك إنه متحصنٌ بمجال أفكاري مع اللّوام
ما أومضتُ نحو العراق عقيقةً إلّا سرى معها إليك سلامي
فارجع إذا نحت الجبال تحيةً تحيي قتيل صباةٍ وغرام
ومخيم للأنس حفٌّ بفتيةٍ بيض الخلائق والوجوه كرام
تابعت فيه بادكارك مترعاً حامى بوابل دمعي السجّام^(١)
وتركت عرضته بذكرك روضةً نابت عن النسرين والنّمام
بأبي خلائفك التي لو أنها في الراح لم يك شربها بحرام^(٢)
أوفى الزمان غداً نهراً كلّه لا يعقب الإصباح بالاظلام
أهدى إليّ لك الحجيج عرائساً تجلي فتجلو نقبة الأفهام

(١) حامني : احتفى ، دافع .

(٢) العرّض : الوادي الذي فيه قرى وشجر .

غراً إذا شдох الرواة بها الفلا
فسرحت فيها ناظريّ مفدياً
وغدتُ صحيفتها عليّ تميمةً
فاجعل أخاك لأختها أهلاً فما

[وقوله في مريّة الصاحب وقد حمل تابوته من الري إلى أصبهان ودفن في محلة تعرف بباب ذرية [من الطويل] :

مضى من إذا ما أعوز العلم والندى
مضى من إذا أفكرت في الخلق كلّهم
ثوى الجود والكافي معاً في حفيرة
هما اصطحبا حين ثم تعانقا

وقال أيضاً فيه [من الوافر] :

وأفينا العظيم إذا وردنا
أردنا منك ما أبت الليالي
شقتُ عليك جيبى غير راضٍ
ولو أنّي قتلت عليك نفسي
أفدنا شرح أمرٍ فيه لبسٌ
ألم تك منصفاً عدلاً فأني
وكيف تركت هذا الخلق حالت
تملّكنا اللئام وصيرونا

ومولينا الجسيم إذا فقدنا
فأبطل ما أرادت ما أردنا
به لك فاتخذت الوجد خدنا^(٣)
لكان إلى قضاء الحق أدنى
فإنّا طالما كنّا استفدنا
عمرتُ حفيرةً وقلبت مدنا
خلّثهم فليس كما عهدنا
عبداً بعد ما كنّا عبدا

(١) شдох الرواة : تناقلوها ونشروها ، وشдох : قطع .

(٢) التميمة : ما يتعوّد به الانسان دفعاً للعين .

(٣) الوجد : الحزن ، والخذن : الصاحب .

لئن بلغت رزيتہ قلوباً فذبن وأعيناً منّا فجدنا
لما بلغت حقائقها ولكنّ على الأيام نعرف من فقدنا
وله من قصيدة [من الكامل] :

ولربّ مخطفة تضمّ جفونها عيني مهاة بالصريمة خاذل^(١)
تغتال راقعها بقدر رامج وتصيد وامقها بطرف نابل^(٢)
ومن أخرى [من البسيط] :

ياليلةً حزنت فيها كواكبها وضاعفت كمدي أذيالها السودّ
أنت الفداء لليل شرّدت حزني فيه الأغاريد والغيد الأماليد^(٣)
وقهوة في احمرار الورد شعشعها موردّ الثوب في خديه توريد
تمرّ محثوثةً حث الركاب بنا تحدو بها نغم القينات والعود^(٤)
ما أنس لا أنس ذات الخال إذ حسرت قناعها فبدت تلك العناقيد
وأطلعت بمحيّاها وجُمّتها شمساً عليها رواق الليل ممدود^(٥)
بي من هواها رسيسٌ لا يزال له في حبّه القلب تصويبٌ وتصعيد^(٦)
ومن أخرى [من الخفيف] :

لا تلمني على الدموع التي لو لأك لم تدم من جفوني غربا^(٧)

(١) المخطفة : السريعة أو التي تمرّ خلسة والصريمة : القطيعة ، أو الرمال ذات الشجر . وخاذل : منفردة ، وخذل ، تخل .

(٢) الرامق : المتطلع ، والوامق : المحب والطرف : العين ، ونابل : من النبل .

(٣) الأماليد : جمع أملد وهو الناعم اللين من الناس والغصون .

(٤) محثوثة : مسرعة .

(٥) الجُمة : مجتمع شعر مقدّم الرأس . والرّواق : مقدّم الليل أو جانب منه .

(٦) الرسيس : الشيء الثابت ، وتصويب : من صوّب السهم : وجهه إلى الهدف والتصعيد : الارتقاء .

(٧) الغرب : السيلان الذي لا ينقطع .

طرف الغصن لا تلام على القطر إذا النار شعلت فيه رطباً
وله [من السريع]:

لو ضمَّ قلب الدهر ما ضمَّه قلبي من حرِّ النوى والبعادِ
لاحترق الحوتان من دونه فصار ما بينهما كالرماد

١٠٠ - أبو جعفر محمد بن الحسين القمي

كاتب شاعر ، أقام بنيسابور يكتب للعمال ، ويتصرف في الأعمال ، وهو
القائل [من الهزج]:

أرى عمال نيسابور دهرُ الله في التحسِ
فمن يعمل بها يوماً يقع شهرين في الحبس
بها يضرب بالقلس أعزُّ الناس في فلس^(١)

وقال في معقل وكان بNDAR نيسابور [من الكامل]:

يا أيُّها الشيخ الكبير المفضلُ آقبض يديه فمعقلٌ لا يعقلُ
ظلموه إذ ودعوا دواةً عنده ولديه يوضع منجلٌ أو معولٌ

وقال لأبي محمد بن أبي سلمة [من الرمل]:

أيُّها الشيخ الذي كلَّ الورى يتلقى وجهه بالتفديه
هل يوازي فضلك المشهور أن تحضر الديوان يوم الترويه

وقال [من المجث]:

(١) القلّس : حبل ضخم للسفينة .

يا من إليه المعالي من كل أوبٍ تُحازُ
إن لم يكن لي فيه شغلٌ لديكم فجازوا^(١)

وقال [من الهزج] :

يقول الناس لي جامعٌ خطيب المسجد الجامع
ومن ذا يأكل الميتة إلا الجائع النائع^(٢)

وقال [من الخفيف] :

يا جواد اللسان من غير جودٍ ليت جود اللسان في راحتكما

١٠١ - أبو الغطاريف عملاق بن غيداق العثماني

أعرابي جهوري ، متفعر في كلامه^(٣) ، كثير الشعر ، قليل الملح ، وممن
ثقل حتى خف ، وقبح حتى ملح ، طراً على نيسابور أطواراً ، وأقام بها في المرة
الأولى بضع سنين ينتسب الى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ويقرأ القرآن بجهارة
شديدة ، ويشعر ويتعاطى الفواحش ، فإذا قيل له : كيف أصبحت أيها الشريف ؟
قال : أصبحت جوالاً في السكك ، حلالاً للتك^(٤) ، على رأسه طائرکم معكم
سرمداً ، وعلى جبينه ولن تفلحوا إذا أبدا ، وكثيراً ما ينشد لنفسه [من الطويل] :

تلبس عملاق بن غيداق للشقا وللحزن والإفلاس أثواب حارس
يطوف بنيسابور في كل سكة خليفة مولاه طفيل العرائس

(١) ورد العجز « شغل لديكم فجاز » ولا يستقيم به الوزن ، فأصلحناء وجازوا : أي أنعموا .

(٢) النائع : العطشان .

(٣) متفعر في كلامه : أي يخرج من حلقه .

(٤) التكة : رباط السراويل .

وذلك أن طفيل العرائس الذي ينسب إليه الطفيليون من موالي عثمان بن عفان رضي الله عنه^(١).

ومدح عملاق فائق الخاصة بقصيدة أولها وهو أمير شعره [من المنسرح] :

يا دولةً أيدت بخالقها وبالأمر الجليل فائقها
فأمر بإثبات اسمه في جملته واستصحبه ووصله ولم يزل معه إلى أن فرق
الدهر بينهما ، ثم إن الشيخ الجليل أبا العباس أحسن النظر له ، وأجرى إنعامه
عليه ، ووصله وهو الآن ممن يعيش في كفه ، ومما سمعته ينشد لنفسه قصيدة
أولها [من الطويل] :

لبسنا لهذا الفصل حمر المطارف وفيه انسلخنا من لباس المصايف
وفاقم صقلاب وأفتاك خدلج حذار رياح الزمهرير العواصف
وسنجاب خرخيد وسمور بلغر وأوبار آباء الحصين التوالف^(٢)
مع الخز والديباج حيكاً بتستر وبالسقلاطوني تحت الملاحف

١٠٢ - أبو المعلى ماجد بن الصلت المعروف بناقذ الكلام الجاني

ورد نيسابور متطرقاً لها إلى غزنة ، وأدعى أكثر مما يحسن ، وأنشد لنفسه
شعراً كثيراً أخرجت منه قوله في ممهد الدولة هذه [من الكامل] :

بعدت صفاتك يا ممهد وأدنت كغموض معنى في كلام ظاهر
خفيت وأظهرها الطباع خفية كالنور يوجد في سواد الناظر

(١) في كتاب المعارف أنه من ولد عبد الله بن غطفان بن سعد .

(٢) التوالف : المجتمعة بعضها إلى بعض .

وقوله [من الكامل]:

لم يكفني بالريّ خيبة مطلبي حتى حرمت لذائذ الإيناس
كالأعور المسكين أعدم عينه وأعيض عنها بغضةً في الناس

وقوله [من الطويل]:

إذا فكرَ الإنسان فكرة عاقلٍ رأى عيشه معنىً لمغنى مماته
إذا نال يوماً زائداً في معاشه فذلك يومٌ ناقصٌ من حياته

وقوله [من السريع]:

أنت لعمري خير شرّ الورى ترضاك من ترضى بإقلال
والأعور المقوت مع قبحه خيرٌ من الأعمى على حال

وقوله [من مخلع البسيط]:

في ثغر عبد الكريم شيءٌ من فمه ليس بالكريم
تحسب طول الحياة فاهٌ يمجُّ خمراً بغير ميم

وقوله [من المنسرح]:

ربّ صديقٍ قدمت من سفرٍ فجئت من مقدمي أهنيه
لا حقّ لي عنده فيقضيه وحقّه لا أزال أقضيه

وقوله [من الكامل]:

ظلم امرؤ نذب التجار إلى العلى حسب التجار دفاتر الحساب
هممٌ لهم بين النقود وصرفها والسعر والمكيال والميزان

وقوله [من الوافر]:

لسان الحقّ أفصح من لساني وصمتي عن كلامي ترجماني

وأنت لمن رماه الدهر عونٌ فكن عوني على صرف الزمان

١٠٣ - عبد القادر بن طاهر التميمي أبو منصور

فقيه وجيه ، نبيه قليل الشبيه ، يتفقه على مذهب الشافعي ، ويتكلم على مذهب الأشعري ، ويرجع الى رأس مال في الأدب ، والنحو ، وكان أبوه عبد الله^(١) انتقل من بغداد إلى نيسابور ومعه أبو منصور فتفقه بها وبرع وبلغ ما بلغ ، وله شعر يحذو في أكثره حذو منصور الفقيه البصري ، كقوله [من مجزوء الرجز] :

يا سائلي عن قصتي دعني أمتُ بغصتي
المال في أيدي الوري واليأس منهم حصتي

وقوله [من مجزوء الرجز] :

يا ماجداً فاق الوري لازتَ مأوىً للقرى^(٢)
عليّ دينٌ مانعٌ عيني من طيب الكرى
فكن لديني قاضياً يا خير من فوق الثرى

وقوله [من المتقارب] :

ألا إن دنياك مثل الوديعة جميع أمانيك فيها خديعه
فلا تغترّر بالذي نلت منها فما هو إلا سراب بقيقه^(٣)

وقوله [من المتقارب] :

إذا ضاق صدري وخفتُ العدى تمثّلت بيتاً بحالي يليقُ

(١) القرى : الضيافة .

(٢) السراب : ما يشاهد في الصحراء أثناء الحرّ وكأنّه ماء . وبقية : المكان المتسع الذي فيه أشجار مختلفة .

فبالله نبلغ ما نرتجي وبالله ندفع ما لا نطيق
وقوله [من الطويل]:

سقتني لتروي الروح راحاً وحققت مواعدها ذات الوشاح بانجاز
على نرجسٍ حيثُ به فكأنما أناملها انضمتُ على حدق البازي

١٠٤ - أبو علي محمد بن عمر البلخي الزاهر

كان فارق بلدته في صباه ، وركب الأسفار إلى العراق والشام ، وتلقب
بالزاهر مقتدياً بقوم من الشعراء تلقبوا بالناجم والناشي والنامي والزاهي والطارح
والطاهر ، ثم كر إلى خراسان ، وألقى عصاه بنيسابور ، وتكسب بالشعر ، واستكثر
منه ، فمما علق بحفظي مما أُنشدنيه لنفسه قوله ويروي لأبي الحسن علي بن
محمد الغزنوي [من الطويل]:

أقول وقد فارقت بغداد مكرهاً سلامٌ على عهد القطيعة والكرخ
هواي ورائي والمسيرُ خلافه فقلبي إلى كرخٍ ووجهي إلى بلخ
وقوله [من البسيط]:

قولوا لقوم بنيسابور أمدحهم عند الضرورة والإفلاس والضيق
أصبحت فيهم وحقُّ الله خالقنا كمصحفٍ دارسٍ في بيت زنديقٍ

١٠٥ - أبو القاسم يحيى بن علي البخاري الفقيه

من أبناء التجار المياسير ببخارى ، وورد مع أبيه نيسابور متفقهاً ، وهو من
آدب الفقهاء وأحفظهم لما يصلح للمحاضرة ، فبقي بها مدة ، واختير للإمامة في
المسجد الجامع ولم يزل يتولاها إلى أن أثر العزلة فقاده زهده وورعه إلى المراقبة

بدهستان وهو بها الآن ، وكان أنشدني وكتب لي من شعره غرراً لا يحضرني منها
إلا قوله [من الهزج]:

أيا من همّة الجمعُ لما حاصله القوتُ
كأنّي بك يا نائم قد أيقظك الموتُ

فصل

كان من حق هذا الباب أن يتضمن ذكر أبي الحسين الرخجي ، وأبي الحسن
الممتاخي صاحب كتاب من غاب عند النديم ، وأبي الحسن الحنظلي
السهروردي ، وأبي سعيد البلدي ، وأبي القاسم علي بن محمد الكرخي ، وأبي
الحسن محمد بن عيسى الكرخي ، وأبي المظفر الكمال بن آدم الهروي ، وأبي
الحسن علي بن محمد الحميري، ولكن لم يحضرني شيء من أشعارهم في هذه
الغربة ، وإن نفس الله المهمل ، وعادوت الوطن ، جبرت كسره بما يصلح له من
كلامهم ، وإن عاق محتوم الأجل عن ذلك فإني أرغب إلى من ينظر بعدي في هذا
الكتاب من الفضلاء الذين يصيدون شوارد الكلم وينظمون قلائد الأدب ، أن
ينوب عن أخيه فيه ، ويلحق ما يجده منه بمواضعه من هذا الباب ، إن شاء الله
تعالى ، وبه التوفيق ، ومنه الإعانة .

الباب العاشر

في ذكر النيسابوريين الذين تقع محاسن أقوالهم في هذا الباب وكتابة لطائفهم وظرائفهم .

١٠٦ - رئيس نيسابور أبو محمد عبد الله بن إسماعيل الميكالي

هو أشهر ، وذكره أسير ، وفضله أكثر ، من أن ينه عليه وله - مع كرم حسبه وتكامل شرفه - فضيلة علمه وأدبه . وكان من الكتابة والبلاغة بالمحل الأعلى ، وله من سائر المحاسن القدر المعلى ، فكان يحفظ مائة ألف بيت للمتقدمين والمحدثين يهدها في محاضراته^(١) ، ويحلها في مكاتباته ، وله شعر كتابي يشير لشرف قائله ، لا لكثرة طائله ، فمن ذلك ما قاله على لسان كاتبه أبي الطيب [من الرمل] :

يوم دجنٍ قد تنهى طيئه وحقيقٌ أن يجينا بالمطر
والثلثاء ينادي غدوةً ما للهو بعد هذا منتظر
هل يجوز الصحو في أثنائه إن هذا الرأي من إحدى الكبر

وقوله في النكبة التي عرضت له في آخر أيامه [من الخفيف] :

خانني الأير حين خان زماني وجفاني كأنه إخواني

(١) يهدها : يسردها .

وثنى عني العنان غزالاً
 يتجنى عليّ من غير جرمٍ
 كيف يصبو إليّ وهو عليمٌ
 ليس يرجى له انتباهٌ من النو
 كان من قبل سامعاً مستجيباً
 بل رأني مصادراً مستكيناً
 ولوى جيده فأصبح لدناً
 لا يجيب الصريح في غسق الليل ولا دعوة الوجوه الحسان^(١)
 لم أكلّفه حمل غرمٍ ثقلٍ
 إنما الغرم والوبال على الما
 هل سمعتم بمقمعٍ من حديد
 ليته عاد تابعاً لمرادي
 أيها العاذلان حسبي ما بي
 وارثيا لي من البلاء وكفّاً
 إن يكنْ خائني الأجبّة طراً
 فعلى الله في الأمور اتكالي
 كان قبل المشيب طوع عاني
 ويراني كأثّ لا يراني
 أن أيري كعطفة الصولجان
 م ولا صبوّة لذكر الغواني
 مسعداً لي فعقّني وجفاني
 فرثي لي من انقلاب الزمان
 يثنى يثنى الخيزران^(٢)
 لا ولا دفع معضلٍ قد عراني^(٣)
 ل فماذا عليه ممّا دهاني
 ذاب من فرط خيفة السلطان
 فأسّلي به جوى الأحزان
 فدعاني من الملام دعاني
 إنني في يد الحوادث عاني^(٤)
 فشجاني جفاؤهم وبراني
 وبه الاعتصام ممّا أعاني

* * *

١٠٧ - ابنه أبو جعفر محمد بن عبد الله بن إسماعيل

كان متقدماً في الأدب . متبحراً في علم اللغة والعروض ، مصنفاً للكتب
 مستكثراً من قول الشعر ، ولعل شعره يربى على عشرة آلاف بيت ، ولما أنشد أباه

(١) اللدن : الطري الرخص ، يثنى : يتلوى .

(٢) الصريح : المستنجد ، والغسق : الظلام .

(٣) الغرم : الدين والغرامة . وعراني : حلّ بي .

(٤) العاني : المتعب ومقهور .

قوله في مقصورة له هذا البيت [من الرجز] :

إذا ركبْتَ كنتَ خيرَ راكبٍ وإنْ نزلتَ كنتَ خيرَ منْ مشى
قال له : استحييت لك يا بني ، ما تركت رسول الله ﷺ ؟ وأمره بإسقاط هذا
البيت من القصيدة ، فلم يفعل ، وعندي أن أمير شعره قوله [من الرجز] :

إذا أراد الله أمراً بامريءٍ وكان ذا عقلٍ ورأيٍ وبصرٍ
وحيلةٍ يعملها في كلِّ ما يأتي به جميع أسباب القدر
أغراه بالجهل وأعمى قلبه وسلَّه من رأيه سلَّ الشعراء^(١)
حتى إذا أنفذ فيه امرأةً ردَّ عليه عقله ليعتبر

١٠٨ - الأستاذ أبو سهل محمد بن سليمان الصعلوكي

معلوم أنه كان في العلم علماً ، وفي الكمال عالماً ، ومن شاهد الآن ابنه
الشيخ الإمام أبا الطيب سهل بن محمد بن سليمان رأى شجرة للعلم نمت على
عروقتها ونفسا غذيت في حجر الفضل فجرت على سنن أولها . وأحيت فضائله
بفضائلها . وولدا أشبه والده في الإمامة ، عند الخاصة والعامة . وله شعر كثير
يذكر في شعر الأئمة ويروى لشرف صاحبه وتحسين الكتب بذكره ، فمن ذلك ما
أنشدنيه الشيخ الإمام أبو الطيب قال : أنشدني والذي لنفسه [من الطويل] :

سلوتُ عن الدنيا عزيزاً فلتها وجدت بها لما تناهت بآمالي
علمت مصير الدهر كيف سبيله فزايلته قبل الزوال بأحوال^(٢)

وأنشدني له أبو الحسن الفارسي الماوردي الفقيه [من مجزوء الوافر] :

دع الدنيا لعاشقها ستصبحُ من ذبائحها

(١) وسلَّه : أخرجه .

(٢) زایل : فارق ، والزوال : الانتهاء . وأحوال : جمع حول : وهو العام .

ولا تغررك رائحة تصيبك من روائحها
فمادحها بغفلته يصير إلى فضائحها

* * *

١٠٩ - علي بن أبي علي العلوي

كان في نهاية النجابة فاحتضر في عنفوان شبابه ، وله شعر علق بحفظي منه
ما أنشدنيه أخوه أبو إبراهيم له [من الكامل] :

همم الرجال تبين في أفعالهم والفعل عدلٌ شاهدٌ للغائب
ولنا تراث المجد حُزنًا فضلهُ عن خير ماشٍ في الأنعام وراكب^(١)
والآن أخوه أحمد نعم العوض عنه ، والخلف منه :

* والشمس تسليك عما حلّ بالقمر *

وله شعر حسن لا يحضرني منه إلا قوله [من الطويل] :

هواك من الدتيا نصيبي ، وإنني إليك لمشتاقٌ كجفني إلى الغمض
فزرني وبادر يوم ثلجٍ كأنه شمائم كافورٍ نثرن على الأرض

* * *

١١٠ - أبو البركات علي بن الحسين العلوي

يزين تالد أصله ، بطارف فضله ، ويحلي طهارة نسبه ، ببراعة أدبه ،
ويرجع من حسن المروءة وكرم الشيمة وعفة الطعمة إلى ما تتواتر به أباره . وتشهد
عليه آثاره ، ويقول شعراً صادراً عن طبع شريف ، وفكر لطيف كقوله من قصيدة
[من السريع] :

(١) حزنًا : حصلنا وامتلكنا .

مدامعي تهتك أستاري تعلن بين الناس أسراري
أنكرت ما بي، غير أن البكا قرّر بالإقرار إقراراي

ومنها :

أحييت خشفاً ليس في مثله تحمّل العار من العار^(١)

ومنها :

كأنما إبريقنا طائر يحمل ياقوتاً بمنقار

ومنها :

كأن ريح الروض لما أتت فتت علينا مسك عطار

وقوله [من الطويل] :

وأغيدُ سحّارٌ بالحاظ عينه حكى لي تشنيه من البان أملودا^(٢)
سلخت بذكراه عن الصبح ليلةً أنادمه والكأس والناي والعودا
ترى أنجم الجوزاء والنجم فوقها كباسط كفيه ليقطف عنقودا

وله [من المنسرح] :

مكذبُ الظنِّ ناقص الأمل يقطر من خدّه دمُ الخجل
يكاد ينفض فصّ وجنته إذا علاه الحياء للقبل

وقوله [من السريع] :

يا عصبه الأتراك أولادكم من يوسف الحسن وبلقيس
أحافظكم تحيي وتردي الورى وحسنكم فتنة إبليس
لا تقربوا مني ففي قربكم هلاك دين المرء والكيس

(١) الخشف : ولد الغزال ، والعار : العيب .

(٢) البان : شجرين ، ورقه طويل ، أبيض الزهر . والأملود : الغصن الطري الناعم .

وقوله من قصيدة [من الخفيف] :

وكأنّي ركبّت للصيد ريحاً لا يبالى بحزنها والسهول^(١)
أدهمّ اللون مثل ليل بهيم ذي صباحٍ من غرةٍ وحجول
فهو يطوي البسيط كالسيط طياً بيديّ طالبٍ ورجليّ عجول^(٢)
وقوله من نتفة [من البسيط] :

الشيخ ينجز وعداً منه قد سبقا وليس الغصن من إفضاله الورقا
إنّي غريقٌ ببحرِ المطل منتظرٌ حالاً تكشف عني الموج والغرقا

* * *

١١١ - أبو الحسن محمد بن ظفر العلوي

شريف فاضل ، عالم زاهد ، يلبس الصوف ، وكان في صباه يقول الشعر ،
فمن ذلك قوله [من مخلع البسيط] :

أسكرني طرفه ولكن خمار أجفانه حمام^(٣)
إنّ دمي عنده حلالٌ وهو لدى غيره حرامٌ
وهكذا سحر كلّ طرفٍ يصنع ما تصنع المدام

وله [من الرجز] :

وأمرّد أزهّد من صهيب في علم موسى وتقى شعيب
إذا رأى شعر أبي ذؤيب أو فارسيات أبي شعيب

(١) الحزن : الأرض الصعبة المسالك .

(٢) البسيط : الأرض .

(٣) الخمار : أثر الحمرة ، والحمام : الموت .

تحسبه أشعر من نُصيبٍ إن لم تساعدني فوي بي وويبي^(١)
وله [من الطويل] :

إذا عضَّك الدهر الخوَّون بناه وأسلمك الخدن الشَّفِيق إلى الهجر
فلا تأسفنْ يا صاحٍ واصبر تجلِّداً فلا شيء عند الهجر أجدى من الصبر

* * *

١١٢ - أبو العباس محمد بن يحيى العنبري

من أبناء نيسابور ، وأهل البيوتات بها ، وله شعر كثير ، منه [من الكامل] :

لا يشغلنك حديث ما في الكاس شرب المدام محلَّلٌ في الناس
الله حَرَمَ سكرها لا شربها فاشرب هنيئاً يا أبا العباس
صفراء صافيةً كأنَّ شعاعها ضوءُ الصباح وشعلة المقياس^(٢)
تنفي بها داءً وحزناً كامناً في القلب ليس بشربها من باس
وإذا قميصك بللته مدامةً وعرتك منه وساوسُ الخناس
فدع القميص يُشمُّ منه ريحها واغسل فؤادك من أذى الوسواس

وقوله [من الكامل] :

متفقه شغف الفؤاد بحبه خضعت محاسن وجهه لمحبه
أحببت كورة زوزنٍ من أجله ورجالها ونساءها من حبه

وله [من الوافر] :

يقول الناس لي رجلٌ سديدٌ وما فعلي بفعل فتى سديد

(١) نُصيب : هو نصيب بن رباح ، أبو محجن شاعر مقدَّم في النسب والمدح .

فوي بي : أي فعجباً بي ، ووي : هي كلمة للزجر والتهديد ، وويبي : المصيبة الفضيحة

(٢) المقياس : الضوء ، والنار .

إذا ما كنت لا أخشى وعيدا فما يغني مقالني بالوعيد

* * *

١١٣ - [أبو] سلمة بن أحمد المعاذي

حضر بعض مجالس الأنس بنيسابور فانصبت محبرة فتى مليح على ثوبه
فخجل الفتى ، فقال أبو سلمة [من الكامل] :

صبَّ المدام وما تعمَّد صبَّه فتورّد الخدُّ البديع الأزهرُ
يا من يؤثر جبره في ثوبنا تأثير لحظك في فؤادي أكثر

* * *

١١٤ - أبو سهل سعيد بن عبد الله التكلي

من أدباء نيسابور وفضلاء المتصرفين بها ، يقول [من الطويل] :

وكان فؤادي جامحاً في عنانه إذا انتابه العذالُ في غيِّه أبي
وأقصرَ عن قصد التصابي وصدّه مقال بنيّ بعد خمسين يا أبا
وقوله [من المتقارب] :

همومٌ تفيضُ وصبرٌ يفيضُ وجسمٌ صحيحٌ وقلبٌ مريضُ
يُبَيِّضُ ما اسود من لمتي خطوبٌ حداهن سودٌ وبيضُ
ورؤية من يدّعي أنه علا فلک الشمس وهو الحضيض
فإن سكتوا فشفاه تغيض وإن نطقوا فبظور تحيض^(١)
وأمتع من شرب كأس الحمام حياةً يشارك فيها بغيض

(١) تغيض : أي تبلع ، وغاض الماء : ذهب في الأرض . والبطور : جمع بظر يعني به فرج المرأة .
والحيض : معروف وهو العادة الشهرية عند المرأة .

وقوله [من الوافر] :

ألا قالت أمامة إذ رأته
تعرتك الهموم فقلت حقاً
وماء الوجه بالجمادي شيباً^(١)
هموم تجعل ولدان شيباً
وقوله [من الكامل] :

إن المقصر في الحضور لخدمة
يوم كأن الأرض فيه سجنجل
في مثل هذا اليوم للمعذور
والجو فيه صارم ماثور

* * *

١١٥ - القاضي أبو بكر عبد الله بن محمد البستي

آدب قضاة نيسابور وأشعرهم ، ولما تقلد قضاءها في أيام شبيبته مضافاً إلى
ما كان يليه من قضاء كورة نسا لقب بالكامل ، وله شعر كثير كتب لي بخطه صدرها
منه وأنشدني بعضه ، فمن ذلك قوله [من المنسرح] :

انظر إلى النفس وهي واقفة
نصب عيون الوشاة والحرس
يخفى على الناظرين موقفها
كأنها نفس آخر النفس
وله [من الكامل] :

قل للذي حبس الفؤاد بصدّه
مسترخص المبتاع لا يغلى به
فوددت أنني عند ذاك فؤادي
ولذاك ما أرخصت بيع ودادي
وقوله [من الطويل] :

يقولون أبل العذر فيما ترومه
فقلت لهم إبلاء عذر وخيبة
فإبلاء عذر في الأمور نجاح
نجاح كما افتض العروس نجاح

(١) الجمادي : الزعفران ، وشيبا : خلط .

وله في وصف طين الأكل [من الرجز] :

وتحفة نقلنيها غاليه
شبهتها من بعد ما أهدى ليه
ذو همم في المكرمات عاليه
قطاع كافور عليها غاليه!

وله في البندق [من مخلع البسيط] :

وبندق لبه عجب
أشبه شيء به يقينا
للدر والمسك فيه شركه
لؤلؤة ضمخت بمسكه

وله في الورد [من الكامل] :

حيًا بما خجل العقيق للونه
لولا لحاظي خده من بعده
لما أتاني في الصباح بورده
لقضيت أن عليه جلدة خده

وله في الورد الموجه [من الطويل] :

حباني بورد جامع بين وصفه
على جانب منه تورّد خده
ووصفي لما زرتهم وجفوني
وفي جانب منه تلون لوني

وله في البهار [من الطويل] :

حكاني بهار الروض حتى ألفتة
وقلت له ما بال لونك شاحباً
وكل مشوق للبهار مصاحب
فقال لأتي حين أقلب راهب

وله [من مجزوء الكامل] :

يا من قنعت بحس رأ
إن قمت في أمري برأ
ي منه لو أعطيت رايه
ي صادق أعطيت رايه

(١) الغالية : أخلاط من الطيب .

وله [من مجزوء الخفيف] :

مستبدهً برأيه عازبُ الرأي معجبٌ^(١)
وتماديه بعد ما عرف الغيَّ أعجبُ

وله [من الرجز] :

يعجبني من كلِّ شعيرٍ جزلٌ جيدٌ جدٌ وركيكُ هزل^(٢)

* * *

١١٦ - أبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن دوست

من أعيان الفضلاء بنيسابور وأفرادهم ، يجمع من الفقه والأدب ، بين التمر
والرطب . ومن النظم والنثر ، بين الياقوت والدر ، وشعره كثير الملح والنكت ،
حسن الديباجة ، كأنه يصدر عن طباع المفلقين من شعراء العراق وهذا أنموذج منه
[من الهزج] :

ألا يا ريمُ خبرني عن التفاح منَ عَصَةٍ
وحدثُ بابي عن حسنك البكر من افتضَةٍ
وختمُ الله بالورد على خدك من فضَةٍ
لقد أثرت العَضَّة في وجنتك الغَضَّة
ولاح الدرُّ إذ بضَ على جلدتك البَضَّة^(٣)
كلون العنبر الوردِي إذا فضَّ عن الفِضَّة

(١) العازب : البعيد الطلب .

(٢) الجزل : الفصيح والفخم والمتين .

والهزل : الضعيف الرديء .

(٣) بضَ : إذ ظهر أبيضاً ، والجلدة البَضَّة الرقيقة اللينة في سمنٍ وامتلاء .

وله [من الكامل] :

ولقد مررت على الظباء فصادني ظبيٌ وعهدي بالظباء تصادُ
نفذت لوحظه إليّ بأسهمٍ أغراضها الأرواح والأجسادُ

وله [من الوافر] :

جعلت هديتي لكم سيواكاً ولم أقصد به أحداً سواكاً^(١)
بعثت إليك عوداً من أراك رجاءً أن أعود وأن أراكاً^(٢)

وله [من الكامل] :

ومفهفٍ ملك القلوب وحازا خطّ الجمال بعارضيه طرازا
شبهته قمراً فكان حقيقةً وغدا له قمر السماء مجازا
ما باع بزاً قط إلا أنه بزّ القلوب فلُقبَ البزّازا

وله [من السريع] :

وشادنٍ نادمت في مجلسٍ قد مطرت راحاً أباريقه
طلبت ورداً فأبى خده ورمزت راحاً فأبى ريقه

وله [من مجزوء الرجز] :

وشادنٍ قلت له هل لك في المنادمه
فقال ربّ عاشقٍ سفكتُ بالمنى دمه

وله [من الوافر] :

يغيب البدر يوماً ثم يبدو فما لك غبتَ عن عيني ثلاثا
فإن لم تطلع الاثنتين عصراً فلست بواجدي يوم الثلاثا

(١) السواك : عود يستعمل لتنظيف الأسنان من بقايا الأطعمة ، وهو طيب الرائحة .

(٢) الأراك : شجر يتخلّل الناس بعود لطيب رائحته .

وله [من الوافر] :

وقالوا اصفرَّ وجهك إذ تراءى وقد صار الفؤاد له شعاعا
فقلت لأئنسي قابلت بدراناً فقد ألقى على وجهي الشعاعا

وله [من مجزوء الكامل] :

الدهرُ دهرُ الجاهليين وأمرُ أهل العلم فاترُ
لا سوق أكسد فيه من سوقِ المحابر والدفاترُ

وله [من البسيط] :

عليك بالحفظ دون الجمع في كتب فإنَّ للكتب آفات تفرِّقها
الماء يغرقُها ، والنار تحرقُها والفار يخرقُها ، واللص يسرقها

وله في الفصد [من الرجز] :

لما رأيت الجسم ذا اعتلالٍ ودبَّت الآلام في أوصالي
دعوت شيخاً من بني الجوالي بطريقٍ عمٍّ جاثليق خال^(١)
فسلَّ سيفاً ليس للقتال ومرهفاً ليس من العوالي
أدقُّ في العين من الخيال أقطع من حجرٍ ومن ملال
أحسن من وصلٍ ومن إقبال كأنه نصفٌ من الهلال
ففتَّح القفل عن القيفال بضربةٍ تشبه نصف الدال
أو شكله في موضع الاشكال ولجَّ دمع العرق في انهمال
كقهوةٍ تبزل بالميزال فولَّت العلة في انفلال^(٢)
فأقبلت عساكر الإقبال محفوفةً بالبرء والإلال
ومثل الجسم من المثال كأنما أنشط من عقال^(٣)

(١) البطريق والجاثليق : من كهنة النصارى .

(٢) الميزال : المصفاة التي يصفى بها الشراب أو نحوه . فولَّت : ذهبت ، انفلال : انقطاع .

(٣) العقال : الأسر .

وله [من السريع] :

قل للأمير الأريحي الذي نفديه بالأنفس إن جازا
جودك قد أورق لي موعداً فكيف لا يثمر إنجازا

وقوله [من الرمل] :

أيها البدر الذي يجلو الدجى قل لنجمي في الهوى كم تحترق
أنا من جملة أحرار الهوى غير أنني من هواكم تحت رق^(١)

* * *

١١٧ - أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز النيلي

هو وأخوه أبو سهل من حسنات نيسابور ومفاخرها ، فأبو عبد الرحمن من
الأعيان الأفراد في الفقه ، وأبو سهل من الأعيان الأفراد في الطب . وما منهما إلا
أديب شاعر أخذ بأطراف الفضائل ، فمن: ملح شعر أبي عبد الرحمن قوله [من
المنسرح] :

وذي جدالٍ لنا كشفتُ له عن خطإٍ كان قد تعسَّفه
فلم يجبني بغير ما ضحك والضحك في غير حينه سفه
وله [من البسيط] :

أدركُ بقية نفسٍ روحها رَمَقٌ فقد أذابت هموم الناس أكثرها
وإنما سلمتُ منها بقيتها لأنها خفيتُ ضعفاً فلم ترها
وله [من مجزوء الرجز] :

أعرضتُ لما عرضتِ سهام تلك الحدقِ

(١) الرق : العبودية .

ظننت أنني هاربٌ منها بأدنى رمق
فقال لي فيها الهوى هيهات مما تتقي
إنّ سهام الحديق لا تُتقى بالدرق^(١)

وله [من مجزوء الرمل] :

نحن في مجلس أنسٍ بك تحقيقٌ مجازه
لُطفُ الدهر عزيزٌ فتجلّد لانتهازه
قد نسجنا الأنس ثوباً فتفضّل بطرازه

وله [من الرمل] :

يوم غيمٍ زاد قلبي شجناً ذو نشيجٍ وهو قد أنشجنا^(٢)
وسحابٍ قد حكى لماً بكى يوم قالوا (عارضٌ ممطرنا)

وله [من الوافر] :

تغاضٍ عن البخيل ولا تلمهُ ودعُ ما في يديه ولا ترمهُ^(٣)
ومن لم يحو غير المال فضلاً وجاد بفضلِه جهلاً فلمهُ

وله [من المجثث] :

خلعتُ خفيّ من خلعٍ ذا السحاب عذاره
فالיום ليل ظلامٍ والأرض حشٌّ قذاره
من حقّ ذا العقل فيه أن لا يفارق داره

(١) الدرق : الصلب من كل شيء .

(٢) الشجن : الحزن ، والنشيج : الصوت في الصدر .

(٣) تغاضى : أي غض الطرف ، ولا ترمهُ : أي لا تقصده .

وله [من البسيط] :

أما تراني على بغى العلاء لأحمال العناء حمولاً دائم النصب^(١)
فما استوى شرفاً إلا على كلفٍ ولا صفا ذهباً إلا على لهبٍ

وله [من السريع] :

أفدى الذي أكره أن أفديه لأنه جلّ عن التفدية
يقتل بالعين ، ولا بدّ لي من طلبي من شفّيته الدية^(٢)

وله [من مخلع البسيط] :

إذا رأيت الوداع فاصبر ولا يهمنك البعادُ
وانتظر العودَ عن قريبٍ فإنّ قلب الوداع عادوا

وله من نتفة [من البسيط] :

للنار في وجهه من أحبّيته أثرُ فاللون في خدّه والفعل في كبدي

* * *

١١٨ - أبو سهل بكر بن عبد العزيز النيلي

قد تقدم ذكره^(٣) ، وجاء الآن شعره ، قال [من المجث] :

قد رضتُ	باليأس نفسي	فعلُ	الليب	الحكيم ^(٤)
فنعتهَا	بكفافٍ	وفيه	كلُّ	النعيمِ
فما	يدُ	لكريمٍ	عندي	ولا
				للثيمِ

(١) النصب : التعب .

(٢) الدية : الغرم ، أي المال الذي يدفع لذوي القتيل .

(٣) رضت : من راض أي ذلّل وكبح الجراح . الخلة : الصداقة .

وللقناعة روح يا طيبه من نسيم

وقال [من الخفيف] :

يا مفدًى العذار والخذ والقُدْ بنفسي وما أراها كثيراً
ومعيري من سقم عينيه سقماً دمت مضنىً به ودمت معيراً
سقني الراح تنفُ لوعة قلبٍ بات مذ بنت للهموم سميراً
هي في الكأس خمرة فإذا ما أفرغت في الحشى استحالت سروراً
وقال [من البسيط] :

رجوت دهرأً طويلاً في التماس أخٍ يرعى ودادي إذا ذو خلّة خانا^(١)
فكم ألفت وكم آخيت غير أخٍ وكم تبدّلت بالأخوان إخوانا
فما زكى لي على الأيام ذو ثقةٍ ولا رعى أحدٌ ودّي ولا صانا
فقلت للنفس لما عزّ مطلبها بالله لا تألفي ما عشت إنسانا
وقال [من البسيط] :

دب المشيب إلي فودي مبتكراً وللشباب رداءً ليس بالخلق
فقلت يا نفس حثي للرحيل ضحى فأقصر الليل أدناه من الفلق
وقال [من الكامل] :

نشر الربيع الغض قبل أوانه لما نشرت كتاب فرد زمانه
أنوار لفظٍ من جناب جنابه ونسيم وردٍ من غراس بنانه
فأراح أنساً عازباً بوروده وأراح قلب الصب من أشجانه
وأرى بني الآداب معجز نظمهم أن ليس في الإمكان نيل مكانه
فأسرت الأبواب إجلالاً له وفدى المسماع ترجمان جمانه^(٢)

(١) الجمان : اللؤلؤ .

وقوله [من مخلع البسيط] :

رُقُّ لمن قد ملكَتْ رَقَّهُ حقُّ له لو رعيتَ حقَّهُ
ذاب فما مثله خِلالُ ولا هلال ضياً ورقه^(١)

وقال [من مجزوء الرجز] :

الله في مَتِّم عَذْبَتُهُ فراقب
يكفيك ما أبقيتُهُ من ألم الفراق بي

وقال [من الرجز] :

من وجهه يطلع نجم المشتري ياقوتة تثمر شهداً فاشتر
يا من نضا باللحظ سيف الأشر إذا وجدت الحرَّ عبداً فاشتر

* * *

١١٩ - أبو محمد إسماعيل بن محمد الدهان

أنفق ماله على الأدب ، فتقدم فيه ، وبرع في علم اللغة والنحو
والعروض ، وأخذ عن الجوهري الذي تقدم ذكره ، واستكثر منه ، وحصل كتابه
كتاب الصحاح في اللغة بخطه ، واختص بالأمير أبي الفضل الميكالي ومدحه وأباه
بشعر كثير ، ثم أثر الزهد والإعراض عن أعراض الدنيا ، وقال لما أزمع الحج
والزيارة [من الوافر] :

أتيتك راجلاً ووددت أني ملكت سواد عيني أمتطيه
ومالي لا أسير على المآقي إلى قبر رسول الله فيه

(١) الخلال : עוד يزال له الطعام من بين الاسنان .

وقال [من الطويل] :

أيا خير مبعوثٍ إلى خير أمةٍ نصحتَ وبلغتَ الرسالة والوحيا
فلو كان بالإمكان سعيي بمقلتي إليك رسول الله أنضيتها سعيًا
وقال [من مخلع البسيط] :

عبدُ عصى ربّه ولكنّ ليس سوى واحدٍ يقولُ
إن لم يكن فعله جميلًا فإنّما ظنّه جميلُ
وقال للأمير أبي الفضل الميكالي [من مجزوء الكامل] :

في دار مولانا الأمير محلُّ أهل العلم عالي
لا سوق أنفق فيه من سوق المكارم والمعالي
وقال لصديق له [من الوافر] :

نصحتك يا أبا إسحاق فاقبلُ فإنّي ناصحٌ لك ذو صداقه
تعلّم ما بدا لك من علومٍ فما الآداب إلا في الوراقه^(١)
وقال من قصيدة في مريّة البديع [من الوافر] :

وما الإنسان في دنياه إلّا كبارقةٍ تروق إذا تلوحُ
نفسه نفسه نفسٌ توالى ومدته مدىّ، والروح ريحُ
وقال من أخرى [من الكامل] :

عزّ الغزال بمسكه لا مسكه والصرف للدينار لا الصرّفان
شبه الزمرّد لا يكون زمرّدًا ولئن تقارب منهما اللونان

(١) الوراقة : أي في الأوراق التي تجمع ما كتب من أدبٍ وغيره . والوراقة : صناعة الورق أو ملازمتها .

وقال [من مجزوء الرمل] :

خفُّ إذا أصبحت ترجو وارجُ إن أمسيت خائفُ
ربُّ مكروهُ مخوفٍ فيه لله لطائفُ

ولولا أنه سألني أن لا أورد في كتابي هذا شيئاً من شعره في الغزل والمدح
لكتبت من ذلك جملة صالحة ، لكنني انتهيت إلى رأيه ، وعملت بما سألني به ولم
أتعده .

* * *

١٢٠ - أبو حفص عمر بن علي المطوعي

شاب لبس برد شبابه على عقل مكتهل ، وفضل مقتبل . وسما الى مراتب
أعيان الأدباء والشعراء ، التي لا تدرك إلا مع الانتهاء ، واتصل بخدمة الأمير أبي
الفضل الميكالي ، فتخرج بالاعتباس من نوره ، والاعتراف من بحره ، وألف
كتاب « درج الغرر ، ودرج الدرر ، في محاسن نظم الأمير ونشره » وحين ألف
صاحب هذا الكتاب كتاب « فضل من اسمه الفضل » عارضه بكتاب « حمد من
اسمه أحمد » وله كتاب « أجناس التجنيس » وغيره ، وشعره كثير الملح والظرف ،
لا يكاد يخلو من لفظ أنيق ، ومعنى بديع ، كقوله في وصف النارنج [من
الكامل] :

أهلاً بنارنج أتنا غدوةً في منظرٍ مستحسنٍ موموقٍ
أصبحت أعشقه ويحكي عاشقاً يا حسنه من عاشقٍ معشوقٍ

وقال [من الوافر] :

ومعشوقٍ الشماثل قام يسعى وفي يده رحيقُ كالرحيق
فسقاني عقيقاً حشو درُّ ونقّلني بدرُّ في عقيق

وقال [من الطويل] :

ألست ترى أطباق وردٍ وحولها
فتلك حدودٌ ما عليهن أعينٌ
من النرجس الغضّ الطري قدودٌ
وهذي عيونٌ ما لهنّ حدودٌ

وقال [من السريع] :

وشادنٍ ما مثله في الصُّباح
لي من ثنياه ومن طرفه
كالشمس أو كالبدر أو كالصباح
وخدهٌ راحٌ وراحٌ وراح

وقال [من الكامل] :

سحر العيون غداة خطّت كفه
فأتى بمثل الوشي واحد نسجه
في رائق القرطاس رائق سطره
أو مثل زهر الروض ثاني قطره
خطٌ يحاكي منه سحر جفونه
وطرازٌ عارضه ولؤلؤ ثغره

وقال [من الطويل] :

بنفسي من تمّت محاسن وجهه
وأرسل صدغاً فوق خطّ كأنه
فما هو إلّا البدر عند تمام
جناح غرابٍ فوق طوق حمام

وقال [من السريع] :

انظر إلى وجه صديق لنا
قد كتب الدهر على خده
كيف محا الشوك به النقشا
بالشعر (والليل إذا يغشى)

وقال [من الوافر] :

غدا منذُ التحى ليلاً بهيماً
فقد كتب السواد بعارضيه
وكان كأنه البدر المنيرُ
لمن يقرأ (وجاءكم النذيرُ)

وقال [من المتقارب] :

تكبر لما رأى نفسه
على هيئة الشمس قد صوّرتُ

سيندم ألفا على كبره إذا الشمس في خده كورت
وقال [من المجتث] :

قل للذي يهواه أذاقني كأس صاب^(١)
تركنتي مستهاماً أصلي بحرّ التّصابي^(٢)
ما بين دمع مصوب وبين قلب مُصاب

وقال [من البسيط] :

إنّي علقت غزلاً قلبه علقُ فالحمد لله حمداً لا انقضاء له
بمثله في كمال الحسن واللين أصبحت جداً وسني دون عشرين

وقال [من البسيط] :

لما استقلت بهم غير النوى أصلاً وشتّهم صروف البين تشتيتاً^(٣)
جلست أنظم في وصف الهوى دُرّاً والعين تنثر من دمعي يواقيتا

وقال [من الطويل] :

أيا منية المشتاق فيم تركنتي كئيباً بلا عقل قتيلاً بلا عقل^(٤)
فإن كنت أنكرت الذي بي من الهوى أقمت به من أدمعي شاهدي عدل

وقال [من الكامل] :

يا ليلُ هل للصبح فيك وميضُ فعليّ غمٌ من دجاك عريضُ

(١) الصاب : العلقم ، والمر .

(٢) أصل : احترق ، والتصابي : تكلف الصبا والميل إلى الفتنة والجهل .

(٣) مصوب : أي هاطل ، ومُصاب : أي أصيب بالهوى وبغيره .

(٤) استقلت بهم : حملتهم ، وأصلاً : ليلاً أو عند مغيب الشمس .

وشتّهم : فرقهم . صروف البين : أحداثه وغيره .

(٥) « عقل » الأول هو أداة التفكير ، والثاني بمعنى الدية .

ليلٌ حكى الغربان سوداً لونه
وقال [من البسيط] :
وكان أنجمه البزاة البيضُ

يكفيك أن الهوى لم يبق في جسدي
إني نحت الهوى قلبي فأنحلني
وقال [من البسيط] :
من الجوارح عضواً غير مجروح
حتى غدا جسدي أخفى من الروح

نفسى فداء غزالٍ ما اكتحلت به
وكلما رام نطقاً وهو مبتسمُ
أضحى جنى النحل ممزوجاً بريقته
وقال [من الطويل] :
إلاّ تصوّرتَه أنموذج الحورِ
فالدّرُ ما بين منظومٍ ومثورِ
لكنّما الخصر منه خصر زنبور^(١)

أرى الفطر عيد الناس في كلّ بلدة
إذا ما أعدّ الناس للفطر عطرهمُ
وقال [من الخفيف] :
ووجهك لي عيدٌ ورؤيته فطري
فحسبي بما في عارضيك من العطر

قم إلى الراح فاسقنيها ففيها
ما ترى الصوم صار بالأسودين
وقال [من الوافر] :
قوةٌ للفتى وقرّة عين
وأنا شوال بالأحمرين

صديقك قد ألمّ به صديقُ
وقد بعثا إليك وليس شيئاً
وقال [من الكامل] :
وأعوزه الشرابُ الأرجواني
سوى معهودِ فضلك يرجوان

لا تعرضنّ على الرواة قصيدةً
ما لم تبلغ قبل في تهذيها^(٢)

(١) الزنبور : « الدّبور » هكذا تسمّيه العامة وخصره يكون مذهباً .
(٢) المحفوظ : ما لم تكن بالغت في تهذيها « والتهذيب : الصقل والعناية .

فمتى عرضت الشعر غير مهذبٍ عدّوه منك وساساً تهذي بها
وله من نتفة في ذكر جوين حين كان بها مع الأمير أبي الفضل الميكالي [من
الكامل] :

طابت جوين لنا وطاب هواؤها فسقى السحاب الجون أرض جوين
أرضٌ أقام بها الأمير فألبست بمقامه فيها ملابس زين
فكأنما أنهارها من كفه تجري وقد جادت لنا بلجين
وكان زهر رياضها من بشره يهدي الضياء لكل ناظر عين
وله فيها [من الوافر] :

ومرت في جوين لنا ليالٍ عددناهن من عيش الجنان
رضعنا في حجور الأمن فيها بأفواو الرضى ثدي الأمان
لدى قمرٍ خلّاقه نجومٌ ولكن وجهه للبدر ثاني

١٢١ - أبو العباس الفضل بن علي الأسفرائيني

إسفرائين من كور نيسابور ، مخصوصة بإخراج الأفراد ، كأنو شروان الذي
افتخر به النبي ﷺ ، فقال «ولدت في زمن الملك العادل» فهو أفضل ملوك العجم
وأعدلهم بالإجماع وإن كانت لأزدشير فضيلة سبق . ومسقط رأس أنو شروان
مشهور بإسفرائين .

وكأبي جعفر حمويه بن علي الذي أحيا دولة آل ساسان وحاطها ، واجتاح
أعداءها ، وتولى لهم أربعين حرباً لم ترد له فيها راية ، ولم تفته من مطالبه غاية ،
حتى وطأ الله لهم على يده مهاد الملك ، وجبى إليهم ثمرات الأرض ، هذا مع
رجوعه إلى نفس أمارة بالعدل والخير ، بعيدة من الجور والشر ، مدلولة على سبل
البر ، تشهد بها آثاره بنيسابور وأوقافه وأخباره .

وكالشيخ الجليل أبي العباس الفضل بن أحمد ، فإنه هو الذي ربي ملك
السلطان المعظم أبي القاسم محمود بن سبكتكين ، أدام الله تأييده ! كما يربي
الطفل الصغير حتى يشتد عظمه ، ويؤنس رشدَه . وما زال يدرجه بحسن هدايته
وكفايته إلى الزيادة ، وبلوغ الإرادة ، حتى ثبتت أركانه ، وعلا مكانه . وتلاحقت
رجاله ، وتكاثرت أمواله . وتوالت فتوحه ، وارتقت فتوقه وكأبي حامد بن أحمد بن
أبي طاهر الإسفرائيني إمام أصحاب الحديث ببغداد وصدر فقهاؤها ، فإنه بلغ من
الفقه والتدريس مبلغاً تشني به الخناصر ، وتشني عليه الأفاضل .

وكأبي العباس بن علي ، فإنه من بقية الكرام الأجواد الذين لا تخرج
أوصافهم إلا من الدفاتر وكتب المآثر ، فهو من حسنات نيسابور ومفاخرها وهو
الآن الحاكم والزعيم باسفرائين والناظر في أمورها ، والمناضل عن أهلها ،
والمتكفل بمصالحها ومناجحتها ، يرجع إلى أدب غزير ، وفضل كثير ، وطبع كريم
وخلق عظيم ، ومن حسن أثره ويمن نقيته أن إسفرائين حرم أمن ، وجنة عدن ،
عامرة به ، وقد شمل سائر كور نيسابور نواحيها الخراب وعمها الاختلال وكانت
إسفرائين فيها لمعة في ظلم وغرة في غرر ، ومن عجيب شأنه أنه - على إقلاله وكثرة
ديونه وقصور دخله عن خرجه - يقيم من المروءة وسعة الرحل ما لا عهد لمن فوقه
في الجاه والمال بمثله ، ويبذل للزوار والعفاة ما لا يقدم أجواد المياسير على
بذله ، وكان الأشجع السلمي عنه بقوله [من المتقارب] :

وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفه أوسع

وله كتابه حسنة ، ومحاضرة مفيدة ، وفصاحة مرضية ، وشعر كثير لا
يحضرني منه الآن إلا قوله [من الطويل] :

وكنت إذا ما سرح المشط عارضي رأيت سحيق المسك بين يدياً
فصرت إذا ما خللته أناملي تناثر كافور بهنً علياً

وقوله لبعض أصدقائه [من الطويل] :

أراني إذا ما سرت نحوك زائراً خطاي وساعاً ، والمسير ذميل^(١)
وإن ما أرحُ بالإنصراف مودعاً فأدرم مشياً والحراك قليل^(٢)

وقوله في شمعنة نصبت في بركة [من المنسرح] :

وشمعة وسط أيمن البرك تميس في الماء ميس مرتبك
كأنها البدر في السماء سرى فحار في أوجه من الفلك

وقوله في فوارة أقلت تفاحة [من المتقارب] :

وفوارة سائل ماؤها بتفاحة مثل خد العشي
كمنفخة من رقيق الزجاج تُدار بها كرة من عقيق

١٢٢ - أبو الفتح أحمد بن محمد بن يوسف الكاتب

من رستاق جوين ، وقع إلى بخارى في آخر الدولة السامانية ، واتصل
بالخانية ، فتولى ديوان الرسائل لبغرا قراخان ونازع أبا علي الدامغاني في الرتبة ،
ثم زال أمره وانحطت حاله ، وقصد غزنة فلم يحظ بطائل ، وعاود نيسابور فمات
بها ، وكان أعطاني من شعره مجلدة أخرجت منها قوله [من المتقارب] :

تزوجت ويحك عوادةً ليطعمك الناس من أجلها
لقد جئت في اللوم أعجوبة أرى الكلب يأنف من مثلها

وقوله [من البسيط] :

شعري متينٌ وخطي حين تلحظه كالروض حسناً وما في منزلي قوتٌ

(١) الذميل : السير السريع اللين .

(٢) أدرم : تعثر وسقط ، يقال أدرمت أسنان الولد : تحركت وسقطت لنبات أسنان أخرى .

عند الأديب ولا الياقوت ياقوتُ
لذاكُم أنا مهجورٌ وممقوتُ^(١)

لا الدرُّ عندهما درٌّ إذا جمعا
لكنَّ عيبي أني لست ذا قحةٍ
وله [من البسيط]:

أجلٌ وطولٌ نهار الصيف في جسدي
من اللثام وأهلُ البغي والحسدِ

ما للبراغيث طولَ الليل راتعةٌ
بليت منها بما تبلى الكرام بهِ
وله [من السريع]:

وآزورٌ عني وآزدرى قدري
في منزلٍ أضيقُ من صدري

لما رأيت الشيخ قد ملّني
رضيتُ بالفقر ولازمتهُ

وله [من الوافر]:

يَرْدُ غَلَّةَ الهيم العطاش^(٢)
لطفاً طاب بينهمُ معاشي
رواه لنا زهيرٌ عن خراشِ
بكم تخرون قبلُ على الفراشِ

سقاك الله نيسابور غيثاً
فقد أحدثت كتاباً ظرافاً
إذا أبصرتهمُ أنشدت بيتاً
خريت في البياض وكان عهدي

وله [من الطويل]:

ولا سطوتي الشيخُ العميد أبو نصرٍ
وفي داره يجري من الخزي ما يجري
فما أمنه إياي وهو ابن من يدري

جفاني وهاجاني ولم يخشَ صولتي
وكان حريٌّ ألاَّ يكشفَ شاعراً
وقد خاف أولاد العفائف جاني

وله [من السريع]:

ولحيةٍ للشيخ إن تلقها لقيت من حاملها مائقا^(٣)

(١) القحة : من الوقاحة . والممقوت : المبخوض والمستقل .

(٢) الغيث : المطر : والغلة : الظمأ ، والهيم : الذين يحتاجون للماء أي الظمأ .

(٣) المائق : الأحق .

سلط عليها ربُّنا نادفًا بلُ ناتفًا بلُ حالقًا حاذقًا
وله [من الخفيف]:

سيرة الشيخ سيرةً مذكورة وأياديه بيننا مشكورة
إذ لديه محلُّ كلِّ كريمٍ كمحلُّ الكلاب في المقصورة
وله [من السريع]:

من كان ذا جارية بضَّةٍ ولحمها عارٍ من الشحمِ
فهذه يا إختوي فاعجبوا جاريتي عظمٌ بلا لحمِ
عظمٌ بلا لحمٍ ولكنَّها مولعةٌ بالمضغِ للحمِ
وله [من السريع]:

أقول للشيخ إذا جئتُه والشيخ لا يفكر في الهجو
سبحان من أعطاك هَلُوفَةً تصلح للهجو وللنحو^(١)
وله [من الوافر]:

لقد جلُّ ارتياحي واغتباطي بما يلقاه من ألمِ السقامِ
وأرجو أن يُتمَّ لي سروري بما يُسْقاه من كأسِ الحمامِ
وحاشا أن يذوق الموت إلَّا بحدٍّ مهتدٍ ذكرٍ حسام^(٢)
على أن الحسام يزلَّ عنه ولكنَّ بالحجارة والسلام
وله [من البسيط]:

جَهْلُ الرئيسِ وحقُّ الله يُضحِكُنَا وفعله وإلَهُ الناسِ يُبكِينَا

(١) الهَلُوفَةُ : اللحية الضخمة ، والنجو : أي المناجاة بالأسرار والعشق .
(٢) المهتد : السيف ، والذكر : الحديد الصلب ، والحسام القاطع .

١٢٣ - أبو القاسم الحسين بن أسد العامري

من رستاق خواف ، أحد الأدباء المذكورين ، والمؤدبين المشهورين
بنيسابور وكان يؤدب أولاد الرؤساء بها ، وله شعر كثير اقتصرت منه على قوله [من
البيسط] :

يدي على كبدي من شدّة الكمدِ كأنما خلّقتُ كفّاي من كبدي
نظرت فاحترقتُ أحشائي من نظري فمن ألوم وقد أحرقتها بيدي
الشوق يجمعني والهمُّ في قرنٍ جمعاً يفرّق بين الروح والجسد^(١)
جودي لي اليوم أو عودي غداً دنفاً أو آندبي لقتيل الحبّ بعد غدٍ
وقوله [من الرجز] :

فرسكة حمراء كالعقيق هدية جاءتك من صديق^(٢)

١٢٤ - ابنه أبو النصر طاهر بن الحسين

كتب إلى أبي الحسين بن فراسكين ، وكان يؤدب ولده [من الكامل] :

حثّ الكريم على التفضّل بدعةً يا خير من يمشي على وجه الثرى
جاء الشتاء ولست أملك درهماً والاعتماد عليك ، فانظر ما ترى

١٢٥ - أبو عبد الله الغواص

من قرية الجنيد ، من رستاق بست بنيسابور ، أديب متبحر في اللغة شاعر
باللسانين كثير المحاسن ، وهو الآن حي يرزق ، وله نعمة ودهقنة^(٣) وديوان شعره

(١) القرن : في حبل واحد ، أو رباط واحد .

(٢) الفرسك : الخوخ ، والفرسق لغة فيه وهي يونانية الأصل .

(٣) الدهقنة : رئاسة المقاطعة والاقليم .

عظيم الحجم ، ومن ملحه قوله [من الرمل] :

من عذيري من عذولي في قَمَرٍ قَامَرَ القلبَ هواهُ فَمَر
قَمَرٌ لم يبق مِنِّي حَبَّةٌ وهواه غير مقلوب قمر

وقوله في دار السيد أبي جعفر الموسوي [من الكامل] :

يا دار سعدٍ قد علتُ شرفاتها بَنَيْتُ شبيهة قلبه للنَّاسِ
لورود وفلرٍ ، أو لدفع مَلَمَةٍ أو بذل مالٍ ، أو إدارة كاسٍ

وقوله في قوم من المتفقهة وسخى الثياب جيدي الأكل [من الهزج] :

أناسٌ نَتَّهَمُ يربى على نتن الظرايين^(١)
وأكلٌ لَهُمْ يربى على أكل الثعابين

وقوله [من البسيط] :

الخيريون في أَسَاطِهِمْ سَعَةٌ وفي أَكْفَهُمْ ما شئت من ضيقٍ
ومنهمُ أحمد المذموم ، مذهبُهُ بلعُ الأيور بلا ريقٍ على الريقِ

١٢٦ - أبو حاتم الوراق

من قرية كشم من رستاق نيسابور ، ورق بنيسابور خمسين سنة ، وهو القائل

[من الكامل] :

إنَّ الوراقَ حِرْفَةٌ مذمومةٌ محرومةٌ ، عيشي بها زَمِينُ^(٢)
إن عشتُ عشتُ وليس لي أَكْلٌ أو متٌ متٌ وليس لي كفنٌ

(١) الظرايين : جمع ظرباء ، وهي دوية منتنة كالهرة .

(٢) الزَمِين : الذي مرض مرضاً طويلاً يصعب شفاؤه .

ومن ملحه قوله في نور الخلاف المسكي [من الرجز] :

كَأَنَّ نَوْراً شَجَرَ الْخِلَافِ أَكْفُ شُورٍ بَلَا خِلَافِ

١٢٧ - أبو جعفر البحات، محمد بن الحسين بن سليمان

من زوزن إحدى كور نيسابور ، مشهور بالأدب والعلم ، وكان له محل من الشعر وتصرف في القضاء ببلاد خراسان ، وأنشد قول ابن المنجم [من الطويل] :

فَلَا تَجْعَلْنِي لِلْقَضَا فَرِيسَةً فَإِنَّ قَضَاةَ الْعَالَمِينَ لَصُوصُ
مَجَالِسِهِمْ فِينَا مَجَالِسُ شُرَطَةٍ وَأَيْدِيهِمْ دُونُ الشُّصُوصِ شُصُوصُ^(١)
فَقَالَ مَجِيزاً لَهُمَا [من الطويل] :

سَوَى عَصْبَةٍ مِنْهُمْ تُخَصُّ بِعَفَا وَلِلَّهِ فِي حُكْمِ الْعُمُومِ خُصُوصُ
خُصُوصُهُمْ زَانَ الْبِلَادِ ، وَإِنَّمَا يَزِينُ خَوَاتِيمَ الْمُلُوكِ فُصُوصُ^(٢)
وَمِنْ مَلَحِهِ السَّائِرَةِ قَوْلُهُ [من المجتث] :

هَدِيَّةٌ	بِنَسَبَةٍ	أَذْيَّةٌ	أَوْ	بَلِيَّةٌ
بِاللَّهِ	قُلْ لِي	أَكَانَتْ	هَدِيَّةٌ	أُمٌ
وَصِيَّةٌ	وَعَاجَلْتَنِي	الْمَنِيَّةُ	أَقْرَبِي	بِالسُّوِيَّةِ
فَأَعْطَاهَا	بَعْدَ	مَوْتِي		

وهذه قصيدة له كتبها كلها لحسن ديباجتها [من المتقارب] :

شَبَابُ كَلَامٍ بَرَقَ رَحْلُ وَشَيْبُ كَمَثَلِ غَرِيمٍ نَزَلُ

(١) الشصوص : جمع شيص : وهي حديدة عقفاء يصاد بها السمك . والشصوص : اللصوص المهرة .

(٢) خصوصهم : ما يخصهم ، أو ما يتفردون به ، والفصوص : جمع فص ، وهو لب الخاتم .

وقد قويمٌ جفاه الزمان
وشعرٌ تطاير فيه البياض
وثغرٌ تناثر كالأقحوا
وجوهٌ نبت عنه نجل العيون
وخطوٌ كخطو القطا في الرما
وجسمٌ تراجع بعد النماء
ترحل ما سرٌ مستعجلاً
مضت وانقضت غفلاتُ الشباب
كأنني رأيت الصبا في المنام
أمالكَ فيما ترى عبرةً
إلى كم تطوفُ بباب الملوك
فطوراً تُجلّ وطوراً تُغلّ
أتغفلُ عن نائباتِ الزمان
زمانٌ يدير على أهله
فإحدى يديه تمجُّ الذعاف
ألم تعتبرُ بيقصور الملوك
فسلها وقل أين سكانها
وأين الجيوش وأين الخيول
وأين الذين حكوا بالقدود
كجنٌ على الجنّ قد أقبلوا

كخوطٍ تحاني وغصنٍ ذبل^(١)
يحاكي سواه خضابٌ نصل
ن غازله الليل رشٌ وطل
وقد كان روضاً لهور المقل
ل من بعد وثبٍ كوثب الإبل
كزرعٍ تناهى وبردٍ سمل^(٢)
وشيك الرحيل وما ساء حلّ
وجاء المشيب وبش البدل
خيالاً تمثّل ثمّ اضمحلّ
وشاهد صدقٍ بقرب الأجل
كطيرٍ الفراش بضوء الشعل
وطوراً تُعزّ وطوراً تُذل
وهنّ سراعٌ إلى من غفل
بسعدٍ ونحسٍ كؤوس الدول
وإحدى يديه تمجُّ العسل^(٣)
خلت منهم بوشيك الرحل
وأين الملوك وأين الخول^(٤)
وأين السيوف وأين الأسل^(٥)
غصوناً ثناها الندى والبلل
بسود القلانس حشو الجلل

(١) الخوط : الغصن الناعم .

(٢) سَمَلٌ : أبلى وسمل العين : فقأها بحديدة محمّاة ، وسمل الخوض : لم يخرض منه إلا ماءً قليل .

(٣) الذعاف : السُّمُّ القاتل المميت .

(٤) الخول : العبيد .

(٥) الأسل : الرماح .

طوتهم عن الأرض آجالهم
وما ذاك من كوكبٍ قد بدا
ولا الخير يأتي به المشتري
وما الأمر إلا لرب السماء
قليلٌ جميع متاع الغرور
وضلّ عن الرشيد جماعه
سباعٌ حواليه زرقُ العيون
فهذا يجاذبُ ما قد حواه
إذا وضعوه على نعشه
وإن دفنوه نسوه معاً
فهذا قصارى جميع الأنا
أقول وللدمع في وجنتي
سلامٌ على طيبِ عيشٍ مضى
سلامٌ على قوتي للقيام
سلام على الختم في ليلةٍ
سلام على الكتب ألقتها
سلامٌ على مدحٍ صغتها
سلام امرئٍ ما انتهى لم يجد
أناب إلى ربه تائباً
ولم تغن عنهم صنوف الحيل
من الشرق أو كوكبٌ قد أفل
ولا الشر يقضي علينا زحل
وقاضي القضاة تعالى وجلّ
وطالبه من قليلٍ أقلّ
وحاسده منه فيه أضلّ
كلابٌ وأسدٌ وذئبٌ أذلّ
وهذا يخالسه ما فضل
أشاعوا البكا وأسرّوا الجذل^(١)
وكلٌ بميراثه مشغل
م من جلّ أو قلّ منهم وذلّ
سوابق قطرٍ له مستهلّ
وأنسٍ بإخوان صدقٍ نبيل^(٢)
إلى الفرض في وقته والنفل^(٣)
بقلب كئيب حليف الوجل^(٤)
ووشحّتها بصحاح العلل
وحبرّتها في الليالي الطول
وما رام مجتهداً لم ينل
ومستغفراً للخطأ والزّلل^(٥)

(١) أسرّوا : أخفوا وكنتموا ، والجذل : السرور والفرح .

(٢) نبيل : فارق ، من نبيل السهم : أي فارق القوس

(٣) الفرض : أوان الصراة ، والنفل : النوافل المستحبة طاعة لله .

(٤) الختم : أي الانتهاء من قراءة القرآن ، والوجل : الخوف والخشية .

(٥) أناب : أي عاد تائباً ، والزّلل : الخطأ .

وله وقد حلم بخيال حبيب له فنبهه ذلك الحبيب فقال [من البسيط] :

يا من ينبّهني عن رقدة جمعتُ بيني وبين خيالٍ منه مانوسٍ
دعني فإنّك محروسٌ ومرتببٌ وخلّني وخيلاً غير محروسٍ

١٢٨ - أبو منصور محمد بن علي الإسماعيلي الجويني

أحد أفاضل الأدباء ، بل أوحدهم ، يجمع تفاريق المحاسن ويرجع بناحيته
إلى دهقنة وكفاية . ويتحلّى بستر وقناعة ، وله شعر كثير يحضرني منه قوله [من
المجتث] :

يا واصفاً لي شوقه وما سما منه فوقه
حسوتُ من ذاك مالاً مشنوقٌ يستطيع ذوقه
وفوق ظهري منه ما يشتكي قدس أوقه^(١)

وقوله [من المجتث] :

إنّ الزيارة يزري إدمانها بالمحبة
وعادة الغبّ فيها أولى بحسن المغبة^(٢)

وقوله [من مخلع البسيط] :

ما أبين العذر في كتابٍ في الظهر حيث البياض يعوزُ
أليس عند افتقاد ماءٍ تيمّمُ بالصعيد يجوزُ

وقوله [من السريع] :

اعذر صديقاً في بياضٍ حكى كاتبه في دقة الجسم

(١) الأوق : الثقل .

(٢) الغبّ : الزيارة حيناً بعد حين .

كأثما أعدته أشواقه فصيرته ناحل الجرم^(١)

١٢٩ - أبو نصر أحمد بن علي بن أبي بكر الزوزني

كان غرة في وجه زوزن ، وورد نيسابور وهو غلام يتناسب وجهه وشعره حسنا ، فأخذته العيون ، وقبلته القلوب ، وارتاحت له الأرواح ، واستكثر من أبي بكر الخوارزمي وأخذ عنه الفصاحة حتى كاد يحكيه ، وتفتحت له أبواب الشعر وتفتت أنواره فقال ، من قصيدة [من الطويل] :

ولا أقبل الدنيا جميعاً بمنّة ولا أشتري عزّ المراتب بالذلّ
وأعشق كحلاء المدامع خلقة لئلا يرى في عينها منّة الكحل
وقال [من المتقارب] :

ألا حلّ بي عجبٌ عجبٌ تقاصر وصفيّ عن كنهه
رأيت الهلالَ على وجهٍ منْ رأيت الهلالَ على وجهه

وحدثني أبو نصر سهل بن المرزبان قال : أنفذ إلى أبو نصر الزوزني رقعة وسألني أن أعرضها على والذي فإذا فيها هذه الأبيات [من مخلع البسيط] :

يا أيُّها السيّد المرجّى إن حلّ صعبٌ وجلّ خطبُ
عندي ضيفٌ وليس عندي ما هو للملهيات قطبُ
فالصدر مني لذلك ضيقٌ لكنّ رجائي لديك رحبُ
أقيم علينا سماءَ لهوٍ أنجمها بالمزاح شهبُ
نشربُ ونوقظُ به قلوباً ويصبح الجسم وهو قلبُ

ولما استوى شبابه وشعره ورد العراق وانخرط في سلك شعراء عضد الدولة ،

(١) الجرم : الجسم .

فهب عليه نسيم الثروة ، وتمهد له فراش النعمة ، ثم إنه احتضر أحسن ما كان
شباباً ، وأكمل ما كان آداباً ، وكتب إلى والده قصيدة وهو في سكرة الموت أولها
[من الوافر] :

ألا هل من فتى يهب الهوينا لمؤثرها ويعتسف السهوبا^(١)
فيلغ والأمور إلى مجاز بزوزن ذلك الشيخ الأريبا
بأن يد الردى هصرت بأرض السعراق من ابنه غصناً رطيبا^(٢)
وليس يحضرني باقيها .

* * *

١٣٠ - أبو العباس محمد بن أحمد المأموني

كان من علماء المؤدبين وخواصهم ، وانتقل من زوزن إلى نيسابور واشتغل
بالتدريس والتأديب ، وله شعر كثير وقصائد مسمطة ، كقوله من قصيدة أولها [من
مجزوء الوافر] :

لعل سعاد تسعد من أضرب به الفراق وأن
تكف يد الصبابة عن فؤاد شيق تعب

ومنها :

وفقد الغمد لا يزري بعضب فيصل يري
وإن الطرف قد يجري بغير ثيابه القشب^(٣)

وقوله من أخرى في التوحيد أولها [من مجزوء الوافر] :

إله الخلق معبودي وفي الحاجات مقصودي

(١) يغتسف : يسرع على غير هدى ، والسهوب : من الأرض : البعيدة السهلة .

(٢) هصرت : كسرت .

(٣) الطرف : الجيد الأصيل من الخيل . والقشب : الجديدة النظيفة .

ودين الكفر مردودي وعصمة خالقي وزري

وأنشدني لنفسه في وصف تفاحة [من الطويل] :

وتفاحة من سوسنٍ صيغ نصفها ومن جَلَنار نصفها وشقائق
كأن الذي فيها من الحسن صائحُ بأن آمنوا يا جاحدون بخالقي
وأنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

لا العسر يبقِي على حالٍ ولا اليسر ألا ترى أن من يعلو سينحدرُ
لا تسخطنَ على دهرٍ لحادثةٍ فكلُّ حادثةٍ يأتي بها القدرُ
وكنْ برَبِّك في الأحوال ذا ثقةٍ بأنه دافعُ الآفاتِ لا الحذر

* * *

١٣١ - أبو القاسم علي بن أحمد بن مبروك الزوزني

كان متفنناً في العلوم ، قائلاً بالاعتزال والزهد والتصوف ، وله شعر كثير من
أشهره قوله [من البسيط] :

سواد صدغين من كفرٍ يقابله بياضُ خدين من عدلٍ وتوحيد
قد حلت الزنج أرض الروم فاصطلحا يا ويح روعي بين البيض والسود

١٣٢ - أبو محمد عبد الله بن محمد العبدلكاني

أديب شاعر ، ظريف الجملة ، خفيف روح الشعر ، كثير الملح والظرف ،
فمما أنشدني لنفسه في دار الأمير أبي الفضل الميكالي قوله في بعض الصدور
بنيسابور [من مجزوء الكامل] :

لو كنت أعظمُ في الولاية من يزيد بن المهلب

أو كنت أعلم بالروا ية من سعيد بن المسيّب
ولقيتني فالكلب منك إليّ أعجب

وقوله [من السريع] :

يا ربُّ وفقني للخير واقتل عدوي بيديّ غيري
وقوْ أيري فإنّ الفتى لذّته في قوّة الأير^(١)

وقوله [من مخلع البسيط] :

يا سيدي نحن في زمانٍ أبدلنا الله منه غيره
كلُّ خسيسٍ وكلُّ نذلٍ متّع بالطيبات أيره^(٢)
وكل ذي فطنةٍ وكيسٍ يجلد في بيته عميره

وقوله [من مجزوء الرجز] :

يا كاسباً من إسته ومنفقاً على الذُكر^(٣)
استك تشكوك فلا تفرح إذا الأيرُ شكرُ

وقوله [من المجث] :

يا ماح الشعر جهلاً أعنّ أخاك بصمتٍ
لو كان في الشعر خيرٌ ما كان ينبتُ في استي

وقوله [من الوافر] :

له أنفٌ حكى خرطوم فيلٍ إلى شفتين مثل الكلبتين
فلا تغرركُ مردته فأنّي رأيتُ القبح إحدى اللحيتين^(٤)

(١) ورد صدر البيت : وتولّ أيري فإن الفتى « وهو غير مستقيم الوزن ، وأصلحناه إلى الوجه الذي ذكر .

(٢) النذل : الخسيس الحقير .

(٣) الاست : فتحة المؤخرة . والذُكر : عضو التناسل عند الرجل .

(٤) المردة : اللحية الحديثة .

وأنشدني الأمير أبو الفضل له [من المتقارب] :

إذا كنت معتقداً ضيعةً فإيّاك والشّوة الوجوها^(١)
لأنك تقرأ إنّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها

وله [من مخلع البسيط] :

إلبس ثياباً وكنّ حماراً فإنّما تكرم الثّيابُ

* * *

انتهى الباب العاشر فتم به الكتاب ، وبقي على ذكر قوم من أهل نيسابور لم تحضرني أشعارهم ، وهم : أبو سلمة المؤدب ، وأبو حامد الخارزنجي ، وأبو سهل البستي ، وأبو الحسن العبدوني الفقيه ، وأبو بكر الجلابادي ، وأبو القاسم العلوي ، وأبو سعد الخيزروذي ، وأبو سعيد مسعود بن محمد الجرجاني ، والفقيه أبو القاسم بن حبيب المذكر ، وأبو القاسم الحسن بن عبد الله المستوفى الوزير ، والشيخ أبو الحسن الكرخي ، والشيخ أبو نصر بن مشكان ، وأبو العلاء بن حنبل ، وسيتفق لي أو لمن بعدي إلحاق ما يحصل من ملح أشعارهم بهذا الباب إن شاء الله تعالى ، وله الحمد والمنة والشكر ، وصلواته على النبي المصطفى محمد وآله الطاهرين ، والصحابة أجمعين ، والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، آمين .

* * *

وهذه زيادة ألحقها الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي رحمه الله تعالى ! بخطه في آخر المجلدة الرابعة من نسخته على لسان المؤلف ولقد قال الشيخ أبو منصور رحمه الله تعالى لبعض تلامذته أوان القراءة : قد أجزت ما فعله

(١) الشّوة : القباح .

الأمير ، وإن شئت أن تثبت في موضعه من الكتاب فافعل فقد أجزتك بذلك .

* * *

١٣٣ - أبو الحسن علي بن محمد

الغزنوي مولدا ، الأصبهاني منشأ ، حسنة أرضه ، ونادرة دهره ، ونجم أفقه ، وعقد قلائد الفضل وأهله ، والجامع بين كرم الخيم والخير^(١) ، والمكتفي بالفهم الثاقب والطبع الغزير ، والمتفنن في محاسن الآداب والعلوم ، والناظم حواشي المنظوم والمنثور ، ومما حضر في الوقت من بارع نظمه قوله [من المتقارب] :

إذا سلّم الله دين امرئ
فما بعد هذين من حادث
وعرضاً له من دواعي الخلل
تلقاه أو ريب دهرٍ جلل
وقوله في بغداد [من المتقارب] :

سقى الله بغداد مجنى العلوم
على أنها حسرة المفلسين
ومغنى الأمانى ومثوى الأدب
وجنة عدن لأهل النش^(٢)
إذا ما استببت لنا عودة
إليها قضينا أقاصي الأرب

وقوله [من الطويل] :

سقى الله أياماً ببغداد لي مضت
ولم يك إلا عقد عمري وعلقة
خلت فالذت وانقضت فأمضت^(٣)
تقضّى فكانت عيشتي قد تقضت

(١) الخيم : السجايا والأصل .

(٢) النش : المال .

(٣) أمضت : أملت وأوجعت .

وقوله في نكته [من الخفيف] :

ليس إلّا الرضى بما قدّر الله وإلا الإذعان والتسليم
والعزاء الجميل والصبر والإيقان أنّ المولى رحيمٌ كريمٌ
ومصير المظلوم عقبى نجاؤه ومعاد البغاة مرعى وخيمٌ
ليس فيما [مضى] من الخير خيرٌ إنّما الخير في الذي لا يريم^(١)
وكذا الشر ينقضي ليس شرّاً إنّما الشرُّ شرٌّ من يستديم
فاحمد الله إن حصلت مصيراً واشكره أن لست ممّن تضيف^(٢)
واتق الله واستعنه وأيقنْ إنّ أجر الصبور أجرٌ عظيم

وقوله [من البسيط] :

الزجرُ والفألُ والرؤيا تعاليلُ والله بالغيب والتقدير منفردُ
فلا معجلٌ للمقضيّ آجله وليس للعاجل المقضيّ تأجيلُ
ثقّ بالعليم الذي يقضي الأمور ولا يغررك ما دونه فالكُلُّ تعليلُ

وقوله [من الكامل] :

يا من يُثْمَرُ للحوادث ماله فوّتَ نفسك حظّها من مالها
كن واحداً منها لسهمٍ واحدٍ لك إن حرمت سهامها بكمالها

وقوله في مرثية وجيه بن أحمد [من الطويل] :

أتى نبأ من نحو دينور مصعداً أقام جميع السامعين وأقعدا
وأورث أحناء القلوب تملأاً وأودع أحشاء الضلوع توقداً
وذوّب من بحر المدامع جامداً وجرد من سيف الكآبة مغمداً

(١) يريم : يفارق .

(٢) الضيم : الظلم والإذلال .

وطرف الحجي والعقل واللبُّ أرمداً
وأبقى أساه كلُّ دمعٍ مهلهلاً^(١)
فعاد به شملُ الهموم مجمّعاً
ففي كلِّ دارٍ منه نوحٌ ورثه
بأنّ الردى أنحى على المجد والعلی
بمن كان للإحسان والفضل مألّفاً
فويح الردى كيف انبرى دفعةً له
عساه أتاه في معارض سائلٍ
فما ردهً لما اجتداه تکرماً
عفاءً على دهرٍ عفارسم مجده
وأنف المعالي والكمال مجدّعاً^(٢)
لقد كان حقاً غرةً في جبينه
سلامٌ عليه فائضٌ بركاته
ولا زال ريحان الجنان وروحها

وطرف الحجي والعقل واللبُّ أرمداً
وأبقى أساه كلُّ دمعٍ مهلهلاً^(١)
فعاد به شملُ الهموم مجمّعاً
ففي كلِّ دارٍ منه نوحٌ ورثه
بأنّ الردى أنحى على المجد والعلی
بمن كان للإحسان والفضل مألّفاً
فويح الردى كيف انبرى دفعةً له
عساه أتاه في معارض سائلٍ
فما ردهً لما اجتداه تکرماً
عفاءً على دهرٍ عفارسم مجده
وأنف المعالي والكمال مجدّعاً^(٢)
لقد كان حقاً غرةً في جبينه
سلامٌ عليه فائضٌ بركاته
ولا زال ريحان الجنان وروحها

وقوله في علة عرضت له فحلف الطبيب أنها سليمة [من الكامل] :

ومتى يريح من الممات يمينُ
سيكون إمّا حان منه الحينُ

حلف الطبيب لأبرأناً من علتي
هوّن عليك فكلُّ ما هو كائنُ

(١) المخدّد : متقبّض من الضعف والهزال .

(٢) آص : عاد ، وصار .

(٣) الكلم : الجرح .

(٤) اجتدى : سأل وطلب الحاجة .

(٥) الشلو : العضو ، مقدّداً : من القديد : وهو المجفّف من اللحم .

(٦) مجدّعاً : مقطّعاً .

(٧) أريد : مغبّر .

ولئن نجوت مسلماً من هذه إني بأخرى بعدها لرهينُ
وقوله [من الطويل] :

سقى الله أيام الصِّبا ونعيمها
وإذ لا أحاشي لذة كيفما انبرتُ
لئن كان عذري في شبابي واسعاً
وله في نكبة [من الطويل] :

لئن غصبت أيدي المظالم ضيعتي
وإن ثمدت مالي الجوائح فالذي
فدينني موفورٌ ، وعقلي راجحٌ
وعرضني مصونٌ عن مخازٍ تظاهرتُ
وما أرتجي في آجلي من مثوبةٍ
فسبحان من في كلِّ عارضٍ محنةٍ
فلم تغتصبُ ديني وعلمي وأخلاقي
تكفل بالأرزاق يوسع أرزاقِي^(١)
ووزري منزورٌ ، وعلمي لي باقي^(٢)
على هاضمي ، والحمد لله خلاقي
وذخرٍ جزيلٍ فهو أنفُسُ أعلَاقِي^(٣)
له منحةٌ يقضي لها الشكر أطواقي^(٤)

انتهت زيادة الإلحاق

* * *

تم الجزء الرابع من « يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر » لأبي منصور
الثعالبي ، وبتمامه تمام الكتاب ، والحمد لله الذي يسز سبل إكماله ، وصلاته
على خير خلقه وعلى صحبه وآله .

(١) أحاشي : أجنب ، ورَيْقٌ : به رونق الشباب ونضارته .

(٢) ثمدت : قللت وأفنت ، والجوائح المصائب ، والمكراه التي تنزل بالمرء

(٣) الوزر : الذنب ، منزورٌ : مُبعد ومجأى .

(٤) أعلَاقِي : نفائسي .

(٥) المعارض : ما يعترض الإنسان في حياته من عوارض وصعاب . وأطواقي : قدرتي وجهدي .

فهرس الجزء الرابع

من كتاب « يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر »
لأبي منصور الثعالبي

الباب التاسع

شعراء وكتاب جرجان وطبرستان

الصفحة

٣	أبو الحسن علي بن عبد العزيز
١٠	ملح من شعره في الغزل
١٥	ملح من شعره في حسن التخلص
١٨	غرر من شعره في المدح وما يتصل به
٢١	درر من شعره في وصف الشعر
٢٥	فقرله من كل فن
٢٩	أبو الحسن علي بن أحمد الجوهري
٣٣	ملح من مقطوعاته في كل فن
٣٦	غرر من قصائده
٤٨	أبو معمر بن أبي سعيد بن أبي بكر الأسماعيلي
٥٢	القاضي أبو بشر الفضل بن محمد الجرجاني
٥٤	أبو القاسم العلوي الأطروش
٥٥	أبو نصر عبد الله بن محمد البجلي الإسترابادي

فصل في ذكر شعراء طبرستان

الصفحة

- ٥٦ أبو العلاء السروي
٥٨ أبو الفياض سعد بن أحمد الطبري
٦٤ أبو هاشم العلوي الطبري

الباب العاشر

- ٦٧ شمس المعالي قابوس بن وشمكير

القسم الرابع

في محاسن أهل خراسان وما وراء النهر

الباب الأول

- ٧٣ أبو أحمد بن أبي بكر الكاتب
٧٩ أبو الطيب الطاهري
٨٤ أبو منصور الطاهري
٨٥ أبو الحسين محمد بن محمد المرادي
٨٧ أبو منصور العبدوني أحمد بن عبدون
٩٠ أبو الطيب المصعبي محمد بن حاتم
٩١ أبو علي الساجي
٩٢ أبو منصور الخزرجي
٩٣ أبو أحمد محمد بن عبد العزيز النسفي
٩٤ أبو القاسم الكسروي
٩٦ أبو بكر محمد بن عثمان النيسابوري الخازن
٩٦ الحسين بن علي المروروزي
٩٧ محمد بن موسى الحدادي البلخي

٩٩	أبو الفضل السكري المروزي ، أحمد بن محمد بن زيد
١٠٣	أبو عبد الله الضرير الأبيوردي
١٠٣	أبو محمد السلمي
١٠٦	أبو ذر البلخي الحاكم
١٠٦	أبو أحمد الياامي البوشنجي
١٠٨	أبو علي السلامي
١٠٨	أبو القاسم علي بن محمد الإسكافي النيسابوري
١١١	فقر من كرمه
١١١	ملح من شعره
١١٢	ذكر آخر أمره

الباب الثاني

في ذكر العصريين المقيمين في بخارى

١١٥	تقدمة في منزلة بخارى
١١٦	أبو الحسن علي بن الحسن اللحام الخراساني
١١٨	مدحه
١١٩	ما يستملح من أهاجيه
١٢٩	فنون شتى
١٣٠	نبد من هجائه
١٣١	آخر عمره
١٣٢	أبو محمد المطراني الحسن بن علي بن مطران
١٤٠	أبو جعفر محمد بن العباس بن الحسن
١٤٤	ابن أبي الثياب أبو محمد
١٤٦	أبو الحسن علي بن هرون الشيباني

الصفحة

١٤٧	أبو النصر الهزيمي ، المعافى بن هزيم
١٥٣	أبو نصر الظريفي الأبيوردي
١٥٤	رجاء بن الوليد الأصبهاني ، أبو سعد
١٥٥	أبو القاسم الدينوري ، عبد الله بن عبد الرحمن
١٦٢	أبو منصور أحمد بن عبد الله
١٦٢	أبو منصور أحمد بن محمد البغوي
١٦٢	أبو علي محمد بن عيسى الدامغاني
١٦٤	أبو علي الزوزني الكاتب
١٦٦	أبو عبد الله الشبلي
١٦٧	أبو علي المسبحي
١٦٨	أبو الحسن أحمد بن المؤمل
١٧١	أبو إسحاق إبراهيم بن علي الفارسي
١٧١	أبو جعفر الرامي ، محمد بن موسى بن عمران
١٧٥	أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الجرجاني ، الملقب طرمطراق
١٧٥	أبو محمد عدي بن محمد الجرجاني
١٧٦	عبد الرحيم بن محمد الزهري
١٧٦	أبو القاسم إسماعيل بن أحمد الشجري
١٧٨	أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي المتيّم
١٨٠	أبو الحسن أحمد بن محمد بن ثابت البغدادي
١٨١	أبو منصور البوشنجي (مضراب الشعر)

الباب الثالث

في ذكر المأموني والواقفي ، ومحاسن أخبارهما

١٨٣	أبو طالب عبد السلام بن الحسين المأموني
١٩٥	من أوصافه

الصفحة

٢١٢	وله في عدة من المطعومات
٢١٩	ومما قاله على السنة أشياء مختلفة
٢٢٠	أبو محمد عبد الله بن عثمان الوائلي
	الباب الرابع
	في ذكر غرر فضلاء خوارزم
٢٢٣	أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي
٢٢٣	كلمات له تجري مجرى الأمثال
٢٢٨	فصول له كالأنموذج
٢٢٩	فصل في فضل الحمية
٢٣٠	فصل في اقتضاء حاجة
٢٣٠	فصل في ذكر آفات الكتب
٢٣٠	فصل في إلا ولولا
٢٣١	فصل في الاعتداد
٢٣١	فصل في ذم عامل تقلد الخراج
٢٣١	فصل في الاعتذار
٢٣١	فصل في ذكر هدة
٢٣٢	فصل في ذكر الرمد
٢٣٢	فصل في مدح الفقر
٢٣٣	فصل في ذم عامل
٢٣٣	فصل في ذكر الآفات
٢٣٤	جملة من أخباره تطرق لأشعاره
٢٣٩	ملح ونكت من شعره في النسيب والغزل
٢٤٣	لمع من تجميعاته
٢٥٤	نبذة من سقطاته وعرره الواقعة في غرره

٢٥٥	غرر من مدحه وما يتصل بها
٢٥٩	فقر من مراثيه
٢٦٤	نتف من أهاجيه في خلفاء العصر
٢٦٧	فقر وطرف له في فنون مختلفة
٢٧٧	أبو سعيد أحمد بن شبيب الشيبلي
٢٧٨	أبو الحسن مأمون بن محمد بن مأمون
٢٧٩	أبو عبد الله محمد بن إبراهيم التاجر الوزير
٢٨١	أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الرقاشي
٢٨٤	أبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمي
٢٩١	أبو القاسم أحمد بن ضرغام

الباب الخامس

في ذكر أبي الفضل الهمداني (بديع الزمان)

وحاله ووصفه

٢٩٣	تقدمة في ذكر براعته
٢٩٦	رقعة إلى أبي بكر الخوارزمي
٢٩٧	من كتاب له إلى أبيه
٢٩٨	من رقعة له إلى خلف
٢٩٩	من كتاب إلى أبي نصر بن أبي زيد
٣٠١	من كتاب إلى الأمير أبي نصر الميكالي
٣٠٣	في التماس الخطب
٣٠٥	من رقعة إلى خطيب
٣٠٧	من رقعة إلى من استأاحه شرابا في يوم مطير
٣١٠	من كتاب إلى ابن فارس
٣١٢	من كتاب إلى عدنان

الصفحة

٣١٥	من كتاب إلى أبي بكر بن إسحاق
٣١٥	من كتاب إلى ابن أخته
٣١٥	من كتاب إلى ابن فريغون
٣١٨	من كتاب تعزية بحرمة
٣١٩	من كتاب في مدح الأمير خلف
٣٢٠	من كتاب إلى أبيه
٣٢١	من كتاب إلى الشيخ الجليل أبي العباس
٣٢٧	فصل من تهنئة بمولود
٣٢٨	فصل من تعزية
٣٢٨	فصل من تعزية
٣٢٩	رقعة إلى أبي محمد إسماعيل بن محمد
٣٣٠	فصل له إليه أيضا
٣٣١	فصل من رقعة إلى وارث مال
٣٣٢	فصول قصار وألغاز وأمثال
٣٣٤	ملح وغرر من شعره في كل فن

الباب السادس

في ذكر أبي الفتح علي بن محمد الكاتب البستي ، وسائر أهل بست

٣٤٥	تقدمة في منزلة أبي الفتح
٣٤٨	ما أخرج من فصوله القصار
٣٥٠	فصل من كتاب له عن السلطان المعظم
٣٥١	ما أخرج من ملحه في الغزل والخمر
٣٥٥	من ملحه في الفقهيات
٣٥٦	من الأدبيات
٣٥٧	من الطبيات والفلسفيات

الصفحة

٣٥٩	من النجوميات
٣٦١	من ملح مدحه وما يتصل بها
٣٦٤	من الإخوانيات
٣٦٩	من باب الشكوى والعتاب
٣٧٥	من باب الذم والهجاء
٣٧٦	من باب الشيب والكبر
٣٧٧	من الأمثال والنوادر والحكم
٣٨٢	أبو سليمان الخطابي أحمد بن محمد بن إبراهيم
٣٨٤	أبو محمد شعبة بن عبد الملك البستي
٣٨٦	أبو بكر النحوي البستي
٣٨٦	الخليل بن أحمد السجزي
٣٨٩	أبو زهير بن أبي قابوس السجزي
٣٨٩	أبو القاسم محمد بن محمد بن جبير السجزي
٣٩٠	أبو العباس أحمد بن إسحاق الجرمقي
٣٩٨	أبو الحسن عمر بن أبي عمر السجزي النوقاني

الباب السابع

في تفاريق ملح أهل بلاد خراسان ، سوى نيسابور

٣٩٥	أبو القاسم الداودي
٣٩٦	أبو محمد عبد الله بن محمد بن يحيى الداودي الهروي الفقيه
٣٩٦	أبو الحسن المزني
٣٩٧	أبو سعد أحمد بن محمد بن ملة الهروي
٣٩٧	أبو روح ظفر بن عبد الله الهروي
٣٩٨	منصور بن الحاكم أبي منصور الهروي
٤٠١	أبو أحمد الساوي الهروي

الصفحة

٤٠٢	أبو الربيع البلخي
٤٠٢	أبو المظفر البلخي
٤٠٣	أبو بكر بن الوليد البلخي
٤٠٤	الحسن الضرير المروروزي
٤٠٤	أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن إسماعيل الفقيه الطوسي
٤٠٥	أبو محمد الطوسي
٤٠٥	أبو سهل المعقلي الطوسي
٤٠٥	أبو نصر الروزبازي

الباب الثامن

في ذكر الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي

٤٠٧	تقدمة في ذكر آل ميكال
٤٠٩	فصول في وصف كتب من رسائل الأمير أبي الفضل
٤١٢	فصول له في الإخوانيات
٤١٥	فصول له في الشكر والثناء
٤١٨	فصول له في العتاب والذم وشكوى الحال
٤٢١	فصول له في التهاني
٤٢٢	فصول له في العبادة
٤٢٣	فصول له في باب التعازي
٤٢٤	فصول له في باب السلطانيات
٤٢٥	من شعره في الغزل
٤٢٨	قطعة من شعره في الأوصاف والتشبيهات
٤٣٢	غرر من شعره في الإخوان
٤٣٤	لمع من شعره في المداعبات وما يشاكلها
٤٣٥	لمع من شعره في المراثي

الصفحة

٤٣٧

لمع من شعره في التوجع وشكوى الدهر

٤٣٨

في الحكم والأمثال والزهد

الباب التاسع

في ذكر الطائرين على نيسابور من بلدان شتى

٤٤١

أبو عبد الله الوضاحي البشري ، محمد بن الحسين

٤٤٢

أبو طاهر بن الخبز أرزي

٤٤٣

أبو الحسن أحمد بن أيوب البصري ، المعروف بالناهي

٤٤٤

أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي

٤٤٩

أبو سعد نصر بن يعقوب

٤٥٢

أبو نصر سهل بن المرزبان

٤٥٥

أبو محمد الحسن بن أحمد البروجدي

٤٥٨

أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي

٤٥٨

رقعة له في إهداء نصل

٤٥٩

رقعة في الاستزارة يوم النحر

٤٥٩

رقعة في خطبة الود

٤٦١

رقعة في الاستزارة

٤٦٢

رقعة في الإنكار على من يذم الدهر

٤٦٣

رقعة إلى صديق قامر على كتب

٤٦٤

ملح وغرر من شعره

٤٦٨

أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري

٤٧٠

أبو منصور أحمد بن محمد اللجيمي

٤٧٣

أبو جعفر محمد بن الحسين القمي

٤٧٤

أبو الغطاريف عملاق بن غيداق العثماني

٤٧٥

أبو المعلی ماجد بن الصلت (ناقد الكلام الياني)

الصفحة

- ٤٧٧ عبد القادر بن طاهر التميمي أبو منصور
٤٧٨ أبو علي محمد بن عمر البلخي الزاهر
٤٧٨ أبو القاسم يحيى بن علي البخاري الفقيه

الباب العاشر

في ذكر النيسابوريين

- ٤٨١ أبو محمد عبد الله بن إسماعيل الميكالي
٤٨٢ أبو جعفر محمد بن عبد الله بن إسماعيل الميكالي
٤٨٣ أبو سهل محمد بن سليمان الصعلوكي
٤٨٤ علي بن أبي علي العلوي
٤٨٤ أبو البركات علي بن الحسين العلوي
٤٨٦ أبو الحسن محمد بن ظفر العلوي
٤٨٧ أبو العباس محمد بن يحيى العنبري
٤٨٨ أبو سلمة بن أحمد المعاذي
٤٨٨ أبو سهل سعيد بن عبد الله التكلمي
٤٨٩ أبو بكر عبد الله بن محمد البستي
٤٩١ أبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن دوست
٤٩٤ أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز النيلي
٤٩٦ أبو سهل بكر بن عبد العزيز النيلي
٤٩٨ أبو محمد إسماعيل بن محمد الدهان
٥٠٠ أبو حفص عمر بن علي المطوعي
٥٠٤ أبو العباس الفضل بن علي الإسفرائيني
٥٠٦ أبو الفتح أحمد بن محمد بن يوسف الكاتب
٥٠٩ أبو القاسم الحسين بن أسد العامري
٥٠٩ أبو النصر طاهر بن الحسين بن أسد

الصفحة

٥٠٩	أبو عبد الله الغواص
٥١٠	أبو حاتم الوراق
٥١١	أبو جعفر البحات محمد بن الحسين بن سليمان
٥١٤	أبو منصور محمد بن علي الأسماعيلي الجويني
٥١٥	أبو نصر أحمد بن علي بن أبي بكر الزوزني
٥١٦	أبو العباس محمد بن أحمد المأموني
٥١٧	أبو القاسم علي بن أحمد بن مبروك الزوزني
٥١٧	أبو محمد عبد الله بن محمد العبدلكاني
٥١٩	زيادة ألحقها الأمير عبيد الله بن أحمد الميكالي
٥٢٠	أبو الحسن علي بن محمد الغزنوي
٥٢٣	تمت فهرس الجزء الرابع ، والحمد لله أولا وآخرا